قيمة الاتحاد العربي في الميدان الدولي

•

من اقوال العرب المأثورة ان ما من محنة الا في طيّها منحة. ويصدق هذا القول على المحنة التي اجتازها العالم العربي على اثر العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر. فقد نبهت هذه الحوادث المؤلمة الروح العربية الى كثير من الامور واخذ العرب يحسبون لها حسابا بعد ان كانت مهملة. واني اكتفي بذكر بعض من هذه العبر راجيا ان يعيرها العرب ما تستحق من الاهتمام والالتفات.

لقد أيقظت هذه المحنة اهمية الاتحاد العربي لا في مجابهة القضايا العربية فحسب، بل في طبع المستقبل العربي الذي يصبو اليه العرب افراداودولا وشعوبا. فقد ظهر جليا ان الدول العربية ستبقى ضعيفة ما دامت متفرقة، وانها لن تستكمل قواها الا بالاتحاد ـ ستراتيجيا واقتصاديا ودبلوماسيا.

فمن الناحية الستراتيجية نجد ان رقعة كل بلد عربي على حدة تشكل خطرا على سائر البلدان العربية من ناحية، وخطرا على كيانه هو من الناحية الاخرى. فقد اثبت التاريخ مرارا وتكرارا، مثلا، صحة النظرية القائلة بأن التحكم في شؤون مصر لا يتم الا من قاعدة سورية(١)، ومن هنا يتضح لنا خطر اسرائيل الدائم على مصر، كما أثبت صحة النظرية القائلة بان سلامة الهلال الخصيب لا تتم الا بسلامة الجانب الشرقي من الاردن. وقد تجلت هذه الحقيقة بوضوح في أثناء المحنة الاخيرة ووضحت كما وضحت الناحية الايجابية من الامر، أي ان البلاد العربية تكوّن وحدة جغرافية ستراتيجية تتحكم في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر من ناحية، وفي الخليج الفارسي والمحيط الهندي من ناحية اخرى، كما تسيطر على الطريق البرية بين كل من افريقية وآسية واوربا. هذا المركز الستراتيجي العظيم لا قيمة له اذا بقيت الدول العربية متباعدة، ويستحيل الى قوة هائلة خلاقة اذا تقاربت واتحدت واستغلت هذه الرقعة كما يجب في خدمة شعوبها وفي تعزيز المواصلات بين الشرق والغرب.

وتأتي الناحية الاقتصادية مكملة للناحية الستراتيجية في هذا الامر. فقد وضح للعرب وللعالم اجمع، كذلك، ان ثروة العرب البترولية، مثلا، قليلة الفائدة عديمة الاثر، لا بل تكون خطرا يهدد سلامة كل بلد عربي، اذا بقيت الرقعة العربية متباعدة الاقطار، متنافرة الاهداف، مقطعة الاوصال. اما اذا تقاربت وتكتلت ونسقت لهذه الثروة سياسة موحدة رشيدة، تستحيل هذه الثروة الى قوة هائلة لرفاه العرب ووسيلة فعالة للذود عن حقوقهم في الميدان الدولي.

واخيرا حملت هذه المحنة القاسية للعرب منحة اخرى، اذا ادركوا كنهها وبادروا الى استغلالها عادت عليهم بخير وافر ومستقبل عظيم في الميدان الدبلوماسي. فللدول العربية اليوم عشرة وفود في هيئة الدول المتحدة. وقد يصبح هذا العدد اثنتي عشرة عندما يتكامل استقلال الشمال الافريقي قيمة هذه الوفود في الميزان الدولي بنسبة تضامنها واتحادها، ولا وزن لها دوليا متفرقة ـ كل على حدة ـ وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح اكثر من مرة منذ قيام هيئة الدول المتحدة. واذ كانت شؤون العالم اليوم قائمة على المساومات الدولية يتبين لنا مقدار الطاقة العربية في هذا المضمار، اذا كانت متحدة، وخاصة بعد ان أثمر التعاون الوثيق بين كتلة الدول الافريقية والاسيوية وظهرت هذه الثمرة في اجتماعات الدول المتحدة الاخيرة. فيجدر بالعرب ان يعيروا هذه الناحية انتباههم لاستخلاص الحق لانفسهم ومساندته لدى الغير، لان الحق واحد لا يتجزأ في كل بلد من بلاد العالم الواحد.

نبيه امين فارس

(١) بالمعنى الجغرافي بما في ذلك لبنان وفلسطين وشرق الاردن.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطيف

أعطي قليلا واستردا ودنا على حذر وصدّا
طيف ألمّ وليلتي رفعت من الظلماء بندا
فأطل مثل البدر من خلل السحاب اذا تبدّى
يا روعة لما تمثل بالعراء وماس قدا
عارٍ من الاثواب كاسٍ من معاني الحسن بردا
أرأيت دمية مرمر ترتج رانقة ونهدا
وجه تلألأ مشرقا كالسيف ماء أو فرندا
أخفى بمنشور الذوائب من محاسنه وأبدى
غالطت نفسي واتهمت العين حينا اذ تصدّى

* * *

ما شأنه ماذا يريد وما عساه يروم قصدا
أأتى لبنظر كيف أمضي ليلتي هما وسهدا
كبدي تسيل من الجراح ومقلتي بالدمع تندى
وجوانحي تنفضّ من عصف الهوى عقدا فعقدا
أم جاء يعبث والهوى أضحى بحمد الله جدا
ان كان يعتقد الهوى طفلا فقد بلغ الاشدا
والله ما ضيعت عهد الحب منذ قطعت عهدا
اني اذن خنت الصبابة والغرام وجئت ادّا

* * *

حيّ وطأطأ رأسه وخطا اليّ ومد زندا
يرنو وأرنو والعيون تجاوبت أخذا وردا
أنا ما بعدت دنا اليّ فان دنوت عدا وشدّا
يعطو اليّ بجيده ويدير لي خدا فخدا
فاذا هممت به تراجع ضاحكا مني وندا
كتمنع الحسناء اذ عمدت الى الادلال عمدا
ولو اعتلقت الخد منه جنيت تفاحا ووردا
ما زال بي حتى لقد أغرى الصبابة بل تحدى
داورته بالرفق لا آلو لو ان الرفق أجدى
ومددت أشراك التآلف والرياض اليه مدّا
وختلته بحبائلي وأرغته عكسا وطردا
وسعيت لاستغوائه فاذا به بالغي أهدى
ما كنت أعلم أنه أقوى يدا وأعز جندا

* * *

سحر العيون فأخطأت قيدا لموقعه وحدا
كالشمس تحسبها دنت للغرب وهي أشد بعدا
اني عييت بأمره ولقيت مؤتلفا وضدا
قربا وبعدا وهو لم يبرح ووجدانا وفقدا
فكأن من دون البلوغ اليه هاوية وسدا
وأرى الطوارق بعده ماء ولكن لا كصدّا

* * *

هل كان في الماه غير الاسى والسهد أسدى
أغرى وحرّض لوعة وثابة واهتاج وجدا
أورى وأرث جمرة بين الجوانح ليس تهدا
ترك النوازي في فؤادي تنبري جزرا ومدا
ملك الفؤاد فقاده وبمسكة العقل استبدا
فلكم دعوت فما استجاب ولو دعوت صفا لبردا
وكم ابتغيت له الوسيلة علّه يعطي فأكدى
وكم استلنت فؤاده يا للعواطف ما أشدّا
ولو استلنت بما أعالجه به لألنت صلدا
فلقد جعلتُ حشاشتي مرعى له والدمع وردا
ما زلت استدينه وهو يلج اعراضا وحردا
حتى ارتميت وليس بي رمق وقد جاوزت جهدا
وسقطتُ مخذول القوى كالطير عن فنن تردّى
أهوى عليّ وضمني وأباح من شفتيه شهدا
ما الرفد للمحروم حين يجود بالانفاس رفدا

دمشق — خليل مردم بك

أعبث ... ام هناك غاية

بقلم الدكتور كمال الحاج

✳

اذا كنا لا نستجمع قوى الفكر، بغية فهم الانسان ـ الذي يحمل في جسمه ، وقلبه ، وعقله ، كل ما ينطوي عليه الكون العام ـ فمن المستحيل ان نصل الى معرفة هذا المخلوق بصورة شاملة . لكانه ابن العبث الاكبر . والعبث ، ان صح وجوده ، هو انقلاب للوحة القيم ... هو تحطيم ، على بلاطات العدم ، لكل مشروع انساني . به تلاقي الامور حتفها في التلاشي الضائع . وهكذا تبين لنا الحياة وليدة المصادفة الغاشمة .

ولكن العبث غير حاصل . العبث ابن العاطفة الراسبة في الامتحان . كفى ان يعرف الانسان ... او ان يحن الى المعرفة ... ليبطل العبث ، وتلغى المصادفة . المعرفة ، اواعية كانت ام لا واعية (أعني أمحللة كانت أم غير محللة) ترفض ان لا يأتي الشيء في مركزه . ترفض ان تكون عشوائية نظم الطبيعة والانسان . نظمها ، عندها ، ليست كما يعن على البال ... او يحلو للخاطر . اذ لاحداث التاريخ ، الظاهر منه والباطن ، دوزان حكيم نجهل معظم الحانه ، لاننا لا نهتم بغير الدقيقة التي نعيش فيها . العبث نظام محجوب عن وعينا . المصادفة منطق مخبوء .

كم وكم من الناس مروا ـ منذ القديم ـ تحت قبة السماء ، دون ان يلتفت واحد منهم الى فوق . لقد ظلت البشرية تروح ، وتجيء ، مئات بل الوفا من الاجيال ... وعيونها الرمداء عالقة في التراب ، كانه الصمغ اللازق . أكانت تعرف لماذا تقع التفاحة من اعلى الى أدنى ؟ قالت ، في كل مرة ، هو العبث العامل .

وذات يوم مر عبقري . مثله كالناس ، باديء بدء ، ينظر كما ينظرون الى الارض الدابقة ولكنه عبقري في قوارة ذاته ، يمتد بداخله الى ما وراء الباطن . لقد كان يداعب لاواعيا نظم الكون المحجوبة . كان يلامسها بامتدادات ذهنه الراشح . أجل ، ذات يوم ـ والناس يعتبرون واقع الامر عبثا ـ سقطت تفاحة على راس ذاك العبقري ، فكان سؤاله : لِمَ سقطت التفاحة ، في حينها ذاك ؟ وكان الجواب : هي الجاذبية التي تبطل عشائرية المصادفة .

نادى الغيب هذا العبقري الذي تطلع . وكانت نفسه قابلة ، فالتقطت ـ بعد سقوط التفاحة ـ نظاما صارما ، كما تلتقط عدسة الآلة مشاهد الطبيعة . اذا فقدت تلك العدسة من باطن الانسان ، بان الكون خبطا عشوائيا . بانت حوادثه مصادفة . وعبثا يمر الناس فوق النظام ، وتحته ، وعن جوانبه ، فهو يظل عالقا بسقف المجهول ، حتى ينظر اليه بمكبر حساس العدسة .

العبث لا يمكن ان يكون ، لانه بحاجة الى المعرفة ليقيم عبثا ... ليقال عنه انه العبث ... وهذا حكم واع يتنافى مع حقيقة العبث . العبث لا معرفة ، فكيف نقول به ؟ ولكي نقول به يجب علينا ان نعرفه ، والمعرفة لاغية للعبث . المعرفة تعرف ذاتها عابثة ، وبهذا لا تعود عابثة . فحواه ان العبث لا يبقى عبثا يوم يعرف انه عبث . ان الحكم عليه ، بانه عبث ، يقيّمه . والقيمة ارسال الشيء نحو غاية معينة ، أي نحو تنظيمه .

قد تعبث المعرفة بشيء مادي ، فتخربه . قد تعبث بامور اجتماعية ، فتبطلها . ولكنها لا تقوى ، في النهاية ، على ان تعبث بنفسها . هذا من ربع المستحيل . المعرفة تحديد ، والتحديد يقوم على وضع الشيء في مركزه . وهذا عينه ابطال للعبث المخرب .

المعرفة مركوزة في عنق الانسان . وهي قوة كاشفة . بها يتسق اللاشيء ، وينتظم الجنون ، فتفهرس الامور بابا بابا . المعرفة تضع كل شيء في نصابه . وهذا معناه انه مسدد نحو غاية ... الى فوق او الى تحت . اذ المعرفة لا تصف لاجل الوصف . المعرفة المعرفة تقيّم كل ما يقع تحت ضوئها .

ان العلماء ، الذين يتحاشون الجدل والنزاع ، يرغبون في ان تكون المعرفة واصفة . لقد تمرسوا بالمناهج الاختبارية . ولهذا يريدون العقل غير متحيز ، كي يتسنى لهم الوصول الى الواقع الصراح . قد تنجح تلك المعرفة ، الواصفة ، في ميدان المادة . ولكنها ، في شاسعات الباطن ، لا تستطيع ان تقف مكتوفة اليدين امام الوجدان . هي لا تصف هنا الا لتنزل الموصوف ـ جملة ـ في باب الحسن ، او في باب القبيح . وبذلك ينتفي العبث المجنون .

المعرفة وليدة الوحدة . الجزء ، باعتبار كونه جزءا ، لا يعين على المعرفة . ذلك لان المعرفة فعل يقوم على ارجاع الخاص الى العام ... على ربط النسبي بالمطلق ... على ادراج المفرد في الجمع . حينذاك يبين المعنى ، ويتضح المقصد .

لنضرب مثلا على ذلك . الطاولة . لا معنى لها الا بالنسبة الى وجود اخر ، هو الانسان الذي يعنيّ . لا قيمة لها في ذاتها . قيمتها في انها تلبي حاجة الانسان . في انها وحدة . هي الطاولة رمة . اما اذا فككت ... أي اذا تخلعت اجزاؤها بعضها عن بعض ... فانها تفقد معناها . الجزء منها لا قيمة له ، بذات ذاته ، الا اذا لبى حاجة من حاجات الانسان . حينئذ يبطل جزءا ، ليعود وحدة . قد تقوم خشبة من الطاولة ، باحد اغراض الانسان ، فتقيّم . ولكنها لا تقيّم ، اذ ذاك ، كخشبة من الطاولة ... أي كجزء منها ... بل تأخذ معنى الوحدة . تقيّم كشيء مستقل عن الطاولة ، يرتبط راسا بمجموع الانسان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا قيمة للجزء على حدة . الحجـــر ، لا معنى له ، منفصلا عن البناء . هو يستمد معناه ، من وحدة البناء ، التي تعكس غاية في الانسان ... من انه حجر في بناء.. من انه ذو علاقة بغيره من الحجارة، التي تكوّن وحدة البناء. على ضوء هذه الوحدة (التي هي صورة عما يريده الانسان) يقيّم الحجر ، ويضفي عليه معنى . يبوّب . يفهرس . يجدول . لا قيمة للسكين كسكين ، اي كجزء . قيمته بالنسبة الى وحدة العمل ، التي يقوم بها . هو للخير ، او للشر ، وفق الغرض الذي يحققه للانسان . يفقد معناه ، وتبطل كل قيمة فيه ، اذا بقي جزءا ... اي اذا بقي خارج شبكة اعم ، يدرج في صلبها ، تحت عنوان اكبر .

نتابع ضرب الامثلة . لا معنى للكلمة ، اذا بقيت خارج الجملة . الجملة ، كوحدة بيانية ، هي التي تعطي الكلمة معنى مفيدا . وهل الاعراب ، الذي تقوم عليه الجملة ، الا ربط الكلمات بعضها برقاب بعض ؟ اذا كانت الكلمة في عينها (اي كجزء) ذات معنى مفيد ... فلانها تتناول كوحدة . لا معنى للحرف الا في ما هو اشمل ، اي الكلمة . ولا معنى للكلمة الا في ما هو اشمل ، اي الجملة . ولا معنى للجملة الا في ما هو اشمل ، اي البيان . ولا معنى للبيان الا في ما هو اشمل ، اي الانسان مصدر بيان .

لا معنى للوحة الفنان ، اذا دنونا كثيرا ، حتى لمس خامها . ان الذي يبين لنا منها ، ساعة ننظر اليها عن كثب، هو اجزاء مفككة . البرواز يبين على حدة . والقماش على حدة . والمسامير على حدة . والالوان على حدة . تبين اللوحة كأنها تمريغ اصباغ بصورة عشوائية . اما اذا باعدنا بضعة رماح ، بيننا وبينها ، فاننا نلتقطها في وحدة بنائها . اذ ذاك يبين مقصد الفنان . تبين العلاقات الكائنة بين الاجزاء . اذ ذاك تعرف انها مفيدة . انهـــا تعني شيئا . الفحوى ملتقى هذه العلاقات ، من بعيد ، ومن عل .

الشجرة لا قيمة لها في ذاتها . قيمتها في وحدة الطبيعة . في انها كلٌ ضمن كلٍّ . في انها مرتبطة بالهواء الذي يحيط بها ... وبالارض التي تحوشها ... وبالماء الذي ينميها ... وبالشمس التي تنعشها ... وبالنفاحة التي هي خلاصة كل هذا ... واخيرا بالانسان الـــذي يشتهيها . لو قطعت الشجرة عن تلك الوحدة الاعم ... لو لم يعد هناك ارض ، وماء ، وشمس ، وتفاحة ، وانسان يقيّم ... هل يبقى للشجرة ، كجزء مبتور ، من فحوى مفيد ؟ من غاية منظمة ؟

من اجمل ما خطه برغسون ، بهذا الصدد ، ما جاء في الخطبة التالية، التي القاها على بعض الطلاب، قال ما فحواه: من الحسن ان يحصر الانسان علمه في جهة واحدة ، والا جهل كل الجهات الباقية . ولكنه لا يستطيع ان يكتفـــي بالتخصص . هو يبدأ ــ كما بدأت الانسانية قبله ــ بطموح نبيل ، ساذج ، الى ان يعرف الاشياء كلها . والحق اننا لا نتوصل الى معرفة شيء واحد ، تمام المعرفة ، الا اذا احطنا الاشياء الاخرى بنظرة عامة ، ترينا كيف يرتبط هـــذا الشيء بالاشياء الباقية . هل بمقدور احـدنا ان يقول ، مثلا ، انه يعرف البناء لمجرد النظر الى كل حجر بمفرده ، رغم انه لا يجد غير حجارة في هذا البناء ؟ كلا . ذلك لان البناء فن تنظيم . واهم شيء في معرفتنا لهذا البناء ، يقوم ــ لا على ان نعرف كل حجر بمعزل عن سواه ــ بل على ان نعرف المركز الذي يشغله كل حجر بالنسبة الى غيره .

لقد استعملتم المجاهر ، في مختبراتكم ، أيها الطلاب. ونظرتم الى قسيمات زجاجية ، وضعت في علب تضم كل علبة منها جسما حيوانيا . فاذا اخذتم قسيمة ما ، ونظرتم اليها بامعان ، رأيتم انبوبا مخططا الى عدة مناطق . انزعوا الزجاجة ، بعد ذلك ، وانظروا الى كل خلية على حدة . ماذا ترون؟

اذا كنتم تريدون ان تعرفوا هذا الشيء ، معرفـة كاملة ، يجب عليكم ان تطرحوا المجاهر جانبا ... وان تنظروا باعينكم المجردة الى مجمل اقدام هذا العنكبوت البشع . لقد جزانا هذا الواقع الى قسيمات ، ونظرنا اليه بالمجهر ، ثم فحصنا الاجزاء ، دون ان نشمل بنظرنا . وهي طريقة مستحبة ، لكنها لا تجعلنا نعرف حقيقة ما ننظر اليه . من المستحسن اذن ان يتخصص المرء ، في علم من العلوم ، بعد ان يقف على الباقي وقوفا شبيعا . قد يطول به الوقت ، ليتخصص هكذا ، ولكنه يتقدم بسرعة اكثر . نحن نصل الى الرشاقة اليدوية ، اذا حصرنا كل قوانا فيها. ولكننا لا ننمي الملكة العقلية ، انماء كاملا ، الا اذا تعهدنـا القوى الباقية ايضا .

هذا مع الاعتراف بان ثمة قوة واحدة ، فقط ،تتحكم بسواها . بيد انها لا ترفع عاليا ، الا على اكتاف غيرها . هي تشبه ، في الجوقة الموسيقية ، العازف Solo الذي يسيطر بآلته على مجموع الآلات الاخرى ، بحيث اننـا لا نسمع الاها . ولكنه عاجز عن اكتساح مشاعرنا ، اذا لـم ترافقه الآلات العازفة الباقية . بهذا يتميز الانسان عـن الحيوان ، الذي لا يتقن غير عمل واحد . فها هو النحل ، الذي اوجد حلا لاصعب مسالة في علم حساب المثلثات . ولكنه عجز عن ان يحل سواها . اما الانسان ، فانه لـم يتوصل الى ما هو عليه من المعرفة ، الا بفضل تشعبه في نواح عدة . حال كون الحيوان يتقلص ادراكه ، رويـــدا رويدا ، ويتضاءل ضمن حدود التخصص .

الانسان ، إذن ، هو مصدر التقييم . والقيمة ، كما قلناه ، تلغي العبث الذي لا يبين الا في الحالات اليائسة ... اي السلبية . في اليأس يبين كل شيء عبثا ... باطلا .. يبين لا معنى له . وما ذلك الا لان الحالات السلبية تكسّر هذا الوجود الى قسيمات . تعيده الى اجزاء مخلعة ، لا يرتبط بعضها ببعض . تفرفطه . وقد اظهرنا كيف ان الجزء ، في ذات ذاته ، لا معنى له اطلاقا . هو باطل . وما العبث الا الباطل الذي لا فائدة منه .

نقول اذ، والحالة هذه ، بان الشيء الذي يعتبر جزءا ، لا يكون له معنى . لا يكون له قيمة . هو بدون غاية . هو عبث، اي باطل . اما الشيء الذي يعتبر وحدة ، فله قيمة. له معنى . هو ذو غاية مفيدة . تلك الوحدة ، التي تعطيه معنى من المعاني ، تأتيه من فوق ... من الانسان . ولا عجب ، فالمقيّم اعلى من الشيء المقيّم .

على صعيد الانسان ، يمكن اللجوء الى القول ذاته . ان عملا يقوم به الانسان ، لا يبين معناه الحق ... معنـاه الاكبر الصامد ... الا على ضوء وحدة اعمال الانســـان كلها . اذ لا قيمة للعمل ، في حد ذاته ... او بالاحرى ان له قيمة صغرى . والقيمة الصغرى هـــذه لا تكون الا في الحاضر . والحاضر يضمحل مع الزمن . هو فان وذاهب مع الريح . ولذا يبين باطلا ، في النهاية ، وعبثا . يبين بلا قيمة ، ولا معنى . يبين حالة سلبية ، اي فعلا ضائعـــا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتشهيا خاسرا .

ولقد وقع الكثيرون في مثل هذه الحالات اليائسة... أعني السلبية المكسّرة ... التي بان لهم الوجود فيها بدون غاية . بان لهم باطلا . وما لنا الا ان نفتح الجامعة لسليمان الحكيم ، لنقرأ ما يلي : باطل الاباطيل كل شيء باطل . أي فائدة للبشر من جميع تعبهم ، الذي يعانونه تحت الشمس . جيل يمضي وجيل يأتي ، والارض قائمة مدى الدهر . والشمس تشرق والشمس تغرب ، ثم تسرع الى موضعها ، الذي طلعت منه . تذهب الريح الى الجنوب ، وتدور الى الشمال . تدور وتطوّف في مسيرها ثم الى مداورها تعود الريح . جميع الانهار تجري الى البحر، والبحر ليس بملآن ، ثم الى الموضع الذي جرت منه الانهار . الى هناك تعود لتجري ايضا . جميع الامور تعيي، فلا يستطيع الانسان ان يشرحها . لا تشبع العين من النظر، ولا تمتلىء الاذن من السماع . ما كان فهو الذي سيكون ، وما صنع فهو الذي سيصنع . ليس تحت الشمس شيء جديد . وقال ابن سينا في قصيدته ، التي عنوانها فلسفة العمر ، ما يلي :

جولت في هذه الدنيا وزخرفها
عيني ، فالفيت دارا ما بها ارم :
كجيفة دودت ، فالدود منشؤه
فيها ، ومنها له الارزاء والطعم !

وروى الجاحظ قال : وجد مكتوبا على حجر : ابن آدم . لو رأيت يسير ما بقي من اجلك . لزهدت في طول ما ترجو من املك . ولرغبت في الزيادة من عملك . ولقصرت عن حرصك وميلك . وانما يلقاك غدا ندمك . وقد زلّت بك قدمك . واسلمك اهلك وحشمك . وتبرا منك القريب . وانصرف عنك الحبيب . فلا انت في عملك زائد . ولا الى اهلك عائد .

أين الخطأ في مثل هذه الاقوال ؟

الخطأ كائن في ان هؤلاء لم ينظروا الى الحياة الا كمجموعة من الاعمال المفككة .. من الاعمال المبتورة بعضها عن بعض . لا وصلة فيما بينها ، على حين ان العمل الفرد ، يرتبط بسابق له وبلاحق . السابق يرتبط بسابق يرتبط هو ايضا بسابق . واللاحق يرتبط بلاحق يرتبط هو ايضا بلاحق . وهكذا دواليك ، حتى تأتي على اخر سلسلة الاعمال كلها ، في حياة الانسان . اذ ذاك يبين لنا المعنى الاكبر . تبين لنا الغاية البعيدة .

نقول ، على هذا الضوء ، ان الانسان يظل تاريخا مفتوحا ... قابلا للتغيير والتبديل ... حتى يدرك الساعة الاخيرة ، التي يختم بها اعماله البشرية . حينذاك يتعرى من الجزئيات ، ليظهر وحدة كاملة ذات مغزى . حينذاك يبطل العبث ، وتندحر المصادفة . ومن هنا عظمة الموت ، الذي هو تمام الانسان ، وكماله . تمامه لانه يختم به دائرة وجوده ... وكماله لانه ينفي به عنه النقص ، الذي يأتيه من أعماله الجزئية .

لو بقي الانسان في قيد الحياة ... اي لو بقي تاريخا مفتوحا ... لظلت اعماله مخلعة بعضها عن بعض . لما بان منها المعنى الاكبر ، الذي يجعل الانسان ذا غاية . ولهذا تظهر لنا الحياة باطلة ، على صعيد الاعمال المجزأة . تظهر لنا بنت الزمان الهروب ... بنت الزمان اللاغي . ولكن الموت يتلافى كل هذا . يوقف الزمان ، فلا يعود الانسان

صدر عن دار الكتاب اللبناني

تاريخ العلامة

ابن خلدون

وقد صدر أخيرا

الجزء السابع (القسم الثاني من المجلد الثاني)

ولا تنسوا انه صدر الجزء الخامس
وهو نهاية المجلد الاول (المقدمة)
وهذا الجزء مذيل بفهارس المقدمة

التي وضعها وقدم لها بكلمة عامة الاستاذ يوسف اسعد داغر امين دار الكتب اللبنانية سابقا الاختصاصي بفن تنظيم المكاتب وعلم الببليوغرافيا

وتتضمن هذه الفهارس الى جانب المصادر والمراجع الاجنبية والعربية لدراسة ابن خلدون

١ ـ فهرس الموضوعات ٢ ـ فهرس اعلام الرجال والنساء ٣ ـ فهرس الشعوب والقبائل والدول والاسر ٤ ـ فهرس البلدان والامكنة الجغرافية ٥ ـ فهرس الكواكب والنجوم والابراج الفلكية ٦ ـ فهرس الحيوان ٧ ـ فهرس النبات ٨ ـ فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة ٩ ـ فهرس اسماء الكتب الواردة في المقدمة ١٠ ـ فهرس آي القرآن الكريم والاحاديث النبوية ١١ ـ فهرس المواد .

منشورات دار الكتاب اللبناني

بيروت ص.ب. ٣١٧٦ ـ هاتف ٢٧٩٨٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخا مفتوحا . ويوقف التجزئة ، فلا يعود الانسان اعمالا مكسّرة . يصبح وحدة ، والوحدة هي دائما ذات معنى... ذات مقصد .

ما لذي يحدو القائد الفرنسي ـ مثلا ـ على الانحناء بجلال امام نعش القائد الالماني ، الذي كان خصمه في ساحة الوغى ؟ ينحني امام نعشه اكراما ، وتقديرا ، لا لكونه القائد الالماني ، الذي طوله كذا ، وعرضه كذا ، ولون شعره كذا ، وجنسيته كذا ... والذي حاول ان يقتل ، فلم يفلح . كل هذه الافعال اجزاء مفككة . جاء الموت فاتمه ، واكمله . بعده بان القائد الالماني في جلاء وحدته ، بانت انسانيته . لقد اصبح عبرة ، والعبرة دلالة ، والدلالة ايماء الى غاية .

جاء في الاغاني : لما رأى الفلاسفة تابوت الاسكندر ، وقد أخرج ليدفن ، قال بعضهم : كان الملك امس اهيب منه اليوم . وهو اليوم اوعظ منه امس . وقال اخر : سكنت حركة الملك في ذاته . وقد حركنا اليوم في سكونه جزعا لفقده . وهذان المعنيان اخذهما ابو العتاهية برثاء ابنه علي . قال :

بكيتك يا علي بدمع عيني ... فما اغنى البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا

ومما وجد على قبر :

تناجيك اجداث وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وانت تموت

بالموت لا يعود للممكن مجال حدوث . به يتم النسج على منوال الزمان ، فيبين الثوب كله . به لا يعود هناك مستقبل . ولكن ما دام الانسان حيا ... ما دام كناية عن باب مفتوح ... عن نول قابل لمجيء المكوك وذهابه ... ما دام تهيئا دائما لان يكون من جديد ما لم يكنه قبلا ... لا يجوز لنا القول بانه الى تحت ، أو الى فوق . تظل اعماله الماضية كلها قابلة للتقييم ، خيرا او شرا ، بموجب اللون الذي يضفيه عليها عمله الاخير . بالموت يتركز الانسان نهائيا في مجاله الاكبر . بالموت يبطل المستقبل ، الذي هو مشروع مفتوح دائما . به يقفل الباب ، ويختم عليه . هنا تدخل الاعمال الجزئية ، التي يكون الانسان قد قام بها ، في أطار تلك الوحدة الكبرى . أعني في انسانية الانسان .

كلنا نعرف حكاية اللص الذي صلب مع المسيح . هذا اللص كان لصا في حياته ... لصا في رأي مجتمعه . ولم يكن احد ينتظر خروجه ناصعا . ولكن ما من احد جرؤ على القول بان هذا اللص لص نهائي . ذلك لان تاريخه كان مفتوحا بعد ... أي قابلا ، وهو في قيد الحياة ، للتقييم من جديد . كان المستقبل امامه ، والمستقبل خلاق يضفي على اعمال الماضي معناها الاخير . تاريخه ما زال عاملا . ما زال قوة فاعلة .

الواقع ان هذا اللص لم ينه حياته باللصوصية . لقد ختمها بما نعرف عنه . ختمها بالتوبة . أجل ، لقد تاب على خشبة الصليب ، وطلب المغفرة . ماذا كان جواب المسيح له ؟ ستكون معي ، الليلة هذه ، في الفردوس . اضفت تلك الهنيهة الاخيرة ، من حياته ، معنى الفضيلة على ماجريات ماضيه ... فضيلة صبغ لونها الخاص جميع ما قام به من لصوصية . على خشبة الصليب اكتملت وحدة كيانه . ختم عهده . اقفل بابه . لم يعد لتاريخه من آت . اذ ذاك اصبح ممكنا اطلاق حكم عليه . لقد بطلت اعماله عن ان تكون اجزاء مخلعة، مكسّرة . صارت وحدة ذات معنى ، وهدفا ، ومقصدا .

وهكذا قل عن الحركات الاجتماعية الكبيرة . فقد تفشل حركة سياسية ، في حينها ، وتنجح على مر الزمان . او تنجح ، في حينها ، وتفشل على مر الزمان . المهم كيف ينتهي الانسان . كيف تنتهي الحركة . النهاية هي التي تعطي الوحدة . ومن هنا قول تشرشل : ليس المهم ، في الصراع ، كسب المعارك بل كسب الحرب . أجل ، الحرب وحدة ، والمعارك مراحل منفصلة بعضها عن بعض . فالذي يربح المعارك ، ويخسر الحرب ، يكون خاسرا . والذي يخسر المعارك ، ويربح الحرب ، يكون رابحا . الوحدة هي التي تضفي على الاجزاء المعنى الاخير ، أي المقصد الاكبر .

نلخص ، اذن ، ما عرضناه حتى الان . ان العبث غير كائن ، لانه يتنافى مع المعرفة ... لانه اللانظام ، والمعرفة نظام . وهي مركوزة نهائيا في قلب الانسان ، مما يحدو على القول بانها جوهر ، والعبث عرض .

معنى هذا ان التقييم ، الذي هو معرفة ، يصدر عن الانسان . الانسان هو الذي يقيّم البرانيات . لا نظام في الخارج... لا قيمة ... لا غاية... الا عن طريق الانسان. به تتسق الاشياء ، وتتساوق . به يدخل التقييم في العالم الخارجي . لولاه ما استطاع الكون المادي ان يكون ذا دلالة .

والقيمة لا تضفي الا على الوحدة . الشيء ، باعتباره جزءا ، لا معنى له . هو الانحدار الى السلب . الايجابية لا تكون الا في الوحدة . في الطاولة ككل . في السيارة ككل. في المسكن ككل . اما اذا تجزأ الشيء الى كسيرات مخلعة ، فانه يفقد قيمته ، لانه لا يعود مفيدا .

وهكذا اعمال الانسان ... الافكار ، والارادات ، والمشاعر . لا قيمة لها الا عندما ينهي الانسان خطه الاكبر، الذي ينطلق من المهد الى اللحد . العمل ، باعتباره جزءا ، لا قيمة له . انه باطل يذهب مع الريح . العبرة هي في مجمل حياة الانسان ، باعتبارها وحدة كاملة .

★ ★ ★

يبقى ان نطرح السؤال التالي : ما دامت المادة تستمد قيمة وحدتها من الانسان ، الذي يتمتع بالفوقية ... من جهة النوع ... فمن اين يستمد الانسان قيمة وحدته ؟ هل هناك مصدر فوقي يضفي على الانسان قيمته ، فيصبح له غاية ؟

نقول بان مثل الانسان كمثل المادة ، من هذا القبيل . هو بحاجة الى مصدر فوقي ليكون له قيمة . لولا هذا المصدر ما تساوقت اعماله ، متجهة نحو غاية واحدة ، سامية ، هي ما نسميها الله . ولكن هناك من لا يؤمن بوجود ذاك المصدر الفوقي ، نعني بوجود الله . ذلك هو الالحاد الذي ينتاب عصرنا الحاضر .

لا نود ان نتطرق هنا الى الالحاد ، الذي ينتج عن كون العقل البشري ـ اي العلم الاختباري ـ لا يستطيع ان يبرهن عن وجود الله . لقد افلس هذا الالحاد ، لان العلم ذاته يبين لنا (يوما بعد يوم) ان هناك عقدا كثيرة لا يقوى

على حلها . ان كل عالم يلجه العلم يوجد معه عدة عوالم مجهولة . أضف الى ذلك ان العلم لم ينه مركاضه ، في مدى الغيب ، كي يسمح ايجابيا لنفسه ان يطلق حكما مبرما على الله . ما زال العلم في مرحلة الجزئيات ، وبت معضلة الله قضية كلية دفعة.

يبقى الالحاد، الذي يتزعمه الفيلسوف جان بول سارتر ، وهو بدون شك اعنف بكثير من الالحاد السابق . هذا الالحاد السارتري ، الذي يمكن تسميته بالايمان المتكابر، لا ينظر الى الله كقضية تستحق العناية . فقد يكون الله موجودا ، وقد لا يكون . المهم ، في نظره ، ان الانسان حاكم ذاته . سيد ذاته . خالق ذاته . الانسان لا يعود في وجوده الى جوهر عام ، سابق له ، مطلق ، متسام عليه . هو لا يكتسب وحدته ، من كائن فوقي ، قبله في الزمان واللازمان . الانسان في بدء مما هو . وما هو (اي ماهيته) يقوم على انه يتكون ، وينحل باستمرار ، وينزع لا جبريا بصورة متدرجة الى التكون التام .

ان الانسان لا يكون شيئا كاملا ، منذ بدء وجوده ، لنرجعه الى الله . هذا الارجاع يفرض عليه ان يكون شيئا كاملا ، منذ البدء . في حين ان تمامه ، وكماله ، لا يحصلان الا في النهاية . هناك بلا ريب ، نوع من الكمال النسبي . ولكن الانسان لا يدعي الكمال هذا ، تاما ، الا في اخر المركاض ... اي في النهاية القصوى من حياته . يقول سارتر في L'Existentialisme est un Humanisme بان الانسان يوجد ، قبل كل شيء . يلقي بذاته ، اولا ، في خضم الوجود ، ويبرز الى العالم ... ومن ثم يعرف ذاته . وهذا يعني ان لا وجود لجوهر انساني عام ، شامل ، سابق للوجود . ذلك لانه لا وجود لاله يمكن ان نتصوره .

الانسان موجود لا جوهر له . لم يكن الانسان شيئا قبل ان يكون . هو الوجود ، الذي يريد وجوده ، بعد الوجود . هو ، منذ البدء ، مشروع وجود منفتح دائما . يعيش وجوده منطلقا من وجوده ، اذ لا شيء يوجد ، في عالم المثل ، قبل ذلك المشروع . الوجود ، على صعيد الانسان ، هو الذي يفرز الجوهر ... اي ان الانسان يكون بحسب ما يشرعه لذاته . واذا كان الانسان ، في نظر سارتر ، غير قابل للتحديد . فلانه عدم في البدء ، اي لا شيء قبل ان يكون . الانسان اولا ، ثم الانسانية بعد ذلك .

ماذا نستنتج من هذا ؟ نستنتج ان اعمال الانسان تكون خيرا ، او شرا ، في بدء من الانسان ذاته . هو الحر المطلق . هو الذي يقيّم افعاله . اذ اي معنى يكون للمسؤولية الكبرى ، التي يجب ان يكونها الانسان ، اذا كانت مقيدة بارادة الله ؟ الانسان هو المسؤول المطلق ، عن وجوده التام، أكان الله كائنا ام غير كائن . والمسؤولية المطلقة تفرض الحرية المطلقة . والحرية لا تطلق ، الا اذا كانت بلا قيد ولا غل . اذن الانسان حر تماما ، في الخير الذي يفعله ، وفي الشر الذي يتجنبه . هو باعث الحق ، وهو خالق الباطل .

سؤال نوجهه الى سارتر : اذا كان الانسان هو الذي يهتف هذا خيري ، وهذا شري . اذا كان الانسان هو الذي يقيّم ، بادئا من الانسان ، فيجمّل ويقبّح . اذا كان الانسان وراء الانسان ، اي اذا كان الالف والياء ، في كل ما يفعل . اذا كان هو الذي يقيّم وجوده ، ووحدته ، بعد ان يحصل عليهما من ذاته ... لا نرى ضرورة ، بعد كل ذلك ، الى ان يكون مسؤولا . وحيال من يكون مسؤولا ، ما دام سارتر لا يجعل فوق سقف الانسان سقفا اخر ، يسال ويدين ؟ المسؤولية تفرض سائلا ومسؤولا ، وتفرض ايضا ان يكون السائل فوق المسؤول ، ليكون في الحلال ثواب ، وفي الحرام عقاب .

ما هي الفائدة من وجود خير وشر ، ما دام الانسان لا يعاقب ذاته ، حين يكون في بدء من ذاته ؟ اذن الوجودية السارترية بين واحد من اثنين : اما ان تعيد الله ، ما دامت تؤمن بوجود المسؤولية . واما ان تلغي المسؤولية ، ما دامت لا تؤمن بانبثاق الخير والشر من الله .

ان معضلة الله لا يمكن بتها بمعزل عن فكرة الموت . لو لم يكن الموت لهان الالحاد في نوعيه . لا يعود ، اذ ذاك ، من ضرورة لوجود الله ، ما دام الانسان باقيا في هذه الحياة الدنيا ، يأمن شر الفناء . ولهذا كان من واجب الملحد ــ على اقل تقدير ــ ان يتحرر من شوكة الموت ، ليصبح في حل من الله . هذا ما يجب على الملحد ان يفعله ، ليكون منسجما في تفكيره ، والا ظل الحاده وهما . وقد شعر ديكارت ــ هو الذي غررته نفسه ، اكثر من مرة ، ان يتكابر ايضا ــ شعر بضرورة التكبر على الموت ، ليأتي الالحاد منسجما . شعر بان من واجب الملحد (اذا اراد زجر الله ، وشتمه) الا يشك والا يشتهي ، والا يفتقر الى الكمال . شعر بان من واجب الملحد ان يغدق على نفسه الكمال اللامتناهي ، الذي يود لو يكونه ، ولا يكون في النهاية الا ما يكونه بالواقع ، اي نقصا متناهيا .

ما هو امر هين ان يزجر الله من حياة الانسان . ان موته يبطل الانسان ، كما يبطل موت الانسان كل قيمة في المادة . ولذا كان الدين ، في رأي برغسون ، غاية الغايات التي تراود النفس البشرية ، منذ ان سويت نفسا عاقلة . فقد نعثر عبر التاريخ على جماعات او شعوب ، لم يكن لها علم ، ولا فن ، ولا سياسة ، ولا فلسفة . لكننا لن نعثر على شعب من الشعوب ، لم يكن له دين ، يميز فيه بين خير مستحب ، وشر مستقبح ... ويرجع به الى عزة فوقية ، هي الله . عبثا نبحث في مطاوي الاجيال الماضية ، فالانسان لم يفن حياته ، خلف حقيقة ، مثلما افنى حياته جادا وراء معرفة الله .

لا بد للانسان من مصدر أعلى يعطي لوحدته القيمة الكبرى . ولهذا كانت صورة الله من أقدم الصور في ذاكرة الانسانية . منها تفرعت ، واليها ترد السبل التي نهجها العقل البشري ، في جميع محاولاته الفلسفية . اجل ، ان الله شرش أصيل في الوجدان ، بل شرشه الاول . هذا هو الواقع الاصح ، والواقعية عينها تستلزم المثالية . الواقعية ذاتها توجب قيام فلك اعلى تستمد منه قوتها ، في اتجاهها الصاعد . اذ لا قيمة لواقعية ، من تحت ، لا تهيمن عليها مثالية، من فوق . لا قيمة لارض لا تظللها سماء. ولهذا سيبقى الله . سيبقى فاتحة كل بداية ، وخاتمة كل نهاية ، في اعمال الناس ، ما دامت عقارب الزمان تدور ، وترقم . سيبقى الذي بدونه لا قيمة لوحدة اعمال الانسان.

كمال يوسف الحاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشـيـد

O

من مسرحية لم تنشر . رجل عزم على اقتحام صعاب المجهول
معا في التقاط نفحة الابدية يخاطب ضارب قيثار يجوب الافاق باحثا
عن طرب غير مألوف

O

أيها القيثارْ
رفرفتَ نشيداً هائما هلَعا
فررتَ من أوكارْ
علّقوا بها قصيدا رددوه في كعبة الوطن

أيها القيثارْ
أنتَ حسٌّ مصطفى
يَنشد الثمارْ في سرائر طابت تحت شمسٍ بِكر
ما مسّها حسبانْ
أيها المتمرد في وادٍ هانْ غلّقته أسوار الصّغار

أيها القيثارْ
يا أخي في الظما
رجِّع أهازيج أنهارْ صدقت عندها الاساطير
غمرت حُلم الاوتارْ فماجت حرّةً مرِحة
تشيِّع جهادي في مهاوي قفارْ
نَصبتْ فيها الاخطار نصيبيَ الخطير

القـاهرة — بشر فـارس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اساطير الاولين

بقلم الامير جعفر الحسني

امين سر المجمع العلمي العربي بدمشق

منبج هي اليوم بلدة متواضعة وكانت في العهد الوثني مدينة عظيمة ومقدسة ذات شهرة واسعة وخيرات كثيرة وارزاق وفيرة . تقع في فضاء من الارض بين حلب ونهر الفرات . وهي بلدة البحتري ومن قبله ولد فيها عبد الملك بن صالح الهاشمي ، وكان من اجل قريش ولسان بني العباس ، وبه يضرب المثل في بلاغته وفصاحته، وقد طلب اليه الخليفة الرشيد العباسي ان يصف له منبج فقال : هي بلدة طيبة الهواء قليلة الادواء ، برة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء ، فيافيها بين قيصوم وشيح وليلها سحر كله .

وكانت منبج في حاضرها كما كانت في ماحنيها تثير ابدا اشجان المحبين ويهيج ذكراها الحنين ، وهذا ما جرى لابراهيم بن المدبر فهزه الشوق الى منبج وكان قد فارقها وله فيها جارية يهواها فانشد يقول :

وليلة عين المرج زار خياله ... فهيج لي شوقا وجدد احزاني

فاشرفت اعلى الدير انظر طامحا ... بالمح اماقي وانظر انساني

لعلي ارى ابيات منبج رؤية ... تسكن من وجدي وتكشف اشجاني

فقصر طرفي واستهل بعبرة ... وفديت من لو كان يدري لفداني

ومثله شوقي اليه مقابلي ... وناجاه عني بالضمير وناجاني

لم يبق اليوم من منبج الوثنية ما يدل على اصالة ماضيها وعريق مجدها سوى بقايا اشلاء معالمها القديمة المتناثرة في احيائها وساحاتها او اقحمت في بعض جدران دورها الحديثة ، وهي شواهد ما خلفته معارك الزمن وعبث الانسان وامعانه في دمارها، وستبقى منبج محتفظة باسرار ماضيها الى ان ينبش الاثاريون قصتها فيبعثوا لنا تاريخها فأين هي منبج اليوم من تلك التي تصاولت الى كنوزها اعناق دهاقنة الفرس واباطرة روما وبيزنطيا واثارت اطماع الغزاة وحلت بها بسبب ثروتها النكبات .

ان كانت منبج الوثنية قد عفت آثارها وغاب عنها رسمها فقد خلدت لنا عناية الاقدار من اخبارها ما يثير فضول الباحثين عن اسرارها وبعثها من سباتها . زار قبيل الميلاد الرحالة لسيانوس اليوناني سورية وقصد منبج ووصف صروحها الشامخة ومعابدها الرائعة ، واعجب ببركة اسماكها المقدسة وسرب حمامها المحرمة ، ورأى تزاحم الحجاج في هياكلها الذين قصدوها من اقصى الاقطار السامية على اختلاف نحلهم ولهجاتهم ، وافدين اليها بقلوب خاشعة ، متهادنين فيما بينهم ، متناسين منازعاتهم واحقادهم ليتباركوا برب الارباب حدد وقرينته هيرا ، ونقل ما رواه كهنة معابدها وسدنتها عن مبلغ اعتزازهم بمنزلة معابدهم واجماع الاقطار السامية على احترامها وتقديس اربابها . وهم ينسبون بناء معبد هيرا الى الملكة سميراميس السورية زوجة الملك نينوس الاشوري التي انشأت بابل وحدائقها المعلقة ، ويروون الاسباب التي حملتها على هذه المبرة .

نعم الملك نينوس الاشوري بسعادة لم ينعم قبله بمثلها احد من ملوك الارض ، حالفه الحظ في ملكه وصفا له الحكم اذ سعد به شعبه وحمد له حكمه وعدله . ورزق على كبر ولدا وحيدا ، اصبح قبلة انظاره ومحط رجائه ، يشد به ازره ويكون وريث عرشه من بعده . ولكن حياة المرء لا تصفو من نكد ، فقد وقع ما لم يكن حسبانه وحل بوحيده وهو في ريعان صباه سقم انهك قواه والزمه الفراش ، ولم ينجع فيه دواء ، وعجز عن كشف علته احذق الاطباء ، وهو على استفحال مرضه لا يشكو الما ولا يبدو عليه تململ . ولما ساء حاله وبلغ الانحلال غايته ويئس الاطباء عن انتشاله من مخالب الموت كاشفوا والده بالحقيقة وتوسلوا اليه ان يعتصم بالصبر وان يستسلم لمشيئة الآلهة علها تجود بمعجزة من عندها .

قدم على الملك في اشد ساعات يأسه طبيب حنكته طوال التجارب واكسبته علما وزادته خبرة . واسترحم منه ان يسمح له بعيادة المريض علّه يفلح حيث اخفق زملاؤه الاطباء ، ولما فحصه طلب ان يستعرض امام المريض جميع من في القصر من رجال ونساء . وبعد ان تم العرض وهو يراقب خلجات قلبه ، تقدم من الملك واخبره انه اكتشف العلة وان دواءه متعذر النوال ، وقنع الملك ان يصف له الدواء وعليه تأمينه مهما غلا ثمنه وعز مطلبه ، وعندها كاشفه ان مريضه لا يشكو علة في جسمه ليصف له دواء بل علته كامنة في نفسه ، وهو ضحية ما يقاسي فؤاده من الم الوجد وشغف حبه لامرأة اسره هواها وصبر على جوى عشقها الذي ينهش احشاءه ويورده حتفه ، وانه عرف التي هام بها وابى ان يفصح عن اسمها رغم الوعد والمغريات التي مناه بها الملك ، ولما لم يستجب الى رغبته هدده وتوعده وعندما امتثل لامر الملك وباح له بان عشيقة ابنه هي زوجة الطبيب نفسه ولذلك لا دواء لدائه . وطلب منه الملك ان يتخلى لابنه عن امرأته هذه وهو يعوض له عنها

ما يطلب ويريد في سبيل نجاة وجيده وسلامة ملكه ، وكلما زاد الملك توسلا واغراء زاد الطبيب اعراضا واباء حتى عيل صبره فعزم على انتزاعها منه قسرا ولو كلفه ذلك ضياع ملكه ، وتوسل الطبيب اليه قبل ان يغتصب احب الناس اليه ويقضي بفراقها عليه ان يضع نفسه موضعه وهو سيرضخ بعد ذلك للحكم الذي يرتضيه الملك لنفسه. فاجابه الملك على الفور ان التضحية في سبيل انقاذ نفس بريئة لا توازيها تضحية ولو كان مكانه لما تردد باستجابة رغبة مليكه وراحة ضميره ، وعندها تنفس الطبيب الصعداء وقال له : بما ان هذا حكم مولاي ولا مرد لحكمه فاني ابشره بنجاة المريض وشفائه السريع ، وان المرأة التي تعشقها ابنه وهام بها ليست زوجة الطبيب العجوز بل زوجة ابيه الشابة الملكة سميراميس ، فصعق الملك لهول المفاجئة ولم يمهله القدر ووقعت المعجزة ووافاه الاجل ، ثم انتقل الملك من بعد وفاته الى ولي عهده المريض ، وورث العرش والقصر ومن حوى ، ولازمته سميراميس ارملة ابيه الى ان تعافى وعادت اليه صحته ونضارة فتوته فزف اليها وشاركها تاجه ونعما بنعمة الملك وهناء الحب .

وبعد مضي مدة زفافهما تذكرت الملكة سميراميس ان عليها واجبا تقضيه نحو الربة هيرا السورية وبها على ما تزعم يتصل نسبها وتتمتع ببركة رعايتها وانها هي التي وهبتها جمالها وسعادتها . وفكرت ان تشيد لها في موطنها منبج ، منبت الكرمة ومنبع الخمرة ، هيكلا يليق بعظمتها وما تدين به اليها ، وكاشفت زوجها بالامر وطلبت ان تشرف بنفسها على البناء ، فأجابها الى رغبتها وعهد الى احد قواده المقربين اليه ممن اشتهر بشجاعته وسمو خلقه وجمال فتوته واخلاصه لسيده ان يجهز لها ما تحتاج من جند وصناع وان يكون الحارس الامين عليها . فامتثل القائد للامر واستمهل الملك فترة من الزمن حتى ينهي شؤونه الخاصة ويهيء حملته ، ثم عاد بعد انقضائها الى الملك واثر الاعياء والوهن باد عليه وسلمه اناء من رخام محكم السد ورجاه ان يودعه خزينته لحين عودته من مهمته ، ثم استأذن بالسفر وسار بموكب الملكة وحاشيتها ، وبلغ الجميع منبج براحة وسلام . وباشر الصناع عملهم بتوجيه الملكة واشراف قائدها . وبعد مضي مدة على اقامة الملكة في منبج وهي تتمتع بطيب هوائها ولذيذ راحها ، ثارت فيها الغريزة البشرية واستجابت لنداء جسدها ، فطلبت من قائد حملتها ما طلبته امرأة فرعون من يوسف الصديق فأبى واستكبر وانكر عليها محاولتها ودفعها عنه بالحسنى ، واستعاذ بالالهة من شرها ، وشق الامر عليها وغضبت لاستهتاره بجمالها واستخفافه بفتنتها واضمرت له الشر وصممت على ان تنتقم لحبها الممتهن ، وكتبت الى زوجها تشكو خيانة القائد الذي ائتمن وكيف انه راودها عن نفسها واختلقت ما شاء لها مكرها من كذب وافتراء ، واوفد الملك من اتى بالخائن المزعوم وسجنه ريثما يلقى جزاء خيانته ، ودعى في اليوم الموعود الملك اعيان دولته ليشهدوا تنفيذ حكم الموت باحب القواد اليه ، واحضر من السجن الى ساحة الاعدام . فاستأذن ان يسمح له بكلمته الاخيرة قبل اعدامه وتوجه الى الملك قائلا : يعلم مولاي براءتي من هذه الوصمة الشائنة ، وانك دبرت هذه المكيدة لتسلبني ما ائتمنتك عليه دون ان يداعيك من بعدي احد ، واني مستعد ان احقق طمعك دون ان تهدر دم نفس بريئة ، اني اهبك الامانة على ان تهب لي الحياة . واراد الملك ان ينفي ما زعمه المتهم وامر باعادة الاناء اليه وان يفتح امام الحاضرين ليتأكدوا من سلامة محتوياته ، ولما افرغ لم يعثر فيه الا على عضو تناسلي مبتور ، وعندها خلع المتهم ثوبه وتعرى امام الحاضرين ودهشتهم فقد تجلت لهم برائته وانه قضى بنفسه على صفة رجوليته ، وصاح : من كان هذا حاله لا تدنس عفته ولا يرتاب بطهارته ، وافاد انه اقدم على فعلته هذه قبل سفره ليعصم نفسه من الزلل اخلاصا لمليكه ، وعندها هتفت الجماهير بحياة القائد الامين ونادت بموت المفترين .

نجد لهذه الاسطورة التي وقعت حوادثها في العهد الوثني قبل اكثر من الفي سنة في اقصى شمال سورية صداها او ما يشابهها في العهد الاسلامي وفي اقصى جنوب بلاد اليمن . نقلها الينا الرحالة ابن المجاور في القرن الثالث عشر م. في رحلته الى اليمن حيث روى له بعضهم عن نسب قبيلته : انه ثار بملك من ملوك اليمن مرض البرسام ووصفت له الاطباء ان يتزوج في كل ليلة جارية نوبية بكرا ، وانفذ وزيرا له الى بر السودان ليشتري له مائة جارية من ابكار النوبة ، وبعد ان تجهز الوزير جاء الى الملك واودع عنده حقا لحين عودته ، وسافر الى السودان ثم عاد واتى بمطلوب الملك ، فكان ان وجدهن ثيبا ، فاتهم الوزير بامرهن ، ودافع الوزير عن نفسه وطلب احضار الحق وفتحه بحضرة الملك فوجد فيه مثل ما عثر عليه في اناء القائد الاشوري فقنع ببرائته وساله ما الذي حمله على هذا الفعل ، فاجابه : خفت الذي بدا وقضيت الذي جرى ، وحينئذ نادى الملك الجواري وسألهن عن حقيقة امرهن ، فقالوا : نزلنا جزيرة قيس وسبحنا في بركة فيها فما شعرنا الا والجن تهاجمنا وتستحل اعز ما عندنا ، فأمر باعادتهن الى جزيرتهن ، فتزوجن فيها وتكاثر نسلهن وانحدرت العشيرة منهن .

ليست العلاقة بين الاسطورتين السورية واليمنية وليدة الصدف أو هي من توارد الخواطر لما بينهما من البعد الشاسع ، بل لها مغزى اعمق ودلالة تاريخية لها اثرها . ومما لا شك فيه ان للاسطورتين منشأ مشتركا ، فأما ان يكون قد حمل احداها الحجاج اليمانيون الى منبج الوثنية ، ونسج اهلها اسطورتهم على النحو الذي ذكرناه واما ان يكون قد نقلها اليمانيون الى بلادهم من منبج الوثنية فتداولتها الالسن الى ان وصلت بعد الف سنة على النحو الذي رواها الرحالة ابن المجاور .

ونجد في كلتا الحالتين دلالة على العلاقة الوثيقة بين شعبي سورية وجزيرة العرب منذ اقدم العصور ، وتضيف هذه الاسطورة دليلا جديدا على هذه العلاقة وعلى وحدة عنصريهما . وكما ان اثمن الجواهر تظهر في اخبث الترب، كذلك الحقائق التاريخية ينبثق نورها من اغرب الخرافات واتفه الاساطير ، وصدق من قال : وما بلاد الشام الا امتدادا لجزيرة العرب .

دمشق **جعفر الحسني**

نغم الحياة

لثريا ملحس

○

قالوا لي قالوا لنا
من هنا من هنا
نبدأ دربنا
من هنا من هنا
قالوا لنا
توقف دربنا
محونا قهقهات الغيوم
ما أبهنا
سحقنا ذرات النجوم
ما اهتممنا
قالوا لي قالوا لنا
من هنا من هنا
كأن الفجر ما تاه
ولا البدر طلع
كأن هزءات النغم
والنغم ما كان
قالوا لي قالوا لنا
من هنا الدرب
بنتهي من هنا
ضحكنا
أخرسنا كل حين
والزمن والمساجين
كل شيء كان لنا
كأن النغم ما كان
ما سمعنا من زمان

طرقنا كل باب
من زمان
كانت الدنيا لنا
من زمان
كان الهم لنا
من زمان
كنّا على الدنى
باليد بالعين بالكلام
عرفنا ما قالوا لي
ما قالوا لنا

*

كأن القلب سالِ
والجدول الجاري
والنبت وجذر الشجر
كأن الروح خالِ
والدرب
والكوكب
والزهر
وفي المعالي
ترقد الليالي
سمراء بلون الدوالي
تزكوا عروق الدوالي
تسطع في الدنى حبّات
عروق الدوالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالامس في الاعالي
في الغد في الملاوي
نبحث عن حياة
عن قنٍّ
عن أمانِ
في الكوكب الداني
والكوكب الداني
يحـار
بين أمن بين دمار
والحفنة من غيوم
تلف الشمس مع النجوم
عين بشريٍّ
برمش تصلّي
عروق الدوالي
للارض
للسماء
عيون سواها
تنشد نغم الحياة

*

انحنت الزهرة على عطرها
والورود لفّت ألوانها
والعناكب طوت سيقانها
والدرب تلوّى
عيوننا صلّت للغروب
والشمس رفّت بشحوب
انتظرنا
وما بعد ؟
انتظرنا
كأنّ الدنيا ملكنا والعهود
عاد الى صنّين الثلوج
من غيوم السما نقطّع الغيوم
تندف من أيدينا
مع النجوم
على صنّين
وصنين لا يميد
كالشيخ أقعده المشيب
ووادیه جذر عنيد
نحمل الوعد والوعيد
نرتد بكبرياء
نخلع من الاعماق السنين
نتلهى بها
نعدها بعد حين
نصحو على البرق مع الرعود
وفي المرايا
نعدُّ التجاعيد
وعلى الجبين أخاديد
مثل صنين
أقعد رأسينا المشيب
هزأت منّا السنون
وعلا عيوننا الشحوب
تحت أقدامنا الحفر
نثور في الحفر
كخيوط نسلناها من العصب
تلاشى عنا حتى القدر
عدنا نتلهى بالسنين
نحفن من ثلوج صنين
نصنع لنا الحياة
من ثلوج صنين

ثريا ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يجب على كل انسان ان يحرر نفسه

بقلم الدكتور جميل صليبا

ان النفس الانسانية محبوسة في ثلاثة اقفاص اولها البدن ، وثانيها المجتمع ، وثالثها الطبيعة. اما قفص البدن فمؤلف من عوائق الشهوات وحوائل الغرائز التي تمنع النفس الانسانية من الانطلاق ، وتقعدها عن ادراك الكمال ، وتعميها عن تمييز الخير من الشر . ولو كنا نريد الان ان نتكلم عن صفات الغرائز كما فعل علماء النفس قبلنا لاسهبنا في ذلك كثيرا ، ولكن غرضنا ها هنا ليس بالطامح ولا بالبعيد ، وانما هو غرض اخلاقي محض نريد ان نشير فيه الى بعض الوسائل العملية التي تعين الانسان على التحرر . فخير وسيلة للتحرر من ربقة الشهوات ان يجاهد لانسان نفسه، ويسيطر بعقله على غرائزه واهوائه . ان هذه السيطرة على الشهوات لا تكون بقمعها ومحاربتها ، بل تكون بتحويل مجراها وتنظيم حياة الانسان على اساس عقلي يضمن له تحقيق طبيعته المثالية . فالسعادة ليست في اماتة البدن وقهر الميول والعواطف ، وانما هي في تحويل مجرى الغرائز وتوجيهها الى ما فيه الخير . ان الميول والغرائز هي القوة المحركة للعقل ، والنزعات غير المرضية قد تولد آلاما وعقدا نفسية تشوش حياة الانسان وتبعده عن الكمال . فمن الخير للانسان ان يكون متزنا في اتباع ميوله ، فلا ينقاد لها انقيادا أعمى ، ولا يخالفها مخالفة تامة ، بل يستخدمها ويعتمد عليها في جلب النفع لنفسه ودفع المضرة عنها .

واما قفص الحياة الاجتماعية فمنسوج من العادات والتقاليد التي تمنع الانسان من الاستقلال وتعوقه عن تسنم المخاطر . وهذه العادات والتقاليد تزداد وتتعقد بتعقد الحياة الاجتماعية ، فكلما كان المجتمع اقدم كانت تقاليده اكثر تعقدا واشتباكا ، وكلما كان ادنى كانت تقاليده ابسط . لقد اصبح نظام المجتمع في ايامنا هذه شبيها بآلة كبيرة او شجرة عظيمة مشتبكة الاغصان ، واصبحت النفس الانسانية مثقلة باعباء تنوء الارض بحملها . فكيف السبيل الى تحرير نفوسنا مما تكادها من الامور ؟ ان كسر القفص الاجتماعي لا يحرر نفوسنا ، لاننا اذا كسرناه وقعنا في قفص الطبيعة ، وكذلك لا نستطيع ان نحرر نفوسنا بمحو الماضي الذي اثقلها ، لان آثار الماضي لا تزول من العقل الظاهر الا لتختبىء في العقل الباطن . وهذا الماضي الذي يملأ نفوسنا كثيرا ما يوهمنا بان حياتنا الحاضرة حياة متجددة مع اننا لو انعمنا النظر فيها لوجدنا التقليد في قلبها والاتباع في صميمها ، ان اصلاح الشجرة المشتبكة الاغصان لا يكون باجتثاثها ، كما ان تطهير الوادي العميق لا يتم بارسال سيل عليه يجرف كل ما فيه من رواسب . فخير وسيلة لتحرير نفوسنا من ضغط المجتمع هي تنظيمه على اساس يضمن لنا التمتع بحقوقنا الطبيعية وحرياتنا الفردية . وسبيل هذا التنظيم ترتيب العمل الاجتماعي ترتيبا منطقيا يخفف من تعقيد الحياة ويقلل من اعبائها وآلامها . تصوروا موظفا تراكمت اوراقه على مكتبه فكدسها بعضها فوق بعض دون ان يرتبها وينظمها . ان هذا الموظف الرازح تحت اوراقه المبعثرة شبيه بالمجتمع المثقل بآثار الماضي المشوشة ، فلو نظم اوراقه لما ناء بحملها ، وكذلك المجتمع الانساني لو نظم رواسب الماضي الثقيلة لتحرر منها .

لقد ادى فقدان التنظيم من مجتمعنا الحاضر الى الزج بالافراد في قفص ضيق من الاوضاع العائلية الشاذة والاوضاع الاقتصادية المضطربة . ومن نتائج ذلك ايضا ان الامم الحرة لم تستطع ان تحرر الافراد من الفقر والمرض والجهل فهي لم تنقذ البائسين من بؤسهم ولم تخلص الفقراء من جوعهم ، بل اكثرت من عدد الجائعين والمتعطلين عن العمل . الا ترى انها تنفق الملايين من الدولارات على صنع الاسلحة لحفظ التوازن الدولي من غير ان تهتدي الى نظام دائم يحقق السلام العالمي ، ويضمن سلامة الافراد وحريتهم وطمأنينتهم ؟ الا ترى انها تحرق الجبال من المواد الغذائية لمعالجة الازمات الاقتصادية من غير ان تعمل على تخفيف جوع الجائعين وآلام البائسين . ان الكثيرين من سكان الارض لا يأكلون عند الجوع ، ولا يجدون لانفسهم عملا عند الحاجة ، فكأن قفص الحياة الاقتصادية قد صنع من حديد ، وكأن اجسام العمال قد صنعت من نحاس ، انهم مقيدون بالسلاسل ، كما ان الالات التي يحركونها مقيدة باسلاك الكهرباء . واذا كان الحديد لا يصدأ في النار ، فان جسم العامل لا يصدأ الا في العمل المضني ، واذا صديء في العمل اصبح فراشا من رماد توقد عليه النار . وما دري هل سيطر العامل على الالة ، ام سيطرت الالة على العامل . ولكن الالة على كل حال تسمعنا صوتها وتقول : انا لا اتحرك بنفسي بل اتحرك باليد التي تحركني . فخير وسيلة لتحرير العامل من قيود الالة ان توضع الالة في يده وان يحركها بارادته ، لا ان يربط بها كما يربط الحيوان بحجر الرحى ، وخير وسيلة للتحرر من قيود الحياة الاقتصادية والاجتماعية ان ينظم المجتمع تنظيما منطقيا يضمن لجميع الافراد حياة حرة كريمة عادلة .

واما قفص الطبيعة فمؤلف من القوانين المسيطرة على ظواهر الكون . ان هذه القوانين تحبس الانسان في شروط لا يستطيع مخالفتها ، واذا خالفها عرض نفسه للهلاك . اننا لا نستطيع ان نخالف قوانين الكيمياء ولا قوانين الكهرباء والحرارة والميكانيك ، لان هذه القوانين مسيطرة على اجسامنا كما هي مسيطرة على الاجسام المادية ، وكذلك لا نستطيع ان نخالف قوانين البيولوجيا

والصحة لان مخالفتها توقعنا في المرض وتسوقنا الى الموت . فهل نقف مكتوفي الايدي امام حتمية هذه القوانين وهل نستسلم لها . لا شك اننا لا نستطيع ان نسير في السماء صعودا باجسامنا لانه ليس لنا اجنحة كالطير ، ولكننا نستطيع ان نحتال على قوانين الطبيعة فنخترع طائرة تحملنا وتحمل اجساما أثقل من اجسامنا . وكذلك لا نستطيع ان نغوص في البحر كما تغوص الاسماك لانه ليس لنا غلاصم مثل غلاصمها ، ولكننا نستطيع ان نركب البحر على سفن وغواصات تهزأ بقانون السقوط وبقوانين توازن السوائل ، وهكذا نستطيع ان نستمد من ضعفنا قوة فنسخر قوانين الطبيعة لتحريرنا من عجزنا الطبيعي .

فانتم ترون الانسان يستطيع بعقله ولطيف حيلته ان يتحرر من الاقفاص التي حبس فيها فيصبح بذلك سيد نفسه وسيد الطبيعة . فهو يحرر نفسه من سيطرة الشهوات والغرائز بتحويل مجراها وتوجيهها الى ما فيه خيره ونفعه ، وهو يحرر نفسه من قيود الحياة الاجتماعية بتنظيم المجتمع تنظيما عقليا ، وهو يحرر نفسه من قيود الطبيعة بتسخير قواها لمصلحته . وسبيل ذلك كله تنمية قوى العقل والاعتماد على العلم في تحسين حياة الانسان ، وزيادة سلطانه وتأثيره .

* * *

جاء في اساطير اليونانيين ان اصل الحضارة يرجع الى (بروميثوس) اله الاختراع الذي صنع الانسان من خزف بعد ان استعان على ذلك باتنة بنت جوبيتر . صنع الانسان من خزف بعد ان احرقه واحياه بالنار الالهية التي سرقها من السماء . ثم علم (دوكاليون) بناء السفن يوم الطوفان ، واخترع الالات وعلم الانسان ايضا فنون الحيل للتغلب على الطبيعة . لقد ظهر (برميثوس) انه سيكافأ على عمله باوفى مما يكافأ به المحسنون ، ولكن الاله لم يكافئه على ذلك بل عاقبه على سرقته النار من السماء وهبوطه بها الى الارض ، عاقبه لانه احيا الانسان وعلمه اسرار الطبيعة ، فربطه بصخرة على جبال القفقاس ووضع بالقرب منه نسرا يفترس كبده ، ثم جعل كبده خالدة فكلما اكل النسر منه جزءا تجددت وتضخمت ، وكلما تضخمت تجددت معها الامه . ان اقفاص الحياة الثلاثة شبيهة بالاقفاص التي حبس فيها (بروميثوس) والالام التي تأكل كبده شبيهة بالالام التي تحز قلب الانسان . ولكن كبد (بروميثوس) هذه قد اصبحت اليوم اضخم مما كانت عليه في الماضي ، بل صارت كافية لتغذية عدة نسور . ماذا اقول . لقد تكاثرت النسور علينا بتضخم اكبادنا . ونحن مع ذلك نحب النسور ونكره اكبادنا . فليت شعري ، متى يتعاون الناس جميعا على قتل هذه النسور . الا تتغذى النسور الا بكبد الانسان ، الا يستطيع الانسان ان يعيش بلا كبد ؟ متى يتحرر (بروميثوس) من قيوده . لقد سرق النار من السماء وملأ الدنيا ضياء . فمن الظلم ان نتركه مربوطا بصخرته ، لا بل من الجنون ان نطفىء النار التي وهبنا اياها ولو بعث (بروميثوس) بيننا لقال لكل محبوس في اقفاصه متضجر من حياته خير لك ان تضيء شمعة من ان تلعن الظلام يجب على كل انسان ان يمزق نسره ويحرر نفسه .

دمشق **جميل صليبا**

دنيا الاساطير

بقلم موسى سليمان

*

دنيا الاساطير !.. اين تكون ؟ وما هي ؟ وما الذي يحملنا على طرقها ؟ (١) .

دنيا الاساطير !... وما همك من الاسطورة ، وانت انما تعيش في قلب القرن العشرين ، عصر الحقائق الدامغة التي قلبت نظم العيش ، وبدلت طرق الحياة وغيرت اوضاعنا ومجاري تفكيرنا ؟...

مالك ، يا هذا ، وللاساطير ، تنبش الاموات من قبورهم وتنزل الالهة من علياء سمائهم ، وتستنطق الصخور الصماء فلسفة وعبرا !...

او تكون الاساطير غير حكايات حكتها كائنات فوق الكائنات ، وغير اعمال خارقة ، ان صعب علينا تصديقها ، فلقد صدقها قبلنا ، وما زال ، قوم تمرسوا في روايتها ، وفكروا في مغزاها ، واتعظوا بفلسفتها .

ولم نخافها ؟... دنيا الاساطير ؟...

العالم الصاخب يضج بالالهة ، وانصاف الالهة ، العامر بالابطال تضج في اعماقهم قوى الخير والشر ، فيها من الطبيعة شيء ، ومن فوق الطبيعة اشياء !

وما همتا ، ونحن ما زلنا في عالم كل ما يحيط به اسرار والغاز ، ان كانت هذه الحكايات الاسطورية قد وصلت الينا ، عن الفراعنة والهنود ، عن البابليين والاشوريين ، كلمة كلمة على افواه الرواة والمحدثين او جاءت محفورة في قلب الصخر ، تشهد بما كان للقوم من علم وشعر وفلسفة ودين ! بل ما همنا ، ان تقوم الاسطورة على مجرد الوهم والظن والتخيل ، وهي مظهر رائع لتخيلات الناس تنطلق في عالم الرؤى والاشباح ، عالم النور والظلام ، عالم الطبيعة ، لتصل الى حقائق الحياة وتتعرف اليها وتسبر غورها ، حقائق كل مكان وكل زمان كما عرفها وخبرها بنو البشر .

الم تقم هذه الاساطير مقام العلم الاختباري في عالم، لم تتوافر لناسه حقائق العلم النظري التجردي ، ولم تنتشر فيه النظريات العلمية المنتشرة في العالم الحديث !

والاسطورة ... هذه الاسطورة التي وصلت الينا ، وتلك التي لم تصل ، وتلك التي عاشها قوم ، وتلك التي حملت حقا وازهقت باطلا ... الاسطورة ... كل اسطورة ان هي الا دغدغة لشعورنا ، وهزة قوية تهز اعماقنا ، ورعشة شعرية تفتح ما انسد من ابواب وعينا ، نحياها في خيالنا ، ونحياها في اجوائنا الساحرة ساعة ترضى الحياة عنا وتنعم علينا ببعضها ، والعفاء ، بعد ذلك ، كل العفاء ، على ما سماه ويسميه العلماء : « معرفة » . وبعد ، فماذا نعرف ، نحن الذين نعرف ، عما يختلج في أعماق نفوسنا ، فندعي معرفة ما يحيط بنا ؟

(١) سلسلة من الاحاديث الطريفة في الاحاديث وتأثيرها في حياتنا اليومية يقدمها الاستاذ موسى سليمان الى قراء الاديب باسلوبه الادبي الممتع .

ومهما غالى رجال العلم في نظرياتهم ، وابتعدوا عن عالم الخيال في تفسيرهم مظاهر هذا الكون ، ومهما تمسكوا بالبديهيات العلمية ، والنظريات المبنية على اسس قائمة على قواعد علمية ثابتة ، يبقوا ، في حقيقتهم النهائية ، مقصرين التقصير كله عن فهم الكثير الكثير من هذه المظاهر ، عاجزين العجز كله عن تفسير ما يحيط بنا من اسرار الكون والغاز الحياة ...

ولقد دلت حوادث التاريخ ، وسير العلوم ، ومجرى المدنيات في العالم ، منذ كان العالم ، ان الطبيعة البشرية ، مهما تعددت مظاهرها ، ومهما تكاثرت الوانها ، هي في الحقيقة ، واحدة ، في كل زمان وكل مكان ...

هناك من يدعي ، وفي ادعائه كثير من الحق والصواب والمنطق ، ان الاسطورة وضعت لتفسير حقائق هذا الكون وساعدت على نبش هذه الحقائق من مخبآتها . وان الكثير مما نسميه اليوم حقائق علمية ، قد مر ، قبل وصوله الى درجته النهائية ، في طور اسطوري خيالي خلقته مخيلة القصاص المبدعين ، وانصاف الالهة من عباقرة الادميين .

فليس هناك ما يمنع العقل مثلا من ان يرى في شروق الشمس كل صباح ، ومرورها مخترقة كبد السماء ثم في غروبها كل مساء ، ما كان يراه الاغريق من تعليل لهذه الظاهرة . فمثلوا ابولو الها للشمس ، وحملوه على ان يمتطي كل صباح مركبته النارية يجرها جوادان الهيان عبر السماء !

وليس من المستبعد ولا المستغرب ، ان يانس واحدنا الى اسطورة خلق النور وقدجاء فيها ان فلكان Volcan اله النار ، قد غضب عليه ابوه في العالم الاخر ، فقذف به من عالم الالهة الى عالمنا الارضي ، فكان لنا النور !...

وهناك من يعتقد ان عشرات الخرافات التي ترويها الاساطير عن الاشباح الهائلة ، ذوات السحن الغريبة ، والتي كان يرسلها نبتون اله البحار ، لاهلاك بعض الناس ، ولتدمير الارض ، ليست سوى تجسيد للعواصف الهوجاء والانواء الشديدة التي كانت تجتاح البحار حاملة بين طياتها الموت والدمار !...

واطرف ما وقعت عليه في مطالعاتي من شروح بعض الاساطير وتعليلها تعليلا تاريخيا منطقيا ، تعليق لبعض ادباء الغرب على اسطورة الملك مينوس ، ملك جزيرة كريت (سماها العرب القدامى اقريطش) ، الذي ، فيما تزعمه الاسطورة ، كان قد فرض على الاثينيين ان يقدموا كل سنة (٢) سبعة من احداثهم ، وسبع عذارى من فتياتهم ، فيرمي بهم جميعا لحيوان خرافي رأسه رأس ثور ، وجسمه جسم انسان (هو المينوطوروس) فيلتهمهم الواحد تلو الاخر ... يعلق احد الكتاب الانكليز على هذه الحكاية بقوله : (٣)

« لو قدر للبريطانيين ، بعد انتصارهم على البوريين ، في حرب البوير الشهيرة في جنوب افريقيا ، ان يبعثوا ببعض الاسرى من اهالي البوير الى بلادهم ، بلاد الانكليز ، فاعدموا هناك ، لكان من المحتمل جدا ان يقال عندئذ ، في لغة الاساطير : « لقد التهمهم الاسد البريطاني » !

ومهما يكن من امر فان من القدامى من قدس الاساطير وجميع ما جاءت به من افكار واراء وعبادات وتسابيح . ومنهم من حاول ان يضعها على محك عقله وعلمه ، العلم الذي وصل اليه ذلك العصر ، فتخلص من الاستعباد لالهتها دون ان يتخلص من التأثر بها وبما توحيه . فنظر اليها نظرة الاكبار والاعجاب ، واعتبرها تراثا قوميا ثمينا تحدر اليه من قومه وابناء جنسه فوجب عليه درسه وفهمه والمحافظة عليه . يهمني من كل ذلك ، ان اقرر موقفنا ، علماء ، وادباء ، ومواطنين ، من الاسطورة ، كل اسطورة .

هي عالم قائم بذاته لنا فيه ما لنا في عالم اليوم ، عالم الذرة والقنبلة والصواريخ الطائرة .

لغيري ان يحسبها من الاوهام الخيالية وانها ليست مجسمة في حقيقة من حقائق التاريخ اليابسة فانا احسها وانا افهمها ، وهي تنزل في الجانب الروحي من نفسي وتلعب في توجيهي الجمالي دورا لا يقل عن دور الشعر والموسيقى وسائر الفنون .

كما ان اداب الغرب وفنونه قد تغذت من هذه الاساطير القديمة واستوحتها روائع خالدة من الاثار الشعرية واللوحات الفنية . ان تأثر المدنية الغربية بالاساطير واتحادها بها اتحادا وثيقا ، واعتمادها اياها مصدرا موحيا في الادب والشعر والتصوير والنحت وكثير من الفنون ، بلغ مدى كبيرا يفوق حد التصور . فكثيرة جدا هي الكتب التي لا يمكن فهمها او فهم بعض موضوعاتها الاسطورية ان لم يكن للقارىء الملم صحيح بالاساطير التي تناولتها هذه الكتب تصريحا او تلميحا .

وكم يقف السائح مدهشا في بلاد الغرب ، وهو ينتقل بنظره من تمثال الى تمثال في حدائق اوربا العامة او في متاحف اميركا الكبرى دون ان يتوصل الى حل رموزها او فهم موضوعها ، وكثيرا ما يكون مستمدا من اسطورة جميلة من هذه الاساطير القديمة الزائعة .

كذلك لعبت الاسطورة دورها عند الغربيين في اعطاء الكثير من الازهار والاشجار والحيوانات والنجوم والاماكن اسماء علمية مستمدة من اصل اسطوري . والذي اراه مخلصا ان المدنية الغربية ، في انطلاقها هذا الانطلاق الجارف ، وفي سيرها قدما الى اهدافها ، وفي انفتاحها واستعدادها لتقبل مختلف المجاري الفكرية ، انما هي مدينة ، فيما هي مدينة له ، لعوامل عديدة ، في مقدمتها هذا التحرر الفكري ، والانعتاق العقلي الذي كان للاسطورة في ايجاده وتكوينه دور كبير يذكر .

وهل اقارن بين ادبنا العربي ، قديمه وحديثه ، وبين ادب الغرب على هذا الصعيد ، فاقول : كنا وما زلنا اطفالا نحبو ، ذلك ان الادب العربي القديم لم ينفتح انفتاحا فكريا مخلصا على اي نوع من انواع الاساطير القديمة : بابلية كانت ام فرعونية ام يونانية . فكان تأثره ببعض هذه الاساطير

٢) وقيل كل تسع سنوات

C.H. Hawes et H.B. Hawes.

صدى المؤتمر

بقلم الدكتور انيس فريحة

✳

عقد في دمشق (١) بين التاسع والعشرين من شهر ايلول والرابع من تشرين الاول ١٩٥٦ مؤتمر المجامع اللغوية العلمية لبحث مشاكل اللغة العربية ولتدارس الوسائل لانهاض اللغة لتساير ركب الحضارة كقضية تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العربية ، والترفع من استعمال العامية ، وقضيه التأليف والترجمة والنشر ، والمصطلحات العلمية ، وتحقيق المخطوطات ونشرها وغيرها من المواضيع اللغوية الصرفة كتيسير الكتابة والنحو : وقد خرج المؤتمر بجملة صالحة من التوصيات .

وكان من الطبيعي ان تتلفت الفئة الواعية نحو دمشق . لان موضوع اللغة موضوع الحياة ذاتها . لا يمكن ان يكون هنالك علم او فلسفة او فن بدون اللغة . اللغة طريق الانسان الى ادراك كنه ذاته وسبيله الى فهم الكون المحيط به . ومشاكل اللغة هي مشاكل الفكر وبالتالي مشاكل الحياة .

ولما كنت ممن يعنون بناحيتين من قضايا اللغة :

(ا) قواعد العربية وضرورة اعادة النظر فيها وتبويبها على اسس جديدة وتدريسها على طريقة وصفية تقريرية ، اي بتجريدها عن الفلسفة .

(ب) وقضية الخط العربي الخالي من الاحرف المصوتة مما يجعل القراءة امرا عسيرا ويشكل عقبة في تيسير التعلم ونشر المعرفة بين جميع الطبقات .

اقول ، بما انني أعنى بهاتين القضيتين ، تلفت نحو دمشق وترقبت بصبر ظهور المحاضرات في المجلات .

ضئيلا ان لم نقل معدما . واما المحاولات الجريئة التي قام بها بعض من شعرائنا المحدثين وادبائنا الطالعين ، فهي ، على اخلاصها وجراة اصحابها ، ما زالت فجة وقليلة .

على شواطىء لبنان الحالمة قامت اروع الاساطير واجمل الحكايات ... وما بين دجلة والفرات ازدهرت ، قبل الميلاد بالوف السنوات ، مدنيات ، ما زال المنقبون في بطون الارض ، ارضنا ، يدهشون العالم ، حتى اليوم ، بما يكتشفونه من آثارها واخبارها . ولجزر الابيض المتوسط ، بحرنا ، تاريخ حافل بالف لون ولون من الوان الدين والعلم والادب والفن . فهل عرفنا جميعا ، علماؤنا ، وشعراؤنا ، ورجال الفن فينا ان ننفتح على هذه العوالم الخصبة ، الموحية ، وان نعب من معينها الفياض الزاخر فنمتع ارواحنا بدنيا الحب ... دنيا الجمال ... دنيا الاساطير !.

الجامعة الامريكية بيروت **موسى سليمان**

كان للمؤتمر اثر طيب في نفوس الناس . وقد خرج المؤتمر بتوصيات طيبة من شانها ان تنهض بالعربية . ولكني لا ارى ان المؤتمرين ، ولاسيما اولئك الذين عالجوا قضايا التيسير ، تناولوا جوهر القضية : تيسير اللغة والكتابة . شعرت انهم تناولوا العرض .

واني اشعر ان التيسير ، كما افهم التيسير ، امر غير ميسور الآن . هنالك مثل واحد يمكن فيه ان نيسر : اساليب تدريس العربية .

ان الذي قراوا محاضرة الدكتور طه حسين يشعرون كما شعرت انا : ابدع في وصف الداء وتشخيص العلة ولكنه لم يخرج بحل : جل ما قاله :

« ... قدموا ايها السادة العلماء الى الحكومات كتابات ميسرة ونحوا ميسرا وقربوا لغتكم من الشعوب ، وثقوا بانكم ان فعلتم فستبلون بلاء خيرا من البلاء العظيم الخطير الذي ابلاه نحاة البصرة والكوفة وبغداد في العهد القديم . »

ولكن ما هو نوع الكتابة الميسرة والنحو الميسر ؟ كيف يتم تقريب لغة الادباء من لغة الشعوب (يعني العامية) ؟

وبعد ان عالج الدكتور منصور فهمي قضية الخط وتناول مختلف الاقتراحات خرج براي غريب جدا : بحث قضية الخط العربي : « ضرب من اللغو والسرف . » يقول : « ايها السادة لعل في الخوض فيما لا جدوى فيه فتنة وبلاء وتعكيرا للصفاء ، اللهم قنا شرور الفتن ، انك ارحم الراحمين . »

حل اية مشكلة يتطلب ، اول ما يتطلب ، كثيرا من الموضوعية ، اولى الخطوات الاساسية في درس المشكلة — اية مشكلة — الاعتراف بوجودها : هل هنالك مشكلة ؟ ما هي اسبابها ، مظاهرها ، ملابساتها ، آثارها في المجتمع ؟ والخطوة الثانية التجرد عن كل غرض او هوى او عاطفة ، وان شئت قل التجرد عن سابق معرفة اذا كان التجرد من المعرفة السابقة يؤدي التفهم الصحيح . والخطوة الاخيرة اعلان الحقيقة ووصف الحل او العلاج . نعم ، ان الحقيقة تجرح ، والدواء مر ، وقد لا ينجع الدواء ، انما على العالم النزيه ان يجرؤ على ذكر الحقيقة .

يبدو لي ان اصحاب التيسير يقعون في تناقض غريب من جراء جهلهم او تجاهلهم حقيقة لغوية هي « الالف باء » في علم اللغة : اللغة تتركب من جوهرين المفردات والتركيب . والتركيب هو الجوهر الاهم . المفردات في اللغة تولد وتكبر وتهرم فتنبذها الحياة وتحل محلها الفاظا جديدة ذات معان جديدة . وكل تيسير يتناول المفردات تيسير لا يمس الجوهر . والتيسير معناه السهولة والبساطة والابتعاد عن التعقيد . فاذا تنكب اصحاب التيسير عن مس الجوهر ظل جوهر اللغة معقدا عسيرا .

هل يمكن تيسير العربية كتابة ونحوا ؟ نظريا نعم .

(١) مؤتمر المجامع اللغوية العلمية الذي عقد في دمشق . وهذا المقال خلاصة كتيب سيظهر قريبا حول الموضوع عنوانه « يسروا اساليب تدريس العربية ، هذا ايسر واجدى » تاليف الدكتور انيس فريحه . وقد رفعه الى الدكتور طه حسين واهداه الى الدكتور شارل مالك .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اذ ليس هنالك ما يمنع العرب عن الاعتراف بالتيسير الحقيقي الذي يسترته الحياة فنبذت ما يجب نبذه واستبقت ما له قيمة بقائية. ولكن التيسير عمليا امر صعب المنال في الفترة التي نعيشها . للعرب من مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ما يشغلهم (خطأ) آنيا عن قضايا اللغة . واللغة لصيقة بالدين والادب ، وكل شعب يحرص على الا تمسّ اللغة بسوء . فان الافرنسي لا يزال يقول عن ٩١ انها ٤ × ٢٠ + ١١ ! انما نستطيع ان نيسّر اساليب تدريس العربية فنقضي على ظاهرتين خطيرتين اشار اليهما الادباء واعضاء المجامع اللغوية في اكثر من مناسبة واحدة :

النفرة من تعلم العربية

والضعف اللغوي البادي في الجيل الطالع .

ولكن ، كما قلنا آنفا ، لا نستطيع التيسير ما لم نلم بمشاكل العربية الاساسية ثم ننظر في ايها يمكن التيسير.

مشاكل العربية الاساسية تنحصر في النقاط التالية :

(ا) ازدواجية اللغة (عامية وفصحى) واثرها في المجتمع العربي

(ب) الخط العربي الخالي من الاحرف المصوّتة

(ج) الاعراب والاسراف في احكامه وفلسفته

(د) عجز العربية عن اللحاق بالعلوم والفنون (١)

(ه) تدريس العربية على اساليب قديمة واعتماد كتب تدريس اساليبها قديمة منفّرة .

وجميع هذه القضايا يجب ان تحلّ يوما لتساير لغتنا ركب الحضارة . ولكن التيسير الذي يمسّ جوهر اللغة امر غير ميسور الآن ، فلا يبقى لدينا الا ان نعيد النظر في اساليب التدريس وفي وضع الكتب .

ان المآخذ التربوية الرئيسية (بالنسبة للاطفال والاحداث) التي نأخذها على اساليب تدريس العربية تنحصر في النقاط التالية :

(ا) فلسفة القواعد

(ب) قصر التأليف على جماعة المتفقهين

(ج) تعقيد في التبويب

(د) اسراف في المصطلحات الغامضة

(ه) قصر القواعد على الشكل دون الفهم والافهام

(و) كتب التدريس

وينحصر رأينا في تعليم اللغة العربية على طريقة وصفية تقريرية descriptive اي دون ذكر العلة او السبب ، لاننا لا نعرف السبب ، والافضل ان نعلّم الاولاد نماذج صحيحة للتركيب ونقول لهم هكذا يقول الفصحاء ، هكذا تحدرت اللغة الينا ، وعليكم ان تنشئوا مثلها او احسن منها اذا استطعتم .

وايجازا نذكر المبادىء العامة التي نقترحها في تدريس العربية تدريسا فعّالا :

اولا : يجب الا تعلّم القواعد في الدراسة الابتدائية . النحو نوع من التجريد ، والاطفال لا يستطيعون ادراك المجردات . بل الافضل ان نعلم اللغة بالانشاء والحفظ والتصريف على مبدأ « وعليه قِس » كما فعل المرحوم خليل السكاكيني .

ثانيا : قواعد اية لغة وحدة تامة لا تتجزأ ، ويجب ان تدرّس كوحدة . هذا ما يفرضه منطق اللغة . ونحن نقترح تعليم القواعد تحت بابين : باب الاشتقاق وقوانينه وهو علم يتناول المفردات ، وباب التركيب او الانشاء .

ثالثا : يجب ان يكون التوكيد في تدريس اللغة على لفظة « انشِىء » لا على لفظة « أعرب » .

رابعا : يجب ان يكون تدريس التركيب او الانشاء (النحو حسب المصطلح القديم) قائما على الجملة المفيدة . والجملة واحدة ونوع واحد . وهي التي تتألف من ركنين : ما يتكلّم عنه ، او موضوع ، وخبر عن الموضوع . فلا فرق بين جملتي زيدٌ قام وقام زيد .

خامسا : يجب ان يكون تعليم قواعد اللغة قائما على اساس الفهم والافهام . ليس تعليم اللغة رياضة عقلية وحسب .

وقد يبدو في هذه المبادىء العامة شيء من الغموض وعليه عقدنا العزم على نشر اقتراحنا هذا بشكل عمليّ لينظر فيه الاساتذة الذين يعنون بالعربية ، وقريبا ان شاء الله .

(١) وليست هذه الظاهرة نقصا يلازم اللغة انما العجز عجز الناس. ولكن هذا لا ينفي كونها مشكلة لغوية خطيرة جديرة بالدرس .

الجامعة الامريكية بيروت — انيس فريحة

اكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : **مدام ومسيو كاربيس**

الحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس
وعضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

اقصدوا المعهد الذي حاز على ثقة ورضى جميع الذين تعاملوا معه من العائلات وافراد المجتمع

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

تلفون ٣١٣٩٦ ص.ب ١٤٩٩

بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

تبكي وتضحك

✳

طارت باجنحة السحاب وغرقت في دنيا اكتئابي
غريدة جاءت وغنت في الافانين الرطاب
رفت رفيف الطيب في شفق تكحل بالضباب
ومضت تعلل خاطري بوصالها بعد الاياب

* * *

يا هند هل لم يكفني ألم تشبث باللباب
حملتني فحملت للهجرا ن هما فوق ما بي
أيكون لي عطف الامو مة منك في دنيا اغترابي
وتموج في كفي منك رسائل .. تزكي التهابي
وتهب من ذكرى هوا ك نسائم ملأت رحابي
واراك رغم توله .. تتجاهلين مدى عذابي

* * *

عودي ـ فقد عاد الر بيع مزهزها بعد الغياب
عودي ـ نعد طيرين نمرح في الخمائل والروابي
في ملعب الشمس المطل على الشواطىء والهضاب
او مسبح الغيد اللوا عب في الضفاف وفي العباب
او معبق الطيب المبدد في الفضاء وفي الشعاب

* * *

لله ايام .. مضت وكأنها نغم الرباب
ذوقتني ما لم اذق في الحب من حلو التصابي
وأعدت لي عهد الطفولة والرضاعة في الشباب
اسكرتني فسكرت من خمرين لحظك والرضاب
فكفرت حين كفرت بالعقل المنطق بالصواب
وطبعتها قبلا على شفتيك تضطرب اضطرابي
قبل معربدة على جسد تكهرب من دعابي
جسد له عبق الورود تفتحت لندى السحاب
جسد تشرب من دم الشفق المضرج بالغياب
يهتز بين يدي مرتعش التشهي والرغاب
كاس مهفهفة شربنا ها وغبنا في الشراب

* * *

الله من شحرورة .. ناحت على اطراف غاب
وكأن ريش جناحها اهدابك السود السوابي
فاهاجني من نوحها ان الحياة على ذهاب
وبان احلام الشباب وزهوه لمع السراب
نمضي ونبقى اسطرا ؟ تبكي وتضحك في كتاب ! ؟

ريو دي جانيرو **شكر الله الجر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هناف المروج

○

كعينيك هذا الصباح يا فاتنة !
حلو وانسام النيل تداعب خديك وتبعثر غدائر شعرك الفاحـم .
والندى في الحقل يبلل قدميك الصغيرتين
ويستحيل في اصابعهما الوردية طينا ذا عبير !
في رحلة مع الشمس نمشي
وتمشي معنا أشجار الصفصاف على الجدول
وسنابل القمح المريضة يلعب بها الضنى
برحت بها لهفة الى الربيع الهاجر ..
فهي توشوش ثيابنا بالشكوى
وتلثم ايدينا لثمات حارة متوسلة

* * *

ونحن نمضي ..
نمضي .. لا نعبأ ان تصمت غمغمة الانسام للغصون
وقد احمر الضحى والتهب الشعاع وتندت جباهنا
.. فهنا الفجاج الخضر تحتفي بقلوبنا النشوانة
وتترع كؤوسنا من رحيق الحرية
ونعود اطفالا ..
مع العصافير نمرح على تراب ارضنا
أرضنا العاشقة تقبل اقدامنا
وتداعب خطونا بأعشابها وعوسجها ايضا
وفي عرس الفراشات والشحارير
وفي نعير السواقي العاشقات
نزف افراحنا الى الطبيعة
تملأ أسما عنا اغاني الحصاد
وتزحم طريقنا قدود الصبايا
على رؤوسهن الجرار الوردية
ومن احضانهن تفوح رائحة الخبز الساخن المختلط بروائح الجبن ..
ومن خلفهن المواشي تنعر وتثغو في مرح ونشوة..
تتعجل الخطو نحو الحقل الحبيب ..

انها ذاهبة الى هناك لتشرب الاشعة ، وتتنفس الضوء ، وتستحم بالانسام ! !

* * *

هنا يا رفيقتي فيء شجرة في دنيا الربيع ..
تتنهد مثقلة باوراقها الخضر .
مبهورة الرقصات من طول ما تبرجت للطير
تحتضن فراخها وتطعمها الظل الرطيب حتى تعود الام بالرزق من رحلة الفضاء .

* * *

لا تلملمي فستانك الانيق يا صديقتي
دعيه يشرب من عبير الحقل ..
لقد ترك عليه الغبار المندى تذكاراته
اخلعي جوربك الذي كان أنيقا وتعالي نخوض في النبع ..
ما لنا والناس ؟
نحن هنا في حفل راقص في معبد الطبيعة .
طائران ارشفهما الحب رحيق الحرية
وطبع على منقاريهما الا خوف ولا مبالاة .. بل حرية وانطلاق عبر الفضاء ..
هاربان من عسف المدينة الى احضان الله ! !
وفي هيكل الطبيعة المقدس تتخشع ابصارنا للجلال وتصلي للحب .
فهنا يا فتنة المروج يحمل الحب مطرفته ليدق بها قلوب البشر ..
وهنا تندمج المخلوقات جميعا في غلالة من انداء الجنة وسحر الفجر ..
وهنا ينطلق نشيد متجاوب الانغام مطلعه ومقطعه : الله .. والطبيعة ! !

القـاهرة **رضـوان ابراهيـم**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعري بين عبودية التقليد وثورة التحرر

بقلم الدكتور كمال اليازجي

في اواسط القرن الثامن(١) بدأت فئة من الشعراء تخرج على العرف والعادة في النظم . واتسعت هذه الحركة الجديدة في عهد بشار ومسلم بن الوليد ، حتى اذا جاء ابو نواس نظمها ، ووضع مبادئها ، ودعا اليها جهارا ، وتجرد لمهاجمة الاسلوب القديم مهاجمة شديدة . وقد كان لهذه الحركة ثلاثة اهداف ، اولها ايثار الالفاظ المأنوسة والتعابير المألوفة على ما هو منها غريب نافر ، وثانيها: ترك الغزل التقليدي المتكلف في مطالع القصائد ، وثالثها : اختيار المواضيع الشعرية من واقع الحياة . وقد رفع ابو نواس صوته عاليا في هذه الدعوة ، واظهر مساوىء المنهج القديم بجراة نادرة . الا ان انصار القديم كانوا اهل الحل والعقد آنئذ فسفهوا هذا الجديد ، ورذلوا الداعين اليه ، ونسبوهم الى الافك والسخف . وما ان قضى ابو نواس نحبه حتى أخذت حركته بالتلاشي ، وعاد الشعر الى سلوك سبيل التطور البطيء .

وفي اواخر القرن العاشر ظهر شاعر اخر سلك سبيل القدماء . وباراهم في الكثير من فنونهم ، فجرى مجراهم في ركوب النياق ، وسلوك القفار ، وبكاء الاطلال ، ومناجاة الاحبة ، وهو قابع في داره ، لا يبرحها الى مكان ، ولا يحن الى امراة . فعل ذلك شان اساتذته من فحول الشعراء ، لا للتعبير عما كان يستوحش منه من دوارس الربوع ، ولا لما كان يستانس به من دواعي الشوق . على انه ما ان خبر الدهر ، وسبر غور الحياة ، حتى بدا له التقليد هيكلا اجوف ، وعقد العزم على ان يفارقه جملة ، لكنه لم يوفق في ذلك الا الى حد . ذلك لان المرء ابن ماضيه ، فهو غير قادر على نبذه جملة ، هذا الشاعر هو صاحبنا ابو العلاء المعري .

القيود الشكلية

جرى ابو العلاء في ديوان شبابه ـ سقط الزند ـ على سنن الاقدمين . فاستعار الفاظه وتعابيره من حياة البادية ، ونهج في استهلالاته نهج القدماء ، فذكر الربوع والطلول ، ووصف القفار والرواحل . وحذا في موضوعاته الشعرية حذوهم فمدح وهجا وفخر ورثى ، لكنه ما ان تخطى صباه وامعن في كهولته حتى بدأت ثورته على التقليد . على ان حركته هذه لم تكن محصورة في الاسلوب والموضوع ، بل تناولت مظاهر الحياة من وجهاتها المختلفة : من اخلاق واجتماع وعلم ودين وفلسفة . لكن تجديده هذا ـ على اتساعه وبعد مراميه ـ قصر عن استيعاب امور كثيرة أبى الشاعر الفذ الا ان يقيد نفسه بها . والذي دعاه الى ذلك في الغالب هو الاعتزاز بسعة المعرفة ، والاعتداد بمدى المقدرة الادبية ، فتجلى قديمه لذلك في ثلاثة مظاهر بارزة :

١ ـ ايثار الغريب . ذلك ان ابا العلاء كان واسع العلم بالمفردات ، طويل الباع في التصرف بها ، فكان يجيد استخدامها بصيغها الفصيحة على اختلاف مدلولاتها ، واقل نظرة في ديوانه تثبت هذا الامر . على ان شاعرنا قد اضطر في ظروف كثيرة الى العدول عن الصيغ المألوفة الى النادرة ، اما بحكم القيود الشعرية ، واما رغبة في اظهار سعة المعرفة باللغات الغريبة . فمن شواهد استعانته بالغريب النادر تخفيف لفظة سيء في قوله :

والقول كالخلق: منسيء ومن حسن والناس كالدهر : من نور وظلماء

ومنه حذف النون من « من » الجار كما في قوله :

ولن يقوم مسيح يجمعون له وخلت واعدهم م الخلف عرقوبا

ومنه حذف نون « لكن » ، حيث قال :

ان الشرور لكالسحابة انجمت لاك السرور كانه برق خلب

ومنه تخفيف « لا سيما » في مثل قوله :

فجدع حل في اذني غلام ابر لديه من قرط وشنف
ولا سيما اذا اعطيت ايدا لمد يديك او انفا بانف

ومن شواهده العدول من « طوال » الى « طيال » في جمع « طويل » ، وذلك في قوله :

ولا قصرت لي ام ليلى يشربها حنادس اوقات علي طيال

ومن ذلك ادغام المتقاربين في « متفاعل » بدلا من « مفتعل » كما في قوله :

فيا صاحي نهى الصاحي جهل عنك مدارك

ومثل ذلك كثير في شعره لا سيما في ديوان لزوم ما لا يلزم على ان الذي قد يشفع به هو كثرة القيود العروضية التي أخذ بها نفسه في هذا الديوان .

٢ ـ تكلف البديع . لم ينفرد ابو العلاء في العناية بالصناعة اللفظية في عصره ، بل كانت الصناعة آنئذ نزعة رائجة في الادب : شعره ونثره ، وكانت موضوعا للمباراة والمنافسة بين الشعراء والمنشئين ، ومناظرات الخوارزمي وبديع الزمان خير شاهد على ذلك . ولم يكن ابو العلاء غريبا عن عصره بهذا المعنى ، بل الغريب في امره انه اعتمد التقليد في شبابه ، وفارقه في ابان نضجه ، الا في ما يتصل بالصناعة اللفظية ، فانه لم يعن بها في شعره الاول عنايته في لزومياته . فانطلق من قيودها حيث عنا لعمود الشعر القديم ، وتقيد بها حيث انطلق من اغراض الشعر القديم . ولما كان تكلفه هذا متخلفا عن رغبته في اظهار

(١) من كتاب في تحليل ديوان « لزوم ما لا يلزم » يعده حاليا للطبع كاتب هذا المقال .

المقدرة اللغوية ، فقد اجتهد ان يجمع في ديوانه الكثير من انواعها والوانها . واخذ نفسه في تحقيق ذلك اخذا شديدا ، حتى انه تكلف عدة ضروب منها في بيت واحد . وشيوع هذه الظاهرة في الديوان تغني عن ايراد الشواهد.

٣ ــ لزوم ما لا يلزم . ولقد غالى ابو العلاء في التكلف حتى لزم من القيود وضروب الحسنات اللفظية اكثر مما يلزمه ، وكان من ثم ان دعا ديوانه هذا : « لزوم ما لا لزم ». والذي لزمه ابو العلاء في كل الديوان ثلاثة قيود ، اولها النظم على جميع حروف المعجم . وثانيها النظم على الحركات الثلاث والسكون في كل من تلك الحروف (باستثناء الالف) ، وثالثها لزوم حرف اخر مع حرف الروي في جميع ما ورد فيه ، اي : بناء القصيدة على رويين . وقد لزم المعري هذه القيود في جميع قصائد الديوان وعددها يناهز الالف والست مئة ، دون ان يقع له في ذلك اي اخلال . بل ان الدارس المدقق يجد ان ابا العلاء قد التزم احيانا اكثر مما ادعى التزامه ، فتقيد باكثر من حرف واحد مع الروي ، وذلك في ما يزيد عن العشرين من قصائده ، نستشهد على ذلك بقوله :

اذا ما عراكم حادث فتحدثوا ... فان حديث القوم ينسي المصائبا
وحيدوا عن الاشياء خيفة غيها ... فلم تجعل اللذات الا نصائبا
وما زالت الايام وهو غوافل ... تسدد سهما للمنية صائبا

ولا مراء في ان امثال هذه القطع قليلة ، والغالب انها قصيرة ، لكنها قد جاءت مع كثرة القيود التي التزمت فيها واضحة المعنى سليمة التركيب حتى القوافي فانك لا تشعر بانها اقحمت في غير اماكنها ، وهو دليل على براعة الشاعر في صياغة الالفاظ ، ومرونته في استخدامها .

التحرر الموضوعي

لقد تفنن المعري في صياغة تعابيره ، لكن تفننه هذا لا يعد فتحا ، وفارق النهج القديم في تنسيق القصيدة ، انما لا يعتبر ذلك منه ثورة في الادب . فقد غالى فريق من النقدة في اهمية « عمود الشعر » ومدى انقياد الشعراء له في ما نظموا . والحق ان الكثير من قصائد انصار القديم بالذات قد فارقت هذا السياق ، ودواوينهم تشهد على ذلك شهادة ناطقة . لكن ثورته الفذة انما هي على اغراض الشعر وموضوعاته القديمة . فقد فارق المدح والهجاء والفخر والرثاء وما جرى مجراها من الاغراض المملولة ، واقبل على الحياة يستوحي واقعها المؤلم ، ويستلهم عتيدها المشؤوم ، في كل ما اتصل بالاخلاق والاجتماع والدين والفلسفة .

ولسنا نقصد في قولنا هذا ان نثبت للمعري وحده فضل اكتشاف الحياة الفكرية من حيث انها موضوع صالح للشعر ، فقد تناول الشعراء ، حتى في اقدم عصور الادب العربي ، مظاهر متفرقة من حياة الجماعة ، سواء من الناحية الخلقية (كما في ميمية زهير) ، او من الناحية الاجتماعية (كما في دالية طرفة) ، الا ان الفرق بين حكيمي الجاهلية وحكيم العصر العباسي شاسع جدا ، لان حكيم المعرة عمد الى الحياة الفكرية مباشرة ، واخذ في معالجة مسائلها ، والمقارنة بين مذاهب الناس فيها ، محاولا الوصول الى الراي السديد والحكم الصحيح . والفرق بين الفريقين مثله بين المتأدب الذي يعرض لما يمر به ، والباحث الذي يتعمد التنقيب عن الحقيقة .

١ ــ تسفيه الاغراض القديمة . ثار ابو العلاء على القيد الموضوعي في الشعر ، فاخذ على الشعراء تقيدهم بالاغراض التي المعنا اليها ، وحكم على اكثر المدح بالكذب والتذبذب ، وعلى اغلب الفخر بالادعاء والتبجح ، وعلى جملة الهجاء بالبذاءة والسفه ، وعلى سواد الغزل بالتزلف والصغار . ذلك لان الشعراء لم ينزهوا مقاصدهم عن العيوب ، ولا جملوها بمكارم الاخلاق ، بل خضبوها بالاثم ، ومرغوها بالابتذال . اما هو فقد ابى ان يلقي بشعره في الدمن القذرة . ولقد سبق له في شبابه ان جال جولة في هذه الاغراض ، لكنه عمد الى تنقية شعره من مثل هذه الشوائب ، فابى ان يتكسب بالمدح ، وترفع عن رذائل القذف ، وانف من فضائح الغزل ، لكنه لم يقو على كبت نزوات الاعتزاز والفخر فجعل موضوعها سعة علمه وفرط براعته . حتى اذا جاز التجارب القاسية في بغداد عاد الى المعرة وقد بدا له ان يعالج الشعر على صعيد جديد

٢ ــ التصدي لشؤون المجتمع . كان المعين الذي استقى منه ابو العلاء مادة شعره الجديد الحياة باوسع معانيها . فنظر في الاخلاق والاجتماع والسياسة والدين والفلسفة نظرة الفاحص الناقد ، ووقف من شؤونها موقف الناقم الهادم آنا ، والمرشد الباني آنا اخر . ويتعذر علينا في هذا المجال المحدود ان نوجز اراءه في هذه المناحي المتفرقة من الحياة الانسانية ، فنكتفي لذلك بالالماع الى رؤوس المواضيع التي كثيرا ما عرض لها . فقد عرض في الاخلاق للعوامل المؤثرة في تكوينها : من عناصر وغرائز وطبائع وطوالع وعشرة وتربية ، ومكانتها في المجتمع من حيث الخطورة الاجتماعية والقيمية الدينية ، ولمدى فاعليتها في الاصلاح الاجتماعي .

وقد اكثر في تضاعيف ذلك من مدح الفضائل وذم الرذائل حيث اتسع له المجال .

وعرض للمجتمع فعالج شؤون الاسرة ، وتناول مشاكل الزواج ، والطلاق ، والتربية ، والارث ، والنسل ، ورياضة المراة . وتصدى للصلات الاجتماعية ، فتحدث عن المعاشرة والصداقة والمجالسة والضيافة والمجاورة ، وايثار العزلة ، وحمل على آفات المجتمع ، فندد بالسكر والفجور واللهو والفسق ، وهاجم الحكام والولاة والجباة وجعلهم علة الحروب والفتن باطماعهم ومنافساتهم .

وعرض للاديان ، فتحدث عن الانبياء والنبوات ، وما كان من اختلاف الاديان ، وتعدد الكتب ، واختلاف الطقوس ، وتنوع العبادات ، وتضارب المذاهب في التفسير والتاويل ، ووصف رجال الدين بالرياء والاحتيال ، وباستغلال التعليم الديني في كسب الارزاق ، وباحتجان حطام الدنيا . وتساءل عن حقيقة الروح والحشر والمعاد والمعجزات والخوارق

ثم عرض لامور فلسفية غيبية فاثار مسائل الصفات الالهية ، ونظام الكون ، وناموس العلة ، ومراتب الكائنات ، وماهية المكان والزمان والحركة ، ووحدة اصل الاحياء ، وناموس تنازع البقاء ، وسلطان القضاء والقدر ، وما الى ذلك.

فمن تأمل هذه الموضوعات وما جرى مجراها ، ثبت له ان التجديد الذي عمد اليه ابو العلاء ، بلا ضجة ولا دعوى ، لم يكن بالشيء اليسير ، بل كان ثورة جارفة على اغراض الشعر وموضوعاته . فاعجب بشاعر اختار الاسلوب المقيد للتعبير عن الفكر الطليق .

الجامعة الامريكية ببيروت **كمال اليازجي**

أبي

أرى الايام تبسم لي ... بقربك حين تبتسمُ
وتعذب عندي َ البلوى ... ويحلو المر والسقم
يهون الخطب والاملاق ... في لقياك والعدم
وتسطع بالرؤى دنياي َ ... ضاحكة وتنتظم
دفعت بك الاذى وأمنت ... ما يُخشى ويُتّهم
وكيف أخاف جائحة ... وعينك دوني َ الاجم
ولي خلف الضلوع لديك ... قلب راحم وفم

* * *

رنوت َ الي َّ حين عدوتُ ... نحوك والدجى قتم
وبي من عاصف الاشواق ... وجد ماج يلتطم
وعندك من رسيس الوجد ... شوق ليس ينكتم
فرحت َ تدير لي عيناً ... تفيض هوى وتنسجم
كأن بها يداً بُسطتْ ... لتدفع عار ما يُصم
تمد الي َّ في قلق ... اذا ما زلّت القدم
وتبقى الليل ساهرة ... اذا ما مسني الالم

* * *

لمحتُ بعينك الدنيا ... تشع سنى وتضطرم
وضاعتْ من شذا أكم ... بعينك وازدهت أكم
لمستْ طفولتي نومي ... بمختضب وتلتثم
وما شيدت من هرم ... تضاءل عنده الهرم
وكم لي فيك من نغم ... تصاغر دونه النغم
على جفنيك للاشواق ... راح محلقاً علم
لسان الشوق نمّام ... ودمع الوجد منسجم

* * *

أبي والناس قد فتنوا ... بأوهام وما علموا
تغنوا بالنعيم وما ... أراهم دهرهم نعموا
ولو عقل الالى لم تلقهم ... أيامهم أثموا
أبي يا ضلّ سعي الناس ... في المجد الذي وهموا
أكان المجد غير أب ... به في الخطب يعتصم
وهل يعدو النعيم حماك ... ما عصفت بي َ النقم
رأيتُ الله في عينيك ... حين رنوت َ تبتسم

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشخصية المميزة : هذا هو الهدف

بقلم رشـاد دارغوث

عبيـد الغـير

في احدى (١) مسرحيات « جان بول سارتر » يسخر الكاتب الفرنسي الكبير سخريـة لاذعة ، من فريق من المثقفين . فيتهمهم بانهم عبيد لآراء الغـير ، يقبلونـها دون نقاش ، ويرضخون لما يملي عليهم دون تفكير .

ويقول الاديب المفكر الامريكي « الفرد هويتهيد » : « ليس على سطح الارض امة اشقى من قوم تقتصر ثقافتهم على ما يتلقنونه من معلومات » .

فيلتقي هذان المفكران الغربيان المعاصران ، مع المعجم العربي القديم ، على السخرية من « حملة » الاراء والعقائد والمعلومات ، وسائر المستوردات ... التي لا تتحول في نفوس حامليها الى طاقة انتاجية ، الى قدرة على الخلق والانشاء .

لقد اطلق المعجم العربي على هؤلاء العبيد ، عبيـد « جان بول سارتر » واولئك الاشقياء ، اشقياء « الفريد هويتهيد » ، اطلق عليهم لقبا الطف وارق . فدعى واحدهم امعا او امعة . ويقول القاموسيون في تعريفه : « انه التابع لكل انسان على رأيه » .

ونحن نؤثر ، بعد ان نالت المراة حقوقها ـ ان ترد اليها الصيغة الثانية ، فنقول رجل امع ، وامراة امعة ، تحقيقا لمبدا المساواة !

من البداهي ان نقول بعد هذا ، أن « جان بول سارتر ، والفريد هويتهيد » والمعجميين كافة لم يقصدوا الى الحد من قدرة الانسان على التكيف ، و من ميلـه الطبيعي الى الاقتباس . كلا ، فالذكاء ـ في احـدث تعريف له ـ هو تلك القدرة بالذات ، القدرة على التكيف والانسجام ، وبالتالي القدرة على الاخذ والعطاء في تفاعل مستمر مع الاحياء والاشياء ، وفي تطور لا ينتهي الا بانتهاء الحياة عند الفرد ـ وبقيام الساعة عند الانسانية جمعاء .

التجرد في طلب العلم

جاء في الحديث المحمدي المأثور : اطلب العلم مـن المهد الى اللحد « ولو في الصين » . والعلم ، كما لا يخفى هو سبيل ذلك التطور ، بما يحمله الى الانسان من وعي ومعرفة ، هي لباب الثقافة .

وصيغة الامر في هذا التوجيه الحكيم لا تحل طالب العلم من شرط التجرد ، لوجه المعرفة . وهو الشرط الذي لا يثمر العلم من دونه أبدا ، ولا يؤدي حامله ، من دونه ، رسالة على الاطلاق .

وهل من باعث على طلب المعرفة ، سواء ، كانت علما تجريبيا او ادبا خلاقا ، او فلسفة مشرقة ، الا ان تكون « للانسان » زادا لعقله وقلبه وروحه ـ فتطبعه بطابع خاص ، في ما يقول ويعمل ، او يرى ويرتأى كما هو الطعام « للحيوان » غذاء لوظائفه العضوية ؟ بل هذا الطعام المادي نفسه ، هل تتحصل منه فائدة ، مهما جودنا اصنافه ونوعنا مولده ، اذا لم نهضمه ونتمثله ، فيتحول الى مادة اخرى مشحونة بالطاقة الفاعلة ، كما يشحن شريط الكهرباء بالنـار والنور .

المعرفة سبيل الانتاج

وهلا نظرنا الى النبات ، وهو دون الحيوان مرتبة : ان قصبة السكر وشجيرة الليمون وشجرة السنديان ، جميعهم يتناولون مادة غذائية واحدة ، فيحولها هذا الى سكر ، وذلك الى حامض ، وذلك الى علقم !

بل ان البطيخ والحنظل ... وهـما النبتتـان المتشابهتان ، كالاختين التوامين ، تعيشان في الـرمل ، وتنتزعان من ذراته الجافة غذاءهما : فيحول البطيخ ذلك الى حلاوة مستساغة ، بينما يحوله الحنظل الى مرارة لا لا تستساغ !

افاذا كان هذا هو شان الحيوان والنبات ، في مـا يصدر عنه ، فهل هناك احرى من الانسان ، بان ينهد الى تحقيق ذاته ورسالته ، فيحول زاد المعرفة فيه الى صبغة تميزه عن سواه من الكائنات ، وتسمو به من حضيض الابتذال الى المستوى اللائق به ، وبما انفقه من جهـود وتضحيات ، في سبيل الحصول على تلك الكنوز ؟

ونحن نعلم ، من بعد ، ان المعرفة اذا كانت حقـا تستحق هذا الاسم ، لا بد ان تتحول بصورة آلية الى عمل منتج ، هو ثمرة الانسان العارف ، يدفعها هو بطابعه الخاص ، وتدل هي عليه :

ان آثارنا تـدل علينـا فانظروا بعـدنا الى الاثار !

وحينئذ اذا كانت المعرفة طبا مثلا ، كان صاحبهـا متطوعا للقضاء على الامراض . وان كانت فقها ، كـان

(١) محاضرة القاها الكاتب في ١٥ـ٤ـ١٩٥٥ على نخبة من رجال الفكر والسياسة ونساء المجتمع الراقي في خلية الملك سعود الاجتماعية ببيروت

صاحبها عالما هدفه تسويد القانون والنظم . وان كانت تربية ، كان حاملها رسولا ينشد اعداد جيل صالح ، وامة حية . وان كانت المعرفة هندسة كان صاحبها مهندسا مبدعا ، او صانعا مخترعا ، او زارعا يجود الاصناف او كانت موهبة ، كان صاحبها شاعرا يبعث امة ، او موسيقارا ينشيء الانسانية ، او زعيما يقود الى المجد ـ لا فرق بين ذكر وانثى ، ولا بين عامل وعامل ، الا بمقدار ما يتميز به العمل نفسه ، من تجرد وتجويد واتقان .

والمجتمع الذي يقوم على مثل هذه الركائز هو مجتمع سليم ، قوي الاسس متين الاركان ـ لا تزعزعه الرياح ـ شرقية كانت او غربية ، لان افراده لا يتأثرون في الواقع ـ الا بما ينسجم مع مقومات كيانه ، ومقومات شخصياتهم المميزة ـ من تعاليم وآراء واشياء .

النجاح في اداء لرسالة

لا تقولوا هذا مجتمع مثالي ... لا ينبغي للناس ان يحققوه ، وهم بشر من لحم ودم ! كلا فمثل هذا المجتمع السليم هو هدف العارفين الواعين ، في جميع الامم الحية وهم عاملون على تركيز قواعده ، وناجحون في ارسائها ، برغم اساليب الوصولية والمكيافيلية التي يحسبها بعضهم طرقا الى النجاح . وهم ، اذا اعتقدوا ان الغنى ليس هو السعادة ، وان الشهرة ليست هي المجد ، وان القوة ليست هي الخلود ـ لا يقللون من قيمة هذه الوسائل التي لا غنى عنها للنجاح . ولكنهم لا يكتفون بالحصول عليها وحدها ، ثم يقعدون . فهم يعرفون ان النجاح ، في مثل هذه الحالة ، يظل بعيدا عنهم .

النجاح في الحقيقة ، يدركه من يؤدي رسالته ـ اية كانت تلك الرسالة : رسالة العامل المجود لعمله ، او رسالة الاديب الموجه لقومه ، او رسالة الزعيم المتجرد لوجه امته او رسالة الام القادرة على حمل رسالتها الخطيرة .

تلك الرسالة هي الامانة التي حملها الانسان ... منذ كان . والانسان العالم العارف أعظم من سواه مسؤولية عن ادائها ، عن حسن ادائها . اما الذين لا يؤدونها فهم الفاشلون ... هم الذين يذهبون عاجلا او آجلا ، مع الريح ... يذهبون هم وعلمهم واموالهم وقوتهم وسلطانهم ... دون ان يتركوا حتى دوي الريح في الاذان .

بلى انهم يتركون اثارا : اولها سخرية الناس بهم ، واخرها سخرية التاريخ .

عداوة قديمة

في الحكايات المأثورة ان احد العلماء العارفين وفد الى قرية ... فوجد سكانها ملتفين حول زعيم منهم ، كور عمامته ، ووسع جبته على غاية ما يرام . وقد اوجس شرا ذلك المالك سعيدا ، من العالم القادم جديدا بمهارة ذلك العالم الفنان ، ولا سيما اذا قيس بهذا وصاحب الخرج لا يحب صاحب المخلاية ، منذ القديم . فارسل اليه يتحداه ، مع بعض زبانيته ، ويقول : « اذا كنت عالما حقا .. كما تدعي ، فارسم لنا مثل هذه الحية التي رسمها « زعيمنا » قدس الله سره ! »

ودفع الرسول الى الرجل العارف بورقة ، عليها خط متعرج ، قد يشبه كل صورة الا صورة الحية .

حينئذ ابتسم العالم المتواضع ، واخذ قلما فرسم تحت صورة « الزعيم » صورة لحية ، جاءت آية في الابداع .. كانها الحية التي غررت بجدتنا حواء ... في الاسطورة !

ولما عاد الرسول يحمل الرسم المزدوج ، اجتمع اهل القرية حول « زعيمهم » وفي عيونهم وميض من الاعجاب بمهارة ذلك العالم الفنان ، ولاسيما اذا قيس بهذا « الزعيم » الامي الجاهل . الا انه وميض سرعان ما خبا فالجماعة ما تعودوا ان يروا الا بعيون ذلك الطاغوت ، ولا تعودوا ان يفكروا بغير عقله .

واذا بصوت « الزعيم » يعلو مزمجرا هازئا :

ـ « انظروا يا ناس ، يا عالم ، هل صورة هذه الحية شبيهة بصورة الحية التي رسمتها لكم انا ؟ »

وهز الناس رؤوسهم ... يوافقون الزعيم على رأيه . ويستنكرون معه « جهل » ذلك الدخيل الدعي . ثم توترت اعصابهم ، فحملوا عصيهم ، وتوجهوا الى حيث كان العالم المسكين .. فاوسعوه ضربا وتهشيما ، واضطروه الى الرحيل من القرية ... وسجلت الجهالة بذلك نجاحا كبيرا ، وحققت الغوغائية اعظم انتصار .

الغرض مرض

اذكر هذه الحكاية كلما قرات لفريق من رجالنا اللامعين ـ رأيا لو تبصروا هم فيه ، لما ارتضوه ولما ارتضوا ان يكونوا مطية لسواهم فيه . فهذا لا تعجبه لغتنا ... لانها صعبة . اي انه لا يستطيع ان يتقنها دون تعلم او دون ان يبذل في سبيل تعلمها المجهود اللازم ، كما يبذل في سبيل تعلم سواها من اللغات ، وهي لا تقل عنها صعوبات ـ وذلك يتواضع فتعجبه اللغة ، ولكنه لا يستسيغ حروفها ... لا لسبب فني او جمالي ، بل لانها تكتب من اليمين الى اليسار ... ولكن المسكين لا يدري ان امة الصين ، وهي ست مئة مليون نسمة ، قد قررت اخيرا الكتابة من اليمين الى اليسار ، بداعي ان ذلك اقرب الى منطق الامور .

وذلك خر لا تعجبه قواعد هذه اللغة .. المبنية على اسس المنطق من قياس واشتقاق ، والتي تتميز بالمطاوعة والمرونة ، كافضل ما تكون اللغة الحية . فيدعو الى احلال اللهجات « العامية » محل اللغة الصحيحة ... على الرغم من فوضى تلك اللهجات وقبحها ، وضيق آفاقها ، وعلى الرغم من جمال هذه اللغة ، واتساع آفاقها ومساوقتها للفكر والخيال .

رسالة بناء لا هدم

هؤلاء وامثالهم يجدون من يستمع اليهم ويصفق لهم . وهم لو استهدفوا اداء رسالتهم حقا ، رسالة المعرفة ـ لحولوا وجوههم شطر اصلاح التراث اللغوي ، لا تهديمه وهو تراث عظيم ، ولكنه متروك منذ مئات السنين ، لم تمتد اليه يد بتحريك او تيسير او تعديل . ومن لا ماضي له ، لا حاضر له ، ولا مستقبل . والانسياق مع آراء الغير وضد منطق الامور ، وعكس مصلحة الفرد والجماعة لا ينسجم مع طبيعة المعرفة المتجردة اصلا ـ ولا مع طبيعة الشخصية العارفة الواعية . كما ان البناء لا الهدم هو رسالة العلماء العارفين ، والرسل المصلحين .

قال المسيح ابن مريم (ع) : جئت متمما لا ناقضا ..

وقال محمد بن عبد الله (ص) : بعثت لاتمم مكارم الاخلاق !

وفي يقيني ان المجتمع السليم لا يقوم الا على ركائز العارفين البنانين ، المتميزين بالاخلاص والتجرد ، العاملين بوحي انفسهم ، المنصهرة في بوتقة الجماعة . اما الهدامون المشككون ، الذين يكتفون بزعزعة ايمان الناس ، وخلخلة ابنيتهم ، او هلهلة اثوابهم ... فهؤلاء شر من الجهلة الاميين . لا لانهم مفتقرون الى عناصر الشخصية في ما يرونه ويصدر عنهم ، فحسب ـ بل لانهم تخلوا عن اقدس مقدسات الانسان العالم العارف وهي الحرية !

الامعية تسحق الشخصية

نحن نعيش ، كما تعلمون في الشرق ، وطبيعة الحياة ، ومنطق التاريخ ، في هذه البقعة من العالم ، يحملان الناس على تقديس الاديان السماوية . هذا واقع لا سبيل الى انكاره ، وان كنا لا نتناول ، ولا نحب ان نتناول ايا من شؤون الفكر والاجتماع ، بمقاييس رجال الدين .

لذلك لا نقف موقف الوعاظ ، ولا نهدف اصلا الى جعل الناس ، جميع الناس ، قديسين ابرارا ، ا واولياء صالحين . ولا يخطر ببالنا على الاطلاق ، ان ندعو الناس الى الوقوف سدا في وجه الحضارة الحديثة التي تأخذنا سيولها من كل جانب . ولكننا نريد ، ونؤمن بقدرتنا على تحقيق ما نريد ـ نريد ان يضع كل منا ، كل عارف وعارفة ـ حدا لما يتلمسه في نفسه من ميوعة ، وانسياق عفوي مع الغير ، وآراء الغير ، هذه الميوعة بل هذه «الامعية» تسحق شخصية الفرد المميزة سحقا ، وتمسح شخصية الامة مسحا !

تعرفت الى شاب عراقي وفد الى لبنان للدراسة ، فاصيب ، بعد فترة ، ببداية مرض نفسي خطير ... وكان ان رجا الي صديق عراقي مشترك ، ان اعالج ما صاب الفتى ... ولنسمه داء « الوحشة » ـ بتعريفه الى اشخاص يأنس بهم ، فيذهب ما به . ففعلت مسرورا ، يحدوني عاملان : الاول عامل انساني ، والثاني عامل وطني فقد كان ذلك الشباب واهله وجيران اهله ... في العراق، يرمون لبنان واهل لبنان...بكل نقيصة وفرية ، فاكتسبت لوطني صديقا ، بل اصدقاء صاروا يتعشقون ارضه ويحبون اهله .

ثم ذهب الفتى الى امريكا حيث يتخصص ... في الهندسة البترولية . وهناك عاوده الداء ... فكتب الي يصب جام غضبه ـ هذه المرة على امريكا والامريكيين ... ويقول بالحرف الواحد : « ان المجتمع هنا ، يقوم على الفساد تدعمه المادة » .

بين الرغوة والصريح

ووجدت ان مهنتي الانسانية لم تنته وان انتهت مهمتي الوطنية . فكتبت الى صاحبي انصحه ، بعد ان ترك جامعة ايلندا ، والتحق بجامعة واشنطون ـ حيث يكثر المغتربون العرب ... (فيتاح له ان يتصل من وقت الى آخر باشخاص ... تشعره لغتهم وتقاليدهم المشتركة ... انه لم يبرح لحد ما ، في موطنه ، وبين اهله ، فيذهب ما به من داء الوحشة الاليم) .

كتبت اليه ، اقول بالحرف الواحد : « قد يكون الفساد المادي الذي ذكرته ، يا عزيزي ، هو الرغوة التي تطفو ... اما ما ينفع ، فيمكث دائما في الارض ، في اسفل . وليس بالامكان ان نتصور مجتمعا حيا تقوم فيه دولة عظيمة ، وينشأ افراد افذاذ ... اذا كان ذلك المجتمع قائما على الفساد وحده ... ولو دعمته جميع قوى المادة ! لا بد ان يكون هنالك قواعد اخرى ، ومعطيات وملكات لدى الفرد ولدى الجماعة ، هي التي تقيم التوازن بين الفساد والصلاح بين الشر والخير ـ او على الاصح ، هي التي ترجح الصلاح والخير ، كي يستمر لذاك المجتمع وجود ، ويدوم ازدهار» .

النظرة الاولى حمقاء

وقد اعترف صاحبي ، فيما بعد ، بان نظرته الاولى كانت سطحية حمقاء ... ثم اكد لي انه كلما تعمق في دراسة الناس هناك ومميزاتهم ، ودراسة المجتمع ، وما يقوم عليه من تنظيم وتقدير للكفايات العلمية والفنية ، وللمواهب الانسانية ، كلما كبر ذاك الفرد في عينيه ، وعظم ذلك المجتمع في نفسه .

الا ان اشياء كثيرة استرعت اهتمام صاحبي، منها الخيّر ومنها ما هو اقل خيرا، ومنها ما هو اقرب الى الشر، وجميعها تطبع الفرد والمجتمع الامريكيين بطابع خاص . فقد آلمه ، مثلا ذلك الكره الجنسي الذي يلاحق به البيض مواطنيهم السود ... (حتى اذا قررت بعض الولايات اباحة الاختلاط ـ في المدارس ـ بين ابناء هؤلاء وهؤلاء ، ثار البيض ـ نساء ورجالا ، ثورة حملتهم على الفتك باطفال السود ، في وسط الشوارع العامة ، كانهم كلاب مسعورة ...) . (فالبيض لا يتصورون امكان الجمع بين اولادهم ، واولاد « عبيدهم » القدماء تحت سقف واحد ـ ولو كان سقف المدرسة !)

الفوغائية تهدم المجتمع

ولم يفقه صاحبي « معنى » لاضاءة الشموع في المنزل ـ مع وجود الكهرباء وانوارها الساطعة ، ولكنه اعجب حتى الاكبار ... بذلك التنظيم البديع والنظام الرائع ، اللذين يسودان كل انسان وكل شيء ، كل بيت وكل مصنع . فليس هناك طلاب او عمال او رجال شارع ... يشتغلون في السياسة مثلا، وان كانوا يشتركون ويشاركون بواسطة الاحزاب في وضع مخططها العام ، وفي اقراره .

وقد روى لي انه حاول مرة ان يتحدث الى « حلاقه » حول سياسة الولايات المتحدة ... في الشرق العربي ! فبعد ان استمع اليه الحلاق باهتمام ، قال له : « من رأيي ان تبحثوا لكم ، انتم العرب ، عن شي « ايزنهاور » ... فتوفروا نفسكم كثيرا عن الكلام . »

(وعلى سبيل الاستطراد ، روى لي صديق من هنا ، ان احد السياح الانكليز ، وصل منذ ايام الى دكان ، يبيع صاحبها قليلا من السجاير ، وكثيرا من التوجيهات السياسية . فسأل السائح البياع عن معنى الحكمة ... المنشورة في ذلك اليوم على لوحة الدكان ... فانبرى البياع الفيلسوف لالقاء محاضرة ... في سياسة بريطانيا

[التتمة في الصفحة ٨٦]

رشاد دارغوث

صلاة حجر

✳

لادونيس

•

دمشق

✳

مخبّأة في ممرّ صغير من
الكون ، يلطأ تحت الحياةِ
وفي الصمت ينمو فمي وصلاتي

✶

أقرمط بين مسافات عمري
لاني خيال لاني حقيقة
فأنّى يلاقي وجودي طريقه

✶

تعثّر بي ، الامسَ ، طفل يغني
فسّحَ نشيدَهْ ،
ألا من يغرّز فيّ صداهُ
ألا من يُعيدَهْ ؟

✶

بي الحسّ ينمو كبذرة غيمٍ
كزئبق شمعٍ ،
بي الحسّ كالنار ، حتى ليأكلُ
عمق جفوني وينقب سمعي •

✶

من الطين كوّنتُ ، والناس طينُ
لذلك غنّيتُ لحظة عمري
ومُغمغ في شفتيّ اليقينُ

✶

لاغباش عينيّ كوةٌ فجر
تضيءُ متى اسودَّ فيّ الوجودُ ،
كأنيَ خيّرت آن يضيعُ
يقينيَ مني وآن يعودُ •

✶

يسميني الفكر شيئاً وبيني
وبين ثناياه وحدةُ أصلٍ
كأنْ يكتب الوهمُ كلّ غناه
ويوحي له كل شيءٍ ويملي •

✶

يمرُّ بي العابرون كباراً
كباراً كشلال عشبٍ كغيمه
وأمسٍ فرشت غطاءَ لقبرٍ
طريّ ، وكنتُ ركيزة خيمه •

✶

بقاءٌ أنا والسماءُ بقاءُ
فأي البقاءين أحلى وأغنى ؟
سألت ... فهل لسؤالي معنى ؟

✶

أنا العمر عنديَ حلم وصمتُ
أنا العمر عندي ،
ترابٌ يضمُّ بقاياي بعدي •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفسية الكاتب

بقلم وديع فلسطين

○

نجتهد في هذه العجالة ان نطلق ضوءا على نفسية الكاتب ، ولا سيما الكاتب المحدث ، مستقرئين ذلك مما تطالعنا به دوريات الادب في هذه الايام .

فالظاهرة التي لا ريب فيها ان الكاتب في يومنا هذا يختلف اختلافا جوهريا عن الكاتب في الجيل الغائت ، ودع عنك ما تقدمه من اجيال . فالكاتب الحديث عجلان لا يصبر ولا يتأنى . لا يكاد يلم به خاطر حتى يسطره على الورق ويدفع به الى المطبعة فتدفعه المطبعة بدورها الى القارىء . والقارىء بدوره عجلان يتخطف ما تدفعه الطابعة فيقرأه قراءة عجلى ثم يطرحه في بحر من النسيان ، ما لم يصب المقال هوى من نفسه او يهز القصيد وترا من اوتار حياته فيبقى له اثر لا يبرح مخيلته . فنحن اليوم في عصر السرعة وعصر الانتاج الدافق الكاسح وعصر الجماهير . فليكتب صاحب القلم متعجلا ، وليكتب اي شيء وكل شيء ، ولا حرج عليه من ذلك ما دامت الجماهير تقرأ ما يكتب ، وما دام القارىء مترفقا متسامحا لا ينتقد ما يقرأ بل يغفر للكاتب زلته ان زل ، واضعا اللوم على المطبعة فهي دائما المسؤول الاول والاخير عن كل خطأ في المعنى او المبنى او النحو .

اما كاتب الامس ، فكان مستأنيا متأملا ، يكتب بكثير من الامعان وغير قليل من البصر بالامور ، ديدنه ديدن الباحث الدارس الذي لا يتحرج من الرجوع الى المظان ان اعوزه ان يتثبت من امر ، فان خامرته ريبة ، استعان باسلوب الشك لا باسلوب القطع والبت ، وازنا كلماته وعباراته حتى لا يستعمل الا الصحيح منها ، عازفا عن الالفاظ المعيبة والتي تلوكها السنة الغوغاء . كما كان القارىء في الزمن الماضي اقسى على الكاتب من قارىء اليوم . فكان ميزانه في النقد صارما ، ولم يكن يطرح على الالة الطابعة الصماء ملامته كلما عرض له خطأ ، بل كان يؤاخذ الكاتب عنه سواء عبر الكاتب عن قصده شعرا او نثرا .

والكاتب الحديث على وجه عام يتسم بتوتر الاعصاب وسرعة الانفعال ، فلا يتسع وقته لانعام الفكر او لتغليب الراي . فلا يكاد يجول بذهنه خاطر حتى يسبقه القلم الى تسطره كيفما اتفق ، فلا مجال للتعمق او التنميق ، بل لا مجال للتأكد من صدق ما يستشهد به من وقائع او بيانات ، فالمطبعة في انتظار انتاجه والقارىء مسماح كريم .

ولهذا يصح القول ان الكاتب الحديث اصدق تعبيرا واكثر اخلاصا من الكاتب القديم ، لانه مندفع متحمس لا يقف في سبيله شيء ، فسواء كان رايه مما تواضعت عليه الجماعة او مما جافته ، فانه لا ينثني عن الاعراب عنه جهارا نهارا . اما الكاتب في جيل مضى ، فقد كان طابعه الحذر والتردد ، يخشى بدعة الخروج على الاجماع ويؤثر مسايرة الناس في ما اصطلحوا عليه . فان خالفهم او خاصمهم ، طوى شعره او نثره خشية نقمة الجماعة عليه .

بيد انه يلوح مما تنقله الينا دوريات الادب ان الاهتمام بالتعبير عن خلجات النفس تعبيرا صادقا والعناية بابداء الرغبات الجياشة في الصدور دونما رياء لا يتأتيان الا اذا ضحى الكاتب باللغة فاهدر قواعدها وتنكب سبل اصولها وانحرف عن جادتها وهجر البليغ منحدرا الى العامي يأخذ عنه ومنه ما يسعفه في الاداء ، حتى وان نفر منه الذوق السليم . ومصداق ذلك ما يصدر اليوم من ادب القصة بفروعها ، فاغلبه قليل الاحتفال بالاداة — وهي اللغة — لانه منصرف الى الاحتفال بالصورة يرسمها امام القارىء ناطقة معبرة . وجل هذا الادب يعمد الى العامية المتداعية المتهالكة دون البليغة الرصينة ، لان العامية ، تسعف بينما البليغة تقعد من ليس كفوءا لها وتحتاج الى عناء ليس لدى صاحب القلم متسع له او قدرة على احتماله ومكابدته .

ومصداق ذلك ايضا ما تجري به اقلام الكتاب في الصحف السيارة ، حتى صار الهزال طابع الكتابة من حيث الشكل ، وخل عنك الموضوع . واللغة في كل ذلك هي الضحية المشتركة ، تذبح كل يوم على مذابح تتعدد اسماؤها .

واذا حاولنا تعليل هذه الظاهرة وجدنا ان اول سبب لها هو القصور : قصور الكاتب عن الالمام باللغة التي يريد بها ان يرسل اراءه وافكاره الى جمهرة القارئين . وهو قصور مع اصرار وعناد لان حامل القلم يعرض عن الدراسة عامدا ولا رغبة له في التمكن من اللغة . حتى لقد جاهر بعض « ائمة » هذه المدرسة بانه لن يعني نفسه بعد الان بمراعاة اصول اللغة ، ولن يعطي كتبه للمصححين يقومون ما اعوج من عبارتها ويصححون ما انحرف منها عن قواعد اللغة ، لان اللغة ثانوية بالنسبة له ولا تستحق كل هذا الاهتمام . فسيان عند الكاتب ان يرضى القارىء او ان يسخط ، ما دامت كتبه تباع بالالاف وما دام القراء راضين بهذه الكتب على علاتها .

ثم ان الكاتب الحديث يغلب عليه طابع الادعاء العريض ادعاء المعرفة بكل شيء . ولعل هذا هو سبب اتسام كثير مما نقرأ بطابع التعالي والتشامخ . فكل كاتب حجة ثبت لا يرقى شك الى ما يصدر عنه . ومفروض في القارىء ان يصدق كل ما يقرأ بلا سؤال او استفهام . حتى لقد ذهب الباحثون الى حد الاستغناء عن ايراد المراجع استغناء تاما . وهذا كبيرهم عباس محمود العقاد لا يذكر مرجعا واحدا في ما يصنفه من كتب ، وهذا نشاذ في سنن العلماء والباحثين الذين لا يوردون قولا دون ان يرجعوه الى قائله مبينين مكان وروده بالتحديد . والكبرياء قد تكون محمدة عند الكاتب ، ولكن اجمل منها ان يكون تواضع العلماء شيمة الكاتب ، فيحني راسه للحق دون مكابرة .

ومما يلاحظ في الادب الحديث ان الكاتب عموما يزدري القارىء في قرارة نفسه ، فيفترض فيه الجهل لا العلم . ولو كان الكاتب يحترم عقول قرائه لتروي بعض الشيء حتى لا يؤخذ بجريرة خطئه . وقد اغنانا الاستاذ نظير زيتون عن ايراد امثلة على ذلك ، فسرد لنا في مقاله المنشور بالاديب (عدد سبتمبر ١٩٥٦) طائفة من النماذج الصارخة على استهانة من يحملون القلم برسالتهم اولا ثم بعقول قرائهم بعد ذلك . ولا نظن ان من الامانة لرسالة الادب ان ينحو الادباء هذا النحو ، فالامانة تحتم عليهم ان يخلصوا لاقلامهم وان يخلصوا لمن يخاطبونهم بالكلام المنشور المطبوع .

والصلة التي تقوم بين الكاتب والقارىء تستند قبل كل شيء الى الثقة ، ثقة القراء بامانة الكاتب وصدقه وثقة الكاتب في فهم القراء وحسن استعدادهم . ويخطىء كثيرا من يستكبر على قرائه فيزري بما يبدونه من ملاحظات واراء على ما يكتب ، ولا سيما اذا كانت تلك الاراء جديرة بالعناية داعية الى احترام من صدرت عنه .

ويتسم ادب الشباب بالحدة والعنف حين ينتقل من مرحلة البحث الهادىء الى مرحلة النقاش والمساجلة . وقد تابعنا طرفا من هذه المساجلات في الدوريات الادبية المختلفة ، فهالنا ان نرى المعركة تنتقل من حلبة الموضوع الى حلبة الاشخاص ، فيتبادل المتساجلون القول المقذع ، ويضيع الجد في وسط اللغو الذي لا طائل من ورائه . وعيب هذه المساجلات انها تتناول مسائل تمت الى الذوق الخاص بامتن الاسباب، ومعروف انه ليست هناك قاعدة عامة تنتظم جميع الاذواق والمشارب على اختلاف اشكالها وضروبها . وعلى الرغم من هذه الحقيقة ، فان الخائضين في الجدل يفرطون في التمسك باحكامهم معرضين عن سواها ، وكل يدعي ان حكمه هو الفيصل الذي لا معقب عليه . وادب الجدل هو ضرب من ضروب التعصب الذي قد لا يكون له مسوغ من علم او حقيقة ، شأن من يقول ان البيضة وجدت قبل الدجاجة فيتصدى لمعارضته من يزعم بغير ذلك . فهل يفيد مثل هذا الجدل مهما تكن النتيجة التي يسفر عنها ؟

وقد اتسع معنى كلمة « كاتب » حتى صار يشمل كل من يحمل بيمينه قلما وكل من يمهر بامضائه قولا منشورا. وكذلك اتسع معنى كلمة « اديب » حتى بات يشمل كل من ينتمي الى رابطة من روابط الادب او ناد من انديته . ولو كانت روابط الادب انديته تتوخى شيئا من الاناة في اختيار اعضائها ، لكانت عضويتها كافية لاطلاق صفة « الاديب » على زيد من الناس ولكن هذه الاندية ، رغبة منها في اكتساب اكبر عدد من الاعضاء وفي تقاضي اوفر قدر من مال الاشتراكات، تفتح ابوابها على مصاريعها ولا توصدها في وجه احد . ومن ثم صار الاديب يعرف بانه كل من ينتمي الى ناد ادبي ، وكل من يحمل بطاقة تحقيق للشخصية صادرة عن هذا النادي ! اما وقد نال هذه « الشهادة » ، فليكتب « الدرر » الغوالي وليبعث بها الى دوريات الادب لتنشرها في الصدارة لا في المؤخرة .

وليت رؤساء تحرير المجلات الادبية يحدثوننا عما يلقونه من هؤلاء الكتاب الذين لا يحسنون لغة ولا اسلوبا ولا تفكيرا . بل ليت مصححي المجلات الادبية يروون لنا ما يصادفونه من طرف ونوادر وهم يراجعون كتابات هؤلاء .

فالكاتب اليوم قليل القراءة ، ولكنه كثير الانتاج ، والعبرة هنا ــ من وجهة نظره ــ هي بالكم لا بالكيف . وكان من نتيجة ذلك ان فشت السطحية بين الكتاب لظنهم انهم يستطيعون ان يعيشوا دون حاجة الى قراءة كتاب جدي . وهذه الظاهرة انما ترتد بدورها الى طابع الغرور الذي يسيطر على كل من رأى اسمه مطبوعا . ولا عجب ، فللكلام المطبوع سحره تضفيه عليه المطبعة حتى وان كان خلوا من كل اصالة .

القاهرة — وديع فلسطين

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد أدنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 — Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزمر الدموية والدراسات النفسية والاجتماعية

بقلم الدكتور عبد الكريم اليافي

لعلماء النفس والاجتماع محاولات متعددة الوجوه في تطبيق مباحث علم الاحياء (البيولوجيا) على الدراسات النفسية والاجتماعية ؛ ولعل من اطرف ذلك علاقة الطباع بالزمر الدموية الرئيسية والعامل Rh

الطباع والزمر الدموية

علاقة الطباع بالزمر الدموية تنوه بها الباحثة الفرنسية ليون بوردل Léone Bourdel الاستاذة بالمدرسة العليا للبيولوجيا البشرية بباريس . نلخص اراءها فيما يلي :

تعرف ليون بوردل المزاج وتصنفه اربعة اصناف تعتمد في تسميتها على بعض المصطلحات الموسيقية من الوجهة النفسية ثم تذكر كيف وجدت علاقة اصناف المزاج بالزمر الدموية .

المزاج عندها هو الاستعداد العميق الاساسي الذي يعين شكل انسجام الانسان مع الحياة ؛ وله اربعة نماذج : المتوافقي Harmonique واللحني Mélodique والايقاعي Rhythmique والتوافقي اللحني الايقاعي H.M.R

فالتوافقي شديد الاحساس يجد في نفسه صدى لكل شيء . وهو بحاجة الى ان يحيا بانسجام واتفاق مع ما يحيط به ويحف به ، اذ كان لا تتفتح مواهبه ولا يتكامل الا في بيئة مناسبة له . فان ازعجه شيء وكدر عليه صفوه او وجد من بيئته قلة تفهم انطوى على نفسه وخمد او تباعد او قاوم ذلك في بعض الاحايين بعنف شديد . وهو اغنى الامزجة واكثرها طرافة وابتكارا . ولكنه اسرعها تاثرا وانثلاما . ويتمثل هذا المزاج في الفنان .

واللحني هو على خلافه ينسجم دائما مع محيطه وبيئته ، فهو يحيا حياته ويشعر بها كانها لحن او انشودة تنبسط وتتعرج لتتلاءم مع الاشياء والظروف والحوادث وحياة بقية الناس . فله ميل طبيعي الى الاندماج العضوي في البيئة التي يعيش فيها ، ويتبدل بتبدلها ، يخف الى اتباع الزى الدارج ، قليل الابتكار ، انتهازي ، ويتمثل في التاجر والدبلوماسي .

والايقاعي لا يعمل الا حسب نسقه الخاص وايقاعه الشخصي في مختلف الظروف والبيئات . فهو لا يستطيع ان يحقق ذاته الا في حدود ذلك النسق ووفق ذلك الايقاع . وهو لا ينجز من الاعمال الا ما فهمه ودعاه اما عفوا واما بالاستنتاج والمحاكمة ، ولا يحاول الانسجام مع البيئة الخارجية ، بل يمضي قدما في طريقه ، ويتمثل في الجندي .

والتوافقي اللحني الايقاعي له خصائص النماذج السابقة ، ولذلك يكون قلقا في الغالب ، معذبا ، ممزقا بالريب والوسواس . وهو بحاجة الى ان يفرق بين خصائص النماذج الثلاثة السابقة التي تعتلج في طبيعته وان يتفهمها ، ويستفيد من تلك الخصائص تباعا واحدة بعد اخرى ، ويتحامى تدافعها معا في وقت واحد .

هذه النماذج الاساسية انكشفت للاستاذة بوردل بالاختبارات والروائز المعروفة في علم النفس والتحليل النفساني منذ سنة ١٩٣٨ حين طبقتها على طائفة من الاشخاص في فترات زمانية تختلف بين ثلاثة اشهر وثلاث سنوات . وهي لا توجد خالصة في الشخص وانما تكون مختلطة ، فيغلب على الشخص واحد منها ، وتبين لها ايضا انها ثابتة مع الزمان ولكنها مع ثبوتها تتبع سنة التطور التي تقتضي ان ينقص مقدار التوافقي مع تقدم العمر ويزداد مقدار الايقاعي . اما مقدار اللحني فيختلف بحسب العوامل او الظروف . ولا يكاد يتغير النموذج الا في الاحوال النادرة .

ثم في سنة ١٩٤٣ فحصيت هذه السيدة الزمر الدموية للاشخاص الذين كانت قد درستهم من الناحية النفسية ، فتبين لها ان هنالك علاقة بين الزمر الدموية الاربع الرئيسية المعروفة في البيولوجيا وبين نماذج الامزجة المذكورة انفا . وتفاد هذه العلاقة بالقوانين الاتية :

١ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية آ (A) ذو مزاج توافقي ؛

٢ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية الصفر (0) يغلب عليه المزاج اللحني ،

٣ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية ب (B) ذو مزاج ايقاعي

٤ ــ الشخص المنتسب الى الزمرة الدموية آ ب (AB) يملك المزاج المثلث التوافقي اللحني الايقاعي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتشتد طرافة هذه العلاقة عند العلم ان الزمرة الدموية الصفر تقابل المزاج اللحني الكثير الانسجام والملاءمة . ومن المعروف ان الدم الذي ينتسب الى هذه الزمرة يدعى بالمعطي العام في مباحث نقل الدماء ، وهو لا يتنافى مع دم من الدماء . وكذلك المزاج التوافقي اللحني الايقاعي يقابل الدم آ ب الذي هو آخذ عام . وهو ذو حساسية متعددة الوجوه لا يعطي دمه الا من كان من زمرته .

هذه النماذج المزاجية الاساسية فطرية كالزمر الدموية المقابلة ، ثم تنضاف اليها نماذج ثانوية تنشأ عن التربية والتثقيف والكسب ؛ وربما كان لهذه النماذج الثانوية ارتباط بالزمر الدموية الثانوية المعروفة في الدم ولكن لما يتهيأ كشف هذا الارتباط .

وتشبه ليون بوردل المزاج بالمحرك والقابليات والاستعدادات الفيزيولوجية والعقلية بالالات . ولا شك ان المحرك اهم من الالات . وتضرب مثلا على ذلك الخطيب اليوناني ديموستن . انه كان ضئيل الاستعداد للخطابة ، ومع ذلك فقد بلغ فيها شأوا بعيدا نظرا لاندفاعه ومزاجه . اما اذا كان المحرك ضعيفا او غير كامل فان الاخفاق يقع بسببه .

وتتجاوز الباحثة ما لخصناه الى تبين ميول الرجال في اختيار زوجاتهم والنساء في اختيار ازواجهن فتعتمد على الاحصاءات الفرنسية المتهيئة لديها .

تلتمس نساء الزمرة (آ) التماسا عفويا رجال الزمرة (آ) نفسها كانهن يقدرن انهن لا يفهمهن الا هؤلاء الرجال . ويلتمس رجال الزمرة (آ) نساء الزمرة (الصفر) كانهم يرجون عند هؤلاء النساء عونا في مجال الانسجام مع المحيط الاجتماعي . ويلتمس رجال الزمرة (الصفر) نساء الزمرة (ب) وكذلك تلتمس نساء الزمرة (الصفر) رجال الزمرة (ب) ، ثم رجال الزمرة (آ) . ورجال الزمرة (ب) ونساؤها يلتمسون قريناتهم وقرناءهن من الزمرة (الصفر) . وعناصر الزمرة (آ ب) قليلة في فرنسا اذ تبلغ ٤ ٪ ولذلك لم يتوافر الاحصاء حولهم في مجال الزواج .

ثم ان العزبة تغلب عند نساء الزمرة (آ) ، فهؤلاء اقل النساء تزوجا كانهن لانطوائهن وقلة تفتحهن وخوفهن من قلة الانسجام تضعف سرعة زواجهن . ثم يأتي رجال الزمرة (ب) كانهم يرغبون في الاحتفاظ بكامل حريتهم . ثم يأتي رجال الزمرة (آ ب) .

ويغلب الزواج بين نساء الزمرة (آ ب) غلبة نسبية لقلة عدد هذه الزمرة ، ثم بين رجال الزمرة الصفر ، ثم بين رجال الزمرة (آ) وكذلك بين نساء الزمرة (ب) .

وقل ان يتزوج المطلقون والمطلقات مرة ثانية اذا كانوا من الزمرة (آ ب) او الزمرة (آ) ، ولكن النساء اللواتي من الزمرة (الصفر) سريعات الزواج بعد طلاقهن .

ولا يخفى ان هذه النتائج طريفة تفتح امام الباحثين سبلا جديدة . وهي ان صحت لا تنطبق في الغالب الا على المجتمعات التي حصلت فيها تلك الدراسات ، لان العزوبة والزواج من القضايا ذات الصفة الاجتماعية الشديدة ، فهما مرتبطان ارتباطا وثيقا بنمط الحياة الاجتماعية التي تستطيع ان تؤثر فيها من وجوه متعددة .

ثم تتجاوز بوردل مباحثها هذه الى تبين خصائص الشعوب ونفسياتهم بالاعتماد على غلبة نسب الزمر الدموية بعضها على بعض ، وتنتهي الى نتائج لا تخلو من طرافة .

على ان اهم من ذلك في علم الاجتماع واقوى اساسا وامكن دعائم قضية الزمرة الدموية Rh وما يتسبب عنها من عقم في الاسر او بعض امراض تصيب الاطفال .

الزمرة Rh

كشف هذا العامل سنة ١٩٤٠ العالمان الامريكيان وينر Wiener وبترز Peters في دم القرد المسمى Macacus Rhesus وفي دم الانسان ايضا . وهو منتشر بين الناس بنسبة ٨٠–٨٥ ٪ فوجدوه في الدم او عدم وجوده يقسم الدماء الى زمرتين ، زيادة على ما هو معلوم من انقسام الدماء الى زمرها المعروفة .

ومكانة هذا العامل ان يفسر بعض الحوادث الطارئة عند نقل الدم المتكرر ، لان الدم المحقون اذا كانت كرياته تحوي مولدة التراص Rh استدعى حصول عامل مضاد هو ما يسمى بالجسم الضدي او الداحرة Anticorps في الدم المنقول اليه ان كان هذا الدم خاليا من تلك المولدة . فالنقل يتم بسلام في المرة الاولى ، ولكن تكرره يجعل الجسم الضدي او Rh السالب المتكون في دم الاخذ يستدعي تراص كريات الدم المحقون . وكذلك يستطيع هذا العامل ان يفسر بعض طوارىء الحمل المتكرر عند الامهات الحوامل ، وبعض امراض المواليد كاليرقان حال الدم الاسري Ictère hémolytique familial وذلك اذا كان دم الجنين يحوي العامل Rh وراثة عن ابيه ، على حين لا يحوي دم الام هذا العامل ، فان الحمل الاول والولادة الاولى عندئذ يقعان سليمين . ولكن يتكون في دم الام الجسم الضدي او الداحرة او العامل Rh السالب . فيؤثر في دم الجنين الثاني والثالث والاجنة الردافي ، ويبعث مرضهم وفقر الدم عندهم . ولقد تقدمت دراسة العامل Rh في السنوات الاخيرة وميزت انواع مختلفة منه .

ويعالج مرض المواليد الاطفال هذا بتغيير دمائهم واستبدال دم جديد معين بها ، وهكذا يمكن انقاذ الوف الاطفال كل سنة بتقدم البيولوجيا وفروعها .

هذا العامل ينذر اذن بخطر الزواج عند اختلاف الدماء من هذه الوجهة . ولذلك ينصح للخطيبين الراغبين في الزواج والانسال ان يعمدا الى فحص دمائهما هل هي متفقة في هذا العامل فيقبلا على الزواج ام هي متفاوتة فيفكرا فيما هما عازمان عليه . على ان الذي يضعف خطر هذا العامل قلة شيوعه بين الناس (١٥–٢٠ ٪) فيكون احتمال التفاوت بين دماء الزوجين ضئيلا بوجه عام .

حقا ان العلم في العصر الحاضر اصبح شديد الشبه بالنهر الزاخر العظيم يزداد اتساعه وحفوله مع الزمان كلما ازدادت روافده وكثرت الغدران التي تتصل به وتنتهي اليه .

الجامعة السورية بدمشق — عبد الكريم اليافي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حنين وذكريات

ارسلت هذه القصيدة ـ منذ سنوات ـ الى رفيق الصبا الشاعر كنادي وهو مقيم بالاسكندرية قبل هجرته الى جدة وذلك ردا على خطاب له أثار ذكريات عزيزات .. فاليه في وطنه الجديد .. هذه الابيات ...

أيها الشاعر المقيم على الشط حنانا .. فلست بالمتناسي
أنا في بلدة المعز غريب يقطع العمر باكي الاحساس
ضائعا في الدروب يطوي مآسيه ويمضي مغنيا للناس
واللحون التي بجنبيه جفت والبقايا تجود بالانفاس
والزمان الغشوم هدّم مغناه وألقى عليه ظل المآسي
فاذا مر حاقد يتشفى لم يجد غير وحشة الارماس
وعهود تجعّدت في الزوايا كبقايا فؤاده الحساس

★ ★ ★

أيها الشاعر المقيم على الشط حنانا ... فلست بالمتناسي
قد أهجت الحنين للرمل والموج .. وصفو الضحى .. وسحر الاماسي
في طريق موشح بأصيل يترامى على « أبي العباس (١)»
طالما سرت يا رفيقي فيه ومعي قلبك الكبير المواسي
نقطع الصمت بالقصيد ونبني من خيال الصبا الجبال الرواسي
ونهد الوجود حينا اذا شئنا ونبني الدنى بلا مقياس
ويعيش الطموح ريان بالمجد وينمو بروحنا كالغراس
وافترقنا .. فحال صفو لياليا وأضحت كئيبة أعراسي
أنت في شطنا الحبيب وقلبي مستكين الى يد النخاس !

(١) مسجد الامام ابي العباس بالاسكندرية .

القاهرة

كمال نشأت
من رابطة النهر الخالد

قصة قصيرة

بالرفاه والبنين

بقلم احمد عويدات

« ليس سعيا وراء الخلود ما يجعلنا خالدين ، ولن نصبح قيما مطلقة لننتقل من قرن الى آخر بمجرد ان نعكس في مؤلفاتنا بعض المبادىء العارية وكثيرا ما تكون فارغة وعديمة النفع ، بل لاننا نكون قد عارکنا عصرنا بملء عواطفنا وبملء عواطفنا احببنا هذا العصر وارتضينا ان نغنى فيه بكليتنا . » جان بول سارتر

*

لا تسلني كيف علق بها واستجاب لهذا النداء العاطفي في نفسه ، حتى اذا حاول ان يستجلي هذاالنداء كان طيفها ـ طيف نعمت ـ اول ما طاف في تفكيره فدغدغ قلبه وهيمن على كيانه واستحوذ عليه الساعات والليالي وكان له الانيس الدائم والرفيق الباسم في روحاته وغدواته في خلواته ومشاغله في راحته وتحصيله

وانه لم يعلق بها وحسب ، بل يخيل الي ان كل ما في هذه الدنيا من امتداد وانطلاق قد انحسر وتضاءل (وما قيمته !) ليتجمع حولها وليجدل لها ضفائر الآمال الخضر يتذوق النعيم في لقائها وتشد عزيمته بفكرها وتعطيه رواء وانهارا دفاقا بحيويتها .

ولكن ما ان يأنس الى نفسه قليلا وتفارقه هذه الاشواق وتلك الشموع ويحاول بفكره (هذه المرة) ان يستشف ما يدور وراء هذه العاطفة او يخلو الى منطقة لما تطلها هذه الاخيرة بعد ، بل تتربص بها ، شعر صاحبنا فريد بهزة في كيانه مصدرها التفكير لا الاحساس والعقل لا الرغبة . واكثر ما تعتريه هذه الهزة وهو راجع وحده قبيل منتصف الليل والشارع هادىء حالم الا من وقع خطوات بعيدة الصدى أقرب ما تكون الى الايقاع .. وفريد بهذه الخطوات الوئيدة التي ترتبط مع تفكيره الى حد كبير ، يعترضه دون الوصول الى نعمت حجر ثقيل ...

اما هي ـ وثق اني لا اخترع لكوني رجلا يتكلم عن فتاة ولن احاول أن استنبط ذلك من الدراسات النفسية الحديثة اذا قلت لك بانها رأت فيه الفارس الذي لبى ما فيها من رغبات وجموح ـ فقد اعجبتها فيه قامته وان لم تفصح عن ذلك ، وسحرتها تقاطيع وجهه التي تنم عن عزم وثقة ، وما هذان الخطان في طول جبهته ، تماشيهما احياناخطوط اخرى الا لتضيف الى الاعجاب والسحر هذين نوعا لا استطيع وصفه الا بنضج الرجولة ، هذه الرجولة التي تنشدها المرأة باقوى عبارة وتساوم عليها احيانا بكل ما يزخر فيها من جمال وعفة وشباب . وهذا الشعر الكث المنتفش ، في قساوته وفي تلمس قساوته ما يدخل الزهو الى نفسها ويغذي كبرياءها . وهذا الصوت ، ما اكثر ما تراءى لنعمت حقيقة واقعة وهي في غرفتها بعد نصف الليل تسامر النجوم في طيف فريد .

ـ نعمت ! لو كان لي ان اصوغ لك الكلام الذي اعتاد عليه المحبون والعاشقون لفضلت ان لا ابوح بشيء . ولكني .. آه لو تعلمين اني افضل ان إعبدك على ان اقول احبك ! وان افنى فيك واذوب بكل جارحة تنبض وكل بارقة تبدو وكل اشارة يكون مصدرها هذا الجمال (أعلمي انى اريد ان ارفع رصيد لفظة الجمال حين اتحدث عن جمالك) ، وان هذا الجمال ، جمالك يا نعمت ، يمتد الى المستقبل مستقبلنا ، حيث نخلق معا سعادة هذا المجتمع ... وان هذه السعادة اعددنا لها كفاحنا ومهرناها بالصراع وقومناها بالصبر والعزم .. نعمت ! أحلف لك ...

ولكن نعمت تقطع الصدى متمتمة :

ـ فريد ! ارجوك ! لا تحلف .. ان قلبي يرتجف رعبا اذا حلفت .

قالت هذا وهي تتلفت واجفة ، وكأن انظارها تحاذر باب الغرفة الكبير . ولكنها عادت فانصتت الى الصوت الذي يأتيها من اعالي شجرة الاكاسيا ولما لم تسمع شيئا تابعت :

ـ أصدقني يا فريد .. أما زلت مصمما امام ...

وغام صوتها اذ تراءى لها ما يشبه الحديث الخفي او كأنها نفرت ان تقول في سؤالها : هذه العراقيل ، فارهفت السمع جيدا لتتبين كلمة من وراء هذه النسمات الطرية المنعشة التي يمتاز بها خريف بيروت فوصلت الى مسمعها غمغمة لم تلبث ان فهمتها : ما زلت .. نعم .. ما زلت ... وغابت الغمغمة او لعلها ذابت في هذه الدفقة المتموجة من الاوراق التي تساقطت على الشارع او كأن الطبيعة يحلو لها احيانا ان تتلهى بعواطف البشر ومصالحهم وهمومهم . ولم تعد نعمت ليهمها من الطبيعة جمالها او هدوءها ـ وهي التي طالما احبتها ـ بقدر ما داخلها من النفور واللامبالاة .

ليت هذه الاشجار رفقت بنعمت فلم تحرمها من تتمة الحوار ... ولكن بئست هذه الطبيعة ! فها هي تعود الى سريرها وقد استخفها ما يشبه الجذل والطرب .. أما يحق لها أن تطرب وقد استجمعت من الطبيعة ذاتها صدى كلمات فريد .. هذه الكلمات التي سمعتها منه وهما يفترقان آخر الليل ؟.. وانطرحت على السرير . ولكن واآسفاه ما ان تنمست الوسادة لتطلب نوما مريحا

بين هذه الاطياف الحالمة حتى شعرت كأن راسها ، هي الاخرى . رصه حجر ثقيل ...

حجر ثقيل في طريق فريد ، وحجر ثقيل يرض رأس نعمت . وحجر ثقيل يجثم على صدري انا المؤلف !

فللكتاب مشاكلهم ايضا ... وان القارىء حين يراهم يؤلفون قد لا يفطن الى انهم يعيشون ... وان انفاسهم تتقطع وهم يكتبون ..

واني لن اكون اكثر خيرا لغيري ، واكثر تفانيا لاشخاص اذا ربطني بهم الصداقة والمحبة والمعرفة اعنيت فيهم نفسي واعطيتهم مدخورقوتي . كما اني لن اكون عاقا فانكر عطفي على نعمت ورثائي لفريد ، كما وقد اصبحت « صديقا » للطرفين، مدعو الى ازالة هذه الاحجار ... ولكن (اه لو حذفت هذه اللفظة من الوجود !) كان مما ليس منه بد ، فاحدث بسذاجتي ، وبدلا من ان اتبين اوضاع المجتمع الذي نعيش فيه فأمس ما يمس واتلافى « ما لا يمس » اذا بصديقي فريد يأخذني بما يشبه العنف ولا يرفق بهذه الصدمه فيضع امامي كوما من الاحجار الثقيله ويصرخ في وجهي بما يشبه التقريع :

ـ وانت ماذا تقول في هذه القضية؟

فلم اجب بل سحبت مجة طويلة من التبغ وانا احاذر ان ارى في عينيه هذا الضياء الصاخب. واردف بلهجة معتدلة :

ـ ستقول انها مشكلة عويصة.. اعرف هذا .. ولكني لست اعرف الى اي مدى تؤمن بضمان حلها .

لكم ارثي لفريد . انه كما يقولون متعلق باهداب الامل ، ولا يريد ان يتصور بله يوقن بضياع كل شيء ولست ادري كيف انطلقت من بين شفتي هذه العبارة الجافة :

ـ ليس لي اطلاع وافر على هذا لذلك من الصعب ان ابدي رايا حول موضوع لم اتناوله بالدرس اولا ..

لكم ندمت وتملكني الغيظ ان اتلفظ بمثل هذه الحماقات لانها في الواقع آلمتني قبل ان تؤلم فريد .. وعبثا حاولت ان اغير منها او اضيف عليها بان مجرد الحديث في موضوع كهذا يعد خروجا على العرف ،وان من يمسه من قرب او بعد مصيره ... وما ادراك ما مصيره ... ولم استرسل طويلا اذ ان فريد اجاب عليها بضحكه اطلقها . درجت مفعلة، ثم امتدت قهقهه حزينة وذابت بعد عشرات الثواني في تنهدات وهو يهز راسه ويضرب كف بكف : ادباء ! هولاء ادباء !!

وعاد الى كرسيه بعد ان عاد اليه بعض هدوئه . ولعله شعر بهذا البرد العميق الذي تجاوب في نفسي من وقع سيء لتهكمه وبانه اشتط في تحميل الصداقة فوق طاقتها ، فمال علي وراح يقول ملطفا تهكمه ويداه تشاركانه في الحديث:

ـ كنت اظن ان مثل هذه الاجوبة وقف على السياسيين فقط .. اذ لم يعد مستغربا من الشخص اذاكان مرشحا للنيابه مثلا ان يشحن برنامجه بنقاط يبدؤها : اولا وثانيا وثالثا .. ولو حاولت ان تدرس هذه النقاط تبين لك في جوهرها ان ثانيا لا يختلف عن رابعا ورابعا لا يختلف عن عاشرا ... حتى اذا جاءه اليوم السعيد كان النائب نفسه صاحب البرنامج الضخم اول من انكر على نفسه مثل هذه الترهات ! وتراه حينئذ يردد عند كل مسألة عبارته المعهودة : ننظر في الامر ! او ندرس القضية !

وسكت لحظة بعد ان حزت في نفسي عبارته الاخيرة وهو يصوبها نحوي كالسهم الحاد : « ندرس القضية » او « لذلك من الصعب ان ابدي رايا حول موضوع لم اتناوله بالدرس اولا » هما سيان ، ومع ذلك فقد تكون الثانية اخف ثقلا واقوى تعبيرا من الاولى ، كما انه قد يكون فيها ايضا ما لا يحمل على التشجيع لايجاد حل .. ومن هنا فعبارة الرجل السياسي اقل تشاؤما من عبارتي ..

وساد هدوء قصير قطعه فريد باعداد لفافة تبغ ثم مال يمينا ويسارا يفتش في جيب بنطلونه :

ـ معك عود كبريت ؟

فاسرعت واشعلت له العود بحركة لست ادري اكانت تكفيرا عن ذنبي ام ضعفا وخضوعا لفكرته ام تلبية لهذا الرصيد من الصداقة . وعب مجة طويلة في جوفه ، ولعله في تلك اللحظات كان يستجمع بعض الافكار اما انا فقد اصابتني دهشة غريبة الوقع تجلدت لها وحرصت على ان لا يبدر مني راي طائش بعد هذا وان انحفظ لدى اي اقتراح .. بل قلت في نفسي . الحجر الثقيل نفسه الذي حدثتني عنه نعمت منذ ايام !

اذا اعطيت مفتاح غرفة مهجورة ، عريقه في القدم ، وكان لزميلك او لصديق ثم مصلحه مباشره في الدخول . امن الحكمة ان تكون انت اول الداخلين من الباب المرصود ؟

لذلك لن اكون اكثر حيرا لفريد واكثر تفانيا لنعمت في ان اكون كبش الفداء ، بل همست في نفسي: لو عالجت الموضوع من احد اطرافه لتمكنت على الاقل من الانحراف بالحديث عن « المقدسات » وطرق الباب المرصود فاقول له مثلا : انت يا فريد تحب نعمت ، ونعمت تحبك هذه واحدة . وجميل ان يكون هذا الحب ثمرة استمرار في الوفاء والتقدير والاحترام ، واجمل منه ايضا ان تنشأ عنه رغبة مشتركة في الزواج ولكن هذه الرغبة لا تلبث ان ترتطم هنا بحاجز هائل . فانت يا فريد لست من مذهب نعمت كما ان نعمت ، بطبيعة الحال ، ليست من مذهبك . انت وان تكن ذا ثقافه وعلم واخلاق ، فعائلتك ، واسمح لي ان اقول هذا التعبير ، تشمخ بالتقاليد وترى فيك الخلف الطيب للسلف الصالح . ونعمت ، وان تكن ربيت في جو غربي حديث فاستبعد ان يكون ابوها النائب غبيا في ان يفقد مؤيديه وانصاره في مهنته النيابية . وانك يا فريد لم تعط مثلك اعلاه عن ـ الرجل السياسي ـ بالذات الا لانه يتصل بك اتصالا مباشرا عميقا وهذا ـ اذا فهمت ـ اول راي تصدره عن والدها واسجله عليك .

كان فريد ينظر الي بين حين وآخر وكأنه يقرأ في وجهي ما يجول بنفسي من تأثير هذه الصورة التي جمع فيها الرجل السياسي والاديب : الاول في شخص ابيها والثاني في شخصي . وما من شك بان نفسه قد اترعت بهذا النصر الذي احرزه فداخله من الظفر ما خفف من لوعة مصابه وواقع حاله ومن الزهو والفرح الصبياتي ما يدخره لحديث شهي يرويه على نعمت في الموعد المقبل . ولا شيء أصدق وادل على الاجابة ،

اذا كانوا كنعمت وفريد ، من تبادل الاخلاص ورواية الاحداث اليومية وكل ما من شانه ان يتصل بهما او يقف عثرة في سبيلهما حتى ولو كانت هذه العثرة من اقرب الناس اليهما . ففريد لم يحف على نعمت تبرمه باهله ، ونعمت لم تكن اقل سخطا على ابيها . وعائلة فريد كما هو الواقع ليست اقل تمسكا بالتقاليد والعادات والعرف من فؤاد بك . لذلك ما ان اجتمع الشابان مرة في الشهور الماضيه الاخيرة الا وكان حديث الاهل العقبة الكاداء في سبيل سعادتهما. وانهما ليعلمان حق العلم ، بل ان الزمن اكد لهما انه بعد ان تعارفا وكانا في مدرسة واحدة وبعد ان تفتحت عاطفتهما اثر نجاحهما في شهادة « البريفه » في دورة واحدة ايضا ، انه قد آن لهما ان يواجها المستقبل بخطى ثابتة ،وان يتبينا مصلحتهما على ضوء ما ينبع في نفسيهما لا على ما اعتاد الناس ان ياخذوا به .

ولكن مهما يكن من ثقل هذا الحجر الكبير الذي يعترض فريد دون الوصول الى نعمت فلا بد من الاشارة الى ان لنعمت عليه سحرا عجيبا فما هو ان تذكر انه سيلقاها مساء اليوم ، على الرغم من التوعد والوعيد الذي يلقاه الاثنان ، حتى داخلته نشوة جديدة وتحفز لانتصار جديد فاطفا اللفافة ولما يصل النار الى وسطها باصابع دقيقة بدت عصبيتها خفيفة:

ـ قد تعجب اذا قلت لك باني لم اتخصص في الهندسة المائية في اوروبا الا نزولا عند رغبة اهلي . واعتقد انه لو كان لي حرية التصرف وفق رغبتي لتابعت التصوير الزيتي اذ ان لي ميلا غريبا لهذا الفن . ولعل نعمت هي التي غذت في هذه الرغبة ـ واني ما زلت احتفظ بلوحة صورت فيها نعمت بعد شهادة البكالوريا ـ اقول هذا لتعلم اني لست كهؤلاء الكثيرين اللذين اذا تخصصوا في ناحية ما اهملوا النواحي لاخرى . ولم اطلع نقط على اتجاه التصوير الحديث بل انني سايرت المسرح والسينما والموسيقى حتى السياسة. وما كنت ادع فرصة تفوتني لاحيا واعب واشبع نهمي في مختلف ميادين الثقافة والمدارس الفكرية حتى اني فهمت بيتهوفن ليس من رجال الموسيقى وحفلات الكونسير وحسب بل من رجال السياسة فقرات لريس مجلس النواب الفرنسي ادوار هريو موقفه العيم عن بيتهوفن.

وتوقف لحظة سرعان ما تابع مستطردا :

ـ والان ما هو الدور الذي ينبغي ان تقوموا به انتم معشر الادباء ، بل اني لا احب الادعاء ولست من اهله ولكن هذا لا يمنعني من القول اني لا اجد كتابا واحدا يعالج متسحه من مشاكلنا ... مما يضطرني الى قراءة الكتب الاجنبية وهذه على الرغم من ميولها صدقني انها اقرب بكثير الى اظهار حقيقتنا بعيوبها ومحاسنها من الادباء الذين يعيشون بين ظهرانينا. ما هو الادب عندنا ؟ ما معنى ان الادب ينبض عن الحياة ؟ لكم ارثي لهذا الذي يقول اني اصور الحياة بنبضاتها ، او يقول لك : اني اعب من الحياة فهي ينبوع الادب الفياض ! كان احدا من البشر يعيش في غير هذه الحياة ؟ او كان احدا من الناس لا يحس ويأكل ويتالم ويسهر ويطرب ويرقص ويغني ؟ اليست الحياه في كل مكان ؟

بديهي ان صوته لم يكن هادئا بل كانت الالفاظ تتطاير شظايا من بين شفتيه وكيانه كله يشترك بهذه الانفعالات . وكان مقعدي ضاق بي فحملت نفسي واقفا لانهالك على مقعد آخر بالقرب من فريد . وما ان اصبحت على يساره حتى مال الي طامعا بصمتي واصغائي واردف :

ـ اننا نتكلم في الفضاء ، فلنحدد اذا شئت : هل ان الاديب مصور متجول على ساحة البرج ؟ ام انه بائع زهور يضفر الاكاليل ام انه بوق ينفخ فيه ام انه درويش من الدراويش ؟

واسترسل فريد في موقفه فاخذ على الادباء قصورهم عن تصوير الحياة ومشاكلها وعلى الشرق هذا الجمود وهذا التسليم ، وبان الحياة غاضت : فسد هواؤها واسن ماؤها .. وخلص الى القول بان رسالة الاديب الحق في ان يغوص في اعماق هذا الينبوع العكر ليستأصل اوساخه وقذارته ، وان السياسي قد يخلق دولة ليتربع في الحكم ولكن على الاديب وحده خلق الوطن الموحد . وحتى لا يكون حديثه موجها فقط الى مشكلته الخاصة عرج على : اني اعب من الحياة فهي ينبوع الادب الفياض ! هذه العباره التعليديه التي يرسلها نفر من الادباء فنافشها ووسم اصحابها بالجمود والاذعان ولم يرفق بقانليها فرد عليهم وهو في اوج اندفاعه :

ـ اني لا اريد ان اكون مدينا للحياة فاعب منها دون ان اعطيها !

وخلت ان قبضة يده هي التي تتكلم وهو يلفظ : دون ان اعطيها ! فجاءت قوية فخمة عنيفة ، ولم يستطع فريد مع كل هذا ان يخفي وراء هذه العبارة ما يتصل بمشاكله الخاصة ولو انك استطعت ان تنفذ الى اعماقه في تلك اللحظة لسمعته يقول :

« ان في نعمت حياتي او موتي . لم اعرف من الدنيا غيرها ، بل تفتح شبابي على الدنيا بفضل بسمتها . فاي معنى لوجودي اذا حرمت من دنياي واية نعمة تعدل نعمت ؟ بيد ان مذهبينا يفصلان بيننا ...

وكانه لحظ على شفتي تتحركان ، او خيل اليه ما يحوم بنفسي فتابع :

« ماذا ؟ تقول ان هناك احتمال ؟ ان اعتنق مذهبها او احملها على اعتناق مذهبي ؟ من قال لك انها لا تتزوجني الا بدافع الشفقة ؟ من قال اني لا اتزوجها الا بدافع الرثاء ؟ لا لا ، هذه مساومة وليست تضحية ولا اريد ان اعرف لهذا الحب غير التقدير .. نعم يبدو لك اني يافع طري العود ، ولكن اعلم اني استطيع ان اخلق بيتا ، اكون مسئولا عنه ، اعيله واحنو عليه ، واعلم اني اعرف كيف اواجه حياة الواقع . وانني الآن باق في وظيفتي بناء على رغبة الحكومة التي انتدبتني لتمثيلها في مؤتمر المصالح المائية في اوروبا ، ومن ثم سوف ازاول الاعمال الحرة اثر انتهاء المؤتمر .

وشعرت كان الالفاظ تخرج حائرة من بين شفتيه :

« اهي خطيئة ابدية هذه التي جعلتني اولد من ابوين ليسا من مذهب اهل نعمت ؟

ويبدو ان فريد قد اصيب بخيبة عميقة لهذا الصمت الذي تحصنت به فحار في تعليله على الرغم مما ضمن حديثه من غمز وتعريض بالادباء . ولم يمكث طويلا بعد ان رأى من صديقه وجها لم يألفه . وما ان رأى العقرب

الصغير يتجاوز السادسة مساء حتى هب من مكانه فتحركت معه وما ان وصلت واياه الى باب الغرفة الذي يطل على الدرج حتى ربت على كتفه :

ـ فهمت كل ما يجول بنفسك .. واني سررت لزيارتك لي كصديق ، واستمعت الى آرائك وان لم اناقشك بها وقد سمعت من نعمت ما يشبهها منذ اسبوع .. وها ان موقفي منك لا يختلف عن موقفي منها فاليكما الآن اقول : لا تطمعا مني بنصيحة فما انتما باليافعين !

ودون ان يجيب بكلمة نزل الدرج وما ان وصل الى وسطه ودار على يمينه في الطابق الاول من البناية حتى توقف لحظة قبالتي فحدجني بنظرة صامتة رددت عليها بابتسامة مستبشرة ولمبارة جاءت متكلفة على قدر اهل العزم ! وشعرت بثقل هذه « التعزية » تصدر عني بعد ان كان مني ما كان فحاولت ان اضيف شيئا آخر ولكن بعد ان رج الباب الكبير كان الصدى يردد معي بحزن ولوعة :

ـ تحيتي الى نعمت .

* * *

ـ فريد !

ـ نعمت !

وطبع على يدها قبلة ملتهبة امتد شوقها الى وجنتيه وان بدا ما يشبهه على وجنتيها ، وصبغ الاحمرار وجهيهما فلاذا بالصمت : افصح بيان لن يجد العاشقون تعبيرا أجمل منه . وفاض بشر فريد فتناول بيديه يديها واجلسها قريبا منه في الزاوية نفسها من المقهى التي اعتاد الاثنان ارتيادها منذ الصيف الماضي . وانك قد تعجب كيف يبرح الشوق بفريد ونعمت ولما يمض على لقائهما الاخير غير يومين فقط فتقول انه الهيام ، وقد يكون ذلك حقا ، كما انه ليس ببعيد ان تتربص بهذا الشوق طبقة غائمة من الهموم كالدودة الصغيرة في قلب تفاحة جميلة لا يرى الناظر منها شيئا . ومن حسن الحظ ان الناظر هذا هو خادم المقهى الذي يقوم بخدمتهما كل مساء ويحترم هيكل العشاق . اما فريد فقد احس كأن شيئا وخزه :

ـ نعمت ! ما بك ؟

ـ لا شيء يا فريد ..

ـ هل تشعرين بالبرد ؟ اغلق النافذة ؟

ـ لا . لا .. اني اسمع صدى الامواج !

ـ ان يديك ترجفان يا نعمت !

ـ اني .. آه .. لا تذهب الى النافذة ، ارجوك .. اقترب مني يا فريد . اريد ان اشعر اني لست وحدي وانا اسمع صدى الامواج .. اني .. خائفة ! !

لفظت العبارة الاخيرة وكأنها خلاصة ما يضطرب في نفسها من اخذ ورد واقدام وخيبة . وراع فريد هذا الصوت الذي يحمل في طياته ، فوق الاسى والحزن ، الخوف على الاقدام باعمق معانيه .

ـ مم تخافين ؟

قالها فريد وقد حضن يديها الى صدره وراح ينظر اليها كمن يحصي عليها انفاسها ويسجل على وجهها ادق النبرات . انه وان يعرف موضوع الحديث الا انه لم يعرف بعد ما يدور في ذهنها وما يخبئه له يوم البارحة وهذا النهار ـ الوقت ما بين اللقائين ـ لذلك ران اليها بسمعه بعد ان صاغ السؤال بصورة لمس فيها مبعث ترددها :

ـ ما الذي يخيفك ، تكلمي !

وضمت انظاره عنقها فوقعت عند اعلى صدرها لتتدرج متمهلة فوق هذه الخفقات التي يرى الان ، ولاول مرة نبضاتها .

ـ آه .. فريد .. ارني عينيك ! قل لي : لم تحبني ؟

ـ هه ! سؤال طريف

اتبع جوابه برنة اهتزت لها حاجباه وارتسمت لها خطوط جبهته .

ـ اجبت هكذا ؟

ـ آه .. نعمت .. ارني عينيك ، لا ، هكذا ، وحرك صدغيها باصابعه، اجيبيني : لم احببتني ؟

فأجابت بصوت كالضياء .

ـ احببتك لانك غلبتني .. غلبت في التقاليد العشيقة التي يأخذ بها والدي والتي لولاها لما صلحت له النيابة .. وغلبت في التربية التي حملتنيها عادات خالتي وعماتي ولما كنت اقرب الي من هذه التقاليد وتلك العادات ، واصلح فتحت لك قلبي ..

اترى استطاع فريد من هذا الجواب ان يتمثل ما جرى البارحة وهذا اليوم بين نعمت ووالدها . كل ما يعرفه فريد قبل هذا الموعد ان فؤاد بك والد نعمت تملكه الجزع والخوف والهم الى حد كبير . فهو لا يفرط قيد شعرة فيما يسميه « شرف العائلة » حينا و « حرمة التقاليد » حينا اخر ، ثم انه من ناحية اخرى يحب فتاته الوحيدة . وانه وان اختط ما اختط من مبادىء ومثل واتجاه فان سعادة ابنته ورفاهيتها قد تركتا تأثيرا كبيرا في وجوده . بل ان السعادة والرفاهية هاتين قد اخضعتا كثيرا مما يأخذ الناس به على صعيد المجتمع . فالوطنية وحب المبادىء والخدمة العامة والتغني بالرسالات و.. الخ . سخرت كلها الى حد كبير لضمان سعادة نعمت ورفاهيتها . ولا تنتظر مني ان اغدق على فؤاد بك المديح او اشوه شخصيته بتجريده من اية فضيلة او ان انال منه لهذا الموقف الذي وقفه من ابنته . فهو بعد ذلك حر ان يتصرف كيف يشاء ثم انه لن يكون للمجتمع قبل ان يبدأ بتدعيم نفسه وفرض هيبته . وهاتان الاخيرتان لم يقم بهما عن طريق نبيل غير الانبياء . فلا تطلب اذن من فؤاد بك الافق العريض الرحب اذا كان يدب دبيبا في محيطه ويتهالك وراء اطماعه شأن الانسان الابتدائي .

وما دام ذلك كذلك فحذار ان تطلب رأيه في الشبيبة ورأيه في الاجيال الطالعة ورأيه في المصير الذي سوف ينتهي اليه ابناء عشيرته (كدت افضل ان اضع بدل عشيرته: وطنه !)

ولكن هل الذنب ذنبي اذا كان له فتاة ؟ وهل الذنب ذنبي ان تحب ؟ وهل ذنبي ان لا يأخذ الفتى بالطقوس نفسها التي تحملها هذه الفتاة في دفتر هويتها ؟

لئن كان للحب روافد تغذيه كالمال والحسب والنسب او القوام الجميل او الجاه العريض فاعيذك ان تكون اعطيته تعريفا او حذار ان تظن ان للحب تخوما يمكن ان يعصف بها . فها هي نعمت تزداد حبا وهياما بفريد والاثنان يعلمان ان حياتهما تبدأ من الصفر كما يقول المثل الفرنسي .. وها هو فريد يتيه فخرا واعتزازا بنعمت اذ ترضاه بما يزخر فيه من رجولة وذكاء وداب وطموح ، هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفات التي رجحت على التقاليد والعادات التي حملتها نعمت ...

وحاول فريد ان يتكلم فانبسطت اساريره .

ـ ... وانا لم اقل لك بعد لم احببتك بدأ جملة متئدة وكأن تعتعتها النشوى . ولم يسترسل حتى اجابته مقاطعة :

ـ اعرف ماذا ستقول .. لا حاجة لترديده .. انبهك ان لا شيء يؤلمني كالاعادة على نغم واحد .. وقد احسنت بانك لم تجب حين طرحت سؤالي .. فلا داعي للقول ...

ولاول مرة يختلط الصوتان في آن واحد اذ ان فريد لم تقنعه حجتها بل كان يتابع بدوره معترضا : ـ لا .. لن اقول : احببتك على الرغم من تهديد ابي بحرماني من الميراث او ان والدي اشترط للزواج ان.....

.

ما من شك بان فريد ونعمت اساءا ادب الحديث . فلا هي استمعت اليه ولا هو افصح ولا السامع وانا فهمنا من امرهما ما ينبغي ان نسمعه . ستقول انها نقطة حساسة على المؤلف ان يضع عليها النقاط فاجيب بأن ليس على المؤلف أن يضع الملعقة في فم المعافى .. وحسبه من هذه النقطة الحساسة هذه الخطوط القصيرة .

لنعد الى نعمت وفريد وانهما الان يتربعان في قلبي انهما يضحكان ويسترسلان طروبين في مناجاتهما . عجبا كيف ان الحب ، على عكس ما يشيع عنه ، اذا ما اوتي سلاحا صادقا كفيل باجتراح العجائب وانه اذا امتحنته الحياة اليومية ليبدو اقوى مراسا واشد باسا مما تعارف عليه بعضهم . ففريد مع ما قدمنا عنه من شغف وهيام بنعمت يقف في طليعة الاخصائيين في عالم الهندسة المائية وها ان الحكومة تجد نفسها ـ على الرغم من التأثير المعادي الذي يقوم به فؤاد بك ـ مضطرة الى انتدابه لتمثيلها هذا الصيف في امستردام . وان اخلاصه في العمل للدائرة التي يشغلها والتي ساعدت الى حد كبير في تيسير الرفاهية وخففت من حدة البطالة بين العمال عما يرضي ضميره وينال سكوت رؤسائه ان لم يكن عطفهم وتشجيعهم (لان فؤاد بك بالمرصاد لكل ترقية يستحقها فريد) .

واما نعمت فان طيف فريد لا يفارقها لحظة : ففي المدرسة تحرص على انماء الالفة والمحبة لخلق جيل موحد في وطن تساهم في توحيده بفضل هذا الحب . وفي البيت تنزوي في غرفتها المطلة على الشارع تتأمل شجر الاكاسيا وقليلا ما تختلط بالزائرين : اصحاب المصالح وانصار والدها في المنطقة التي فاز فيها بالمقعد النيابي .

وطالت بهما المناجاة ، فراحا



يستعيدان ايام الدراسة الثانوية وايام الصيف من كل عام حيث كانا يتمتعان من وقت لاخر باوقات لذيذة منعشة على شاطىء البحر ، وتلك الفترة التي قضاها فريد في باريس لاتمام تخصيصه .. وما اعطت لكل منهما من رسائل غنية في شتى النواحي وفي معالجة كثير من القضايا التي تحول دون توحيد الجهود وبناء جيل مواطن .

والتفتت نعمت الى فريد وقد عاودها شعور الخوف وتنهدت اذ تذكرت هذه الصرخة التي اخذها بها والدها مساء البارحة وهم على المائدة : حطم فؤاد بك كوب الماء وقذف بصحنه الى الزاوية فاصطدم بكرسي قديم وترك المائدة حانقا بينما انزوت نعمت في غرفتها لا تأتي حراكا .

اما قلت لك ساعة دخلا المقهى كانت تتربص بهما طبقة غائمة من الهموم ؟

بدأت نعمت وكأنها تخاطب نفسها:

ـ نحن الان في اوائل نوار .. انت ذاهب الى المؤتمر في...

ـ ٥ حزيران على الاكثر ويفتتح المؤتمر في العاشر منه ..

ـ اذن .. ستبقى ثلاثة اسابيع في امستردام ...

ـ امستردام بلد النرجس والاقحوان ـ التوليب ـ

وتطلعت اليه كالمجفلة وقد شابها حزن ولسان حالها يقول : وماذا بعد كل هذا ؟ ماذا تنتظر ؟ اكلمك عن المدة فتذكر لي التوليب ! وادرك فريد هذا الشعور فبادر بقوله وهو يحضن يدها كمن يعتذر :

ـ نعمت ! انها تجربة قاسية نمر بها . اني اقدر موقفك واشعر بما يراودك من حيرة ويأس وما تلقينه في البيت من صعوبات . ولقد تحملت مثلك هذه الصعوبات وانا مع اهلي حتى فضلت اخيرا ان اسكن بعيدا عنهم . بيد ان ما قمت به انا لا يبرر ان تقومي بمثله فضلا عن اني لا ارضاه لك .. ان هذا « السراب » الذي يتحدثون عنه هو حقيقة يا نعمت !

قال الجملة الاخيرة بنبرات عصبية حادة ثم اعتدل قليلا :

ـ ... لا اكتمك اني بعد رجوعي من المؤتمر ساترك الوظيفة .. واني ساغتنم فرصة مروري بباريس لاتعاقد شخصيا مع بعض المؤسسات واتصل راسا مع زملائي الاخصائيين في الري وانعاش التربة .

وسكت قليلا وكأنه يغالب في نفسه امرا ما فاحب ان يستريح من هذا العبء الذي يثقل على كيانه :

... اعاهدك باني سأبقى امينا لهذه الفكرة التي نسجنا خيوطها بامالنا العذراء .. واني في سبيلها لن .. اتوانى ، اذا كان لا بد من النزول عند طلب ابيك وقبول ما « يشترط » للزواج منك ! ..

اسند رأسه الى يده . وساد سكون .. اندم على ما تسرع به الان ؟ ام انه ادرك سر هذا الموقف الذي وقفته منه اثناء الزيارة التي هاجم بها الادباء في شخصي ونعى عليهم القصور الفادح ؟ ام انه يستعيد الان ما خاطب به نفسه امامي وهو يقول : « من قال انها لا تتزوجني الا بدافع الشفقة اذا اعتنقت مذهبها ؟ لا ، لا هذه مساومة وليست تضحية ولا اريد ان اعرف لهذا الحب غير التقدير ؟

لندع فريد في شروده .. نعمت ايضا ؟ ما بها ... تبكي ؟

انها تشرق بالدمع محاذرة ان لا يراها فريد او خادم المقهى ! !

* * *

من الانصاف ان لا نظلم فؤاد بك بانه يضيق الخناق على وحيدته وهو وان كان يتجه في سياسته الى الدفاع عن حقوق « الطائفة » صغيرة كانت ام كبيرة والى التمجيد بالسلف الصالح والسير على ما تركه من مآثر وبركات ... فهو لم يخلص لهذه السياسة في حياته الخاصة بل نحا منحى آخر ولم يظهر اثر تلك الا في المناورات البرلمانية لتقاسم الوظائف والمنح وعطايا الشركات وهذا خبزه اليومي ...

وقد يكون لفؤاد بك من وراء هذا شخصيتان : فهو في الوقت الذي يبارك التأخر والبلاهة والامراض (او حياة التقشف والبركة كما يسميها بتعبيره اللبق) نراه لا يحجم عن الاخذ باسباب الحضارة والرفاهية في مسكنه الانيق الحديث او في الثقافة الغربية التي ارتضاها مختارا لفتاته . ولن نذهب بعيدا في تحليل هذه الشخصية فليست من التعقيد بحيث نرجع الى قواميس علم النفس وما فؤاد بك هذا الا كذلك التاجر الكبير الذي اذا ما تسلم مقاليد وزارة (ولنقل وزارة الاقتصاد وما دام المشبه به تاجرا) كان اول ما فعله ان منع اجازات التصدير والاستيراد لا عن زبائنه ... او كوارث الجاه : المشيخة او البكوية الخ... فلقن بعض التعابير الجميلة التي تأتيه من اليمين والشمال عن الكفاءات او الصالح العام او ... الخ...

وهو حين كان يدعو الى حياة البركة والقناعة اتاح لنعمت ما حذر عليه رفاقا ورفيقات لها . هذا ولن ننسى ان نسجل على فؤاد بك ظاهرة نتريث في تحديدها : كيف نفسر موافقته على دخول نعمت في مدرسة تبيح اختلاط الاناث والذكور ، والقسط الاكبر من برامجها يتناول الدروس الغربية ، مع ما عرفنا عنه من تمسك بمآثر السلف وبتقاليده ؟ وان عرفنا تفسيرا لهذا لم نعرف الحكمة من اغضاب شقيقاته اللاتي كن يظهرن نفورهن ويحملنه الكثير من التقريع واللوم وكن يعزون حب نعمت لفريد (رجل من غير مذهبها !) الى ان الكتب علمتها ذلك ! كان من الطبيعي اذن ان لا تطيق نعمت عقلية عماتها وقد جردتها كل فضيلة لانها لا تأخذ بما يأخذن . وما دام لكل مزاجه الخاص وعقليته التي تتنافر مع الاخرين فقد اصبح وكأنه الجحيم .

ولكن فؤاد بك (وهذه مأثرة اخرى) لن ييأس من صهر هذه العقد في بوتقة زعامته بفضل ما فطر عليه من سعة صدر واناة . انه رحب التفكير جدا ما دامت زعامته لا يطالها سوء ، وان حكمته قمينة ان توحد هذه الاتجاهات المتنافرة وهو الذي يرعى مصالح الناس ورايه الحكم الفصل بين المتخاصمين . فمن اولى منه بتسوية اموره الخاصة ؟

كل هذا حسن وجميل ، وان فؤاد بك لو تعلم لا يتمالك عن ابتسامة ساخرة حزينة كلما اصغى السمع الى شقيقاته العجائز فيطيب خاطرهن بكلام كأنه الصدق ، ولئن افادته الحياة السياسية بشيء فقد اكسبته التواضع والحلم.. هكذا قال لاخواته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهن يشكون اليه امر نعمت. وليس بخاف انه يحمل قسطا من التبعة وهو بينه وبين نفسه يعترف بانه تهاون فوق اللزوم حين كان الشابان في بدء تعارفهما ، واذا بالامر يفلت من يده الان بعد ان علم من امرهما ما علم . ولم يعد من القدرة بحيث يلجأ الى العنف بل رأى (في اللحظة الاخيرة) ان يشترط لزواج نعمت من فريد شروطا يرعى فيها « حرمة التقاليد » كما يزعم .

ولاول مرة يرتج صدر فؤاد بك حين يخلو الى نفسه وهو الذي لم يعهد مثل هذا الارتجاج حتى ابان المعمعات الانتخابية . يا لها من ساعة حالكة في حياته ، ويا له من موقف عرف الان خطورته . وليس لنا ان نذكر الان فؤاد بك موقفه لاشهر خلت اذ كانت البلاغة تتدفق منه وهو يهاجم الطائفية فيصفها بانها الداء الذي ينخر جسم الامة !

وشتان الان بين موقف وموقف !

بين ولي زعامة وتقاليد وبين ولي عائلة وبيت اصبح من حيث لم يكن يأمل وجها لوجه امام امتحان عسير !

ولعل اغرب من هذا وذاك ان فؤاد بك تمالك نفسه . فهو مع ذلك ليس بابن عشرين .. وان بات وجوده يتراقص فوق هذه الكلمات : زعامة ، انهيار ، فضيحة ، مأثرة خلود ! ولدى هذه الاخيرة ابرق وجهه بالعزم فارتسمت عضلات فكه السفلى وقرر ان يأتي شيئا ...

بعد دقائق كان يطرق غرفة نعمت والانفعال باد على وجهه وما ان اصبح قريبا من مكتبها والتقت نظراتهما بضع ثوان حتى اعتدلت حدته قليلا وكاد يذوب الانفعال وان لم تختف صرامة وجهه . وتعمد ما يشبه البشاشة . اترى تذكر حادثة المائدة منذ شهر فانكر على نفسه التهور وجاء الان يكفر عنها ؟ قطعا لا .. ولعل تصرفه اذ ذاك لم يكن الا دليلا على فرط اعتزازه لفتاته . وان الانسان تمر به لحظات ينسى نفسه فيأتي بما لم يكن يعهد منه .

وهم ان يتكلم فتردد قليلا ثم كمن لا هم له :

ـ ... اوف ! اقبلت بيروت على الحر .. آه من حر بيروت الذي لا يطاق .. بعد اسبوع نكون في الجبل .. اتعبتنا الحياة السياسية بما تفرضه علينا من زيارات وحفلات واجتماعات .. متواصلة .

وتهالك على كرسي بالقرب من نعمت ، ثم التفت اليها ليشركها في الحديث .

ـ كذلك انت قد تعبت هذا العام ، متى تقفل المدارس ؟

ـ هذا الاسبوع وتنتهي يا بابا .. واني الان اعد جدول الطلاب لتوزيع الشهادات في الحفلة النهائية .

ـ انت شغوفة بالتعليم ...

ـ آه ... كثيرا ..

قالتها بفرح وغبطة ثم اردفت

ـ لا شيء احب الى النفس من تربية هذا الجيل الصغير ورعايته

ـ هنيئا لك يا نعمت ..

وانفلت لحظة الى نفسه وكانه يقارن بين عملها وعمله .. بين ما تقوم به من اعداد النشء وبين ما يقوم به من الدبيب في الوحول . الا ان شفتيه تابعتا :

ـ سنرتاح هذا الصيف . آه ! اريد ان ارتاح ، ان انام .. ان انام ، عشر ساعات ، عشرين ساعة لا يدخل علي احد .. لا جرس تلفون ، لا ازعاج ، لا ضجة .. لا رسميات .. استلقي ساعتين بعد الغداء .. انام توا بعد العشاء .. افيق متى اشاء .. وستكونين معنا طبعا ..

ـ طبعا يا بابا .. ليس احب الي من تمضية الصيف في بيتنا في الجبل ، اركض بين الحقول واقطف العنب بنفسي قبل شروق الشمس .. آه ما اعذب ماء النبعة عند الظهيرة وبعد القيلولة .. كنا نتسابق اليها عدوا سلوى الخادمة وانا فنعب منها ..

كان فؤاد بك يستمع الى ابنته وقد داخل نفسه من الحبور ما جعله مرهف الشعور رقيق العواطف وفي هذه الفترة من الصفاء اردفت نعمت :

ـ سامضي فترة كبرى من الصيف في الجبل ولكن لا تنس يا بابا انك منذ الشتاء الماضي وافقت على ان ازور مصر هذا الصيف لمدة اسبوعين تقريبا .. وعلى هذا يا بابا قررنا رفيقاتي المدرسات وانا على ان نقوم بالرحلة معا في فترة قريبة .

انبسط وجه فؤاد بك .

ـ لم اخلف بوعدي يا نعمت ... على كل لن اكون انانيا .. والان اذا كانت رفيقاتك بحاجة الى مساعدة او توصية لتسهيل معاملة السفر فاني على استعداد وفوق هذا لي اصدقاء كثيرون في مصر توثقت بينهم وبيني المعرفة الى صداقة متينة اذ كنا نقوم معا بدرس مسائل سياسية مشتركة ونواصل اجتماعات عديدة . على كل ساكتب الى بعضهم حتى يسهروا على استقبالكن وانني متأكد انهم لن يتقاعسوا .

وهنا ارتج صدره مرة اخرى اذ تذكر ما اتى اليه ، ثم ما لبث ان ادرك بفكره ان المسألة لا تعدو ان تكون طفرة ثم تخبو ، او ان هاجسا ما هو الذي صور له فيما صور ان الزمن وحده كفيل بصرف نعمت عن فريد . ان فريد هذا في امستردام الان .. فماذا تفيد هذه الوساوس التي حملته اياها هذه العجائز ؟ ومد يده الى طاولة نعمت فتناول دفترا أخذ يتشاغل بتقليب اوراقه وهو يحدق النظر في وجهها من طرف خفي . وتبدد شكه فجأة فداخله ارتياح وان بعض الظن اثم ...

وعاود الكرة بعد ان عاودته الظنون ولما لم تسعفه كياسته بسؤال خفي عن فريد دار في الغرفة قليلا ولعله آثر ان يلقي السؤال عفوا خلال الحديث

ـ هل .. اعجبتك القصيدة التي نظمها ابراهيم مسعود في ؟ اذ يقول في مطلعها ... آه ! ضعفت ذاكرتي ! لقد قرأتها ولا شك .. واني احتفظ بها للتاريخ في الالبوم الذي اجمع فيه كل ما يقال عني في الجرائد سواء من المؤيدين ام من المعارضين . اما ابراهيم هذا فهو شاب موهوب فعلا .. وهو يلح الان لاقامة حفلة في بيته يدعو اليها وجهاء المنطقة على ان اكون ضيف الشرف .. ولم اعطه جوابا بعد لان .. آه ! اريد ان استريح الان ...

وكأنه شعر بشيء وخز تواضعه فسخر من نفسه حين رحبت نعمت بالفكرة وشجعته على حضور الحفلة .. ولم يمكث طويلا حتى عاد من حيث اتى ...

وتنفست نعمت الصعداء . فلقد قرأت في وجه ابيها كل شيء وان رثت لحاله . وهي في الواقع لم تكن حين دخوله تشتغل باعداد الشهادات كما زعمت وان كانت هذه الشهادات تملأ الطاولة . بل كانت تفكر في فريد .. وكان يشغلها من فريد امر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحد لو ادركه فؤاد بك لانتفخت أوداجه بالظفر ولرقص شارباه طربا بانتظار مأثرة الخلود .. ولعل نعمت لم تكن تحجم عن الاشارة الى رغبة فريد لوالدها لو انه حال دون زيارتها لمصر .

ولو ان بعض الظن اثم كما يقولون فما هو بالاثم من يعلم فؤاد بك عن امرهما ما يعلم ثم يرى ان الحوادث جرت ـ عفوا ! ـ فجعلت فريد في امستردام ونعمت في مصر وفؤاد بك في لبنان .. في آن واحد . والواقع فلا فريد تصور هذا وهو الان مكلف ، غير مختار ، في مؤتمر علمي ، ولا نعمت حين قررت هذه الزيارة كانت تعلم ان فريد سيكون هذا الصيف في امستردام . وهذا فؤاد بك على ما هو عليه من تردد وحيرة يرى ان بعض الظن اثم ... على كل فان في مشاكل الناس وهمومهم احيانا من المصادفات والمفاجئات والفرص ما يحار الفكر في تعليلها .

فلتستفد نعمت اذن من هذه المصادفة السعيدة ولا تقتلها بالتفكير العقيم . وان الذي يشغلها الان من فريد كما قلنا ولا ترتاح له هو هذه « التضحية » التي صمم عليها . جميل ان يضحي من اجلها وجميل ان يكون صادقا في تضحيته ولكن ما تنكره عليه وتأباه على نفسها ان يكون في هذه «التضحية» مساس في كرامته ورجولته فضلا عن كرامة عقيدتها !

وتبرز العقدة من جديد .. انها هي ايضا تأبى ان يغير فريد مذهبه وترى في ذلك مساومة رخيصة ، وتعرف فوق هذا ان تصميم فريد لن يرضي غير فؤاد بك !

فهل كما ان الوطنية في مفاهيم بعضهم لا تتمثل الا في فلان دون غيره والقومية في فلان اخر دون غيره ايضا فالطائفة كذلك لا تقوم الا على اكتاف فؤاد بك ؟

لنسر مع المنطق وان يكن من فتاة كنعمت !

فلان لبناني يتزوج من اجنبية ، ليس قطعا ان مذهبه كمذهبها ولا ثقافته كثقافتها ولا تقاليده كتقاليدها ولا لغته كلغتها . لم لا تيسره لنعمت وفريد ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

رددت نعمت : لماذا الف مرة وزافقتها اكثر من يوم في وحدتها وفي الشارع ، في بيروت وعلى ظهر الباخرة وبين رفيقاتها .. وكلما كانت الباخرة تشق الماء وتبتعد عن اليابسة كان شعور المجهول يخفق زاخرا في صدر نعمت .

ورات نفسها في مصر فانزاح عبء كبير عن صدرها وان ما كان يصطفق في صدرها من شعور بالمجهول قد تبدل الى شعور باليقظة وتحفز للاقدام فكانت طاقة هذا التحفز تزداد كلما رنت الى المستقبل .

تسعة ايام مضت في مصر زارت فيها نعمت ورفيقاتها كثيرا من معالم القاهرة وتعرفن فيها الى الاثار الفنية المدهشة . وحرصت نعمت على ان تضرب دون رفيقاتها حاجزا من التكتم الشديد في كتابة بعض الرسائل وفي تسلم بريدها بصورة خاصة ، وان كانت تنتقي معهن البطاقات المصورة عن الاهرام وابي الهول وضفاف النيل .

صبيحة اليوم العاشر لزمت نعمة غرفتها في الفندق بعد ان اعتذرت لصديقاتها مؤكدة بانها تشعر بتعب في جسمها وانه يستحسن ان تلزم الراحة هذا اليوم دون ان تشاركهن البرنامج المقرر وما هي ان خلت لنفسها حرة حتى هبت من سريرها واذا هي عند الظهيرة تدخل احد مراكز البريد والعرق يتصبب من جبينها ـ كانت متعبة حقا ! ـ فتتناول ورقة خاصة للبرقيات وتكتب بالفرنسية بخطها بعد ان وضعت امامها مظروفا عليه طابع بريد فرنسي وعنوان نقلته الى برقيتها : « فريد المهلباوي . اصل باريس الساعة الحادية عشرة مساء . بشوق . نعمت »

كنت استمع بشوق ولذة الى صديقي الاديب وهو يقص علي هذه القصة . سحرني حديثه فنسيت العالم وجذبني موضوعه فطلقت همومي اليومية . وانتفضنا ـ نحن الاثنان ـ وقد تقدم بنا الليل وتلبدت الغرفة بالدخان فصدرت عنا حركة واحدة واذا السكاير نضبت منه ومني وتجمعت اعقابها في الصحن الكبير .

وفي اللحظة التي كان يفرغ في كأسه بقية شراب « البندكتين » من الزجاجة وقد توقف عن الكلام قلت :

ـ الاثنان اذن في باريس

ـ اجتمعا فيها منذ اسبوع

ـ اذا فهمت فانهما يرغبان في زواج مدني ؟

ومط محدثي شفتيه فلم أتبين النفي او الايجاب ولم يدفعني فضول الى الالحاح بل لعلني سررت ان لا الح ولا اعرف ، فانه يحلو لي احيانا ان اطلق لخيالي العنان فاصور الواقع كما اشتهي ووفق ما ارغب . ولم تعد تهمني نهاية قصة فريد ونعمت بقدر ما تعنيني تفاصيلها . فانا حر اذا تصورت ان الاثنين تزوجا في باريس زواجا مدنيا او لم يتزوجا مطلقا ، وانا حر كذلك ان اجعلهما يعيشان حياة مشتركة حرة دون زواج او لا يعيشان هذه الحياة المشتركة الحرة ، يحبذانها او يأنفان الركون اليها . ففي الحالتين يحققان رغبتين : اما الاولى فهي رغبة شابين في ربيع العمر وقف دون سعادتهما حجر ثقيل مشترك ..

ولقد دار الموضوع في ذهني قصة فرحت في دفتري الصغير استعيد خطوطها واسجل بعض حالاتها واستعرضها في ذهني فاحذف واضيف واخترع واحاول ان المس حادثتها ، فاثرت تلك الليلة الابقاء على الحادثة كما رواها صديقي على ان اضيف عليها كخاتمة : زواج فريد من نعمت في حفل صغير وعزم الاثنين على العيش خارج لبنان . في هذه الاثناء ، اي بعد الزواج ، اضيف ما يلي (ذهني يستعرض هنا) استغل شعور فؤاد بك او الشيخ المهلباوي فاجعل احدهما يقوم بحماقة كأن يبعث ببرقية يطلب الى ابنته او ابنه الرجوع فيجيبه الاثنان ببرقية يضمنانها التعبير العربي المشهور سبق السيف العذل !

اشعر الان بتعب في راسي بعد ان ودعني صديقي مسرعا للحاق بالمترو الاخير من محطة (بورت فرساى) . الساعة الان الواحدة بعد نصف الليل

لم تعجبني هذه النهاية . انها كلاسيكية ، سابحث عن نهاية اخرى ابتداء من الغد ! (١)

احمد عويدات

(١) بعد ثلاثة ايام من هذه الزيارة اخبرني صديقي بان نعمت وفريد عادا الى لبنان وكان في رفقتهما في محطة « الانفاليد » للطيران وفهمت منه بانهما اخذا على نفسيهما عهدا بالزواج في لبنان . آه ! ليتني خرجت من برجي العاجي فكنت في وداعهما !! ما زالت نهاية هذه القصة ترهقني . ا.ع.

لهـف

•

أشرقتِ بوحاً لاشجـاكِ المحالْ ... ولا احتواكِ اللغز صوب النوال
حل الهوى ، والتيهُ فيكِ ، هنا ، ... يصبو ، فلا في الشوق منك حلال
وأومـــأتْ ، بيضٌ مطيبـةٌ ... في مرتمى عينيكِ تغوي السؤال

يا حيرتي اشقاكِ وجـدٌ صدٍ ... وفيكِ اشقـاني حسيسُ الجمال
أي الغوى حُمِّلتِ مرنوحـةً ... فانهلتِ الانغامُ منـــك دلال

ملنا وغصَّ التوقُ ، دون المدى ... وهدهد الميلَ شقيٌ ، خيـــال
أطروبـة ، مـا هدهـا غزلٌ ، ... ايماؤنا ، والموهمـاتُ الـزلال

لا الحبُ شـقَّ الآه تغريـدةً ... ولا رمانا الوهـمُ عبرَ الوصال

جـورج رجـي

زوار

•

افتح لنـا بستـانك المعطـارْ ... افتح لنا .. يا أطيب الاخيـارْ
جئنا على الموعد .. مصباحُنا ... اشواقنا ، وبدعـةُ الخمّـار
اقدامنـا تعبى ، وأجفـاننـا ... ظامئـة ودربنـا اعصـار
وهذه السلات .. في صمتها والهـة .. تحلم بالازهـار
انت الـذي هدهدتَ أحلامنـا ... بكل وعـدٍ يانـع الاثمـار
فـكـم أساطـير نغنّي بهـا ... على حنين الناي والقيثـار !
افتح لنا .. نلهو عـلى جدولٍ ... مزوَّقٍ .. يحتضن الاسمـار
اذا غفونـا .. لن ترى ايَّارْ ... يقطف من بستانك الاقمار ..

★ ★ ★

فتحتُ بستاني ، وقلت : ادخلوا ... يا مرحباً .. يا ألطف السمَّـار
يزيَّن الليلُ بكم .. والشذى ... واللحن ، والضفّة ، والاشجار !

حـلـب **عـلي الزيبـق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلوم البيولوجية في النصف الثاني من القرن الحالي

بقلم يوسف اسعد داغر

*

في عداد الذين طلبت اليهم اذاعة صوت اميركا التكلم عن العلم في مختلف آفاقه ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، الدكتور جوزيف موير ، الذي يعد اليوم في طليعة علماء الاجناس والمواليد في اميركا . وقد نال عام ١٩٤٦ ، جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا بعدما ابلى من جهاد طويل مرير في خدمته البحث العلمي ، كان من بعض النتائج التي توصل اليها ، تغيير الانواع عن طريق استخدام الاشعة السينية .

فالى القارىء الكريم ، حديث الدكتور موير عن مستقبل العلوم البيولوجية تليه ترجمة موجزة وصورة لجهاده المتصل في حقل البحث العلمي والكشوف التي حققها والمؤلفات التي وضعها .

* * *

تميزت السنوات الخمس الاولى من النصف الثاني من القرن العشرين ، بهذه الحصيلة المدهشة من المعلومات الجديدة يحققها العلم في ما اكتشفه من اسرار طبيعة المادة الحية ، وفي وسائل البحث العلمية الجديدة التي طلع بها . وبهذا كله ما ينهض بما تؤمن به النفوس بانه لن يحول النصف الثاني من القرن العشرين ولن تغرب شمس عصرنا هذا ، الا ويكون العلم سجل من الانتصارات الجديدة ما لم يكن ليتوقعها العلماء او لتخطر لهم على بال قبل اليوم .

سجل العلم في هذه الاونة الاخيرة عدة اكتشافات نفذ منها الى اسرار الكائنات الحية ، كان من ابرزها على ما يرجح المتمكنون ، القضايا التي تتعلق بامور الوراثة ، ولا سيما بالخصائص الوراثية .

وقد دلت هذه الاكتشافات على ان هذه الخصائص او العوامل ، هي في الواقع جزئيات تبدو على شكل سلسلة متصلة ، تتالف الواحدة منها من الوف الحلقات التي يعرفها العلماء بـ *Nucleotides* ويرد مجموعها الى اربعة انواع متميزة مختلفة ، يترتب على تناسقها معا في شكل معين من الصفات ، كيفية تاثر هذا النوع كيماويا ، وبالتالي الوظيفة البيولوجية التي يقوم بها . وكل سلسلة من هذه السلاسل تستطيع ان تجمع بما فيها من طاقة ومقدرة ، الحلقات المشتتة في السائل الذي يحيط بها وادماجها في ذاتها ، وفقا لطبيعتها المميزة ، وعلى هذا النحو تتوالد وتتحد . وقد استطاع العلم اليوم ان يحدد المبادىء والعوامل الكيماوية التي يتم التوالد وفقا لها .

وهذه الكشوف العلمية الجديدة تحقق ما لم يكن متوقعا من قبل ، اذ تتيح النظر في صميم الصفات الوراثية في الكائنات الحية ، فنفهم على ضوئها كيف ان النظائر تنشأ وتتشابه ، وكيف انها تنمو وتكبر . كذلك زادت معلوماتنا حول بعض مظاهر الشذوذ في الطبيعة وكيف تتم مخالفة القاعدة فيصير الشبيه مخالفا مغايرا . وهذه التحولات المفاجئة في الخصائص هو بعينه التحول الفجائي او الطفرة بالذات . وهذه التحولات الفجائية هي الادوار الرئيسية التي قطعها التطور . فالاكتشافات المذكورة توضح بان التحولات الفجائية تتالف اصلا من تغييرات تطرأ على الصفات الوراثية باحلال غيرها محلها او بانتساقها نسقا جديدا . ويرى اكثر العلماء اطلاعا في الموضوع انه سيصبح عما قريب من الممكن تتبع هذه الحلقات حلقة حلقة بحيث يستقيم امامنا التناسق الحاصل فيما بينها كما هو بتفاصيله وحذافيره . فاذا ما تم لنا ذلك استطعنا ان نعيد تركيب اجزاء السلسلة بحذافيرها من جديد ، واكثر من ذلك ، تاليف سلاسل اخرى من انواع جديدة وفقا لرغائبنا . وقد يمكن ادخال هذه السلاسل التاليفية في بعض الخلايا البسيطة التركيب .

وهذه الاعمال ، على عظمتها ، لن تمكنا مع ذلك ، من احداث التحولات المفاجئة التي نرغب فيها ، وبالتالي ايلاء الكائنات الحية الصفات الوراثية التي نرغبها لها . وقبل ان نتوصل الى هذا ، علينا ان ندرك تماما كيف تتصرف هذه الصفات في تكوينها الكائنات الحية الاخرى . ويهمنا ان نعرف على الاخص كيف ان هذه الصفات تنتج مادة البروتين بعد ان ثبت ان البروتين هو المادة التي يتكون منها القسم الاكبر من هيكل الاحياء ويتيح لها ان تقوم بنشاطاتها الظاهرة . هنالك دلائل مع ذلك ، تشير الى اكتشافات جديدة نفذت الى هذا الحقل . وهذه الاكتشافات يجب ان تزودنا بمعلومات حول الطريقة التي يحدث فيها البروتين الخصائص الوراثية ، وبمعلومات اخرى حول ماهية تركيب هذه المواد البروتينية والطريقة التي فيها تؤثر على مجرى التفاعلات الكيماوية المختلفة التي تتم في جسم الاحياء . ان تقديم العلماء النويين ذرات يمكن التمييز بينها عن طريق التفاوت في نشاطها الاشعاعي ، هو عامل اساسي فائق الاهمية للسير الى الامام بهذه الابحاث العويصة .

وهذه الاكتشافات الثمينة التي تميط اللثام عن اسرار الحياة الغامضة ستمدنا بالمزيد من وسائل البحث لدرس مبدأ الحياة واصلها ونشوئها . ومن بين هذه الذرائع ما ستمدنا به الجيولوجيا الحديثة ، بعد ان تستثمر على الوجه الامثل معطيات فيزياء الفلك والكيمياء والفيزياء . وبالاضافة الى هذا كله ستجري ابحاث تجريبية مباشرة حول نشأة المواد العضوية الضرورية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للحياة ، والطريقة التي تعمل معها هذه المواد لصنع الكائنات الحية في ابسط مظاهرها . وقد يكون من غير المستحيل ايضا ان تعود علينا زيارة الفضاء الفسيح بواسطة الطيران ، قبل غروب شمس القرن العشرين ، بنماذج وعينيات من الكائنات الحية في المريخ مثلا او في غيره من السيارات الاخرى . ولا شك ان دراسة هذه النماذج الجديدة مما سيفضي الى كشف مفارقات كيماوية بينها وبين خلايا الكائنات الحية على الارض كما انها ستفضي ولا شك بذلك ، من جهة ثانية الى الكشف عن ملابسات ومشابهات مدهشة . كل هذا من شأنه ان ينمي معارفنا ومعلوماتنا ويرحب من آفاق معرفتنا حول اصل الحياة وحول الخصائص الاساسية التي تتميز بها الكائنات الحية .

وفي العلوم البيولوجية حقل اخر من المتوقع ان يحقق العلماء فيه تقدمات محسوسة في السنوات القادمة تتناول الكشف عن طبيعة التحولات التي تلحق التطور في مختلف ادواره واشكاله : من البيضة الى النطفة الى العلقة ، الى الجنين ، فالطفولة ، فالشباب ، فالكهولة الى تكرار عملية التجديد . ولتأمين مثل هذه الكشوف نحتاج الى وسائل وذرائع تكنولوجية تختلف اختلافا بينا عن الذرائع والاساليب التي كثيرا ما عولنا عليها في الماضي ، في دراسة هذه القضايا . وقد يمكن التوصل جزئيا الى مثل هذه الطرق التكنولوجية وذلك باعتمادنا الوسائل التي يعتمدها الطب في المناعة والتحصين ، ونقل النوى وغير ذلك من العناصر التي تتكون منها الخلية ، او عن طريق زرع الخلايا الفردية في الاجسام الحية العليا . ان معلومات من هذا النوع تفيدنا ولا شك في التعرف الى مسلك الكائنات الحية في تطورها الطبيعي ، وسير هذا التطور في الحالات الشاذة كما هي الحال مثلا في حوادث السرطان . وبفضل هذه المعلومات نزداد مقدرة على مراقبة هذه الحوادث الطبيعية والتحكم بها .

من بين الوظائف التي تقوم بها الاحياء العليا ، لعل وظيفة الجملة العصبية المركزية ولا سيما القلب منها ، ادعاها على الاطلاق للاهتمام والدرس . هنالك دلائل تشير بوضوح الى انه سينطلق في النصف القرن هذا نور كاشف سينير المشكلة القديمة العهد ، الا وهي معرفة العلاقة بين الوعي وعمل الدماغ عن طريق الذرائع الجديدة التي سيركن اليها العلم في دراسته هذه القضية . ومن بين هذه الذرائع ذريعة تتطلب دراسة دقيقة من الوجهة الكهربائية والبيوكيمياء ، للخلايا العصبية بمفردها او في فئات الخلايا العصبية الاخرى المترابطة بعضها ببعض . وهنالك طريقة اخرى تتطلب مراقبة مدى تأثر بعض خلايا معينة عندما تثار او تبعث على الاثارة ، او فريق من الخلايا التي تقع ضمن الجملة العصبية المركزية . ليس من المستبعد قط أن يقوم بعض العلماء الذين ينصرفون لهذه التجارب ، بتجربة الامر واختباره في انفسهم ، وبذلك يحصلون في آن واحد على وجوه داخلية وخارجية لهذه المظاهر التي هي قيد الدرس لديهم .

ومهما بلغ من تقدمنا في فهم وادراك تطور الجسم وطبيعة وظائفه ومدى تحكمنا بها ، فلا يزال هنالك حدود وسدود لسيطرتنا تفرضها الوسائل التي نتذرع بها . وهذه الحدود توجبها امكانيات الصفات الوراثية الكامنة في الحي . غير ان تحول هذه الصفات الوراثية المفاجىء يضع حدا لمثل هذا التغير ، وهو تغير يتم عكسا وليس رأسا الى الامام . ومع ان هذه الكائنات الحية الاقل اهلية واستعدادا التي تولد عن طريق هذه التغييرات المعكوسة غير المرغوب فيها ، مهددة بالانقراض في حالتها الطبيعية ، فليس من داع قط ان يتم هذا الانقراض في يومنا هذا . ولذا تحتم علينا ان ننمي معلوماتنا اليسيرة بصدد التحول في الانسان . وهذا انما يعني انه من المتوجب علينا ان نكشف أكثر فاكثر عن اسرار تواتر التحولات المفاجئة وما هي العوامل التي تسبب او تأخر حدوثها ، وعدد هذه التحولات وشتى اشكالها وتأثيراتها المختلفة ، وكيف يتم للكائنات الحية التي اخذت تتغير وتتحول ان تنمو او ان تنحل بسرعة على ممر الاجيال . كل هذه المعلومات تبدو ضرورية في هذا العهد الذري ، لان الاشعاع عنصر فعال في احداث التحولات المفاجئة . ان الحصول على معلومات دقيقة من هذا النوع يقتضي له ابحاثا طويلة الامد في علم المواليد ولا سيما في الجرثوميات والميكروبات وذباب الاثمار والقمل . وبالاضافة الى هذا كله ، يجب القيام بارصاد وكشوف دقيقة واسعة حول مظاهر الوراثة في الانسان ، كما يجب القيام باختبارات حول احداث التحول المفاجىء في الخلايات البشرية ، بعد زرعها خارج الجسم الانساني ، كما يجري الامر مثلا في الجرثوميات ، والامر الذي لا شك فيه قط هو ان العلم سيتقدم كثيرا في كل ما يتعلق بامور التناسل والتوالد ، وهو تقدم يجعل من الممكن تسخير هذه المعلومات لتحسين علم المواليد لخير البشرية جمعاء .

* * *

اما الدكتور هرمان جوزيف مولر ، صاحب هذا البحث ، فهو من اشهر علماء المواليد في الولايات المتحدة الاميركية . واليه يعود الفضل الاول في اكتشاف التحول الاصطناعي باستعماله الاشعة السينية . وقد نال لهذا الاكتشاف العلمي الجليل جائزة نوبل في الطب والفيسيولوجيا لعام ١٩٤٦ .

ابتدأت حياته العلمية ، سنة ١٩١١ ، بمنحة دراسية يخصصها للبحث العلمي في الفيسيولوجيا ، في مدرسة الطب التابعة لجامعة كورنيل ، اجرى خلالها تجارب وتحقيقات علمية حول استيلاد ذباب الفاكهة والثمار بتعريضها للاشعة السينية . فتمكن بذلك من الحصول على تغييرات وتحولات مفاجئة في صفات الذباب الوراثية . وقد استطاع خلال المؤتمر الدولي العام لعلم المواليد الذي انعقد في برلين ، عام ١٩٢٧ ان يزف الى زملائه ورصفائه في المؤتمر خير ابحاثه المثيرة في علم البيولوجيا الا وهو حصوله على التحول الاصطناعي في الصفات الوراثية بواسطة الاشعة السينية .

اما ابحاثه في عملية نقل الدم فتعد من اعمال الريادة الباهرة في العلم كذلك هو اول من قام بقياسات سيكولوجية للتوائم المتشابهة التي ربيت في منازل مختلفة .

ومنذ عام ١٩٤٥ والدكتور مولر يعمل استاذا لعلم الحيوان في جامعة انديانا حيث قام بابحاث خاصة بالسرطان ، وذلك بفضل المساعدات المالية التي قدمتها له الجمعية الاميركية لدراسة السرطان . كذلك علم مدة في معهد رايس في مدينة هوستن من اعمال تكساس ، كما علم في جامعة كولمبيا في نيويورك ، وفي جامعة تكساس في اوستن ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة لسومرست موم

الوعد

ترجمة حسن السعران

*

ليست زوجتي بالمرأة التي ترعى مواعيدها وتحرص عليها ، ولهذا لم استغرب انني لم اجدها عندما وصلت الى مطعم كلاريدج متأخرا عشر دقائق ، وكنا قد تواعدنا على التلاقي فيه لتناول الغداء . وطلبت كأسا من الكوكتيل . وكان الموسم على اشده ، حتى انه لم يكن في القاعة الا قليل من الموائد الخالية. وكان فريق من الناس يحتسون القهوة بعد غداء باكر خفيف ، وفريق اخرمثلي يعبون لاهين كئوس المارتيني. وكانت السيدان يزهون في ثياب الصيف الهفهافة يلوح عليهن المرح والفتنة . اما الرجال فكانت تبدو عليهم مسحة من الكياسة واللطف . ولكن لم اجد بين الجالسين من يسترعي اهتمامي بصفة خاصة ليشغلني في ربع الساعة الذي ينتظر ان تحضر زوجتي خلاله ، على الرغم من انهم كانوا غاية في الرشاقة التي تسر العين ، وفي التانق الذي يزيد المرء انشراحا . وكانت غالبيتهم من شخصيات يعتد بها فاخذت ارقبهم بروح سمحة لا فضول فيها .

ولما بلغت الساعة الثانية بعدالظهر احسست بالجوع . وبهذه المناسبة اذكر ان زوجتي كانت لا تميل عادة الى ارتداء الثياب الفيروزية اللون ، ولا تضع ساعة في معصمها . كانت تقول ان اللون الفيروزي سرعان ما يخضر وان الساعة غالبا ما تتوقف . وهي تعزو ذلك الى سوء الطالع . وليس لي اي اعتراض على لون الفيروز وتغيره . ولكن اعتقد احيانا ان الساعة لا تتوقف اذا هي كلفت نفسها مشقة ملئها . هذه هي الافكار التي كانت تراودني عندما اقبل احد سعاة المطعم يحدثني بصوت خفيض بلهجة يجيدها امثاله للتدليل على نحس الرسالة التي يحملها بصورة ابلغ مما تعنيه الفاظها. أبلغني ان سيدةاتصلت بالمطعم تلفونيا تقول انه قد منعها عائق عن الحضور لمشاركتي الغداء .

وترددت . ليس مما يسرى على النفس ان اتناول الغداء وحدي في مطعم كبير يغص بالناس ، ولكن الوقت تأخر بحيث لا استطيع الذهاب الى النادي . وصحعزمي على البقاءفذلك اهون وافضل . ومن ثم مضيت الى جناح الطعام . والحق انني لست ممن يركبهم عادة شيء من الغرور (كالغالبية من علية القوم) لان رؤساء الجرسونات في المطاعم الكبرى يعرفونهم باسمائهم ، ولكني وددتفي هذه المناسبة بالذات ان احظى بترحيب غير فاتر ، ولكن رئيس الجرسونات (الميتر د اوتيل) صدني بوجه عابس فأبلغني ان الموائد كلها مشغولة . وتطلعت يائسا الى الحجرة الفسيحة الفخمة ، فوقع بصري فجأة على سيدة أعرفها . اللادي اليزابث فرمون وهي صديقة قديمة. واشرق وجهها بابتسامة ـ ولاحظت انها وحدها ـ فاتجهت نحوها . وسألتها: أتعطفين على جوعان مثلي ، فتأذني له بالجلوس الى مائدتك ؟

ـ آه تفضل ، ولكنني اكاد افرغ من طعامي .

وكانت تجلس الى مائدة صغيرة بجانب احد الاعمدة الضخمة. وعندما شاركتها اياها ، وجدت اننا نكاد نكون

وفي معهد المواليد الحيوانية في جامعة ايدنبره ، وفي جامعة افهرست في ولاية ماستشوستس وقد كان كبير علماء المواليد اثناء عمله في معهد المواليد في موسكو من سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٧ .

رأى الدكتور مولر النور في مدينة نيويورك عام ١٨٩٠ ، وقد كان جده لابيه جاءها من المانيا ، فانشأ في نيويورك معملا للصب كان اول معمل من نوعه في اميركا. وقد عمل ابوه في المعمل المذكور مدة من الزمن . تخرج من جامعة كولمبيا عام ١٩١٠ ، ونال عام ١٩١٦ الدكتوراه في الفلسفة بعلم الحيوان مع دراسات في الفيسيولوجيا والبيوكيمياء .

. منحته الجمعية الاميركية لتقدم العلوم ، عام ١٩٢٧ جائزتها اثر دراسة عميقة حول : « تأثر الاشعة السينيةفي الصفات الوراثية والصبغيات Chromosomes» انتخب عضوا في اكاديمية العلوم الوطنية عام ١٩٣١ في اميركا واعطتهفي السنة التالية مؤسسة غوجنهايم التذكارية منحة تمكنه من القيام بابحاث الدماغ في برلين .

راس الجمعية الاميركية للعلماء الطبيعيين ، عام ١٩٤٣ كما راس عام ١٩٤٧ الجمعية الاميركية لعلم المواليد، وفي عام ١٩٤٨ راس المؤتمر الدولي الثاني لعلم المواليد .

وللدكتور مولر ابحاث علمية عديدة في البيولوجيا وعلم المواليد نشرها في بضع مجلات علمية . وهو مؤلف مشارك ، ساهم في وضع المؤلفات التالية : طريقة الوراثة عند مندل ١٩١٥ وعلم المواليد والطب والانسان عام ١٩٤٧ ووضع عام ١٩٣٥ كتابه المشهور : « من ظلمة الليل » ضمنه نظرات عالم بيولوجي في المستقبل الطالع .

يوسف اسد داغر

في شبه عزلة عن الناس .

وقلت ان الحظ حالفني ، بعد ان كادت قواي تخور من الجوع .

كانت اليزابث فرمون تمتاز بابتسامة لا تضيء وجهها فجأة ، وانما تشع بالفتنة شيئا فشيئا . ابتسامة تتردد على شفتيها لحظة ثم تسري في بطء حتى تبلغ عينيها الواسعتين اللامعتين فترقد وادعة فيهما . وما كان لاحد ان يجزم بانها منبوذة بالمعنى الشائع . ولم اكن انا نفسي اعرفها في ايام شبابها . ولكن كثيرين قالوا لي انها كانت آنئذ جميلة جذابة تذوب القلوب من فرط حلاوتها ، وارانـي أصدق ما يقولون . فهي لا تزال الان وقد بلغت الحلقة الخامسة من العمر ، فريدة في جمالها حتى ان جمالها الطاغي ليجعل رواء الشباب وفتنته الغضة بالشيء التافه الى جانبها — ولست شخصيا ممن يحبون الوجوه المصبوغة التي تبدو صورة واحدة متشابهة . واعتقد ان النساء على جانب من الغباوة اذ يفسدن شخصيتهن وروحهن المعبرة وراء البودرة والاحمر وروج الشفاه .

ولكن اليزابث فرمون كانت تصبغ وجهها لا محاكاة منها للطبيعة ولكن لتفوقها حسنا وروعة . والمرء امامها لا يبحث عن وسائل التجميل ، ولكن تروعه النتيجة التي يراها فلا يسعه الا الاعجاب . كانت جراتها التي تستحق المباهاة في استخدام مواد التجميل تزيد شخصية هذا الوجه الجميل فتنة وسحرا . واظن ان شعرها مصبوغ ، فهو فاحم ناعم لماع . وحدث عن رشاقة قدها الفارع ، واعتدال عودها المياس ولا حرج فهي تبدو كأنما لم تعرف الانحناء في حياتها قط . وكان يلف هذا القوام الساحر ثوب من الساتان الاسود ، تروع المرء خطوطه وبساطته ، وعقد اللؤلؤ الطويل الذي يتدلى عليه من جيدها . وكانت تتزين بجوهرة اخرى يتيمة هي زمردة كبيرة تحرس خاتم زواجها ، يفصح نورها الداكن عن بياض بشرة صاحبتها . وكانت اصابعها الملونة الاظافر اكثر ما يكذب كبر سنها . وهي وان تكن خالية من نعومة اصابع الفتيات الصغيرات البضة الا ان الناظر اليها يعروه شيء من خوف . ولقد كانت هذه الاصابع منذ وقت غير بعيد وكأنها مخالب كاسرة .

كانت اليزابث فرمون سيدة جديرة بالاعتبار . من اصل عريق ، فهي ابنة دوق « سانت ايرث » السابع ، وقد تزوجت في ربيعها الثامن عشر من رجل واسع الثراء ولكنها انغمست من فورها في حياة عابثة صاخبة .

وكانت متكبرة لدرجة انها لا تأخذ حذرها ، ومغامرة لدرجة انها لا تتوخى العواقب . ولم يمض على زواجها غير سنتين حتى طلقها زوجها في ظروف فضيحة مشينة . وتزوجت بعدئذ احد الثلاثة الذين وردت أسماؤهم بقضية فضيحتها . ولكنها لم تلبث ايضا ان هجرته بعد عام ونصف ثم تبع ذلك سلسلة من العشاق . وساءت سمعتها من جراء كثرة الافراط والتهتك . واوقعها جمالها الاخاذ وخلاعتها المشينة فريسة للقيل والقال . وصار لاسمها رائحة خبيثة تزكم انوف العائلات الكريمة . كانت مغامرة ومسرفة وعابثة . وعلى الرغم من انها لم تكن وفية للعشاق الا انها كانت وفية للاصدقاء . ولهذا ظل لها على الدوام نفر يؤمن بانها امرأة لطيفة ، بغض النظر عما تفعله . كانت تمتاز بصراحتها وخفتها وجراتها . وبانها لم تكن منافقة قط ، الى جانب كونها كريمة مخلصة . ولقد تعرفت اليها شخصيا في تلك الفترة من حياتها ، فأكثر السيدات عندما يبلغ بهن الكبر ينصرفن الى الاعجاب بالفنون ، وخاصة بعد ان لم يعد الانصراف الى الدين بدعة هذه الايام .

وهكذا بعد ان تقلب لهن طبقتهن الاجتماعية ظهر المجن وتقسو بيدها الباردة عليهن يتجهن الى معشر الكتاب والرسامين والموسيقيين . ومن هنا اتيح لي ان اجد فيها الرفيق المقبول اذ كانت واحدة من المباركات اللاتي لا يبخلن في التصريح برأيهن في جراة لا تخشى لومة لائم (وبذلك لا يضيعن وقت الحديث عبثا) كما كانت تمتاز الى جانب ذلك كله ببديهة حاضرة . وكان لا يضيرها مطلقا ان تتحدث عن ماضيها الشائق . وعلى الرغم من ان حديثها لم يكن حديث المثقف الممتاز ، الا انه كان حديثا ممتعا فهي امرأة صادقة بغض النظر عن تلك المسائل الاخرى .

وسرعان ما قامت في سن الاربعين بمفاجأة عجيبة اذ تزوجت شابا لم يتعد ربيعه الواحد والعشرين . وقال أصدقاؤها ان هذه اكبر فعلة جنونية قامت بها في حياتها . حتى ان بعض اصدقائها ممن التصق بها في السراء والضراء قطع بعد ذلك علاقته بها لمصلحة الشاب لانه في عرفهم لطيف ومن العار عليها استغلال قلة درايته وخبرته . وتنبأوا لها بالمصائب فكلهم يعرف ان اليزابث فرمون غير قادرة على التعلق بأي رجل اكثر من ستة شهور والمصيبة آتية لا ريب فيها . وان تكن الفرصة الوحيدة امام الشاب التعس ان تسلك زوجته سلوكا مشينا يضطره الى هجرها . ولكن خاب ظنهم جميعا — ولست ادري اكان الزمن وحده هو المسئول عن التغير والتحول اللذين طرا على قلبها ، أم ان براءة الشاب وطهارة حبه قد اثرا فيها .

وايا ما كان فالواقع انها قد جعلت من نفسها زوجة مرضية محبة ، وكانا فقيرين ، وكانت هي من قبل مسرفة ، ولكنها انقلبت زوجة مقتصدة مدبرة . كما انها اخذت على حين فجأة تعتني وتهتم بسمعتها حتى تخرس لسان القيل والقال . ولاح ان سعادة زوجها كانت شغلها الشاغل ، ولم يعد هناك ادنى شك في انها تحبه وتتفانى في الاخلاص له . ولم يعد يغتال سمعتها احد ، او يتحدث عنها بما يشينها ، وهي التي كانت من قبل هدفا لكل لسان . وبدت قصتها كأنها تمت فصولا بعد ان كانت امرأة متقلبة . ووجدتني اسري عن نفسي بفكرة انها لما كبرت اخذت تأمل في سنوات طويلة من الاحترام والتقدير ، وكان ما ضيها ، ما ضيها الشائق لا ينتمي اليها هي ، ولكن الى شخص آخر عرفته ذات مرة معرفة عابرة ثم قضى ذلك الشخص نحبه منذ أجل طويل . ولا عجب فللنساء قدرة عجيبة على النسيان نحسدهن عليها .

ولكن من ذا الذي يعرف ما تخبئه لنا الاقدار ؟ آه ، لقد تغير كل شيء في غمضة عين . فبعد زواج مثالي ظل طوال عشر سنوات جن زوجها الشاب جنونا بحب فتاة تسمى بربارة كانتون . فتاة لطيفة هي اصغر بنات اللورد روبرت كانتون الذي كان في وقت من الاوقات نائب وزير الخارجية . كانت بربارة حلوة بشكل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام . وطبيعي انه لم يكن هناك من وجه للمقارنة بينها وبين لادي اليزابث. ولكن احدا لا يدري هل اليزابث فرمون على علم بهذا الحب ، وعلى فرض انه بلغها فكيف تواجه مشكلة كهذه غريبة على تجاربها الماضية وهي التي كانت دائما تهجر عشاقها وما من احد هجرها من قبل . وكنت من ناحيتي اعتقد انها ستقطع سريعا دابر الانسة بربارة ، فانا اعرف جراتها ولباقتها .

ذلك كله هو ما كان يدور بمخيلتي ونحن نتجاذب اطراف الحديث على المائدة . ولكن سلوكها لم يكن فيه غير المرح واللطف والصراحة المعهودة مما لا يوحي بان شيئا ما يكدرها . وتحدثت كما هي عادتها في خفة حية وبديهة حاضرة لاذعة وخاضت شتى الشئون التي جذبنا الحديث اليها . وهكذا انست بفترة ممتعة وخلصت خواطري من هذا كله الى انها لا بد بمعجزة ما لم تحس بأية ايماءة تشير للتحول الذي طرأ على زوجها بيتر . وبررت ذلك من ناحيتي ، بأن حبها له يبلغ من شدته انها لا تتصور انه اقل منها حبا لها .

وشربنا قهوتنا . وتلذذنا بتدخين بعض السجائر . وسألتني عن الوقت فاجبتها :

ـ الثالثة الا ربعا .

فقالت : يجب ان اطلب حسابي

قلت : الا تسمحين لي بتسديده عوضا عنك ؟

فابتسمت وقالت : طبعا .

فسألتها : هل انت على عجلة من امرك ؟

فاجابت : سأقابل بيتر في الثالثة.

فسألتها : وبهذه المناسبة كيف حاله ؟

فأجابت : انه علي خير حال .

وابتسمت ابتسامتها المعهودة البطيئة السارة ، ولكني احسست ان في ابتسامتها بعض السخرية . وترددت لحظة ، ووجدتها تتطلع الي عن عمد ، ثم تقول : انت تميل الى المواقف الغريبة، اليس كذلك ؟ لااظنه يدور بخلدك ابدا سر هذا اللقاء الذي أسعى اليه . لقد تحدثت تلفونيا هذا الصباح مع بيتر وطلبت اليه مقابلتي الساعة الثالثة . وسوف اطلب اليه ان يطلقني .

فصحت قائلا : لا ، لن تطلبي منه ذلك .

ثم وجدتني خجلا متحيرا لا ادري ماذا اقول بعد ذلك ، ولكني اضفت قائلا :

كنت اعتقد انكما على خير وئام .

قالت : اتعتقد ان من الافضل ان اجهل ما يعرفه الجميع ؟ لست غبية الى هذا الحد .

ولم تكن هي بالمراة التي يستطيع المرء ان يحدثها بغير الذي يعتقد . فلم اتظاهر انني لا اعرف ما تعنيه ، وتوقفت لحظة لا انبس ببنت شفة ، ثم قلت : ولماذا تطلبين انت الطلاق ؟

فاجابت قائلة : ان روبرت كانتون عجوز رجعي . واشك كثيرا في انه يسمح لابنته بربارة بالزواج من بيتر لو انني طلقته . واما عن نفسي فلن يضيرني كما تعرف طلاق واحد اخر .

وهزت كتفيها الجميلتين .

ثم سألتها : ومن أين تعرفين انه يريد الزواج بها ؟

فردت قائلة : انه غارق في حبها الى اذنيه .

قلت : وهل حدثك بهذا ؟

قالت : كلا فهو لا يعرف الى الان انني اعرف . حبيبي المسكين تعس للغاية . لقد بذل قصارى جهده كي لا يخدش شعوري .

قلت : لعلها فتنة طارئة مؤقتة .

ثم اردفت بعد ان ترددت لحظة : « وربما تزول » .

فقالت : ولماذا ؟ ان بربارة شابة جذابة . وهي لطيفة غاية اللطف . وكل منهما يلائم الاخر . ومع ذلك فاي خير يتأتى بزوالها ؟ انهما الان متحابان ، والحاضر هو أهم شيء بالنسبة للحب . اما انا فاكبر منه سنا ، اكبر بتسعة عشر عاما . وهل تظن ان رجلا يفقد حبه لعجوز في مثل سن امه ، هل تظن انه يعود الى حبها بعد ذلك من جديد؟ وانت كاتب قصاص معرفتك بالطبيعة البشرية أعمق من هذا ؟

فتساءلت : ولماذا تقومين انت بهذه التضحية ؟

قالت : منذ عشر سنوات وعدته يوم طلب مني الزواج انه اذا طلب الانفصال عني فسأمنحه حريته وذلك بسبب الفرق الذي كان بيننا آنئذ في العمر . وكان هذا عين العدالة والانصاف على ما اظن .

فسألتها : وهل تفين انت بوعد لم يطلب هو اليك الوفاء به ؟

فهزت اصابعها النحيلة الطويلة هزت خفيفة ، واحسست كان هناك نذير سوء من وراء بريق تلك الزمردة التي تطل من اصبعها ، ثم قالت :

آه ، سأفي بالوعد ، انت تعرف هذا على الانسان ان يكون مهذبا . واصدقك القول هذا سر تناولي الغداء بمطعم كلاريدج اليوم . فهنا عند هذه المائدة طلب يدي ، وهنا تناولنا يومئذ الغداء معا ، وكنت اجلس في مكاني هذا . وليس من شيء آلم الى نفسي من انني لا ازال احبه الان بنفس القوة التي احببته بها آنذاك . وتوقفت عن الكلام برهة ورايت انها قد زمت شفتيها ، ثم قالت : حان موعدي على ما اظن ، ان بيتر يكره هذا الذي يضطره الى الانتظار .

والقت علي بنظرة فيها مسحة من الياس ، وحز في نفسي ان اراها لا تقوى على النهوض من مقعدها . ثم ابتسمت ونهضت في جهد كبير واقفة على قدميها .

قلت : أتحبين ان اصحبك ؟

فابتسمت وقالت : الى باب المطعم فقط .

ومشينا في ابهاء المطعم ، وقطعنا رواقه حتى اقتربنا من مدخله، فدفع الحاجب بابه الدوار ، وسألتها اذا كانت تريد عربة تاكسي .

فقالت : كلا ، سأمشي فاليوم يوم جميل . ومدت يدها تصافحني وهي تقول : كان جميلا ان القاك . غدا اسافر الى الخارج ، ولكني اعتقد انني ساعود لاقضي الخريف كله في لندن . اتصل بي تلفونيا .

وابتسمت وهزت راسها ثم دارت على عقبيها . واخذت اراقبها وهي تسير في شارع ديفيز . كان النسيم لا يزال عليلا يفوح بجو الربيع ومن وراء البيوت غلائل من السحب بيضاء تسعى الهوينى في السماء الزرقاء . اما هي فكانت تمشي معتدلة القامة مرفوعة الراس . كانت رشيقة اثناء مشيتها . ولمحتها من بعيد تحني راسها برشاقة لصديق حياها برفع قبعته ، وخيل الي انه يستحيل ان يدرك ابدا انها كسيرة الفؤاد . ولهذا اكرر اخيرا انها امراة صادقة ، صادقة الوعد .

حسن السعران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حـــيرى

✳

من ديوان « الامس الضائع » يصدر قريبا
عن دار المعارف بمصر

لحسن عبـدالله القرشـي

العربيـة السعودية ـ جـدة

✳

حيرى يمزّقك الخيال
تمشين في بيداء حلمك في ضلال
وتحدّقين ... ترى رؤى الماضي سراب ؟
أم أنت تلك الموجة العذراء يحضنها العباب؟
أم ذلك الشبح الملفع بالظلال !

✳

حيرى تروّعك الخطوب
والوهم والماضي الغريب
والامس يفهق بالنحيب
وتناوح الشفق الرهيب
يرنـو فترتجف القلوب
في فزعة العاني تهدهده القيود !

✳

حيرى تلوّعك الرؤى
ويكاد يعشيك السنـا
فلقد سقاك اليأس من بعد المنى
أكواب حاضرك المروع
شوقا تنهنه الـدمـوع
وأسى يعربـد في الضلوع
وحنين مكتئب شرود ..!

✳

حيرى يؤرقـك السهـاد
والجرح ما للجرح ينغر من ضمـاد
تتبسمـين وتهزئـين
وبعينك السكرى من الماضي شجون
هذا الفراش يهبّ نحوك لا تذودين الفراش
وسياطا حدق وهمهمة وشوق لا يبين !

✳

حيرى توشّحك الدمـاء
ويضيق بالروح الفضاء
مـا من ملاذ لا مقر
سفر سيسلم راحتيك الى سفر
والحيرة الخرساء تتبع في الاثـر
لا لن يشيب بـك الزمـان
رغم التحرّق والهوان
وبثغرك المحموم جمرتان ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

دون كيشوت

بقلم ولتر راليه

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

كان احد الفرسان الاسبان في الخمسين من عمره ، قد عاش في فقر مدقع ، بقرية تدعى (لامانخا) ولاغراقه في قراءة القصص الغرامية التي تتحدث عن الفروسية كرس نفسه لها ، بعد ان جمع منها مقدارا كبيرا ، حتى انها تمكنت من السيطرة على ذهنه في الختام ، ومن اجل ذلك غلبته روح المخاطرة فخرج من بيته على حصان اعجف عجوز ، وبيده رمحه وعلى راسه خوذته ، انه فعل ذلك لتحدي الصعاب وملاقاة المخاطر ، وتخفيف المظالم الحالة بالعالم . واقنع جارا له ، كان جاهلا فقيرا يدعى سانخو بانزا ، اقنعه بركوب حمار ومرافقته كتابع له .

نظر هذا الفارس الى العالم من خلال مرآة الحكايات الغرامية الاثيرة لديه ، فظن الخانات قصورا ساحرة ، والطواحين عمالقة ، والفتيات الريفيات اميرات منفيات . فروحه الرفيعة وشجاعته لم تخوناه قط ، غير ان اوهامه قادته الى مشاكل لا نهاية لها . وباسم العدالة والفروسية تطفل على كل من لقيه ، وهاجم كل من حسبه ظالما مسيئا لاستخدام سلطته . كان هو وخادمه يقعان احيانا كثيرة تحت طائلة الجلد ، والخداع والسخرية ، والمهانة الى ان انقذته رحمة اصدقائه القدامى ، ومساعدة بعض اصدقائه الجدد ، الذين مستهم طبيعته السخية الرضية ، فاعيد الى بيته في القرية ليموت هناك . لقد نجا الفارس من اوهامه ، وشفى من اسقامه .

هذه هي قصة دون كيشوت : وهي اطار ما يدعى بغير مبالغة اروع كتاب في العالم واحكمه ، كتاب رجل عجوز فيه حكمة قلب ناري ، تعلم الصبر والاناة . توفي شكسبير وسرفانتس في اليوم نفسه ، ولو ان سرفانتس مات في عمر شكسبير لما كنا نملك الان (دون كيشوت) لم يكتب الاخير شيئا يماثل هذا الكتاب في مادة تجربته ، وهدوئه، وحكمته المنيرة الدائبة ، وتفتح باصرته في التطلع على قوة العالم ، ولم يكن شكسبير ليناهز سرفانتس في شجاعته ودفاعه عن حقوق القلب الشهم

ولو فرضنا ان حاكم باراتاريا استدعي للتحكيم بين هذين المؤلفين العظيمين ، لكانت احكامه واضحة سهلة ، معجبة . وربما انه سيذهب الى حد القول : بينا شكسبير قضى نحبه في الثانية والخمسين ، عاش سرفانتس سبعة عشر عاما اكثر منه . ولو كرس الانسان ايامه لدراسة شكسبير حتى يبلغ ما ادركه من عمر ، ثم تقدمت به السن اطول لتحتم عليه ان يمر بمدرسة سرفانتس الحكيم الرزين ومن اجل ذلك يقل عدد اتباع السيد الاسباني في حين يزداد تلامذة ابن الرئيس الاسترافور دي .

ومع هذا فان شعبيته العالمية الانتشار ، وكدت انفسها ، وثبتت وجودها بقوة وشدة . لقد جذب دائما العديد من القراء وسيفعل ذلك في المستقبل ايضا ، ذلك بانهم يجدون سرورا معقولا في المصائب الهازلة التي نزلت بساحة (الدون) والسخريات التي بدت على مظهره الساحر المتهكم العابث ، وفي الكثير من الحكايات الغرامية والاغاني الهيامية ، التي كان يستمعها عند مختلف الشخوص الذين يلقاهم ، وفي ثروة الحوادث المنبثقة من العالم ، فما يحط قدمه على تربة ما حتى يشعر بالحصيد البهيج ، وكذلك يفعل حين ينال نصيبه اليومي من الركل والضرب والدفع والشد . وهذا يعني ان من لم يهتم بدون كيشوت الا اقل الاهتمام ، لا بد له من الشعور بسرور الحياة ، الموجودة في هذا الكتاب ، لانه مفعم بالحياة .

نحن لا نملك سجلا وافيا عن تجارب حياة سرفانتس ، تلك التجارب المنتقاة في اعظم كتبه(١) . نحن نعرف انه كان جنديا حارب الاتراك في وقعة (ليبانتو) وان يده اليسرى عطلت عن العمل مدى عمره ، وانه اسر من قبل المراكشيين بعد عدة سنوات من هذه الحادثة ، فبقي في الاسر ومذلته خمس سنين ، ثم حاول الفرار مع آخرين ، ولما كشف النقاب عن امره ، واعيدت محاكمته عزا الى

(١) ان الحقائق الثابتة المتعلقة بسيرة سرفانتس ، قد جمعها ودونها بدقة معجبة الاديب العالم فتزموريس كيلي ، في كتابه الحديث (ذكرى ميجيل دي سرفانتس سافيدرا) . وفي هذه السيرة تجسد لكل ما يمكن تعلمه من مختلف النصوص المكتشفة والمطبوعة منذ عشرين سنة على يد المرحوم كرستوبال بيريز باستور . صحيح ان نتيجة المعلومات الضافية هذه ستخيب امال الذين لم يتعودوا النظر من خلال القوانين الوضعية . لان ديون الانسان ومشاكله معروضة مسجلة بصراحة ، في حين ان الحوادث الحرجة في حياة مثل هذا الانسان لا تجد مؤرخا يسطرها غير نفسه . ومن هنا فالتحدث عن حياة سرفانتس بالاعتماد على صحراء النصوص ، يعد عملا صعبا عسيرا ، لانه يتطرق الى سيرة جندي وشاعر بواسطة الاستناد الى سجلات الضرائب ، وقوائم الديون . ومع هذا فقد انجز فتزموريس كيلي واجبه بلياقة ودقة وامانة .

نفسه كل المسئولية ، وفي الختام تكللت جهود اسرته بالنجاح فافرج عنه بفدية .

فعاد الى اسبانيا حيث عاش عيشة اديب فقير في وظائف حكومية مثقطعة ، واستمر متمسكا بحبل الحياة ، بعد هذا كله مدى ست وثلاثين سنة . فكتب اغنيات ومسرحيات، وباع اثاث اسرته بالمزاد ، وتعرف على دخيلة السجون .

وقد نشر سرفانتس القسم الاول من (دون كيشوت) في سنة ١٦٠٥ ــ اي في سنته الثامنة والخمسين ــ وبعدئذ تمتع بسمعة رفيعة ، مع استمرار فقره ثم ظهر القسم الثاني من الكتاب في سنة ١٦١٥ ، وقد عمل المؤلف جهده في هذا الجزء ليجعل القسم الاول لعبة مسرة ، بان انطق شخوصه بكلمات تدل على عرفانهم بما صدر من قبل وفي السنة التالية لنشر الكتاب توفي سرفانتس ، ودفن في دير (الراهبات الحافيات) في مدريد .

لم يضع احدهم علامة ما على ضريحه ، ولكن روحه لا تزال تطوف في العالم بما عرف به من نبل الشخصية ، وبما كان عليه من روعة البراعة في عوالم الواقع والخيال ، والحق انه لا يزال يصر على شيء ذي اهمية بالغة بالنسبة الى العالم ، وخير ما يتمثل به هذا الشيء هو الفروسية ، ورفع شان المراة، والنضال دون حق المغبونين، المضطهدين، واصلاح الاغلاط واجتثاث المظالم ، كاننا لا نزال نسمع اليه وهو يقول :

« أيها السادة ، واذن فليكن احدنا فارسا ، ان ما تحدثت عنه لا يتجاوز نظام الفروسية ، ومع اني خاطىء فقدتمرست بهذه الحرفة، أنا اقر بجميع ما يقر به الفرسان المشاهير ، وهذه هي العلة التي تحثني على ارتياد الصحارى، والاماكن المنعزلة ، طلبا للمخاطر ، وفي نفسي عزيمة مضاءة مقصودة لتقديم يدي وشخصي لكل خطر محدق قد يداهمني ، وكل ذلك من اجل مساعدة الضعاف واغاثة الملهوفين والمحتاجين . »

غير ان العالم ظل الى الان مبهورا ، ضعيف الايمان . يعلق المؤلف على ما سبق من كلمات بايجاز قائلا « وبهذه الكلمات التي تفوه بها ، اقتنع المسافرون جميعا كل الاقتناع بان دون كيشوت كان متجاوزا نطاق عقله . »

ومما يغلب على ظنون دارسي سرفانتس انه لم يقصد من كتاب (دون كيشوت) غير هدف واحد هو القضاء على تاثير حكايات الفروسية . ومن الصواب ان نعد هذه القصص جل ما تداوله الناس في عصره ، على ما في بعضها من نفايات قد تكون مضرة او غير مضرة . ومن الصحيح كذلك ان منهج كتابه يعرض معايب هذه الحكايات الى فضح لاذع ، وبخاصة في الامور المتعلقة بالاخلاق ، وهذا ما نجده في مناظر محاكم التفتيش التي تحارب الكتب ، حيث يتضافر القس والحلاق ورب البيت وابنة اخيه لحرق الجزء الكبير من المكتبات . ولكن كيف تمكن سرفانتس من معرفة هذه الحكايات بهكذا حذق ودراية ، حتى اجاد في وصف حوادثها ، بلغة محببة لطيفة ؟

ومن الجدير ملاحظته هو اقصاء سرفانتس للقليل من هذه القصص من حكم الموت الزؤام ، ومن ذلك (اماديس الفولي) لان هذه القصة (من أحسن الكتب في منحاها ، كما ان قسطا معادلا من الثناء لهذا المديح يعزوه الكاتب الى (بالمرين الانكليزي) وهي الشخصية التي تتحكم في قصة (ترانت الابيض) التي يحسبها القس نفسه كنزا من الحبور . . ولذا يقول (الحق ان هذا الكتاب هو من احسن كتب العالم في اسلوبه . فهنا نجد الفرسان يتناولون طعامهم ، وينامون ويموتون في سررهم، ويضعون وصاياهم قبل ان يخترمهم القضاء المحتوم ، هذا بالاضافة الى اشياء اخرى تفتقر اليها الكتب من هذا الضرب . »

ومن الشواهد الدالة على ما يكنه سرفانتس من احترام لصفوة هذه الحكايات عادته المعروفة بربط عناوينها بعناوين قصائد هومر وفرجل ومن هنا نجد مقتطفات من (يوليسس) يستخدمها دون كيشوت حين كان يعلم سانخو بانزا في مجاهل سيرامورينا ، والقصد من ذلك ان تكون هذه المقتطفات نماذج في الصبر والحكمة وخير مثال على ذلك اينياس الذي هو اعظم الابناء واخلصهم وفاء ، واحسن الربابنة خبرة واطلاعا ، واماديس (نجم القطب ، وكوكب الصبح ، وشمس الفرسان العشاق اللامعين ، الذين ينبغي لنا اقتفاء آثارهم ، والدخول في المعامع تحت لواء الحب والفروسية .)

ومن الغرابة بمكان ان كتابا مثل هذا ، الذي هو نتاج ذهن مبدع خلاق ، لم يكن له من هدف غير التدمير والاهلاك، ولم يكن جديرا بشرف يتجاوز شرف الكناسين . ومع هذا، يحق لنا القول بان هذا الكتاب متعدد الجوانب ، يلائم كل الاذواق ، وتجد فيه جميع المعتقدات ما ينبىء باحقيتها وصوابها وذلك بان روح التهكم فيه من السعة والشمول والعمق ، بحيث يصعب الا على الاقلية من القراء اكتشافها. انها تشبه منجما في غاية العمق ، فيه كنز يتيسر التوصل اليه باسهل السبل . ومن هنا فالسخرية برمتها تنقد نظريات الانسانية وافكارها الناقصة، ليس بالاستعاضة عنها بما يماثلها ، بل عن طريق عرض حقائق الحياة ومقابلتها بالنظريات .

وما لنا نذهب بعيدا وحاكم العالم نفسه هو سيد السخرية ، وقد سمح للانسان بقسط من المتعة ــ في هذا الصدد ــ عن سبيل قوة الحقيقة المطهرة . اما اعضاء النوع الانساني الضعاف الشكسين ، فانهم يحاولون تجنيد الحقائق في خدمة آرائهم التافهة . ولكن روحا عميقة الغور ، رزينة السيماء ، كروح سرفانتس تعرف ان الحقائق لن تتحمل مثل هذه العبودية ، ولن تتلقى الاوامر من هؤلاء الذين يرغبون في القضاء عليها ، ولن تقنع بالكلام حين يطلب ذلك منها. انها تتطفل على الخطط المدبرة التي وضعتها الانسانية في شيء كثير من الفجاءة والسرعة ، والدهش واللامبالاة . ولذا فغض الطرف عنها غير ممكن ، فكم من انسان احتاط من المفاجآت ولكن الحب والموت غلباه على أمره . فكل انسان يسعه رؤية التهكم في (دون كيشوت) والتمتع باشكاله الواضحة الجلية . هذا سيد عجوز يحاول وضع أفكاره القديمة البالية في نطاق العمل في عالم صاخب ، اناني ، تافه ، انه شخصية تستدر الفكاهة ، حتى من احط العقول واقلها ذكاء

ولكن شيئا من التفكير يلجم استصغارنا لهذا الشان اليس الصلاح كله والفضيلة جميعها تتمثلان في حالة دون

كيشوت ؟ وبعد ، ماذا يعني المؤلف ؟ أهو يقول بان العالم على صواب ، ومن يحاول اصلاحه على خطأ ؟ اذا كان هذا هو ما يعنيه ، فلم نحب (الدون) كلما سرنا خطوة معه في جولاته ، حتى اننا نغمره بحبنا واحترامنا في النهاية ؟ امن المحتمل ان يكون النقد ذا حدين ، فما نحتفل به بضحكنا هو خيبة العالم ؟ والشيء المعجب في معالجة سرفانتس للقصة هو اخلاصه المطلق وصراحته التامة ، وابتعاده عن التصنع . فعالمه يسلك سلوكا متوقعا منه كما لو ان مصالحه اليومية اربكها مجنون بعنف وشدة .

واكبت الخيبات خطوات دون كيشوت الواحدة تلو الاخرى ، ولم تكن له شعبية لتخفف من النوازل المالية التي حلت بساحته . يقول (الدون) في حديثه مع سامبسون الاعزب (كل من يكتب عني لن يسر الا القليلين) والراحة الوحيدة التي يقدر الاعزب على العثور عليها تتبدى في وجود الحمقى الذين لا يحصرهم عد ، وذلك في القسم الاول من مخاطراته التي بعثت المسرة في قلوبهم .

ولنضرب مثلا لمعالجة سرفانتس لهذه الشؤون، بقضية انقاذ الصبي اندرز من أيدي ظالمه . فحين خرج (الدون) ممتطيا صهوة جواده من الخان، بعد تسلمه رتبة الفروسية، سمع صرخات متألمة صادرة من اجمة قريبة . ومن اجل ذلك شكر لله تقديمه له فرصة الخدمة هذه ، فادار راس حصانه ، وبعد مدة وجد فلاحا يضرب صبيا فما كان منه الا نعت الفلاح بالجبن ، على وفق اصول الفروسية ، ثم تحداه للنزال في معركة منفردة . رعب الفلاح من هذا المنظر الغريب ، وبيّن له ان الصبي هو خادمه ، وان لامبالاته الفظيعة جعلته يضيع شاة كل يوم . وبعد مناقشة حادة تم الاتفاق على عتق الصبي واعطائه حقه من الاجور، وعندئذ غادر الفارس المكان مغتبطا مسرورا . ثم اوثق الفلاح الصبي بالحبل ، واخذ يجلده بشدة اكثر من قبل ، وبعدها حل وثاقه واخبره بان يبحث عن الخلاص من ربقة سيده . هكذا ارتحل الصبي ناحبا ، في حين ظل سيده يضحك خلفه ، وبهذا الاسلوب اصلح دون كيشوت الصنديد اغلاطه ، ولم تنقض مدة طويلة على ذلك حتى وصل الفارس وخادمه الى بعض الصحارى ، وهناك وجدا الصبي بالمصادفة ، ودونك ما يسرده دون كيشوت من قصة تخليص هذا الصبي كدليل على فوائد الفروسية بالنسبة الى العالم ، قال :

« يقول الشاب اليافع (انكم) يا صاحب السيادة محقون في كل ما تقولون ، ولكن نهاية المشكلة كانت عكس ما تصورتموه سيادتكم ؟ ، وهنا لم يتردد دون كيشوت من القول : (ما تعني بضد ما حدث ؟ ألم يدفع لك سيدك ما اردته ، اذن ؟ فرد الصبي ، هو لم يدفع لي شيئا حسب، بل انه ما ان وجد نفسه وحيدا ، بعد مغادرة سيادتكم للمكان ، حتى شدني الى الشجرة نفسها ، وانهال علي بالضربات الى ان افرى جلدي ، كما وقع للقديس بارتولومبو، وكلما انزل بي ضربة اطلق نكتة ساخرة ، ليغمز من قناة سيادتكم، ولو اني لم اكن لاشعر بما صب علي من الم شديد، لضحكت مما قاله ونطق به . واللوم في كل ذلك يقع على سيادتكم ، فلو سرت في طريقك ، ولم تتدخل في شؤون الناس الاخرين ، لقنع سيدي بعدد يسير من الضربات ، ولكان قد اطلقني بعد ان سدد لي ما في ذمته من ديون ولما كنتم سيادتكم قد سلقتموه بالسنة حداد ، توهج غضبه واستشاط غيظه ، ولما كان غير متمكن من الثأر لنفسه ، افرغ سمه على راسي .

يعترف (الدون) بغلطه بحزن ولا ينكر انه كان ينبغي له تذكر حقيقة مؤداها (ان الاوغاد يخلفون ما يعدون ، ان لم يجدوا في وعودهم ما يناسبهم) ولكنه يبلغ اندرز بثقته بصلاح شانه ، مما يجعل الرعب الذي القي في قلب الصبي ينتفض فيقول (سيدي الفارس ، حبا لكرامة الله ، ارجوك ان صادفتني مرة اخرى ، ورايتني مقطع الاوصال ، الا تنقذني بان تمد الي يد العون ، بل أتوسل اليك ان تتركني لما انا فيه من الم ، لان مثل هذا الالم مهما يكن شديدا لا يمكن ان يكون اعنف من مساعدة سيادتكم ـ فما انتم ايها الفرسان الا لعنات صبها الله على هذا العالم !) وما ان سمع دون كيشوت ذلك حتى اخذ باذيال الفرار ، ذلك بان هذه القصة عرضته للسخرية ، فاستحيا من سائر رفقته ، الذين حاولوا جهدهم السكوت لئلا يضحكوا منه فيوقعوه في ارتباك عسير .

وفي القصة كلها لا يبيح سرفانتس للقارىء نسيان الحقيقة التي تتجلى في عبث ما يطلبه المصلحون من اجر وجزاء في هذا العالم . فاكوام المهانة التي تكدست على روح البطولة التي يتمتع بها (الدون) تقزز القارىء كما اشار الى ذلك تشارلس لام . صحيح انه ضرب ورفس ، وقلعت اسنانه ، ولكنه وجد العزاء في ذلك كله ، لان هذه الحوادث لصيقة بحرفته ، ووجهه الملوث بالوحل لا يمنعه من الرد على الساخرين به بكل لطف وادب .

وفي ذات يوم يضطر (الدون) الى حراسة احد الاسطبلات ، وفيما هو كذلك اذ بامراة ريفية تدعى (ماريتونيس) تتقرب منه وتشد ذراعنه بوتد معلق في الاسطبل ، فيظل الدون في مكانه تلك الليلة من غير حراك ، وما كاد الليل يتنفس ويقبل الفجر ، حتى جاء اربعة مسافرين الى حيث كان، وعندها لم ير بدا من تحديهم ومنازلتهم ، وكيف لا يفعل ذلك وهو الحارس الامين لكل النائمين في الخان ؟

ثم ان الدوق والدوقة اللذين استضافاه ، سخرا منه بهمجية ظاهرة قاسية ، وجعلا يلعبان بافكاره وآرائه من غير تورع ولا رحمة . ومن ذلك انهما حصراه في غرفة ، كانا قد ملاها بالقطط الوحشية ، فما ان دخلها الدون ، حتى اخذت القطط تخمشه وتخدشه بضراوة ووحشية ، الى ان ادمي وجهه ومزقت ثيابه ، ولما كان الباب موصدا في وجهه اضطر الى تحمل الالام بصبر واناة .

اما اصدقاؤه في القرية فقد كانوا ارحم بحاله ، ومع هذا فقد حملوه في قفص ، كانه وحش كاسر ، وذلك حينما طافوا به في ازقة القرية ، وكل ذلك لكي يغتبط الناس بالتفرج عليه . وتعليقا على هذا كله يقول الدون (انا فارس العالم الجديد ، وانا اول من احيا تقاليد الفروسية المنسية، اما هذه الامور التي طرات علي فما هي الا اشكال جديدة من السحر) ومن هنا نرى ان روحه تتسامى كلما ازدادت مآسيه ، كما ان ذهنه يشتد صفاء ونقاء ، كانه سماء لا غيوم فيها .

قد يعترض احدهم فيقول ان دون كيشوت رجل مخبول. وهنا تبدو سخرية سرفانتس في اعمق مستوياتها، اذ ان دون كيشوت لا يعدو كونه انسانا مثاليا ، رفيع التفكير ، لانه يرى الاشياء من خلال افكاره السامية ، فكل امراة جميلة في نظره ، جديرة بالاعجاب ، وكل شيء يقال له يستحق الاصغاء بكل وقار وانتباه ، كما ان اي اجتماع طارىء يعقد حتى في الخانات ، لا يلتئم الا على وفق قاعدة ثابتة من الاحترام المتبادل فهو لهذه الاسباب جميعا يوفق بين مسلكه في الحياة وافكاره التي تبناها ، وهذا ما يجعل الناس يضحكون منه ومن آلامه .

ثم ان احدنا قد يحسن الظن في سانخو بانزا فيحسبه عاقلا لبيبا ، لانه واقعي يحب اكل الطعام والنوم ، وينظر الى العالم نظرة تستمد وجودها من واقع الحياة ، ولذا لا بد من مقابلة شذوذ سيده ، بمستوى حياته الاعتيادية ولكن الامر ليس كذلك بتاتا ، فسانخو مجنون كجنون سيده ، ولكن على طريقته الخاصة . فاذا كانت الاوهام هي التي تخون السيد ، فالحاسة الطبيعية السقيمة هي التي تخيب ظنون الخادم الامين .

وهذه الحقيقة لا تتوضح في شيء كما تبدو في مشكلة الجزيرة ، التي ستسند ادارتها الى سانخو حين يعود دون كيشوت الى مملكته المزعومة . قد يظهر سانخو وكانه انسان مساوم خبيث النوايا ، ولكنه يعترف باخلاص سيده وصدقه وتجرده من الانانية ، ويؤمن بكل ما يسمع عن الجزيرة . انه يفكر كثيرا في مشاريعه ، ويستمر في نقده لها . وفي بعض الاحيان يصر على عدم جدارته برتبة الحاكم ، وتفاهة زوجته لانها لا تليق بمنزلة زوجة الحاكم . وفي احيان اخرى يؤكد بحماسة على ان كثيرين من الناس اقل جدارة منه ، ومع هذا ، فهم حكام محترمون ، يأكلون في صحون من الفضة . وفي ذات يوم يسمع انه ان لم ينل الجزيرة ، فهو سينجازى بقطعة ارض في احدى القارات ، ولذا يقرر ان تكون هذه القطعة على الساحل ، كي يتمكن من بيع سكانها متى ما شاء . ولذا لا يقتضي لسرفانتس ان يخبرنا بجنون سانخو ، وهذا ما يشار اليه بشيء من التوكيد في الكتاب مرات عديدة . دونك ما يقوله الحلاق حين يوجه كلامه الى الخادم : « ارى ان ترافق السيد في القنص ما دام حيا يرزق ، لانك مستحور مثله . وكيف لا وقد حبلت بوعوده في يوم من ايام الشؤم ؟ كما دخلت الجزيرة في جمجمتك في ساعة من ساعات النحس » .

ومن اجل ذلك ، حسب الناس هذين الشخصين من عداد المجانين ، ومع ذلك فمعظم حكمة الكتاب تعود اليهما ، وحين يمتنعان عن الكلام يتدهور الكتاب الى الابتذال ، وهذا امر معروف معترف به في الكتاب نفسه . ان الفارس وخادمه يثيران معا الدهش عند الناس باحاديثهما ، فيعجب السامعون من حكمتهما وعدلهما وصدقهما ، ومن جنونهما في افعالهما ان الكتاب ـ بالتاكيد ـ فردوس من المناقشة المسرة الحاثة على الحبور والانشراح ، في جميع الموضوعات المطروقة والمقدمة في اطر جديدة واقنعة حديثة مبتكرة . فالوضعية الدراماتيكية التي هي اساس الكتاب وفحواه ، لا تنسى ابدا . اما الاشياء التي قيلت ، فهي من النفاسة والجودة بحيث انها لو اخذت من اماكنها لظلت لامعة بارقة ولو في شيء يسير من الشحوب والتضاؤل .

ماذا يمكن ان يكون اروع من تناول دون كيشوت لمعضلة النسب ، وبخاصة حين يفكر في الزواج بابنة جميلة من بنات الملوك المسيحيين او الوثنيين؟ فهو يشير الى ضربين من النسب فيقول : (ان الخلاف بينهما هو هذا ـ فمنهم اصحاب حظوظ لا اصل لهم ، ومنهم من له محتد اصيل دون ان يكون له حاضر مشرف ، اما اذا نظرت الى المسألة جادا فانا من انا في شرف الادومة وذروة المجد ، وكيف لا وملك المستقبل سيكون صهري ، ثم هل من حكمة تفوق ما قاله سانخو حين تخلى عن ادارة الجزيرة المزعومة .

« تركت الجزيرة البارحة صباحا كما وجدتها بشوارعها وبيوتها . لم استدن شيئا من اي انسان ، ولم اختلط بمن همهم الارباح والمغانم ، ومع اني فكرت في تشريع بعض القوانين المفيدة ، الا اني لم انفذ مثل هذه الفكرة لاني خشيت من عدم تطبيقها الامر الذي يجعل من العبث تشريعها . »

كثيرون من الذين صادفوا هذين الشخصين في جولاتهما سحروا بكلامهما . وليس يقتصر الامر على هؤلاء حسب بل ان عالم الخيال الذي عاش فيه هذان الجوالان فيه جاذبية رائعة وعدوى افكار قوية . ومن هنا فقبل ان تصل القصة الى نهايتها نجد زمرة من الناس غير متجانسة ، كالدوق والدوقة والفلاحين ، نجدهم يتركون اعمالهم ليساهموا في خداع انفسهم عن طريق تمثيلهم لشخوص دون كيشوت في احلامه . صحيح انه ليس في العالم مملكة تدعى باراتاريا ولكن الذين عرفوها جعلوا يسعون حثيثا لكي يروا كيف يرتاح سنخو الى منزلة (الحاكمية) ومن اجل ذلك قدم الدوق قرية لسانخو بعد ان وظف فيها بعض الضباط حتى يقوم كل بدوره المعهود اليه . وبهذا الاسلوب حاولت بعض اوهام المتكلمين الكفاح قصد تحقيق وجودها ، كما ان احلام دون كيشوت خلقت السعادة التي افتقدتها .

وليس في القصة ما هو اقرب الى القلب وامس به من الصلة المتوثقة ابدا والاعجاب المتبادل بين الفارس وتابعه فكل يحترم حكمة الاخر ، ولكن دون كيشوت اكثر لياقة في كلامه من صاحبه ، واشد تأففا من امثال سانخو . ومن هنا نجد التأثير المتقابل بينهما ، فالفارس يصر على معاملة خادمه بلطف وادب ، في حين ان سانخو المسكين يعلن في النهاية ان جميع الحكومات الموجودة في العالم لن تتمكن من اغرائه وابعاده عن خدمة سيده المحبوب .

ماذا ، اذن ، نحكم على هذين المجنونين الذين تقطر الحكمة من شفاههما ؟ وماذا يظن الخالق بهما ؟ وهاك ما يقوله دون كيشوت عندما يتحدث الى صاحبه : « اصغ يا سانخو ، هناك ضربان من الجمال احدهما يخص الروح والاخر الجسد . اما جمال الروح فيفوق الجسد في معرفة الحشمة ، والسلوك المؤدب ، والتربية الصالحة ، وسماحة العقل ، وكل هذه الفضائل يمكن ان تتجمع في انسان قبيح ... »

وبهذا الاسلوب المتهكم الرائع ، يمضي سرفانتس في سرد قصته البهيجة .

بعقوبة ـ العراق **يوسف عبد المسيح ثروة**

الطيور المفقودة

لرابندرانات طاغور

•

ترجمة محمد الصباغ

•

تطوان ـ المغرب

○

الجذر الدفين لا يطلب هدية ليملأ الاغصان ثماراً •

النحلة تمتص عسلها من الزهور وترفرف قائلة : شكراً • والفراشة المسحورة تعرف جيداً أن الزهور مدينة له بالشكر •

من وراء قلبي الحزين ، توجد حسراتي ، وهمساتي ، ولكني لا استطيع فهمها !

أنت تبعثين الي برسائل الغرام في القمر • هكذا قال الليل للشمس ودموعي تجيبك في الاعشاب •

الورقة عندما تحب تكشف عن زهرة ، والزهرة تتحول الى ثمرة في عبادتها •

دعني أظن أن نجمة من هذه النجوم ، ستقود حياتي الى شيء خفي مظلم •

عندما طرقت حياتي بأصابعك اللطيفة أيتها المرأة : تفجر الايمان من اعماقي كالموسيقى !

الصوت الحزين الذي بنى أعشاشه في خرائب الاعوام ؛ يطربني في الليل قائلا : كم احببتك

كم عندي في السماء من نجوم مشتعلة ، ولكن واحسرتاه ، على قنديلي الصغير المنطفىء في بيتي !

قدرة الله اللامتناهية لا توجد في العاصفة ، بل في النسيم الهادىء •

ان قطرات الشتاء عندما تقبل الارض تقول لها بحنان : نحن بناتك الحزينات يا أماه ! وقد أتينا لزيارتك من السماء •

السكينة تهيم بصوتك ، كما يهيم العش بموسيقى الطيور الناعسة •

اني لاجهل ذلك الطائر الفجري الذي يحوم في عش سكينتي كل الليالي •

العالم الاليم يقبل روحي ، ويريد من بعد ، ان ارجع له ألمه في اناشيدي •

ما هذا الذي يقبض على صدري؟ أهي روحي التي تريد ان تجنح الى اللانهاية ، أم هي روح العالم التي تريد ان تدخل الى صدري ؟

الفكر يتغذى بالفاظه ، لذلك يكبر سريعاً •

سأترك لاحبائي أشيائي الصغيرة، أما أشيائي الكبيرة فسأتركها للكل•

أنا كطريق في ليل ، ينصت في سكون ، الى خطوات الذكريات •

ان الذي يتصيد الفرصة المواتية ليعمل الخير ، يفر منه الزمن دون ان يعمل الخير •

يقول القوس للسهم وقت الوداع حريتك هي حريتي •

قالت قطرة الشتاء الى الياسمينة همساً : خذيني الى قلبك الى الابد!

زفرت الياسمينة قائلة : آه ! وسقطت على الارض •

كيف سأنحني اليك ، واعبدك ايتها الشمس ، قالت الزهرة الصغيرة • فأجابتها الشمس : في صفاء هدوئك المتواضع •

ليل ، ونهار ، أنشودة الموت الابدية التي تثور ، كبحر حول جزيرة الحياة ؛ ذات الوحدة والسكينة •

فتش عن جمالك يا قلبي في حركة العالم ، كقارب يأخذ هبته من الرياح والمياه •

انظر اليها وهي معفرة في الغبار، تلك الزهرة التي طمحت ان تكون فراشة •

من الزهور ، ونور الشمس تعلمت حقيقة سكينة تنهداتك ! فعلمني حقيقة كلماتك في الالم والموت •

أنا طفل مستيقظ يا اماه ! انظري الى اصابعي التي تفتش عنك في الظلام •

لقد انتهى نهار عملي ، دعيني اخبىء جسدي بين ذراعيك يا امي ، اتركيني احلم فيك •

ايها العالم ، احضن في سكينتك عندما اوارى التراب هذه الكلمة : أحببت •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

في عيد الميلاد

بقلم نديم ناصر

كاد الليل ينتصف والطبيعة ثائرة هائجة تنذر بعاصفة لا تذر ولا تبقي ، ولا زالت سلوى تتقلب على فراشها الوثير تتدثر بالاغطية السميكة لائذة بها من البرد القارص في الخارج .

الريح تصفر وتعول كأنها مردة الجن قد خلا لها الجو فعاثت في الارض فسادا ، وهدير البحر القريب من المنزل كأنه طبول ينقل صوتها من المجهول ، وحبات المطر التي لا ينقطع سيلها بضرباتها الرتيبة على زجاج النافذة توحي بالوحشة والرهبة .

لم تكن سلوى قد تجاوزت بعد السابعة من سني حياتها ، وقد نشأت في بيت رفرفت عليه السعادة الى حين واختفت بانطفاء حياة ام سلوى التي توفيت متأثرة بمرض عضال .

انقلبت حياة سلوى الى جحيم لا يطاق ولما تجف بعد دموع الحزن والاسى من عينيها لفراق امها الابدي عندما تزوج ابوها من امرأة اخرى كانت تتردد كثيرا على البيت من قبل وفاة امها مدعية انها من قريبات الوالد

انها لا تذكر من امها غير طيف شاحب اخذت تتلاشى معالمه مع مر الايام ، ولكنها تشبثت بهذا الطيف وتحاول ابقاء رسمه راسخا في مخيلتها الصغيرة ، لانه طيف حبيب الى قلبها طيف كان يمنحها بسخاء العطف والحنان . وكانت تلجأ الى صورة صغيرة لامها كانت قد اخفتها في درج غرفتها بعد ان نزعت زوجة ابيها الصورة ذات الاطار الجميل المعلقة في غرفة الاستقبال ، كانت تلجأ الى هذه الصورة تستعيد معالم وجه امها محدقة في الرسم ساعات وساعات كلما اوشكت هذه المعالم على التلاشي .

وتذكر كذلك يوم ووريت امها التراب كيف وقفت منزوية في ظل شجرة سنديان كبيرة تنظر الى النعش المصنوع من الخشب الثمين النظرة الاخيرة قبل ان يوارى التراب الى الابد . وتذكر كيف كان ابوها يقف بين المشيعين متظاهرا بالحزن العميق على فراق زوجته ، ولكن ما كاد المعزون ينصرفون من البيت كل الى سبيله حتى عرفت سلوى كم كان ابوها منافقا عندما كان يتظاهر بالاسى امام قبر الراحلة ، اذ ما لبثت ان اقبلت عليه قريبته التي كثيرا ما ترددت على البيت من قبل ، ولكم كانت دهشة سلوى واسفها عظيمين عندما تلقاها بين ذراعيه وطبع على شفتيها قبلة ولهى ، مما اثار الحقد في قلب الصغيرة على هذه المرأة التي احتلت مكان امها بهذه السرعة والسهولة . ثم استدارت هذه المرأة لتأمر الخادم بان تأخذ سلوى الى غرفتها لتنال قسطا من الراحة بعد عناء اليوم ولم يخف على سلوى يومئذ انها انما ارادت ابعادها الى فراشها ليخلو لهما الجو . نعم لقد آوت سلوى وقتئذ الى غرفتها قسرا ، وجفا النوم جفنيها المتعبين وعينيها الحمراوين وهي تسمع قهقهاتهما العالية تتردد في جنبات البيت ، وكأن ملاك الموت لم يكن بالامس يرفرف في انحائه متحينا الفرصة لاختطاف أمها الرؤوم . ولم يخطر ببالها من قبل ان والدها كان يتعجل وصول هذا الملاك ويرحب بقدومه ، بل اعتقدت عن ايمان انه جزع حزين لما اصاب زوجته وام فلذة كبده .

كان والد سلوى ثريا بل فاحش الثراء من تجارة كبيرة له . ولم يكن يضن على ابنته اليتيمة بشيء من مأكل ومشرب وملبس وكماليات في مدرستها الداخلية حيث اودعها بعد ان قرر الزواج من قريبته . وطلب الى المشرفة على المدرسة ان تبقيها هناك طوال العام ، اثناء الدراسة واثناء العطل المدرسية لانه — كما يدعي — كثير التنقل والسفر ليقوم على شؤون تجارته واشغاله . وكانت سلوى مع حداثة سنها تعلم ان تجارة ابيها ثابتة لا تحتاج الى تنقل او سفر ، هذابالاضافة الى ان الموظفين في محاله يقومون بجميع الاعمال الخارجية بانفسهم . وكانت تعلم انه ما ابعدها عن البيت الا زهدا في رؤيتها وعزوفا عن مضايقتها من قريبته التي ستغدو زوجا له عما قريب

شعرت سلوى بمقت شديد لهذا الوالد ، وتمنت ان تبتعد عنه الى الابد لان بعده وقربه اصبحا سيان . وكثيرا ما كانت تخلو الى نفسها في غرفتها في المدرسة تذرف الدمع السخين وتستعيد طيف امها الحبيبة علها تحظى منها بابتسامة او كلمة تشجعها على احتمال كره ابيها لها نعم ... ان اباها بمقتها ولا شك، والا لم كل هذه المعاملة القاسية كأنها ليست ابنته . وانها لا تدري لذلك سببا .. فقد كان قبل وفاة أمها يعطف عليها ويدللها ويداعبها بين فينة واخرى مما يبعث النشوة والسعادة في جوانحها .. انها مثال الطاعة والهدوء . فقد علمتها امها ان تكون دائما فتاة طيبة نحو الاخرين وتلبي طلب المحتاج وتساعد الفقير ، لقد تشربت نفس سلوى هذه التعاليم النبيلة .. وكانت تواظب على اداء الصلاة قبل نومها من كتاب صغير

اهدته لها امها قبل وفاتها ، فكانت تجد في اللجوء الى هذا الكتاب راحة كبيرة تعينها على تحمل ما تقاسيه من حرمان .

انصرم عام وتلاه اخر وسلوى رهينة المدرسة ، لا تخرج الا مع المربيات اللواتي احببنها حبا جما لطيبة اخلاقها وطاعتها ولما تبديه من ذكاء وتفوق ، في جولات مع زميلاتها التلميذات ، ثم تعود ثانية الى دروسها وكتاب صلاتها . ولم يستطع العطف الذي تسبغه المربيات على سلوى ان ينسيها قسوة ابيها وجفوته لها فهو لم يأت لزيارتها طوال مقامها في المدرسة الا مرة واحدة ينوء بحمل من الهدايا والملابس والحلوى ، ولم يمكث الا دقائق انصرف على اثرها بعد ان كرر على المشرفة بالا تسمح لسلوى باية عطلة . وشعرت بمقت شديد لهذه الهدايا ولهذه الحلوى ، لان والدها يعتقد انه استطاع ان ينسيها بما يغدق عليها ان لها الحق في ابوته ، وان لها الحق في ان تحظى بالعيش تحت جناحيه ليفرش عليها ظلال ابوته . في هذه المرة اليتيمة التي زارها فيها والدها طالعتها جبهته وعيناه الحازمتان وشفتاه المزمومتان ، فارتجف قلبها هلعا وتمنت لو انه لم يأت ، او انه لا يعود .

وفي ذات صباح هبطت سلوى من غرفتها الى الردهة الداخلية ملبية جرس الافطار فوجدت زميلاتها يحزمن حقائبهن استعدادا للرحيل ، وقيل لها ان عيد الميلاد على الابواب ، وان الفتيات في طريقهن الى منازلهن ليتمتعن بعطلة العيد بين ذويهن في انتظار بابا نويل ليحضر لهن هداياه الثمينة التي لم يتخلف عن احضارها عاما واحدا .. ويا لها من هدايا جميلة ... وكيف كان بابا نويل بلحيته الطويلة التي تتدلى حتى وسطه وثوبه الفضفاض وقلنسوته الحمراوين وقد تناثرت عليها ندوف الثلج ، كيف كان يضع الهدايا التي يهبط بها من السماء تحت الوسادة أثناء نومهن او يتركها لهن في احد الادراج القريبة ليجدنها عندما يستيقظن في الصباح

شعرت سلوى برغبة ملحة في ان تحذو حذو زميلاتها فاسرعت الى المشرفة ورجتها ـ والدموع تترقرق في عينيها ـ ان تسمح لها بالذهاب الى بيت ابيها وقضاء عطلة العيد . ولكن المربية بلباقتها اخبرتها ان والدها مشغول ولن يسمح له وقته بقضاء العيد معها ، وليس معقولا ان يتركها في البيت تقضي فترة العيد وحيدة . ولكن سلوى الحفت في الرجاء وقد نسيت في تلك اللحظة كل ما كانت تعرفه عن قسوة ابيها ولا مبالاته بها . ومضت تقول لن يضيرني البقاء وحدي في البيت ، فان الخادم ستعنى بامري كثيرا ايام العيد ، ثم غمغمت بصوت كئيب .

ثم ، ثم ان بابا نويل سيحضر الى البيت .. ولن يحضر الى المدرسة ـ هكذا قالت زميلاتها ـ ولكنه يزور الاطفال في بيوتهن فقط . اثر هذا الموقف الحزين والدموع التي كانت تملأ عيني سلوى البريئتين ففكرت المربية ان تتصل بوالدها ، ذلك الاب الذي كانت تمقته لسوء معاملته ابنته ، ورات ان تنقل اليه رغبة هذه الطفلة الحزينة .

وقبل الوالد زيارة ابنته له لتقضي ايام عيد الميلاد في البيت لكثرة ما الحت عليه واحرجته المشرفة على تعليمها . وفي ذات مساء عادت الفتاة وحدها تحمل بيدها حقيبة ثيابها الصغيرة وقلبها يخفق .. فهي لا تدري كيف سيلقاها ـ . اتراه يرحب بها ؟ ام انه سيقابلها كعادته بجفاء وقسوة . بسنتان طويلتان ممطوطتان تعود بعدهما فتطأ عتبة البيت الجميل الذي احبته وقضت سني طفولتها بين جنباته . طرقت الباب . وانتظرت طويلا قبل ان تعيد الكرة .. واخيرا انشق الباب عن وجه زوجة ابيها المريد التي تبادرها بالسؤال عما تريد .. ولم تدر سلوى بماذا تجيب .. ماذا تريد .. يا له من سؤال . نعم ماذا تريد ؟ لم اقبلت الى هذا البيت؟ اليس لتقضي عطلة عيد الميلاد مع والدها ، ولتنتظر بابا نويل القادم من السماء ليجلب لها الهدايا واللعب.. ثم انها كانت مصممة على عمل شيء ان حالفها الحظ وقدم بابا نويل وهي لا تزال مستيقظة ، وستحاول جهد طاقتها ان تبقى مستيقظة لتراه وتنفذ خطتها .. ولكن لم تسألها زوجة ابيها عما تريد وكأنها لم ترها من قبل ، لقد وافق ابوها على ان تقضي فترة العيد في البيت فما بال هذه المرأة تتجاهلها بهذا الشكل . وتنبهت سلوى من شرودها عندما كررت المرأة الواقفة في الباب سؤالها عما تريد . عز على سلوى ان تسأل هذا السؤال في بيتها ، والمها كثيرا هذا التجاهل المتعمد .. من تكون هذه المرأة حتى تعاملها هكذا . وانفجرت مراجل غضب الصغيرة وصاحت . ماذا اريد ؟ ... اريد ابي نعم اريد ابي ان هذا البيت لنا .. افسحي الطريق حتى ادخل حالا ثم انخرطت في بكاء مرير .

قالت المرأة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة صفراء : اذا فانت سلوى ابنة زوجي ... ادخلي ولكن حذار من ان تحدثي اي صوت ، فان الضجة تضايقني . ثم قالت وهي تحاول ان تكسب لهجتها طابع المجاملة : لشد ما كبرت يا سلوى

صدر حديثا :

يقظة العالم الاسلامي

للمؤلف الالماني فرنو

ترجمة بهيج شعبان

علق عليه العلامة الشيخ سليمان ظاهر

وعلق على ما يتصل منه بشؤون عربية صرف

المجاهد علي ناصر الدين

سفر قيم يقع في ٣٠٠ صفحة

يبحث في تطور العرب والمسلمين ومصارعتهم الاستعمار ونهضتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية يجدر بكل عربي اين ما كان ان يقرأه

اطلبوه من المكتبات العربية في كل بلد

ومن دار الحكمة

للتاليف والترجمة والنشر في بيروت

حتى انني كدت لا اعرفك بادىء الامر .

لزمت سلوى غرفتها في انتظار والدها ، وتسللت الشمس شاحبة تنحدر الى الافق ، واخذت جيوش الظلام تطارد فلول النور ، واربد الجو واعولت الريح وهطل المطر ، فشعرت سلوى بانقباض مرير واوت الى فراشها . وانقضت ساعات وهي تنتظر فجافاها النوم ولم يعد والدها ... والدها ؟ ان في عينيه قسوة تفزعها وفي مثل هذا الوقت من الليل خاصة .. لا .. انها تنتظر بابا نويل ليجلب لها الهدايا من السماء . انها تريد ان تبعث معه تحية الى امها ، تريد ان تشكو لها حالها وما تقاسيه من عذاب في جفاء والدها . ولكن ؟ ولكن يقولون ان بابا نويل لا يزور غير الاطفال النائمين، وها هي ما زالت يقظى .. وقد يهملها ويتخطى البيت الى الجيران فيحمل لاطفالهم نصيبها من اللعب والحلويات ... ولكن كلا .

ودقت ساعة الدير القريب دقاتها الرهيبة الاثنتي عشرة ، فأغمضت سلوى عينيها متظاهرة بالنوم وقلبها يخفق بشدة في انتظار هدايا بابا نويل ، وفي مفاجأتها له حينما يكتشف انها هزئت به عندما تظاهرت بالنوم ، اتكون الاولى بين جميع الاطفال التي استطاعت ان تشاهد بابا نويل بلحيته الطويلة وطربوشه الاحمر وكيسه الضخم من فوق ظهره ممتلئا بالهدايا واللعب .

وبعد لحظات حسبتها سلوى زمنا طويلا شعرت بالباب يفتح وبوقع قدمين تخطوان بهدوء وسكينة خشية ايقاظ النائمة . ايقنت سلوى ان بابا نويل نفسه قد حضر ، فارتجفت اوصالها واحست برهبة عندما امتدت يد تحت وسادتها في حذر لتترك شيئا كبيرا ، انها بلا شك هدية بابا نويل ... يا له من شيخ كريم .. وسخي جدا ، يكلف نفسه هذه المشقة في مثل هذا الجو العاصف ليحمل هداياه الى أطفاله ... انها تحبه . تحبه كثيرا ، وتتمنى لو تستطيع تقبيل يده النحيلة اعترافا بجميله .

واحست سلوى احساسا عميقا ان بابا نويل يرمقها بنظرات حانية ، ربما يبتسم مشفقا ايضا . ولكم كانت دهشتها عظيمة عندما فاجأها بقبلة ابوية رقيقة يطبعها على جبينها انها لا تشك ان بابا نويل يحبها ، والا لما خصها دون الاطفال بهذه النظرات الرحيمة وهذه القبلة الحانية .

وتذكرت سلوى انها كانت قد صممت على ان تسأله شيئا ، وايقنت انه لن يخيب لها رجاء بعدما ابداه من عطف وحب استجمعت شجاعتها واخذت تفتح عينيها شيئا فشيئا حتى استحالت نظراتها الى حملقة لشدة الظلام ، وتبينت منه بعد جهد شبحا اسود يقف في الظلام الدامس ، ودققت النظر علها ترى لحيته الطويلة وقلنوسته الحمراء ، ولكن بصرها ارتد خائبا دون اختراق حجب الظلام . وعندما لاحظ بابا نويل ان الطفلة قد استيقظت دنا منها مطوقا اياها بذراعيه مما زادها جراة على الافصاح عن مطلبها . نهضت الصغيرة وطوقت عنقه بذراعيها البضتين وناشدته في صوت مرتجف

.. يا سيدي بابا نويل .. انني اشكرك كثيرا على الهدايا التي جلبتها لي وعلى المشقة التي تكبدتها من اجلنا في هذا الزمهرير .. ولكن لي رجاء يا سيدي ارجو الا اثقل به عليك .. انني فتاة مطيعة جدا ولن اسبب لك اية مضايقة ان تكرمت واخذتني معك الى السماء . فان امي هناك منذ عامين وبي شوق عظيم لرؤيتها ... ثم .. اني يا سيدي الكريم لا استطيع العيش مع ابي، انه قاس جدا يفزعني بنظراته ، انه . لا يحبني ، بل يمقتني ، ولا ادري لذلك سببا مع انني في اعماقي احبه واحترمه بالرغم من كل هذا .. كما ان زوجته الجديدة قاسية ايضا فقد عاملتني في ليلة عيد الميلاد هذه بخشونة وجفاء واجبرتني على البقاء في غرفتي كالسجينة . وشرقت بالدمع وهي تستطرد . ارجوك يا سيدي بابا نويل ، ساكون فتاة طيبة جدا ومطيعة وساعمل بما تشير به علي .. ولن اضايقك ابدا ان اخذتني الى امي ، فاني اخشى ان عاد في الصباح ان يعاملني بخشونته المعهودة فيفسد علي بهجة العيد وفرحة الاستمتاع بهداياك الجميلة ، ثم اني ساعود الى المدرسة كسيرة القلب حزينة ولا اجد ما احدث به زميلاتي عن مباهج العيد كما يفعلن .

انخرطت سلوى في عاصفة من البكاء عندما ضمها بابا نويل الى صدره واخذ يقبلها في اماكن عدة من وجهها ورأسها واحست بدموعه تنساب ساخنة صامتة ، يا الهي ما ارق هذا البابا نويل .. انه يبكي من اجلها ، ان الله يبعثه للمعذبين والتعساء من الاطفال يواسيهم ويخفف الامهم ، لا ريب انه سيأخذها معه الان بعد ان علم مقدار تعاستها وشقائها . وزادت من ضغط ذراعيها الصغيرتين من حول عنقه خشية ان يتراجع ويذهب دون ان يأخذها الى امها

في خارج الغرفة كانت العاصفة عاتية صاخبة ، ولمع البرق قويا ، فاضاء ارجاء الغرفة الظلماء للحظات استطاعت خلالها ان تتبين بابا نويل الذي يحتضنها وتطوقه بذراعيها . صاحت ... ابي . ابي . وانفجرت في بكاء ، بكاء من نوع اخر ، انه بكاء الفرح .. اذن فان اباها يحبها ... يا للسعادة

قال الاب.. نعم يا سلواي . انا ابوك سامحيني يا ابنتي .. رحماك يا الله انني لم ادرك الا اليوم ان لي ابنة تحتاجني ، ابنة اعاملها بهذه القسوة .. سامحيني يا سلوى .. سنبقى من اليوم معا ، لا تخشى شيئا فلن تعودي الى المدرسة الداخلية بل ستبقين في البيت قرة لعين ابيك .. وغمغم لنفسه بصوت خافت حانق : يا لتلك المراة !

كانت توحي الي دائما الابتعاد عن هذا المدك ، ستبقين يا سلوى معي ولو اضطررت الى الابتعاد عن تلك المراة .

والقت سلوى براسها على صدر ابيها العريض تغترف ما شاءت من العطف والحنان من ذلك الينبوع الغزير الذي تفجر فجاة من صخرة صماء ، وغمغمت « يا له من عيد جميل » .

ولمع البرق ثانية ، وازاح ظلمات الغرفة عن منظر الاب والابنة متعانقين في صمت وسكون .

بير زيت ـ الاردن **نديم ناصر**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيسى اسكندر المعلوف

بقلم يوسف يعقوب مسكوني

تفتال المنية بين الفينة والفينة رجالا اوقفوا حياتهم في خدمة العلم والادب والمعرفة والتحقيق فتكون تلك الحياة نادرة المثال عزيزة الحصول على اشباهها . فتخلو مكانتها ويعز على الغيارى فقدانها فتمر حقبة من الزمن خلوا من امثالها . والعلم والادب لا يرتقيان الا على يد امثال هؤلاء النوابغ يدابون كل حياتهم في البحث والدرس والتحقيق والتنقيب على الصحيح من العلم والسالم من الخطأ يصبحون بعد عمرهم المديد حجة بل منهلا لاستدراك الصواب وقويم المحجة من البحوث العلمية والادبية واللغوية . فلا يكاد يدركهم الموت الا وتنعاهم المجامع العلمية والمعاهد الثقافية والمؤسسات الفنية وغيرها في انحاء المعمورة . يموتون في بقعة قد تكون صغيرة من بقاع الدنيا فتهتز لموتهم البقاع وتشيد بذكرهم مختلف الممالك والامصار . كل ذلك يجري تقديرا لنبوغ النابغة واعترافا بالفضل لذوي الجهود الجبارة والعاملين على رفع منار العلم في جميع الانحاء العالمية .

وما من رجل اعظم ممن يخدم العلم والادب طيلة حياته لا ينفك يعمل بين الكتب والمكتبات والمجامع والجامعات وفي اليوم الثاني من شهر تموز ١٩٥٦ رزيء العالم العربي بوفاة العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع اللغوي في القاهرة وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . فكان لنعيه اعظم الصدى في جميع الاوساط العلمية والادبية في الشرق العربي والاسلامي .

وقد ولد الفقيد في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان عام ١٨٦٩ في قرية كفرعقاب من متن لبنان من ابوين ينتميان الى اسرة حورانية غسانية . وقد درس في صغره مبادىء العلوم في مدرسة القرية على الطريقة القديمة . ثم انتقل الى مدرسة المرسلين الانكليز فاتقن العربية وبعض الانكليزية والرياضيات ثم التحق بمدرسة الشوير العالية في متن لبنان امدا قصيرا وما لبث ان انصرف بعد ذلك الى المطالعة الشخصية وحضور مجالس علماء عصره ومنهم الشيخ ابراهيم اليازجي . فلما اجتمع له من العلم بالعربية قدر واف اخذ يدرسها في بعض المدارس الخاصة ويؤلف لطلابه فيها كتبا تعينهم على التبحر فيها والتمكن منها .

فلما انشئت جريدة لبنان سنة ١٨٩١ اصبح يحرر فيها دون ان ينقطع عن التدريس . وظل يمد كثيرا من الصحف والمجلات في هذه الفترة في الوطن والمهجر بمقالاته وابحاثه ودراساته كما كان يلقي محاضرات نافعة على الجمهور بين حين واخر . وقد اصدر سنة ١٩١١ مجلة الاثار مدة ثلاث سنوات توقفت بعدها اثر نشوب الحرب العالمية . ثم عادت الى الصدور بعد انتهاء الحرب . وقد ذكر العلامة الاستاذ يوسف اليان سركيس صاحب كتاب معجم المطبوعات العربية ، انها كانت تصدر سنة ١٩٢٨ في مدينة زحلة ولا نعلم بالضبط متى توقفت هذه المجلة . وفي خزانتي مجلد واحد لسنتها الثانية ١٩١٢ وهي طافحة بمقالاته النفيسة القيمة مما لا يتسع ذكره في هذا المجال القصير .

وقد ساهم الفقيد في ديوان المعارف في عهد الحكم الفيصلي في الشام مساهمة محمودة مشكورة واشترك في تقويم لغة الكتب المؤلفة او المترجمة آنئذ فلما اصبح هذا الديوان المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ سمي الفقيد عضوا عاملا فيه فشارك في وضع اسسه واقامة دعائمه وفي الكتابة في مجلته والمحاضرة في ردهته . ثم حين تحول الفقيد عن دمشق الى مدينة زحلة وعاد الى الاقامة فيها اصبح عضوا مراسلا للمجمع ثم انتخب عضوا في المجمع العلمي اللبناني عند تأسيسه في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ كما عين عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ انشائه في ٦ تشرين الاول سنة ١٩٣٣ .

وقد كان الفقيد واسع الاطلاع طويل الباع ولا سيما في علم التاريخ بصيرا بالكتب مخطوطها ومطبوعها حريصا على اقتناء الفريد والقيم النفيس منها فكانت خزانته من اغنى خزائن المشرق بالمخطوطات وقد انتقل منها الى خزانة الجامعة الاميركية نحو خمسمائة مخطوط لما ازمع المرحوم الى السفر الى البرازيل حيث يقيم اولاده النابهون والنابغون .

وكان مترجمنا الفقيد الى ذلك صبورا على البحث مكبا على الدرس دؤوبا على التاليف لم يقعده عن ذلك الا اشتداد وطأة المرض عليه في السنوات الاخيرة ولا شك في انها امراض الشيخوخة اذ يكون قد عمر سبعا وثمانين سنة كما ذكرنا تاريخ ولادته ووفاته . وقد الف الكثير من التصانيف المفيدة ، ولكن لم يطبع منها الا القليل . قال صاحب معجم المطبوعات العربية في معجمه :

ورايت في خزانة هذا الاستاذ الكبير مجلدات ضخمة من تاليفه كلها مخطوطة ومعدة للنشر منها تواريخ الاسر السورية والمصرية وغيرها من تواريخ الديار السورية واثارها . وهو دمث الاخلاق لطيف المعشر مقيما بزحلة التي استوطنها منذ صغره . ثم يذكر المطبوع منها حتى سنة صدور المعجم وهي خمسة كتب .

كتاب « الاخلاق مجموع عادات » وهي رسالة في التربية وتنمية الاخلاق في البيت والمدرسة والعالم طبعت في المطبعة الادبية ببيروت سنة ١٩٠٢ وكتاب « الام والمدرسة » وهي رسالة طبعت بالمطبعة البطريركية ببيروت سنة ١٩١٠ فكتاب « تاريخ مدينة زحلة » ضمنه تاريخ كثير من الوقائع للبنان ولا سيما سورية المجوفة وتحليل اسماء القرى بحسب الاساطير القديمة طبع بمطبعة زحلة العثمانية سنة ١٩١٢ في ٢٩٨ صفحة . ثم كتاب « دواني القطوف في سيرة بني معلوف » وهو مطول في تاريخ حوادث منشأ الاسر الحورانية العربية وتاريخ مئات من الاسر السورية والمصرية ثم تاريخ اسرته المعلوفية طبع بالمطبعة العثمانية بعبدا بين سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ في ٧٤٩ صفحة وكتاب « الكتابة » وهو بحث تاريخي ادبي في الخطوط

طبع جزء منه بالمطبعة العثمانية بعبدا سنة ١٨٩٥ .

وقد ذكرت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في عددها الاخير الذي استقينا منه خلاصة هذه الترجمة كتبا اخرى طبعت بعدئذ وهي كتاب « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » طبع في جونيه سنة ١٩٣٤ في اكثر من اربعمائة صفحة وكتاب « تاريخ الاسر العربية المشتهرة بالطب واشهر المخطوطات الطبية العربية » وكتاب « تاريخ الطب عند العرب » ثم كتاب « تاريخ قصر آل العظم بدمشق » الى اخر ذلك مما لم تتيسر معرفته .

اما مصنفاته المخطوطة التي لم تطبع « كتاب مطول في تراجم ادباء القرنين التاسع عشر والعشرين » وهو اشبه بذيل لكتاب سلك الدرر للمرادي . وكتاب في «تاريخ الحرب العالمية الاولى » ثم كتاب « شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة » في الشعر والشاعر والفنون الشعرية وكتاب « نفائس المخطوطات الكبيرة » في وصف نوادر الكتب المخطوطة ومزاياها ثم كتاب « خزائن الكتب العربية » .

وقد قالت فيه المجلة المذكورة انه كان كريم الخلق هادىء الطبع واسع الصدر عميق الفكر جم التواضع عالي الهمة جوادا بعلمه طويل الاناة . اما مقالاته في امهات المجلات كالمشرق اليسوعية والهلال والمقتطف والاديب وغيرها فحدث عنها ولا حرج تدل كلها على علم غزير واطلاع عميق وبحث دقيق مما يدل على تتبع متواصل واقتباس من مئات الكتب المخطوطة والمطبوعة مما في خزانته والخزانات الاخرى الخاصة والعامة مسافرا كان او مقيما كما ان مواضيعها نادرة المثال غير مطروقة تفيد القارىء وتغني الباحث المتطلع الى ما ليس له علم به ولولا ضيق المجال لذكرت بعض عناوين هذه المقالات مما عثرت عليه في مضامين مجلته « الاثار » آنفة الذكر والمجلات الاخرى العديدة في مختلف الاقطار العربية . ففقدانه فقدان ركن من اركان اللغة والادب والتاريخ وخسارة لا تعوض بل قلما يجود الزمن بمثله .

بغداد — يوسف يعقوب مسكوني

زلفاء

اليها في السادسة ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

✳

•• فتخطري في الكون ، وأنتصبي على جبل الاماني
« زَلْفاء » ، زوبعة البراءة ، طرزت •• بفم الزمان
« زل فاء » ، صوغي الانس شالا حول كتفك في حنان
ان انفلات السحر من عينيك شلال أناني
طربت وجاءت أمة الالحان من قاص ودان
لتعد خطوك ، يا لخطوك •• نغمة ، بزت كماني

✳ ✳ ✳

« زلفاء » يا مرح الطفولة ، نوري الشفق الدخاني
با أنت ، يا « زل فاء » قومي واستريحي في مكاني
فأنا أعيش على كياني

بغداد — حارث الوفي

سكران

○

دعيه تخور وتفنى قـواه ... ويفرغ من جوفه ما احتـواه
وتهوي علـى دربه ركبتـاه ... وتطبـق جفنيهما مقلتـاه

دعيـه يغط بنوم عميـق ... فهيهات من سكره ان يفيـق
فيا طالما عرفتـه الطريـق ... كشلو تريب مهان عتيـق

دعيه انظري قد اتاه الخفـير ... يتمتم • قد عدت لي يا حقير ؟
اما اخترت لي غير ليل مطـير ... لتسكر ؟ نم سلوة الزمهرير

وعاد الخفير لنضو الشقـاء ... ليحملـه قربـة للسمـاء
فيسقط من قدميـه الحذاء ... ومن جيبه بعض طين ومـاء

عطر

○

الذكريات الماثـلات تهزني ... ومن التذكـر غصة واوار
ايام غردت الحيـاة ورقت ... النجوى وزفت سحرها الاوتار
وجنان لبنان تفايض روعـة ... يسبي النفوس بها الهوى الغرار
وحديثك العذب الشهي كأنه ... مما تعب وتحتسي السمـار
لا شيء غير خواطر بسامـة ... زمن صفى فصفت به الاوطار

★ ★ ★

الذكريات الماثلات تقضني ... وهواجس الذكرى لهـا اغوار
هذا صداك الحلو ملء مسامعي ... وسناك مما تلمح الابصـار
وعلى طريقي من خطاك منابت ... للخصب يعبق عطرها المـوار
ولانت انت معي وطي جوانحي ... أنى اتجهت وان نأت بك دار
وكذاك ارواح الاحبة تلتقي ... بعد الفراق وتنطوي الاستار

جامعـة برشلونـة ... باقر سمـاكـة

قصة لروبرت ستيفنسون

ماركايم

ترجمة سمير تنير

قال التاجر : نعم !.. ان تحفتا متنوعة . انت تعلم ، الزبائن اما جهلاء لا يعرفون شيئا عن التحف القديمة فاضطر الى المفاخرة والتملق ، واما مخادعون ينتظرون مني غفلة . »

وهنا امسك التاجر بالشمعة فوقع نورها قويا على وجه الزائر .

كان ماركايم ، قد دخل المحل . وكانما آلمته الظلمة المعتمة فرمشت عيناه بشدة ، وحول ناظره ، ورفع يده يتقي بها ذلك النور الضئيل .

.. واطلق التاجر ضحكته المكتومة .. فاهتز لها كرشه الضخم وظهرت اسنانه الذهبية ، ومال راسه فارسلت صلعته اللماعة شيئا اشبه بالوميض .

ـ لقد اتيت الي في يوم عيد الميلاد عندما تعلم انني اكون وحيدا ، مغلقا الستائر ، رافضا العمل ... حسنا عليك ان تدفع الثمن .. عليك ان تدفع ثمن ضياع وقتي . انني المح فيك مخايل الذكاء فارجوك لن احتمل المساومة اليوم ، كما اني اكره السمسار المتعجرف الذي لا ينظر الي بعين فيها تقدير .

وضحك التاجر مرة اخرى قبل ان يكمل :

تستطيع الان ، كالعادة ان تعطيني الايضاحات الضرورية عن كيفية حصولك على التحفة . الم يزل في مخزن عمك بقية من تحف ؟

وقف التاجر القصير السمين ذو الاكتاف المكتنزة المستديرة يتكلم ، وهو يرفع عينيه الى ما فوق نظارته ذات الاسلاك الذهبية ، وماركايم واقف ساكن لا يفوه بكلمة ، ولاتصدر عنه حركة بل يصغع التاجر بنظرة قاسية التمعت فيها كل معاني الرقة ممزوجة بالخوف .

ـ انت مخطىء يا سيدي، ما جئتك اليوم بائعا ، بل لاشتري هدية العيد.

وتابع ماركايم حديثه غير هياب ولا وجل :

ـ انني ادين لك بالاعتذار جزاء تطفلي وازعاجي لك بهذا الامر البسيط .. انني اريد هدية لسيدة جميلة . ثم اقترب من التاجر وهمس « كلام بسرك » زوجة غنية ليست بالشيء الذي يستطاع اغفاله .

واتبع الحديث فترة صمت بدا التاجر اثناءها انه غير مصدق .

وقطعت الصمت دقات الساعات الاثرية، واصوات السيارات التي كانت تفر كالجرذان في الشارع القريب .

ـ حسنا .. وليكن ما تقول .. انك زبون قديم . على اي حال ما دامت لديك فرصة للفوز بزوجة غنية فلن اكون عقبة في اتمام مثل هذا الزواج . هذه هدية ثمينة .. لحبيبتك .. مرآة يد اثرية .

وفيما التاجر يندفع في حديثه بصوته الحاد الجاف ، توقف فجأة ، ومد يده لتناول المرآة ، من الواجهة وبينما هو ينحني فينثني جسمه الضخم وتبرز عضلات رقبته الضخمة احس ماركايم برعشة وبحركة مفاجئة من يديه وقدميه ، وبمجموعة من الانفعالات تقفز الى راسه في عجاج وصخب .

اندفع ذلك السيل من العواطف المتضاربة الى راس ماركايم واحسن به كانه يشتغل في خياله ويتحول الى نار اندلعت السنتها الحمراء ثم ما لبثت ان غدت رمادا تطايرت ذراته في الهواء ولم تترك تلك الخواطر من اثر سوى يد مرتجفة امتدت لتاخذ المرآة .

ـ مرآة ؟ قالها ماركايم بصوت مخنوق كانه خارج من اعماق بئر عميقة.

مرآة .. هدية للعيد . لا .. لا يمكن .

ـ ولم لا ؟

وارتسم على وجه ماركايم تعبير بلا معنى وهو يتطلع الى التاجر .

ـ تسالني لماذا ؟ خذ انظر .. تطلع .. هل تسرك رؤية وجهك ؟ لا ولا حتى انا .. ولا اي انسان .

قفز التاجر القصير السمين ذو الاكتاف المكتنزة المستديرة عندما واجهه ماركايم بالمرآة. ثم اطلق ضحكته المكتومة وقال ماركايم: انني اسالك.. لقد طلبت منك هدية للعيد واعطيتني هذه اللعنة .. هذه المرآة تلعنني في بقية عمري .. الا تعرف ان اللعنة تلازم من يقتنيها . هذه المرآة .. لعنة الاثم والخطايا اكنت تقصد ذلك؟ اكنت تعلم بالسر ؟ اكنت تبغي ان تقضي علي لعنة تلك المرآة ؟ تكلم .. تكلم ..

نظر التاجر باصرار الى ماركايم الذي بدا وجهه شاذا ، ولم يبد عليه انه يمزح ..

قال التاجر ما الذي تبغيه ؟

ـ لا لست ابغي صدقة . اهكذا كل ما في الامر .. اهكذا تبيعون اللعنات ! اهذا هو الانسان.. اتلك هي يده ممدودة للاخذ مقبوضة عن العطاء .. يا الهي اهذا هو الانسان ؟ !

ـ انا اقول لك .. ذلك صحيح . ولكني ارى ان نوبة العواطف التي انتابتك الان غير طبيعية ..

ـ آه هل عرفت الحب؟ حدثني عنه.

قهقه التاجر قبل ان يجيب ماركايم .

ـ انا ؟ عرفت .. الحب ؟ لم يكن لدي وقت للسخافات والان اتاخذ المرآة ؟

ـ لم العجلة ؟ انني واجد لذة في الكلام . الحياة قصيرة .. انني لن اهرب ابدا من اية لذة حتى ولا من لذة لطيفة وديعة كهذه . خير لنا ان نتعلق بأي شيء . كرجل على قمة

الجبل ، وعلى حافة الهاوية . جبل عظيم ثلاثة الاف متر ، كفيل ـ اذا ما زلت القدم ـ ان يجردنا من كل صفات الانسانية . دعنا بالله نتكلم . لماذا لا نخلع ذلك القناع الذي نغطي به انسانيتنا ؟ لماذا لا نثق في انفسنا ؟ من يعلم قد نصبح اصدقاء ..

ـ عندي كلمة واحدة .. اما ان تشتري المرآة ؛ او تذهب من محلي غير مطرود .

ـ حقا .. حقا .. ارني شيئا

ووقف التاجر مرة اخرى ليرجع المرآة الى مكانها في الواجهة وانحنى فبرقت صلعته اللماعة مرسلة شيئا اشبه بالوميض واقترب ماركايم قليلا واضعا احدى يديه في جيب معطفه ، آخذا نفسا عميقا ملأ رئتيه بينما اندفع الى مخيلته ذلك السيل من الانفعالات المختلطة ، واحس بها كانها تشتعل وتتحول الى نار اندلعت السنتها الحمراء كانها الافاعي ... لتغزو نفسه كلها .. ولتملأها حقدا .. وخوفا .. وسحرا ... وثورة جسدية عارمة !

وارتجفت شفتاه باعياء .. فظهرت اسنانه !

ـ هذه تحفة اخرى .

قال التاجر وهو ينهض .. وانقض ماركايم من الخلف على فريسته .. ثم لمعت السكين ذات الحدين وهوت ! ناضل التاجر نضالا شديدا كدجاجة مذبوحة .. ضاربا صدغه في رف الفترينة ثم سقط بعد لحظة .. كومة شوهاء .. من لحم ودم !

امسك ماركايم انفاسه المتلاحقة. ولم يكن يعكر الصمت المطبق والهدوء الشامل سوى دقات الساعات الاثرية التي كانت اشبه « بكورس » اختلطت اصواته .

وارهف اذنيه .. فسمع اصوات اقدام سيدة على الرصيف ثم ما لبثت الاصوات ان خفتت شيئا فشيئا

امتلأت الغرفة بضوضاء مثيرة ، تركت لغطا كهدير الموج ، واخذت قطع الظلام تبدو لعينيه ، وهي تتمدد وتتقلص.. كحركة التنفس، ووجوه التماثيل والالهة الصينية تغير من اشكالها كصور متراقصة في الماء . وكان الباب الداخلي مواربا ، ولاحت له مجموعة الظلال والاشباح المتعانقة، وسكين طويل من نور الشمس يخترق الظلام كاصبع ممدود ! وهبط بنظره .. وسقطت عيناه على الضحية ، ممدودة ، متكومة ، متمرغة بالدم .. وصغيرة الى درجة لا تصدق .

نظر ماركايم الى الجثة المتكومة ، ككيس من نشارة الخشب وارتاع لمرآها . فالجثة الصامتة بدات تنطق بابلغ الاصوات .

ـ هناك يجب ان توضع .. حتى يعثر عليها ..

« يعثر عليها » ! وبعد ذلك ستطلق هذه الكومة من اللحم والدم صيحة تدوي اصداؤها في انكلترا والعالم كله ..

ولكن امات التاجر حقا ؟ . لا .. لا يهمني هذا في شيء فالعدو عدو ولو كان ميتا ..

كانت اول كلمة انطلقت من ذهنه « الوقت » .

« الوقت » بعد ان انتهت العملية بنجاح ، الوقت هو المشكلة الرئيسية الان . ان الوقت الذي انتهى الان بالنسبة للقتيل اضحى ضئيلا كلحظة بالنسبة للقاتل !

كانت الفكرة لا تزال في راسه عندما طرقت اذنيه مجموعة من الاصوات .. واحد منها عميق كجرس الكنيسة والاخر رقيق حاد .. وهي تعلن الساعة الثالثة بعد الظهر .

وافزعته هذه الاصوات المفاجئة التي انطلقت في الغرفة الصامتة وبدا يسير مترنحا حاملا الشمعة محاصرا بالظلال الدائرة .

ورأى ماركايم صورته في مرايا المحل الكثيرة المتقابلة ، تتردد وتزداد كجيش من الجواسيس وكان صوت خطواته الخائفة يصفع الصمت الهادىء . وبينما كانت يداه تجمع التحف اخذ عقله يتهمه بالحاح .

اكانت الخطة محكمة ؟ لا .. كان عليه ان ينتقي ساعة يكون فيها الشارع اقل هدوءا . كان عليه ان يدبر شهودا ليثبت انه كان في مكان آخر وقت وقوع الجريمة . كان عليه الا يستعمل سكينا . كان عليه ان يكون اكثر حذرا .. فيضرب التاجر ويكتفه لا ان يقتله ! كان عليه ان يفطن لهذه الامور جميعا .

وبدا شعوره المتحول وعقله يلحان عليه بتغيير ما كان السبيل الى تغييره مستحيلا بان يكون مهندسا للماضي الذي لا يعوض ! كانت روحه تغور في الاعماق السحيقة . ونفسه تملأها ظلمة قاسية . وتلاحقت انفاسه .. انه يختنق بالظلمة التي اطبقت عليه كاخطبوط عات ، وراحت تستنزف انفاسه ... وفتح عينيه بينما اخذ جبينه يتفصد عرقا باردا وراحت الاشباح تقفز الى راسه كالجرذان وتملأه بالهياج .

ان يد البوليس ستسقط بقسوة على كتفه ، وستنهار اعصابه كسمكة علقت في الشبكة .. ثم يعدو .. ويعدو .. فلا يستطيع الخلاص ، كذبابة تضرب زجاج النافذة واشباح قفص الاتهام .. والمشنقة والثوب الاسود تطارده وتنتصب امامه في كل خطوة !

ترى ابلغت مسامع المارة اصوات الصراع ؟ لا بد ان اصواتا ضئيلة قد بلغت مسامعهم واثارت فيهم الفضول . كانت تلك الفكرة تجول في راسه كجيش محاصر .

ان سكان الدور المجاورة يجلسون الان بلا حراك وآذانهم مرهفة .. اهكذا يقضون العيد في وحدة يسترجعون الذكريات ؟

وقفزت الى راسه ذكريات العيد : امه تنظر اليه بحنان وهي تشعل الشموع . ان قلوبهم جميعا ترفع الى الله صلاة خاشعة ! ثم يجذبون الحبل الذي يشد رقبته الى المشنقة .

وخيل اليه مرة انه لا يستطيع التحرك بخفة لئلا تفضحه الاصوات ، فاسرع الى الساعات الاثرية يوقفها جميعا . ان صليل القدح البوهيمي الطويل ، يناديه كجرس المدرسة خلال الصمت المطبق .

وخيل اليه ـ مرة اخرى ـ ان الصمت الهادىء قد اصبح مصدرا للقلق اذ انه يثير فضول المارة . ولكن ماذا يهمه فليبدأ العمل الان ، بخطوات اكثر شجاعة ، وليثر في الغرفة ضوضاء هادئة وليعبث وليعبث بمحتويات الغرفة ، وليمثل دور صاحب المحل في استخفاف متقن، تجنبا للفضول وبعدا عن الاثارة

كان تشتت فكره وتخبطه بين الافكار المتضاربة ما جعل خلايا مخه تسقط قلعة بعد قلعة ، فقد كان قسم من هذه الخلايا يعمل متيقظا نشيطا ، بينما انهارت الاقسام الاخرى واسلمته الى نوع من « الهستريا » . وبدأ « يخلط » ويحدس ، ويخمن فقد اطل احد الجيران من النافذة والتفت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احد المارة نحو المحل .

« ايمكن للشك ان يتسرب الى نفسيهما ؟ انهما لن يعلما الحقيقة من خلال النوافذ المغلقة المغطاة بالستائر، لا يمكن الا للصوت ان ينفذ ... »

ولكن في هذا الحانوت هل كان حقا وحيداً . لقد شاهد الخادمة وهي تغادر المحل .. نعم انه الوحيد .. لا ريب انه الوحيد . ولكنه يسمع وقع اقدام خافتة على السقف الخشبي انه يحس شعورا غامضا بوجود انسان ما .. وفجأة انتصب امامه ظل طويل .. بلا رأس .. وقفزت عيناه من محجريهما .. واحس بالاغماء يزحف نحوه .. لكنه سرعان ما استعاد صفاء رأسه عندما ادرك ان الظل .. ظله هو !

واخذ يفحص المنزل ، كان السقف عاليا وفتحة النور قذرة وصغيرة .

كان الغبار يتطاير في الخارج في عاصفة . ولم يستطع النور ان ينفذ الا واهنا ، ضعيفا، ناعسا ، راسما على الجدران اشباحا متراقصة .

ووقف في تلك اللحظة امام المحل عجوز ، اخذ يقرع الباب بعصاه ويتبعها بكلمات تهكمية :

ـ افتح ايها العجوز القذر .

كان ماركايم في هذه البرهة قد تحول الى تمثال من ثلج .

والقى نظرة الى الجثة الغارقة في سكون !

« لا .. انه لن يجيب فقد غاب تحت بحار الصمت وصوته الذي كان يشبه ولولة العاصفة في سرعته ، قد تلاشى واضمحل ، فلن يستجيب لهذه الطرقات .

تعب الزائر من القرع ، ولما لم يجبه احد اسرع بالانصراف .

هذا نذير !

نذير له بان يسرع وينهي ما بقي من عمل . ليتخلص من حركات الجيران التي تقلقه وليسرع بالهرب ، ليضيع اثره في زحام المدينة ثم ليصل اخر النهار الى سريره المريح في الضاحية ، ببراءة الحمل ، وطهارة العذراء .

ان زائرا واحدا قد جاء . لا بد ا ن يتبعه اخر ، وقد يكون اكثر جدة واعنف مزاجا .

ان النضال بلا ثمرة .. امر جد مكروه لديه . انه يكره الجهد الضائع والان وقد انتهى كل شيء . فما عليه الا ان يحصد ثمرة جريمته .. النقود .

كانت الظلال لا تزال تتراقص وترتعش .. وتعثرت رجلاه بشيء.. انها الضحية .. كانت الصفة الانسانية قد انفصلت عنها تماما .. كبدلة قديمة رشت عليها النخالة .

امسك ماركايم بالجثة من الكتفين والقاها على الظهر .

كان الضوء يرسم على وجه الضحية ، خطا اصفر ناعسا ، مثيرا . كانت الجثة رخصة ، ناعمة ، وبدت اطرافها كأنها مكسورة وفي وضع شاذ . اما الوجه فقد اختفى منه كل تعبير ، اصفر كالشمع ، ملوث بالدم ، حتى الصدغ . وارجعت تلك الصورة المهزوزة الى ذاكرته يوما لا ينساه ..

كان ذلك في احدى القرى الساحلية كان اليوم جميلا ، عندما طرقت سمعه ، اصوات طبول ، واصداء زمامير ، وصوت مغني « البالاد » . واسرع .. ورأى جمعا غفيرا .. وصبيا يقترب من الجمع منقسما بين الرغبة والخوف . ولما بلغ الجمع رأى شاشة كبيرة ملطخة بالالوان عليها صور « برونينغ (١) » بابتسامتها القبيحة ، و « مانينغ » وعليهم البسة واقنعة سوداء ، و « ثيورتل » وبيده سكين طويلة لامعة وامامه جثة متكومة ملوثة بالدم .

كان الشيء واضحا كالوهم .

كان ماركايم مرة ثانية ذلك الصبي الصغير .. وامامه .. الجثة كانت اصوات الطبل تتردد بعنف حتى تصم آذانه .

وبنفس شعور الرافة ، ضعفت مفاصله ، حتى كاد يهوي ، وكان لا بد ان يقاوم هذا الشعور حالا ويغلبه

ادرك ماركايم انه من الخير ان يفكر بهذه الامور لا ان يهرب منها . وتطلع الى الوجه الميت ، وادار رأسه محللا عظمة جريمته . ان ذلك الوجه كانت تختلج فيه كل العواطف والانفعالات ان الفم الشاحب كان ينطلق مجلجلا كالعاصفة .. كان الجسم يفيض حيوية كالفار . والان خمدت تلك الجذوة من الحياة .. كساعة الحائط .. عندما تتوقف نبضاتها عن الحركة .

كان وعيه المتيقظ يعمل .. اما قلبه الذي اختلج امام جسد الضحية فقد بدا الان اكثر احتمالا . ولكن وميضا من حنان ورافة كان لا يزال يتململ بين حناياه نحو هذا الجسد الذي طوي في ظلمات العدم .

جذب ماركايم سلسلة مفاتيح التاجر من جيب صدارته ، وتقدم نحو الباب .

كان المطر يهطل وانشودته الرتيبة على السقف قد طردت الصمت واختلطت اصوات الرذاذ الهاطل مع دقات الساعات الاثرية وخيل لماركايم انه يسمع خطوات تصعد الدرج وخيال يتراقص امام الباب الخارجي.

... وفتح الباب .

كان ضوء النهار المخنوق يلمع على الارض السوداء والبرق بوميضه الباهر يضيء صور التحف والالهة الصينية المصنوعة من البرونز .

كانت اصداء المطر تتردد قوية في كل الحانوت ، حتى خيل لماركايم انه يسمع من خلالها اصوات خطوات.. صليل نقود.. صفق ابواب

وبدا شعوره بانه ليس وحيدا ينمو ويكبر حتى كاد يودي به الى شفير الجنون .. واصاخ .. وخيل له انه يسمع وقع اقدام في الطابق الثاني وخطوات تنزل الدرج !

هل هو الميت قد بعث حيا وقام على رجليه .. ليته كان اطرش . اذن لاستطاع ان يسيطر على اعصابه وعواطفه .

واطمأن لذلك الشعور الذي يقف حارسا لحياته . ان رأسه يلف .. ويدور.. وعيناه لاتكادان تستقران .

ثم صعد الدرجات الاربع والعشرين

كانت الابواب في الطابق الثاني مفتوحة ، وهي تصفق في عنف ، والريح وازيز المطر يحدث هديرا كموج البحر .

وصفع المطر وجهه فارتعش .. وارتجفت رجلاه ، وضعفت مفاصله. لقد تمنى في تلك اللحظة ان يكون في غرفته وفي سريره مدفونا بين الاغطية .. لا يراه احد الا الله .

(١) اليزابت براوننغ مجرمة القرن الثامن عشر المشهورة و « مانينغ » و « ثيورتل » مجرمون مشهورون في القرن التاسع عشر . الصور كانت اعلانات ،للدعوة لمشاهدة تماثيل شمعية تمثل الجرائم ، وكانت مشاهدة هذه الاشياء من مباهج ومسرات الريف في انكلترا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطفق يتذكر القتلة والمجرمين وما سوف يعانونه من منتقمي العدالة الالهية . انه يخشى المجتمع .. بل يخشى ظلمه .

لقد ثار .. وهدم .. وحطم .. فهل تغير الامر ؟

لم يتغير شيء سوى ان المجتمع الظالم قد شدد من قبضته ولن يتركه حتى يسلمه — وغيره من القتلة والمجرمين — الى القبر . ان ارادته الان تمتحن امتحانا عسيرا فليلق في وجهها القفاز وليروضها على طاعته .

انها الهزيمة !

ان يد البوليس ستسقط على كتفه بقوة وستنهار اعصابه كسمكة علقت في الشبكة . ان جدران المحل السميكة ستتحول الى زجاج شفاف كجدران بيت النحل .. وستفضح اعماله . وربما انهارت ارض الغرفة تحت قدميه . ودفنته الانقاض مع ضحيته . او ربما شبت النار فجأة في المنزل . سيحاصره رجال الاطفاء بمضخات المياه .

المصير واحد .. الموت !

كل هذا محتمل جدا . انها ضربات الله يسحق بها الخطيئة ..

ولكنه مطمئن الى الله .. انه يعلم اعذاره .. يعلم ما تخفي الصدور .

وفتح باب الغرفة . ثم تهالك فوق الكرسي . كانت الغرفة مقلوبة راسا على عقب : اقداح البيرة الطويلة المصفوفة على رف عال ، بدت له من عدة زوايا كالممثلين على خشبة المسرح . عدد كبير من اللوحات بعضها معلق على الحائط ، وبعضها على الارض . سجاد مزركش ، وقماش الافرشة احمر ، وازرق ، واخضر .. والوان عديدة كثيرة .. لكأنما سكبت في هذه الغرفة كل الوان السماء والارض .

وبدأ يفتش عن الخزانة . ان العمل شاق ومتعب . كما انه من المحتمل ان لا تكون هناك « خزانة » على الاطلاق . وبطرف عينيه ، رمق الباب كقائد محاصر ، يستوثق من وسائل الدفاع . وطرقت سمعه انشودة المطر ، كترتيلة دينية ، تذوب وتصعد في روحه .. من الاعماق . ان اصوات المنشدين من اطفال ، وشيوخ ، تطفى وتسيل في اعماقه ، كما يسيل المطر يروي الارض العطشى .

لله ما اجمل الاصوات الفتية !

كان يستمع في نشوة ولذة .. بينما يمر شريط الذكريات في رأسه: اطفال .. الوان زرقاء وحمراء .. شموع .. مفرقعات اسهم نارية تنطلق في السماء كأقواس قزح !

وفيما هو مندفع مع نشوته .. وذكرياته .. ومستسلم لها بعقله وروحه .. قفز فجأة . واحس ببرودة تغمر جسمه كالثلج .. ثم بحرارة تطغى عليه كالنار .. وأحس بانفجار الدم في عروقه كالهشيم .. ووقف هكذا مسمرا ، مرتجفا كريشة في مهب الريح .

كانت خطوات تصعد الدرج — بهدوء مثير . ومفتاح يوضع في القفل وبعدها صوت صرير المفتاح . ثم يفتح الباب . وسيطر الرعب على ماركايم . أهو الرجل الميت .. قد رد الى الحياة وقام يمشي ؟ ام انه مبعوث العدالة ؟ ام شاهد من شهود المصادفة ؟ ام انهم جميعا قاموا يقودونه الى المشنقة .

ومن خلال الباب ، ظهر وجه يبتسم يتطلع اليه باصرار يهز رأسه .. ثم يتقدم ويصفق الباب وراءه . ولم يستطع ماركايم الا ان يشهق شهقة — هل ناديتني ؟

قال الزائر وهو يتقدم . وتطلع ماركايم اليه بكل عينيه . واحس ان غمامة تغيم عليه وتحجب عنه صورة الزائر المهزوزة ، التي بدت متراقصة كاشباح الالهة الصينية التي كانت ترتعش في ضوء الشمعة الشاحب .

— انت تبحث عن النقود .. على ما اظن .

قالها الزائر في لهجة مهذبة رقيقة ولكن ماركايم لم يجب .

وتابع الزائر : « ينبغي ان احذرك ان الخادمة ستعود بين لحظة واخرى . »

وصرخ القاتل : « هل تعرفني ! »

وابتسم الزائر : لقد كنت صديقي ولطالما تقت لاقدم لك يد المعونة .

— من انت .. الشيطان ؟

— لا يهم من انا .. المهم ما جئت اقدمه لك من عون .

— انت .. تقدم لي .. معونة . لا .. انت لم تعرفني بعد !

— انا اعرفك .. أعرفك بالروح .

قالها الزائر بشيء ن الحدة والثقة .

واجاب ماركايم : — تعرفني .. انت .. يا لله عبيد الحياة يعرفون بعضهم لاول مرة . لقد عشت اخادع انسانيتي . كل البشر يخادعون انسانيتهم .. كلهم جميعا يلبسون الاقنعة التي تغطي منهم الوجوه . الحياة بقسوتها تسقط بعض الاقنعة . اما انا فقد سقط قناعي والحياة تدوسني باقدامها القاسية . ان الله يعلم عذري .. يعلم ما تخفي الصدور .. هل تستمع لي .

— انا ؟ .. اجاب الزائر .

— نعم انت .. هل تستمع ؟.. هل افتح لك قلبي ؟ انك تحكم علي بأعمالي .. بجرائمي .. لقد عشت في ارض العمالقة .. العمالقة داستني باقدامها منذ ان خرجت الى النور .

انك تحكم علي بأعمالي .. ولكن الا تستطيع ان تنظر الى ما ورائها ؟ الا تستطيع اختراق ذلك الجدار الشفاف والنفاذ الى النفس الصافية؟ الا تعلم اني اكره الشر ؟ الا تعلم ان ضميري متيقظ دوما يعذبني رغم اني اتجاهله ؟ الا تستطيع ان تتصور القاتل .. المكره ؟

— هذه مجرد انفعالات احسنت بها تعبيرا . ولكنها لا تغير من الامر شيئا . لا يهم القاضي في شيء ان يكون المجرم مكرها ام غير مكره . لا يهمه شيء ان يكون نهر الحياة قد جرفه بتياره . المهم .. ان روحا ازهقت .. ان جسدا تمزق . ان جذوة احترقت فيها الحياة .

ولكن الوقت يتبخر . والخادمة تفذ الخطى نحو المحل هل لي ان انبهك .. انها المشنقة نفسها تعدو نحوك . هل لي ان اقدم لك يد العون انا الذي يعلم الان كل شيء . هل استطيع ان ادلك على النقود ؟ »

قالها الزائر والابتسامة ترف في احدى جوانب فمه .

— وما الثمن ؟ ! صاح ماركايم .

— اني ابقي لك هدية العيد .

لم يستطع ماركايم ان يمنع نفسه من الابتسام ، وصاح في لهجة المنتصر الجريح : « لا .. لن اقبل منك عونا لو كنت سأموت من العطش وكانت يدك الوحيدة التي تمتد لي بالماء لوجدت الشجاعة الكافية للرفض . انني ارفض لاول مرة التعامل مع الشيطان . »

— ليس لي اعتراض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على التوبة . وان كانت تقود حتما الى الموت . وصرخ ماركايم :

ـ لانك تنكر ما لها من تأثير وفاعلية .

واجاب الزائر :

ـ لا اقول ذلك . بل اقول انظر الى الحياة من زاوية اخرى . الحياة في حد ذاتها عدوان . انك تأكل الخروف والخروف يأكل العشب .. وهكذا .. كلنا ذئاب نعدو في غابة . كل يترصد فريسته ويستعد للانقضاض عليها . انت جبان . جبان حتى في احلامك . عشت عبدا بين العمالقة ، يحصدون دمعك وعرقك ودمك .. كانت الرغبة تقودك في مجاهل الحياة . ولكن الان وعندما يلقى اليك بطوق النجاة تفر الى ندامتك وتوبتك وتموت مبتسما لكي تصنع من الثقة املا زائفا ، وتوبة حمقاء فارغة . جربني لست عملاقا كالاخرين اقبل عوني .. ابتسم ثانية للحياة . اني عائد توا بعد ان حضرت وفاة احد اصدقائي لقد استمعت الى كلماته الاخيرة . وعندما نظرت الى وجهه الذي كان صورة بشعة للوحشية ابتسمت فقد كان يضيء بالامل . الامل خيط لا يرى وهو لا يمكن ان ينقطع . فكر .. جيدا .

ـ اتظنني ذلك الوحش .. اتعتقد اني لا اصلح .. الا لكي اقتل .. واقتل .. واقتل .. حتى اقبض الى السماء . ان قلبي ينفطر حين ترف علي تلك الفكرة . يا لله اتلك مفاهيمك عن الانسانية والجنس البشري . انك تقول ذلك لان يدي ملطختان بالدماء . أم تظن ان هذه الجريمة بما فيها من وحشية كفيلة بان تجفف في كل منابع الخير . »

واجاب الزائر : ـ الاثام كلها جرائم . كما ان الحياة كلها حرب . انني اتصور الناس كبحارة . يكافحون الجوع في سفينة الحياة . ينتزعون كسرات الخبز من بين انياب القحط والجدب والمصير واحد .. الموت . انني اتبع الآثام كما اتبع الفضائل . ان الفرق بين الاثنين صغير .. انهما الاثنان .. الاثام والفضائل مناجل في يد الموت .

ـ ان هذه الجريمة هي خطيئتي الاخيرة . انها علمتني دروسا عديدة . هي في حد ذاتها درس لا ينسى . لقد اندفعت في ثورة تمردي الى الهاوية . كنت عبدا للفقر . ان الفضيلة هي التي تقف بين الفقر والجريمة . لقد ماتت في الفضيلة منذ زمن . قتلتها الشهوة العمياء . واريد ان ابعث عملاقها في من جديد اني ساستعيد حريتي في هذا العالم انني ارى في نفسي انسانا غير الذي كان لقد تغيرت تماما .

هاتان اليدان بالعمل تبنيان عالما وهما بلا عمل تهدمان عالما . هذا القلب .. اريد ان اعود به الى السكينة . ان شيئا يعود الي من الماضي . شيئا حلمت به في قريتي عندما كنت ارقب الغروب . من الدموع التي ذرفتها بين احضان امي . هناك حياتي .. التي حلمت بها سنوات طويلة .

ـ ستستعمل هذا المال على ما اظن في مضاربات السوق لقد خسرت الافا عديدة عن هذا الطريق .

ـ ولكن هذه المرة .. انني متأكد .

ـ هذه المرة ستخسر ايضا .

ـ لن اخسر .. فسابقي النصف .

ـ ستخسر ايضا !

ـ حسنا .. هب ذلك .. قل خسرت كل شيء وانحدرت الى عبودية الفقر ثانية . هل سيقودني الشر مرة اخرى . الا تعتقد ان باستطاعتي تحمل الالم . الرافة يختلج بها قلبي دائما . اني ارثي للفقراء اني اقدس الحب . اني احب الرجل الذي يكافح الحياة بابتسامة . هل ستقودني الاثام ، ولم لا اتجه للخير ؟ ان الخير يستطيع ايضا ان يوجهني الطريق . »

ورفع الزائر المجهول اصبعه .

ـ كفى .. كفى .. في خلال السنوات الست والثلاثين التي عشتها تقلبت حياتك اثناءها بين الفقر والغنى ، شاهدتك وانت تعدو الى الهاوية . منذ خمس عشرة سنة ارتكبت حادثة اختلاس . منذ ثلاث سنوات ارتكبت جريمة قتل .

لا خلاص .. لا يستطيع احد ان يوقفك سوى الموت .

ـ هل هذا صحيح .. لا خلاص من العذاب . من الشر ؟

ـ نعم لا خلاص من العذاب .. فانت تهرب منه لتعود اليه .. انت تهرب من الارض .. وتظل لاصقا بها وانت هارب منها حتى تموت فيها . هل استطعت مرة واحدة ان تكبح جماح الشر في نفسك ؟ .. اجب .. اجب .

وصاح ماركايم في يأس : « لا .. »

ـ اذن لا بد من الاستسلام فات الوقت الذي كنت تستطيع فيه عقد هدنة مع العالم . انت لا تعرف من هو الصديق ومن هو العدو .. فاضرب يمينا وشمالا ان الناس لا يريدون منك الا ان تكون قاسيا عليهم .. الا ان تكون لهم عدوا .. فكيف تعرض عليهم صداقتك وحبك وهم لها كارهون .

وصمت ماركايم طويلا

وقال الزائر :

ـ هل لي ان ادلك على مكان النقود؟

وفي تلك اللحظة قرع جرس المحل وقفز الزائر المجهول :

ـ الخادمة .. لقد سبق ان حذرتك .. افتح لها الباب وقل ان التاجر مريض .. ثم تخلص منها ماذا تنتظر .. قم .. اسرع

قال ماركايم بهدوء :

ـ اذا لم يكن لي فكاك من الشر فان بابا واحدا للحرية ما زال مفتوحا . سأقاوم الاغراء ، وسأصرع الشر . وسترى انني ساستمد من نفسي القوة والشجاعة .

تغيرت ملامح الزائر ، ولمعت عيناه بوميض الانتصار .. وما لبث هذا البريق ان خبا .

وتقدم ماركايم بخطوات خائفة ونزل الدرج بينما صور ماضية التعس تمر امام عينيه كشريط سينمائي . لقد كان ماضيا بشعا .. كحلم مزعج .. كانت الحياة باضوائها واطيافها تتراءى له جذابة .

لكنها لم تعد باستطاعتها اغراءه . لقد اختار طريقه وسيمضي فيه حتى النهاية .

وبلغ الردهة .. كانت الشمعة ترسل اخر انفاسها .. والتيار يتلاعب بها .. وتماثيل الالهة الصينية تغير من اشكالها كصور متراقصة في الماء

وثمة جثة .. صغيرة .. متكومة .. ملوثة بالدم حتى الصدغ .. صفراء ممزوجة كانها كيس من نخالة .

وانفجر الجرس برنين حاد .

وفتح ماركايم الباب :

ـ يحسن بك ان تستدعي الشرطة ايتها الفتاة فقد قتلت سيدك .

سمير تنير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صبر

○

اطل علينا العدد الاول من مجلة « شعر »
مع مطلع العام الجديد ، وهي المجلة الفصلية التي اشرنا
اليها في اعدادنا ، تحمل روائع الشعر المعاصر
وننقل هنا قصيدة منشىء الاديب التي ظهرت في مجلة « شعر »

○

سأحتمل سأحتمل
سأحتمل ...
الى أن يموت الفجر
ويفنى المساء
ويزول في العدم
خبط الضياء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كالارض تدور على نفسها
وكالارض ذرة في الفضاء

كالارض تحمل الربيع والخريف
أحمل اليأس والرجاء

اريد ولا اريد
وارفع قبضتي في وجه السماء

هباء ... هباء ...

وقديما مات في الارض اله

البير اديب



مكتبة الاديب

نجـــوى

لعدنان مردم بك ـ شعر ـ ١٥٥ صفحة ـ حجم كبير ـ دار المعارف

آثر الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ان يسمي ديوانه الاول « نجوى » . ومن عرفه في سمته الهادىء ، وسجاياه الرفيعة ، ووقف على تناجيه للمثل العليا والقيم الروحية ، وجد اسم ديوانه وفق مدلوله ومرماه .

كان ولا يزال ديوان الشاعر صورة منه تظهر فيه لقرائه على طيته وسجيته ، وذلك الزم طوابع الصدق التي يطبع بها الاديب أثره ، وان بين ايدينا من اثار الشعر والنثر الكثير مما صنعه المعاصرون ، يبدو بمرايا محدوبة او متكورة ، فيظهر صور اصحابه باشكال لا تعكس نفوسهم ، وكلما كشف الاثر عن المؤثر كان صافيا كالماء يبين عما تحته .

وهذه القصائد التي تنطوي عليها مجموعات الشعراء ، انما هـــي اثار انسانية كانت ملكا مطلقا لاصحابها قبل ان تطبع وتنشر ، وهي حين جثمت بين رفوف الكتب اصبحت في متناول القارىء يطالعها ويسمع ما فيها لينعم بها حينا وليؤدي فيها ان اراد وان قدر حكما في خيرهـا وشرها على السواء .

وديوان الاستاذ مردم اثر انساني اصيل ، ينم على حس صاحبه وحياته ، فقد درج في حمى ابيه الشاعر ، فكان يتلقى منه ثقافة الفكر وغذاء الروح الى جانب دراسته ، ثم اخذت المجلات في الديار العربية تنشر له مقاطيع وقصائد ، فكان يقال فيه : شاعر وابن شاعر .

افتتح مجموعته الشعرية بابيات وصف فيها دمشق كانت لمحة مشرقة على جبين الديوان ، حيا بها الشاعر الوطن الذي اطلعه ، ثم كانت بعد ذلك تحية لامه بقصيدة جعلها فاتحة الديوان ، صور فيها حنـــان الام ومرحمتها فراحت نجوى لكل ام في الوجود .

اما قصيدته « يوسف وزليخا » فهي قصيدة تعبيرية رسم فيهـا الشاعر بفنه ما كان بين النبي يوسف وزوجة العزيز « فوطيفار » مـن تجاذب في الهوى ، وانه كاد يميل اليها لولا ان رأى برهان ربه ، غير ان الشاعر لم يطل هذه القصيدة ، فقد صور لوافح هذا الهوى في تباريح العشق ، وعصف الاهواء ، تصويرا دقيقا مترامیا على الخيال مكتفيـــا بالمشهد الاول مـن الرواية ، وهي صورة من صور التامل ، تجيش في خاطر شاعر فيزجيها شعرا ، وليس عليه ان يتمها او يستقصي فيها كل الهواجس ، فالشعر انتفاضة تسجلها لمحة من لمحات رواسمها في الحياة.

ثم اندفع الشاعر وراء خفق الجسوم وتهدل الشعور ودوران القدود، فاذا راقصات ثلاث كل واحدة تنزل الى مسرح ديوانه لتؤدي رقصتهـا الخالبة . فراقصة « البوليرو » تتلوى كأفعى ، وتهب كريشة في الرياح، وهي حينا عاصفة ، وحينا نسيم . واللحون تاخذ بها فتميد معها فـي مطارح التثني . وتأتي نوبة راقصة « التانكو » لكنها ليست وحدها في الاداء ، وانما يعتنقها في الرقص والدوران قرين . وقد اخذ هذا الشاعر يعكس على صفحات ديوانه تلك المناظر التي ينشر الهوى عليها اجنحة الطيور . اما راقصة « الفالس » فكانت سحرا وعطرا ، وفتنة حيةً جارفة على ان هذه القصائد الثلاث تشبه الحسان الثلاث في اسطورة الاغريق .

ويمضي صاحب الديوان في تنسيـــق شعره متجاوبا مع نفسه ومزاجه ، فقصائـد تلقاك في الشكوى والشوق والذكرى والوداع ، وقصائد رائعة تنتفض فيها الوطنية وتهتـف الاحاسيس ، حتى تدلف الى قصيده الخاطئة، فنرى فيها تلك الفتاة التي دفعتها الحوادث الى التردي في هاوية الخطيئة حتى فزعت الى المسيح ، ووراءها الراجمون ، فحماهـا بامنه ورحمته ، وقـال كلمته المشهورة من كـان منكم بـلا ذنـــب فليرجمها بحجر ...

والشاعر عدنان مردم بك قد يرى مطارح الجمال والفتون بعين قاض حذر ، وهو بهذا يعذر ، اذ انه الى ادبه الموهوب ، من الحكام بالقضاء ، فهو يرى الشفاه الحمر حيات تتلوى في مثل قوله :

كم حية رقطاء في شفة تلوت حائرة ،
تلك الشفاه الحمر كم اودت بنفس عائرة

وهذان البيتان اعادا الى بالي ما قال الشاعر « امين نخله » في الشفـاه الحمر :

انا لا اصدق ان هذا الاحمر المشقوق فم
لكنما هو وردة حمراء من لجم ودم
بالله يا محبوب خذ روحي وعللني بشم

ووضع الشاعر في ديوان « نجوى » قصائد كن رهن الطبيعة في مسائها وصباحها وسحابها وصفائها ، فالعاصفة تصفر ، والنار تلفح ، والبحر يموج ثم يترامى على الشطآن نثيرا جميلا . وكانت الصحراء اللافحة والشتاء القارس ، وغروب الشمس وشروقها الواحا فنية فـي شعر مردم بزدان كل منها في اطار من الصنعة الدقيقة والبيان الرشيق.

وما اشبه الشاعر عدنان مردم بك بالكاتب « بيير لوتي » كان هذا الجوال الوصاف كما يقول عنه نقاده ، ذا ادب تصويري ، ترى عيناه فيصف قلمه ، ويسكب على وصفه روعة فنه ، وحلاوة تعبيره . وكذلك وجدت صاحب « نجوى » يحتل بين لداته من شعراء العصر محل الوصف والتصوير ، ويتبحبح فيه . بل تكاد تحس ان شاعر « نجوى » يسكب الكلام في نغم ، فيعزف على قيثاره قطعة بعد قطعة ، بين محزونة وطربة ومشوقة . اما احزانه فقد اثرت في حياته ، وطبعته بطابع الوجد والتفكير منذ نشأته وصباه . مات اخوه « هيثم » فتى مرجوا لفد كبير ، فنظم الشاعر عبراته في كثير من الابيات واختص رثاءه بثلاث قصائد تصويرية نثرها ازاهير لوعة وذكرى .

واما طربه فيتجلى في قصيدتين ممتعتين تموج في احداهما نعمى الابوة ، وعذوبـة الحنـان والمحبة . وللشاعر نـــواح مستسرة مـن الشعور المتوثب ، والتناجي المحبب ، وقد تجاوز هذه اللواعج النفسية ارسلها عفو الخاطر والقلب ، مواجة بالعاطفة الحرى والحنين المتلهـف والحس المرهف المتفتح للجمال والوجدان .

غير انه لم يتجه اتجاها خاصا بناحية تفرد بها وسيطرت على شعوره وطبعه ، او انه فتح بشعره افقا جديدا او بعيدا لا عهد لشعرنا الحديث بمثله ، بل كان فيه جوالا ، ولم يكن رائدا ، وقد ادى شعره على الطريقة القويمة التي تصل حاضرنا المتوثب بماضينا الاصيل ، فجاء محـــدد الاداء ، صافي التعبير والالوان ، ولا يكون هذا لشاعر الا بعد التمرس باللغة والادب والاحاطة بثقافة الفن والحياة .

دمشـــق — زكـي المحاسنـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنـــات الساقيـــة

مجموعة قصصية ـ لحسن عبدالله القرشي ـ ... صفحة ـ
طبع دار المعارف بمصر

ربما كانت هذه المجموعة من اوائل ما صدر عن الجزيرة العربية من قصص هذا العصر ان لم تكن اولها ، ذلك ان الجزيرة ليست عريقة في القصة ، عراقتها في الشعر ، والقصة بمفهومها الحديث ، ليست جديدة على الجزيرة العربية فحسب ، ولكنها جديدة على الادب العربي ، بشكل عام ايضا .

لهذا رايتني مدفوعا الى قراءة هذه المجموعة قبل غيرها ، والى مبادرة اثارة هذه العجالة حولها ، مسجلا انطباعاتي عنها ، دون ان اعمد الى مناقشتها من الوجهة الفنية ، بقدر إستطلاع مداولها ، والواقع الذي استوحاه الكاتب او المجتمع الذي تقودنا اليه قراءتها .

وربما لو لجأت الى الفن اطبق قواعده واقيس به هذه المجموعة لكان لنا مع الاستاذ الكاتب حساب ... أي حساب ؟ هذا على الرغم من التوطئة التي قدم بها الاستاذ الكبير محمود تيمور لهذه المجموعة . على اننا لا نشرك الاستاذ المقدم في تحمل المسئولية . لانه لم ينقد ولم يقوم قصص الكاتب قبل اذاعتها علينا ، فقد درج ناشئة الكتاب ، وادباء الشباب ، على ان يزكى ادبهم الى الحياة والمجتمع ، ادباء تقف اسماؤهم كاللافتات على ابواب الدكاكين تشير وتلوح بالعلامات المضيئة ، ولا ادري الى أي حد كان هذا التقليد ناجحا ، في تقويم الادب وتشجيع الادباء !! اما الذي اعلمه ، فانه ملا كثيرا من الرؤوس بالغرور والاستعلاء . وشحذ من عواطف الحمق والتبجح والادعاء ... ثم الركون اخيرا ... !

اعود فاقول اني لو اردت ان اناقش الفن وقواعده بالتطبيق على قصص الاستاذ القرشي لكان لنا ولكل قارىء .. بله الناقد .. ، ان لا نفتفر جهل الاستاذ بأول مبدأ من مبادىء هذا الفن ، وهو اللغة . والقارىء تطالعه من اول قصة ابتداء هذه التعبيرات :

(كان « حميد » جالسا قرب « الساقية » ولو راح شاعر موهوب يسكب على الورق رائعة من خوالد الشعر تزري بعقود الجمان ، ويتفنى بسحرها الزمان لما استطاع ان يصور مرح الربيع كما هو ثائر معربد في احساس حميد وتوهج نشاطه وبشره !)

هكذا يصدمنا الاستاذ القاص ، منذ اول سفر ، في اول قصة من مجموعته هذم بلغة ابعد ما تكون عن لغة القصص تلك اللغة التي ايسر ما يقال فيها انه يجب ان تكون بسيطة خالية من التكلف واصطناع المحسنات اللفظية ، ذلك ان الفن في القصة لا يكون في العبارة ، واقصد هنا الفن الشكلي او الفن الاسلوبي ، وانما يكون في ادارة العقدة التي تقوم عليها القصة باسلوب شائق وعرض يضطر القارىء الى تتبع الحوادث الجارية .

وهذا الفن الاسلوبي في القصة يأتي دائما ثانيا ، حقيقة قد تكون هناك بعض العبارات الزاخرة بالصنعة المشبعة بالصور ولكن هذا غير مطرد ، والا تحولت القصة الى سرد لغوي متكلف من غير قدرة على الاستغراق الذهني الهادىء ، والتحسس التدريجي لتوالي نقلات الحدث الموضوعي في القصة .

اما في الشعر فالامر مختلف ، فنحن نغتفر للشاعر ان يلون قصيدته بهذه الاصباغ اللغوية وربما كان اصطناع هذا الاسلوب ضرورة يقتضيه الفن الشعري نفسه . وعلى هذا فقد قدرت ان الاستاذ القرشي كان شاعرا وهو يقص لغة وموضوعا . اما لغة فاكتفي بما ذكرت ، واما موضوعا فقد وجدت ان معظم قصص الاستاذ خالية من المنطق الادبي لحل المشكلة التي تثيرها القصة ، حلا نتعقله في حدود منطق الحوادث المعروضة امامنا.

فنحن نرى الاستاذ في قصة « الموظف الكبير » قد جمع احداثا غريبة سريعة ، اخذا بخناق الزمن والحال والاجتماع ، ثم خلطها خلطا عجيبا ، كانت اخيرا هذه القصة « الموظف الكبير » .

وفي قصة « ثورة ضمير » تفتش عن الحل فلا تكاد تعثر عليه . وتبحث عن القصد من هذه فعبثا تحاول واخيرا تفاجأ بهذا القرار العجيب الذي يخرج به محسن : هو ان يرفض ما اوصى به وله صديقه مراد (الذي توفي) ؟ يرفضه تكفيرا عن الجرم الذي اقترفه في حق صديقه « مراد » والذي ظن به خيرا فاوصى له بهذا المال ... !!

وكذلك في قصة « ذكر ... أم انثى » حين تعرف ان عبد المجيد يفضل البنت على الصبي واين هذا ؟ فالاستاذ عبد المجيد يكفهر وجهه حين تنبئه الممرضة بان امرأته قد وضعت ذكرا : كان المجتمع العربي قد ارتقى الى درجة المساواة بين الذكر والانثى وارتفع في نظر الاستاذ القرشي حتى صار يفضل الانثى على الذكر . لذلك انطلق عبد المجيد يتزوج باخرى ، عسى هذا الزواج الجديد يعود عليه بانثى . على انني اعتقد ان هذا الزواج الثاني نفسه امتهان للمرأة . وهدم لكرامتها اذ انه ليس هناك ما يبرره ، ونحن في حيرة لهذا التناقض: اذ ترى الاستاذ يفضل البنت على الولد ، ثم يتزوج امرأة ثانية . فكيف يمكن ان نوفق بين تفضيل الاستاذ للانثى ، والزواج مرة اخرى ... !

وبعد ، اما كان في قدرة الاستاذ عبد المجيد ان ينتظر محاولة ثانية لزوجته الاولى ... ؟ ! وهذا الموقف بالنسبة للمرأة يتكرر في معظم قصص هذه المجموعة ولكن بصور اخرى .

ففي قصة « غروب امل » نرى صالحة فتاة تحتم عليها الظروف ان تقضي شبابها في خدمة ابيها الشيخ خضوعا للاوضاع الاجتماعية التي تتحكم فيها . وبعد وفاة ابيها تتصل بابن عمها « عدنان » الذي سبق لها ان رفضته ، ولكنها تفاجأ ان ابن عمها قد خطب عروسا من مصر ؟ !

وربما كان اقرب الى المنطق لو جعل الكاتب من « صالحه » بطلة ترفض الزواج الا بشرط تشترطه على من يتزوجها وهو ان يضم اليه والدها الشيخ ، او ان يسمح لها برعاية هذا الاب العجوف . وعندها يقوم الكاتب بخلق موقف معقد تقفه الزوجة « صالحة » ما بين حق الزوج وواجب البنوة .

على انه ربما كان اقرب الى منطق المؤلف ، جريا على ما شاهدت في معظم هذه القصص ، ان لو زوج ابوها الشيخ فتاة صغيرة في سن حفيده ، كما فعل « عم شعبان » او كما حل بسميرة في قصة « عاطفة » او ما كان في قصة « حب بلا امل » .

ففي هذه القصص جميعا لا نرى للمرأة حولا ولا طولا ، وانما هي مسلوبة الارادة محيرة ، مكرهة على ما لا تحب . هي مخلوق تافه تعيش بلا حب وبلا أمل ...

ولعل قصة « تقاليد » هي المجال الرحب الذي يظهر لنا بوضوح ضعف المرأة وفقدانها الارادة وعدم التفكير في مصيرها كانسان له كرامة وحق في الحياة .

وربما استغرب البعض من الرجل المثقف « الذي حصل على شهادته الجامعية العالية والذي كادت رؤى المستقبل البسام تتلالا لعينيه في موكب سحري بهيج ، وتملأ شعاب نفسه بالامنيات والاحلام ... » ربما استغربوا منه ان يعترف بصراحة وخزى وانكسار انه ذليل عاجز. مثله مثل المرأة تماما . ولعلنا لا تأخذنا الدهشة حين نعرف ضعف الرجل اذا كانت المرأة ضعيفة . فالمرأة تشاطر الرجل شركة الحياة . والحياة لا تقوم باحدهما دون الاخر ولهذا اعجب احيانا لاولئك الذين يتحدثون عن المرأة ولا يتحدثون عن الرجل . وانا شخصيا لا اعترف بوجود قضية للمرأة منفصلة عن قضية الرجل . ان قضيتهما واحدة هي قضية المجتمع الذي يقومان ببنائه معا . ولن تكون المرأة متاخرة والرجل متقدما او العكس . لذلك فنحن نجد في مجموعة « أنات الساقية » الفتاة الصبية بنت الخمسة العشر ربيعا تتزوج شيخا في سن جدها ، ولو فتشت عن مؤهلات هذا الشيخ وعن مدى وعيه وادراكه لما وجدته الا انسانا تافها . كل مواهبه في الحياة انه اثرى بطريق الصدفة او الوراثة ، وفي اغلب الاحيان باسلوب غير شريف .

والمرأة هذه الفتاة الصغيرة ، ابنة الخمسة العشر ربيعا لن تجدها الا جاهلة ، تعيش في حدود مرسومة ليس من حقها حتى مجرد التفكير في الاختيار ، ولكنها مكرهة ، على القبول . وهي حقيقة تافهة ، تحيا بقوة الاستمرارية ، ووظيفتها الاولى هي المحافظة على النوع . وهي في سنها المبكر ، مثلها وهي في سن جدتها ، يظل ادراكها مرتبطا باوضاع لا تتيح لها الانطلاق او التحرر .

وشيء اخر في هذه القصة : ان المؤلف حين اراد ان يعالج مشكلة التقاليد لم يفعل اكثر من رسمها بصورة قاتمة ، وباسلوب ، لا تدرك فيه اثرا لمجرد التفكير في تغييرها ، عند من يصطلون نارها ، اما الذين مروا بتجربتها وانطلقوا مرتفعين عنها ، فانهم لا يخالطهم الا شعور الحقد ... والكراهية لها . والمهم انه ليس هناك محاولة لمحاربتها او تغييرها .

وقد لجأ الكاتب الى الحب باعتباره اقوى الدوافع الانسانية لانه يقوم على اصل من الغريزة الجنسية ، ولكنه حتى في هذا المجال الخصب من التجربة لم يستطع ان يخرج لنا بقوة فاعلية هذه العاطفة الجبارة في مقاومة البالي من التقاليد . وقد نعجب لماذا لم يتزوج شفيق من ابنة الخياط الجميلة المتعلمة وابنة بلده وقد تزوج « عدنان » في قصة « غروب امل » من فتاة مصرية خارج بيئته ، وعلى هذا فنحن نرى ان الكاتب متناقض مع نفسه اذا اردنا التماس الوحدة الاجتماعية في قصصه هذه ، ذلك ان التقاليد التي اضطرت « شفيق » الى الهزيمة هي نفسها التقاليد التي لم تقاوم عدنان ، ولم يحاربها هو ، ولكنه في ظلها تزوج ، دون ان يجد اية مقاومة ، هذا مع تشابه ظروف كل من الشابين : « عدنان وشفيق » باعتبارهما شابين متعلمين ، وتشابه القوتين السلبيتين في كلتا القصتين « تقاليد » و « غروب امل » اذ ان والد « شفيق » هو التقليد الجامد الاول ، ووالد صالحة هو التقليد الثاني ...!!

وقد رأيت الكاتب مع اجتماع كل هذه الاوضاع التي خلقها والمشاكل التي اثارها يكتفي بافتعال مواقف شعرية كحل لهذه كله ، فان « شفيق » في قصة تقاليد حين يناجي محبوبته ويسألها عما لديها من اخبار يكون ردها عليه انها (راحت تفكر في سهوم وشرود ولم تجبه وتطلع « شفيق » الى وجه فتاته فما راعه الا شحوب يغشى ذلك المحيا البسيم الوضاء والا دموع مشبوبة تساقط في انهمار من مقلتيها النجلاوين) .

والى المؤلف اقول : انه قبل بضعة عشر قرنا كان العاشق في الجزيرة العربية يستطيع ان يلتقي بمحبوبته مع جهله وقلة حيلته ، فما بال صاحب الليسانس يقف مبهوتا اعمى فاقد الارادة امام حبيبته التي شغف بها ... وتمضي القصة لتعترف سكينة بانها مذنبة ثم تطلب الصفح ، فهي انسان بلا طموح ...

وكذلك « شفيق » فانه يستجدي ابا « في بلاهة وعباطة ، الزواج من حبيبته» فهو والحالة هذه مثله مثل سكينة.. انسان بلا حيلة ولا قدرة.

غير ان الاب يرفض ان ينحدر ابنه الى اوشاب الناس ويرده زاجرا رادعا ... وعندما لا يجد « شفيق » الشاب المثقف مخرجا من امره يلجأ الى الرحيل ، وهذه انهزامية بينة واسوأ حل يمكن ان يلجأ اليه انسان تجاه مشاكله ، فهو بدلا من مواجهتها يهرب منها ، فعل الجبان ذلك ان الهرب نفسه ليس حلا ، لانه لا يبعد بالانسان عن مشاكله وانما يعقدها .

على ان القصة تنتهي ايضا بنهاية عجيبة ، ان دلت على شيء فانما تدل على بدائية عاطفة الابوة في مجتمعاتنا ، او عواطفنا الاجتماعية عامة . فان والد « شفيق » الذي رفض زواجه بابنة الخياط ترفعا نراه في النهاية وبعد ان ادرك الخطر المحيق بابنه يسعى طائعا مختارا الى ولده يستجديه الرضا ، استجداء ابنه في اول القصة . وعلى هذا فظاهرة التهريج واضحة جدا في هذا القصص : اعني في مجتمعاتنا ، فنحن بين مد العواطف وجزرها وبين سلبيتها وايجابيتها حينا اخر ترانا معلقين من غير ان نعمد الى درس المشكلة درسا يعتمد على الروية والتعبير السليم فانا لا الوم الاستاذ القرشي ان كشف لنا في مجموعته هذه ، عن حالة المجتمع العربي في الجزيرة . فقد كان صادقا في تصويره ومن يدري . فلعله لم يكتب من الخيال بقدر ما اخذ عن الواقع .

وعلى هذا فان الامل معقود على الاستاذ القرشي وغيره من اخواننا ابناء الجزيرة ان يرسموا لمجتمعنا العربي هناك . ليس فقط مشاكله بل الحلول السليمة المناسبة لهذه المشاكل . وللمؤلف خالص التقدير .

القاهرة — حسين رشيد خريس

ديوان العباس بن الاحنف

شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي ، دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون — ٣٢٤ صفحة — حجم كبير — مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

بين اديبات العراق اللامعات اليوم وشاعراته النابهات الانسة عاتكة الخزرجي التي عرفت بشاعريتها الفياضة المبتكرة ، ففتنتنا اطيب الشعر واعذبه واتحفتنا باللذيذ الممتع من البحث الدقيق الرصين . فقد جاشت نفسها ، منذ الصغر بحب العلم والتوق للتزود منه فطلبته من منابعه الاصيلة الدافقة ومن كبار حملته في العراق (١) في ما كانت تعرض عليهم من نظم يشف عن روح شاعريته ونفس عامرة بالذوق المرهف .

وقد اتحفتنا الدكتورة عاتكة من مدة قريبة باثر علمي جديد هو ثمرة تخصصها بالادب وباكورة عملها العلمي فيه فاذا باولى محاولاتها توفيق يود الضالعون في التحقيق الادبي منذ عهد بعيد ان يؤتوا بعضه وذلك بتحقيقها ونشرها « ديوان العباس بن الاحنف » ، احد اعلام الشعر في العراق قديما . والمتوفى عام ١٩٤ هـ ، نشرا علميا يمكن ان يتخذ ، بما فيه من تحقيقات وشروحات ومراجعات ، وبما فيه من منهجية اسرة ، مثالا يحتذى للنشر العلمي في الشرق العربي ، وفقا لمقتضيات البحث والتتبع والتقصي .

وديوان العباس بن الاحنف ، معروف كصاحبه ، طبع مرتين ، اولاهما طبعة سقيمة جدا هي طبعة الجوائب (٢) ، كما طبع طبعة ثانية في بغداد (٣) بعناية عبد المجيد الملا مع شرح وتحقيق . والطبعة الثانية نسخ لطبعة الجوائب بما فيها من عورات وسقطات وهفوات .

وامام هذا النقص في طبعتي ديوان العباس بن الاحنف ، رأت الانسة الخزرجي ان تهيأ طبعة ، «انتقادية قائمة على الطريقة العلمية» ، اعتمدت فيها على ثلاث مخطوطات لديوان بن العباس محفوظة اولاها — وهي الاصل الذي اعتمدت عليه في اخراج الطبعة الجديدة — في مكتبة كوبريلي زاده باستانبول ، تحت رقم ١٢٦٠ ، وعن هذه المخطوطة نسخة في ادارة المخطوطات المصورة في الجامعة العربية في القاهرة ، تحت رقم ٣٢٧ ادب وقد رمزت اليها بحرف « ك » .

والمخطوطة الثانية التي رمزت اليها بحرف « ا » هي نسخة مصورة عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة كوبريلي زاده ايضا تحت رقم ١٢٥٩ — والمخطوطة الثالثة ، محفوظة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٣١ ادب ، واشارت اليها بحرف « ق » .

وقد درست الانسة عاتكة هذه المخطوطات الثلاث ، وعارضتها بعضا

(١) كثيرا ما تعهد نظمها وشاعريتها المتفتحة الاستاذ الكبير الشيخ محمد بهجة الاثري كما عرفنا من حديث لنا معه في احدى امسيات مؤتمر ادباء العرب الثاني في بلودان ، ايلول ١٩٥٦ .

(٢) مصر ١٢٩٨ هـ ١٨٨٠ ، ملحقا بديوان ابن مطروح وتصحيح يوسف النبهاني .

(٣) بغداد ، ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ —

ببعض وبينت ما فيها من مفارقـــات وميزات تفردها بعضا عن بعض . والمخطوطات الثلاث برواية ابي بكر الصولي الذي تربطـــه بالعباس « وشيجة النسب » اذ كان العباس من اخوال جد ابي بكر الصولي ، كما في وفيات الاعيان (٤) .

وقامت الدكتورة عاتكة بمقابلة دقيقة مقنطة بين مخطوطه الاصل والمخطوطتين الاخريين (ا) و (ق) . ولم تكتف بذلك ، لان نسخة الاصل ـ على قدمها ـ جاءت ملأى بالخطأ والخطأ الكثير . فلنترك الكلام للناشرة نفسها : « لذلك بذلنا وسعنا في البحث عن كل ما استطعنا العثـــور عليه من المظان التي تروي « لابن الاحنف » شعرا او خبرا ، فاسعفتنـــا بعض الشيء . ووجدنا اختلافات كثيرة في رواية الابيات . وقد اثبتنا جميع هذه الخلافات في الهوامش . وما لم تسعفنا به الاصول وكتـب الادب ، راجعنا فيه انفسنا واثبتنا ما نأمل ان يكون صوابا او قريبا من الصواب (٥) .

وبفضل هذه التحقيقات استطاعت الناشرة ان تضيف الى الديوان نحوا من مائتي بيت جديد لابن الاحنف ، استقتها من المصادر التـي راجعتها . وهكذا جاء ديوان العباس بن الاحنف « ابعد ما يكون عن نقص واقرب ما يكون عن كمال » .

وقد اثبتت جميع قصائد الديوان مرقمة موزونة ، محددة منهـا بحر الشعر . كذلك رقمت ابيات كل قصيدة على انفراد وطرزت حواشيه بهوامش اثبتت فيها الى جنب الخلاف في ترتيب الابيات في النســـخ الثلاث ، وروايتها ونسبتها ، تفسير ما غمض من الفاظها ومعانيها وتحديد اسماء المواضع التي وردت فيها .

وقد الحقت بهذه الطبعة اربعة فهارس : الاول للاعلام والقبائل ، والثاني للاماكن ، والثالث للبحور مرتبة حسب القوافي ، والرابع لاسماء المراجع العلمية التي اعتمدتها الدكتورة الخزرجي في تحقيقها العلمي . كذلك اثبتت بالفوطوغراف صورة غلاف الاصل واوائل المخطوطات الثلاث للديوان .

والديوان في حلته الجديدة له « تصدير » للعلامة الكبير المستشرق الفرنسي بلاشير ، استاذ الادب العربي بالسوربون ، وهو الذي اشرف على توجيه الانسة الخزرجي في بحثها وتسديد خطاها ، وتبين ما في تلميذته النبهة من كفاءات وما فطرت عليه من مواهب وما فيهـا مـــن استعدادات هائلة للاضطلاع بمقتضيات التحقيق العلمي « فلا تثور على طول الاناة التي يحتمها كل جهد علمي » فرأينا ما بين صاحب الديوان ومحققته من تناغم على ما بينهما من تباعد الاجيال .

فلا عجب بعد هذه الرعاية والعناية والسداد ، ان تهدي الانسة عملها هذا الى استاذها الكريم « ان هو الا ثمرة من روض فضله ، وقطرة من فيض بحره ، مشفوعا بهذه التحية » :

شبابك الفض كم افنيت زاهره في خدمة الضاد او في خدمة العرب

هذا شيء عن حكاية « ديوان العباس بن الاحنف » ، في طبعتـه الجديدة المشرقة بتحقيق الانسة الدكتورة عاتكة الخزرجي . اما حكاية جهادها العلمي المفصل ، فلم نرو لك منها الا النزر اليسير . ففي التعرف الى المزيد منه ما يبهج العقل والقلب معا وينتزع الاكبار والتقديـــر والاعجاب .

وبعد طبع ديوان العباس في مصر عادت الى باريس تعد رسالتها الثانية التي درست بها العباس بن الاحنف وشعره بالفرنسية. وقدمت رسالتها اخيرا للسوربون ونوقشت في ١٣ حزيران عام ١٩٥٦ وظفرت بشهادة دكتوراه دولة في الاداب ، بدرجة مشرف جدا ، وباجماع لجنة التحكيم وثنائها . وغادرت بعدها باريس لتقوم بجولة قصيرة بين مدريد والاندلس والقاهرة وبيروت ومنها الى بغداد حيث عينت في دار المعلمين العالية استاذة للادب العربي فيها .

وبهذا تدخل الدكتوره الخزرجي طورا جديدا من حياتها العلمية وجهادها في حقل التتبع والتقصي نرجو لها صادقين ان يكون حافلا بالثمار الشهية . فنحن الى امثالها والى الاخصائيين مثلها بحاجة ملحة ملحفة ، لتنصرف معهم الى جلو الكثير مما غمض ولا يزال غامضا مـن بعض ادوار تاريخنا العربي عامة ، وتاريخ الادب في العراق خاصة .

* * *

عرفت الانسة عاتكة الخزرجي ، اول ما عرفتها عيانا ، في باريس ، في حزيران ١٩٥١ وانا في طريق عودتي من لندن حيث كنت دعيت لمؤتمر من الاخصائيين في الببليوغرافيا دعت له منظمة الاونسكو فكان لي فيه تمثيل الشرقين الادنى والاوسط . وكثيرا ما جمعتنا بعدها حلقات ادبية كان من بعض حضورها الانسة فكتوريا خزامي والمرحوم الاب بولس سويد الذي كان يتخصص هو ايضا بالادب العربي في السوربون ونـــال الدكتوراه الدولة بعد ان قدم اطروحة ممتازة كان موضوعها الشيـخ ابراهيم اليازجي واثره في الادب العربي الحديث . وقد توفي الاب سويد فجاة في السنة الماضية ماسوفا على علمه وثقافته وشبابـــه واخلاقه العالية في المكسيك يعمل في حقل الرسالة الدينية .

ولدت الانسة عاتكة في بغداد من اب خزرجي الاصل ، تركي الثقافة عراقي الجنسية ، وام عبيدية الارومة . وكان اخر منصب تولاه ابوهـا متصرفية لواء ديالي ، وقد عرف بالتقى والورع . وقد خلد مولد فتاته بهذه الحكمة المريرة : « ولد الشيب يتيم » فصدقت الايام ظنه ، فكان ان توفاه الله بعد ذلك بستة اشهر .

درست في بغداد وفيها اكملت دراستها العالية فحصلت على الاجازة في الادب من دار المعلمين العالية بدرجة شرف ، ثم درست في احدى مدارس البنات الثانوية ، وبعدها سافرت الى باريس لتحضر رسالتهـا لدكتوراه الدولة في الادب ، من السوربون ، وتعلمت الفرنسية هنالـك ثم تتلمذت على يد المستشرق الفرنسي بلاشير كما سبق واشرنا الى ذلك :

(٤) مجلد ١ : ٢٧ . (٥) المقدمة (و) .

اقصـدوا :

البـروفسور توفيق سكـر

خريج الكونسرفاتوار الوطني بباريس والفائز بجائزته

دروس في السولفيج والارموني والتاليف والموسيقى وغيرها

مما يمكنك من التضلع في فن الموسيقى

العنوان : بيروت ـ شارع مدرسة الحقوق رقم ٤

تلفون ٢٠٠٨٨

Prof. Toufic Succar

Lauréat du Conservatoire de Paris

Leçons de Solfège, Harmonie, Composition, etc.

Adresse : 4 Rue Ecole de Droit Beyrouth

Téléph. 20088

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهي الان في سبيل اعداد ديوانها « انفاس السحر » للطبع ولها غير ذلك من المؤلفات التي لا تزال مخطوطة ، رسالة عن الانسة مي ، ورواية شعرية تمثيلية اسمها « مجنون ليلى » في خمسة فصول ، وبضع قصص

يوسف اسعد داغر

اسمع يا رضا

لانيس فريحه ـ ٢٢٤ صفحة ـ مطبعة الكريم جونية لبنان ـ مكتبة خياط بيروت

ما حسبت قط ان الاستاذ فريحه ، وهو استاذ الساميات في الجامعة الاميركية يتنازل ويكتب في « القرويات » اقول هذا لاني اعلم ان امثاله من الاساتذة الاخصائيين والذين يسميهم البعض النخبة ، يكتبون عادة في « السماويات » أي على الصعيد العالي من التفكير ، ما يتلاءم مع الاختصاص واللقب . الا ان الاستاذ فريحه يكذب ظني والحمد لله ، ويرينا انه ليس طويل اللسان في اللغات السريانية والاكدية والعبرية وفي المناقشات الثنائية واللغوية وغيرها في حدود اختصاصه وحسب ، بل يتقن « اللبنانية » ايضا ويكتب كما يكتب العاديون من حملة القلم الذين ليسوا من النخبة ولا من اهل القلم حتى ولا على صعيد عال بل على مستوى الاطفال واهل القرية بلغة اقل ما يقال فيها انها « لبنانية » سهلة ممتنعة ومزدوجة تجمع بين العامي الحلو الجرس والفصيح السهل الغير المسف ، يقصدها الكاتب فجاءت نموذجا يحتذى بها وثورة على القلم الجامد المتزمت .

قرأت كتاب « اسمع يا رضا » فشعرت اول ما شعرت بطول العمر وحلاوة العيش فكأني عايشت القرن العشرين في لبنان منذ مستهله . عشت فترة امنة هادئة اتدرج مع الكاتب طفلا دارجا فشابا يافعا ، ثم اشاهد اندلاع الحرب الكونية الاولى والصراع المر بين الموت والحياة يوم حل الجراد ضيفا ثقيلا على القرية فلم يبق ولم يذر . واما الشعور الثاني فهو الشعور بالوحدة اللبنانية والانسجام التام الصادر عن تقارب التجربة او بالاحرى عن دم القربى التي تجمع بين مختلف اللبنانيين (بغض النظر عما سببه المستعمر من تفرقة) وتصهرهم في بوتقة لبنانية لها روحها الخاصة وميزتها الثابتة . وكأني بالاستاذ فريحه في كتابه يتقصى مسببات الشخصية اللبنانية ومقوماتها على ضوء مؤثرات الطفولة. فهو يرجع كل شيء في تلك الشخصية الى « اللبنانيات » الصغيرة في القرية التي تظل عالقة في نفس الطفل والتي اليها يرجع الفضل في « قولبة » اخلاقه وشخصه . فالقرية اللبنانية تجري دما ثرا حارا في عروق الاستاذ فريحه وحلما ذهبيا في سواد عينيه ، اجل ، ترى متى يرى الضيعة قبلة الانظار ومحط الامال ؟ متى يراها تعود مزدهرة ثانية تعج بالاطفال الموردي الوجنات يسرحون ويمرحون في ازقتها وعلى بيادرها في اوديتها وغاباتها يلعبون لعبة « البيل » و « المخابيء » وغيرها من الالعاب التي تفوق بكثير العاب زماننا ، يتنشقون الهواء النقي الذي لا دخان مازوت فيه ولا جراثيم ؟

واما اشخاص الكتاب فتشعر انها ليست غريبة عنك . فكأنما عيد خالك او عمك او جدك ، وكأنما مخول جارك الذي يسكن لزق بيتك ، وهكذا قل في نسطاس وملحم الدكنجي وغيرهم من ذلك الجيل الحبيب ، الذين هووا كالاعمدة فوق الشوامخ بل قل ماتوا ميتة الابطال رؤوسهم تنطح السماوات وتفسل المحيطات اقدامهم . وانك تشعر حقا بالحزن العميق لتلك النخبة الطيبة التي قالت بفؤوسها لهذي الجبال ان كوني فكانت وان انبتي فانبتت كرما وزيتونا . وتفاحا يفري بفنجه الف حواء وحواء من اقاصي الارض ، كما وانك قلما تجد مرثاة ابلغ وافصح ، تعدد مناقب اللبناني من تلك التي رثى بها الاستاذ فريحه « خاله عيد » قال رحم الله عيد ! عيد اخر واحد من الجيل الصالح الذي عمر القرية . عيد اخر واحد شجر الوعر ، ودرج السفح ، ونقب السليخ ، وطعم البري ، وغرس التوت واقتلع الشوك من على جوانب الطرقات مجانا ، واخر من بنى دعسات في المسالك الوعرة المؤدية الى احراش القرية ايام الاحاد مجانا لوجه الله !

مسكين عيد ، لقد مات بلا وسام .

الا تشعر وانت تقرأ هذه المرثاة بالتيه والفخر باولئك الاجداد الذين كان لبنان عندهم بمثابة هيكل مقدس يقدمون على مذبحه اعمال يديهم وعرق جباههم قربانا يتنسم منه الله رائحة الرضى في ايام الاحاد . الا تشعر الان بقيمة القربة ذلك الميراث الذي خلفه لنا لاجداد امانة غالية في اعناقنا ؟ ترى ماذا فعلنا من اجلها .. حكومة .. وشعبا ؟ فيا ليت الحكومة ترسم وساما يعلق على صدر امثال الخال عيد من فلاحي القرى المجاهدين .

هذا ، ولا اريد ان استرسل في تبيان محاسن الكتاب ، والكتاب بالحقيقة غني عن التقريظ والمديح ويكفي ان تعلم انه يضم لبنان بين دفتيه .

والان لي كلمة اخيرة وهي بالحقيقة بيت القصيد . كنت دائما انوق كلما قرأت سعيد تقي الدين ، واميل مبارك ، وتوفيق عواد ، ومخائيل نعيمة وغيرهم وكلما سمعت الرحبانيين وفيروز وكلما تطلعت الى رسوم فروخ ورضوان الشهال اتمنى لو يتعاون هؤلاء جميعا مع زمرة اخرى لاخراج قصة بل فيلم يحفظ للاجيال الطالعة صورة واضحة صحيحة عن لبنان منذ مستهل القرن العشرين او منتصف القرن التاسع عشر وما لاقى في تلك الايام من مظالم ومحن تحت النير العثماني ثم تطور الحياة في لبنان وما رافقه من صراع مؤمن في سبيل الحياة الكريمة والعيش الافضل ، واخراج فيلم كهذا يفيد لبنان من ناحيتين هامتين ، الاولى تربوية تعطي النشء الحديث فكرة صادقة عما كلف لبنان الاجداد من تضحيات غالية ناهيك انه يطبعهم بطابع وطني لبناني ويحفزهم على مواصلة رسالة لبنان والحفاظ على قريته وتقاليده وعاداته . واما الناحية الثانية فسياحية تعرف النشء المغترب على ارض الاجداد ووجه لبنان الحقيقي وتكون حافزا للعودة . هذا واعتقد ان بمساعدة مفوضية السياحة والاصطياف او غيرها من المؤسسات التي يعنيها الامر وبمساعدة هذه النخبة الحقة من اللبنانيين الافذاذ يمكن وضع تصميم شامل لاخراج قصة لبنان في تاريخ جهاده الطويل ومساهمته الفعالة في نشر الحضارة والمعرفة والسلم . اما وقد وضع الاستاذ فريحه الحجر الاساسي لهذه القصة فاني ارسلها صادقة لمن يغار على لبنان ويحب قريته بكل ما فيها من تواضع وشمم ان يتنادوا للعمل وينبروا لتنفيذ هذا المشروع . وقد يحسب البعض ان الفكرة اقليمية ضيقة لاسيما في هذا الخضم من التيارات الفكرية والسياسية التي تصطرع في البلاد العربية . قد يكون هذا هو الواقع الا انه رغم كل هذا تظل الفكرة حاجة ملحة تعتمل في نفس كل لبناني . فنحن نفتقر الى قصة لبنانية تهزنا بالفخر وتملا نفوسنا بالثقة وتحفزنا الى ان نعمل من اجل لبنان ومن اجل القرية التي نحن ابناؤها . وأي جريمة في من يحب بلاده ؟

انني اتمنى على وزارة التربية الوطنية ان تتبنى هذا الكتاب ليطالعه طلاب التاريخ في الصفوف الابتدائية كما واتمنى على كل ام ان تقرأه وتنشر الضيعة احلاما عذبة حول مهد صغارها فينشأون مطبوعين على حبها وكذلك اتمنى على كل اب لبناني ان يمد ذراعه لابنه لينام عليها وهو يقص عليه قصص الضيعة .

هنيئا لك يا رضا بوالدك !

وهنيئا لك يا ضيعة بامثال انيس فريحه !

الجامعة الاميركية بيروت **يعقوب حوراني**

في كلمات ...

● اعلن مدير كبرى مؤسسات مكافحة السرطان في العالم ـ معهد سلون كترنج للابحاث السرطانية بمدينة نيويورك ـ عن اكتشاف خطير جدا يتعلق بالسرطان : وهو ان بعض الاشخاص يتمتعون بمناعة طبيعية ضد الاصابة بهذا المرض . والمعتقد ان هذه المناعة مصدرها وجود بعض الاحماض المعينة في خلايا الجسم . وقد يؤدي دراسة مفعول هذه الاحماض الى كشف النقاب عن بعض النواحي المتعلقة بهذا المرض وكيفية معالجته. ويرى الدكتور كرنيليوس رودز مدير المعهد المذكور ، ان اكتشاف عقار شاف من مرض السرطان قد يتم في خلال السنوات العشر المقبلة هذا ويراس الدكتور رودز فريقا من علماء الابحاث وهبوا حياتهم لمكافحة السرطان . وقد جرب هؤلاء العلماء حتى الان زهاء ١٠ الاف مركب كيماوي في مكافحة هذا المرض .

● حذر السير جون تشارلز ، كبير اطباء وزارة الصحة البريطانية الاطباء والجمهور من الافراط في الاعتقاد بالمصادفات في ما يتعلق بالسرطان .

ففي تقريره عن انكلترا وويلز لسنة ١٩٥٥ ذكر السير جون تشارلز ان في الاستطاعة اتخاذ المزيد من التدابير بشان الامريين الاساسيين المشتبه بانهما يسببان سرطان الرئة، وهما فساد الهواء والافراط في التدخين . وقال ان من المفيد التذكير بان بعض انواع السرطان قد قضى عليها واصبحت نادرة الوقوع وانه ليس من الافراط في التفاؤل ان يؤمل في ان تؤدي الابحاث الحديثة مع مرور الزمن الى اكتشاف وسيلة لمنع وقوع الانواع الباقية من السرطان . وقال التقرير في اشارة الى سرطان الرئة ان من الجدير دراسة الاساليب المتبعة في البلاد التي تمنع التدخين في المسارح ودور السينما وحتى في عربات النقل الشعبية.

● قال احد العلماء في طب الاسنان امام جمعية طب الاسنان الاميركية انه ليس هناك ما يدل على ان سرطان الفم قد ازداد بسبب ازدياد التدخين في السنوات الاخيرة .

وقال الدكتور سيمور كريشوفر مدير المعهد الوطني للابحاث في طب الاسنان انه على الرغم من الدلائل الواضحة الحاسمة على ان التبغ يؤثر على اغشية الفم فانه ليس هناك اي دليل على ان سرطان الفم قد ازداد بنسبة ازدياد التدخين في السنوات الاخيرة كما هي الحال في سرطان الرئة .

● بدأت مستشفيات بريطانيا الان تستخدم معدن الكوبالت ذي النشاط الاشعاعي الذري الذي يتم انتاجه في هارول في ميدان معالجة الامراض المستعصية وبينها السرطان وذلك على مسافة بعيدة . وبالاضافة الى ذلك فان مركز هارويل يمون مستشفيات اوروبا بهذا العنصر ومستشفيات عالمية اخرى . ولقد تم تدشين وحدة جديدة ذرية على الكوبالت وتعرف باسم كوبالترون في عيادة لندنية وتحدث السرجون كوكروفت مدير مركز الابحاث الذرية في هارويل لهذه المناسبة فقال: ان الكوبالت هو من اهم عناصر الايزوتوب او النظائر وهوجد رخيص بالنسبة لاثمان الراديوم العالية .

● استطاع جراحان اميركيان « تعزيل » الشرايين المسدودة لاول مرة في تاريخ الجراحة. ويقول الجراحان وهما الدكتور تشارلز بايلي استاذ الجراحة الصدرية في كلية هانمان الطبية والدكتور انجيلو ماي من مستشفى زبون في سان فرنسيسكو انهما استطاعا « تعزيل » الشرايين التي تغذي عضلة القلب نفسها بالدم . وقد اجريت هذه العملية الجراحية التاريخية لمريضين بانسداد شرايين القلب في مدة اسبوعين . واستعملت في هذه العملية آلة جراحية دقيقة ادخلت الى القلب عن طريق الشرايين حيث استطاع الجراحان بواسطتهما ازالة التجمعات الدهنية التي تسد مجاري الشرايين وتسبب النوبات القلبية . وبعد العملية ازداد اندفاع الدم الى الشرايين وتحسنت حالة القلب .

● توصل طبيبان من مستشفى المحاربين القدماء في بتسبرغ الى ايجاد طريقة بسيطة للفحص يعتقدان انهما يستطيعان بواسطتها انقاذ حياة الكثيرين ممن يشكون من تشمع الكبد ، وذلك عن طريق منع حدوث النزيف القاتل . ويشتمل هذا الفحص على قياس ضغط الدم في الطحال مما يدل مسبقا على امكانية حصول النزيف . وعندها يستطيع الاطباء تخفيض الضغط وذلك بفصل الوريد الكبدي ووصله رأسا بالوريد الكبير المنحدر من القلب .

● ان تخمة المعدة قبل النوم ينتج عنها الاصابة بالكابوس وقد اعلن ذلك طبيبان احدهما امريكي والاخر من الفيليبين بعد قيامهما بدراسة وافية لهذا المرض اثر انتشاره في الفيليبين وقد ذكر الطبيبان انهما بدءا السير في الطريق الموصلة الى معرفة اسباب مرض الكابوس الذي اودى بحياة ثلاثة عشر شخصا خلال الشهرين الاخيرين في الفيليبين . وقد ثبت للطبيبين ان الوفاة بهذا المرض تنجم عن اصابة حادة في البانكرياس وقال الطبيب الفليبي انه قام بتشريح اكثر من اربعين ضحية اصيبت بهذا المرض فتبين له ان حدوث نزف شديد في البانكرياس سبب الوفاة بمرض الكابوس ، ويعزو الطبيبان هذه الحالة الى اتخام المعدة بالطعام قبل النوم مباشرة، ويعتقد ان الطعام غير المهضوم ربما كان السبب في حدوث فتق في الاوعية الدموية في البانكرياس.

● لفت مقال نشره العالم الالماني المعروف في ابحاث الاوبئة البروفسور ايريش مارتيني في مجلة ناتور فيسنشافتليشن روندشاو الالمانية العالمية الانظار الى ان تلوث الهواء ببعض المواد يأتي بالخير العميم على كثير من الاصقاع الكبرى في القارة الاوروبية . وذكر هذا البروفسور بان عددا لا يستهان به من مناطق أوربا الوسطى كان يخلو حتى الان من المرض الذي يحدث تضخما في الغدة الدرقية بين السكان بفضل قيام بعض الصناعات هناك ببث سحب اليود في الهواء وهي المادة الوحيدة التي تقضي على هذا المرض .

وقد كان من المعروف حتى الان بان مرض الغدة الدرقية يعود الى عدم كفاية كميات اليود التي يتناولها جسم الانسان . وهذا ما يمكن اسناده بصورة غير مباشرة الى قلة وجود اليود في الماء والاشجار التي يستعملها الانسان في تغذيته . ومنذ ان عمدت الحكومة السويسرية قبل عشرات السنين الى اضافة مادة اليود الى ملح الطعام الذي يستهلكه السكان السويسريون تلاشى هذا المرض بينهم تقريبا بعد استفحاله قبلا فيهم . كما تلاشت بذلك عواقب هذا المرض التي تؤدي الى الخبل وفقدان النطق والسمع . واصبح اليوم في امكان الحكومة السويسرية زيادة عدد افراد جيشها بهذه الواسطة واضافة فرقة كاملة اليه بعد استخدامها اليود في الطعام وصيانة سكانها من مرض تورم الغدة الدرقية. وتقول الاوساط الطبية بان هذا المرض كان يتوقع له انتشار اكبر من الان في البقاع الاوربية الاخرى لو لم يكن هناك مؤسسات منتشرة على طول شواطىء فرنسا الشمالية واسكتلندا على الاطلسي تقوم منذ مدة طويلة باستخراج مادة اليود هناك من البحر فمنذ ما ينوف على مائة عام تجري في هذه البقاع عملية استخراج كميات كبيرة من الاعشاب البحرية لاستخلاص ما فيها من مادة اليود . ومن جراء هذه العملية تنتشر كميات كبيرة من اليود في الهواء الذي ينساق مع السحب والرياح الغربية الى داخل القارة الاوروبية ويتساقط فوق اراضيها داخل ذرات المطر . ومن هناك تأخذ هذه المادة طريقها من المياه الجوفية واراضي الحقول والنباتات ولحوم الحيوانات الى جسم الانسان فتحصل فيه المناعة ضد تمرض الغدة الدرقية ولعل في تلوث الهواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمادة اليود حسنة تعوض بعض الشيء الاضرار الناشئة في اوروبا من تلوث طبقات الهواء بسحب الادخنة التي تلفظها مصانعها وسحب الاشعاعات الذرية التي تنشر فيها الخطر على حياة السكان . ولا بد ان انتشار المرض المذكور في البلاد الاوروبية في الماضي كان اكثر بمراحل قبل عمليات استخراج اليودعلى السواحل الاوروبية الواقعة في المحيط الاطلسي .

● عكف طبيب ايطالي على دراسة خصائص الملفوف (الكرنب) مستعينا باراء العلماء السويسريين والامريكيين فافضت الدراسة الى ان عصير الملفوف فعال جدا في حالة اصابة المعدة بقروح وينصح الطبيب بتناول حساء الملفوف على الطريقة الريفية . ويرى بعضهم ان للموز خصائص متشابهة .

● يذهب طبيبان فرنسيان الى انه في حالة عدوى الجدري من الممكن تلقيح النساء الحاملات ، اذ ان جرثومة التلقيح لا تخترق الحاجز الذي تشكله البلاسنتا ، ولا يلحق اي خطر بالحاملات ، غير انه يمتنع عن تلقيح النساء الحاملات المعرضات للاجهاض او الولادة المبكرة .

● يقوم الطب باستخدام العلوم الذرية في مجال واسع . فقد قام جراحان سويديان بعملية حقن ثدي مصاب بالسرطان بواسطة اندهب المشع وقد استطاعا باجهزة المراقبة ان يكتشفا وجود ادران خطرة لم يكن يتيسرلهما اكتشافها لولا هذه الطريقة الحديثة .

● تقدر الوصفات الطبية في استعمال المخدرات المسكنة ب ٣٥ مليون وصفة في الولايات المتحدة . وهذا الرقم يدخل الرعب انى علماء النفس فهم وان كانوا مرتاحين الى دواء ناجع في مداواة مرضاهم غير انهم لا ينصحون الناس المعافين باستعمال المخدرات المسكنة لتهدئة اعصابهم في خضم الحياة اليومية .

● حين تتولد الاكزيما عن حساسية المريض حيال دواء ما فاول شيء يجب القيام به هو الاستغناء عن الدواء . وهذا ما يكفي غالبا للقضاء على الداء . ولكن يحدث احيانا ان تستمر الاكزيما وتتطور وسبب ذلك ان المريض بحساسيته حيال الدواء اصبح ذا حساسية حيال النور . وفي مثل هذه الحالات يجب الانزواء عن النور من ثمانية ايام الى خمسة عشر يوما حسب تأصل الداء .

● يصاب بعض الناس بازمة ربو حين يجدون انفسهم امام حوض فيه اسماك حمراء وليس الذنب من هذه الحيوانات بل ان مرد سبب الازمة يعود الى براغيث الماء وهي الغذاء الذي يوزع على الاسماك بوفرة وترى منتشرة في الهواء وعلى السجاجيد وعلى الثياب نفسها.

● يعالج اخصائي روسي داء السعال الديكي (الشهقة) بواسطة الثوم اذ انه يقشر الفصوص ويحمل المريض على شمها عدة مرات في اليوم . وقد اعطت هذه الطريقة نتائج باهرة .

● تكللت بنجاح التجربة التي قام بها العالمان لوسي وهورلي في المعهد البحري للابحاث الطبية في ولاية مارلاند بالولايات المتحدة . فقد نجح العالمان في تلقيح عشرة كلاب بارجلها بعظام الفئران والبقر . وقد نجح اللقاح في حين ان المتعارف عليه ان لا ينجح اللقاح اذا كان ماخوذا من جسم غريب عنه لان الكائن الملقح سريعا ما يبدأ جسمه بتوليد مواد دفاعية تقضي على الجسم الغريب الذي لقح به .

وهذا يصح في تلقيح العظام فتبدأ المقاومة ضد المواد والاجسام الدهنية والبروتينية وسائر المواد العضوية لقطعة العظم الغريبة . وقد تمكن الطبيبان المذكوران من التغلب على ذلك بتلقيحهما عظاما جردت تماما من كل المواد العضوية . فقد بللوا قطع العظم المنوي التلقيح بها في مادة (الايتلين ديامين) ثم في الكحول الصافي . فلم يعد يبقى بعد ذلك غير العظم بمعناه المجرد ، فلقحوا عندئذ به قصبة رجل الكلاب ثم اخضعوا هذه الكلاب بعد ذلك الى حقن بمادة اشعاعية تتجمع في المناطق التي يبدأ فيها نمو الغشاء العظمي الجديد . وقد دل عداد (جيجر) على ان جميع اللقاحات كانت ناجحة تماما . وان تطبيق هذه الطريقة ، في الطب الانساني ستكون ذات فائدة عظيمة .

● اصدرت اليابان قانونا عام ١٩٤٨ يجيز العقم للنساء . وفي عام ١٩٥٠ قررت احدى عشر الف يابانية الاستفادة من هذا القرار . وقفز الرقم في عام ١٩٥٣ الى اثنين وثلاثين الفا . ويقدرانه عام ١٩٦٠ سيكون في اليابان عدة مئات الالاف من النساء العاقرات .وبذلك تنقص الولادة الى ان تبلغ حوالي المليون . والاسباب الاقتصادية هي التي حدت بالنساء بصورة خاصة الى الاقدام على مثل هذا التصرف .

● اعلن الدكتور دافيد لويس في اجتماع جمعية اطباء القلب الاميركية في ولاية اوهايو عن جهاز مبتكر جديد لتشخيص امراض القلب وهو يعين الاطباء في سماع لفط القلب والاصوات الخافتة المختلفة وتحديد مصدرها مباشرة . ويقول الدكتور لويس ان هذا الجهاز يعمل بدون حاجة الى سماعة الطبيب المالوفة ذلك ان الميكروفون ينقل الاصوات الصادرة من القلب الى سلك « كابل » متصل بـ « فونو كرديوجراف » يتولى تسجيل اشارات القلب.

● كون معهد الابحاث العلمية لنباتات العقاقير والعطور في موسكو تركيبا طبيا جديدا يدعى هيمالين . والهيمالين هو وسيلة هامة لمعالجة قرحة المعدة والامراض المعوية والربو . وهذا التركيب الجديد مستخرج من نبات يدعى سكوبولي ، جلب الى الاتحاد السوفياتي عام ١٩٢٩ من هملايا . وقد اتخذ التركيب الجديد اسم هيمالين نسبة الى اسم البلد الاصلي للنبات . وقد جرت تجربة هذا الدواء الجديد في العديد من المؤسسات الطبية في موسكو . وقد عادت الصحة الى اغلبية المرضى الذين عولجوا بهذا الدواء . وقد صدق دواء الهيمالين بقرار من وزارة الصحة العامة في الاتحاد السوفياتي لتجربة واسعة من المعالجة الطبية .

● اعلن علماء معهد الولايات المتحدة لامراض القلب عن ابتكار طريقة جديدة لقياس طاقة القلب الدافعة ، وهذه الوسيلة قد تمكن الاطباء من معرفة ما اذا كان مرضاهم سيصابون بامراض قلبية قبل ظهور الاعراض المرضية بوقت طويل . كما انها تمكن الطبيب ايضا من قياس طاقة القلب المريض حتى يحدد

هدية رأس السنة

اكابر

قصص جديدة

البيادر

طبعة جديدة

كان ما كان

طبعة جديدة

دار صادر ـ دار بيروت

لصاحبه مقدار العمل الذي يستطيع ان يؤديه دون ان يجهد قلبه المعلول . وفي هذه الطريقة ، يعمد الاطباء لقياس القوة التي يدفع بها القلب الدم خلال شريان الاورطي الى الشريانات الصغيرة الاخرى بادخال انبوب من البلاستيك في احد شريانات الساق ودفعه الى الاورطي . والاورطي ، كما هو معلوم ، هو الشريان الكبير الذي يتفرع من اعلى القلب لتغذية الجسم كله بالدم . فاذا بلغت الانبوبة الاورطي سجل صمامان بداخلها تذبذب ضغط الدم بين نقطتين في الاورطي اثناء عملية الضخ التي يقوم بها القلب . وهذا الاختلاف يسجله جهاز كهربائي خاص ، ومن السجل يستطيع الطبيب ان يقرر مدى قوة القلب وتحمله .

بشرى نزفها للمابين المرضى بالبول السكري. فقد نشرت المجلة الطبية الامريكية (مديكال جورنال) مقالا عن طريقة جديدة لعلاج هذا المرض تتلخص باعطاء المريض غذاء يتالف من كميات كبيرة من البروتينات ونسبة ضئيلة من المواد الدهنية ، وعقارا على هيئة اقراص تحتوي على املاح الصفراء واربعة انزيمات هاضمة مستخرجة من معدد الحيوانات وبانكرياساتها . وهذه الانزيمات الاربعة هي « الببسين » (ويستخرج من المعدة) ، والـ « تريبسين » ، والـ « اميليس » والـ « ليبيس » التي تستخرج من البانكرياس ، وهذه الانزيمات ، بالاضافة الى املاح الصفراء تساعد على هضم العناصر الاساسية التي يتالف منها الغذاء وهي : البروتينات ، والمواد الدهنية ، والمواد السكرية والنشوية . وتصنع هذه الاقراص شركة روبنز المساهمة بمدينة رتشموند ، فرجينيا ، وتباع بالاسم التجاري : « انتوزيم Entozyme » .

وبقول مقال المجلة الطبية المذكورة ان هذا العلاج جرب على ١٤ مريضا ، فزالت حاجة اربعة منهم الى الانسولين ، وهبطت حاجة الباقين الى هذا العقار بنسبة تتراوح بين ٣٠ و٨٠ في المئة .

وقد وضع الدكتور برتراند اونيستاين ، مكتشف الطريقة ، نسب الغذاء المثالية التالية لمرض السكر : السعر الحراري اليومي للاغذية : ١٥٠٠ ويمكن الحصول على هذا السعر بتناول غذاء يتالف من المواد التالية : ١٥٠ غراماً مواد سكريةونشوية (كاربوهايدرات) ١٢٠-١٢٥ غراما مواد بروتينية و٤٥-٥٠ غراما فقط من المواد الدهنية .

● يقول البرتو تامانيو ان القدم اصدق من الكف في معرفة المستقبل لان كيان الانسان يعتمد عليها في غدوه ورواحه ومن اجل ذلك ابتكر طريقته على اسس علمية ايده فيها جراح الماني ويدعي ان طريقته المبتكرة نجحت في مساعدة المرء على معرفة المستقبل حتى يقدر لرجله قبل الخطو موضعها ...

● يقوم مركزان عالميان في كاليفورنيا باعداد مشروعين هائلين للبحث في اسرار ومعميات الدماغ الانساني . وقد منحتهما مؤسسة فورد الامريكية زهاء مليون دولار لهذا الغرض . وسيقوم احد هذين المشروعين ببحث العلاقة بين العته العقلي وكيمياء الجسم الانساني . وسيقوم معهد كاليفورنيا الفني في « بسادينا » بالاشراف على هذم البحوث . اما المشروع الثاني فسيبحث الروابط بين السيكاركي والفزيولوجي وبصورة خاصة سيبحث كيفية سيطرة بعض اجزاء الدماغ الانساني على الافعال الانسانية وستقوم كلية الطب في جامعة لوس انجلس في كاليفورنيا بالاشراف على ذلك . ومن المؤمل ان تسفر هذه البحوث عن معالجة العته العقلي بواسطة عقاقير خاصة منذ الولادة ، بعد اكتشاف العوامل الوراثية لهذا العته . ولقد كشفت الدراسات الاخيرة بهذا الشان ان هناك علاقة ما بين الانحرافات العقلية والفزيولوجي ولكن هذا البحث ما زال بعيد الغور بالنسبة للمعرفة الان . وسيركز المعهد الفني في كاليفورنيا دراساته حول نقطة « الاخطاء الوراثية » في كيمياء الجسم البشري المتسببة من الجزئيات الشاذة والمعروف ان الجزء الواحد هو اصغر اجزاء المادة الذي يتكون من مجموعة من الذرى ، وا ن الجزء هو الذي يعطي خصائص المادة . وسيدير هذه المباحث العالمية الخطيرة الدكتور « لينوس بولنغ » حامل جائزة نوبل لاكتشافاته الهامة في موضوع الكيمياء الحيوية ، وانه يعتبر حجة في بناء الجزئيات في الانسجة الحيوية . ويقول « الدكتور بولنغ » بان هناك حالات عديدة من النقص العقلي لا بل معظمها ـ انما يرجع سببها الى الشذوذ في جزئيات « الجينات » المورثة ، وان هذه « الجينات » ابنية عضوية ميكروسكوبية وهي التي تورث الخصائص من جيل الى جيل .

● يؤكد كثير من الاطباء الاختصاصيين في علاج الامراض العقلية ان الموسيقى من افضل الوسائل لمعالجة المجانين .

وقد ادلى احدهم اخيرا بتصريح قال فيه : لو خصصنا في كل مصحة للامراض العقلية قسما خاصا بالموسيقى ، يديره اختصاصيون مدربون يعرفون مدى تاثير الموسيقى في النفوس لكان ذلك علاجا مفيدا للمرضى .

وهذا هو ما اخذ به فعلا احد مديري المستشفيات الحكومية في مدينة مانهاتن ، فقد عمد الى عزل فئة من مرضاه ومراقبة تاثير بعض الادوار الموسيقية المختارة في عقولهم المضطربة ، فكانت النتيجة ان شفت الموسيقى كثيرا منهم . وقد نظم مدير اخر فرقة من الاوركسترا تعزف انغامها للمرضى في اوقات الطعام فكان تاثير الموسيقى في هؤلاء المرضى المصابين بمختلف الامراض العقلية بالغا ابعد الحدود .

ويعتقد المشتغلون بمسائل العلاج النفسي ان المعالجة بالموسيقى تعتمد على الصلة الوثيقة بين التركيب العضوي في جسم *الانسان والانغام المنظمة وان تاثيرها ينصل* بميكانيكية العقل لانها تؤثر في اجزاء المخ التي تعتبر مركز الاحساس والانفعالات .

ومنذ عامين قام احد اساتذة الموسيقى بسلسلة من التجارب باحد المستشفيات الخاصة بالمجانين في شيكاغو ، فعزف طائفة من الاغاني والادوار الايطالية امام امراة مريضة كانت ترفض ارضاع طفلها فظلت جامدة لا تبدي أقل تاثر بنغمات البيان حتى بدا الموسيقار يعزف قطعة معينة فلم تلبث ان تنبهت لدى سماعها وعادت ترضع وليدها وتعنى به . وحدث ان فتاة ايطالية ظلت ممتنعة عن الكلام ثلاثة اشهر ولكنها لم تلبث بعد سماعها قطعة موسيقية معينة ان تمالكت اعصابها وعادت الى الكلام .

واصيب رجل بالعمى من اثر « هستيريا » حادة عقب وفاة زوجته ، فاستدعى لعلاجه موسيقار معروف عزف له لحنا مفرما طلبه بنفسه فلم تمض ثلاثة ايام حتى هدأت اعصابه وانكشف بصره . هكذا يتبين ان للنغم تاثيرا مختلفا في حالات المرض لما تحدثه في الدورة الدموية بالمخ وغيره من اجزاء الجسم .

● اذاعت وزارة الزراعة الاميركية خبر اكتشاف محلول كيماوي ترش به الاثمار فيمنع تساقطها قبل نضجها . والمعروف ان ٢٠ في المائة من محصول الاثمار كان يتساقط قبل تمام نضجه فاذا بهذه النسبة تنخفض الى ٦ في المائة اذ تصبح بعد الرش اقوى على مقاومة الرياح والعواصف التي تتعرض لها الاشجار المثمرة .

● تمكن الخبراء الزراعيون العاملون في وزارة الزراعة الاميركية من اكتشاف رشوش جديد يقضي على الاعشاب والحشائش الضارة برشها به مرة واحدة ، كما اثبتت ذلك التجربة التي اجريت على مثل هذه الحشائش من قبل المختبر الزراعي في مونت كرمل في ولاية كنتيكت . والمحلول الجديد يعرف عندهم بـ (امينو تريازول) وقد جرى اختباره عام ١٩٥٥ فقضى على هذه الحشائش قضاء تاما واتى بنتائج باهرة .

● بالرغم من الابحاث العلمية الدقيقة التي قام بها خبراء الزراعة والنباتيون وغيرهم ممن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يهتمون بالكشف عن تاريخ بعض النباتات ومراحل تطورها عبر التاريخ ، فقد وقفوا حيارى امام اصل الذرة الصفراء التي تدخل اساسا في تغذية الانسان والحيوان . ويبدو من هذه الابحاث ان معظم البقول والحبوب الغذائية مرت بمراحل تطورية منحدرة من اصول قديمة باستثناء الذرة منها . فالاختبارات العلمية التي اجريت للان حول وسائل استنبات الذرة وتاصيلها لم تفد شيئا في حل اللغز حول اصل النبات ،مع التسليم بان هذه التجارب ادت الى تحسين عروقه كما ونوعا . ولما جاء المعمرون الاوائل من اوربا الى امريكا وجدوا ان الهنود الحمر فيها يستخدمون الذرة في طعامهم . الا انه كان من المستحيل عليهم ان يتوصلوا الى معرفة اصل منابته الاولى ، اذ لم يعرف ان الذرة تنبت بريا في اي جهة من العالم قط .

● صنعت شركة اسو للابحاث والهندسة اول اطار لعجلات السيارات من المطاط الصناعي . وهذا النوع من المطاط ، ويعرف باسم بيوتيل butyl مصنوع من الغازات التي تتصاعد من عملية تكرير النفط . اما الاطارات المستعملة فهي مصنوعة من مزيج من المطاط الطبيعي والمطاط الصناعي المعروف باسم(GR.S وال « بيوتيل » هي المادة التي تصنع منها جميع اطارات السيارات الداخلية منذ الحرب العالمية الثانية . ويقال ان طاقة احتفاظ الاطارات المصنوعة من هذه المادة للهواء تعادل عشرة امثال طاقة الاطارات الاخرى ، سواء أكانت مصنوعة من المطاط الطبيعي او الصناعي . وقد دلت تجربة هذه الاطارات الجديدة المصنوعة من مادة البيوتيل على تفوقها على انواع الاطارات الشائعة الاستعمال الاخرى . ومما تمتاز به الاطارات الجديدة مقاومتها لعوامل الجو والتفاعلات الكيماوية التي تسبب تشقق انواع المطاط الاخرى : وانتفاء العرير في المنعطفات . وتقول شركة اسو ان التجارب قد دلت ايضا على ان السيارات المزودة باطارات مصنوعة من هذه المادة يمكن ايقافها باسرع مما يمكن ايقاف السيارات المزودة بانواع الاطارات الاخرى ، سواء على ارض الشوارع الجافة او المبتلة . وقد اخترع مادة البيوتيل هذه وليم سباركس وروبرت توماس عام ١٩٣٧ ، وكلاهما من موظفي شركة اسو للابحاث وهي احد اقسام شركة ستاندارد اويل بنيوجرزي. وقد انفقت الشركة منذ ذلك الحين ما يزيد عن ١٣ مليون دولار في ابحاثها وتجاربها على هذه المادة .

● تمكن احد المهندسين ممن يعملون في شركة الجين الوطنية للساعات من اختراع بطارية لا يزيد حجمها عن حجم زر صغير ، تركب في سوار ساعة يد . والجهاز الجديد يولد طاقة كهربائية لمدة سنتين بدون انقطاع قوتها فولط وربع ويمكن تركيب هذه البطارية في جهاز للسمع او في راديو نقال وخلاف ذلك .

● اخترع الخبراء الزراعيون التابعون لجامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الاميركية ، نموذجا جديدا من الالات الزراعية تستعمل في الاراضي الصعبة التي كانت تبزر من قبل بواسطة الطائرات . ويجري الان اختبار الالة الجديدة في اراض شاقة ، فتستمد التربة وتلقي البذار وتغطيه بعملية واحدة . ويمتاز الجهاز الجديد بكونه يوفر نصف الكمية التي تتطلبها الطائرة في عملية البذار . والالة الجديدة تسير على عجلات ولا يزيد وزنها على طن واحد .

● تنوي الحكومة الاميركية ان تنفق خلال الاشهر الخمسة عشر القادمة نحوا من ٨،٧٥٠،٠٠٠ دولار ، في ٢٥ دولة في الخارج ، تعاقدت معها على انشاء افران ذرية تستخدم للابحاث العلمية في البلاد المذكورة. ويصيب كل دولة من هذه الدول ٢٥٠،٠٠٠ دولار ، وهو نصف كلفة بناء الفرن الذري . وقد تمت الاتفاقات اللازمة مع الشركات الاميركية للمباشرة بانشاء هذه الافران في الدول الاربع التالية ، وهي البرازيل وايطاليا واليابان واسبانيا .

وهذه المساعدة تقدمها الولايات المتحدة الاميركية ، تجيء وفقا لتعهد الرئيس ايزنهاور بتقديم ٢٠ طنا من الاورانيوم من عيار ٢٣٥ توزع على البلدان التي تقرر انشاء افران ذرية فيها . والمعروف ان هذا النوع من الاورانيوم يمكن فلقه بسهولة ويستخرج من الاورانيوم العادي بوسائل دقيقة للغاية .. والكمية الموزعة تستعمل في وجوه البحث العلمي وفي محطات توليد الكهرباء التي تعمل بواسطة الطاقة الذرية .

● اخترعت احدى الشركات الاميركية جهازا جديدا لتكييف الهواء في الطائرات الصاروخية هو من الدقة والصغر بحيث يمكن وضعه في حقيبة يدوية للسيدات . وفي مكنة الجهاز المذكور ان يكيف الهواء في سبعة منازل من الحجم الوسط وسيجري تركيبه في الطائرات النافورية الجديدة من طراز دوغلاس وقد روعي في دقته وصنعه بحيث لا يزيد ثقله عن ثقل الوزن المحدد لحقيبة مسافر بالطائرة.

● استطاع المهندسون الاميركيون الذين يعملون في صناعة السيارات ان يحلوا صعوبة طالما اعترضت سبيلهم في صنع محركات كلها من الالومينيوم . والمعروف ان محركا من هذا النوع يخفف كثيرا من ثقل السيارات وينقص من وزنها . وقد صنع على سبيل التجربة حمامات من الالومينيوم تعمل في اسطوانات من هذه المادة ايضا . وقد ظهر بالاختبار ان قطعا من الالومينيوم تحتك في حركتها ذهابا وايابا بقطعة اخرى مصنوعة من هذه المادة لا تؤمن على الوجه الاكمل عمل المحرك . ولذا رأى المهندسون العاملون في الشركة الاميركية للالومينيوم ان يصفحوا اسطوانات الالومينيوم الداخل بصفائح من الفولاذ تقيها مغبة الاحتكاك وتزيد من متانة الاسطوانة وطاقة احتمالها وهكذا حال العلم دون العقبة التي كانت تحول للان دون صنع محركات من الالومينيوم في السيارات .

● ستتمكن مصانع المطاط في العالم من ادخال تحسينات عظيمة على صنعه وذلك باستخدام مفاعيل الطاقة الذرية لهذه الغاية كما جاء في مجلة الاخبار العلمية . فقد ثبت لدى الخبراء في صناعة المطاط ان توجيه شحنات من الالكترونات بقوة مليونين فولط الى معجون السليكون تحوله فجاة في الحال الى صمغ المطاط فيستغني بذلك عن المواد الكيماوية التي كانوا يعالجون المطاط بها من قبل فتفقده بعض خصائصه . والطريقة الفنية الجديدة تمتاز بكونها تعطي في نحو ثانيتين فقط نوعا جديدا من المطاط ، بينما « فلكنة المطاط » او عملية تقسيته بالكبريت كانت تستغرق من قبل بضع ساعات . واصحاب الاختراع المذكور هم ثلاثة مهندسين يعملون في شركة وستنغهوس الكهربائية . الا

صدر حديثا :

رسالة الى ناظم حكمت

وقصائد اخرى

نقلها الى العربية

عبد الوهاب البياتي

قدم لها

الدكتور علي سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الطريقة الجديدة لم تدخل الاسواق التجارية بعد .

● اصبحت منافع الالات التلقائية الاوتوماتيكية تشمل اصحاب البساتين وذلك في شكل « ورقة شجر » الكترونية صممت خصيصا للمساعدة على تفريخ النباتات وتوالدها وتكثيرها وقد استنبط هذه الورقة التي اطلق عليها اسم « اسلوب الضباب الخفيف » العلماء التابعون لجمعية علم فلاحة البساتين الملكية البريطانية وعرضت في معرض الخريف الاخير للجمعية في لندن ويضمن هذا الاسلوب جعل سطح اوراق الشجر في عقلة الزرع محاطة او مغطاة باستمرار بطبقة من الرطوبة مهما كانت الاحوال الجوية . ويحقق هذا الامر عن طريق وضع « ورقة شجر » الكترونية بين عقلات الزرع . ومن هذه « الورقة » ينبعث قطبان كهربائيان وعندما لا يكون هناك ضباب لنقل التيار الكهربائي بين القطبين ينبثق ضباب خفيف من الجهاز حتى يتم تحقيق هذا الاتصالي ونظرا لان فقدان الرطوبة عن سطح اوراق الشجر في عقلة الزرع هو مماثل تقريبا لفقدان الرطوبة عن ورقة الشجر الالكترونية فان اوراق العقلات تحمل دائما طبقة من الرطوبة وفي هذه الظروف فان عقلات الزرع التي كان من الصعب مد جذورها في السابق تبين الان ان من الممكن مد جذورها بسهولة .

● ذكر مؤخرا السلاح الجوي الاميركي انه سيبحث نظرية عالم بالبحرية مؤداها انه في الامكان الحصول على طاقة ذرية اشد واعلى ، وذلك من تفجير الذرات « المتناهية البرودة » بدلا من الشديدة الحرارة . وصاحب هذه النظرية هو العالم روبرت كارول البالغ من العمر ٤٠ سنة والذي يعمل مدربا في مركز المختبرات الجوية التابع للسلاح البحري ، في باتو كسنت ريفر بولاية ماري لاند . ونظرية كارول هذه تتحدى الاراء العلمية القائلة ان درجة ٤٥٩،٦ فرنهايت تحت الصفر ، هي اقل درجة ممكنة . ويشك كارول ايضا في ان تكون سرعة ١٨٦،٣٠٠ ميل في الثانية هي اعلى سرعة . ويأمل كارول ان تثبت نظريته امكان الوصول الى سرعة اسرع من الضوء ، واستخدام مادة رخيصة ـ يحتمل ان تكون الرمل مثلا ـ كوقود . ويقول انه اذا نجح تطبيق نظريته فانه يمكن التفوق على سرعة سير الضوء بواسطة صاروخ . ويعتقد كارول انه كلما بردت الذرة فانها تصبح اقل نشاطا غير ان الكتروناتها تنجذب صوب مركز الذرة وتضطر للتحرك بسرعة اكثر واكثر . ومن هنا فان نظريته فحواها انه اذا اصبحت الذرة متناهية في البرودة فقد ينشأ عن ذلك اندفاع الكتروناتها الى المركز ومن ثم تنفلق الذرة وتتولد عنها طاقة اعلى .

● يقوم اتحاد سكك حديد المانيا الغربية باجراء تجارب على قاطرة لشحن البضائع تسير بالراديو ودون سائق على انه يتحتم على السائق ان يجلس امام جهاز المراقبة في مركز لمراقبة شحن البضائع ويبقى على اتصال بالقاطرة بواسطة اللمس على موجة الراديو القصيرة جدا . ويمكن لذبذبات الراديو ارسال ١٣ جهازا مختلفا من التعليمات الى المحرك بما فيه التغيير بواسطة خمسة اجهزة . ويمكن استعمال الفرامل على اربع مراحل .

● ادلى البروفسور الكسي بوكروفسكي رئيس الوفد الروسي في مؤتمر القذائف والصواريخ المسيرة الذي عقد في باريس بتصريح اعلن فيه ان الاتحاد السوفياتي سيطلق في العالم الجغرافي كوكبا مسيرا واننا نعتقد اننا على مستوى واحد في هذا الحقل مع الولايات المتحدة الاميركية . وقال العالم الروسي ان تاريخ اطلاق هذا الكوكب سيبلغ الى رئيس اللجنة الدولية للمؤتمر الجغرافي الذي يستطيع ان يبلغ الراي العام واشار الى انه يعتقد ان تعاونا في هذا الحقل سيتم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . واما بشأن المدى الذي وصلت اليه الدولتان في حقل الصواريخ المسيرة فقد ذكر العالم الروسي ان الولايات المتحدة تنشر قليلا من الانباء حول هذا الموضوع الا اننا نعتقد ان الدولتين قد وصلتا الى مستوى واحد . وقال ان قواعد قذف الصواريخ والكواكب المسيرة ترتبط بالمراصد الجوية الموجودة في الاتحاد السوفياتي ، كما اعلن انه من الممكن انشاء مثل هذه القواعد في المنطقة الروسية من المناطق المتجمدة .

● اعلن في لندن انه من المنتظر بدء الاعمال في بناء مولد ذري في تينيسايد من اعمال الجزر البريطانية قريبا جدا وقد تألفت شركة كبرى تضم اربع شركات بريطانية مع شركة اميركية . وسيستخدم الفرانيت من النوع العالي الممتاز في هذا المولد الجديد لتخفيف سرعة النيوترونات في الفرن الذري الذي سيتم بناؤه لهذا الغرض . وستنسج الشركة في المحطة الذرية الجديدة على منوال محطة كولدر هول التي تستخدم الفرانيت النقي كمعدل لسرعة البيوترونات التي تطلق في الفرن الذري الذرات اذ ان التحكم بسرعة النيوترونات ضروري للافادة من الطاقة الذرية للسيطرة عليها بصورة مفيدة ومجدية وينتظر ان تبلغ نفقات هذا المشروع بكامله ٦ ملايين استرلينية .

● قامت البحرية الامريكية بالتجربة الاولى للكوكب الصناعي الذي يدور حول الارض فاطلقت لهذا الغرض صاروخا من طراز « فايكنج » من قاعدة الصواريخ العسكرية في راس كانافيرال بفلوريدا وقد صعد الصاروخ الى ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر في الجو وكانت سرعته ٦٤٠٠ كيلومتر في الساعة ثم سقط بعد ذلك على بعد ٢٩٠ كيلومتر من نقطة الانطلاق في المحيط الاطلنطي .

● اعلن ناطق باسم نظارة الخارجية الاميركية بان الطاقة الذرية ستبدأ في غضون خمس سنوات بمزاحمة المحروقات العادية في ادارة محركات ناقلات البترول الكبيرة والسريعة . ويقول السيد ريتشارد غورديون مدير مشروع لبناء السفن الذرية ان الحكومة تدرس الان ستة تصاميم لمحركات ذرية .

● قال الكبتن ايدي ريكمباكر رئيس الشركة الاميركية ايسترن ايرلينز ان الناس بعد ٥٠ عاما سيشاهدون سفن الفضاء وهي تؤمن المواصلات بين مختلف الكواكب بصورة منتظمة ويقول الكبتن ان هذه السفن ستتسع لـ ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ شخص وستسير بالقوة الذرية كما ان سرعتها ستبلغ ثمانية الاف ميل .

● تنبأ عالم الماني في الفضاء ان السفر بين الكواكب سيصبح في متناول الكثيرين عام ٢٠٠٠ فقد خطب الدكتور اوجين ساينغر في حفلة افتتاح الدورة الثامنة لمؤتمر الجمعية الالمانية لابحاث الفضاء فقال لن تمضي اربعة عقود الا وتنطلق الصواريخ المسيرة بالرجال وبالقوة الذرية عبر الفضاء بسرعة تزيد على ٦٠٠٠ ميل في الثانية . وتصور ساينغر وجود عدد من المحطات الفضائية تنشأ خصيصا للرحلات عبر الاجرام السماوية وتكون تحت تصرف الجميع . وقال العالم الالماني قد تنشأ هذه المحطات في فترة لا تزيد عن عام ١٩٨٠ .

● اعلنت احدى الشركات البريطانية اخيرا انها توصلت الى اختراع الة ميكانيكية يحتمل ان يشتد الطلب عليها في بريطانيا وسائر البلدان الحديثة التطور . والمعروف ان هذه الشركة لم تتوصل الى هذا الاختراع الا بعد اربعة اعوام من البحث والتجربة . وتدعى هذه الالة « مانتيس » وهي من صنع شركة « ماتبرو » البريطانية ومن ميزاتها انها تستطيع تأدية مهام ست الات ضخمة . فباستطاعتها مثلا ، ان تقتلع شجرة من جذورها وان تزرع بكل سهولة حقلا كاملا وان تحفر خندقا يبلغ عمقه ١٢ قدما وان ترفع ثقلا معينا الى علو ٢٨ قدما . ومن الاعمال الاخرى التي تستطيع تأديتها رفع الاثقال وحملها من الامام او من الجانب . وكذلك جرف التربة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونقلها راسا الى احدى السيارات او ملء احد الخنادق وتغطيته بالتربة وان تحمل رجلاعلى منصة الى ارتفاع ٢٥ قدما لتادية شتى الاعمال وهذه الالة مزودة بالة ضاغطة تمكنها من القيام باعمال الهدم حيث يتعذر استخدام المثقب الهوائي .

وعرضت آلة « مانيتس » على الجمهور لاول مرة في معرض الاشغال العامة والخدمات البلدية الذي عقد في لندن اخيرا . وهي مزودة بمحرك ديزل من طراز فوردسون تبلغ قوته ٤٠ حصانا ومجهز بست غيارات للسرعة الامامية وغيارين للسرعة الى الخلف وهو يقطع مسافة ٢٤ كيلو متر في الساعة ويستطيع الدوران في دائرة يبلغ نصف قسرها ٤ امتار والجدير بالذكر ان جميع الاجهزة تدار من المكان المخصص للقيادة ، كما وان كافة ملحقاتها تفك وتركب من جديد بمجرد سحب مسمارين واعادتهما لمكانهما .

● جهزت مدرسة الطب التابعة لجامعة سان فرنسيسكو ، باكبر جهاز للاشعة السينية في العالم يستعمل في معالجة السرطان . وهذا الجهاز له من القوة بحيث يولد ٧،٠٠٠،٠٠٠ فولط الكتروني ، وهي قوة يستعملها الطب في معالجة الاورام الخبيثة دون ان يلحق اي اذى بالانسجة السليمة القريبة منها . وقام بتمويل هذا الجهاز اللجنة الاميركية للطاقة الذرية ولم يستخدم في معالجة السرطان الا بعد خمس سنوات من التجارب المتنوعة على الحيوانات .

● اعلنت جامعة ميشيغان عن اكتشاف جديد وقع عليه اخيرا علماؤها العاملون بمحطة الابحاث الخاصة ان الالكترونات تقتل جميع انواع البكتريا الموجودة في الالبان مما يجعل بالامكان حفظ الحليب اسابيع بل شهورا في درجات الحرارة العادية دون ان يصيبه اي تلف .

● ستبدأ قريبا اعمال بناء محطة ذرية لتوليد الطاقة الكهربائية لضاحية راي نيويورك وستبلغ تكاليف هذه المحطة ٥٥ مليون دولار . ومن المنتظر ان تبدأ هذه المحطة بالعمل سنة ١٩٦٠ وتكفي قوتها لجميع حاجات ٣٦ الف منزل من الطاقة الكهربائية .

● بدىء في موسكو بناء اكبر براد في اوروبا . وبامكان هذا البراد ان يسع ٣٦ الف طن من مختلف المنتجات ، بينما لا يسع اضخم براد في باريس سوى ٢٢ الف طن . ولقد وصلت الاعمال في هذا البراد حتى الان الى تركيب الطابق الخامس فيه .

● وافق مجلس مدراء شبكة « تيو انغلاند » الكهربائية على بناء محطة ذرية ثانية لتوليد الطاقة الكهربائية . وصرح السيد اردين مور رئيس الشبكة التي تدير اكثر محطات توليد الكهرباء في الولايات الست التي تتالف منها « نيو انغلاند » صرح بقوله ان المحطة الجديدة ستكون قوتها مئتي الف كيلوات او اكثر . ويجري الان بناء المحطة الاولى في محلة « رو » بولاية « ماساتشوستس » وقوتها ١٣٤ الف كيلوات وستبدأ العمل سنة ١٩٦٠.

● جرى في مرفأ يوكوهاما انزال اقسام جهاز تفاعل ذري للابحاث وهذا هو اول جهاز ذري يجري تركيبه في الشرق الاقصى . وقد بنت الجهاز المذكور شركة صناعية اميركية وقوته ٥٠ كيلوات وهو مخصص للابحاث الطبية وغيرها . ومن المنتظر الانتهاء من تركيبه في شهر مارس المقبل في قرية طوكاي الواقعة على بعد ١٢٠ كيلو متر من شمال شرقي طوكيو .

● ذكرت المجلة العلمية السوفياتية ان الاتحاد السوفياتي سيقوم بانشاء اربعين مطاراضخما من النوع الدولي لتكون جاهزة لاستقبال الطائرات النفاثة الضخمة التي تتسع لمئة وثمانين راكبا والتي يصار الى صنعها في الوقت الحاضر . وتضيف المجلة قائلة ان خمسا او ستا من هذه الطائرات الجبارة ستتمكن من الحلول مكان القطارات السريعة التي تسافر يوميا من موسكو الى فلاديفوستوك قاطعة القارة الاسيوية باكملها .

● تضمنت احدى نشرات مصلحة الارشاد والتعليم الزراعي الاميركية مقالا كتبه المستر هارولد غندرسون الخبير بالحشرات جاء فيه ما يلي :

ان المركبات الكيميائية التي تنتجها الشركات ذات السمعة الطيبة يمكن استعمالها دون خوف . ذلك لانه قبل ان يعمم استعمال مركب ما على نطاق واسع يخضع ذلك المركب لتجارب متعددة لتقدير قيمته وكفاءته وخبرته ايضا ثم يتوجب ان يفوز ذلك المركب بموافقة دائرة الاشراف على العقاقير والاطعمة في وزارة الصحة الاميركية . والمعروف عن هذه الادارة انها تضع قيودا شديدة على استعمال المركبات الكيمائية في معالجة المواسم والمواشي ، والناس . هذا ما قاله الخبير هارولد غندرسون وربما يحتاج القول الى شيء من الاستدراك . فمثلا علينا ان نحرص دائما على التقيد بالارشادات المدرجة على الصندوق او الزجاجة التي تحتوي المركب وان نستشير الخبراء في الرش واستعمال مبيدات الحشرات قبل ان نقدم على ذلك . وكذلك لا يغرب عن الذهن ان مبيدات الحشرات قد تقتل الحشرات الضارة والمفيدة في الوقت نفسه وخصوصا النحل . وهنالك السموم التي توصف لقتل الفئران والجرذان وفيها خطر على الدواجن وعلى القطط التي تاكل السم او التي تاكل الفارة المسمومة . وخلاصة القول ان مبيد الحشرات يفترض ان يكون مامون الاستعمال اذا جرى استعماله بحسب التعليمات وعلى يد خبير ، شان كثير من السموم الاخرى .

● ابرقت كاسرة الجليد الاميركية التابعة لسلاح البحرية والمسماة « غلاسيار » ابرقت انها شاهدت اكبر جبل من الجليد العائم على بعد ١٥٠ ميلا غربي جزيرة « سكوت » في المحيط المتجمد الجنوبي . يبلغ طول هذه القطعة ٢٠٠ ميل وعرضها ٦٠ ميلا . وكانت اكبر قطعة شاهدها الانسان حتى الان هي تلك التي انبات عنها سفينة نروجية سنة ١٩٢٧ في نفس المكان تقريبا ويبلغ طولها مئة ميل فقط .

● قال وزير التموين المصري لقد نجحت تجربة انتاج الخبز بنسبة ٢٥ ٪ من دقيق البطاطا البيضاء الخالية من المواد السكرية.. وقال ان امل وزارة التموين في المستقبل هو تنفيذ هذا المشروع الذي يوفر استيراد ٢٥٠ الف طن من القمح سنويا اي حوالي ١٠ ملايين جنيه .

● تقرر البدء في تنفيذ مشروعات التوسع الزراعي وزيادة الانتاج الحيواني ، في الواحات الداخلة والخارجة لمصر وستقام مراع واسعة لتربية الضان والاغنام لمد البلاد بحاجتها من الماشية وتشترك وزارات التموين والزراعة

مكتبة الطلبة

شارع الامير ـ ص.ب ٣٢٥

الكويت

تقدم الى القارىء الكريم باستمرار

المجلات الاسبوعية والكتب الشهرية

للمشتركين تخفيض عشرة بالمائة

بادر واشترك الدفع مقدما

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاصلاح الزراعي في تنفيذ مشروع المراعي بالواحات هذا وقد سافرت الى الواحات لجنة فنية لدراسة هذه المشروعات .

● ينتظر ان تبدأ وزارة الاشغال المصرية قريبا في تنفيذ المشروع الخاص بتجارب المياه الجوفية في الدلتا ، في المنطقة الواقعة عند نهاية ترعة النعناعية بالقرب من كفر الزيات ، حتى اذا ما ثبت نجاحها ، عممت على نطاق واسع ، لتوسيع رقعة الارض الزراعية ، الى ان تتم المشروعات الكبيرة الخاصة بالتخزين الدائم .

● طلبت الشركة الامريكية صاحبة امتياز البحث عن البترول في صحراء مصر الغربية ، الى الجهات المسئولة في القاهرة ، ان تسمح لها باستئناف العمل فورا في ابار التنقيب التي توقف العمل فيها عند استدعاء كبار رجال هذه الشركة مع الرعايا الامريكيين للسفر الى بلادهم قبل العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر وقد وصل الى القاهرة مدير هذه الشركة وكبار المسئولين فيها لمواصلة العمل في البحث الذي يبشر بزيت كثير في صحراء مصر الغربية .

● صرح مصدر رسمي في وزارة الاقتصاد الاردنية بان شركة « ادوين بولي » صاحبة امتياز التنقيب عن البترول قد استانفت اعمال التنقيب في منطقة تقع شرقي بلدة الزرقاء القريبة من عمان ، وان الشركة تتوقع ان تفرغ من التنقيب في هذه المنطقة خلال شهر واحد نظرا لتوفر الدراسات الوافية لديها بهذا الشان . وقال المصدر ان المعدات التي ستستخدمها الشركة في حفر الابار العميقة ستصل الى الاردن خلال شهرين .

● افضى السيد صلاح النجداوي مدير شركة حديد عجلون بتصريح اكد فيه وجود الحديد في جبال عجلون بكثرة كبيرة تصلح للافادة منها تجاريا . وذكر السيد النجداوي ان شركة حديد عجلون قد تلقت عروضا كثيرة من شركات المانية واميركية وبريطانية لاستثمار الحديد الاردني . ولكن الشركة تفضل ان تتولى هي استغلاله على اساس اردني بحت .

● من المنتظر ان يبدأ العراق في السنة المقبلة بانتاج مواد كيماوية مثل المطاط الاصطناعي ومحروقات المحركات النفاثة وغيرها من المواد وذلك من كميات الغاز الطبيعي الهائلة التي تنفثها ابار الزيت في كركوك . والمعلوم ان تصاميم هذه الصناعة الجديدة قد لقيت موافقة مجلس الاعمار . وتشتمل هذه التصاميم على بناء مصنعين للمنتجات الثانوية احداها في كركوك والثانية في مصفاة الدورة الواقعة بالقرب من بغداد والتي تشرف عليها الحكومة العراقية . كما سيبنى في كركوك مصنع لاستخراج الكبريت وتستعمل جميع هذه المصانع الغاز الطبيعي مادة اولية . وستكلف المرحلة الاولى من هذا المشروع حوالي ١٤ مليون دولار يقدمها مجلس الاعمار العراقي الذي يحصل سنويا على ٧٠ بالمئة من واردات الزيت العراقية .

● اعلن مرصد جامعة هارفر الاميركية ان عالمين فلكيين بلجيكيين اكتشفا مذنبا جديدا وهو ثامن نجم مذنب يكتشف هذا العام . وقد اكتشف المذنب الجديد في ٦ نوفمبر الماضي واطلق عليه اسم « ارانر رولاند » نسبة الى العالمين اللذين اكتشفاه ، اما اسمه الجغرافي فهو (١٩٥٦ ـ هـ) .

● عاد الى العراق البروفسور رالف سوليكي الذي كان قد اكتشف في عام ١٩٥٣ « طفل شانيدار » وهو جمجمة عمرها ٧٥٠٠٠ سنة ، عاد هذا العالم الى المكان الذي اكتشفت فيه الجمجمة في شمالي العراق للقيام باكتشافات جديدة . وقد رافقت البروفسور سوليكي من معهد سنسونيان في واشنطن زوجته الدكتورة روزوليكي ، وتركا بغداد هذا الى شانيدار برفقة ممثل عن المديرية العامة للاثار في العراق وقد صرح البروفسور سوليكي انه يامل في رحلته العلمية الحالية ان يكتشف بعض اثار اخرى من جماجم تلقي ضوءا على بعض معلومات هامة جدا حول حياة الانسان الاول في العراق كما انه يامل ان يكتشف بعض رسوم يعود تاريخها الى العصور الحجرية الاولى .

● اكتشفت في شمال سوريا وفي منطقة الحسكة صدفة جرة مملوءة بالنقود الذهبية والفضية . وقد تسلمت مديرية الاثار هذا الكنز وهو يحتوي ٣٤٠ قطعة ذهبية وفضية من الحجم الكبير يعود تاريخها الى العهود الاسلامية الوسطى في عهد الملك الناصر . ووجد في الجره بعض النقود الفارسية في حالة سليمة . وقد عثر على هذا الكنز صدفة حين كان عمال البلدية يقومون بحفر مجار في المدينة .

● عقدالدكتور عزيز صدقي ، وزير الصناعة المصرية مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن التقارير التي بعثت بها البعثات الجيولوجية وكانت الوزارة قد اوفدت قبل شهر عشر بعثات جيولوجية في مختلف انحاء الصحراء الغربية الشرقية ، للبحث عن مواطن الثروة المعدنية في مصر ، وقد تلقت الوزارة تقارير من ثلاث من البعثات .

ففي جبل « عليه » ، في الصحراء الشرقية نجحت البعثة على العثور على نوع ممتاز من خام المنغانيز . والتقدير الاول هو وجود عشرة الاف طن من هذا الخام . كما اكتشفت خام الكروم في ١٣ عدسة ، وتقدر قيمة كل عدسة بحوالي ٤٥ الف جنيه ، أي ان المجموع ٦٠٠ الف جنيه . واكتشفت ايضا نوعا ممتازا من الحديد الخام ، ولم تقدر بعد الكميات المنتظر وجودها في تلك المنطقة .

وفي جبل « قطار » بجانب الفردقة في الصحراء الشرقية ، نجحت البعثة في اكتشاف الفوسفات والمنغانيز . اما البعثة في الصحراء الشرقية ، فقد نجحت في العثور على حديد بنسبة لا بأس بها . كما تم اكتشاف الجبس بكميات هائلة . وقدرت قيمة الجبس المكتشف بما لا يقل عن مليوني جنيه .

وقال وزير الصناعة : ان جهودنا اتجهت الى استغلال الثروة المعدنية ، وان النتائج السريعة ستثبت ان لدينا من الثروة المعدنية المدفونة ما يجعلنا نامل في اكتشاف معادن هامة اخرى . وسيتبع اعمال هذه البعثات اعطاء التراخيص للبحث والاستغلال . وينتظر تطبيق هذه السياسة لزيادة الفلة من ثروتنا المعدنية زيادة سريعة ، كما اننا من جانب اخر ، سنستفيد من الخامات في اقامة الصناعات التي نعتمد عليها في انتاجها .

● جاء في تقرير مكتب احصاء السكان الامريكي ان اليابان والهند والصين تواجه الان مشكلة تزايد عدد السكان الى الدرجة التي قد تؤثر على مستقبل العالم كله .

ويقول التقرير الذي اصدرته هذه الهيئة غير الحكومية انه اذا لم يلجأ الناس في هذه البلاد الى تحديد النسل ، فسيكون من الصعب ايجاد الطعام اللازم لهم . ويقدر عدد سكان الصين الان بنحو ٦٢٥ مليونا ، ويتزايد السكان هناك بمعدل ١٢ مليون كل عام .

● اعلن مكتب الاحصاء العام الاميركي ان عدد النساء في الولاياة المتحدة يفوق عدد الرجال بمليون و٣٨١ امراة وذلك حسب الاحصاءات التي اجريت حتى اول يوليو . ويبدو من هذه الاحصاءات ان لكل الف انثى اميركية ٩٨٤ ذكرا فقط . وتفسر هذه الدوائر الفرق بانه ناتج عن ان الرجال يموتون في سن اصغر من السن التي تموت فيها النساء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسطنبول



رأسا

كل يوم

ثلاثاء و احد



بطائرات

ڤايكاونت

- اتصالات مؤمنة من اسطنبول إلى آسيا واوروبا والولايات المتحدة .
- توزع آخر نشرات رويتر للاخبار على المسافرين في الطائرة .

سافروا بطائرات **M·E·A**

B.O.A.C. ASSOCIATE

للاستعلامات وحجز التذاكر :
راجعوا وكلاء السفر او شركة طيران الشرق الأوسط بيروت
- بابطه رئيسي - بناية عبود - تلفون ٢١٢١٢/٣/٤/٥
- راس بيروت - بناية الكي سام - تلفون ٢٣٩٣٩

MEA. L 56/11

طيران الشرق الاوسط

[تتمة المنشور في الصفحة ٢٦]

العظمى ، وما يجب ان تكون عليه تلك السياسة ، اليوم وغدا . ثم حينما انتهى ، سأل السائح :« أليس هذا رأيك يا مستر بلاك ؟ »

فبلع الانجليزي ريقه ثلاث مرات ، قبل ان يجيب دون تهكم :

ـ « صدقني ، انا لا افهم شيئا في هذا الموضوع ... ولكن عندنا واحد اسمه تشرشل ... يعالج هذه الشؤون فندفع له اجرته كاملة ! ! »

الشخصية المتزنة

بهذه العقلية ـ بل بهذه الشخصية المميزة المتزنة يعيش الناس العاديون هناك وهنالك ، وهم من رجال الشارع ، اما المثقفون العارفون ، فاننا نجد آثارهم تملأ .. الدنيا ادبا خلاقا ، وعلما مشرقا ، وفنا ساميا .

والنظام الذي تفرضه الشخصية المميزة ـ على الفرد العارف ، وعلى الجماعة الواعية ، في كنف الحضارة القائمة ، هو النظام نفسه ، الذي اخذت به الحضارة نفسها كل حضارة ، منذ عهد الفينيقيين والفراعين ، حتى عهد العرب والرومان والبيزنطيين ؟

هذه الشخصية المميزة ، نجدها متبلورة في كل بيت وشارع ، وفي كل ادارة ومصنع : ففي طراز البناء نجد أثرها، وفي نوع الاثاث نلتمس وحيها، وفي أزياء اللباس وحديث الالسنة ، نجد لها صدى وصورة . بل نجد في الشارع ونظافته ، والمصنع وترتيبه ، وفي الادارة وفعاليتها، وفي سائر حقول النشاط ومرافق الحياة ، نجد السنة تنطق بفعل تلك الشخصية المميزة في الكائنات الحية ، والجوامد الميتة ، على حد سواء .

واذا بك ، وانت في مثل ذلك الوسط ، محمول حملا على تعلم لغته ، ومجبر حكما على الاكتفاء باطعمته وملزم حتما بارتداء بسته ، والتقيد بانظمته وتذوق موسيقاه .

بل ان سحنة الغريب نفسها ، ما تلبث ان تنطبع بالطابع الخاص السائد ، وتنسجم مع المميزات العامة الطافية .

للحفاظ على الشخصية المميزة

يقول مؤرخو مصر القديمة : ان حكام ممفيس عاصمة الفراعين الاولى ، كانوا يقيمون المخافر عند مداخلها ، كي يحولوا دون وصول ... غير المرغوب فيهم اليها . فمن كان له عمل في العاصمة او حاجة يروم قضاءها ، سمح له بدخولها بعد ان يتطهر ، ويرتدي ثوبا نظيفا ! والا رد على أعقابه ان كان غريبا، او، اذا كان مصريا، أعيد الى الريف حيث يتوفر شغل الارض لمن يرغب في العمل المفيد .

قد نقول هذا تدبير تعسفي ... فالمواطن حر في ان يعيش حيث يطيب له ، ثم ان ارض الله واسعة ، فعلام ضيق العين ؟ ... هذا صحيح الى حد . ولكن لنذكر في الوقت نفسه ما تفرضه الدول الحديثة ، من قيود ، للحد من الهجرة الخارجية والداخلية ، لا حفاظا على الامن العام والموارد الاقتصادية فحسب ـ بل محافظة على مقومات الشخصية القومية ، ايضا !

اننا اذا اختلينا لحظة واحدة الى نفوسنا وتصورنا ما يصيب المجتمع ـ اي مجتمع ـ اذا افلت فيه الزمام . ثم استقر في ايدي ذوي الشخصيات الهزيلة او غير المكتملة ، او من لا شخصيات لهم !

اذا تصورنا ولو لحظة المصير المحتوم لمثل هذا المجتمع هان علينا كل تدبير مماثل للتدبير الفرعوني ، ولو بدا تعسفيا ... فهو على الاقل قد حفظ للفرد وللدولة شخصيتهما المميزة : فعاشت مصر مئات السنين تزدهر حضارتها ، وهي الاولى في العالم ، وتشع على سائر الدنيا المعروفة اشعاعا اصيلا .

الاديب الحق

اننا اذا قصرنا بحثنا على صعيد الادب ـ وهذا اسلم ـ لوجدنا هنا ايضا ، ان الاديب الحق ... ليس هو بديع زمانه ، او شاهد عصره ، في نتاجه ، بل هو من يتحف الادب بشيء « جديد » ، يميزه عمن سبقه .

ومثل هذا يقوله « جول بندا » في مؤلفه الضخم المنشور بعنوان : « فرنسا البيزنطية »

ثم يقول : « لذلك كان جول رومان وموریاك ودهاميل ومارتان ده غار ، وموران ... وجميع هؤلاء من اقطاب الادب والفكر في فرنسا ـ لذلك كان هؤلاء في رأي الناقد الكبير ، دون مستوى الاديب الحق . فهم على الرغم من وفرة آثارهم ، وعلى الرغم من غنى تلك الآثار ، لا يحمل نتاجهم طابع العصر الذي عاشوا فيه ـ لا يحمل طابعا خاصا ـ فهم قد عالجوا حتى مواضيعهم الجديدة على ضوء المقاييس المعروفة ، منذ مدام لافاييت حتى بلزاك .

اما امثال مالارمه وبروست وجيد وفاليري والان وجيرودو ... فانهم ، على العكس ، خليقون بتمثيل عصرهم . وذلك لان نتاجهم يمتاز عما سبقه ، وان لم تكن مقاييسهم الفنية فيه جديدة كل الجدة . »

هذا ما يقوله اديب فرنسي معاصر وناقد كبير ، في ادباء فرنسا المعاصرين الكبار. فتبقى المسافة عنده ، بين الاديب الحق وبين سواه من حملة اللقب نفسه ، مساوية للمسافة بين الابتداع والاتباع ، بين الخلق والتقليد ، بين الحرية والعبودية ، بين الشخصية المميزة والشخصية « الامعة » !

خطر الاستيراد

ومن هنا يجيء خطر استيراد الآراء والمقاييس والمفاهيم وسائر الاشياء . انه خطر اشد من كل خطر سواه ، على الصعيدين الفكري والمادي ، ولاسيما اذا كان المستورد شخصا غير واع او بلدا غير منتج ـ لانه يفقد الفرد والمجتمع شخصيتهما المميزة ، ومقومات كيانهما ، ومبررات وجودهما

ومساق الخطر والخطورة في الموضوع يرد الى ان تلك المستوردات لم تنبع من اغوار النفوس ، ولا نبتت في تربة القوم المستوردين . فليس مفروضا فيها ان تخلقهم من جديد ، ولا مفروضا فيهم ان يتطوروا بتأثيرها وحدها ، فيبلغوا مستوى القوم الذين نبتت في تربتهم ، فكانت استجابة لحاجتهم .

والتطور ، كما يراه علماء التربية والبيولوجيا عمل بطيء ، وهو عمل طوعي تلقائي ، لا يزيده الاصطناع الا بطءا اذا لم يصبه بنكسة ترجع بالناس الى الوراء . لذلك يوصي اولئك العلماء بتشجيع الخلق الذاتي ، والانشاء الشخصي. فان لعبة يصنعها ولد بيديه ، ولو جاءت اقل اتقانا من اية لعبة اخرى ، مصنوعة في معمل ، هي افيد للناشيء، وأوقع

في نفسه ، اضعافا مضاعفة . وهي على الاخص ابعد تأثيرا في تربيته وفي بناء شخصيته المميزة .

القياس مع الفارق

ولهذا السبب عينه نجد ان محاولة بعض النقاد ، عندنا ، ان يطبقوا على نتاجنا الادبي مقاييس لم يتمخض عنها ، هي محاولة خاطئة . فالجمال الاسيوي مثلا لا يقاس بمقاييس الجمال الاوروبي ـ او بالعكس ـ لسبب بسيط ـ وهو ان القياس لا يصح مع الفارق !!

فالقصة الفرنسية مثلا ، لا تخلو من عنصر المرأة ـ والمرأة الغانية « الارتيست » التي لا يدور هناك دولاب الحياة الا حول قطبها ـ ولا يتحرك شيء الا في فلكها . فاذا قسنا ما عندنا من نتاج قصصي ، قديم وحديث ، بذلك النتاج « المؤنث » بل اذا قسنا به اكثر النتاج الانجلوسكسوني ـ لاتهمنا ادبنا العريق ، والادب الانجليزي الرفيع ، والادب الالماني القوي ، بانهم لا يستملكون اسباب الحياة .

والواقع يناقض هذا الزعم . الواقع العالمي هو : ان الادب عامة يتجه شطر وجهة اخرى ، بل شطر وجهات كثيرة . وهذه هي قصة همنغواي « الشيخ والبحر » التي نال عليها جائزة نوبل في السنة الفائتة ـ لا تتضمن اثرا للمرأة على الاطلاق . وهي لا تتضمن كذلك غير هذا العنصر الذي يجعله الناقدون « الامعون » من عناصر القصة الناجحة فلا عقدة ، ولا قمة ولا حلا للعقدة ، ولا من يحزنون .

اتجاه ادب العالمي

هذا هو اتجاه الادب العالمي عامة ، وهو اتجاه ينحو ، كما ترون ، شطر التحرر من قيود تلك المقاييس والموازين المدرسية الكلاسيكية . فلا يبقى حينئذ للادب الا مقياس واحد ، يدل على الاصالة وعلى الجودة معا ، هو مقدرته على الامتاع . انه ممتع بقدر ما يودع من عناصر الشخصية المميزة . والقصة الممتعة هي القصة الناجحة الباقية الاثر في النفوس .

الاتباع ومقاييس الادب

اما واقع ادبنا ، الادب العربي القديم ذي الطابع الخاص ، والادب الحديث الناشيء ـ فانه تأثر ويتأثر بطبيعة الحياة في المجتمع البطيء التطور ، وبتقاليد هذا المجتمع المتزمتة حينا ، والمحتشمة احيانا . ثم ان نشاط المرأة نفسها حتى في المجتمع اللبناني ـ وهو اكثر المجتمعات العربية تطورا ـ لم يبرح محدودا . فليس للاديب عندنا ان يشركها في نتاجه بقسط اوفر مما تشترك هي به في حياته ، او في حياة المجتمع .

وعلى هذا كان من خطل الراي ان نفرض المقاييس التي لم يتمخض عنها ادبنا نفسه ، على ذلك الادب . بل ان من الخطأ المنطقي ـ العلمي ان نأخذ نتاج احد الادباء فنقيسه بمقاييس غير مستمدة من ذلك النتاج بالذات . فالعبودية لآراء الغير في كل صعيد عبودية بشعة . اما في هذا الصعيد الفني ، فهي عبودية بشعة ، وقليلة الذوق ايضا .

والعبودية ـ ايا كانت صفتها ـ لم تكن سبيل الانسان الى الكمال ، ولا هي سبيل البشرية الى بناء غد افضل . فأحر بها ان لا تكون سبيل المثقف العارف الى بناء شخصيته المميزة . والشخصية المميزة هي هدف كل ثقافة ومعرفة : انها الهدف الاخير .

خذوا الخير ايضا

اننا اذا انكرنا على مستوردي آراء الغير ، وكتبه الجنسية وافلامه الخلاعية مثلا ، استيرادهم هذه البضائع الرخيصة ، واستغلالهم العقول الناشئة والقلوب البريئة ، فلسنا لنزعم ان الحياة خير محض ، او ان الفضيلة هي السائدة في كل مكان . بل لاننا نخشى ، ونحن في مستهل نهضة جديدة ، ان نكتفي باقتباس الشر الذي يعانيه الغرب ، دون الخير الذي يعج الى جانبه هناك . فيكون شأننا شأن ذلك الطالب العراقي الفر ، الذي راى ما يطفو على سطح المجتمع الامريكي من فساد .. فحسبه كل ما لدى الغرب من مقومات البقاء .

الجريمة الكبرى

ان الخير والشر يتجاوران ويتقابلان في كل مكان وزمان، والجريمة ليست في اخذ الشر دون الخير، او اقتباس الفساد دون الصلاح ، بقدر ما هي في اخذ الشر على انه اخير ، او على انه هو كل شيء . وهذا ما يفعله اولئك المستوردون ، مستوردو الآراء الهدامة والكتب الجنسية والصور الخلاعية والافلام المفسدة ... فيحملون الى الفرد والى الجماعة افتك الجراثيم التي تقوض شخصيتهما وتهدم كيانهما .

وبعبارة اخرى نحن نجد لدى المجتمعات التي سبقتنا في تطورها ، الى جانب المراقص ودور اللهو والخلاعة ومعارض الازياء ... مثلا ، نجد لديها معاهد الموسيقى والرسم والنحت .. وسائر المؤسسات الانسانية الاخرى . فتتوفر بذلك للفرد جميع الاسباب الكفيلة بانماء شخصيته وشخصية المجتمع . اذ تتكافأ لديها الفرص للاختيار ، في كنف الحرية والشعور بالمسؤولية . اما اذا اقمنا الملاهي ونوادي الليل ومعارض الازياء وحدها ، دون المؤسسات الانسانية ، فاننا نضيع على الفرد فرصة الاختيار ، ونسقط حقه الطبيعي في الحرية ، ونقترف بالتالي جريمة مزدوجة، بحق نفوسنا وحق الحضارة التي نقتبسها .

المحاكاة وازياء النساء

نحن نعلم ان المحاكاة هي من اعراض الطفولة . فاذا استمرت بعد ذلك العهد ، كانت نذيرا ... بعبودية نفسية خطيرة . ونحن نحب مخلصين ان يتفادى رجال الادب والفن ورجال المعرفة على الاطلاق ، الوقوع في اسر تلك العبودية . كما نحب مخلصين ، ان تتفادى المرأة « الام » كذلك عبودية مماثلة ، وهي العبودية للازياء ولادوات التبرج . فليس من شيء ادل من تلك العبودية على هزال الشخصية .

اسمحوا لي ان اقرر فورا انني احترم المرأة احتراما « مثلثا » ان صح التعبير ، فانا زوج واب واخ لعدد من الفتيات والنساء ، ابادلهن جميعا ، الاحترام والمودة . فما اقوله مجرد اذن عن الرغبة في التعريض او شهوة الاساءة .

ولا ننس ان المرأة هي احد عمادي المجتمع : انها نصف

الامة في الحساب ، وهي نصفها الافضل ، في الشعر !

وانني لاتصور دائما مبتكـــري الازياء وعارضيهـا ومروجيها يضحكون من المرأة ، من ضعفها حيال ازيائهم المغرية ــ كما يضحكون منا جميعا . فهم اذ يستعبدون نصفنا الافضل ، ويستفرغون جيوبنا ... ثمنا لتلـك العبودية ، انما يستعبدوننا جميعا مرتين ! شأنهم فـي ذلك شأن صانعي لعب الاطفال ، فهي لا تستقر في ايديهم غير دقائق او ساعات ، ثم تتحطم او يفسد حالها . بل ان صانعي الازياء ومروجيها .. شر من صانعي لعب الاطفال فهؤلاء يضحكون على اطفالنا.. اما مبتكرو الازياء فيضحكون على عقولنا .. وهم يزعمون لنا ولنسائنا انهم يعلمونهـم الذوق ويخلقون فيهن الجمال !

الذوق والجمال حصيلة المعرفة

وانتم تعلمون ان الذوق والجمال ... لا يخلقان تكلفا ولا تصنعا ــ انها حصيلة المعرفة ، وعنوان على الشخصية المميزة .

ولنضرب مثلا بسيطا .. البسة الفرو التي يستلزمها البرد الشديد في بعض البلدان ــ هل بامكاننا القول ، مـع صانعي الازياء ، انها تزيد نساء بلادنا اناقة ؟ ونحن كمـا ترون في جو معتدل ، حتى في ابان الشتاء ؟

ثم اذا كانت البسة الفرو تبدو جميلة على اجسـاد النساء الهيفاء المرسومات في « الكاتلوج » ، فهل من اللازم اللازم ان تكون جميلة كذلك على اجساد قصيرة ممتلئة ؟

ثم الاسراف في ادوات التبـرج ، والمجوهـرات والعطور ... حتى لتبدو الواحدة منهن ، تحت قناع مـن المساحيق ووابل من الزينة المستعارة اقـرب الى ذات « الانسانة » المبتذلة التي رسمها الكاتلوج منها الى ذات « المرأة » المتميزة بالحشمة ، والجمال الطبيعي الاخاذ .

ارجو تكرار من حضرات السيدات ان يعذرنني ... فانني لا اقصد الى انتقادهن ، ولا الى استثارة أزواجهن ، معاذ الله ، ولكن هي همسة مخلصة اردت ان تعصف باذني المرأة والفتاة في بلادي ، فلا تكونا بعد اليوم ضحية للازياء التي لا تناسبهما ، ولا ضحية للزينة التي لا تلائمهمـا . ففي الاسراف في ذلك هزال لشخصية المرأة التي نحبهـا ونحترمها أما وزوجة . وفي الاعتدال انماء لشخصيتهـا بطبيعة الحال .

وفي كل الاحوال ، ارجو مخلصا ، أن لا تكون بنتي ــ اي جيل الغد من نساء امتي ــ عبدة لتاجر الازيـاء ولا مستعبدة لادوات التبرج . ففي تحرر المرأة من هـذه العبودية تحرير لشخصيتها ، بل تنمية للشخصية المميزة عندها يزيدها جمالا ، وفتنة واغراء .

وهذه هي المرأة الانكليزية : بل هذه هي امرأة الريف عندنا وفي كل مكان ــ مثال يحتذى : فلا مساحيق ولا مجوهرات ، ولا عطور ... الا القدر الذي لا غنى عنه ، وهو قليل قليل .

واذكر لكم انني اعجبت ، في مطلع الشباب ، بفتـاة كانت تزور المرحومة سلمى صائغ ، وكنت حاضرا فـي منزلها . فلما انصرفت التفت بعض الحضور الى بعض ، واخذوا يغتابون تلك الفتاة الطبيعية ، حسدا او عمـلا بالتقاليد المرعية !

فتناول فريق اثواب الفتاة وزينتها البسيطة وحديثها الطبيعي بالنقد اللاذع . وتناول فريق اخر طولها وعرضها بالسخرية والتهكم . فالتفت الى ربة البيت وقلت بدوري : انني على العكس ارى ... لها طابعا خاصا ، طابعا مميزا ، يزيدها جمالا ! فأجابت الاديبة الكبيرة ، يرحمهـا الله ، وكأنني نفست بكلامي عن صدرها : « عفاك ! وذلك هـو جمال الثقافة ! »

والخلاصة

لم يبق لي ، بعد ان اوضحت ، على ما اعتقد ، مـا اردت ان اقوله ، في هذه الامسية ، مبتعدا ما امكن عـن جو الكتب والمحاضرات ، لم يبق لي الا ان الخص حديثي :

ان الثروة والعلم والقوة ... جميعها وسائل الى هدف اخير ، هو بناء الشخصية المميزة لدى الفرد ولـدى الجماعة . فاذا احسن استعمال تلك الوسائل ، كان العلم معرفة تتفتح امامها مغاليق الاسرار . وكانت الثروة سبيلا الى تحقيق عظيم الاعمال . وكانت القوة مرقاة الى بلـوغ المجد الباقي على مدى الايام .

ولنا في التاريخ عبرة بعد عبرة ــ بل ان لنا كـل العبرة في الامم الحية المعاصرة .

وما يشكونه الافراد الواعون ، والشعب الناهض ، في بعض البلدان من فوضى الشارع ، الى عقم المعرفـة وسطحية الادب ، الى بدائية الفن وامعية المفكـرين ... جميع هذه العلل وسواها ، اعراض لحالة مرضية واحدة ، هي انعدام الشخصية المميزة .

ومتى حرص المجتمع ، في المنزل والمدرسة والجامعة وكذلك في الشارع والنادي ، والصحيفة والسينما ... على بناء شخصية الافراد ــ ذكورا كانوا او اناثا ــ كـان للامة آباء وامهات يستشعرون خطر رسالتهم ، فيؤدونها على الوجه الافضل . وكان لها فتيان يعرفون انهم رجال الغد ، ونساؤه ــ فيستعدون للاضطلاع باعباء رسالتهم على الوجه الصحيح . وكان لهذا كذلك ، في الادب ، طابع خاص يتسم به نتاج الادباء ، وفي العلم مساهمة مرموقة تصير بها مواطن اشعاع . وفي الفن مشاركة تعصمها من ان تكون عالة . وكذلك كان للامة شأن في الاجتماع ، والسياسة ، ومصطرع العقائد الفلسفية ، يقيها داء الارتجال والعيش الكفاف ، ويحول بين ابنائها وبين اشقى العبوديات : الامعية، او العبودية لآراء الغير .

اننا امة عريقة في الحضارة ، وفي الاضطلاع باعباء القيادة ، في العالم ــ ولئن تخلينا ، غير مختارين ، عـن مركز القيادة ، منذ زمن بعيد ، فلا اقل من ان نتابـع العمل على استبقاء خصائصنا العريقة . وان نعمل كذلك ، ونحن نقتبس وجوه الحضارة الحديثة ، على الاستزادة من مقومات الشخصية المميزة فينا ــ لدى الفرد ولـدى الجماعة . فنحافظ بذلك على مبررات وجودنا ، ومسوغات بقائنا ، ونسهم ، بقدر امكاناتنا ، في اتمام البنـاء ... بناء هذه الحضارة الذي وضعنا اسسه ، مع الواضعين ، ويتحتم علينا ان نعمل على بلوغه تمامه مع العاملين .

رشـاد دارغـوث



جولة الأديب في شهر

خيبة امل في دائرة معارف البستاني

●

صدر في غرة كانون الاول سنة ١٩٥٦ المجلد الاول من دائرة المعارف باشراف الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، رئيس الجامعة اللبنانية ، ويشتمل هذا المجلد على ٤٩٤ صفحة من الحجم الكبير تحتوي على ٢١٨١ مبحثا و ٣٩٦ رسما وصورة وخارطة ، اشترك في اعدادها ٥٨ كاتبا اختصاصيا .

لا شك في ان المشروع جريء ، والجهدجبار، والاقدام عليه جدير بالتقدير . غير ان هنالك بعض المآخذ استميح لنفسي ان ابينها لا للتهديم بل للبناء ، راجيا ان تؤخذ ملاحظاتي برحابة صدر حتى يستفيد منها المشروع في المجلدات التالية . واني آت على ذكرها باختصار تحت عشرة ابواب .

١) ــ مواد لا دخل لها في اية دائرة معارف

اذا اتبعنا ما هو متعارف ومقبول لدى اهل الاختصاص وهو ان دائرة المعارف مؤلف تبحث فيه مواضيع المعارف المختلفة ، كلا على حدة ، في مقالات مفردة ، تطول وتقصر تبعا حسب خطورة الموضوع ، وترتب عادة على حروف الهجاء ، وجدنا ان ادراج الامثال المفردة يعتبر خروجا على هذا العرف ، في حين اننا نعترف بان موضوع الامثال ، مثلا ، يدرج في الدائرة على انها ظاهرة لغوية واجتماعية تستحق الدرس نظرا لما تلقيه على حياة الامم ولغاتها ، وخاصة في اطوارها البدائية ، من اضواء تساعد المؤرخين والباحثين الاجتماعيين . فاقحام عدد من هذه الامثال بعد خروجا على التقاليد المتبعة في مثل هذه الموسوعات ، ولا يصح ان تحسب في عداد المباحث . ومن هذه المقحمات ، على سبيل المثال : « اخرها اقلها شربا » (ص ٩٦) ، « آكل شارب ، من الهم هارب » (ص٢٩٢) ، « آكل من الحوت » ، « آكل من الرحى » ، « آكل من ردامة » « آكل من السوس » ، وسبعة امثال اخرى تبدأ بكلمة « آكل » جميعها على صفحة ٢٩٣ . ومنها ايضا : « آمن من ظبي الارض » ، « آمن من حمام مكة » ، « آمن من غزلان مكة » (ص ٣٦٠) .

هذه الامثال تطلب في مجامع الامثال لا في دوائر المعارف ، وذكرها في الدائرة خطأ لا مبرر له .

ومن هذه المقحمات اسماء كتب ومؤلفات مثل « الاثار الباقية عن القرون الخالية » و « آثار البلاد واخبار العباد » (ص ٥٦) ، وهي مما يطلب في فهارس المؤلفات والمطبوعات ولا يصح ان تذكر في الدائرة الا عند الترجمة لمؤلفيها اذا كانوا ممن هم جديرون بالذكر (فيذكر الاول تحت البيروني والثاني تحت القزويني) ، او تحت الموضوع الذي يعالجه هذا الكتاب او ذلك .

ولا مجال لتعداد مثل هذه المفردات من اسماء احياء وقرى ومدن خاملة الذكر واماكن جغرافية لا شأن لها وتعريفات فقهية وتحديدات فلسفية مما لا دخل له في الدائرة بحسب اجماع العلماء . فالدائرة ليست معجما جغرافيا ولا هي كتاب يعرف بالسير تعريفا وحسب (ولا تذكر سيرة فيها الا اذا كانت على جانب عظيم من الشان) . ولا كتاب تعريفات ولا فهرس مؤلفات ومطبوعات ولا مجمع امثال واقوال وجوامع كلم ، على الرغم من انها تشمل اشياء من هذه كلها . فالدائرة تعنى بالمواضيع العامة عناية مجملة تطول او تقصر بحسب اتساع الدائرة ، غير انها لا تفني عن طلب التفاصيل في المطولات وكتب الاختصاص ولو لم تقحم امثال هذه « المباحث » التي اشرت اليها في هذا المجلد لصغر حجمه بنحو من ثلاثين في المائة من مجموع صفحاته على الاقل ، ولما خرجت هذه الدائرة عن نطاق دائرة المعارف الى نطاق اوسع محفوف بالمزالق مجهول المعالم والحدود ، خلو من اي تصميم .

٢) ــ مواد لا ضرورة لها

في هذا المجلد من الدائرة التي نحن بصددها مباحث او بالاحرى مواد حسبت مباحث مع انه لا ضرورة لذكرها ابدا ، مثل « آخ واخ واخ كلمة توجع وتاوه وتكره » (ص ٩٤) و « آديلغ ، مقاطعة جبلية شرقي ورتنبرغ » (ص ١١٨) ، و « آرهن ، في معجم ياقوت انها من قرى طخارستان من اعمال بلخ » (ص ١٨٣) ، و « آزاب ، موضع ذكر في شعر لسهيل بن علي ، اشار اليه ياقوت في معجمه » (ص ١٩٧) ، وغيرها كثير .

٣) مواد غير وافية

وهنالك مواد ذكرت بايجاز شديد جعلها عديمة الفائدة تقريبا ان لم اقل تماما . من هذه ، على سبيل المثال ، اخر كابي ، حي من احياء استانبول يمتد من البوسفور غربا باتجاه بحر مرمره » (ص ٩٥) ، و « آدلر كروتس (شارل جان) ، قائد اسوجي (١٧٥٧ ــ ١٨١٥) كان احد كبار قواد ثورة ١٨٠٩ » . (ص ١٠٤) ، ومثلها كثير . فان كانت هذه المباحث مهمة اقتضى الامر ان تعالج معالجة ادق وافضل ، وان كانت غير مهمة كان من الواجب ان تهمل وتبقى خارج الدائرة .

٤) مواد ممعنة في الاسهاب دون مسوغ

وهنالك مواد جاءت معالجتها مسهبة الى حد الامعان مما لا يتناسب مع قيمتها او مع قيمة غيرها من المواد الاخرى . خذ مثلا مبحث « آصاف » (ص ٢٥٨ــ٢٥٩) ، وقد خصصت له ستة اعمدة من البحث وخصص العدد نفسه لمبحث « آق قويونلي » (ص ٢٨٣ ــ ٢٨٥). فهل يتناسب هذا مع مكانة كل منهما؟ ويتبع مبحث « آصاف » لائحة من المصادر والمراجع عددها سبعة في حين يظهر مبحث « آق قويونلي » بدون اي مصدر او مرجع . فما هو السبب يا ترى ؟ وكذلك يفسح لمبحث « آلتون كوبري » (ص ٣٢٨ ــ ٣٣٠) ستة اعمدة مذيلة بعشرة مراجع عربية وتسعة عشر افرنجية في حين يفسح لمبحث « آ لسكا » (ص ٣٣١ ــ ٣٣٤) تسعة اعمدة بدون اي مصدر او مرجع . وساعود الى قضية المصادر والمراجع فيما بعد . .

٥) ــ مواد لا تلتزم الدقة العلمية

وهنالك مواد لا تلتزم الدقة العلمية كما يظهر في مبحث « آبل » (ص ٣٨) ، احد ملوك الدانمرك ، وتعلمنا الدائرة انه « هلك في احدى الثورات » ، ومبحث « آبل (بينو)» وتعرفه الدائرة بانه « لغوي واديب مجري (١٨٥٨ــ١٨٨٩) » ، ومبحث « آبل الزيت » (ص ٤١) ، وتعريفه « قرية في الاردن ذكرها ياقوت في معجمه وقال انها المرادة في قول النجاشي » :

وصدت بنو ود صدودا عن القنا
الى آبل في ذلة وهوان

واكتفي بذكر مبحث آخر من هذا النوع هو « آلاكوي » (ص ٣٠٧) ، « اسم لمحلة في ولاية وان ... على مسافة ٣ ساعات من مدينة وان » ثلاث ساعات مشيا على الاقدام ام في السيارة ، ام في الطائرة ، ام على الابل ام على البغال ؟ فالكلام على كل مادة من هذه المواد عام يفتقر الى الدقة العلمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدخل في هذا الباب مواد لا تخضع لاوليات الاسلوب العلمي في الدقة والتناسق. فلائحة المساهمين في اعداد المباحث ، مثلا ، تشتمل على اسم المطران ميخائيل ضومط ، ثم يظهر الاسم نفسه بصورة ضوميط على ص ٣١ ، وضومط على ص ٦٩ ، وضوميط على ص ٣١١ ، وهناك لفظة سوريا في الخارطة قبالة ص ٢١٦ وسورية في الخارطة قبالة ص ٢٢٤ ، ولعل هذه جميعا من اخطاء الطبع .

وهنالك اخطاء في الترجمة مثل ترجمة اشهر آثارمانيوارنولدالشعرية The Strayed Reveller بالعيـاش التائـه (ص ١٨١) بـدلا مـن الماجن او العربيد التائه . وهنالك اخطاء في ضبط نطق اللفظ الاجنبي مثل Knox وهـو يلفظ نوكس لا كنوكس كما جاء في الدائرة (ص ٤٧٢) .

٦) مواد تحتوي على اخطاء

وهنالك مواد تحتوي على اخطاء لا يجـوز وقوعها في دائرة معارف . خذ مثلا مبحـث « آدم بيد » (ص ١١٥) . تعرف الدائرة هذا المبحث بما يلي :

« قصة شهيرة للروائـي الانكليزي جورج اليوت ، نشرها سنة ١٨٥٩ ، وصور فيهـا انعادات الريفية الانكليزية ، في اوائل القرن التاسع عشر ، تصويرا صادقا ، استند فيه الى ذكرياته الخاصة » . والمعروف ان جورج اليوت اسم مستعار لامرأة (مثل جور جستاند) اسمها الحقيقي ماري آن افانز ، وبعد زواجها اصبح اسمها مسز ج. و. كروس . فهي اذا روائية لا روائي على الرغم من اسمها المستعار وعلى رغم كاتب التعريف بآدم بيد في الدائرة.

ومن المباحث التي تشتمل على اخطاء مبحث « آداب السمرقندي » (ص ١٠١) . فمؤلف هذا الكتاب في آداب البحث هو شمس الدين محمد بن اشرف السمرقندي المتوفى حوالي سنة ١٢٠٠ ميلادية ، لا حوالي سنة ١٢٩١ ميلادية على حسب ما جاء في الدائرة . (راجـع بروكلمان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ذيل ١ ص ٤٦٨ حيث اصلح بروكلمان خطاه الـذي ورد في الجزء الاول) . وكـذلك مبحث « الاداب السلطانية » أي الفخري في الاداب السلطانية . فالترجمة الفرنسية التي اعدها « امار » لهذا الكتاب صدرت فـي باريس سنة ١٩١٦ لا سنة ١٩١٠ حسب قول الدائرة ، (راجع بروكلمان ، ذيل ٢ ص ٢٠١) .

ومن ابرز الاخطاء مـا ورد في مبـحث « الاملي » (ص ٣٥٩) . يترجم هذا المبحث لبهاء الدين محمد ابن الحسين بن عبد الصمد الاملي (كما ضبطته الدائرة) الرياضي الشهير الذي ازدهر في النصف الثاني من القـرن السادس عشر وتوفي في الربع الاول مـن القرن السابع عشر . ومن اشهر آثار هذا العالم « خلاصة الحساب » . والمعروف لـدي ان المؤلف عرف بالعاملي لا بالاملي . يشيرالمبحث الى حاجي خليفة فرجعت اليه ، وعند التحقيق وجدت في طبعة ليبزك ، تحرير فلوجل ، ج ٣ (١٨٤٢) ص ١٦٨ ، ما يلي : « خلاصة في الحساب لبهاء الدين محمد بن حسين [وهو من علماء الدولة الصفوية في زمـن شاه طهماسب ابن شاه اسماعيل الاردبيلي] . انتهى ما جاء في حاجي خليفة ، والكلمات التي بين القوسين هي من اضافات المحرر فلوجل . ثم رجعت الى الموسوعة الاسلامية ، مـادة « العاملي » ، فوجدت الاسم مضبوطا (حسب النظام المتبع بين المستشرقين في نقل الاعلام العربية) بالعين ، أي العاملي دون أي شك او سؤال . ثم عدت الى بروكلمان ، وهو شيخ المحققين في هذا الميدان ، فوجدت انه ضبط الاسم كما يلي : بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي البهائي ولد في بعلبك في ١٧ ذي الحجة ، سنـة ٩٥٣ هـ/١٥٤٧ م وتوفي في اصفهان في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ هـ/١٦٢١ م. والجدير بالذكر ان الدائرة القديمة : ج ١١ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤ ، تضبط الاسم بالعاملي ايضا .

ورغبة في الوثوق عدت الى اهم المصادر لترجمة هذا الرياضي الاديب واقدمها ، الى « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » للمحبي (١٠٦١ هـ/١٦٥١ م ـ ١١١١ هـ/ ١٦٩٩ م) ، وهو يكاد يكون معاصرا للعاملي ، وشهادته لذلك اعدل شهادة . يخصص المحبي لصاحب الترجمة خمس عشرة صفحة (ج ٣ ص ٤٤٠ ـ ٤٥٥) يثبت فيها اسمه كاملا ويعين زمان ولادته ووفاته ذاكرا اليوم والشهر والسنة ، ويثبت تفاصيل اخرى لا تترك ادني ريب في ان المحبي ترجم لرجل معروف لا يمكن ان يحيط باسمه الشك . واخيرا رجعت الى « خلاصة الحساب » بالذات ، اهم مؤلفـات العاملي . يبدأ هذا الكتاب كما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عبد ، ولا ينتهي تضاعف قسمه الى امد... وبعد فان الفقير الى الله الغني ، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي ، انطقه الله بالصواب ... » والطبعة التي نحن في صددها طبعة حجرية تحتفظ بصورة المخطوطات من شروح وحواش بعضها في الهامش وبعضها في السطور . وترد حاشية فوق اسم المؤلف مباشرة تقول : « منسوب الى العامل من نواحي الشام » . اسم الرجل ، اذا ، العاملي على الرغم مما ذهب اليه كاتب المبحث ، والخطأ واضح لا يقبل الجدل . وبعد أفليس غريبا ان تنفي الموسوعة اللبنانية عامليا عن لبنان وتنسبه الى بلد من اعمال طبرستان ؟

٧) عدم وجود التناسب في معالجة المباحث

تطول معالجة دائرة المعارف لاي موضوع او تقصر بالنسبة الى اتساع الدائرة او ضيقها والى ما للموضوع نفسه من قيمة . وتقـع على رئيس التحرير مهمة تعيين عدد الاعمـدة لا بل الكلمات التي يجب ان تخصص لهـذا المبحث او ذاك . والمتصفح المجلد الاول مـن الدائرة يلاحظ كثرة المباحث القصيرة وقلـة المباحث المطولة وعدم تناسب أي مع خطـورة المبحث المعالج . فتخصص الدائرة ، مثلا ، اربعة وعشرين عمودا للهمزة في حين تخصص اربع اعمدة فقط للغة الارامية . وتخصص الدائرة للاربين اربعة اعمدة في حين انهـا تخصص لاريوس خمسة . ويظهر مبحث الاريين بدون لائحة مصادر ومراجع ، في حين يتبع آريوس ثمانية مصادر ومراجع ثلاثة منهـا عربية والخمسة الباقية افرنجية .

٨) مدى النقل والترجمة

تعتمد الدائرة مصدرين رئيسيين همـا الدائرة القديمة ومعجم لاروس ، واكثر الخرائط منقولة عن موسوعات اخرى . والمباحث التي اعدت خصيصا للدائرة تكاد لا تتجاوز العشرين في المائة من المجموع . فالدائرة الى حد بعيد نتاج ترجمة لا نتاج ابتكار ، ولا ضير في ذلك في حد ذاته ، لا سيما واننا على الرغم مـن حاجتنا الماسة الى دائرة معارف عربية ، وعلى الرغم من الخطوات الواسعة التي خطوناها في طريق العلم والحضارة ، ما زالت تعوزنا القدرة على القيام بمثل هذا المشروع الضخم ، دون الاعتماد على الترجمة .

٩) المصادر والمراجع

من اهم الخدمات التي يفترض في دائـرة المعارف ان تؤديها للقارىء بوجه عام وللباحث بوجه خاص لائحة المصادر والمراجع التي تذيل بها الابحاث في العادة . وتكاد هذه الدائـرة ان تكون خلوا من المصادر والمراجع التي لا بد منها لطالب العلم . وحيث ظهرت هذه المصادر والمراجع كانت على وجه الاجمال غير وافية . فهي احيانا تتجاوز عن ذكر اهم المصـادر والمراجع وتكتفي بذكر ما تيسر . ومن الامثلة على هذا مبحث « الالات » (ص ٢٩٦ ـ ٣٠٥) ومبحث « آل البيت » (ص ٣١٥ ـ ٣٢٣) . وبين مراجع هذا المقال كتاب عنوانه « عقيدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشيعة » مؤلفه على ما جاء في الدائرة دوايت والصواب دوايت دونالدسون . ولا يحسب الكتاب حجة في الموضوع .

١٠) قيمة المشاركة العلمية

لا يطلب ، في العادة ، الى اي فرد ان يعد مقالا لدائرة معارف ما لم يستوف شروطا عمية واضحة . فيشترط ان يكون من اهل الاختصاص البارزين في الموضوع ، وممن لهم فيه ابحاث منشورة في المجلات العلمية ومؤلفات معتمدة . فاذا اعتمدنا هذا القياس وحاولنا تطبيقه على جمهرة المشاركين في هذه الدائرة وجدنا ان النتيجة لا تدعو الى الاطمئنان . فعلى الرغم من ان الاكثرية تحمل شهادات جامعية عالية فان حامل الشهادة العالية ليس بالضرورة من اهل الاختصاص .

جميع هذه المآخذ التي ذكرت ، وما هي الا قليل من كثير ، تزعزع الثقة في مقدرة هذه الدائرة على سد حاجة العرب المعاصرين الملحة الى موسوعة عصرية من نوع الموسوعات العالمية الشهيرة . ولا بد لي من ان اقرر انه ليس في وسعنا الان ان نقوم بمثل هذا العبء انشاء اصيلا ، لذلك كان من الافضل ان ننقل الى العربية احدى الموسوعات العالمية المتوسطة الحجم ونضيف اليها ما ينقصها من مواد لا يصح لموسوعة عربية ان تصدر خلوا منها ، وهذا بالذات ما ارتآه الاستاذ فؤاد صروف في مقدمته « للموسوعة العربية » المختصرة التي اصدرها البرت ريحاني وفريق من الاساتذة في بيروت سنة ١٩٥٥ .

ويلوح ان اهم ما يؤخذ على هذه الدائرة التي نحن في صدد دراستها هو انه لم يسبق وضعها تصميم شامل دقيق يكون اساسا لهذا الجزء وللاجزاء التالية . ومن الواضح انه لا بد قبل اخراج اية دائرة معارف الى حيز الوجود ان يوضع مثل هذا التصميم تحت اشراف لجنة من ذوي الاختصاص والاطلاع ، اذ بدون ذلك يتعذر اخراج دائرة مقبولة . ويؤسفني ان اقرر ان حصيلة هذا العمل هي ابعد ما تكون عما كنا ننتظره ونتشوق اليه ، واقترح ان يوقف اصدار هذه الدائرة حتى يستوفي العمل في شرائطه الاساسية فيعاد النظر في التصميم من اساسه وتشكل لجنة لدراسة هذا الموضوع على ضوء الخبرة المستمدة من طبع المجلد الاول .

[العلوم] **نبيه امين فارس**

رئيس هيئة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ببيروت

ليست العلة بالشعر

●

يحسب بعض الناس ان قضية الشعر المطلق حدث جديد في ايامنا ويفوتهم انها قديمة صدرت فيها مجموعات من الشعر اختلف في تقدير قيمتها النقاد ، وحين اصدر احداها صديقي الاستاذ البير اديب صاحب مجلة « الاديب » البيروتية كتبت يومئذ ما احسست به تلقاء هذا الضرب من التعبير ، ولم يكن الاستاذ البير اديب من هادمي الشعر العربي ليقيم بديلا منه شعره المنثور ، لانه قد حاد عن الاوزان الى انطلاق الكلام .

اما اليوم فقد قام شعراء ونظامون يحاولون تحطيم الشعر العربي المكين ليقيموا ـ عند انفسهم ـ نوعا من الكلام الموزون في مفرداته وجمله ، وقد يخضع الى اشطار من بحر واحد او من بحور مختلفة في القريض .

وهي محاولات لا يستطيع الادب ان يقف دونها لانها من حق التطور . وربما اجيدت فكانت صورة من صور هذا الادب . ان الشعر العربي الذي يستجيب للفن ويضفي الابداع عليه رونقه وسحره ، هو الشعر الاصيل الموروث في شكله واسلوبه ، والذي جمع تراث الشعور والفكر العربي منذ امرىء القيس الى ما بعد شوقي . ولم يكن عند مجيديه ليعجز عن اداء لاحدث الصور واروعها ، فليست العلة بالشعر وانما هي بالشاعر ، فكن شاعرا حقا وقل في اي اسلوب شئت .

دمشق [الدنيا] **زكي المحاسني**

الكتاب في البيت العربي

●

يجتمع فريق من الادباء والمفكرين في مقهى عصري من مقاهي بيروت كل مساء ، ويتبادلون الرأي في شتى المواضيع .. والطريف في هذا الفريق انه لا يسمح للسياسة، مهما بلغت من الخطورة ، ان تسيطر على النواحي الهامة الاخرى من الحياة الفكرية .

واذكر على سبيل المثل اننا كنا نتحدث في احد اجتماعاتنا الاخيرة عن مشكلة الكتاب والمطالعة في البلاد العربية . والواقع اننا لم نكتشف نظريات جديدة في بحثنا هذا الموضوع ، وانما وضعنا له حدودا واوضحنا معالمه بشكل مبسط مفيد . كان موضوع « الرقي » هو نقطة الانطلاق في البحث ، لان الرقي هو مظهر ينفرد به الانسان ، وهو المقياس الاول في تعيين المسافة التي تفصل بين فطرية الانسان وكماله . وطرحنا على بساط البحث سؤالا مفاده : هل الرقي هو وليد الازدهار المادي أم هو ثمرة المعرفة ؟ وبعد جدل اعترفنا بالتأثير المتبادل بين العاملين، مع الاحتفاظ للمعرفة بالمقام الاول .

فالمعرفة هي الحافز الفعال للاختراع ، والاكتشاف ، وهي الدافع الاكبر للنهضات الصناعية ، والزراعية ، والفنية . المعرفة هي قوة جبارة تسخر كل شيء في سبيل سعادة الانسان وخيره . المعرفة هي الباعث القوي للتسامي والحب والفضيلة ، كما ان النار هي الباعث للضياء والنور . ولكن كيف يتاح للمرء الحصول على اسباب المعرفة ؟

قلنا بهذا الصدد ان للمعرفة تيارا كبيرا ، ولهذا التيار روافد متعددة ، فالتيار الكبير هو المطالعة المستمرة ، والروافد هي ما يكسبه المرء من معرفة عن طريق السمع والبصر في شتى الاشكال والصور . ولما استعرضنا حالة هذا التيار ، تيار المطالعة في المحيط العربي ، اتضح لنا انه لا يسير في مجراه الطبيعي ، ويعود السبب في ذلك لافتقارنا الى سياسة توجيهية في تحبيب المطالعة الى الصغار ، والاحداث ، والشباب . وأهم أمر في هذا المضمار هي المكتبة البيتية التي تتضمن المختار من كتب مفيدة تزيد في معارف اعضاء الاسرة، وتوسع مداركها ، وتساعدها على التمتع باكبر قسط من الرخاء المادي . فما الغاية من ايجاد المكاتب في البيت العربي ؟ ..

الغاية منها اولا : ان تنمي في النشء ملكة الخيال ، ثانيا : ان تنمي فيهم ملكة التعبير ، ثالثا : ان تقوم خلقهم وتهذب اذهانهم ، رابعا: ان تحبب المطالعة الى نفوسهم ، خامسا : ان تجلب لهم الفائدة والمتعة ، سادسا : ان تضاعف فيهم قوة الاستيعاب والاستفادة مما يطالعونه .

فالطفل مثلا يتدرج في مكتبته من السهل الى الصعب ، ويزيد ولعه بالمطالعة ، ويصبح قادرا على فهم الاساليب الادبية عن ابسط الطرق وايسرها ، ثم انه اذا صار يقرأ جيدا فانه يفهم جيدا ما يقرأه ويتعمق فيه . والقراءة البيتية تعين الطفل ، والحدث ، والفتى على تثقيف لفظه ، كما تعينه على الكتابة الصحيحة ، وكلما ضاعف مطالعاته قويت فيه ملكة القراءة المدركة ، وهي مفتاح

القراءة التحليلية . وكثرة المطالعة البيتية تثير فيه الاهتمام في الموضوع الذي يطالعه ، فيشرع في التساؤل والاستفهام عما تعذر عليه فهمه ، وتفتح امامه عوالم جديدة لا يراها في مدرسته فيعتاد على التفكير فيما يطالعه ، واجهاد العقل لفهمه والتحسس به .

وللمطالعة البيتية اثرها الكبير في حياة الطفل والحدث والفتى المدرسية . والامر المؤسف له حقا ان المربين قلما يتساءلون ماذا يطالع تلاميذهم في بيوتهم ، وكيف يحصلون على الكتب التي هم بحاجة اليها ، وكيف يقضي الطلاب اوقات فراغهم ، فهذه المعلومات عن كل طالب وطالبة تسهل على المربي فهم تلميذه وتمكنه من تحديد ما يفرضه عليه من واجبات .

والواقع يتطلب من المربي ان يستفسر من تلميذه عن الكتب التي يميل الى مطالعتها في بيته ، اهي تاليف في الفنون الادبية مثل القصص والروايات والحكايات والقصائد ام هي كتب علمية وفنية ككتب الفلك والطبيعيات والراديو والطيران ، ام هي كتب تصف الحقائق والخيالات ، ام هي كتب تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل ، ام هي دواوين شعرية وتاليف نثرية ؟ . ثم يجدر بالمربي ان يعرف من تلميذه ما هي الكتب التي طالعها .. وما هي الكتب التي يؤثرها على غيرها .. وما هي الكتب التي يريد مطالعتها في الوقت الحاضر ؟.. وكم هو عدد الساعات التي يستغلها الطالب في المطالعة ، او الاستماع التي الاذاعات ، او الذهاب الى دور السينما .. باستثناء ما هو مطلوب منه لاعداد دروسه في البيت ؟ والقصد من هذا التحقيق هو تنظيم ساعات الناشيء خارج المدرسة ، وتحديد الاوقات اللازمة للقيام بواجباته المدرسية ، والترفيه عن نفسه .. وتكملة ما ينقصه من معرفة عن طريق المطالعة في مكتبة البيت .

واتفق راينا على ان هذا التحقيق لن يتم على الوجه الاكمل ، الا اذا تضافرت جهود المسؤولين عن تربية التلميذ في المدرسة والبيت بالاضافة الى تعاونهم الوثيق مع اصحاب المكاتب الراقية للحصول على المعلومات الدقيقة عن احدث الكتب المفيدة . وخلصنا في ختام المناقشة الى القول بان المحيط العربي بحاجة ماسة الى مكاتب عصرية تحترم الكتاب وتحببه الى نفوس القراء . وان بيوتنا لا بد وان تتزود بمكتبات ثابتة ننهل منها كل ما نحتاج اليه من علم ومعرفة بالنسبة لمختلف الاعمار . وان علينا مناقشة كل كتاب يدخل الى بيوتنا كما نناقش الافلام السينمائية . واخيرا علينا ان نخصص لمكتبة البيت ميزانية كما نخصص ميزانية لمشاهدة الافلام وابتياع اوراق اليانصيب .

وقبل ان تنفض الحلقة قال احد الاخوان وهو يقلب صحيفة بين يديه : هذا خبر له علاقة بالموضوع الذي بحثناه .. لقد انشئت مؤسسة جديدة من مهامها العمل على ترويج الكتاب العربي المفيد ، وتيسير ادخاله الى كل منزل ومعهد في كل قطر من اقطارنا العربية بالتعاون مع ارقى المكتبات .. اما تلك المؤسسة فهي « مؤسسة المطبوعات الحديثة » التي ستباشر نشاطها منذ مستهل العام الجديد . وقررنا بالاجماع ، بعد الاستماع الى هذا الخبر ، ان تكون جلستنا الثانية في مكتب هذه المؤسسة .

نجاتي صدقي

انماء حقل السفانية

الظهران

المملكة العربية السعودية ـ انجز نحو ٥٠ بالمائة من اعمال الانشاء في مشروع انماء حقل السفانية ، وهو المشروع الذي تقدر تكاليفه بـ ٢٠ مليون دولار والذي سيتيح عند اكماله البدء باستخراج الزيت من حقل السفانية المغمور بمياه الخليج العربي، وزيادة محصول الزيت الخام في المملكة العربية السعودية بمقدار ١٢٠،٠٠٠ برميل في اليوم.

ومن شان هذا المشروع ان يربط حقل السفانية باعمال الزيت الاخرى التي تقوم بها شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) . وتقع السفانية على بعد نحو ٣٠٠ كيلو متر الى الناحية الشمالية من مدينة الظهران ، المقر المركزي العام للشركة .

ويشتمل مشروع الانماء هذا على بناء قواعد للسفر البحري وفرضة للمراكب ومستودع مركزي لمنتجات الزيت وشبكة مجمعة من انابيب الزيت ومعمل لفرز الغاز من الزيت ومرافق للسكن والمواصلات واخرى لضخ الزيت ومد خط انابيب طوله ١٤٠ ميلا (٢٢٤ كيلو مترا) .

وسيوصل هذا الخط حقل السفانية بمصفاة ارامكو في راس تنورة كما انه سيكون اطول خط في داخل المملكة العربية السعودية ، اذ فيها يبدأ وفيها ينتهي . وقد توجب على الشركة قبل ان تقدم على البدء بانشاء الخط، بناء مرافق في راس تنورة لتلحيم قطع الانابيب من طرفيها (اي وصل كل قطعتين منها معا) وطول الواحدة منها في الاصل ٤٠ قدما وقطرها ٢٢ بوصة ، وذلك يصبح طول القطعة الموصولة ٨٠ قدما . وقد اتخذ هذا الاجراء لتخفيض عملية التلحيم الى نصف ما تستلزمه لو انها جرت كلها في مواقع العمل التي يمر فيها الخط . ولما كانت القطع الموصولة تزن كل منها طنين وربع الطن فان الخط الجديد سوف يتطلب ، في تقدير الخبراء ، استخدام ٢١٤،٠٠٠ طن من الانابيب.

وقد اعترض بناة الخط ، اثناء تقدمهم شمالا من راس تنورة باتجاه حقل السفانية وعلى موازاة الخط الساحلي للخليج العربي، عقبات طبيعية تعرف بالاراضي السبخة . وهي جيوب من رواسب طينية تصبح رخوة بارتفاع منسوب المياه المحيطة بها فيتعذر معها بالتالي طمر الانابيب في الارض . وقد حل ذلك الى مد قسم من الانابيب فوق سطح الارض على ركائز من الصلب .

وقد ابتدع الخبراء المهندسون وبنوا جهازا خاصا للحفر لدك الركائز الفولاذية على نحو مجد فعال . ففي السفانية انجز نحو ٦٥ بالمائة من اعمال انشاء قواعد الحفر البحري وشبكة انابيب التجميع . وسوف يتطلب المرفق البحري زهاء ٤٠ ميلا من انابيب الخط الرئيسي ذات الست عشرة بوصة ومن شبكة انابيب التجمع ذات الست بوصات .

ويجري مد الخط الرئيسي وخط التجمع في الخليج بواسطة عوامة (مركب) ضخمة تتولى انزال خط الانابيب الى قاع البحر .

ويتسم بناء خط السفانية بميزة هامة اخرى هي تسليط اشعة « اكس » على وصلات التلحيم للتثبت من عدم وجود خلل فيها . وهي المرة الاولى التي تستخدم فيها تجهيزات اشعة « اكس » الخاصة بالانابيب في المملكة العربية السعودية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

٢٠ نوفمبر ١٩٥٦ ـ اعلن المستر داغ هامرشولد بعد عودته الى امريكا انه يقترح وضع القوة الدولية على الحدود المصرية الاسرائيلية وتقديم مساعدات لمصر بواسطة هيئة الامم لتنظيف القناة .

ـ قرر مجلس النواب الاردني مطالبة الحكومة بتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية وبالغاء معاهدة ١٩٤٨ الاردنية البريطانية .

٢١ ـ عين الجنرال نورستاد قائد السلاح الجوي الامريكي قائدا اعلى لقوات حلف شمالي الاطلسي

ـ اعلن الاميرال ستومب قائد القوات البحرية الامريكية في المحيط الهادي ان القطع البحرية المزودة بالاسلحة الذرية تتجمع الان لتعزيز الوسائل الدفاعية بعد ان تم وضع الاسطول في حالة الطوارىء

ـ اعلن في موسكو تعيين الرفيق مولوتوف في منصب الوزير المراقب لاعمال الدولة بالاضافة الى منصبه الحالي نائبا لرئيس الوزراء .

٢٢ ـ ابلغت فرنسا وانجلترا واسرائيل امانة الامم المتحدة انها بدات تسحب قواتها من مصر حالا وقد اشترطت الدول الثلاث تنفيذ امور معينة قبل سحب قواتها تماما ونهائيا .

٢٣ ـ انتهى مؤتمر الدول الاسلامية الاربع في ميثاق بغداد واصدرت بلاغا اكدت فيه التوصيات التي صدرت عنها في مؤتمر طهران كافضل اساس لتسوية مشاكل الشرق الاوسط كما استعرضت مقررات مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي عقد في بيروت فوجدتها متفقة مع ارائها ثم استعرضت باهتمام الاعمال التخريبية المتزايدة في الشرق الاوسط وقررت اتخاذ الاجراءات الضرورية بما يتفق وميثاق الامم المتحدة

ـ سافر رئيس الحكومة البريطانية انطوني ايدن الى جاميكا للراحة عملا بنصيحة الاطباء

ـ يستمر وصول قوات الطوارىء الدولية الى مصر .

ـ صدق البرلمان الفرنسي معاهدة الصداقة الفرنسية الليبية المعقودة قبل عدة شهور وهي تنص على انسحاب القوة الفرنسية المرابطة في ليبيا .

ـ اعلنت حكومة بودابست ان رئيس الوزراء السابق ايمري ناجي وعددا من وزرائه الذين كانوا قد لجأوا الى السفارة اليوغسلافية قد غادروا المجر الى رومانيا بصحبة عائلاتهم .

ـ تقدمت ٢٢ دولة تؤلف الكتلة الاسيوية الافريقية بمشروع الى الجمعية العمومية للامم المتحدة يدعو بريطانيا وفرنسا واسرائيل الى الامتثال فورا لمقررات الامم المتحدة والانسحاب من الاراضي المصرية

٢٤ ـ اعلنت وزارة الخارجية البريطانية ان مصر انذرت الرعايا البريطانيين والفرنسيين المقيمين فيها بوجوب مغادرة البلاد خلال عشرة ايام .

ـ وصل الجنرال اسكندر ميرزا رئيس جمهورية الباكستان الى الرياض وقد جرت له مع الملك سعود محادثات هامة

ـ قدمت يوغسلافيا احتجاجا شديد اللهجة الى المجر بشان اختطاف رئيس الحكومة المجرية السابق ايمري ناجي ورفاقه بعد ان تعهدت المجر بالسماح لهم بالعودة الى بيوتهم فنكست بتعهداتها وتطالب يوغسلافيا بالافراج عنهم والا تعرضت العلاقات بين البلدين الى التردي .

٢٦ ـ اعلن ملك ليبيا ادريس الاول تعيين ابن عمه الامير حسن رضا وليا للعهد ملغيا بذلك مجلس الوصاية وانه يريد تعديل المعاهدة الانجليزية الليبية باقرب وقت .

ـ قررت تركيا سحب سفيرها من اسرائيل

ـ طلبت العراق رسميا من الولايات المتحدة تزويدها بالمزيد من الاسلحة الدفاعية وفيها الطائرات والمدافع المضادة لها .

٢٧ ـ اعلنت الحكومة الاردنية في بيانها الوزاري انها ستبادر بالتفاهم مع الشقيقات التي عرضت المعونة العربية لاتخاذ الخطوات التي تكفل انهاء المعاهدة البريطانية الاردنية .

ـ طالب مندوب مصر في الجمعية العامة للامم المتحدة دعوة مجلس الامن للاجتماع لبحث رفض المعتدين على مصر الانسحاب وتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية عليهم كما طالب بتعويض مصر عن الاضرار التي لحقتها .

٢٨ ـ اعلنت وزارة الخارجية الامريكية ان الاتحاد السوفياتي استمر في ارسال المعدات العسكرية الى سورية على الرغم من قرار الامم المتحدة بعدم ارسال الاسلحة الى الشرق الاوسط .

ـ انسحبت قوات بريطانية وفرنسية جديدة من بورسعيد ويستمر وصول القوات الدولية .

ـ صرح سلوين لويد وزير خارجية بريطانية اثر عودته من الامم المتحدة بان الخلاف لم يسو بعد بين انجلترا وامريكا .

ـ وصل الى نيودلهي رئيس وزراء الصين الرفيق شو ان لاي في زيارة رسمية للهند وهي حلقة من سلسلة زيارات سيقوم بها لبورما وباكستان .

ـ اعلنت القيادة الفرنسية في الجزائر ان معركة عنيفة نشبت بين قواتها وقوات المجاهدين بالقرب من حدود تونس . ومما يذكر ان المعارك مستمرة في مختلف انحاء الجزائر .

٢٩ ـ صدر بلاغ عن وزارة الخارجية الامريكية تؤكد فيه الولايات المتحدة تاييدها التام للجهود الجماعية التي تقدم بها كل من تركيا وباكستان والعراق وايران للمحافظة على استقلالها وسيادتها ان اي تهديد لسلامة اراضي هذه الدول او استقلالها السياسي ستنظر اليه الولايات المتحدة بمنتهى الخطورة

ـ اعلمت امريكا بريطانيا وفرنسا بانها قلقة من تدهور علاقاتهما معها ومع ذلك فانها مستعدة لتزويدهما بالبترول على ان تكتفي حاليا باعلان رسمي يصدر عن الدولتين يؤكد عزمهما على الانسحاب بصورة قاطعة من مصر .

٣٠ ـ قدم داغ هامرشولد السكرتير العام للامم المتحدة تقريرا الى الجمعية العمومية يعلمها ان المجر لم ترد على مذكراته العديدة التي يطالب فيها بالسماح لمراقبين دوليين بدخول المجر تنفيذا لمقررات الامم المتحدة وهو لذلك لم يتمكن من ارسال المراقبين لمراقبة الحالة .

ـ قام جماعة من الثوار بمحاولة للاستيلاء على الحكم في جمهورية كوبا في امريكا اللاتينية واعتقال رئيس الجمهورية فولغنسيو باتيستا واذاع قائد الجيش انه يسيطر على الحالة ويتعقب الثائرين انصار الزعيم فيديل كاسترو الذي فر من البلاد في يوليو الماضي على اثر محاولة انقلاب قام بها .

ـ بدات في لندن المحادثات التركية البريطانية الخاصة بالشرق الاوسط .

ـ يستمر وصول القوات الدولية الى مصر واصبح عددها الان ١٦٠٠ جندي ودخلت القوات الدانمركية الى المنطقة الحرام في بور سعيد واخذت مراكزها امام المواقع البريطانية .

اول ديسمبر ١٩٥٦ ـ صرح كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا بعد المحادثات السرية التي قام بها مع المسؤولين في لندن بان فرنسا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصرية قبل ان تسحب بريطانيا وفرنسا قواتهما من منطقة القنال .

ـ اعلم مندوب اسرائيل في الامم المتحدة الامين العام داغ همرشولد ان حكومته سحبت فوجا اخر من الاراضي المصرية وان الجيش الاسرائيلي المرابط في سيناء سينسحب الى مسافة ٥٨ كيلو مترا من ضفة القناة الشرقية .

٣ ـ اعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية وكريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسية في لندن وباريس في وقت واحد قرار حكومتيهما بالانسحاب حالا من مصر وتكليف هيئة الامم تنظيف قناة السويس باسرع ما يمكن .

٥ ـ بدأ انسحاب القوات البريطانية والفرنسية باعداد كبيرة من منطقة القناة .

٦ ـ قال شو ان لي رئيس الحكومة الصينية في تصريح له اننا مقتنعون بوجوب عودة شاي كاي شك واعضاء كتلته الى الوطن الام واننا نامل ان يفعلوا ذلك .

ـ اعرب الرئيس تيتو عن رضاه للمحادثات اليوغسلافية اليونانية التي تجري في بلغراد وقد صرح بذلك في حفلة اقيمت لقسطنطين كرامانليس رئيس الوزارة اليونانية .

٧ ـ عادت القوات المصرية الى احتلال صحراء سيناء وكانت طلائع القوة من القوات الالية يتقدمها عدد من قوات الامم المتحدة .

٨ ـ قررت الحكومة العراقية سحب قواتها من الاردن فورا بناء على طلب الحكومة الاردنية وكانت هذه القوات قد دخلت الى الاردن تلبية لطلب الحكومة الاردنية لاحباط المحاولات العدوانية التي تقوم بها اسرائيل .

فاجأت اسرائيل العالم بشروط اعلنت ان لا بد من تحقيقها قبل ان تسحب قواتها من منطقتي سيناء وغزة ، وهي منع استعمال غزة وسيناء للهجوم والسماح لسفن اسرائيل باستعمال القناة .

٩ ـ اعتقلت الحكومة الارجنتينية ١٩ جنرالا نتيجة لازمة وقعت في الجيش وتلا ذلك حدوث تغيير جذري في القيادة العليا اسندت فيه المناصب الى الكولونيلات الشبان .

١٠ ـ تجددت الثورة والاشتباكات في المجر وقد دعا مجلس اتحاد نقابات العمال كل عمال المصانع ووسائل النقل الى اعلان الاضراب يومين احتجاجا على عدم تلبية مطالب الاتحاد وعلى اعتقال عدد من زعمائه وقد اعلنت الحكومة حل مجلس الاتحاد وفرض الاحكام العرفية .

١١ ـ أكد وزير الدفاع الاردني ان قرار الحكومة الاردنية بطلب سحب القوات العراقية من الاردن لا يشمل القوات السورية والسعودية

١٢ ـ اعاد الاتحاد السوفياتي واليابان رسميا العلاقات الدبلوماسية بينهما وانهيا حالة الحرب التي قامت بينهما مدة احدى عشرة سنة واربعة اشهر .

ـ اقر مجلس الامن الدولي بالاجماع قبول اليابان في عضوية الامم المتحدة

ـ كشف الامين الاول للحزب الشيوعي في ليتوانيا عن قيام اضطرابات فيها وقال انه تحت تاثير احداث المجر حاولت عناصر رجعية في ليتوانيا ان تثير الشقاق معرضة الشعب ضد الروس .

١٣ ـ قررت الهيئة العامة للامم المتحدة لوم الاتحاد السوفياتي واعتباره مسؤولا عن المجزرة التي جرت في المجر وخرق ميثاق هيئة الامم المتحدة وكانت الولايات المتحدة قد قدمت مشروع قانون بهذا المعنى .

ـ اقر مجلس حلف شمال الاطلسي منهجا عاما للسياسة الغربية ايد فيه اماني شعوب اوروبا الشرقية للتحرر والاستقلال ولكنه تعهد بعدم الدخول في حرب مع الاتحاد السوفييتي لتحرير تلك الشعوب .

١٤ ـ وافق برلمان مقاطعة السار على الانضمام الى الجمهورية الالمانية الفيدرالية .

ـ الفي السابع من نوفمبر وهو ذكرى ثورة نوفمبر في روسيا من قائمة الاعياد الهنغارية واعادت الحكومة الى القائمة عيد الميلاد واثنين الفصح و ١٥ مارس الذكرى السنوية للثورة الهنغارية سنة ١٩٤٨ معتبرة اياها اعيادا وطنية .

ـ اعلنت الولايات المتحدة انها شحنت الى اوروبا الغربية ١٤ مليون برميل من بترولها منذ اقفال قناة السويس .

١٥ ـ رفضت الحكومة اليونانية دستور قبرص الذي قدمه وزير المستعمرات البريطاني لينوكس بويد اذ انه لا ينص على تطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها ، في مهلة معينة في قبرص .

١٦ ـ بعد صمت دام سنتين القى نوري السعيد خطابا على الشعب العراقي استغرق ساعتين روى فيه للمرة الاولى جوانب الازمة العربية من وجهة النظر العراقية وهذا ما يجعل اهمية تاريخية للخطاب من حيث كونه مرافعة عامة بسط فيها رئيس الحكومة العراقية مبررات السياسة التي يسير عليها

ـ وصل الى وشنطن الباندیت نهرو رئيس حكومة الهند في زيارة رسمية لامريكا .

ـ وصل الى فرصوفيا وزير خارجية السوفييت ديمتري شبيلوف ووزير الدفاع الماريشال جوكوف وقاما بمحادثات مع زعماء بولونيا بشان وضع القوات الروسية المرابطة في بولونيا وقد وقع اتفاق بين الجانبين .

ـ عاد العمال المضربون في المجر الى اعمالهم بعد اسبوع من الاضطرابات والاشتباكات .

١٩ ـ وصل الى كراتشي رئيس وزراء الصين الشعبية شو ان لاي في زيارة رسمية لباكستان .

٢٠ ـ انتخبت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة كل من العراق وكولومبيا واسوج لعضوية مجلس الامن الدولي لمدة سنتين .

٢١ ـ القى السيد سليمان النابلسي رئيس وزراء الاردن خطابا هاما اكد فيه قرب الغاء المعاهدة البريطانية ونيل المساعدة المالية من مصر وسوريا والسعودية ويعتبر الخطاب في مجمله كرد على خطاب السيد نوري السعيد رئيس الحكومة العراقية .

٢٢ ـ قدم السيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية استقالته .

ـ اذاعت النيابة العامة العسكرية في دمشق قرار الاتهام المتعلق بقضية « تهريب الاسلحة الى سوريا » والقرار يتهم ٤٧ شخصية بالتحريض على اثارة العصيان المسلح ضد الحكم القائم ودس الدسائس لمصلحة الاجنبي ومن بين المتهمين عدة وزراء سابقين ونواب حاليين وضباط بينهم اديب الشيشكلي والمتهمون بعضهم في السجن وبعضهم تمكن من مغادرة سوريا .

ـ تم انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من الاراضي المصرية

٢٣ ـ اعلنت الحكومة الاندونيسية ان جماعة من ضباط الجيش استولت على الحكم في جزيرة سومطرا واعلن راديو سومطرا ان الضباط استولوا على الحكم بسبب الحالة الاقتصادية البائسة وانهم مستعدون لاعادة مقاليد الامور الى الحكومة المركزية عندما تجاب مطالبهم .

٢٤ ـ صدر في كراتشي بيان مشترك عن محادثات شوان لاي وحسين سهروردي رئيس وزراء باكستان اكد فيه الرئيسان انه لا توجد اي مصالح متضاربة بين البلدين وان قيام بعض الخلاف في وجهات النظر بشان بعض المشاكل العالمية لا يمنع البلدين من تقوية اواصر الصداقة بينهما .

٢٦ ـ اعلنت الحكومة المصرية ان الاتفاق قد تم بينها وبين المستر هامرشولد على جميع النقاط والاسس المتعلقة ببدء اعمال التعزيل في القناة لاعادة فتحها للملاحة .

مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موسم المعرفة

*

كل فصل لنا موسم ، بل مواسم ، والخريف،عندنا موسم المعرفة ... لانه والمدرسة على ميعاد ، في هذه البلاد ، مهد المعارف ، ومهبط الوحي ، ومدرج الحضارة !

والمدرسة ، هي قوام التربية بل اداتها . والتربية هي سبيل العلم . والعلم هو عماد المعرفة . والمعرفة هي لب الثقافة . والثقافة هي زاد الاحياء ، جميع الاحياء في هذه الدنيا . انها زادهم للحياة المسؤولة العاملة . والعمل انتاج مفيد واشعاع مستفيض .

فمرحبا بالخريف اذن ، يدنينا من موسم المعرفة ، ويسر لنا سبيل الاستعداد للحياة ، ويسرنا ، يسر اجيالنا الطالعة ، للانشاء والاشعاع ، في عالم تطغى عليه روح الخراب والظلام.

وما اعرف انسانا اظلم لنفسه واشقى ، من طالب لا يغتنم هذه الفرصة المتاحة ... والتي لن تعود ـ فيضيع اوقاته لهوا وعبثا ، او يهدر طاقات شبابه انحرافا ومجونا .

ونحن اذ نشكر الله على ان امثال هذا المجرم الابله ... بين طلابنا ، قليل قليل ، فلكي نعلن ان هؤلاء هم ، في الغالب وفي الواقع ، اما ابناء « ذوات » مترفون ، واما غرباء مفتونون،اعوزهم سلطان الارادة الخيرة ، بعد ان فقدوا سلطة المربي الرادعة . كما نشكر لامهاتنا ـ لنساء هذه البلاد المعطاء الجميلة ـ سهرهن الدائب على زرع تلك البذور ، ورعايتها في نفوس الابناء والبنات ، على حد سواء . فلولا « الام » المربية الاولى ـ لما كانت لنا مدرسة ولا كان عندنا طالب ! بل لما كان لنا شعب يدرك قيمة المعرفة فيقبل عليها ، في مواسمها ، اقبال الجياع على المآدب الدسمة ، طالبا وعاملا وفلاحا .

ولئن كنا نأسف على شيء ، فلما يأسف له الاباء والامهات في كل سنة ، من رسوب الطلاب والطالبات او نجاحهم ، في الفحوص ، رسوبا يفوق القدر المعقول ، ونجاحا ينحط عن القدر المأمول .

ونحن نعرف المسؤولين عن ذلك كله ، لاننا نعرفهم جميعا ، بعد ان خبرناهم طويلا ! نعرفهم لانهم ليسوا هم الطلاب مثلا او الطالبات . فأبناء بلادنا وبناتها ذكاء وقاد ، وقدرة على الاستيعاب ، ورغبة في المعرفة لا تحدها حدود .

وليس المسؤولون هم المنهج ... مثلا اخر . ولا هم الوزارة المختصة ، ولا هم المدرسة او الكتاب وما اليها ! !

فالمنهج دستور لا يفترض فيه ان يكون تفصيلا مملا للاشياء كلها ... والوزارة ليست لتؤثر في صميم الموضوع ، وهي تشرف شكليا على العمل ، وتنظمه اليا ... على صورة ـ يشهد الله انها لا غبار عليها .

والمدرسة ، في وطننا العريق ، لم تبرح توفر للطلاب الوقت اللازم والجو الملائم .

وكذلك قل في الكتاب الذي نهض مؤلفوه به ، خلال ربع قرن مضى ، نهضة ملموسة .

فمن يبقى اذن من المسؤولين عن ذلك الضعف الكياني ، في عقل الطالب وذوقه وقدرته على الفهم والتمييز والخلق والانشاء ؟

الجواب ، في رأيي ، لم يعد لغزا ، يحتاج الى حل ، ولكنه صار مشكلة تحتاج الى جراة ، في الوصف والمعالجة . والمعلم، منذ كانت المدرسة ، هو نظامها ، وهو الحجر الاساسي في بناء هذا الهرم العظيم الذي ندعوه تربية !

فهاتوا المعلم الكفء ، وخذوا المنهج ، والوزارة ، والمدرسة، والكتاب ، وكل شيء اخر سواهم . ان المعلم ... هو كل شيء في التربية ، ومتمم كل نقص في المدرسة ، والجهاز ، والكتاب وسواه .

وقديما عرف اليونان لهذا الرب الصغير قيمته ، فدعوا ارسطو ، اعظم حكمائهم ، « بالمعلم ».

وكذلك عرف الكتاب المقدس ، لهذا الانسان العظيم ، قدره ، فلقب السيد المسيح بالمعلم ايضا !

وفي القرآن الكريم ، وصف النبي محمد بقوله تعالى« وانك لعلي خلق عظيم » لانه كان في الواقع مصلحا ، كان مبشرا ونذيرا ، كان معلما !

ولا ادري .. كيف يكون احد الناس معلما ، وان استقصى علوم الاولين والاخرين ، وهو دون اخلاق ، بل دون خلق عظيم! من هنا جاء النور ، ومن هنا سيجيء . فهل من سميع؟ وهل من بصير ؟

رشاد دارغوث

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي مكارم

ماجستير في الادب العربي

o O o

الشعر في لبنان في القرن التاسع عشر

تبلورت النهضة الادبية في لبنان منذ عهد الامير بشير الشهابي الثاني ١٧٨٩ ــ ١٨٤٠ . فلقد شجع هذا الامير الادب والادباء وقرب اليه الشعراء وفتح بلاطه لهم يتناظرون بين يديه ويشيدون بفضله .

وقد اشتهر من شعراء الامير ثلاثة شعراء هم نقولا الترك ١٧٦٣ ــ ١٨٣٨ وبطرس كرامه ١٧٧٤ ــ ١٨٥١ وناصيف اليازجي ١٨٠٠ ــ ١٨٧١ . واذا نحن اضفنا الى هذه الشلة اولئك الذين وضعوا اسس النهضة في لبنان امثال المطران جرمانوس فرحات ١٦٧٠ ــ ١٧٣٢ ، اول شاعر مسيحي في لبنان باللغة العربية ، وتلميذه الخوري نيقولاوس الصايغ ١٦٩٢ ــ ١٧٥٦ ، واذا نحن اضفنا الى اولئك ايضا احمد فارس الشدياق ١٨٠٤ ــ ١٨٨٧ زعيم المجددين في ذلك العصر والشيخين ابراهيم الاحدب ١٨٢٦ ــ ١٨٩١ ويوسف الاسير ١٨١٥ ــ ١٨٨٩ وعمر الانسي ١٨٢٢ ــ ١٨٧٦ ومن هم على غرارهم ممن ساروا في ركب النهضة في القرن التاسع عشر امثال بطرس البستاني ١٨١٩ ــ ١٨٨٣ وسليمان البستاني ١٨٥٦ ــ ١٩٢٥ وابراهيم اليازجي ١٨٤٧ ــ ١٩٠٦ وغيرهم لتمت لنا صورة هذه الحركة الادبية التي ازدهرت في القرن الماضي في لبنان وكانت اساسا لهذه النهضة التي نجني ثمارها اليوم .

ولقد كان لاتصال لبنان بالغرب منذ القدم وانتشار المبشرين والمرسلين في ربوعه ، واهتمام الرهبان في نشر التعليم وفتح المدارس كمدرسة عين ورقة التي انشئت عام ١٧٨٩ ، كما كان لشغف امراء لبنان وحكامه بالادب وتقريب العلماء والادباء الى قصورهم ان جعل لبنان ينهض بالادب العربي هذه النهضة المباركة .

ولم يكن لبنان يوما منذ الفتح العربي غريبا عن الادب والشعر حتى اقتم عصور الانحطاط . وكانت العربية هي لغة الادب في اكثر انحائه بخلاف ما زعم صلاح لبكي بأن السريانية كانت لغة اللبنانيين واننا لا نعرف قبل قرن ونصف شعرا عربيا للبنان (١) ، ولقد حدثنا صالح بن يحيى (٢) ، نقلا عن المؤرخ اللبناني ابن سباط المتوفي سنة ١٥٢٠ ، عن شاعر من لبنان عاش في القرن الرابع عشر هو الامير سيف الدين يحيى التنوخي (٣) وذكر له طائفة من شعره تنم عن مقدرة فائقة وشاعرية .

كل هذه العوامل اتحدت وتفاعلت حتى اذا ما جاء الامير بشير تفتحت بيت الدين عن شعراء ثلاثة ، هم نقولا الترك وبطرس كرامة وناصيف اليازجي ، كانوا خلاصة هذه العوامل التي ذكرنا كما كانوا اساس هذا الشعر العربي الذي نجده في لبنان .

حكم الامير بشير لبنان وراى ان لا بد له من اناس يعملون على تأييده والاشادة بفضله . ومن له في ذلك غير الشعراء يؤيدونه باقلامهم وينصرونه بالسنتهم ، فاذا به يقربهم اليه ويغدق عليهم نعمه فيغدقون عليه قصائدهم .

نقولا الترك

واذا بنقولا الترك احد اولئك الشعراء يقف نفسه على سيده يمدحه في كل مناسبة ويطريه في كل سانحة . وان لم يكن هنالك مناسبة اقترح الامير ، فلبى الترك ونظم وكان هذا الشاعر خفيف الظل ، سريع النكتة فأخذ الامير يزيد في تقريبه والاغداق عليه . وقد اتبع هذا الشاعر القدماء ولكن على قسط من الركاكة وفير . فلنسمعه يقول من ارجوزة له في ماهية الطاعون وكيفية الاحتجاب عنه

يا طالبا حقيقة الانبـــاء والحكـم في ماهية الوبـاء

الى ان يقول :

ان حل طاعون بارض فارحل او فاحتجب من خلف باب مقفل
وبعد قفل الباب قصد الاختبا احرص وكن محتفظا محتسبا

الى ان يقول :

واحذر دخول الزهر بالاجمال اذ ما لجنس الزهر من ادخال
واحذر من الفيران واخش الهرا لا تقبلنه ان اتى من برا (٤)

ومن شعره موشح في وصف دمشق يحتذي به شعراء الاندلس ويكثر فيه من الصناعة اللفظية التي يظهر عليها التكلف السمج فضلا عن اضطراب الوزن في غير بيت ، قال :

يا نسيمات الصبا حيي الحمى وربوع المعلم المؤنس
ثم حيي حي صحبي الكرما خير قوم فديوا بالانفس
مغنمي مغنى به لذ الغنا من مغن اغيد غان اغن
حيث ما احبابي بيمن امنا جل من في ذا المنى والفضل من

(١) صلاح لبكي : لبنان الشاعر ، ص ٥٠ ــ (٢) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، ص ٢٢١ ــ (٣) راجع ايضا : مجلة اسرار العالم الجزء السادس عشر ، ص ٥٠ــ٥٣ وكتاب علماء من شيوخ بني معروف لعارف ابو شقرا ــ (٤) راجع ديوان نقولا الترك .

فهم في رغد عيش وهنا وهنا مغنى هواهم في وهن
يهرق الدمع دما منسجما من جفون ترعى نجم الغلس
يشتهي طيب لقاهم مثلما يشتهي زورة بيت المقدس

وله موشح اخر من هذا الطراز في وصف طرابلس قال فيه :

بأبي عهد تدان وصفا زمن مر بطرابلس
يا هنا عيش رغيد سلفا لي بذاك المعلم المؤتنس
حبذا الفيحاء اهنى كل ناد والحمى المعمود والركن الحصين
كتب السعد عليها يا عباد ادخلوها بسلام آمنين

ويظل يردد ما جاء به في موشحه عن دمشق فيقول :

يا لصحب في الحمى عاهدتهم في البها والحسن اقمار غرر
ويح قلبي كنت ان شاهدتهم لمحة ينفى عن القلب الكدر
بل وكم كنت اذا ناشدتهم شنفوا سمعي بالفاظ درر
نعم خلان بهم كان الصفا لي مضيا كشعاع القبس
نفخت ريح التنائي فانطفا نور صفوي وسروري المؤنس

ومن قوله في قصيدة يمدح بها الامير :

سواك الى المعالي ليس يدعى لان الله احسن فيك بدعا
وزانك بالزايا يا حميدا به الدهر ارتضى واختار قنعا

الى ان يقول :

بشير خول الدنياء بشرا به طاب الورى قلبا وسمعا
شهاب اوعب الافاق نورا وعن نور الثريا فاق سطعا
اذا اعددته يوما بفرد من الافراد كنت تراه سبعا

وليس صعبا على القارىء ان يلاحظ من الامثلة السابقة من شعره ركاكة العبارة وضعف التركيب وسقم المعنى .

ولم يكتف نقولا الترك بهذا القدر من تقليد القدامى هذا التقليد الممسوخ ، بل تطاول ايضا الى النثر فادركه ، ولكن بلغة ضعيفة كلغة شعره ، فدبج المقامات ، محتذيا الحريري .

ولكن مهما يكن من امر هذا الضعف وهذه الركاكة وهذا الابتذال ، فقد ابانت اثار هذا الشاعر عن شخصيته الخاصة ، كما صورت بيئته احسن تصوير . ومن يتصفح ديوانه يعبر عن حالة البلاد في ذلك الوقت احسن تعبير ويبين عن شخصية الشاعر على اتم ما يكون .

اما الشاعر الاخر في ذلك الوقت فهو المعلم بطرس كرامه .

بطرس كرامه

كان هذا الشاعر امتن عبارة ، او على الاصح ، أقل ركاكة من نقولا الترك ، وقد وقف نفسه كصاحبه الترك على مدح الامير بشير .

وكان الامير في كثير من الاحيان يقترح ، وينبري بطرس كرامه للنظم ، « فكأن قريحة شاعرنا » ـ كما يقول مارون عبود ـ « عداد (تاكسي) لا يقف ابدا . لو سعل المير سعلة رنانة او تجشأ بعد عشاء ثقيل شمته شاعره بالمنظوم ، فيطيب الخاطر العاطر .» (٥) اصيب الامير مرة بداء الحصبة، فاذا ببطرس كرامة ينتهز الفرصة ويقول:

قالوا حبيبك محصوب فقلت لهم لا لا فقولكم زور وبهتان
وانما جسمه مذ راق جوهره الصافي فنقطه بالحسن مرجان

الامير يتألم والشاعر يتغزل .

وكم عمد الشاعر الى قصائد قيلت من قبل اعجبته او اعجبت الامير ، فانبرى يخمسها او يشطرها او يعارضها . وديوانه يزخر بذلك . وكان الشاعر يسير في شعره على طريق الاقدمين فيستهل قصيدته بالغزل وينتقل منه الى ضروب اخرى حتى يصل في النهاية الى المقصود منها وهي المدح . فيقول مثلا مادحا الامير الشهابي :

الا حيي بكاسك واستنيري شهاب النصر من وجه البشير
وزيدي الكاس واسقيني الحميا على ضاهي محياك المنير
مدام لاح منها البدر مزجا وشمس ان تكن صرف العصير
وقد حبك الضياء لها حبابا فهل لك ان تديري بالكبير
سلافا ليس يدركها زجاج لها كاس من العقل البصير
الا اسقيني مع الجوزاء كاسا وعاطيني على زهر الغدير

الى ان يقول :

مشعشعة تلوح بكف ساق هتكت بحبه حجب الستور
طلاء فاق طعم طلاء فيه على ما في يديه من الخمور
ولما ذاق خمر التيه عجبا فنادانا هلموا للسرور

الى ان يقول متخلصا الى مدح الامير اخيرا :

واشرقت الصبابة للندامي كاشراق النجوم من البدور
بروض مالت الاغصان فيه كما ملنا الى وصف الامير
امير بني المكارم والمعالي بشير النصر والكرم الوفير
فان جادت يداه يوم جود تخلها المزن او فيض البحور

وهكذا الى اخر القصيدة .

وكم راجت الصناعة الشعرية في ذلك الوقت . كان الامير بشير يقترح على شاعريه الترك وكرامة فيمتثلان لامره وينظمان ما شاء . فاذا استحسن الامير ذلك يأمر بالتخميس او التشطير او المعارضة فيذعن الشاعران. وربما أمر بتخميس التخميس او تشطير التشطير .

قدم الامير يوما باقة زهر لبطرس كرامة فقال في ذلك:

وباقة زهر من مليك منحتها معطرة الارواح مثل ثنائه
فابيضها يحكي جميع خصاله واصفرها يحكي نضار عطائه
وازرقها عين تشاهد فضله واحمرها يحكي دماء عدائه

فاذا بنقولا الترك يخمس تلك الابيات ويشطرها ويعارضها فيأمر الامير بتخميس ابيات الترك وتشطيرها فيمتثل بطرس كرامه للامر فيقول من جملة ما يقول :

رعى الله اوصافا بفضلك شمتها وايات مجد من علاك عهدتها
بروحي افدي نعمة منك حزتها وباقة زهر من اقاح منحتها
من البطل المشهور في عظم فعله

وكم راج التاريخ الشعري في ذلك العصر ، فهو عندهم ذروة الشعر ومنتهى الفن . اما الشاعر الذي ينظمه

(٥) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، ص ٥٦ ـ (٦) بطرس كرامة : سجع الحمامة .

فهو الشاعر الفحل . وكان بطرس كرامة يؤرخ ما طاب لـه التاريخ ، فاذا اطلق الامير عذاره ينبري الشاعر ليقول في هذا الحادث الجلل :

ان البشير الذي جاد الزمان بـه قد ساد بالمجد والافضال واللطف
بـدا عذار البها في سعد طلعتـه يحكي اساطيربسم اللهفيالصحف
الله عظمـه قـدرا وجمـــله ارخ وزينه في حلية الشرف

ويبني الامير دارا في بتدين فيقول فيها بدل التاريخ اربعة منها :

سمـــت ببشيرهـــا دار بشهـب السعـد مقرونـــة
غـدا تاريخهـــا زاهـــي بحفظ الله مـامـونـــه

او يقول :

دارا بنـاهـا الشهـــابي فاشـرقـــت بسعـوده
دامـــت ودام بشـــير أرخـت ضـاءت بجـــوده

ويبني الامير جسرا على نهر الدامور فيقول فيه الشاعـر تاريخين اولهما :

انشاه منشيالعدل ذوالشرف الذي هو مطلع المجد المنيـف وبـدره
اعني سليمان الزمان ومـن سمـا بسمـا السعادة والوزارة قـدره
اجرى من الصدقـات كل عظيمـة اضحى بهـا ارخ عظيمـا اجره

اما التاريخ الثاني فهو الذي رقم على الجسر المذكور وهو :

بنـاه سليمان الزمان الذي سمـا بعـدل وبـذل فاستعز حصينـا
وزيـر لشهريـن استتـم بنـاءه فقـلد نـصرا بالثـواب مبينـا
ينادي بـه الاجر العظيـم مؤرخا الا فادخلوا بالسلم رحبا امينـا

وجر الامير المياه من نهر الصفا الى قصره فانشدالمعلم بطرس موشحا طويلا محتذيا فيه لسان الدين بن الخطيب. فيقول ولكن على قسط من الركاكة وفير :

صـاح قد وافى الصفا يروي الظما بشـــراب كـوثـري اللعـــس
وافاض الشهـد في روض الحمى لحـلا الفـم وبـرء الانفـــس
حبـذا الغوار منـه حـين راق فارانا ماؤه ذوب اللجـــين
نزه القلب مـن الهـم وراق ، بسنى صـافي صفاه ، كل عين
نثـر الـدر بفيض واندفـــاق وسقى الوارد أهنـى الاطيبـين
قـد جرى عذبـا فاغنى الندمـا بزلال عـن رحيـق الاكـؤس
وعـلى الاغصـان ابقى النعمـا فزهـت مثل ندامى العـــرس

وهكذا دواليك

ولكن ما لبث ان خبا ضوء الامير فاذا هو في مالطـه يعاني مرارة النفي ، واذا بشاعرنا يتحول عن سيده ليمدح وزراء بني عثمان ، ولا يعود الشاعر الى سيده الا وقد عاد هذا الى التراب فيقول مؤرخا :

قد كانصاحب هذا اللحد ذا شرف مـدى الزمـان رفيع غـير منخفض
لاقى المنية في التسعين متشحـا بـر الفضائل في عمـد وفي عرض
اولت ولايتـه لبنـان طيب ثنـا وشاد بالعدل فيه كل منتقـض
فهو الامـير الشهابي البشيرومن غير العلى لم يكن يرتاد من غـرض
قضى فاظلمت الدنيـا مؤرخـة اما البشـير شهاب بالجناب يضي

كانت الصناعة في الشعر مشكلة ذلك العصر ، فلقـد كان امتدادا لعصور الانحطاط ، ولم تكن قد نضجت بعـد عوامل النهضة في رؤوس الادباء ، ولذا فقد تلهى ادبـاء ذلك العصر ، كما تلهى اسلافهـم في عصور الانحطـاط بالصناعة والبديع ، وانصرفوا عن الابتداع ، الذي لم يكونوا بعد قد قووا عليه ، الى تقليد القدامى والنسج على نولهـم البالي الركيك . فاذا بهم يأتمون بصفي الدين الحلي ومن جاء بعده من شعراء عصر الانحطاط ، فيكثر في اشعـارهـم البديع ، ويتضح التقليد ، وتسود الصناعة ، ويظهر التكلف ، وينعدم الابتكار والابتداع . واذا بشعرهم صورة مشوهة عن القديم ، قد بان فيه التقليد الممسوخ .

وليس لنا ان نلوم اولئك الشعراء ولا ان نسخر مـن شعرهم ذاك ، فما كاد الشعر بعد يفيق من سبات عميـق استبد به ، بل من اغماءة قد دامت عدة قرون . ولم تـكن النهضة العلمية ، مع ما كانت تبديه من نشاط ، الا حديثـة العهد ، طرية العود ، فلم تستطع ان تبدد ذلك الظلام الذي قد تراكم على الناس وتكاثف . كان حسب الانسان ان تنقاد له القافية ويستقيم له الوزن او يكاد ، حتى يدعى بالشاعر الفحل والاديب العظيم ، ولا بأس عليه ، اذا اتفق له ذلك ان يكون شعره كلاما مصفوفا ، خلوا من المعنى ، فارغا الا من اللفظ الرنان . اما اذا استطاع الناظم ان يأتي بشيء مـن البديع فقد بلغ الذروة وطبقت شهرته الافاق .

وكان ذلك ما حدث لبطرس كرامه ، فانه ما كاد يفرغ من نظم قصيدته « الخالية » التي مطلعها :

أمن خدها الوردي افتنك الخـال فسح من الاجفان مدمعـك الخـال

وهي قصيدة مؤلفة من خمسة وعشرين بيتا ينتهي كل بيت منها بلفظة « خال » ، حتى اثارت ضجت عمـت جميع اقطار الضاد ، فيعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة مطلعها :

الى الروم اصبو كلما اومض الخال فاسكب دمعا دون تسكابـه الخال

ويخمسها الشيخ ابراهيم آل يحيي العاملي الشامي فيقول من جملة ما يقول :

اخالك ذا عزم هو الصارم الخـال وحلم وان طاش الحليـم هو الخال
علام الاسى ما الخال انت ولا الخال أمن خدها الوردي افتنك الخـال
فسح من الاجفان مدمعـك الخـال

كما يخمسها الشيخ موسى المشهدي بقصيدة مطلعها :

اراك بوجـد لا ينـوء به الخال وفرطهوى اي والهوى بالحشاخال
فما أنت من سلمى به الدنفالخال أمن خدها الوردي افتنك الخـال
فسح من الاجفان مدمعـك الخال

وسمع بها عبد الحميد الشهير بابن الصباغ احد اعلام بغداد فقال مادحا ناظمها :

تبسم الزهر عن انفاسكم فسرى من الطيب ذكركم نشرا فاحيانـا
فمـن هناك عشقناكـم ولم نركـم والاذن تعشق قبل العـين احيانا

ومن جملة ما قاله ايضا : « فيا لها من خالية اضحت خالية من التقصير حالية كالجيد باللؤلؤ الفريد :

قـد فهمنـا منها المعاني فهمنـا بـكـلام حاز النهـى والكمـالا
عمنـا حسنهـا بوجـه جميل حين لاحت في وجنة الحسن خالا

ولم يكتف بذلك بل نظم تسعة ابيات اخرى جاعلا اول مصراع من صدورها على الترتيب حرفا من احرف اسـم

مراحل الرغبة

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي

اخصائي في علم النفس

○

هناك رغبات حقيقية تدفع الشخص الى تلبية حاجات حيوية للجسم ، وهناك رغبات كاذبة تخلقها النفس لتوهم الشخص باللذة والراحة . واغلب الناس الذين لا يفحصون رغباتهم يقعون في سلوك معقد ويصرفون كل طاقتهم وكل وقتهم وكل مكسبهم في ارضاء رغبات كاذبة تؤدي بهم الى عدم الاكتفاء والى الامراض المستعصية والى خسارة الحياة كلها ، ولولا الرغبات الكاذبة وما تبعها من ضلال وشقاء لما جاءت الاديان لتخلص الناس من عذابهم والامهم النفسية والجسمية .

فاذا استعرضنا حياة الانسان والفوارق الملاحظة بين الوان حياته وجدنا اساسا هاما يؤثر تأثيرا مباشرا في احداث التغيير الكبير في الشعور بالتعب والراحة وفي الوصول الى الشقاء والسعادة والتعرض للفشل والنجاح. هناك الرغبات الضرورية التي تظهر في كل مرحلة من مراحل الحياة وتفرض رغبة معينة في مرحلة معينة من تطور الانسان في نموه من الطفولة الى النضج ـ فالطفل يرغب في الاكل ليكبر ، ويميل الى العطف ليربط شخصه بالمجتمع ويميل الى الحركة لينشط الدورة الدموية ويزيد من التنفس ونخطىء خطأ فاحشا مع الحياة ونخالف اساسا هاما من اسسها عندما نعارض رغبة الطفل في الغذاء المنظم او عندما نسمح له بالاسراف في اكل الحلويات التي تعوقه عن تناول وجبته الكاملة ، وتؤذي جسمه عندما نمنع رغبة الجري عنده . كما ان بعض الآباء الذين يخشون التعبير عن العطف نحو اولادهم يعرضونهم الى الانطواء والانفصال عن الناس وعدم القدرة على التكيف . يجب ان نبحث عن الرغبة المفيدة للطفل لنحافظ عليها ونشجعها دون تعريضها الى الاسراف حتى لا يعود الطفل ينفر منها ويهملها . ان الاسراف في الاكل يتعب الجهاز الهضمي ويوقع الطفل في الامتناع عن الاكل ويحدث هذا الامتناع آفات جسمية وعصبية خطيرة بالنسبة لما يلحق البالغ عندما يمتنع عن الاكل .

وهناك رغبات العناد التي يثبت الطفل بها شخصيته فيعارض ويرفض طلبات الاخرين . فلا يجوز استعمال القسوة وارغام الطفل على الخضوع بالقوة . ولنعلم ان القوة لا تؤثر فيه ولا تغير موقفه ولكنها تقضي على شخصيته وتخلق منه شخصا ثائرا او ذليلا . واغلب الاباء والامهات الذين يندفعون تحت تيار انفعالاتهم لا يعطون اهمية لهذه الرغبة الهامة ويعرضون اولادهم الى اضطرابات نفسية تلازمهم طول الحياة .

ولا ننس رغبة الاستطلاع وهي اساس العلم فانها تظهر في ميل الطفل الى البحث والتنقيب والوقوف على الاشياء الملفوقة والوصول الى الاسرار المكتومة . فبدلا من ان نساعده على اشباع هذه الرغبة بحكمة واعتدال فاننا نتطرف اما بالاخفاء التام والتكتم الصارم واما بالتساهل واطلاق العنان بلا قيد ولا تحفظ . وفي كلتا الحالتين يحدث الفساد . وهذه الرغبة تجري ايضا على مراحل يحسن بالمربي تتبعها ورعايتها بصبر لتسير في طريقها الطبيعي فيزود الشخص في بلوغه برغبة المعرفة التي لا تنتهي

ناظم الخالية وفي الحرف الثاني ايضا منها على الترتيب اسم ناظم الابيات عبد الحميد وملتزما ايضا في كل مصرع من الصدور والاعجاز تاريخا مسيحيا هو سنة ١٨٤٤ سوى المصراع الاخير منها الذي التزم فيه تاريخا هجريا والابيات هي التالية :

بعثنا اليكم بنت رمز من الفكر ... دهاها جوى اعطت به خالص الشعر
طبعنا عليها خاتما من دلالة ... ادلتها راحت عن الشمس والبدر
رداح اتتكم من بعيد فقيرة ... ووافت اليكم في سقيط من الفخر
سأتحفكم اشعارنا عن سبيكة ... دنانيرها فاقت على منطق التبر
كليلة لحظ عنكم صح قلبها ... بها كامن وجد كخنساء في صخر
رحاب الفضا لم تحو اول علمكم ... الى ان يضيق البر سردا مع البحر
امنتم صروف الدهر من قيد حادث ... الى غاية الدنيا الى اوحد الدهر
هديتم بنور الرب بابا فارخوا ... هو الله لا ما زال من مشرق الفجر

ويجيبه عليها بطرس البستاني ملتزما نفس البحر والقافية ومؤلفا في هذه المرة من الحرف الاول من كل بيت اسم عبد الحميد ومن الحرف الثاني من كل بيت اسمه هو، ويضمن العجز الاخير من البيت التاسع التاريخ الهجري فيقول :

عبير ثنا عبد الحميد يدا الزهر ... وعته فيحيي عرفه خامل الذكر
بطلعة حسنا قد ادامت جمالها ... أفانين اداب رقت منهل الدر
دراري معانيها سمت فبدائعا ... وعشقا دعونا في الجنان وفي الفكر
اسير لمنشيها امرء القيس وهي في ... دلال على هامي المعارف والشعر
لك الفضل يا عبد الحميد ممهد ... بحلى ذكاء والبيان من السحر
حري بان تسمو نعم كل بارع ... اطار وما رسم الزجاجة كالبدر
مآل ذوي الاداب رد لعلمكم ... شهيد فم بالسبق في السر والجهر
يمدك بالاشواق مداحا مع الثنا ... اسير هواكم ما سلا مدة العمر
دها حبك المشتاق عهد من النوى ... يسد وان لم ابد واجبكم عذري

وهكذا تستطيع هذم « الخالية » التي هي أقرب الى الاحاجي منها الى الشعر ان تملأ الدنيا في ذلك الوقت وتشغل الناس .

وسنتكلم في العدد المقبل على بقية شعراء القرن الماضي تمهيدا للكلام على الشعر اللبناني الحديث .

سامي مكارم

والتي تزود الشخص بقوة العلم وقدرة التغلب على مشكلات الناس وصعوبات الطبيعة بالتنبؤ العلمي . والناس في هلاك لاندفاعهم نحو رغبات معينة تدور حول الاكل والجنس ولا تتعداها نحو العلم والمعرفة . ان انعدام رغبة الاطلاع على الجديد من المعلومات واسرار الكون هو الذي اوقع الناس في الفراغ ودفعهم الى البحث عن وسائل التسلية والرجوع الى مرحلة الرغبات الطفلية . وهذه الكارثة النفسية سبب الكوارث الصحية والاقتصادية والسياسية اذ مكن الانسان البعض من استغلال هذه الرغبات الطفلية باغرائها . فانك ترى اليوم المجلات والكتب التي كان المطلوب منها ترقية الانسان وتنمية عقله تنزل الى مستواه باستعمال الالوان الجذابة والصور المثيرة للنفس

وهنا نتحدث عن مراحل الرغبة الجنسية هذه الرغبة التي تعرضت الى تناقضات غريبة وحار الناس في امرها فتارة يحاربونها حربا عنيفة وتارة يثيرونها اثارة قبيحة . اننا نخفي امرها عن الاطفال بطريقة تنبههم الى البحث عن اسرارها . ويبحثون وحدهم عن هذا السر وكل منا يصل اليه بالصدفة المؤلمة . فلا نزال ضعافا بمحاولة اخفاء ما لا يخفى وتحكى للاطفال حكايات سخيفة لتبعدهم عن الحقيقة . وهنا اذكر قصة الطفل الذي تبجح امام طفل اخر اصغر منه قائلا انا اعرف ماذا يفعل الاهل لكي يأتي طفل جديد فرد عليه الاخر انا اعرف ماذا يفعلون ليمنعوه من ان يأتي ... وكلنا نتحدث عن ازمة المراهقة ولكنا لا نتحرك لننقذ الشبان من هذه الازمة الخطيرة التي تصادف الشاب في اعز اوقات تكوينه الجسمي والذهني . تقوم القيامة ان اختفى نوع من الاكل او الخضار وتتدخل الحكومة لترضي الجمهور الثائر ، وتقوم الضجة لان سياسيا مات او خسر ما خسره خصمه بالامس ولكنا لا نتحرك ولا نبالي بما يعانيه الشباب من صراع في الخفاء . وكل ذلك لاننا لم نحدد موقفنا من مراحل الرغبة الجنسية ولم نعلم الشاب اهم شيء في الحياة يتعلق بصحته ونومه وذهنه ومركزه ومستقبله . يعلمه الزميل الاكبر في خفايا الظلام متأثرا بشهواته المكبوتة ، يعلمه الخوف من الكبت المتضارب مع الخوف من الامراض السرية ، يقع في نهاية الامر في الحيرة المهلكة للاستقرار ، القاضية على الشعور بالجمال . ويقع في الشعور بالذنب الذي يجعله يحكم على نفسه بالذل ويرضى بالقليل وتموت في نفسه دوافع الطموح

وقام بعض الصحفيين في مصر باستفتاء خاص عن موضوع البغاء والح علي الصحفيون في السؤال حول هذا الموضوع لاقول رأيي بصراحة ورفضت الاجابة على اساس ان السؤال خاطيء . فالحل لا يكون باخفاء المشكلة . فان الشخص الذي يبدأ يفقد بصره ويطفيء النور لايمكنه ان يسترجع بصره بالعلاج والوقوف على سبب مرضه ، ان المشكلة ترجع الى اجيال قديمة وهي تحتاج الى شجاعة في البحث وصراحة في القول وجرأة في الفعل .

ان الرغبة الجنسية موجودة بوجود الانسان وتتطور معه حسب مراحل معينة خاصة بها . فيجب ان نحترمها ونتيح لها سبل النمو في الحدود المعقولة ولا نعرض الشباب الى الوقوع في زيادة شدتها والا فقد السيطرة ووقع في الصراع المهلك او الاسراف المفسد ، ان الرغبة الجنسية مرتبطة بالغذاء فان زاد زادت بصفة تلقائية وان نقص نزلت حدتها . فالاب الذي يغذي ابنه باسراف يعرضه الى الوقوع في اقوى مرحلة من مراحل الرغبة الجنسيه ويجعلها مشرفة على النهاية وتطلب اتصالا جنسيا سريعا ومن هنا تأتي الافعال الخطيرة . ويظهر الشذوذ الغريب . فانك لا ترى شخصا زائد السمنة ومتوفر الغذاء بلا قيد ولا شرط الا وتحكم انه معرض الى شدة وطأة الجنس وانه يعاني صراعا ان كان متدينا او يتعرض الى حلول خاصة به ولا يمنع مرض السكر ظهور الرغبة رغم اضعافه القدرة على القيام بالفعل قياما طبيعيا يحدث الارضاء . وهذه المشكلة الجسمية النفسية تنقلب الى مشكلة اجتماعية اذ كثيرا ما يهجر الشخص المريض بالسكر زوجته لشعوره بالضعف في المراحل الاخيرة من الرغبة الجنسية وكثيرا ما يحدث ذلك اصابته بداء الغيرة الحادة والشك في اصدقائه وسلوك زوجته .

واعتقد ان دراسة مراحل الرغبة الجنسية وصلتها بمراحل رغبة الغذاء يفتح امامنا بابا واسعا للاصلاح وانقاذ نفوس عديدة من العذاب المر الذي يعانيه بعض الناس في الخفاء . ويمكننا بلا شك ان نصل يوما الى احداث الغيرة وخلق الانسان المتزن المسيطر على اعصابه بتنظيم الرغبات وعدم محاربتها من ناحية واثارتها من ناحية اخرى . ان المسؤولين لا يقبلون تعذيب الناس ولا شك ان نيتهم سليمة ولكن كيف يمكنهم ان يعلموا ان تشجيع الغذاء بصفة زائدة عن الحد يتلف رغبة الاكل الطبيعية الحارسة على صحة الجسم ويعرض رغبة الجنس الى الفوران بشدة ، ويفسدها في مرحلتها الاخيرة وفي علاقة الزوج بزوجته اذ يصبح الفعل الجنسي سريعا ويوقع الزوج في شعور بالنقص امام زوجته ويعرض الزوجة الى عذاب عصبي نفسي .

هذه حقائق علمية يحتاج اليها الناس في حياتهم اليومية ويحتاج اليها الحاكم في اعماله التشريعية وتساعد المربي على توجيه النشء الاتجاه المؤدي الى تقدير الجمال بحرية والاقبال على الحياة في كل مظاهرها دون الوقوع فريسة لمظهر واحد من مظاهرها المتكاملة . اني لا امنع اي شخص من اي رغبة فعلية شرط ان يعرف كيف يحافظ على التوازن بها لكي يكون هادئا مكتفيا غير مندفع بشدة الى ناحية ثانية تبعده عن الاتصال بالجمال المطلق في الطبيعة كلها وما تقدير جمال الانسان في المرأة والرجل الا مرحلة من مراحل النمو للوصول الى اجواء عليا من الجمال . ان كل الرغبات التي تبدأ بالمحافظة على الحياة وعلى الصحة تنفع لتحقيق الشعور بجمال كامل تتداخل فيه الاشكال السمعية والبصرية واللمسية وغيرها . وأرى ان اكبر لذة في الحياة حقا هي عندما يعثر الشخص على شخص اخر يشاركه انواع الجمال وتكون النعمة العظمى عندما يصادف الرجل المرأة التي تخضع لمراحل الرغبات تصل بها الى الاحساس الخالد بالجمال الذي ينتقل من شكل الى شكل ويستمر من لحظة الى اخرى .

القاهرة **ابو مدين الشافعي**

ليلـة الجـبل

٥

صعدتُ بكِ الجبل لانّه كبير مثلك
فيه من « قريتكِ » لون ، ومن حبّكِ الف لونٍ ولون:
هيكلٌ قدّستهُ أنفاسُ الطبيعة
معبدٌ مضمّخٌ بالبخور والايمان: ...

* * *

وكنتِ الى جانبي تخنقين في الحنجرة الكلمات:
وتموتُ الابتسامة ، هزيلةً على شفتيكِ ...
وكنتِ تتألمين ...
للالم لغة اروعُ حروفها الصمت
وكنتِ في الحروف أروعَ ما في الحروف!...

* * *

وكنتُ بقربكِ ... « بعيداً بعداً؟ ... »
ألا ما اقربَ هذا البعد البعيد ! ...
وكيف لا يقتربُ البعيد ويتلاشى في ملاوي الجبل
وكنتُ الهمسة في شفتيك ، والرفّة في عينيك !
والخفقة النابضة يرتعشُ بها فؤادك !
ولتقمْ بيني وبينكِ تلالٌ من الجبال ...

* * *

هدّك المرض ! وأنتِ اقوى من المرض ؟ ...
شلّت يداه .. بأي عين ، وبأي قلب ؟
ولتسلم العين والقلب :
عينٌ يتسلسل منها الضياءُ حبّاً ...
وقلبٌ يغفو الربيعُ في حبّاته ...

موسى سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في القومية

بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج

○

١ ـ في المجتمعية

ان اول ما يبرز لنا (١) ، في نظرنا الى الانسان ، هو انه كائن مجتمعي . قلت مجتمعي ولم اقل اجتماعي لان الفرق بينهما كبير . الاجتماعية صفة مزاجية يتحلى بها البعض من الناس ، ولا يتحلى بها البعض الاخر . وهي تقوم على الاستئناس والمؤانسة ... الاستئناس بالغير ومؤانسة الغير . الانسان الاجتماعي هو الذي يرحب دائما بالاخرين، وعلى شفتيه كلام التأهيل والتسهيل ... هو الذي يرغب الناس في ان يروه بين ظهرانيهم ، ويرغب هو ايضا في ان يراهم معه ... هو الذي يميل دائما الى مجاورة الغير ، فيتردد على المجالس ، ويتداول فيها الاحاديث مع الاخرين. هو الذي يمقت الانزواء ، ويكره السكوت ، ويحب ربط العلاقات الطيبة مع سواه ... هو الذي ينشرح صدره لمرأى الجار ، ويهش ، ويبش ، فتنبسط سرائر وجهه ، ويبسم ثغره ، ويعذب حديثه، وتحلو ضيافته. الاجتماعية حالة خلقية ، وهي عكس الانفرادية . فمن الناس من يحن بشدة الى ملاقات الغير ، لهذا يستروح الاجتماعات . ومن الناس من ينفر بشدة ، من ملاقاة الغير ، الا في الوقت الواجب ، لهذا يبتعد عن الاجتماعات ... الانسان الاجتماعي انسان انيس . انسان يحب كثيرا جلاس الاندية والحلقات . انسان يرغب جدا في ان يزور وان يزار . وبكلمة واحدة هو غير المتوحش .

الانسان المجتمعي اغور فحوى من الانسان الاجتماعي. المجتمعية 'بعد' كينوني ، لا صفة مزاجية او حالة خلقية ، لانها تتناول جميع الناس دون تمييز او استثناء . هي كائنة في قرارة كل واحد من البشر ، اجتماعيا كان ام متوحشا ، بسبب كونها محضا من المحاض البديهية في نفس الانسان. وهي تقوم على ان الانسان مفلوق الوجدان اصلا ... ثنائية ... اي ان فيه انسانا حاملا وانسانا محمولا . ان كلمة انسان هي مثنى انس . وانس لفظة مفردة مثناها انسان . في كل انسان (بمعنى المفرد) انسان (بمعنى المثنى . لا انسان بانسيين ... انس مخاطب وانس مخاطب ... انس فاعل وانس مفعول . وهذا يعني ان الانسان المجتمعي ـ سواء كان في عزلة عن الناس ، او بين ظهرانيهم ـ هو دائما حيال الغير ... هو دائما ذو انسين ، انس يتحدث وانس يصغي . هذا الغير قد يكون في الخارج (ذلك هو المجتمع البراني) وقد يكون في الداخل (ذلك هو المجتمع الجواني) . قد يكون بطرس الجالس ازائي ، في حديث معي فوق الصخرة المشرفة على الوادي . وقد يكون انا بالذات ، في حديث باطني ، بيني وبين نفسي . الاعتزال عن الاخر هو عينه اجتماع بالذات . هذا وقد دلت جميع الابحاث النفسية ، المرضية منها واللامرضية ، الى ان الانسان ذو حدين ، اما ان يكون بازاء الاخر الكائن في الخارج ، واما ان يكون بازاء ذاته الكائنة في الداخل . اذن الانسان دائما ازاء ثان تلك الازائية بعد من ابعاد الوجدان الكينونية . وقد استطاعت اللغة ان تشير بوضوح الى هذه الازائية المركوزة في قاعنا الادمي . نقول مثلا انعكف على ذاته ... خاطب ذاته ... اندفع نحو ذاته ... آب الى نفسه ... بينه وبين نفسه .. تساءل عن الامر الفلاني.. همس في بعض ذاته ... لام نفسه ... الى ما هنالك من عديد الصيغ اللغوية التي تفيد ان الانسان ثنائي الكيان في العالم الجواني ، وان لم يكن ماثلا حيال اخر في العالم البراني . وهكذا يصبح الانسان مجتمعا في ذات نفسه ، وتصبح العزلة فكرة خاوية ، لا وجود لها البتة . ان الانسان في مشافهة دائمة مع اخر ، قد يكون سواه ، وقد يكون هو ذاته . الانسان يحمل فيه باستمرار عشيرا صامتا. وبذلك يزول الفرد بمعنى الواحد الاحد .

اجل ، الانسان مغمور اصلا بالمجتمعية . هو محاط كينونيا بوجود غيري ، كيفما اتجه ، وحيثما كان . وقد غدت هذه الغيرية احد الابواب الاولية في الفلسفة الوجودية الحديثة ، التي اهتمت كثيرا بتحديد الانسان كائنا ـ في ـ المجتمع . المجتمعية شرش لصيق بفطرة الانسان . ولكن الفلاسفة المتبرجعين لم يعتبروا المجتمع الا كمائق في سبيل ادراك حقيقة الانسان ... او في سبيل ادراك الانسان ذاته ، لان الغيرية تعني حرمان الانسان فرديته ، حسب ما يعتقدون ، عن طريق اناخته لنظام خارجي . وهكذا لا يعود حرا ان يفعل ما يشاء كما يشاء . وقد جاء التنسك ، الذي طغى على المفكرين ، في الازمنة الماضية ـ سيما القرن الوسيط ـ امتدادا لهذا الميل الانعزالي . اما خطأ هذه النزعة التنسكية فهو يقوم على انها لم تميز بين الانسان الاجتماعي L'homme sociable والانسان المجتمعي L'homme social غاب عن بالها ان الانسان لا يصير مجتمعيا بسبب وجوده في المجتمع ، ولكنه موجود في المجتمع بسبب كونه مجتمعيا بالاساس .

هنا يحسن بنا ان نفرق بين الفرد والشخص . الفرد هو انسان مرصوص ، او متكاثف تراكم بعضه فوق بعض ، دون ان يترك فيه مسحب هوائي . هو تركيز جلمودي لا يتنوع . لا مسافة بينه وبين نفسه . هذا الانسان الملصوق بذاته يمثل احط معاني الانسان .. يمثل الانانية . هو الانسان ، وقد كاد ان يكون فقط لحما ودما . بينه وبين بدنه سماكة ظل . اما الشخص فهو انسان مندوف . اي شفاف يتراءى من بعيد ، بفضل النفق الهوائي الذي ترك فيه . هو اثنان لا واحد . ان فعل شخص متعد ، لانه يحمل فيه معنى الانفتاح ، والارتفاع ، والانتقال الى الخارج. يقال شخص بصره ، اي فتح عينيه ، ورفعهما الى السماء . وشخص من بلد الى بلد ، اي ذهب من بلد الى بلد . شخصت اليه ، اي ذهبت اليه . نقول اذن بان الفردية هي الانسان قبل ان يهجر ذاته الواطية ، وبان الشخصية هي الانسان بعد ان يؤوب الى ذاته العالية ، عن طريق الغير . الفردية حركة جاذبة ، يهبط بها الانسان الى تحت .

(١) هذا هو الفصل الاول من كتاب الدكتور كمال يوسف الحاج « في القومية والانسانية » الذي سيصدر في منشورات عويدات .

الشخصية حركة طاردة ، يرتفع بها الى فوق . الفردية حالة انكماشية ، تبتعد عن الغير ، لتموت مرصوصة كالمادة. الشخصية حالة انفلاشية ، تقترب من الغير ، لتنشرح نامية كالروح .

والحقيقة ان انية الانا لا تبرز واضحة ، الى ذاتها ، الا في تخاطب مع انية الانت . بهذه المخاطبة تخرج الانا من ذاتها الوضيعة (تلك هي الفردية) لتعود الى ذاتها الرفيعة عودة احق واصوب (تلك هي الشخصية) . ولا شيء يعين الانا على هذه الحركة الجدلية ، مدا وجزرا ـ بينها وبين ذاتها ـ الا وجود الغير حيالها . لهذا كانت الانا تحمل بين جنبيها منذ النبضة الاولى ، قابلية الاجتماع بالغير مجتمعيا. ان الانا مندفعة بالطبع نحو الانت لتكون حقيقة انيتها . يعني ان الحياة الاجتماعية هي امتداد للحياة المجتمعية . المجتمع ، بمفهومه المجتمعي ، يحيط اذن بالانسان دائمًا ، اينما كان واني كان . وبعبارة اوضح نقول يتشخصن الإنسان بمقدار ما يتجمعن . وقد تراكضت جميع الابحاث، في علم النفس Psychologie وتحليل النفس Psychanalyse وما يمكن تسميته، في لغتنا العربية، بالمظهرية Phénoménologie نحو اقرار هذه الثنائية لدى الانسان ، فاثبتت نهائيا ان الانسان يشحن في ذاته مجتمعا بالقوة ، وان كان في عزلة تامة . وذلك يعني انه لا يستطيع ان يفر من وجود الغير ازاءه . هذا الغير قابع في جبلته البشرية ... في قاع لطيفته . من العبث اذن طرده ، او خنقه ، او اعتزاله . ان عملا كهذا مبطل لذاته تماما . هو انتحار كيوني في الاساس . يبقى ان نتساءل عن اسباب هذه المجتمعية . ما هي دوافعها ؟

يقول ابن خلدون ، في مقدمته ، ان بقاء الانسان لا يصح الا بالغذاء . لولا الغذاء ما نما الجسم البشري . ولكن قدرة الواحد من الناس قاصرة على ايجاد تلك الضرورة الغذائية . فان اقل ما يمكن فرضه ، وهو غذاء يوم من الحنطة ، لا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن ، والعجن ، والطبخ . وكل علاج لا يتم الا بصناعات متعددة من حداد ، ونجار ، وفاخوري . اذن ينبغي اجتماع القدر الكثيرة ، من ابناء الجنس البشري ، ليحضر قوت انسان واحد. التعاون، والحالة هذه ، ضروري ... وقد ذكر ابن خلدون داعيا اخر للاستعانة بابناء الجنس البشري . هذا الداعي هو الدفاع ضد الحيوانات . يقول بان قدرة حظ الكثير من الحيوانات العجم اكمل من حظ الانسان . قدرة الفرس اعظم بكثير من قدرة الانسان. وهكذا قدر ةالحمار، والثور، والاسد ، والفيل ، هي اضعاف قدرته . ولذلك عجزت قدرة واحد من البشرعن ان تقاوم قدرةواحد من الحيوانات العجم ، سيما المفترسة . هو عاجز عن مدافعتها وحده ، حتى مستعينا بالالات المعدة لها . اذن لا بد من طلب المعونة، التي بدونها لا يحصل قوت او غذاء ، ولا يحدث الدفاع ضد الحيوانات .

الى هنا ونحن مع ابن خلدون . ولكن غاب عن خاطر هذا العالم الاجتماعي سبب اخر ، هو غير الجسم ، يعود الى اندفاع النفس (نفسيا) نحو وجود الغير . للنفس حالات تريد ، هي ايضا ، ان تحصل على غذاء لها وان تدفع عن ذاتها . حالات النفس لا يمكن انماؤها الا بالتعاون مع وجود الاخر . بغير ذلك يدب فيها الخراب ، فتتهافت ، وتنعدم . فهي مدفوعة اصلا الى شبح دائم ، اي الى اندفاع مستمر نحو الغير . جميع حالاتها عبر ذاتي الى موضوع خارج عنها ، وان في داخلها . عين عينها ان تكون حالاتها عينها . وكل حالة وجدانية تقوم على حامل ومحمول ، اي على ذات وموضوع . كل حالة وجدانية ثنائية الكيان . الحب مثلا يستلزم محبا ومحبوبا . لا حب ، بمعنى نفسي، من جهة المحب فقط . ان الحب حركة جدلية بين ذات محبة وموضوع محبوب . هو تبادل عاطفة جاذبة بين فاعل محب ومفعول محبوب . ولولا المحبوب ما كان حب المحب . قد يخفق هذا الشاب في حبه لتلك الفتاة التي لم تبادله العاطفة . ولكن ذلك لا يعني ان حبه لا يندفع دائما نحو محبوب . اتفق ان تلك الفتاة ليست ذلك المحبوب المرغوب . اما المحبوب فهو كائن ... كائن بالقوة في عالم الغيب . ما زال مجهولا يبحث عنه . وسيأتي يوم يتلائم فيه مع الواقع ، فيبرز الى حيز الوجود ، حينذاك تمتلىء به عاطفة المحب . فعدم تبادل الوجد في العالم البراني ، بين الشاب الذي يحب والفتاة التي لا تحب ، لا يفيد ان حب المحب ليس شبحا ذاتيا نحو موضوع محبوب. هذا الموضوع المحبوب قائم ، وانما في غير هذه الفتاة . ما برح في الآتي . المحب الفاشل ذات محبة توهمت ان موضوعها المحبوب قد تجسم في فتاة معينة ، فلم يتلائم الموضوع مع الواقع ، ولذاكانت الخيبة المؤلمة . الخيبة الوجدانية ليست عدم وجود موضوع حيال الذات ، بل عدم صيرورة الموضوع واقعا كثيفا ، يأتي تكملة نفسية . ذلك هو الفارق بين الوهم والحقيقة . الوهم شبح ذاتي نحو موضوع لم يتحقق في عالم الوجود .

وهكذا قل عن كل حالة نفسية .. البغض ، الرحمة ، الامومة ، الابوة ، الزوجية ، الى ما هنالك من حالات نفسية ... لا تقوم الا على حامل ومحمول .. اي على انا حاملة وانت محمولة ، هي ايضا انا حاملة من جهة ذاتها . لا مجال في وجدان الانسان لحالة نفسية ، اذا كانت لاتحمل في ثناياها الموضوع الذي تشبح نحوه فطرة . اذن كل حالة نفسية هي ذات غامرة وموضوع مغمور . هي عاجن ومعجون . لا محب بدون محبوب . لا مبغض بدون مبغوض . لا رحيم بدون مرحوم . ان كل حالة نفسية تشتمل ، بالقوة ، على محمولها الذي هو تكملة لها ، اذا تحقق في الخارج ... تشتمل على ذات محيطة وموضوع محاط به . يعني ان كل حالة وجدانية هي حوار ، لان علاقة الذات بالموضوع ليست علاقة غريب بغريب ، بل علاقة اثنين متجانسين ، فيما بينهما ، رغم اختلاف الاول عن الثاني . ومن هنا كان التشابه ، ايضا ، بين الذات والموضوع ـ من حيث الجوهر ـ كما قال الحلاج في محبوبه :

روحه روحي وروحي روحه ان يشا شئت وان شئت يشا

او كما قال :

جبلت روحك في روحي كما تجبل العنبر بالمسك الفتق
فاذا مسك شيء مسني فاذا انت انا لا نفترق

اذا رجعنا الى قصة الخليقة ، راينا بصورة واضحة هذه الحاجة الملحة في النفس الى تحقيق المجتمعية في الخارج : نعرف كيف كان ادم غير منشرح ، بادىء بدء في جنة عدن ، رغم تسلطه على جميع الاشجار والحيوانات .

فلا الغذاء كان ينقصه ، ولا الدفاع عن ذاته ضد البهائم ، باعتبار انها لا تفترس . وقد كان ادم قلقا على الرغم من كل ذلك . شعر في قرارة نفسه بالحاجة الى غذاء نفسي يأتيه من شبيه له . أحس بنداء في ذاته الى ذات تحاكيه جوهرا واشتد حنينه الى وصل آدمي ، ما دام يشبح ذاتيا الى موضوع من جنسه في العالم الخارجي . فما كان من الله الا ان اوقع سباتا عليه ، حتى نام . اذ ذاك استل الرب احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم . وهكذا تجسد في الواقع موضوع ذاته . اذ جاءت حواء عظما من عظامه ، ولحما من لحمه . . . اتت عونا له بازائه . حينئذ اطمأن آدم الى نفسه التي لاقت موضوع ذاتها في ذات حواء . . . اي التي لاقت نفسها في حواء . ماذا يعني كل ذلك ؟ يعني ان لطيفة الانسان تحمل نزعة غرزية الى سواها ، كي تكمل نفسيا بنفس غيرها ، والا ظلت ناقصة مبتورة عن نفسها بالذات .

وتزداد تلك النزعة الغرزية نحو الغير كلما ازدادت حرارة الذات ، وجاشت شحناتها الذاتية ، وغلى مرجلها في قرارتها الباطنية . . . كلما اقتربت النفس من نفسها ، فنضجت ، طلبت نفس غير لتبثها حبات نفسها . وهي الحالة عينها التي يعيشها الكثيرون منا في اوج اكتمال حالاتهم الباطنية . ان فعل عبر عن ذاته يحمل فيه معنى الخروج الى جو براني ، وافهام الغير عما يختلج في الداخل الجواني . عبر من جذر عبر . وعبر انتقل من مكان الى مكان . ومنها العبارة ـ او العبّارة ـ التي يراد بها في لغة الكلام الجملة . هذا الانتقال من مكان الى مكان في عالم المادة ، ينقلب انتقالا من حالة الى حالة في عالم النفس . وهو يشتد كلما حبلت الذات بذاتها . ومن هنا الشعور الملح بضرورة ابراز الافكار والعواطف للاخر الذي هو غيرنا. من الصعب ان تتمخض النفس بافكار كبيرة دون ان تشعر بالحاجة الى التعبير عنها للاخرين . لذا لا يمكننا ان نعثر ، بحكم الطبع لا بحكم الظروف ، على انسان لامجتمعي . ذلك الانسان هو كائن ساقط ، او كائن ارفع من النوع الانساني.

٢ ـ في القومية

تلك المجتمعية هي في اساس الشعور القومي ، بل هي عينها الشعور القومي بالذات . لا قومية لو لم يكن الانسان مجتمعيا . ان كلمة قومية مشتقة من قوم . وكلمة قوم هي الجذر الثلاثي الذي يتالف منه فعل استقام . القومية تحمل فيها اذن معنى الاستقامة . القوم ، والحالة ذه ، جماعة من البشر استقامت الروابط فيما بينهم ؛ اي قامت على اساس عصبي محكم . كل قومية هي بالضرورة مجتمع . وليس كل مجتمع قومية بالضرورة . انه اجتماع، بالاحرى ، لا مجتمع . المجتمع يقوم على اندماج اعضائه كيفيا، من اجل هذا اتى عصبيا، الاجتماع يقوم على اختلاط اعضائه كميا ، من اجل هذا لم يأت عصبيا . الاول قومي ، الثاني لا قومي .

لنضرب مثلا على ذلك . . . افراد من السياح تلاقوا مصادفة ، على رصيف ميناء ، في اتجاهات متنوعة خارج البلد . هم يجهلون بعضهم بعضا ، اذ لا تجمعهم قرابة ارض ، ولا اقتصاد ، ولا تاريخ ، ولا لغة . انهم ينتسبون الى عدة اوطان ، وهاهم في غايات سياحية مختلفة . لانستطيع القول بانهم يكونون ، على رصيف الميناء ، مجتمعا قوميا . هم شرذمة افراد . هم قبضة ناس ، فقط ، يجمعهم الكم . لا ارضهم واحدة ، ولا اقتصادهم واحد ، ولا تاريخهم واحد ، ولا لغتهم واحدة . هم يكونون اجتماعا اعضاؤه فسيفسائيون .

ثم اقلعت بهم الباخرة في عرض البحر . وشاءت الظروف ان تجنح السفينة ، بدفع من عواصف هوج ، بعد ان امعنت داخل اليم . وازدادت العواصف شدة ، فاذا بالسفينة تقذف الى جزيرة نائية ، تحطمت هي فوق صخورها ، ونجا من عليها . . . جزيرة نائية لا امل في الرجوع منها ، ولا في متابعة السياحة . وقد اضطر السياح الى اندماج بعضهم ببعض. وتمر السنون بالعشرات والمئات، فاذا بهم وباعقابهم يعالجون ارضا واحدة ، ويمارسون اقتصادا واحدا ، ويسطرون تاريخا واحدا ، ويتكلمون لغة واحدة . لم يعودوا كما ، اي تكدسا يتراكم بدون تداخل حميم . لقد اصبحوا كيفا اي عصبية متعضية . اصبحوا مجتمعا استقامت الروابط فيما بين اعضائه على اساس ارض واحدة ، واقتصاد واحد، وتاريخ واحد، ولغة واحدة. اصبحوا قوما . اذن علاقة الانسان بالانسان ، في المجتمع القومي ، هي اكثر من علاقة برانية ممكنة . هي علاقة جوانية واجبة . . هي نوع من الجبرية الحياتية . انها شبيهة برابطة الرحم .

تبين هذه الجبرية الحياتية ، بادىء بدء ، في اجتماع الاسرة ، اعني في الافعول التناسلي . الاسرة هي الاطار المجتمعي الاول ، الذي يولد فيه الانسان ، فتنشأ له به علاقة الوجه للوجه من الداخل والخارج . هي (اي الاسرة) تتكون من والد ، ووالدة ، واولاد . . . اقصد من جيلين احدهما سلف وثانيهما خلف . وتقوم هذه العلاقة على اساس صلة الرحم . بها يحتفظ النوع البشري من تخريب الزمان . ولذا كانت احد محاض لطيفتنا ، لا نقدران ندوس عليها الا بعلاقة ثانية ، تكون بمثابة توجيه النفس نحو مثال روحي اخر ، هو ايضا اطار مجتمعي .

ويتسع النزوع المجتمعي ، فاذا بنا في هيئة ارحب من الاسرة ، اعني بها العائلة . ان العائلة تستند الى عصبية ، تستمد قوتها هي ايضا من الرحم ، ولكن على نطاق اوسع من نطاق الاسرة . وقد لعبت هذه العصبية دورا هاما في تاريخ الشعوب ، وما زالت عنصرا خطيرا لتكوين المجتمعات البشرية . فهي التي قامت على اساسها ، في الماضي ، دول كبيرة وممالك عظيمة . وما فتئت مروة ذات شأن في التقارب بين الافراد ، وربما بين الامم . هذان المجتمعان ـ اقصد الاسرة والعائلة ـ يمتازان بقوة العصبية الرحمية ، بين الافراد ، وبسطوة استمرارها عبر الزمن .

ويتسع النزوع المجتمعي ، فاذا بنا في القرية ، او المدينة ، ثم الوطن . هذه المجتمعات يمكن اعتبارها ثانوية ، بالنسبة الى منطيق الرحم ، الذي يجعل الاسرة والعائلة مجتمعا اوليا . اما في الثانوية ، فمنطيق الرحم يضعف كثيرا ، بل يمحى ، لانها تقوم في الدرجة الاولى على مصالح الافراد ، بعضهم مع بعض . وهي تتكون من عدة اطر مجتمعية . . . مهني ، وثقافي ، وعسكري ، وقضائي ، واداري ، وديني ، وقومي . ادنى هذه الاطر هو الاطار

المهني . واسمى هذه الاطر هو الاطار القومي او الامة . وهنا نتطارح السؤال التالي : هل يتسع النزوع المجتمعي الى ابعد من الامة ؟ هل ثمة كيان فوقي يسمو على الامة ، ويختلف عنها جوهرا ، فيناصبها العداء ؟ الجواب كلا .

ان التدرج من الاسفل يصل بنا الى الامة التي هي خاتمة السير صعدا ، في الزمان والمكان . هنا يقف المصعد ، اذ لا فوق فوق الامة ، ولا بعد بعد الامة . لا شيء يسمو على الامة ، فيحيز في دائرة عليا . هذا الانسان المثالي اللاقومي ، المجمد في اللازمان واللامكان ، غير كائن حقا . هو من بنات الخيال المتهدل . ان الواقع يتدرج بنا من الاسرة ، الى العائلة ، فالقرية او المدينة ، واخيرا الامة كلها . اما بعد هذا فلا شيء اطلاقا . معناه ان الانسان ابن القومية جبرا ... ابن ارض معينة ، واقتصاد معين ، وتاريخ معين ، ولغة معينة . خارج هذه الاطر المجتمعية ، لا يمكن للانسان ان يتعافى ... ان يتأنسن . لذا من يقل قومية يقل مجرى واحدا من مجاري الحياة . خارج هذا المجرى الواحد ، يتهافت الانسان ، وينعدم . اكثر من ذلك . ان مجرد التفكير بامكان وجود انسان خارج الاطر المجتمعية ، هو افتراض ، ليس الا . لذا لم يعطنا التاريخ حتى الان ، مثلا واحدا عن انسان لا ينتمي الى اسرة ، ولا الى عائلة ، ولا الى قرية او مدينة ، ولا الى وطن ... او عن انسان ينتمي الى كل الاسر ، او الى كل العائلات ، والقرى ، والمدن ، والاوطان . هذا الانسان الوهمي كائن في الحكايات المزعومة ، لا في الواقع المعيوش .

ليسمح لي ، قبل ان آتي بتفصيل على بيان هذا في حينه ، ان اقص ما دفعني الى الايمان بالقومية . هذا الايمان لم يحدث اعتباطيا ، بصورة لا ترتكز على خبرة ايجابية . كان ذلك اثر رغبة مني في نقل احد كتب هنري برغسون الى اللغة العربية . وقد جرى الاحتكاك ، لاول مرة ، بين عربية قلمي وفرنسية انشائه ، فكان الاصطدام عنيفا للغاية . واعني بالاصطدام انني لم اتمكن من سكب الخواطر البرغسونية في ديباجة عربية ، تساوي رفيقتها الفرنسية جمالا وجلالا ، في البلاغة والبيان . وعاودت الكرة مرات ، وفي كل مرة كنت اهزم شر هزيمة . اقول بهذا الصدد ان برغسون من اقدر حملة القلم عند الفرنسيس . لقد كان من ارجلهم بلاغة ، ومن افحلهم بيانا . كان ابرعهم ، واحقهم التماسا للديباجة الكريمة الممتازة . غاص في استخراج ادق المعاني من اوقيانوس الوجدان ، ليلبسها الطف الحلل . ما تعمد الغريب ، يوما ، ولا توخى الالفاظ الناشزة . وذلك لحرص منه على ان يفهم العامة الافكار الفلسفية البعيدة بكلام لا يتوعر ، ولا يتعقد ، ولكنه سهل الاداء مليح الاستعارات .

وكان الاصطدام يتفاقم ، بين عربية قلمي وفرنسية انشائه ، كلما اوغلت في فصول الترجمة ... اي كلما اردت ترجمة كاملة . وقد احسست جليا ، في اخر الامر ، انني عاجز عن بلوغ البلاغة البرغسونية . اذ بان لي ان لا معنى لمعنى جميل لا يكون في مبنى جميل . والمبنى الجميل ذو قالب خاص ، لا يستعاض عنه دون المساس بجوهره . فحواه ان لا وجود لفكرة جميلة خارج المبنى الجميل ، الذي تكون قد انسكبت فيه اولا . من العبث ، والحالة ذه ، ان نطارد فكرا جميلا لا يقوم على ركيزة كلامية . هذا الفكر المطلق ، العام ، الشامل ، غير واقع خارج اللغة . تلك مثالية فواشة . الفكر الكانز هو فكر مكلمن . هو فكر ملسون . هو فكر زاولته حنجرة انسان . الترجمة الكاملة اذن خيانة لجمالية المعنى . انها تغدر بالاصل فتعطله تعطيلا . قد ننقل فكرا صائبا ، ولكننا لن ننقل فكرا جميلا . وعظمة الفكر لا تقوم فقط على صوابية المعنى . انها جمال بيان ، وجلال بلاغة ، لا يمكن صبهما في قوالب عدة ، دون المساس بجوهرهما . هما وقف على لغة واحدة ... اعني على وحدة اللغة الاولى ، التي تندمج بها عضويا الفكرة العظيمة . لا كمال لفكرة عظيمة الا في لغة واحدة (١).

لقد ابانت لي هذه التجربة كون الانسان لا يتحكم ، حتى الخلق ، الا بلسان واحد . ان يحوش عدة السنة ، او كل الالسنة ، حوشا كاملا فهذا من رابع المستحيلات . ان اطلاله على قوة اللغة (التي هي ملكة مطلقة) لا يكون الاذهابا من فعل اللسان (الذي هو تحقيق خاص) . الانسان اذن امتداد لمجرى واحد من مجاري الحياة . هنا ظهر لي ان العام خواء . لا وجود للجوهر الا في الوجود ... لا وجود للعام الا في الخاص . لهذا كان وجود العام في العام وهما لا اساس له . من الباطل اذن ان نسعى خلف انسانية عامة لا تتجسد في قومية خاصة . والقومية هي المناخ ، المادي والنفسي ، الذي ينمو فيه الانسان بشكل صالح . مثل القومية للانسان كمثل الهواء ، والشمس ، والماء ، للنبتة النامية . لا كلية في الشامل . وتاريخ الانسانية ما قام على حضارة واحدة ... اذ لا حضارة عامة ... بل هو مجموع حضارات ، لكل حضارة منها زمان ومكان ، اي اطلال خاص على المطلق العام .

قلت ان معضلة اللغة هي التي كشفت لي النقاب عن حقيقة القومية ... هي التي حدتني ، بعد تجربة قاسية عنيفة ، على الايمان بواقع القومية . لا انسانية الا في بدء من القومية . ولكن القومية ليست عملا تعسفيا ... اي كيفمكان . القومية لا تفبرك ، ولا تصطنع . ان لها شيئا من الابوة علينا . وهذا يعني انها تفرض . لذا كان التحكم بها وليد خضوع لناموسها . لقد رأينا كيف انها تقوم على واقع اللغة . وما اللغة الا احد مداميكها الاربعة . مثل القومية كمثل الانسان عينه . هي ملتقى خطين عريضين ... احدهما مادي ينبثق من المكان ، وثانيهما نفسي ينبثق من الزمان . المادي منهما يعود الى الارض والاقتصاد ... النفسي منهما يعود الى التاريخ واللغة . هذه المداميك الاربعة ــ الارض ، والاقتصاد ، والتاريخ ، واللغة ــ وحدة عضوية لا تتجزأ ، ولا يمكن تجزئتها . ومن هنا خطورة كل مدماك منها في تكوين الشعور بالقومية . لذا نخطىء كثيرا اذا احتقرنا بعضها في سبيل البعض الاخر ... ونخطىء اكثر يوم نصنفها الى واقع اول ، فثان ، فثالث ، فرابع . ذلك لانها تتوازى قيمة . نحن امام عقد متماسكة الحلقات ، لا نقدر على القول اية حلقة تأتي الاولى في الخطورة . لذا كانت من صميم الحياة ... كانت من اعماق وجودنا العضوي ... كانت تتجاوز مشيئتنا الفردية .

(١) راجع كتابنا « فلسفة اللغة » .

٣ ـ عنـاصر القوميـة

أ ـ الارض

الارض

المقصودة هنا هي الاطار الخارجي . هذه الارض ذات أثر بعيد في تكوين مزاج الانسان ، وطبعه ، وبالتالي في تعيين براويز قوميته . ذلك لان وجودنا في الارض ليس احتكاكا برانيا بها . هو اندماج وتزاوج . لذا يصعب جدا ان نقول أين ينتهي الانسان وتبتدىء الارض . . أين ينتهي كيان الوجدان ويبتدىء كيان المادة . من اجل هذا كان وجودنا في الارض وجودا مفعولا ... اقصد ان الارض ذات كلمة واضحة في بناء مزاجنا .

لا نعتقد ان هناك من فاق ابن خلدون براعة في تقرير أثر الارض في مزاج الانسان . لقد اظهر كيف ان الهواء ذو فعالية في تكوين خلق البشر . فمن خلق البلاد الحارة ـ مثلا ـ الخفة ، والطيش ، وكثرة الطرب ، والولع بالرقص على كل توقيع . وهذا عائد الى ان الحرارة مفشية للهواء في الروح الحيواني ، ومسببة بذلك الفرح والسرور . مثل هذا كمثل المتنعمين بالحمامات ، اذا تنفسوا في هوائها ، واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم ، وتسخنت ، فانه يحدث لهم الفرح ... وربما انبعث الكثير منهم بالفناء الناشىء عن السرور .

لا شك في ان مناخ الارض يفعل ، الى حد بعيد ، في تكييف مزاج الانسان . ان ساكن الريف غير ساكن المدينة . وساكن الشواطىء غير ساكن الجبال . وساكن البلاد الحارة غير ساكن البلاد الباردة . ان ارضا جميلة المناظر ، ترقق الحس ، وتلطف الذوق ، فيشتد طلب الاحسن والاكمل . هذه البيانات تسبب فروقات حضارية ، لان الشعب الذي تحيط به ارض جميلة خصبة ، هو من حيث الذهن غير الشعب الذي تحيط به ارض قاسية مجدبة . انه يفوق فنا

وقد ذهب ابن خلدون الى اعتبار الارض ذات اقاليم سبعة ، لم يزدهر العمران الا في الوسط منها ، لافراط حر الجنوب وبرد الشمال . في هذين الاقليمين لا تنبت الارض زرعا ، ولا تنتعش الحياة عموما . لذا لا نجد عمرانا في اقليمي الجنوب والشمال ... ان النفس البشرية لا تستطيع النمو فيهما ، لانهما بعيدان عن الاعتدال . من اجل هذا كان الاعتدال صفة كل ما يتكون في الاقاليم الثلاثة المتوسطة . هنا تنشأ العلوم ، والصنائع ، والمباني ، والملابس ، والاقوات ، والفواكه ، بل والحيوانات . هنا ايضا نرى البشر اعدل اجساما ، والوانا ، واخلاقا ، واديانا . حتى النبوءات ، في نظر ابن خلدون ، هي من بنات الاقاليم الثلاثة المتوسطة . وعدم وقوفنا على خبر بعثة في اقليمي الجنوب والشمال ، سببه ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكمل النوع البشري في خلقهم واخلاقهم .

ولا يقف اثر الارض عند المناخ . هناك نواح اخرى اماط اللثام عنها بعض المشتغلين بتاريخ الامم . فقد تقسم الشعوب ، وفق الارض ايضا ، الى صناعية وزراعية .. الى بحرية وبرية ... مما يجعل الدفاع عن ارض الوطن شيئا مقدسا لدى الشعوب . هذا الدفاع هو احد المعطيات البديهية ، التي تقوم عليها شخصية الانسان . فاذا انهارت ركيزة الارض ، انهارت العمارة القومية ، لان السماء التي لا ترتفع على دعائم في الارض هي ليست بسماء ... يبقى ان وجود الانسان في الارض ليس وجودا مفعولا فقط . انه وجود فاعل ايضا وخصوصا . يعني ان الانسان لايكتفي بتأثير الارض فيه ، بل يمد يده اليها ، فيبدل ، ويغير ، ويستحدث . وجود الانسان في الارض يسبب تفاعلا من من الجهتين معا ... من الارض في اتجاه الانسان ، ومن الانسان في اتجاه الارض . هذا التفاعل ، بين الارض والانسان ، هو الطبيعة . الطبيعة في عرفنا ، ليست الارض وحدها . هي الارض والانسان معا . الانسان لا يتأثر بالارض فقط . ان الارض تتأثر به ايضا . فقد ظل تحت رحمتها ، تتصرف به كما تريد ، الى اليوم الذي بدأ فيه النظام الزراعي . يومذاك اغار عليها ، وعمل فيها مشيئته . هذا الفعل في الارض ، من قبل الانسان ، هو ما يسمى بالاقتصاد .

ب ـ الاقتصـاد

الاقتصاد

شيء بديهي في حياة الانسان ، لان الجسم بحاجة الى الاستمرار ، ولا استمرار له الا بما يكون من جنسه ، أي بمادة الارض الخارجية . الجسم صنو الارض . اذن هناك الانسان طالب الغذاء ، وهناك الارض معطية الغذاء ... ولكن وجود الانسان والارض ، الواحد تجاه الاخرى ، لا يكفي ليحصل الاقتصاد . ان للمادة ، التي تسد حاجة الانسان ، شرطين يجب ان يتوافرا فيها ، كي تصبح اقتصادا ... أي كي تصبح مادة اقتصادية هذان الشرطان هما اللذان يربطانها بالانسان ، ويدخلانها في منطقة نفوذه . وبكلمة هما اللذان يؤنسانها ، والا يبطل اعتبارها اقتصادا . الاقتصاد اذن ذو صبغة انسانية .

الشرط الاول ان تكون المادة صالحة لسد حاجة الجسم البشري . ان المادة التي لا تسد حاجة ، من حاجات الجسم البشري ، لا تكون نافعة له ... وبالتالي لا تعد اقتصادا . لا ذووية اقتصادية للمادة بمعزل عن الانسان . ثروتها الاقتصادية في ان تبتدىء من الانسان . لا شك انه لا يوجد شيء ، في الكون ، غير مفيد للانسان . اذ ما خلق شيء عبثا . ولكن الانسان ما زال يجهل القسم الاكبر من الاشياء التي تحيط به ، وهكذا يحرم الافادة منه . ان شيئا لا يفيد الانسان هو شيء غير اقتصادي . لقد كان الانسان يجهل ان السموم ذات منفعة ، تسد من حاجات الجسم ، ولهذا لم تدخل تلك المادة في حدود الاقتصاد . ولما اكتشف اثرا لها في الشفاء والتحصين من الامراض ، عن طريق حقن الجسم بها ، دخلت في حدود الاقتصاد ، واعتبرت من الثروات ذات القيمة .

الشرط الثاني يقوم على ان تكون المادة بحاجة الى المعالجة ... أي الى مجهود يبذله الانسان . ان الهواء الطلق الذي نتنفسه ليس بالمادة الاقتصادية . ذلك لانه لا يحتاج الى معالجة . وهكذا قل عن اشعة الشمس التي هي مصدر ضوء وحرارة . انها من غير باب الاقتصاد . ولكن هواء التنفس الذي نحتاج اليه في المناجم ، والغواصات ، والكمامات الواقية من الغازات الفتاكة ، يعتبر ثروة ... أي مادة اقتصادية . ومن هنا ضرورة تدخل الانسان ، في معالجة المادة ، لتصبح بابا من ابواب الاقتصاد . لذا ليس غريبا في شيء ان نرى بعض علماء الاقتصاد يشددون كثيرا على هذا الواقع ، اذ من المستحيل ان يؤمن الانسان عيشه

الصغار

٥

في عيون الصغار اغنية العُرب ... ودرب العقيقِ والامطارِ
ما أحيلاهُم اذا انشقَّ عن ... سقسقةٍ ثغرهم فغار الكناري
يتلهَّون بالحروف الغنيَّات ... تلهِّي نيسان بالازرار
يرفعون الجبين للشمس كي ... تنسج منه ثوب السنا المعطار
ويمدُّون للنجوم أكفًّا ... خيِّرات لم تقترف أي عار
في أراجيحهم يرفُّ ربيع ... اخضر العطر ، اخضر الازهار
في خُطاهم ، في قفزهم ، ألفُ ... شلاَّل صباح يصبُّ في أغواري
ملء اشواقهم براءة شعبي ... ملء ضحكاتهم عبير دياري
عندما يعبسون ينعقد الضوء ... ظلاما على جفون النهار
عندما يشردون تنسرح الآه ... المدمَّاة من فم المزمار
لا تغنَّيتَ يا وجود اذا ما ... جفنهم فاض بالدموع الغزار

★ ★ ★

في عيون الصغار اغنية العُرب ... ودرب العقيقِ والامطارِ
فغدي في ظلالهم باسم يرفل ... بالكبر والندى والفخار

حلب — علي الزبيق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا بالاقتصاد .

والاقتصاد على انواع كما ان الارض على انواع . الاقتصاد على انواع لان الثروات على انواع . من الواجب اذن ان يكون نسق احتكاك الانسان بالارض على انواع ايضا . أجل الاقتصاد يتنوع. ولا شك في ان الامم تختلف باختلاف اقتصادياتها ... اي باختلاف طرق معاشها . وهذا يعني ان وحدة الاقتصاد تخلق نظاما يعتاده الشعب ، ويألفه ، لانه ينسجم مع مزاجه ، وقد يكون علة مزاجه ، وبذلك يوقظ فيه نمطا من الشعور الذي يغدو على كر السنين من صلب كيانه . من هنا الفارق الاقتصادي بين المستعمِر والمستعمَر . الاول لا يتصرف حيال الارض كما يتصرف الثاني ... ولا يتصرف اقتصاديا حيال الثاني ، كما يتصرف هو في وطنه . ان موقفه لموقف الاخذ . من اجل هذا نرى المستعمِر يحاول دائما ان يقضي على النظام الاقتصادي عند المحكوم . لانه متى ذل الشعب ، اقتصاديا، ذل جسميا ، فذل نفسيا . اجل يوم يتصرف المستعمِر اقتصاديا حيال المحكوم تصرف الوطن مع الوطن ، يومذاك يتحدان في شعور قومي واحد . ان الاقتصاد لا يداوى الا بالاقتصاد . اذ القومية ليست شعورا مثاليا ، فقط ، مجردا من كل واقع مادي . مثلهما مثل الانسان المركب من جسم ونفس. لا حياة للجسم الا جسميا . كذلك لا حياة للاقتصاد في القومية الا اقتصاديا . الاقتصاد لا يعالج صوفيا .

ج ـ التاريخ

الارض والاقتصاد يمثلان الطبيعة ، اي الخط المادي المنبثق من المكان . والمكان في حياتنا هو الخط الافقي ، الذي يدل الى رغبة الانسان في الاستقرار . هذا الارتباط الطبيعي (بالارض والاقتصاد) يأخذ طابعا قدسيا يحدو الانسان على الذود عنه بدمه ، اذا اقتضى الامر ، لانه من معطيات اللطيفة البشرية . المكان محض من محاض النفس الانسانية . وهو أحد خطي القومية المتعادلين . ذلك لان الجسم بحاجة الى غذاء ، ومأوى ، وكساء .. وهي حاجات لا يمكن الحصول عليها الا من الطبيعة . لذا كان الجسم ذا

كلمة فاصلة بشأنها . ان القومية ، جوهرا ، تأرْض .

يبقى الخط النفسي المنبثق من الزمان . وهو خط عمودي يقوم على التاريخ واللغة. لنبدأ بالتاريخ. ولااعني بالتاريخ ، ههنا ، سرد الحوادث الماضية . هذا التاريخ مدون في الكتب ، وهو يحتوي على محنطات ، تعود الى العهود السالفة . ان التاريخ المقصود ههنا كيان حي يعيشه الانسان في الحاضر. هو مجموعة قيم تكوّن نظرة المرء في الوجود. هذا التاريخ يحوش، بين دفتيه، روابط المؤسسات الثقافية، كالدين، والاخلاق، والتربية ، والادب ، والفن، والفلسفة ، وما شاع في اذهان الناس من مفاخر ، ومصائب ، وعادات تراثية . هذا التاريخ يكوّن طبع الامة ، نفسيا ، وسمتها الوجداني .

من الخطأ ان ننظر الى هذا التاريخ كماض . انه لمفهوم كلاسي عتيق للتاريخ . الحق ان التاريخ ليس ماضيا ، فقط ، ولا حاضرا ، ولا مستقبلا . اذ من الصعب ان نفصل بوضوح تلك الابعاد الزمنية . التاريخ التاريخ هو مجموع تلك الابعاد كلها في وحدة واحدة لا تتجزأ ، ولا يمكن تجزئتها اطلاقا . هو ذكريات الامة في ماضيها (هذه هي ملكة الذاكرة) . وهو اعمال الامة في الحاضر (هذه هي ملكة الارادة) . وهو آمال الامة في المستقبل (هذه هي ملكة الخيال) . تاريخ الامة هو زمانها الذاهب دوما ، في قناة واحدة ، من السلف الى الخلف . تلك هي الوحدة الثابتة في الديمومة .

هذا التاريخ (المؤلف من المؤسسات الثقافية، والدينية، والاخلاقية ، والتربوية... الخ) هو بمثابة النظرة الفلسفية في الوجود . وليس مثله عروة تشد الافراد بعضهم الى بعض . فمتى انهار تاريخ الامة ، انهارت الامة عينها ... ومتى قويت مساحبه في الزمن قويت مفاصل الامة عينها . معناه ان الانسان يكون كما تكون نظرته الفلسفية في الوجود اذا انحطت النظرة انحط هو ، واذا سمت سما هو . لذا يحاول المستعمر دائما ان يشوه تاريخ المستعمَر ، او ان يقصي اذهان المواطنين عنه ، لينساق المحكوم في مجرى تاريخ الحاكم ، فلا يعود قادرا على استلهام تاريخه . ان الشعب الذي لا يكون له تاريخ ، او الذي ينسى تاريخه ، شبيه بمن لا ظل له . وما اقامة التماثيل ، بغية التجسيد للذكريات الماضية ، الا الاعتراف صراحة بما للتاريخ من كلمة يقولها في اذكاء الشعور القومي .

ان الامم الواعية لا تدرس تاريخها كمعلومات تحفظ غيبا ، بل كمستلزمات لشعور قومي يعاش في الحاضر . هذه الامم ، تحافظ على طبعها في تعهدها التاريخ ، كما تحافظ العذراء على عفافها . ما من شعب اراد ان ينفض عنه كابوس الذل ، ويختط لنفسه الدروب الواسعة التي يريدها حرا ، الا وضرب في طول تاريخه ، وعرضه ، وعمقه ... الا واستصرخ مدافن ابطاله الميامين . هذا مع الاشارة الى ان وحدة التاريخ لا تكون تامة بالتمام في جميع ادوارها . فتاريخ فرنسا لا ينسجم دائما بعضه مع بعض ، في وحدة متماسكة الحلقات . ذلك لان جزءا من مقاطعاتها كان قد حارب الجزء الاخر. وهكذا نرى ان لكل قرية تاريخا، فعندما نتكلم عن وحدة التاريخ يجب ان نفهم وحدة نسبية غالبة ... وحدة النظرة الفلسفية في الوجود ... وحدة تكون هي التي اعطت الامة ركائزها الاساسية ، كثقافتها ، وسياستها ، ودينها ، واخلاقها ، وعاداتها ... الخ .

د ـ اللغة

الارض والاقتصاد ، والتاريخ ، ابعاد ثلاثة يعيشها الانسان فكرا وعملا . ولكن هذا الفكر العامل ، او العمل المفكر ، ليس افعولا صامتا . هو تعبير على صعيد الجسم والذهن معا . هو اندفاع الى الخارج بشكل عمل شحمي ، وبشكل كلمة ملفوظة . اللغة اذن من الوقائع التي تجعل السكان قوما . انها تمثل التراث التاريخي في ذكرياته الماضية وآماله الآتية . وهي للامة بمثابة الوديان ، والجبال، والانهار ، والهواء الذي يتنفسه المواطنون . وكما يتصف الارض ، والاقتصاد ، والتاريخ ، بالواحدية ـ اذ لا قومية الا على اساس عفاف الواحد ـ فاللغة القومية هي ايضا تتصف بالواحدية . لا قومية الا ولها لغة ـ ام واحدة .

ولا اقصد باللغة صرفها، ونحوها، بل التعبير السليقي عن الفطرة الاصيلة . هي لغة التنويمات في الطفولة ، التي يرضعها الوليد مع لبن امه . هي التي تنتقل بها تلك النظرة الفلسفية اللاواعية من السلف الى الخلف عبر الزمان الدائم . هي حافظة التاريخ من الدمار والفناء . هي التي تودع كنوزه . هذه اللغة ذات شخصية فريدة ، وملامح اصيلة ، وخصائص ذاتية ، لا يمكن العثور عليها في غيرها من لغات الارض . هذه اللغة يستحيل تقليدها . ومن هنا كونها تحمل شأن القوم الذي يتكلمها ... أي انها تمثل تاريخه عينه .

كان الامبراطور شارل كان يقول ـ وقد اشتهر بطول باعه في علوم اللغة ـ ينبغي للمرء ان يتحدث بالايطالية الى حبيبته ، والبرتغالية الى الفتيات ، والفرنسية الى اصدقائه، والالمانية الى القطيع ، والانجليزية الى الاوز ، والسويدية الى الحمام ، والهنغارية الى الحصان ، والتشيكية الى ابليس ... الخ . وقد عنى بذلك ان لكل لغة شخصية قومها . فمن الخطأ اعتبار الالفاظ خاوية . هي تحمل في طياتها احداث شعبها التاريخية ، التي قد تفزو سواها ، فتصبح اشارة الى احداث كبرى في التاريخ العالمي .

من طريف ما يحكى ان اللورد ساندويتش، كان شغوفا بالمقامرة ، في القرن الثامن عشر . وقد بلغ شغفه بتلك اللعبة الى درجة لم يعد يجد الوقت اللازم لتناول الطعام ، فكان يستدعي احدا ليجلب له شريحة من اللحم بين قطعتي خبز . هذا هو مصدر كلمة « سندويتش » التي كان يستخدمها العالم كله . وهكذا قل عن كلمة « كحول » العربية الاصل ... وكلمة « شاي » الصينية الاصل . ونحن نعلم ان الشعب ، الذي يفزو شعبا ثانيا ، يدخل الى هذا الاخير منطوق الكلمات ذاتها الدالة على مظاهر حضارته

لذا نقول ان اللغة ـ الام تعين كثيرا على ايقاظ الشعور القومي ، وتكوينه ، وتقويمه . فاذا اختلف الشعور القومي، بين شعب وشعب ، فلان اللغة القومية قد اختلفت . ان اللغة الام الواحدة ـ واللغة الام لا تكون الا واحدة ـ تقارب بين الافراد ، فيتعاطفون في مشاعرهم ، ويتماثلون في افكارهم ، ويتشابهون في تصرفاتهم . من اجل هذا تحاول الامة المستعمِرة، بادىء بدء ، ان تخنق لغة الامة المستعمَرة. ذلك لان الامة التي تفقد عفاف لغتها ـ الام ، تفقد عفاف

ذهنها ، فيكون مثلها كمثل السجين الذي اضاع مفتاح سجنه من يده . هذا السجين يفقد حريته . اجل ما انحطت لغة شعب ، الا وانحطت قوميته . ان الذين يميلون ميلا خالصا نحو لغة اجنبية ، ينزعون ، قلبا وفكرا ، الى ابناء هذه اللغة . وهو شيء طبيعي ، لان الانسان ما اعطي له ان يكون غير ذي لغة ــ ام واحدة ، تخلق في عروقه عصبية قوية .

نستنتج من كل هذا ان الفردية غير كائنة . لا هي كائنة في علاقة الانسان بالارض ، اذ لا حياة للانسان بدون مرتكز ارضي معين ... ولا هي كائنة في علاقة الانسان بالانسان ، اذ لا حياة للوجدان بدون وجدان اخر حياله . اذن لا وجود للفردية . الفردية صفة اخلاقية، لا بعد كينوني . هي مرادفة للانانية التي تتناول مسلك المرء ، من حيث آدابه بين الناس ، لا من حيث ماهيته الانطولوجية .

اذا حصلت الفردية ، في غير نطاق الخلق ، كانت حالة من الحالات المرضية ، التي تهبط بالانسان الى دركات الحيوانية . ذلك لانها تفقده امكانية الحوار مع الاخرين اي انها تفقده المجتمعية التي هي بعده الكينوني الاحق . ان الشيء الكائن ، في دنيا البشر ، هو كون لطيفتنا مجتمعا نقالا . هذه الغريزة المجتمعية هي في اساس القومية . متى اكتملت العناصر الاربعة (فكانت الارض الواحدة بشخصيتها، والاقتصاد الواحد بتنظيمه ، والتاريخ الواحد بمساحبه ؛ واللغة الواحدة بعبقريتها) وجدت الامة التي هي اتم اطار مجتمعي يعيش فيه الانسان . ووجد الشعور القومي الذي هو اندفاع من باطن الوجدان الانساني نحو تحقيقها (القومية هي الشعور بضرورة وجود الامة) ووجد الوطن الذي هو تظهير الامة ، بفضل الشعور القومي ، بصورة مادية ضمن حدود معينة من الارض .

نرى ، والحالة هذه ، ان علاقة الانسان بالاخرين، في الخارج ، تشبه علاقة الانسان بنفسه تماما . تشبه العلاقة الرحمية . ثمة شيء من الجبرية العضوية في علاقة الانسان بالانسان قوميا . يعني ان الشعور القومي هو اكثر من مواجهة سطحية بين اثنين من البشر ... اكثر من مشافهة عابرة لا تمس الوشائج الفؤادية العميقة ... اكثر من تلاق براني قائم على السلام والكلام فقط . ان الشعور القومي هو دفء جواني . مثله كمثل العطش ، الذي يدفع الزلعوم دفعا من الداخل ، في سبيل الارتواء بماء هي خارجا . الرابطة هنا رابطة حياتية .

فحواه ان القومية ليست مطلق علاقة بين انسان وانسان . ليست عملا تركيبيا بشكل اعتباطي . اقصد ان انتقاء الامة ، والشعور بقوميتها ، وتظهيرها وطنا يرى ، غير مناط بارادة الانسان الفرد . الانسان الفرد لا ينتخب امته كيفما اتفق . ولا يشعر بالقومية كيفما اتفق . ولا يظهر وطنه كيفما اتفق . الانسان لا ينتخب هذا كله وهو كبير ، بصورة هادئة باردة . ان الشعور بقومية الامة ، المظهرة في وطن معين (أي في اطار ارضي محدود) ذات جبرية حياتية ، تبتدىء معنا في المهد ــ بل قبل المهد ــ وتنتهي معنا في اللحد . هي ذات ناموس فيزيائي ، لا يمكن التحرر منه ، الا بالخضوع له . فاذا استطاع الانسان الفرد (وهذا نادرا ما يحصل) ان ينتمي الى امة ثانية بعد ان يكبر ؛ هي غير امة مسقط راسه ، فالانسان المجتمعي (او المجتمع كوحدة عضوية) مناخ لجبرية امة واحدة . المجتمع كوحدة عضوية لا يختار الارض التي تحتضنه ، ولا يختار الاقتصاد الذي يزاوله ، ولا يختار التاريخ الذي يسرده ، ولا يختار اللغة التي يلسنها .

اجل ان الشعور بالقومية هو اكثر من عملية حسابية مفتعلة بصورة هادئة... هو اكثر من لعبة لاهية ، نستملحها او نستقبحها ، فتكون او لا تكون وفق ما يروقنا ... هو اكثر من تحليل وتركيب مقصودين من الخارج . هو اندفاع من الباطن العضوي . ومن هنا جلاله ، وضخامته ، ورهبته التي يسطو بها علينا . من هنا ايضا قضاؤه وقدره ؛ اللذان يظهر بهما ، وكأن القادة مرسلون من قبله . مثله كمثل المأساة التي تجرف الانسان في قنواتها . ولذا كان فيه عظمة الاستشهاد بالدم. مهما حاول المرء ان يتجرد من الارض ، ليرتفع في سماء العام ، فانه عالق حتما بتراب هذه الدنيا . هو دائما ابن مكان معين وزمان معين ، اراد او لم يرد ، اي ابن الجسم والنفس ... ابن مزاج بدن وطبع وجدان . عليه اذن ان ينسب جبرا الى ارض ، واقتصاد ، وتاريخ ، ولغة ... اي ان يكون وليد مجرى واحد (ارض معينة واحدة ، واقتصاد معين واحد ، وتاريخ معين واحد ، ولغة معينة واحدة) . القومية كالابوة والامومة . اب معين واحد ، للانسان ، وام معينة واحدة . ذلك هو النسب الاحق ، الذي يستمد منه المرء شرفه . مخطيء اذن من يعتقد ان الانسان قادر على التخلي عن وطنه ، بهدوء بال ، ليصبح دون وطن . اذا استطاع ان يتخلى ، كفرد ، عن وطنه الاول ، اتخذ له وطنا ثانيا ، كفرد ايضا . اما اللاموطنية فهي من وهم الخيال المريض . انها الضلال عينه.

نحن لسنا احرارا في اختيار امتنا . قد نكون احرارا ان نذود عنها ، او لا نذود ، عند ظهور العدو . وهذا عمل خائد الى مقدار وعينا القومي ، او لاوعينا القومي ... اي الى مقدار ما نحس به من ذل او كرامة . ولكننا لسنا احرارا في اختيار شعورنا القومي ، والتصرف به كينونيا ، كما تشاء ارادتنا الفردية . نحن لا نستطيع ان نفرض ابوتنا على الامة الا بعد ان تقدم لها الخضوع البنوي . فالمداميك الاربعة التي اقمناها اساسا للامة ، والشعور بها كضرورة قومية (أعني الارض ، والاقتصاد ، والتاريخ ، واللغة) هذه المداميك ذات وحدة عضوية متساوية القيمة . لا الارض اخطر من غيرها في تكوين ذلك الشعور ، ولا الاقتصاد ، ولا التاريخ ، ولا اللغة .

جميعها متعادلة في العظمة والكرامة ، لانها تنبثق من صلب الحياة ، وكل ما ينبثق من الحياة هو ذو وحدة لا تتجزأ . اما الذين اقاموا للواقع الجغرافي ، او الواقع اللغوي ، او سواهما ، وزنا اضخم من غيره في تكوين الامة، فقد اخطأوا الى حد بعيد . نحن لا نستطيع ان نقول هذا المدماك اخطر من ذاك ... ولا ان نصنف المداميك الاربعة الى اول ، وثان ، وثالث ، ورابع . اننا امام حلقة مغلقة .. امام كلية لا تتفرفط . مثل الشعور القومي كمثل الانسان عينه ، الذي يقوم على وحدة الجسم والنفس ، رغم الفارق الكائن بينهما . من السخف تعيين حدود واضحة. ان الذين رسموا الحدود ، ضلوا الصراط القويم ، واوقعوا التابعين لهم في مغالطات قوية .

كمال يوسف الحاج

عاشقة النار

لعدنان مردم بك

دمشق

عاد لحن الهوى كرجع انتحاب ... في ضمير المشتاق عند الغياب
ايقظ الليل في الصدور شجونا ... فاستفاقت تئن من اوصاب
وشجا القلب ان راى كل صرح ... من امانيه حفنة من تراب
ودهى النفس ما رات من شباب ... يتلاشى مع الرؤى كهباب
يطمس الليل بالحقيقة دنيا ... سطعت برهة بلمع سراب
هتف القلب للضياء واغفى ... يتغنى بتبره المنساب
وانبرى صاعدا يحلق في الوهم ... بعيدا على جناح الرغاب
فكاني به الفراشة حالا ... في نزوع لصبوة ولعاب

* * *

أسدل الليل مطرفا من سواد ... ملء رحب الفضاء ملء الروابي
ومضى يذرع الكآبة بالصمت ... ويمحو معالم الاحباب
فاذا الكون غارق في ظلام ... ملجم الفك موثق بالعذاب
والازاهير اطبقت جفن مضنى ... وترامت على الثرى باكتئاب
اطرقت تستعيد ما همس الفجر ... اليها والدمع في الاهداب
ساورتها وساوس فتلوت ... كذبيح في قبضة القصاب
ولرجع النسيم ترديد شكوى ... في الفضاء البعيد دون الهضاب
نام من في الوجود غير فؤاد ... لاب هيمان كالفراش بغاب

* * *

خفق النجم والسكينة رانت ... حين مد الدجى جناح غراب
عسعس الليل والفراشة تطوي ... صفحات الظلام طي كتاب
ضربت في ذرى الفضاء وراحت ... في عباب يموج اثر عباب
حلقت والرياح تجأر بالافق ... وترمي بعاصف صخاب
ليس تدري مصيرها حين جدت ... تنشد النور من دجى وضباب
اي غنم سوى المرارة والحرمان ... يمنى مؤمل بسراب
حين اعيا الجناح ما نفث الداء ... وفت السقام بالاعصاب
لاحت النار للفراشة وهنا ... فأعادت بها طموح الشباب

* * *

دلفت تضرب الجناح الى النار ... بوجد المشتاق للاحباب
وبها لاعج الصبابة يغري ... كالضواري بالظفر والانياب
اعجلت خطوها ودفت لتفضي ... بمناها الى اللظى في اقتضاب
فتبدت لها الحقيقة عن قرب ... وعاد الخيال شوب عذاب
هتك النور روعة السحر عنها ... اذ تعرت عن مطرف وثياب
وتعرت عن كل حلم جميل ... زوقته وساوس بخضاب
فشجاها ان ابصرت ما تمنت ... يتلاشى في الضوء مثل هباب
وشواظ النيران يقدح بالجمر ... ويرمي بمائج سكاب

* * *

وقفت تحدج اللهيب وترنو ... في حنين الاتراب للاتراب
واستدارت حول اللظى بخشوع ... كخشوع النساك في المحراب
لم تخف جامحا ودفت اليه ... باختيال ينم عن اعجاب
حين ذاع اللهيب ما كتم الليل ... وافشى امانة الاصحاب
اشفقت للجمال يفضحه النور ... ويذوي من حسنه الخلاب
وتهاوت على اللظى بسكون ... وقضت نحبها بغير عتاب
ورات ان تموت في ميعة العمر ... وفيها بقية من شباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موسم جديد

ـ من أين تريدني بعد ان اعطيك ؟
يبست....
غلالي الخضر يبست
وباب بساتيني اغلقت مصراعيه
وأضعت مفتاحه في النهر
ما عاد في البساتين زهور ولا شجر ولا سنابل
عمرت في وجهها اسوار
وشدت الاسوار بالخشب والخشب بمزلاج
والمزلاج بمفتاح ضاع...
كيف ادخل الى ما ترغب ان ادخل اليه
لاجني لك طاقات وباقات ؟
أأدخل طيرا ولا جناح لي غير خفقان قلبي ؟
ام اتسلل نملة وكل ما فيّ كبير بالحب ؟
دع الغلال تيبس في مغارسها
نبات الارض زرعناه بايدينا بشوق ايدينا
اقمنا له اسوارا تذود عنه السوء
نبات الارض يختنق عطشا وراء هذا الباب
وهذا الباب اصم يرد حسرتنا بعناده
وعنادنا بخرسه !
ارحل عني الى حيث لا يباس
خيبة كان حبك لي
ليغفر لي حبك الذي كان لي...

ـ سندخل وراء هذا السور . لا تموتي .
ـ ابقدرتك ؟ !
ـ لا بل بعينيكِ . سأبني لكِ كوخا امام النهر الكبير
ترقد عينك عليه وتنفتح عليه .
من نار عينيك سينشف النهر ونستعيد مفتاح حقلنا
وسنروي زرعنا بالحب... بالحب وحده

انسي الحاج

قصة عراقية

بقلم عباس البلداوي

سطوة الاب

كان في يده ابريق من الاباريق الطينية التي يغص بها المحل يريد ان يضعه في الفرن حين قلت له :

ـ يا ابه .. ؟ فلم يجب بشيء ، كعادته ، ولكنني احسست انه يسألني ما الخبر ، فواصلت كلامي .

ـ ان سعدية في طريقها الى العراق .

فتوقف قليلا منحنيا فوق كومة الاباريق ثم لم يلبث ان رجع الى نفسه فدفع الابريق الى لهب الفرن وهو يقول :

ـ تشرفنا .. ! اشرقت ونورت!..

فنظرت الى كومة الاباريق وتصورت كم تعبت والدتي واختي في احضار التراب الاحمر من البرية الى البيت .. وفي جلب الماء من الجيران بالجرار التي هي من انتاج نفس الفرن .. وفي الخمير الطين وسقيه بين حين واخر .. فان لم يكن التراب من النوع (الاحمر) الذي يوافق مزاج والدي حلت ذلك اليوم في بيتنا كارثة عظمى وطامة كبرى .. اذ انه يطبق السماء على الارض وينزل الملائكة الصالحين ويلعن الناس اجمعين .. واذا ما اظهرت امي ميلا للدفاع عن نفسها وعن ابنتها كان تقول : ان التراب كان جيدا وقد قطعتا ميلين في البحث عنه ، ازداد هياجا وثورة ورمى الطين في الطريق او رماهما به .. على الثياب ، على الرؤوس ، على اوجوه .. ومن يجرؤ بعد ذلك منهما على الكلام ؟ لان الخطوة التالية تكون وخيمة العاقبة وجارحة للجسم والشعور .. وربما انتهت بمسألة حياة او موت .. ؟ من يدري ؟ ! لان تصرفاته لاتعرف نظاما ولاتقف عند حد .

وقطع علي افكاري حين اتجه نحوي متسع العينين ممطوط الشفتين وقال بلهجة ساخرة :

ـ وهل جلبت معها زوجا ؟ .. ام ازواجا ؟ ! ـ كلا ...

ـ ومن ادراك ؟ ... هل طلقتهم قبل سفرها .. ؟ وما الحاجة الى الطلاق ؟ ! طبعا الزوج بنظر بنت المدرسة نعل تخلعه وتأخذ غيره ...

ـ لكن .. يا ابه ..

اردت ان اوضح له بصراحة انه يقفز دائما الى نتائج غير صحيحة .. وانه يتصور امورا ما انزل الله بها من سلطان .. وانه متى يكره شخصا يختلق له انواع النقائص وشتى العيوب ، ويجعل من الحبة قبة ... ولكنه على كل حال والدي ولا يصح ان اخالف سنة الله وكتابه ، فاجادله .. اوارد عليه .. فترددت قليلا لكن . غير انه لم يمنحني وقتا اتردد فيه بل قاطعني قائلا :

ـ لا لكن ولا ماكن ... وانت ايضا مدرسي وتعتبر نفسك تفهم !! ... ولكن المدرسة لا تعلمكم غير اللهو واللعب ، لا تعلمكم اي شيء مفيد .. ها انتذا درست سنين حتى اقعدتنا على الحصير ، وعلموك الحساب والكيمياء ، فلماذا لا تحسب بالحساب وتعمل لنا (كيمياء) وتخلصنا من الطين والجرار والاباريق والفرن ؟ لماذا لا تقلب لنا هذه الاباريق ذهبا .. او على الاقل فضة ؟ !...

ولما اتجهت نحو داخل البيت مارا بالفرن ، اوقفني قليلا ليقول :

ـ قل لبنت الـ... ان التراب ... لا ، لا حاجة لذلك . سافعل ذلك بنفسي .. (بنت الـ...) هذا هو اسمها بنظره .. ولكن .. لا تقل لهما اف ولا تنهرهما ..

واسرعت الى الداخل فوجدتها ، (اعني بنت الـ ... ! اي والدتي) وقد اسندت ظهرها الى الحائط وبدت عليها كل علامات التعب ، فاشارت باصبعها الى التراب القائم على شكل تل كبير في ساحة الدار وراحت تسألني رأيي فيه لان والدي لم يفحصه بل كان قد القى عليه نظرة عابرة وهو في طريقه الى الفرن فلم يقل شيئا عنه جيدا او رديئا ...

ولما كنت اعلم ان سؤالها هذا لي لم يكن في الحقيقة استفسارا عن جودة التراب او رداءته بل استنجادا بي كما يتشبث الغريق بالقش الطافي على سطح الماء ، اذ كانت تريد ان تضيف صوتا ثالثا الى صوتها وصوت ابنتها .. فما الفائدة اذن من رأيي ؟ .. فلو قلت (تراب جيد) لم انتظر ان يوافق على رأيي ولا اتوقع ان يغير ذلك من الموقف شيئا .. وان قلت انه رديء لم يكن هذا الا انذارا سيزيدها تعبا ويمنعها وابنتها من ان تهنئا بلقمة الخبز

وما الفائدة من استعجال الامر واطالة زمن الكارثة ؟ .. فانهما ستعلمان بحلولها عندما تحل ...

لذا رأيت ان ابدل الموضوع فاعلنت نبأ مجيء سعدية ... فقالت امي بفرح ممزوج بشيء من الالم :

ـ مسكينة! بعد كل تلك السنين!. الله يساعد قلب (زنوبة) .. ثم اضافت تستحثني باهتمام :

ـ يا بني .. لو كتبت لهم مكتوبا تعلمهم بمجيئها .. انهم ولا شك لا يعلمون ...

ـ لقد اعلمتهم بذلك .. بعثت لهم برقية

ـ حسنا فعلت ... ولكن ، كم كلفتك البرقية ؟ ! ... يحسن بك ان تتروى في الصرف لانك تدري ان راس الشهر بعيد ... الم اقل لك يا بني ان نصف راتبك لا يكفيك وان تعطي لوالدك اقل من النصف .. فان اباك لا يحتمل ان يؤخذ منه شيء ... اما عمتك زنوبه فبالاضافة الى كونها بعيدة الان فلا اظنها تعطيك درهما واحدا بعد الذي حصل بينها وبين ابيك ...

وحان وقت الكارثة ... في تلك الليلة ستظل ذكراها عالقة في ذهني على مر الايام والسنين ...

عدت الى البيت ، ونظرت الى ساعتي تحت ضوء الشارع فوجدتها تشير الى الثانية عشرة والنصف ، فأرجعت عقاربها الى الوراء ساعتين ثم التقطت عودا من الارض ودفعته في ثقب المفتاح احاول فتح الباب .. ولكن العود انكسر وبقي نصفه داخل القفل ... فصرت اجيل طرفي حول البيت والفرن عسى ان يلهمني الله طريقة ادخل بها دون طرق الباب وايقاظ والدي ... ورحت استعيد بذاكرتي كل ما اعرف من الادعية والتعاويذ التي تقال في المناسبات .. فهذه تنفع للسعة الزنبور وهذه للحسد وتلك تقال لفتح باب الرزق ..

ومع اني استظهرت كثيرا من

الادعية والطلاسم لكن لم اجد بينها ما يعني على فتح باب الدار ...

وخطرت لي فكرة طريفة ... فقد اشيع ان علماء القنبلة الذرية تمكنوا من تسيير غواصة كبيرة بلا وقود وتوليد قوة كهربائية هائلة بلامحركات ... وتوصلوا كذلك الى القدرة على تدمير الارض او جزء كبير منها ... فتمنيت حينذاك لو تمكن اولئك العلماء من اختراع طريقة لدخول البيوت المقفلة بلا طرق ابواب او ايقاظ احد ... وحتى بدون الحاجة الى مفاتيح .

واخيرا صممت على تحمل اخر دواء (واخر الدواء الكي ـ كما يقولون) وان اصبر راغما على النتائج الوخيمة التي ستعقبه .. فمددت يدا مرتجفة ، وطرقت الباب ...

انتظرت لحظة حسبتها سنة ، كنت خلالها مرهف السمع متوتر الاعصاب ... ثم سمعت وقع اقدام تقترب من ساحة الدار الى المجاز ثم الى الباب ... كان وقعها يصنع صوتا يشبه الـ (دش.. دش.. دش) فاستغربت ذلك لاني لم اعهد امي تلبس خلخالا ! .. ثم ان كان لها خاتم من فضة ، وهو ما تبقى من حلي زواجها كما تقول ، فان اختي لا تملك شيئا لا من فضة ولا من نحاس.

توقف صوت الـ (دش .. دش) وراء الباب وجاءني صوت يهمس :

ـ اهذه انت يا عمه زنوبة ؟...

عرفتها فصرخت بصوت محتبس

ـ انا .. انا ، افتحي الباب ! ...

وعاد صوتها يهمس :

ـ هل جئت لتأخذي الخلخال ؟ ! بالله ياعمة، ابقيه عندي يومين ، ثلاثة.

عرفت انها اختي ، وانها عادت الى عادتها القديمة ، تتكلم وتمشي وهي نائمة .. ولكن كيف اتمكن من ايقاظها وهي في جهة وانا في جهة اخرى وبيننا باب مقفل .. اذ ان ايقاظها يحتاج الى هزها هزا عنيفا مع صب سطل الماء البارد على راسها.. كل ذلك مع الصراخ في اذنيها.

رايت ان استسلم للواقع فقربت فمي من ثقب المفتاح وقلدت صوت النساء قائلا :

ـ لا ... لا يا عيوني ... ابقيه عندك كما تشائين .. يومين ، عشرة ايام ... فقط افتحي الباب ، يا حبيبتي ... عندي شغل مهم .

فانفتح الباب والحمد لله واسرعت الى الغرفة لخلع ملابسي ... ثم خرجت حافي القدمين وعثرت بتل التراب القائم في وسط الدار وسقطت على وجهي ويدي ...

ولما صعدت الى السطح سرت هناك على رؤوس اصابعي ...

وما كدت استلقي على فراشي حتى سمعت وقع اقدام اختي وهي ترتقي السلم ثم تتجه نحو مضجعها...

مرت فترة من الهدوء حسبت خلالها انني غرقت في نوم عميق وان احلاما مزعجة قد انتابتني ... ولما فتحت عيني وجدت ان اختي قد ايقظت الجيران بصياحها وركضها على السطح من جهة لاخرى مهددة ومتوعدة ... وامي من ورائها تحاول تهدئتها .

ثم ركضت الى جهة الحطب وحملت قطعة كبيرة من الخشب ورجعت الى الجهة الثانية حيث يرقد الكلب ، وهي تصيح :

ـ والله لاقطعن شاربيك بهذا الموسى .. فجفل الكلب وهرب من امامها فرمى بنفسه الى ساحة الدار.

وصرخت وهي تلوح له بقطعة الخشب بيديها : ـ لماذا لا تشتري لي الخلخال ايها الخنزير ؟ !

واسرعت في أثره.. وسقطت وراءه فهرعت امي نحو السلم وهي تستغيث وتستنجد بي فلم اجد بدا من تلبية ندائها فتبعتها وسطل الماء في يدي .. فصرخ ابي بعنف :

ـ دعوها تذهب الى جهنم وبئس المصير... وارتفع صوت امي تعلن بهلع:

ـ انها تحطمت ! .. راحت ! ..

وسمعت الجيران يسألون ابي الخبر .. وسمعته يجيبهم :

ـ قبل اسبوع ، كانت تريد ان تقلع عيني الديك ! ولكنه طار الى سطوح الجيران فلم تتمكن من اللحاق به .. اما الليلة فهي تريد ان تقص شاربي الكلب ... ما أظنها تقدر على مهاجمة الكلب بعد الليلة ...

وصلت الى قاع الدار فلم يكن وصولي ذا جدوى ثم عدت متثاقلا الى السطح والسطل ما زال معلقا بيدي... فاطل بعض الجيران من على سطوحهم ثانية وراحوا يسألونني :

ـ خير إن شاء الله ؟

ـ ابعد الله الشر ؟

ـ لم يحدث سوء ؟

فرميت السطل من يدي وقلت وانا انفض ثيابي التي ابتلت بالماء :

ـ شر ، وسوء ، وكل شيء ...

فسمعت اصوات الناس تتردد :

ـ لا سمح الله ! لا سمح الله ! ابعد الله الشر ! ثم وجهوا كلامهم الى ابي:

ـ لماذا لا تقوم انت من مكانك وتنزل فترى ما حصل ؟...

وانتظروا قليلا ... ولكنه لم يفعل شيئا ... ولم يجبهم بشيء ، فتراجعوا الى سطوحهم مشمئزين..

ونظرت اليه وهو يولع سيكارة ، فأخذتني الدهشة مما رايت ... فلاول مرة في حياتي ارى والدي والدموع تسقط من عينيه ...

وبعد قليل ناداني بصوت ضعيف:

ـ يا ابني ! . تعال هنا ..

فدنوت منه قليلا وقلت بلهجة لم تخل من خشونة: ـ ماذا تريد؟ ـ كيف هي ؟

قلت لم يحصل شيء ... سوى كسور في ساقيها وقد اخذتها امي داخل الغرفة ... فاطرق قليلا ثم قال بصوت خافت :

ـ هذا ما كنت اخشاه ... الفقر ثم الفضيحة ...

وسألته عما يعني فأجاب :

ـ اتظن اني املك مالا يفضل عن حاجة البيت وابخل به عليكم ؟ فلا اشتري لها خلخال الذهب ؟ ولا ارسلك الى اوربا للدراسة ؟ !...

ثم مد يده الى وسادته وفتح في جانبها فتحا ادخل فيه يده ثم اخرجها وناولني ما فيها قائلا :

ـ كنت محتفظا بهذه لساعات المرض ، وهذه ساعة الحاجة اليها .. خذها وتصرف بما تراه مناسبا من استدعاء طبيب وشراء دواء وغير ذلك

تحسست رزمة الدنانير بيدي فوجدتها رزمة كبيرة تضم مبلغا لا يقل عن المائة دينار ! فقلت وقد شعرت بانه يتنازل لي عن ادارة العائلة .

ـ لا ، يا ابه .. احتفظ بها عندك.. وسنرى ماسنحتاج غدا ..

واستلقينا ، كل على فراشه ، وشملنا هدوء جميل ثم سمعت صوته يقطع ذلك الصمت قائلا :

ـ ولا تنس ان تشتري لها خلخالا ... من الذهب ...

احسب انني قلت له اننا سنرى ما سنحتاج غدا .. او انني فكرت بذلك ولم ينطق به فمي ...

العراق ـ بعقوبة **عباس البلداوي**

ضعف المرأة

✳

سيدة اجنبية كانت جارتي لعدة اعوام وابتعدت عنها مدة طويلة بلغني انها هجرت زوجها وولديها واحبت شابا . وفي الطريق العام . قابلتها . حطاما وظلا ... لم اعرفها وبادرتني بالتحية . فقلت لها عاتبة ... ماذا فعلت ؟ ... أجابت :

●

لجليلة رضا

●

القاهرة

✳

أنا مجرمة ••• أنا مجرمة

رحماك يا اختي الحبيبة لا تكوني ظالمه
هم يجهلون وانت ادرى الناس • أنت العالمة
أنا في خضم •• في خضم من دماء مضرمه
طفلاي يعتصران قلبي والهوى قد حطمه
أمسيت في عين الصديقات القدامى مجرمه
وغدوت في حلق العجائز بصقة متبرمه
وعلى فم الطرقات غنوة صبية مترنمه
وعلى جبين أبي غدوت حفائرا متفحمه
وبناظري امي خيالا من قبور مظلمه
وبخاطري طفليّ ذكرى صورة متهشمه
من أي شيء قد خلقت ؟ ومن أنا ؟ أنا مجرمة
أنا مجرمة ••• أنا مجرمة

ما ذنب هذا الزوج حتى استبيح تألمه
وأنا التي قد عشت في احضانه متنعمه
ووهبته نجمين قد بهرا سماه وانجمه
لا •• ليس لي ماض ولا ذكرى تهوم حائمه
قدري تخير لي الطريق فجئته مترسمه
هل كان في المقدور ان اخفي هواي واكتمه
وأصد قلبي عن هواه • أصمّه • بل ألجمه
وأقول يا قلب ابتعد هذي الدروب محرمه
هل كان في المقدور ان اهب الهوى واقسمه
وأعيش في كنف الخديعة حرة ومعظمه
حاشا : فان العار أهون لي •• ولست بنادمه
أنا مجرمة ••• أنا مجرمة

أهواه يا اختي • واعبده عبادة مغرمه
أنا من أنا ؟ أنا الة في كفه مستسلمه
ان شاء كنت له الشريك وان تأبى خادمه
قد بعت روحي للشياطين التي ترعى دمه
هو لي أنا •• وحدي أنا فاذا مضى لن ارغمه
بل سوف احتضن الردى واضمه متبسمه
لا • لست ابغي اليوم الا ان اعيش وانعمه
ومضت ••• وفي خطواتها أنات روح هائمه
ووجدتني وحدي على الدرب الفسيح متمتمه
« حقا فان حياتها للشعر تصلح ملحمه ! •• »

✳

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منازع العالم الحديث : الفنون البصرية والجمال

بقلم و. ج كونستابل

مدير قسم الرسم في متحف بوسطن للفنون الجميلة

ترجمة يوسف اسعد داغر

عندما يأخذ فريق من الناس بالحديث عن الفنون البصرية التي تخاطبنا فيها من شكل وقوام والوان ، يضعون نصب أعينهم خير ما تمثله الفنون الجميلة من مباني الهندسة والرسم والنقش . ففي حديثي عن الفنون الجميلة ، انما ابحث في كل ما يتصل بالاشياء التي هي من صنع الانسان: من المباني الضخمة ، الى الانشاءات الهندسية الجبارة ، الى ادق الاغراض والحاجيات التي نتداولها كل يوم من ايام حياتنا العادية . اني أعترف واسلم ان عددا كبيرا من هذه الاشياء لا تمت للفنون الجميلة بصلة ما . ولكن كل هذه الاشياء قد تصبح مجلى لمقدرة الفنان وكفاءته الفنية ، كما ان عددا كبيرا بينها هي في الواقع مباني فنية في الدرجة الاولى . وها انا احاول ما امكن ، تعليل هذا الرأي وتأييده بالدليل الواقع والحجة القاطعة .

ليس بيننا من يجهل العبارة التي يرددها بعضهم وهم امام عمل فني يحملقون به وينظرون اليه وجها الى وجه : « لا افقه شيئا من امور الفن واصوله ، انما اعرف جيدا ما يثير منها اعجابي واستحساني » . فالذين يذهبون مثل هذا المذهب ، يسلمون ويقرون باكثر مما يتراءى لهم او يودون . اذ انهم يقرون صراحة ، انهم اذا ما وجدوا وجها لوجه مع اثر فني ما ، اعترتهم هزة انفعالية من الطرب والغبطة . ولكن اية غبطة هذه التي تتملى في حنايا نفوسهم وما عسى ان يكون الدافع اليها ، والمثير لها ، والباعث عليها فشيء اخر تماما . السواد الاعظم من الناس لا يفقه شيئا من اصول التحليل النفسي ، ولا تستثيرهم ثائرة من الخجل او الوجل ، وهم امام صورة زيتية ، او قطعة من النقش البديع ، فيستنكفون عن الفحص والتحليل، ويلوذون بمثل هذه الحجة الفارغة ، متعللين انهم يستطيبون القصة التي تبرز لهم من خلال الاثر الفني ، اذ ان في مشاهدته استحضارا لامر بعث فيهم من قبل شعورا باللذة او بالطرب، او بالهزة الانفعالية ، او ان في الاثر الذي يتملون النظر اليه، محاكاة تامة لمنظر طبيعي تجسم امامهم .

كل هذه الامور دوافع مشروحة للبهجة النفسية وبواعث لاشاعة السرور في النفس ، مع انه يعسر علينا استبانة علاقتها بالاثر من حيث انه اثر فني اولا . ومع ذلك ، بالامكان ان نجد السبيل الذي يفضي بنا الى الميزة الاساسية التي تلازم اثرا فنيا معينا ، اذا ما خطونا خطوة الى الامام ووضعنا هذا المشاهد المفروض الذي « لا يفقه شيئا من امور الفن واصوله ، انما يعرف ما يثير فيه الاعجاب والاستحسان » اذا ما رأى نفسه وجها لوجه امام مبنى عظيم ، او سجادة ، او طنفسة او قطعة من المفروشات او من الخزف ، وهي حاجات تصلح لكل غرض وقصد خالية من اي معنى او مدلول ادبي ، لا ترابط فيها ولا قوة استحضار لها ، ولا اثر فيها على الرائي او الناظر يدعوه للانطباع بها او لاخذ صورة عنها . فلو استطعنا في مثل هذه الحال ، ان ننفذ عميقا ، لامكننا ان نجد ا ن كل محاكاة او شبه يتراءى لنا في الاثر البادي ، يقوم قبل كل شيء على الشكل او الهيأة ، وعلى ما فيه من تناسب بين الاجزاء المقومة له وما ينضح به من لون ينسجم والمجموع .

ففي هذه الاعراض كلها ، السبيل الى ما نبحث عنه ، والدليل على هذه الهزة العاطفية التي تعترينا عندما ننظر الى اثر فني باعتباره ، في اضعف الحالات ، اثرا توفرت له مقومات الوحدة والاتقان والانسجام في ما يتحلى به من قوام والوان . وجدير بنا ان نلاحظ هنا ، بان هذا العامل هو الذي يبرز امامنا ويبقى ، مهما كان نوع الاثر الذي نشاهد ، وايا كانت المادة المصنوع منها ، وايا كان الغرض منه . ففيه الميزة العامة ، وفيه الطابع المميز لكل اثر فني اذا ما قارناه بأي اثر اخر خرج من صنع الانسان .

وهذا المفهوم الاساسي للاثر الفني يقتضينا جهدا كبيرا من شمول البحث والنقد المحلل . قد يبدو لنا ان الفنان ، في محاولته توفير الوحدة وعوامل الانسجام للاثر الفني الذي يبدعه ، قد يلجا لبعض الروامز الرياضية ، او المعادلات الحسابية او يتبع نهجا سويا مرسوما او طريقا معبدا . فالاخذ بهذه الاساليب او الطرائق ، انما يعني التخلي عن ميزة اساسية يجب ان تتوفر للاثر الفني ، اي الحيوية والقوام العضوي الكامل . وهذا انما يحدث بالنظر الى ا ن الروابط التي تربط بين القوام واللون ـ وهي المقومات التي يقوم عليها الاثر الفني ـ مردها الى المشاعر والاحاسيس والانفعالات التي يجيش بها الفنان او تطبع مخيلته. فالفنان يشعر او يتحسس المقومات التي يجب ان تتوفر للاثر الفني وما لا مندوحة من توفره فيه ، لا ان يقوم بعملية حسابية وبمعادلات رياضية جوفاء ، جرداء من اللحم والدم .

وهكذا يبدو لنا ان كل عمل فني هو عمل خلق جديد

نسيج وحده : نوعا ، وجنسا ، وقواما ، تبرزه للوجودمخيلة الفنان المبدعة ، فيتحيز وينتصب على شكل محسوس في يد صانعه او مبدعه . وهذا الابداع او الخلق هو بالاساس عمل شخصي ، فردي في الدرجة الاولى ، لا يمكن اعادة صنعه بما تم له من مقومات وصفات تلابسه وتلازمه ، اذ ان خالقه او مبدعه هو نفسه ابدا في تغير دائم وتحول متصل . غير انه لما كان التخيل يمثل جانبا من نشاط العقل غير الواعي ، فالصور الذهنية التي تخطر على العقل الخلاق، من شأنها ان تسمو بالافكار والمثل التي يسعى الفنان الى تحييزها ، فياخذ من هذه المرئيات الذهنية ما يعتقده الاصلح والامثل في نقل ما يترسمه او ما يتوهمه من مقومات الشخصية السامية .

اياك ان تعقد يوما او ان يجمح بك الخيال والوهم فتتصور ان هذا النظام وهذه الوحدة في انسجام الصورة واللون المتحيز في الاثر الفني يحققه الفنان ، تم على كيفية اعتباطية ، خيالية . فاول صورة ذهنية خطرت للفنان على بال ، واولى الرؤى التي اطلت عليه او ابتدعها خياله ، انما انتصبت على قوام وتركزت على شكل ارتضاه لها لما فيه من توائم وانسجام مع الصورة الذهنية التي حبل خياله وتمخض عنها . فاذا ما تحيزت هذه المقومات واكتسبت ما اراده لها من قسمات مجسمة ، ادى ذلك للغرض المطلوب. والامر يصبح ظاهرا جليا اذا ما كان العمل الاثري المحيز ، جسرا او منزلا او قطعة من الاثاث والمفروشات ، او اذا كان الاثر الفني قطعة منقوشة ، ولا سيما اذا ما حدد منها الموضوع ، والتفاصيل ، والحيز الذي تشغله .

وهكذا فالصورة التي راودت الخاطر للمرة الاولى ، يجب تعهدها بالتعديل والتحوير والتنسيب ، ومثل هذه العملية تتم بالتعاون المشترك بين الفكر الواعي والجهد الذهني ، فالعمل الفني الذي تجلى اول ما تجلى هزة عاطفية ، يجد سبيله الى التحييز ، بالتعاون التام بين العاطفة والعقل معا .

وهنا يمكن ان نتساءل من اين تنشأ الفوارق التي تميز الاثار الفنية بعضها عن بعض . ان مجموعة المشاعر التي رافقت ظهور الصورة في المخيلة ، هي وليدة التجارب التي تمرس بها الفنان من قبل . فمنذ ان خطرت للفنان صورة الاثر الفني وراودت خاطره حملت معها ، حدودها وقيودها التي لا بد للفنان ان يأخذ منها ما يعتقده مقوما لاثره محيزا له فعلى نسبة ما تكون اختبارات الفنان غنية، متنوعة عميقة شديدة بنسبة ذلك تكون افكاره وصوره وعلى النسبة ذاتها يأتي الاثر الفني من حيث القالب او الشكل واللون ، اكثر تنوعا ، واشد ايقاعا وابعد اثرا . ومن جهة اخرى ، كلما اشتدت في الفنان طاقته على الخلق والابداع وموهبته الفنية ، على تحييز الصورة وخلقها ، سهلت بالتالي لديه وسائل التحييز والتنفية . فلا يتوهمن احد ، مع ذلك ، ان غنى الاختبارات التي تمرس بها الفنان ومالها في نفسه من عمق واثر ، كل ذلك يتوقف على مدى العوامل التي تفاعل بها ، كالرحلات والاسفار التي قام بها ، وكثرة المطالعة ، او كثرة علاقاته الاجتماعية التي رعاها او تعهدها . قد تكون لهذه العوامل فائدتها وقيمها الذاتية . غير ان الاختبار يدلنا على ان الاعمال العادية في الحياة قد تمد الفنان بالاختبار الذي يحتاج اليه ، كما جرى الامر مثلا مع الفنان فرا انجليكو (١) ووليم بلايك (٢).

وعلى هذا النحو الذي يجد فيه الاثر الفني طريقه للظهور ، لا بد للمرء ان يتساءل عن العلاقة التي تشد الاثر الفني الى الطبيعة . مما لا شك فيه قط ، ان الفن ما كان ابدا ولن يكون قط مجرد نسخ او نقل مادي للطبيعة المحيزة في الزمان والمكان على اقدار متناسقة من الكم والنوع والشكل واللون ، او مرآة امينة لواقع متحيز . والذي يجب الا يغرب عن البال قط ان النسخة او الصورة المنقولة ، لا يمكن ان يتوفر لها هذه العوامل بالذات التي تطبع اثرا فنيا : من حيوية ونشاط واثارة وايحاء ورمزية ، وغير ذلك من مقومات الابداع الفني . وهذا لا يعني قط ان ليس للفنان ان يقلد الطبيعة او يستعير من قوالبها عندما يرى في تقليده هذه القوالب واستعارته هذه الاشكال ، تحييزا للصورة الفنية المرتسمة في ذهنه . فالامر تم دوما على هذا الشكل في ما يتعلق بالرسم والنقش على الاخص ، مع ما يرافق عملية التقليد هذه ويصحبها من اصطفاء ، وتبسيط وتنسيب في الاقدار والاحجام والمقاييس والانتساب وغير ذلك من عوامل التحييز لمقومات الصورة الذهنية والمميزات التي تفردها .

وبعد هذا الوصف المقتضب بحكم الضرورة لعملية التحييز وسكب القسمات المفردة التي تطبع الاثر الفني ، لننظر الان مليا ما للاثر الفني القائم باوصافه المفردة ، من تأثير ظاهر على الرائي او المشاهد . وهذا الاثر يتم بما يسميه الفنانون بعامل « الانطباعية » Empathy وهي عملية ، تقوم اصلا . بفشيان الرائي الاثر الفني بوعيه ، والتحسس بعنف ، بما يلابس هذا الاثر الفني ، من عوامل التفاعل والانفعال ، والتفهم ، وما اقتضاه انجازه من جهد يدوي او ذهني ليأتي على ما استقر عليه في الواقع المحيز باوصافه وملابساته .

ولما كان العامل الاول الذي ساهم اكثر من غيره في تحييز الاثر الفني هو عامل عاطفي ، شعوري ، كان لا بد

(١) فرا انجليكو Fra Angelico (١٢٧٦–١٣٣٧) ـ مصور ايطالي فلورنتي المولد من اشهر رجال الفن في الاجيال الوسطى على الاطلاق ، ومن ابعدهم شهرة ، نبغ ايضا في الهندسة المعمارية والنقش . فهو خير من يمثل المدرسة الفنية الايطالية التي سبقت عهد الانبعاث او الاحياء في القرن السادس عشر . عاصر دانتي وصاحبه ولازمه . دخل الرهبانية الفرنسيسكانية . من اثاره الفنية الخالدة نقوش تحيي معالم سيرة القديس فرنسيس الاسيزي ، وسيرة السيد المسيح ء الاولى تحلي الكنيسة المشادة على اسمه ، والثانية تزين المذبح الكبير في كنيسة القديس بطرس في روما ، وغير ذلك من النقوش الجدارية التي تمثل حياة السيد المسيح وحياة العذراء مريم ، والدينونة الاخيرة في كنيسة بادو . ومنها نقوش جدارية رمزية تمثل زفاف القديس فرنسيس الاسيزي الى الفقر ، وانتصار المحبة ، وانتصار الطاعة ، وكلها تحلي الكنيسة السفلى القائمة على اسمه . من رسومه الرائعة العشاء السري الاخير الموجودة في مونيخ وتقديم المسيح الى الهيكل (في متحف بوسطن للفنون الجميلة) .

(٢) وليم بلايك William Blake ١٧٥٧–١٨٢٧ ـ رسام انكليزي مشهور وشاعر متصوف ، عمل في تحلية بعض الدواوين الشعرية وتزويقها بالصور والرسوم الفنية منها اناشيد الطهارة ، واناشيد الخبرة وتولى تحلية « الكوميديا الالهية » لدانتي . من مؤلفاته الرمزية

للرائي ، في الدرجة الاولى ، من ان يتفاعل شعوريا ، ويتجاوب عاطفيا لموحيات الاثر الفني المتحيز امامه ، اذا اراد أن يكسب منه اكثر ما يمكن له ان يطمع فيه من هزة عاطفية . ان هذا التجاوب العاطفي او الشعوري ينطبع به الرائي وينفعل ، يختلف كسما ونوعا وطاقة ، باختلاف ما يتحلى به الاثر الفني من صفاتية مفردة ، ومميزات تسمه نوعا وتطبعه في ذاته . وهذه الاستجابة الانفعالية قد ترتدي مظهرا بسيطا لهزة عاطفية يبعثها في النفس ، ما في الاثر الفني من عوامل الانسجام ، والتناسب والقوائم بين مقوماته ومقطعاته المحيزة ، والالوان التي اعدت لها وبرزت عليها ، بحيث يبعث هذا كله في النفس البهجة والغبطة والارتياح . ولكن عندما يأتي الاثر الفني نتيجة لنشاط المخيلة العارم ، فالشعور البسيط بالارتياح اذا ما بقي قائما ، قد يغيم او يختفي وراء انفعالات اخرى، بينها التحسس بقوى عقلية او مادية ناشطة . او بالرضى والطمانينة ، او بالكرب والوجل ، او بالنشوة او التسامي، او بالرهبة والرعدة . والواقع ان اثرا فنيا من نوع معين ، قد يثير في النفس البشرية قوس قزح من شتى المشاعر تتباين تباين الالوان التي يتالف منها ، او كما قال غوتيه(٣) نفسه : « ان هذا الاثر قد يوحي لنا اعمق ما في الانسان من اسرار الخلق والابداع » . وهكذا ، وكما يتفق ان يأتي العمل الفني فوق القدرة الشخصية ، هكذا يمكن للرائي ان يخطف الى ما وراء حدود المعقول والاختبار اليومي ، الى أجواء الاكتناه ، هذه الاجواء نفسها التي يحلق فيها الفنان والرياضي والصوفي في تجريداتهم وشطحاتهم الدينية .

قد ينكر عدد كبير من الناس على انفسهم ان تكون لهم مثل هذه القدرة على الارتفاع والتسامي والتحليق في هذه الاجواء العالية التي المعنا اليها . الا انني لست بواثق انهم على حق في ما يرون او يدعون . من الثابت مع هذا ، ان للسواد الاعظم من الناس طاقة على التحسس لكمالات الاثر الفني ومقوماتها اكثر مما يظن العديدون بينهم ويعتقدون . فالاثر الفني ليس امرا تخفى عوامله ومعالمه ، فتقييمها واستشعارها منوط بالواقفين على اسرار الصنعة، المتفهمين لدقائقها . والتجاوب الانفعالي او الشعوري الذي يحدثه الاثر الفني في نفس الرائي ، لا علاقة له البتة بمركز صاحبه الاجتماعي او بالوظيفة التي يقوم بها رسميا ، ولا يرتبط بما قال مما تم للمجتمع من اسباب الحضارة والرقي ان الصور والرسوم التي وصفها انسان الغاب او الكهف في افريقيا ، والنقوش التي حفرها الزنجي الافريقي تنم عن المستوى الذي بلغته الحاسية الفنية بين الجماعات البشرية البدائية .

والناظر الى الاثر الفني يحتاج الى اكثر من الحساسية ليستطيع تذوق ما يتحلى به هذا الاثر من مقومات جمالية وما يستجمعه من كمالات فنية . وهذا المجهود الذهني والكد الفكري يعانيه الفنان في خلقه وابتكاره الاثر المحيز يجب ان يقابله في الرائي المستمتع بالتطلع فيه جملة وتفصيلا مجهود فكري او ذهني ، لا تتم بدونه عملية التذوق والانعطاف . فكلما كانت عناصر الفن متغلغلة في الاثر الفني ، معرقة بعيدا في مقوماته وقسماته ، تحتم على الرائي ، في تذوقه لها ، بذل جهد عقلي وكد ذهني اكبر واشد ، لتبدو له الاسس الفنية التي قام عليها الابداع الخلاق .

فبالاضافة الى ما يحدثه العمل الفني في نفس الرائي من اثارة حساسيته وكد ذهنه لتفهمه وادراك مقوماته وتذوقها ، فهو يضم عوامل ومؤثرات غير ما ذكرنا ، تهذب النفس وتساعد على البناء الروحي وتبعث الرضى . ومن بين هذه العوامل ، اللذة التي اشرت اليها من قبل ، وتداعي الخواطر او الاستحضار الذهني لحادثة مضت ، او لمشهد وقعت عليه العين ، او لذة استقرت في مطاوي النفس ، ان صورة زيتية لمشهد طبيعي فاتن ، قد تعيد الى ذاكرة ابن المدينة الذي يراها ذكريات ايام حلوة او سويعات لذيذة قضاها في الريف ، كما ان مشاهدته صورة منقوشة قد يحيي في ذاكرته وحافظته ، صورة حيوان رفيق ، او صديق صدوق ، وغير ذلك . ولكن كم في هذه اللذة من عوامل المفاجاة او المصادفة ، وما علاقة هذا كله بالاثر الفني

« الاسفار النبوية » Prophetic Book

(٣) غوتيه Goethe ١٧٤٩–١٨٣٢ احد عباقرة الانسانية ومن اتمهم واشملهم واحواهم كمالات ومؤهلات على الاطلاق . كاتب ، شاعر مؤرخ ، فيلسوف ، سياسي ورجل دولة ممتاز ، وفنان ، ومهندس ومؤلف مسرحي، وروائي ، وعالم طبيعي . جلى في هذا كله وابدع ، فبقيت اثاره الحية الى اليوم حديث نبوغه ومعالم عبقريته . فقد جمعت شخصيته وتحلت بكمالات قد لا يدانيه في وفرتها وغناها وامكانياتها وحدتها الا ما تم منها لنفر قليل جدا . اطلق في المانيا حركة عارمة من التجدد والازدهار والنشاط الفكري والادبي . كان عاملا من عوامل المذهب الرومانطيقي . ولد في فرنكفورت على الماين ، ودرس في ليبزيغ . عمل طويلا في خدمة بلاط

أكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : مدام ومسيو كاربيس

عضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط

والحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

اقصدوا معهد كاربيس المحترم موضع ثقة ورضى جميع

من تعامل معه من العائلات وافراد المجتمع

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

تلفون ٣١٢٩٦ ص.ب ١٤٩٩

بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

بالذات فامر يحدث مع اشياء لا تمت للفن بسبب متين ولا يمكن معه بان تصبح يوما اعمالا فنية .

والى هذا ، هنالك اللذة التي تصدر عن التمتع بمرأى أثر فني خرج من يد فنان مبدع ، او انطلق من اثر فني ثم وضعه بدقة واتقان . وهذه اللذة او البهجة ، مصدرها اصلا الشبه التام بين هذا الاثر الفني وعمل الطبيعة. ففي حالة كهذه لا علاقة لهذه اللذة بالاثر بقليل او كثير سواء اكان الاثر عملا فنيا او لا . وقد تظهر المقدرة الفنية ، في بعض الاحيان ، مع ذلك في الملامح او القسمات التي اضفاها الفنان على المادة التي بين يديه لدى معالجته لها ، ليعبر بها عن فكرة مرت في خاطره ، فيكون تفهم الرائي الذي ينظر اليه ، بمثابة مساهمة منه في تذوق عمل فني تذوقا كاملا .

ولعل ما هو اصعب من هذا بكثير تلك المشكلة التي يثيرها موضوع الرسم والنقش وعلاقته بالناظر او الرائي. وقد داب الانسان ، منذ عصور ما قبل التاريخ ، على اتخاذ الموضوع مادة للتسلية والترفيه ، او للتثقيف ، او للدعاية السياسية والاجتماعية او لاغراض اخرى من سحرودين. وكان التصوير والنقش على العموم ، اداة مثلى للتاثير على الجماعات والجماهير التي يسيطر عليها الجهل . ومع ذلك من يتتبع تاريخ الفنون في الغرب ، يرى انه قام دوما بين الناس هنالك ، تيارات من الاراء قالت بان عظمة الاثر الفني ونبله يصدران دائما عن عظمة الموضوع ونبله بالذات . وقد عارض هذا الراي راي ثان كتبت له الغلبة على الاول في القرن التاسع عشر ، مرده ان لا شان قط للموضوع في الامر ، بل المهم في ذلك كله هو قوة الخلق والابداع في الفنان صاحب الاثر .

وهذان الرايان ليسا مع ذلك بمتعارضين او متضادين بشكل يستحيل التوفيق بينهما . فعندما يعالج رسم او نقش ما ، موضوعا بعينه ، بصورة وضعية او بيانية ، فقد يمكن اعتباره اداة تسلية وتهذيب للناظر او اداة ترغيب له او ترهيب . وعمله هذا ، اشبه ما يكون بالاثر تحدثه قطعة او رائعة ادبية محضة ، وليس كعمل الاثر الفني . فهو يؤثر بالمشابهة والمحاكاة وبالتداعي او الاستحضار الفكري، لا غير ، وبصورة مباشرة . وقد يحدث مع ذلك ، كما سبق لي واشرت الى هذا من قبل ، ان يتخذ الفنان ، من عملية الاستحضار والوصف ، عدة في عمله الفني الخلاق، فينسج من الخيوط التي يستعملها القسمات التي يضفيها على الاثر الفني الذي يبدعه . وخير مثال على ذلك ، الصور والرسوم الفنية التي وضعها رامبرانت (٤). وهذه الصورة ليست سوى عملية احياء مثيرة لافراد من الناس ، بل هي اكثر من ذلك بكثير ، هي رمز لهذا النوع من الناس يرمز اليهم الشخص المرسوم ، ليس في لحمه ودمه فحسب بل ايضا في عقله وروحه . فالخاص ينقل الى العام بفضل ما في الرسم من قوة الخلق والابداع . اما الرائي فيحمل الى ما وراء تجارب الحياة العادية ، الى عالم من المشاهدة اوسع وادعى للاثارة .

فلننتقل الان ، ولو الى حين من واقع الاثر الفني وما يقوم عليه جوهره وكنهه وما عسى ان يحدثه من اثر للترفيه عقليا وروحيا عن الانسانية ، الى ناحية من نواحي هذه المشكلة العملية ، التي تعترضنا في جعل الاثار الفنية اكثر اتصالا وفعالية بحياتنا العادية . نحن نعيش عهدا من التطور السريع في معلوماتنا وبضاعتنا العلمية لم يسبق للانسانية ان رات له مثيلا في النوع والكم ، مكننا من استثمار مواردنا الطبيعية الى اقصى حدود الاستثمار . فالانتاج تزداد مقاديره بمعدل فاق ما سجله منها من قبل . ومما يدعو الى الغرابة هو اننا لا نهتم كثيرا فيما اذا كان هذا الفيض من البضائع والانتاج يخدم شيئا غير تلبية حاجاتنا المادية ، الامر الذي حدا ببعض الساسة البارزين للتصريح قائلا : « لا يتاتى لنا المحافظة على الحضارة وحياتها بهذه الاشياء المادية بل عن طريق الروح » .

فالفنان ، عندما يقوم بعمله الفني ، يستهدف تغذية الروح ، قبل كل شيء اخر . ولذا ، فالحاجة تبدو شديدة لنسكب في الاشياء التي ننتجها ، عمل الفنان واثره . وهذا التاثير مرغوب فيه جدا ليس فقط عند صنع اشياء خاصة لمناسبات خاصة بل في جميع هذه الاشياء التي تحيط بنا في حياتنا العادية : في المدن التي نقطنها والمنازل التي نقيم فيها وبها نعمل ونصنع ، مئات الحاجيات والاغراض التي نرى ذواتنا بحاجة ماسة اليها . فبقطع النظر عما يبعثه فينا الاستمتاع بهذه الاشياء الجميلة المرسومة رسما فنيا بديعا من لذة مثيرة وارتياح ، هنالك اهمية ملحوظة في خلق محيط او بيئة تساعد على اثارة عواطف الانسان ومشاعره وانماء ملكاته بحيث يستطيع ان يستوحي من الفنون ما يمكن ان تعطيه او توحيه . ومجمل الكلام علينا ان ندمج الفن في الحياة دمجا كليا اسوة بما فعله الانسان في بعض ادوار تاريخه الغابر .

وعملية الادماج هذه للفن والحياة ، يدعي بعضهم استحالة الاخذ بها وتنفيذها . من الثابت اننا لا نستطيع ان نرجع عقارب الساعة الى الوراء ، ونحل الانتاج اليدوي محل الانتاج الالي . ومع ذلك ، فسيبقى هنالك طائفة كبيرة من الاشياء يمكن ان نعهد الى اصحاب الحرف والمهن اليدوية صنعها ، ليس صدقة منا اليهم او تحسسا

امير ويمار فجعل منه قبلة الادباء والفنانين ورجال السياسة واهل العلم والبحث . من اثاره الفكرية الخالدة : ايفجينيا في توريد (١٧٨٧) ، وايجمونت (١٧٨٨) ، وفي القصة : « هرمان ودوروثي » (١٧٩٨) ، وفيرثر وفوست راجع فيه مقالا منهبا لنا عقدناه عليه بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لميلاده ، بعنوان : « غوتيه في المكتبة العربية ». ما الف فيه وما ترجم له بالعربية ، نشرته مجلة الكتاب في القاهرة .

(٤) رامبرانت Rembrant ١٦٠٦-١٦٦٩ احد مشاهير الفنانين في دنيا الرسم والحفر في عصر النهضة والانبعاث ، هولندي الاصل والمولد ، ومن كبار المصورين الذين اطلعتهم المدرسة الهولندية الفنية . فهو رب من ارباب الانوار والظلال . ولد في ليدن ، واقام منذ عام ١٦٣١ في مدينة امستردام منقطعا عن مخالطة الناس . في عداد الرسوم والنقوش الفنية التي تركها قسم صور فيه نفسه وبعض اعضاء اسرته ، كما صور فيه حوادث عديدة ومشاهد تحيي حوادث الكتاب المقدس . من ذلك مثلا الرجوع من سبي بابل ـ وسمعان الشيخ في الهيكل ـ والملاك يهجر طوبيا البار ـ والمسيح بصورة البستاني ـ سلسلة رسوم لشمشون الجبار . ومن الرسوم التي تحيي بعض المشاهد : الدينية . استراحة العائلة المقدسة ـ المرأة الزانية ـ العجوز تقلم اظافرها ـ انزال السيد المسيح عن الصليب ـ الصلبان الثلاثة ـ شفاء المسيح للمرضى .

ثلوج

الغيـــوم
وهي في الجو تحوم
نزعت عنها الخوافي
ورمتها للفيافي
علها يوما تطير
في جناح عبير

*

والرياح
جمعت زهر الاقاح
من بساتين القمر
نثرتها بِدَراً بعدَ بِدَرْ
في جنون المسرف
لربوع تعتفي

والتلال
شربت خمر الجمال
فهي سكرى لا تعي
في ذهول المبدع
غبَّ خلق مبتكر
يتراءى في صور

*

الثلوج
آه ما أحلى الثلوج
هي احلام المروج
ورؤى خَود غنوج
يا لحلم أبيض
قال للارض انهضي

وديـع ديـب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمسؤولياتنا نحوهم ، بل لاعتقادنا ان بوسعهم ان يصنعوا هذه الاشياء بشكل ادعى الى الاتقان والفنى من صنع الالةلها

فمع وجود اقوام من هذا النوع ، واناس عـلى هذه الشاكلة يصطفون ليضربوا لنا ارقاما قياسية ولينفخوا فينا الالهام ، يستباح التحكم بالالة واقصار انتاجها على بعض النواحي باستثناء البعض الاخر . ان الحاجيات الاليةالصنع ينقصها دوما عنصر ضروري يتوفر وجوده دائما في الاثر الفني . فهذه الحاجيات ، في طبيعتها وجوهرها ، نسخة الية لنموذج معين وقالب محيز . فليس في هذه المقلدات والنسخ المتشابهة اي مجال ممكن لتعاون القلب واليـد ليعملا معا فيشتركان في صياغة الاثر الفني وافراغه ليخرج اثرا وحيدا من جنسه يوحي بكل ما للفنان من شخصيـة مفردة . وهذه الفكرة نفسها حدت بالخزافين الصينيين الى ان يتخلوا عن الكمال الالي الذي يمكن له دولاب الخزاف ليفسحوا له المجال فيضفي على كل ما تصنعه يداه مـن اغراض اعمال واثر ، ميزة خاصة مفردة . اما اذا ما اعتبرت الالة اداة محكمة لتحييز رسم معين وضعه الفنان ، أمكن اذ ذاك للاثر الذي تخرجه الالة ان تكون له المميزات التي تفرد الاثر الفني نفسه من وحدة وتناسب وانسجام . وقد ادرك كبار رجال الصناعة هذا الامر ، كما ادركوا انهم اذا ما تركوا للفنان التحكم بالالة عن طريق الرسم الذي يضعه، امكنهم اخراج مصنوعات احسن واجود ، بكلفة اقل وربما ارخص .

ومع هذا هنالك امور كثيرة يجب صنعها دونها خرط القتاد . فالقعود راضين قانعين قابعين، مع الاعتقاد ان كل شيء لدينا على ما يرام مدعاة للاهمال ، وتثبيط للهمم ، ومقتلة للنشاط ، اذ بذلك الاطراح جانبا ، كل ما يستطيعه خيال الفنان المبدع لاشاعة البهجة في قلب الانسان واثـارة حماسه ، وبنائه روحيا وعقليا . اما اذا ما اخذنا انفسنـا بالشدة وطلبنا من الفنون ما يمكن ان تقدمه لكل واحد منا جملة وفرادى ، استطاعت الفنون الجمالية اذ ذاك ان تكون لنا حسبما رسمته احدى الصلوات المشهورة :

« سبيلا يفضي بنا للجمال »
« ومنزعا يؤدي بنا للمجد »

يوسف اسعد داغر

قصة قصيرة

تراب صدري

بقلم حليم بركات

مهداة الى جبرا ابراهيم جبرا

عيناي في ربطة عنقه السوداء . ترى الست مثل هؤلاء الناس ؟ لماذا نحزن عندما يموت انسان ، ألم يكن ميتا قبل ذاك ؟ كل ما هنالك انه لم يعد يحس بالموت .

وحاولت طرد هذه المشاعر الصغيرة لانني امقت التشاؤم ولطالما حاولت ان اضيء شمعة في صدر صديقي المعتم التصقت هذه المشاعر بعروقي ، فما استطعت التخلص منها ، في ليلة رأس السنة احسست كما لو انني نعش يحمل جسدي الصغير الى

منذ ساعة كنت وحدي في «الانكل سام » فشربت عصير البرتقال بينما كان جاري يغرق في قدح وسكي مع فتاته الجميلة . وكرهت ان اظل اراقبهما هكذا فقلت لنفسي : لاخرج علني اكون غير ما انا . وها انا في حانة اخرى ــ في الوليمس ــ اشرب عصير البرتقال وتشربني الاسئلة :

لماذا لا اذهب اليها ؟ انها تنتظرني . هذا العالم المثالي الذي احيا فيه نبذه عصرنا من زمان ، فلماذا التصقت بترابه ؟ ماذا لو كانت متزوجة ؟ ماذا لو كان لها طفلة ؟ زوجها لا يحبها وهي لا تحبه ، أفلا يحق لها ان تبحث عن سعادتها ؟ وما معنى الحرية التي نؤمن بها اليوم ان لم تكن تخلصا من اوهام تكبلنا ، تميتنا ، تدفننا في تراب صدورنا .

ــ واحد قهوة من فضلك .

في صوت جاري بلادة كما في عينيه وفي ربطة عنقه . ثم وجدت نفسي اعود الى عالم تساؤلي : ولكن هل أستطيع ان اتزوجها ؟ ألم تكن هذه مشكلتي من قبل . بعد سنتين ساتخرج من الجامعة وبعدها علي ان التحق بالجيش في خدمة اجبارية . ترى الا يحق للتلميذ ان يحب لانه لا يستطيع ان يتزوج ؟ ماذا افعل اذن باحاسيسي التي قالت لي يوما انها اكبر مني ؟ كاذبة . لو آمنت بأحاسيسي لتزوجت . لم يكن بامكانها ان تنتظرني . انا نفسي لم اشجعها على الانتظار . ربما لانني لم اكن متأكدا انني احبها ، فكثيرا ما قلت لنفسي : احس بتيار عاطفي يجذبني اليها ولكن هذا لا يكفي . الحب يحتاج الى شيء اخر ــ الى تفاهم عميق . ان مجرد فكرة الزواج كانت تضحكني . لم استطع ان اتصوره . صراخ اطفالي كان ينقلب قهقهات في فمي . ما استطاعت ان تفهم الحب الا طريقا للزواج . وكم لمت نفسي انني اردتها غير ما تؤمن . أليس هذا حق من حقوقها . والمجتمع الا يريدها ان تعيش في هذا المنطق ؟ ربما انا لم اعرف كيف أختار فتاتي .

وودت لو اضرب راسي بالحائط قربي وبالطاولة امامي او بالسور الزجاجي الذي يفصلني عن الناس يمشون في الخارج كي يوهموا انفسهم ان الشلل لم يجمدهم . وجلت ببصري في الخارج : هؤلاء الناس هل يختلفون عني ؟ كلهم ضائعون . تطلعت الى نظارتي شاب طويل ثم الى رجل ضخم تجمع في معدته فتبعها مترنحا وتطلعت مع بائع العلكة الى فتاة تمسك بذراع امها . ترى ، الا تود هذه الفتاة لو كانت امها حبيبها ؟ وابتسمت ثم عدت الى بائع العلكة . تأملت عينيه الوسختين وشعره الغامر جبهته ونوافذ قميصه المطلة على جلده الاسمر . وجذب نظري شاب يروح ويجيء ، يلتفت الى الناس والى حذائه يلمع ، وتمتد يده الى السلسلة الحديدية تفصل الرصيف عن الشارع ثم تعود الى جيبه وتتكور بقلق هناك . وفيما انا انتظر عودته بعد ان غيبته الزاوية ترامت عيناي على عمود الكهرباء تلتف حوله ذراع ويستند اليه جسد شاب صغير يضحك مع رفيقه . بماذا يتحدثان ؟ لا شيء . لا بد ان حديثهما ــ كضحكات المستند الى العمود ــ فراغ . ترى هذا البوليس الفاغر فمه والعجوز القابعة وراءه بماذا يفكران ؟ لا شيء . مثل بقية الناس وهذا الوجه الذي يحمل الحزن ترى ما هي المشكلة التي يعانيها ؟

وتمنيت لو كان بامكاني ان اعرف مشكلة كل انسان يمر . مشكلتي الخاصة لم افهمها فكيف افهم مشاكل الاخرين ؟ لماذا احببتها وانا بعد تلميذ صغير امامه سنوات دراسية وسنوات استعداد . كان يجب ان احب فتاة يمكنها ان تنتظرني الم اقل اني ربما لم احبها ؟ كفى . كفى . لقد احببتها . دائما اوهم نفسي . دائما . ولماذا لا احبها ؟ الا يحق لي ان اكون غير صنم يمشي ويقف ، يذهب ويجيء ؟ الا يحق لي ان افجر في عروقي اليابسة ينابيع الحياة ؟ الا يحق لي ان تكون لي سعادة واحلام وامال وآلام ؟

سمعت نقرات على الواح الزجاج فرفعت راسي الى يد احد اصدقائي يلوح بها مسلما سائلا عن حالي ثم يبتعد . مررت ببصري على الطاولات المزدحمة بالزبائن . رافقت عيناي الدخان المتماوج يترك سيجارة جاري ويرتفع الى السقف حيث يضيع .

الم اقل لها يوما ان شعرها سحبة دخان تتصاعد من محرقة الاهية في بعلبك ؟ فانحنى راسها الصغير الى كتفي يقول : شعري ، يعجبك ؟ تراه جميلا الى هذا الحد ؟

وقالت شفتاي الباحثتان عن نبع في غابة شعرها : بل اجمل ، وتحرك الرأس بنشوة : هذا الشعر ما قيمته لو لم تفهمه انت .

تراها كانت صادقة في حبها . لا شك . ولو لم تكن صادقة لما ارسلت لي بطاقة معايدة وكتبت عليها ما كتبت . تراها فكرتها ام انها اقتبستها ؟ هل هذا دليل على انها مخلصة ؟ لو احبتني لرفضت ان تتزوج غيري . ترى أغرتها جواهر تتدلى من واجهة محله ؟ ولكنها لم تنسني كل هاتين السنتين . أليس هذا دليلا على اخلاصها ؟ ربما لم تنسني لانها غير موفقة في زواجها . تذكر حبي لانها تريد ان تنسلخ عن عذابها . ولماذا لا اريدها ان تكون هكذا ؟ لماذا اريدها ان تتجرد من حالها ؟ لماذا ؟ لا ادري . عندما احببتها الم احبها من ضمن قلقي وحنيني واحلامي وصبوتي ؟ والان لماذا اشعر بحاجة اليها اكثر من اي يوم اخر ؟

تطلعت الى ساعتي ، انها الثانية عشرة الا عشر دقائق .. والى ما وراء

الحاجز الزجاجي ، ثم خرجت الى الشارع المبلل المزدحم بالناس . نقيطات الماء المبعثرة تزيدني انطواء على نفسي . ترى كيف استطيع التجرد عن الناس يتراكضون في الشارع ، يتمهلون على الرصيف ، خطواتهم تصرخ وشفاههم ايضا . لماذا لا اعيش في عالم الاخرين فانسى .

والمح صديقي وحده يخرج من دار احدى السينمات : كذاب . قال لي في الامس انه سيذهب الى حفلة راقصة مع فتاته . اين الحفلة ؟ اين الفتاة ؟ اراد ان يوهمني ان لديه فتاة . مثلي ضائع . مثلي يعيش في احلامه

وشعرت بتعزية جعلتني ابتسم واقترب منه : سامي مرحبا . عرفت انني فاجأته اذ سمعته يجيب : مر...

حبا رياض . ويشد على يدي ضاحكا قائلا : اين ؟

ـ لا ادري . ـ وانا كذلك .

وضحكت معه . وددت لو كنت مثله : استر فشلي عني وعن الاخرين بالضحك وعدم الاهتمام . واردت ان اساله عن الحفلة الراقصة ولكنني امتنعت احتراما لمشاعره ، وكانما عرف بماذا افكر فقال مبتسما : ما اتعس حظي . كنت حتى الساعة العاشرة من صباح اليوم اعتقد انني سأسهر معها فنرقص ونرقص حتى تتخدر وردد عبارته : ما اتعس حظي: انا معك بدل ان اكون معها

وارتفعت ضحكته مما جعل بعض المارة يلتفتون اليه ويبتسمون . ضحكاته اغرقتني في احلامي .

الساعة الثانية عشرة الا دقيقة . في مثل هذه البرهة منذ سنتين كنت انتظر ان يموت الضوء فتتحد شفتاي وشفتاها في عتمة كلها ضوء .

واغمضت عيني لاحيا في وهم القبلة : احبك

ويقول فمها بصمت : احبك .

غير ان ابواق السيارات التي انطلقت من كل ناحية استقبالا للسنة الجديدة شدتني الى الناس ، الى بلاط الشارع المبلل ، الى العيون التائهة في صحاري الوجوه والى الكلمات الفانية في ضجيج الابواق . كل سيارة تصرخ . . تزعق . . تلتصق بأذني وضميري ، ثم رحت اضحك عندما رايت صديقي يضع اصابعه في فمه ويصفر بقوة .

حاولت ان افعل مثله لكنني لم انجح فاستعضت عن ذاك بقهقهات عالية مفتعلة امتزجت بصفيره وزعيق السيارات والوف الاصوات تتدحرج من الوف الافواه . جذب نظري صدر فتاة ابيض ناصع فصلبت عيناي هناك ولكنها تحركت نحو السيارة فانحدرت عيناي الى ساقيها تراقبهما وهما يغيبان في الداخل . اغلق الباب بقوة فضحكت وضحك صديقي . . ثم توقف فجأة وقال : ما رأيك بسهرة على الزيتونة ؟

فطنت ان ليس في جيبي غير عشر ليرات فقلت : الان ؟

وضحك ساخرا : لا ، في الامس .

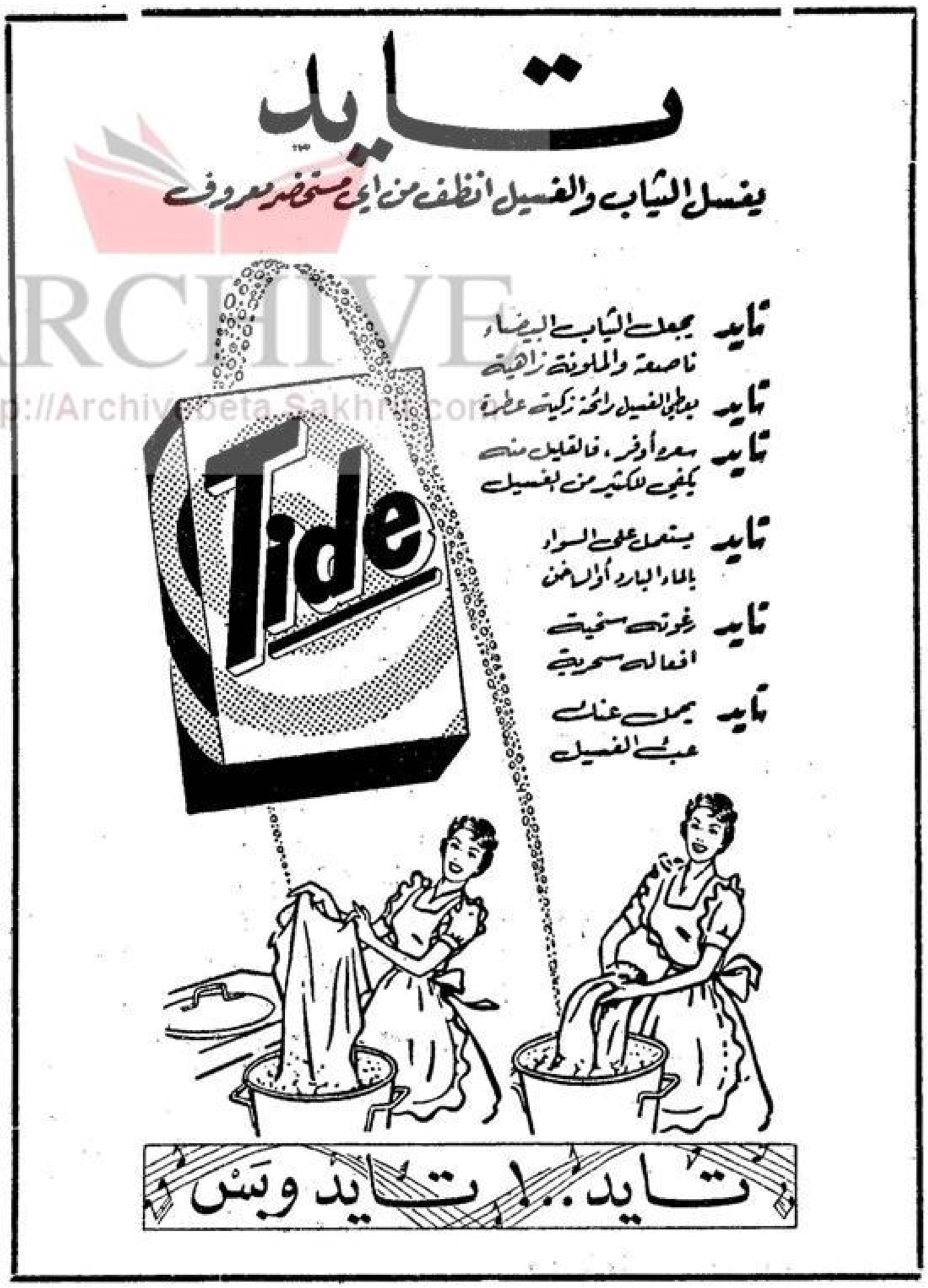
خجلت ان اقول له ان جيبي فارغة فقلت « امش » وفي نيتي ان ننتقل من ناد ليلي الى اخر دون ان نجلس كما فعلت انا وفؤاد في ليلة عيد الميلاد . وعندما خطر فؤاد في بالي قلت لصديقي : ترى اين يكون فؤاد

ـ مسكين . دائما افكر كيف يمكنه ان يتحمل خدمة الجيش سنتين .

ـ كما نتحمل نحن الحياة .

وعدنا نسير صامتين في الشارع المبلل ولما اردت الا افكر بأي شيء اصغيت الى وقع خطواتي الرتيب ، فشعرت بنشوة . تأنقت اكثر فاكثر في مشيتي ، وملأ وقع حذائي الجديد على البلاط اذني ، وظهر لي انه ملأ اذني صديقي ايضا فراح يسير مثلي

دخلنا « الكيت كات » فاذا به مزدحم بالناس . وفي الباب صدر ارتيست ابيض تصخب فيه موجتان



تكادان ان تعبرا حاجز الثوب .
وشدني صديقي من يدي : تعال .
ـ الى اين ؟
ـ نبحث عن طاولة . البرنامج عظيم .
ـ اي طاولة ؟ الا ترى هذه الزحمة لا اطيق المكان .
خرجنا وكان عشرات الشبان مثلنا يدخلون ويخرجون . وفي « المولان روج » وقفنا قرب الباب نراقب راقصة يصخب جسدها في حركات مجنونة كأصوات تلك الالات الموسيقية امتزج هذا الصخب مع صخب نفسي فاستندت الى الباب .
لمحت وجها يبتسم لي فركزت بصري عليه . انه احد زملائي في الجامعة . وحدقت « بالارتيست » الجالسة بينه وبين تلميذ اخر لا اعرفه شعرها الملون ، ووجهها القابع خلف ركامات « البودرة » ، وعيناها الفارغتان من اي معنى ويداها البليدتان تمتد واحدة الى الكأس والاخرى تغرف في لهيب يديه ، وصدرها المتهدم .. كل هذا جعلني اشعر بالاشمئزاز فعجبت كيف يمكنهما ان يجلسا معها . لست ادري لماذا مرت في راسي صورة النسر لعمر ابو ريشة ـ النسر المنخور الهيكل ينحني على جيفة منتنة في السفح .
واحسست بيد « الكرسون » تتلمس كتفي : الى الخارج من فضلكم ويقول لرفيقه بتأفف : ما هذا ؟ »
وددت لو تبتلعني الارض فخرجت بهدوء الى الشارع وسمعت صديقي يستفهم : الى اين ؟
لم اجبه . الا يحس ؟ ورددسؤاله ثانية فثالثة فقلت باقتضاب : تعال .
وتبعني وانا انحدر في الشارع : الى اين ؟
بماذا اجيبه . انا لا اعرف الى اين . كل ما اريده هو ان اهرب . هذا العالم احتقره . كلنا اموات . كلنا . وهذه التي ندعوها حياة ما هي غير موكبنا يتجرجر الى القبر . وبعد القبر لا شيء . لا احد يعرف انه ميت ، فلماذا احاول ان اعرف ..
ومر في بالي صديقي الشاعر الذي طالما حاولت ان اضيء شمعة في عتمة صدره : « هذا العالم عبث . مجرد شاشة سينمائية »
استندت الى الحائط الاسمنتي اصغي الى اصوات الامواج تتلاطم ، وفي افق عيني المغمضتين جناحا النسر العتيق يرتفعان : « هذا العالم ليس له قيمة في نفسه . نحن نقيمه نحن نجعله عبثا ونحن نجعله غاية كبرى »
احسست بذراع سامي يلقى على كتفي : ما بك ؟ ـ لا شيء .
وصمت ثم قال : اعرف بماذا تفكر عندما تفكر بها تحتقر هذه الاجساد .
ومررت يدي على جيب قرب صدري اتلمس بطاقة المعايدة التي ارسلتها الي باسم ابنتها . شعرت انني بحاجة اليها . لماذا لا اذهب ؟ ترى انتهت الحفلة ؟
وعاد صديقي يقول : سمعت انها غير مسرورة في حياتها الزوجية
وتمسكت بالبطاقة قرب صدري هل اقراها له ؟ وقلت دون ان اجيب نفسي : لقد ارسلت لي بطاقة معايدة .
ـ صحيح ؟
واخرجتها من جيبي : ارسلتها باسم ابنتها . ـ كيف ؟ وبدات اقرا :
انت تعرفني رغم انك لم ترني ، فانا اشبه امي . عيناي مثل عينيها . امي ما تزال تذكر ما قلت لها يوما عن عينيها : لون عينيك سيمفونية زرقة واخضرار . فهما حينا بحر كل ما ارغب ان يضيع شراعي في افقه . وهما حينا صنوبرة في جبال لبنان ، وانا كذلك اعرفك فقد اخبرتني امي عنك اشياء كثيرة . قالت لي انني سأحبك كثيرا عندما اراك . سأحب قلبك الكبير .. وسأحب الالم في عينيك وفمك واصابعك وشعرك واذنيك الصغيرتين . امي تقول انني سأحبك وما تدري انني احبك الان . ارجو ان اراك في حفلة يقيمها ابي في بيتنا في ليلة راس السنة . قد اكون نائمة فارجو ايقاظي لان حفلتنا ستبتدىء في ساعة متأخرة .
امي تهديك السلام .
كأنما صديقي كان ينتظرني لانهي الكلمة الاخيرة فيقول بحماس :
مجنون . مجنون . ـ ما بك ؟
واستمر في هز راسه : لو كنت محلك : ماذا تريد اكثر من هذه الصراحة . لو كنت محلك .
آلمني هز رأسه فقلت بحنق : كنت ارقص معها الان ؟ كنت اقبلها ؟ اليس كذلك ؟
واسرعت الى سيارة وقفت هناك .
ـ الى اين ـ شارع الحمرا .
انطلقت السيارة تحملني وحدي . انا وقلبي يخفق : لا يجوز . لا نزل .
ولكن ماذا اقول للسائق ؟ ادرت وجهي عن الشارع يزدحم بالناس . « في ليلة راس السنة لا احد ينام » .
أاخجل منه ؟ لا نزل . لا ، لا يجوز .
صوت باب السيارة وانا اغلقه ما زال في اذني . سرت ببطء . تطلعت الى فوق . لست ادري بماذا كنت افكر عندما وقفت في اسفل السلم المؤدي الى بيتها . الموسيقى والضحكات المنتشية تترامى الي من النوافذ فتنسيني بانني يجب ان افكر . يجب ان افعل شيئا . واظل واقفا اتمنى لو ترتفع الضحكات :
شعرها وعيناها ويداها في عيني . تقول لي . يكفي . لقد شربت كثيرا . يكفي حبيبي . وتندم شفتاها لانها تلفظت بالكلمة الاخيرة فتنحني . شعرها .. شعرها وحده يلتصق بعيني .. واصبعها الحنون ينفض خيطا ابيض علق ببذلتي الكحلية . يدها تمسح حمرتها عن شفتي . وترتفع ضحكات وراء الستارة .
لاصعد . لا يجب ان اعود . جبان ! لماذا اخاف ؟ تسلقت السلم درجة درجة . لادخل بهدوء كما لو انني اقوم بعمل عادي . موسيقى روك اند روك . هذا العالم المجنون . وتنتشي قدماي . ماذا يقول زوجها ؟ ترى حدثته عني ؟ ماذا يقول ؟ ليقل ما طاب له . لا يهمني . احبها وتحبني هل استطيع ان اتزوجها ؟ اتزوجها ! اتزوجها ! . كأنما الحب يعني الزواج هذا العالم المثالي الذي احيا فيه وحدي سأحطمه .
امتد اصبعي الى الزر الكهربائي فسمعت الجرس يدق في راسي ، في عيني ، في يدي : ماذا اريد ؟ زوجها لا يعرفني . ماذا اريد ؟ انها متزوجة . لكنها تحبني . ما بي اعود لامثل مأساتي من جديد ! احاسيسك اكبر منك . زوجها .. طفلتها .. تلميذ .. في جيبي عشر ليرات
وقع اقدام يقترب .. يرتفع .. وهبطت السلم بسرعة . تلفلفت بظل احدى الزوايا . قلبي يدق بسرعة . وسمعت الباب يفتح . الضوء كاد يكشفني . قلبي يدق .. يدق . ويغلق الباب فيموت الضوء .
وعدت اسير في الشارع المبلل نحو الجامعة لاشرب عصير البرتقال .

الجامعة الاميركية ببيروت — حليم بركات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حسناً فعلت

○

حسناً فعلت ، ولا عتاب
انا لست أعبأ يا فتاه
فلقد أنرت لي الطريق
يا تعس قافلة تسير
من السراب الى السراب
حسنا فعلت ولا عتاب
ولا عتاب

دمي الذي بددته
ما زال يلمع في الدروب
عبر الطريق
أبداً ينير لي الطريق
لا تحسبي اني حزين
انا لست احزن يا فتاه
هل يحزن المذبوح والدم في رؤاه
لا حزن ثمّ ، ولا ملام
هل يعتب الجرح الطعين
على السهام
فدعي الملام وذكره لا ، لا عتاب
حسنا فعلت ولا عتاب
ولا عتاب

كان الربيع صدى غرام
يحيا هناك بأضلعي واليوم مات
وكتبت لي :
« يا صاحبي
حسنا سننسى كل شيء
ما كان حبك غير وهم
رف في قلبي الصغير
واليوم قد ادركت والقلب الكبير
قد نبهته الى الوجود حكاية

ما كنت بعدُ عرفتها
فعلمت اني لست لك
واذن سننسى كل شيء »
وفقدت في قلبي الربيع
وتناثرت عبر الضلوع
أزهار ايامي الحزينه
وسمعت قلبي هاتفا
من غور اعماقي الدفينه
يا أخت ، من خلف الدموع
حسنا فعلت ، ولا عتاب
ولا عتاب ..

وعلى ضريح غرامنا
حسنا ، سأكتب جملتين
« لا لست أنت ولا أنا
ما ذاك من صنع البشر
ان الذي رسم المصير
هو القضاء ، هو القدر »

وتمر قافلتي الحزينة في سلام
والدمع يلمع في العيون
وعلى الاقاح
والدرب ابلج كالصباح
ولا سراب
وصدى هتاف في الطريق
يرتدُّ من حجر عميق
حسنا فعلت ، ولا عتاب
ولا عتاب ..

القاهرة عبد المنعم عواد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انواع المفاهيم في العلم الحديث

بقلم صادق العظم

○ ○ ○

من المسلم به ان العلم الحديث يستند الى المشاهدة والخبرة الحسية من جهة والى النظرية وما يتبعها من الاستنتاج القياسي والاستقراء المنطقي من جهة اخرى . ولكن في الاونة الاخيرة طغت في الاوساط العلمية نزعة تدعو بالانصراف الكلي الى الملاحظة والمشاهدة الحسية مدعية ان مثل هذا الانصراف وحده كفيل بان يسير بالبحث العلمي في موكب التقدم . تزعم هذه النزعة ان العامل الاهم في تقدم العلم والبحث العلمي ينحصر في مشاهداتنا وتجاربنا المنتظمة للموضوع الذي ندرسه ونبحث فيه ، وبودنا هنا ان نوضح خطأ هذا الزعم الذي يجعل من المعرفة العلمية قائمة من المعلومات والمشاهدات الحسية فحسب . ويمثل هذه النزعة الحسية المناطقة الوضعيون في حقل الفلسفة والسلوكيون في حقل السيكولوجيا .

والمدرسة السلوكية تمثل لنا كيف نفضت السيكولوجيا عن نفسها غبار التفكير الميتافيزيقي التأملي الذي اشتهر به الفلاسفة الالمان وكيف اسست نفسها كعلم قائم على المشاهدة والتجربة الحسية (علم النفس التجريبي) ولكن في طور الانتقال من المرحلة التأملية الى المرحلة التجريبية تطرف هذا العلم الناشيء في تحمسه نحو المشاهدة والخبرة حتى اعتبر البحث العلمي كناية عن قائمة مكونة من ملاحظات ومشاهدات وتجارب الباحث متجاهلا بذلك اهمية الدور الذي تلعبه النظريات في تكوين الانظمة العلمية والان لنر الدور الذي تلعبه الاعتبارات النظرية والكائنات الغير محسوسة في القضايا العلمية . هذا ما سنبحثه الان متمثلين بعلم الفيزياء (اكثر العلوم تقدما) وبعلم السيكولوجيا

في التعبير العلمي نوعان من المفاهيم Concepts النوع الاول سندعوه «بالمفاهيم الحسية» Concepts by observation والثاني « بالمفاهيم الافتراضية » Concepts by postulation تنشأ المفاهيم الحسية من ربط كلمة لا معنى لها بمعطى حسي او مجموعة من المعطيات الحسية . وبذلك تصبح الكلمات رموزا دلالتها هذه المعطيات الحسية ودلالة هذه المفاهيم تحدد معناها التام . ومثالا على المفهوم الحسي « احمر » حيث الخبرة الحسية تحدد معنى ودلالة الرمز « احمر » اما المفاهيم الافتراضية فليس لها دلالة حسية تحددها الخبرة ، اي انها لا تشير الى اي كائن ندركه بحواسنا كاللون « احمر » مثلا وانما يحدد معناها حسب النظرية الاستنتاجية التي تقع فيها كأجزاء فاللون « احمر » مثلا « كموجة طول » في النظرية الاليكترو مغناطيسية هو مفهوم بالافتراض لا معنى له خارج هذه النظرية ولا دلالة حسية له .

وزعمنا هنا ان البحث العلمي يتطلب هذين النوعين من المفاهيم . بخلاف زعم المناطقة الوضعيين الذين يرفعون من شأن المفاهيم الحسية على حساب المفاهيم الافتراضية مع انها ركن النظريات العلمية .

والان لنوضح كيف يستعمل العلم هذين النوعين من المفاهيم ، لنأخذ مثالا من السير اسحق نيوتن . « ان الزمن المطلق ، الحقيقي والرياضي ينساب بذاته وبطبيعته بتساو وبدون علاقة بأي شيء خارج عنه ويعرف باسم الفترة الزمنية اما الزمن النسبي او الظاهري او العادي فهو مقياس محسوس وخارجي للفترة الزمنية يدرك حسيا وعن طريق الحركة . . . ! »

نرى بوضوح ان نيوتن يميز بين مفهومين اثنين للزمن . فهناك الزمن المطلق الحقيقي الرياضي وهو مفهوم بالافتراض وهناك الزمن النسبي الذي ندركه بحواسنا ونتكلم عنه في حياتنا اليومية . فالزمن بالمعنى الاول اي كمفهوم افتراضي ليس له دلالة او وجود حسي ولكنه افتراض اساسي ادخله نيوتن في نظامه ليعلل كثيرا من الوقائع والظواهر الطبيعية منها الزمن العادي الذي ندركه بالحواس كما ادعى نيوتن . ونستنتج من كل هذا ان تنظيم وتنسيق خبرتنا ومشاهداتنا الحسية التي تتألف مما سميناه بالمفاهيم الحسية لا تؤلف وحدها نظاما علميا بل يجب ادخال المفاهيم الافتراضية حاملة معها النظريات ليتكون لدينا نظام علمي تام .

فالمفاهيم الافتراضية والنظريات المؤلفة منها (١) تعطي تعليلا علميا معقولا للمشاهدات والمعلومات والمعطيات الحسية التي يجمعها العالم . (٢) تنسق هذه المعلومات والمشاهدات في نظام متماسك مترابط خلو من التناقض الذاتي ومتسق مع نفسه . (٣) تمكن العلماء من التنبؤ باحداث المستقبل خلال النظام العلمي ، ومثالا على ذلك نظام بطليموس الفلكي الذي يمكن الفلكيين من التنبؤ بالكسوف والخسوف . وفي علم السيكولوجيا كان هال C. L. Hull اول من ادخل بوضوح المفاهيم الافتراضية اذ

Newton, I Mathematical Principles of Natural Philosophy : ص ٦

جعلها الركن الذي يقوم عليه نظامه السلوكي فهو يضع هذه المفاهيم لتصف عمليات نيورولوجية افتراضية غير واقعة تحت المشاهدة ليعلل من خلالها سلوك الاحياء العليا الذي يقع تحت المشاهدة والخبرة .

فالمفاهيم الافتراضية عند هال هي محاولة لتاليف نظام علمي للتمليل والتنبؤ (ضمن حدود) بسلوك الاحياء وخاصة الانسان فمثلا عبارة « العادة » في نظام هال السلوكي كعبارة الزمن في نظام نيوتن توضح لنا الفرق بين المفاهيم الحسية والافتراضية . فالعادة كمفهوم حسي تعني عند هال نوعا من السلوك الذي تسير بموجبه الكائنات الحية وهو السلوك الروتيني الرتيب الذي يقع تحت المشاهدة الحسية والتجربة في المختبر واما كمفهوم افتراضي فهي حالة نيورولوجية لا تقع تحت المشاهدة والخبرة يفترض هال وجودها في الجهاز العصبي كتعليل للعادة بالمعنى الاول أي السلوك الروتيني الرتيب الذي نعرفه جميعا .

من خواص المفاهيم الافتراضية والنظريات المؤلفة منها انها ليست عرضة للخطأ والصواب . المفاهيم الحسية فقط تكون اما خطأ او صوابا . فاذا قلت مثلا هذا الكتاب ازرق (ازرق مفهوم حسي) فهذه الجملة بحكم الضرورة اماصحيح او خطأ ولكن اذا قلت يوجد مادة تدعى بالاثير (الاثير مفهوم افتراضي) ينتقل بواسطتها الضوء فان ما اقوله ليس صوابا او خطأ لان الاثير افتراض ابتدعه العلامة « هويجنز » Huyghens في عام ١٦٧٨ ليعلل انتقال الضوء وقد كان هذا المفهوم ذا صلاحية ونفع لعلم الفيزياء في ذلك الوقت ولكن في يومنا هذا اهمل هذا الافتراض وسقط من حساب العلماء في تعليل انتقال الضوء .

ان المفاهيم الافتراضية والنظريات والانظمة العلمية المؤلفة منها تمتحن على اساس صلاحيتها Adequacy التعليلية العلمية وليس على اساس الخطأ والصواب . فاي مجموعة من المعلومات عن « العالم » وعن الاحداث والظواهر الطبيعية يقوم تعليلها دائما على مجموعة من المفاهيم الافتراضية المعتبرة اكثر صلاحية من غيرها في تعليل هذه المعلومات التي لدينا . ومن جراء تقدم البحث العلمي نجد ان كثيرا من المفاهيم الافتراضية والنظريات العلمية التي كانت تعتبر صالحة في عصر ما قد فقدت هذه الصلاحية للتعليل العلمي في عصر اخر واستعيض عنها بمفاهيم ونظريات اصلح واحدث لذلك نرى ان ـ الزمن ـ المكان ـ الحركة ـ كانت اصلح المفاهيم الافتراضية للتعليل العلمي في عصر نيوتن ولكن هذه المفاهيم قد فقدت صلاحيتها التعليلية في عصرنا واستعيض عنها بمفاهيم افتراضية اخرى اصلح واحدث مثل انموذج بوهر للذرة The Bohr Model of the atom ولنعد هنا لمثالنا عن مفهوم الاثير فالنظرية القائمة عليه ليست خطأ او صواباوانماكانت في يوم ما ذات صلاحية لعلم الفيزياء وحينماتقدم ذلك العلم ادخل مفاهيم افتراضية جديدة ادت الى اهمال مفهوم الاثير لانعدام فائدته التعليلية العلمية .

نرى مما تقدم ان العالم يأخذ ما لديه من المعلومات

٢ ـ راجع كتاب هال في هذا الموضوع

C. L. Hull, Principles of behavior



الاديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٢٨١٩ Tél. Direc : 23819

المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

والوقائع المحسوسة ويحاول ان يوجد مجموعة من المفاهيم الافتراضية لتفيده في ايجاد تعليل علمي لهذه المعلومات والوقائع والمفاهيم الافتراضية في هذه الحالة تنشأ بوحي من المشاهدة والخبرة الحسية ومن ثم تقرر صلاحيتها او عدمها . وفي معرض الحديث يجب ان نذكر انه في بعض الاحيان تقود المفاهيم الافتراضية الى اكتشاف بعض الوقائع والحقائق الكامنة في العالم الخارجي ومثالنا على ذلك العالم الطبيعي لورنتز Lorentz وهو اول من اعطى للمفهوم الافتراضي « اليكترون » تحديدا ومعنى في نظريته الاليكترومغناطيسية العامة وبعد بضعة سنين تمكن العلامة البريطاني ج.ج. طومسون من ان يثبت تجريبيا وجود كائن له الصفات التي اعطاها لورنتز لمفهومه الافتراضي « الاليكترون » هذه الحادثة تظهر لنا كيف تكتسب بعض المفاهيم معنى افتراضيا قبل اكتسابها معنى ودلالة حسية

لقد استعملنا في سياق حديثنا عبارة « الصلاحية» لنعبر عن بعض الخواص المتطلبة في المفاهيم الافتراضية والمسلمات البديهية حتى يختارها العالم ويدخلها في نظامه لتعليل المعلومات التجريبية الحسية والظواهر الطبيعية التي يدرسها . والان يجب ان نقدم الاسس التي تقوم عليها هذه الصلاحية ـ (١) البساطة : وهذا يعني انه من عدد (س) من مجموعات المفاهيم الافتراضية التي يمكن ان تؤلف تعليلا علميا لما نريد ان نعلله يأخذ الباحث بالمجموعة الابسط والمجموعة الابسط من هذه المفاهيم هي التي تحتوي على اقل عدد ممكن من الافتراضات الاولية والمسلمات البديهية وبالوقت نفسه تعلل اكبر عدد ممكن من الوقائع والمعلومات التي نريد تعليلها . (٢) التنبؤ باحداث المستقبل : تلك المجموعة من المفاهيم الافتراضية التي تمكننا من التنبؤ باحداث المستقبل على الوجه الاحسن والاكمل تعتبر هي الاصلح وهذا الاساس يشترط ضمنيا ان تظهر المجموعة الاصلح من المفاهيم العلاقة السببية بين الاحداث التي نريد تعليلها والتنبؤ بحدوثها ـ (٣) الاستنتاجات القابلة للتحقيق : تلك المجموعة من المفاهيم التي تقود الى نتائج استنتاجية قابلة للتحقيق حسيا وتجريبيا تعتبر الاصلح. كل هذا يرينا ان المفاهيم الافتراضية ليست بمعزل عن المفاهيم الحسية التي نوقن بها بالمشاهدة والخبرة بل مرتبطة بها ارتباطا وثيقا فهي تنشأ بوحي منها وتثبت اذا قادت الى نتائج يمكن التحقق منها حسيا .

والان سنقدم مثالا على ما قلناه وشرحناه . لنفترض وجود علبة مغلقة لا يمكن فتحها او النفوذ الى داخلها لمعرفة محتوياتها بأي وسيلة . ولنفترض ايضا ان ثلاثة سواعد تبرز من العلبة وهناك جماعة من العلماء يريدون دراسة ماهية هذه العلبة وطبيعة الحركات التي تقوم بها السواعد الثلاثة ولكي تكون دراسة العلبة علمية نبدأ بالمشاهدة والملاحظة وذلك بان نضع وصفا دقيقا للعلبة ولتحركات السواعد ومن ثم نجري التجارب على العلبة المذكورة فمثلا يمكننا ان نسجل انه اذا سقط على هذه العلبة ثقل وزنه كذا كان رد الفعل في حركات السواعد كذا او لو اجرينا تيارا كهربائيا في العلبة ثقل وزنه كذا كان رد الفعل في حركات السواعد بشكل معين وهلم جرا .

ففي تسجيل ملاحظاتنا وتجاربنا هذه نحن نتبع الطريقة العلمية الصحيحة ولكن اذا خرجنا الى العالم بقائمة طويلة مؤلفة من المشاهدات والملاحظات والمعلومات عن هذه العلبة وحركات سواعدها هل نكون قد انشأنا علما خاصا بهذه العلبة ؟ او بكلام اخر هل مجموعة المشاهدات والملاحظات عن هذه العلبة وسواعدها تؤلف علما؟ الجواب حتما لا مع انه يوجد طائفة من دعاة مذهب الوضعية المنطقية الذين يشددون على المفاهيم الحسية والوصف والمشاهدة ولا يقيمون وزنا للمفاهيم الافتراضية الغير محسوسة ويعتقدون ان تلك المجموعة من المعلومات والاوصاف هي العلم بذاته (٤)

ولكن العالم لا يكتفي بما دونه من ملاحظات ومشاهدات عن العلبة وسواعدها انما يضع نظرية تتكلم عن كائنات واحداث افتراضية غير محسوسة يفترض وجودها داخل العلبة لتعلل ما هو ظاهر من سلوك وحركات السواعد . قد يفترض احدهم وجود « روح » في العلبة ويعتبرها مسؤولة عن تحركات السواعد ، وقد يفترض اخر نظاما من العجلات تدور في الداخل وبذلك تسبب حركات السواعد التي نريد تعليلها ، وقد يفترض ثالث نظاما من الروافع داخل العلبة وبه يعلل تحركات السواعد . ولكن لانعدام وسيلة معلومة لفتح العلبة ومعرفة اي هذه الافتراضات هو في الحقيقة مسبب الحركات المذكورة ، لذلك نأخذ بالنظرية الاكثر صلاحية في تعليل حركات السواعد التي نشاهدها .

فلو افترضنا ان بداخل العلبة نظاما من العجلات وبذلك اصبح بامكاننا ان نتنبأ بحركات السواعد في المستقبل واذا قادنا افتراضنا هذا الى استنتاجات منطقية يمكن التحقق منها حسيا فاذن نقول ان نظرية العجلات هي اكثر صلاحية في الوقت الحاضر من اجل تعليل حركات السواعد اما النظرية القائلة بوجود روح في الداخل فهي مرفوضة لانها لا تمكننا من التنبؤ بتحركات السواعد ولا تقودنا الى استنتاجات يمكن التحقق منها حسيا وتجريبيا .

ونرى في تاريخ الفلسفة والعلم ان الفلاسفة والعلماء على مر العصور قد اقترحوا مفاهيم افتراضية مثل ـ الروح ـ العقل ـ الغريزة ـ وما اليه لتعليل سلوك الانسان . كل هذه المفاهيم افتراضية غير محسوسة ولكن بعضها افضل من الاخر في التعليل العلمي اي اكثر صلاحية فمثلا مفهوم الغريزة اصلح وافضل من مفهوم الروح في التعليل العلمي فاننا نراه يدخل في النظريات السيكولوجية الحديثة بينما مفهوم الروح قد رفض لانعدام فائدته العلمية التعليلية وهذا لا يعني ان مفهوم الروح خطأ ومفهوم الغريزة صحيح فكل ما هنالك ان مفهوم الغريزة ذو قيمة تعليلية منعدمة في مفهوم الروح .

فالعلم ليس مجرد وصف لمشاهداتنا وملاحظاتنا وتنسيق لمفاهيمنا الحسية بل يعتمد ايضا على عنصر « الكائنات الغير محسوسة » والمفاهيم الافتراضية التي تعطي الانظمة العلمية قيمتها التعليلية وقدرتها على التنبؤ باحداث المستقبل

امريكا ـ جامعة يال

صادق العظم

٢ ـ ص ١٧٧ Moove, C.A. Philosophy—East and West, Princeton University Press

٤ ـ المرجع السابق نفسه : ص ٢١١

٥ ـ نرى اليوم ان اكثر علماء النفس قد استغنوا عن مفهوم الغريزة واستعاضوا عنه بمفاهيم جديدة لصلاحيتها التعليلية .

موتي قبل غروب الشمس

○

« قابلني بعد غروب الشمس »
وأنا حلفت الشمس بكل حبيب
ان تمضي وتغيب ..
وأنا عين في الشرق وعين في الغرب
وأنا كنت أهدىء دقات القلب
وتخيلت بأني قرص من شمس دار
ترك الافلاك وسار بأي مدار
وتخيلت بأني الشمس تموت
خلف جبال الغرب
ثم اعود لاحيا فارس
آت من ضفات القلب الى القلب
لالاقي من قالت ذات صباح:
« قابلني بعد غروب الشمس »
وبنيت سلالم فرحتي الحبلى
وجعلت السلم من بلور
موّجت لديه حبيبات النور
وتقدمته عليه كأني فارس
وأنا أخلع قبعة الحزن السوداء
فانا أصعد فوق رجاء
وبعيدا كان يلوح ضياء
وأنا المحها في الضوء المنساب :
بيد في قفل الباب
تفتحه .. ويد ممدودة
لحبيب آب ..
وعلى سلم فرحتي الحبلى
اني المح خطوة دم !..
وأنا أسأل :
جاءت من أين ؟
وترى من شربها هذا اللون ؟
وأنا قلبي اغتم
لكني أصعد ،
والقلب بقلبي يتنهد
ووصلت اليها
لكني لم ألمح يدها في قلب الباب :
لم ألمح يدها ممدودة ،
بل اني المح جثة حب ممدودة
وعيون مطفأة الاعين
قد مات لديها اللون
وشفاه ضاعت منها الاعشاب
وعلى سلم فرحتي الاولى
كان غرامي مقتولا
وأنا المح خطوة دم
أتراها في دورة شمس لم تكمل بعد
نسيت قولتها للقلب المجروح :
« قابلني بعد غروب الشمس »

القاهرة — مجاهد عبد المنعم مجاهد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمثيلية لساشا جتري

●

فيلا للبيع

ترجمة كاظم الجوادي

●

○

يمثل المنظر قاعة في فيلا صغيرة قرب « نوجن سور مارن »

ترفع الستارة ، وتظهر الخادمة وجولييت

الخادمة : الن تأسفي يا سيدتي ؟

جولييت : ابدا . واعلمي ان لو كان احد قد اشتراها في نفس اليوم الذي عرضتها فيه للبيع لشعرت بالاسف لانني كنت افكر فينفسي « الم اكن مجنونة فابيعها ؟ »ولكن الان ، وقد مضى اكثر من شهر منذ ان علقنا اللوحة على بابها ، اصبحت اظن انني كنت مجنونة حقا يوم اشتريتها .

الخادمة : لا فرق بين الحالين يا سيدتي ، فحين اتوك بلوحة « للبيع » لم تسمحي لهم بتعليقها بل انتظرت حتى كان الليل فذهبت وعلقتها بنفسك .

جولييت : اعرف ! ولكن فكرت انه لما كان الناس لن يستطيعوا قراءتها في الظلام فسيبقى البيت لي ليلة اكثر . لقد كنت واثقة ان العالم كله سيتنافس على الشراء في اليوم التالي . ما اشد ما كنت اتألم خلال الاسبوع الاول كلما مررت بتلك اللوحة (فيلا للبيع) . لقد تخيلت الجيران ينظرون الي نظرات غريبة ، حتى بدات افكر ان الامر كان يوشك ان يكون خيانة اكثر منه بيعا . كان ذلك قبل شهر ؛ اما الان فليس لي الا فكرة واحدة هي ان اتخلص من هذه الفيلا المثيرة للمتاعب . سأضحي بها بأي ثمن ــ سأبيعها بمائة الف فرنك اذا وجدت ذلك ضروريا ، وهو ضعف ما كلفتني فقط . لقد كنت افكرانني ساحصل على مائتي الف ، ولكن اعتقد انني لا بد لي ان اوقف خسائري عند هذا الحد . ثم ان اربعة اشخاص كانوا على وشك ان يشتروها خلال الاسبوعين الماضيين لذا فاني بدات اشعر كأنها ليست الان ملكا لي .

اه ! لقد مللت هذا المكان لانني لا ارى احدا يرغب فيه حقا ــ في اية ساعة قال الوكيل ستأتي السيدة ؟

الخادمة : بين الرابعة والخامسة يا سيدتي .

جولييت ــ اذن يجب ان ننتظرها .

الخادمة : لقد كان مكانا لطيفا يا سيدتي تقضين فيه ايام نهاية الاسبوع .

جولييت : نعم ، ولكن الوقت عصيب والاشغال كاسوأ ما تكون .

الخادمة ــ اذن ، فهل من الخير ان تبيعي في مثل هذا الوقت يا سيدتي ؟

جولييت : لا ، لا اظن ... ومع ذلك ففي الحياة لحظات هي اصلح وقت للشراء ، ولكنها ليست وقتا مناسبا للبيع ابدا . لقد كان الناس جميعا خلال خمسة عشر عاما يملكون المال الوفير ، ولكن لم يقدم احد على البيع . اما الان فما من احد يملك المال وما من احد يقدم على الشراء . مع ذلك ... وحتى في هذه الظروف ... فانه من المضحك الا استطيع بيع مكان هنا ، على مرمى حجر من جوانفي ، هوليوود فرنسا ، حينما لا اطلب ثمنا له غير مبلغ زهيد ــ مائة الف !

الخادمة ــ هذا يذكرني يا سيدتي بفضل ارجو ان تتكرمي علي به .

جولييت : ما هو يا ابنتي ؟

الخادمة : اتأذنين لي بمغادرة البيت غدا من الساعة التاسعة حتى الظهر ؟

جولييت : من التاسعة حتى الظهر ؟

الخادمة : لقد طلب مني التمثيل في فلم في ستوديو جوانفي .

جولييت ــ ستمثلين للسينما ؟

الخادمة : نعم يا سيدتي .

جولييت : وما الدور الذي ستقومين بــه ؟

الخادمة : خادمة ، يا سيدتي . انهم يفضلون الممثل الحقيقي . انهم يرون ان الخادمات لا يجعلهن العمل خادمات وانما يولدن خادمات ؛ وهم الان يعرضون علي مائة فرنك عن كل صباح للقيام بذلك .

جولييت : مائة فرنك !

الخادمة : نعم يا سيدتي . وبما انك لا تدفعين لي اكثر من اربعمائة شهريا ، فليس في استطاعتي ان ارفض العرض بسهولة . الا ترين ذلك يا سيدتي ؟

جولييت : مائة فرنك ! لا اكاد اصدق .

الخادمة : اتسمحين لي يا سيدتي ان اخبرك بامر خطر لي الان ؟

جولييت : ما هو ؟

الخادمة : انهم يحتاجون في الفلم الى طباخة ايضا ؛ وقد سألوني ان كنت اعرف احدا يليق بهذا الدور ولقد قلت الان يا سيدتي ان الوقت عصيب... فهل ترغبين ان احجز لك الدور ؟

جولييت : ماذا ؟

الخادمة : ما من قليل الا ويساعد بعض الشيء يا سيدتي . خصوصا ان لك هذا الوجه المضحك يا سيدتي .

جولييت : اشكرك

الخادمة : (دون مبالاة) ربما استخدموك ثمانية ايام يا سيدتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك يعني ثمانمائة فرنك . حقا انها دراهم لقاء لا شيء ، فانك لن تتكلفي اكثر من تقشير البطاطا في دقيقة وفي الاخرى تقلين البيض في المقلاة . انه لامر في غاية السهولة ، واستطيع ان اريك كيف تقومين به يا سيدتي .

جولييت : انه لطف منك جميل ... احمد الله انني لم اصبح في ضنك الى هذا الحد بعد !

الخادمة : ارجو الا تكوني قد تأثرت مني يا سيدتي .

جولييت : لا ابدا .

الخادمة : انك ترين الناس من حولنا، يا سيدتي ، يفتشون عن العمل في الافلام وكلهم يريد القيام به. امس لم يفتح القصاب حانوته فقد كان مرميا بالرصاص طوال الصباح واليوم لم يستطع احد ان يجد الشرطة الاربعة ، لقد كانوا يعملون في منظر القتال في الفلم الجديد الذي ينتجه مسيو ملتن . لا احد من حولنا يفكر في شيء اخر الان ، انهم يدفعون اجرا ممتازا كما ترين . لقد دفع المدير الف فرنك لمتسول حقيقي لم يذق شيئا يومين كاملين . ان بعض الناس يواتيهم الحظ ! فكري في هذا الامر يا سيدتي .

جولييت : شكرا ، سأفعل .

الخادمة : ان كنت ياسيدتي ستذهبين لمقابلتهم مرسلة شعرك مصقولا الى الوراء كما اعتدت ان تفعلي حين تمشطين ، فانا واثقة انهم سيستخدمونك دون تردد ، لانك يا سيدتي تبدين مضحكة الى ابعد حد .

جولييت : اشكرك ! (يرن الجرس) انا صاعدة الى فوق لحظة واحدة ، فان كانت السيدة فخبريها انني لن اتأخر طويلا ، اذ ليس من الخير ان ابين لها انني انتظرها .

الخادمة : حسنا يا سيدتي . (تخرج جولييت . اما الخادمة ففي اثناء خروجها لفتح الباب تقول) : اه لو استطيع ان اصبح جريتا جربو اخرى ! لم لا استطيع ؟ اه !

[اصوات تسمع من الخارج . بعد ثانية تعود الخادمة ومعها جاستون وجين]

الخادمة : لو تتفضلان بالجلوس ، سأخبر سيدتي بقدومكما .

جين : شكرا .

[تخرج الخادمة]

جاستون : ويسمون تلك حديقة ! انها مجرد ساحة وسطها رقعة من حشائش .

جين : ولكن داخل المنزل يبدو جميلا، يا جاستون .

جاستون : خمس وعشرون ياردة من القماش الكتان وخط من الصبغ.. يمكنك ان تجدي ذلك في اي مكان .

جين : ليس هذا انصافا . انتظر حتى ترى بقية البيت .

جاستون : وما حاجتي الى ذلك ؟ انا لا اريد ان ارى المطبخ كي افهم ان الحديقة من حدائق الاساطير وان القاعة مستحيل ان يكون لها مثيل .

جين : وما عيبها ؟

جاستون : عيبها ؟ ! انك لا تستطيعين ان تسميها مجرد قاعة .

جين ـ ربما هناك واحدة اخرى .

جاستون : لا تذكري الاخرى . انني اتكلم عن هذه .

جين : نستطيع ان نقوم بعمل جذري لها .

جاستون : نعم ، تجعلينها ملحق الحديقة

جين : لا ، ولكن شيئا يشبه غرفة درس .

جاستون : غرفة درس ؟ يالله ؟ اانت قادمة هنا لتدرسي ؟

جين : لا تكن سخيفا ! انت تعرف جيدا ما هي غرفة الدرس الحديثة

جاستون : لا ، لا اعرف .

جين : لا بأس ... أ ... هو المكان الذي فيه يجمع المرء...

جاستون : فيه يجمع المرء ماذا ؟

جين : لا تكن مزعجا ، ارجوك ! ان كنت لا تريد هذا المنزل قل ذلك الان حتى لا نتكلم في موضوعه اكثر من هذا .

جاستون : قلت لك قبل ان نعبر الطريق انني لا اريده . ولكنك لا ترين لوحة « فيلا للبيع » الا وتدخلين فيها وتطلعين على مرافقها انها لمجرد رغبة في نفسك .

جين : ماذا تعني بالرغبة ؟

جاستون : انتن النساء شديدات التطلع ... لا تستطعن الصمود امام الرغبة العميقة في اقحام انوفكن في حمام امراة اخرى .. لا سيما ان لم تكن تعرفنها . الحقيقة انك تسعين الى الابد لمعرفة دهان بارد احسن من ذاك الذي تستعملينه انت .

جين : اه ! اه ! قل لي هل نحن نفتش عن فيلا ، ام لا ؟

جاستون : لا .

جين : ماذا تعني بقولك « لا » ؟ اتعني اننا لا نفتش عن فيلا ؟

جاستون : بكل تاكيد . انها مجرد فكرة وضعتها في ذهنك في الشهر الماضي .

جين : ولكننا لم نكن نتكلم عن اي شيء اخر...

جاستون : تقصدين انك لم تكوني تتكلمين عن اي شيء اخر . اما انا فلم اكن اتكلم عنها ابدا . انظري ، لقد اكثرت الكلام عنها الى درجة انك تصورت اننا كنا نتكلم ... انك لم تلاحظي مجرد كوني لم اشاركك في حديثك . اما ان تقولي انك تفتشين عن فيلا ، فذلك امر اخر .

جين : حسنا ... على كل حال... اذا كنت انا افتش عنها او كنا كلانا نفتش عنها فالهم هو اني افتش عنها لنا .

جاستون : انها ليست لنا ... انها لابويك . انت انما تحاولين ان تجعليني اشتري فيلا لتضعي اباك وامك فيها . الا ترين انني اعرفك؟ واذا حصلت على ما تريدين ، هل تتصورين ما سيحدث ؟ سنقضي شهر اب في الفيلا ، ولكن والديك سيمتلكانها كل سنة من بداية نيسان حتى نهاية ايلول . واكثر من ذلك انهم سيجلبون عشيرة اولاد اختك كلها معهم . لا ! انا احب عائلتك كثيرا ، ولكني لست محبا بهذه الصورة .

جين : اذن فلماذا كنت تتأمل الفيلات طوال الاسبوع الماضي ؟

جاستون : انا لم اكن اتاملها ، انما انت التي كنت تتأملينها ، وهذا يضجرني .

جين : حسنا .

جاستون : حسنا ماذا ؟

جين : كف عن ضجرك اذن واشتر واحدة ـ فذاك سينهي الامر ،

ولن نتكلم عنها اكثر من هذا ابدا.
جاستون : تماما كما تقولين .
جين : لو فرضنا ان الامر كذلك ، فماذا فيه ؟ فرضا اردت شراء فيلا لابي وامي ـ ماذا في ذلك ؟
جاستون : عزيزتي انا اوافق كل الموافقة على ان تشتري فيلا لابيك وامك ولكن ارجوك ان تفهمي من جانبك انني لا اريد ان ادفع ثمنها .
جين : هناك مهري .
جاستون : مهرك ! يا طفلتي المسكينة لقد صرفناه منذ زمن بعيد .
جين : ولكنك منذ ذلك الوقت اصبحت لك ثروة .
جاستون : هذا صحيح جدا ـ اصبحت لي ، ولكن لم تصبح لك. على كل ، لا فائدة من بحث هذا، فسوف لن اشتري فيلا وهذه هي الخاتمة .
جين : اذن فقد كان عبثا دخولنا .
جاستون : ذاك ما اخبرتك به عند الباب بالضبط .
جين : اذا كان الامر هكذا فدعنا نغادر .
جاستون : لا بد من ذلك .
جين : ماذا ستقول عنا السيدة ؟
جاستون : انا لم ابال قط بما يقول الناس . انهضي .

[ياخذ قبعته ويتجه الى الباب . في هذه اللحظة تدخل جولييت]

جولييت : مساء الخير يا سيدتي ، مساء الخير يا سيدي ...
جين : اهلا بك يا سيدتي .
جاستون : اسعد الله مساءك .
جولييت : تفضلوا اجلسوا ! [يجلس الثلاثة] كيف رايتم البيت للنظرة الاولى ؟
جين : ممتازا .
جولييت: لن يدهشني ذلك ابدا، فهو ابهج مكان صغير. ان مظهرها بسيط ولكن لها سحرها الخاص. وانني استطيع ان اقول بمجرد النظر اليكم انها ستلائمكم ، مع الاعجاب ، كما ستلائمونها ـ ان سمحتم بقولي هذا . ولربما يدهشكم ان اقول انا انكم تبدون الان كانكم في بيتكم ان اختيار الاطار ليس سهلا حين يكون لديكم مثل هذا المنظر لوضعه فيه [تشير بذلك بصورة طبيعية الى جين التي انخدعت بكلامها] للبيت مزايا كثيرة ـ كهرباء وغاز وماء وتليفون ومجاري تصريف المياه ، والحمام منظم بصورة جميلة والسطح قد رممناه كله في العام الماضي .
جين : آ ! هذا امر مهم ، اليس كذلك يا عزيزي ؟
جاستون : لمن ؟
جولييت : الحديقة ليست كبيرة جدا ... انها ليست طويلة وليست عريضة ، انما...
جاستون : انما مرتفعة .
جولييت : ليس هذا ما عنيته بالضبط. ان زوجك ظريف جدا يا سيدتي . كما قلت لكما ان الحديقة ليست كبيرة جدا ولكنها كما تريان محاطة بحدائق اخرى ...
جاستون : على نظرية انه من يحب الاطفال وقد حرم نعمتهم يستطيع متى شاء ان يسكن قرب احدى المدارس .
جين : ارجوك لا تمزح يا جاستون. ان قول هذه السيدة صحيح تماما هل بالامكان ان تخبريني ياسيدتي كم تطلبين ثمنا لهذه الفيلا ؟
جولييت : في الحقيقة يا سيدتي لا بد ان اعترف لك بصراحة تامة انني لم اعد راغبة في بيعها .
جاستون : (وهو ينهض) اذن فليس هناك شيء اكثر نقوله في شانها.
جولييت : ارجوك ، كنت...
جين : دعها تنهي كلامها يا عزيزي .
جولييت : اشكرك . كنت اريد ان اقول لا مانع لدي من بيعها لاناس ممتازين امثالكم . فالمرء ينظم البيت حسب ذوقه ـ ان كنتم تلاحظون ما اعني ـ ليلائمه . لذا فان المرء لا يريد ان يفكر بان اناسا عاديين قد اتوا ليسكنوه . اما بالنسبة لكم فاني استطيع ان اقول بكل تاكيد « اني موافقة » . نعم سابيعها . لكم حتما .
جين : انه غاية العطف منك يا سيدتي .
جاستون : غاية العطف . نعم ... ا ... ما الثمن يا سيدتي ؟
جولييت : لن تصدقه ...
جاستون : انا اصدق بالله ، ولذا كما ترين ..
جولييت : مؤنث تماما ، مع جميع الاثاث المثبت ايضا ـ كما هو تماما ، باستثناء تلك الصورة الصغيرة الموقعة بتوقيع كورو . لست ادري هل سمعت باسم هذا الرسام من قبل ؟
جاستون : لا، ابدا .
جولييت : ولا انا ، ايضا . ولكن لونها يعجبني واحب الاحتفاظ بها ان لم يكن لديكم مانع. ثمن الفيلا كما هي الان مائتان وخمسون الف فرنك . واكرر اني افضل بيعها باقل من قيمتها لامثالكم على ان ابيعها باغلى من ذلك لمن لا ارغب فيه . والسعر لا بد ان يكون قد بدا لكما ...
جاستون : مرتفعا للغاية .
جولييت : آ ... لا !
جاستون : نعم يا سيدتي .
جولييت : حسنا ... يجب ان اقول انني حقا ...
جاستون : ان الحياة مليئة بالعجائب، اليس كذلك ؟
جولييت : انت تعتبر المائتين وخمسين الف فرنك ثمنا باهظا .. حسنا جدا ، انا لا استطيع ان اكون متساهلة اكثر من هذا الطلب ـ فاعرض انت ما تشاء .
جاستون : ان فعلت فسيكون المبلغ

صدر الى الاسواق :

لوركا

قيثارة غرناطة

صفحات خالدة من ادب وفن وشعر شاعر اسبانيا الشهيد غارسيا لوركا

ترجمة :

كاظم جواد سلافة حجاوي

منشورات

شركة بغداد للطباعة والنشر

اقل من ذلك بكثير .
جولييت : قل ، على اية حال .
جاستون : انه لامر محـــرج ... لست ...
جين : يا عزيزي ، سم رقما ايا كـان ... لتسرني لا لشيء اخر .
جاستون : أ... لست ادري ... حسنا ستون الفا
جين :
جولييت : } اوو ووه
جاستون : ماذا تعنون بـ « اوه » ؟ انها لا تساوي في نظري اكثر من ذلك .
جولييت : سأقول لك كلمة الشرف يا سيدي ، لن استطيع ان ابيعها باقل من مائتي الف .
جاستون : لك الحق يا سيـدتي ان تفعلي ما تشائين .
جولييت : سأقول لك ما سأفعل سأكون منصفة فابيعها لك بمائتي الف .
جاستون : وسأكون انا الاخر منصفا وادعك تحتفظين بها بنفس السعر
جولييت : اذا كان الامر هكذا فلم يبق اذن شيء نتكلم به عنها يا سيدي .
جاستون : مع السلامة يا سيدتي .
جين: دقيقة واحدة يا عزيزي . قبل ان تصر تماما احب ان تصعد معي الى فوق .
جولييت : سأريكم الطابق الاعلى بكل سرور . من هنا يا سيدتي ، مـن هنا يا سيدي ...
جاستون : لا ، اشكرك ... حقا .. لقـد فكرت جيـدا فيمـا قـلت، ولست مولعا بتسلق السلالم .
جولييت : كما تشاء يا سيـدي .
[الى جين] هل ادلك على الطريق ؟
جين : ان سمحت يا سيدتي .

[تخرج جولييت]

جين : [لزوجها] الا ترى انك كنت فظا في كلامك ؟
جاستون : اه يا عزيزتي لا تزعجيني بالله عليك اكثر من هذا من اجل كوخ . اذهبي افحصي الحمـام وعودي بسرعة .

[تخرج جين لتلحق بجولييت]

جاستون : [لنفسه] مائتا الف ثمن بضع باردات من الارض .. لا بد انها تظنني مجنونا ...

[يرن جرس الباب وبعد لحظة تدخل الخادمة ومعها السيدة ال سمث]

الخادمة : تفضلي يا سيدتي .
السيدة آل سمث : لنتكلم في الموضوع الان ، انني على عجل . كم يطلبون ثمنا لهذا المنزل ؟
الخادمة : لا اعلم شيئا عن ذلك يـا سيدتي .
السيدة آل سمث : لم لم تكتبوا السعر على لوحة الاعلان منذ البدايـة ؟ انتم الفرنسيين لكم طريقة ماهرة تتبعونها في اعمالكم ، اذهبي انت فخبري سيدك انه ان لم يـأت بسرعة فاني ذاهبة ، اذ ليس لدي وقت امضيه سدى ؛ والتأخيرات تثير السأم في كلما اقتضت الحاجة
[تخرج الخادمة] اوه اظن انـك الزوج ، مساء الخير ! هل تتكلـم الامريكية ؟
جاستون : نعم بكل تأكيد ...
السيدة آل سمث : حسنا ، كـم الثمن الذي تطلبون لهذا البيت ؟
جاستون : كم ؟ ... ولكن ... الا تجلسين ؟
السيدة آل سمث : انا اقضي اشغالي واقفة .
جاستون : اوه ! صحيح ؟
السيدة آل سمث : نعـم ! ايـن زوجتك ؟
جاستون : زوجتي ؟ ... انها في الطابق الاعلى .
السيدة آل سمث : لا بأس ... فـي استطاعتها ان تبقى هناك الا اذا كنت مضطرا الى مشاورتها قبل ان تبيع .
جاستون : انا ؟ لا وحياتك .
السيدة آل سمث : انك شاذ يـا سيدي ، فالفرنسيون عـادة يشاورون عشرة اشخاص قبل ان يخطوا خطوة واحدة . اسمع ! هل تريد ان تبيع هذا البيت ام لا .
جاستون : انا ... اوه ... انـني احب ذلك !
السيدة آل سمث : اذن تكلم في امره فليس لدي وقت اكثر من خمس دقائق .
جاستون : على كل اجلسي ثلاثـا منها . قبل كل شيء هذه الفيلا كان جدي قد بناها ...
السيدة آل سمث : ان جدك لا يهمني شيئا ابدا .
جاستون : كذلك انا ... ولكن يجب ان اقول لك انني ... !...
السيدة آل سمث : اسمع ! قل لـي السعر فقط
جاستون : اسمحي لي اوضح لك ان.
السيدة آل سمث : لا
جاستون : في البيت كهرباء وغـاز وتليفون ..
السيدة آل سمث : ذلك لا يهمني ! ما الثمن ؟
جاستون : ولكن يجب ان تـري المنزل ...
السيدة آل سمث : لا ! ... انا اريد ان اهدمه وابني مكانه بيتا بسيطا من طابق واحد .
جاستون : هكذا !
السيدة آل سمث : نعم ! انا انما اريد الارض ، اذ يجب ان اكون قريبة من بارامون حيث سأمثل بعـض الافلام .
جاستون : ها !
السيدة آل سمث : نعم ، فانا نجمـة كبيرة .
جاستون : صحيح ؟
السيدة آل سمث : نعم . والان كم الثمن ؟
جاستون : انتظـري لارى ... البيت مؤثثا بكامله باستثناء تلـك الصورة الصغيرة لفنان مجهول.. انها تعود لجدي واود الاحتـفاظ بها ...
السيدة آل سمث : ماذا تقول ؟ هل تحبون انتم الاوربيين اجدادكم ؟
جاستون : لقد عاشوا هنا وقتا طويلا فكيف ننساهم ؟
السيدة آل سمث : انكم شعب غريب الطباع ، تفكرون في الماضي دائمـا اما نحن فنفكر في المستقبل دائما
جاستون : كل يفكر فيما يملك .
السيدة آل سمث : يؤسفنـي الا تحاولوا ان تتشبهوا بنا اكثـر من هـذا .
جاستون : الاشباه ليست دائما حسنة نحن نستطيع ان نقلدكم فقط ، والتقليد ما هو الا جد في قالـب هزل . نحن نختلف عنكم اختلافا كبيرا . تأملـي ما اقـول ... الاوربيون يذهبون الى امريكـا ليكسبوا المال ، والامريكيون يأتون اوروبا لينفقوه .
السيدة آل سمث : ليس في الامـر اختلاف بين الحالين . انك تحتاج

الى دراسة في اصول العمل .
جاستون : نحن ندرس الان ، نحن نتمرن ...
السيدة آل سمث : حسن اذن . بكم ؟
جاستون : البيت : اسمحي لي لارى ... بثلثمائة الف فرنك .. وهو نفس السعر لكل شخص ـ ولو انك امريكية الا اني لم يراودني مجرد خيال بزيادة السعر .
السيدة آل سمث : تعاملني كأي شخص ، وتقول ثلثمائة الف ؟
جاستون : [لنفسه] سأحبك حبا جما لاني اشتريتك بالمال الجم .
السيدة آل سمث : ماذا قلت ؟ ماذا تظنني ؟
جاستون : اسف ، ذلك شكسبير اقصد المبلغ ...
السيدة آل سمث : سأدفع لك الان ـ قل قد وافقت [تخرج دفتر صكوكها من حقيبتها] .
جاستون : [يفتش في مجر] انتظري ... لست ادري اين وضعوا قلمي ومحبرتي ...
السيدة آل سمث : اسمح لي اقل لك شيئا ـ من الخير ان تشتري لك قلم حبر من المبلغ الذي سأدفعه لك ثمنا للفيلا . ما تاريخ اليوم ؟
جاستون : الرابع والعشرون .
السيدة آل سمث : بامكانك ان تكتب اسمك في الصك بنفسك . انا اسكن في فندق رتز في ساحة فوندوم ، ومحامي ...
جاستون : من ... ؟
السيدة آل سمث : بالضبط .
جاستون : ماذا ؟
السيدة آل سمث : محامي هو السيد مان ، ٥ شارع كامبو ، وهو سيتصل بك فيما يخص بقية الامور . في امان الله .
جاستون : في امان الله .
السيدة آل سمث : متى ستترك المنزل ؟
جاستون : أ... لا ادري بالضبط .. متى تشائين .
السيدة آل سمث : ليكن ذلك غدا وسيأتي مهندسي يوم الخميس . مع السلامة . انني مسرورة جدا
جاستون : وانا مسرور ان اسمع ذلك يا سيدتي . [تخرج السيدة آل سمث اما هو فينظر في الصك] انه لامر حسن جدا في الاعمال ان يكون كلا الطرفين مسرورا !
[في هذه اللحظة تعود جين وجولييت]
جاستون : على ما يرام ؟
جين : طبعا ... على ما يرام ... انه ساحر ...
جولييت : طبعا ، كما اخبرتكما ، انه ليس بالمكان الكبير . لقد نبهتكم الى ذلك . ان فيه غرفتي نوم كبيرتين واخرى صغيرة .
جاستون : لا بأس الان فهذا شيء مهم
جين : [لزوجها] لقد اصبت يا عزيزي . لقد كنت اخشى الا يكون ملائما . شكرا لك يا سيدتي ولا حاجة لنا الى اعاقتك اكثر من هذا .
جولييت : اوه صحيح ...
جاستون : لحظة واحدة ـ لحظة واحدة يا عزيزتي . قلت فيه غرفتا نوم كبيرتان واخرى صغيرة
جولييت : نعم وغرفتا خدم .
جاستون : اوه ، غرفتا خدم بالاضافة الى ذلك ؟
جولييت : نعم
جاستون : هذا رائع
جين : جاستون ! كفى مزاحا !
جاستون : والحمام ؟ كيف الحمام ؟
جولييت : كامل وفيه حوض للغسل .
جاستون : حوض للغسل ؟ صحيح ؟
جولييت : طبعا .
جاستون : تلك امور مهمة . حمام مع حوض للغسل ، غرف نوم ، ثنتان كبيرتان واخرى صغيرة ، غرفتا خدم . نعم ربما . لقد فكرت طويلا في ابيك وامك ، حينما كنت في الطابق الاعلى ـ وكما ترين انا لست انانيا ـ ثم الغرف لاولاد اختك .. وكذلك يا عزيزتي كنت افكر ... بصورة جدية ... في شيخوختنا ... انها اتية عاجلا ام اجلا ، والشيخوخة لا تانس الا لحياة الريف ... [لجولييت] قلت مائتي الف ، اليس كذلك ؟
جين : ما قصدك من هذا ؟
جاستون : مجرد تسليتك يا عزيزتي
جولييت : نعم ، مائتي الف هو اقل ما يمكن ـ نقدا بالطبع
جاستون : هذا امر مسلم به ، ولا اريد ان اجادل فيه [يخرج دفتر صكوكه]
جين : ولكن هناك عدة امور يجب بحثها قبل ...
جاستون : ابدا ... شيء واحد فقط . كما اني لم اجادلك في السعر ولم اساوم فاني ارجو ان تكوني كريمة معي وتسمحي لي بالاحتفاظ بهذه الصورة الصغيرة التي الفت صحبتها مدة وجودك مع زوجتي في الطابق الاعلى .
جولييت : مسألة الصورة ليست مسألة قيمة ...
جاستون : طبعا لا ... ولكن كتذكار ...
جولييت : حسنا : لك ما شئت .
جاستون : شكرا لك يا سيدتي . هل تسمحين بوصل بالمبلغ من فضلك ؟ وسيتولى وكيلانا بقية تفصيلات البيع الاخرى . تفضلي بكتابة اسمك في الصك ... اسمحي لي ، اليوم هو الثالث والعشرون ، اليس كذلك ؟
جولييت : لا ، الرابع والعشرون .
جاستون : ماذا يهم ؟ يوم اقل او يوم اكثر .
[توقع جولييت الوصل وتدفعه له في حين تتسلم هي الصك منه].
جولييت : شكرا يا سيدي .
جاستون : هذه بطاقتي ، في امان الله . اود بهذه المناسبة ان اسأل ـ هل بامكانك ان تتكرمي بمغادرة المنزل صباح غد ؟
جولييت : غد ! بهذه السرعة ؟
جاستون : حسنا ، مساء غد اقصى
جولييت : نعم استطيع ان ادبر هذا .
مع السلامة يا سيدتي .
جين : مع السلامة يا سيدتي .
جاستو: ساخذ الصورة الصغيرة معي اذا سمحت ، [يرفع الصورة من مكانها على الحائط] كتذكار جميل لا شيء غير ذلك ...
جولييت : حسنا جدا ، سأريكما الحديقة في طريقنا الى الخارج .
[تخرج جولييت]
جين : ما الذي فعلت ؟ ! اخبرني !
جاستون : انا ؟ لقد حصلت على مائة الف فرنك ولوحة من رسم كورو .
جين : كيف ؟
جاستون : سأخبرك بعد قليل .

بغداد — كاظم الجوادي

الى شاعر

من اجيرة

يا لائمي
خيبت كل مزاعمي
وجعلتني أنحي على نفسي بلوم ظالم
وأرى ضميرا كان في ظني كصبح باسم
فاذا به كالليل مدثرا بثوب قاتم
وكوجه أفق غائم
متشائم
وأثرت كل سخائمي

لما سخرت بعزتي وفضحت كل مكارمي
وزعمت للدنيا بانك قد غزوت محارمي
ولهوت بي وغنمتما تهوى ببعض دراهم
ولقاء عطر فاغم
وولائم
ولقاء خز ناعم

وبأنني كالفأر سرت الى المصير الحاسم
حيث انتقمت من التي كانت بحلم واهم
تلك التي كانت تتوق الى غرام حالم
والى هوى متلاحم
متناغم
والى نعيم دائم

لا مثلما طالعتني بغرورك المتفاقم
وبشهوة وحشية أحرى ببعض بهائم
وبكبرياء شامخ ، مترفع ، متعاظم
وعللت فيض غنائم
ومواسم
وقطفت غض براعمي

حتى اذا قضيت مني كل جوع آثم
عاملتني كأجيرة ونهرتني بشتائم
وجعلتني أقصوصة وفضحت كل محارمي
متفاخرا بمغانم
وجرائم
من غور صدر ناقم

أخجلتنا يا صاحب الحس الرهيف الناعم
أرخصتنا يا شاعر اللفظ الرقيق الحالم
أرواحنا تفديك ليس لاجل بعض دراهم
مقرونة بتعاظم
وشتائم

حلب — ممدوح مولود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

التجـربـة ومستقبـل الـقصـة

بقلم فيليب توينبي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

o O o

ان الكلمتين (تجربة) و (تجريبي) طبقتا على القصة بشيء كثير من الحريـة والاعتسـاف والضيق معا . فالكتاب الذي يطبع مقلوبا على غير انتظام ، او يلون بغير انسجام ، لا يزال يعد في بعض اجزاء اوربا ، تجربة مفيدة فيها الكثير من الاقدام والجراة ، حتى اذا كان محتوى هذا الكتاب مبتذلا تافها.. والسبب في هذه البلبلة مزدوج ذو حدين . فمن جهة غدت كلمة (تجريبي) متصلة بتلك القصة التي يبدو عليها ميل لممارسـة التجربـة في اساليبهـا ، ومن جهة اخرى فان التجارب الاسلوبية اخـذت طريقـها الى القـبول والاستساغة ، بشرط نجاحها في حقل التطبيق . وهذا يقودنا الى الظن بان القصة التجريبية ظاهرة جديدة ، ومن روادها الاوائل جويس وفرجينيا وولف وكافكا . امـا براوست الذي نجحت تجاربه ، في عصرنا اكثر من غيره ، فهو لا يعد من كتاب هذه الطائفة .

والواقع ، ربما يصح لنا ان نقول بان نجاح القاص كلما ازداد اتساعا وشمولاً ـ في مدى قبوله ومسايرتـه لطريق الرواية اللاحب ، اسرع النسيان الى اذهان الناس فلف بسدوله ما قدمه من نتاج اصيل . واذا كان جويس لا يزال طليعة القاصين ، بالنسبة الينا ، فالسبب في ذلك ، يعود الى ان القليل جدا من اساليبه التي استحدثها ، يمكن استغلالها من قبل خلفائه . وطبيعي ان هذا لا يعني اننا نفضل براوست على جويس ، في مجالي القصة ، ولكنـه يدل على ان الاول اكثر خصبا من الـثاني . فليس مـن المعقـول ان يـبز احـد القاصـين المتأخـرين مـؤلف (Finnegan's Wake) او ما فعله كاتب (تشريح السوداوية ؛ او قصص رونالد فربانك ، ذلك بان هذه المؤلـفات هـي فجوات الامان في خطوط سككنا ، ولولاها لتكسرت هـذه الخطوط بسبب تصادمها .

الا ان هذا الامر لا يعني تفوق هذه القصص علـى غيرها ، ان في الاسلوب او الاصالة ، لان تلك الكتب قامت بدورها ايضا بتوسيع شبكة السكك الحديد . واذا مـا نحن امعنا النظر في جدة الاسلوب ، وادركنا فحواه نجـده يتلاشى حينما يهضم ، ومع ذلك ، يسعنا ان نعثر علـى انواع اخرى من الطلاوة والجدة ، فهل ذلك يدفعنا ان نبعد القاصين عن مفهوم التجربة ، بالمعنى الدقيق من الكلمة ؟. والواقع ان هذه الريبة تفضي بنا سريعا الى الحقيقةالبديهية المخيبة للامال ، المتعلقة بهذا السؤال : هل نجح اي مـن كتاب القصة القدامى العظام في ابداع ما هو جديد كـل الجدة ؟ ولا شك في ان مثل هذا السؤال يقودنا الى نتيجة منطقية لا مفر منها ، ولكنني اعتقد بان التسلسل المنطقي المنتهي الى هذه النتيجة ، محفوف بالاخطار من كل جهة ، لانه يقضي على كل تمايز ، لا لشيء الا لانه يهدف الـى تفسير كلمة معينة تفسيرا لفظيا مجردا . ومن هنا يجدر بنا القول بان اي كتاب مهما كان تافه النتاج ، لا بد له من جدة ان في تبديل بعض المفردات او في ترتيبها . ولكن الاحساس الفطري الصادق يعيننا على التأمل فيالاختلافات الموجودة بين فيلدنغ ورتشاردسن ، او بين جين اوستن ودكنز او بين توماس هاردي وهنري جيمس . والمعروف ان كل فرد من الطائفتين كان قد قدم الى القراء رؤى جديدة مثيرة عن العالم ، على حين ان الطائفة الثانية كانت تدرك تمام الادراك جدة رؤاها ، اما الطائفة الاولى فلم تكن عـلى مثل هذا القدر من الادراك .

ومع ان هذا التمايز غامض مبهم ، يحتاج الىمناقشة ودراسة ، فنحن مجبرون على اللجوء اليه ، لانه غاية مرجوة وغرض مطلوب . اما كافكافقد كتب قصصابسيطة ، بشكل يسير المأخذ ، ومن هنا ، يمكن قراءة كتبه ، حتى من قبل بعض الصبيان الاذكياء او السوداويـين ، باعتبارها قصصا تتحدث عن الجن والخرافات . ونحن ، حين نتفق علـى عد كافكا كاتبا تجريبيا لا نفعل ذلك بسبب جدة اسلوبـه وطلاوته ، بل اننا نذهب هذا المذهب ، لانه اكتشف آفاقا جديدة في مجالي (الرواية) . ثم لنلتفت قليلا الى سنت اوكسبري فنراه يكتشف آفاقا طبيعية جديـدة ، وليس هذا الامر من الطرافة في شيء لو لم يكن الكاتب قـادرا على رفع الغطاء عن مفردات تناسب مادته الجديدة . امـا لورنس ، الذي تثبت دوره التقليدي بفضل جهود كيمبردج فهو لم يكتف بذلك بل رفع علم فكرة جديدة ، بعد ان وجد الوسيلة لتحقيق ذلك . ثم يحط بنا المطاف لدى الانسة اليزابيت باون ، فلنتوجه اليها ، انها تلك الكاتبة التـي تقدم الينا الذكاء النسوي في شكل وحساسية جديدين . وكان تمييزنا لا بد له ان يحتل مكانه ، بمحاذاة خط تفكيـرنا ، فمن الجلي الواضح ، ان باون ليست قاصة تجريبية ، كمـا هي الحالة مع كافكا بالذات .

واذا كنا الان في معرض اختبار التجـارب الماضيـة

التي مارسها كتاب القصة الاقدمون ، فمن المفيد النافع ، اذن ان نتتبع آثار هذا البحث ، وان نعود به الى ما قبل ثلاثين سنة ، حين بدأ برسبي لوبوك بدراساته ، ومن المحتمل ان ندرس بتفصيل وتدقيق الاساليب التي تتابعت وترادفت وتلاحقت ، كي نتوصل الى اختبار نقدي لكلمة (التجربة) في مختلف صورها ومدلولاتها . ولكن هذا لا يعني اننا قادرون على ان نحسب حساب المستقبل ونتنبأ به بهذه التعابير التي الفتنا وألفناها . فكل نبوة عن الاسلوب الذي سأصطنعه . لا يتعدى طريقتي في كتابة القصص. فطبيعة كل تطور جديد في الاسلوب ، لا يمكن التكهن به الا في حالة ظهوره الى حيز الوجود ، وكل مناقشة عن المستقبل بصيغة المتكلم او الغائب ، او بالتحدث عن فيض الشعور ، وقدرة المؤلف على الوجود في كل مكان ، اقول بان اي مناقشة تنحو هذا المنحى ، لا بد لها ان تكون خالية من اي محتوى .

والواقع ان اختبار الاساليب القديمة لا يجدي نفعا ما لم يكن واسطة مناقشة العناصر المهمة اكبر الاهمية ، وهي تلك العناصر التي تكمن وراء الاساليب . واذا استثنينا فلوبير وجويس من كتاب القصة في الماضي ، فانهم لم يرفعوا شأن الاسلوب ليكون على صعيد واحدمعما ندعوه رؤيا ، وادراكا ، وقيمة اخلاقية ونظاما وخيالا وحقيقة . نحن نعلم ان الاسلوب لا ينفصل من هذهالعناصر التي تلازمه ، ولكنا ـ كناقدين ـ لا بد لنا ان نلم بهذا الامر الماما وافيا بالقصد . ذلك بان عملنا يتطلب منا ان نضع هذه الحدود ، حتى لو حاولنا الاتيان عليها بعد ذلك . ومن هنا فان الكاتب الجدي يفضل النوعية على الكيفية . .

واذا ، فلماذا يحمل الكتاب الانكليز على كتابة القصص الجدية ، في يومنا هذا ؟ علينا ان نتجنب في محاولتنا هذه الاجوبة الزائفة المستكلبة والعامة المغرية . فنحن لا يجب ان نفترض ان الكتاب يقومون بما يقومون به من اجل المال او الشهرة ، كما لا يجب ان نقتنع بالقول بان هؤلاء يريدون التعبير عن ذواتهم . واذا لماذا يرغبون في كتابة القصص الان ؟ ومن المؤكد المفروغ منه ان الكتاب يعتقدون اعتقادا جازما بانهم فهموا شيئا ما من احوالنا الحاضرة ، فارادوا التعبير عما فهموه . قد يكون هذا الجواب تافها لاول وهلة ، فالمعروف ان غرض الكتاب الجادين لم يتعد هذا المطلب في دائم الاوقات ، وعلى هذا فليس هناك من جديد في هذا الجواب . اما الشيء الذي اراه جديدا نسبيا في هذا فهو الاصرار على ذكر « احوالنا الحاضرة » . وكل ما يقال عن وقتنا الحالي من مديح او ذم لا يمكن ان يقطع صلتنا بعصرنا الذي نعيش بين احضانه .

اما قصص جين اوستن غير المحدودة بالزمن ، من اضراب (مرتفعات وذرنغ) و « دومنيك » فهي شاذة في كل حين ووقت . فالزمن هو الذي يفعم آفاق القاصين ، وكل محاولة لتجنب ذلك تصبح محاولة غير لائقة ، فيها من التعسف والتصنع ما فيها . ومن هنا ، ربما يصح لنا ان نحسب براوست وجويس وفرجينيا وولف اعظم القاصين المتأخرين القادرين على معالجة (ازمانهم) من غير شوائب تصيبهم او تؤثر في نتاجهم . كان براوست نفسه متأثرا اشد التأثر باحوال عصره ، فبدت العلائم الاجتماعيةواضحة على الافكار الرئيسة التي طرقها في كتاباته . ومرة اخرى نحن محملون على الخوض في التمايز لا لانه حقيقة واقعة حسب ، بل لانه امر مؤثر ايضا . ومن هنا يتيسر لنا القول بان كل قاص لا بد له ان يتأثر بالبيئة التي عاش فيها. ومع ذلك فالتباين يبرز من جديد اذا نحن قابلنا دكنزبجين اوستن او زولا بهاردي .

ان هذا الاصرار على واجب الكاتب (القاص) تجاه احوال عصره ، قد كتب عنه الشيء الكثير ، كما نالهالتشويه في شتى المناسبات . ومن ذلك ان الماركسيينحاولواتفسير الواجب بان مضمونه هو ان يعمل الكتاب في حقل معين ، وان يعالجوا مشاكل محددة بلغة مدروسة سلفا ، وتحت تأثير تعاليم معينة . ولا تختلف الحال مع الفلوبيريين (١) الذين اساءوا فهم سيدهم ، وربما هذا ما فعله الماركسيون ايضا . فالفلوبيريون يعتقدون بانهم متى ما انغمروا في عرض عواطفهم الطبيعية ومخاوفهم وآمالهم ، باعتبارهم مخلوقات عصرهم ، غدا نتاجهم لا يفرق في شيء عما يريده الماركسيون .

اما ماينبغي لنا قوله في ظروفنا الحاضرة ، فلا يتعدى الحقيقة القائلة باننا جميعا على اوثق الصلات من الارتباط ببعضنا ، وهذا امر لم يحدث من قبل قط ، وعلى هذا ، فان الفرد ، مجبر على الانتساب الى المجتمع ، سواء أرغب في ذلك ام لا يرغب ، لان القيود التي تشده بهذا المجتمع من القوة بحيث لم يسبق لها مثيل . فالقنبلة الهيدروجينية هي علامة مخيفة من علامات هذا الاتصال الجديد ، على ما فيها من جوانب ايجابية خيرة . ومن المحتمل ان يعيش بعض الافراد الاغنياء في انكلترا عيشة مترفة بعيدة عن (فيروس) المجتمع ، كما ان هنالك بعض الناس (الانفراديين) الذين اعتزلوا المجتمع ، فهؤلاءوحدهم يحق لهم ان يقتفوا آثار مونتين او فلوبير . ومن المؤكد ان اي شخص يسعه ان يفعل ذلك من غير ان يشعر بما في فعله من مجانبة للطبيعة وفي الوقت نفسه فهو قادر على ادراك ما يضطرب في المجتمع الذي يحاول جاهدا التخلص منه والابتعاد عنه .

وفي عصرنا الحاضر ، يكثر المثقفون الكلام عما يعتور زماننا هذا ، بحيث يندر ان يوازيهم احد في هذا الشأن ، ومع ذلك نرى هؤلاء المثقفين يتباكون على ايامهم الحلوة الماضية . انا لا اقول ان محاولة التخلص من العالم خطأ اخلاقي وهذا ما لا اذهب اليه في موضوع الابتعاد عن اخواننا البشر ، ومع هذا فانا اظن ان الحق لن يجانبني اذا قلت ذلك . وكل ما اريد ذكره لا يتعدى امرا جوهريا . وهو انه لم يعد في المستطاع ان يهرب الكاتب من عالمه من غير الشعور الذاتي بذلك ، ونتيجة ذلك الهروب لا تكون سوى تحجر وتكلس . وفلوبير نفسه الذي تراجع عن موقفه ، قبل مائة سنة ، لم ير بدا من التأثر بمقت البرجوازية ، وهو المقت الذي تجنبه فأدى الى تشويه موهبته .

اما تشويه هذا المطلب فينبثق من نظرية الالتزام السقيمة . وقد لاحظنا بشيء كثير من التقزز تطور الالتزام

(١) هم اتباع غوستاف فلوبير ، القاص الفرنسي الشهير ، الذي لمع نجمه بكتاب (مدام بوفاري) والجدير بالذكر ان هذه القصة ترجمت لاول مرة الى العربية بقلم الدكتور محمد مندور ، في سلسلة (كتابي).

في شخص جان بول سارتر . فهو حين رفع علم الالتزام بعد الحرب الاخيرة ، كان مصرا على التفريق بين مبدئه والمبدأ الذي ينادي به اقطاب الحركة اليسارية في العالم ، ولكن موقف سارتر اليوم ، يختلف عن موقف اليساريين في شيء . فما المقصود من الالتزام اذن ؟ من المعلوم ان الالتزام يتطلب من الشخص ان يكون متطرفا في آرائه وافكاره . ومن هنا ، فعلى الكاتب ان ينفث روح البغض في قصصه حين يتحدث عن الذين يخالفونه في الراي ، في الوقت الذي يكيل فيه المديح على الاخرين ، كما ينبغي له ان يكتب باسلوب يفهمه حتى من كان جاهلا جهلا تاما بالتاريخ وتطور القصة . والواقع ان هذه المطاليب مطاليب قتالة ، لانها منذ نشرها ــ قبل ثلاثين او اربعين سنة ــ لم تنتج قصة واحدة ذات قيمة .

فالالتزام اذن امر صعب التحديد ، وبخاصة في حقل تختلف فيه المفاهيم كل هذا الاختلاف الشديد . ومن هنا فلي ان اضرب بعض الامثلة لاتمكن من تيسير المسألة وتوضيحها . وهذا ما يجعلني ان اقول بان براوست وجويس وفربانك وفرجينيا وولف كانوا كتابا غير التزاميين نسبيا بالمعنى الذي اقصده . في حين ان جيد ومورياك ولورنس ومالرو وفوكنر هم التزاميون بما في كلمة (التزام) من عمق . ولكن الجماعة الاولى لا يجب ان نحط من قدرها لهذا السبب بالذات . ذلك بانهم (اعني الجماعة الاولى) كانوا يمثلون القصة في امسها . اما انا فانني اكتب عن يومنا هذا وغدنا القابل . والان ، وفي المستقبل القريب يبدو لي ان ثمة صلة تربط القاص الجدي بانفسنا وجيراننا ومجتمعنا ، وهذا ما لا بد ان يشعر به مثل هذا القاص . فلكي نكتب بالروح التي كتب بها فربانك ، لا بد لنا من الاساءة الادبية ، لاننا سنبتذل .

وكما يرى من القائمة التي عرضتها عن الكتاب الالتزاميين ، يتبين لنا ان الالتزام ، يمكن ان يتضمن وجهات نظر مختلفة ويمكن ابرازه من خلال صور شتى ، وان يعبر عنه في اساليب متباينة متغايرة . واعظم القصص الالتزامية التي ظهرت في عصرنا هي قصة (يوسف واخوته) لتوماس مان ، ولكنها قصة تعالج موضوعا جرى في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ،اما مورياك فهو يتحدث عن البرجوازية الاقليمية ، ويكتب عنها باسلوب بعيد عن « روح العصر » المزعوم ، في حين نرى ان اعظم قصة لمالرو تتناول شؤون الفلاحين الصينيين . وهذا ما يحدث لفوكنر عندما يتناول احد موضوعاته من طبقة هي اشد الطبقات انحطاطا في العالم . وهذه المماثلة بين فوكنر وجيد تجعلهما يستعملان اساليب جديدة في قصصهما بينما يصر لورنس ومورياك على الاكتفاء بالاساليب القديمة .

واذن ، فهل ثمة علاقة بين الموضوعين اللذين ناقشتهما ، او بين الاختلافين اللذين حاولت ابرازهما ؟ وبعد هل من صلة بين الالتزام والاهتمام من جهة وبين جدة الرؤيا ، والمادة الموضوعة البحث والاسلوب من جهة اخرى ؟ واذا ما حكمنا بوجود صلة ما ، فهي لا بد ان تنحدر من عادات تكنيكية وموضوعات اساسية ، على احسن الاستعداد واشد الاهبة للامتزاج المباشر بشؤون العالم واحواله الحاضرة . ومن هنا يمكن ان نقول بان الالتزام يشير الى رغبة الكاتب في اقبال الجمهور على قراءة كتبه وفهمها وبهذه الوسيلة يعين المجتمع على استساغة عواطفه .

وهنا اعتقد بانني مجبر على التفريق بين الاهتمام والالتزام . فالامر الاول لا يقتضي من الكاتب ان يستعمل قصصه من اجل اي غرض معين . وطبيعي ان الكاتب يأمل من نشر كتبه اشياء كثيرة ومنها التاثير في ادهان قرائه وفي مشاعرهم واعتقاداتهم . وهو يرجو ان يريهم شيئا رآه بنفسه ، او فكر فيه او شعر به . وقصده من ذلك تغييرهم على وفق رؤاه التي شاهدها . ولكن مطالبة مثل هؤلاء القراء بالعمل على خلاف ما قراوه ، لا تعدو كونها نزوة لا تبدو الا على الالتزاميين الغارقين في بحران اهوائهم وعلى هذا ، فان الاهتمام هو موهبة يتميز بها الكاتب ، وهو بخلاف الفائدة الجاهزة التي يتطلع اليها جمهور القراء ، ومع ذلك ففيما اسلفت من القول شيء من التناقض والخشونة الظاهرين . ولهذا السبب بالذات ، فمن السخافة بالنسبة الى الكاتب ان يتظاهر باكثر مما يشعر به في الواقع . ومن هنا لا يجوز ان يتعدى شعوره نطاق طبيعته الانسانية . ولكني اعتقد بقدرتي على الاستطراد قليلا . فانا اؤمن بان القاص الانكليزي الحديث الذي يهتم باخوانه ومجتمعه ، لا بد له ان يهتم بطرق جديدة ، وافكار حديثة، ومشاعر طارئة ، وموضوعات طريفة . وبهذه الوسيلة سينضم بعاطفته ومسئوليته ــ الى تقاليد دكنز وجورج اليوت وكونراد .

وقد تظهر هذه التوكيدات معتسفة ، والواقع انها مبنية على الشعور بالكفاءة الشخصية ، والامل الفردي في المستقبل ، اكثر من استنادها الى الشواهد المنبثقة من الوقت الحالي . وفي الحق ان ما يبدو الان يدل على بروز اختلاف بين هذين التقليدين . وغالبا ما يقال لنا ان القاصين الشباب في انكلترا على الاقل ، متفقون على فكرة انتهاء اجل القصة التجريبية . كما ان من الناس من يقول لنا بان معظم القاصين المحدثين يكتبون بروح اسلوب سارتر في قصته (الغثيان) وبذا فهم يتجاوزون روبرت ايلسمير . ومن هنا ، فهم يبدون وكانهم يعبرون عن افكارهم باساليب قديمة فيفقدون شعورهم وهذا ما ذهب اليه الكثيرون ، الا اني لا اعتقد بصواب مذهبهم وارجحية رايهم ، هذا ، مع العلم باني استلخصت تفسيري الذي قدمته آنفا ، من مقالة حكيمة جعلت من كنفزلي آميس مثلا للاتجاه المتشابك

اما القاص آميس بالنسبة الي فهو من الكتاب الموهوبين النابضين بالحركة والحيوية ، ممن ديدنهم عرض الصلة بين الاهداف والميزات . وعلى ذلك يسعنا القول بان هذا الكاتب يهتم بموضوعاته ابلغ الاهتمام ، على الرغم من انتفاء الجدة في اسلوبه ، ومع ذلك فهو يطبق ، رؤاه على عالمه الجديد الذي اكتشفه . الا ان القاص تشابهان مور تيمور ، الذي يختلف عن آميس ، في السن والاسلوب ، يضفي على خصومه ضربا جديدا من الرؤى وحللا مستحدثة من المفردات . وهو يهتم بما يكتبه ايسر الاهتمام ، بحيث انه يقتصر على اثارة روح الشفقة ، ولكن كتبه موضوعة في عالم لا محل فيه للمفاضلة بين موضع وموضع وزمان وزمان وعلى ذلك فشخوصه غالبا ما يكونون جماعة من الشباب المتسكعين في باريس في وقت يقارب وقتنا الحاضر . اما

فضل مورتيمور فيكمن في رؤيته الجديدة للعالم ، وفي اكتشافه لبرج عال يتطلع منه الى سلوك الكائنات البشرية ، وهذا ما فعله هنري غرين قبله . فاذا كان آميس اشد لصوقا بموضوعاته ، فهو اقل جدة فيها ، وهذه الحال تنقلب راسا على عقب عند مور تيمور . ولكن هذين الضربين من التطور في القصة الانكليزية لا بد ان ينتهيا الى الاتفاق والانسجام .

ولكي نضرب مثلا لهذا التوافق ينبغي لنا ان نذهب الى امريكا . واحسن مثل للمزج بين الاهتمام بشؤون العالم والطرافة في الموضوع هو قصة (زوان في الذرة) لسالنفر . وهي قصة هزلية بائسة، تتحدث عن احد طلاب المدارس العالية ، من هؤلاء المتهربين ، وفيها يرينا المؤلف شفقته التي يخص بها البطل وما يبديه الاخير من رحمة تجاه اترابه . وفي نهاية القصة يصبح البطل شخصية مدهشة تكاد تكون دوستويفسكية ، كمشكين او اليوشا ، فيحمل صليبه في نيويورك بدلا من ان يطوف في الاقاليم الروسية . وفي الوقت نفسه ، فهذا الكتاب ليس جديدا في اسلوبه حسب ، بل في وجهة نظره ايضا . لم تكن هذه الجدة منصبة على الكتابة بصيغة الشخص الاول ، وسرد الكلام بموجبها ، ولكن الشيء الجديد المدهش استساغة هذه الصيغة وقبولها . ذلك بان لغة البطل رطانة امريكية ، تشبه اللغة التي اصبحت مثار سخرية غاضبة بالنسبة الى هؤلاء الذين يذمون العالم الحديث ويغمزون من قناته ، فليس من غنى ولا من اصالة في الاصطلاحات التي اختارها سالنفر ، كما فعل مارك توين بلهجة اهل المسيسيبي او هاردي بلثغة سكان ويسكس . وحين نقرأ هذه القصة ، نعلم علم اليقين بان لغتها تكاد تشرف على الموت ، لان التشويه يبعدها عن الموضوع والابانة .

ومع ذلك ، فسالنفر يستخدم هذه الواسطة من غير شطط ، لعرض افكاره وعواطفه وحكمته اللطيفة علينا . والحق ان (الزوان في الذرة) عمل رائع على الرغم من كل المثبطات . ومما لا شك فيه ان هذا النتاج يعد تحديا للمصاعب ، ومناجزة للاختيار السهل ، وعلى هذا فهو فضل يسدى الى كل قاص حديث . وهذه الميزة تشبه « الرعب » الذي يعرفه لناجان بولهان في قصته (Fleurs de Tarbes) وفي هذه الميزة يتبين لنا موقف الكاتب بالنسبة الى (المادة) التي يعالجها ، وفيها نجد صراع المتصارعين في عنفه ، وهو امر يختلف تمام الاختلاف عن موقف السيدة الجميلة اللاعبة بجواهرها والسيد السعيد السائر باناة .

وهنا اراني متجها الى تحديد دقيق الاسلوب ، وهو ما حذرت نفسي من مغبة التوجه اليه . ولكن الذي اريد ان اذهب اليه لا يتعدى قولي باننا لا نستطيع بعد الان ان نكتب باسلوب جميل كما كان يفعل ماكس بيربوم ، او ترولوب ، او لوغان بيرسال سمت ، او ارنولد بنيت . فكتابة بيربوم الرائقة، الطبيعية، لم تعد تلائمنا ، وذلك لان الجماعات الصالحة المهتمة بجمال الكلام فقدت وجودها واضاعت كيانها . صحيح ان الاحاديث الطيبة الحارة لا تزال على اطراف السنة الناس وبخاصة الجماعة التي تربطهم صلة اجتماعية ، ولكن شكل هذه الاحاديث لم يعد جميلا ولا حلو الايقاع .

ومن الوضوح بمكان ان اللغة الادبية التي تفقد صلتها باللغة الدارجة على الالسن ، تصبح بسرعة (قوالب ميتة) يستحيل عليها الحياة . صحيح ان لغة بيربوم الكتابية لم تكن اللغة نفسها التي استعملها في احاديثه مع اصدقائه ولكنها كانت ذات علاقة بها ، كعلاقة المنطاد في الهواء ، بالمنطاد على الارض ، اما الان فاننا لم نعد نملك اي منطاد على الارض معنا . ومن جهة ثانية ، فان اسلوب ترولوب وبنيت السهل المقبول لم يعد هو ايضا قابلا للحياة معنا ، لان هذا يقتضي كلاما مهذبا ذا طلاوة وحيوية ليكون الاساس المتين للغة الادبية . قد يكون هذا النوع من الكلام موجودا ولكنه آخذ بالابتذال والاندثار ، حتى يعسر على احسن الكتاب احتذاؤه والنسج على منواله . وهذه هي المسألة التي ينساها النقاد حين يصرون على القول بان الاسلوب الجيد هو الاسلوب الواضح ، وبان خير ما تقوله في النثر ينبغي ان يكون بين القصد جلي المراد . ولكن الوضوح ـ بالمعنى الحديث ـ ينتهي بنا حتما الى الابتذال في القول والابتعاد عن التعبير عما في خوالجنا .

وبعد فان القاص المهتم بمهمته في يومنا هذا لا يسعه ان يكتب بوضوح ، كما يعسر عليه ان يكون ذا اسلوب براق لامع . ذلك بانني لا اعرف مصيره ، وما سينتهي اليه ، ومع ذلك فانا اظن انني اتلمس طريقي من خلال هذه المعضلة . وهذه المسألة بالذات هي التي تقرر موقف القاص الانكليزي اليوم وفي المستقبل القريب . ومن هنا ، فهو يناضل مكافحا وسط تقاليد منهارة ، وفي سبل غير مطروقة ، وموضوعات متغايرة دائما وابدا . فكل معركة يثيرها كتاب حديث تقتضي اسلحة جديدة ، لساحة القتال الجديدة .

والحق ان القاص الحديث يستند ـ في كفاحه ـ الى امثلة رائعة ، ذلك بان الثلاثين سنة الاولى من هذا القرن كانت من اخصب السنين في تاريخ القصة القصيرة برمته. ولكن الربع الاخير من القرن غير مجتمع القاص ولغته ، ومناخه العاطفي والعقلي . في حين اضطر ـ كانسان مخلوق ـ الى الاتصال الوثيق بمجتمعه ، ولكنه ؛ ككاتب حمل على اعتزال الناس اكثر فاكثر . فلم يعد ثمة موضوع واضح ، ولا اسلوب جلي ، وعلى هذا اصبحت الافكار المثمرة الواضحة غير ذات جدوى .

واليوم على القاص الجديد ان يتخذ كل قرار بنفسه، وهذا الامر هو على خلاف بين لدى معظم القاصين الماضيين ومن هنا فالاغراء يتطلب من الكائن البشري ان يلوذ بالعزلة الاختيارية ، لينافس عزلة الكاتب الاجبارية . ولكني قلت سابقا ان هذا لن يحدث الا بتشويه المخلوق الانساني وبالتالي تشويه الكاتب نفسه . فالعيش في عزلة اليوم ، اي في اعتلاء عاطفي ، اصبح عملا غير طبيعي اكثر مما كان من قبل . فالكتابة عن العزلة اذن امر محال ، لان محاولة كتابة القصة الجديدة تقتضي اكتشافا ذاتيا ، كما لم يكن الحال قبل وقتنا هذا . وعلى ذلك ، فان المستقبل موحش ومثير على حد سواء .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

ذكريات القاهرة

✳

مواكب الحياة والكفاح والعلى وذكريات الخالدين فيك تجتلى
يا موطن الابطال يا مدينة الالى صانوك كعبة لمجدهم وموئلا
ما زلت للدنيا منارا باهر السنى
ودمت للشرق المجيد مشرق المنى

تألقت سماؤك الغراء بالهدى وارضك العذراء بالارواح تفتدى
نمضي عليك لا نهاب صولة الردى او ننثني عن عزمنا في قهر من عدا
انا لك الحماة يا مهد البطوله
وجندك الاحرار في ظل الفضيله

اين الطغاة الجائرون ؟ اين شملهم ؟ اودى الغرور والضلال والدجى بهم
قدشتتت حشودهم والشعب في القمم يشيد العلياء مثلما بنى الهرم
والمصلحون والهداة فيك خلدوا
والصادقون العهد في حماك مجدوا

منائر الجهاد كالاعلام سامقات ذكرى صلاح الدين والعهود مشرقات
وهذه الوفود ساعيات شيقات للجامعات تنشد الايات خالدات
تضمهم على ثراك الطاهر الامين
عزائم توحدت على مدى السنين

عزائم قد ارهفتها حدة السلاح وسددت مرامها مرارة الجراح
فمزقت غلائل الدجى عن الصباح واشرقت حرية الاوطان بالكفاح
وعدت تحملين للسلام مشعلا
يهدي الشعوب في طريقها الى العلا

مغناك مغنى الحب والاحلام والمنى وفي رباك تلتقي الظلال بالسنى
خميلة قدسية القطوف والجنى غناك شاديها يحيي بعث مجدنا
وموكب الجمال في الاصيل والغروب
يسري على «الكرنيش» راقص الخطى طروب

والامسيات الحالمات فيك آسره قيثارها النسيم والقمراء شاعره
كأنها في صمتها ترتيل ساحره من عهد رمسيس وجنده العباقره
تمثاله المهيب في الميدان شاهد
بأن مجد مصر في الزمان خالد

عاصمة الشرق العريق اي ذكريات اثرت بالفؤاد بين حاضر وآت
يا قلب افريقية يا مشرق الحياة فدى لك الارواح والقلوب خافقات
تختلف الازمان والاجيال والعهود
وشعبك الابي صاعد الى الخلود

القاهرة حسن فتح الباب

قصة لسومرست موم

سيد العارفين

ترجمة حسن السعران

○ ○ ○

لست أدري لم كرهت ماكس كلاده قبل معرفته . كنت يومئذ مسافرا من سان فرانسيسكو الى يوكهاما . وكانت جميع الخطوط البحرية مزدحمة كل الازدحام . فالحرب لم تمض على نهايتها غير ايام معدودة . ولم يكن ثمة امل في حصول المرء على غرفة بمفرده بالباخرة . ولهذا وجدتني سعيدا اذ حظيت بغرفة لا يشاركني فيها غير شخص واحد . ولكن ما ان وقع بصري على حقائب هذا الشخص حتى امتعضت من مجرد النظر اليها . كانت حقائبه تعلوها بطاقات سفر كثيرة ، وكانت بعض ادوات زينته قد رصت بشكل ظاهر . وبعضها يحمل اسمه منقوشا بحروف من ذهب في بشاعة صارخة .

تركت الغرفة في طريقي الى قاعة التدخين . ولم اكد اهم بالجلوس حتى وجدته امامي يقدم نفسه قائلا: « انا مستر كلاده » . ثم جلس .

قلت : نحن نشترك معا في غرفة واحدة ، انت رفيقي اذن !

قال : الواقع انها مسألة حظ ، فالمرء لا يعرف غالبا من يكون شريكه!

واخذت اعبث باصابعي لاهيا بورق اللعب الذي امامي ، وسرعان ما قلت مستأذنا والغضب يفعم قلبي انني سأذهب الى غرفة الطعام لاحجز لنفسي محلا .

فاخبرني مستر كلاده : لقد حجزت لك مكانا . رايت ان نشترك معا في مائدة واحدة ما دمنا نتقاسم غرفة واحدة .

وكرهت مستر كلاده .

وما كنت اخطو خطوة واحدة على ظهر الباخرة الا وهو يفرض نفسه علي فرضا ، ويلتزم مصاحبتي كرها وغصبا . ولم يشعر قط انني زاهد فيه وفي صحبته . والحق انه كان سريع الاختلاط بالناس . فلم تمر ثلاثة ايام حتى تعرف بالمسافرين جميعا ، واشترك في نشاط اهل الباخرة من اوله الى اخره . وتدخل في كل شيء . فلم يترك لعبة ولم يتخلف عن حفلة .

كان قذى للعيون في كل وقت ! كان شخصا غير مرغوب فيه ، ومغضوب عليه من المسافرين جميعا وقد سميناه ساخرين « سيد العارفين » . وكنا نردد تلك التسمية على مسمع منه ، ومع هذا كان يتقبلها على انها مدح وثناء .

وكنا ونحن جلوس في غرفة الطعام نترك له الحبل على غاربه ، فلا نحفل لما يقول او نكترث للذي يزعم الا رجلا واحدا بيننا يدعى «رامسي» كان يقف له بالمرصاد ، يسفه من آرائه القوية او حجته الدامغة . وكانت المجادلات تدور بينهما في خشونة قاسية وتهكم عنيف .

وكان رامسي عائدا من نيويورك الى مقر عمله باحدى السفارات الاميركية . وقد عاد وبصحبته زوجته التي كان قد تركها وحدها تقضي عاما كاملا في بلدتنا وبين ذويها . وكانت زوجته شابة جذابة مرهفة حلوة الحديث. ولم اكن لاحفل بها لو لم تكن متواضعة . وهذه صفة قلما كنت تجدها وقتئذ في بنات جنسها . في الحق كانت سيدة متواضعة على الرغم من جمالها الاخاذ وما كان هذا التواضع البادي على محياها الا زهرة تزين ثوبا انيقا .

وفي ذات امسية ـ ونحن نتناول العشاء ـ انزلق الحديث بيننا مصادفة الى موضوع الجواهر . وكانت الصحف تفيض في تلك الايام بذكر الجواهر الاصطناعية التي برع في صياغتها واتقانها اهل اليابان . وكان احد الحاضرين يدلل على انها ستقلل من شأن اللآلىء الطبيعية . فما كان من السيد كلاده الا ان انبرى متحمسا كما هي عادته واخذ يسرد علينا سيلا من معلوماته عن الجواهر . وعلى الرغم من ان رامسي لا يدري عن الجواهر شيئا، الا انه ما كان ليدع اية فرصة تفوته للسخرية من السيد كلاده او الحط من شأنه .

ومضى كلاده يتحدث قائلا : انني اعرف تماما ما اقول ، فهذه صناعتي وانا ذاهب الى اليابان لكي احيط باسرار هذه الصناعة الجديدة . انني اشتغل في تجارة الجواهر ، واكبر ظني ان الذي لا اعرفه عنها لا يستحق المعرفة !

واخذ السيد كلاده يتلفت حواليه في زهو وخيلاء ثم قال : انهم لم يتوصلوا بعد الى صناعة جوهرة يستعصي على خبير مثلي ان يفرق بينها وبين الجوهرة الاصيلة بمجرد النظر اليها .

واندفع الى زوجة رامسي مشيرا بيده الى عقد يزين جيدها . ووجه اليها الحديث قائلا : ثقي يا سيدتي ان عقدك هذا لن يفقد قرشا واحدا من قيمته ، مهما برعوا في التزييف والتقليد !

واحمر وجه الزوجة وامتلا حياء ، فامسكت بطرف العقد واخفته بين طيات ثوبها . وانتهز زوجها الفرصة فتقدم نحوها ولفت اليه جميع الانظار وقال : انني لم اشتر شخصيا هذا العقد ، ومع ذلك فانه يهمني ان اعرف قيمته يا مستر كلاده ؟

فأجابه كلاده بقوله : ان سعره التجاري حوالي ٣ الاف جنيه ، ولكنه قد يباع في محال المجوهرات الكبرى بضعف هذا القدر .

فضحك رامسي ضحكة ساخرة وقال هازئا : لعله يدهشك ان تعرف ان زوجتي ابتاعته يوم غادرنا نيويورك لقاء سبعة جنيهات فقط .

ـ يا للعجب انه ليس عقدا حرا اصيلا فحسب بل وانه فريد في نوعه وحجمه ..

ـ هل تراهن على ذلك ؟ انني اراهنك بمائة دولار على انه تقليد .

ـ اتفقنا ، اراهن على ذلك .

فقالت زوجة رامسي في صوت خافت لزوجها والابتسامة تعلو شفتيها

اوه ، ولماذا تراهن على ما تعرفه يا آلمر ؟

فأجابها زوجها قائلا : ولم لا ؟ وقد سنحت امامي فرصة الربح اليسير ، انني اكون غبيا اذا رفضت

فقالت الزوجة : ولكن بماذا تحكمون ليس هناك الا كلمتي ضد كلمة السيد كلاده .

فقال السيد كلاده : دعيني القي نظرة عليه ، واذا كان زائفا فساتحقق من ذلك سريعا ، وعلى كل حال فخسارة مائة دولار هينة علي !

فقال رامسي لزوجته ، هيا اعطيه العقد يا عزيزتي لكي يمعن النظر ويفحصه كما يشاء .

وترددت مسز رامسي لحظة ثم وضعت اناملها على قفل العقد وقالت: لا اظنني استطيع فتحه ان السيد كلاده سياخذ بقولي ولا شك .

ووجدتني اشعر شعورا غريبا بان حدثا تعسا وشيك الوقوع . وجمدت الكلمات في حلقي فلم انبس ببنت شفة .

ونهض رامسي وقال : دعيني اساعدك على فكه يا عزيزتي . ثم ناول العقد السيد كلاده . وسرعان ما اخرج كلاده عدسة مكبرة من جيبه واخذ يمتحن الجواهر بدقة واهتمام، وشاعت في وجهه ابتسامة الظفر . واعاد العقد الى صاحبته ، وكان على وشك اعلان النتيجة .

وفجأة لمح وجه السيدة رامسي. كان شاحبا باهتا حتى ليبدو كانها ستقع مغشيا عليها من الاغماء. وكانت تحملق بعينين واسعتين مذعورتين وتستميله في رجاء واضح ، عجبت كيف لم يره زوجها.

ووقف السيد كلاده مشدوها واحمر وجهه خجلا . وكنت تستطيع ان تلمح الجهد الذي يحاول السيطرة به على نفسه قبل أن يقول :

لقد اخطأت ، الجواهر زائفة . انها تقليد رائع للغاية . ولكنني ادركت ذلك في التو بمجرد فحص العقد من خلال عدستي ، وسبعة جنيهات سعر مناسب لها .

واخرج من جيبه ورقة بمائة دولار قدمها الى السيد رامسي دون ان يفوه بكلمة .

ولكني لاحظت ان اصابعه كانت ترتعش .

فقال رامسي وهو يتناول الورقة المالية : هذا درس ينفعك ، فلا تكن شديد الثقة بنفسك يا صديقي .

وشاعت القصة بين جميع ركاب الباخرة ، كما تشيع القصص دائما مما حطم كبرياء السيد كلاده في تلك الليلة . وكانت دعابة لطيفة ان يوقع رامسي في هذه الورطة « سيد العارفين » اما السيدة رامسي فقد انسحبت الى غرفتها بحجة صداع الم بها .

وفي صباح الغد نهضت من نومي مبكرا ، واخذت في حلاقة ذقني . وكان كلاده مستلقيا فوق فراشه ينعم بتدخين سيجارة . وفجأة سمعت صوتا خافتا يقترب من الغرفة ورايت رسالة تلقى من تحت الباب . فاسرعت بفتح الباب ولكنني لم اجد احدا : فتناولت الرسالة ووجدتها تحمل اسم ماكس كلاده ، وقد كتب الاسم بحروف منفصلة ؛ فناولته اياها . ولما فض الظرف وجد به ورقة مالية بمائة دولار ولا شيء اخر . ونظر الي واحمر وجهه ، ثم مزق الظرف شر تمزيق وناولني اياه ورجاني ان القي به الى اليم . ففعلت ، ثم نظرت اليه مبتسما ، فقال :

ـ ليس من احد يحب الظهور امام الناس بمظهر الغباء .

فسالته : وهل كانت الجواهر اصيلة اذن ؟

فاجابني : لو ان لي زوجة شابة جميلة ، فانني لا اتركها تقيم في نيويورك سنة كاملة وحدها ، واعيش بعيدا عنها في كوبا .

وفي تلك اللحظة وجدتني لا اكره السيد كلاده ، « سيد العارفين ».

حسن السعران



اراء وحكم

○○○

تمنينا الرق

كفى بك عاراً ايها العصر اننا ... غدونا نرى الرقَ القديم محببا
نعاني كفاحاً للكفافِ وربما ... تعذر حتى يصبح الموتُ مأربا
وقد يجرم المحتاج كي يدفع الاذى ... اذا لم يجدْ غير الجريمة مركبا

ماذا نصدق

ليس صدقاً كلُ ما نقرأه ... ليس صدقاً كلُ ما نسمعُه
فَنِّدِ القولَ وما تقرأه ... فيجيزَ العقلُ ما يقنعه
وسوى هذا ضلال مفسد ... نكبَ الكونُ به اجمعُه

العقل الصغير

على قدرِ عقلِ المرء تأتي همومهُ ... وهمُ ذوي العقل القليل قليلُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آثار الفتى

بئس الفتى ان مرَّ في الدنيا ولم ... يترك له أثراً يفيد ويُعجبُ
واجلُ اعمال الفتى الايثارُ في ... دنيا تناوىء اهلها وتعذب
ان كان نفع المرء محبوساً له ... فهو الانانيُّ الكريه المُجتنب
لا عاش من يمسي ويُصبح متخماً ... والجارُ يرزح في الشقاء ويسغب

الحياة اوهام وآمال

ان الحياة لاوهام وآمالُ ... وهي الشباب وصفو البال والمالُ
ان حزتها كلها او بعضها نعمتْ ... لك الحياةُ وبالنعماء تختالُ
هيهات هيهات ان تحظى بمعظمها ... فاقصرْ مناك ولا تخدعنك آمالُ

مصر ـ عزبة النخل

فريد حبيش

مكتبة الاديب



1 ـ قشور ولباب

للدكتور زكي نجيب محمود ـ ٢٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو بالقاهرة

●

أوثر الكتابة عن اصدقائي لاني إجدني معهم مرة جديدة . والدكتور زكي نجيب محمود صديق لي قديم ، عرفت مذهبه في الادب والفلسفة ، وعرف مذهبي في الادب والفن . اصفه لقراء « الاديب » . فهو غير مرض نحيف الجسم واقرب الى الطول فيه . هادىء مطمئن ، يبدو الهدوء على ادبه ، والاطمئنان على فلسفته ، وان يكن ذا انتفاضة بين سكونين ، وثورة بين هدوءين . لقد نسف بناء الفلسفة العامة وهي التي يدعونها فلسفة ما وراء الطبيعة « الميتافيزيقا » ، واقام صرحا لها من جديد . وفي الادب حمل مئازر في ظلمات من ليالي الادب . وهو في ادبه جماعة ، وفي فلسفته رهط . ولا اؤخر على قارئي معرفة سنه ، فالكاتب جاوز الاربعين من عمره .

لقد ابان في كتابه الجديد (قشور ولباب) عن مذهبه في الادب، فهو عنده ذو شطرين ، واحد في صفاء الادب ومزاجه بالنفس ، وانعكاس صور الاديب عليه . والشطر الثاني في ان تكون آثار الاديب فذة ينفرد هو فيها ، وان يكون الاديب متفردا لا يشاركه في فرديته كائن في الوجود.

اما شطر مذهبه الاول ، فاقره عليه لان الادب الذي لا يعبر صاحبه فيه عن نفسه ، ادب منقوص . وما اردت بالتعبير عن النفس الا ما يعتلج في الخاطر من الحالات النفسية ، داخل التصور ، فيكون قلم الكاتب ولسان الشاعر وسيلة للتعبير عما يعتري النفس من نوازع في الفكر والحس والتأمل . اما التفرد فهو تحنث . ومنذا الذي استطاع ان يتفرد في الحياة التي تمزجنا مزجا بالاشخاص والاشياء حتى تكاد تضيع ذواتنا فيها .

ومن هنا تظهر سيطرة الفلسفة على ادب الدكتور زكي نجيب محمود ، فهو يبتغي للادب ما عند الفلسفة من التجرد . وهو يؤثر ان ينفرد الشاعر فيكون كائنا وحده ، منفردا بخصائص وحالات ومواقف لا يشاركه فيها غيره . وعلى هذا المذهب وجب ان نوجد شعراء وكتابا ، كل واحد منهم لا يشبه الاخر في شيء . وما يطلبه الكاتب في الادب ، لا تستطيع الحياة تحقيقه . ويتجلى ان الكاتب الذي هدم ما وراءالطبيعة في الفلسفة ، اراد ان يوجد ما وراء الطبيعة في الادب .

ثم يبدأ المؤلف كتابه بموضوع في الشعر والفاظه كتبه نقلا عن « وليم وردزورث » في مقدمته لديوانه المسمى « الحكايات الغنائية المنظومة » الذي نشر سنة ١٨٠٠ . وقد اراد الكاتب العربي ان يطلع ناشىء الادب في البلاد العربية على نظرات الشاعر الغربي الذي وضع بين ايدي قرائه في القرن التاسع عشر ، خططا للشعر تنفع الدارسين ، وخاصة المحدثين المولعين بالفن .

وكم احب ان يقرأ هذا الفصل الناشئون في الادب ، ليرسموا لانفسهم خطة السير قبل السفرة البعيدة ، فان ما ارى من هتك لتراثنا للفظي والفني ، وما اجد من بوادر ادب خائر سيلقى كثيرا من الاشواك في طريق الفن العربي القادم .

لقد كتب « بوالو » منظومة (الفن الشعري) وقلد بها الشاعر الروماني (هوراس) في منظومة له عن الفن فالقى ظلال نصائحه الشعرية على العصور التي اتت بعده ، حتى اتى فيرلين فهب هبته الكبرى ، وكان هادما بانيا ، انه اراد ان يحقق البلاغة ولكنه اجاد في تقويم الشعر وانطلاقه ، ففغر البلغاء ذنبه اليهم . ومقدمة « الشعر والفاظه » في كتاب « قشور ولباب » مماثلة لمنهج بوالو في الشعر والادب ، لكن واضعها (وردزورث) فضل في الفن واتساق البيان ، وفي حب النقاء للالفاظ والبعد عن الشطط في الاسلوب . والى هذا قصد المؤلف في نقله لهذه المقدمة ، ففيها تظهر الصفات الخاصة بالقواعد التي بين الشعر والنثر . واجمل ما في هذه التوصيات الشعرية ان يحسن الشاعر لقرائه فلا يسيء اليهم ويؤذيهم ، ولو كان يقول شعره من اجل نفسه ...

لقد شارك الدكتور زكي نجيب محمود في حركة النقد المعاصر ، وهو يعد احد النقدة المعاصرين انه ذو نقد ماتع يمني الادباء ولا يزعجهم عن فنهم ، وهو يتلمس الملامح الجميلة في الاثار التي ينقدها ، كما يمر مرور الكرام على المعالم القبيحة . ونقده مستمد من خلقه وطبعه وشعوره . لقد حدثته كثيرا ، فلم اجده ند ولاحاد ، ووجدت في نقده طوابع مرشد وصفاة الهداة . انه لا يعظ منقوديه ولكن يسددهم ، ولا يكسر ولكن يقوم. انظر الى فصله الذيكتبهفيهذا الكتاب عن « النقد الادبي بين الذوق والعقل » فهو ينقد فيه الدكتور « محمد مندور » . ما اجمل ما اتفق ! فمندور عرفته هادئا مطمئنا مثل ناقده . وهو نفسه ناقد هادىء . وباد هدوؤه في مجلسه وكلامه . وكلاهما مثل طائرين ينقدان الحب فينفيان رديئه عن جيده . وبعض النقاد غربان وليسوا بطيور غردة ، وهم يحفرون الكتب بالمناقير السود .

الدكتور زكي نجيب محمود ينقدالدكتورمحمدمندور في كتابه (النقد المنهجي عند العرب) وكان يدير الاول على الثاني طاقات ورد من افواف نقده ، والورد لا يخلو من شوك . وسار البحث بين اعجاب وجدل . وقد استطاع ناقد الناقد ان يستصفي روحه الدراسية ، ويرى نضج ذوقه ، واتساق منهجه ، حين اخذ مندور يدخلبينالمتخاصمين الاول في شأن المتنبي وعبقريته ، فيفصل فيما فصل فيه القاضي الجرجاني في « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وما صنعه الامدي في الموازنة بين الطائيين .

وما زعمت ان ناقدا يسكت لناقد ، فقد اثبت المؤلف في كتابه رد الدكتور مندور عليه ـ وهذا فضل منه وسعة في حكمته ـ لكنه لم يسكت هو ايضا على الرد ـ وقد يكون هذا ضيقا في نفسه وحرجا ـ فرد على الرد حتى امتع القارىء بجدال ، ولكنه هادىء ، وحوار جميل حول موضوعية النقد وشكله فيما تناولا من الكلام وما تداولا من النقد المنهجي واصوله عند العرب ، اولئك الذين افنوا اعمارهم في تفهمالشعر والنثر القديم ، وصنعوا لنا تراثا باقيا يمتلىء بالنفائس ، حتى اتى على الاعقاب في عصرنا نقاد افذاذ لا يقلون عن اولئك فهما لروح الادب والفن وقيم اللفظ والمعنى ، فاتاحوا لقرائهم ان يروا صور الماضين خافقة « حية » فيهم .

حين كان يكتب الدكتور زكي نجيب محمود فواتحه في مجلة (الثقافة) المصرية وكان هو يرأس تحريرها اواخر عهد الاستاذ احمد امين يرحمه الله ، كنت اقول له :

ـ ما اراك تكتب افتتاحيات ، وانما انت تضع كتبا لقابل .

وكان ياخذه العجب لما ابصر . وصح ما كنت اقول ، فان المؤلف

كان من اعرف الكاتبين في فن المقالة . وكان في تلك الفترة وليست ببعيدة ، جماعة من الادباء يتفنون الكتاب في غرض واحد ، ولا يرغبون في فن المقالة الواحدة . اما المؤلف فكان يحبب اليهم الكتاب في مجموع من المقالات ، وقد اخرج كتبا في مقالات اشتات وبلغ من روعة فنه فيها ان الف بينها بنظام وسرد محكم حتى بدت وكانها كتاب في موضوع مؤلف او واحد .

وظهرت في كتبه الادبية معارض للفكر والفن والادب ، تقف في معرضه فترى نموذجات من هذه المنح الانسانية الثلاث . ولو انه جرب فن القصة ، وهو حتى الان لم يجربه ، لكان يؤثر القصص الصغار الملونة الجميلة في الصور والاشكال ، على القصة الطويلة . كذلك كان فنه متنوعا مثل الفصول الاربعة ، ولست انسى ان التنويع يذهب السأم ، ويضفي على القاريء انسا . ومثل هذا المذهب في فن الكتابة ذهب شيخ الادباء ابو عثمان الجاحظ .

اما الثلث الاخير من الكتاب ففي شؤون الفلسفة ، التي ياكل منها المؤلف خبزه ، وقد وقفت عند موضوع « الشك واليقين » في كتابه ، وعجبت كيف ادار افكاره حول ديكارت صاحب الشك المؤدي الى اليقين ولم يذكر سابقه الى البحث ، صاحبنا الجاحظ ، وهو الذي عقد للشك واليقين مقولات حتى كان يقول : (لم يكن يقين قط حتى كان شكا) .

وبعد ، فان عنوان الكتاب ، قشور ولباب . وقد احب المؤلف ـ كما ارى ـ في هذه التسمية الذهاب مع الفاكهة في مطالعها ، فهي تكون ذوات قشر ولب ، ومنها (الصبارة) ذوات القشور الشائكة واللباب الحلو المريء . ومنها السر كجوز الهند . لكني ـ ولست اجامل ـ لم ار في كتاب الدكتور زكي نجيب محمود ، ما يشبه ذلك القشر ، وانما كان كتابه مثل تفاحة لبنانية ناضجة ، قشرها احمر عاطر ، ولبابها ذوب شهي معسول .

٢ ـ تاريخ شيلي

تاليف اسماعيل فالديس فرغارا ـ ترجمة السيدة ماري يني عطا الله ـ ٤٥٠ صفحة ـ طبع دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت

●

حين وهبت السماء للارض هذا الاسم (ماري يني) ، كان للاساطير الاغريقية يد في الهبة والموهوب. كانت ربة الحكمة «مينيرفا»وعلى راسها تاج العقل ، وبيدها صولجان البيان ، ترصد تلك المولودة .وضرب الدهر بالسنين بين ربة الاساطير ، وبين ماري ، حتى استكملت شبابها واتسق لها قلم ، ولاح بيان ، فاذا مجلتها (مينيرفا) تطلع للوجود وعلى غلافها صورة لاخت الاساطير . ولقد احتلت مجلة مينيرفا اللبنانية اعدادها الشهرية ومجلداتها السنوية مكانتها المرموقة بين مجلات العالم العربي الحديث ، الذي يخطو لينال مقامه الكريم بين الامم المتحضرة .

وماري يني ، فيها نفحة من نحو بلادي ، وبلد اخر احبه وافديه ، فقرينها « ابراهيم عطا الله » من سورية وهي من لبنان ، ولقد عاشت الاديبة الكبيرة « ماري يني عطاالله » زهوة عمر الادب في لبنان ودار الهجرة الاميركية ، فكانت من رسل المعرفة النسائية المبكرة في العالم العربي .

اما الكتاب الذي نهضت بترجمته من اللغة الاسبانية ، فقد وضعه مؤرخ اعطى امته من روحه ودمه وعقله اجمل هدية في الاثر الباقي . لقد ارخ بداوة (شيلي) منذ كان الهنود اهليها ، يوم خفقت على رؤوسهم اجنحة النسور ، ولمعت في ايديهم الحراب ، وملات البيد والنجاد اصواتهم الحماسية في غاراتهم المتخطفة ، وهم على اظهر الخيول السلاهب ، حيث كانوا يعيشون احرارا على ارض لم تمسسها اقدام المستعمرين ، يحيون في ظلال حياة قبلية واعتقاد ديني ، وتنسم للحرية يسودهم السلام والوئام .

ولقد دمرت عليهم وفود المستعمرين ، فازعجتهم عن سلامهم ، وحملتهم ، وهم اهل النجدة والبأس ، ان يخوضوا الحرب مع الفاتحين ، فكانت الحرب سجالا . انهم ليحمون ذمارهم حفاظا على الكرامة واتقاء للمذلة . والمستعمر يعمل جيوشه وسلاحه لينال ارضا ومتجرا رابحا وراء البحار الشريدة .

وكانت غواشي الاستعمار هي الرابحة في المعارك يومذاك ، فتكسرت رماح الهنود ، وتصدع جمعهم ، ثم الانهم الدهر الذي يلين الحديد . فاذا شيلي تندفع باهليها في تطور وتجديد ، وتجارة وعمران ، مع تداول الزمان ، دون ان تنام على الضيم ، وقد استطاعت حين هبت هبتها الكبرى ان تنبذ الاستعمار لتحظى بالاستقلال .

واقبلت على تلك الربوع الندية جموع من الشرق تواقة للمال والمكاسب الشريفة ، فنزلت بارضها وفود من لبنان والشام وجدت في الشيليين كرم الوفادة ، وحسن الجوار ، ونعمة الدار فدرت عليها المغانم بالمال الموفور .

وقد اطلع هذ االكتاب صفحات غرا في مجد الامة الشيلية وفي حضارتها المعاصرة منسجمة حتى ايامنا ، وبدا سجلا مطولا لامة دفعت ثمن الحرية غاليا . وطرقت بابها بيد مخضبة بالدم ، وخلد فيه مؤلفه سير العاملين والرجالات والقادة والحكام الذين اسهموا في بناء مجد الامة .

اما الترجمة الفاضلة التي نقلت الى لغة العرب هذا الكتاب باسلوبها السمح فقد حداها اليه طبع جميل ، وهو الاعتراف بالجميل ، اذ ملا عطفيها ما عرفته في ربوع شيلي من تاخي العربي بالمواطن ، حتى كان ثمة الوطن الثاني للعربي وراء البحار . وذاك من سجايا السيدة المثلى ماري يني عطاالله التي راح نصير المراة الاستاذ جرجي نقولا باز يذكر ماثرها في فاتحة هذا الاثر ، وما كان لها من اعمال جسام في اشاعة الادب ورعاية المجتمع في الربوع الاميركية .

اما خاتمة كلامي فمقدمة الكاتب الجليل الاستاذ « نظير زيتون » الذي كتب فصلا في قطعة رائعة ، عرف فيه بالاديبة وكتابها تعريف النسيم بالرياض ، وهو الذي عرف العالمين ، وكتب بالقلمين .

دمشق — زكي المحاسني

غيوم ظامئة

لوديع ديب ـ مجموعة شعرية ـ ٨٠ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

●

مع تباشير نيسان هل على المكتبة العربية ديوان الشاعر وديع ديب « غيوم ظامئة » . وهذا الديوان هو بالحقيقة مجموعة لوحات فنية انسانية صور الشاعر فيها نفسه كما صور غيره من الذين يضجون حوله متعثرين باثقال فقرهم وبؤسهم . فاخاله ينبري لتوه يصور تصويرا خاطفا ما يشاهد وما يحس . يبدو جليا ان مقطوعاته نظمت في الشارع

او في مطعم فيصل ، قرب الجامعة ، دون ان يعيرها الوقت الكافي ليعمل قلمه ثانية في صياغتها ، واني له ذلك وهو معلم مدرسة يقضي كل وقته في تحضير الدروس وتصليح الفروض . واعتقد ان مشكلة التفرغ للشعر والادب هي مشكلة معظم الادباء في البلاد العربية . وعليه جاءت مقطوعاته عفو الخاطر بسيطة لا ابهام فيها ولا تكلف ان في الخلق او الصياغة حتى ولا طول يبعث الى السأم كالحديث الممل وقد تكون هذه بعض الماخذ التي يتذرع بها الشعراء المحدثون الا انها لا تنقص من قدر الديوان ، كونه قبضات من الجمال او كونها مقطوعات انسانية تشير الى اخطر مشاكلنا الاجتماعية في بدء نهضتنا وحياتنا الاستقلالية . صحيح انه لا يتعمق في التفاصيل ولا يذهب بعيدا في مجاهل النفس من موضوعاته الا انه يبدع في التصوير والايحاء ويترك الباقي للخيال الخصب . ولا شك ان مطالع الديوان يقف على عنصر الثورة المتغلغل في معظم القصائد تغلغل النور في العين . ذلك النور الذي يضطرم ولا يروع ، كما ويلمس محبة جريحة وعين بصيرة ترى ولكن ليس في اليد حيلة .

واما ما يصوره الشاعر عن نفسه وحياته فهو يصور قلقه الدائم ووحشته المريرة وحياته الساكنة الهادئة التي ملها فلا امراة حنون تهدهد الامه وتطيب احلامه ولا سقف يرف بالمنى ولا بيت يضج بالصغار فراغ رهيب مكشر في اعماقه وحياة يعكرها السكون . فاسمعه في اولى قصائده « سنونو » يقول :

اني سئمت العيش في ظل يعكره السكون
طيري فسقفي لم يزل رحبا وحوضي فيه طين
شيدي الذي تهوين من عش تقر به العيون
فغدا تزقزق فيه افراخ لها صوت حنون
فيرف سقفي بالمنى وترف بالامل الجفون
غني فيا للطين بالمنقار ذوبه الحنين

وفي قصيدة « شراع » يختمها قائلا :

لتجر الريح ما شاءت فاني
شددت بكل عاصفة شراعي

واما في قصيدة « بعث » التي نظمها على اثر وفاة والدته ، في هذه القصيدة هو مشكك حائر في سر هذه الحياة يقول في اخرها :

رواية عمر احكم الدهر نسجها
وسيان عمر المرء في المهد واللحد
فيا رب عفوا ان يضل بي الهوى
فانت سكبت الشك يا رب في قلبي

ويبلغ الذروة من الانشاد في قصيدة « امي » التي نظمها على اثر حلم راى فيه والدته تساله عن عافيته وهي من ارق القصائد واسماها عاطفة يبدأها بقوله :

ذكرتك بلسما يشفي جراحي
وريشا ناعما يكسو جناحي

ويختمها بقوله :

ولولا طيفك الغالي لضاقت
بي الدنيا على رحب البطاح

واما ثورة شاعرنا فتبدو في كل من قصيدة « خادم » « بائع البسكوت » « عارية » « البناء الشريد » وغيرها :
ففي قصيدة « خادم » يقول :

قانع بالعيش راض بالكاره
ما تشكي الناس يوما من جواره
انما دنياه ضاقت بعدما
كثر الشاكون في ارجاء داره

وهكذا الى ان يختمها بنداء الى رواد المطاعم اللجوجين :

فترفق اذ تراه عائرا
واذا انصفت خفف من عثاره
رب صحن فر من راحته
حين لاحت فيه اطياف صغاره

وفي « بائع البسكوت » يقول :

يا بائع البسكوت ما طعمه
هلا كفاك العيش يا بائع
يا جائعا والزاد في كفه
شبيه شعب خانه الطالع
بالله لا تغضب على موطن
ما فيه الا الشارد الضائع
حكامه لاهون عن امره
وكلهم في عرشه طامع

هذه بعض نماذج خاطفة من الديوان ، قصائد زاخرة بجمال التعبير وموسيقى عذبة تترقرق في كل وزن وقافية وروح نبيلة متالمة تتغلغل في كل مقطوعة . ترى الا تكفي جميع هذه العناصر ان تجتمع في الديوان لتجعل منه شعرا يستحق كل اعجاب وتقدير ؟

الجامعة الاميركية ببيروت — يعقوب حوراني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقصدوا :

البروفسور توفيق سكر

خريج الكونسرفاتوار الوطني بباريس والفائز بجائزته

دروس في السولفيج والارموني والتاليف الموسيقى وغيرها
مما يمكنك من التضلع في فن الموسيقى

العنوان : بيروت ـ شارع مدرسة الحقوق رقم ٤
تلفون ٢٠٠٨٨

Prof. Toufic Succar

Lauréat du Conservatoire de Paris

Leçons de Solfège, Harmonie, Composition, etc.

Adresse : 4 Rue Ecole de Droit Beyrouth

Téléph. 20088

محمـــد

للدكتور علي شلق ـ ملحمة شعرية ـ ٧٧ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

●

يقول المستشرق الالماني فرنو في كتابه « يقظة العالم الاسلامي » ان الشرقيين عندما تحيط بهم المشاكل وتعترضهم المصاعب يلجأون الى الدين لانقاذهم مما هم فيه . وهذا قول فيه كثير من الحقيقة على ان يحسن فهمه . فالمستشرق المذكور لا يعني انهم يحلون مشاكلهم ويتغلبون على مصاعبهم بالصلاة وتلاوة الاوراد ، ولكنهم يلتفتون الى الدين ليستمدوا منه دستورا يسيرون على هداه ويؤسسوا تحت لوائه رابطة تجمع شملهم وتوحد قواهم ، وليست الحركات الدينية ، كالصوفية في ايران والسنوسية في ليبيا ، والتيجانية في المغرب ، والمهدية في السودان ، والاخوان المسلمين في يومنا هذا ، الا امثلة على ما ذهب اليه المستشرق الالماني .

وقد جاء الرسول الاعظم محمد في عصر كانت كل قبيلة فيه امة ، فجعل من ذلك المجتمع المتنافر وحدة ثابتة ، واحل المحبة والتآزر محل الشقاق والتنافر . وكانت معجزته العظمى في ان توصل في مدى عشرين سنة الى ما قدر له علماء الاجتماع ثلاثمئة سنة ، توصل الى خلق امة متماسكة لا تزال وحدتها راهنة ثابتة طوال الف واربعمئة سنة رغم بعد الديار واختلاف الامصار ، ورغم دسائس الدساسين واحابيل المستعمرين اليوم ، ونحن نرى ثعابين الاستعمار تحيط بهذه الامة من كل جانب ، والمؤامرات تحاك سرا وعلانية ، ومعاول الهدم تتساقط على جدار القومية العربية من الداخل والخارج ، لا نرى عجبا في ان يلتفت شبابنا المثقف الى ذلك الانسان المعجزة ، الى المنشىء الاكبر الذي حورب في كل شيء ليتحول عن عقيدته فلم يتزعزع ، بل ظل مندفعا كالاعصار بجرف الجهل والعداوات حتى انهارت الخصوم وتحطمت اشلاء على قدميه وخرج من المعمعة بدين الهي ودستور مثالي ظلت طوال قرون خافقة اعلامها بين اسوار الصين وبحر الظلمات الى محمد .

وهذا اديبنا الكبير الدكتور علي شلق يطلع علينا بقصيدة في كتاب يحمل عنوان « محمد » ارسلها في الناس تمجيدا لعبقرية معلم لا يحتاج الى تمجيد ولكن الذكرى تنفع المؤمنين كما جاء في الكتاب الكريم . واني لاكبر الدكتور شلق خريج الجامعات الباريسية واغبطه على شاعريته الفذة وايمانه العميق وتفكيره السديد ، فهو لم يؤخذ بما في الغرب من حضارة زائفة ومدنية نخرة ، ولم يرتد شعوبيا كافرا بأمته مستهزئا بحضارتها كأولئك الذين يعودون من فرنسا لا يحملون سوى ما تعلموه من مواخير موتمارتر والحي اللاتيني ، بل تراءت له في ذلك السراب الوهاج تلك المدنية العربية التي انارت الدنيا من ندوات بغداد ومعاهد الاندلس ، مستمدة من وحي محمد نورا هاديا محييا . اجل لم يؤخذ الدكتور شلق بالسراب الخادع بل التفت الى حيث يجب ان يلتفت ، الى مبعث النور ، الى الصحراء العربية التي تهيب بالكون قائلة :

من ، هنا ، من هنا الضياء انا الصحراء ، ثدياي حكمة ورجاء
كلها اظلم الوجود توالت من ضلوعي اشعة سمحاء

ولم تكن الجاهلية بنظرة تلك الفترة المظلمة في التاريخ العربي ، بل هي فترة اعداد وتهيئة لعصر مقبل ، انها كما يقول الدكتور شلق :

اي انم ؟ ما الجاهلية عار فهي ابقى على الزمان واخلد
تربة انبتت محمدا والاسلام في جوها العتيق الممجد
اورقت فالنجوم ازرارها المذ راء والدهر ظلها وشذاها
سجدت عندها الحضارات والتمت شعاعا لدى عباب سناها
عندما قال كل حرف مهيب انا منها شرارة ذهبية

وما ان من الله عليها بالقائد الحكيم والربان الماهر حتى نفضت عنها كل ما علق عليها من غبار القرون المظلمة وانبعثت :

امة لمها محمد للانسان تبني به غدا ذهبيا
هز منها طليعة فهي زحف يمنح الكون رفده العربيا

نقشت بالحوافر السمر تزحا ما صدور النجود والوديان
ترسم الارض ، ليس حد سوى حدي ، فتعنو جبابر التيجان

وسارت تنقل الخطى المسرعة في فجاج الارض تهدم باطلا وتبني حقا ، انها خطى الفاتحين الالهيين الذين لا يتركون وراءهم دمارا وخرابا ، وفقرا واستعبادا كما يفعل قراصنة العصر الحديث من دعاة تمدين الشعوب ، ولكنها خطى تمرع وتخصب ، وتثير وتهدي .

امرعت كل خطوة جدولا اسنى وهزت على الدجى الانوارا

ولا يعدو الدكتور شلق الحقيقة حين يقول :

نحن صغنا الانسان معنى الهٍ ونسجنا الحياة فيح جنان
واتى الاخرون بالغاب يحيا في حواشي الضمير والوجدان

فقد فتحنا الدنيا لنبني في كل ركن معهدا وفي كل زاوية مكتبة ، لا لنستخرج ذهبا ونستولي على خيرات الغير ثم نملا الدنيا بالدعاوات والاكاذيب لنستر حقيقة ما لبثت ان برزت على لسان غوستاف لوبون حين قال : لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب .

اما الناحية الشعرية في القصيدة فرائعة ، وحسبي ان اشير الى تلك الابيات التي وصف بها الدكتور شلق البعث الجديد الذي تعدى تاثيره الانسان الى الحيوان والجماد :

قال رمل على مسامع رمل: جدة في الخيام ، في السمار
أي زهو على المضارب ملحو ن غريق في رنة الاشعار
فاستجابت جنادب خفرات هزها ضج صاهلات مريده
جيرتي تلكم العروبة في زحف لتبني بالحق دنيا جديده

وها ان التاريخ اليوم يدعونا لنعيد بناء هذه الدنيا ، فبعد ان عادت البشرية بقيمها واخلاقها الى الوراء اخذت تتلفت الى منقذ جديد ، وليس علينا الا ان نعود الى احتلال مكاننا المختار في ركب الطليعة المصلحة المجددة ، « فنحن اليوم ـ كما يقول الدكتور شلق في مقدمة كتابه ـ تجاه الدنيا ، نقول لها ، بانفتاح القلب ، وانعتاق الروح ، وهش المشاعر : لا تبتئسي ، ها قد عدنا ... »

بهيج شعبان

سيكولوجية المرأة

الدكتور زكريا ابراهيم ـ سلسلة الثقافة السيكولوجية
ـ ١٧١ صفحة ـ دار مصر للطباعة

●

كنا قد قدمنا للقارىء ثلاثة فصول من هذا الكتاب القيم ، وختمنا التقديم بالعهد اننا سنواصل تقديم ونقد ما تبقى من الكتاب في جزء قادم من « الاديب » . وها اننا نبر بالوعد الذي وعدنا .. فلقد حاولنا في السطور التالية اتمام المهمة التي وضعنا على انفسنا ، ولعل محاولتنا هذه ستوفق .

كان الفصل الاخير من الفصول التي قدمنا : « الفتاة في مرحلة المراهقة » . وفي رأيي ان هذا الفصل اهم فصول الكتاب واخطرها نظرا لانه يبحث اخطر فترة تمر فيها المرأة ، فالمعروف ان المراهقة هي قنطرة الطفولة الى الانوثة المكتملة مثلما هي معبر الطفولة الى الرجولة لدى الذكور . ومن هنا تتجلى مقدرة هذه الفترة في تحديد وتقرير مصير

المرأة والرجل ، فكما تسهم خبرات الطفولة في بناء المراهقة (٢) فكذلك يسهم بل يتحكم رصيد المراهقة العنيف والعملاق فاعلية وحيوية في تقرير مصير ما تبقى من العمر والطاقة والخبرات والحيوية .

ولاجل ذلك كان على الدكتور زكريا ان يسهم في التوجيه الاجتماعي البناء لهذه الفترة من حياة المرأة ، لا ان يستعرض خبراتها وظواهرها مجرد استعراض مقرون ببعض الالتفاتات القيمة .. ههنا تتعلق دراسات الاستاذ سلامه موسى وتنفجر علما وعقلا موجهين ، فلقد بحث الاستاذ سلامه ذلك ببعض التفصيل الطيب في كتابة « المرأة .. ليست لعبة الرجل » وفي بحوثه المتفرقة في « عقلي وعقلك » و « محاولات سيكولوجية » و « دراسات سيكولوجية » ... المهم ان فتاتنا المراهقة يجب ان تحظى بصداقتنا وعطفنا وبرقابتنا الواعية الحازمة في الوقت ذاته . ذلك لان اعصارها المدوي تمردات وتناقضات و « حبا » لا موجه ، انما هو وليد ما تمر به من ازمة في الفيض الهادر من طاقتها واعصابها وفسيولوجيتها عموما ، وليس هو بأي حال من الاحوال «عملا هداما » او نشاطا خبيثا « شيطانيا » .. ولا حاجة ان نقول ان مراهقتنا من دون هذه الرقابة الصديقة العطوفة تنحدر حتما الى الضلال والى الاخطاء المتراكمة عبر الفشل الدراسي والاجتماعي والعاطفي والعملي.. والتي تقود بتوجيه من المجتمع ومن بعض فئاته على الخصوص، الى الهاوية

كما ان مؤلفنا الاخ جانب الحقيقة الموضوعية في خاتمة الفصل حيث قال :

« .. ولعل هذا هو السبب في ان المرأة سرعان ما تنسحب من المجتمع ، فلا تعود تحيا وجودها الخاص باعتبارها ذاتا توجد في «الخارج» وتعمل مع الاخرين بل تشرع في اتخاذ موقف «الاخر» L'Autre الذي يعرض نفسه على الرجل ، ويضع نفسه تحت انظار الرجل ويعمد الى « التمثيل » حتى يجتذب الرجل ، ويصبح مجرد « موضوع » يحكم عليه الرجل ! »

فاين هذا من الحقيقة التي نلمسها دائما في المراهقة .. من انها « تشرع » في تمثل « ذاتها » لا في تمثل « الاخر » ... ومن انها تحيا انانيتها ، هنا .. وخصوصا في الشرق العربي ـ المتاخر ـ بشكل اكثر محسوسية من حياتها الاخرين . اما القول انها تعمد « الى التمثيل » حتى تجتذب الرجل فهذا شكل اخر من تنفس الذات الطاغي في فسيولوجيتها وسيكولوجيتها عموما . واما خضوعها للرجل ، هنا ، ولمواقفه واحكامه وسيطرته ، فلا يعني ، في محصلة النقاش ، سوى تصاديها وتكيفها ، بالتالي ، مع الموقف والعالم المفروض والموجود سلفا امامها ..

والان ، فاننا مع «المرأة في حياتها الزوجية » ـ وهو الفصل الرابع كما اسلفنا ـ وفي هذا نفترض مع المؤلف ان مراهقتنا ، بعد كثير من الحب الخائب و « المغامرات المقتبسة من الخارج » لدى البعض ، واعراض الحمق الانثوي الارعن المتقلب، بسوء او حسن نية، بين «الحب الفراشي» والحب العاهر والحب السادي او المازوشي.. ، ان مراهقتنا «المسكينة» هذه قد تزوجت ، وقد حققت حلمها الازلي .. واذن فهي زوجة .. وهنا فان سيكولوجية المرأة الزوجة تختلف نسبيا عن سيكولوجيتها مراهقة.

نحن مع المؤلف الاخ في تاثير مبدأ « المساومة » و « المقايضة » و « الصفقة التجارية » وتاثيره الشعوري واللاشعوري على الزوجة في مستقبل وواقع علاقاتها الزوجية والعائلية . واذا كانت الاسرة تعتمد على الزواج الموفق (٣) ولا اقول السعيد ، في الحفاظ على توازنها وبنائيتها ، فان الاسرة مدعوة ، بالتالي ، ان تنعم وان تموضع كثيرا من الخبرات والتعاونات بل وحتى بعض الوان « الخيبة » الزوجية . والمؤلف ، هنا ، يتحدد كثيرا « بالنطاق الضيق » الذي افترضه لنفسه منذ البداية ، ولذلك فاننا لا نجد لديه الا لمحات وخطفات غنية في بعض ابعادها بالحقيقة .

لقد اشار المؤلف الى نظام وحدانية الزواج باعتباره النظام الافضل والامثل للاسرة الانسانية . وناقش المؤلف ـ خطفا ـ بعض مفاهيم سيمون دي بوفوار الوجودية فوفق فيما ناقش توفيقا نهنؤه عليه : « حقا ان الزواج شيء اكثر من مجرد « رابطة جنسية » وسواء أكانت هذه الحملات هي وليدة عقدة « الذكورة » ، ام كانت مجرد تعبير عن رغبة الكثيرات في التحرر من تبعات الزوج ، ام كانت مجرد تقرير لحقيقة واقعية هي سأم المرأة من الحياة المنزلية ، فان من المؤكد في نظرنا ان « الزواج » ليس نظاما اجتماعيا فاشلا ، كما تزعم سيمون دي بوفوار . ولسنا ندري كيف تزعم هذه الكاتبة ان « الزواج » يقضي على شخصية المرأة ، ويحيلها الى مجرد كائن تافه عديم الاهمية ، بينما هي تعترف بان اكتمال نمو المرأة الجسمي والنفسي لا يتم الا بالامومة . اما الزعم بان الزواج يقتل الحب (٤) ، وان من الواجب ان نسمح للمرأة بان تفصل بين حياتها الزوجية وحياتها الجنسية ، فهذا قول اقل ما يقال فيه انه يهدم نظام الاسرة من اساسه ، وانه يقلب مصلحة الفرد على مصلحة النوع . ولسنا نزعم ان المرأة هي مجرد خادمة للنوع ، ولكننا نعتقد انه قد يكون من الخطأ ان نضحي بالطفل على مذبح الحرية الجنسية النسوية .. وحين يقول ـ وكل انسان معه يقول ـ : « والا فكيف جاز لسيمون دي بوفوار ان تقول ان الزوجة تريد ان تشارك زوجها حياته الزوجية ، وان تشترك معه في خلق عش سعيد ، وتربية اولاد صالحين ، ولكنها في الوقت نفسه تريد ان تتذوق ضروبا اخرى من العناق .. » ههنا تتأنسن كلمات المؤلف العلمية بأتم ابعاد التأنسن .. انه ، هنا ، الانسان يحارب الظلام والموت والغابة .

ولا شك ان الزواج شركة حياتية موفقة ان تناغم الزوجان افكارا

مع الباعة في كل مكان :

رائعة السير جيمز فريزر الخالدة

اوزنيس

دراسة في الاساطير والاديان الشرقية القديمة

ترجمة الاديب الكبير الاستاذ

جبرا ابراهيم جبرا

منشورات دار الصراع الفكري ببيروت

(١) راجع : الاديب اغسطس ١٩٥٧ ـ مكتبة الاديب ص ٥٢

(٢) لعلي استطيع تقديم دراستي عن « المراهقة في الانظار المتأخرة» الى مجلة الاديب .. قريبا .

(٣) لقد بحثنا ذلك بتفصيل في دراستنا « المرأة بين الانثوية والانسانية » .

(٤) في راينا ان هذا « المبدأ » في الحياة والزواج هو شر انتاجات ترسانت الغوغى .. الغوغى الغابية جوهرا والبشرية مظهرا .

واستجابات وحبا وعقلا وعاطفة . وما دام هذا الزواج ـ المثالي ، والخيالي ـ لا يتحقق الا بالقدر الاضال فان حديثنا عنه سيكون مجرد حلم .. وهنا يمر بنا المؤلف سريعا ولكن بضربات معلم على اهم ما يثيره الزواج من مواضيع ومشاكل . والحق ان الزواج لدينا مشكلة ومعضلة بقدر ما يشكل المجتمع ذاته وتتعقد مفاهيمه ونظراته .

لقد وصلنا الان الفصلين الخامس والسادس وهما يبحثان المرأة « في دور الامومة » و « في سن اليأس » . وهنا فاننا لا نملك الا ان نشد على يدي مؤلفنا لما في دراسته ـ عبر هذين الفصلين ـ من زخم هدار للحقيقة العلمية مصبوبة في النسخ الادبي المتفلسف . يعالج الدكتور هنا ـ فيما يعالج ـ العقم واثر العامل النفسي فيه ـ وهذه التفاتة غير مسبوقة ـ ويعرج على الامومة بارجاعها العاطفية وعلى تجربة الحمل وثنائياتها ، والجنين ، والاجهاض ، وسيكولوجية المرأة المرضع . ولا حاجة ان نقول ان :

والام مدرسة اذا اعددتها اعددت شعبا طيب الاعراق

كما يقول الشاعر العربي اما « سن اليأس » فكان يمكن ان يكون اكثر واقعية ودقة وانسانية لو سمي « سن الحكمة » كما يقول سلامه موسى ومع ذلك فان سيكولوجية المرأة ـ شيخة عاشت طيبها الموضوعي في دراسة مؤلفنا المركزة ، بشكل نغبطه عليه .

وليس لنا في الختام الا ان نقول مع المؤلف في الخاتمة : « وننظر الى المرأة على انها انسان قبل ان تكون انثى » فالحق ان هذا هو محور كل دراسات الباحثين ، وهو بعض معطيات كتابنا القيم الذي نقدنا ، والذي نحاول ان ندرسه تفصيلا ، بتصحيح اخوي بناء عبر دراستنا المائلة للطبع : « المرأة بين الانثوية والانسانية » .

كلمة واحدة .. لتقتن كل اخت عربية « سيكولوجية المرأة » لعلها تستطيع ان تهضم الحكمة الخالدة : « اعرف نفسك ! »

بغداد

جليل كمال الدين

الشعر العربي في المهجر : اميركا الشمالية

للدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ـ ٢٩٢ صفحة
منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ببيروت

●

أهتم الباحثون والادباء في الاونة الاخيرة بدراسة الشعر العربي في المهجر ، وقد كان لبعض هذه الدراسات الادبية صدى بعيد في المحافل الجامعية والندوات الادبية ، فمن مؤيد لقيمة هذا الشعر ومن متحامل عليه ، ناكر لتأثيراته في الادب الحديث . غير ان اكثر هذه الدراسات انصبت على المظاهر دون الجواهر ، واهملت النواحي الفنية الخالصة ، تلك الطريقة المثلى والكفيلة بمعرفة اهمية الشعر المهجري ، من حيث الصياغة والاتجاه الفني والثراء الروحي .. ومهما يكن من امر هذه الدراسات وتفاوتها بالقيمة والنجح ، فان المنصفين من النقاد والباحثين ، يحفظون لهذا الشعر الجديد اهميته البالغة وتأثيره العميق في تيار الشعر الحديث ، ونهوضه كحركة عميقة سعت الى غرس قواعد ثورة روحية وفنية ، تميزت بها مقطوعات هؤلاء الغرباء الاذكياء ، الذين حملوا لواء التجارة والادب في المهاجر ، فاتيح لهم ان يعانقوا النعيم والحرية حينا ، ويتقلبوا في نار الشقاء والخيبة احيانا كثيرة ..

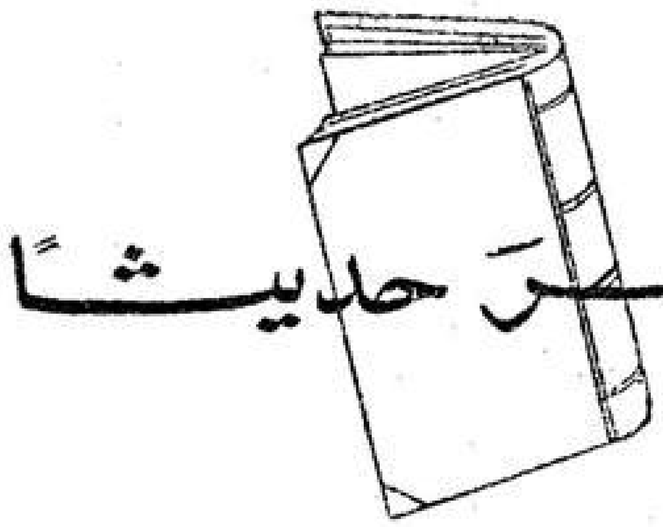
والحق ان الشعر المهجري قمين بالدراسة والاهتمام الزائد، وبخاصة دراسته على نحو تحليلي فني ، وهذا هو بالذات ، ما حدا بالمؤلفين الفاضلين احسان عباس ومحمد يوسف نجم الى العناية به ، والتوافر على كشفه . قال المؤلفان في مقدمة الكتاب انهما حاولا دراسة « نتاج هذه المدرسة الشعرية الاصيلة ـ التي تعتبر اقوى مدرسة في شعرنا الحديث تمسكا بالقاعدة الفكرية وتمثلا للمذهب الفني ـ دراسة تقوم على الاستبطان والاستقراء وتحليل النموذج من الداخل ، لتنفذ منه الى القاعدة » واحسب ان هذه الطريقة الجديدة اذا وافاها النجاح والاستواء فانها ستكون نافذة نقدية مقبولة للنفاذ الى معادن الشعر وتفسير الادب وتذوقه

والكتاب يتناول الشعر المهجري في اميركا الشمالية ، وقد انصب البحث في الفصل الاول من الكتاب على دراسة احوال لبنان في القرن التاسع عشر ، احواله الاقتصادية والسياسية ، وهو عرض موفق يشير الى نتيجتين هامتين الاولى : بيان اثر السياسة الاقطاعية والتحكمية في ظهور طبقة برجوازية مستضعفة من صغار الملاك والفلاحين ، وكيف ان الطبقة المثقفة التي نشئت في مدارس التبشير ارتبطت مصالحها بمصالح الطبقة الانفة الذكر ، فكان ادبها تعبيرا عن البرجوازية اللبنانية الناشئة وما يصحبها من ميلاد الفردية والمنافسة والتنكر للمثل القديمة من النواحي الدينية والاجتماعية . وثانيتها : ان ادب هؤلاء المجددين تميز بلون رومانطيقي ، ظهر نتيجة لعوامل لا تختلف عن العوامل التي ادت الى ظهور المدرسة الرومانطيقية في اوربا .

وبمعنى اخر ان هؤلاء المجددين الذين نشأوا في عهد التحرر الفكري وتفتح شخصية الفرد اللبناني ، وتدهور السياسة والاقتصاد ، ملت نفوسهم البقاء في سفوح لبنان فقصدوا المهاجر يلفهم اليأس الرومانطيقي ، وخلقوا فيها حركة ادبية جديدة ، في مصر حيث المدرسة السورية المتمصرة وفي البيئة الامريكية التي أثمرت هذا الشعر الرومانطيقي ، الذي هو عصارة شعرية لروحانية الشرق ونوازع الاغتراب والام الوحدة .. فدراسة الاحوال اللبنانية في القرن التاسع عشر كانت نقطة الانطلاق الى دراسة هذه العناوين الكبيرة والتي تشمل بحث الامور الاتية : الثورة على الثنائية ـ عودة الثنائية ـ الغاب ـ الانسان ـ التجدد والعدم ـ الحنين والهرب .

والملاحظ ان قضية الثنائية ، من خير وشر ، وعقل وقلب ، ونفس وجسد ، ومسألة الرجوع الى الغاب ، تلك اليوتوبيا التي يتحقق فيها الخلود او صورة المطلق ، اقول ان هذه المسائل الفلسفية هي التي ملكت قلوب شعراء المهجر الشمالي ، وشغلت منهم النفس والخيال . لذلك كان من الصدق والعمل الفني الكريم ان يتناول المؤلفان تفسير هذه الاغراض بدقة وشمول وتحليل قصائد شعراء المهجر عن طريق ملاحظة العلاقة والتأثير فيما بينهم ، ثم مواكبة نموهم النفسي ، ومعالجة الاثر الذي تركته الثنائية في نتاجهم وحياتهم .. وقضية الانسان ، واضطرابه في مسارب التجدد والعدم ، واصطراعه مع رياح الحنين والحدب ، هي الاخرى من المعاني التي نبتت بشراهة في الشعر المهجري.

وحين حاول المهجريون القضاء على الثنائية وارتموا في احضان الغاب، فانهم حاولوا التخلص من المواضعات والتقاليد .. ولكن الدين ـ بثوبه المسيحي ـ كان يمثل خلقا سويا في الغاب . فعلى المحبة يقوم دينهم الذي عليه نشأوا . وقد اثبت الغاب انه شيء مثالي ، وعجز رائدهم جبران عن تحقيقة ، فعاد الى النفس ، الى الانسان ، ذلك الذي كان يؤلهه اولا ثم ازدراه بعد ذلك . وعلى امراس الانسان اذن تقطعت اقلام الشعراء المهجريين ، فكان ان حملت قصة الانسان احدهم ، وهو ابو ماضي ، الى نفض الرومانطيقية ، والتعرف الى الذات الداخلية ، فوجدها منبع الحقيقة ثم قضى على ذلك بشماتته من مصير الانسان والتهكم منه. ولكن الاهتمام باحوال النفس انجبت النزعة الزهدية ، وروح التصوف ، المشرب بالحنين الى الطفولة والوطن ، حتى ان هذا الشوق العارم الى الغاب ، او الى نار ارم ، يمكن ان يكون اساسه العميق هو الحنين الذي يشد المهاجر الى وطنه ويملك عليه اقطار نفسه .. فتلك سمة نلمسها بوضوح في مواضع كثيرة من شعرهم .



ظهر حديثاً

● التربية في المرحلة الثانوية في الاقطار العربية ـ الحلقة الدراسية الثالثة لدراسة المشكلات التربوية في البلدان العربية ـ يحتوي هذا الكتاب على تقارير هذه الحلقة المنعقدة في الجامعة الامريكية ببيروت من ٤ الى ١٧ اغسطس ١٩٥٦ لدراسة التربية في المرحلة الثانويةومناقشتها والتوصيات التي نجمت عنها . وقد عنيت دائرة التربية في الجامعة الامريكية التي يرأسها الاستاذ حبيب امين كوراني بجمع هذه المواد ونشرها قصد تعميم الفائدة منها ـ ٢٢٥ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الكتاب ـ لبنان .

● الغواغي ـ مجموعة شعرية ـ للامير صقر بن سلطان القاسمي امير الشارقة وتوابعها ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ اللوحات بريشة ناظم الجعفري ـ الخط والزخارف بريشة محمد ناجي ـ المطبعة العموميةبدمشق

● بين عالمين ـ الجزء الاول ـ تأليف عبد اللطيف اليونس نائب صافيتا بالمجلس السوري ـ ٢٠٢ صفحة ـ مطبعة الجمهورية بدمشق.

● العالم العربي ـ تأليف الدكتورة نجلا عز الدين ـ ترجمة محمد عوض ابراهيم ومحمد دويك والدكتور محمد يوسف نجم وبرهان الدين الدجاني ـ مع مقدمة بقلم الدكتور وليم ارنست هوكنج ـ وتصديربقلم حسن جلال العروسي المحامي ـ ٥٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشربالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه [؟] ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● مبادئ من باريس ـ مجموعة قصص ـ تأليف ممدوح مواود ـ ١٠٨ صفحة ـ مطبعة الثقافة بحلب .

● حقيقة اخوان الصفاء وخلان الوفاء ـ تأليف عارف تامر ـ ٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ الكتاب الثالث من سلسلة نصوص ودروس ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● فارس غرناطه وقصص اخرى ـ تأليف محمد المجذوب ـ طبعة ثانية ـ ١٢٤ صفحة ـ مطبعة الكشاف باللاذقية سورية .

● مدارس المقاصد ـ البيان السنوي [١٩٥٧ـ١٩٥٨] لمدارس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ـ ٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مع عدة صور ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● صوت من الجزائر ـ شعر ـ لكاظم محمد حسين ـ ٣٦ صفحة ـ مطبعة الشباب ببغداد .

● أزمة الشرق الاوسط ـ تأليف غاي ونت وبيتر غالفوركوريسي ـ ترجمة الراصد العربي ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع فضول ببيروت .

● الاغاريد ـ ديوان شعر باللغة العامية ـ لشاكر سليمان صاحب مجلة الساوى التي تصدر في نيويورك ـ مع مقدمة بقلم ابراهيم سوبد ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق فاخر ـ مطبعة خروب التجارية بديترويت مشيغن بنيويورك .

● ادب المرتضى ، من سيرته وآثاره ـ تأليف الدكتور عبد الرزاق محي الدين ـ رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه في الاداب من جامعة القاهرة ـ ٣٠٥ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الاوراق الملونة ـ مجموعة قصص ـ تأليف جاسم محمد الجوى ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد .

● مم وزين ـ تحفة الشاعر الكردي الكبير احمد الخاني ـ ترجمهابتصرف محمد سعيد رمضان البوطى ـ ١٧٢ صفحة ـ مطبعة الترقي بدمشق .

● المحفوظات المدرسية للصفوف الابتدائية ـ اختيار عبد الحميد البكر مدير معارف لواء البصرة ورزوق فرج رزوق استاذ الادب العربي في دار المعلمين الابتدائية بالبصرة بالعراق ـ ٨٠ صفحة ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .

● الارشاد الزراعي ـ تأليف لنكولن دافيد كيلسي وكانن تشايلز هيرن ـ ترجمة محمد المعلم ـ مراجعة مصطفى الفار ـ ٣١٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● رياح الدروب ـ شعر ـ لراضي مهدي السعيد ـ لوحة الغلاف بريشة غازي السعودي ـ ١٣٦ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● رسائل التعليقات ـ الطبعة الثانية ـ لمعروف الرصافي ـ مع مقدمة لنعمان ماهر الكنعاني ـ ٢٤٧ صفحة ـ قام بنشرها عبد صالح ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

ثم ينتقل المؤلفان بعد دراسة هذه الاغراض الشعرية الى الحديث عن الشعراء في الباب الثاني من الكتاب ، ويتناول الحديث عن ابي ماضي ، ميخائيل نعيمة ، نسيب عريضة ، ندره حداد ، رشيد أيوب . وهذا القسم من الكتاب لا يختلف بكثير عن خطوط القسم الاول . وانما هو اصداء للاغراض الاولى التي ذكرت مسبقا . غير ان البحث هنا يكتسب سعة من حيث التمثيل ومقارنة الشواهد . وهنا يساير المؤلفان نمو الشعراء النفسي من خلال دراسة دواوينهم ومراحل حياتهم الفنية دون ذكر التواريخ المطولة والارقام والاحصاءات . بل ان التحليل يظهر على اتمه وبخاصة تحليل اثار ابي ماضي ، فقد استنزفت دراسة هذا الشاعر صفحات اكثر من الشعراء الباقين . ولعل هذا راجع الى نواحي التدرج في اهمية الشعراء .

على ان ذلك لا يمنعنا من ذكر بعض الملاحظ حول امور اهملها المؤلفان عن عمد او ايشار للسلامة . ونشير هنا بوجه خاص الى كلامهما عن قصيدة (الطين) لابي ماضي . فقد عرفنا ان قصيدة الطين كما ذكر الاستاذ روكس العزيزي مستقاة فكرة وجوهرا من شاعر بدوي اسمه على الرميتي . وقد جرت مناقشات حول هذا الموضوع على صفحات الاديب الغراء ، ساق فيها العزيزي شواهد وادلة على صدق دعواه ، وما دام الامر كذلك فيتوجب على المؤلفين ان يتحققا من صحة هذا الراي ، فيأخذا به أو ينصرفا عنه . اما الوقوف بين بين فهو طريقة لامبالية للتخلص من التبعات الادبية ، وقولهما (ان كلا الشاعرين حتى ولو اتفقا في اللفظ انما يعبر عن روح فلسفية عميقة في نظرة امته الى العلاقات الاجتماعية بين الناس) ـ لا يضيف الى القضية شيئا جديدا .

ومرة اخرى نحمد للمؤلفين الكريمين هذا البحث النقدي الجديد، ونرجولصداقتهما الروحية والذوقيةان تثمر المزيد من العطاءالادبيالشهي.

العراق ـ البصرة — عبد الرحمن علي

هذا العام ١٩٥٧ قامت ثلاث طائرات من طراز (ب-٥٢) تابعة لسلاح الجو الاميركي برحلة حول الارض اتمتها في اقل من يومين اذقطعت المسافة في ٤٥ ساعة و١٩ دقيقة دون توقف .

وبين هذين الرقمين القياسيين يضربهما الطيران في خلال ٣٣ سنة يستطيع المرء ان يتتبع جليا مراحل التطوير والتحسين التي ادخلت تباعا على وسائل الطيران وهي تحسينات مهما بدا عليها من مجازفة ومخاطرات فكل منها قد ساهم في تقدم الطيران . بحيث اصبح السفر جوا حول الارض او الى مسافات بعيدة امرا عاديا بالنسبة لشركات الطيران التجاري ولاصحاب الاعمال .

واذا ما دقق المرء مليا في التصاميم الفنية التي يضعها مهندسو شركات الطيران للمستقبل الطالع لرأى بينها ما يدهش حقا فالمسافرون الذين يطيرون شرقا بسرعة الف ميل في الساعة أي بسرعة دوران الارض على نفسها ، يرون الشمس كانها ثابتة بمحلها في الفضاء لاتتحرك وتبدو لهم في شروقها وغروبها مرتين في النهار .

فنبؤات الروائي الفرنسي جول فيرن الذي وضع عام ١٨٧٢ روايته « حول الارض في ٨٠ يوما » ، نراها تتحقق اليوم في ثمانين ساعة بدلا من ٨٠ يوما ولا شك انه قبل غروب شمس هذا القرن سيتمكن الانسان من الطواف حول الارض في ثمانين دقيقة .

عودة زبلين

●

قد تعود مناطيد زبلين الى الظهور لو تحققت امال المشتغلين بالطيران كما عبروا عنها اخيرا في فريد ركسهافن في المانيا . وهذه المشروعات تعززها الحقائق والارقام فاول ما يبشر بتحقيق هذا الامل هو ان اجزاء من مؤسسة زبلين قد نجت من اضرار الحرب العالمية الثانية ولهذا فان المال موجود ولو انه قد لا يكفي لاعادة بناء سفن طائرة لاستعمالها في عبور المحيط .

ومع ذلك فان المهتمين بالمشروع يأملون ان يوفقوا الى جمع مبلغ كبير من المال يكفي لبناء منطاد جديد وذلك اذا تمكنوا من اقناع الناس بان السفر في المناطيد عبر المحيطات قد يكون اوفر راحة من السفر بالطائرات النفاثة .

ويمكن ان تلخص المزايا التي يمكن للمسافر بالمنطاد ان يحصل عليها في عدة اشياء ، ذكرها ماكس بروس وهو القائد الاسبق لاخر منطاد زبلين المعروف باسم « هندنبرج » وهي:

ان المسافر بواسطة المنطاد يمكن ان يتمتع براحة ورفاهية اكثر من افخر انواع الطائرات النفاثة . وذلك لان كل مسافر ستكون له غرفة خاصة وسيكون الفراغ الذي يخصص للراكب في المنطاد اكثر اتساعا بمعدل ١٥ ضعفا من الفراغ الذي يخصص للراكب في الطائرة وذلك لان راكب الطائرة يخصص له مترات مكعبان في حين ان راكب المنطاد يخصص له ٣٠ مترا مكعبا .

وسيكون في المنطاد حجرة طعام واسعة لها نوافذ مما يسمح للمسافرين بان يتمتعوا بمنظر فريد للجهات التي يمرون فيها .

وكذلك في المنطاد لا يسمع المسافرون ضجيج الالات كما يحدث في الطائرات وخاصة النفاثة منها .

ومع ذلك يعترف انصار المنطاد انهم لا يمكن ان يباروا الطائرة في سرعتها بسبب وزن المنطاد الكبير الذي يزيد على وزن الهواء ولكنهم يقولون انهم يريدون ان يقوموا بخدمة هؤلاء الذين لا يحبون السرعة الكبيرة التي تنقلهم بها الطائرة ، بل يريدون ان يتمتعوا برحلة بطيئة لطيفة في الجو .

ويذكر القراء ان منطاد زبلين قد استغرق في رحلته من المانيا الى ريودوجانيرو في البرازيل ٧٢ ساعة . وكان المنطاد يقلل من سرعته في كثير من الجهات حتى يسمح لركابه بان يتمتعوا بالمناظر الطبيعية الجميلة في بعض الجهات المشهورة .

يقول انصار المنطاد انه اسلم طريقة من طرق السفر في الجو وذلك بشرط ان تستعمل فيه محركات ديزل وان يطير بواسطة غاز الهليوم .

وقد كان الخطأ السابق الذي حدث في منطاد هندنبرج هو استعمال غاز الهيدروجين السهل الاشتعال في محاولة اقلاعه من مطار ليكهرست منذ ١٩ عاما . وكانت نتيجة ذلك ان انفجر المنطاد وسبب كارثة كبيرة اذ مات ٣٣ شخصا .

وباستثناء هذه الحادثة الوحيدة لم يحدث لاي راكب من ركاب مناطيد زبلين أي حادث خطير من أي نوع .

ان تكاليف بناء المنطاد صغيرة ، بل هي اقل بكثير من تكاليف بناء الطائرة النفاثة . كما ان عملية البناء لا تحتاج الى اجراءات معقدة على الارض مثل الطائرات الاخرى .

ومن اجل هذه الاسباب كلها يسعى انصار المناطيد الى اعادة استعمالها .

في كلمات ...

● صرح الدكتور تو لي لو عضو لجنة الابحاث بمعهد السرطان الاهلي بوشنطن بانه وجد ان ثلاثة عقاقير من مبيدات الجراثيم قد نجحت اكثر من سواها في الوصول الى الاورام السرطانية . وقال ان المبيدات نفسها لن تشفي من السرطان ولكن المأمول ان تستخدم كحوامل لنقل العقاقير الشافية الاخرى . واوضح انه لا بد من اجراء البحوث الكثيرة قبل محاولة معالجة السرطان بهذه الطريقة .

● اعلن في لندن المسؤول عن اجراء التجارب العلاجية ضد مرض السرطان ان ثمة علاجا يجري اختباره بعد ٣٠ سنة من الابحاث اخذ يعطي استجابة اساسية افضل مما كان متوقعا .

ويعالج الاطباء الان في مستشفى سانت توماس بلندن مرض السرطان بالاشعة المجهولة المنبعثة من قنبلة كوبالت في اسطوانة فولاذية كثيفة مملوءة بالاوكسجين المضغوط . وتنوي خمسة مراكز اميركية تبني هذه الطريقة للمعالجة .

● اعلن علماء كنديون بانهم توصلوا للحصول على جراثيم واقية ضد مفعول لقاح النباتات الخيمية المسبب الاساسي لرشح الكبد . وقد استخرجت هذه الجراثيم من مصل دم حيوانات ادمجت قبل ذلك مع اللقاح المذكور .

● يأمل علماء جامعة كاليفورنيا في الحصول سريعا على كميات كافية من هورمون يدعى « سوماتو تروبين » يستخرج من الغدد النخامية للحيتان لاستخدامه في علاج السرطان واضطرابات النمو في الجسم البشري وغيرها من اضطرابات التمثيل الغذائي .

● كانت لورا مكدونلد وهي طفلة في الشهر العشرين من عمرها محكوم عليها بالموت بسبب اصابتها بسرطان حاد في الدم . وقد فشلت كل انواع العقاقير في علاجها واخيرا جرب الاطباء نوعا جديدا من العلاج عليها اذ عرضوا جسمها كله لاشعة اكس فترة طويلة للقضاء على نخاع العظام الذي كان يخلق كرات دم شاذة ، ثم اخذوا ٤٠ سنتيمترا من السائل النخاعي من شقيقة الطفلة التوأم وحقنوها به في مجرى الدم .

وغادرت لورا المستشفى في حالة طيبة بعد ان عاد دمها الى حالته العادية تقريبا واختفت علامات سرطان الدم منه ومع ذلك فان الاطباء يرفضون التنبؤ بالمدى الذي قد يستمره هذا التحسن .

● صرح الجراح الدكتور ادغار برمان ، من بلطيمور امام كلية الجراحين الدولية انابدال قلب معطوب بقلب سليم قد يصبح ضمننطاق الاشياء الممكنة . فقد اعلن انه قام معاثنين من معاونيه بعملية نقل القلب من كلب الى اخر . وقال انه قام بعزل القلب ثم بنقله الى كلب اخر وان ذلك القلب شرع ينبض من تلقاء نفسه كما امن عملية الدورة الدموية مدة ساعتين . واضاف الدكتور برمان انهذه العملية تعد تقدما كبيرا نحو امكانية ابدال القلب المعطوب بقلب سليم عند الانسان .

● اعلن راديو بكين انه يجري الان اختبار قلب من البلاستيك صنع في شانغهاي على الحيوانات واوضح الراديو ان هذا القلب تمكن حين استخدم في كلب من المحافظة على الدورة الدموية مدة ٢٠ دقيقة وقد اجريت ست تجارب من هذا النوع منذ شهر اغسطس

● اكتشف العلماء نوعا جديدا من الهرمونات الصناعية يدعى « تريدو ثيروتين » ثبت ان اثره فعال في علاج حالات الغدد النكفية المتضخمة بدلا من اجراء عملية جراحية لذلك.

● أعلن احد اطباء الجراحة اليابانيين وهو الدكتور تيفوشي انه من الممكن تجميد الدماغ اثناء اجراء بعض العمليات الجراحيةالخاصة بالقلب مدة تبلغ ضعف المدة التي يجمد فيها الدم في جسم الانسان اثناء العملياتالجراحية التي تجري له .

● تمكن عالم امريكي يدعى ستيفن هوفارت من اعادة الحياة الى عدد من الفئران فيمعمله بعد ان توقف قلبها عن العمل ٩٠ دقيقة . وقد كشف العالم عن هذه المحاولة امامالجمعية الفسيولوجية الامريكية وقال : ان هنالكطريقة يستطيع بها خفض درجات مئوية تقريبا حتى يتوقف القلب تماما وتبدأ بعد ذلك عمليةاخرى لرفع درجة الحرارة قليلا تجعل القلب ينبض مرة اخرى .

● صرحت طبيبة من رومانيا في مؤتمردولي لفن المعالجة الطبية بان استخدام عقار النوفوكايين في معالجة المتقدمين في السن اسفر عن نتائج طيبة واضافت الدكتورة اسلان من بوخارست تقول ان تجاربها التي اجرتها في معالجة اكثر من ٥٢٠٠ شخصبعقار النوفاكيين اثبتت ان بعض اعراضالشيخوخة كالضعف العام او الضمور والشيب تختفيبعد استعمال هذا العقار لمدة تتراوح بين سنة واحدة وثلاث سنوات ..

● جاء في تقرير لعلماء النفس في جامعة ماكجيل ان استخدام بعض العقاقير المنومة التي يدوم اثرها حتى ثلاثين يوما نجح في تحسين حالة كثيرين من المرضى المصابين باضطرابات عقلية ممن فشلت معهم وسائل العلاج الاخرى .

● قام ثلاثة من الجراحين بمستشفى بوسطن بعملية تطعيم كلية املا في انقاذحياة فتاة في الرابعة عشرة من العمر تعطلتكليتاها عن القيام بوظيفتهما وقد اخذ « المطعوم » من كلية شقيقة الفتاة السليمة بعد ان اصرتهذه على اعطاء احدى كليتيها لاختها ويبدوانالعملية نجحت نجاحا تاما وان الاختين تواميين في حالة طيبة . لكنه اوضح في المستشفىحيث اجريت العملية انه ينبغي الانتظار مدة ٧٢ ساعة للحكم بصورة اكيدة على قيام الكلية المطعمة بوظيفتها .

● بات من الممكن الان تجفيف العيون المستأصلة من الموتى وحفظها لامد طويل . وكان على الاطباء القيام بعملية نقل العين من الميت الى المريض في غضون ٧٢ ساعة على

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مركز الشرق العربي بيروت

○

غ.ل.		
٦٠٠	حلية الفرسان وشعار الشجعان	تحقيق محمد عبد الغني حسن
١٠٠٠	طبقات فحول الشعراء	تحقيق محمود محمد شاكر
٣٠٠	كتاب الورقة	تحقيق عبد الوهاب عزام وعبدالستار فراج
١٢٥٠	رسالة الغفران	شرح وتحقيق بنت الشاطىء
١٥٠٠	مجالس ثعلب (جزءان)	للامام ثعلب ، شرح وتعليق عبدالسلام هارون
١٠٠٠	اصلاح المنطق	شرح وتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون
١٦٥٠	المغرب في حلى المغرب (جزءان)	تحقيق شوقي ضيف
٨٠٠	نسب قريش	تحقيق ل. بروفنسال
١٠٠٠	اعجاز القران	تحقيق سيد احمد صقر
٧٥٠	اللزوميات	شرح طه حسين وابراهيم الابياري
٤٠٠	الفصون اليانعة	تحقيق ابراهيم الابياري
١٠٠٠	الاحاطة في اخبار غرناطة	تحقيق محمد عبدالله عنان
١٢٠٠	طبقات الشعراء	تحقيق عبد الستار فراج
٢٠٠٠	تهذيب الصحاح (٢ اجزاء)	تحقيق عبد السلام هارون واحمد عبد الغفور عطار

تطلب هذه الكتب من توكيلات المؤسسة

في لبنان : من دار المعارف بيروت

بناية العسيلي السور ـ المدخل من جهة المالية الطابق الاول ص.ب. ٢٦٧٦

في سوريا : مكتبة اطلس ـ جادة الصالحية ـ دمشق

في العراق : مكتبة المثنى ـ شارع المتنبي ـ بغداد

ومن جميع المكتبات الشهيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاكثر وقد تعاون العلماء مع مركز ابحاث جراحة العيون في مستشفى والتر ريد العسكري باستنباط هذه الطريقة الجديدة لتجفيف القرنية وحفظها في محلول الغليسرين

● اعلنت وزارة الصحة الكورية ان حوادث شلل الاطفال تتزايد في كوريا الجنوبيةبشكل يبعث على الهلع وانها تسعى جاهدة الانلوقف الانتشار الواسع لهذا المرض .

● تبدا قريبا في جنوب افريقيا تجارب على مصل جديد للوقاية من شلل الاطفال يمكن اخذه عن طريق الفم ويكفل للانسان حصانته مدى الحياة من هذا الوباء الخطير . وقد تم اعداد المصل الجديد في المعاملالامريكية ويختلف عن الانواع المستعملة الان في انهينتج عن فيروسات حية غير مؤذية بدلا من الفيروسات الميتة والمصل الجديد ارخص كثيرا في انتاجه من مصل سولك واسهل فيطريقة استخدامه فضلا عن سرعة مفعوله .

● اكتشف الدكتور البرت ادم وهو طبيب بلجيكي طريقة لعلاج شلل الاطفال بواسطة جهاز الكتروني يشفي الشلل في ساعاتبشرط ان يبدأ العلاج بعد ٤٨ ساعة من الاصابة

صدر حديثا عن :

دار صادر ـ دار بيروت

رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء

صدرت الاجزاء ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧

الثمن ٢٥٠ ق.ل

الطبقات الكبرى لابن سعد

صدرت الاجزاء ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢

الثمن ٢٠٠ ق.ل

● يحاول اثنان من العلماء الاميركيين خلق كائن حي في انبوبة اختبار صرح احدهما انه سوف يمكن لهذا الجيل ان يرى خلق الحياة في المختبر يجري العالمان تجاربهما على الكائنات الاولية التي لا ترى الا بالميكرسكوب ولكن تدب فيها الحياة . واذا نجح هذان العالمان وهما ميللر وكالفين في تحقيق هذه التجربة فسوف يتمكن العلماء من معرفة كيف بدات الدنيا وقد نفى العالمان انهما يحاولانخلق ولد او بنت في انبوبةوقالاانذلكسابقلاوانه.

ويبدو ان العلماء الروس يقومون ايضا بتجارب مماثلة وقد صرح الدكتور اوبارين وهو عالم روسي ، انه احرز بعض التقدم في التجارب التي يجريها في المختبر لمحاولة خلق كائن حي .

● صرح الدكتور جون كيشلر احد علماء النفس الامريكيين في شيكاجو ان ٩٠ في المائة من الامريكيات مصابات بالبرودالجنسي وان ٤٠ في المائة من الرجال مصابونبالعقم. وقال الدكتور ان الاعلانات التجارية التيتعتمد على صور الفتيات العاريات هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الامريكي . وحذر الدكتور كيشلر من الروايات التيظهر ابطالها مصابين بالشذوذ وقال ان هذا يؤثر الى درجة مخيفة على تفكير الرجل العادي ويربي له كثيرا من العقد النفسية عنقدرته الجنسية .

● تبين بالاختبار ان عقار الكلوروكين Chloroquineالموصوف ضد الملاريا ينفع في ٧٠ في المائة من الحالات ضد مرضالنقرس او داء المفاصل وقد كشف عن ذلك التجارب العملية التيقام بها فريق منالعلماءالكنديين والاميركيين والرومانيين والعقار الجديديعمل بصورة مغايرة تماما لعمل الكورتيزون هذا العقار الذي يعتمد عليه الاطباء اليوم في معالجتهم للمرضى المصابين بداء النقرس . وقد ظهر لهذا الفريق من العلماء انالكلوروكين يؤثر على سير المرض في الجسم بكامله . فهو يعكس الكورتيزون لا يؤثر مباشرة على الورم الذي يسببه داء المفاصل وبعد بضعة اشهر من استعماله في الجسم يحول دون تهيج الالم في المفاصل هذا الالم الذي يسببه المرضنفسه بينما تاثير الكورتيزون على نوبة الالم هو تاثير موقت يخفف الالم عند اخذ جرعة الا انه لا يحول دون ظهوره من جديد .

● اعلن خبراء الطب في بريطانيا اكتشاف مصل جديد للوقاية من الانفلونزا الاسيوية اجريت اختبارات ناجحة للمصل الجديد على ١٢٠ من رجال الجيش والطيران البريطاني . قال الدكتور هميل ويت رئيس معهد ابحاث الفيروسات ان المصل الجديد سيباع للجمهور خلال شهر .

● يدرس وزيرا الصحة والصناعة في مصر مشروع مصنع روسي ضخم لانتاج البنسلين والستربتوميسين يكفي حاجة مصر كلها ، وتستطيع ان تصدر منه للدول العربيةوسيكون سعر البنسلينوالستربتوميسين نصفسعرهما الحالي وهو من ارقى الانواع العالمية وسيقوم بتمويل المشروعالاتحاد العربي للهندسة الذي سبقان تعاقد على مصانع روسية لـلالات الدقيقة في مصر .

● يؤكد اكثر اطباء الولادة ان حالاتالاجهاد الجثماني والانفعالات الشديدة التي تعانيها الامهات خلال مدة الحمل هي المسئولة عن اغلب حالات التاخر العقلي لدى الاطفال .

● كتب احد اطباء الاسنان الامريكيين مقالا في « صحة اليوم » قال فيه ان « المصاصة » التي تستخدم لاسكات الاطفال اثناء فترة الرضاعة تعتبر اقل ضررا من مص الطفل لاصبعه .

● في نبأ من الرباط ان الحاج محمد المغربي « رئيس المخزن » المغربي اي رئيس الوزارة السابقة قد توفي عن ١١٦ سنة وكان اكبر معمر في العالم العربي وقد تولى المغربي رئاسة المخزن مدة ٧٠ سنة في عهد خمسة سلاطين الى ان اقصاه الملك الحالي محمد بن يوسف عند عودته من المنفى سنة ١٩٥٥ بسبب تعاونه مع بن عرفه وقد دخل المغربي الوظيفة في سن السادسة عشرقوتراس وفدا مغربيا الى بلاط الامبراطور نابليون الثالث سنة ١٨٦٨ .

وكان يقول انه منذ اكثر من نصف قرن يعيش في حمية كاملة على غذاء بسيط مؤلف من الحمضيات والحليب وشاي النعناع .

● استنبطت ادارة قدماء المحاربينالاميركيين اداة طبية ذرية جديدة الغرض منها قياس وتعريف الذرات المتاثرة بالاشعاعات الذرية في جسم الانسان ويتوقع الاطباء ان يكونللاختراع الجديد المسمى عداد الاشعاعات الجسمانية المتاثرة بالذرة اثر فعال فيالجهودالتيبذلونها لمعرفة اسرار بعض الامراض وسيستخدمون الجهاز العداد لتسجيلالاشعاعات الكامنةبصورة طبيعية في جسم الانسان الصحيح ومقارنتها بالاشعاعات الكائنة في جسم الانسان العليل . ويامل الاطباء ان تمكنهم هذه المقارنات من اكتشاف حقائق جديدة عن مصدر بعض الامراض المعينة وطبيعتها وخصائصها .

● رفع الدكتور ريد دنغمان احدالاساتذة التابعين لمدرسة الطب في كلية مشيغنتقريرا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لجمعية الجراحين الإميركيين المعنيين بجراحة التجميل يصف تبسيط استخدام الفوصفور المشع لقياس عمق الجروح المسببة عن الحرائق فالدكتور دنغمان يرى انه لكي يستطيع الطب ان يعالج معالجة صحيحة الجروح المتولدة عن الحرائق يجب ان يعرف الطبيب مدى عمق الجرح قبل ان يصف له العلاج الوافي ولهذا يعمد الطب لحقن الجسم حول الجرح بجرعة من الفوصفور المشع فتكشف العدادات مدى تغلغل الفوصفور في الجرح والمعروف ان اشعة الفوصفور تختلف باختلاف عمق الجرح في الجسم حسبما يكون من الدرجة الاولى او الثانية او الثالثة .

● يحاول العلماء العاملون في مختبرات جامعة كاليفورنيا استخدام الكربون المشع في استنباط نوع جديد من مبيدات الحشرات الفتاكة . وهم يجربون هذا النوع من النظائر المشعة في الصراصير التي تكثر في المنازل والبيوت فيتتبعون بيسر مظاهر سريان الكربون في جسم الحشرة حتى اذا ما جاءت مغايرة لمظاهرها في الحيوانات الثديية اتخذوا منها وسيلة لصنع مبيدات فعالة جديدة تقضي على الحشرات المنزلية دون ان تلحق أي اذى بالاهلين .

● تنبأ احد العلماء الامريكيين بان الاشعاع الناتج من التجارب الذرية سوف يؤدي الى وفاة حوالي مائة الف شخص في العالم خلال الثلاثين سنة القادمة وقال العالم كذلك ان عوامل الوراثة في الانسان سوف تصاب بضرر كبير من هذا الاشعاع وان هذا سيؤدي الى عواقب وخيمة .

وقد ادلى الدكتور هرمان مولر استاذ علم الحيوان في جامعة انديانا بهذه التصريحات الى الصحفيين في لوس انجيلوس بعد عودته من المؤتمر العلمي الذي عقدته جامعة ستانفورد

وقال الدكتور هرمان : ان مرض سرطان الدم الذي تسببه هذه الاشعاعات سوف يؤدي بارواح الكثيرين وان الضرر الذي سوف تصاب به عوامل الوراثة سوف يؤدي الى كثرة عدد الوفيات في الاجيال القادمة .

● قال العالم الامريكي حامل جائزة نوبل في الكيمياء لاينوس بولنغ ان الزعماء السياسيين الذين يأمرون بتجربة الاسلحة النووية يعلمون ان الوف الاشخاص يموتون مقابل كل قنبلة يجري تفجيرها .

● اصدرت الحكومة الامريكية دليلا يوضح الاخطار الذرية وطرق الوقاية منها ويقع الكتاب في ٥٧٩ صفحة ولاول مرة يزيح هذا الكتاب الستار عن القوة المدمرة للقنبلة الذرية المسماة « الذروة » Top وقد اجرى تفجيرها سرا في صحراء نيفادا ويقول الدليل : ان «الذروة» تندفع الى عمق ٦٠ مترا تحت الارض في دائرة قطرها ٤٥٠ مترا وعندئذ ينطلق ما يقرب من عشرة ملايين طن من الصخور والرمال الارضية الى ارتفاع كيلو ونصف كيلو متر في الجو ليسقط مرة ثانية بشكل امطار مريعة تقضي على كل شيء .

● طلبت تشيكوسلوفاكيا من الامم المتحدة ادراج دراسة اثار الاشعاعات الذرية في جدول اعمال الجمعية العامة .

● صرح الدكتور سيجموند فرينز احد خبراء الاشعة الشمسية في مكتب الارصاد الامريكي بان الغبار الذري الناتج عن الانفجارات الذرية لا يؤثر على المواصلات اللاسلكية ذات الموجة القصيرة وقال الدكتور فرينز انه لا يعتقد ان هناك علاقة بين الانفجارات الذرية واضطراب المواصلات اللاسلكية .

● استانفت روسيا تجاربها الذرية بتفجير قنبلة نووية قوية جدا وصفت بانها سلاح روسي جبار وقد صرح بذلك رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميركية لويس ستراوس وقال ان روسيا قد استانفت تجاربها الذرية في سيبيريا وان تفجيرا قويا جدا قد جرى في ٢٢ اغسطس .

وتقوم الولايات المتحدة هي الاخرى بسلسلة من التجارب في صحراء نيفادا وقد فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الثالثة عشرة بعد ساعة من تفجير الروس قنبلتهم ويبلغ عدد القنابل التي فجرها الاميركيون في نيفادا حتى ٢٣ اغسطس ٥٨ قنبلة .

● اذاعت وزارة التموين البريطانية في ١٤ سبتمبر انه تم تفجير سلاح ذري بريطاني بنجاح من برج في مارالنغا جنوبي استراليا .

● تبدأ بريطانيا في اوائل العام المقبل في تفجير عدد من القنابل الهيدروجينية في المحيط الهادي سيشاهد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا هذه التجارب الجديدة .

● قرعت لجنة سويسرية ناقوس الخطر اذ اعلنت ان تفجير القنابل الذرية جعل الامطار في سويسرا مشبعة بالاشعاعات الذرية ، لدرجة يمكن ان تصبح معها خطرة على مر الزمن.

وذكر تقرير اللجنة الخاصة ان الاشعاعات الذرية في الهواء والماء وان كانت قد ازدادت خلال الاشهر القليلة الماضية لم تبلغ الحد الذي يمكن ان تثير معه القلق غير ان نسبة الاشعاع الذري في الامطار ازدادت اخيرا الى درجة لا يمكن معها ان تعتبر بعد الان غير مؤذية خصوصا اذا استعملت مياه الامطار للشرب لعدة سنين .

وتدرس السلطات السويسرية الان الوسائل الممكنة لتخفيف نسبة الاشعاعات الذرية في المياه المجموعة داخل الصهاريج واعلنت اللجنة انها ستدرس ايضا نسبة الاشعاع في التربة وفي الحليب في سويسرا .

● اعلن الباندیت نهرو رئيس الحكومة الهندية في البرلمان ان امطارا محتوية على الاشعاع الذري هطلت في كشمير في الاسبوع الثاني من شهر يونيو الماضي .

وقال ان نسبة الاشعاع الذري في الامطار التي هطلت في ذلك الاسبوع كانت اكثر من النسبة العادية باربعين ضعفا .

وان هذه النسبة هي اقل بكثير من النسبة التي تشكل خطرا على حياة الانسان وليس من المحتمل ان يكون لها اي تأثير ضار في الصحة العامة

● صرح العالم الروسي الكبير دكتور ببلوسوف بان عدة مئات من العلماء السوفييت وجهوا نداء الى الحكومة الروسية منذ شهر ، يناشدونها فيه وقف جميع التجارب الذرية والهيدروجينية في الاتحاد السوفياتي .

واضاف الدكتور بيلوسوف ان العلماء الروس لم يتلقوا ردا على التماسهم الذي نشرته الصحف الروسية ولكن الحكومة الروسية سبق ان اعلنت انها تتفق مع العلماء في الراي

صدر حديثا عن :

دار بيروت للطباعة والنشر

ابعد من موسكو ومن وشنطن

بقلم الاستاذ الكبير

ميخائيل نعيمة

يعالج هذا الكتاب النواحي التي لم يطرقها كاتب من قبل

اقرأ في هذا الكتاب حقيقة الصراع القائم بين المعسكرين

الثمن ثلاث ليرات لبنانية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى اوروبا

بطائرات **فايكاونت**

اثينا
كل يوم خميس وسبت

فرنكفورت
كل يوم ثلاثاء وسبت

اسطنبول
كل يوم ثلاثاء وسبت

لندن
كل يوم ثلاثاء وسبت

باريس
كل يوم ثلاثاء وسبت

روما
كل يوم ثلاثاء وخميس وسبت

فيينا
كل يوم ثلاثاء وسبت

زوريخ
كل يوم سبت

في هذا الصيف يقدم لكم طيران الشرق الأوسط سفريات مضاعفة واكثر مناسبة على شبكة خطوط اوروبية واسعة.

سافروا بطائرات **M.E.A**

B.O.A.C. ASSOCIATE

راجعوا وكلاء السفر او شركة طيران الشرق الأوسط بيروت
باب ادريس - بناية عبود - تلفون ٢١٢١٢/٣/٤/٥ - راس بيروت - بناية ابكل سام - تلفون ٢٣٩٣٩
مكتب استقبال وتسفير المسافرين - شارع احمد شوقي - تجاه اول شارع الم نبش - تلفون ٤١٠٢٠

طيران الشرق الاوسط

القائل بخطورة هذه التجارب . واعتـــرف بيلوسوف بانه هناك قلة من العلماء في روسيا كما يوجد في امريكا ـ يعتقدون ان التجارب الذرية لم تبلغ مرحلة الخطورة .

● عين فاسيلي سيمينوف اميليانوف عضو الاكاديمية السوفياتية للعلوم رئيســـا لمجلس الطاقة الذرية في الاتحاد السوفياتي بعد ان ظل هذا المنصب شاغرا منذ شهر يوليوالماضي عندما عين المسيو سلافسكي الرئيس السابـق لمجلس الطاقة الذرية وزيرا للهندسة .

● اعلن في الولايات المتحدة ان الفواصـة الاميركية الذرية الخامسة « سارغو » ستنزل الى البحر في ١٠ اكتوبر الحالي والمعروف ان الفواصات الاربع الاخرى هي : نوتيلوس وسي وولف وسكيت وسوردفيش .

● صرح الادميرال ريكوفر مخترع الفواصـة الذرية الامريكية بان هذه الفواصة ستكـون بمثابة قاعدةتحت الماءعندمايتمتزويدهابالقذائف

● ابلغ معهد العلوم الوطني في وشنـطـن العلماء في العالم بان الولايات المتحدة ستقوم في ١٨ سبتمبر بتفجير قنبلة ذريـة تحـت الارض في صحراء نيفادا وطلب اليهم انيعاونوه بتسجيل الاهتزازات التي سيحدثها هـــذا الانفجار . وقد اعلنت لجنة الطاقة الذريـة الاميركية مسبقا موعد وتاريخ ومكان الانفجـار وقوته وذلك للمساعدة في الابحاث العلميـة الرامية الى الحصول على المزيد من المعرفـة عن طبيعة تكوين الطبقات الارضية .

وقد صرح ناطق باسم المعهد المذكور انهذه التجربة العالمية هي نتيجة طلب تقدم بهالعالم الرياضي الاسترالي الدكتور بولن في تورونتو بكندا اثناء اجتماع العلماء الجيوفيزيين .

هذا وان اكثر المعلومات لدى الانسان عـن جوف الارض هي نتيجة قياس قوة واتجـاه الاهتزازات التي تحدثها الهزات والزلازل . ولكن الزلازل والهزات الارضية لا تعطي انذارا مسبقا للعلماء كي يجهزوا ادواتهم الحساسة. فهزة ارضية اصطناعية تأتي في وقت معيـن ستؤدي بلا شك الى جمع معلومات علمية هامة اثناء السنة الجيوفيزية

اما قوة الانفجار الذي سيحدث فتعادل ثلاثة الاف طن من الديناميت وسيحدث الانفجار في غرفة واقعة في اخر نفق طوله ٦٠٩ امتار . وتقع الغرفة على عمق ٢٤٤ مترا داخل الجبل [طبع هذا الخبر قبل اجراء التجربة بخمسة ايام وسننشر في العدد القادم التفاصيل التي ستذاع ـ الاديب].

● اعلنت البحرية الاميركية انها ستباشـر العمل قريبا لصنع اول حاملة طائرات تسيـر بقوة الذرة وقالت مصادر البحرية ان هـذه الحاملة سيكون في امكانها الابحار عـدةسنوات دون ان تزود بالوقود وتبلغ حمولة هذهالباخرة الكبيرة ٨٠ الف طن وسوف ينتهي العمل مـن صنعها عام ١٩٦١ .

● افتتح في لندن معرض للاجهزة والمعدات الهندسية يشترك فيه ٥٠٠ مصنع وفيجملة المعروضات محرك ذري لناقلات النفطالضخمة صنع على طراز الفرن الذري في محطة كالدر هول التي هي اول محطة تنتج الكهرباء مـن الذرة على صعيد تجاري والتي تنتج هذهالطاقة منذ ما يقارب من عام لزيادة مؤن البلاد وسد حاجاتها الى المادة الكهربائية .

● اذاعت وكالة «تاس» السوفياتية ما يلي: طبقا لبرنامج اعمال الابحاث العلميةاجريت في الاتحاد السوفياتي تجارب ناجحة لقذيفـة موجهة بعيدة المدى وكذلك لتفجيرات نوويـة وحرارية نووية . وجرى في الاونـة الاخيـرة اطلاق قذيفة موجهة متعددة القطع وبعيـدة المدى. لقد جرتتجارب القذيفةبنجاحواكدت هذه التجارب كل التاكيد دقة الحسابـات والبناء المختار وقد حصل اطلاق هذه القذيفة من على ارتفاع شديد لا سابق له مطلقا . وقد سقطت القذيفة في النقطة المحددة بعدمـا قطعتمسافةهائلة في برهة قصيرةمن الزمن .

وتدل النتائج الحاصلة على انه من الممكن اطلاق القذائف الى اية بقعة من الكرةالارضية وحل مسالة انشاء قذائف موجهة بعيدة المدى مكن من بلوغ المناطق البعيدة دون اللجوء الى الطيران الستراتيجي المتبع حاليا بوسائـل الطائرات الحديثة .

● اعلن في وشنطن نبأ صنع عجلة مـن المطاط الاصطناعي القوي الذي يتلاءم مـع اقسى متطلبات الجيش . وقد تم صنع هـذه العجلات بعد ثلاث سنوات من الابحاث قامت بها شركة بنسلفانيا لصنع عجلات المطاطوشركة اسو الهندسية . ومن المنتظران يحصلالجيش على توفيرات كبيرة من جراء استعمال هـذا النوع الجديد من العجلات الذي لا يضر بـه التخزين لمدد طويلة كما يحصل للانواعالاخرى من العجلات . وقد صنع العجل الجديد مـن مادة تسمى « بوتيل » وهي نوع من المطاط الاصطناعي المتخرج من غازات مصافيالبترول.

● اعلن المسؤولون فـي شركـة « اطلس للقوس » بان الشركة وافقت على بناء مصنع كيماوي جديد لا يحتاج الـى اي مصـدر خارجي للمحروقات بعد ان يبدأ في العمـل وسيقوم هذا المصنع الذي سيبنى في ولاية ميسوري بانتاج حامض النتـريك ونيترات الامونياك وستحول كميات الحرارة الناتجة عن احتراق الامونيا (غاز النشادر) وهو قسـم من عملية انتاج النترات الى الاجزاء الاخرى من المصنع التي تحتاج للحرارة من اجـل سير بقية التفاعلات الكيمائية .

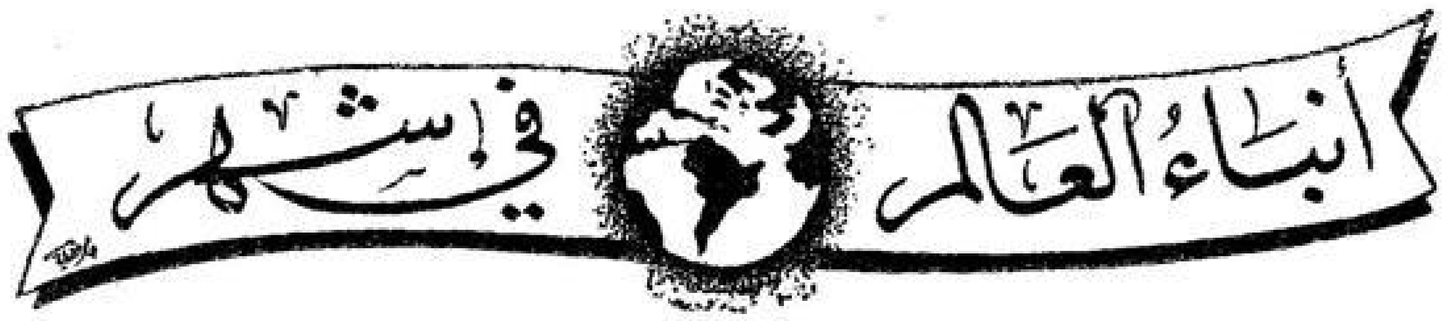
● تستعمل الة الحفر التوربينية في حفر ابار البترول والغاز التي يبلغ عمقها احيانا ٥ او ٦ كيلومترات وقد استلزم اختراع هـذه الالة عشرات السنين من العمل والابـحاث . وكان المهندس م. كابيلوشنيكوف اول من فكر باستخدام توربين في العمل تحت الارض ، واول من استخدمها بالفعل في باكوعام ١٩٢٢ ولكن الة الحفر التوربينية الحديثة تختلف عن تلك التي استعملت عام ١٩٢٢ ففي عام ١٩٣٤ صنع فريق من المهندسين السوفياتيين الـة حفر جديدة وكان عدد التوربينات يزداد فـي محورها عاما بعد عام . اذ كان عددها فيالبدء ٦ ثم ٨ ثم ٢٥ واخيرا مئة وارتفع هذا العدد في الات الحفر التوربينية السوفياتية الحديثة الى ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ وتعمل هـذه الالات السوفياتية اليوم في الحقول البترولية بالصين والهند وتشكوسلوفاكيا ورومانيا. وقداشترى العديد من شركات الولايات المتحدة الاميركيـة والجمهورية الاتحادية الالمانية اجازة صنعها من الاتحاد السوفياتي .

● علم في واشنطن انه قد تمت اولتجربة في التاريخ لنقل البريد في الصواريخالموجهة وقد قطع الصاروخ الموجه مسافة ١٢٠٠ ميلا حاملا رسالة عسكرية على علو عدة مئات مـن الاميال وقطعت المسافة في مدة خاطفة لم يصرح عنها وبعد ان وصلت الرسالة الى غايتهاحمل الصاروخ الرسالة الجوابية وعاد الىقاعدته.

● تمكن مصنع كورننغ للزجاج في اميركـا من صنع طائفة من المصنوعات الزجاجيةتفوق الفولاذ نفسه صلابة فللصحون مثلا التيتصنع من المادة الجديدة طاقة على الاحتمال تزيـد ١٥ ضعفا على طاقة الصحون الزجاجيةالمالوفة ويرى خبراء المصنع ان هذا الاختراع سيحدث ثورة في الوسائل التكنية التي تعتمدهاصناعة الزجاج وفي الامكان تكييف المادة الجديـدة لصنع احجام واشكال مختلفة من المصنوعات الزجاجية بالوسائل العادية . وبعض هـذه المصنوعات الجديدة قادرة على تحمل درجـة عالية من الحرارة تبلغ ١٣٠٠ درجة فهرنهايت (٧٠٤ درجات سنتيغراد).

● استطاع بعـض علماء جامعـة كولومبيـا الاميركية بالتعاون مع ادارة الابحاث بسـلاح الطيران الوصول الى طريقة لتحسين عمـل اجهزة الرادار وتضاعفة اثرها مئات المرات ، مع توسيع المدى الذي تعمل فيه اضعافامضاعفة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



١٤ اغسطس ١٩٥٧ ـ اصدرت وزارة خارجية مسقط بلاغا قالت فيه ان ثورة طالب بن علي شقيق امام عمان السابق انتهتوجميع البلدان الرئيسية هادئة •

ـ اصدرت السفارة الامريكية في دمشق بيانا كذبت فيه الاتهامات التي وجهتهاالحكومة السورية في بيانها الى الحكومة الامريكية بانها دبرتمؤامرة لقلب الحكمالقائمفيسوريا.

ـ في الانتخابات العامة التي جرت في غويانا البريطانية ، فاز حزب الشعب التقدمي اليساري باكثرية المقاعد •

١٥ ـ طلبت عشر دول عربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الامن الدولي لبحث الاعتداء البريطاني على عمان .

ـ اعلنت حكومة الولايات المتحدة الحكومة السورية ان السفير السوري الدكتور فريد زين الدين والسكرتير الثاني في السفارة السورية غير مرغوب فيهما . وان السفير الامريكي في سوريا جيمس موسى الصغير الموجود حاليا في امريكا لن يعود الى سوريا.

ـ قدم اللواء توفيق نظام الدين رئيس الاركان العامة للجيش السوري استقالته .

١٦ ـ بدأ جلاء القوات البريطانية عن اراضي سلطنة عمان تنفيذا لقرار الحكومة البريطانية .

ـ جرت حركة تبديلات واقالات وتعيينات واسعة النطاق بين ضباط الجيش السوري والدرك والشرطة والامن وقد عين العقيدعفيف البزري رئيسا للاركان العامة ورفع الى رتبة لواء .

ـ رفض الاتحاد السوفياتي مشروع « الاجواء المكشوفة » الغربي لمراقبة التسلح واتهم المندوب الروسي زورين الدول الغربية بانها تماطل في المحادثات منذ خمسة شهور لانها لا ترغب في نزع السلاح .

١٧ ـ وصل قسطنطين كرامنليس رئيس وزراء اليونان الى القاهرة في زيارة رسمية

١٨ ـ الف الاستاذ سامي الصلح الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ وصل السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى القاهرة فجاة .

١٩ ـ قدمت الاردن شكوى الى مجلسالامن وطلبت عقد جلسة خاصة للنظر في الاعتداء الاسرائيلي على المنطقة في جبل المكبربالقدس.

٢٠ ـ رفض مجلس الامن النظر فيالشكوى العربية على بريطانيا لتدخلها في الثورة في امامة عمان .

٢١ ـ وافقت الحكومة الفرنسية على تبادل بضائع تجارية مع مصر بقيمة ٣٠٠ مليون دولار وينص الاتفاق على تصدير القمح لمصر مقابل الحصول على القطن .

٢٢ ـ عرضت الحالة في سوريا على مجلس الامن الامريكي الداخلي برئاسة الرئيس ايزنهاور • وقطع المستر ماكميلان رئيس الحكومة البريطانية اجازته وعاد الى لندن للبحث بتطورات الحالة في سوريا .

ـ وصل الملك حسين عاهل الاردن الىتركيا

ـ دعت الحكومة المجرية الجمعية العامة للامم المتحدة الى رفض تقرير اللجنة الخماسية الدولية عن حوادث المجر باعتباره تدخلا في شؤون المجر الداخلية •

٢٣ ـ اعلن راديو موسكو ان الاتحاد السوفياتي يريد بمساعداته وخبرائه ان يعزز اقتصاد سوريا ويحفظها من الغرب ومؤامراته•

ـ اعلنت حكومة ستفغورة انها اكتشفت مؤامرة شيوعية لاحداث ثورة مسلحة في البلاد وقد اعتقلت ٣٠ شخصا من الشيوعيين .

ـ صرح رئيس لجنة الطاقة الذريةالامريكية ان روسيا استانفت تجاربها الذرية فيسيبريا بتفجير قنبلة نووية قوية جدا وصفت بانها سلاح روسي جبار .

ـ فجرت الولايات المتحدة قنبلتها الثالثة عشرة في سلسلة التجارب الذرية في صحراء نيفادا بعد ساعة من تفجير الروس قنبلتهم . ويبلغ عدد القنابل التي فجرها الامريكيون في نيفادا حتى الان ٥٨ قنبلة .

٢٤ ـ اكد صبري العسلي رئيس الحكومة السورية ان سياسة الحكومة الخارجية ثابتة وهي الحفاظ على استقلال البلاد وعدم الانحياز لاية دولة شرقية كانت او غربية وتطبيق خطة الحياد الايجابي .

ـ بدات في استانبول محادثات سياسية بين الملك فيصل والملك حسين وجلال بايار رئيس الجمهورية التركية بشان الحالة في سوريا . وقد وصل لوي هندرسون خبير وزارة الخارجية الامريكية في شؤون الشرق الاوسط الى استانبول مبعوثا خاصا لاجراء محادثات مع دول حلف بغداد بخصوص الوضع في سوريا .

٢٥ ـ عاد السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى دمشق بعد ان اجرى محادثات مع الرئيس جمال عبد الناصر .

٢٦ ـ اصدرت المفوضية اليمنية في روما بلاغا يعلن مهاجمة القوات البريطانية لليمن

٢٧ ـ اعلن الاتحاد السوفياتي في بيان رسمي نبأ تحقيق صاروخ يستطيع عبر القارات ويضرب اي نقطة في العالم وقد شغل الاوساط السياسية والعسكرية العالمية هذا النبأ الخطير .

٢٨ ـ وصل الى بيروت المستر لوي هندرسون وكيل الخارجية الامريكية قادما من تركيا وبدأ محادثاته مع المسؤولين حول الوضع في سوريا خاصة والشرق الاوسط عامة .

٢٩ ـ رفض الاتحاد السوفياتي المشروع الغربي لانتهاج برنامج محدود لنزع السلاح على اعتبار انه لا يتضمن اية قيمة كبرى .

٣٠ ـ دعت حكومة اليمن الولايات المتحدة الامريكية الى استخدام وساطتها ومطالبة بريطانيا بالتوقف عن قصف المواقع اليمنية

٣١ ـ اصبحت الملايو دولة مستقلة ذات سيادة داخل الكومنولث وبذلك انتهى الحكم البريطاني فيها بعدما استمر ١٧٠ سنة .

ـ وقع الملك محمد الخامس عاهل المغرب ميثاقا جديدا لمدينة طنجة (الدولية سابقا) التي اعيدت عليها السيادة المغربية التامة وقد نص الميثاق على تمتع طنجة بامتيازات اقتصادية خاصة .

ـ اذاعت وكالة تاس ان مولوتوف قد عين سفيرا للسوفيات في منغوليا الخارجية •

اول سبتمبر ١٩٥٧ ـ تم تنصيب السير توانكو عبد الرحمن البالغ من العمر ٦٢ سنة ملكا على دولة الملايو وهو اول ملك منتخب في تاريخ العالم وكان الملك الجديد حاكما مدنيا على الملايو مدة ٢٧ سنة •

ـ سلمت السلطات الايطالية جثة بنيتو موسوليني الى قرينته الدونا راشيل واحتفل بدفنه احتفالا كبيرا في بلدة بريدابيو حيث ولد الدوتشي •

٣ ـ اعلن بيان مصري سوري مشترك ان البلدين وقعا اتفاق وحدة اقتصادية بينهما .

٤ ـ وصل سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية الى بلغراد في زيارة رسمية ليوغسلافيا •

ـ وصل هندرسون مبعوث الخارجية الامريكية الى نيويورك عائدا من جولته الاستطلاعية في الشرق الاوسط .

٥ ـ وافق مجلس الامن على قبول دولة اتحاد الملايو في عضوية الامم المتحدة .

٦ ـ توقفت محادثات نزع السلاح بين الغرب والشرق التي تجري في لندن وفشلت الدول الاعضاء في التوصل الى اتفاق بشأن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معاهدة لنزع السلاح الجزئي .

٧ ـ وصل فجاة الى بيروت الملك سعود بطريقه الى المانيا للمعالجة وقد جرت محادثات هامة بينه وبين رئيس الجمهورية اللبنانية .

ـ اصدر الرئيس ايزنهاور بيانا عن الشرق الاوسط جاء فيه ان تكدس الاسلحة السوفياتية في سوريا لا تبرره حاجات دفاعية وان لبنان والاردن والعراق تشعر بقلق شديد وقال البيان نأمل بالا تهاجم سوريا جاراتها وانه تقرر الاسراع بارسال شحنات الاسلحة الدفاعية الى الدول الاربع جارات سوريا .

٨ ـ صرح الرئيس جمال عبد الناصر ان مصر ستؤيد سوريا دون تحفظ او شرط وستضع جميع مواردها وامكانياتها لنصرتها .

٩ ـ صرح السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية بان الظروف المحيطة بسوريا حاليا حرجة واتهم الاستعمار والصهيونية بالكيد لسورية وبتبييت امر لها .

ـ قالت البرافدا السوفياتية الرسمية ان الغربيين يعدون العدة لحرب جديدة ستكون هذه المرة امريكية وستوجه ضد سوريا .

ـ حذرت وزارة الخارجية الامريكية روسيا بانه ليس من الحكمة ان تسيء فهم تصميم امريكا على صد كل عمل هدام او عدوان ممكن الوقوع بايحاء من الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط .

ـ وصلت الى عمان ثماني طائرات امريكية كبيرة تحمل شحنة الاسلحة الامريكية للاردن

١٠ ـ وصل فلاديسلاف غومولكا زعيم الحزب الشيوعي البولوني ورئيس الوزراء جوزف سيرانكوفيتش الى بلغراد لاجراء محادثات مع الرئيس اليوغسلافي الماريشال تيتو .

١١ ـ وصل الى القاهرة اللواء عفيف البزري رئيس اركان الجيش السوري والعقيد عبد الحميد السراج رئيس المكتب الثاني وقابلا الرئيس عبد الناصر فور وصولهما .

١٢ ـ بدأت في الحبشة اول انتخابات عامة على الاسس الانتخابية المعروفة في العالم وذلك لانتخاب مجلس نيابي جديد وستشترك النساء في الانتخابات التي تستمر عملية الاقتراع فيها شهرا كاملا .

ـ عاد الملك حسين الى الاردن بعد زيارته لتركيا واسبانيا .

١٣ ـ انعقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة لاستئناف مناقشاتها حول قضية المجر والتصويت على مشروع القرار الذي قدمته ٣٧ دولة والذي يقضي بشجب الاضطهاد السوفياتي للثورة المجرية في الخريف الماضي.

ـ اتهم الرئيس ابو رقيبة الحكومة الفرنسية بشن حرب اعصاب على تونس منذ استقلالها واشار الى الفرق بين موقف بريطانيا من الهند بعد استقلالها وموقف فرنسا من تونس فقال ان موقف فرنسا غريب .

ـ قررت ادارة المعلومات الخارجية الامريكية وقف تمويل جميع المشاريع الصناعية الاستثمارية في العالم الا في ظروف استثنائية والغاية في هذه الخطوة زيادة مساهمة رأس المال الامريكي الفردي في بعض المشاريع ذات الصفة الاستثمارية .

١٤ ـ كلفت الحكومة الايطالية وزير الخارجية جيوزيبي بيللا ان يقوم بمسعى لتخفيف حدة التوتر في الشرق الاوسط .

ـ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة باكثرية ستين صوتا ضد عشرة اصوات وامتناع عشرة قرارا بادانة روسيا لتدخلها في المجر .

ـ عاد الملك فيصل الى بغداد بعد زيارته الى تركيا .

ـ اعتبرت تركيا رسالة بولغانين الانذارية التي وجهها اليها اداة دعاية كما اذاعت الحكومة اليونانية بيانا تقول فيه انها لا تسمح لاية دولة بتهديدها ولا تقبل التوصيات من احد وذلك ردا ايضا على انذار بولغانين لليونان.

ـ اخرجت تركيا ملحقين بحريين روسيين من انقرة بتهمة التجسس .

١٦ ـ صدر بلاغ مشترك عن المحادثات التي اجراها الوفد البولوني برئاسة غومولكا مع الماريشال تيتو في فرصوفيا وذكر البلاغ ان الموقف الدولي قد تحسن وان الموقف في الشرق الاوسط يشكل خطرا على السلام العالمي وايد البيان سياسة الاتحاد السوفياتي الخاصة بالمانيا .

ـ فاز الحزب المسيحي الديمقراطي وهو حزب المستشار كونراد اديناور فوزا ساحقا في الانتخابات النيابية التي جرت امس في المانيا الغربية .

١٧ ـ قام الجيش السيامي بانقلاب فاحتل العاصمة بانكوك واعلن الاحكام العرفية وقد هرب رئيس الحكومة وتسلم الجنرال ساريت ناناراث الحكم العسكري .

١٨ ـ طلبت تونس من الولايات المتحدة تزويدها بالسلاح لتتمكن من الدفاع عن نفسها ضد هجمات الحدود التي تقوم بها القوات الفرنسية من الجزائر .

١٩ ـ اذاع الجانبان السوري والسوفياتي للمباحثات الاقتصادية التي بدأت بدمشق بلاغا مشتركا يعلن اقرار برنامج العمل لخبراء الجانبين .

ـ نصح الماريشال تيتو رئيس جمهورية يوغسلافيا الزعماء الغربيين بالتخلي عن سوء الظن بالزعماء السوفيات .

ـ خطب جون فوستر داليس وزير الخارجية الامريكية امام هيئة الامم ودعا المنظمة الى التدخل في الشرق الاوسط قائلا ان الاسلحة الروسية الى سوريا تشكل خطرا عسكريا متزايدا بالنسبة الى تركيا .

٢٠ ـ خطب اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتية في هيئة الامم فهاجم امريكا بشدة واتهمها بالضغط على سوريا واثارة العرب على بعضهم والسعي لتحويل الشرق الى صندوق بارود .

ـ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على ادراج قضية الجزائر وقضية قبرص في جدول اعمال الدورة .

٢١ ـ وصلت قطع حربية سوفياتية الى ميناء اللاذقية في زيارة لسورية .

ـ قطع الجيش السوري المواصلات ليلا على طريق دمشق حلب وحمص واللاذقية الى حين اشعار اخر وقال البيان العسكري ان ذلك فرض لمناسبة قيام الجيش بتحركات ومناورات عامة .

ـ توفي الملك هاكون السابع عاهل النروج وقد نودي بابنه الامير اولاف ملكا باسم اولاف الخامس .

٢٢ ـ استقبل الرئيس ايزنهاور الامير فيصل ولي عهد المملكة العربية السعودية بحضور ناظر الخارجية الامريكية المستر داليس وتناول البحث الموقف في الشرق الاوسط والقضية السورية بصورة خاصة .

٢٤ ـ صرح الامير فيصل آل سعود بانه يعتقد بان سوريا لا تشكل خطرا في الشرق الاوسط وقال ان الموقف في سوريا قد صورته الصحافة بانه خطر جدا ولكنني اعرف العكس .

ـ وجهت الدول الغربية الثلاث اتهاما الى الاتحاد السوفياتي باثارة القلائل في الشرق الاوسط بشحنة كميات وفيرة من الاسلحة الى المنطقة وبشن حملة دعاية قوية تهدف الى تقسيم الدول العربية على بعضها البعض وذلك بمذكرات مماثلة رفضت فيها امريكا وبريطانيا وفرنسا الاقتراح السوفياتي القاضي باصدار بيان من جانب الدول الكبرى يحرم استخدام القوة المسلحة في المنطقة .

ـ وصل الى بيروت علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية ، قادما من اسطنبول في طريقه الى بغداد وقد جرت محادثات بينه وبين المسؤلين في لبنان .

٢٥ ـ وصل الى دمشق الملك سعود في طريق عودته الى العربية السعودية وقد جرى له استقبال حافل .

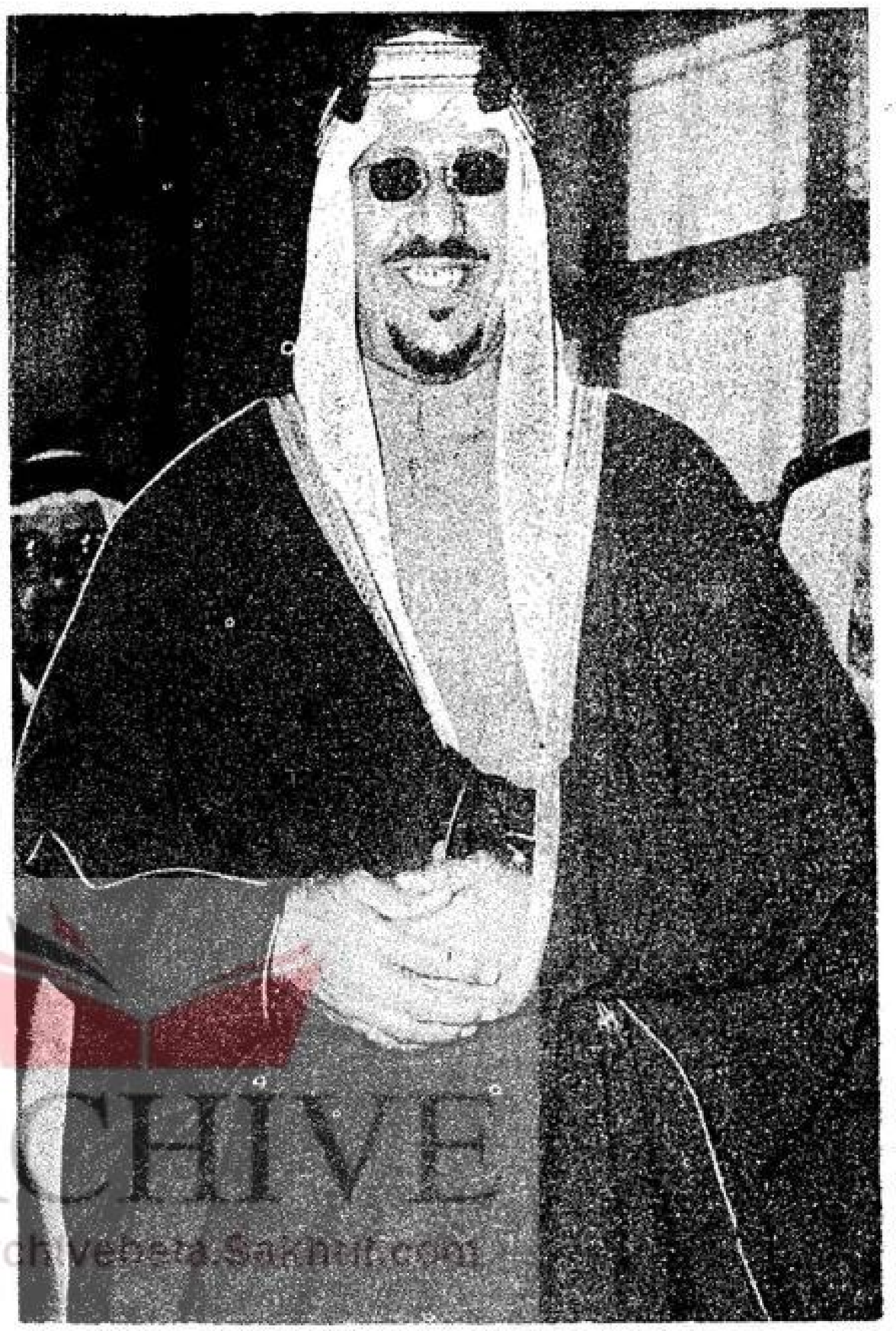
مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية

صبا نجد

ooo

أمن مـلاب الشيح والرنـد
أم من لعاب الشفق الوردي
أم من حباب الطل فوق الغضا
صغتِ التحايا يا صبا نجد ؟
هداكِ رب البيت ، لم تخطئي
باب سعود ، جامعِ السعـد
حمّالةَ الطيب انضحي بالشذا
حمّـالَ سيف الله والبنـد
لا تزحمي المُدّاح من حولـه
جلّ قصيد الحب عن قصد..
شقّي الى عبـد العزيز الثرى
وانسكبـي نـدا عـلى نـد
في لحده ، ان طفتِ ، او عرشه
أنتِ علـى باع مـن الخلد
سعود ، شاء اللـه ان تبتني
مجدا علـى ارث مـن المجد
كنانة الاعـراب ان اقفـرت
زوّدتهـا بالسهـم والزنـد
زدنا ـ يزدك الله من فيضه ـ
رفدا على رفـد علـى رفـد
ما أنت للدنيـا التي تزدهـي
بل أنت للـدين الذي يهدي

جـورج صيـدح



جلالة الملك سعود الاول

عاهـلَ المملكـة العربيـة السعوديـة

•

زار لبنان في اواسط الشهر الماضي صاحب الجلالة الملك سعود الاول عاهل المملكة العربية السعودية فاحتفى لبنان شعبا وحكومة بالزائر الكبير الكريم احتفاء بالغا رائعا نظرا لما يكنه لجلالته من عميق شعور المحبة والاحترام .

فنرجو ان يكون لهذه الزيارة الكريمة أثرها البعيد في جمع شمل العرب وتوحيد صفوفهم وكلمتهم .

●

[نلفت نظر القارىء الى جولة الاديب من هذا العدد ابتداء من صفحة ٧٠ حيث يجد بعض ما يجب معرفته عن العاهل العربي وعن البلاد العربية السعودية في نهضتها الحديثة] .

بعض قضايا الشعر

بقلم ايلي الحاوي

° ○ °

لعله لم يسلف في طبيعة الشعر الا آراء مبتسرة ، ذاتية او خرافية ، نمته آنا الى جنيّ رئيّ ، وآونة الى الهة من الغيب ، وثمة فلذات من التحاديد التي اطلقها بعض الادباء ، كقولهم « الشعر ديوان العرب » او « هو ضرب من التصاوير » وكثير الى ذلك مما لا جدوى ، بعد ، من الافاضة بذكر تفاصيله . فلقد اصبح من العبث ان نجاري قدامة بن جعفر ، فنقصر الشعر على الوزن والقافية ، كما انه لا مجال لتمييز عناصره ، فندعي كما ادعى اليونان ان حوذي العقل يتولى فيه عربة الخيال وخيول العاطفة .

قضيـة العقـل

ان العقل لا يتصرف الا بما تبينه البينات والقرائن ، يرفدنا بحقائق قد تغلب فيما نتحدث به ونطالعه او نشاهده في الطبيعة ، فهي تقرير نقبل وضوحه ، لكنه لا يدعنا نشعر بذهول الاشياء وظلالها اي شعرها . اما اذا تموهت اضواء الحقائق العقلية في ظلمة التجربة ، وغاصت في تيار النفس ، تجاربه دون ان تحوله ، ترفده دون ان تغصبه فانها ترابط اجزاء التجربة واطراف التشابيه بجذور خفية ، يجمعها وينيرها المنطق بضوئه الصامت . ولعله اذا افتقد الشعر هذه الجذور ، اعتل بالاختلال في اجزائه ، والعبث والمستحيل في تشابيهه واستعاراته . فلا يعود يشخصها الذهن كما انه لا تتحسس بها النفس فهي ليست تنطوي على منطق ذلك ويقين هذه ، لم يشحذها العقل بضوء حقيقته ولم تكسها العاطفة بصدق احساسها لذلك نستشف عبرها ، مستحيلا لا ترضى به الذائعة المثقفة . فالعقل اذا ينبغي ان يكون تلك الروح الخفية الذي تسري في خلايا الصورة والتشابيه ، لا نبصرها او نعيها ، لكننا نشعر بها تختلج في خلية التجربة ، تسيرها حينا وتسايرها احيانا . اما اذا تسلطت عليها من الخارج ، فهي توشك ان توهنها وتعدمها . لذلك بصرنا بالتشبيه الذي يمثل عملية سيلوجيسم منطقي بطرفيه ووجهه ، بصرنا به بعدم حقيقة التجربة فلا يبقي الا معاني تختلف ملامحها هدما وبناء ، بينما تلبث المعاناه النفسية مقيدة ، تتحفز دون ان تعلن ، نشعر بها في عتمة النفس ، دون ان نشاهدها في اضواء الحروف . ولعل نزوع التعبير الشعري من التشبيه الى الاستعارة التي ليست الا تشبيها مبتورا ، لعل ذلك ، لم يكن في الواقع الا خطوة مغفلة ، تسعى الى ان تغمر النفس بشيء من الغموض الذي يتولد عندما يقع احد طرفي معادلة التشبيه . ومن ثمة خلصت العبارة الى الرمز الذي نقض واقع التشبيه والاستعارة وافضى الى شبه حلولية تغفل فيها تلك الاطراف جميعا . فالنزوع من التشبيه الى الاستعارة فالرمز ، لم يكن في الواقع سعيا وراء العبث ، وانما كان يمثل محاولة الانسان ليتملى ويتحسس حقائق نفسه بعد ان عجز عن ان يعيها ويوضحها .

ولقد طالما بصرنا بجماعة النقاد ينعون على بعض الشعراء المعاصرين سعيهم للتخلص من ادوات التشبيه ، ونموا ، ذلك ، الى عبث خارجي ، والتزام ما لا يلزم من صعوبة ، لا يجدي الانتصار عليها انتصارا على النفس .

ان السعي للتخلص من ادوات التشبيه ، ليس الا وجها للتخبط بمأساة الابداع ، بين ما نشعر به حيا ، حارا ، مبرما وكثيرا في النفس ، وبين ما نفتقده باردا ميتا ، لا مباليا ، وقليلا ، في الشعر ، ولقد ادرك الشعراء ان هذا التباعد بين الواقع النفسي والواقع الشعري ، يمت بكثير الى الاساليب التي نعتمدها في نقل ذلك الغموض . فالغنى الداخلي هو غنى المعاناة والتجربة ، اما فقر الشعر ، فهو فقر المنطق الذي امات تلك الحالة . فحاولوا ان يتوسلوا لنقل ذهولهم باساليب يتحسسونه بها دون ان يوضحوه او يعوه . وهكذا تمردت الصورة على عقم التشبيه والاستعارة وجعلت تتغيب وتغرق في الفوضى والتشرد ، تجمع اطرافا ونتفا متباينة ، وربما متناقضة ، تغشى الوعي بالهذيان ، والخطوط بالظلال ، لتقضي على مظاهر التقرير ، فيصبح المنطق منطقا قاتما ، مظلما ، شبكة شفافة غير منظورة تمتد وتتشعب بامتداد نتف تلك الصور ، وتشعب لحظات ذلك الضوء القلق المتلاحق . فالمنطق بذلك ، لا يرسم خطوط الصورة ، بقدر ما يتموج خلالها ، يجتزىء بملامح ضمنية ، تستتر لكنها لا تضمحل ، تبتسر لكنها لا تنقطع ، تلتبس على وعي الذهن فتختلج في عصب القلب .

ولعلنا بتنا نصدف عن بعض الصور والتعابير الرومنطيقية ، لان هؤلاء كانوا يبذلون كثيرا من العاطفة والغرابة في صورهم فطفقوا يؤثرون على الاعصاب بالانفعال العنيف في العاطفة والغرابة والدهشة في الخيال ، دون ان يبثوا النشوة الفنية الوئيدة ، لان المنطق لم يكن يزجي ادبهم كما انه لم يكن يقتفي اثره .

اثر المنطق في البناء الفني

ولعل لهذا المنطق القاتم اثرا اخر في البناء الفني الداخلي . ذلك ان بعض المعاني ينبغي ان يبتسر او ان يفاض بها وفقا لوحدة الموضوع . فالمعاني والتشابيه والاستعارات فضلا عن الصور ، هذه جميعا ليست الا ملامح شتى في لوحة القصيدة لا تتخذ دلالتها من ذاتها وانما مما سلف قبلها ومما يلي بعدها ، تظله وتستظل به . فليس لاعضاء الوجه في اللوحة حدود بذاتها وانما هي مقررة في حد الوجه ذاته ، وفي حدود كل منها ، بعض ببعض ، حتى اذا استقل احدها او بعضها ، يستحيل التعبير الفني او على الاقل تعدم فيه الشخصية والمعاناة وبالتالي الصدق . فالعين المطلقة او الفم المطلق اللذان يصلحان لكل وجه يبعدان بالتجربة عن الفن ويحولانها الى تقرير علمي مطلق لا انسانية فيه . وهكذا نشهد ان العملية الفنية تقوم في خلية كبرى مضمرة تربط الخلايا الظاهرة ليتم التعبير عن حقيقة الواقع ، لا عن واقع مغفل دون هوية . ولعل تحقيق هذا التناسب يقتضي قدرة تركيبية تتوفر بالرياضة الطويلة الوئيدة باعمال المنطق والهندسة التي تروض النفس على فضيلة العقل . فيقتصر الشعر بذلك ، على الجنوح الى الاستطراد ومجانبة الموضوع الاصيل

بموضوع عارض في تشبيه يفاض بوصوفه أو فكرة تكثر ملاحقتها مما يغلب في الشعر البدائي او في الشعر الذي لم تقدر لصاحبه رياضه عقلية هندسية توازنه وتهذبه دون ان تفصبه . وشد ما نشهد آفة الاستطراد واللاتناسب في المعلقة الجاهلية اذ يعمد الشعراء الى وصف البقرة الوحشية حركة اثر حركة ، ليشبهوا بها حصانهم . وقد بدا ذلك جليا في رثاء الخنساء لاخيها صخر :

وما عجول على بو تطيف به ... لها حنينات : اصغار واكبار
ترتع ما رتعت ، حتى اذا ادكرت ... فانما هي اقبال وادبار
لا تسمن الدهر في ارض وان ربعت ... فانما هي تحنان وتسجار
يوما باوحد مني حين فارقني ... صخر وللدهر احلاء وامرار

فاننا نراها تشبهت بالعجول في حنينها وافتقادها ، فاعترضت بين ما وخبرها بثلاث ابيات ، ولا تعود الى قرارة الموضوع ، حتى يكون الذهن قد تحول عنه ، ذلك جميعه يشهد على قصر العقل في ضبط الافكار وتصنيفها بما ييسر ملاحقة الموضوع ذاته فلا نقيم فيه مواضيع دونه او يستنفد فكرة على سائر افكاره . ومن ذلك ايضا وصف الفرات في شعر النابغة ، يستطرد اليه في حديثه عن كرم النعمان والى ذلك شواهد كثيرة نتجاوز عن ذكرها لانها مبذولة قريبة المتناول في كتب الادب ، وقد شهدنا رواد النهضة ممن عالجوا القصة خاصة، يقعون بمثل هذه الفوضى في آثارهم اذ نرى المواعظ والمفاجآت تستطيل على الموضوع الاصيل وربما طفت عليه لضعف الهندسة الفنية فيهم وعدم انضباطهم في مناسبة الافكار والحوادث .

اثر العقل في السببية الفنية

وللعقل ، ثمة ، فصيلة السببية الفنية التي تحتم المعنى اللاحق في المعنى السابق كما تستفاد النتيجة من السبب . ولئن كان عدم التناسب يشكل التواءا او استطرادا في العملية الفنية فان عدم السببية يشكل انقطاعا لها يفتقد به الفن غايته ويقع في الفوضى والغموض وربما العبث . الا ان هذه السببية لا ينبغي ان ترد في وضوح البينات ، تستأنف بفاء ، وتستنتج باذن وتستثنى بالا ، وما الى ذلك من حروف المنطق الواعية ، وانما ينبغي ان تنداح امواجها الواحدة من قلب الاخرى .

نتبين من ذلك جميعه ان العقل ضروري لحياة الشعر بقدر ما يتغافل عن ذاته فيبقى منه روحه ، اسلوبه الحي ، نبصر آثاره المغفلة دون ان نبصره فيكون كالقدر في المسرحية اليونانية يؤثر على صيرورة الاشياء دون ان يظهر على مسرحها .

ولقد شهدنا جاهلية الشعر العربي تعدم هذه الفضيلة فلا تضمرها كما انها لا تستظهرها وانما تنقطع اسبابها ، بعضا عن بعض ، لا تلتحم فيها مقاطع القصيدة بموضوع واحد ، ولا تتحتم ابياتها اللاحق في السابق فالشاعر لا يلاحق صيرورة التجربة وانما يهذي بها في غفلة الاشياء، لذلك الفينا القصيدة الجاهلية تجتمع ابياتها ولا تتفق ، تتقارب ولا تتحد ، تتابع ولا تتوالد او تتسلسل .

ولعل التناسب في توزيع الافكار والزامها بسببية صارمة ، عبر وحدة فنية متكافئة لم يستقر الا في العصور العباسية ، عندما ادرك العقل ذاته ، وتداوله القوم في الترجمات وعلم الكلام حتى دخل الى معادلة نفوسهم ، ولقد جعلت قصائد ابن الرومي تجري في ذلك ، على شبه غرار هندسي منطقي ، تطلع بمقدمة عامة يعقبها بما يفسرها ويؤكدها او يبالغ بها في الابيات اللاحقة حتى يستنفدها او يميتها كما يقول ابن رشيق .

الا ان صراحة منطق ابن الرومي وتشدده به اوقعاه بآفة تناقض تماما تلك التي شهدناها في الجاهلي ، فقد كثر التكرار لديه وتواتر الحروف لايضاح المعنى حتى اوشك ان يعدم ظلاله وهالته ويتحول الى جفاف النثر . ولعل سوية الامور ان نعتدل بذلك ، فلا ندع العقل يقيد الحالة او يميتها بوضوحه وقرائنه ، كما اننا لا نعميه او نعدمه ، فتصبح القصيدة مجموعة من الالغاز الكاذبة مثل الكهانة والرجم وما الى ذلك من اساليب يعمد اليها بعضهم للتمويه عن ابتذال معانيهم وقلتها .. لا شك ان الغموض يلازم طبيعة الشعر ، لكنه غموض نفسي ، غموض التجربة، والشعور وليس غموض التعبير الذي فقد القرائن فيما بين اجزائه .

وربما افاد بعضهم من هذا الواقع ليوهموا القارىء بعمق تجربتهم في غموضها ، بينما يتولد الغموض من عجز الاداء وضعف السببية والقرائن .

دور العاطفة

الا انه اذا لم يتناول الشعر الحقيقة المطلقة فانه لا يخلد الا اذا تناول عقدة النفس والتباسها على ذاتها في صراعها بين تلك الحقيقة المثلى والواقع ، بين اشواق الانسان التي تنعم في الحلم وتتعقد وتتردى وربما تستحيل في الحياة فالعاطفة تلزم النفس بواقعها ، وتخلق فيها عقدة الاسى ووهم الاشواق والمثل ، هي التي تحول الحقيقة المطلقة الى عقدة في النفس ، تصهرها بمصهرها فتصبح في الضمير بعد ان كانت في الذهن والمطلق ، تصبح في العصب بعد ان كانت في الذاكرة اللامبالية ، ولعلنا نتبين ذلك في مبدأ الخير الذي لا خلاف في مفاضلته على مبدأ الشر ، الا ان معرفة تلك الحقيقة ليست توري النفس بذهول الشعر ، كما ان اعلانها لا يعدو ان يكون اعلان حقيقة مقررة. لكنه عندما يتحول الخير عن كونه معرفة في الذاكرة الى سلوك يصطرع فيه المصير بين تلك المعرفة او الحقيقة المثلى ، وما يبرم في النفس من نزوات تدفعنا للتقيد بما يشعر به عما نعرفه ، عندئذ تتحول حقيقة الخير اللامبالية الى مادة للشعر لانها اصبحت مشكلة ازمة تتنازع وجودها وتحقيق ذاتها مع الشر والفساد . فالعاطفة بما في ذلك الميول والنزوات والطبائع ، هذه جميعا عندما تواجه الحقائق والمعارف العامة تصطرع معها او تستبد بها فتتعقد وتذهل فتخصب النفس بنشوة الخلق . لذلك كان الشعر الصحيح تعبيرا عن معاناة الوجود ، عن تحقيقه في ذات الشاعر الذي يترجح بين مثال يصبو اليه وواقع يكبو فيه، بين يقين يشعر به ويقين يعرفه ولذلك كان اصدق الشعر ما كان صلاة ، تعبيرا عن معاناة النفس بين الخطيئة والفضيلة أي بين الواقع والفساد الذي نتردى فيه وبين المثل والحقيقة التي نتوق اليها ونعرفها .

ثم ان الحقيقة البينة المتعارف عليها تقف حدودها عند حدود الظاهرة ، يعاينها ويعيها وتتفق عليها الناس

جميعا فهي شائعة مقررة . الا ان العاطفة فيما تتصل بها تضفي عليها فهما جديدا ، لا نشاهده او نعيه لكننا نشعر به يختلج في قلوبنا ، لا يبدو في الظاهرة وانما نتحسس به عبرها او وراءها ، فيصبح يقينا نفسيا اي تجربة وبالتالي حالة شعرية . فالوردة في حقيقتها نبتة ذات بتلات وعبير، الا ان العاطفة تنزع مما يرى الى ما يتراءى فيها ، من واقعها الى واقعها النفسي ، فتصبح وردة اللون والشذا وردة الجمال والحنين وما الى ذلك مما تتموج في واقع النفس. فالشعر ينفذ بالعاطفة الى روح الاشياء ، الى الوجود الفعلي المنكفيء المتوارى ، الذي لا تبصره عين البصر وانما عين الذهن ، لا تسمعه اذن السمع وانما يفيض في سيمفونية النفس ، وهكذا نشهد العاطفة تكسو العالم الخارجي بعالم غيبي جميل ، نتعدى به انظمة الوعي والادراك ، يعبث به منطق يعبر بفوضاه واختلاله عن حقيقة النفس اكثر من المنطق المقنن المبذول .

الا ان هذا الواقع لا يعدو عمر لحظة عابرة ، يقين هنيهة تطول او تقصر لا يلبث ان يزول وتقع النفس في واقع جديد فالشاعر قد يتحدث احيانا عن اشياء لا يلبث ان يبصر باطلها وعبثها ، وربما اختلف فيما بعد الى نقيضها او لبث يترجح فيما بينها ، فليست تجارب الشاعر نظرية مباشرة مطلقة ، تتم احداها الاخرى ، حلقة اثر حلقة ، وانما قد تنقطع او تتناقض وتتشعب ، تجمعها او لا تجمعها وحدة فكرية ، لكنها تمثل ابدا يقين النفس ومعاناتها تحت وطأة الوجود او لم يشتد شعور ابي العلاء بنقصه حتى لعن نفسه والحياة :

خسست يا امنا الارض واف لنا ، بنو الخسيسة اوباش اخساء
لو كان كل بني حواء يشبهني فبئس من ولدت للناس حواء

فهو يعبر عن لحظة اسوداد ما عتمت ان انقشعت عن الامل والثقة بالنفس ، مما جعله ينقض اليقين القديم بيقين جديد لا يقل شعرا عما سبقه اذ لا يقل صدقا :

اني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم تستطعه الاوائل

فبعد ان اجتمعت له اسباب التشاؤم واليأس وابرم في نفسه الشعور بقلته حتى كأنه اخس الناس ، اذا به ينبض من وطأة القنوط فتزهر نفسه وتثق بذاتها ، فلا يعود يشعر انه اخس من ولدته حواء بل اعظمهم جميعا . هكذا يظهر اضطلاع الشعر بنقيضين تامي الاختلاف دون ان يهي ويتشوه ، لانهما بالرغم من تناقضهما واختلافهما يوحدهما ويجمعهما صدق العاطفة والتجربة فالعاطفة هي التي تحول الظواهر المتخالفة او المتقاربة والمتناقضة الى شعر سوي لانها تحولها عن طبيعتها الشائعة وتنقلها الى حيز النفس فتطبع فيها بطابع جديد ، لذلك يبدو ان الشعر ليس معرفة او نظريات او ثقافة وانما هو تجربة حية لما يقبضها الوعي او تقيدها الاخلاق والتقية . ولعل اختلاف الموضوع في النفس يضفي عليه جدة ابدية في الشعر . فالمرء ذاته قد يلتفت الى مشهد فيبصره قاتما موحشا ، وفي لحظة نفسية اخرى يشهده فرحا بهيا ، ذلك ان الشاعر يخلع من تجربته ، من عاطفته على الاشياء ، فتتجرد من طبيعتها القديمة وتكتسي بدلالة جديدة من نفس الشاعر. ان ترجح النفس بين احوال الوجود ، يأسا واملا ، ايمانا وكفرا ، لا يعدو ان يكون اضواء شفافة تنعكس عليها مشاهد الطبيعة ، تتلون بالوانها وتمتزج بطبيعتها حتى ليقدر للظاهرة الواحدة ان يتعدد ويتشعب وجودها بقدر تعدد وتشعب التجارب النفسية التي تنعكس فيه او تتسلط عليه

فالعاطفة اذا تحول الوجود اللامبالي الى مادة للشعر اذ لا تعبر عنه من خلال المطلق بل من خلال النفس ، هي التي تشحذ الخيال ، تشتد غرابته بقدر ما تتعقد العاطفة ، فالخوف يولد الاخيلة والاشباح والشوق يولد الوهم . كما ان الحلم ليس الا عاطفة تتحقق في عالم الخيال لانها قصرت في عالم الواقع .

دور الخيال

ان الخيال اذن هو الحدقة التي تجسد العاطفة ، يرسم لها شكلا في الذهن ، فهو يمثل الغرفة المظلمة التي تتم عبرها الصورة النفسية لكنه في الوقت ذاته الجناح الذي تمتطيه العاطفة لتنفذ من حدود الواقع الى الغيب المستسر وراءه ، قال المتنبي :

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

ان عاطفة الحماسة والاعجاب حرت في نفس الشاعر الا ان ذلك كان شعورا ، قاتما ، اصم ، حدسا وجيبا في النفس لا شكل له ولا يقين ، حتى توفر الخيال لتلك المعاناة بصورة المنية التي تتلاطم امواجها فنقلته من الاختلاجة الى الشكل . لذلك كان اصدق الشعراء اولئك الذين اختلطت حواسهم في خيالهم فجعلوا لا يعيشون في حقيقة الاشياء وادراكها بل في الرؤيا والذهول ، لا يكادون تعتريهم خلجة حتى تتفق لها صورة في ذهنهم كانما يشاهدون شعورهم بقدر ما يشعرون به ، يتحسسون الصورة ويشاهدون الاحساس ، فتغنى وسائل التعبير وتتعمق بما يمكنها من نقل التجربة حية ذاهلة بظلالها وهالاتها . لا مجال للافاضة بتمثيل هذا الراي في شعر ابي العلاء وهيغو ، وبودلير ومن الى هؤلاء من شعراء تلاشت في نفوسهم حدود الخيال والشعور في حلولية الرؤيا والانخطاف وانما يجتزيء بمثال من جيرار دي نرفال الذي كان شعره يقوم خاصة على هذه الفصيلة . فقد بدا يستحيل القنوط في كيمياء عصبه الى شمس سوداء ، فكأنه لا يكاد يترقب صباح الضوء المنير حتى تشرق شمس تشاؤمه بدوامة اليأس والسواد ، ولهذا تساوى الشعر لديه مع الشيمير *Chimère* كما نساوى لدى رامبو مع الهلسنة *Hallucination* اي هذيان الشعور بالصور او بقوافل وغيوم من الرؤى لا نعيها وانما تنداح فينا كما تفيض سور النبوءة ، اولم يستحل الاسى في نفس بودلير الى خفاش يتخبط او جماعة من العنكبوت تشابك خيوطها المقيتة في خلايا دماغه ، وهكذا نرى دوامة اليأس والقنوط عندما يغشاها ويتصرف بها الخيال ، تصبح شمسا سوداء او خفاشا وعنكبوتا في كهف النفس المتعثرة . ولعل الشعر يصدق ويخلد بقدر ما يتحول الاحساس في غفلة الحدس ، الى قطعان من الصور التي يزحم بعضها بعضا على افق النفس ، ولعل استبداد تلك الرؤى بدي نرفال وبودلير ادى بالاول الى الانتحار وبالثاني الى الشلل حتى صح فيهما ما قاله «تين» ان اعظم الفنانين هم خياليون مرهقون او مرضى وهكذا نشهد العاطفة توري الخيال والخيال يشحذ العاطفة ، هو يمنحها الوهم ، وهي تمنحه اليقين .

لا عقل ولا عاطفة ولا خيال بل تجربة

الا ان تمييزنا لهذه الاحوال لا يعدو ان يكون افتراضا خارجيا تسهل به الدراسة دون ان تصدق تماما . فالشعر ليس يقيم معادلة كيمائية تقنن فيها عناصر العقل والخيال والعاطفة وانما هو ذهول ، فيض موحد لا حدود فيه ولا تميز يسهل ان نتلقف زهرة الجمال فننتزع بتلاتها ، لنطلع على كيفية تركيبها ، الا اننا لا نشهد في الواقع، الا اشلاءها، نتفها ، اما جمالها الذي نرتعش امامه ، فانه يتلاشى اثر كل بتلة انتزعتها من بتلات التعرف والاستيضاح . وكذلك المرأة فهي يطالعنا جمالها في وحدة او في تآلف ملامح الوجه لا تكاد تقبض سره حتى نشهد سرابه يبتعد عنا بقدر ما نقترب منه ، فالعاطفة والخيال والمنطق هذه جميعا ليست الا مباضع نبضع بها جسد الجمال ، نجريه في انحاء الجسم ، نميز خلاياه واعضاءه الا اننا لا نقع بها على الجمال وانما على هيكله البارد ، اما روحه فتتفلت من المبضع العاجز . ان العقل ، يوهي التجربة عندما تبدو بيناته في السيلوجيسم او في المقدمة والنقاش والنتيجة وكذلك العاطفة فهي تتحول الى العبث عندما تشتد وتنزو فتعدم ثقافة العقل وتوازنه . وكذلك الخيال عندما يجمح فتفتقد مقاييس المنطق وتضعف حرارة التجربة حتى يستحيل مشاهد من الغرابة التي تدهش العصب دون ان تبعث فيه النشوة .

الصعوبة الداخلية في الفن

وهكذا يبدو ان العملية الفنية تسعى الى ان تقبض على التجربة حية دون حدود او تمييز . وهنا تظهر الصعوبة الملازمة لطبيعة الفن ، الصعوبة الداخلية التي يعانيها الشاعر عندما يقابل بين ما يختلج في نفسه وبين ما تقبضه محاولة الخلق المعذبة . فالشعر لا يقتصر على المعاني لانه ليس مقصورا على العقل وكذلك فهو ليس شعورا او صورا لانه ليس مقصورا على العاطفة والخيال . فنحن اذ نترجم الحالة الى عواطف وصور وافكار ، نلبث في نطاق التفسير والتوضيح الذي يبقي على اشلاء التجربة ، او كما يقول برغسون ، على الذات السطحية الواضحة التي تتموج على افق النفس دون ان تمت الى الشخصية بينما تفقل الذات الحقيقية في اعماق سيمفونية النفس المبهمة . وقد يصح تمثيلنا لهذا الواقع في مثل الهدير الذي اعتمده ليبنيز *Leibnez* فاننا اذ نشخص الى البحر نسمع هديرا نعتقد انه اصم موحد لا يتجزأ ، الا ان هذه الوحدة ليست الا مخايلة خارجية لان هذا الصوت مؤلف ، في الواقع ، من اجراس الامواج والمويجات التي تزدحم وتتوالد حتى تجتمع اجراسها في دوى الهدير ، اننا نسمع الهدير لكنه يصعب بل يستحيل علينا ان نسمع الجرس الخفي . فاذا حاولنا ان نطبق مثل « ليبنز » على واقع النفس او بالاحرى على الاحوال التي تطالعنا عندما نواجه نفوسنا ، عندئذ ، نبصر ان الكآبة والفرح او شتى الاحوال النفسية ليست الا امواج محيط النفس ، تلتبس علينا فنعتقد انها موحدة الا انه خلف هدير موجة الكآبة في النفس ، آلاف من المويجات الشعورية الصغيرة المغفلة ، تختلج وتضطرب دون ان تقوى على تحديدها ، فالكآبة ليست الا مجموعة شتات من احوال النفس ، من المويجات الشعورية ، من لحظات وانفاس ذلك الضوء القلق الراعش، والشعر في تجربته لا يعنى بصوت الهدير في محيط النفس اي بالمعنى العقيم ، وانما يتجاوز عن الهدير الى الجرس ، عن الموجة النفسية الى المويجة الهاربة المغفلة التي تعيش وراء جدار التحاديد والمعاني .

لذلك جعل بعضهم يعتقد ان احوال النفس ، ليست متآلفة وانما متلاحقة ، فليس في النفس ، كما يقول جيمس وبرغسون ، حالة تشبه الاخرى ولا يمكن ان يحدث ذلك في نفس الشخص ذاته فضلا عن نفوس الاخرين ان كل لحظة من عمر النفس حافلة بآلاف الحالات الموهة الغافلة يخايل لفهمنا العاجز انها جامدة لا تتغير . فالاسنان الصغيرة التي ترسم على قطر دائرة ما ، قد تظهر للعين فيما هي مستقرة ، حتى اذا غشيها الدوران ، غفلت الاسنان ولم يبق في العين الناظرة الا خط موحد اشبه بالمستدير . ذلك ان عيننا تعجز عن ملاحقة الاسنان بصورها فتذهل ويتراءى لها صورة مغفلة واهمة ، كذلك الحال في النفس ، فهي مغشية بدوران سريع ابدا ، والعقل في ذلك كالعين ، يمكنه ان يتلمس بعض المعنى الواهم القليل اما الاحوال الصغيرة الرهيفة فتلبث بارحة ابدا . ان الشعر ليس يلاقي صعوبة في نقل معاني النفس الواضحة وانما يتعصى عليه نقل ذلك الغموض الراعش الذي ينكفىء وراء ظواهر الاشياء . لذلك نعتقد انه على الشاعر ان يعبر عن حالة معاناة دون المعاني الجافة التي تعيش في الذاكرة بعد ان لفظت حياتها ، كذلك ايضا نقول انه ينبغي على الشاعر الا يأتي بمعان جمعها من خارج نفسه كما جمع المرائي امواله وانما ينبغي ان يعالج معاناة حية تختلج في نفسه وتتصعد منها كفلسي الارملة المعذبين .

فالقضية اذن قضية معاناة داخلية تتضاءل وتتهالك وتكاد ان تتلاشى كلما تسلطت عليها اضواء العقل والمعرفة، ولا ينفك يخيل الينا ان ما نعرفه او نتحدث به عنها لا يتكافأ مع ما نشعر به منها . فالصعوبة الداخلية اذن تظهر في ذلك الاسى او تلك الحسرة التي تقبض على ضمير الفنان وتدعه يحيا عمره ، يراود تجربة تضطرب في ابهام نفسه دون ان يقوى على تجسيدها . اولم نشهد ليونارد دي فنشي ، يواجه الجوكندا فيتحرق لتجسيد تلك البسمة الهاربة على وجهها حتى يعيى ويستسلم دونها، فكأن البسمة التي نشاهدها على وجهها ليست الا شيئا مما في نفسه منها . او لم نر الى ابن الرومي ايضا يبوح بتلك المعاناة عندما تجلت له وحيد ، فبصر جمالها قريبا منه بعيدا عنه ، بصر يقينه بعينيه حتى اذا حاول ان يحدده في الوصف شعر بالصعوبة وربما بالاستحالة فقال : يسهل القول انها اجمل الاشياء طرا ويصعب التحديد .

لهذا جميعه طفق الادباء يتخطون الظاهرة كما نعانيها، وجعلوا يحاولون ان ينفذوا من الوجود الذي يراه عصب العين ، يتجاوزون عنه ويضفون عليه من نفوسهم وجودا ما ورائيا يمثل في الواقع الوجود الفعلي ــ اننا نبصر الشجرة ونعرف قوانين نموها وحياتها ، الا ان الشاعر ليس يكتفي بهذا الفهم المقنن المبتذل وانما يشخص له فيها رمز لوجود مغلق ينبغي ان نفضه وننفذ الى قلبه لنبصر حقيقته ، وبالتالي حقائق الوجود . ولعل هذا الوجود يختلف من شخص لاخر لانه يقوم على اساس نفسي قلبي ، او كما

يقول باسكال ، هو « تعقل قلبي » . لذلك جعل بودلير يرى ان الطبيعة ليست الا غابة من الرموز ، التي ينبغي ان نحدق بها حتى تشرق في ذهننا ومضة فائقة تضيء عتمة الرمز وتنقض جداره .

فالصعوبة الداخلية اذن ، هي التي تقوم على تملي ظلال الحالة واهدابها ، تنفذ من عقم الظاهرة الخارجية الى الغيب الخفي المستسر وراءها . الا اننا اذا واجهنا حقيقة الاشياء تحققنا ان تلك الحالة الداخلية ليست بعد فنا وانما هي مادة او مشروع له لا تصبح فنا سويا الا اذا تيسر لها الشكل ، لفظا او لونا او نغما ، فالصعوبة ليست اذن في عمق وذهول الحالة الداخلية بقدر ما تقوم على نقلها وتجسيدها . ذلك ان وسائل التعبير لا يمكنها ان تنقل حياة التجربة وغموضها فاللفظ محدد قاطب فهو معنى أي فكرة او صورة عاطفة لا يتمكن الشاعر ان ينقل بها ما يختلج في نفسه الا بعد ان يقيده، ويعطل ذهوله فتتحول رؤاه وغيبوبته الى خطوط من الافكار والعواطف والصور الكاذبة ، فالصعوبة اذن في تملي الحالة الداخلية وفي نقل ذلك الغيب من الشعور المحتمل الى حيز الشكل في جسد الالفاظ والصور . الا اننا نشهد اللفظ كما سبق القول ، تختلف طبيعته عن طبيعة التجربة . ولقد بين ذلك برغسون بما لا يدع لبسا فاللفظ مادي ذو قرار والتجربة حية متلاحقة متحولة ، فكيف ننقل النفسي المتحول بالمادي الجامد المقرر ؟ لذلك جعل الادباء يعمدون الى تفجير اللفظ، يزيلون حدوده فلا يأخذون من المعنى الا صداه في النفس ، فلم تعد اللفظة خطا وانما ظل ، لم تعد معنى بل جو ، انقطعت عن علاقتها بقاموس الذاكرة واتصلت بحرارة الضمير ، فاصبحت شعرا بعد ان كانت نثرا . ان الخفاش حيوان ذو شكل واوصاف قاموسية محددة ، الا ان دلالتها كما شاهدناها في شعر بودلير اختلفت فجعلت تشير الى تخبط النفس وترديها ، لا تبصر سبيل الامل واليقين او تنفذ الى الضوء. وكذلك الصبح ، مثلا ، فهو في اللغة يشير الى مطل الضوء ، اما في الشعر فيصبح الضوء الذي يزيل العتمة ، الامل الذي يطرد اليأس ، الحياة التي تحيا بعد ركود ، الوجود الذي ظهر بعد طمس معالمه . ولعلنا لن نعدم امثلة اخرى في هذا الشأن لا جدوى من الاطالة نذكرها وانما نود ان نشير الى ان الشعر قد يعمد الى لفظ ذي حدود كواسطة يتوسل بها الى الكلمة الشعرية فهو لذلك يمتزج بين الاثنين يتوكأ على الواحدة ليوفي الى الاخرى

الا ان اللفظة في الشعر ليست ظلا او معنى وانما هي نغم ايضا . ان غموضها في النفس لا يتأتى بفضيلة المعنى بقدر ما يفيض من الطاقة الايحائية التي تنطوي عليها اللفظة في اجراس حروفها وبالتالي في انغامها . ان الحرف في الشعر ، وتر يصدح بنغم يهيل اجواء من قلب الحروف تزكي المعنى وتضفي عليه الظلال والاهداب . لذلك اقتضى على الشاعر بان لا يقصر انتباهه على معنى اللفظة دون جرسها ، وانما يتخذها جميعا في غفلة التعبير وترنحه فيأتي النغم عبر المعنى او المعنى عبر النغم . وهنا تظهر الضرورة الداخلية للموسيقى في الشعر ذلك ان اللفظة تطلعنا على معنى نفهمه ، اما النغم فيبعث حالة لا حدود لمعناها ، يبعث فينا ذهولا تحولا عن النفس الى غيبها ، فاذا ما كسونا اللفظة بالنغم فكأننا نضمرها بالذهول الذي يحيل اللفظ الى جسد حي بعد ان كان دمية او مومياء . فالنغم ضروري اذن ضرورة الذهول الا انه ينبغي ان يكون نغما داخليا ينبعث من صميم الحالة ، ينبغي ان يكون شجوا داخليا متآلفا ينبعث من سيمفونية النفس يضم المعاني العقيمة الواضحة بغلالة القلق والغموض . لذلك احال الرمزيون جوهر الشعر الى موسيقى بعد ان كان قصره البرناسيون على النحت والتصوير .

وربما خيل لبعض القوم ان موسيقى الشعر تنبعث من تفاعيل الوزن في تواتر المتحركات والساكنات ، او تلاحقها . الواقع ان الوزن يفيض بنغم اذ تتفق حروفه على غرار معين ، الا ان آلية التفاعيل تذهب بذهوله الى شيء من الرتابة ، لذلك لا ينبغي ان تتواكل على الوزن لنقل شجو النفس لان نغمه خارجي مستقر فيه ، لا مشاركة للشاعر بخلقه الا بقدر ما يجيز ويتجزىء من تفاعليه فهو نغم سهل لا معاناة ولا ذاتية فيه . بيد انه بالرغم من ذلك ، يبقى لطبيعة الوزن بعض الاثر في تجسيد التجربة لان الوزن مطبوع على نغم يوحي بالشجو او الضجيج ، بالحزن او الفرح بالنوح او الحماسة ، لذلك قلما يصلح الخبب للتعبير عن غنائية النفس كما انه قلما يصلح الخفيف للتعبير عن الحماسة والخطابة ، فلا مندوحة من ان يتوافق نغم الوزن مع طبيعة التجربة ، وان لم يكن من الحكمة ان نعول عليه كثيرا في بث الغموض .

ايلي الحاوي

[التتمة على الصفحة ٦٩]

تاريخ

الفلسفة العربية

بقلم

هنا الفاخوري — رئيس كلية لبنان

خليل الجر — دكتور في الفلسفة

كتاب جديد يتناول بالبحث الرصين ، والتحليل الوافي ، جذور الفلسفة العربية ، وأهم مدارسها وأشهر رجالها بالاستناد الى أوثق المصادر ، والى النصوص المحققة

يطلب من

دار المعارف . بيروت

بناية العسيلي السور . ص.ب ٢٦٧٦ . تلفون ٢٢٥٧٤

ومن جميع المكتبات الشهيرة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكوكب الجديد

○

أطلقوهُ لكي يـدور الفضـاءا ويجولَ السديمَ من حيث شاءا
هو عقل الانسان ملءُ من الارض وحثُّ الهبـوبَ يطـوي السماءا
ما كفاه التحليقُ في الجوِّ حتى راح عبْر الاثير يبغي العـلاءا
وأشـارت آلاتـه بنـداءٍ أترى مـن يجيب فيـه النداءا
ها هم «الروس» بالرؤوس أغاروا أبدعوا في الوجود نجماً تراءى
فأضافوا للشمس كوكـب عـلم عبقريـاً وحمّلـوه الرجـاءا
حَدثٌ أدهش الشعوب وأغرى بكـمالٍ وأذهـل العلمـاءا

* * *

أيها البدرُ ما بَعُدتَ ، فدعني أتملَّ الدجـى لديـك ضيـاءا
طلب الفن فيـك احلـى خيـالٍ فسبيـت الغنـاء والشعـراءا
ثملا كنتُ فـي هواكَ وقلـبي مـا تخلّـى ولا عرفتُ ريـاءا
لست وحدي المشوق فالارض نشوى والمعاميد يحتلمـون لقـاءا
ان نعِشْ فالمزار اضحى قريباً بوصـالٍ تهفـو لـه اسْراءا
مركبي كوكبٌ اليك وحسبي أن روحي من قبلُ طافت ولاءا

* * *

يا نجوماً مللتِ مطلـع حسنٍ ترسلـين اللّحـاظ والاغـراءا
أنت في العاشقات تـبدين نجوى هي غمزُ العيـون رقّـت سناءا
سيـزور الانسان حسنَك حباً وحنانـاً فـلا يصيـب عنـاءا
كان نجم المسا رسولك عـندي كلَّ ليـل وكـم أحبَّ المساءا
ومراحُ النجومِ أرواحٌ ولهـى رُبطـوا في ترابهـم أسـراءا
فك اسر الانسان في الارض فاهتف لـك حريـة تزيـل الشقـاءا
غير اني اخشـى المصـير ليـوم صار للمـرء فـي النجوم سباءا
يولـد المـرء والمطامـع فيـه وهي تزداد ، ما يزيـد رضـاءا
خلّني في الثرى فمنـه طلوعي وهو ابقى على عظـامي وفـاءا
واذا ماتَ كلُّ مـوتٍ فمنـذا من ملال الخلود يهوى الفنـاءا
فابغني منزل « الثريّا » فداري تلك ، من قبل ان احـور هباءا

دمشـق

زكـي المحاسنـي

قصة سورية

بقلم مظفر سلطان

ضمير الذئب

كانت ليلة قرة ، وكانت فلول الناس في ظلمة الشوارع ، تنحني امام سياط كانون القارسة وتهرول. واندفعت الى اقرب حانة ، الوذ بكؤوس من الخمرة العنيفة ، ادفع بها البرد.. والسأم والزمن .. الزمن خصمي اللدود ، وعدوي الاوحد ..

ولقد ادهشني ان ارى في الزاوية المتوارية من مدخل الحانة ، احد صحابتي القدماء ، الذين كنت وما ازال ، آنس بصحبتهم ، واجد فيها راحة من كان يجلس على مقعد قلق ، ثم اطمأن به مقعد راسخ ...

هذا المحامي النابه ... ما شأنه في الاونة الاخيرة .. وما الذي هوى به الى هذه الحانة المتواضعة ؟!..

وقام فاستقبلني بلهفة .. ودعا باكبر زجاجة من الخمرة العنيفة التي كانت ثمالتها ما تزال في كأسه،واقبل يرحب بي مغتبطا وكأنه وجدني ... ثم ختم تحيته متندرا كعادته بقوله :

ـ انت ترى يا صاحبي انني قد انتهيت .. وكدت اضيع .. ولكن ليس الى الحد الذي لا املك معه ما ارتاد به مكانا اكرم من هذا المكان... ولكني لا اكتمك انني اخذت اتردداليه كل ليلة تقريبا ، لانني اجد فيه من لا اعرفه ولا يعرفني من الناس .. واجد فيه نوعا من السلوان ... اوان شئت فقل : النسيان ..

واقبل الغلام بالزجاجة التي كان قد طلبها حين دخلت ، فلقفها من يده، واترع منها كأسين وهاجتين ، وعيناه تسبقان شفتيه الى الجرعة الروية .

واطبق كل مناعلى كأسه فعب منها ما اطاق ... وقلت احاوره محاولا ان اتذكر ما تناهى الي من اخباره :

ـ بلى .. لقد سمعت من بعضهم اطرافا من حديثك .. وانه لفاجع .. ولكن ليس الى الحد الذي يجعلك تتهافت فيه او تضيع .. بل انت في يقيني لاخر من يتهافت ويضيع

فرماني بنظرة رائعة .. لعل فيها قصته .. وقدم لي لفافة فاخرة ، واشعل مثلها .. ونفث من صدره سحابة عريضة من دخان ، وقال يرد على كلامي .. بل لعله بدا يقص علي قصته الشائقة بغير تمهيد .. ولا تعليل .. ولا مقدمات.. كمن يعترف اعترافه الصادق.. في ساعاته الاخيرة

ـ اما هؤلاء الناس .. فقد ايقنت انهم بشر حقا .. وان كان بعضهم يريد ان يزعم غير ذلك ...وامـا النسيان .. فنسيان حادثة فاجعة، جرت ملهاة ساخرة .. بدأت تحوكها لي الاقدار .. ثم احوكها انا نفسي حول نفسي منذ شهر وبعضه ، كما تحوك العنكبوت خيوطها حول نفسها اليوم .. لتموت فيها غدا .. او بعد غد .. فلعلك تعلم ان زوجي المسكينة قد قضت نحبها منذ اكثر من شهر و..

ولما حاولت ان اجد كلمة احرك بها لساني معزيا ، لم يمهلني في ذلك، وتابع حديثه قائلا :

اجل .. فقد ذهبت المسكينة ضحية حادث مؤسف .. حادث هو واحد من هذه الفصول العجيبة التي تجعلنا نعتقد ان مؤلفيها صبية عابثون يلهون بكلب غريب مسعور ...

كنا على مائدة الغداء في ذات يوم ، حينما حملت الينا الخادم برقية تقول لزوجي في ايجاز قاطع : « امك محتضرة .. احضري حالا ... »

فامسكت عن الطعام وقد فر لونها وهرعت الى غرفتها تحشر في حقيبة صغيرة ما وجدته بين يديها من ثيابها واشيائها اعدادا منها للسفر ...

ووافقتها انا على السفر حالا .. بداهة وانسياقا مع الجو الواجم الذي صرنا اليه ... ثم ترفقت فاستمهلتها فيه الى صباح الغد .. حذر مزالق الطريق ، ورعونة بعض السائقين، في عماية هذا الليل البهيم ... اضف الى ذلك انني كنت لا استطيع صحبتها بحال ... لانني كنت خصما في قضية هامة ، لا بد ان تجري مرافعتها الفاصلة في الغد ... فرمتني بنظرة الم وعتب .. ولم تنبس ... فقمت الى الهاتف ، وطلبت لها مكانا مستعجلا في اول سيارة ... وفي الساعة الرابعة من مساء اليوم نفسه غادرت المدينة .. وفي الساعة الرابعة من مساء الغد كانت جثة هامدة في احد مستشفيات بيروت ...

فقد غلب السائق الارعن النعاس في بعض الطريق ، فجنحت به السيارة الى واد سحيق .. وتهشمت، وتهشم هو معها ، ونجا من كان فيها من سفر باعجوبة ، ولم تكن زوجتي في عداد الناجين ...

اجل لقد ماتت هذه المراة العظيمة وكانت لي كل شيء .. ففقدت بفقدها كل شيء ...

وغامت عينا محدثي حتى لتهلان. ورفع الكأس .. وافرغها في فيه جرعة واحدة ، واستطرد :

وطرت الى بيروت .. وواريتها مقرها الاخير في بلدها الحبيب ... ثم عدت الى المنزل بعد ايام .. كمن يعود الى كنيسة واجمة بعد عرس

ولعلك تعجب اذا علمت انها ذهبت لتشهد جنازة امها المحتضرة .. فشهدت امها جنازتها بعد يومين وهي ما تزال حية ترزق الى اليوم ..

هذه الحياة العجيبة .. ونحن اعجب ما فيها .. انها تشدنا اليها باعصابنا شدا وثيقا لا مفر منه ولا عنه محيد .. وهي تحبنا وتلهو بنا كما يحب الغلام العابث كرته العزيزة ويلهو بها... وقد يرسلها هنا وهناك وقد يقذفها بعيدا عنه في الفضاء .. ولكنه لا يفعل هذا الا وهو مطمئن الى انها لا بد عائدة اليه ...

ولقد لفني الذهول الابكم في اليوم الاول ... وخيل الي انها لم تمت ، واشهد جثتها بعيني ، واحضر مأتمها بنفسي منذ ايام .. انما انا قد قرأت نبأ مصرعها في صحيفة قديمة .. او سمعته في اذاعة عابرة .. وانها ما تزال هنا في المنزل ... وفي كل غرفة من غرفه ، وفي كل شرفة من شرفاته ... تذهب فيه كعادتها وتجيء .. ولكنني لا اراها لسبب لا اعرفه .. سبب أبعد من تفكيري .. واعمق من وجودي.. بل كنت احس ان وجودي نفسه ، ووجود المنزل بما فيه وبمن فيه لا يتحقق الا بوجودها .. فما دامت هذه الاشياء موجودة فلا بد انها كذلك موجودة.. فأين هي ؟ ... انها هنا .. وانها لا

تلبث ان تقبل علي بعد لحظات .. او بعد لحظة ... تنقل الي خبرا او تستشيرني في أمر ...

وجاءتني الخادم العجوز الثرثارة ، تعزيني باصوات البغاء .. وتتباكى لمصابي ومصابها ... وتستأذن في ايام تغضيهامع ابنتها النفساءالمحتضرة ايضا .. فسمحت لها بان تمضي لشأنها باشارة من يدي بلهاء ..وبغير ان أعي ما تريد وما اريد .. ولو اني كنت قد وعيت لمنعتها من المضي لشانها قطعا او لاستمهلتها فيه حينا..ريثما أعد فيه بعض امري ... فصفية وحدها في المنزل الكبير ... وقد اضطر ان اغيب عنه يوما او اياما لبعض اعمالي ،فتبقى فيه وحيدة مروعة .. وهذا لا يستقيم بحال ..

وصفية هذه ابنتنا بالتبني ... أعني ان زوجي كانت قد تبنتها بعد زواجها بعامين ، وبعدان ايقنت انها عاقر ... وقد كانت صفية في الخامسة او السادسة من عمرها يوم ذاك .. اما اليوم.. اما اليوم.. فهي صبية في الثامنة عشرة من سنيها او تزيد.. صبية ملء العين .. وملء القلب.. وملء لعنة الشيطان ..

ولم استطع ان انصرف الى عملي في الايام الاولى .. وارسلت استمهل في كل قضاياي .. واستسلمت الى نوع من الذهول المتحجر .. غير انني كنت الاحظ ان صفية كانت في هذه الايام هادئة عميقةكبحيرة مستسرة بين قمم لم تطأها قدم انسان ..وانها كانت تحرص بكل صمتها اليقظ على ألا يتغير شيء من نظام المنزل ، ومن مطالبي فيه ، وعاداتي ، ونزواتي ، لو ان الاحداث قد ابقت لي فيه نزوات

وكانت تعدمن الطعام الالوان التي تعلم انيافضلها ... فتبقى حيثهي على المائدة لا يمسها احد ..لانني لبثتاعيش علىالماء والدخانوالذهول اياما .. ثم على بعض كؤوس الخمرة التي غدوت الوذ بها كلما اطبق علي الحزن وطافت بي اسراب الذكريات. اما هي فما لمحتها تاكل مرة ... وما أدري بأي شيء كانت تتبلغ وتقتات.

وكنت المح اثار الارق والبكاء الملح في عينيها العميقتين ... واذكر انها لم تتقدم لتعزيتي بكلمة.. وان كانت تنفلت عني بغتة في بعض الاحيان ، وتلوذ بغرفتها امدا قد يستمرساعات فاعلم انها قد انفردت بنفسها تطلق لعبراتها العنان ...

وعدت الى المنزل في ذات ليلةثملا لاول مرة... وفتحت الباب الخارجي بهدوء ... وتسللت الى غرفتيلعلي افقد فيها وعيا لعينا اعجزني انافقده في كؤوس الخمرة المترعة ... ولكن نشيجا خافتا تناهى الى مسمعي من غرفة صفية ، فسمرني في مكاني حينا .. اتسمع والهث ..

لا مراء في ان الكارثة الاليمة قد امضت هذه المسكينة كما امضتني واشد .. بل لعلها قد نالت من قلبها الصغير ما لم تنله من قلبي المصفح انا الكهل القوي المجرب ... الذي يتشاغل باعماله وعملائه واصدقائه، وكؤوسه ...

وتساءلت بفزع : كيف تبقى في المنزلوحيدة ؟.. هل اطلب اليها غدا ان تغادره ؟... والى اين ؟.. كلا.. وانها لقسوة بالغة لن اقترفها بحال. هل ازوجها من احد عملائي او معارفي ؟.. كلا .. كلا .. فقد يقسو عليها .. ويسومها العذاب ، وهي في عمر الزهرة . وجمالها .. ونقائها .. هل ابعث بها الى منزل احد اقاربي ؟.. ومن هو ؟.. وان احدا لم يطلب انتقالها الى منزله حين جاءوني معزين مواسين ...

وتناهى الى مسمعي نحيبها المخنوق ينبعث من جديد اوضح واوجع .. فعدت ادراجي الىغرفتها، ووقفت حذاء الباب المفتوح ارهف السمع .. والهث ..

كانت تنتحب بصوت ادركت انها كانت تبذل كل جهدها لتخنقه في الوسادة فلا يرتفع ويصل الى مسمعي ، وقد أحست عودتي ولا ريب ... وجاءني نحيبها الاليم عبر الباب المفتوح .. ومن اعماق الظلام المخيم كتأوهات روح صغيرة تتعذب عذابا مبرحا في اعماق واد بعيد .. او كانغام قيثارة امينة تتقطع اوتارها وترا بعد وتر .. وهي ما تزال تعزف

ورايتها بعين الخيال منطوية على نفسها في السرير الكبير كهرة دافئة ووجهها بين الوسائد التي تشرب الدموع وتخنق الزفرات ..

ودخلت عليها .. فرايتها منطوية على نفسها كالهرة الدافئة .. ووجهها بين الوسائد ، وغدائر شعرها الفاحم مبعثرة على بياض الوسادة الناصع كظلال الغابة في ضياء القمر ...

واحست بدخولي فكفت عن النحيب .. ولكن بقي جسدهاالمتكور امام عيني العاشيتين يرتعش .. فلم اجد بدا من ان اجلس الى جانبها على حافة السرير ، واضع يدي على كتفها الطرية في رثاء غامر .. ولكنهابكم..

ثم لعلي قد وجدت لساني الجاف حين سمعتني اقول لها مواسيا

ـ لعلك يا بنيتي على حق فيما تحسين من لوعة وفيما تذرفين من دموع ... بل لعلك اجدر مني بهذا الاسى واعذر ... فانها كانت لك ولا ريب اما رؤوما فقدت بفقدها كل شيء ... ولكن ما حيلتنا في مشيئة الاقدار .. فاصبري يا بنيتي .. وتشجعي .. وثقي بانني ساحنو عليك وارعاكما استطعت ، وساحاول ان اعوضك عن فقدها ما وجدت الى ذلك من سبيل .. كلانا اصبح وحيدا بعدها .. فكلانا في اللوعة سيان ..

واخذت يدي بين يديها، فاذا هما ترتعدان .. واذا ظاهر يدي تلسعه قطرات حارة ... واذا هي تدنو مني شيئا فيلامسني جسدها اللين .. المرتعش .. اما نهداها .. ففرخان دافئان طارت عنهما امهما مروعة فبقيا في العش يرتعدان ويتدافعان.

ورفعت يدي عن كتفها الطرية .. ووضعتها على شعرها الوثير .. وادارت وجهها الي وانا اقول بحنان

ـ اطمئني يا بنيتي ولا تراعي .. فساكون لك كما تحبين.. وساحاول جهدي ان اعوضك عن عطفها.. بل عن عطف كل من فقدت من الاهل والاصدقاء .. وسنتحدث غدا عما يؤول اليه امرك ، وعما يكون فيه صلاحك ... اما الان .. فكفي عن هذا النحيب الموجع .. ونامي ..

واضاءت عيناها القاتمتان .. الغارقتان فيالدمع كماستين مسحورتين .. وبدا في وجهها الخوف والرجاء والضراعة والخطيئة والغفران .. وجذبت يدي الىصدرها الدافق بابتهال ، وقالت بصوتغريب:

ـ ولم .. يكون ذلك غدا .. ولم لا يكون .. الان ؟..

الان .. اي معان مجنونة لبعض التعابير في بعض الاحيان ...

ونظرت اليها ، فسرت في رعدتها حتى لم اعد اتماسك واخذرأسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعصف عصفا مسعورا .. وجسدي يتلظى في حمى مخيفة .. فرايتها .. وكأني اراها لاول مرة .. بوجهها المسحور ، ومزق شعرها المبعثرة على الوسادة ، كصبية متوحشة، ترقد في ضياء القمر ، وفي اعماق غابة مدلهمة .. وتدعوني بعينين كماستين سوداوين فيهما الف ضياء .. وجسد يرتعد .. وفم يبتهل .. وانفاس تلفح فاطبقت عليها ، واقبلت علي ، في استسلام شهيد ، وغبنا عن الوعي في لعنة خالدة ...

وبعد ساعات كان الفجر المتهم قد هجم علينا من النافذة العليا السافرة، فتسللت من بين احضانها مشدوها كمن ينتبه مروعا من حلم مزعج يراه في حلم مزعج ..

ومضيت الى غرفتي كالشيطان حين غادر جنته ملعونا الى الابد ... فاذا انا ارى زوجتي تنتظرني على بابها .. ترتدي ثياب السفر التي خرجت بها اخر مرة، وتنظر الي نظرتها الثابتة الثاقبة التي كنت اهابها واعبدها في آن واحد ...

يا للجنون المصمم ... اهي هي حقا .. ام ان العينين العاشيتين من اثر السكر والسهر واللعنة هما اللتان تصوران لي شبح الراحلة الناقمة زيفا وضلالا ؟.. كلا .. كلا .. انها لابر واكرم من ان تدعني اجن على هذه الصورة المزرية .

ولم اجرؤ ان ادخل الغرفة، ومضيت الى غرفة المائدة فشربت نصف زجاجة من الماء المثلج .. وانا لا اكاد اعي اني فعلت امرا او شربت شيئا .. انما هو الحلم المرعب ما يزال يتعاقب مشوشا على اللوح المهشم ...

ثم احسست ان روعي قد تهدأ شيئا ، وان اعصابي الواهية تستطيع ان تعود بي الى غرفتي .. فتسللت اليها متوجسا .. فاذا الشبح قد تولى .. وان كانت النظرة الثاقبة قد بقيت ترقبني من زاوية خفية لا اعرفها ... واذا انا ادخل غرفتي واجف القلب خائر العزم ، واتطرح على السرير الذي لم يمس كجثة حية ماذا فعلت ؟..

ولم استطع رقادا ولا يقظة ... واخذ رأسي يدور كصندوق فارغ .. قذفت فيه بعض الاشياء التافهة .. وادرته على اسطوانة طائرة ...

وقمت بعد ساعة فارتديت ثيابي، وفتحت باب الغرفة بهدوء لاتسلل من المنزل ، فاذا صفية .. بشعرها الفاحم .. ووجهها الطفل يعرف سرا خطيرا .. وعينيها الماستين السوداوين المخباتين وراء اجفانها المسبلة ، اذا هي .. تقف امام الباب ، وفي يدها قهوة الصباح المعتادة ..

ولقفت فنجان القهوة من يدها بغير ان انظر اليها وشربت ما فيه على جرعات كبيرة لم اكد اشعر بلذعها .. وهممت بالمضي وانا لا انظر اليها ، فاذا هي لا تنظر الي ايضا ، وتقول بصوت شعرت بانها تحاول جهدها ان ترسله طبيعيا :

ـ ماذا تريد لغدائك ...

فأجبتها بجفاء ، وانا اتخطاها الى الباب الخارجي :

ـ لن أعود لتناول طعام الغداء ، فالتمسي انت لنفسك ما تشائين ..

وخرجت .. وصفعت الباب من خلفي بما يشبه العنف .. اما الشيطان ... حين خرج من جنته مطرودا الى الابد فلعله قد وجد ثمة من صفق الباب من خلفه ...

ماذا فعلت ؟ ...

سؤال مخبول ظل يتابعني سحابة نهاري ، وانا لا اطيق ان التفت اليه .. ولا املك القدرة على الرد عليه ..

وطواط بشع خرج من دماغي المحطم وراح يلاحقه بالسؤال الملح اينما ذهب وحيثما اتجه ، وهو يداوره ، ويلاحيه ، ويأخذ عليه كل سبيل ...

سم زعاف كان يتردد بين جوفي الملتهب ، ودماغي المرهق مارا بحلقي الجاف كفم قربة مهجورة فلا ادري ما بي .. ولا ما اريد .. ولا اين اريد ... ولا اطيق نسيانه ، ولا استطيع عليه ... آه .. لو استطيع ان اتخلص من حلقي اللعين هذا اذن لتخلصت من كثير من الامي واسترحت

ولم اذهب الى عملي بداهة .. ولتذهب اهم قضاياي الى الشيطان .. ورحت اهيم في الشوارع التي لا يحتمل ان القي فيها من يعرفني او اعرفه من الناس .. ولا اذكر اني دخلت مكانا اتبلغ فيه بلقمة ، ولبثت هكذا حتى الاصيل وحتى قادتني قدماي المفككتان الى هذه الحانة ، ووجدتني مع نفسي اخر الامر وجها لوجه ... ماذا فعلت ؟ ...

لقد كنت مجنونا حقا لا اعي ما اقول وما افعل .. ولكنني تذكرت انني فعلت ما فعلت وانا ذاهل ماخوذ كمن تخسف به الارض بغتة فيحس الخطر ولا يستطيع النجاة ... واني اخذت جسدها الدافق الى جسدي المسعور كهر يضرب ضربا مبرحا وهو ينبلع لقمة مختلسة فلا يستطيع التخلي عنها ولا يستطيع النجاة .. وشربت من ثغرها المحرم شرابا عجيبا هو مزيج من لبن الام وخمرة رائعة ليست من صنع البشر ...

وتذكرت انها لم تؤخذ .. ولم تعرض .. ولم ترتعش رعشة المباغتة .. بل انني كنت احس انها كانت تقبل علي ، وتنطوي في كالضحية المؤمنة تتقدم بقدميها الى النار ...

هل شربت ياصاحبي في كأس من نار لبن الام ممزوجا بالخمرة القاتلة ؟ ... هكذا كان ثغرها .. وتلك كانت قبلاتها ...

وكنت قد اعتزمت ، بعد ان شربت الكأس الثالثة ، وثاب بعض وعيي الي، ان اناقش امرها مناقشة حازمة ، وان احاسب نفسي فيه حسابا غير يسير وان اقطع فيه برأي حاسم لا البث ان امضي لتنفيذه .. فليس العاجز من يسقط .. ولكن العاجز من يسقط ولا ينهض ...

وتعاقبت الساعات .. وتعاقبت الكؤوس ... وانا لا اكاد اخرج من الدوامة البلهاء التي كانت تلف عقلي حتى عود اليها .. ولا اكاد اقطع برأي حتى اعود فاقطع بفساده ... وجاء الرجل ينبهني الى انه لم يبق في الحانة احد سواي ، فنهضت كمومياء ثملة ، وقعت فدفعت له ثمن شرابه ، وعدت الى المنزل بهدى العادة القديمة لا بهدى الوعي المدرك ..

ودخلت المنزل ، فاذا هو كقبر رحيب .. واسترقت الخطى فوقفت على باب غرفتها ، فاذا هي منطوية على نفسها في السرير كهرة صغيرة اليفة ، واذا غدائر شعرها الغهيب مبعثرة على الوسادة كظلال الغابة في ضوء القمر ، واذا انا ادخل اليها واقف على حافة الهاوية مرة اخرى فتنشني الي ، واطبق عليها ، ونهوي معا في لعنة اخرى ...

وتوالت الليالي .. وتوالت اللعنات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. بل قل لانها اصبحت لعنة كل ليلة ... ولست ادري .. ولا يعنيني ان ادري اين يرسو هذا الزورق الضال يقوده في يوم عاصف ربان مجنون ...

فسألته لاول مرة ، وكأني كنت ماخوذا بحديثه فاستفقت :

ـ وما الذي تنكره من امرك وامرها ، وانت تقول : انك وجدتها ثمرة جنية سقطت اليك قبل ان تمد اليها يدك ؟

ثم استتليت اداعبه مبتسما :

بل ما ذنب من سقطت بين يديه ثمرة ناضجة فأكلها ... ام تريد ان تزعم انه لص ؟ ...

فومض ضميره المروع في عينيه المضيئتين ، واجابني على الفور :

ـ بلى .. فقد كان عليها قبلها.. الا يدخل البستان ...

وجرع جرعة كبيرة من كاسه المترعة واستطرد :

ـ اما ما انكره من امرها وامري فهو ذاك الوطواط اللعين الذي حدثتك عنه ... استيقظ في صباح كل يوم فاذا انا ملاك آثم محطم .. اكد ذهني الكليل للوصول الى حل حاسم ينقذها وينقذني فلا اهتدي اليه ولا أجد اليه من سبيل ... القلق يأكلني والخوف يعصرني ، والعار يفح بين جنبي ... فاعتزم التخلص منها ولو بطريقة هي اخس من فعلتي معها واخسر ... ثم اعود فاجبن وانكص ... ثم اعود فاستجمع واتشدد... ثم اعود فاشفق واتهافت ... حتى اذا ما اعياني الامر .. واظلم الفكر ووهن العزم ، هرعت الى هذه الحانة اللعينة ، فشربت من السم اليومي ما شربت ، وخرجت منها في موهن الليل شيطانا ملعونا سر حياته في سر لعنته ... وعدت اليها .. وعادت الي.. وعادت اللعنات تطوق عنقي من جديد ... حتى بلغت يوم امس الخناق..

فقلت اساله كالمنكر عليه امره :

ـ فلم لا تبني بها فتريح وتستريح .. فليس ثمة فيما ارى ما يمنع..

فرد علي كالحالم :

ـ كنت افعل لو لم يكن بعد الليل نهار ...

وملا كأسا ، وعب منها جرعة .. وجرعة .. وقال :

ـ النهار .. النهار .. الا شد ما اصبحت اخاف النهار والعنه .. حتى اني ليخيل الي انني اصبحت رجلا ذا شخصيتين كما يقولون .. او من يدري فلعلها هي امرأة ذات شخصيتين ستقودني احداهما الى الجنون المطبق وستقودني الثانية الى الهاوية السحيقة .. فهي في النهار ابنتنا ... بل ابنتي الطفلة الحبيبة صفية التي افترسها في ساعة من ساعات عاري وسعاري ... وهي في الليل .. بعد منتصف كل ليلة صبية الغابة الوحشية الفاتنة .. التي تمزج لي الجنون بضياء القمر.. وتدعوني.. فاستجيب بغير وعي ولا رغبة في الوعي .. أترى الى اية لعنة مخبولة قد ترديت ؟

ومن عجب انها قانعة راضية لا يكاد يبدو عليها شيء مما اقاسيه واعانيه ... بل لعلها غدت اعلق بشؤون المنزل واقوم عليها ... واشد مما كانت عليه في سابق عهدها دعة ورضى ... وقد يكون في هذا بعض ما انكره من امرها كما تقول ، وقد باغتها في ذات ليلة ونحن في جحيم اللذة اللاهب بقولي :

ـ وذكراها ...

فأخذت للسؤال لحظة ، ثم تنهدت وقالت ، وكأن صوتها يأتيني من ضمير عاصفة بعيدة :

ـ ستظل ... ولكن الا ترى ان هناك اشياء اقوى من الموت ...

ولم ادرك ما عنت بقولتها تلك .. وخشيت ان اسألها ايضاحا ، فازداد عماية .. واضل في هداي ... وهصرتها بين ساعدي موجة وليدة من لهف ولهب ، رغبت فيها فماعدت احس بها ...

وتعاقبت الايام والليالي ... وبدات أحس بأني اسيخ في وحل لزج.. وان كل محاولة مني للنجاة ، كانت محاولة للضياع ... وانني ما كنت قد بنيت بعض المجد في دنيا القضاء على ربحي ثلاث او اربع قضايا ربحتها بجراتي وفطنتي وايماني ، فانني قد قوضت هذا المجد بخساري قضيتين او ثلاثا كنت ارافع فيها خائر العزم ملتاث الفكر .. وكان اخرها يوم امس حين خسرت احدى هذه القضايا بغفلتي واضطرابي وخرجت من قاعة المحكمة بين شماتة الخصم الباسمة ، ودهشة القاضي البالغة .. وهرعت الى هنا ...

فشربت في ساعة واحدة ، ما كنت اشربه عادة في ساعات ، وغادرت الحان الى المنزل ، وقد اعتزمت امرا مبرما كان علي ان انفذه لساعته او انتحر ...

وسمعت وانا اهم بدخول المنزل ، وجارتي العجوز التي تشبه ساحرات الاساطير تخرج من منزلها لبعض شانها ، سمعتها تحدث من معها بصوت مسموع قائلة :

ـ اي زمن هذا ؟!.. لكأن الحياء قد غيض من وجوه الناس ...

ودخلت .. فاذا صفية تستقبلني كما تستقبل الارض العطشى اول القطر واذا انا استقبلها بوجه جلاد لا يلبث ان ينفذ في ضحيته الحكم ، واقول لها في جفاء خسيس .

ـ اسمعي يا بنية ... ان بقاءك في هذا المنزل اصبح لونا من الجنون او ضربا من المستحيل ... وانك اذا كنت تقبعين فيه سحابة نهارك وسواد ليلك فلا يراك احد من الناس ولا تلمحين الزراية في عين احد من الناس ... فانني انا الذي يخرج الى الناس ، ويرى العار والاحتقار في عيونهم كل يوم .. بل كل ساعة. وانا الذي يخسر قضاياه تباعا ويكاد يهوي الى الحضيض .. وانا الذي قد يجن في ذات يوم وهو قريب فيقتلك ثم ينتحر ... والان خذي ثيابك واشياءك جميعا ، ولا تدعي منها قطعة واحدة والا كان مصيرها الى النار ... وهاك هذا المبلغ ، وهو صالح ، تستعينين به على بعض امرك ،

واخرجت لها كل ما كان في محفظتي من اوراق نقدية كبيرة ، ووضعته على مائدة قريبة ، واستتليت :

ـ واياك والتردد او التلكوء ... وانك اذا كنت ترين ان موقفي هذا منك خسيس او غادر .. فان سوء المصير على هذا المنوال ، سيكون أحس واغدر ...

وقبل ان انفتل عنها ، قلت لها بجزم قاطع :

ـ وثقي بانني اذا خرجت من غرفتي بعد ساعة ، ورايتك في المنزل، غادرته انا ، ولم اعد اليه ابد الدهر.

فتكلمت لاول مرة ، واخر مرة .. وسألت بايجاز خانق :

ـ واين اذهب ؟...

فصفعني سؤالها .. واختنق

الرد ولم اجد في راسي معنى ، ولا على لساني لفظا .. ثم قلت اردعليها وانا اتحرك الى غرفتي :

ـ الى حيث لا تسمعين .. ولا اسمع انا نفسي جارتك الساحرة القديمة تقول لمن معها منذ لحظات : « لكأن الحياء قد غيض من وجوه الرجال ... »

ودخلت غرفتي: واغلقت الباب خلفي بالمزلاج ، وارتميت على السرير بثيابي وحذائي وعاري الشمل ، وترديت في بحران عميق ...

وانتهيت من بحراني بعد ساعات فاذا الغرفة في ظلام اخرس ... فنهضت برأس ثقيل ، وفم جاف ، وحمى آكلة ...

وتسللت الى المنزل افتش في حجراته وشرفاته ... لا حس ولا حركة ولا نأمة .. الا الصمت .. انصمت الابله الابكم ؟...

لقد تولت اخيرا ، ولقد اخذت معها كل ثيابها واشيائها وذكرياتها كما شئت ، الا ثوبا واحدا ، كانت فيما ارى قد نسيته او تناسته مغسولا ومنشورا في الشرفة التي تجاور غرفة المائدة ... والريح الرخاء تتقاذفه .. وتعبث به ، كما لا بد ان تعبث بصاحبته الاقدار .. اما المال .. فهو في موضعه على المائدة .. لم يمس .

ماذا فعلت ؟!...

وعاد السؤال السام ، يدور مع دمائي ويقف في حلقي مرة اخرى ..

اما المنزل المقعد الابكم ... فلو رايته في ساعة الغسق الموحشة تلك ، لخيل اليك انه دير قديم ، اختفى كل رهبانه في لعنة رهيبة .. ثم لم يجرأ بعدها ان يفتح بابه انسان ...

وهممت بمغادرته .. ولكن الى اين ؟... ثم آثرت البقاء فيه .. ولكن ماذا افعل ؟... وكان حلقي جافا حتى لاكاد اختنق .. فملأت كأسا من الخمرة الصرفة ، وانا الاحظ الثوب المعلق في الشرفة يترجح ويتلوى بين يدي الريح الرخاء ...

وتصببت جسدي عرقا على الرغم من برودة المنزل الثلجية ، وشعرت بتخاذل في رجلي ، وما يشبه الدوار في راسي ، فتهالكت على اقرب مقعد ، واترعت كأسا اخرى .. وعدت الى ذهولي المتوجس ..

واخذ النسيم الواني يعبث بالثوب المصلوب ... واخذت اتامله يخفق ويرتعد في غسق المساء الجهم ... انها هي .. ترتدي هذا الثوب القديم ، الذي ما كنت احب عليها ثوبا مثله .. وتهيم في درب قفر ، وفي يوم عاصف ، تدفعها الريح دفعا .. وتسفعها الانواء سفعا ... فلا تبلغ الغاية ، ولا تملك ان تتريث لحظة .. فلما انتهى الدرب الموحش وكان عليها ان تدور معه حيث يدور ، التفتت الي بغتة ، ورمتني من عينيها العميقتين بنظرة رائعة .. فيها ذل .. وفيها عتب .. وفيها غفران ، ثم دارت مع الدرب القفر حيث يدور .. وغابت ..

واخرجت منديلي فمسحت به العرق البارد عن جبهتي المحمومة ، وملأت كأسا ثالثة ، وعدت بنظراتي الى الشرفة ، فاذا هي في ثوبها هذا مرة اخرى ، ولكنها الان في حلبة للرقص مبهمة .. ومن حولها جموع الرجال يشرئبون اليها باعناقهم متدافعين .. وينظرون اليها في جوع فاضح ... وهي ترقص رقصات رتيبة بطيئة .. فسريعة اخاذة .. ففاجرة طائرة .. ثم تهوي في عباب الجموع الجائعة وتغيب ...

وامد يدي الى المنديل امسح به قطرات العرق التي تكاد تنهل في الكأس المرتجفة .. والتفت اليها لاراها هي .. في ثوبها هذا ، وقد نكست راسها الجميل على عنقها العاري ، وهي تتقدم بخطى وئيدة نحو منصة عليها مشنقة ، وتصعد درجاتها بثبات .. وتضع في عنقها الحبل ، وتلتفت الي ... فاهب واقفا في ذعر ثلجي ، واقذف بالزجاجة والكأس بعيدا فتتحطمان ... وافتح باب المنزل لانطلق منه ... افتش الدنيا .. واذرع الارض .. وافعل المستحيل .. لاظفر بها .. واعود اليها .. ولاخلد بعدها في اللعنة الى ما شاء لله ...

وما كدت افتح الباب الخارجي حتى رايتها امامي .. انها هي .. هي حقا ... ليست في الدرب القفر تهيم .. ولا في الساحة المبهمة ترقص .. ولا على منصة المشنقة تضع في عنقها الحبل ... انها امامي .. بلحمها ودمها .. وذلها وخوفها .. وتوسلها وابتهالها تقول بصوت كسير

ـ لقد كلت رجلاي بحثا عن مكان امين الوذ به فما وجدت ... اما اقرباؤك فما جرؤت ان اطرق عليهم بابا .. فعدت اليك .. لعلك تستبقني الى صباح الغد ...

فافسحت لها السبيل لتدخل الى الابد ... وقد ايقنت انني هالك بها .. وبدونها .. لا محالة ...

وكان الخمار قد نبهنا اكثر من مرة الى انتهاء الوقت ... ثم جاء فسالنا بخشونة ان ننصرف .. فدفع صاحبي الحساب ، وقمنا فخرجنا الى نسيم الشارع القارس .. وقلت احاوره ، وقد انعشني ثلج النسيم :

ـ اذا كان الخيال يا صاحبي للشعراء نعمة .. فهو نقمة للحقوقيين امثالك ... انك تنفخ كرة المطاط بملء فيك ، ثم تخاف ان تنفجر في وجهك ... بل لعل صاحبتك اسلم منك اعصابا واحصف رايا .. انها تعيش وتعرف كيف تعيش ، اما انت فتعيش وتموت ولا تعرف كيف تعيش .. ولا كيف تموت .. انت رعديد دخل مقبرة في ليلة مظلمة ففزع الاموات لفزعه .. زوجها من غيرك ان اطقت ، او فتزوجها انت ان اردت .. وسترى ...

فنهرني مقاطعا .

ـ وسارى انني اخيط كفني بيدي ... واشد السهم الذي سيخترم قلبي على عصبي ... اما انت فانك لم تفهم عني شيئا ابدا .. ولخير لك ان تنصح المحتضر الا يلوث وسادته بجرعة الدواء الاخيرة .. فاذهب الى الشيطان ...

وانفتل عني بغتة ، وقال وهو يلوح باوراق كانت معه .. ولعلها ملف قضية خاسرة من قضاياه :

ـ والى اللقاء .. واذا ما بدا لك ان تستعرض قصتي هذه في ذات مرة ، فلا تنس ان تتساءل معي هذا السؤال اللعين الذي يئست من الرد عليه :

ـ للذئب مخالب حادة .. وانياب قاطعة .. ومعدة تاكل وتتضور .. افينبغي بعد هذا ان يكون للذئب ضمير ؟ ...

ومضى عني يترنح .. وما هي الا لحظة حتى توارى عن عيني في احد المنعطفات ، وتركني اردد سؤاله في ذهول مطبق ولا استطيع تناسيه ولا املك الرد عليه ...

حلب **مظفر سلطان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افـعـى

○

شهقت في الظلام شهقتها الحرّى وراحت بلابـل الشوق تصـدح

وارتمت فارتمى جحيـم شهيّ يتنزّى بالمغريات وينضـح

مـارجَ أشهب يـؤج لهيبـاً واشتهاء عـلى الغوى يتلمح

صحت لما تعلقت بضلوعـي وانتشى مارد الهـوى وترنح

يا ذراعيّ زغـردا للتلاقـي وتمتـع يا قلب بالسّم وامرح

هي أفعى وهل أحاذر أفعـى تتمطى ، بعهرهـا تتبجـح

أنا حاوٍ علـى يديـه الافاعي تتلوّى كأنهـا تتـأرجـح

اتلهّـى بـها وأشبـع حسّـي ثمراً يانعـاً واخـر لـوّح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

مقلتاها كهفـا ضـلال أطلـت منهما شهـوة الخنـى تتفتـح

حمأ الشهـوة المريـرة يغـلي وفحيح الغـرائز السود يلفح

أقطـار ينساب مـن شهـوات راع قلبي هذا القطـار المجنّح

راح يجتاحني هضابـا هضابـا وطيوف الامال في الجو تسبـح

هات يا كهف من صنوف الافاعي كل نـاب له بجسميَ مطـرح

انا كهف مـن الافاعـي ودنيـا من خطايا تعـج فـيّ وتسـرح

مصطفـى محمـود
من اسرة الجبـل الملهـم

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي مكارم

ماجستير في الادب العربي

○ ○ ○

ناصيف اليازجي

ولم يقتصر الامر على هذا الحد فقط ، وانما ظهر عندنا شاعر اخر هو الشيخ ناصيف اليازجي ١٨٠٠ ـ ١٨٧١ . وبظهوره الى عالم الادب ارتفع مستوى اللغة عن ذي قبل ارتفاعا عظيما فاستقامت التراكيب ومتنت العبارة لقد اطلع اليازجي على دقائق اللغة فلانت له واصاب منها ما لم يصبه معاصروه من الادباء . قرأ الحريري فدبج على غراره المقامات وطلع على الناس بكتاب سماه « مجمع البحرين » جمع فيه ستين مقامة مملوءة بالغريب والشوارد وقرأ ابن مالك فاراد ان يكون له بدل الارجوزة اراجيز فاذا به ينظم ارجوزتين في الصرف هما « الخزانة » و « لمحة الطرف في اصول الصرف » وارجوزتين في النحو هما « الباب في اصول الاعراب » و « جوف الفرا » وارجوزة في البيان هي « الطراز المعلم » وارجوزة في الطب هي « الحجر الكريم في الطب القديم » وارجوزة في علم العروض هي « الجامعة » . ولو مد الله في عمره لما كان وفر التاريخ من ارجوزة او عدة . هذا اذا استثنينا كتبه النثرية في الصرف والنحو والبيان والمنطق وغير ذلك « كالجمانة في شرح الخزانة » و « طوق الحمامة » و « نار القرى في شرح جوف الفرا » « وعقد الجمان في علم البيان » الخ ...

واقبل ناصيف اليازجي على الكتب القديمة من نحو ولغة وشعر يستعيرها من الاديار والمكاتب القديمة ليحفظ زبدة بعضها وينسخ بخطه بعضها الاخر (١) فحفظ القرآن بتمامه ووعى من الشعر القديم شيئا كثيرا ولا سيما شعر المتنبي لشدة اعجابه به (٢) . وقد اتصل في شبابه بالامير بشير الشهابي فقربه اليه وجعله كاتبه ولكنه لم يتفرغ الى مدحه كيلا يزاحم شاعر الامير الخاص بطرس كرامه . وبعد ان زالت دولة الامير بشير سنة ١٨٤٠ انتقل ناصيف اليازجي الى بيروت حيث انقطع للمطالعة والتاليف والتدريس (٣) ، فكان لذلك ، كما يقول الدكتور محمد نجم « اثره في تنبيه النفوس الغافلة وتاليف القلوب المتنافرة على حب العربية واهلها » . (٤) وكما قال جورج انطونيوس: « كان يدعو الى بعث الادب القديم بالحاح لا يفتر حتى اوجد عددا كبيرا من اشياع هذه الفكرة الذين يعتقدون ان اخلاصهم لا يتم الا بهذا البعث وحده . » (٥)

كان هم ناصيف اليازجي ان يجاري الاقدمين وخصوصا المتنبي شاعره المفضل ومن هم على غراره ، كان يقرأ الكتب القديمة ، ويستوحي معانيه منها ، لا يهمه في ذلك ان كانت تناسب الزمان والمكان ام لا ، حسبه ان يكون قد حاكى فطاحل الشعراء .

ولقد غالى ناصيف اليازجي في ذلك وظن ان بعث اللغة يكون بالاعتناء بالالفاظ فقط واخذ يركز جهده على ذلك فاذا هو ينظم الاحاجي والمعميات ويأتينا «بالمعجزات» عله يجاري في ذلك الاقدمين . لقد التزم ابو العلاء ما لا يلتزم ، فاذا ببطرس كرامه يلتزم اكثر مما لا يلتزم فيأتينا بمعجزة الخال ولكن لا ابو العلاء ولا المتنبي ولا ابو تمام ولا غيرهم تلاعبوا كل التلاعب بالالفاظ فلانت لهم ، او تحكموا بالقريض فدان لهم بالطاعة والاذعان . وانبرى اليازجي يرصف الكلمات ، ويتعمد المعميات ليفوق بذلك الاولين ، كأن التفوق يتأتى من اللفظ المرصوف والكلام المعمى ، فاذا به يتفنن في ذلك بشتى الفنون فينظم تارة ابياتا لا حرف فيها معجم ويسميها الابيات العواطل كقوله :

الحمد لله الصمد حال السرور والكمد
الله لا اله الا الله مولاك الاحد
لا أم لله ولا والد لا ولا ولد
اول كل اول اصل الاصول والعمد (٦)

وينظم طورا ابياتا كل حرف فيها معجم ويسميها الابيات المعجمة كقوله :

بشجي يبيت في شجن فتن ينتشين في فتن
شيق تيق تجنب في نفق ضيق بقي ففني

وينظم حينا ابياتا شطر منها مهمل وشطر معجم ويسميها الابيات الملمعة :

اسمر كالرمح له عامل يفضي فيقضي نخب شيق
مسك لماه عاطر ساطع في جنة تشفي شج ينشق

وحينا ابياتا كلمة منها كل حروفها مهملة وكلمة كل حروفها معجمة ويسميها الابيات الخيفاء كقوله :

ظبية ادماء تفني الاملا خيبت كل شجي سالا

وحينا اخر ابياتا حرف منها مهمل وحرف معجم ويسميها الابيات الرقطاء كقوله :

ونديم بات عندي ليلة منه فليل

ويشتط به الامر اخيرا ، ويمعن في هذه الصناعة التي يشبهها باللؤلؤ والمرجان(٧) ، فينظم ابياتا من عاطل العاطل ، وهو الحرف الذي لا نقطة فيه ولا في حرف من اسمه كالدال والواو والحاء ويقدم لهذه الابيات بقوله : « هيهات ذلك مما يخال ، ولا يقال ، حتى يصاغ من الخاتم خلخال . » (٨) ثم يقول :

(١) امين الحداد : مقدمة ديوان ناصيف اليازجي ، النبذة الاولى ، ص ب. (٢) المرجع نفسه : ص ث . (٣) المرجع نفسه : ص ش ـ ت.
(٤) محمد نجم : القصة في الادب العربي الحديث ، ص ٢٧ .
(٥) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ٤٠. (٦) راجع مجمع البحرين
(٧) مجمع البحرين ص ١٢٢. (٨) المصدر نفسه ص ١٢٢ . (٩) المصدر

حـول در حـــل ورد هـل له للحـر ورد
لحصـور حلـو وصـل ورده للصحـــو طـرد
وله صـول وطـــول ولـــه صـــد ورد
دهـره حـر صـدور هـل لـه للـه حـد

ويظن اليازجي انه قد بلغ في ذلك غاية القول ، وفاق الاولين والاخرين فيقول : « فلما اعتبر الجماعة ، سر تلك الصناعة ، تكأكأوا عليه (اي على قائل هذه الابيات) مـن الامام والخلف ، وقالوا رب واحد يعدل بالف .»(٩)

ولو كان اليازجي قدوجد في الابجدية غير الشـــين والفين حروفا معجمه ومؤلفة اسماؤها من حروف معجمه لما كان توانى ان ينظم منها ابياتا كتلك الابيات السابقة .

اما التأريخ الشعري والاحاجي وما شابهها فقـــد ملأتمن اليازجي العقل والقلب واللسان وخاض فيها كل بحر

تلك كانت صفات الشعر الجيد عند ابناء القرن الماضي: تلاعب في اللفظ ، وتفنن في الزخرف والصناعة ، واجترار لما اتى به القدماء . ولقد اختص اليازجي كما قلنا من قبـل بالمتنبي فحفظ ديوانه عن ظهر قلب واخذ معانيه يسكبهـا باسلوب متنبئي ايضا ، فجاء شعره صورة مصغرة لابـي الطيب فقل الابداع ، وغدا شعره تقليدا واتباعا .

وظهر اثر المتنبي اكثر ما ظهر في الحكم التي كـــان ينتزعها الشيخ رحمه الله انتزاعا ، ويحشرها في شعـــره حشرا ، ويخرجها ـ كما يقول مارون عبود ـ « اخراجـا بطيئا كأنه مشي الشيوخ الاجلاء . انه لا يقذفها قنابـل كالتي كان يرمي بها المتنبي الناس .» (١٠)

لقد كانت الحكم عند المتنبي نتيجة اختبار طويـل وروية ، اما عند اليازجي فقد كانت نتيجة تنقيب في آثار ابي الطيب واضرابه . لقد نظم اليازجي الحكمـة نظما ، فجاءت فاترة . اما المتنبي فقد احسها احساسا عميقـا ، فاذا هي شعر لا نظم .

وهكذا افسد التقليد والتكلف شعر اليازجي ، وزادته فسادا تلك الصناعة الممسوخة . لقد اتخذ اليازجي الشعر وسيلة لاظهار حذقه ومقدرته ، فساء . اذ ان الشعر هـو غاية في ذاته لا وسيلة . ولوان اليازجي انصرف عن هذه الاشياء الى التعبير عن شخصيته ، والتعبير عمـــا يحسه ويشعر به ، لكان أتى لنا بشعر غير ذلك النظم المهلهل .

ولنسمع الان ما ذكره عن حالة الادب في القـــرن التاسع عشر فنصل فرنسا في ذلك الوقت هنري غيز ، قال : « اما اليـــوم فالادب لا يزال حيث تركه الكتاب السابقون . واذا عد هنا وهناك بعض مفكرين ، فان هؤلاء جميعهم من الشعراء الصغار . اننا نجد من هؤلاء مسيحيين في الجبل ، هما ناصيف اليازجي وبطرس كرامه . وفـي حمص الشيخ حسين الجندي (يقصد امينا الجنـدي) الذي لاقت ازجاله واناشيده رواجا كبيرا .» (١١)

تلك كانت الحال في ذلك الوقت ، على اننا يجب ألا ننحي باللائمة على ناصيف اليازجي واضرابه . فتلك كانت عقلية العصر ، قلت الثقافة فقل الابداع .

ومهما يكن من امر فلقد كان لناصيف اليازجي فضل على العربية وآدابها عظيم . جاء في وقت غلبت الركاكـة والرطانة على اللسان ، فأحيا العربية ، وعمل علـى اعادة مجدها بما الفه من الكتب التي تبين عن ثروة هذه اللغـة ، وحببها الى نفوس اهليها ، وأراهم ما هي عليه من الغنـى والليونة ، فكان ولا شك حجر اساس في بناء النهضـــة الادبية الحديثة . ذلك ان مادة الادب هي الكلمة . فان لـم تستقم الكلمة لا يستقم الادب . وكان من ناصيف اليازجي ان قوم الكلمة واحياها ، ولا بأس بعد ذلك على الفكر ، فانه يأتي مع الزمان .

ان الادب ، ككل كائن حي ، يسير بدائرة : ابتدأ في الجاهلية بتعظيم الكلمة ، وانتهى في عصر الانحطاط بتعظيم الكلمة . فلا عجب ان يبتدىء من جديد في القرن التاسع عشر بما انتهى به ، وعسى ان يطول بنا الامد قبل ان نصل الى عصر انحطاط ثان .

احمـد فـارس الشـديـاق

غير ان الامر لم يدم طويلا على حالة الادب تلك ، اذ قيض الله للبنان رجلا قفز بالادب العربي قفزة رائعة الـى الامام ، فما كاد الامر يصل بنا الى اواخر القرن التاســـع عشر ، الى عام ١٨٨٧ ، عام توفي احمد فارس الشدياق ، حتى كان للبنانيين بل للعرب اجمع ذخيرة ادبية تركها لهم هذا الجبار هي بحق ذخيرة عالمية خالدة .

حاول أحمد فارس الشدياق التجديد فنجح في اكثر الحالات . كان مجبولا على النقد ، مطبوعا على الثورة ، ثار على الدين ورجاله ، وثار على المجتمع ، وثار على الاساليب القديمة ، ولم يكن همه سوى الاصلاح والتجديد ، وكثيرا ما كان يخالط جده الهزل ، فيزيده ذلك رونقا وجمالا ، ويزيده فعالية . فتهكمه على خفة ظله مرير لاذع فعـال في النفوس . ومما يلفت النظر كلفه العظيم بالتجديد ، لقد اصبح الشعر عنده كلاما عاديا خاليا من الزخرف والصناعة ، فكأنه في نظمه يتحدث تحدثا ، وذلك اقرب الى الطباع ، وافعل في النفوس . من ذلك قصيدته في رثاء حماره . قال ، وقد ظهر التهكم اللاذع :

راح الحمار وخلى القيد في الوتد — وما ارى اثره في الناس من احد
فهل انا راكب من بعده وتـــدا — أم مجزئي قيده لو كان من مسـد
أم كيف ادخل دارا كان ليسكنـا — فيها وانزل عنـدي منزل الولـــد
سرهدته بيدي كالطفل من شفـق — كالطفل من شفق سرهدته بيـدي

لم يتوان عن الترديد ما دام يصور اللهفة ادق تصوير ، تماما كما يفعل الشعراء المحدثون :

سرهدته بيدي كالطفل من شفـق — كالطفل من شفق سرهدته بيـدي

ويمضي في رثائه الى ان يقول وقد ظهر تهكمه واضحا:

يفديـك كل حمار ند مـن بطـــر — او ضج من لغب او خار من جهد(١٢)

وقد بلغ به حبه للتجديد مبلغا جعله يحاول التحرر من القافية فينظم يوما اربعة ابيات مختلفة القوافي علـى ان تكون فاتحة ديوان كامل وصرح لنا انه فعل ذلك «تهافتا على احداث شيء غريب » . غير ان عدم تمكنه من التخلص من وحدة البيت حال دون نجاح هذه المحاولة . امـــا الابيات فهي :

ساعة البعد عنك شهر وعـــام — الوصل يمضي كأنما هو ساعـة
أتنجم الليـل الطويـل صبابة — وتنجمـي لنجـوم ذي تفليـك
ويخفق مني القلب ان هبت الصبا — ويذكرني البـدر المنـير محيـاك
ألا ليت شعري كم يقاسي من النوى — وانحائه قلب يذوب تجـلدا (١٣)

نفسه ص ١٢٣ . (١٠) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ، ص ٦٨ . (١١) هنري غيز : بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن ، تعريب مارون عبود ، الجزء الاول ، ص ١٢٤ . (١٢) احمد فارس الشدياق : الساق على الساق فيما هو الفارياق ص ٣٢٣ـ٣٢٤ . (١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠

الينبوع

نحن الذين لا ننامْ
نبـدع الاحلامْ ..

عيوننا خيط الذرا ،
والريح ، والاوهام.

قلوبنـا متاحـف
للشوق ، والآلام ..

★

ننسج حلـم حلمنـا
ارجوحـةً زرقاء.

نعمّق فـي الأبعاد ،
والألوان ، والأضواء

نهتزّ في شراع حرف
موعـداً وضّاء ..

نلقي بـدرنا الـى
ماردنـا الجبـارْ

نلقم شدقَ الليـل
حتى فجرنا الزخّار.

ونمسح الرمـوس ،
والقفار ، بالافكار !

★

فتوحنـا قصيّـة
مجذافها الافهـامْ

وجداننا أجنحة ..
بواحنـا الهـام

نحن الذين لا ننامْ ،
نبـدع الاحـلام !

حلب — عـلي الزيبـق
« من الاصدقاء »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورأى ان عمله ذاك لم يكلل بالنجاح فكف عنه وعـاد الى نظم القريض على النمط القديم .

كان الشعر في ذلك الزمان لا يزال محافظا علـى قدسيته . فلم يكن قد حان الوقت بعد لاعمال التجديد فيه الى حد بعيد . فهو ما زال حديث العهد صغير السن، لم يبلغ رشده لـكي يتصرف على هواه . كان الشعر لا يزال تحت كنف عقلية القرن التاسع عشر المستمدة مـن عقلية عصور الانحطاط . ولذلك صرف الشدياق نظره عن التجديد فيه ، ورضخ الى مشيئة العصر ، وانصرف الـى اشباع غريزته التجديدية في النثر حيث المجال اوسع . وهكذا نراه يعود في الشعر الى الاقتداء بالاقدمين ، فيقف على الطلول ، ويبتدىء بالغزل ، ويمدح ويهجو ويرثي وينظم في كل فن ، ولكن على قسط وفير من الذاتية الاصيلة التي كانت تظهر اكثر ما تظهر في الهجو حيث يتسع المجـال للشاعر ليعبر عن كوامن ذاته : ينتقد ويثور ويتهكم ، فتشبع غريزته المطبوعة على تلك الاشياء .

ومهما يكن من امر شعره فان الشدياق كان داعيـة التجديد . وقد وجهت كتاباته النثرية الادب وحررتـه شيئا فشيئا من نير التقليد . فلقد انتقد اساليب الشعراء والكتاب في زمانه ، وحمل على شعراء المناسبات ، ومـا اظنه الا غامزا من قناة شعراء الامير الذين مر ذكرهم . قال مثلا في « فارياقه » موردا بعض الشعر في مدح «السري» وقد بالغ في السخرية والتهكم والكلام البذيء حتى اننا لا نستطيع ان نورد الا القليل كقوله :

قد اسهل اليوم السري فكلنـا فـرح ففي اسهاله التسهيـل
فاستبضعوا خزا لديـه مطرزا وتسابقوا ان البطيء قتيـل

والشدياق ، مع ما هو عليه من التقليد في شعـره ، فانه قد اكره على ذلك اكراها ، وحمل عليه حملا ، عـله يكسب به قوته ، ويصلح من عيشه . فما هو الا وسيـلة اضطر اليها اضطرارا ، فاسمعه يقول :

من يـكن مثلي رفيع الدرجات فهـو اولى بمفاعيـل السـراة
من معاطـاة فضول الشعر في فاعـلات فاعـلات فاعـلات

او يقول :

راوا دخان قميني صاعدا فجرى بالماء قوم ليطفئوا سورة اللهـب
فقال بعض اقين انت قـلت نعـم اقين شعرا وعندي معمـل الكذب

وكثيرا ما انتقد اولئك الاتباعيين المحافظين ، داعيـا الى التجديد وكتابه «السـاق على السـاق في ما هوالفارياق» خير دليل على ذلك .

وهكذا كان احمد فارس الشدياق خير موجـه للادب ، وخير مجدد فيه في ذلك العصر حتى اذا ما جـاء القرن العشرون اخذ التجديد يذر قرنه في البلاد كمـا سنرى في العدد القادم .

سـامي مـكارم

مغيب

○

على حواشي المغيبْ
تحفّز للنحيب
وفوق شمّ الذّرى
ماذا ارى ؟
اني ارى الغيهبَ الكئيبْ
يغشى الورى

★

في الزّرقة الغائمه
كالمقلة النائمه
أرى خيال الهلالْ
بين التلالْ
يسري كروح الاسى الهائمه
عبر الظلالْ

★

وفي احتراق الغمارْ
شاهدت مثل الجمارْ
غيماً بلون الدماء
ناراً وماء
هولاً مهدداً بالدمار
صرْحَ السماء

والنجمةُ الحائره
تهتزّ في دائره
مما يحوك السحابْ
عرْضَ الرحابْ
أشجى المدى اذ هوت غائره
همسُ انتحابْ

★

والرعدُ دوّى فهاجْ
بالحقد قلبَ الاجاجْ
ولمعَ البرقُ في
جوٍّ خفي
والنورُ يهمي على اللّجاج
كي ينطفي

★

هل للضياء انقضاء
في لاتناهي الفضاء ؟
وما هوى من بدورْ
مما تدورْ
هل ينتهي كلُّ ما أضاء
غورَ الصدور ؟

نبيه صقر

اهمية الكتلة الاسيوية الافريقية في هيئة الامم المتحدة

بقلم الدكتور منذر الدقاق

ولادة ونشوء الكتلة الاسيوية الافريقية

يقوم في هيئة الامم المتحدة ، نوع من التجاوب السياسي في المعترك الدولي يقسم الدول الاعضاء الى كتل وجبهات ... وفي السنين الاولى لهيئة الامم المتحدة تآلفت اصوات بعض الدول الاسيوية والعربية خلال ابحاث هيئة الامم واتفقت وجهات نظر هذه الدول على كثير من القضايا الدولية ... وكانت الدول العربية الست الممثلة في هيئة الامم قبل عام ١٩٥٠ وهي سوريا ، مصر ، لبنان ، العراق ، المملكة العربية السعودية ، اليمن ... كانت هذه الدول تتآخى مع سبع دول اسيوية وافريقية في النقاش والتصويت وهذه الدول الاسيوية السبع هي الهند ، الباكستان ، بورما ، افغانستان ، اندونسيا ، ايران ، الحبشة ... وكان هذا التآخي الاصل في تكتل دولي داخل المنظمة العالمية ، ولم تبدأ هذه الدول بتنسيق نشاطها وتوحيد اهدافها وتوجيه اعمالها الا في دورة عام ١٩٥١ في باريس حيث اتخذت موقفا موحدا في قضية مراكش ثم تذاكرت في قضية تونس الى ان رفعتها الى مجلس الامن ... وكانت هذه الدول متفقة على رأي واحد حول القرارات التي صدرت عن الهيئة في تلك الدورة ، مما عرقل الكثير من التطبيق الاميريكي المعتاد لاعمال منظمة الامم .

كانت دول الكتلة الاسيوية الافريقية في عام ١٩٥١ وعام ١٩٥٢ تتبادل الاراء حول مختلف القضايا المعروضة على هيئة الامم ، ويتذاكر مندوبوها في الموقف الذي يحسن اتخاذه ، ثم ما لبث ان تبلور نشاطها في عام ١٩٥١ على اساس تكوين جبهة واحدة ... وصدر كثير من القرارات في ذلك الحين مخالفا لما اراده الاميريكيون والروس على السواء ... وكانت اصوات الكتلة الاسيوية العربية كافية في أكثر الاحيان لعرقلة اكثر التوجيهات الاميركية في الهيئة فاجمعت الاوساط الدولية الرسمية والصحافية في ذلك الوقت على التساؤل : « هل افلتت هيئة الامم من قبضة الولايات المتحدة ؟ » وكان نشاط الكتلة يتجاوز الدورة السنوية اذ يتابع مندوبو دولها الاتصال بصورة مستمرة دائمة للبحث في اجتماعات دورية عن القضايا التي تخص اسيا وافريقيا والعالم ، وقد دعا نشاطها هذا كافة عناصر المنظمة العالمية الى اقامة الحساب دائما لكتلة واحدة كانت مؤلفة من (١٣) عضوا ... وفي البدء ، كانت جهود الكتلة تنتهي الى الفشل في كثير من القضايا التي خاضتها ... ولكن هذا العنصر السلبي لم يؤثر في نفوذها الادبي ، وعلى العكس فان متابعتها العمل رغم السياسة الغربية المعاكسة المنظمة قد جعل الدول تؤمن اخيرا ان الكتلة الاسيوية العربية عازمة على التأثير بما لها من نفوذ ، ورأينا الدول الغربية تذعن لتأكيدات الكتلة في كثير من المواضيع .

ثم جرى اول اجتماع لاعضاء الكتلة العربية الاسيوية خارج نطاق هيئة الامم وذلك في القاهرة في اواخر عام ١٩٥٢ ، وكان هذا الاجتماع لبحث الاسس التي تراها الكتلة ملائمة لمتابعة سياستها الرامية الى خلاص افريقيا الشمالية من الاستعمار الافرنسي ... ونال هذا الاجتماع اذ ذاك صدى كبيرا في الاوساط السياسية الغربية وعلى الاخص الاميريكية منها واتضح ان نشاط الهيئة الدولية الجديدة يعدو نطاق هيئة الامم الخاضع لانظمة دولية عامة وانه يتمتع بذاتية خاصة لا تعود الى جدران المنظمة العالمية

وتطور دور الكتلة الاسيوية الافريقية واتسع نشاطها منذ ان دخل هيئة الامم في العام الماضي اعضاء جدد ... وكان قبول عدد من الدول الاسيوية والافريقية في المنظمة سببا في تقوية نفوذ هذه الكتلة العالمية ، وهو ما اضعف بصورة غير مباشرة كتلة امريكا اللاتينية التي تعد عشرين دولة والتي لا يمكن ان تزيد . ففي عام ١٩٥٧ اصبح عدد اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية (٢٨) بعد ان كان ثلاثة عشر في بدء تكتلها ... فاذا ما تم قبول مانغوليا والملايو وغينيا الجديدة والساحل الذهبي فان هذه المجموعة الاسيوية الافريقية تصبح اقوى كتلة اقليمية في هيئة الامم وتسيطر على الكثير من اتجاهاتها . فدخول اكثر من عشرين عضوا دفعة واحدة الى المنظمة في عام ١٩٥٦ اضاف اليها عنصرا عاما حمل الكثير من الصعوبة الى سياسة التواطؤ التي اعتادتها بعض الكتل في هيئة الامم .

ولقد تعمدت الكتلة الاسيوية الافريقية ابعاد اسرائيل والصين الوطنية عنها ولهذا الابعاد مغزى بعيد فهو يعني ان الاكثرية العظمى من سكان الارض لا ترضى عن اسرائيل وهذا يعني ايضا ان هذه الاكثرية لا تعترف باية سلطة دولية للصين الوطنية في مضمار السياسة الاسيوية .

ولقد كانت الكتلة الاسيوية الافريقية قبل عام ١٩٥٥ تجامل الكتلة الغربية في كثير من الاتجاهات السياسية فرأينا مصر والهند تقفان موقفا معتدلا للغاية في القضية الكورية ، الا انه مع ازدياد اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية ، ازداد الاتجاه نحو موقف حيادي وسط بين المعسكرين واصبحت هذه الكتلة اقل مسايرة للسياسة الاميريكية واكثر قبولا لجمع اصواتها مع الكتلة الشرقية في كثير من القضايا التي تخص العالم الاستعماري الغربي .

فبعد ان بلغ عدد اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية (٢٨) صوتا ، اصبحت تتمتع باصوات اكثر وبنفوذ اقوى

من الكلمة الاميركية اللاتينية التي لا تعدو عشرين دولة . كان التطور العددي الجديد واتساع الكتلة الاسيوية الافريقية قد حمل الى موقف الولايات المتحدة الكثير من الضعف .

وكان من جراء هذا التطور ان اصبح الاتجاه في هيئة الامم نحو نشاط الهيئة العامة وابعاد جل القضايا في مجلس الامن حيث يلعب الفيتو دوره وحيث لا تتمتع الكتلة الاسيوية الافريقية بأي نفوذ عملي لاقرار سياستها.

اهمية وفعالية الكتلة بالنسبة للكتل الاخرى :

كي تدرك مدى فعالية الكتلة الاسيوية الافريقية ، لا بد من مقارنتها مع فعالية الكتل الاخرى ، فالكتلة السوفياتية متماسكة متضامنة الا ان اصواتها التسع (الاتحاد السوفياتي ، اوكرانيا ، روسيا البيضاء ، بولونيا ، تشيكوسلوفاكيا ، رومانيا ، البانيا ، هنغاريا ، بلغاريا) .

لا تحمل الى هيئة الامم اي تأثير نهائي ودورها الخاص ينتهي عند الخطب والاقتراحات الفاشلة غالبا ... اما الكتلة الاميريكية اللاتينية فهي قليلة التضامن والتعاون الا انها فعالة مؤثرة ... وما تقدمه من توصيات يلقى اكثرية في اكثر الاحيان وهي تتلقى توجيهات الولايات المتحدة في أغلب المواضيع . ثم تأتي الكتلة الاطلسية وهي مجموعة دول حلف الاطلسي وقد تالفت فيما بينها الى حد بعيد ورأيناها غالبا تفوص في خضم تجاهل وهضم حقوق الشعوب المستعمرة وعرفت هذه الكتلة بعض التنابذ والاختلاف وذلك ابان العدوان المثلث على مصر وقيل ان الاختلاف مصطنع وان الكتلة تقر ضمنا العدوان .

وكان من نتيجة قبول اعضاء جدد اغلبهم من اسيا وافريقيا ، في المنظمة العالمية ان ضعفت الكتلة اللاتينية وتبعثرت الجهود الموجهة للكتلة الاطلسية وقويت الجبهة الاسيوية الافريقية المناوئة لكل سياسة استعمارية .

وفي كل بحث لمشكلة تخص السياسة الاستعمارية للكتلة الغربية ، ينضم الى الكتلة الاسيوية ، اصوات الكتلة السوفياتية وهي تسع وصوت يوغوسلافيا واصوات اسكندنافيا وهي اربع : السويد والنروج والدانمارك وايزلاندا ويضاف الى ذلك صوت فنلندا التي لن تعاكس الروس في السياسة العالمية لانها ترى ضرورة المحافظة على حسن الجوار .

وهكذا فان اصوات الكتلة المناوئة للاستعمار تبلغ اثنين واربعين صوتا من اصل ٨١ (٢٨ كتلة افريقية اسيوية ٩ كتلة سوفياتية + ١ يوغوسلافيا + ٥ اسكندنافيا وفنلندا) وهو كاف لادخال أية قضية في جدول الاعمال ... واذا ما اراد هذا التكتل الشامل التصديق على توصيات او قرارات فانه يحتاج الى اكثرية لا تقل عن الثلثين أي ٥٤ عضوا وهذا يعني ان لا بد له من الاستعانة ببعض اصوات الكتلة الاميريكية اللاتينية لجمع ٥٤ صوتا أي الثلثين .

ومن طرف اخر ، فان اصوات الكتلة الاميريكية اللاتينية مع الولايات المتحدة اذا ما أضيفت الى اصوات اوروبا الغربية واصوات الدول البيضاء في الكومنولث البريطاني ـ حسب تعبير الصحف الاميركية ـ ان هذه المجموعة تعدو الثلث أي ان باستطاعتها ايقاف القرارات ومنع التصديق عليها في هيئة الامم اذا ما ارادت ذلك .

ولكي تدرك الولايات المتحدة غايتها السياسية في هيئة الامم ، نراها مضطرة للتآخي مع قسم من دول الكتلة الاسيوية الافريقية ، وهو ما يضطرها الى صيغة التوصيات والقرارات بشكل معتدل يقبله هذا القسم ، وهذا ما وقع حين وضع قرار هيئة الامم الخاص بهنغاريا .

اما ازدياد قوة الكتلة الاسيوية الافريقية في الهيئة فهو يعني ازدياد قوتها في دعم الحركة المناوئة للسياسة الاستعمارية ما دامت الدول الاسكندنافية ودول المعسكر الشرقي والقسم الاكبر من دول امريكا اللاتينية تشارك الكتلة الاسيوية الافريقية شعورها المناهض للاستعمار ، اذ يجب ان لا ننسى ان عناصر وجود الكتلة الاسيوية الافريقية تعود الى العديد من قضايا المستعمرات التي بحثت في نطاق الهيئة فكان يقف اعضاؤها ضد الدول الاستعمارية التقليدية ، بعد ان عرفت اسيا وافريقيا اذى هذه الدول الاستعمارية بشكل بالغ في القرنين التاسع عشر والعشرين وكان هذا الشعور الشامل جامعا لاهدافها وغاياتها .

ولئن يحسب المعسكران الغربي والشرقي حسابا لوجودها واتساعها ونشأتها فلان الكتلة تمثل الاكثرية المطلقة لشعوب الارض ، والهند واندونسيا وعدد نفوسهما يقرب من نصف مليار نسمة ـ تشكلان حجر الزاوية في هذه الكتلة المترامية الحدود ، وهاتان الدولتان تحسان الى حد بعيد ما هو الاستعمار وما هي فنونه وقد ذاقتاه اربعة قرون ثم ان بعض الشخصيات الدولية التي تدعم الكتلة كالباندنيت نهرو مثلا قد فرضت على المعسكرين احترامها ، ونهرو هو من المع الشخصيات السياسية في العالم التي تتمتع باصغاء اقطاب المعسكرين الكبيرين على الاقل .

وكان اهم ما اعتقده المراقبون الدوليون ان العامل الديني يسود هذا التحالف الاسيوي الافريقي الكبير وان تألف الدول الافريقية والاسيوية يقوم على رابطة الدين الاسلامي حتى ان بعض التصريحات الرسمية قد تضمنت لفظة (اسلامي) بدل (عربي) او (اسيوي) ويشاء هؤلاء ان يتجاهلوا ان لا صلة للسواد الاعظم في الهند بالدين الاسلامي وان الحبشة وبورما ترتبطان بصداقة وتاريخ الاسلام فقط وان كره الاستعمار عنصر اول في هذا التحالف الكبير .

الروح السياسية للكتلة الاسيوية الافريقية

واننا لنلاحظ من تتبع نشاط هيئة الامم ، انه قد اطيح نهائيا في توجيهات الهيئة وتوصياتها بالمصالح الاستعمارية وان الدول المستعمرة ستبقى في موقف صعب حتى تتم تصفية قضاياها المعلقة ... وقد يصعب على الدول الاستعمارية ان تفهم التآخي الذي يجمع الهند والباكستان او افغانستان والباكستان في مثل هذه المواضيع بينما تثور بينهم مشاكل لا حد لها حول بعض المصالح الاقليمية ، ولكن الشعور العميق الذي لازم الاسيويين في كره الاستعمار يعلل هذا التآخي الذي تعجب له الاوساط الاستعمارية الغربية .

وقد تبلغ فعالية الكتلة الاسيوية الافريقية في هيئة الامم ، انها قادرة على رفض أي قرار لا يناسبها وهذا يعني انها تملك عمليا نوعا من انواع حق الفيتو في الهيئة العامة

على مستوى أقوى مما تملكه الدول الكبرى الخمس في مجلس الامن، فأصواتها بالاضافة الى اصوات دول الكتلة السوفياتية تفوق الثلث وهو ما يكفي لرد كافة التوصيات التي لا توافق عليها

ولئن تعددت دول الكتلة الافريقية الاسيوية ، فقد توازعت العمل في هيئة الامم بتناسق بعيد ، فهي تتقاسم تقديم الحجج والبراهين والادلة في كل شكوى ، فلا نرى اي ترداد في خطب مندوبي دول الكتلة ، بل اختص كل منهم بناحية يوليها عنايته وتحليله ، ومثل هذا التنظيم اثار اعجاب كافة المعلقين في اروقة هيئة الامم واصبحت دوائر المعسكر الغربي ترى ان لهذا الواقع الدولي حسابا في كافة المشاريع والترتيبات الغربية فيما يخص الشرق الاوسط واسيا .

اثر الكتلة في السياسة الاميركية

لم يغب عن الدوائر السياسية الدولية اثر هذا التطور الخطر على سيادة الولايات المتحدة في المنظمة العالمية ، ولذا شاهدت هيئة الامم نشاطا بعيدا مباشرا وصل ما بين الوفد الاميريكي فيها ووفود الكتلة اللاتينية ، وقد اصبح وفد الولايات المتحدة على اتصال دائم بمندوبي امريكا الجنوبية يباحثهم خلال اجتماعات غير رسمية بكافة القضايا المطروحة على بساط البحث ، ولا تخلو هذه الاتصالات من توجيهات سياسية غايتها اقصاء كتلة امريكا اللاتينية عن كتلة الدول الاسيوية الافريقية ما امكن . ويمكن تلخيص موقف الولايات المتحدة الرسمي من الكتلة الاسيوية الافريقية بانه موقف حذر لا ينطوي على شيء من الترحيب .

واذا عدنا الى دور هذا الحلف الاسيوي الافريقي في اتجاهات السياسة الاميريكية في اسيا ، نجد ان واشنطن قد وجدت في هذا التطور العالمي حقيقة مرة ، وهي تعمل على تكييف مقتضيات سياستها معها ، وقد تساءلت صحيفة (كريستيان سيانس مونيتور) الصادرة في بوسطن والتي تعتبر اقوى صحيفة اميريكية في بحث الشؤون العالمية اذا كانت الكتلة الاسيوية الافريقية قد اساءت كثيرا الى المخططات السياسية العديدة التي تضعها وزارة الخارجية الاميريكية للشرق الاوسط .

والتضارب بين التأثير الاوروبي والتأثير الاسيوي الافريقي على السياسة الاميزيكية وضحت معالمه ، منذ عام ١٩٥٢ ... والدول الاوروبية في هيئة الامم تشعر ان الكتلة الاسيوية الافريقية تلعب دورا خطرا ، وانها تستخلص منها الدور التوجيهي الذي تمتعت به دائما ، ولذا فان نشاط هذه الكتلة الجديدة معرض لعرقلة «منظمة» شديدة من الدول الاوروبية التي لا ترضى بمثل هذا النمو الاسيوي الافريقي الايجابي القوي ... وتعمل هذه الدول الاوروبية الغربية على اتهام الكتلة الاسيوية الافريقية بالتعصب الاعمى ، وليس لنا الا ان نقرأ تعليقات الصحف الاوروبية الغربية لنقف على ذلك ... وقد رأت جريدة لومند الافرنسية في هذه الكتلة عند انطلاقها عام ١٩٥٢ « طابعا اعمى يقوم على الدين » وتتحدث صحيفة (لوبوبل) ـ الشعب ـ البلجيكية عن الكتلة انها « عنصر شيوعي تستفيد منه الكتلة السوفياتية » والديلي تلغراف البريطانية ترى ان « الكتلة الاسيوية الافريقية تعمل على انضاج الطعام الروسي » ومن خلال هذه الصور الخادعة التي تفتقر الى كثير من الحقيقة ، تفهم الشعوب الاوروبية الكتلة الاسيوية الافريقية التي جمعها حب الحرية وسعادة الانسان الضعيف

واذا عدنا الى اثر الكتلة الاسيوية في السياسة الاوروبية وجدنا ان الدول الاوروبية تستقبل هذا النشاط الاسيوي الافريقي بكثير من التأفف ، وهي تعلم ان اتجاه العالم للواقع الاسيوي والواقع الافريقي يخفف كثيرا من حدة اهتمامه بالواقع الاوروبي ومثل هذا النشاط يجعل اسيا واوروبا وافريقيا على صعيد واحد في مجرى الحوادث الدولية ازاء البيت الابيض وهذا ما شاهدنا تتابع حلقاته منذ انتهاج عبد الناصر سياسة دولية تحريرية خاصة ... فتطلع سياسة واشنطن كثيرا نحو اسيا وافريقيا يخفف من اعتنائها بالتطورات الاوروبية، فالكتلة الاسيوية الافريقية تعمل الان على اخذ ما اختصت به القارة الاوروبية من توجيه اولي وتحكم استئثاري خلال اربعة قرون على مسرح السياسة العالمية .

فالكتلة الجديدة الكبرى تود ان تبرهن ان القسم الاسيوي الافريقي في العالم لم يعد بقرة حلوبة كما ارادته الدول الاوروبية حتى الشطر الاول من القرن الحالي ولذا فان سياسة الكتلة ترمي الى نبذ التدخل الاوروبي او الاميركي مهما تعددت اشكاله .

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة ما زالت تتمتع بنفوذ كبير في هيئة الامم ، الا ان التكتل الذي يقسم اعضاء المنظمة قد اضعف هذا النفوذ وهذه المراقبة العالمية على احداث العالم ـ وقد اتضح من الدورة الاخيرة لهيئة الامم التي عالجت خلالها الكثير من احداث الشرق الاوسط فيما يعود لمصر وفلسطين ، انه قد يكون من الصعب على الولايات المتحدة في ايام الازمات الحصول على اكثرية في هيئة الامم تقف الى جانبها . وحتى في قضية هنغاريا ، فقد رفض عشر دول اسيوية مجاملتها في قبول التوصيات والقرارات المقترحة .

موقف الاتحاد السوفياتي من الكتلة

اما اذا استعرضنا موقف الاتحاد السوفياتي وكتلته من هذا التطور الدولي وجدنا ان سياسة الكرملين ازاء الكتلة الاسيوية العربية قد لاقت كثيرا من التبدل .

ففي المرحلة الاولى لانطلاق الكتلة كان الاتحاد السوفياتي ازاؤها سلبيا اكثر منه ايجابيا وعلى الرغم من ان الديبلوماسية الروسية قد ايدت الكتلة الكبرى في كثير المشاكل التي تقدمت بها الى هيئة الامم فلقد كانت تعارض اتجاه الدول الاسيوية العربية الدولي خلال حكم ستالين ... ففي القضية الكورية سلكت الكتلة الروسية سياسة مناهضة للدول الاسيوية ورفضت شتى مقترحاتها ونعتتها بانها تعمل في خدمة الاستعمار الامريكي وقامت الصحف الروسية الكبرى بحملة شديدة عليها في ذلك الوقت وكانت قد كتبت (البرافدا) الصحيفة الرسمية السوفياتية ان الكتلة العربية الاسيوية تساير الاستعمار الاميريكي وعلقت مجلة (نيوز) الصادرة في موسكو باللغة الانكليزية على نشاط الكتلة في اول عهدها فوجدت انها لا تعمل للشعوب الاسيوية التي ترزح تحت نير الاستعمار ، ويصح ان نردد ما اشار اليه بعض المعلقين الدوليين ابان الحكم

الستاليني من ان الاتحاد السوفياتي الذي يود ان يكون (السيد الموجه في اسيا) لا يرحب كثيراً بكتلة جديدة لها سياستها الاسيوية التحريرية الخاصة .

وكان ان قضى ستالين نحبه وتغير تكتيك الاتحاد السوفياتي في السياسة الدولية واصبح على العكس يغذي الكتلة الاسيوية الافريقية بالنشاط والتأييد ويدعم سياستها في الحياد الدولي ويؤيد اتجاهاتها في مصارعة السياسة الاستعمارية الغربية في العالم .

الكتلة بين هيئة الامم ومؤتمر باندونغ

والكتلة الاسيوية الافريقية تعني في الواقع كتلة مؤتمر باندونغ وجل اعضاء هذا المؤتمر قد اصبحوا الان في عداد المنظمة العالمية واكثرهم يعمل بوحي روح مؤتمر باندونغ هذه الروح التي تنقم على كل ما يعود للفكرة الاستعمارية الغربية والتي تعتقد ان العالم قد هضم حقوق اسيا وافريقيا وانه ما زال يعمل على استغلال هاتين القارتين دون ان يقدم لها ما يعوض هذا الاستغلال المزمن الذي يعود الى اربعة قرون .

ومما لا شك فيه ان الكتلة الاسيوية الافريقية قد نمت في هيئة الامم قبل مؤتمر باندونغ وانها كانت النواة الحقيقية للمؤتمر الذي جاء فيما بعد ليوطد اسس كيانها ونفوذها وسياستها كهيئة عالمية تقع بين الشرق والغرب طالما اطلق عليها المعلقون الدوليون اسم القوة الثالثة او المعسكر الثالث او الكتلة المحايدة .

عناصر التناقض في الكتلة

وثمة اهمية تختص بها الكتلة الدولية هي وجود بعض التناقضات فيها ، مما لم يسجل مثيله تاريخ المخالفات ، فالخلاف بين الباكستان والهند على قضية كشمير ما زال في الاوج والنزاع بين الباكستان وافغانستان على مناطق الحدود مستعر الرحى وبعض الدول العربية تختلف مع شقيقاتها في اتجاه السياسة الدولية بالنسبة للشرق والغرب وليس من تآزر كلي يجمع اليابان وجاراته في سياسة الشرق الاقصى وبالرغم من كل هذا فان كافة هذه الدول تعمل في نطاق واحد لاهداف واحدة تعود الى الشعوب العربية بصورة خاصة مما دعا معلق صحيفة (الواشنطن بوست) الى التساؤل عما اذا كان التحالف العفوي يعود الى ظفر سياسي دبلوماسي عربي في اجتذاب دول متنافرة فيما بينها ، لتتفق على العمل معا لصالح القضايا الاسيوية الافريقية وجل هذه القضايا هي عربية حتى الان .

وكان مما قاله الدكتور شارل مالك وزير خارجية لبنان امام الجمعية العمومية للامم المتحدة في شباط الماضي انه ربما كانت الدول العربية مختلفة على مواضيع معينة في السياسة الدولية الا انها متفقة كل الاتفاق على طلب جلاء اسرائيل عن اراضي مصر وقطاع غزة .

وعلى الرغم من تجاوب خاص لدى اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية في كل ما يعود لاسيا وافريقيا ... فان بعض اعضاء هذه الكتلة يبقون في اكثر القضايا التي تتعلق مباشرة بنظام المعسكرين الشرقي والغربي الى جانب الدول الغربية كالفيلبين وتركيا والباكستان والتايلاند .

واليابان ما زالت في سياستها اقرب الى الولايات المتحدة ، وسيلان والهند والباكستان دول ما زالت في مجموعة الكومونولث البريطاني ولاوس ما زالت تنظر الى فرنسا في سياستها الخارجية ...

ان هذا التناقض الداخلي في الكتلة الاسيوية الافريقية قد جعل بعض الاوساط الغربية تتأمل بعض التصدع في هذه القوة النامية ... وفي مناقشة القضية الهنغارية في هيئة الامم وجدنا انقساما واضحا في اتجاهات الكتلة . فلقد صوت اكثر من نصف اعضاء الكتلة الاسيوية الافريقية الى جانب المعسكر الغربي في استنكار التدخل الروسي .

ويرى المستر هاملتون المختص بشؤون هيئة الامم في صحيفة النيويورك تايمس ان « الخلافات الداخلية التي تكمن في الكتلة الاسيوية الافريقية تفسر عجز الكتلة عن تقديم برامج ايجابية واضحة ومقبولة حين تناقش هيئة الامم القضايا ذات الطابع الغير استعماري ... اذ ان تاريخ الغرب الاستعماري في افريقيا واسيا هو الرابطة التي تقوم عليها الكتلة الاسيوية الافريقية .

ويبدو لنا بوضوح بعض اشكال التفكك في هذه الكتلة اذا ما عدنا الى موقفها في قضية قبول الصين الشعبية في هيئة الامم .

وحتى الان ... لم يعترف بالصين الشعبية سوى ثمانية وعشرين دولة من اعضاء هيئة الامم وهذا ما يجعل امر قبولها صعبا ... ما دامت الولايات المتحدة تعارض في ذلك .

فاصوات امريكا اللاتينية التي توجهها الولايات المتحدة واصوات دول حلف الاطلسي كافية لمنع قبول الصين الشعبية وان حصلت هذه على تأييد الكتلة الاسيوية الافريقية والكتلة السوفياتية .

ففي الشروط الحالية ، ليس من اهمية قصوى للكتلة الاسيوية الافريقية في فرض قبول الصين الشعبية على العكس فان هذه الكتلة تحمل الى الموضوع بعض الضعف ما دامت بعض الدول الاسيوية تعارض في هذا القبول .

وباية حال فان الممانعة في دخول الصين الشعبية هيئة الامم ، تدبير دبلوماسي امريكي يزداد الاشمئزاز منه في المنظمة العالمية باستمرار . وفي كل عام يحاول فيه الاتحاد السوفياتي عرض القضية ، نلاحظ ان الاصوات التي ترتفع لتؤيد قبول الصين الشعبية تزداد بتتابع وقد لا يأتي العام المقبل الا وتحتل الصين الشعبية مقعدها في مجلس الامن وفي هيئة الامم وعندها تجابه الولايات المتحدة على الصعيد الدولي العالمي اشتدادا في مقاومة سياستها وايحاءاتها التقليدية في اروقة الندوة العالمية .

ويرى بعض الاوساط الديبلوماسية المطلعة ان الهند خاطئة في الدعوة بالحاح لقبول الصين الشعبية اذ انه على حد زعمها ، ستحتل الجمهورية الصينية الزعامة المعنوية والمادية للكتلة الاسيوية الافريقية بدل الهند التي تحمل الصدارة الان في الكتلة المذكورة ... ولعل الخطأ يكتنف هذا الراي اذا علمنا ان حياد الهند بالنسبة للمعسكرين هو الاصل في مركزها الدولي الهام في حين ان الصين الشعبية

دولة غير حيادية تعود الى المعسكر الشرقي وهو ما يجعلها بعيدة عن الدور الذي تقوم به الهند .

عناصر القوة وعناصر الضعف في الكتلة

تطوى الكتلة الاسيوية الافريقية في جوانبها عناصر قوة وعناصر ضعف. . . والقوة فيها ان لا بد من الاعتماد على اصواتها في هيئة الامم لتقرير كافة المشاريع، والضعف فيها ان اصواتها لا تكفي لانهاء اي بحث تريده ، ولا بد لها من التحالف مع الكتل الاخرى لادراك اي نجاح . ودور الولايات المتحدة في اظهار هذه القوة ذو اهمية خاصة اذ ان تأييد الولايات المتحدة لما تريده الكتلة الاسيوية الافريقية يعني تأييد بعض دول امريكا اللاتينية وبعض دول حلف الاطلسي وهو ما يكفي لنجاح اي مشروع او اقتراح تتقدم به الكتلة الاسيوية الافريقية . . . واذا ما تراجعت الولايات المتحدة عن هذا التأييد ، لا تتمكن الكتلة الاسيوية الافريقية من احراز اي نصر ديبلوماسي اذا لم تلق دعما ما لا يقل عن عشر دول من الكتل الاخرى التابعة للمعسكر الغربي . . . على انه بأية حال ، باستطاعة الكتلة الاسيوية الافريقية عرقلة قبول ما لا تريده ان يقع .

وقد قدمت اعمال هيئة الامم في السنوات الست الاخيرة التي رافقت نشوء وتطور الكتلة الاسيوية الافريقية الكثير من المشاكل الدولية وارتبطت هذه القضايا العالمية بالكثير من اتجاهات الكتلة الاسيوية الافريقية .

اعمال الكتلة في هيئة الامم

لقد بدات الكتلة الاسيوية الافريقية اعمالها من خلال عرض قضيتي تونس ومراكش على هيئة الامم في عام ١٩٥١ وكان بحث القضيتين في كل دورة من دورات الهيئة يكسب المزيد من التوصيات والتوجيهات التي تريدها الكتلة القوية، حتى تم ان اذعنت فرنسا امام واقع الامر ونالت تونس ومراكش استقلالهما عام ١٩٥٦ وفقا لارادة الكتلة الاسيوية الافريقية .

اما في القضية الفلسطينية ، فلقد توفق العرب منذ قيام الكتلة الاسيوية الافريقية الى منع اصدار اي قرار او توصية لا يقع في صالح القضية العربية في فلسطين . . ولو ان الكتلة هذه قد وجدت في عام ١٩٤٧ لما صدر قرار التقسيم اصلا ولبقيت فلسطين في وضع سياسي احسن مما هي عليه الان بكثير وفي دورة عام ١٩٥٢ قدم الفيلبين خدمة مثلى للدول العربية من خلال لعبته البارعة التي قام بها في الجلسة العامة لهيئة الامم حينما اراد انصار اسرائيل التصديق على قرار يتضمن تجاهل كافة التوصيات السابقة الخاصة بفلسطين فلقد اتاح قرار قدمه الفيلبين احد اعضاء الكتلة ورفضه انصار اسرائيل ان يبعد التصديق على اي قرار يذهب بالمشاريع الخاصة بالتعويضات واللاجئين واستطاع مندوب الفيلبين ان يبرهن ان اسرائيل غير صادقة النية في كافة وجوه القضية وهذا ما دعا بعض الدول الحيادية لتغيير موقفها والتصويت الى جانب الدول العربية

وتبين لنا قوة الكتلة الاسيوية الافريقية اثناء مناقشة قضية العدوان المثلث على مصر واستطعنا ان نستخلص ان للكتلة المذكورة كل السلطة في دعم مشيئتها وارادتها وقد فرضت الحلول على دول العدوان المثلث على مصر وكانت في كل مرة تتقدم فيها بمشروع قرار . . . تلقى اجماعا من الدول الاعضاء على تأييدها وكانت قضية القنال اهم ما صادفته الكتلة الاسيوية الافريقية من قضايا عالمية واستطاعت ان تثبت ان لها الدور الاول في توجيه اعمال الهيئة وفق مبادىء العدل والانصاف .

واختلف الوضع كثيرا ابان عرض القضية الهنغارية ورأينا عناصر التناقض والضعف واضحة في صفوف الكتلة الاسيوية الافريقية خلال مناقشة التدخل الروسي في هنغاريا . . . وانقسمت الكتلة المذكورة في قسم يتألف من احدى عشرة دولة رأى الحياد افضل اتجاه في هذا النزاع فامتنع عن التصويت على كافة القرارات التي تتعلق بالموضوع ومن هذا القسم الهند ومصر وبعض البلاد العربية .

وقسم ثان لم يتردد ان يظهر عداءه للاتحاد السوفياتي في مناسبات عديدة ، وقد صوت مؤيدا لقرار استنكار التدخل الروسي ومن هذا القسم بورما وسيلان وهما دولتان اوضحتا في مناسبات عديدة حيادهما بين المعسكرين كما امتنع عن تأييد الاتحاد السوفياتي في سياسته في هنغاريا العدد الاكبر من دول الكتلة الاسيوية الافريقية .

واذا كانت بعض دول الكتلة الاسيوية الافريقية تعلن قبولها لسياسة الكتلة الغربية واتجاهات السياسة الاميركية كالباكستان والفيلبين ، فان البعض الاخر يميل الى مسالمة روسيا والابتعاد عن اغضابها بل السعي نحو كسب صداقتها كافغانستان مثلا .

وفي بحث قضية قبرص والجزائر في الدورة الاخيرة لهيئة الامم ، تجلى لنا قوة وضعف الكتلة الاسيوية الافريقية في آن واحد ، ففي الوقت الذي تمكنت فيه الكتلة من رد مشروع افرنسي بريطاني، فانها لم تتمكن من فرض مشروعها الخاص مما دعاها الى تقديم مشروع شكلي غامض لا يحمل بريطانيا وفرنسا اي الزام الا ان بحث المشكلة الجزائرية قد شمل كافة نواحي الموضوع على الرغم من ان فرنسا قد عارضت مثل هذا البحث بحجة انه ليس من اختصاص المنظمة العالمية . ولئن ربحت الجزائر قرارا توجيهيا بسيطا ليس له اي مفعول عملي فان توارد البحث في كل عام لا بد وان يؤدي الى نتيجة عملية مفيدة للجزائر على نحو ما تم من خلال بحث قضية مراكش وتونس .

وكان المظهر الاخير لصلابة موقف الكتلة الاسيوية هو نجاحها في فرض انسحاب اسرائيل من غزة وخليج العقبة وتهديدها المنظم بالمصادقة على قرار يفرض العقوبات الاقتصادية على اسرائيل . . . وعلى الرغم من ان بعض الاحراج السياسي للولايات المتحدة قد لازم هذا التهديد فان الكتلة كانت قادرة على بحث مشروع العقوبات وتصديقه وكان شعور اسرائيل بنجاح الكتلة الاسيوية الافريقية المرتقب سببا دفعها على الرغم منها لان توافق على توصيات الهيئة العامة وتنسحب من قطاع غزة ومن خليج العقبة .

وهكذا نرى ان قوة الكتلة الاسيوية الافريقية تظهر

جلية في بحث شتى القضايا التي تخص الاستعمار ومفهوم الاستعمار وان ضعف الكتلة الاسيوية الافريقية يظهر جليا في بحثشتى القضايا التي تخصخلاف المعسكرين الكبيرين والتي تتعرض للمذاهب الاجتماعية والمبادىء السياسية .

دور الكـتلة في السياسة الدوليـة

من هذا العرض التحليلي الواسع ندرك الدور الدولي الذي تختص به الكتلة الاسيوية الافريقية في هيئة الامم والعالم ... والكتلة التي تضم اكثر شعوب الارض قد شقت طريقها للحياة بصعوبة ... وكان كلما اتسع دورها العالمي في طورها الاول ... اشتدت مقاومة الكتلة الغربية والكتلة الشرقية لها وفي المرحلة الاولى لتكونها ... خشيها المعسكر الغربي وخشي اتساع نفوذها ... واضطرب لها المعسكر الشرقي وتصورها اداة للاستعمار الغربي في العهد الستاليني ...

وكانت الفعالية التي قدمتها الكتلة الاسيوية الافريقية في مجال السياسة العالمية خلال السنتين الاولى والثانية من حياتها ... صورة هزيلة لمواود جديد يشق لنفسه الحياة بصعوبة امام تيارين متعاكسين وراءه ولكن متفقين على مزاحمته وتبديد حياته في وقت مبكر ... وكانت الاحلاف الغربية الاسيوية : حلف بغداد وحلف شرقي جنوبي آسيا ، ولم تمنع هذه الاحلاف نمو واتساع نفوذ الكتلة الاسيوية الافريقية .

وعلى الرغم من قوة المعاكسة في بدء نشوءها فلقد بدات الكتلتان العالميتان ترسمان الخطط وتضعان المشاريع الدولية تبعا لمفهوم اسيوي جديد وذلك منذ عام ١٩٥٣ .

وكان ان اتضح للمعسكر السوفياتي ان الكتلةالاسيوية الافريقية لا تعمل بوحي الدول الاستعمارية كما خيل له في بادىء الامر.بل انها كتلة تسعى ان تثبت حيادها امام خلاف المعسكرين وان تثبت نفوذها امام شطط الدول الاستعمارية وعندها توقفت الكتلة السوفياتية عن معاكسة نموها ووجدنا منسياسة الاتحاد السوفياتي في السنوات الاخيرة ما يساعدعلى توطيد دعائم الكتلة الاسيويةالافريقية في مجال السياسة العالمية ، وكان ذلك بعد وفاة ستالين وبعد التحول المعروف في التكتيك الروسي في مضمار السياسة العالمية .

اما الولايات المتحدة الاميريكية فقد توقفت عنمعاكسة نشوء ونمو الكتلة الاسيوية الافريقية منذ عام ١٩٥٤ حين ادركت انه تطور دولي لا بد منه وعندها سعت كثيرا ان تنفذ الى سياسة الكتلة . ومن طرف اخر فقد سعت الى مؤاخاتها ومجاراتها في كثير من القضايا الدولية وعلى الاخص في قضية قنال السويس وانسحاب اسرائيل من قطاع غزة وخليج العقبة .

واهم ما يمكن ان نستخلصه من اهمية الكتلةالاسيوية الافريقية في مجال الاندية الدولية وفي مجال السياسة العالمية ان نجاحها في اصدار قرارات وقف القتال فيمنطقة القنال وسيناء ثم قرارات الانسحاب من القنال وغزةوخليج العقبة يعني انه بامكان مجموعة الدول الصغرى وبالتالي بامكان هيئة الامم المتحدة ان تفرض ارادتها على الدول الكبرى في العالم .

حاول غربيـة للحد من اهمية الكتلة

امام هذه القوة المتزايدة التي انفردت بها الكتلة الاسيوية الافريقية وامام افلات هيئةالامم المتحدة من التوجيه الاميركي التقليدي الذي عرفناه في الخمس السنين الاول للمنظمة العالمية ... تزداد المحاولات الان لتغيير النظام الداخلي للندوة العالمية ولتعديل قانون التصويت الحالي الذي يجعل صوت ليبريا مثلا يعادل في فعاليته صوت الولايات المتحدة او صوت الاتحاد السوفياتي ... وقد اتضح من معالجة مشاكل الشرق الاوسط اخيرا في هيئة الامم ان نظام التصويت الحالي قد قضى على نفوذ الدول الكبرى في المنظمة ونقل هذا النفوذ الى الكتل المختلفة في المنظمة ... فبعد ان كان الاتجاه الاول يحدو نحو الدول الكبرى وهم خمس اصبح الاتجاه عمليا يحدو نحو الكتل الكبرى في الهيئة وهم خمس ايضا الكتلةالاسيويةالافريقية وهي اهم الكتل ، الكتلة الاميركية وعلى راسها الولايات المتحدة ، الكتلة الشيوعية وعلى راسها الاتحاد السوفياتي ، كتلة اوروبا الغربية وهي كتلة حلف الاطلسي واخيرا الكتلة الاسكندنافية التي تنتقل باصواتها من مجموعة الى اخرى وفق التيارات السياسية الخاصة .

وقد اعلنت الدوائر الرسمية البريطانية ان نظام التصويت حاليا في الهيئة العامة لمنظمة الامم هو غير واقعي وغير حقيقي لانه على حد زعمها لا يعكس توزع القوى والمسؤوليات في العالم ...

وكان المستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة قد وضع كتابا في عام ١٩٥٠ تحت عنوان (حرب او سلام) تناول فيه شتى مواضيع الساعة في حقل السياسة العالمية ، وقد اعيد طبع الكتاب في هذا العام بعدة لغات فكتب المستر دالاس مقدمة جديدة للطبعة الجديدة وفيها اشار الوزير الاميريكي باسهاب الى اقتراح له بدعوة خاصة لهيئة الامم المتحدة ، تناقش فيها ميثاقها بحيث تصبح المنظمة اكثر فعالية في خدمة السلام العالمي .

وقد ذكر المستر دالاس قارئيه ، انه في عام ١٩٥٠ كان قد دعى الى نظام تصويت يتناسب مع اهمية الدول الاعضاء ... وقد راى ان دعوته قد زادت اهمية بعد ان ازداد عدد الاعضاء واتضح ــ على حد قوله ــ « عدمملائمة وسائل التصويت في الهيئة العامة وفي مجلس الامن »

الا ان المستر دالاس لم يوضح في مقدمة كتابه الحل الذي يرتأيه للمشكلة التي يعتقد انها موجودة وهي ان الصوت الواحد للدولة الكبيرة لا يتناسب مع نفوذها ومسؤولياتها بل يريد لها اكثر من صوت .

هذه هي الحقيقة الدولية التي تقدمها الكتلة الاسيوية الافريقية في المضمار العالمي وعلى الرغم من ان قوتها المادية اذا ما قورنت بالكتلة الغربية او الكتلة الشرقية لا تساوي شيئا كثيرا الا ان قوتها المعنوية والادبية قد فرضت على المعسكرين الاهتمام والاحترام ... ولم يتنفس العالم الصعداء من حمى الحرب الباردة الا حين انطلقت الكتلة الاسيوية الافريقية في المجال الدولي تتوسط صراع الكتلتين العالميتين الكبيرتين ... وكان موقفها الوسط بمثابة عازل يمنع الاحتكاك وبالتالي يحول دون الحرب .

دمشق — منذر الدقاق

مـوتي

اذا شئتِ ان تأتي الى عاشق احضاني

مُـوتي

فيسقط القلم من يدي ويهتز كياني

ويستسلم ريشي الى الريح

قولي لي : اموت ان فعلت كذا

فأفعل ما لا يكون في بالكِ واموت عنكِ •

ذكريني بأنك ستموتين غداً •

لا بل ذكريني بأنك ستذهبين بعيدا عن وحدتي

فأحفر من تحت قدميك الارض بجبهتي

واعلمك كيف يمكنني الانحدار الى النهاية

حتى يعود اليك الفرح •••

في الموت نهاية الحكايات

نهاية كل حكاية هو الموت ،

وانت حكاياتي

وعلى الموت ان يذهب من مرجنا

فحكاياتنا ننسجها فيه

وما دام ذكر الموت على لسانك فلسانك سيدي

وانا عبد ينحني ظهري حتى الموت

فـلا اشعر

لان الموت الذي على شفاهك هو الموت ،

ولا موت الاه

قولي لي بل لتقل في الصمت لي عيناك: سننطفىء

فالهب امامنا الجبال كلها لتأخذي من نارها النور

وقولي لي : في ليلة باردة ارحل عنك

فتستوحش وحدك ويلفك الخوف وينهشك الاسى

فأحملك عن هذه الارض الى ما ينسيك الامك

واصنع لك من خنوعي مركبة في الريح •

ابعدي عنك رائحة الموت فابعد عنك

انسي الحاج

قصة سورية

الغريب

بقلم علي بدور

ooo

احس بنفسه انه في ساحة مزدحمة بالناس .. السينما توشك ان تطفىء انوارها لحفلة الصباح ، وروادها في زحمة لا تصور ، والفتيات الجميلات يرفلن في ثيابهن التي تكشف المفاتن وتخفي العيوب ، وبائع الصحف ينادي باعلى صوته عن أجد الاخبار واروعها ، وفي الزاوية اليمنى من الساحة المربعة تجمع خلق كثير ، امام دكان يبيع الدخان والبوظا والكوكا كولا والملحات والمشروبات وكذلك المجلات والكتب !!

وسدد خطاه نحو الدكان ، لشراء مجلة .. اية مجلة . كان يشعر بوطأة الجو الصاخب ، وبالضجيج فيكاد يصهره ، فاراد ان ينفلت من عقال الزحام الى الطرق المقفرة من الناس ، يقلب صفحات المجلة ، يقرأ خبرا هنا .. ويتأمل صورة هناك، ويضحك للنكتة في الصفحات التي يتوزعها الاعلان ! !

اخذ المجلة .. وصعد بضع درجات مؤدية الى شارع ثانوي ومشى في الظل مشيا وئيدا .. فشاقه بحث طريف [كيف تعيش مرفها بدون دراهم ؟] فانهمك في قراءته بنهم ..

كان يحمل محفظة جلدية سوداء فيها بعض الكتب وكذلك عدة ساندويشات وقميص خارجي جديد وفردة حذاء قد جالت فيها ابرة مصلح الاحذية ، جولات موفقة .

انه في مدينة يراها لاول مرة . هكذا خيل اليه . هو قد شاهد مدنا عديدة ، واستطاع ان يحكم على ان الناس هم الناس في كل مكان .. الشوارع .. دور اللهو .. الرجال والنساء ، طابع واحد يطبعهم جميعا حتى لكأن الحضارة التي هبت ريحها منذ قرن او قرنين ، قد شملت اكثر بقاع العالم ، فقد تختلف الشوارع ضيقا او اتساعا والعمارات ارتفاعا او ضخامة انما روح العصر تسري في كل ما تسرى به الارواح .

حاول ان يتذكر متى حمل الحقيبة واشترى المجلة ؟ فلم يتذكر قط .. غير مهم ان يتذكر المرء متى ابتدأ ، ما دام لا يعرف بالضبط متى ينتهي .. انه انسان ما دام يستطيع ان يعي اللحظة التي هو فيها . انه يعلم قطعا انه في بلد ليس بلده . هناك يعرف وجوههم ويعرف اكثر نسائهم ... وفتياتهم ، وشوارع بلدته لا تشبه هذه الشوارع بحال من حيث النظافة والاستقامة والاتساع ، لعله غريب اذن ؟ هذا ممكن !

شاقته في المجلة ، صورة فتاةعلى الشاطىء تتشمس ، وتنظر الى البحر ، نظرة مبتسمة ، فتوقف لعله يستطيع ان يشاركها سرورها فكاد يحس ان قدميه توشكان ان تبتلا بالماء .. وشعر بحرارة الرمل الناعم .. وتعالى من حوله همس لا حد له، وحلقت فوق رأسه نجوى تريد ان تبل حواسها بماء البحر لتزداد ظمأ ، ولكنه في هذه اللحظة التي فاضت فيها نفسه ، حبورا ، انتابته هزة لم تلبث ان اشعرته بالتعب فخيل اليه ان الطريق طويل ، ومن ثم فهو لا يدري الى اين سيذهب ، فرفع رأسه عن المجلة ، واجال ببصره فيما حوله، فابصر درجا عاليا خارج بناية متوسطة الحال ، وحرك الظل في اقصى الدرج مرحه العميق ، فجذبته الدرجات اليها حتى انتهى في اخرها ، فوضع حقيبته بجانبه ... ومدد رجليه .. واسند ظهره الى الجدار .. وخيل اليه انه استراح ...

ولكن من يقطن هنا ؟ انه لن يعرفهم بحال .. واجال الطرف في مظاهر البناء فخيل اليه انها عائلة على ما يعتقد .. حيث تتعالى صيحات امراة عجوز ، وفتاة شابة ، وثياب حمام تغطي حبل الغسل ، وكذلك فقد شم رائحة زيت تتصاعد من نافذة المطبخ .. ورأى طبقا قد عرض للشمس ممتلئا بشرائح الكوسا ، المنتظرة دورها ، لتغوص في الزيت حتى اذانها .

واتته افكار قلقة ، مضطربة .. ماذا يعمل هنا ؟ لم لا يذهب ؟ وهذه المجلة كيف تلهيه عن اتمام طريقه ، ونظر في الحقيبة فتأمل الحذاء والقيمص والكتب والساندويش وساءل نفسه ، امسافر هو ام عائد ؟ وبينما كان يتناول سندويشة ويعد نفسه لاستماع الجواب ، فتح باب المنزل ، وملأته امراة بدينة في الاربعين من عمرها .. كل جمالها قد التقى في وجهها ، وفي عينيها بالذات . انها ترحب به ترحيبا حارا ولكنه لا يعرفها . حاول ان يتذكر اين لقيها .. فاخفق لقد عصر ذاكرته عصرا ، فلم تستجب اليه . انها اذن امراة ترحب بشاب تلقاه لاول مرة .. ولكنها حدثته عن صديقه بشير الذي يدرس الرسم في باريس .. يا له من انسان مخلص .. وسألها عن سبب معرفتها به .. فأجابته :

— لقد مكث عندي اسبوعا قبل ان يسافر .. ولا تزال رسائله ترد !!

وعاود مرة ثانية ، ملامسة هذا الخيط الدقيق الذي ربطه بصديقه المسافر وبنزوله عندها، وبمعرفتها به ، فلم يستطع تلمسه ، وان كان قد اطمأن بعض الشيء ونظر اليها ببلاهة كانه طفل بينما كانت تدعوه الى المنزل ، مفسحة له المكان ، مرحبة به، مسمعة اياه ما رق وعذب من الكلام الجميل ، الذي يوحي لسامعه بان متكلمه قد اتقن مهنته ! !

في الممر الضيق ، توقف لحظة ، واستبدل سترته بمنامة صيفية كانت معلقة ودلف الى الداخل ، خلفها، بخطى مسرعة ، فادخلته غرفة فيها سريران .. وفي ابان دخوله الغرفة وبينما كان يلقي نظرة فاحصة ، خطر له ان يعود الى الممر ، ليضع حافظة نقوده في جيب المنامة ولكنه خجل ، والهاه الترحيب الحار واسكرته عبارات التودد ، وزاده ذلك الوجه الجميل وهاتان العينان الملهمتان ، ذهولا عن واقعه .

كان في ركن من الغرفة فتاة ، تستعد للدخول الى الحمام ، حيث كان ثوب الحمام ذو القلنسوة يغطي مفاتنها ، ان كان ثمة مفاتن . اما وجهها فقد كان دون الوسط انها قد تلقى انسانا يتزوجها . ولكن عليها

ان تنتظر صابرة دون برم !

واندس تحت لحاف رقيق ، فانتابته قشعريرة باردة اوشكت ان تكون منتظمة ، ولكن المراة البدينة ذات الوجه المفرط في الجمال ، صرفتها عنه ، واخذت تحدثه احاديث لا معنى لها ، لم يفهم منها كلمة واحدة .. لم يعها .. وكانت احاديثهاتترى بينما كان يستنشق الخوف بل ويكاد يسمعه ، مضافا اليه ذلك الهواء المحصور الفاسد ، وزادته خوفا عبارة وردت على لسانها ، في سياق الحديث ، عن زوجها الشرس الذي يغتسل في الحمام وعن طباعهالغريبة في لقاء الضيوف والاعتداء عليهم في بعض الاحيان :

ـ انه وحش . وحش مفترس !

ـ الى هذا الحد ؟

ـ بل واكثر .. ولكن سوف اعمل المستحيل ، لئلا يدخل هذه الغرفة فيراك !!

اراد ان يغادر الغرفة مسرعا الى البهو ، حيث يختطف سترته وحقيبته ويهرب ، انه في بيت غريب .. الصوص هم ام انهم باعة مسرات ؟ تبا له اذن من مغفل .. كيف يدخل منزلا لا يعرف اهله ؟ وما صنعتهم ؟ ما هي اسرارهم ؟ وما هي نظرة الذين يعرفونهم تلك التي يلقونها على المنزل كلما مروا وابصروا الدرج الطويل المؤدي الى حيث يسجن هو الان رغما عنه ؟ !

خيل اليه ان الحبل يضيق حول عنقه شيئا فشيئا . ان زوجها الشرس سوف يدخل اخر الامر ، وقد يدخل بعد قليل استجابةلدعوتها اياه ليبطش به .. وعندها من يعرف انه هنا ؟ صديقه في باريس ؟ ولكنه قد لا يعود بعد ثلاثة اعوام اخرى ، وهل من الضروري ان يعود توا الى هنا ، فيمكث اسبوعا اخر كي يسالها عنه ؟ هذا مستحيل ! ايخبرونه هم اذن بصديقه الذي عرفه ؟ غيرمعقول ان يورطوا انفسهم فيما لا يفيدهم ، بل فيما يضر بهم ابلغ الضرر . سوف يقتلونه وسياخذون امواله واغراضه ، وعندها من يدرك من المارة الذين يعبرون الشارع الهادىء ان جريمة قتل تحدث .. او قد حدثت في هذا المنزل الوادع ذلك الذي تنطق ملامحه بالرتابة والهدوء، مضافا اليها ثياب الحمام التي ملات حبل الغسيل .. ورائحة الزيت التي تنطلق من نافذة المطبخ ، وشرائح الكوسى التي تتشمس في دعة ؟ لا احد يظن اطلاقا .. لا احد يظن !!

ومن النافذة المطلة على الصالون الصغير ، شاهد رجلا ضخما اسود او مائلا الى السواد ، واضخم ما فيه هذا الراس المخيف !! لقد خرج من الحمام اذن ؟ بلى .. واخذ يدور في ارجاء الصالون كالدب وبينما كان الرجل المخيف يحدق في النافذة المشرفة على غرفة النوم ، كان هو يندس تحت اللحاف ويحاول ان يذوب ، حتى يخيل للمتامل من الفراش انه فارغ وليس فيه احد .

قامت المراة الماكرة ، تحاول فيما يبدر منها ، ان ترد عنه نظراتزوجها على ما يعتقد .. وحدثته حديثا قصيرا لا معنى له ، بالقياس اليه ، لعل زوجها قد فهم كفايته .. ولكن هو لم يبق فيه ملكة للفهم .. لقد ذهب الخوف بتوازنه وبفكره فظن انه هالك لا محالة .

عادت المراة البدينة الى جلستها المعتادة على حافة النافذة المطلة على الشارع تحدثه برقة ولين ، وتفيده ان زوجها على وشك الخروج .. ها هو يستعد ، كانت عيناها تحدقان في الصالون ، وترصدان كل مايجري فيه ، وكان فمها يصف التطورات اولا بأول .

ـ لقد خلع ثيابه البيتية بعد ان لبسها اثر استغنائه عن ثوب الحمام .. وها هوذا يرتدي قميصه .. و.. و.

وتذكر قميصه في الحقيبة ، وسترته المعلقة في الممر ، فخاف من ان يراها هذا الدب الكبير فيمزقها فوق راسه .. ام انه من الغفلة بحيث لا تلفت انتباهه بحكم العادة ؟ ان ذلك محتمل ، وعاودته اطياف نقوده التي ضمتها الحافظة وتمنى لو انها معه ولكن ماذا ستفيده فقد يموت توا ؟ لا بأس .. سيتقبل الموت راضيا ، شريطة ان يموت فتكفنه دراهمه .. ولكن تلك البدينة سوف لا يهتم بها .. سياخذها في طريقه ، وهي بعد ، لعلها قد جلست قبالته في النافذة لتسد عليه طريق النجاة ! ولكنه نفض عن مخيلته هذه الخواطر جميعا ، اذ انى له ان يهرب ، وحركته مشلولة بل ومعدومة ؟ !

ها هي ذي الفتاة تخرج من الحمام وتملا الغرفة برائحة النظافة . كان وجهها ورديا .. ليته يدوم كذلك ، انها ستكون جميلة وستتزوج بسرعة حاول ان يسالها بادب جم ، ان تحضر له حافظة نقوده .. ولكنه تراجع .. الا يعتقدون انه يسيء الظن بهم ؟ ثم من يستطيع ان يقنعه انهم يتربصون به الفرص ليبطشوا به ؟ ولم يستطع ان يتبين الى اي حد تكون فيه هذه التصرفات التي ينتوي اتيانها مع الفتاة ، مرادفة تماما ، لقلة الذوق وسوء التصرف ؟

سال الفتاة ان تحضر له حافظة النقود من جيب بنطاله الخلفي ، حيث فيها صورة وصلته حديثا من صديقه الذي يدرس فن الرسم في باريس .. ايلعن صديقه الى الابد ؟ لعلهيستحق اللعنة في الحال ! انه اولاه .. ولولا انه سمع اسمه يتردد على شفتي الام ، لما دخل هذا المنزل قط .. كان يستطيع برغم الحاحها ان ينتحل الاعذار ، وينزل الدرجات بخطى قليلة .. ولكن معرفة هذه الماكرة لزميله ، جعلته يانس بها ، ويعتقد انها على الرغم من الاعوام التي على كتفيها ، فان وجهها جميل ، وان عينيها جذابتان . وقد خيل اليه ان الفتاة قد استجابت له .. فخرجت من الغرفة وانعطفت نحو البهو .. ولكنها لم تعد .. لقد دخل هو بدلا منها ، براسه الضخم وبجثته العريضة المخيفة .. وسدد نحوه الابصار ! !

كل ما يذكره ، ان الرجل اخذ يعوي كالذئب ويدق الارض برجليه كدب مخيف قد هاج .. بينما كانت الماكرة ذات الوجه الثعلبي ، تعاونه في الصراخ والدبيب .. اهي معه ام عليه ؟ انه لا يدري بالضبط !! وانتظر عودة الفتاة برغم كل شيء .. ولكنها لم تعد .. لعلها قد ظلت في المطبخ تراقب الخادم التي انهمكت في قلي شراح الكوسا .. بينما ساعة المدينة تدق دقاتها الاثنتي عشرة ظهرا ! !

حلب — علي بدور

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ميـزان النقـد

بقلـم سيمـونز

الحركة الرومانسية في الشعر الانكليزي

ترجمـة يوسف عبد المسيـح ثروة

ooo

يعرف كوليردج النثر بقوله : « انه كلمـات متسقة فـي نظام حسن »اما الشعر فيقول عنه « هو كلمـات منتقاة في أحسن نظام » . ومع ذلك نرانا بحاجـة الـى تبرير الاسباب الموجبة لمثل هذا التصنيف . وفي ظني ان الايقاع الموسيقي وحده ، في صورته المستمرة ، هو الذي يميز الشعر عن النثر . ومن اراء كورثو ، استاذ الشعـر في اكسفورد ، ان ابيات مارلو التي تتناول البحر ومايطفو عليه من سفن تلوح كالاعلام ، لا بد لها ان تختلف ــ فـي مادتها ــ عن الشعر . اذ من المؤكد ان مارلو استطاع وصف ما يريد وصفه بالاستناد الى جرأته السامية ، وابتعاده عن حدود اللغة الاعتيادية ، وذلك من طريق استعارته ، التي تنسجم بالحركة الجمالية المنبعثة من الايقاع والوزن. ولكننا يمكن ان نرد على هذا القول بما يفعله كل كاتب من كتـاب النثر الرفيع ، من اضراب ملتن أو رسكن ، ففي وسع اي من هؤلاء ان يقول نثرا ما قاله مارلو شعرا ، مع الاحتفاظ بجمال هذا النثر وروعته ، فثمة خيال ، وفكرة ، واطار بديع ، اما الشيء الوحيد الذي نظل مفتقرين اشدالافتقار اليه فهو ذلك الكيان الرائع ، واعني الكيان الشعري ، الذي هو ــ في الاصل ــ مادة شعرية تختلف عن الشعر فـي الصورة ، ولكنها تصبح الشعر نفسه بتأثير حاسم يفرضه عليها الايقاع الموسيقي .

وحين يعلن وردزورث عن رأيه في مقدمة (القصائد الغنائية) بقوله: « انه ليس من فرق جوهري بين لغة النثر والقصيد الموزون » يكون قد اصاب كبد الحقيقة ، ولـكن الامر خلاف ذلك بالقياس الى كوليردج ، فهو مخطىء ابلغ الخطأ عندما يقول : « انا اكتب بلغة الوزن ، لانـي احاول استخدام لغة على طرفي نقيض من لغة النثر .» وعند هذا الحد ينسى الكاتبان المضمون الشعري ، الذي اذا تيسـر وجوده ، ضاقت الشقة بين النثر والشعر ، وغدا الانسجام بينهما وشيك الوقوع ، سهل الاتمام . ولما نرى تفضيـل كوليردج لقصة (اليس فيل) النثرية ، وصواب مذهبه ، وجودة نقده ، ندرك بيسر ما يعنيه من نقده للانشـاء (الموزون) وتتضح لنا التخوم الفاصلة بين مملكتي النثر والشعر

ولا شك ان في بعض النثر شيئا مـن الايقاع ، اذا اجيدت صناعته ، ولكن هذا لا يعني انه كامن فيه ، واذا ما وجد مثل هذا الايقاع ، فهو اقل تماسكا وتناسقا مما هو في الشعر ، ولذا فهو غير مقيد بالحدود الشكلية ، وهذا يشبه الاصوات المختلفة المعبـرة عن جملة معينة يـراد ترديدها في وقت من الاوقات . وعلى هذا فالنثر فـي مرحلته البدائية ، لا يعدو كونه كلاما مسجلا ، وكما يمكن لاحدنا ان يتكلم نثرا طوال حياته من غير ان يعرف ذلك ، كذلك يصح القول بان شكل الشعر المدرك من قبلنا، كان له اصله القديم (واعني بذلك الكلام المقيد بالقوانين الشعرية ، من حيث هو جزء لا ينفصم عن الموسيقى) . ولا بد من مرور مرحلة معينة من الحضارة، حتى يكون في الامكان الاحتفاظ ببعض الخطب في بطون الطروس . ومن هنا فان الشعر كان له حظه الوافر من حيث استظهاره ، بعكس النثـر ، ويعود السبب في ذلك الى ترديده ، وسهولة حفظه ، وهذا ما جعل كل ما له قيمة جمالية (كالاغاني والمدائح) او مـا له قيمة نفعية (كالقوانين) يكتب شعرا ويستظهر على هذا الاساس . وقد يكون للشعر دوره في التنبوء بعصر الكتابة، في حين ان هذا الدور لا يكاد يبدو ظاهر الاثر بالنسبة الى النثر . ولا يزال الشاهد على ذلك قائما الى يومنا هذا كانه وثيقة مكتوبة تدل على تجسد هذه الحقيقة .

اما الايقاع الشعري ، ذلك الايقاع الذي يميز بـين الشعر والنثر ، فلا يزال مجهـول الاصل ، على وجـه التحقيق . واما الشعور بالجرس الرتيب ، فكامن فـي طبيعتنا ، ولو انه لا يدل على ما يعرف بالقافية ، وهذا امر ممكن ملاحظته دائما في اغاني الاطفال ، والحركات التـي يقومون بها حين يلعبون ، والظاهر ان اللذة التي نستخلصها من النبضات الشعرية مستخفية في افعالنا الفطرية ، وهذا ما نجده في حساسية الاطفال الموسيقية ، ومصداق ذلك ما تفعله المهود والترانيم في تهدئة خواطرهم واضطرابهم ، ولكن النثر لا يحتمل تبعة هذا الارث العظيم من الحساسية، فيما يبدو عليه ، بسبب طبيعته وفطرته الخاصتين به ، ومن هنا ينفصل وجوده عن الشعر ، فيصبح كيانا اعتباطيا

وعلى هذا يصح لنا القول بان اصل النثر ، لا علاقـة له بالفن ، وهو لم يكن يوما ما فنا ولن يكونه في المستقبل ، كما هي الحالة بالقياس الى الشعر والرسم او الموسيقى . وهذا ما نراه واقعا ، ذلك ان النثر وجد قابلياته تدريجا ، وكشف عما هو مفيد في ذاته ، مدربا اياه على وفق اصول الجمال، وتعلم ان يضع الحدود لما هو غير محدود من كفاءاته ، متتبعا عن كثب بعض القوانين الشعرية . ثم طور تدريجـا قوانينه الخاصة ، على ما في هذه القوانين ، من حيـث طبيعة وجودها ، من ابتعاد عن التحديد الدقيق ، ونأي عن الشكل المنظم ، بخلاف ما هو عليه الشعر من ضبط ودقة.

ومن هنا ، فكل شيء يمس الادب كأدب ، يؤثر في النثر ، لانه اصبح الجزء الاكبر مما ندعوه ادبا عادة . وكما ان انتفاء الحدود في مملكة النثر يعد خطرا يهدد هـذه المملكة ، فهو لا شك فضيلة من فضائلها. والمحتوى الشعري نفسه هو تركيز لقوى (ابداعية) يمكنك ان تجعله اكثـر مرونة للاستيعاب كلما اردت ذلك . في حين ان النثـر ، بانحداره المباشر من الكلام ، وعدم اتصافه بالاتزان ، يميل بطبيعته الى الارتجال والاعتساف ، والتعنت، وهذه الحرية

التي يتمتع بها ، وبخاصة فيما سف من الافعال ، هي التي جعلتنا نتعجب ، اذا ما تفضل النثر فعرض لنا شخصية جدية تحاول ان تتقيد بالقوانين والانظمة بصورة مضبوطة، والشيء الوحيد الذي لا يستطيع النثر فعله هو انه يعجز عن الغناء . وهذا التمايز بين الشعر الغنائي والنثر بارز حتى في مفردات اللغة المستعملة ، فهنا (اي في الشعر) تستخدم الكلمات على وفق جرس معين ، كما هي الحال في (النوتات) الموسيقية . وقد احسن جوبيرت في التعبير عن ذلك حين قال : « ينفرد الاسلوب الشعري بتماوج كل كلمة من كلماته ، وهو بهذا يشبه صوت قيثارة محكمة النصب ، تاركا خلفه العديد من النغمات العذاب . » قد تكون هذه الكلمات محافظة على مواقعها من غير تغيير كبير، او ربما تكون اسهل موردا ، واقرب مأخذا ، ولكن الايقاع حينما يتدخل في جو هذه الكلمات ، يصيب هذا الجوبنوع من التكهرب ، هو وليد الموسيقى ، ولكنه ليس الموسيقى بالذات ، سم هذا التأثير سحرا او اي شيء اخر ، فانت لا بد ان تقول مع جوبيرت : « ان الاشعار الجميلة هي اصوات رائعة ، وطيوب عبقة » وعلى هذا فنحن لن نستطيع ان نقول شيئا عن ذلك التحول العجيب الذي يصيب النثر حين يغدو شعرا ، مع قدرتنا على التمييز بين هذين الضربين

ومرة اخرى ، فان جوبيرت هو الذي نطق بفصل الخطاب في هذا الصدد عندما قال : « ان الشعر الذي لا يسحرك ليس شعرا ، ومن هنا فالقيثارة اداة مجنحة » والحق ان النثر قد يثيرنا محلقا بنا في الاعالي ، ولكن اجنحته تختلف عن اجنحة الشعر . ذلك ان هذا التحليق الذي يحملنا عليه النثر ، فيه شيء من الثقل يجذبنا الى الارض . ومع انطلاق النثر وقوته في هذا الشأن ، فانه يمكنا من القول بان اجنحته مقصوصة في غالب الاحيان. ولذا فان المادة (الفكرية) ذات اهمية كبرى في النثر بخلاف الشعر ، ومن هنا نعرف السبب الذي يجعل كتاب النثر من اضراب سكوت وبلزاك ، كتابا عظاما ، وروائيين مشهورين ، ولكنهم ـ في نثرهم ـ ليسوا من هذا الطراز. فهنا ، كما في اي مكان اخر ، يقوم النثر باحتلال مناطق جديدة من الارض ، وتثبيت حدود هذه المناطق بسبب وهن طاقة التحليق والاعتلاء. فالمسرحية النثرية، والقصة، جاءتا الى الوجود شاذتين ، لان مخترعيهما اناس غير قادرين على كتابة المسرحية شعرا ، او نظم الملاحم المعروفة، ومتى ما تمكن المغتصب من الاستيطان في بلد من البلدان، اخذت سلالته بالتوالد والتكاثر ، والاصطباغ بالصبغة الشرعية ، كما هي حالة الدنيا المعلومة .

فالنثر ، اذن هو لغة ما ندعوه الحياة الواقعية ، ومن اجل ذلك فهو وحده الذي يرينا زيف الحياة ، في مظهرها الخارجي . ولك اذا شئت ان تقارن بين مسرحية لشكسبير وقصة لبلزاك لتعلم الواقع ليس فقط فيما يحيط بهما ، كالشعور بالزمان والمكان ، بل بوجود شخصية البطل ، وبتطور العملية ذاتها ايضا . ولم اختر بلزاك من بين الروائيين ، الا لان ذهنه اقرب الى ابداع ذهن الشاعر، ولان اسلوبه الصق باسلوب الشاعر ، بعكس سواه من الروائيين ولنضرب لذلك مثلا الملك لير والاب غوريو ، وقد كان الاخير يمثل لير في جوهره وحقيقته ، ذلك انه كابد العذاب والاهانة اللتين كابدهما لير ، وفي حين ان لير كان يحلق في الاجواء كغمامة ظليلة ، وعلامة على الكآبة والضنى ، كان غوريو ينحدر الى اسفل الارض ، ليثبت جذور نفسه هناك متدثرا بالغبار الذي غطى جميع اوتار حياته . ومن هنا ، كانت جدته ، لصيقة بنا ، معروفة لدينا ولعل لير من السذاجة بحيث يستعيض عن تاجه بالعوبة ، من غير ان يفهم عنها شيئا . بينما ان غوريو يفهم قيمة اي صك تسرقه بناته منه. وبهذا التحديد، فان التدقيق، والعاطفة، يتطلبان ادراكا واعيا ومسئولية ، تكمن فيهما قوة النثر .

فالمسرحية والقصة ، قوتان مهمتان ، من حيث الخيال والجاذبية ، وفيهما تبدو لنا سطوة النثر ، وتأثيرها في عالم الكتابة . وكذلك المقالة فانها تتلائم مع الشعر التأملي، في نوع معين من التعبير ، وهل ينسجم الغناء مع التشابه الفكري في النثر ؟ كلا ، انني لا اعتقد بمثل هذا التماثل في الشكل ، ولو انه موجود في بعض التأوهات كما صدرت عن دي كونزي ، وربما كانت هذه الاهات اقرب الى الغناء ، واشد علاقة بالايقاع الموسيقي الشعري منه الى النثر الاعتيادي . وعلى هذا فان النثر العلمي ، والفلسفي وحتى التاريخي ، له صلة يسيرة بالادب ، او بالنثر كفن جميل . وعندما يكون العلم ، ليس مجرد تأمل ، بل اقرب ما يكون الى الحقائق العارية ، او النظريات المتعلقة بها ، وحين تكون الحقيقة نفسها مهمة جدا اكثر من كونها تعبيرا عن مكنونات نفسها ، او كشفها باسلوب مشرق عندئذ يغدو الادب تافها لا موضع له . لقد كان الفلاسفة في حلم اغلب الاحيان ، بينما كان الشعراء متقلبين دائم الاوقات .

وهكذا فان الجمال الواقعي ، كان ينحصر في الفكر المجرد ، ولكن معظم الفلاسفة عدوا النثر كما يعده علماء الجمال في منطقة الجسد ، كأي من متعلقات الجسم ، بمعنى كونه ضرورة من ضرورات الشر . وعلى هذه الصورة اصبح النثر ذا اهمية كبيرة بالقياس الى المؤرخين ، ومع ذلك فانه لم يكن اقل اهمية بالنسبة الى الروائيين . ومن هنا فان المؤرخين يهتمون برجال العلم ، لانهم يعنون بالناس الذين يبحثون عن الوقائع وحقائق الحياة ، ولانهم يأخذون على عواتقهم اخبارنا عن وقائع التأريخ التي مرت بنا . وعلى هذا ، فهم حين يغمزون من قناة القصاصين ويحاولون دراسة علم النفس ، انما يفعلون ذلك ككتاب يتناولون الادب بحرية وصدق واخلاص . ومن هنا فان الكثير من الادب الرفيع كتب تحت اسم النقد . ولكن الناقد الناقد الذي يستهدف نقد الادب ، لا بد له ان ينتقص من قيمة النقد كنقد . وفي هذه الحال ، فان النقد يفقد صفته التي يعرف به ، من حيث كونه نقدا .

ففي القصة وحدها ، وكذلك في المسرحية النثرية ، يغدو النثر حرا في الابداع ، حرا في التطور الى اقصى حدود طاقته . وبضمن الرواية يمكنني ان ادخل السيرة الشخصية Autobiography كشكل من اشكالها القابلة للاقناع. وفي هذه الصور جميعا نجد النثر مؤثرا تأثيرا مباشرا في الحياة . يقول ريمي دي غورمون في هذا الصدد ما يأتي ذكره: «ان الشعور بالجرس في النثر لا صلة له بالاحساس الموسيقي ، ذلك بانه احساس فسلجي . فنحن نلائم مشاعرنا على وفق الايقاع الموسيقي بصورة غامضة ، كما نفعل بصرخاتنا الطويلة سواء أكان ذلك في معرض السرور ام الحزن وعلى هذا فكل شيء له ظلاله الوارفة البديعة،

من حيث التكيف بالنثر او الشعر ، ومن حيث الانسجام بالفكرة المطلوبة .» وعلى هذا ايضا فبالنثر يصح للناس ان يعترفوا بما في نفوسهم من مكنونات في اخلاص دقيق (وصراحة لا تشوبها شائبة) ومن هنا كانت (اعترافات) روسو مكتوبة نثرا . ومن هنا ايضا ، فان احسن ما كتب في الرواية ، من حيث السرد القصصي او الدرامي ، يعد ضربا من الاعتراف الشخصي او الغيري . وبكلمة اخرى ، فان العامل الشخصي موجود في كل ما كتب بهذا الصدد ، اذ انه ليس من قاص او درامي يسعه ان يؤلف شيئا واحدا حيويا ، ما لم يلحظ بنفسه الشعور الذي انتابه ، ومن غير ان يمارسه ممارسة فعلية آنية .

ففي الشعر لا يستطيع فيون(١) نفسه ان يعبر ادق التعبير عن « أحاسيسه بالقوافي » كما كان يصنع روسو بنثره . وسبب ذلك ان المحتوى يحمله حملا على عرض مشاعره ، على وفق اسلوب خاص معدل لا بد من احتذائه (ليكون بينا جليا) . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، يمكننا النثر من ان نفكر بالكلمات بسهولة ويسر . ولعل افضل مزية من مزايا النثر ، كونه يستطيع ذلك . ذلك بان اي شكل من اشكال الفن ، ما هو الا محاولة لاقتناص الحياة ، وابداع حياة جديدة . ولكن الفن في الشعر ، لكونه فنا رفيعا ، دقيقا في مضمونه ، يبدأ عمله بالتحويل والتغيير . والواقع ان هذا ما تفعله الرواية النثرية ايضا ، فهي لا تستطيع ان تقف سدا مانعا قبالة هذا الاتجاه ، ولكنها قادرة على تتبع هذه الخطة الى نهايتها باسلوب يعجز الشعر عن مواكبته الى الحد المطلوب .

يقول بو في هذا الشأن : « ان وسائل الايقاع الشعري عقبة كأداء في تطور مختلف وجهات الفكر او التعبير ، هذه الوجهات التي كان لها اساسها في صلاتها الحقيقية بالحياة وبالايجاز يصح لاحد القاصين ان يوفق بين مختلف الاساليب الفكرية والتعبيرية (من حيث انها على صلة وثيقة بالسخرية والفكاهة) وعلى هذا فهي تتناقض اشد التناقض مع طبيعة القصيدة ، في مجالها المعلوم ، والانكد من ذلك انها تتنافى مع ايسر متطلباتها ، وطبيعي اننا نشير بذلك الى الايقاع في محتواه العام . »

والواقع ان هذه الظاهرة البينة ، هي التي تسبغ قوة خاصة على النثر ، من حيث كونه اداة رصينة نادرة الوجود . ومن هنا فان النثر يصيخ السمع على ابواب المشاعر جميعا ، فيعيد ذكر ما ينصت اليه بالنغمات انفسها . ولكن الشعر ، كما يقول بودلير « هو اقرب شيء الى الموسيقى ، وابعده عمقا في الروح الانسانية من طريق علم العروض ، ولذا فهو يفضل اي نظرية كلاسيكية في مدلولها .» والشعر يبدأ حيث ينتهي النثر ، والخطر الرئيسي الذي يواجهه انه يسرع في هذا الشأن متخذا الوسائل الى ذلك . والضمان الوحيد الذي يصح للشاعر ان يلجأ اليه قوله حين يخاطب نفسه : ما استطيع كتابته نثرا لن ابيح لنفسي ان انظمه شعرا ، من اجل اضفاء اي نوع من القدسية على المادة التي اريد صياغتها . وكلما استطعت ان اوسع من نطاق نثري ، يضطر شعري الى تضييق حدودي . وعلى هذا ، فان منطقة الشعر ، هي دائما ابعد من اي منطقة مرتبكة ، قد تفرضها المصادفة علينا ، في حالتي اطلاقها ، واحتمال مواجهتها لنا ، في وقت من الاوقات .



الأديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٢٨١٩ Tél. Direc : 23819

المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولنقبل الان الى النقاد او مؤرخي الشعر ، فهم عـــادة معنيون بكل شيء بخلاف ما له مساس جوهري بالشعر . ومن هنا نراهم يعالجون الشعر ، كانه عـــادة تاريخية ، لها اهميتها الخاصة بها . وهذا ما يجعلنـا نجد شيئا من الاهتمام بـ (طراز المعيشة) في العهد الفكتوري، لا لان هذا الطراز جميل بحد ذاته ، بل لان الناس ظنـوه يومئذ كذلك هذا ، في حين ان الشعر حقيقة واقعة ، لا يصح تبديلها ، بما يطرأ عليها من تبدلات آنية ، ومن هنـا فان عمل الناقد يقتضيه ان يبحث عن الجوهر الذي يسعى للعثور عليه ، لا كما يفعل الناس عندما يدعون انهم وجدوه في سهولة وبساطة . كما ان على الناقد ان يدرك الاهمية التاريخية ادراكا صحيحا ، من حيث كونها تكيفا لعـادة قديمة الاثر ، تجعل من الشعـر الرديء شعرا جيدا ، او بالعكس ، كلما تطلب الامر ذلك .

ومن النظريات السائدة في الوقت الحالي نظرية تذهب الى ان الشعر ، في تطوره العام ، لا بد له ان يدرس فـي كل حقل من حقول الحياة، لا على انه نتاج فردي شخصي. ولقد لخص هذه النظرية ريمي دي غورمون في مقالة تناول فيها دراسة الكاتب فرديناند برونتير فقال : « ان التاريخ الادبي لم يعد صورا متعاقبة متسلسلة ، تتصل بحيـوات الاشخاص ، والمسالة النابضة بالحياة الان تتطلب منـــا معرفة الشعر او التاريخ ، لا الشعراء او المؤرخين ، وعـلى هذا ينبغي دراسة المؤلفات من غير ان نضفي كثيرا مـن الاهمية على مؤلفيها ، كما يجب علينا ان نتعرف على هذه الكتب وكيف تتكاثر بالضرورة الطبيعية فتنتج الاغاني ، في مختلف صورها، بتأثير من المحيط، من غير ان تفقد ميزاتها الاصلية ، على ما في هذا الامر من تغيرات وتحولات ، لا بد ان تجري ببلاغة مبدعة . »

وقد اعرب كورثوب عن وجهة النظر هذه حين حدثنا قائلا : « ليس من الفلسفة في شيء ان نعتقد ان أيا مـن الشعراء في وسعه ان يحول فن الشعر الى الاتجاه الـذي يريده بدافع عبقريته الخاصة ، اذ ان اعظم الفنانين هـم هؤلاء الذين يدركون احسن الادراك الميول المتناقضة في عصرهم ، ومع ان هؤلاء قد يحلقون في اجواء الصدق المطلق الا انهم يعكسون ، في نتاجهم ، صورة هذه الميول . » او بعبارة اخرى علينا ان نعتقد بان العربة هي التي تسحب الحصان ، أي ان ذوق العصر هو الذي يبدع الشاعر ويخلق وجوده . كما ان الشاعر نفسه يخلق هذا الذوق ايضـا بعبقريته . وكل ما يستطيع (صراع الميول) ان يفعله بالشاعر مساعدته من حين الى حين على صياغة المحتوى الـذي يبغيه ، اي تقديم القيثارة اليه او ايصاله الى المسرح الذي يريده . وقد يكون محظوظا ، كشكسبير ، بما فطر عليـه من عبقرية درامية ، فيجد المسرح حيا ينتظره بتشوق ، او قد يكون سيء الطالع بعض الشيء كغوته ، اذ تحتـاج عبقريته الدرامية الى مسرح لتعبر عن نفسها اكمل التعبير ، ومن هنا يحمل على وضع مؤلفات فردية ، يعوزها التطور العضوي الكامل ، مهما كانت عظيمة الاهمية . ولم يكن اي من الشعراء العظام مدينا ، في جزء مهم من عبقريته ، الى عصره ، ولكنه قد يكون مدينا لعصره بالفرصة المؤاتية التي ساعدته على الانتاج السهل .

ولنضرب لذلك مثلا تشاترتن « فقوة رجولتـه الاقناعية » هي احدى القوى الابداعية الرائعة في ادبنـا ، ومع ذلك فهي لم تتاثر كثيرا بالقناع الذي اراد تشاترتن ان يضعها فيه . ذلك بانه لم يكن « بحاجة الى متطلبات الذوق العام » لتقوده « في طريق التعبير الشعري العظيم » فهو قد وجد بنفسه « المنفذ التعبيري » الذي يريده ، وجـده في قصاصات الورق التي حولها الى شعر حي ... وكانت نزوته المسيطرة عليه تقتضيه ان يبدع لغة من اجل التعبير عن احسن ما في دخيلة نفسه ، لغة تكون الصق ما تكـون بكلام العصور الوسطى، وهذه اللغة هي التي قدم لها فروض الولاء والتقديس ، في العمارات الغوطية ، والمخطوطـات القديمة الاثرية . يمثل تشاترتن بداية الحركة الرومانسية الحديثة ، بصورة شعورية على انها فن منجز ، وليس من الضروري ان نتذكر انه مات في عمر ، حين لم يتمكن اي من الشعراء الانكليز ان يبزه ، وبخاصة بما امتاز من خيال خصب ، ونتاج رائع ، وهذا ما يجعل لمكانته في الشعـر الانكليزي اهميتها الكبيرة . فوجود تشاترتن ، في الوقت الذي واكب حياته ، برهان على ان رجل العبقرية ليس مـن مستوى عصره ، بل هو فوقه .

اما الشاعر الذي يصح ان نعده انموذجا للقرن الثامن عشر فهو بوب ، لا لانه كان شاعرا بالمعنى الدقيق من الكلمة، بل لانه وقع ضحية تحت تأثير العصر الذي ولد فيه ، وعلى هذا كان شعره لا يتعدى النثر الجيد ، ولو انه عاش في جو القراء العباقرة ، لاضطر الى الانزواء في مكان منعزل . وعلى هذا يسعنا القول بان شعر هذا القرن لم يكن عـلى صلة وثيقة بسائر الشعر الانكليزي ، ذلك بان ثمة فجـوة عميقة تفصل بين هذا التراث وبقية النتاج الشعري . ومع ذلك ففي مؤلفات كولنز بعض الاشارات الشعرية الخالدة . وهذه الحقيقة (المؤلمة) هي التي دفعت بالنقاد الى الاعتراف بعمق هذه الهاوية . ثم ان مبادىء الشعر مبادىء خالدة ، والحوادث المقدسة التي شهدت مولد كرستوفر سمارت وتوماس تشاترتن ، في عصر نأى فيه « الذوق الوطني » عن مثل هذه المبادىء ، هذه الحوادث دلائل كافية لاقناعنا بانه ليس من ضغط يمكنه ان يعيق الشعراء (المجيدين) عن التعبير عن مكنونات انفسهم بالاسلوب الذي يرتأونه .

يعترف ساوذي بهذا الامر بصراحة حـين يقول : « يمكننا ان نستخلص اتجاه الذوق العام من الشعـراء اللامبالين ، خيرا من الشعراء المفلقين ، اذ ان الاوائل يكتبون لمعاصريهم في حين يكتب الاواخر للاجيال المقبلة . » ثـم يستشهد ساوذي بالشاعر المغمور بومفريت مؤلف قصيدة « الاختيار » التي كان لها في وقت نشرها ضجيج غمـر المجتمع يومئذ . ولكن هذا الشاعر غدا الان اثرا بعد عين . ثم ان تاثير الشعراء في امثالهم امر مفروغ منه ، واهميته واضحة للعيان ، الا ان هذا الامر لا ينبغي ان يبعدنا عـن واقع الشاعر نفسه . ومن هنا يصح لنا ان نقدر الصـلات التي كانت بين وردزورث وكوليردج ، وما كان من تأثير مطالعة العصر الايليزبتي في كيتس. وفي هذا الضوء ينبغي ان نقيم الثورة الفرنسية من حيث صلتها بالشعر الانكليزي وكذا الحال مع بايرون وشيلي(١) ».

(١) هو ابو الشعر الفرنسي ، وقد اوردنا سيرة موجزة عن حياتـه في كتابنا المترجم (شعراء خالدون) .

والميزه التي ينفرد بها الشعر ، في بداية القرن التاسع عشر ، هي الخيال وهذا ما نراه جليا في ضرب من الجو (العاطفي) الذي يضفي الغرابة على الجمال ، وهذا الشعر هو الذي يمثل الحركة الرومانسية بعض الشيء . فما الذي يظهر جو المناظر الانكليزية ويعبر عنها ، وبذا يميز الشعر الانجليزي عن غيره من القصيد الرفيع في العالم ؟ انك يمكن ان تشاهد هذه المناظر الطبيعية فتشعر بجمالها وروعتها وجلالها ، ولو انك احسست بعراء بعضها، الا ان الشعراء الانكليز يستطيعون ان يحولوا الحقائق الشعرية العارية على حسب ما يشتهون ، باسباغ جو بريطانية الواقعي عليها . . فالشعور بالبيئة والتبديل الخيالي للحقيقة ، صفتان بارزتان من صفات الشعر الانكليزي منذ بداية عهده ولكنهما متناثرتان هنا وهنا . اما احسن ما نظم في القرن التاسع عشر ، فهو يتفق في جوهره ـ مع احسن ما أتى به الشعراء في اي فترة من فترات التاريخ باستثناء القرن الثامن عشر . صحيح ان الشعر الرومانسي لا يخرج على التقاليد المألوفة ، ولكنه يتقيدببعض الحدود ، التي تفرقما بين الممكن وغير الممكن. ومن المعروف انه قلما تمكن احدهم من ان يبز جوسر ، في صفاء شعره ورقته ، كما لم يتطاول اي من الناس على سبنسر ، في موسيقاه ونبل مقصده ، غير ان شعر جوسر لم يتعد سرد القصص ، اما سبنسر فكان جل همه رسم الصور ، واللجوء الى الاقاصيص الرمزية .

اما العهد الاليزابتي فقد عني بالحياة ، وكل عمل من اعمال الارادة ، والذهن والروح . . . في حين التجأ الشعراء (الميتافيزيقيون) ـ الذين ظهروا في القرن السابع عشر ـ الى هبات (الماجي) فجلبوا ذهبا ابريزا ، كان بعضه تفوح منه رائحة البخور والمر . الا ان الشعر الذي واكب مطلع القرن التاسع عشر ، تمكن من الحفاظ علىجوهره ، بادراكه العميق لقوة تأثير البيئة في الخيال . وهذا الخيال الشعري هو الضيف الذي لم يتقبله القرن الثامن عشر ، وقد لمح الى هذا الشاعر كرستوفر سمارت ، بصرخته المدوية التي تعالت من البيمارستان الذي كان فيه . ثم جاء دور برنز ، فكانت قدماه بعيدتين عن كلا هذين القرنين ، اذ انه يمثل شعلة الروح الانسانية ، حين تنطق مرة او مرتين فيالعالم (مدى دهور) . وفي ظني ان الرومانسية نبتت على ضريح تشاترتن ، كما انحدر الشعر من مكمن برنز ، فلم يعد عبدا للنثر او الصقل الرتيب . وحين افاق الشعر من سباته ، لحقه الدين وبدت الحرية في ثوب انيق من الرشاقة واللطف . وقد قام كل من لي هنت وساوذي بما في وسعهما لتحرير الشعر . وحتى بايرون نفسه الذي كان يتفق مع التقاليد ، لم يطق ان يبقى في مكانه اذ حول الكثير من هذه التقاليد الى اشياء جديدة ، بعضها يمتاز بالدعوة الى الهدم ، بدلا من البناء والانشاء . وفي هذه الفترة برز الى حيز الوجود الشعراء وردزورث ولاندور ، وشيلي ، وبليك ، ومع اختلاف هؤلاء في مشاربهم ومسالكهم ، الا انهم يتفقون جميعا في الرجوع الى مصادر الشعر الخالدة بصورة غريزية .

وقد استعمل واتس دنتون عبارة اصبحت شهيرة، وهي « بعث التعجب » في التعبير عن « حركة الاحياء العظيمة التي تناولت روح الانسان ، في مجالها ، بعد فترة طويلة من التقبل الرتيب لجميع الاراء ، وبضمن ذلك الادب والفن » وهذا ما يمكن ان ندعوه بكثير من الحذر كدليل ممثل للحركة الرومانسية . وبالايجاز فان هذا الادب كان له منحاه الخاص في شأن الادب عامة وقيمته الخاصة به ، شأنه في ذلك شأن عبارة ماتيو ارنولد « نقد الحياة » . وكما اصبحت تلك العبارة الشكلية مثلا يحتذى به في معرض الاراء والافكار ، كذلك فان هذه الفكرةالموجزة غدت خطرا يهدد الناس من حيث التعميم ، او الاختصار ولكن هذا الخطأ يمكن تصويبه من طريق تعريف زرادشت، الذي غالبا ما استشهد به واتس دنتون ، حين قال : « ان الشعر هو صور ظاهرة لحقائق خفية . »

ولكن المسالة المهمة الان ، ليست في ان توجد هنالك ثمة حقائق غير ظاهرة ، بل هل ثمة حقائق غير واضحة ، يمكن ان تكون كذلك ، على الرغم من التأييد الذي يحققه لها الشعراء ان ضمنا او صراحة . وهذه الحقائق امور ثابتة الوقوع بالقياس الى الشعراء اصحاب الخيال الواسع، وهذه القضية بالذات ، وليس التعجب بها هي التي تهمنا في هذا الصدد . ومن الظاهر ان الموقف الرومانسييتطلب نوعا من الغرابة لا شك فيه ، وبينما يجعل سيريل تورنر هذه الغرابة مجرد دهشة ، فهي حقيقة مقدسة لدى شكسبير . فالخيال ليس ضربا من الغرابة ، بل هو منظر يرى رؤية العين ، لا من حيث الامكان والاستطاعة ، بل من حيث الواقع والعيان .

ومن هنا فالشعراء العظام ، ومشاهير اصحابالرؤى، كانوا يبصرون الاشياء بوضوح وجلاء ، وهذا ما فعله الكثيرون من اضراب دانتي . والواقع اننا لا نعني باسم الحركة الرومانسية شيئا غير اليقظة المتجددة في الخيال ، والشعور بالجمال ، والغرابة في عناصر الطبيعة وفي جميع نوازع الذهن والاحاسيس . ولم تكن هذه اليقظة مدركة تمام الادراك دائما . وعلى هذا تمكن كراب من اقصاء الخيال عن خاطره ، ولكنه عجز عن هذا الفعل بالقياس الى الطبيعة . وفي هذا الوقت بالذات ، خرجت الطبيعة عن نطاقها الضيق مستصغرة الشخوص الانسانية ، واضعة اياهم في اماكنهم الجديرة بهم . وهذا ما جعلالموضوعات المنعزلة ، التي لا يحيط بها جو معين ، ترى واضحة في صفاء ونقاء من قبل وردزورث ، وهذه الموضوعات هي التي اصطادها كيتس ، واضفى عليها شيللي اضواء القمر اما كوليردج ، فهو رومانسي و (طبيعي) فيالوقتنفسه ، الا انشيللي لم يكن(طبيعيا)الا بالمعنى الرومانسي من الكلمة .

ومجمل القول ان الرومانسية تستهدف تحريرالعالم والذهن الانساني والتعبير الشعري من قيود الوقائع الاعتيادية ، والافكار السائدة ، والتقاليد والعادات الشكلية، وما لم يتم انجاز هذا التحرير لا يجد الخيال مجاله في الذهن (٢).

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

(١) لخصنا هذا الفصل المطول في الاصل تيسيرا للقارىء الكريم ، وابعادا للملل عنه ، المترجم .

(٢) في المقال الاصلي تعليقات ، اوجزنا ترجمة المهم منها خوف الاطالة ، غير الضرورية ، المترجم .

القصيدة الحزينة

○

احفر قلبي ..
احفر في الضلع الثاني..
فلعل اذا أنت حفرت هنا تلقاني !
وانبش ثلج الليل وفجّر بركاني ..
وألمس بالفأس الازرق احزاني ..
احفر .. احفر .. هل أنت تراني ؟
واذا دوى صوت الفأس بوجدانك
اسأل نفسك : هل تسمعني ؟
هل تسمع وجداني ؟ ؟
واذا أنت حفرت ..
هل ينمو الماضي ثانية في شطآني ؟
احفر قلبي .. وانزع منه ترابي ،
علّ بذور شبابي
ان أنت حفرت تراها
لم يأكلها دود الليل .. لعل الصمت رعاها
احفر ... احفر علّ عذابي
ألمحه ثانية يأكل فأسك !
احفر .. احفر علّي ألمح نفسك
والعرق الازرق
يساقط منك على حفرات ضلوعي !
فلرب امتزجت بالعرق الازرق
أمطار دموعي ..
فاحفر قلبي حتى آخره
لا تترك شبرا .. علك فيه تراني !

القاهرة **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة سورية

●

الدمية

بقلم فاضل ضياء

●

○

غمز الجرس مرتين ، فلم تفتح له الباب . غريب !.. اين هي اذن ؟.. هو يعرف انها لا تترك البيت الا بصحبته . فهي غريبة عن البلاد ، عن الناس ، غريبة حتى عن لغتهم وعاداتهم . انها المانية تزوج منها هناك ، حين كان يدرس في جامعاتهم فن الاصبغة والكيمياء الصناعية .

أن يشك باخلاصها ؟.. معاذالله! فلطالما امتحنها ، واستجلى حقيقتها خلال شهور ستة ، هي عمر زواجهما السعيد . ولكن لماذا لم تفتح الباب ؟ خزيت يا شيطان .. انك لا تعدم الى الصدور طريقا !

ومد يده الى الجرس يغمزه للمرة الثالثة بقوة . وما ان سمع وقع خطاها خلف الباب، حتى اطمأن خاطره

كانت قبلة المساء تلك التي استقبلته بها عند الباب . فضمها اليه في لهفة على عادته كل يوم .

كان في صدره سؤال يشغله . انه ليود من كل قلبه ان يعرف معنى هذا التلكوء ـ غير المعتاد ـ في فتح الباب . لعنة الله عليك يا شيطان ! لماذا لم يفكر حتى اليوم بمفتاح ثان للباب ؟! على كل حال ، فالمجال ليس للتساؤل والندم ، فلسوف يأتي كل شيء في أوانه . الا انه ما زال يريد ان يعرف سبب التلكوء في فتح الباب . ولكن دموعها التي بللت وجهه عندما بادلها القبلة ، واحمرار عينيها الزرقاوين ، منعه من طرح السؤال ، فكبته وتروى .

ومضت فترة ، كان قد بدل فيها ثيابه ، وغسل وجهه ، ثم سألها وهو يهم بالجلوس :

ـ ولماذا تبكين يا دورا؟.. ماذا حدث؟

فما كان منها الا ان عادت الى البكاء من جديد !..

لم يستغرب ذلك ، لانه يعرف ـ بمحض تجربته ـ معنى هذه الحالة الشعورية التي طالما عاناها وهو طفل يتيم صغير . يوم كان ابناء الحي الاقوياء يتهجمون عليه ، فيقاتلهم مدافعا ، ويقاتلونه متجبرين . بيد ان دمعة واحدة ، واحدة فقط ، لم تكن لتنذرف من عينيه آنذاك . حتى اذا مر به احد الرجال الطيبين ، فانتزعه منهم ، ووبخ اولئك الاشرار ، ثم ترفق بالمسكين ، فسأله عن سبب هذا الشجار .. عندها كانت الدموع المخنوقة في جفنيه ، تتخذ الى الانحدار طريقا .

بلى . انه ليعرف كل ذلك . لهذا فقد سكت ، ولم يعد يطرح عليها سؤالا . بل تركها وشانها .. تركها تفرغ ما بنفسها من الالم ، وتخفف ما بصدرها من طاقة الانفعال . حتى اذا مرت عليها فترة ، اخذته من يده الى مخدعها لتقول في عصبية والم :

ـ انظر ... انظر ما فعل الزوار بـ [موتسلي] !

ونظر الى حيث اشارت ، فاذا بموتسلي ملقى على السرير ، وحالته تدعو الى الرثاء . لقد كان راسه مفصولا عن بدنه ، ورجله اليمنى مخلوعة تتأرجح في الهواء ، لتصف عنف ما الم به من قسوة وتعذيب . اما طوقه الاخضر الجميل ، فقد بات مزقا منثورة هنا وهناك . والجلجل الصغير الانيق ، يا الهي!... ان اسنانا لا تعرف الرحمة قد عجنته عجنا ، فطمست معالمه الفاتنة ، وضيعت صوته المرنان .

لم يتمالك نفسه . وأنى له ذلك ، وهو أعرف بمنزلة موتسلي من سواه ؟.. حقا .. ان نظرتنا الى الاشياء لتتغير كثيرا حالما يدرك المرء شيئا من اسرار وجودها ، او يتعرف الى ملابسات هذا الوجود . فقد يكون الشيء لا قيمة له ابدا حين يراه البصر لاول مرة . انه ليبدو شيئا عاديا ، بل تافها ، كتلك القطة التي نعبر بها الطريق ، والتي لا تثير في نفوسنا حتى ابسط لفتة من لفتات الانتباه . ولكننا اذا ما تبنيناها ، واصبحت فردا من افراد الاسرة ، او قطعة من اثاث البيت ، سرعان ما تتغير فيها نظرتنا ، فتسمو بمعناها ، ويزداد رصيدها من التقدير . ولا تسل عن الدمع الصبيب ، والآه الجريح ، عندما يصيبها مكروه ! بلى .. هذا ما يفسر لنا اختلاف وجهات النظر ، حين يعرض الناس الى تقدير امر من الامور .

وهكذا كان شأن موتسلي بالذات. الا ان موتسلي ، دمية من قماش خاص .. تمثل دبا صغيرا ، ولكنه حلو، رشيق، على غير ما هو معروف في عالم الدببة ! وقد يميل اليه حتى الذين لا يطيقون عالم الدمى ابدا . كان في جوفه نوع من الآلة الصائته ، فكان كلما قلبه الانسان في يديه ، أخرج صوتا هو اشبه شيء بالصوت الطبيعي لهذا الحيوان . ومن اجل هذا ، فقد كان يسر الاطفال، ويلهيهم عن الشغب والبكاء . انه موتسلي الذي اصبح ـ فيما بعد ـ واحدا من افراد اسرته الصغيرة التي لا تتجاوز الاثنين ، هو ورفيقته . لقد عاش معهما هذه الاشهر الستة كأحسن ما يكون العيش الهانيء الرغيد . كان تسلية رفيقته الوحيدة ، بل عزاءها الاوحد اثناء غيابه .

لقد كانت حياتها ـ في بلاده ـ جديدة وقاسية معا . جديدة ، لانها تختلف كثيرا عن حياتها في الوطن الذي حضنها زهاء عشرين عاما . وقاسية ، لانها لم ترزق منه ولدا حتى الان . ولهذا ، فقد جعلت من موتسلي ابنها الوحيد الذي يؤنس وحشتها ، ويضفي على حياتها لونا من السلوان استعذبته على مر الايام.

قال وهو يتطلع الى موتسلي اشلاء مبعثرة على السرير :

ـ وكيف حصل ذلك ؟

فجعلت تقص عليه والاسى يقطر من نبراتها :

ـ زارتني جارة في الصباح ، وهي تجر اولادها الاربعة .. ولما بكى ابنها الصغير ، ناولته موتسلي ليلهيه عن البكاء ... ثم كانت مني التفاتة، فاذا بموتسلي قد تبعثر اشلاء !..

فقال لها في دهشة :

ـ الهذا تبكين ؟.. غدا اشتري لك موتسلي اخر !..

فتغيرت لهجتها فجأة حين شرعت تبين علاقتها بدميتها العزيزة :

ـ أرجو ان تفهمني جيدا . انك لا ترى في موتسلي الا هدية عادية ، قدمها الي والدي ليلة زفافنا هناك. ومهما تعمقت ، فلن ترى فيه اكثر من تسلية لامرأة وحيدة ، لم ترزق طفلا تتعزى به .. ولكن الامر أعمق بكثير مما يبدو عليه !

ـ قال : اذن فلموتسلي قصة ؟!

ـ واي قصة ! لقد اخفيتها عنك حتى الان ، لاني لم أجد مناسبة لذلك.. ولكنني اليوم ، لن اكتم هذه القصة عنك. وطفقت تحدثه في شرود

كانت طفلة صغيرة ، يوم كانت تلعب مع اترابها من بنات الحي. فكانت تنظر الى شتى الالاعيب في ايديهن ، دون ان يكون لها شيء من ذلك غير النظر . ولكنه ، قط لم يتفق لها ان فتنت بشيء من دنيا الالعاب ، بقدر ما فتنت بهذا الدب الصغير .. موتسلي . اما رفيقاتها ، فلم يكن لاحداهن ان تسمح لها بمشاركتها فيه . فكانت تعود الى البيت مكسورة الخاطر ، لتنكب على سريرها باكية معولة ، طالبة دمية مثل موتسلي . وامها لم يكن ليسعها ـ حينذا ك ـ الا ان تلاطفها مرة فتعدها ، وتقسو عليها فتتوعدها مرات .

وتوالت الايام قاسية . اذ كانت الحرب العالمية الثانية ، في ذروة حدتها . فترعرعت على الخوف ، والبؤس ، والحرمان . ثم عملت مضطرة ـ وفي سن مبكرة ـ في احد المكاتب لتساعد اهلها . وشيئا فشيئا ، بدات تفهم لماذا حرمها ابوها من تلك الدمية التي سكبت من اجلها دمعا لو صح بيعه في سوق العطف والحنان ، لاستطاعت ان تبتاع به معامل موتسلي برمتها آنذاك .

كان ابوها من ذوي اليسار ، فزاره الحظ العاثر يوما ، حين سقطت على متجره العامر قنبلة ، اتت على ما فيه من متاع الحياة . وتعاقبت السنوات السوداء صعبة ، شاقة ، فيها المضض والشقاء ، وفيها اليأس والقلق . فلم يكن في وسع والدها ان يقدم لها ما ارادته . فكانت تسلو رويدا رويدا تلك الرغبة الجامحة التي عجت في صدرها يوما من الايام لانها بدات تدرك ما يدور حولها . انها لم تعد طفلة كما كانت ، بل انه لم يعد من المناسب في شيء ، ان تطلب موتسلي كدمية في الوقت الذي اصبحت فيه شابة يافعة . ونسيت كل شيء ـ حتى موتسلي ـ امام طموح الحياة ، وهموم العمر ، الا هاتيك اللحظات التي كانت تمر فيها باطفال صغار ، يلعبون في ظلال جدران الحي ، وقد امسك بعضهم بموتسلي صغير يتسلى به .

فكانت تشعر بشيء يدغدغ قلبها، تحسه بقوة .. فلا تملك الا ان تهز راسها ، وترسل زفرة، وتتمم الطريق!

وما ان وصلت بقصتها الى هذا المكان ، حتى تركته فجأة ، وطلبت الحمام لتزيل آثار الدموع . تركها تفعل . ثم التفت الى نفسه في حديث:

« وي !.. ايكون موتسلي كائنا حيا عندها ، ولا يعرف عن ذلك شيئا ؟.. اذن هي تعيش موتسلي ، وموتسلي يشاركها العيش ؟! الا ما اكثر المرات التي بثته فيها شجوها وحبورها ! وما ابلغ ما كان يتم بينهما من تجاوب وتعاطف ! انها اصوات جوفاء اذن ، لا ، بل رنات جلجله في اغلب الاحيان ! لك الله ايتها النفس البشرية ، ما اعجب ما يعتمل فيك من احساس !.. »

لم تطل غيبتها حين عادت اليه نشيطة من جديد ، فأخذت مكانها بقربه، ثم جعلت تعتذر عما بدر منها. ولكنه كان لطيفا معها ، رفيقا بها ، فما شاء لها ان تسكت دون اتمام القصة.

ـ قالت : لعلك ما نسيت بعد ليلة زفافنا حين قدم لي والدي هديته المفاجئة .. موتسلي . يا الهي !. ما كان اروعها من هدية ، وما اقدسها من مفاجأة ! كنت ـ وانا ادور بموتسلي فرحا ـ الم ابتسامة خفيفة هازئة ، ترتسم على شفتيك لهذا « الجنون» الذي انا فيه . ولكنني عذرتك من كل قلبي ، لانك لم تكن لتعرف لهذه الهدية معنى ، يوم طفت ـ عندي ـ على هدايا الاهل والاصحاب . واني لك ان تعرف معناها ، او تدرك يومئذ قيمتها ، وانت لا تعرف من سرها الدفين شيئا ؟!

لقد كنت اقرأ في عينيك انك تحدث نفسك فتقول « لله ما اقل عقول الناس !.. » كما خيل الي ، ان والدي قد فهم ما دار بنفسك ، لما اشحت بوجهك عن المائدة المنصوبة ، لتخفي ضحكة راودتك . نعم .. هذا ما يفسر لك اليوم ، مغزى تلك الدمعة الحائرة التي طفرت من عيني ابي ، وبقيت معلقة على الاهداب !

انه لمن العسير على المرء ، ان يدرك مفهوم امر ما ، اذا كان بعيدا عن كنه ذلك الامر ، وما بلغه من اجواء !.. ذلك هو موتسلي يا حبيبي ، وتلك هي حكايته .

كان غارقا في سجاته ، ساهما في الافق البعيد ، عندما اخذت تدنو اكثر فأكثر . لقد كانت تخشى ان تفسد عليه امسيته الغالية . فما كان منها الا ان اراحت راسها على صدره ... فعاد الى نفسه باسما.. ثم تركته ، وقامت الى موتسلي تجمع اشلاءه ، وتقبلها قطعة فقطعة .

حلب — **فاضل ضياء**

في القومية العربية

تاليف عبد اللطيف شرارة

اجرا بحث واصدقه عن مفهوم القومية العربية ـ خير معين لتوجيه النشء العربي ـ اسلم دستور يتزود به رجال الحكم ـ احرج قضايا الساعة التي تهم كل جماعة وكل اسرة وكل فرد

في اي قطر عربي

منشورات عويدات

ص.ب ٦٢٨ بيروت ـ لبنان

باقة بنفسج

رنتْ بعين عليل مكحولة بالسقامِ
وللندى عبرات المضنى بجنح الظلامِ
عين يشفك منها ما جاش من آلام
وكنت تقرأ فيها فواجع الايام
أكمامها كجفونٍ ترفُّ من أوهام
تفتحت عن أمانٍ مشبوبة بضرام
وللرؤى أصداءٌ تحكى ورجع كلام
وتمتمات مشوق علوية الانغام
تلقى البنفسج ألقى الى الاسى بزمام
ومال يطرق شجواً من صبوة وهيام
ألوى برأس كئيب مشتت الاحلام
وساورته ظنون تحز حز حسام
وعاودته أمان أحيت رسيس أوام
أجفانه مترعات بالدمع والاسقام
عين تفيض لنجوى ومقلة لغرام
وساقه من نحول كطارق الاوهام
ترى البنفسج دقت أوراقه كغمام
رقت كمعنى دقيق في اللبس والابهام
كأن ليلاً تجلّى بها بهيم اللثام
يجيش شبه عباب بغارب الاظلام
وماج عن أعلام منشورة وقتام
والنفح في الإكمام كملهم الانغام
يُسقي النفوس بجام من نشوة الاحلام
أحبب به من عبير بفوح بالالهام
عيناكِ شبه عباب من البنفسج طام
يموج عن شهوات مكبوتة وسقام
والليل أسدل فيه ملاءة من ظلام
عين أطالع فيها صبابتي وهيامي
وكنت أقرأ فيها فواجع الايام
تفتحتْ عن أمان مشبوبة بضرام
وللرؤى أصداء تحكى ورجع كلام
وتمتمات مشوق علوية الانغام

دمشق — عدنان مردم بك

الادب والجنس

بقلم باسم حمودي

ooo

« في بعض اللحظات احس باني امشيت كالوحش الذي افلت من عقاله بعد طول سجن واحس بان رغبة ممتزجة بارادة قاهرة تريد مني ان اهجم على اقرب امراة كي افترسها » .. هذا كلام شاب مثقف يشرح فيه ـ على طريقته ـ قوة غريزته ومقدار تحكمها به . وهو طبعا ليس الوحيد في هذه الدنيا الذي مر او يمر بهذه الحالة فكلنا قد مررنا بمثل حالته وكلنا شعر بميل شديد غريب نحو نصفه الثاني ، فمنا من يندفع في غمرة الهاوية ويسلك طريقا مظلما فيصبح وكانه قد ارتدى حذاء من المطاط يسير على ارض مبللة بالماء والصابون فلا بد ان ينزلق وان يقع ، ومنا من يكبت غرائزه صابرا بانتظار (الفرصة الشرعية) ، ومنا من يكون بين بين .

ومن ذلك نستطيع ان ندرك اهمية الدافع الذي حدا بالعالم النفساني سيجموند فرويد ان يقرر بان « الدافع الجنسي عند الانسان هو الذي يتحكم فيه اكثر من سائر الدوافع الاخرى » ولئن عارضه تلميذه ادلر الذي ركز على دافع طلب المنزلة الاجتماعية ، ولئن عارضه ـ كذلك ـ علماء الفلسفة المادية الذين ركزوا على دافع الرغيف فان ذلك لا يمنع من ان كلامه يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار وان كان متطرفا بعض الشيء . وفي رايي ان النزعة الجنسية عند الانسان ليست كل شيء الا في فترة المراهقةوالسنوات القلائل التي بعدها ، وهي فترة حرجة شائكة في حياة كل انسان اذ يعيش على اعصابه المتوترة الحساسة ويرى الوجود كله امراة ـ والامر صحيح عكسا بالنسبة للفتاة ـ ولكن ذلك يخف تدريجيا ويصبح شيئا عاديا بمرور الزمن واعتياد الانسان على حالته وبعد اجتيازه دور المراهقة . وهذا الكلام ينبغي الا يؤخذ كقاعدة فما هو الا راي شخصي وقد تفنده بعض الاعمال والاتجاهات الشاذة ولكنها ليست سائدة في عالمنا هذا .

وقد تبدو هذه المقدمة طويلة بعض الشيء ولكنها مهمة لشرح علاقة الادب بالجنس ، فقد كان الخوض من قبل الكتاب والشعراء في المواضيع الجنسية في العصور الوسطى امرا محرما تماما من قبل الفئة الحاكمة ورجال الدين فتتفتق حياة الشاب او الشابة في الفترة الحرجة ومختلف القيود الدينية والاجتماعية تقيده وتحدده وتحول بينه وبين فهم المحركات والحوافز الجديدة التي بدأت تسير حياته وتتحكم فيه شعوريا ولا شعوريا فيعيش في ظلام دامس من الناحية الجنسية وعلاقة كل ذكر بانثى.. وعشرات من الاسئلة المتراقصة في دماغه تتعلق بهذا الاحساس الغريب الجديد الذي بدأ يغور في دخيلة نفسه، وهو يحس بان شعوره الجديد هذا قد اصبح قيدا ضخما يغله ويحيط به وعليه ان يضعفه ويفككه بحذر وبدون ان يدع مجتمعه الصارم يعرف ذلك ومن هنا نستطيع ان نصور هذا الانسان بانه يسير على اكوام من الاشواك الموضوعة في طريق دامس وعليه ان يحك دماغه ليعرف الطرق الضيقة الخالية من الاشواك وقد استرعت هذه الحالة نظر رجال الفكر من ادباء وغيرهم فحاولوا مقاومتها وتوضيح طريق الانسان في هذه الفترة الحرجة فمنهم من فشل ـ وهم الاكثرية في ذلك الوقت ـ ومنهم من استمر ولكن بكثير من الخوف والحذر .

وما ان حدثت الثورة الصناعية وغيرت الكثير من القيم الاجتماعية حتى خفتت الشدة والصرامة في هذا الامر وتسنى للادباء والكتاب الاجتماعيين ان يتنفسوا الصعداء ولو بعض الشيء فقاموا ببعض المحاولات الناجحة في هذا الصدد الا ان القيم ما زالت لها هيبتها القديمة المحنطة وما ان جاء القرن التاسع عشر حتى خف الوطء اكثر فاكثر وظهر عدة كتاب امتازوا بصراحتهم التامة في قصصهم حول العلاقة الخالدة المستمرة ابدا حتى يفنى هذا العالم وحول مسالة الغريزة الجنسية ... ومنهم اميل زولا الكاتب الفرنسي الذي اشتهر بذلك مما اقام عليه المجتمعات المحافظة ولم يقعدها مطلقا ومنهم د. هـ. لورنس الذي تبنى مبدأ الصراحة التامة في كتاباته الادبية ذات الطابع الجنسي في انكلترة .

ومهما كانت الدوافع الخاصة التي حدت بلورنس الى العمل في هذا السبيل فلسنا ننكر مطلقا خدمته هذه ونجاحه في سبيل تفتيح اعين النشء الصاعد بصراحة تامة مما وقع به الكتاب الذين جاءوا بعده الى الاستمرار في ذلك فكثرت الكتب والقصص الادبية التي تعالج هذهالمشاكل وكثر اقبال القراء عليها بكثير من اللهفة والرغبة ودفع ذلك علم الاجتماع خطوات الى الامام (وينبغي ان نؤكدهنا ان علم الاجتماع لم يكن آخذا شكله الحاضر وان هذا العامل الذي ذكرته عاملا من جملة عوامل اخرى لست في صدد بحثها الان) فاخذ الدافع الجنسي عند الانسان يخص باهتمامهم ـ اقصد علماءه ـ شانه في ذلك شان الدوافع الانسانية الاخرى بعد ان عاشوا قرونا طويلة في خيال تام وبعد عن المشاكل الحياتية . ومن الطبيعي ان يؤثر ذلك في ادبنا العربي ولكن التاثير جاء متاخرا مع الاسف تكتنفه شوائك عديدة . ومن الذين تبنوا مسايرة هذا التاثير والكتابة الادبية الصريحة في مصر مثلا الاستاذان يوسف السباعي واحسان عبد القدوس ولكن صراحتهما يشوبها شيء من الخبث الادبي ودغدغة العواطف البكر واستشارتها ولا ينكر انهما نجحا في ذلك وان كتبهما تطبع بالالاف وعدة طبعات . كل ذلك نتيجة لهفة الشبان والشابات في سبيل تفهم طبيعة افكارهم التي تراودهم والتي لا يستطيعون ـ او يظنون انهم كذلك ـ التعبير عنها وفهمها الا بهذهالواسطة

وكانت النتيجة ان استرعى الامر انتباه الادباء الاخرين سلبا وايجابا فمنهم من سايرها ومنهم من وقف او حاول الوقوف حجر عثرة في هذا السبيل ومن هذه الفئةالاخيرة توفيق الحكيم وغيرم ممن فكروا بكثير من الاشفاق في طبيعة رد الفعل الذي يرتسم على صفحة نفس المراهق الصافية غير الملوثة بعد بادران الحياة عندما ينغمر في قراءة هذا الادب المكشوف . ولعل الادباء والمربين شعروا بذلك فقد ارسل احدهم ـ وهو من معارفي ـ رسالة الى احسان عبد القدوس قال له فيها : « انا مؤمن باصول التربية الحديثة ، وان اولادي يجب ان يربوا تربية صحيحة

لارنولد ريتشاردز

•

العاطفة

ترجمة عصام الدليمي

•

○ ○ ○

العاطفة هي احزان صامتة تقطع اوتار القلب وعند التلميح الى الـ Cœnesthesia اقتربنا من التقرير عن العاطفة كعنصر من الوعي (الوجدان) .

ان الوضعيات المنبهة ينشأ عنها انعكاسات امرية واسعة النطاق في جميع الجسم ويشعر بها كالوان واضحة من الوجدان . وهذه النماذج من الاستجابة العضوية هي الخوف والحزن والسرور والغضب والحالات العاطفية الاخرى . وهي تنشأ غالبا عند تسهيل او احباط نزعات الفرد الدائمية او الموقتة بصورة فجائية . وبذا فهي تعتمد على طبيعة المنبه الخارجي اقل بكثير مما تعتمد على ظروف حياة الفرد الداخلية حين حدوث المنبه ، وهذه الحالات العاطفية من سرور وحزن تتميز عادة بعنوان الشعور من الاحساسات التي تعتمد في تمييزها على نوع منبهها وبذلك فالاحساسات تصنف كعناصر تتعلق بنوع المعرفة أي تتعلق بمعرفتنا للاشياء اكثر مما تتعلق بوضعنا او سلوكنا نحوها او بعواطفنا تجاهها . فالسرور والعاطفة لها في نظرنا نظرة معرفية .

فهي تعطينا المعلومات في حالة السرور وعن كيفية سير فعالياتنا سواء أكانت بنجاح ام بالعكس في حالة المعرفة عن وضعياتنا .

الا ان العاطفة يمكن ان تزودنا بمعلومات اكثر انها لحقيقة تستحق الملاحظة من ان الاشخاص ذوي الاحساس الخارق بالالوان يحكمون حسبما يظهر حكما مضبوطا ان كان اللونان متماثلين ام ان كان احدهما لا علاقة له متناسقة ثابتة مع الاخر وذلك دون حاجتهم الى امتحان وانتباه ومقارنة بصرية ويكفيهم لذلك العواطف العامة او الاعمال المنعكسة العضوية التي تثيرها الالوان عند مجرد النظر اليها ، وهذه طريقة غير مباشرة لمعرفة النوعية للعالم الخارجي وبرغم ذلك فهي طريقة لها قيمتها ، وربما يشبه ذلك ما يتصف به بعض الاشخاص من حكمهم على سجايا الاشخاص الذين يقابلونهم لاول مرة وكثيرا ما يكون هذا الحكم سريعا وناجحا (اي مصيبا) وربما يعجزون عن ذكر اي وصف للملامح بحيث تصلح لبناء حكمهم على ذلك الشخص ومع ذلك فهو تمييز خارق العادة وان الحساسية المشهورة التي يبديها الرضيع تجاه امه لهي مثال يلفت الانظار .

ان الدور الذي يلعبه هذا النوع من الحكم في التقريرات الاخلاقية لا حاجة به الى التاكيد . ومما يستحق الذكر ان الفنانين يكونون غالبا ماهرين متفوقين في هذا النوع من الحكم .

والموضوع يبحث تحت العنوان الواسع الغامض (البديهة) وهو عنوان من شانه ان يخير ويزيد المسالة غموضا لان هذه الاحكام ليست بأبسط واكثر مباشرة واكثر تعقيدا .

ولهذا السبب فهي طريقة ليست اقل بدائية بل بالعكس فان طرق التفكير المبسطة انما هي نتاج متقدم . ان للشخص السريع البديهة ان يستعمل الاحساس كما يستعمل الكيميائي كواشفه وكما يستعمل العالم بوظائف الاعضاء مقياس الكهرباء .

وكما ان الاحساسات التي يثيرها منبه الالوان يمكن تمييزها بالبصر فلا يمكن ملاحظة اي فرق ولكن هناك فرقا في الواقع ويصبح هذا الفرق واضحا اذا لاحظنا الفرق في الاعمال المنعكسة العضوية .

والطريقة هي مجرد اضافة علامات اكثر دقة وهي تشابه اضافة عتلة التسجيل الى البارومتر .

ان الفروق بين الاشخاص الحساسين وسريعي البديهة والمتفرجين يمكن ان تكون على نوعين فيمكن ان تكون تلبية اعضاء الشخص الحساسة دقيقة مرهفة .

وهذا الامر تقريره صعب . فالحقيقة هي ان اهم فرق يحتمل ان يكون فرقا هو في الاشتقاق .

وينطوي على الحقيقة ان الشخص المتفرج لم يتعلم

صريحة من الناحية الجنسية ... ولكن احد اولادي قد بدأ باجتياز مرحلة المراهقة وقد رايته يوما ما يقرأ احدى قصصك فحاولت ان اختطفها منه ولكني احجمت لي لا ينشأ عن ذلك رد فعل سيء فيقرأ الكتاب والكتب الاخرى من وراء ظهري حتما . والان ما رايك ... أادعك تدغدغ عواطفه وتفتح امامه افاق عجيبة بالنسبة له وغير مامونة ؟ اني اخاف ان يعمي نور الحقيقة الصارخة عينيه فيندفع في طريق شائك » فاجابه احسان : « دعه يا سيدي يكتشف الحقائق في هذه السن قبل ان يكتشفها بطريقة سيئة وبدون علمك او توجيه منك » .

والان ما الذي ينبغي علينا ان نفعل ومشكلة هذا الاب وهذا الابن هي مشكلتنا جميعا ؟ لا شك ان الاراء ستكون متباينة مختلفة ولكن اقربها الى الاعتدال ـ في رايي ـ ان يقرأ هذا المراهق هذه الكتب بتوجيه من الاب ، واحسن من ذلك ان تكون القراءة مشتركة تتبعها مناقشة صريحة تتناسب مع عقلية الفتى المراهق

ارى نفسي قد تجاوزت حدود عنوان هذا الموضوع ولكن طبيعة البحث قد ارغمتني على ذلك فالمشكلة علمية ادبية اجتماعية نفسية ولم افعل سوى ان اعطيت وهج سريع من النور عليها .

بغداد **باسم حمودي**

كيف يفسر في وجدانه الجسمي العام باية طريقة منظمة .
ويمكن ان تحدث التغييرات بصورة منظمة الا انها لا تكون ثابتة بالنسبة اليه .

ان العوامل بين الاحساسات العضوية تلعب دورا في جميع الفنون وهو ان كان مهملا الا انه على جانب عظيم من الاهمية .

ومما تجب ملاحظته هو انه ليس طريقة لاكتساب المعرفة وهي تختلف من جميع الوجوة الجوهرية عن الطرق الاخرى .

ولا حاجة لادخال اي علاقة من الشعور نحو الاشياء لايضاحها اكثر من فهم المعرفة لتفسير المعرفة الاعتيادية.

ويكفي في كلتا الحالتين معرفة اسبابها التي يجب التاكيد عليها وعندما نحن نشعر بشعورنا فهو نسيب بما نحس به .

ولما نشير الى شيء غير موجود فهناك احساس حاضر يشبه احساسا ماضيا ويكون منطبقا عليه .

ولهذا السبب فمجرد الاشارة اليه وما الى ذلك يؤدي الى وضعيات اكثر تعقيدا .

وهنا احساس حاضر باللون بسبب اجابة عضوية قد كانت في السابق مقترنة بلون معين .

فالاجابة حينئذ تصبح رمزا لذلك اللون ، ذلك الرمز ، الذي يثق به الشخص المميز الحساس ولو كان عاجزا عن التاكد بصريا فيما اذا كان ذلك اللون حاضرا ام انه شبيه به .

وهناك احوال اخرى تختلف عن هذه الحالة من حيث التعقيد وليس في المبدا ومما يعارض فيه ان هذا القول والاشارة او التفكير في اصطلاحات الاسباب تعطينا احسن طريقة مباشرة لمعرفة الجواب على ذلك ؛ ذلك الجواب هو ان انتشار الغلط بحد ذاته حجة ضد نظرية المعرفة المباشرة .

وفي اللغة الرائجة ان الاصطلاح (عاطفة) يقوم مقام تلك الاحداث في الادمغة والتي تصحب انفعالات كهذه من نهيج غير اعتيادي وبكاء وصياح وخجل .

ولكن في عرف النقادين لها معنى واسع ولذلك فلا حاجة لبيان فائدة الالم .

وعندهم ان الالم يقوم مقام كل حدث مهم في الدفاع بغض النظر عن طبيعتهم .

ان العواطف الصحيحة والعميقة (كما يقول الناقدون) ينقصها من المميزات ما هو سائد في لغة المهذبين كما يحدث ايضا عند علماء النفس لانه الشيء الذي يعتبر استعمالا صحيحا في علم النفس يخرج عن التعبيرات المجسمة التي تصحب التجارب كما هو مبين اعلاه وهناك مظهران يميزان كل خبرة عاطفية ... احدهما هو رد فعل منتشر في اجهزة الجسم وينتقل في الاجهزة السمبثاوية.

والاخر هو نزعة الى العمل من نوع معلوم او من مجموعة من الانواع .

وهذه التغييرات الواسعة النطاق في الجهاز التنفسي وجهاز الدوران وتتميز في التنفس وفي الافرازات الغددية غدت بطبيعة الحال تلبية اوصفيات تستوجب استعمال النزعات الغريزية ونتيجة لكل هذه التغييرات يحصل موجة من الاحساسات من اصل داخلي وتنتقل الى الوجدان ومن المتفق عليه ان هذه الاحساسات تكون على اقل تقدير القسم الرئيسي من وعي العاطفة .

اما مسالة ما اذا كان ضروريا ام لا فهو قيد الاخذوالرد

وربما ورد اقتراح اننا قد اعطينا انتباها غير كاف (على نظرية العاطفة) الى صور من احساسات كهذه .

ان الحقيقة بان الخوف مثلا من الحكم يمكن الشعور به في عدم وجود تغييرات جسيمة من النوع الموصوف (لهي حقيقة قيد الاخذ والرد) . ويمكن ان تشرح بفرض صور لهذه الاحساسات وان تحل محلها .

وهذه الاحساسات او صورها تكون عنصرا رئيسا لاختبارات عاطفية وتعلل لونها او نغمتها الغريبة من حيث ضخامتها كما ومن حيث نباهة العواطف .

ويعادل ذلك في الاهمية التغييرات في الوجدان والناجمة عن رد الفعل الحاصل في الجهاز العصبي الذي يسيطر على الحركات المتحكمة في اجابة العضلات للوضعيات المنبهة .

وتصنف هذه في حالة الخوف من استيقاظ نزعة بسيطة وتحفز للهرب او الاختفاء تحت منضده ، الى كذا ترتيبات جديدة متقنة كالتي نعملها لما نتهيأ لنقاوم تهديدا يقوم ضد فكرة محبوبة لدينا .

ويحصل طريقة من التعقيد الخارق العادة بين رؤية الوضعية وبين ايجاد طريقة لملافاتها وهذه الطريقة المعقدة تساعد بقية اللذات الغريبة على اجراء تجارب عاطفية .

الموصل

عصام الدليمي

أكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : مدام ومسيو كاربيس

عضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط
والحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

اقصدوا معهد كاربيس المحترم موضع ثقة ورضى جميع
من تعامل معه من العائلات وافراد المجتمع

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

تلفون ٣١٢٩٦ ص.ب ١٤٩٩
بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلا رفيق

وتركتني ...
ومضيت في الدرب السحيقِ
لم تضطربْ .. لم ترتعش شفتاكَ
للالم العميقِ
ومضيتَ موزون الخطى لتغيب في اقصى الطريقِ
وتركت شيئاً يا صديقي
شيئاً يخدّر لي عروقي

وشعرت بالنيران تجري في دمائي
وتمر كالاعصار يزحف في الفضاء
وتطوف بي في عالم الاشباح
في اللاشيء ...
مكتوم النداء
والدرب تجذبني .. فاهوي كالرداء
كالفأر .. كالمحزون عاش بلا عزاء
انا لا أحسُّ ... ولا ارى حولي...
فقد غامت سمائي

ومضيتَ في ركب المساءِ
وبقيت تصغر في الفضاء
لم تضطربْ ... لم ترتعش شفتاك
في كفِّ الشقاءِ
واثرت حولك في المكانِ
سُحُباً كأعماق الزمانِ
سُحُباً تصدك عن عياني
وتصد شيئاً من كياني
شيئاً تغلغل في كياني
وبقيت كالعمياء
تأكلها الثواني

وتحسُّ شيئاً حولها
قد غاب في قلب الزمان

ونهضت كالمشدوهة البلهاء
امشي في الطريق
واعود درب القهقرى
والنار تأكل في كياني
والحسُّ يجمد في عروقي
وعلمت أني قد فقدتك يا صديقي
وبقيت كالمشدوهة البلهاء...
في هم وضيق
فالتخت والشباك .. في بيتي العتيقِ
والمقعد المكسور يسبح في الشروق
وكروم بستاني وازهار الشقيق
صارت تقهقه من شقائي
وتزيد في قلبي حروقي
ترى هل تعود مع الصباحِ
فتموت في صدري جراحي
وتعشعش الاطيار في حقل الاقاحي
وتبرعم الاغصان في الشجر الوريق
ويعود في عيني بريقي
وتطيب في قلبي حروقي !
أم سوف تمضي في الطريق
نجم يسير بلا رفيق
ويرش شيئاً في عروقي
شيئاً يخدّر لي عروقي ؟

الجامعة الامريكية بيروت
عصمت حمارنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة عراقية

فطومة

بقلم عزيز ياسين

○○○

وعاد مثقلا باتعاب الاسبوع الذي قضاه بعيدا عن زوجته التي يعتز بها الى درجة انها شغلته حتى في اعماق الهور وهو يخادع الطيور وينصب لها الشباك مختفيا بين البردي الكثيف .

فكان يتأمل وجهها بسحره وفتنته ويتصور اخلاصها له وهي تدفع بالقارب بعيدا عن الشاطىء .

وانه ليرى كل شيء بصفاء ، كما يرى تلك الطيور المنتشرة على صفحة الماء بالوانها الرمادية الخضراءواقدامها الرفيعة الحمراء التي تذكره بقدم فطومة البيضاء المصبوغة بالحناء .

وكانت امله الذي يدفعه لان يسهر الليل متحملا البعوض وازعاجه ، ولان يدفع بنفسه الى نهاية الهور حيث الافاعي السوداء الممقوتة ، التي الهبت بسمومها جسد ابن اخيه وهو يحاول صيد ذلك الخنزير الرمادي الهرم ، كل ذلك في سبيلها ، فهي جديرة بكل تضحية .

غاد وعلى ظهره العريض كيس مملوء بـ (الخضيري) . و لاشك ان هذا الكيس سيرفه عن حاله ، ويفسح له المجال لان يصوغ لها خزامة ذهبية تجمل انفها الدقيق ، الذي هو اجمل شيء في صورتها الهادئة الحلوة .

وترك قاربه الصغير الذي غطاه الظلام ، فلم يعد يرى وهو راقد على شاطيء النهر الضحل المخنوق بالضباب . وكان ظهره يجاهد تلك الامال التي ملأت الكيس بشكل مفرح

وراى الباب مفتوحا على عادته . وبصمت وسكون ترك حمله الثقيل قرب التنور ، واخذ يسير على اطراف قدميه ، وكم كان يحلو له ان يوقظها بلطف وهدوء ولا يعكر احلامها فيه بعد هذه الغيبة الطويلة .

دفع باب الغرفة النائمة على ضوء فانوس باهت ... دفعها قليلا وفجأة انتفض كالسعفة وانعقد لسانه ، واخذ بلعومه يتكسر ، وعصفت بجسمه القوي الخشن رجفة كرجفة الموت .

لا ... لا يمكن ان يكون ذلك ابدا ... ابدا لا يمكن ان يكون ... قال ذلك وصدره يغلي بالوان من المشاعر المتضاربة ورأسه يدور كالدولاب .

ماذا يفعل ؟ ماذا يقول ! ؟ ... فربما كان متعقلا عندما ضبطاعصابه المتمزقة ولم يندفع ... وربما كان جبانا في تلك اللحظة المخزية .

واغلق الباب بانحلال ، وتحركت الى الوراء قدماه ، وارتمى على صيده النحس اللعين ، وعزم عزما اكيدا على قتلهما ، فراح يبحث في الظلام عن تلك السكين الكبيرة في حفر الحائط الكثيرة . وعثر عليها وتحسسها فوجدها نصف عمياء مثله وهو يدور ويتخبط في الظلام المعتم البهيم .

وحرك يده كالاعمى وتناول المحد ، واخذ يحدها ويحدها بتحفظ وبطء وهو يحاول اخفاء الصوت القلق بان يضغط على شفته باسنانه ... وكان يحدها وافكار سوداء تحد راسه وتضج في كيانه ... أاقتلهما ؟ ! ... نعم ، فان الله احل لنا مثل هذا القتل ! ! ولكن كيف يا فلان ؟ . ابهذه السهولة ؟ ... لا لن تفعل ذلك ابدا . وكيف لا افعل ؟ فستصبح سمعتي مجذومة بين هؤلاء .

واندفع كالثور الهائج الى الغرفة ، استرق النظر من خلال ثقوب الباب الواسعة ، لقد كان الفانوس بوضعية مجسمة لسريره السعفي الجديد... وشبح الكلاب ، شبح الخزي والخيانة جاثم يملأ فراشه !

وارتعشت يده ، واضطرب راسه مفكرا ، وارتسم امامه الماضي الجميل ... ولكن كيف اقتلهما ؟ ! ... لا انني سأقتله وحده ... فانه قد اعتدى افظع اعتداء.. اعتداء يستحق ابشع الوان القتل .

وتكلم في راسه شيطان ، وكيف تقتله ؟ فمن المحتمل ان تكون هي التي مهدت الطريق ... وفجأة تبدلت في راسه فكرة ، وعزم عزما اكيدا على قتلها ، وتصور السكين تلمع في صدرها ... تصور دماءها وهي تنزف على فراشه الذيسيرميه بعيدا بعيدا في اعماق النهر .

وتكلم في راسه انسان ، وكيف تقتلها وانت مسلم ؟ فالشرع لا يبيح لك ذلك . فمن حقك ان تتركها وتطلقها ، ان تضربها ضربا مبرحا . وثم سمعتك ايها الاحمق ، كيف تجازف بها ، انها كل شيء لك بين هؤلاء الظالمين . انهم سيمضغونك مضغ الكلاب للحوم النتنة المتناثرة امام بابكم المتهدم .

وتبدل في نفسه كل شيء . وانحلت يده ، وعاد ادراجه ، فقد صمم تصميما ... صمم ان يستعين بـ (مكواره) الخشبي الطويل ذي الراس الاسود القيري ، ورجع ودفع الباب قليلا بابهام قدمه الكبيرة السوداء ، والمكوار ميت بين يديه .

ووقف داخل الغرفة التي سادها صمت غريب لا تشوبه الا ضربات قلبه المتكسر . وجمع شتات حوله وقوته ، ورتب عملية تأديبه . انه سيضربها ضربة شديدة تنسيها هذه الليلة ولذتها ... سيضربها ولكن ! ... سيفلت منه ذلك المخلوق الحقير ... فالاحكم ان يضربه حتى يصحو صحوة الموت ، واما هي فعنده وسيقضي الليل بطوله يذيقها الوان العذاب والمراره .

وكان هذا اخر تصميم ، وله بعد ذلك ان يطلقها ، او يرمي بها في بقعة نائية في الهور وبين البردي الذي يكون لها قبرا رخيص الثمن .

وتجمعت افكاره لان يعمل . فقد كانت عمليته ان يوقظه من قدمه المكشوفة قليلا ، وما ان يرفع راسه حتى يعيده بضربة « جنونية » الى وسادته حالما احلام اهل النار .

وتقدم قليلا ، وتململت اصابعه باظفارها الخشنة القوية ، كان يود لو انشب انيابه الحادة في هذه القدم القذرة. واندفعت يداه بقوة، وقرص تلك القدم قرصة شديدة لحقتها صرخة مزقت الاجواء الميتة ، وانتفضت فطومة مذعورة وهي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر العراقي السيد سليمان الكبير

بقلم علي الحسيني

○ ○ ○

اذا كان من الصعب علينا ان نتحدث باسهاب وتفصيل عن شعراء وادباء القرن التاسع عشر الميلادي، في العراق، فان ذلك راجع لعدة اسباب وتأتي قلة المصادر وندرتها في مقدمة هذه الاسباب فالمصادر المطبوعة المتيسرة لا تشكل الا مجموعة صغيرة من المعلومات والنتف الموجزة ، بينما تضم في طياتها امثلة كثيرة للنتاج الادبي لذلك العصر .

ومن الخطأ القول اننا نستطيع الاعتماد على النتاج الادبي فقط ، في دراساتنا التحليلية هذه ، لان هذا النتاج يحتوي على الغث والسمين ، كما يحتوي على امثلة كثيرة من النتاج التقليدي المبتذل . فاذا ما وضعنا هذا النتاج في غربال النظرة التحليلية ، فان ما يبقى منه من جيد الشعر والنثر لا يكفي مطلقا لكي يشكل ركيزة لدراسة تحليلية . اما المصادر المخطوطة فقد وضعتها الظروف في ايدي رجال ، لا يعرفون مكانتها الادبية والتاريخية ، فكان من جراء ذلك ان تعرض الكثير من هذه المصادر للضياع والتلف .

على ان هذه الاسباب لا تبرر اعتكافنا عن تعريف الحركة الادبية في العراق ، في القرن التاسع عشر الميلادي، ويقيني ان القارىء العربي سيجد العذر لنا، عندما يجد ان هذه الدراسات غير كاملة .

ان الغرض من كل هذه السطور السالفة ، ان نقدم مثلا لها في دراستنا الجديدة هذه ، فالسيد « سليمان الكبير » وان كان شاعرا من كبار شعرائنا المنسيين ، الا ان المعلومات التي توفرت لنا عنه ، قليلة جدا مع الاسف .

حياته وأحواله

ولد السيد سليمان بن داود ـ الملقب بـ « الكبير » تمييزا له عن حفيده الشاعر سليمان الصغير ـ في مدينة النجف الاشرف عام ١١٤١ هجـ (١٧٢٢ م). وقد نشأ فيها واخذ العلم عن اساتذتها على الطريقة التعليمية القديمة . وكان معروفا بحبه الواسع للدراسة ، مما جعله يشتهر بسعة الاطلاع في المجالات الثلاثة ، الدين والادب والطب .

على انه استفاد من اطلاعه الواسع في الطب ، فامتهنه ، وقد برع فيه ، كما وضع بضعة مؤلفات ورسائل طبية . وكان من نتيجة امتهانه الطب ان لازمه لقب « الحكيم » طوال حياته ، كما لازم بعده قسما من اسرته .

وعندما استكمل دراسته في النجف الاشرف ، غادرها عام ١١٧٥ هجـ (١٧٥٦ م) الى الحلة ، حيث اقام هناك ، فما لبث ان عرفته اوساط العلم والدين والادب . وقد بقي في الحلة حتى توفي في ليلة الاحد الـ ٢٤ جمادي الثاني عام ١١٢١ هجـ (١٧٩٢ م) ، بالسكتة القلبية . وشيع جثمانه الى النجف حيث دفن هناك .

ومن الجدير بالذكر ان عددا كبيرا من الشعراء قد رثوه بقصائد تتفاوت في الجودة ، ومن اجمل هذه القصائد ، قصيدة الشيخ محمد رضا النحوي الذي كان صديقا للمترجم ، والتي مطلعها :

الا على دار النبي وانشدا بها قد قضى لما قضى الدين والهدى

ومما يجب ان نذكره عن احوال المترجم ، ان نسبه يتصل بالامام الحسين بن علي (رض)، كما ان جده السيد حيدر كان مرجعا دينيا لسكان المزيدية (١) وما جاورها من الاطراف والنواحي ، وكان يعرف بـ « الشرع » ، وله في المزيدية مسجد وآثار معروفة باسمه ، كما انه خلف ضياعا وبساتينا تعرف باسم آل شهاب ـ وهو الجد الخامس للسيد سليمان .

وقد اعقب السيد سليمان خمسة اولاد هم : حسين الحكيم ـ وهو شاعر ـ وداود ـ احد مؤرخي عصره ـ

تصيح « اسم الله اسم الله ! ! ام حسين ماذا حدث ! ؟ .. »

وجمد صاحبنا في مكانه عندما سمع هذه الكلمات وما ان انتفضت فطومة وانارت الفانوس جيدا حتى رات زوجها مغمى عليه ... فصاحت وهي تلطم خديها « يا ساتر يا الله ! ... ماذا جرى ؟ لقد افزعت ام حسين »

وانتبه الى نفسه وهو يتمتم بكلمات مخبولة متفككة « ما القضية؟ ...ما القضية ؟ »

فقالت له : ـ « مسكينة ام حسين تعاركت مع زوجها وطردها في هذا الليل ، وجاءت لتنام عندي ، وقد شدت راسها بـ (يشماغك) من البرد » . قالت ذلك وام حسين ترتعد لهول ما حدث ، وقد لفت جسدها الهزيل بذلك المئزر العتيق الاخضر ، وكانت نظرات الخوف تتطاير من عينيها المريضتين ، كما كان صاحبنا يختلس النظر اليها بنصف عين والعرق يتصبب من جبينه

وهز راسه مقهقها ... وتلاشت تلك الصور السوداء التي جاءت مع الليل ، ودارت تلك الاحلام الحلوة امام عينيه مرة ثانية ، وتلألأت الخزامة العريضة على انف فطومة ، وفتح اصابعه المتيبسة على خشبة المكوار، ورماه بعيدا وهو يقول : « اعوذ بالله ... والحمد لله الذي انقذني وانقذ ام حسين وفطومة ! »

العراق ـ المجر الكبير عزيز ياسين

وعبيد وحيدر وعلي . ومما رواه لي احد رجال آل سليمان اليوم ، ان المترجم سمع من الحاكم العثماني في الحلة كلاما خشنا ، لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية والادبية ، فعندما عاد الى البيت اخذ يردد بيتا يستنهض به اولاده لرد قول الحاكم العثماني ، وقد سمع القول ابنه « علي » فذهب الى الحاكم العثماني وقتله في الحال . وكان ان نكلت السلطات العثمانية بالسيد علي ، كما احرقت دار المترجم ومكتبته التي احتوت على كثير من مؤلفاته ومؤلفات غيره .

وقد كان السيد سليمان سريع البديهة والجواب ، مهابا ، محترما ، محبوبا . ويتبين ذلك من هذه الابيات في مدحه ، وهي من قصيدة لشريف بن فلاح الكاظمي :

لله درك من وفي ناصح ... لا ناسيا عهدي ولا متناسي
يا قدوة العلماء والادباء والصلحاء يا رب الندى والباس
يا من يقيس بشعره شعر الورى ... اخطأت ما الاذناب مثل الراس
لا ابتغي بدلا به عن ذا الورى ... من ذا يبذل تبره بنحاس

شعره ومكانته الادبية

ويمكن القول ان السيد سليمان ، هو من مؤسسي النهضة الادبية الفراتية في القرن الثالث عشر الهجري . ويكفينا ان نشير الى المغارس الادبية التي غرسها ، والى الادباء الذين تخرجوا على يديه او بتوجيه منه ، فنذكر ولديه السيد حسين الحكيم والسيد داود ، وحفيديه السيد مهدي والسيد سليمان الصغير ، وكذلك السيد حيدر العلي (٢) .

وقد عرف السيد سليمان في الاوساط الادبية في النجف والحلة ، فكان يساجل عددا من كبار شعراء تلك الفترة ، ومن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد رضا النحوي واحمد النحوي (٣) وغيرهم . ومن مساجلاته مع الشيخ احمد النحوي هذه الابيات التي بعث بها اليه ـ اي الى احمد ـ وفيها لزوم ما لا يلزم :

ان تجفني لم تلقني لك جافيا ... فلئن هجرت ازرك شوقا حافيا
فانا بكم في كل حال واثق ... مهما كتمت الود لم يك خافيا
حيث الوداد عليه كل جوارحي ... جبلت وكان الود منها صافيا

ومنها هذه الابيات ايضا :

ان يمس جسمي من بعادك مسقما ... يكن الوصال له طبيبا شافيا
واذا تعاضل داء هجرك مجهدا ... كان الوصال اذا وصلت معافيا
فرايت هجرك والوصال كليهما ... ذا مثبتا وصلا وذلك نافيا
ولئن جفا هذا الزمان واهله ... فاقل وصلكم اراه كافيا
ناهيك عن فخر وجدت بقولكم ... « سلم عليه لنا سلاما وافيا »

واهم ما يمتاز به شعر المترجم انه كان تقليديا ، وكذلك كان في الاغراض ، وهي المدح والرثاء والغزل والاخوانيات والخ... الا ان ما يميز شعره خلوه من الابتذال الذي نجده عند عدد كبير من شعراء عصره ، والسبب في ذلك يعود الى انه لم يتخذ الشعر مهنة ، كما اتخذها العدد العديد من رعيل الشعراء آنذاك ، وقد كان يكسب رزقه من مهنة الطب التي زاولها فبرع فيها . ومن الامثلة على هذا الشعر ، هذه الابيات التي نقتطفها من قصيدة في مدح الامام علي (رض) ، ويمكن اعتبارها نموذجا للمدح الخالص من الابتذال في تلك الفترة :

ظهور المعالي في ظهور النجائب ... ونيل الاماني بعد طي السباسب
فدع دار ضيم دب فيك اهتضامها ... كما دب في الملسوع سم العقارب
احادي السرى رفقا بمهجة واله ... تناهبها في السير ايدي النجائب
فما لي الا عظم شوقي مطية ... ولا زاد لي غير الدموع السواكب
وعج بي على اطلال دار عهدتها ... معاهد جود يوم بخل السحائب
ديار بها كم شيد للمجد ركنه ... بسمر القنا والماضيات القواضب
ربوع يمير الوافدين ربيعها ... سحائب جود عند بذل الرغائب
مهابط وحي اقفرت وتنكرت ... معالمها من فادحات المصائب

ومما تقدم ، يمكنك ان تعرف مدى قوة ومتانة شعر السيد سليمان . ومن الجدير بالذكر ان مجموعة شعر السيد سليمان لم تطبع ، وهي متفرقة بين الكتب المخطوطة والمطبوعة ، ولا ريب في ان طبع هذه المجموعة يقدم الى الادب العربي خدمة جديرة بالاعتبار .

آثاره ومؤلفاته

وقد ترك السيد سليمان وراءه جملة من الكتب والرسائل الادبية والعلمية والدينية ، الا ان ما يثير الاسف حقا ان تضيع هذه المؤلفات . وفي الكتاب الذي وضعه السيد داود ـ نجل المترجم ـ عن سيرة والده وما قيل فيه من شعر ونثر ، ومن مدح ورثاء وتهنئة (٤) ذكر بانه « اتقن العلم وبرع في الطب والادب ، وصنف في كل فن وعلم كتابا » . كما ان الشيخ محمد علي اليعقوبي ذكر في كتابه « البابليات » (٥) ما يفيد بعثوره على رسالة صغيرة الحجم للمترجم ، اسماها « خلاصة الاعراب » ، وهي مرتبة على مقدمة وفصول اربعة وخاتمة ، ويرجح انه كتبها لبعض تلامذته . ومن الطريف في اخبار المترجم انه كان خطاطا ماهرا ، وسريع الكتابة حتى انه كتب كتابا واحدا لابن طاووس في يوم واحد (٦).

ولا ريب في ان المترجم كان شاعرا كبير المقام عند شعراء وادباء عصره ، بالاضافة الى السمعة الطيبة التي اكتسبها اثناء امتهانه الطب . ان هذا مما يثير الاسف حقا لضياع مؤلفاته الادبية واللغوية والعلمية، ولبقاء شعره موزعا بين بطون الكتب المخطوطة المعرضة للتلف والضياع. على ان اجل ما نقدمه من خدمة للادب العربي ومن انصاف لشاعرنا هو طبع مجموعة شعره المخطوطة ، ودراسة سيرته وشعره دراسة مسهبة . ونحن لا نفقد الامل في تحقيق هذه الفكرة ، وكل ما نرجوه هو تحقيقها في القريب العاجل (٧) .

الحلة ـ العراق — **علي الحسيني**

(١) المزيدية قرية صغيرة تقع الى جنوب الحلة بمسافة . (٢) راجع « الاديب » اب ، (اغسطس) ١٩٥٧ . (٣) لنا دراسة عن هذا الشاعر المنسي سندفع بها للنشر قريبا . (٤) هذا الكتاب مخطوط ، ويقع في (٢٦٠) صفحة ، ويوجد عند احد رجال اسرة آل سليمان في الحلة . (٥) الجزء الاول ص ١٨٨ (٦) نفس المصدر ص ١٨٨ (٧) مصادر البحث : الحصون المنيعة ـ علي آل كاشف الغطاء ـ مخطوط . ـ آل سليمان ـ داود بن سليمان ـ مخطوط . ـ شجرة آل سليمان ـ مرزة بن عباس الحلي ـ مخطوط ـ البابليات ـ محمد علي اليعقوبي ـ النجف . ـ اعيان الشيعة ـ محسن الامين العاملي ـ دمشق . ـ شعراء الحلة ـ علي الخاقاني ـ النجف .

يا ليل اين تنام

○

يا ليلُ ـ أين تنـام ـ حدثنـي ـ اذا طلـع الصبـاحْ
وتثاءب الافـقُ المهـوّم ـ حـول همهمـة الرّيـاح
وتلفتـت خضرُ الحقـول لروعـة الفجـر الصـراح :
ورجعت تبحث ـ في الطيوف البيض حولك ـ عن جراح

* * *

أترى لديك ـ وراء آفاق الشـروق ـ مـدى مـراح
يلقـاك فـي وَلـهٍ ويفـرش دربـه لـك بالاقَـاح
لتعيش فـي اغفـاءة سكـرى باحـلامٍ مـلاح
حيثُ النجـومُ تـرشُ في عينيـك أطيـاف السماح

* * *

يا ليـل أين تنـام ـ هـل ضمتـك اغـوار الكهـوف
ورقـدت فـي احنائها فـي غمـرة الصمـت المخيـف
لتعيـش فـي آفاقـه اسطـورة لغـدٍ طـريف
تحـكي عن السعـلاة والغيـلان ، والشبح المخوف

* * *

انـي اراك ـ وراء ذرات الشعـاع وفـي الحقـول
شبحـاً يطوف مـع الاماني الجوف في خـدر الذهـول
قلقاً يسيـر مـع الظلال ـ بخطـوه الواهـي الكليـل
والحقد فـي جنبيـه .. يأكـل روعـة النـور الجميـل

* * *

واذا اطمـأن بـك الغـروب فرحـت تحتضن السمـاء
ومضيت تحلـمُ ـ والحيـاة لديـك اطيـاف وضـاء
القيـت فـي الابعـاد ما سـرقت يـداك مـن الضيـاء
فاذا بكـل شـرارة .. عـين تحـدّق فـي الفضـاء
لتريـك كيـف تحـنُ للاصبـاح اشبـاحُ السنـاء

العراق ـ النجف — محمد حسين فضل الله

قصة عراقية

بقلم منير امير

سأعود من جديد

لم يكن قد استقر في راسي هدف معين حين خرجت من البيت ، فانطلقت اضرب في الشوارع والطرق بوحي اللحظة والرغبة . ثلاثة طرق هنا امامي : ذاك فيه نساء ملتفات بالعبي السود جلسن يثرثرن قرب ابوابهن .. لا .. لن امر به . والثاني اولاد صغار يتراشقون الحجارة والقشور ، وفيه مياه آسنة . لا .. والثالث غارق في شمس ساطعة ملتهبة ، ولكن لا مفر من اختيار احد الثلاثة . فضلت الاخير . لم تكن سقوف المنازل كافية لان تحدث فيئا واسعا يرتاح الانسان عندما يسير فيه ، ولكني مع هذا اخترقته دون ان اشعر بان الشمس ملتهبة كما توقعتها لم اكن قد سخنت بعد . كل ما شعرت به .. بعض الدفء ، وكأني شربت بعض البراندي .. وقادني الزقاق الى شارع طويل .. لم اكلف نفسي معرفة اسمه او مكانه في خارطة بغداد ، او في القطع الخشبية التي تعلق عادة على جانبيه باللغة الانكليزية والعربية . وانا اتعمد تقريبا هذا الاستغراق في عدم الاهتمام ، بدافع نظرية عدم حشو الراس بما لا يهمني كثيرا . الاسماء لا تهمني كثيرا بقدر ما يهمني الشعور الذي ينتابني عندما امر في مكان ما ، والانطباعات التي اجدها في نفسي عندما ارتادواجوب الطرق والشوارع دون تحديد او خطة معينة . وهكذا اصبح بعد دقائق وكأني في تيه .. لا نهاية له .. وينتابني النسيان انسى من انا . انسى ان لي اصدقاء او عائلة او وطنا او دينا او ولعا بالفنون الجميلة . انسى اني اشتغل في بنك . والعجيب في امري اني امحو كل ذكرى او اثر تثيرها في بعض الوجوه والاماكن التي قد امر بها في جولتي المحببة تلك . بل غالبا انسى امشي .. وهكذا تصبح الاماكن بالنسبة الي ، اشياء تحيط بي لا غير . مواد خام فقط .. لا عقلانة لها بي .. فتلك اشجار خضر . هناك قصر اصفر . بيت فيه سقف مثلث الشكل عتيق ، فتاة سمراء في ملابس حمر . طفلة صغيرة شعرها مجعد في ملابس صفر لامعة وبلون الفلفل . جذوع نخيل طويلة . قار يفور في الشمس . حمار في الظل .. خامل تقوده الغريزة الى احاسيس ملذة حيوانية . وتلك بقرة بلهاء . مقهى معتم فيه جب) عتيق فوق غطائه الخشبي طاسة بلون الذهب .. وفيه ماء الى منتصفه اما ما الذي يعنيني من كل هذه الاشياء ، او الرابطة التي تربطني بها . فلا احاول ان افكر بها او اوجدها . ولا افسر اي شيء مما حولي .. وقلما اسخر مما يحيط بي رغم ميلي الشديد الى السخرية .. والشمس تزداد حرارة فاشعر بجلدي يحترق وثيابي تتلف ، والعرق يجري على بشرتي ، ووجهي مجعد وعيني نصف مغمضتين ، والشمس تلمع ، والسيارات تغلي وتحرق الاصبع البشري الذي يمتد اليها عفوا او قصدا.

ومددت بصري في طريق ضيق محاط بالطوب ، انتهى بحصان برتقالي يضرب جسمه بذيله دون انزعاج او سخط ، وقد مد راسه في حفرة فيها تبن . والشمس بدات تخف حدتها ويقل بريقها وتصبح دافئة رائعة .. تضفي على الدور والمزروعات والارض شكلا اقرب ما يكون الى صورة زيتية جيدة التلوين . وتصبح الوجوه العراقية السمر التي تمر امامي بملابسها الشعبية او المدنية ملونة تقرب الى الاحمر الضارب الى السمرة تدعوني الى رسمها في لوحات ..

واصبح ظلي ممتدا امامي .. طويلا هائلا خرافيا . في حركاته سذاجة ادركها انا بسرعة فاضحك عليها . صرت في فسحة كبيرة فيها ساحة مبلطة بالمرمر المربع الشكل، وهناك الى يساري ثلاثة بيوت متقاربة . اولها مقفل النوافذ والباب . لا اثر فيه لكائن حي . والاوسط تميز بكلب ضخم كان يثبت غباءة في كل لحظة عندما يطارد احد المارة دون سبب او معنى . وكان الباب مفتوحا وبدا في ساحة الدار الغارقة في شمس العصر اولاد صغار يلعبون في ارجوحة خشبية زرقاء اكسبتها الشمس الصفراء المائلة الى اللون البرتقالي. لونا خضر جميل . ومررت بجراة ولطف.. فلم اصدم شخصيا بغباء ذلك الكلب الضخم .. حتى صرت بمحاذاة الدار الثالثة . بدت لي اشبه ما تكون بفيلا انيقة . كانت محاطة باخشاب بيضاء مثلثة الراس طويلة. عمودية على سطح الارض ومتوازية فيما بينها . وفوقها ووراءها ازهار حمر عالية .. تلمع بروعة عجيبة وكانها ازهار من المناطق الاستوائية كما نراها في الافلام الملونة التي تدور حوادث قصتها في جزيرة تاهيتي مثلا او جزر هاوايي وغيرها وكان هناك نخلات منخفضات قصيرة وشجرة جوز هند منتصبة مستقيمة مع اشجار البرتقال ذات الاوراق العميقة الخضرة .. وكل شيء هادىء وملون . وهناك باب من الاسلاك الرفيعة ..

كان هذا الباب مفتوحا تلك المرة . وشابة جذابة واقفة مستندة بحاجز قرب اصيص زهر . كانت تنظر في اتجاهي بشكل فيه اغراء واسترخاء . وتفحصني جيدا : من وجهي حتى حذائي . فلمست في عينيها انجذاب عاطفي عميق . وعلى شفتيها وفي وجهها كله ابتسامة ود وترحيب توسعت وازدهرت عندما قابلتها انا ايضا بابتسامة تكاد تكون عفوية لكنها عكس رد الفعل عندي. وتحرك حاجباها بشكل لا ارادي.. وفتنني وجهها الاسمر . كان بودي ان اقترب منها وابادلها حديثا وديا ، لكني لم اكن لوحدي . كنت مرتبطا بصديق لي مفرم بالمسرح بشكل صادق وعنيف . كان يحدثني — وهو يسير الى جانبي — عن احدى المسرحيات واخراجها والانارة الملونة اللازمة لها.. وعن التمثيل المسرحي والموسيقى التي ترافق فتح الستار. لم يرها صديقي ولم تنظر هي اليه. كأنه لم يكن موجودا بجواري . شعرت للحظات معينة بان صديقي ماكنة تتكلم .. دمية تمشي وتتكلم

ولا ترى شيئا مما حولها . من جمال طبيعي او نساء يوقظن في النفس حنينا دفينا الى الحب والمتعة .. والى الاشياء المجهولة الاخرى . وهكذا كنت قد مضيت عنها . نادما مستاء وفي نفسي فورة صاخبة تجسمت هي في وسطها .. صامتة هادئة لكنها عنيفة تثيرني بقوة واصرار ..

اين تراها الان .. وانا بمفردي هذه المرة. تائه طاف في الشمس والهواء

ان كلب البيت المجاور قد مضى نابحا وراء رجل عجوز توغل في شارع جانبي نظيف ملىء بالظلال ورائحة اشجار البرتقال ليس بامكانه ان يضايقني حتى ولو لامست ازهار الدار .. الساطعة المتوهجة الحمرة في الشمس .

لم يكن هناك احد . والصمت العذب يملأ انحاء الحديقة الندية الملونة ، ولا شيء يجذب النظر عدا ذلك .. غير عمود ابيض قد تدلى من راسه المعقوف مصباح حليبي اللون لم يوقد بعد . طفت حول المكان كي اشاهد الحديقة الخلفية الغارقة في الظلال والرطوبة الخفيفة، فلم اشاهد انسانا ولا حيوانا ما . لم استطع ان استنتج كيف لا توجد عصافير تزقزق ، او اطيار ملونة . او فراشات تطير حول الزهور .. في هذا المكان الهادىء الممتع . قلت في نفسي ان الوقت لم يحن بعد ، والشمس لا تزال محرقة في نظر ساكني مثل هذه الدور . سوف تمضي نصف الساعة وتخرج الفتاة في الشمس وتتكىء قرب اصيص الزهر . اتراني استطيع الانتظار انا السريع الملل والضجر ..

وقفت على رصيف الشارع العام لكني لم ارغب في عبوره . وجذب انتباهي عمود كهرباء قريب ، فقررت ان اجلس عنده للراحة والانتظار العاطفي . اتكات بظهري عليه وقد احطت ركبتاي بذراعي ، ووجهتي الدار الشبيهة بالفيلا . كل شيء مريح والهواء صاف عذب ، والعمود يلقي بظله على راسي وركبتي ويمتد امامي طويلا عبر الساحة السمراء المطلية بالشمس ، وينتهي ببصري الى حديقة الدار .. ورأيت الكلب يعود الى البيت الثاني ويختفي فيه انها لراحة مثيرة اعيشها بكامل حريتي وبهجتي . تحتي منديل نظيف كنت قد فرشته قبل ان اجلس . والتعب اخذ يغادرني بكل بساطة وسهولة . والمنظر الطبيعي الذي امامي يزداد حمرة وردية وعتمة ونفسي تهدأ اكثر فاكثر .. هدوءا عميقا ايقظ في مشاعر نبيلة مسالمة، وجعلني احترم الفنان الذي استيقظ في اعماقي قويا صارخا ذكيا .. ليزيد صوري وحياتي انسجاما وروعة .. ويدفعني الى الرقي في الذوق والاخلاق .. ثم وجدتني تدريجيا انسى كل شيء .. واصبح في هدوء فيه عاطفة تتحرك الى ذروتها . العواطف ضرورية كالاكل والنوم والماء والتنفس .. والعمل . وفي لحظة اندفعت ناهضا . والمنديل نفضته في الهواء . وتحركت بهدوء وعزم صوب الدار .. هذه المحاولة ستكون الاخيرة . يجب ان ارى شيئا . ان اصنع حدا للانتظار . فاذا وجدتها فساكلمها . واذا سالتني هي عما اريد . فساقول لها اني ابحث عن غرفة للايجار ، اتخذها مرسما ، فانا .. فنان حديث ! وانا اتصور نفسي اقول الجملة الاخيرة بابتسامة خجولة صغيرة .. ومررت بجوار الحاجز الابيض الخشبي . لم يكن هناك احد .. لكني انتبهت لاول مرة الى وجود كراج صغير فيه سيارة خالية . وفي الحديقة ـ وانا ماض في سيري ـ لاحظت شيئا .. فانفعلت بشدة . ثم ابديت امتعاضي (ايتها العجوز البيضاء الطويلة الجامدة) كانت امراة انكليزية عجوز بنظارات بيضاء قرب عربة طفل . ورأتني ـ العجوز ـ فالقت علي نظرات زجاجية جامدة . ثم اخفت راسها باتجاه الطفل وانحنت عليه . (عليك اللعنة ايتها العجوز الجافة اليابسة .. التالفة) وكدت ادير وجهي واغير اتجاهي مبتعدا حينما لفت انتباهي حركة لون قرب باب الاسلاك المفتوح . انها هي .. رغم اني اراها بشكل جانبي .. كانت رشيقة ايضا مثلما تكون عندما اراها من الامام . بدت لي وكأنها تسير بتأن واستسلام للقدر . وفي ملابس فاتحة اللون صغيرة الزخارف . لا كما في تلك المرة : بملابس زرقاء غامقة تميل الى السمرة . أهي اسبانية ام فرنسية . انها ممكن ان تكون عراقية . لكن تلك السمرة ووضع الجسم تلك المرة في اتكائها على الحاجز يجعلها تبدو لي كأنها اسبانية . اما الحاجبان والنظرات فتشعرني بان فيها طابعا فرنسيا .. لا ادري لماذا . كيف استطيع التاكد من استنتاجي .. وانا لست خبيرا بنساء العالم بل ولا بنساء العراق نفسه ! اكثر خبرتي لسوء الحظ وحسنه في الارقام والصكوك التجارية والالوان وتناسقها فيما بينها . فنان نقي اضطر ان يشتغل في بنك تجاري كي يحصل على لقمة عيشه ولم تعط له فرصة ليحيا كما يريد ويستمر في تثقيف نفسه بهدوء وحرية . بل وقد حرم من حقه الطبيعي في المرور بتجارب جديدة ضرورية . والبنك اللعين (عندما تريد اجازة تزيد عن اليوم الواحد ، حدد لنا متى تبدأ ومتى تنتهي ، قبل مدة ، كي نرى هل في استطاعتنا ترتيب ذلك في الوقت المطلوب اولا . لا ان تفاجئنا هكذا) : هذا جواب سكرتير البنك تلك المرة التي شعرت فيها برغبة جارفة في السفر .. ولم يستطيعوا ترتيب ذلك الوقت المطلوب . ففقد السفر بعد ذلك قيمته بالنسبة لي . (فنان يعيش في وسط تجاري) : هذه خلاصة حياتي .

ان للمهنة اثرها في حياة الناس وانتاجهم وها هو العالم تطغي عليه صبغة تجارية . فكرة البيع والشراء متوفرة في كل شيء .. حتى في الفنون والزواج والحب . وفكرة النجاح والفشل يؤمن بها اكثر الناس كهدف ومقياس لقيمة الانسان وجهوده طوال حياته . اما بالنسبة لي فما ان اشتغلت في البنك مدة حتى بدات المس في انتاجي بداية تدهور ، وسماجة في الذوق . وطابعا تجاريا . فالتعب الناتج من تركيز الفكر في الارقام والاسماء والعمليات التجارية ، والجلوس المستمر تحت سقف طوال ست ساعات واحيانا اكثر . بل ان امساك القلم المستمر نفسه اصبح يشل العضلات . وصرت عندما امسك بالفرشاة ـ عندما اصبح في البيت وابدأ الرسم ـ اشعر بشلل في العضلات . وشلل نفسي : تزهق نفسي فاخرج بسرعة وعصبية محتقرا قيمة الفنون كلها .

ولا يبقى امامي سوى ان امشي واقرع الارض بسخط وانزعاج . ما مصير فنان كهذا .. في هذا العالم الذي يسير بسرعة .. دون عمق . وهنا هذا الحاجز الخشبي الابيض لهذه الدار الذي امامي . انه رمز .. لحاضر . لسياج يفصل بين البساطة والتعقيد. لو اردت ان ادخل فسيطلب مني ان ابرر سبب اجتيازي هذا السياج . ولن يعبأ احد كثيرا العواطفي الانسانية الخاصة والشابة التي استهوتني هناك . انها ليس بامكانها — وهي ماضية في سيرها — ان تراني . وبعد برهة (اعطتني ظهرها) ثم اختفت في الدار . ماذا بامكاني ان افعل سوى ان تفرجت عليها بولع . ولم يبق امامي الا ان احث السير مبتعدا . لا . لم ينتابني شعور بالخيبة والفشل كما كنت افرض لو اني تصورت تجربة عاطفية مماثلة لم امر بها . لم ادهش لذلك الوضع.. فاقل اثارة لي تنبهني الى الحقيقة التي تصدم بقسوة .. والتي اعرفها جيدا رغم اني انساها او الاغلب اتناساها .

وقفت على رصيف الشارع العام والقيت بصري عبره الى حيث ساحة مستطيلة طويلة غرست فيها شجرة ورد متنوع اللون . والى الرصيف الاخر حيث تلال من التراب من ارض قد حفرت حديثا . لم يعجبني ان افعل اي شيء اخر غير الوقوف هكذا لا رغبة لي في العبور ولا في المشي و.. ولا في البقاء طويلا هكذا ومرت لحظتئذ في ذلك الهدوء سيارة صغيرة الحجم ، وحياني منها صديق اوده . كان يقود عائلته الى مكان ما . حدثته يوما باني لا اود كثيرا اولئك الذين يركبون السيارات الخاصة . (ولكن بيتنا بعيد .. واخي كثير التنقل والاشغال ، ويشارك العائلة في تعلقها بزيارة الاقرباء والاصدقاء!) هكذا عاد الى ذاكرتي قوله لي بصوته الخافت الهادىء . وما دام قد رآني اليوم وابتسم لي وانا في هذه الوقفة التي سيصفها لي بانها (شاعرية : عاطفية حائرة) . ويمازحني بقوله: (انك كنت تبحث عن غرام فانك عاشق جمال . انا ادرى بك من نفسك !) .. ووجدت نفسي اعبر الشارع دون تردد .. وانا ابتسم .

وطأت كثبان التراب فارتفعت في قمتها مشرفا — امامي وتحتي — على شارع هادىء يرتع فيه اولاد وبنات صغار .. في الفيء والصمت . وكدت اهبط باتجاهه .. في حين ارتقت الكثيب امرأة نحيفة رشيقة سمراء .. واكبر من ان تصبح زوجة لي مثلا ! نظرت في عينيها فبدا لي انها تتجنب النظر الي وتخشى المرور بجانبي ! ؟ فنفرت منها هابطا الى الشارع الهادىء بطريق كان ملتويا وصاعدا نازلا كله تراب . وما ان وطأت قدماي الشارع . حتى تنفست فيه ، وانتابني شعور بان هؤلاء الصغار النظيفين المبتهجين المنطلقين في لعبهم الهادىء ، هم صغار المستقبل ، الذي ستختفي فيه تلك المنازل غير الصحية القريبة من محلتنا .. حيث يلعب الصغار ، العابا مزعجة في الاطيان الوسخة المليئة بالاحجار وشظايا القناني المكسرة .. وتحل محلها في كل مكان بيوت نظيفة وصحية .. تحيطها حدائق يستطيع المرء ان يتنفس فيها هواء طلقا عذبا خاليا من العفونة والميكروبات .

وجدت نفسي امشي بلطف . وابتسم في وجوه الصغار . واقرأ في وجوههم وعيونهم الرغبة النقية في الحركة والود والحياة، واستعدادا للتقدم والرقي وتذوق جميع الفنون الحرة . تمنيت شيئا واحدا وانا اشاهد الغرف النظيفة ونوافذها المطلة على الهواء النقي ، نعم .. تمنيت لو تكون لي ولو غرفة واحدة — فقط — في هذا الشارع . اذن لرسمت صورا مبهجة تجعل اي انسان مهما بلغت به القسوة ، يكون محبا للجمال ومساعدة الاخرين . بيتنا العتيق .. التراب يتناثر من جوانبه والجرذان تحفر في سقوفه. وهواؤه رطب راكد . لا زهرة ولا وردة ولا اي نبات اخضر او ملون ، وجدران جيرتنا العالية تحجب عنا الهواء وتمنع الشمس في اكثر الاوقات . كم مرة اندفعت الى الانتحار ولم ينقذني منه الا ذلك الحب الخفي الذي يستيقظ في فجاة قبل قتل نفسي بلحظات .. ورغبتي الخفية العميقة الصادقة في رسم اللوحات الملونة الحية . انا اشعر باني انسان نبيل . كل شيء يقف ضده. ولا احد يساعده بما فيه الكفاية ؛ اقاوم الموت والاندحار .. بكل اعصابي ومشاعري . وقد اضطررت — لكي اعيش — ان اقتل اكثر من نصف قواي الحيوية، شبابي انسانيتي ذوقي الفني ، في عمل رتيب منهك. في البنك : هذه الكلمة التي صرت اشمئز منها .. لما توحيه لي . تلك الغرفة الكبيرة الكئيبة حيث لا شمس ولا هواء طلق ولا نبات ولا سماء طبيعية . ولا حرية ، ولا راحة نفس واعصاب . (سحقا لاماكن التجارة اللعينة هذه .. الى جهنم الرجال التجاريين كلهم .. الرؤوس المليئة بالارقام .. الى جهنم .. الى جهنم)

واستدرت .. والقيت نظرة اخيرة على الشارع . كان يمتد طويلا نظيفا وفي نهايته بدا ذلك الطريق الطويل الذي جئت منه في الشمس . كان قد صار معتما بعض الشيء. والشمس تلون بشحوب جميل اللون ولكنه كئيب — قمم منازله العالية فقط . شعرت برغبة في الاجتماع باي انسان يستطيع ان يشاركني احاسيسي ووحشتي العنيفة جعلتني انطلق مهرولا بكل جسمي الهزيل وملابسي البسيطة . كنت بذلك قد اثرت انتباه ولد ممتلىء تراكم لحم الكسل على عظامه اللينة واخذ هذا (الكتلة اللحمية المرحة) يضحك علي. فقلت له : ايها البدين اللعين ...

بدا الطريق امامي دون شمس ، وطويل .. طويل جدا .. ووجدتني اقف طويلا وافكر .. ثم افكر . ماذا بامكاني ان افعل الان؟ ماذا باستطاعتي ان افعل .. سوى ان ابدأ — كل مرة من جديد .

عندئذ مضيت بانفعال عنيف يغلب عليه السخط ، اقدامي تقرع الطريق في صمت عميق كله ثورة . انا اشعر باني قد بدأت بدون امل.. ولكني مع هذا لست يائسا ابدا . والرجل اليائس : رجل ميت . لكني انا لم امت بعد .. فرغم كل شيء انا لا ازل حيا ، وغدا ستشرق الشمس وساعود من جديد اقطع هذا الطريق الطويل لاراها .

بغداد **منير امير**

مصرع الياسمينة

○

في جنيتنا ياسمينة
زرعها لنا جدي منذ عشرات السنين
ووهبها أجمل صباحات عمره
حتى كبرت
وآمنت بها الارض
وملأت جو الجنينة عطراً
وأصبحت عشاً للحساسين وعاملات النحل
وملعباً للأنسام الطفلة
وكعبة يحج اليها القمر كل ليل
فيغفو في زهورها على مخدات الطيب
الى أن يستيقظ الفجر ••

★

كانت أسراب الذباب تئز حانقة اذا مرت بها
والروائح النتنة تنسحق على عتبات شذاها
فتؤوب مطمورة بخيبة ذليلة ••
والبغاث الذي ألفته ادواح الحديقة
مستنسراً ، أبداً ،
أجزعه وجودها الخيِّر
فابتلعته أشداق العدم ••
وجمرات الجفاف التي كانت تعيش
في شقوق الارض ،
أطفأها ندى ياسميننا ••
فغدت جنيتنا مرجاً
من الحب •• والجمال •• والخير ••

وفي ليلة رهيبة من ليالي صيف
وبينما كانت الياسمينة سكرى بأحلامها
يقبل النوم عينيها ،
تسلّل الى الجنينة أشرار
فتوجهوا بسكاكينهم العتيقة الصدئة
نحو الجذع الحي الشامخ
وأوسعوا رقبته حزّاً
حتى تقطّعت شرايينه
فسقط ••
والنسغ يدلقه كل عرق منه •••

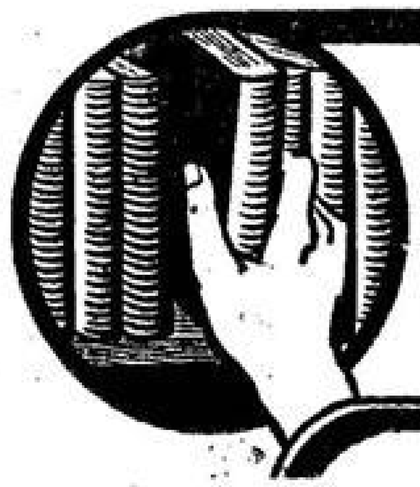
★

وفاق الصباح
فجاءت الحساسين
وأقبل النحل
وتمطّت الاعشاب
تبغي كلها كؤوس الطل ••
ولكن •• لم تكن هناك الا جثة ياسمينة
ووفد القمر في الليل كعادته
وعندما لم يجد رفيقته
سأل النسيم عن سر التلاشي
وهو ينظر آثار الجريمة•••
فاشرأبت شوكة قريبة لم تنم بعد
وأجابت :
لقد كانت عنصر فساد وفوضى
في الجنينة الآمنة ! ••

سوريا ـ ضهر صفرا **غسان طربيه**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب



التراث الروحي للتصوف الاسلامي في مصر

لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٢٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار العهد الجديد بالقاهرة

●

ليس هناك ما هو ادعى للغبطة من ان يرى الباحثون في مجال معين من الدراسات ، باحثا يكشف لهم عن نواح مغمورة من مجالهم ، ويسد فراغا ظاهرا في دراساتهم .

وقد عهدنا في الاستاذ الاديب محمد عبد المنعم خفاجي سبقه الى دراسة كل ما هو جديد وطريف ، في ميدان الادب العربي ، والدراسات العربية الاسلامية ، فهو يتخير لدراساته دائما موضوعات جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة ، ويحاول جاهدا الكشف عن مفاخر التراث العربي الاسلامي على اختلاف موضوعاته .

ويعلم الله كم كان سروري كبيرا حينما علمت بان الاستاذ خفاجي يعد كتابا جامعا عن تاريخ التصوف في مصر ، منذ نشأته الى العصر الحاضر ، ولكني ، في نفس الوقت ، اشفقت على الاستاذ خفاجي من الخوض في مثل هذا الموضوع ، لعلمي بما يحتاجه تاريخ التصوف من صبر وجلد ، وتدقيق في فهم ما يديره الصوفية بينهم من اصطلاحات وما يتداولونه في كتبهم من اشارات ، هذا فضلا عن صعوبة المرجع ، ولان الموضوع ـ كما حدده الاستاذ خفاجي لنفسه ، متشعب الجوانب ، وقد لا يقدر على جمع اطرافه جماعة من الباحثين ، فما بالك بواحد ؟

ولكني ، وبعد ان صدر كتاب « التراث الروحي للتصوف الاسلامي في مصر » ، رأيت كيف اتصف مؤلفه الاستاذ خفاجي بالصبر والجلد على معالجة بحوث التصوف ، والى اي حد تفرغ للبحث ، غير ناظر الى شيء فيما وراء « العلم لذاته » ، وتحول اشفاقي الى اعجاب شديد ، وقلت لنفسي : اضاف الاستاذ خفاجي الى العلم جديدا ، والى المهتمين بدراسات التصوف مادة خصبة ، ومهد الطريق امام كل باحث مهتم بتاريخ مصر الثقافي ، منذ الفتح الاسلامي الى العصر الحاضر .

ويتناول كتاب « التراث الروحي للتصوف في مصر » اعلام الصوفية في مصر على اختلاف طبقاتهم ، ويبدأ الكتاب بمقدمة يثبت فيها الاستاذ المؤلف قيمة التراث الروحي واهميته في تاريخ مصر الوطني والسياسي ، ويبين بوجه عام كيف ان اعلام الصوفية قاوموا الطغيان وانتصروا للشعب في محنته ، وكافحوا الاستعمار الصليبي والتركي والفرنسي والانجليزي ، لما كافحوا ظلم المماليك وطغيانهم ، وكيف انهم قوموا الشباب المصري في مختلف العصور ، واعدوه لحمل رسالته الوطنية والعربية والاسلامية لخير العروبة والاسلام ، وما الى ذلك مما يتعلق بمشاركة الصوفية في جميع نواحي الاصلاح الدينية والاجتماعية والسياسية ، ويظهرنا الاستاذ المؤلف على امثلة كثيرة لهذا ، ويؤيد اقواله في هذا الشان بنصوص كثيرة ، من مراجع لها اعتبارها .

ويظهرنا المؤلف كذلك على فضل الصوفية في النهضة السياسية في البلاد العربية الاخرى ، فيتناول مثلا اهمية الحركة السنوسية في ليبيا وفضلها في مناهضة الاستعمار الايطالي والفرنسي ، ويذكر غير السنوسية من الطرق : النقشبندية ، والكنانية ، ويبين جهودها ، في مقاومة الاستعمار على اختلاف صوره .

ويطلعنا المؤلف ايضا على ان الحركات التجديدية الفكرية انما كانت أثرا للتصوف الاسلامي ولجهود الصوفية الضخمة ، ونوه بجهود الغزالي وابن عربي وغيرهما في هذا الصدد .

ولم يقتصر الاستاذ خفاجي على هذا بل تعداه الى بيان أثر التصوف الاسلامي في اوروبا.

هذا ، وتعرض الاستاذ خفاجي الى خصوم التصوف ، وبين خطأهم في فهم روح الاسلام ورسالته في عبارات قوية ، كما اوضح احتياج مجتمعنا الحالي الى صوفية الاسلام وروحانيته العميقة .

ومهد الاستاذ خفاجي لكتابه بالحديث عن الفتح الاسلامي وهجرة كثير من الصحابة والتابعين والقبائل العربية الى مصر واثر هذا كله في نشوء حركة الزهد والتصوف في مصر ، وذكر طائفة من اعلام الزهاد في القرن الاول الهجري كانت مجهولة في تاريخ الصوفية ، كسليم بن عنتر التجيبي وابي تميم المصري وعبد الرحمن بن حجيرة المصري ، وابي الخير الحميري ، ومكحول ، ونافع مولى ابن عمر .

وبعد هذا يعرض الاستاذ المؤلف لصوفية القرون التالية في مصر ، فلا يكاد يترك صوفيا او زاهدا الا ذكره ، ولم يقتصر على هذا ، بل اضاف الى جملة الصوفية والزهاد ، جماعة من الفقهاء المشتغلين بالعلم والمعروفين بالزهد والصلاح والتقوى ، وقد يرى البعض غير ما يراه الاستاذ خفاجي فيما يتعلق بوصف هؤلاء بالتصوف ، بمعناه الاصطلاحي.

ويبرز المؤلف خصائص القرن الثالث قائلا اننا نجد فيه فلسفة صوفية كاملة في مصر ، لا تكتفي بالبساطة والتعبير عن مشاهدات النفس واحوالها ومقاماتها ، وانما تاخذ في فلسفة التصوف والنظر اليه على انه فلسفة روحية وفكرية ، واستشهد الاستاذ خفاجي على فكرته بدراسة خاصة لذي النون المصري تبين مدى تطور التصوف في ذلك العصر .

ولم يغفل الاستاذ فيما ذكره بعد ذلك ، من تصوف القرون التالية ، الابانة عن الصلات التي يمكن ان تكون موجودة بينها وبين تصوف غير المصريين ، وعلى الاخص تصوف صوفية العراق ، امثال الجنيد ، وبشر الحافي ، والشبلي ، والكرخي ، والسقطي ، والمحاسبي ، والبساطمي ، والحلاج وغيرهم . كما وضح أثر تصوف الغزالي فيما بعد تصوف المصريين .

وذكر المؤلف فيما ذكر صوفية القرن السادس الهجري ، ومن ابرزهم عبد الرحيم القنائي المصري ، وتحدث في افاضة عن الخانقاه او بيوت الصوفية ، وظهورها بمصر ، وتاريخ تطورها .

فاذا كنا في القرن السابع ، نجد الاستاذ خفاجي يعني بتقسيم الصوفية فيه الى طبقات ، وهو تقسيم منهجي دقيق ، كما عرض لدور ابي الحسن الشاذلي والعلماء في الحروب الصليبية، وتحدث كذلك عن ابن الفارض ، والبوصيري ، وعز الدين بن عبد السلام ، وابن رفيق العيد ، والشاذلي ، والمرسي ، وابن عطاءالله السكندري ، والصباغ ، والبدوي ، والاقصري وغيرهم .

وبعد ذلك يدرس المؤلف طبقات الصوفية من القرن الثامن الى القرن الرابع عشر . ويطول بنا الحديث لو ذكرنا الشخصيات الصوفية التي ترجم لها واظهر اهميتها الخاصة ، وكثير منها كان مجهولا او في حكم المجهول .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان المؤلف قد عرض للصلة بين علماء الازهر والتصوف ، واظهرنا على ان الفروق بين التصوف والشريعة لم تكن موجودة ، عند علماء الازهر ـ وعلى الاخص منذ القرن الحادي عشر

الى مستهل القرن الحالي ، لان هؤلاء العلماء كانوا يجمعون بين العلم الشرعي والتربية الروحية على طريق التصوف ، وكثير من الصوفية كانوا علماء ، كما الف كثير من علماء الازهر في التصوف ، وقد عني اولئك وهؤلاء بتدريس التصوف في مجالسهم الخاصة ، وفي الازهرذاته

وفي الكتاب احصائيات دقيقة عن الطرق الصوفية الموجودة بمصر حاليا ، وبغيرها من البلدان ايضا ، وفيها تراجم لها قيمتها لكثير من صوفية مصر المعاصرين ، الذين لم يعن احد ، فيما نعلم ، غير الاستاذ خفاجي بالترجمة لهم ، وتقصي اخبارهم ، وبذلك قدم الاستاذ خفاجي ، في تواضع جم ، مادة خصبة سائغة لدارسي التصوف وفلسفته .

ونرجو الاستاذ خفاجي ان يواصل مجهوده في نفس الميدان ـ اعني ميدان الدراسات الصوفية ـ وعسى الا يشغله ما يحول بينه وبين ارتياد هذا الميدان مرة اخرى ، استغفر الله ، بل مرات ، ففي ارتياده له فائدة محققة للتصوف وللمشتغلين به .

أبو الوفا الغنيمي التفتازاني
مدرسة الفلسفة الاسلامية والتصوف
بكلية الاداب بجامعة القاهرة

غيـــوب

لجورج رجي ـ مجموعة شعريـــة ـ ٩٦ صفحة ـ الغلاف والرســـوم والعناوين بريشة بيار صادق ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

●

ست عشرة قصيدة ومقدمة ، واكثر من عشر صور ، ومثلها عناوين وخطوط ، مع مئات الكلمات ، مئات الجروح ، الف لون وقافية، عدد من الزهور ، صف لامتناه من قامات حسان وقامات جبال ، واوزان تتقطع كانها تعلمك القفز الرشيق من جمال الى جمال ..

ماذا ايضا !

لست ادري كيف قرات « غيوب » ولم انس في قراءتي عـــدد الصور وربما السطور ..

فكل ما في الكتاب ثمين ،

انه قضية من قضايا العصر ومشكلة من مشاكل شبابه .. لن يرى فيه احد نهجا معروفا باسم مدرسة شعرية معينة .

لن يعترف به المحافظون .

وسوف يبقى الكتاب حائرا بين ايدي الشباب ينفعل معهم ، ينفعل بحبهم ، يرشق بالزنبق صدورهم ويجرح ايديهم بشوك من الحب !

لقد اصغيت الى قصيدة « غيوب » سمعتها تتمتم ، تبتهل ، وفي خدر تقول :

مرتمي
هم الجمال
منه ..
نشـــوان المحـــال
ولـــه
والمنتهـــى غيـــب
يغنيـــه انشغـــال
نغـــم أبهـــى
نجيـــاه
تعـــر
وانفصـــال
وتمـــن
والفـــواء الحـب
أشجـاه ابتهـــال
الاغـــاني
جنـــون
هـب
مـرنـوم الســـؤال
الهيـــات
فوحهـــا الابعـــاد
يغـواهـــا الخيـــال
وانـوجـاع اللحـــن ..
هـاو ..
حـيرة الحب احتمـال
يـرتخـي ...
والسعد سـكران
واوهـــام الوصـــال
متعـب الصـوب
وآه الوجـد
تـــواق النـــوال
رجـع اللامنتهـــى
فيـــا
وبالتيـه انحـــلال
حـلمـــا
اطروبـة الارحـاب
فلتـــات الـــدلال

الكلمة عند جورج هي القصيدة ، هي الوزن .. المعنى .. الاسلوب المدرسة !

العبارة المسلوخة التي تذبح صفحة كاملة ..

حروف ثلاثة ربما في كلمة واحدة ، ويعطيك الرجي ما يعد به اكبر الشعراء في اكبر قصيدة .

كل شيء موقع على هذا النغم ..

كل شيء يعيش ثورة صامتة ، لا ضجة فيها ..

قصائد الكتاب ، بث مبحوح ، يغص وهويطربك ، يمسك بخبث طيب ناعم ، فيشعرك جورج رجي انه يقتل شيئا من اجلك او يخنقـــه حتى لا تسمع صوتا يصيح من شدة الموت !

لكنك لا تعانيه ، او لا تقاسي ما يريد لك ان تقاسيه صاحب «غيوب»

كل ما عنده جميل ، في غاية الجمال والروعة ، ينسكب امامك في قالب من رخام ، او يعلق في جوك كنتف شفافة صافية من غيم ابيـض يسحب خيالك وراءه وينقيه حتى يصفو ..

اما ما ينقص هذا الرخام ، فهو اللهب الاحمر في عروقه الزرقاء ، وما ينقص القارىء مع غيوب هو ان يتنازل عن ارستقراطيته في احساسه وتأثره .

ينقصه نبش مطمور الاحاسيس التي قد لا يعلنها ويصرخ بهـــا جورج رجي ..

ليس الخطأ خطأ الشاعر ، طالما القارىء معه ، وليس خطأ القارىء اذا كان قلبه صعبا ، بل ان الخطأ في الا افصح القارىء في هذا المقـال وهو الذي قد لا يستهويه الا النغم ، ويقبل الشعر اذا كان مطابقا للتعاليم المدرسية التي تلقنها .

لا الوم الشاعر لانه اعطى جديدا

لا اعاتبه على العاطفة اذا لم تكن في متناول اية نفسية ، او لانهذه العاطفة مختبئة في غلالات شعرية تكاد تبدو غالبة .. غائمة .

بل احبه من اجلها ، وارجو النجـــاح لقضية الشباب ، الذيـــن يحتمون في كل عصر مفترق الطريق ..

واحد منهم هو جورج رجي يكتب بوحيه واحساسه واسلوبـــه مساهما في حركة ادبية تقرر مصير لبنان بالنسبة الى الاداب والفنون .

واحد من هؤلاء ـ الذين لا يخلو منهم جيل ـ هو شاعر «الغيوب» الذي له عاطفته ومشكلته واماله والامه يضعه في يد كل انسان وقلبه وعروقه ، باسلوب من صميمه ووجدانه وواقعه ، ليكون انسانا هو الاخر متفوقا جميلا سعيدا شقيا ، كل ايمانه في حياة تنقطع ، ككلمات قصائده ومواقع اوزانه وقوافيه .

ريمـون عقـل

اثنـان + صفـر = ثلاثـة

لنهاد رضا ـ قصة ـ ١٦٣ صفحة ـ مطبعة الشرق ، حلب

●

ليس ثمة اقتل للفن من الغاية الموجهة يتغياها الفنان . وما اشبه العمل الفني الموجه بالجنين المجهض في اشهره الاخيرة ، الذي اذا استوت له الخلقة من رأس وجذع واطراف ، اعوزه النابض والحرارة والحس ؛ وبغير الروح لا تستقيم لمخلوق حياة . لقد قتلوا الفن عندما « وجهوه » من حيث ينبغي ان يحمل الفن غاياته من « داخلـه » ؛ ان ينفعل بها، فيصوغها فنا سائغانضيرا بعيدا عن الافتعال والتحميل والتزوير

ان بين يدينا قصة .. تنبي سطورها بموهبة مبشرة ، ولكن عبث بها «التسخير» الموجه فافسد جوهاوحشر في تضاعيفها تشهيرامفضوحا.. ولوح بالعصا تهبط على الرؤوس !

والقصة في عشرين فصلا ؛ تقع خوادثها في « باريس » ؛ خلا فصل او فصلين يقعان في عاصمة « اشمونيا » احدى الدويلات الشرقية !

تنفتح لنا القصة عن « روجيه دوبوا » ـ رئيس قسم العلاقات التجارية الخارجية لشركة تنتج وتصدر المنسوجات لبلدان مختلفـــة ولاشمونيا ـ وهو يعبر ساحة الاوبرا في طريقه الى القنصلية الاشمونية . ان ثمة معضلة عليه حلها ؛ لقد برز في اشمونيا « وكيلان » للشركـــة يتناحران ، والشركة في حرج لا ينجيها منه الا مسعى رجال القنصلية .

ويتعرف روجيه بـ « وليد المنتصر » المستخدم المحلي في القنصلية فينصحه باللجوء الى « رامي المسعودي » القنصل المعاون ، فهو خير من يحل المعضلة لتنفذه في الدولة الاشمونية بسبب من صلة قرابـــة بينه وبين تاجر فيها ذي نفوذ بعيد . ويعد « رامي » السيد روجيـه بانهاء المعضلة على خير وجه . الا ان وليد يلفت بعد ذلك نظر روجيه الى ان هذه الالفاظ المسولة لا تجدي اذا لم تدعمها وسيلة مضمونـة النتيجة ؛ ان رامي متوله بحب « فرانسواز ريمي » الفتاة الفقيـــرة الحلوة المستعصية ؛ فاذا انيل منها وطره وجدت المعضلة فـــي الحال حلها المرتجى .

وبينما تكون فرنسواز في بيتها تتفكر بالبطالة التي توشك ان تلتهم حياتها ، يصلها خطاب من روجيه يستدعيها للعمل لديه . ولما تفـــدو مستخدمة في الشركة ، يصحب وليد راميا لبحث معضلة الوكيلين مـع روجيه . وهنا ، يلتقي رامي بفرنسواز ، فيسر لذلك ، ويضرب معهـــا موعدا ، ويعقد على وجودها في الشركة امله الكبير . ثم يكتب الى قريبه التاجر المتنفذ في اشمونيا ، فيحل له المعضلة .. ولـكن فرنســواز ـ المعضلة الاخرى ـ تظل عصية عليه ، وتخطب لـ « اندريه » زميلها في الشركة .

ذلك هو الخط العريض للقصة . وما كان اروعه تجلبب بالفـــن الاصيل رداء يشف عما تحته من نقد ! الا ان المؤلف عمد الى بـث عواطف النقمة على بعض الابطال ؛ فحقرهم ، وهزىء بهم ، ونال منهم كما لم ينل مؤلف من بطل . ونحن الذين قرأنا القصة قراءة المعن ، نشك ان احد شخوصها ـ وليد المنتصر ـ لم يستمد نسغه من حيـاة المؤلف . ومن هنا ، كانت القصة لا تخلو من واقع .. ولكنه واقـع غير مهذب (١).

في القصة نقد من وليد على سائر الابطال . نقمة عنيفة جانحة بلفت حد الولوغ . فاذا كان المؤلف ، اعني وليد ، صاحب فلسفة يطمح الى ان تلامس قلوب قرائه فيشاطرونه فيها المعتقد ؛ فعليه بطريـق الفن ، فانه بالغ به غايته التي يصبو . وكلما تسامى في فنه ، نفـذ بفكرته الى الافئدة فتجاوبت معه النفوس . اما ان يجنح الى ما تتخذه الصحافة السياسية لها دينا ، من سب وتجريح ، فذلك ليس من الفن الذي تنطاع له الغاية .

والمؤلف ضيق بنقمته ، يريدها ان تنفثىء فيستريح . وهـو لا يكتفي بان يجريها على السنة ابطاله ، وانما يتدخل بنفسه ، في المـرة بعد الاخرى ، لينفث شيئا من هذه النقمة .

استمع اليه يقول في السياق : ان رامي « ليس الوحيد الـــذي يتسلق سلم الادارة ، في ظروف بلاده الخاصة، بحركة بهلوانية وبمساعي قريب قوي مقتدر . لقد تقدم اكثرهم بصورة مشبوهة . هذا لانه مـن اسرة كبيرة تعمل كعصابة متكاتفة ، في مجتمع يزهق الاكثرية التي تخوض معركة الحياة بصورة فردية ، وذاك لانه ابن نائب سليط اللسان ينتـج الكلام المعطر ، وذلك لانه قريب مهرب او محتكر بيده مقادير البلاد ، او نسيب سياسي محترف اختار لنفسه ان يكون اجيرا مطيعا لجميع الفئات الخبيثة وذنبا قذرا لكل خنزير كريه ... » !!! (الصفحة ٢٢) او وهـو

مع الباعـة في كـل مـكان :

رائعـة السيـر جيمـز فريـزر الخالـدة

ادونيس

دراسـة في الاساطيـر والاديـان الشرقيـة القديمـة

ترجمـة الاديب الكبيـر الاستـاذ

جبـرا ابراهيـم جبـرا

منشورات دار الصراع الفكري ببيروت

(١) للواقعية معنيان : واقعية بالمعنى الحرفي ، وهي النقل عـن الواقع كما هو ، وتلك يتوخاها المؤرخ والاجتماعي والصحفي .. وواقعيـة فنية ، ويتوخاها الشاعر والقاص ، وهي النقل .. ولكن مع التهذيب الجمـالي .

يقول : « لما كان روجيه طيب القلب نقي النفس جاهلا بالوعودالبخورية والشراك العنكبوتية ، اطمأن الى كلام المهرج وصدق وعوده .» (ص٢٨).

ان هذه العاطفة الجامحة لتشي بالجذور الواقعيةبالمفهوم الحرفي- للقصة ، حيث وجدت لها على صفحاتها متنفسا وأي متنفس . وكاننا بها ما وضعت الا تنفيسا عن الكربة (٢)... وما ذلكبالعملالفنيفيشيء!

لسنا نشك في ان المجتمع الذي نعيش فيه لا يخلو من حيفوجور ومن فئات سيئة تنغل فيه . وعلى الاديب ـ لكونه ابن المجتمع ولانه فنان صاحب رسالة ـ ان يبين مواطن الزلل ، ولكن في رفق الانسان ذي القلب الكبير .. يعرض لنا السيئات ، ويدعنا نقترح الحلول في وحي من عرضه الفني المنساب . الطبيب لا يحتقر المريض ، ولكن يرشده ! والاديب لا « يسب » السيىء ، وانما يرثي له ويهديه سواء السبيل، وما ذلك الا لان الاديب : انسان ، رسول ، ذو قلب كبير ... ولئن انحرفت الصحافة ـ وهي ضرب من الادب على كل حال ـ عن جادة الاصلاحوهداية الخبيثين من الناس ، وهبطت الى مستوى السب والترذيل ، فالاولى بالفنان ، ذي القلب الكبير ، ألا يجاريها . اننا نبكي على ذلك الضرب من الادب الذي مات ، ولا نريد ان نبكي على الفن ان نسج على ذات المنوال !

ولقد انقسم ابطال القصة الى فئتين : وليد وروجيه يمثلانالناقمين على الفساد ، ورامي والمستشار والقنصل وسائر موظفي القنصليةالراتعين في بحبوحة من الفساد . وليس لاي من الابطال الا ان يكون فاسدا او ناقما ، فاختلطت بذلك شخوص كل فئة بعضها ببعض ، وغدت نماذج متشابهة في الافكار والسمات جميعا .

وقد راينا المؤلف ـ حتى المؤلف ، الذي يفترض فيه ان يدعابطاله يصولون في الاحداث ـ لا يملك الا ان ينضم في احتدام القصة الى فئة الناقمين ، فيخل بذلك ببدهية الحياد الذي ينبغي ان يتسم به مؤلف القصة عادة . ولنستمع اليه وهو يقول : « لما كان وليد معتادا على هذه المشاكسات الصبيانية فانه اكتفى بنظرة استخفاف ، الا ان هذه النظرة كانت كافية للتعبير عما يشعر به في قرارة نفسه من ازدراء شديد لهذا الفار الحقير ، وامثاله من الجرذان النتنة . وكان يعرف جيدا خبيثة نفس هذا الموظف الوقح ...» (١١٦) ان كان البطل فارا حقيرا ، او جرذا نتنا ، او مواطنا قذرا .. فلا تقل لنا ـ يا ايها المؤلف ـ ذلك ! أنت بين لنا حقيقة تصرفه، ودعنا نحكم عليه بانفسنا بالحقارة والنتانة والقذارة وما شئت من اوصاف ... كن موحيا ، ولا تكن صريحا ، فذلك ما يحتمه للفن الاصيل .

والحوار في القصة لا يخلو من رشاقة في بعض المواقف . الا انه في بعضها الاخر ينقلب الى « خطبة » تمتد في نفس طويل . يلتقيوليد وروجيه في « مقهى السلام » ليتبادلا حديثا ، فلا يلبث ان ينبري وليد ملقيا على جليسه « محاضرة » في احوال فرنسا تستغرق من القصة صفحتين « يدرس » فيها البلد من النواحي : البشرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والفكرية ، ثم يختم دراسته بتكهنه عما ستصير اليه البلد في مقبل الايام . وهذه « المحاضرة » ، وان كانت لا تخلو من دقة واخلاص، الا انها لا تلقى ضمن « حوار » قصصي (٣) .

ويمتاز اسلوب المؤلف في استعراض الحوادث بالرشاقة . وقد احتفظ لنفسه بموقف « الراصد » وراح يسلط الاضواء على ابطاله . أما العبارة فسهلة هينة الى اقصى حد اقرب الى عبارة الصحافة اليومية ، وهي لذلك لا تمتع .

ولعل خير ما ضمت الفصول من حوار سليم وحادثة سائغة ، الفصل المرسوم بـ « فارس الفن والغرام » ، فقد كان في الحق نموذجا يمثل امكانات المؤلف الفنية المختزلة . اما خير شخوصه على الاطلاق ، فهو : « جاك » آذن القنصلية ، فقد برئت هذه الشخصية من القسر والافتعال، فجاءت انسانية صادقة ممتعة .. يدخل روجيه الى القنصلية فيجد نفسه امام رأس ضخم مستدير ووجه فيه عينان جامدتان شاحبتان خنقهما دخان التبغ المحترق في غليون أثري .

ـ نهارك سعيد ، يا سيد .

فرفع الاذن رأسه بحركة متثاقلة . ثم رد التحية بصوت خافت .

ـ هل حضر القنصل ؟

ـ لم يحضر .

ـ امر غريب . انقضت ساعة على موعد الدوام .

ـ ساعة او ساعتان .. قلت لك : لم يحضر ..

ويبدي روجيه الاستياء من هذا الاهمال ! فيرد عليه الاذن بمنطق فكاهي يبرر تغيب رئيسه ... وعندما يعود روجيه الى استيائه من جديد، يقول له الاذن :

ـ وماذا تريدني ان افعل لك يا سيدي ؟ تعلم الصبر .

ويعود الى غليونه القديم يفركه ويرسل منه الدخان ! (٤)

ذلك راينا في القصة . وقد ترددنا قبل ان نعلنه . ولكن المؤلف من حلب ، ونحن حريصون على ان نكتب في آثار ادباء الشهباء الذين يشقون طريقهم في دنيا الادب ولا يلقون ممن حولهم التشجيع الدافع . وان في هذه القصة لجذور موهبة واعدة . وانما رمينا من نقدنا الى ان ننبه الاديب نهاد رضا الى عثرات لا يسلم منها القلم الجديد ـ وهذه القصة اول ما خط يراعه في هذا اللون من الادب ـ فلعله يتحلل منها في اثره المقبل فيسير فيه على رسله مخلصا للطبيعة والسلاسةوالانسانية.

والى الاستاذ نهاد رضا ، في باريس ، السلام .

حلب — فاضل السباعي

من الاصدقاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حب في الظلام

لغالب عبد الرزاق ـ ١٦ صفحة ـ مطبعة العراق الحديث ببغداد

●

شيئان في بداية القصة نلمسهما ، اولهما اتباع اسلوب طه حسين في البداية وثانيهما كون البطل اعمى ، ولكن القصة تختلف عن ايام عميد الادب في عدة نواح بالطبع ، وقد نجح كاتبها في تبيين تاثير الحب على شخص فقد الثقة بنفسه لانه اعمى ... وتمضي ـ كقارىء ـ مع صفحات القصة معجبا بمجراها الطبيعي ولكن يصدمك شيء فيها وقد يعكر عليك صفوك وهو محاولة المؤلف بث افكاره الخاصة باسلوب تقريري تحس بانه ادخل قسرا (ص ٩ ، ١٠) اما النهاية فقد جاءت طبيعية وهي تحدث في بعض الاحيان عند ذوي العاهات من امثال (احمد) ممن فقدوا طواعيتهم للحياة فيحسون بانها غير جديرة بأن تحيا ... ينتحر البطل لمعاكسة الاقدار وابيه له في حبه لانه احس « ان لكل جزء في الحياة عملا يجب عليه اداؤه » فما دام قد فقد قابليته للعمل المثمر واصابته النكبات فان تفكيره (المنطقي) يقضي عليه بالابتعاد عن هذه الحياة .. وهكذا فعل .

وينبغي علي ان اقول ـ من باب التعليق لا اكثر ـ انه ليس كل تفكير منطقي يؤدي بالمفكر الى تنفيذه لاختلاف المنطق في احيان كثيرة

(٢) تراجعهذه الصفحات بخاصة: ٣١ ، ٧٤ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٣٩ـ١٤٤

(٣) يبدو ان روجيه قد اصابته عدوى المحاضرة ، فاذا هو يستطرد و « يقص » على جليسه حكاية امرأة دخلت المقهى ، وتمتد القصةصفحتين اخريين . لله در البطلين ما أطول باليهما !

(٤) الفصل الاول . ولجاك الاذن موقف ثان صادق في الفصل العاشر.

عن الواقع وليس كل انسان من ذوي العاهات يفشل في الحب فشلا يؤدي به الى التخلص من الحياة بل ان هنالك من يسمو ويحاول الصعود على اكتاف مركب نقصه فيبدع ويفيد نفسه والبشرية بما يقدمه لها . وختاما اهنىء المؤلف ونحن بارتقاب انتاجه الثاني .

بغداد **باسم حمودي**

الاوراق الملونة

لجاسم محمد الجوي ـ مجموعة قصص ـ ٨٠ صفحة ـ
مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد

●

لا شيء احب الى نفسي من قراءة الانتاج القصصي العراقي . ذلك انني اشعر شعورا داخليا عميقا لا استطيع ان افسره واحدده تماما ، بان ثمة ـ شيء ـ يرقد تحت سطور القصة العراقية ، ثمة ـ نسغ ـ حار ، يمد هذه القصة بالحياة الممرعة الخصبة الرائعة .. ربما كان هذا الشيء هو الذي يميز القصة العراقية عن غيرها ، هو الذي يرفع القارىء الى الاعجاب بهذه القصة ذات العمر القصير ..

ولعل هذا الشعور الذي يرافقني عند قراءة القصة العراقية ، هو الذي يلح علي بقراءة كل انتاج جديد فيها ، وهكذا وقع في يدي كتاب ـ الاوراق الملونة ـ للاديب جاسم الجوي فلم البث ان رميت الرواية اللطيفة التي كنت اقراها لاتفرغ لقراءة هذا الاثر القصصي العراقي الجديد .. ثم لامسك القلم واتحدث الى القراء عنه ، حديثا اود منهم ان لا يدرجوه تحت اسم النقد ، وان لا يضعوه في ميزانه اذ انني لم استخرج من فكري ـ مقاييس نقدية ـ فاحاول ان اطبقها على الاثر .. انني لا اعمد في النقد الى عناصر محددة معروفة للقصة واروح ابحث بين سطور القصة عن مدى تطبيقها كلها .. ولكني اتحدث عن احساسي الخاص ، شعوري ، مدى توفيق المؤلف في نقل تجربته الى... ترى هل استطيع ...

في قصة ـ سؤال وضوء نيون وزيتونة ـ اجد نفسي امام بطل يحس احساسا ـ مغثيا ـ على حد تعبير الوجوديين ، بسخافة وجوده ، واستمع اليه وهو يصرخ من هوة القلق التي وقع فيها ـ اضواء النيون ... انها كحياتي تسري ببلاهة في كلمات تنطفىء ، ثم يبتلعها الفراغ ـ وأراه وهو يجلس في المقهى ـ كأنه نقطة احرف في اضواء النيون ـ .. ولكني بعد ان عرفت مدى الضياع الذي ياكل قلب هذا ـ البطل ـ لا ادري كيف يقول بعد ذلك ـ احس بارتياح للضياع .

لقد كانت الصورة التي قدمها لنا المؤلف عن هذا ـ البطل ـ صورة دقيقة ، تنم عن تجربة وحياة الا اننا لا يمكن ان نربط بين شخصية البطل الاولى التي تمتاز بالقلق والضياع والحياة الميكانيكية التافهة الشبيهة باضواء النيون ، لا يمكن ان نربط بين هذه الصورة وبين ـ انقلابه ـ الفجائي الذي حدث في اخر ثلاثة سطور من القصة ، بمجرد انه شاهد بعض ـ الوجوه الطيبة ـ ان الشخص ، اي شخص لا يمكن ان ينقلب روحيا بهذه السرعة على المؤلف في هذه الحالة ان يمسك ببطله هذا ويطوره روحيا ، ان يصدمه بمواقف حياتية تكشف زيف معتقداته الاولى.

اما في قصة ـ صغير وعربة ـ فانا امام حركة دائبة . وفي جو عالي . اكاد اتنسم من بين السطور رائحة العرق والتراب ، ولكن آفة هذه القصة هي في اعتقادي ـ الفكرة السابقة ـ فحميد ، هذا العامل الصغير يسهر الليل مع والده ليبيع اللبن ، ويعمل طول النهار باجهاد ، انني اتصور اي جسد متعب منهوك مرهق تستقر فيه روحه الصغيرة.. ولكن المؤلف يريد ان يمحو هذا ـ التصور ـ من راسي فيقدمه لي ـ اخيلا ـ جديدا ، يدفع عربة مليئة بالاسمنت المسلح ، يعجز اكبر العمال عن زحزحتها .. هذا مع العلم ان امه لم تغسله بالماء المقدس كما فعلت والدة ـ اخيل ـ في الالياذة .. واعتقد ان المؤلف لم يفعل ذلك الا تطمينا لفكرته السابقة . أضحكني في هذه القصة ان المؤلف يصف حركة العربة المحملة بالاسمنت بحركة راقصة شرقية ، ترى اي شيطان اوحى له بذلك ..

اما ـ الاوراق الملونة ـ فهي قصة لطيفة استطاع المؤلف ان يجري فيها ـ تيار اللاوعي ـ بدون تكلف ، ولم يتوقف هذا التيار ، الا بعد هبوط الرجل الثري من السيارة حاملا معه كل شيء ـ ما اقسى كل شيء ، هذه ـ حاملا في قبضته ـ الاوراق والدواء والحياة ـ...

وفي قصة « اريد ان المح البسمات » نجد انفسنا امام شاب يفتش عن عمل بلا جدوى ويحس احساسا مدركا بانه قد اصبح عالة على ابيه وامه وحتى في الخارج فانه يبقى ـ جالسا في المقهى ثلاث ساعات ، بلا طعام ، ولا سكاير ـ والمؤلف يصور هذا الشاب تصويرا حيا يجعلنا نقاسم هذا الشخص شعوره بالتفاهة ، وعذابه الداخلي المؤلم .. ولكن الشيء الذي وقفت امامه حائرا .. هو كلام هذا الشاب الموجه الى امه في آخر القصة تقريبا « اريد ان اشتغل ، كم يعطونني بضعة دنانير ساحتفظ لنفسي بعشرة فلوس اشتري مصيادة » !

لقد وقفت امام هذه الكلمات حائرا ، اذ ان حكاية ـ المصيادة ـ هذه ، تجعلني ابعد عن ذهني فكرة كون البطل ، رجلا يحس احساسا مدركا بمعنى كونه بلا عمل ! .. ان البطل ليس شابا كما قال المؤلف ، في اول القصة ، انما هو صبي صغير لم يذق بعد طعم البطالة المر ، ولم يبتلع يوما دخان السكاير الاسود .

اما ـ مرآة صغيرة وبرغم ـ فقد سحقت صدري وقطعت انفاسي بواواتها المترادفة (هل افقر للاخ المؤلف ذلك ؟ !) وهي تتحدث عن امراة ساقطة منبوذة ، منبوذة حتى من ـ الزبائن ـ الا ان المؤلف استطاع ان يبذر في نفسي التجاوب معها ، والعطف عليها .. اليس هذا هو الهدف ...

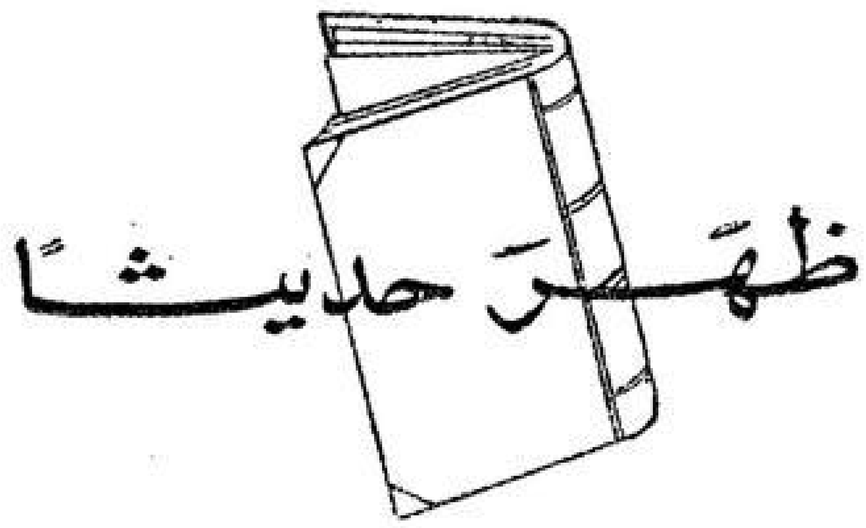
بقيت قصص اخرى ، كم وددت لو انها احدثت اثرا ما ، اثراصغيرا على الاقل ، لاتحدث عنها ، ولكنها لم تحدث شيئا ، ذلك انها تسجل الواقع بامانة ـ كتاب العرائض ـ ثم ان لها اسلوبا خاليا من الفنية وهذه القصص هي : سأعثر على عمل ، ودون جدوى ، وساقول له ، ورغيف ابيض ذهبي ، وجميلة .

بعد ان القيت هذه النظرات التي ارجو ان تكون مخلصة صادقة ، احب ان اقول باتني لم اجد في هذه المجموعة الابداع الذي ينبثق من الروح العراقية القلقة المعذبة التي تقول كلماتها ، في فن وبراعة وعفوية اخاذة صادرة من الاعماق ، متغلغلة الى نفس القارىء متجاوبة مع احاسيسه الراسبة في اعماقه ، هذه الروح التي يجيد تصويرها مؤلف ـ نشيد الارض ـ لم اشاهد ـ الاشخاص ـ وهم يتمزقون ويتعذبون من القرارة من قرارة الروح ، من الداخل .. لم اشاهدهم وهم يتلوون تحت قلم الكاتب ..

ولكني وجدت شيئا واحدا جديرا باللاحظة وجدت المحاولة المخلصة والفكرة الكبيرة التي تحاول ان تسيطر على الجو .. وجدت العفوية والذكريات الناعمة في ـ الطفولة ـ وهذا الشيء بل قل ، هذه الاشياء ، هي التي تجعلنا نتوقع لجاسم الجوي مستقبلا في القصة .

وختاما ، وقبل ان انتهي من كلمتي هذه اود ان اقول للاخ المؤلف: حذار ! حذار من النهاية غير الطبيعية ، من النهاية التي تحمل في داخلها ـ فكرة سابقة ـ .. النهاية غير المقنعة .. حذار ! وتحياتي اليه.

بغداد **نزار عباس**



ظهر حديثاً

● رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ـ سلسلة تراث العرب ـ المجلد الاول : القسم الرياضي ـ في ثلاثة اجزاء ـ ١٦٠ صفحة الجزء ـ المجلد الثاني : الجسمانيات الطبيعيات ـ في ثلاثة اجزاء ـ ١٦٠ صفحة الجزء ـ منشورات وطبع دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت.

● ابعد من موسكو ومن وشنطن ـ لمخائيل نعيمة ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات وطبع دار صادر دار بيروت للطباعة والنشر ببيروت .

● العدوان الاثيم ـ تاليف اندور هيللر ـ ترجمة جورج سلهب ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت [لم يذكر اسم المطبعة] .

● الجغرافية البشرية لحوض النيل ـ للدكتور ابراهيم احمد رزقانه ـ ٣٧٨ صفحة و٢٨ خارطة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ المطبعة النموذجية [؟]

● اسباب اختلاف الفقهاء ـ لعلي الخفيف ـ ٢٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● النقل في البلاد العربية ـ للدكتور محمد محمود الصياد ـ ١٦٨ صفحة و٨ خرائط ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ [لم يذكر اسم المطبعة].

● تاريخ الفقه الاسلامي ـ الجزء الثالث : ابو حنيفه النعمان ومذهبه في الفقه ـ للدكتور محمد يوسف موسى ـ ١٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● اصول الفقه الجعفري ـ لمحمد ابو زهره ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة مخيمر [؟]

● القانون المدني العراقي ، نظرية العقد ـ للدكتور حسن الذنون ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● الاستغمار ـ للامير مصطفى الشهابي ـ الجزء الاول : ٢٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الهنا بمصر ـ الجزء الثاني : ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ـ وهما من منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة .

● مصادر الحق في الفقه الاسلامي : دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث ـ الجزء الثالث : محل العقد ـ للدكتور عبد الرزاق السنهوري ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة دار الهنا بمصر

● الالتزام الصرفي في قوانين البلاد العربية ـ للدكتور امين محمد بدر ـ ١٤٧ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● المبادىء الاساسية للتنظيم القضائي في البلاد العربية ـ للدكتور توفيق الشاوي ـ ١١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● النظم الدستورية في البلاد العربية ـ للدكتور السيد صبري ـ ٣٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● البلاد العربية والدولة العثمانية ـ لساطع الحصري « ابو خلدون » ـ ١٩٦ صفحة و٩ خرائط ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية ـ للدكتور محمد مصطفى صفوت ـ ٦٦ صفحة ـ و٢٥ صفحة وثائق باللغات الالمانية والفرنسية والانجليزية ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة [؟]

● النهوض بالمجتمع المحلي ـ للدكتور علي فؤاد احمد ـ ٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● مصادر الحق في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث ـ الجزء الرابع : نظرية السبب ونظرية البطلان ـ للدكتور عبد الرزاق السنهوري ـ ٣٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ دار الهنا للطباعة والنشر [؟]

● محمد كرد علي ـ لشفيق جبري ـ ١١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة

● الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن ـ للدكتور ناصر الدين الاسد ـ ١٦٩ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة البيان العربي [؟] .

● الحركة الادبية في حلب ١٨٠٠ـ١٩٥٠ ـ لسامي الكيالي ـ ٢٥٥ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس واللاذقية ١٧٦٧ـ١٨٢٤ ـ لسلاب اغناطيوس طنوس الخوري من الرهبانية اللبنانية ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة السنابل ـ مطبعة الرهبانية المارونية بيروت .

● الرقص في لبنان عبر العصور ـ لشفيق طبارة ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بالصور ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .

● Aspectos Libaneses — Historia, économia, cultura, politica, religiao — Autor : Rubens Massud — 188 paginas — Composto E Impresso : Tip. Galhardo, Natal Brasil.

● Philosophie et Jurisprudence Illustrées par les Arabes — La Querelle des Images en Islam — par Dr. Bishr Farès — Extrait des Mélanges Louis Massignon — 110 pages — Suit un résumé en langue arabe par l'auteur de 9 pages — avec 8 pls. — Editions de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Peintres du Groupe de l'Art Moderne — par Aimé Azar — 36 pages — Extrait de « La Peinture Moderne en Egypte » — Imprimerie [?].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كلمات ...

● اعلن معهد الدراسات الطبية البحري في الولايات المتحدة اكتشاف طريقة جديدةلتبريد وحفظ الدم مددا طويلة . ويقول ثقات الطب بان هذه الطريقة قد تكون ذات اهمية تضاهي اهمية اكتشاف طريقة حفظ مصل الدم وبانها قد تفتح مجالات واسعة امام « مصارف الدم » واستعماله في العلاجاب الطبية . والمعلوم انه بالامكان الان حفظ الدم في ثلاجات خاصة في « مصارف الدم » لمدة ثلاثةاسابيع على الاكثر . اما الطريقة الجديدة فستمكن من حفظه سنوات عديدة .

● تمكن علماء الطب التابعون لسلاح الجو الاميركي من اختراع جهاز الكتروني يستطيع تقديم معالجة سهلة وسليمة وموثوقة لاستعادة نبضات القلب المتوقف عن الحركة او لتقوية نبضات القلب الضعيفة . ويشتمل الجهاز الجديد على سلكين يستطيعان ايصال شحنات كهربائية الى القلب بعدما يتوقف عن العمل.

● اعطى الدكتور بول دادلي هوايت طبيب القلب الشهير الذي اشرف على معالجةالرئيس ايزنهاور النصائح التالية لتجنب مرض القلب:

ـ لا تنفق ولو قرشا واحدا في سبيل زيادة وزنك بعد ان تكون قد بلغت الرابعة والعشرين من عمرك .

ـ مارس بعض التمارين الرياضية كل يوم. واسهل هذه التمارين السير يوميا مسافات غير قصيرة .

● صرح العالم اليوناني الدكتور بابانيكولو في مؤتمر صحفي بان طول مدة اخذالحمامات الشمسية من بين الاسباب التي تحدثالاصابة بالسرطان ، تماما كالفازات السامة والاسراف في التدخين .

● ذكرت منظمة الصحة العالمية في احد تقاريرها الاخيرة ان نسبة الوفيات المتسببة عن الامراض المعدية قد تدنت نسبة ٥٠ في المائة في رقعة كبيرة من العالم وذلك على مدى السنوات الخمس الماضية . ويشير التقرير في الوقت ذاته الى وجود نسبة عالية ثابتة في المواليد بوجه عام ، ونسبة وفياتمستقرة، وتدني نسبة وفيات الاطفال . ومما يذكر ان تقرير المنظمة عن الامراض المعدية قد تم جمع بياناته من دراسة احصائية مستفيضة شملت ٢٨ دولة ومنطقة يبلغ عدد سكانها نحو ٥٦٤ مليون نسمة أي سدس مجموع سكان العالم .

● يستدل من الاحصاءات عن انتشار الانفلونزا في البرازيل انه توفى بهذا الداء خلال شهر سبتمبر [ايلول] الماضي ١٣٨ شخصا وان ١٠٢ اخرين قد توفوا بهذا الداء من الاول الى الخامس من شهر اكتوبر [تشرين الاول] وبهذا يكون مجموع الذين توفوا بهذا الداء حتى هذا التاريخ ٢٤٠ شخصا .

● اعلنت ادارة مصلحة المحاربين القدماء في امريكا بان احد اطباءها الدكتور اوجين توبين التابع لاحد مستشفياتها في ليتل روك قد اكتشف دواء جديدا يمنع تجمد الدماء وقد يكون ذا فائدة كبرى في معالجة امراض القلب والاوعية الدموية . اما الادوية المستعملة حاليا في منع تجمد الدم فقد تحدث رد فعل غير مرغوب فيه الا اذا اعطيت تحت مراقبة طبية دقيقة في المستشفيات . وتقول الادارة ان الدواء الجديد لا يحدث اي رد فعل . والمعلوم ان الادوية المانعة لتجمد الدم تساعد على تقليل خطر تجمد الدم في احد الشرايين مما قد يؤدي في بعض الحالات الى موت مؤكد. وقد نجحت تجارب الدواء الجديد على الحيوانات ولكن اصبح الان من الضروريتكرير الدواء والتعرف الى تركيبه الكيماوي قبل استكمال الابحاث المتعلقة به وتحديد امكانية استعماله في معالجة الناس .

● وجه العلماء الذين ينتمون الى ثلاث وثلاثين دولة ـ بما فيها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ـ نداء الى حكومات العالم يحثونها فيه على وقف تجارب الاسلحة النووية لانها تؤذي الجنس البشري . والقرار الذي وافق عليه العلماء المائتان والخمسون بالاجماع يدعو في الوقت ذاته الى عقد مؤتمر دولي يضع التدابير التي تحدد استخدام الطاقة النووية في الاهداف السلمية وحدها .

وقد وجه العلماء هذا النداء خلال المؤتمر الذي عقد في مدينة كان بفرنسا لدراسة تاثيراتاحوال المعيشة والعملعلىصحة الانسان

ومما قاله مندوب اليابان البروفيسور كوزانو امام المؤتمر ان حالات مرض السرطان الدم ـ لوكيميا ـ قد تضاعفت عشر مرات بين الذين تعرضوا للقنبلتين الذريتين اللتين القيتا عام ١٩٤٥ على هيروشيما وناغازاكي . وقال ان هذا المرض ليس وحيدا بين الذين تعرضوا لاهوال القنبلتين وان عددا وفيرا اخر من الاهالي يصاب يوما بعد اخر بتلبد وبصغر حجم الرأس ـ مايكروسيفاليا ـ وبانطفاء العيون فجاة .

وتكلم البروفيسور بيكوك ، الاستاذ بجامعة ادنبره في اسكوتلندا ، فقال : ان الدراسات التي اجراها على الحيوانات قد اظهرتبشكل لا يتطرق اليه الشك مدى انتشار السرطان بسبب الاشعاع الذري .

اما البروفيسور الالماني كابلان فقد قال ان الخطر الاكبر للاشعاع الذري هو التناسل . ومما قاله ان وقوع حرب ذرية معناه تغيير الاجيال التي يمكن ان تستمر في البقاء بشكل يسهل ولادة الخلق الشيطانية .

● اكد الطبيب الياباني الشهير الدكتور

ان يبقى في مداره ثلاثين سنة ، وبالغ عالم اميركي في تقديره فقال ان في قدرة القمر السوفييتي ان يمضي دائرا حول الارض مدة الاف من السنين الى مليون سنة .

هذا القمر الصناعي لا تمكن مشاهدته الا قبيل شروق الشمس او بعيد غروبها . فهو ـ كالقمر نفسه ـ لا يشاهد الا بما يعكس عن سطحه من نور الشمس . وهذا الضوءالمنعكس تصعب رؤيته في رائعة النهار ، لان ضياء الشمس يطغي عليه . ولكن الشمس ترسل قبيل شروقها وبعيد غروبها اشعتها في الفضاء فوق الافق ، فاذا انعكست هذه الاشعة عن سطح القمر الصناعي ظهر لراصديه ، وقد صقل سطحه صقلا محكما تيسيرا لهذا الانعكاس .

والرأي العلمي الغالب ، هو انه لو كان هذا القمر الروسي مزودا بالاجهزة العلمية تجهيزا وافيا ، ومداره ادنى الى ٣٠٠ ميل فوق سطح الارض ، واشاراته اللاسلكية ترسل على الامواج المتفق عليها ، لكانت اليد التييسديها الى المعرفة العلمية المنشودة اكرم واعظم .

* * *

قلنا ان القمر الصناعي وما يزود به من اجهزة هو مشروع علمي ، فليس للقمر بحد ذاته قيمة حربية ـ الان على الاقل . ولكن القدرة على اطلاق قمر زنته تزيد عشرة اضعاف تقريبا على الزنة المتوقعة ، وقذفه الى ارتفاع ٥٦٠ ميلا ، تدل على ان العلماء السوفيات قد تقدموا تقدما كبيرا في علم الصواريخ وصناعتها ، وهذا التقدم له قيمة حربية .

ثم ان القدرة على ارسال هذا القمر ـ وما يليه من اقمار سوفياتية واميركية وغيرها تمهد لزيادة الرحاب الفساح وراء جو الارض فتكون هذه الاقمار كما قلت في فقرة سابقة ـ بين « الاعلام المنصوبة على الطريق من الارض الى القمر الى المريخ او ما وراءهما » ، وطليعة الملاحة بين النجوم .

[الحياة] **فؤاد صروف**

ماسورو كورو الاخصائي بمرض السرطان في جامعة اوساكا في محاضرة طبية قيمة له ان الولايات المتحدة تزداد فيها حوادث سرطان الرئة اكثر من اليابان لانه يصعب على الهواء الفاسد ان يهرب من الشوارع المغلقة نظرا للطول الزائد في المباني الامريكية . واضاف الدكتور كورو ان مادة « بنزوبيسرين » التي وجدت في التبغ والتي تسبب السرطان قد وجدت كذلك بكثرة في دخان المازوت وقال انه اذا كانت اللفائف تسبب السرطان فان سرطانها ينشأ في الفم وليس بالصدر .

● خرجت فتاة اميركية في الرابعة عشرة من عمرها من احد المستشفيات في نيويورك بعد عشرين يوما تماما من اقفال الاطباء لثقب بقلبها في عملية جراحية دقيقة وغير عادية . وتدعى الفتاة بوللا وبستر وهي حائزة على درجة شرف من المدرسة العالية وقد اكتشف الاطباء في العام الماضي ان هناك ثقبا في الجدار الداخلي لقلبها وهي حالة تؤدي الى الوفاة في وقت مبكر وربما الاصابة بعاهة مستديمة وقد اجرى الاطباء لها العملية مستعملين قلبا ميكانيكيا ومضخة للرئة ابقت دم الفتاة في حالة دوران اثناء المرحلة الدقيقة من العملية التي استغرقت ٨ ساعات . وقد استعملت الالة مدة ١٥ دقيقة . واستعملت ٢٠ قطبة لاقفال الفجوة . وينتظر الان ان تعيش الفتاة حياة طبيعية .

● اعلنت ادارة الصحة العامة في الولايات المتحدة ان عدد الاصابات بداء شلل الاطفال في الولايات المتحدة هذه السنة يقارب ربعه في السنة الماضية . ولم تسجل حتى الان الا ١٢٩٩ اصابة بينما كان عددها في سبتمبر [ايلول] من السنة الماضية ٤٣٤٢ اصابة .

● تنبأ احد اساتذة جامعة طوكيو بفناء الجنس الياباني خلال عشرة اجيال اذا استمرت التجارب الذرية الحالية تجري بمعدلها الحالي وقال انه يستند في استنتاجاته هذه الى تجارب اجراها على الجرذان طوال السنوات العشر الماضية .

● تمكن بعض العلماء الاميركيين بجامعة كاليفورنيا من ان يصلوا وريدي « الاورطة » في رجلين ، بقلب احدهما ، فقام القلب بتغذية الرجلين لحظات وكانت هذه بشائر تجربة ينتظر ان تطبق فيما بعد على نطاق واسع . ويتجلى نفع هذه العملية المبتكرة في حالة فساد احد اعضاء الجسم ، حيث تحول دورة المريض الدموية الى الدورة الدموية لرجل سليم ، فيحمل الجسم السليم العبء عن الجسم السقيم .

● تحدث في شيكاغو الدكتور كاظمي تافوتشي احد جراحي جامعة اوكاياما في اليابان عن اسلوب جديد تمكن بواسطته من تخفيض حرارة الدماغ الى ٦٥ درجة فهرنهايت او ما يعادل ١٨ ٣\١ درجة سنتغراد . وقد مكنت هذه الحرارة المنخفضة من ايقاف الدورة الدموية لمدة ١٥ دقيقة تقريبا ريثما يفتح القلب البشري ويصلح .

وكان الجراحون يعتقدون ان اطول فترة يمكن فيها حبس الاوكسجين الذي ينقله الدم، عن الدماغ هي ٨ دقائق . وقد خطب الدكتور تاغوتشي امام المؤتمر الدولي الثاني والعشرين للفرعين الاميركي والكندي لكلية الجراحة الدولية فقال انه خفض حرارة الرأس والدماغ الى ٦٥ درجة فهرنهايت بينما ظلت حرارة الجسم حوالي ٩٠ درجة او ما يعادل ٣٢ درجة وخمس سنتغراد .

● ذكرت صحيفة بلطيمور صن ان احد الاطباء الاميركيين ويدعى الدكتور ونستون برايس اكتشف لقاحا مضادا لبعض الميكروبات الرئيسية التي تحدث الرشوحات ثبت انه فعال في ٨٠ بالمائة من الحالات التي جرب فيها . ويكافح هذا اللقاح ، مكروب (J H) الذي يقول الدكتور برايس انه يسبب ٣٠ بالمائة من حالات الرشح العادية التي اكتشفها في التحقيقات التي اجراها خلال سنتين .

● انذر خبير دنمركي بان الرجال الذي يعملون في المصانع التي تنتج الهرمونات الجنسية النسائية قد يصبح لهم صفات الانثى وقال الخبير وهو الدكتور كريستيان هامبورغر في قاموس كبير طبي نشر اخيرا ان عدة عمال في مصنع دنمركي للهرمونات النسائية قد اصيبوا بالعجز الجنسي وبدأت صدورهم تبرز كالفتيات .

ويقول الطبيب ان هؤلاء الرجال استوعبوا الغبار المتصاعد من الهرمونات وامتصها دمهم عن طريق التنشق او التغلغل عبر الجلد . وان الرجال المذكورين شفوا تماما بعد اسابيع قليلة من نقلهم الى اعمال اخرى .

● تقول الدوائر العلمية في لندن ان نتيجة فحص لحم الغنم الانكليزي ولحم الغنم النيوزيلاندي قد دل على ان لحم الغنم الانكليزي مصاب بالاشعاع الذري اكثر من لحم الغنم النيوزيلاندي . ويعود السبب في ذلك الى ان المراعي البريطانية هي اكثر تعرضا للعدوى من الغبار الذري المشع الناجم عن التجارب الذرية . غير انه ليس هناك ما يسبب القلق لاكلي اللحوم لان اصابة اللحوم بالاشعاع الذري نسبته ضئيلة للغاية وليس لها اي اثر على الصحة .

● اعلن في اوتاوا انه تمت المفاوضات بين كندا والمانيا الغربية لشراء الجمهورية الاتحادية ٥٠٠ طن من الاورانيوم الكندي خلال السنوات الخمس المقبلة .

● سيبدأ فرن ذري لتحريك الغواصات ، وهو الاول من نوعه في بريطانيا ، عمله في اول الشهر الحالي في مؤسسة الطاقة الذرية البريطانية في هارويل . ويسمى هذا الفرن « نبتون » وقد كانت شركة رولز رويس من العامل التي ساهمت ببنائه اكبر مساهمة . اما الغواصة التي ستسير بالذرة والتي هي في طور البناء في بريطانيا فانها ستستخدم نظام التبريد بالماء المضغوط . وثمة غواصة



صدر عن دار فينوس

ديوان

سلة شعر

لنقولا قربان

مجموعة قصائد مصورة

يطلب من جميع المكتبات

اسرعوا بشراء نسخكم لان العدد محدود

اخرى ستكون صالحة للعمل قبل عام ١٩٦٠ تقوم ببنائها الان شركة فيكرز الهندسيةالذرية وستستخدم بصورة خاصة لتدريب البحارة الناشئين .

● اعلن العلماء الروس انهم توصلوا الى صنع آلة الكترونية يمكن بواسطتها معرفة مقدار احتياطي الزيت في اية منطقة كماانها تبين تحركات البترول في المنطقة ويمكن عن طريق هذه الالة معرفة عدد الابار التي يمكن حفرها في اية منطقة ومقادير انتاج تلك الابار

● قررت شركة « ناشيونال بلك كاربارز » في نيويورك بناء اربع ناقلات بترول تبلغ زنة الواحدة منها ١٠٤ الاف و٥٠٠ طن. وقد عهدت ببناء السفينة الاولى لقسم بناء السفن التابع لها في « كور » باليابان . وعندما يتم بناؤها ستكون اكبر ناقلة للبترول تمخرالبحار وسيبلغ طول هذه السفينة ٢٧٥ متراوعرضها ٤١ مترا . ولا يوجد الان الا ثلاث سفن تجارية تفوقها طولا هي « كوين اليزابيت » و « كوين ماري » و « يونيتد ستايتس » .

● انشات شركة جنرال الكتريك مصلحة خاصة عهد اليها امر الانصهار الهيدروجيني لتامين قوة كهربائية رخيصة عن طريق انصهار الذرة الهيدروجينية . وطريقة الانصهار هذه تحصل بانضمام ذرات هيدروجينية خفيفة لتؤلف من مجموعها ذرات ثقيلة تستطيعتوليد طاقة متصلة تستعمل لتحويل الماء الى بخار الذي يولد بدوره قوة كهربائية محركة . ويؤكد غي سوتس مدير هذه المصلحة الجديدة ان تامين مثل هذه الطاقة المحركة عن طريق الانصهار لا يتوقع لها ان تتم قبل ٢٠ سنة ، وهي حقبة تستطيع معها المصانع الذرية الجاري انشاؤها اليوم في الولايات المتحدة توليد قوة كهربائية رخيصة تزاحم الكهرباء العادية المعروفة .

● صنعت شركة ريثون الاميركية جهازا راداريا جديدا يحول دون تصادم السفن بعضها ببعض وسيتاح للسفن التجارية استخدام هذا الجهاز الجديد عما قريب . والمعروف ان اجهزة الرادار المعمول بها اليوم تعود على ربابنة السفن بخدمتين لا غير اذ تمكنهم من استماع صوت السفينة المجاورة ومعرفة مدى اقترابها دون ان تبين للربان اتجاه حركتها ونسبة السرعة التي تسير بها .

● يقول جون تيلر من المهندسين الخبراء العاملين في شركة برات وهويتني احدىكبريات الشركات الاميركية المنتجة للطائرات ان الضجيج المتصاعد من الطائرات الصاروخية سينخفض الى درجة محسوسة خلالالسنوات الخمس القادمة . واكد انه يجري الان صنع جهاز جديد للتخفيف من شدة الهدير المنطلق من الطائرات النافورية ، ومن شان هذا الجهاز ان يعطل المجرى الهوائي الرئيسي الذي ينطلق من مؤخرة انبوب المحرك الصاروخي الى مجار اصغر ذات ذبذبات صوتية عالية وستكون هذه الذبذبات عالية بحيث يتعذر على الاذن سماعها .

● ستبنى في بريطانيا اكبر سفينة مدنية بنيت حتى الان بعد الباخرة كوين اليزابث. وستقوم بصنعها احواض فيكرز ارمسترونغ وستعملعلى الخط البحري بين بريطانيا واستراليا وسان فرنسيسكو ويتم انجازها في اوائل عام ١٩٦٠ وتتسع لما يزيد على الفي مسافر . وتقدر نفقات بنائها باثني عشر مليون استرلينية .

● اعلن علماء الزراعة الاميركيون تحسين صنف جديد من القمح الكثير الغلة والذي يمكن ان يفتتح اسواقا صناعية كثيرة.والصنف الجديد من القمح يحتوي على نسبة كبيرة من النشا تصل الى ٨٠ بالمائة . ويختلف هذا النشا ويدعى اميلوز عن النشا العادي في انه يمكن استعماله لصنع البلاستيك والالياف المتينة والافلام الشفافة . وهو فضلا عن ذلك صالح للاكل .

● ستقوم شركة بريطانية قريبا بتجربة جهاز يحول دون نشوب الحرائق فيالطائرات من جراء انفجار مستودع الوقود فيها بسبب البرق او التيارات الكهربائية التي تنتشر في الفضاء عندما يكون الجو رديئا . ويعمل هذا الجهاز ، وهو خفيف الوزن وبسيط التركيب جدا ، على طريقة ازالة غاز الاوكسجين المتراكم في المستودع واستبداله بصورة مستمرة بغاز النيتروجين الذي يمنع الاحتراق . ولا شك ان هذا الجهاز سيلاقي ترحيبا كبيرا من معظم شركات الطيرانوالقوات الجوية في العالم اجمع .

● اخذت شركة بريطانية مؤخرا الامتياز لطريقة تجعل الاقمشة المختلفة كالثياب والقمشة اثاث البيت مثلا صعبة الاحتراق لا سيما الاقمشة التي تصنع منها ثياب الاطفال وحاجياتهم الاخرى . والاقمشة المعالجة بهذه الطريقة لا يتغير مظهرها ويمكن غسلهاوكيها دون ان تتاثر مناعتها المكتسبة ضدالاحتراق.

● اعلنتوزارة البحرية الاميركيةانها نجحت في صنع مصفاة نقالة للزيت يمكن نقل اجزائها من مكان لاخر بواسطة الطائرات او غيرها ثم تثبيتها من جديد خلال يومين . وتزن المصفاة الجديدة ٥٠ طنا وقد وضعهندستها وقام ببنائها شركة لوموس في نيويورك .

● ستعطي المراكز الكهربائية في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٧مقدار ٢١٠ مليارات كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية اي ١٠٥ اضعاف ما كانت تنتج روسيا عام ١٩١٣ . وفي عام ١٩٦٠ سيرتفع انتاج الطاقةالكهربائية في الاتحاد السوفياتي الى ٣٠٠ مليار كيلووات ساعة .

ويصار الان ، في الاورال وفي القسم الاوسط من الاتحاد السوفياتي ، في المناطق الفقيرة بموارد المحروقات والطاقة المائية ، يصار الى بناء مراكز كهربائية ذرية هامة بقدرة تتجاوز ... ٤٠٠ كيلووات وذلك من اجل الحاجات الاقتصادية .

● للتلفزيون ناحية اخرى قد تكون اكثر فائدة للانسان من النظر الى صور ناطقة متحركة على شاشة جهاز موضوع في غرفة الجلوس ، اذ ان للاختراع العجيب هذاانواعا تستعمل في كثير من الصناعات والغايات العلمية الاخرى وذلك لان له عيونا شديدة الحساسية وبعيدة المدى بحيث ترى ما لا تتمكن عين الانسان من رؤيته وهي فيالوقت نفسه لا تتاثر بالعوامل التي تقضي على العيون البشرية قضاء تاما . ففيالصناعات الذرية مثلا اجهزة تلفزيون تراقب بعض الالات دون الاكتراث بالاشعاع الذري المميت .وكذلك في مصانع المتفجرات يراقب التلفزيون خلط المواد المتفجرة بواسطة الات اوتوماتيكية دون ما حاجة الى وجود العمال في المنطقة الخطرة من المعمل . كما ان باستطاعة التلفزيون مراقبة الهبة النار في « جحيم » الافران التي تذاب بها الفولاذ او البحث على قطع طائرة في قعر البحر . وهنالك اجهزة تلفزيونية طريفة في احدى معامل تعليب الخضار في انكلترا تمتحن الواحدة منها نصف مليون حبة بازلا يوميا وتعزل كل حبة ليس لها اللون المطلوب ، وتتمكن فتاة واحدة من ادارة اكثر من خمسين من هذه الالات في آن واحد . ويؤمل ان لا يطول الوقت قبلان يتمكن المتكلم والمخاطب من ان يريا واحدهما الاخر على جهاز تلفون تلفزيوني .

● اوصتالحكومة العراقية على جهاز جديد من مصنع بريطاني لاستخدامه في مطار بغداد وللاعتماد عليه في مكافحة الحرائق في حالة اصطدام الطائرات في المطارات وشبوب حريق فيها . وهو معد بعتاد خاص بالانقاذ وبخزانات تعي الماء وثاني حامض الكربون ومئة غالون من الزبد او الرغوة التي تساعد في اخماد النار ويشرف على ادارة هذا الجهاز وعمله سائق واربعة رجال يجلسونفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكان لا تؤثر فيه الحرارة وارتفاعها . وسيتم تسليم هذا الجهاز للحكومة العراقية فيمدةعام

● أتمت الجهات المسؤولة دراسة تاسيس مصنع الورق الذي خمن راسماله بثلاثةملايين دينار وسيشيد في البصرة لتوفر جريدالنخيل والصفصاف والبردي وسيبدأ انتاجه بورق التغليف والاكياس .

● سيبنى في مدن الاتحاد السوفياتي،حتى عام ١٩٦٠ ، ما يقرب من ٢٥٠ مليون متر مربع من المساحة السكنية . وتجري اعمال البناء العظيم لبيوت السكن في موسكو ولينينغراد وكييف وستالينغراد وطشقند وفي العديد من المدن الاخرى بالبلاد . وسيتلقى سكان موسكو التي تعمل فيها حاليا المئات منورشات البناء ، سيتلقون هذه السنة مليونا و٨٠٠الف متر مربع من بيوت السكن . وتسير اعمال بناء بيوت السكن على صعيد واسع في ليتونيا وروسيا البيضاء ومولدافيا واوزبكستان وجيورجيا وغيرهامنجمهوريات الاتحادالسوفياتي

● اعلنت شركة ارامكو لصنع الفولاذ انها اخترعت نوعا جديدا من الفولاذ الشديد الصلابة الذي سيمكنالطائراتمن السيربسرعة تزيد على سرعة الصوت اربع مرات دون ان تصاب بأي ضرر نتيجة ارتفاع درجة الحرارة او الاحتكاك بالهواء . وقيل ان الفولاذالجديد الذي يمكن تحضيره بسهولة يحتفظ بمتانة عظيمة تحت حرارة تصل الى الفدرجة فهرنهايت ، وهي الحرارة التي تتولد عندما تسير الطائرة بسرعة ٢٧٠٠ ميل في الساعة . والمعدن الجديد الذي يباع باثمان اقل من الفولاذ المستعمل الان ، هو مزيج من الكروم الذي لا يتاثر بالصدأ والنيكل ومعدن الموليبدنيوم .

● شرعت عدة شركات للقطارات فيالولايات المتحدة بتجربة قناديل كهربائية معباة بالغاز الذري المشع في اجهزة تحذير المارة والسيارات عند مرور القطارات فوق الطرق . فهذه القناديل لا تحتاج الى تزويدها بالوقود او الى مصدر خارجي للقوة فعندما تركب هذه القناديل في امكنتها تبدأ بالعمل تلقائيا . ويقدر الاختصائيون حياة هذه القناديل باكثر من عشر سنوات . وتمكن رؤية النور المنبعث منها بشكل جلي قوي على مسافة ٥٠٠مترا .

● صنع مركز الابحاث المختص بمصلحة البرق والبريد البريطانية العامة جهازاجديدا لتصنيف الرسائل وفرزها بصورة اوتوماتيكية كما انه يصنف هذه الرسائل وفقا للزاوية التي الصقت عليها التمغات . بالاضافة الى ان باستطاعته التفرقة بين الرسائل العادية والمطبوعات وهو يكدس هذه الاشياء بصورة منظمة حسب نوعها .

● نجحت شركة ولكوالاميركية في ابتكارآلة جديدة لصنع الابر الماسية للفونوغراف . وتقول الشركة ان ابحاثها استغرقت عامين كاملين قبل التوصل الى صنع هذه الالة . وكانت هذه الابر تصنع من قبل باليد بواسطة عجلات من الماس تبردها وفقا للشكل المرغوب فيه . والطريقة الجديدة تمكن من صنع هذه الابر بكميات كبيرة وبكلفة اقل بكثير من كلفة الابر المصنوعة باليد .

● استطاع العلماء البريطانيون ايجادحامض كيمياني جديد يساعد الى حد كبير في نمو النبات ونضوجه الباكر . وفي جملة



مَا أروعَ الأمومَة وأسْماهَا !
انها تعطيهِ افضل مَا لديهَا
كليم .. الحَليبُ الأفضَل

انه كليم نقي ، يصفيه الأطباء
بصورة خاصة لتغذية الأطفال
كليم يصنع من أحسن انواع حليب البقر
الطازج ويشتمل على الغذاء الكامل
لنمو الطفل والهضم سهل
التحضير ومناسب لأنك تستعملين
منه ما تحتاجين اليه من كميات
ولا يتطلب الاحتفاظ به الى
براد .



كليم افضل حليب

© 1956 by The Borden Company, Internat. Copyright Reserved

المزروعات التي يؤثر فيها الشاي والقطن وفستق العبيد والموز كما يزيد في محاصيلها وقد يمكن ايضا من زراعة عدة انواع من المواسم في العام الواحد . وهو يعرف باسم حامض جيبيريليك . وقد اكتشفه علماء الابحاث في مصانع الكيمياء الامبراطورية في الدائرة المختصة بحماية النبات والاعمال الزراعية وشؤون البستنة . وثبت لدى رجال الابحاث ان هذا الحامض الكيميائي يعمل على زيادة حجم النبات ويعجل في ظهور الزهر قبل المدة الطبيعية . ولقد اجرى هؤلاء اختبارات اعطت خير النتائج على الذرة الصفراء ونبات الصويا وقصب السكر والتبغ والكتان والبطيخ والفليفلاء والبصل والباذنجان . وقد دلت الابحاث التمهيدية والاختبارات التي جرت على هذا الحامض انه يحدث نسبة ضئيلة من التسمم بيد ان الاختبارات لا تزال جارية عليه وما لم يتم الحصول على النتائج الكلية المرغوبة فان النباتات والمحاصيل التي يطبق عليها لن تستخدم لغذاء الانسان والحيوانات بل تكون موضوعا للاختبار العلمي فقط .

● من المتوقع ان يبلغ انتاج القطن في السودان خلال العام الحالي (وهو اول عام يمر على السودان كدولة مستقلة) اعلى نسبة سجلت حتى الان . ويستفاد مما ذكرته نشرة « المحصولات والاسواق الاجنبية » التي تصدرها وزارة الزراعة الاميركية ان التقديرات غير الرسمية تشير الى ان المحصول سيبلغ حوالي ٦٢٠ الف بالة من منطقة مساحتها ٧٦٥ الف فدان . ويقابل هذا الرقم ٤١٪ الف بالة من منطقة مساحتها ٥٠٨ الف فدان في العام الذي قبله . وتمثل المحصولات الحالية زيادة في الانتاج قدرها ٤١ بالمائة وزيادة في مساحة الارض المزروعة قدرها ٢٨ بالمائة .

● اعلن عبد الوهاب مرجان وزير المواصلات والاشغال العراقي ان دراسات فنية تجري الان لوضع مشروع انشاء ميناء يقع على بعد ١٥ ميلا من الفاو ، على شط العرب ، في اقصى جنوب العراق . وقال ان الميناء سيكون مهيأ لاستقبال ناقلات النفط التي تزيد حمولتها على مئة الف طن وان اتصالات تدور مع شركة نفط العراق ووزارة الاقتصاد بشأن انجاز المشروع ويجري ايضا انشاء ميناء تجاري ثان خارج شط العرب في موقع ام قصر في جنوب العراق

● بدأت بعثة من المهندسين والفنيين السعوديين باجراء دراسة لمشروع انشاء قناة تحمل مياه شط العرب في جنوب العراق الى الرياض . وكانت الحكومة السعودية قد قامت باستشارة بعض الشركات الهندسية الاجنبية وطلبت اعداد التصاميم والمواصفات للمشروع على اساس مد خطين للانابيب قطر كل منهما ٣٢ بوصة وطوله حوالي ٧٥٠ كيلو مترا . وسيجهز المشروع عند اتمامه مدينة الرياض بكميات من المياه تتراوح بين ٣٠ و٤٠ مليون غالون في اليوم .

● اعلنت الحكومة السعودية رسميا ان تعاقدها مع احدى الشركات البلجيكية لمد سكة حديد كهربائية من جدة الى مكة المكرمة وعرفات قد ادى الى دراسات اولية قامت بها الشركة وقد اسفرت هذه الدراسات عن ان المبلغ الاجمالي المقدر لتنفيذ المشروع هو حوالي اربعين مليون ريال (اربعة ملايين من الدنانير) . اما المدة التي تراها دراسات الشركة ضرورية لتنفيذ المشروع فهي خمس سنين .

● اسفرت اعمال الحفر في منطقة حلفا تحت اشراف مصلحة الاثار السودانية عن اكتشاف مقبرة اثرية للامير تحوتي امير منطقة حلفا في عهد الملكة حتشبسوت من الاسرة الثامنة عشرة وقد تقرر انشاء متحف للاثار في الخرطوم واعتمدت الحكومة مبلغ ٣٠٠ الف جنيه لهذا الغرض .

● اتفق العلماء الجيوفيزيائيون اثناء المناقشات التي جرت في المؤتمر الذي يعقدونه في تورنتو بايطاليا على ان عمر الكرة الارضية يبلغ اربعة مليارات و٥٠٠ مليون سنة .

● اذاع راديو موسكو تصريحا للبروفيسور جورج تيخوف العالم السوفياتي . قال فيه هذا الاخير بانه لا يزال مقتنعا بان الحياة متوفرة في الاجرام الاخرى وعلى الاخص في المريخ . واضاف العالم المذكور بانه يراقب هذا الجرم منذ ٦٠ سنة وانه مقتنع الان بان الوقت الذي سيتمكن فيه علماء الفلك السوفياتيين من جلب النماذج الاولى من النباتات التي تعيش في المريخ قد اصبح قريبا

● بدأ علماء عدة بلدان ابحاثهم المتعلقة بالاكتشاف الجديد المسمى « بالانهار الكهربائية . وهذه « الانهار » عبارة عن تيارات كهربائية تولدها حركات المد والجزر الجوية . وقد اقيمت محطات الابحاث المتعلقة بهذا الاكتشاف في جبال البيرو باميركا الجنوبية وفي كودا ايكانال بالهند وفي الكثير من جزر المحيط الهادىء وفي القطبين الجنوبي والشمالي

● اكتشف علماء السنة الجغرافية الطبيعية الدولية المتمركزين في بلف هيل بالقرب من انفركافيل ، طبقة في اعالي الجو تبين انها هي التي تنقل ذبذبات الرادار ويقدر ارتفاع الطبقة عن الارض بحوالي ٧٠ ميلا ويعتقد العلماء ان لهذه الطبقة علاقة بانعكاسات الانوار القطبية الجنوبية والتي يأمل العلماء ان تظهر للعيان حين يستطيعون القيام بدراسات اوسع .

● صرح الدكتور مارتن شوارتز احد اساتذة علم الفلك في جامعة برنستون ان الصور الفوتوغرافية الجديدة التي التقطت لقرص الشمس من على منطاد وصل الى علو ٢٥ الف متر قد ادت الى اكتساب معلومات جديدة عن سطح الشمس . وقال ايضا ان هذه الصور شملت مساحة مئة مليون ميل مربع من قرص الشمس ودلت على وجود بقع بيضاء هي عبارة عن تجمعات ضخمة من الغازات المرتفعة الحرارة .

● اكتشفت بعثة حفريات اركيولوجية اميركية تابعة لمؤسسة سميثسونيان اكتشفت في شمالي العراق هيكلين عظميين بشريين بحالة جيدة يعود تاريخهما الى عشرات الالوف من السنين . وعلى اساس الدروس العلمية الدقيقة يقول خبراء البعثة ان الهيكلين يشابهان هياكل الانسان النياندرثالي الذي استوطن اوروبا والشرق الاوسط وافريقيا الشمالية منذ ٧٥ الف الى ١٧٥ الف سنة . ويظن الخبراء ان عمر احد الهيكلين ٤٥ الف سنة وعمر الثاني ٦٠ الف سنة .

اتدري هل انت قومي
او غير قومي ؟
●
اذا كنت لا تستطيع الجواب عن هذا السؤال الضخم ، في حياة الانسان ، لانك لم تعالج حتى الان تلك المعضلة الجذرية فما عليك الا ان تقرأ :
في القومية والانسانية
سفر نفيس يطلع به علينا
الدكتور كمال يوسف الحاج
الباعث الاول لحركة فلسفية في لبنان
منشورات عويدات
ص.ب ٦٢٨ بيروت ـ لبنان

[تتمـة المنشور في الصفحـة ٧]

وثمة ايضا القافية التي تتوالى بروي واحد في ابيات القصيدة جميعا ، او يتخالف رويها ، حالا بعد حال وفقا لاسلوب الشاعر ، ولقد تعرض لها اخيرا بعض الادباء ، فمنهم من تجاوز عنها، ومنهم من خالفها ومنهم من ابقاها على رتابتها ووحدتها في القصيدة . لا شك ان القافية كالوزن ملزمة بطبيعة العمل الفني لانها تمثل القرار والايقاع لامواج النغم لكنها اذا استبدت بابيات القصيدة جميعا ، تتحول الى قيد خارجي يعبث بحقيقتها ، فلا يعود الشاعر يعبر عما يعانيه وانما تجره القافية ليستنبط معاني توافقها وبذلك ينتفض دورها ، فعوضا عن ان تغني وتسهل عملية الابداع نراها تميتها وتعطلها ، ولا مجال بعد ، للاخذ بسنة الشعر التي تتخذ من اكثار القافية الواحدة دلالة على عبقرية الشاعر وتفوقه . ان القافية في الشعر ليست غاية بذاتها ، وانما يتوسل بها الشعر لنقل حياة التجربة وذهولها فلا ميزة لها اذا توحدت كما انه لا ضير فيها اذا تخالفت وانما فضيلتها في تآلفها مع روح التعبير والشعور . وفي يقيني ان توحد القافية في القصيدة العربية ، قيد الشعر العربي في حدود المعاني يعابثها بعضا ببعض ، يتنقل من الواحدة الى الاخرى ، فلم يكن شعرهم شعر حالة او قصيدة وانما شعر معنى وابيات .

الا ان القافية ، اذا كانت قيدا عندما يلتزم فيها ما لا يلزم ، فانه لا ينبغي ان نتعسف بها حتى تصل الى نقيض ذلك ، فنهملها او نعدمها انعتاقا وتحررا . ولقد جعل جماعة هذه النظرية يؤكدون على ان شجو القصيدة لا يقوم في وحدة القافية بقدر ما ينبعث من وحدة التفعلية ومن التناغم الحي في تآلف حروف اللفظة والبيت بعضا ببعض، فلا يكون النغم آليا بل متنوع بتنوع الحروف ومعاناة الشاعر ومشاركته ، يبدع النغم ويكيفه وفقا لطبيعة النشوة الداخلية حتى يتوفر لنقلها ولا يدع النغم المقرر الالي في الوزن والقافية يستبد بروحها .

لا شك ان هذه النظرية تشير الى حقيقة عندما تتحدث عن طبيعة النغم الحي في تآلف الحروف واللفظ ، الا انه يبالغ كثيرا في قدرة الشاعر على خلق النغم عبر اللفظ . ان الموسيقي يختار مثلا النغم الذي يتأتى له ويبصره قادرا على نقل تجربته وهو في اختياره لا يقيده قيد اخر لان دلالة النغم متصلة به ومقصورة عليه . اما الشاعر فلا يمكنه ان يعمد الى النغم الذي يريد لانه ليس يتخذ اللفظة بفضيلة النغم وحسب بل لاتفاق معناها وظلالها مع الحالة التي يعبر عنها ، فاللفظة تختار لفضيلتي الجرس والمعنى ؛ قد تقع على احدهما دون الاخر ، فنجد الجرس في لفظة عقيمة او المعنى في لفظة متقعرة . هذا القيد يضطر الشاعر ابدا الى ان يتوكأ على القافية لان جرسها كالموجة الكبيرة التي تحرك وتنمي وربما تبعث مويجات النغم في حروف اللفظ وابياته . ان الشاعر الذي يعتمد على التآلف الداخلي للحروف ، عبر القصيدة ، يقع تحت وطأة النغم فيضحي بالمعنى الذي يرغب به ، الى المعنى الذي يفرضه عليه جرس اللفظة وهكذا يكون تحرر من عبودية القافية ليتردى في عبودية الحروف ويصبح كل حرف من حروف الفاظ البيت ، شبه روي داخلي مضمر يقيد الحالة بقيد كالذي تفرضه وتتسلط به القافية . وهكذا نشهد ان القافية يلبث رويها اقل استبدادا من تألف الحروف والتفعلية الواحدة . فلا مندوحة من ان تظل التيار الذي يوزع امواج النغم . واعلها اذا تعطلت او غفلت يبقى النغم دون ايقاع او قرار ويلبث النغم في وحدة التفعلية يلهث دون ان يستقر حتى يعيى ويتلاشى بعد بيت او بيتين .

ولعل الشعر لن يتغلب على هذه الصعوبات جميعا الا اذا أضاء ذهن المبدع اشراق الحدس فتبصر اعصابنا ما لا يبصره الذهن العادي وتتحدر روح التجربة بجسد اللفظ، معنى ونغما في غفلة الحدس وسره ولا تلبث ان نتلقفها حية حرى ، متحدة متكاملة دون ان تعي سر اتحادها وتكاملها . اما اذا عمي الحدس ولبث الشاعر يراود التجربة دون ان يومض في عصبه اشراق الخلق ، فاننا نشهده يتحول عن هذه الصعوبة الداخلية الى صعوبة خارجية ، في تخير اللفظ ، في مطابقته ومجانسته ، في التسجيع والتبديع حتى يصبح الفن عمل صناعة مبتذلة . وهذا ما شهدناه في عصر الانحطاط اذ اصبحت عقدة السجعة غاية الفن ، بعد ان تحول عن عقد النفس ومعاناتها ، فاصبحت عبقرية الفن في تخير البيت العاطل او عاطل العاطل ، يكد عليه احدهم فيبالغ به من بعده حتى ينتصر عليه .

وهكذا نشهد اخيرا ان الشعر الحقيقي هو الذي يجسد معاناة النفس ، عبر هنيهة الحدس ثم لا يلبث ان يتحكك ذاته وفقا لسوية الفن المثلى وكأنه بذلك « غفلة واعية » كما يقول ابو شبكة .

ايلي حاوي

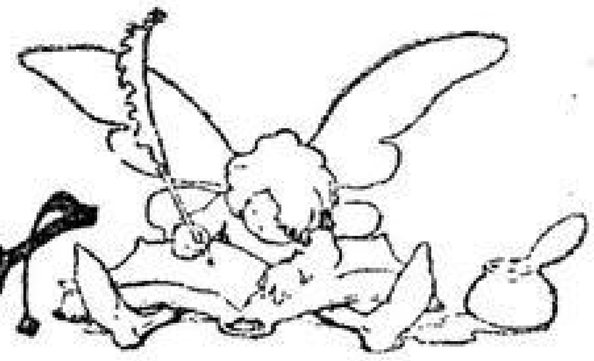
والم بي شعور قوي كان حافزا لي على الانطواء وكتابة دراسة مفصلة لهاتيك الدواوين الشعرية ، لا زلت اعتبرها انصافا لهؤلاء الشعراء المتهمين

لكن ما يثير الفضول حقا ـ هو كيفية فهم الثورة ، هذه الثورة التي اندلعت في القاهرة قبل اعوام حاملة في طياتها معاني التمرد على الاستبداد بالحكم والرأي ، والتحرر من قيود العبودية على مختلف اشكالها وشتى صورها . ان ما يثير الفضول ان نطالع بين يوم واخر بقايا افكار تعود الى ما قبل عهد الثورة والتمرد والتحرر !! فقد كان المخطط الذي وضعه الاديب المصري محي الدين محمد محصورا في امور لاتتعدى محاربة البعوض وبرك الماء الاسنة ، وغلاء الاسعار ، ومطاردة الجيف والكلاب المصابة بالكلب ... هذه الامور التي يسمو النقد الادبي الرفيع عن ذكرها .. فكيف بالمطالبة بها ؟ ومن ناحية اخرى هل هناك قادة فكر حقا يعنيهم امر الكتاب او الديوان او المسرحية ؟ واذا عناهم ذلك فما هي طريقتهم في العناية به ؟ ان ذلك يتوقف على الناقد ... وعلى اسلوبه في فهم العمل الفني .. وعلى مقدار نزاهته وعدالته في نقده.

ان الاستاذ عبداللطيف السحرتي سيعذرني اذا قلت انني لم اجد في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ما يشير الى هذا الاتجاه رغم دعوته القوية الى وجوب تحرير الشاعر من كل ما من شانه تقييد شيطانه ، على خلاف الاديب الكبير مارون عبود الذي يطلب من الشعر قبل كل شيء الموسيقى ، والنغم كخطوة جوهرية في سبيل اشاعة روح الاطمئنان لدى محب الشعر .

وما قولي الا كنقطة من بحر آمل ان تجد ما يجدر بها من اعتبار واهتمام هما جل مرامي في انصاف الشعر .

حلب **ممدوح مولود**



مليكي

بقلم الشيخ عبد العزيز الكحيمي
سفير المملكة السعودية في لبنان

●

كم كنت أتمنى لو سمح لي الزمن ، فاكتب تاريخ مليكي ، وقد عرفته من خلال دراستي الشخصية وتجاربي الخاصة واتصالاتي المباشرة بحكم عملي كشخص من اقرب الناس اليه وانني أتطلع الى ذلك اليوم الذي استطيع ان اسطر فيه سيرة جلالته وكفاحه المستمر في سبيل عزة العرب ومجد الاسلام .

ولد جلالة مولاي الملك سعود بن عبدالعزيز في ليلة الثالث من شهر شوال سنة ١٣١٩ هجرية في مدينة الكويت ، فرأى الحياة مشرقة باسمة والمسلمون في مشارق الارض ومغاربها يرفلون في نعمة عيد الفطر المبارك .

وفي الليلة التالية لليلة ميلاده ، فتح والده العظيم المغفور له الملك عبد العزيز مدينة الرياض ، فالتقى لال سعود ثلاثة اعياد : عيد ميلاد سعود ، وعيد الفطر المبارك ، وعيد فتح الرياض .

ولقد نضجت شخصية الملك سعود وتفتحت عبقريته في سن مبكرة واظهر من المواهب القوية والذكاء النادر والقدرة على العمل واحتمال المسؤوليات الجسيمة وهو لما يزل في السادسة عشرة من عمره الطويل ، ما جعل والده العظيم يعتمد عليه في هذه السن ويوليه اهتمامه ويسند اليه اخطر الامور واجسمها ، فكان يده اليمنى وساعده القوي في تثبيت اساس الملك وتمكين قواعد العرب وتدعيم كيان العروبة والاسلام .

ان الملك سعود ليرى ، وهو في ميعة الصبا ورونق الشباب ، على بسطة في الجسم والعلم ففي نضجه الباكر واستعداده فكريا وعقليا وجسمانيا لاحتمال المسؤوليات الهامة والتبعات الخطيرة، ظهرت شخصيته واشتهرت فروسيته في كل ركن من الجزيرة العربية ، حتى عد من ابرز ابطالها واكثرهم توفيقا في قيادته وغزواته .

لقد حارب سعود في موقعة « تربة » المشهورة ١٣٣٨ وحارب بعدها قبائل عتيبة حينما خرجت على البيعة وكانت تقطع الطريق وانتصر عليها نصرا بارزا اثار الدهشة والاعجاب وهكذا توالت حروبه وانتصاراته فارسا ذائع الصيت يعد عند الشدة ويعفو عند القدرة .

اما في السلم فكان الملك سعود الثائر على الجهل والفقر ، البناء القوي الساعد لصرح الدولة العربية السعودية في دينها ودنياها لقد بنى سعود وما اكثر ما بنى وشيد واصلح في كل مرفق من مرافق الدولة وفي كل ميدان من ميادين الاصلاح وفي كل حقل من حقول العمل المجدي النافع تحدوه الرغبة الصادقة لنفع شعبه .

ان جلالة مولاي الملك سعود قد قام برحلات متعددة الى دول اوربا قبل الحرب العالمية الثانية ، فتسابق زعماؤها وملوكها ورؤساؤها الى استقباله والترحيب به ، ثم تتابعت رحلات جلالته الى اوروبا واميركا وافريقيا واسيا فلقي ما لقيه من قبل وكون لبلاده كيانا دوليا عالميا ، واثبت بسياسته الحكيمة وبعد نظره وسداد رأيه ان جلالته ليس ملكا انبسطت له اسباب السلطان فحسب بل انه ليعد ضمانة كبيرة للسلم العالمي والامن الداخلي في الشرق الاوسط كله .

انني كواحد من المتصلين بجلالته اعرف ما لا يعرف غيري عن سهر جلالته في العمل ليلا ونهارا وفي السفر والحضر بكل جوارحه من اجل دينه واستقلال بلاده ورفاهية شعبه ومن اجل الشعوب العربية والاسلامية يتطلع جلالته الى تآلف حقيقي بين الدول العربية في ميادين السياسة والاقتصاد والشؤون العسكرية

لقد استتن جلالته سنة حسنة ووضع سياسة حكيمة تهدف الى الحرص على استقلال العالم العربي والعالم الاسلامي اجمع هذا العالم الذي يرتبط بالمملكة العربية باوثق الروابط وامتن الوشائج واعزها قديما وحديثا.

حقق الله لجلالته الامال وابقاه للعرب ركنا مكينا وللاسلام حصنا حصينا انه سميع مجيب

عبد العزيز الكحيمي

عهد ... وملك

بقلم الشيخ عبدالله بلخير
الوزير المفوض لشؤون الاذاعة والصحافة والنشر

●

عهد زاهر يشرق على المملكة العربية السعودية في حاضرها اللامع ويمتد اشراقه عبر الحدود لتتحدث بمجده الصحف وتباركه الالسنة والاقلام ، وفي ظل هذا العهد الزاهر تسير القافلة .. قافلة التقدم الى الامام وهي في سيرها تخطو خطوات واسعة في سبيل الاصلاح والكمال المنشود الذي رسمه وتعهده بالعناية والنماء حضرة صاحب الجلالة الملك سعود الاول ملك هذه المملكة الفتية الناهضة ..

والمتتبع لتاريخ هذه المملكة العريقة في الانساب والحديثة العهد بالنهضة ليدهش عندما يرى كل هذه الخطوات الواسعة التي خطتها في مجال الاصلاح والمعرفة والكمال ..

وعهد حضرة صاحب الجلالة ، هو العهد الزاهر في حياة الشعب السعودي ، لقد بدأ عهد سعود منذ ذلك اليوم الذي ولد فيه جلالته في الكويت واقترن مولده بيوم افتتاح الرياض ، ذلك اليوم الذي تم فيه لال سعود البواسل استرداد ملكهم المغتصب وارساء قواعد حكمهم الرشيد النير .

وكان جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ينظر الى ذلك الحدث في تاريخ هذه المملكة كبداية جميلة لعهد مشرق ..

ولقد اوسع المؤرخون تلك الحقبة من تاريخ هذه المملكة بالدراسة والتحليل وخرجوا من كتاباتهم كلها يشيدون بعبقرية الملك الراحل ، ومضت الامور في سيرها ، وكان يدير الدفة ملك حكيم ارسى قواعد هذه المملكة ليسلمها من بعده الى شبله العظيم سعود ولي عهده آنذاك ..

وكبر سعود مع الايام ونضجت فيه تلك العبقرية التي اثبتها عهده السعيد واحس كل من يشاركه الجهاد كم هو يبذل من النفس والنفيس في سبيل هذه المملكة ..

وعرف القوم صلابة سعود في الحق وحنكته في السياسة وتجربته وارائه السديدة العاملة للبناء ... للتشييد .. لاستتباب الرفاهية لهذا الشعب ..

ويوم تولى جلالته مقاليد الامور عاهد نفسه على ان يسعى سعيا حثيثا في سبيل الاصلاح والتقدم ، واحس العالم كله العربي منه والاجنبي بالجهود القوية التي يبذلها عاهل الجزيرة في سبيل بلده والعالم العربي أجمع ، ومن هنا

بدأت الرحلات الطويلة التي كان يشارك فيها جلالته اقطاب العروبة وملوكها اجتماعات هامة كانت ولا تزال هي اللبنة الاولى في تدعيم الجامعة العربية والوحدة الكاملة ..

ومساعي جلالتهالعربية المشرفة الغر المحجلة التي قام ويقوم بها جلالته لقضايا العروبة في سبيل كل بلد عربي جاهد ويجاهد فيسبيل استقلاله ، هذه المساعي سطرها التاريخ في اوسع صفحاته باحرف من نور دليلا ناصعا على المجهود الفذ الذي قام به جلالة الملك سعود الاول في هذا المضمار .

وقد يحلو لنا الحديث عنكلهذه الاعمال الخالدة التي قام بها جلالته في تدعيمالاستقلال للبلدان العربية ومؤازرتها في محنتها بالمال والرجال ، هذا الحديث الذي لا شك ان كل عربي في داخل هذه المملكة وخارجها يعرف عنه الكثير ، والكثير يحمل له في قلبه من اجله اكثر من الحب واجل من الفداء،ورحلات جلالته الى اوربا واميركا والى الباكستان وهند وايران كانت على اساس تشييد العلاقات الطيبة بين هذه البلدان والمملكة العربية السعودية بوجه خاص وبين العرب وبينهم بوجه عام ... هذه الرحلات التي كانت ولا تزال تبدو آثارها في المحيط الدولي مطلة من علو سامق تشير للفكرة النبيلة التي يعمل من اجلها جلالته ..

لقد رأى العالم اجمع في جلالته الشخصية العربية الابية التي تكرم الجهاد وتسعىاليه .

ورأى العالم في شخص سعودالوفاءالمجسم لاخوانه العرب في كل نائبة تنزل بهم فجلالته يسارع لاسداء اليد تلو الاخرى لانه يريد لهم المجد والسؤدد في ظل القومية العربية ورأى العالم في سعود الشخصية العربية المتفتحة الواعية التي تعرف الحق وتسعى لاقرار الحق ... ورأى العالم في سعود الصفات النبيلة ، فهو اذا وعد وفى واذا تكلم ففي كلماته الحكمة البالغة وآمن العالم بنبلالمقصد الذي يسعى اليه سعود ..

هذا هو سعود كما يعرفه العالم العربي والاجنبي ، اما سعود في الداخل فهو ابر من أب واعظم من عاهل انه لكل فرد من افراد هذه المملكة الشاسعة المترامية الاطراف ، اب رحيم واخ كريم وملك عظيم محبوب ..

ولقد حقق سعود المشيد الاول لهذه المملكة في ظرف قصير اعمالا خالدة ، فهذه النهضة الواسعة التي نلمس آثارها جلية واضحة في معالم حياتنا اليومية تبناها وتعهدها سعود ...

والمشاريع الكبيرة التي أصبحت تعطي أكلها لخير هذا البلد الطيب هي من غرس سعود ..

لقد شاد سعود المدن وسعى الى محو الامية وعمل على انتشار التعليم العالي والمهني وجاهد في ان لا تخلو اية قرية في هذه المملكة من مدرسة او معهد ، والاحصائيات الدقيقة التي تصدرها وزارة المعارف عن النهضة التعليمية هي من اعمال هذا الملك البناء ، واذا نظرنا الى المستشفيات الكبيرة التي انتشرت في طول المملكة وعرضها نتذكر حرص سعود واماله في ان ينال كل فرد من أبناء هذه المملكة العناية الصحية وان سعي جلالته الحثيث لان تحتل بلاده أسمى مكانة جعله يفكر ليل نهار فيما يعود على بلده بالخير والصلاح ...

فهذه مدارس الايتام وملاجيء العجزة ودور التعليم والصناعة والمستشفيات والمصانع الحربية والمصانع الاهلية والمطابع ومعاهد التربية البدنية ومدارس التجارة، وفي عهد جلالته الزاهر عبدت الطرق ، طرق المدينة ومكة والرياض والخرج والدماموالظهران وجرى التوسع في السكك الحديديةومشاريع المواصلات ...

لقد وصل سعود هذه المملكة بعواصمالعالم شرقيه وغربيه بواسطتين حديثتين اولاهما الطائرات وثانيتهما التليفون اللاسلكي ،ففي المملكة السعودية اكبر خط جوي يعملداخل المملكة وبينها وبين البلدان العربية ... ومنذ فترة قصيرة احتفلت وزارة المواصلات باتمام اول مشروع اتصال تلفوني بين المملكة العربية السعودية والعالم العربي والاوربي والاميركي، ثم اتسعت شبكة الاتصال التلفوني اللاسلكي فعمت الهند والباكستان ..

وهناك عملان خالدان راسخان رسوخ الطود الشامخ ، فلقد عمل سعود على تعميم المساجد على نطاق واسع ثم توج هذا العمل الديني الباهر بتلك المأثرة الخالدة ، الا وهي توسعة المسجد النبوي الشريف .

وقد تم هذا المشروع العظيم واحتفل به احتفالا رائعا ، وجاءت افواج المسلمين من مختلف البلدان الاسلامية لتشاهد المسجد النبوي الشريف في مظهره الجميل الرائع بعد اكمال التوسعة .. ولقد دهش العالم في شخص اولئك القادمين يوم رأوا ما حققه البذل السخي في سبيل الله والمسلمين وعادوا يحملون البشرى للعالم الاسلامي بان الله جل وعلا قد قيض للحرمين الشريفين مليكا يهب وقته وراحته في سبيل اعلاء كلمة الدين ورعي حرمات المقدسات الاسلامية ... وما كاد العمل ينتهي من المسجد النبوي حتى تناقلت اسلاك البرق نبأ مشروع اخر على نفس المستوى النبيل والهدف الاسلامي العظيم ، هو مشروع توسعة المسجد الحرام الذي أمر جلالته بانجازه ورصد من اجله اضخم مبلغ صرف في انبل مقصد عرفه التاريخ ، وعاد العمال والصناع والمهندسون يعملون من جديد لتشييد مسجد بيت الله وتجهيزه بما يتفق وقدسيته وما يتناسب مع راحة وفود بيت الله الحرام ، ولا يزال العمل يسير حثيثا في اكماله وسيكون يوم الاحتفال باكماله من الايام المخلدة في تاريخ هذهالمملكة وتاريخ جلالة عاهلها العظيم ...

وهناك في الدمام والرياض وفي جدة وفي المدينة المنورة وفي غيرها من بلدان المملكة مشاريع عمرانية يرعاها جلالته بعنايتهلتجميل هذه المدن ورفع مستواها الاجتماعي لكي تساير النهضة الحديثة التي تشمل كافة انحاء المملكة ، ونظرا لاتساع الاعمال وتطور العمران لم تغفل حكومة جلالته صيانةالمواني، وتوسيعها بما يتفق مع النهضة الشاملة في هذه البلاد ، وها هو ميناء الدمام على ساحل الخليج العربي وميناء جدة على ساحل البحر الاحمر يعملان لهذه الغاية فهما يستقبلان الاف البواخر الناقلات التي تفد شهريا حاملة مختلف مواد العمران والبضائع او تنقل الزيت الخام من شرقي المملكة الى انحاء العالم وقد عمل جلالته ايضا على رفع روح المزارعين فأمر بان تساهم وزارة الزراعة بقسط وافر في سبيل تشجيع المزارعين ومدهم بالخبرة والالات والمال لنشر الزراعة والعمل على الاكتفاء الذاتي فيما يختص بالمنتجات الزراعية كما أمر جلالته بان تساهم الحكومة في انعاش الصناعة بان تعطى الشركات السعودية اراض للمصانع مجانا وان تفسح ادوات المصانع مجانا كذلك دون ان تحصل عليها أيةرسوم جمركية .وامر جلالته بان تستوعب وزارة الدفاع في مشروعها الضخم اكبر عدد من الطلاب تبتعثهم الوزارة ليعودوا ويعملوا في محيطها علاوة على الطلاب الذين تبتعثهموزارة المعارف وخصص جلالته المدارس العسكرية الابتدائية والثانية لتقدم هذه المدارس طلابا لكلية الملك عبد العزيز الحربية في الرياض التي نسقت على احدث طراز سواء منناحية التصميم والبناء او ناحية اساليب التدريب واختيار المعدات ، واصبح الجيش السعودي يضاهي في ترتيبه ونظامه وافراده باقي الجيوش العربية ... وامر جلالته باشادة دور للعلم يتلقى الطالب فيها ما يساعده على التزود بالمعرفة لكي يكون مواطنا صالحا يخدم بلده ، فافتتحت المعاهد العلمية في الرياض وفي الطائف وفي حائل وفي بريدة وعنيزة والمدينة المنورة هذه المعاهد التي ستكون نواة لجامعة دينية كبيرة ... وعمل سعود في سبيل الحجاج الكثير من الاعمال المفيدة وسهل للحجاج تادية واجبهم الديني وقام ويقوم بنفسه في كل عام على استتباب الراحة لكل قاصد لهذا البلد الطيب فلقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افتتح جلالته مدينة الحجاج والمحجر الصحي وامر بايجـــاد جميع التسهيلات الطبيـــة والاجتماعية للحجاج خلال ادائهم مناسكهم ...

وانشأ سعود معهد الانجال في الريـــاض ليشارك ابناؤه ابناء الشعب وليتعلم الانجال بجانب ابناء الشعب تعليما دينيا ودنيويا وعمل على ادخال الرياضة في محيط الدراسة في كل مدرسة انشاها ومعهد ...

هذا هو سعود ملك المملكة العربية السعودية

وهذا هو سعود حامي الحرمين الشريفين ..

وهذا هو عهـــده عهد السلام والحريـــة والاستقرار ...

هذه بعض جهود جلالته الموفقة ، تذكـر بالتقدير والفخار ،

وان هذا العهد ليبشر بنهضة اتم واكمـل وعلى نطاق اوسع في السنـوات القادمـــة ان شاء الله ...

عبـــدالله بـلخـير

لمحـة عـن حيـاة الملك سعـود والاعمـال التي تحققت في عهده

●

● جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بـن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الكبير بن محمد بن مقرن بن فرحان بن مقرن ، « ملك المملكة العربيـة السعودية » .

● المملكة العربية السعودية دولة اسلاميـة تبلغ مساحتها نحو مليون ميل مربع وعـــدد سكانها بين ستة وسبعة ملايين وعاصمتهـــا الرياض . وفيها تقع مكة المكرمة والمدينةالمنورة أقدس الاماكن الاسلامية واهم مواردها النفط. يقوم على الحكم فيها مجلس وزراء برئاسـة صاحبالسموالملكي الامير فيصلبنعبد العزيز آل سعود ولي العهدووزير الشؤونالخارجية.

● ولد الملك سعود في الكويت بتاريخ ١٥ يناير ١٩٠١ . وبدأ جلالته اسفاره وحملاتـه في سن باكرة ففي ١٩١٩ قاد حملة لاخضاع قبائل تربة التي كانت تمـد اعـداء والـده بالمساعدة . وفي سنة ١٩٢١ قاد حملة الى حائل في الشمال حيث استولى على المدينـة بعد قتال عنيف اظهر فيه الامير الشابشجاعة ومهارة في القيادة ، وفي سنة ١٩٣٠ توجـه الى الاحساء ليطهر تلك المنطقة من المتمردين.

● في سنة ١٩٣٣ بايعه الشعب السعودي بولاية العهد وبهذا تقلد مسؤوليات اداريـة جديدة وقام بزيارات رسمية لعدد من البلدان الصديقة ومنها الولايات المتحدة التي زارها في شهر فبراير ١٩٤٧ في عهـــد الرئيـس ترومان . وفي عام ١٩٥٧ زار جلالته الولايات المتحدة للمرة الثانية بدعوة خاصة من الرئيس ايزنهاور قوبل فيها بحفاوة بالغة .

● في سنة ١٩٣٤ تولى جلالته قيادة الجيوش العربية المرابطة في منطقتي نجران وعسيـر ابام الحرب اليمنية ، وبعد انتهاء الحـــرب وتوقيع معاهدة الصلح توجه الى نجران حيث نظم شؤونها .

● فيسنة ١٩٣٩ اسندت اليه وكالة القيادة العامة لجميع قوات المملكة

● في سنة ١٩٥٢ اصدر الملك عبد العزيز مرسوما ملكيا بتعيينه قائدا عامـــا للجيـش السعودي وقوى الامن الداخلي كما اسندت اليهرئاسةاولمجلسللوزراء ينشافيتاريخالمملكة

● في سنة ١٩٥٣ (٩ نوفمبر) بويع جلالته بالملك وتسنم العرش بعد وفاة والده فاصبح ملك المملكة العربية السعودية وحامي الحرمين الشريفين وفي هذه المناسبة قال كلمته المأثورة: « اذا كان عهد ابي قد اشتهر بالفتوحات فان عهدي سيكون حربا على الفقر والجهل والمرض»

● قام جلالته منذ توليه العرش بزيارات ملكية لانحاء المملكة كما قام بزيارات خاصـة الى العالم العربي والاسلامي ، وكان اول ملك عربي في تاريخ الجزيرة يجوب كل زاوية من انحاء ملكه متفقدا احوال الشعب ولامســـا حاجاته ومصمما على النهوض به الىمستوىعال

● من اساليب الملك سعود فـي الحكـــم الاطلاع على جميع شؤون الدولة اطلاعاشخصيا كاملا بقصد تامين رفاهية الشعب وسعادته ، فقد اسفرت رحلاته المتعددة في البلاد عـــن مشاريع عمرانية تتصل مباشرة بجميع مرافق حياة الامة ، فنظم سبل الحج الى بيت اللـه الحرام من خارج البلاد وداخلها ، مراعيا في ذلك احوال الامن والراحة والصحة علـــى اوسع نطاق ، ومن ذلك انشاء المحجر الصحي في جدة وهو من احدث واضخم المحاجر التي من نوعه ، وشرع في اتمام العمل الذي كـان موضوع اهتمام والده وهو اصلاح وتوسيـع المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورةحتى اصبح بشكل يليق بمكانته الدينية كما وانـه باشر العمل في توسعة المسجد الحرام في مكة المكرمةولايزالالعملقائمالاتمامهذا المشروعالجبار

● واخذ جلالته بتعزيز قوات الدفـاع من جيش وسلاح جوي فانشا الكلية الحربية في الرياض واستقدم الخبراء والفنيين وابتعث الشبان الى الخارج للتخصص في الشـــؤون العسكريةوالطيرانوغير ذلكمنحقولالاختصاص.

● ويشجع جلالة الملك سعود الحركـــة التعليمية ويوليها الكثير من عطفه وعنايته ، وفي سبيل ذلك تدفع الحكومة رواتب للطلبـة لتشجعهم على مواصلة التعليم ويتراوحالراتب ما بين ١٠٠ ـ ٣٠٠ ريال شهريا للتلميـــذ الواحد ، وكان من نتائج هذا التشجيع انااقبل الشعب على التعليم اقبالا كبيرا مما دعا الى زيادة عدد المدارس على اختلاف انواعها بصورة مطردة ، فبينما كان عددها في عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ لا يزيد على ٢٠٧ اذا هو يرتفع في عام ١٩٥٥ الى ٥٧٠ مدرسة ومؤسسة ، وبينمـا كان في عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ ٣٥ الف طالب اذا هو يرتفع في عام ١٩٥٥ الى ٦٥ الف طالب ، ومن اروع الامثلة على حب جلالته نشر العلم، تلك القصور الملكية الجميلة بجدة التي اهداها لوزارة المعارف لكي تستخدم للتفريج عن ازمة المدارس الشعبية ، وتعرف هذه القصور الان باسم مدينة الملك سعود العلمية وهي نموذج للمستوى الرفيع في النظام والنظافةوالاسلوب المدرسي التعليمي ، ويدخل ضمن عنايـــة الملك سعود بالتعليم عناية كذلـــك بانشـاء المكتبات العامة في امهات المدن بالمملكة خاصة المكتبة الكبرى التي انشاها بالرياض وزودهـا بالقديم والحديث من المؤلفات ، ومما يدخل في هذا الباب التشجيع الذي تلقاه من جلالته المؤلفات العلمية وخاصة المؤلفات الدينيـــة

ظهـر حديثـا :

البخلاء للجاحـظ

الثمن ست ليرات لبنانية

ديـوان ابن الفـارض

الثمن خمس ليرات لبنانية

الناشر

دار صادر ـ دار بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمشاهير علماء المسلمين ، فقد امر بطبع الكثير منها على نفقته الخاصة لتزويد المكتبـــات الداخلية وكثير من المكتبات الاسلامية بالخارج.

● وتلقى الرياض من جلالة الملك عنايـة وتشجيعا كبيرا وكثيرا ما يحضر المباريات التي تقام بين الاندية الرياضية الاهلية او بـين الاهلية والفرق الزائرة ويقوم شخصيا بتقديم الكاس للفريق الفائز كما يغدق الجوائز الثمينة على اللاعبين ، وتوجد في المملكة السعودية الان عشرات من الاندية الرياضية الاهلية والاجنبية هذا مع فرق المدارس الثانوية والمعاهد العليا ومدارس الدفاع وكلياتها والفرق الكشفية .

● ويعطف الملك سعود على الايتام عطفـا ابويا كبيرا ويوليهم الكثير من عنايته واهتمامه وقد تمثلت هذه العناية في عشرات الـدور التي انشاها في كل من مكة والمدينة والرياض وفي اماكن اخرى نائية بالمملكة حيث يلقون فيها عناية تامة بكل شؤونهم من ماكل وملبس وتعليم على اختلاف مراحله ، ويدفع جلالتـه جميع نفقات هذه الدور من جيبه الخاص

● وكانت المملكة السعودية من اولى الدول العربية التي اهتمت بتحضير البادية وتسكينها في اماكن خاصة تربطها بالارض التي تعيش عليها وتمنعها من التجوال والتنقل المستمر عبر الحدود المجاورة الذي كثيرا ما سبب بعض المشاكل الطبيعية التي تحصل دائما مع جيران البلاد السعودية في مثل هـذه الظـروف ، وتمنح المملكة السعودية للبادية الاراضي وتحفر لهم الابار وتبني لهم اماكن العبادة والمدارس لابنائهم والوحدات الصحية وتعينهم عـلى الزراعة بالمكائن والبذور وبالخبـراء للعنايـة بزراعتهم ومواشيهم . وقد شجع الملك سعود الحاق ابنية البادية بالمدارس العلمية وبالجيش وخصص لكل طالب ابتدائي يلتحق باحـدى المدارس راتبا شهريا ثابتا لاعانـة اهـله في الاستغناء عنه ليتفرغ الى الحياة المدرسيـة الاستقرارية هذا الراتب يتراوح بـين ١٠٠ و٣٠٠ ريال سعودي يتسلمها اهل الطالب وهو نوع من انواع الاغراء المشجع للبادية فـي الحاق ابنائهم بالمدارس اما ماكل الطـلاب وملبسهم ونفقات تعليمهم فكلها في المدارس الداخلية وعلى حساب حكومة جلالة الملك مجانا.

● وفي المملكة العربية السعوديـة اليـوم نهضة صحية رائعة يحتضنها ويضع قواعدها الثابتة الملك سعود ويوليها سهره وتشجيعـه وكان من ثمراتها الحجر الصحي الحديـث الذي افتتح في ميناء جدة في العام الماضي وتلكف ما يزيد على ١٢ مليون ريال سعودي اي ٣ ملايين دولار ويعتبر اكبر مخجر من نوعه في الشرق الاوسط ، ويوجد اليوم في المملكة السعودية من وسائل العناية الطبية والوقائية ما سوف نجمله في الفقرات التالية :

٤٢ مستشفى كبيرا مجهزا باحدث ماوصل اليه الطب وبعضها يتسع لخمسمائة سرير ، ٤٣ مستشفى متوسطا ، ٦٩ مستوصفا ، ٢٣ وحدة سيارة ، ٢٨ نقطة صحية ، ٥ مراكـز رعاية الطفولة والامومة ، ١٦ محطة لمكافحـة الملاريا ، ٣٨ محطة كرنتينا ، ٢٢ مكتبا صحيا، ٤ مراكز لمكافحة الامراض التناسلية ، ١ مركز لمراقبة الامراض الصدرية ، ١ مدرسة تعريض للصحة والوقاية ، ١ وحدة استكشاف ، ١ وحدة تفتيش

ويبلغ مجموع عدد الاسـرة الموجـودة بالمستشفيات ٥٦٠٠ سرير ويشرف على ادارة هذا الجهاز نيف ومائتا طبيب بينهم عدد كبير من الاختصاصيين المشهود لهم بالخبرة والكفاءة وبعضهم من ابناء البلاد الذين ابتعثتهم الحكومة الى الخارج فتعلموا الطب على حساب الدولة وعادوا ليسهموا في خدمة بلادهم ، وجميع الخدمات في كل المستشفيات الحكومية تقدم للجميع مجانا بدون مقابل .

● ان طبيعة المملكة السعودية تجعل من الماء مسالة بالغة الاهمية والخطورة لقلته من ناحية ولحاجة البلاد اليه من ناحية اخرى للشرب والاستعمال المنزلي وشؤون الزراعة والري ، ومن هنا كان اهتمام الملك سعود بالمشروعات المائية التي تضاعف من كميات المياه وتوفرها لكل نواحي الاستهلاك ، فتوجد الان في المملكة السعودية بعثات من الخبراء والفنيين تذرع انحاء المملكة بحثا وراء المياه الجوفية وقد كلل بحثها بالنجاح في اماكن كثيرة واهمها اكتشاف مياه الحائر بالقرب من الرياض بعد بحـوث ودراسات شاقة ، ويعد هذا المشروع من اعظم المشاريع في البلاد وسيعمم حفر الابار الارتوازية في جميع انحاء الجزيرة العربية وهو مشروع جبار يتولى جلالة الملك بنفسه الاهتمام بـه واخراجه الى حيز الوجود ، وقد اصدر جلالته امره الى وزارة الزراعة بتشجيع المزارعيـن عن طريق تقديم المشورات الفنية وامـدادهم بالالات الزراعية واقامة السدود المائية التـي تم منها حتى الان عدد طيب في الطائف وفي المدينة ، وتدرس مشاريع سدود كثيرة فـي كثير من مناطق البلاد ، ولا يزال مشروع الخرج الزراعي يلقى العناية التامة من حكومة جلالته وقد اتسعت اعماله وزاد انتاجه من الحبوب والفواكه والدواجن ، وهذا المشروع يعد اليوم مدرسة عظمى لبث الثقافة الزراعـية بيـن المزارعين في جميع انحاء البلاد ، وفي نفس الوقت يزودهم بالبذور والمشاتل والفواكـه والحيوانات الداجنة وطرق تربيتها والعناية بها ، وتشجع الحكومة ارسال الزوار والبعوث الى الخرج لمشاهدة طرق الزراعة والري فيه

● اما المواصلات فهي من المرافق الرئيسية التي تعنى بها حكومة جلالته عناية تامة ، وقد افرد لها بند كبير في ميزانية الدولة ومـن المشاريع العديدة التي تشرف عليهـا وزارة المواصلات الان مشروع اتمام خطوط السكـك الحديدية التي تربط الدمام بالرياض حاليـا بحيث يمتد الخط من الرياض الى جده مارا بعدد من المدن بنجد والحجاز وهناك ايضـا مشروع سكة حديد الحجاز الذي يصل المدينة المنورة بدمشق في سوريا ، وهو الخط الذي نسف ايام الحرب العالمية الاولى ، وهـذا المشروع يكاد ان يبدأ العمل فيه عقب دراسات استغرقت شهورا طويلة .

هذا المشروع سيلتقي به مشروع سكة حديد الدمام ـ الرياض الحديث ، وبهذا سيخترق هذا الخط الجزيرة العربية من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر ومن حوض البحر الابيـض المتوسط في سوريا الى جميع جوانب الجزيرة العربية الجنوبية والشرقية والغربية ، وقدتم تعبيد عدد من الطرق بين مختلف المدن كمـا عبدت طرق كثيرة داخل المدن الكبرى كالرياض وجده والدمام . وتقوم وزارة المواصلات بتوجيه من جلالته بربط المدن والقرى بشبكة من الطرق العامة ، كما تقوم بانشاء المطارات الحديثـة في المدن والمناطق الهامة فقد اصبحت الطائرة اليوم احدى الوسائل التي ينتقل عليها السكان بين المدن السعودية وهو شيء لم يكن معروفا

ظهر حديثا

قميص الصوف

الطبعة الثانية

قصص من صميم واقعنا العربي

بقلم القاص الكبير

توفيق يوسف عواد

الثمن ليرتان لبنانيتان

الناشر

دار بيروت للطباعة والنشر

من قبل ، وفي المملكة اليوم عدد من المطارات الحديثة التي تستطيع ان تهبط عليها اكبر الطائرات ، ومن هذه المطارات الجديدة مطار جدة ، ومطار الرياض ومطار المدينة ومطار الظهران

● افتتح جلالة الملك في الشهور الاخيرة اول محطة تلفون لاسلكي في الرياض ، وتعد من احدث المحطات في الشرق الاوسط ، ولاول مرة في تاريخ المملكة يتسنى الاتصال التلفوني من أي مدينة فيها بعواصم الدول في الشرق والغرب الامر الذي له اثره الكبير في انجاز كثير من الاعمال والمشاريع ويوثق الصلات بين المحيط الداخلي والعالم الخارجي .

● ومن المشاريع التي اولاها جلالته اهتمامه الكبير مشروع توسيع محطات الاذاعة في كل من مكة وجدة . ففي شهر صفر ـ ١٣٧٧ الموافق ايلول ١٩٥٧ ، افتتح الملك سعود المرسلة الجديدة قوة خمسين كيلوات ،ولمحطة المرسلة الجديدة مسرح اذاعي حديث ، وسيكون المسرح والمرسلة الجديدة مفخرتين من مفاخر الاذاعة السعودية

● وسيكون لنا في الرياض بعد سنتين مسرح اذاعي اخر يتسع لـ ٣٠٠ شخص وبجانبه سبعة استديوهات حديثة تبث منها البرامج على موجة متوسطة بقوة ٥٠ كيلووات، موجتين استوائيتين بقوة ٥٠ كيلووات ايضا ثم موجة قصيرة بقوة ١٠٠ كيلووات

● وستكون استديوهات جدة مماثلة لاستديوهات الرياض الا انها تبث برامجها على موجة متوسطة (جاهزة اليوم) بقوة ٥٠ كيلووات وموجة قصيرة بقوة ٥٠ كيلووات وموجة قصيرة اخرى بقوة ١٠٠ كيلووات ، اما برامج الرياض فموجهة الى الشرق كله ، في حين تبث برامج جدة الى العالم الاسلامي خاصة والعالم عامة ويمكن تحويل هذه البرامج المختلفة من مرسلات الرياض الى مرسلات جدة او بالعكس .

● ولا يمكن احصاء المشاريع القائمة على قدم وساق في شتى حقول العمران ، ولا ادراك مدى التطورات المستمرة في جميع ميادين النهضة الحديثة في المملكة العربية السعودية

● وقد اشتهر جلالته بحدبه على وحدة العرب وبسخائه وغيرته واهتمامه بكل ما يعود على العرب خاصة والاسلام عامة بالخير والرفاهية ، وجلالة الملك سعود مسلم صميم متمسك تمسكا وثيقا بمبادىء الاسلام ولهذا فهو من اقوى دعائم الرحمة والخير والسلام في العالم .

منازل الشمس

•

النشيدة التي اذاعها الياس خليل زخريا باسم ادباء لبنان وشعرائه ، في المنهاج الخاص الذي أحيته محطة الاذاعة اللبنانية لجلالة الملك سعود وهي تعبر بجلاء ووضوح عن شعور القوميين الامناء الذين يحملون في ضمائرهم الحية مقدرات هذا الجبل .

* * *

وبا ابن عبد العزيز
يا كبيرا من كبر ابيك
.... في فروسية حياتك
.... وبطولة قومك
....وعظمة التاريخ في دارك
.... والزمن في ديارك
هوذا الجبل الاخضر بجناحيه يهفو على وده
وخمائل وده
.. يهفو ...
الى رحبك
ومطارف الشمائل في مطارف رحبك

كأنما نسبه تشعب من اصول نسبك
كانما قلبه قد من شرايين قلبك
... وكانما غصته على تربه
وفيئه على مائه
هو الغصن من نخيل شطك
هو الظل من واحات رملك
هو الدفء من حرات تربك

تلفت الاخضر الى الاخضر
وتفتح بنا الدهر وتنفس بنا النظر
ووارت الليل في نضالنا لباشير السحر
... وكان نادي الحجر ...
.... نادى الحجر الاسود اخاه الحجر
حيث ينبت الزرع في منابت الفكر
وحيث يولد الحق في ضمائر البشر

وبا ابن عبد العزيز
نزل من كوثر ربك
.. من كوثر ربنا
.. في نمو ذاتنا
الحق ، والمطر
غيث لا يضعفه السكب
ولا ينقطع فيه وريد الخصب
ولا تتيبس فيه اواصر الحياة
على أعاصير القدر
بطولة من ابيك في متوارث حياتك
وبطولة من نفسك في جهاد ذاتك

تشامخ الجبل ضلعه على ضلعه
وتنبه سمعه ملء سمعه
وباحت شفتاه بما في القلوب
فلا عهده الا العهد العربي من مصادر عهدك
ولا مجده الا المجد العربي من مواطن مجدك
... عقد الزمن عقده الى عقدك ...
... وشد الزمن قصده الى قصدك ...
نزل في عينه وكأنما نزل في عينك
على مودة قلبك ومودة جفنك

كلمته هي من موارد كلمتك
ما تقلبت عليها المحن
ولا استركها الزمن
ولا عكرت فصاحتها الفتن
فاذ يرحب بك
فاذ يرفع اليك الترحيب في رفعة رحابك
فانما يرحب بالكلمة القادمة من منازل الشمس
الم تصهر ذكاء في مصاهر الرجولة
القديم القديم والجديد الجديد
من ارضك
نبت في ارضك العظيم الذي نبت
وتبارك في مناسكها الكتاب الذي تبارك
وتقدست السورة على قرآنها
عربية كخفقات ضميرك
غنية كخيرات نفسك
شجاعة كقوة جبينك

وبا كبيرا قادما من ارض العظمة
ما رف على المعرفة العربية في خاطرنا
حرف الا ورف خاطر من مشارف صحرائك
وتهلل اسم من مطالع احيائك
كأننا هنا على السرى بين صبحك ومسائك
نلتقي على عليائك ونتسامر على ابائك
سماؤنا هي من قباب سمائك
وماؤنا هو من عمق اعماق مائك

نرود البطحاء كما تنزل انت في السفوح
... وتنزل انت في القمم
تعانق الامل فرحب الحرف
.... وصفق الجفن
.... وهلل القلم
ويا كبيرا
... اعظم بها من رحم ...
... اعظم بها من ذمم ...
عربية الحياة مشرقية القدم
ناجى بها الضمير ونادى بها الدم

يعقد الخناصر على الاخوة
بوركت من اخوة
كانها على الزمن هي البقاء
كانها على الدهر هي الرجاء
هي ... بقية نبوة

الياس خليل زخريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

٢٦ سبتمبر ١٩٥٧ ـ اوصى مجلس الامن بتجديد انتداب داغ همرشولد لامانة الامم المتحدة خمس سنوات اخرى .

ـ وصل علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية الى دمشق تلبية لدعوة الحكومة السورية وقد جرت محادثات سورية عراقية

ـ صدر الحكم في قضية المؤامرة الكبرى بالاردن ويقضي بالسجن ١٥ سنة لكل من علي ابو نوار وعلي الحيادي وعبدالله الريماوي وكريم عقله ونذير رشيد .

ـ اذاع الملك سعود بيانا عن محادثاته في دمشق تحدث فيه عن التضامن العربي ضد كل عدوان يقع على اي قطر عربي وان سوريا لا تشكل خطرا على جاراتها وسياستها عربية.

٢٧ ـ ادلى الرئيس جمال عبد الناصر بحديث اعلن فيه ان ليس لديه مانع من الاجتماع الى الرئيس ايزنهاور ومباحثته بايجاد حل للازمة الناشبة في الشرق الاوسط وقال ان سياستنا هي ان نؤيد حق الاستقلال وتقرير المصير للجميع وانتهجنا سياسة عدم الانحياز ولكن ذلك لا يعني الحياد بين الرأسمالية والشيوعية فقد اتبعنا النظام الرأسمالي ونحن ضد الشيوعية في بلادنا وان سياسة عدم الانحياز ستساعد قضية السلام وتضع حدا للحرب الباردة . وقال ان الاتحاد السوفياتي ساعدنا في جميع الازمات التي مررنا بها .

ـ غادر الملك سعود دمشق عائدا الى جدة .

٢٨ ـ صرح الزعيم المغربي الامير عبدالكريم الخطابي بان الحكومة المغربية وافقت على ارجاع اراضيه المحتجزة اليه .

ـ اصدر علي جودت الايوبي رئيس الوزارة العراقية اثر عودته الى بغداد بيانا اكد فيه ان الاعتداء على سوريا او اي بلد عربي اخر يعتبر اعتداء على العراق وعلى البلاد العربية

٣٠ ـ قدم بورجيس مونوري رئيس الوزارة الفرنسية استقالة حكومته بعد ان خذلته الجمعية الوطنية عند طرحه الثقة على اساس مشروع الحكومة الخاص بالجزائر .

اول اكتوبر ١٩٥٧ ـ انتخبت اليابان لعضوية مجلس الامن باكثرية ٥٥ صوتا ضد ٢٥ صوتا نالتها تشيكوسلوفاكيا كما انتخبت ايضا لعضوية مجلس الامن كل من كندا وبنما .

٢ ـ توفي في القاهرة الفريق محمد حيدر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة سابقا وكان الفريق حيدر قد اعتقل بعد انقلاب سنة ١٩٥٢ .

ـ اعلنت الحكومة التونسية ان طائرات فرنسية خرقت حرمة حدود تونس الجوية واطلقت نيرانها على مراكز الحدود .

٣ ـ اعلن الرئيس ايزنهاور ان الحالة في سوريا ما تزال تقلق امريكا رغم ان بعض الدول المجاورة لسوريا قد خف قلقها عما كان عليه في البداية .

ـ قامت مظاهرات كبيرة في تونس احتجاجا على ضرب قرى الحدود بقنابل الطائرات الفرنسية

٥ ـ اذاعت المملكة العربية السعودية بيانا نفت فيه انها قبلت مشروع ايزنهاور كما انها لم تأخذ اي عون مالي من اية دولة وبانها لا ترى في موقفها هذا ما يكدر علاقاتها الودية بالولايات المتحدة .

ـ اطلق الاتحاد السوفياتي جرما اصطناعيا راح يدور حول الكرة الارضية كل ٩٥ دقيقة على مسافة ٥٦٠ ميلا في الفضاء والجرم الجديد يرسل معلومات بالشيفرة بالاضافة الى اشارات بث عميقة سجلتها محطة الاذاعة البريطانية واذاعتها على مستمعيها .

٧ ـ صرح جواهر لال نهرو رئيس حكومة الهند الذي يقوم بزيارة رسمية لليابان انه لا يعتقد ان اطلاق القمر الروسي سيؤثر في الموقف العالمي سوى جعل الناس يفكرون بسخافة الحروب والقوات العسكرية ومن الغريب ان يحدث هذا التقدم العلمي في عالم يسيطر عليه التسابق على التسلح .

٨ ـ وصل الماريشال جوكوف وزير الدفاع السوفياتي الى بلغراد في زيارة رسمية ليوغوسلافيا .

ـ اعلن وزير خارجية لبنان في الجمعية العامة للامم المتحدة ان لبنان يقف مع العالم العربي في اي نزاع بينه وبين الدول الاجنبية

ـ اعلن الرفيق خروشوف ان روسيا تدعو امريكا الى الاتفاق على وضع الصواريخ وكل ما يتعلق بها تحت اشراف دولي وقال اصبحت القاذفات التي يقودها بشر عديمة الجدوى وسلاحا عتيقا . كما اعلن بانه لن تكون هناك مشكلة حقيقية يصعب حلها اذا توصلت امريكا وروسيا الى اتفاق على التعايش السلمي

٩ ـ اجتمع مجلس الامن لبحث النزاع الهندي الباكستاني على كشمير .

ـ اعلنت امريكا قبولها الدخول مع روسيا في مفاوضات لوضع الصواريخ والاجرام تحت اشراف دولي كما اعلنت انها لا ترفض زيارة الماريشال جوكوف وزير الدفاع السوفياتي لوشنطن على ان تقبل حليفاتها ذلك .

وكان الرفيق خروشوف قد صرح بان امريكا ردت جهود روسيا لاعداد اجتماع في وشنطن بين الماريشال جوكوف والمسؤولين الامريكيين واعتذر الرئيس ايزنهاور لروسيا واعلن في مؤتمره الصحفي انه اذا كان احد الرسميين الامريكيين قد رفض الاقتراح السوفياتي لايفاد الماريشال جوكوف فانما يكون فعل ذلك عن غير قصد .

١٠ ـ وصل الملك سعود الى بيروت في زيارة رسمية للبنان .

ـ اعلن نيكيتا خروشوف ان العالم يجابه خطر حرب جديدة في الشرق الاوسط واتهم ناظر الخارجية الامريكية بتحريض تركيا على البدء بهذه الحرب عن طريق مهاجمة سوريا .

١١ ـ استقال حسين سهروردي رئيس وزراء الباكستان وعهد رئيس الجمهورية اسكندر ميرزا الى اسماعيل شندريفار زعيم حزب الرابطة الاسلامية المعارض بتشكيل الوزارة .

١٢ ـ وصلت الملكة اليزابيت الثانية يصحبها قرينها الدوق اوف ادنبره الى اوتاوا في زيارة لكندا .

١٣ ـ عقد اجتماع بين الملك فيصل والملك حسين بحضور اركان الحكومتين العراقية والاردنية على الحدود بين البلدين .

ـ نزلت الى البر السوري في اللاذقية قوات مصرية لتعزيز دفاع سوريا ضد اي اعتداء محتمل من تركيا او اسرائيل وذلك بموجب اتفاق القيادة الموحدة السورية المصرية

١٤ ـ وصل سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية الى وشنطن لاجراء محادثات خاصة

١٥ ـ اعلنت يوغوسلافيا اعترافها بالجمهورية الالمانية الشرقية .

ـ وجه نيكيتا خروشوف بوصفه امين الحزب الشيوعي السوفياتي نداء الى زعماء الاحزاب الاشتراكية في سبع دول غربية وشمالية يناشدهم فيه العمل لتجنب نشوب حرب في الشرق الاوسط تؤدي الى حرب عامة .

١٦ ـ طلبت سوريا من الجمعية العامة للامم المتحدة بحث التهديدات الموجهة ضد امنها وسلامتها على اثر الاحتشادات التركية على حدودها .

مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الحركة والجمود

○ ○ ○

الحركة في كل شيء ، دليل على الحياة . وقديما اعرب المثل الدارج عن هذه الحقيقة العلمية بلسان الشعوب ، فقال : « الحركة بركة! » ولم يزد .

وكذلك ، قال الشاعر القديم باسلوبه البياني : « وسرى البدر ، به البدر اكتمل ! »

ولعل صاحبي هذا الشعر وذاك المثل ، لوجيء بهما الى عالم اليوم ، فشاهدا القمر الصناعي، وابصرا عجائب الحركة ... لما بدلا في كلامهماالا قليلا .

فنحن نعيش في عالم يتحرك دائما ، يتحرك من فوقنا ، ويتحرك من تحتنا ؛ كما يتحرك في داخلنا ، في اجسادنا وعقولنا وقلوبنا واعصابنا . فاذا جمد ، او سكن ، ولو بمقدار لمح البصر ، لانهار هذا العالم بأسره كما ينهار بناء من الكرتون بين يدي طفل عابث .

وكذلك نحن في مالنا من وظائف عضوية ،وافكار بشرية او حيوانية ، وعواطف انسانية او وحشية ، لا نستحق الحياة الا اذا ظلت اجسادناوعقولنا وقلوبنا واعصابنا عاملة فاعلة متنبهة . حتى اذا سكن الجسد ، أي عضو رئيسي فيه ، اوشل الدماغ ، او سكت القلب ، فقد المرء تلك الطاقة ، القدرة التي خصه بها الله ــ وتساوى مع الجماد في كينونته وصيرورته .

واذن فان الحركة هي قوام الحياة ، لاالجمود ، وان على ما اتفق الناس على انه الصالح. ففوق كل صالح ما هو اصلح منه ، وهكذادواليك حتى اللانهاية . ولولا ان اليقين بهذا الحق يساور نفوس الامم الحية ، لما بلغت في تطورهاما بلغته في العلم وفي الفن ، في العمل وفي الانتاج ، من تفوق يحار في تعليله صغار العقول.

ونحن الذين كنا في عدادتلك الامم ، في فترة من الزمن، ما عاقنا عن متابعة السير في القافلة، الا جمود حسبناه محافظة ، وسكون عده كبراؤنا استقرارا .

وكان جمود اللغة عنوانا على ذلك كله ، وبداية رائعة لهذه النهاية المفجعة .

اما وقد شرعت شعوبنا في التحرر من ربقة ذاك الجمود وذلك السكون ، فما احرى علماء اللغة بان يعملوا على تطويرها ... ايذانا بنهاية ذلك الليل الطويل الذي اناخ علينا بظلمته ، فشل العقول والقلوب والاجساد .

وتطور اللغة ــ ضمن نطاق تراثها العريق ــ من قواعد وحروف ــ تطوير للشعوب التي تتكلم بها ، حتى تبلغ الذروة في كل صعيد ، وناحية . وهذا التطوير التلقائي امر يقضي به لا الايمان بمنطيقية تلك القواعد وجمالية تلك الحروف ، بل التوفيق بين العلم الحديث ومنطق اللغة ذاته ، وهو منطق علمي في الاساس .

وانني لاعجب مثلا كيف تكون لغتنا هي هذهاللغة الجميلة السهلة المرنة بالذات ــ وتبقى لنا فيها مفردات لا جموع لها ، او جموع لا مفرداتلها ، من لفظها .

ان وضع تلك المفردات والجموع امر لايحتمه التطور الطبيعي للاشياء وحسب ــ وانما توجبه كذلك مقتضيات العلم الحديث وطبيعةهذه اللغة العلمية المنطيقية .

وقديما قال احد فقهاء اللغة الافذاذ ، ابوعمرو بن العلاء : « ان الكثير من كلام الاقدمين قد ضاع ، ولو وصلكم كله لوصلكم شيء كثير . »

فهل يكون ما ينقصنا في لغتنا اليوم ، هوبعض ذلك الذي لم يصل الينا ؟ وهل يكون اكثر ما يضايقنا من شواذات واجتهادات ، بعض ماوصلنا دون ان يكون كاملا ؟

ان الحركة دليل الحياة ، بل هي الحياة في مظهرها المادي . فلنحرك لغتنا نحيها ــ بل نحي الشعوب التي تتكلم بهذه اللغة الجميلة ، وتقدسهاكما نقدسها .

اقول نقدسها ، لا لانها ام اللغات ، بل لانها لغتنا... ، ولانها بذلك اصبحت عنوان حضارتنا ، والحارسة الامينة على تراثنا !

رشاد دارغوث

وجوه التقليد في المعلقات

بقلم ايلي الحاوي

○ ○ ○

يبدو ان الشعر الجاهلي كان قد سلفت فيه وتنازعته تجارب شتى ، حتى خلص الينا وقد استقر على سنة، وتساوق اسلوبه على غرار يكاد ان يكون مضطردا . ولئن حفل التاريخ بمن نعرف من الشعراء دون من سبقهم ، فانه يخيل الينا ، ان اولئك استنفدوا معاني بيئتهم وحياتهم حتى كانما شعراء المعلقات ، لم يكونوا يجرون على طبيعة شعورهم بقدر ما يشايعون المراسيم التي رسمها وافضى اليها اولئك الرواد المجهولون . فالشعراء الذين نعرفهم افادوا ممن سبقهم بشعر لا يقل شانه عن شان الشعر الذي نعرفه ، ولعل اثر هؤلاء لم يقتصر على التجربة والمحاولة بل يوشك ان يكون اثرا لانموذج فيمن يحتذى على مثاله . ولا مجال بعد ، للاخذ براي جماعة من الادباء نمت نشاة الشعر الجاهلي الى نغم الحداء مباشرة لان في القصيدة الجاهلية تماسكا واستقرارا في النغم وربما كدا على الصياغة مما لا يخطر للفطرة والنغم البدائي . ولقد درجنا على اعادة النظر للاشياء بعد ان تستقر وتتكامل فلا نتمثل ما يمد ويجزر فيها ، ابان صيرورتها ، من فوز وفشل ، اقتضى في الواقع اعمارا وربما اجيالا من المحاولات والتجارب .

لا شك ان الفطرة البدائية شعرت بوظيفة النغم في الاداء الشعري الا ان النزوع من السجعة المرتجة والشطر المبتور الى القافية الصقيل والبيت المتوازن ، لم ينشأ في وهلة الاشياء وانما تناشأ بالاحرى ، حالا بعد حال ، في ملاحقة مكدودة كان اولئك الشعراء يريدون ان يسموا بها على من سبقهم وعلى ذواتهم ليشعروا بغبطة الخلق والابتكار . وقد يبدو لنا ان هؤلاء الموا فضلا عن ذلك ، بمواضيع الشعر وجعلوا يخاطرون معانيه ، تشبيها واستعارة حتى استنفدوها واوشكت العملية الفنية ان تتحول فيمن بعدهم الى عملية ذهنية ليست تفيض من اعصاب التجربة بل تتخذ وتلاحق وربما تعاظل في مستنقع الذاكرة . فشعراء المعلقات تصحبهم وقد تطغى عليهم فيما ينظمون ، حدود وطقوس قد يحورون منها لكنهم قلما استطاعوا ان يتخطوها . من ذلك ان الطلل الذي كان يمثل في الواقع طلل ذكرياتهم وماضيهم ، تحول الى طقس وتقليد شعري ، تطلع به المعلقات ابدا اقتفاء على اثر مبهم سابق ، وربما التفتوا اليه التفاتا سريعا كمن يؤدي واجبا لا يؤمن به .

فلو كان الطلل تعبير ايمان وصدق عما يختلج في نفوسهم لما اكتفوا بالحديث عنه في بيتين باردين ، دون ان يلاحقوه او يكرروا الحديث عليه . فهذا الاقتضاب او هذه اللمحة فضلا عن وروده كمقدمة في مطلع المعلقة ، هذه جميعا تدل على ان هؤلاء الشعراء يجارون فيه عادة الاشياء لا طبيعة نفوسهم . هناك تسع من المعلقات تبدأ بالحديث عن الطلل ، ليلج منه الشاعر الى وصف حبيبته او ذكر غايته . فهذا الاتفاق ليس صدفة وانما هو منهجية واعية متعارف عليها . وربما شعر عنتر في قوله « هل غادر الشعراء من متردم » ، ان مطلعه في الطلل لا يعدو ان يكون تمضغا وتكرارا يستوفي به عادة القول والقصيدة كما جرت في السابق .

هذه الاسباب جملة تبين دون لبس ، على ان الشاعر الجاهلي لم يكن يوحي له جني خارق من الغيب بقدر ماكان يتقيد ويتمذهب بمذهب الشعر وعاداته، وانه غلبت عليه النظرية المبهمة على البديهة المرتجلة فهو قد جعل يعابث معاني الطلل في ذهنه لان عملية الشعر كانت قد استقلت لديه بما يعرفه عما يشعر به . وللقارىء بعض مطالع هذه المعلقات .

قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقال طرفة :

لخولة اطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وهذا مطلع معلقة زهير :

أمن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كانها مراجيع وشم في نواشر معصم

اما لبيد فقال :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تابد غولها فرجامها

وكذلك عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

لعل هذه المطالع تتوفر بالبينات والقرائن على صدق رأينا .

اما اذا اختلفنا للحديث عن النساء في شعرهم فنشاهدهم قد دعوا كل واحدة منهن باسم يخيل الينا انها تتميز به عن سواها من الحبيبات ، فامرؤ القيس شبب بام الحويرث وام الرباب فضلا عن عنيزة وفاطمة ، اما طرفة فقد تغزل بخولة ، وزهير بام اوفى وكذلك فقد عشق لبيب نوارا وابن حلزة اسماء ، كما تواترت في شعر النابغة اسماء عديدة مثل نعم وهند ومن اليهن ، فهؤلاء النسوة قد تمثلن واقعا عايشه الشاعر في حياته ، اما في الشعر فتمثلن انموذجا ذهنيا الفه مما يعرفه من مثال الجمال دون ما لمسه او بصر به . ان عنيزة او فاطمة امرأة عرفها امرؤ القيس وجرت له معها في غدير جلجل وغيره مغامرات تعابثا بها ، فذكر ذلك بشعره وانطلق منه لوصفها، فضاعت وتموهت واصبحت عنيزة امرؤ القيس تشبه خولة طرفة ونعم النابغة ، واصبحت هؤلاء الحبيبات لا يشبهن ذواتهن ، وانما يمثلن مثالا للجمال المطلق كان يعيش في ذهن الشاعر مما اقتبسه وعرفه من صفات الجمال العام ، دون ملامح عنيزة او خولة او نعم . وهكذا اصبحت الامرأة في قصائدهم امرأة ذهنية خيالية اكثر منها امرأة ذات هوية شخصية مميزة ، فهم لا يتقيدون بملامحها يصفونها بماهيتها ، بل يصدفون عنها ويستمدون لها اوصافا مما سلف في تقاليد الشعر . ولننظر الى هذه الابيات في وصف ملامح المرأة كما وردت في بعض المعلقات . قال امروء القيس :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصد وتبدي عن اسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل

وقال طرفة :

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربربا في خميلة تناول اطراف البرير وترتدي

اما لبيد فقال :

زجلا كان نعاج توضح فوقها وظباء وجرة عطفا آرامها

وكذلك هذا البيت للنابغة :

فبدت ترائب شادن متربب احوى احم المقلتين مقلد

يبدو من هذه الابيات ان امرؤ القيس استعار لحبيبته عيني الظبية والمهاة المطفلة ، وجيد الرئم ، فاستعاد طرفة التشبيه ذاته في اطرافه ووجوهه ، الا شكل التعبير بين الافاضة والابتسار ، وكذلك القول في حبيبتي النابغة ولبيد ، فهؤلاء جميعا ، تشخص فيهن مقلة الظبي فضلا عن جيده ، وحوه ثغره ، يبالغ باحداها امرؤ القيس فيتصدى له بعض اولئك ، يحاولون ان يتخطوه بمبالغة او تفاصيل جديدة ، حتى كانما طفق اسلوبهم يعتمد على موالدة المعاني ، الواحدة من الاخرى في عبث ذهني لا صدى فيه لرعشة النفس امام الجمال .

لعلنا لا نوآخذ هؤلاء على تصرفهم بملامح الظبية لملامح جمال المراة ، لان البيئة تنطبع في النفس ، عبر الحواس ، فترفد الشاعر بصور وملامح خارجية يجسد به عتمة تجربته الداخلية . فمن الطبيعي لذلك ان تشخص في القصيدة الجاهلية ، مظاهر البيئة المادية ومشاهدها ، بما في ذلك الظبية والناقة والبقرة الوحشية وما اليها . والجاهلي خاصة حري ان يستعير التعابير من البيئة المادية ، لان ذهنه لصيق ابدا بالمادة ، فليس للمعاني صور في خاطره ، ليعمد الى نقل رواه الشعرية بالصور الفكرية . نستعدل من ذلك ان الفطرة المخلصة خايلت للشاعر الجاهلي ، عيني حبيبته في عيني الظبية . الا انه ما عتم ان قدم من تخطاه وغالى عليه ، فخص عيني حبيبته بعيني ظباء وجرة التي بدت عيونها اجمل من عيون الظباء عامة . فشاع من ثمة ، هذا المعنى في عادة القول حتى اذا جعل احدهم يحاول ان يبث ما في نفسه من عيني حبيبته ، بصر ان سورة هذا المعنى اقل مما في نفسه ، وربما حاول ان يستنبط معنى جديدا ، فاستدق المعنى القديم او خصصه ، فلم تعد لحبيبته عينا الوحش عامة ، او وحش وجرة خاصة ، بل انها فضلا عن هذه جميعا تنفرد بكونها مطفلة اي ذات ولد . هكذا نشهد ان العملية الفنية ، في ذلك ، تحولت من نفس الشاعر او من الواقع الذي يعانيه فيها ، الى المعاني التي طرقت من قبله ، واصبح جهده يتسلط على المعاني ذاتها ، يوالدها ، يستنبط منها ، فتغفل بذلك عما في نفسه الى ما في ذاكرته وادراكه . وشد ما يبدو ذلك في بيت النابغة اذ يقول :

فبدت ترائب شادن متربب ، احوى احم المقلتين مقلد

ولنلتفت الان الى وصف ثغرها لدى طرفة والنابغة ، قال طرفة :

وتبسم عن الي كان منورا ، تخلل حر الرمل دعص له ندى
سقته اياة الشمس الا لثاته اسف ولم يكدم عليه ، بائمد

فقال النابغة :

يجلو بقائمتي حمامة ايكة ، بردا اسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ندي

فالذهنية والمعرفة فضلا عن التقليد ، تتجلى عبر هذه الابيات ، في اشعاع الثغر دون اللثم ، واستفاف الاثمد دون الاقدام عليه ، مما يحول وصف الثغر الى معادلة علمية تقوم على اضافة بعض الاشياء ، واطراح اخرى ، وهذا لعمري غاية الاجهاد في النظم ، اذ ندع ما نعرف في التقليد ، يقبض على التجربة ، فتصبح تقريرا مدركا ، متواضعا عليه ، لا لبس فيه يغمره بالذهول ولا معاناة تتقد طيه لتحوله من معرفة مطلقة لا مبالية ، الى واقع شعوري خاص ، اي الى حقيقة خاصة . ان ما تحدث به الشاعران عن حبيبتيهما حقيقي صحيح وكذلك اكثر ما نبصره او نسمع به يغلب ان يكون حقيقيا ، نعرف حقيقته ، لكنه بالرغم من ذلك كله ليس شعرا ، فالمعرفة الواعية او الحقيقة لا تصبح شعرا الا اذا اتقدت بها عاطفة وتحولت الى واقع ملزم في نفس الشاعر ، فتصبح حقيقة من خلال عصب ، من خلال نفس ، فيها شذوذ وفوضى ، وربما لا منطق ، لكننا نصدقه ونتأثر به ، بالرغم من فوضاه وشذوذه ، ولا منطقه .

اما شعراء المعلقات في الوصف خاصة فقد خمدت فيهم شعلة التجربة في الشعراء الاول ، واصبحوا يعبثون برماد تلك الشعلة بعد ان استنفدت حراراتها واصبحت مبذولة شائعة . لذلك نبصر ثغر حبيبة النابغة يتساوى مع ثغر حبيبة طرفة تشبيها واستعارة ، كلاهما يستغرق في وصف اقحوان الثغر فهو عند الاول منور في كثيب ند خالص لا يخالطه تراب . اما عند الثاني فمجلو بالغيث ، جفت اعاليه دون اسافله . وهكذا نراهم صدفوا عن وصف الثغر نفسه ، وافاضوا في وصف الاقحوان الذي يمكنهم ان يتداولوا فيه معاني جديدة او بالاحرى معاني تبدو جديدة لانها لم تطرق من قبل . فاستطردوا الى وصف الاقحوان كموضوع اخر يجري الى جنب الموضوع الاصيل ليخلصوا من المعاني التي يستمدونها في هذا شيئا من الجدة على ذاك . وهم في هذه المحاولات جميعا ، ينكشفون عن عقم نفوسهم وتجاوزهم عن تجربتها الى مزاولة التلاعب بالمعاني والكد عليها كغاية تستنفد بذاتها . ولنشاهدهم الان يعرضون لوصف الالق في وجه الحبيبة :

قال امرؤ القيس :

تضيء الظلام بالعشي كانها منارة ممسي راهب متبتل

وقال طرفة :

ووجه كان الشمس القت رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد

والى القارىء قول النابغة في ذلك :

قامت تراءى بين سجفي كلة ، كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
بيضاء كالشمس وافت يوم اسعدها ، لم تؤذ اهلا ولم تفحش على جار
المحة من سنى برق رأى بصري ، أم وجه نعم بدا لي او سنى النار

هذه ابيات اجتمع عليها امرؤ القيس وطرفة والنابغة في التعبير عن الق الوجه وشعاعه ، حيث نراهم يتداولون المعنى ذاته في صور مختلفة ، كرسام يعبث ببعض خطوط اللوحة وملامحها الخارجية ، دون ان يتبدل موضوعها . فحبيبة امرؤ القيس تضيء الظلام بمصباح وجهها اما

حبيبة طرفة فليس يغشى شمس وجهها التجعيد . ولعل النابغة استنفذ المعنى جميعا ، فوجه حبيبته يشرق من سجفي الكلة كما تشرق الشمس فوق جبل الاسعد ، ولا يلبث ان يتمادى في الغلو والاكثار ، فينزع من ضياء الوجه الى شمسه ومن ثمة الى البرق فالنار ، مما يظهر بيقين اسلوب الكد على المعنى ذاته ، مغالاة اثر مغالاة ، يتجولون ضمن اطار المعنى الواحد ، يبنيه احدهم فيهدمه ثم يبنيه الاخرون . فهؤلاء لم يعودوا يتأملون وجه الحبيبة ليعبروا عما يختلج في نفوسهم تحت وطأته وانما تعرضوا عنه بوجه من المعاني الكلاسيكية تحول به الشعر عن كونه عملية نفسية تغشى ضمير الفنان الى كد خارجي على المعنى، تفتق فيه معان توهم بالجدة ، بينما هي في الواقع لا تعدو ان تكون تفاصيل او شروحا له .

ولقد يدعي بعض القوم ان وحدة الموضوع ادت بهؤلاء الشعراء الى توارد المعاني وتآخذها لان الانفس تتفق بنتيجة واحدة اذا خضعت لسبب واحد . ان هذا القول يصح في عادة الاشياء دون طبيعة العبقرية التي تنفذ من الظاهرة المبتذلة ، فلا تراها بل يتراءى لها عبرها ، تستطلع منها حقائق نفسية لا تبدو للذهن العادي ، وانما تتقد بها اضواء الحدس . ان الطبيعة واشياءها جميعا ، ليست الا ملامح شتى للغز على الشاعر ان يفضه ويوغل بعصبه النبي الى ظلمته فيفضي الينا بحقائق ربما كانت هجست ببالنا دون ان نقوى على انتزاعها من غيبها وابهامها .

فالشعر الخلاق ، بعد ، ليس الا معان متباعدة مشردة جمع الشاعر اطرافها الخفية فبدت لنا حقائق نفسية كانت فينا ، دون ان نقوى على اكتشافها . لكم بصر القوم بمن يقوم على قلي الزلابية ، وصدقوا عن هذا المشهد حتى تيسر له ابن الرومي بمعان كانت فيه لا تبصرها العيون العقيمة ، او لم نشهد امرؤ القيس ذاته عندما تصفو نفسه ، وتتقد حواسه تشحذ فيه الرؤى وراء ما يراه ، فيبصر في غيهب الليل وجه البحر المتموج وكلكل الهموم يتمطى وينوء على صدره . او لم نبصر الشنفري ، قبل ، يرى السهم يزل عن القوس ، فيتراءى له فيه ، ثكلى تئن وتعول ، اذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة ثكلى تئن وتعول .

هؤلاء جميعا هدموا جدار المعاني التي تحيط بهم كأوثان ابدية ، وتغيبوا في ذواتهم وفيما وراءها ، فنقلوا واقع معاناتهم ولم يفتعلوه كالكيمائي في مختبره ينشيء معادلة مقننة .

وثمة مجال آخر كان يمكن لهؤلاء ان يبدعوا فيه عندما يتعذر عليهم الابتكار في الموضوع وفيما وراءه . فهم حريون ان يجددوا في التشابيه والاستعارات التي يشبهون بها معانيهم او يستعيرونها لها ، فينكشفون بذلك على عالم جديد للمعاني يستمدون به من جدة التشبيه جدة اوعمقا للمعنى القديم ، ان التشبيه في حكمة البلاغين يقوم على طرفين ووجه للشبه ، لكنه ليس في الواقع الا تأويلا خاصا ينزع به الشاعر من المعنى القريب الى ما وراءه من معان محتملة . وقد يمكننا ان نتمثل على ذلك بامثلة عديدة ، نقتصر منها على مثلين من بشار وابن الرومي ، قال بشار :

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وقال ابن الرومي :

فيه وشي وفيه حلي من النغم معوغ يختال فيه القصيد

ففي مخايلة روض الحديث ووشي النغم واختياله ، تخطى الشاعران تقليد الخيال والعبارة العاديين ، واسبغا على المعنى جدة لانهما عبرا عنه من خلال نفسيهما دون ذهنهما . وهكذا نشهد ان الصدق في التجربة يقوم على اعتماد النفس كمصدر او كمصهر للمظاهر الخارجية ، تلونها بلونها وتعطفها بعاطفتها ، او تخلع عليها من خيالها . اما اذا قصر الشعر على الظاهرة ذاتها في عيني أو في ذهن الشاعر ، فانه يتحول بذلك ، الى مماضغة المعاني القديمة والعبث بها هدما وبناء ، تصريحا وتمويها ، بينما تبقى حقيقة النفس مستسرة وراء هذه البهلوانية او هذا التزوير

ولعل اشد ما يمثل هذه العينية او هذه الذهنية ، فضلا عما سبق ، اسلوب التجاوز عن المسمى الى نعت من نعوته . فتعوضوا بالاحوى عن الثغر ، بالفاحم عن الشعر ، بالمخضب عن البنان ، كما انهم يكتفون بلفظة شادن عن ذكر الحبيب ، فلو لم يتكاثر الحديث على هذه الاسماء بمثل هذه النعوت حتى عرفت فيها وقررت لها ، لما جعل هؤلاء يلمحون اليها فتؤدي المعنى دون الاسماء وثمة ظاهرة اخرى تؤكد ما ذهبنا اليه . فالشاعر من هؤلاء يصف الواقع بنتف من وقائع اخرى ، يجمعها ويلاحقها حتى يتعادل الواقع في الشعر معادلة علمية مع الواقع الشائع ، يذكره ويقرره كالعالم او كالمؤرخ . فكأن هؤلاء حققوا حلم البرناسيين الذين قصروا الفن على التصوير حتى تصبح العملية الفنية آلة فوتوغرافية تسترجع الواقع بحذافيره .

فامرؤ القيس يقف لامباليا في الوصف ، لا يداخله بنفسه او يسبغ عليه منها ، بل يراقبه بدقة حتى يستعيده تماما باللفظ والصورة . فهو وشعراء المعلقات ، ينشئون معادلة الواقع بما عرف عنه حتى كأنهم علماء طبيعيون اوزولوجيون لا شعراء . والى القارىء وصف الفرس في شعر امرؤ القيس :

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل
فضليع اذا استدبرته سدفرجه بضاف فويق الارض ليس باعزل
دربر كخذروف الوليد امره تتابع كفيه بخيط موصل ...

مما لا شك فيه ان هذه الابيات بانعدام العاطفة فيها والخيال فضلا عن كثرة التعداد الواعي الصادق تتحول الى باب او فصل من فصول الكلام في علم الحيوان على شكل الفرس واوصافها . وكذلك قول طرفة في ناقته :

واني لامضي الهم عند احتضاره ، بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كالواح الاران نصاتها ، على لاهب كأنه ظهر برجد
لها فخذان اكمل النحض فيهما ، كأنهما بابا منيف ممرد

حتى تتكامل الصورة ، حالا بعد حال ، فتبدو كما بدت المراة في شعرهم انموذجا ومثالا لصفات مقررة مادية كان يتداولها الشعر عصرئذ .

ولو لم يتفلت احدهم من ربقة المعرفة في ذهنه ، ويتجه الى المعاناة والتجربة في نفسه فيتحدث امرؤالقيس عن ليل همومه ، وزهير عن سأمه الكبير ، وطرفة عن تخطفه للذائذ الحياة ، لكانت المعلقات جملة تقرب الى المعادلة الذهنية العلمية المتخذة من العرف والتقليد .

ايلي الحاوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخريف

○

غاص ناي الخريف في الحانه فاستفاقت نفسي على أشجانه
فاذا عالم الطبيعة أسيان ينم الشحوب عن أحزانه
اصفر الوجه ، شفَّه الم الذات تموج الاهات طيَّ جنانه
لم يجد في الحياة سلوته الكبرى فضج النعيب من غربانه

★ ★ ★

هوذا ينشر الاماني وريقات وتطفو الدموع في أجفانه
جردته يد الزمان من الزهو فمات الرواء في أغصانه
النسيمات من شفاه الروابي تتلقى الاسرار من وديانه
راهب شفه التصوف فانهدَّ سكونا وغاب في كتمانه

★ ★ ★

الغدير الرقراق ينبوع شجو هو قلب معبِّر عن حنانه
والسواقي تكلى بهدهدها النوح ويجري فيها رقيق بيانه
والقرى لهفة العشيق الى البوح كساها المساء من ارجوانه
والجبال التفاتة من ابناء كبرياء تصيح ملء لسانه
والكروم الخضر ابتهال قديم زرقة اللازورد رجع افتتانه
حانة والخريف اول عربيد يعبُّ الخمور ملء دِنانه
روح « باخوس » قد تقمص فيه مشرئبا يحنو على ندمانه

★ ★ ★

يا خريفي انا الخريف حزينا انا فصل الشتاء في عنفوانه
انا فصل الربيع عرس جمال انا صيف الاشواق في غليانه
انا لا اعرف الثبات لانني انا هذا الوجود في دورانه
كل هذي الفصول وحدة عُمرٍ قد حباها الاله بعض كيانه

مصطفى محمود
من اسرة الجبل الملهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي نسيب مكارم

ماجستير في الادب العربي

o o o

الشعر اللبناني في مطلع القرن العشرين

١ ـ أثر الثقافة الغربية : الترجمة والاقتباس

في هذا الوقت الذي كان الشعر العربي فيه لا يزال يتلهى بالصناعات اللفظية ، والانواع البديعية ، والاوصاف الحسية ، وتقليد الاقدمين ، في هذا الوقت الذي كان فيه الشعر عندنا لا يزال نظما ورصفا للكلمات على تفاعيل الخليل ، كانت اوروبا تنبت اعاظم الشعراء امثال موسيه وفينيي وهيجو ولامرتين وجوته وشللي ووردزورث وبيرن بعد ان كانت قد انبتت شكسبير وراسين وكورنيل وموليير . فلا عجب اذن ، وقد انشئت في لبنان مدارس المرسلين التي عنيت بنشر الثقافة الغربية ، ان يتهافت اللبنانيون على رشف الثقافة الغربية التي راوافيها ثروة لم يجدوها في ثقافتهم الموروثة عن عصور الانحطاط . فاخذ ادباؤنا يتاثرون بآثار الغرب ، وينهلون من معينهم ، كما فعل مارون النقاش ١٨١٧ ـ ١٨٥٥ ، اول من ادخل فن التمثيل الى العربية ، الذي الف مسرحية « البخيل » ومثلها في بيته في اواخر سنة ١٨٤٧ ، او كما فعل نجيب الحداد ١٨٦٧ ـ ١٨٩٩ الذي نقل مسرحية « غرام وانتقام » عن « السيد » لكورنيل ، ومسرحية « حمدان » عن هرناني لفيكتور هيجو ، وقصة « غصن البان » عن قصة « رفائيل » للامرتين .

وكان لاثارهم تلك الفضل على النهضة في ذلك الوقت « فاقدام نجيب الحداد » ـ كما ذكر الياس ابي شبكة ـ « على ترجمة روائع الغرب بارقى اسلوب كتابي عرفه يومئذ ، وقيام اديب اسحق الذي ابتدع طريقة في الانشاء بليغة احسن فيها التطبيق بين الاسلوبين الفرنجي والعربي بمشاركة سليم النقاش في نقل المسرحيات الفرنجية الراقية وتمثيلها ونشرها ، احدثا حركة ادبية لم يسبق مثلها في العالم العربي وكانت فاتحة عهد خصب بالنقل والاقتباس نشأ عنه عهد خصب بالتفكير والتاليف » (١)

ان حركة النقل والترجمة هذه زادت الناس تعرفا بادب الغرب ، واغنت الادب العربي ووسعت له الافاق . فاذا عندنا مذاهب جديدة في الشعر لم يألفها القدماء ، سنتكلم عنها فيما بعد .

هذا الياس فياض ١٨٧٢ ـ ١٩٣٠ يتاثر بالشعر الغربي وخصوصا الفرنسي منه ابعد التاثر ، ويترجم كثيرا عن شعراء الغرب ويقتبس منهم ما شاء ، وكانت قصائده هذه في معظمها قصائد رومانتيكية تعبر عن ذات الشاعر بعاطفة ورقة وانسياب . من هذه القصائد قصيدة «سقوط الاوراق » التي عربها عن الشاعر ميلفوا ، وقصيدة «النجوم» (٢) التي اقتبسها عن قصيدة La Voie Lactée لسوللي برودوم وغير ذلك .

وكذلك فعل اخوه الدكتور نقولا فياض الذي عرب قصيدة « البحيرة » عن لامرتين ، والذي اقتبس قصيدته « اذكريني » عن الفرد ده موسيه ، كما ترجم قصيدته « بكاء الاطفال » عن الشاعرة الانكليزية مسز برونن ، وقصيدة « السيف » عن سوللي برودوم ، والذي اقتبس قسما كبيرا من قصيدته « الزهرة والفراشة » عن فيكتور هيجو كما انه نقل الى العربية رواية « الخداع والحب » للشاعر الالماني شلر (٣)

وهكذا فعل بشارة الخوري الذي عرب واقتبس كثيرا من قصائده عن شعراء الغرب كقصيدة « العيون » و « ماذا اقول له » و « انا لو كنت يا سليمى » و « قلب خافق » و « الى امراة » وغير ذلك (٣) .

وكان ان اقدم قبل ذلك سليمان البستاني ١٨٥٦ ـ ١٩٢٥ على ترجمة الياذة هوميروس شعرا . فكانت هذه التحفة الادبية التي ظهرت سنة ١٩٠٤ ذخيرة جديدة اثرت على الادب العربي الناشيء ايما تاثير سواء من حيث طرق النظم ام من حيث الفن الملحمي(٤) والفن القصصي

القصة الشعرية

ولعل المرحلة القصصية ، كما يقول بطرس البستاني (٥)، هي اظهر مرحلة وقف عليها شعر النهضة . وقد كانت القصة بحق اول مظهر من مظاهر الجدة في الادب العربي الحديث . فالعرب القدامى لم يعرفوا القصة الشعرية الا في تلك القصص الغرامية التي حفل بها شعر عمر ابن ابي ربيعه وامثاله . اما القصة الشعرية الراقية ذات الغرض الاجتماعي والاخلاقي فانها كانت من بنات الشعر العربي الحديث . وقد تناول الشعراء اللبنانيون هذا الفن الجديد فازدهر على ايديهم ، وكانت القصص الشعرية اما اقتباسا من الادب الغربي كما فعل بشاره الخوري في قصيدة « سلفين وجيروم » واما استلهاما من التاريخ كقصيدته « عروة وعفراء » او قصيدة « خولة بنت الازور » لشبلي الملاط ، واما قصصا مستمدة من المجتمع كقصيدتي « الريال المزيف » و « من مآسي الحرب » لبشارة الخوري وقصيدة « هذه الخائنة » (٦) لامين ناصر الدين او كقصيدتي « الجمال والكبرياء » لشبلي الملاط و « والجمال

(١) الياس ابو شبكة : روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ص ٨١

(٢) راجع ديوان الياس فياض (٣) راجع رفيف الاقحوان للدكتور نقولا

والتواضع » لامين تقي الدين .

ومن الشعراء الذين ابدعوا في القصص الشعري شبلي الملاط . هذا الشاعر الذي نظم عدة قصص شعرية تنبيء عن مقدرة فائقة بالسرد ، في قالب لا تنقصه الشاعرية والرقة والسلاسة والانسياب . وجميع هذه القصص الشعرية ، سواء اكانت اجتماعية ام تاريخية، تمجد الاخلاق والقيم . من هذه القصص قصيدة « الوردة الذابلة » ، وهي قصة فتاة بارعة الجمال ، كانت امها ذات السيرة السيئة سببا لتنكيد عيشها، وحرمانها لذة الحياة ، ولموتها اخر الامر

أومات بنت زينب بالسلام ... وتلاشى ما تمتمت من كلام
كل ذلي وخجلتي وسقامي ... وبلائي وما رأيت امامي
كل هذا جنته امي عليا

اما في قصيدته « الجمال والكبرياء » ، فلسان حاله يقول : ما نفع الجمال ان لم يكن مقرونا بالخلق الطيب السمح

رب قالت خبذا الان الفنا ... قل لمن بالحسن احيانا بلى
وبه اعتز زمانا وطلب ... ان يرى في الوجه اسباب النعيم
خل عنك الوجه واحفل بالادب ... وجمال النفس والاصل الكريم

وهو يحمل في قصيدته « بين العرس والرمس » على ظلم المجتمع للانسان ، وكيف ان الابن يقع ضحية انانية الوالدين ، فيصور لنا كيف ان ابا قاسيا فرق بين متحابين بان ازوج فتاته لرجل عجوز طمعا في ماله . فيقول :

لم نكن نحن مرة مذنبينا ... ان اباءنا هم المذنبونا
ظلمونا وليتهم انصفونا ... ولدونا وليس حبا فبينا
بل هو الذات علة التوليد (٧)

ويجب الا ننسى قصصه الشعرية التاريخية التي نلمس بها النفس الملحمي والتي يصور فيها البطولة والشيم والاخلاق كقصائده « خولة بنت الازور » و « بين اليمن والشام » و « سيف بن ذي يزن » .

٢ ـ أثر المهجر :

حتى اذا ما هبت انسام المهجر تفتحت مصاريع ادبنا بكليتها على الغرب ، فدخلت تلك الانسام تنشر في ارجاء بلادنا ادبا جديدا غنيا متشبعا بالروح الغربية ايما تشبع .

هاجر اللبنانيون الى العالم الجديد ، فرافقهم حنين الى ربوع لبنان الجميلة عميق ، كان من شانه ان ارهف مشاعرهم وعواطفهم ، فاذا شعرهم تتراءى فيه طبيعة لبنان ، فيمتلىء حنينا وكآبة ، ويمتلىء رقة وشعورا ، ويمتلىء فوق هذا كله ثورة على النظم والشرائع ، وثورة على المجتمع الذي حرمهم الاهل والوطن . وكانوا قد اخذوا بحضارة الغرب وثقافته ، وتفاعل هذا كله في نفوسهم ، فاذا عاطفة جياشة ، وقد صقلت بالثقافة والحضارة ، تنفجر شعرا جميلا ، مليئا بالحنين للوطن بالتالي للطبيعة ، ومليئا بالثورة على المجتمع والانسان . وزادته الثقافة الغربية عمقا في الفكر ، وتفهما للاوضاع ، وفلسفة في الحياة . فكان لنا شعراء المهجر وكتابه ، كجبران خليل جبران وامين الريحاني وفوزي المعلوف ، الذين شادوا لنا دعائم المدرسة الرومانتيكية العربية بما اودعوا شعرهم من حنين وعاطفة ، وثورة ومثالية ، وتجاوب مع الطبيعة ، وتعبير عن الذات المتألمة المحرومة .

نظم الريحاني اشعاره المنثورة فاذا هي في روحها رومانتيكية ، بما حوته من تعبير عن الذات المريرة الثائرة المتألمة ، وبما حوته من مثالية ، وبما حوته من حب للطبيعة واتحاد معها ، كقصيدته « داويني ربة الوادي » (٨) التي هي نداء للالتجاء الى الطبيعة احدى صفات الرومانتيكية الاصيلة .

ونظم فوزي المعلوف قصيدته « على بساط الريح » فاذا هي تطفح بالحنين او النوستالجيا على حد تعبير الفرنج ، واذا هي دعوة الى الانفلات من الواقع ، وتوق الى بلوغ المثالية ، وثورة على الاوضاع ، وكل تلك الصفات هي صفات محض رومانتيكية . حتى قال عنه الشاعر الاسباني فرنسيسيكو فيلاسباسا : « ان فوزي المعلوف كانبياء التوراة ، علق ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ، ناطقة بما في لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الالوهة . » (٩) ولعمري فقد كان الشاعر الاسباني يلخص بهذه الجملة مفهوم الرومانتيكية بكامله .

اما جبران خليل جبران فانه لم يشيد دعائم الرومانتيكية العربية فحسب ، وانما شيد ايضا دعائم الرمزية في الشعر العربي الحديث او على الاقل شارك في تشييد هذه الدعائم . لقد مهد جبران الرومانتيكية في لبنان كما مهد الرمزية على حد سواء ؛ فهذا الاحياء ، وهذا الجرس ، وهذه الكيمياء اللفظية ، وهذه الصور التجريدية التي نجدها في شعره ونثره على السواء ، هي ولا شك صفات رمزية . كقوله :

هل تحممت بعطر ... وتنشفت بنور
وشربت الفجر خمرا ... في كؤوس من اثير

ولا ننسى هذه الموسيقى الشعرية التي كان جبران كلفا بها الى حد انه كتب كتابا كاملا عن الموسيقى .

الا ان جبران ، وان كان مهد للرمزية في لبنان ، كان رومانتيكيا اكثر منه رمزيا . فالكآبة والتشاؤم والعاطفة الجياشة التي تطغى على شعره جميعه ، حتى انه يعبر عن الفكرة الفلسفية بطريقة عاطفية حارة ، والثورة على الاوضاع ، والالم ، وتقديس الطبيعة ، والمثالية ، كل هذه الاشياء هي رومانتيكية اكثر منها رمزية . فجبران شاعر رومانتيكي لا هم له الا عرض ذاته ، والتعبير عن عواطفه واحساساته ومشاعره .

فياض (٤) راجع الهوى والشباب لبشاره الخوري (٥) نشأت الملحمة في لبنان لاول مرة وازدهرت على يد بولس سلامه صاحب ملحمتي « عيد الغدير » و « الرياض » (٦) راجع المكشوف عدد ٤٣٩ سنة ١٩٤٦

(٧) راجع ديوان الالهام لامين ناصر الدين .

(٧) راجع ديوان شبلي الملاط.

(٨) راجع الريحانيات الجزء الثاني ـ (٩) راجع شاعر الطيارة للبدوي الملثم ص ٥

٣ ـ الصراع بين القديم والحديث :

غير ان شعراء المهجر قد بالغوا في تقدير الفكرة والخيال والعاطفة حتى انهم تغاضوا احيانا عن التعبير اللغوي الصحيح ، وتغاضوا عن قواعد الصرف والنحو ، ولم يهتموا الا باداء الفكرة دون الالتفات الى اللغة والشكليات . وكان من نتيجة ذلك ان ثارت ثائرة انصار القديم فقاموا ينتقدونهم نقدا موجعا . ويهاجمون لغتهم الركيكة في ظنهم، ويهاجمون اساليبهم المتحررة ، ضانين باللغة ان يدركها هذا الضعف وهذا الوهن كما احبوا ان يدعوه ، رائبين بها ان تنحط في نظرهم اساليبها هذا الانحطاط . واذا بحرب عوان يشنها انصار القديم تدور معاركها على اشد ما يكون . قال امين ناصرالدين :

« المنشئون في اللغة العربية فريقان اولهما تضلع من اللغة واستطلع خفاياها فبلغ منها مبلغا جليلا . والثاني قصر على غيرها جهده فلم يدرك منها الا ذروا وفاتته معرفة اصولها ودقائقها ومصادرها وموازدها كانها لم تكن لغة قومه وتراث اجداده ولكلا الفريقين في هذه اللغة آراء ومذاهب

اما الفريق الاول فيضن باللغة ان تشوبها شائبة من لغو او خطل ويربأ بها ان يتنازع اساليبها انحطاط وسخف ويؤلمه جد الايلام ان يرى قواعدها مختلة وتراكيبها قلقة والفاظها مبتذلة مخافة ان يأتي يوم لا تبقى للفصحى فيه مزية على العامية . »

وبعد ان يسترسل في الدفاع عن قدسية اللغة ، يهاجم انصار الجديد فيقول : « اما الفريق الثاني فقصاراه ان يستبدل بالفصحى لغة جديدة تكاد العامية تكون امتن منها اسلوبا واصح تعبيرا لا يتقيد المنشيء فيها بقاعدة ولا يبالي خطأ ولا يضطر الى اتباع اللغويين والنحويين والبيانيين في مراعاة الاصول واستقراء الدقائق ووضع الكلمات في المواضع اللائقة بها بل يكتب ما شاء كما يشاء ويبتدع ما استطاع الابتداع . » ثم يضيف بعد ذلك فيقول : « واما الفريق الثاني ـ وهو لسوء حظ اللغة والشعر ـ اوفر من الاول عددا واكثر اتباعا فخير الشعر عنده ما كان سوقي الالفاظ سخيف التراكيب مبتذل الاسلوب . »

ثم يقول : « وهناك فريق جاء يدعو الشعراء الى اهمال الوزن والروي وسمى طريقته هذه (الشعر المنثور) فكان ذلك احدى المضحكات ... واذا كان اصحاب الشعر المنثور لا يتقيدون بوزن ولا تقفية وما دام كل شيء في الكون لا يخلو من معنى شعري فمن الواجب ان يعدوا ضدائح الطائر ومواء الهر ونبيب التيس من باب الغزل والتشبيب ... ولست بمبالغ اذا قلت ان (شعر) هذه المذكورات يكاد يكون ابلغ من شعر اولئك (العصريين) وافصح لانها انما نطقت بلغاتها الطبيعية التي لم يعتور قواعدها خلل ولا فشا فيها لغو ولا لحن ولا فسدت اساليبها وتعابيرها . »

ويرد انصار الحديث على اعدائهم بالشدة ذاتها فاذا كان امين ناصر الدين شبه المجددين بالطيور والهررة والتيوس وغير ذلك فهذا ميخائيل نعيمة يشبه المحافظين بالضفادع . قال مدافعا عن جبران خليل جبران الذي استعمل كلمة « تحمم » بدلا من « استحم » اللغوية :

« مصيبة ضفادع الادب ، يا سادتي ، ان الحياة تسير بهم وهم قعود ، فيتوهمون ان الحياة قاعدة مثلهم .. ان ما تنبذه الحياة ، ان في الادب ، وان في اي مظهر اخر من مظاهرها ، تنبذه من نفسها احبه ضفادع الادب ام لم يحبوه . وما تستنسبه تحتفظ به رضي بذلك ضفادع الادب ام لم يرضوا . ومن اغرب ما في الكون ان يكون فيه اناس يجهلون ذلك ...

ان اللغة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة . فهي تنتقي المناسب وتحتفظ من المناسب بالانسب في كل حالة من حالاته ..

سالتم ، يا سادتي ، باسم العدل والفهم والقاموس . لماذا جاز لبدوي لا اعرفه ولا تعرفونه ان يدخل على لغتكم كلمة « استحم » ولا يجوز لشاعر اعرفه وتعرفونه ان يجعلها « تحمم » ؟ وانتم تفهمون قصده بل تفهمون « تحمم » قبل ان تفهموا « استحم » ؟ وما هي الشريعة السرمدية التي تربط السنتكم بلسان اعرابي عاش قبلكم بالوف السنين ولا تربطها بلسان شاعر معاصر لكم ؟ ...

ان شاننا مع ضفادع الادب لشان والله غريب عجيب، يطالعون ما نكتب فيقولون : نعما الافكار ونعما العواطف ونعما الاسلوب . لكن ... اللغة ، كاننا فيما نكتب او ننظم نلقي عليهم دروسا في اللغة وكان لا هم لنا من النظم الا ان نتحاشى الخطف والاشباع واستعمال « تحمم » بدلا من « استحم » . »

« ويستحم » الادب في بحر من الصراع بين القديم والحديث متلاطم الامواج ، ويشهد العصر حربا عوانا .

سامي نسيب مكارم

تاريخ
الفلسفة العربية
بقلم
هنا الفاخوري — رئيس كلية لبنان
خليل الجر — دكتور في الفلسفة
كتاب جديد يتناول بالبحث الرصين ، والتحليل الوافي ، جذور الفلسفة العربية ، واهم مدارسها واشهر رجالها بالاستناد الى اوثق المصادر ، والى النصوص المحققة
يطلب من
دار المعارف ـ بيروت
بناية العسيلي السور ـ ص.ب ٢٦٧٦ ـ تلفون ٢٢٥٧٤
ومن جميع المكتبات الشهيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عودة الى الريف

هوذا الريف وهذي السنديانه
وغدير عرف القلب مكانه
ههنا وادي الهوى يا خافقي
وغرام أرجع الله زمانه
وهنا الصفصاف كم هدهدنا
خدر أم عطر الحب حنانه !

★

هوذا الجدول مخضر الضفاف
فوقه ظل من الصفصاف ضاف
وهنا الصحراء يا قلبي ... فهل
تذكر الامس ... وايام القطاف
تحت زيتون رصاصي ... مضى
في فضاء رائع الزرقة صاف

★

ههنا السفح وازهار التلال
والجمالات وسرحات الخيال
هل نسيت السفح يا قلبي وهل
غربت عنك ثريات الدوالي
وصبايانا الرشيقات الخطى
كيف يحملن الاغاني في السلال

ههنا يا قلب قد كانت تغني
حلوة الريف ... بمجروح مرن
تسكب الانغام لحنا يائسا
سلخت آلامه منك ومني
وسرت في ريفنا شائقة
حبكتها غيدنا عنها وغني

★

ههنا كنت مع الصحب أتيه
في مدى ريف مضى عنه بنوه
ههنا الاشياء ما زالت كما
تركت لكنما أين الوجوه ؟
كل ما في الريف شوق صارخ
لشباب طمح قد هجروه

★

ههنا تغفو « شويفاتي » الحبيبه
بين زهر نشر الفجر طيوبه
وهنا يا قلب نغفو عندما
تنتهي دقاتك الثكلى الرتيبه
تحت زيتونة سفح هادىء
سوف تبكينا بدمعات خضيبه !

الشويفات ـ لبنان

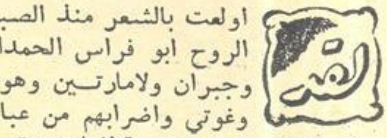
فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نقولا فياض الشاعر

بقلم مير بصري

○ ○ ○



اولعت بالشعر منذ الصبا الباكر ، فكان رفاق، الروح ابو فراس الحمداني وولي الدين يكن وجبران ولامارتين وهوغو وفنيي وبيرون وغوتي واضرابهم من عباقرة الشعر العالمي . وكنت اشدو بـ « بحيرة لامارتين » و « موسى » دي فنيي وفريدة ابن زريق البغدادي وسواها من روائع القريض الخالد . ثم اطلعت ذات يوم على ترجمة عربية رائعة لبحيرة لامارتين فحفظتها ورددتها وعرفت منذ ذلك الحين ناظمها الدكتور نقولا فياض .

نقولا يوسف فياض شاعر رقيق واديب المعي وخطيب وطبيب . نشأ في لبنان وعاش عهدا طويلا في مصر ، ثم عاد الى الجبل الاشم حيث يقضي الان شيخوخته الهانئة الجليلة . قرض الشعر وهو صبي يافع ، فنشرت له مجلة المقتطف في سنيها الاولى ابياتا من الشعر قبل نحو من سبعين عاما . ثم درس الطب ومارس الخطابة والكتابة واشتهر بترجمة قصيدة لامارتين السائرة التي صدر بها ديوانه « رفيف الاقحوان » :

اهكذا ابدا تمضي امانينا ... نطوي الحياة وليل الوت يطوينا
تجري بنا سفن الاعمار ماخرة ... بحر الوجود ولا نلقي مراسينا
بحيرة الحب حياك الحيا فلكم ... كانت مياهك بالنجوى تحيينا...
احبها واحبته وما سلمت ... من الردى ، رحم الله المحبينا

ان شاعرنا لم يوفق لنقل روعة الاصل وبداعته شعرا سائغا بليغا في لغة الضاد فحسب ، بل بارى في الوقت نفسه قصيدة من روائع شعر الغزل العربي الا وهي طرفة ابن زويدون :

اضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وللدكتور نقولا فياض الى ذلك شعر جميل رائق ، اليس هو القائل ؟

ليس « البيانو » الذي باتت تكهربه ... يداك اطوع من قلبي وافكاري
لمسته فتمشى السحر بي فكما ... تهتز اوتاره تهتز اوتاري
اصابع العاج هذي تلعبين بها ... ام تلعبين باسماع وابصار ؟...

ولد نقولا فياض في بيروت سنة ١٨٧٣ ، فهو اليوم قد ناف على الثمانين ، ودرس في مدرسة الثلاثة اقمار ففرس في نفسه معلمه نعمة يافت حب الادب وقاد ـ كما قال ـ خطواته الاولى في حياة الفكر والعمل . وحفظ التلميذ النجيب لمعلمه يده تلك فقدم اليه ـ وهو رميم بال ـ ديوان شعره بعد نحو من ستين عاما . ومال الصبي نقولا الى الصحافة ، فبعث الى بشارة تقلا صاحب « الاهرام » في مصر برواية منظومة وطائفة من شعره ونثره آملا ان يستقدمه ليحرر في جريدته ، لكن لم يكن في مقاعد التحرير شاغر . فانتسب الفتى بعد ذلك الى مدرسة الطب الفرنسية في بيروت ونال شهاداتها في سنة ١٨٩٩ . وساح في فرنسة سنة ١٩٠٦ ثم عاد الى مصر واستقر في الاسكندرية يزاول الطب . وقد مكث في القطر المصري نحوا من ٢٣ سنة ، ومصر آنذاك منتجع السوريين واللبنانيين يمارسون فيها الصحافة والادب والتجارة والاعمال ويتبوؤن الوظائف والمناصب . وكان ممن شد الرحال الى مصر ايضا اخوه الكبير الياس فياض ، وقد عرف مثله شاعرا رقيقا واديبا موهوبا وله في ميدان التاليف والنظم صولات وجولات .

ساهم الدكتور نقولا فياض في الحركة الادبية بقسط وافر ، فنشرت له « الهلال » وسواها من المجلات والصحف القصائد والمقالات . ومن الكتب التي نشرت له آنذاك « خواطر في الصحة والادب » و « حول سرير الامبراطور » (وهو مترجم عن الدكتور كابانيس الذي نظر الى نابليون نظرة الطبيب الفاحص) و « مملكة الظلام » او « حياة الارض » وقد عربه عن الاديب البلجيكي الكبير موريس ماترلنك الذي تناول فيه بحثا علميا باسلوب شيق عن الدودة المعروفة Termites وعرف شاعرنا الطبيب اضافة الى ذلك بالتبريز في الخطابة ، فكان ينتهز الفرص السانحة ليرتقي المنابر في الاندية والجمعيات والمدارس وليهز السامعين مازجا في خطبه الشعر والنثر واصدرت له ادارة الهلال سنة ١٩٣٠ كتابا في الخطابة لعله الاول في موضوعها باللغة العربية ، تناول فيه البلاغة نظريا وعمليا والانشاء الخطابي وانواع الخطابة واردفها بنظرة صحية وتشريحية ، ثم ختم كتابه بنماذج من الخطب الشهيرة الغربية والعربية .

وانتخب نقولا فياض آنذاك عضوا في المجمع العلمي العربي بالشام . ثم عاد الى لبنان في سنة ١٩٣٠ ، فعين نائبا ثم قلد ادارة البريد والبرق ردحا من الزمن . ولم يكن شاعرنا بالطبيب الوحيد الذي تولى ادارة البريد في البلاد العربية ، فقد سبقه الى ذلك في العراق الدكتور فائق شاكر وتبعه الدكتور حنا خياط الذي تخرج في نفس مدرسة الطب الفرنسية ببيروت بعد الدكتور فياض بسبع سنوات .

واعتزل الدكتور فياض الوظيفة فانقطع الى ممارسة الطب والادب . واصدر في سنة ١٩٥٠ ديوان شعره باسم « رفيف الاقحوان » ، ثم اردفه في السنة الحاضرة بمجموعة شعرية صغيرة دعاها « بعد الاصيل » . ونشر في هذه الاثناء كتبا اخرى موضوعة ومترجمة ، منها «على المنبر » و « كيف تغلب الانسان على الالم » و « دنيا واديان » و « من نافذة العقل » الخ ..

ا ن نقولا فياض الشاعر قد تاثر كثيرا بالادب الفرنسي الحديث ، وكان من رواد الشعر الطليق ، وهو شعر منظوم قد تصرف في مبناه فمزج البحور المختلفة في القصيدة الواحدة ونوع القافية . وكذلك قرن شاعرنا الجديد بالقديم فكان كما قال :

ما سكبت الجديد صرفا بكاسي ... لا ولا ذبت في القديم احتراقا

وهو بارع في ترجمة الشعر الاجنبي ليخلقه في القريض العربي خلقا سويا . فمن يقرأ له « بحيرة » لامارتين او « اذكريني » لموسيه او « سيف » سولي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برودوم ، تهزه روعة الاصالة وعذوبة البيان . ومن الطريف مقابلة ترجمته لقصيدة فكتور هوغو « الزهرة والفراشة » (رفيف الاقحوان ص ٤٣) بترجمة شعرية ثانية للشاعر العراقي محمد الهاشمي عنوانها « الوردة والفراشة » (الادب العصري في العراق العربي الجزء الثاني ص ٢٨) ، وقد اردف الشاعر اللبناني ترجمته بجواب الفراشة على تساؤل الزهرة وشكواها كما افصح عنها الشاعر الفرنسي الخالد

ان تفوق نقولا فياض في ترجمة الشعر لم تحل دون تبريزه في شعره الاصيل ، وديوانه « رفيف الاقحوان » الذي جاء خلاصة عمر مديد يزخر بالشعر النابض بالحياة فلنقرأ له « البنفسجة » قصة الزهرة الطامحة التي ضاقت ذرعا بمنبتها المنعزل وطلبت التجوال والتعالي فانتهت الى الهلاك

مسكينة قد غرها طمع ... هو كالسراب لكل مغتر
ظنت بان لها العلاء غنى ... فاذا به فقر على فقر
ما كان اغناها واسعدها ... لو لم تفارق ضفة النهر

ولنقرأ « اخي » ذلك الرثاء المشجي للشقيق الغائب ، ولنقرأ « الشاعر والمومياء » ذلك الحوار البارع الذي يكشف عن ناحية مجهولة في النفس البشرية التي تنزع الى الخلود، ولنقرأ غير تلك القصائد من الشعر الذي يؤسي ويطرب ويسحر ويهز .

ان قصيدة « الشاعر والمومياء » قد مثلت فكرة فريدة في النظر الى تراث مصر الفرعونية : فشعراء مصر الحديثة من البارودي الى اسماعيل صبري واحمد شوقي قد استوحوا الاهرام وابا الهول وغيرها من آثار الفراعنة ، لكن لم يكن يخطر ببال احد ان يلتفت الى تلك الاجسام المحنطة التي ظلت تنتظر الينا من وراء الاجيال بعيونها الهامدة حتى جاء نقولا فياض فسألها عن سر سكينتها وجمودها ، فاذا بالمومياء تكشف عن شقائها بالخلود المصطنع وتتمنى لو كانت قد تركت طعمة للفناء كسائر الجثث

بل ليتهم طرحوا رفاتي في الفلا ... لوحوشها نهبا وللعقبان
او في التراب اصير من اجزائه ... والريح تذريني بكل مكان
فاعود للكون الذي فارقته ... ويجدد الدهر الجديد كياني

ولقد انطق الشاعر الفرنسي تيوفيل غوتييه قبل ذلك « مسلة الاقصر » ، فاذا بها تندب حظها في الوقوف وحيدة في هذا القصر العظيم المتداعي تحرس الصحراء اللامتناهية في سكون المزلة الخالدة. لقد امتد الافق صامتا مجدبا عقيما ، وضربت السماء قبابها كصحراء ثانية خالية من الغيوم ، وجرى النيل يدفع بمياهه الهامدة كذوب الرصاص لا يقلق راحته سوى الكركدن الذي يطل برأسه على الشاطيء والتمساح الذي يرقد على الرمال اللاهبة . . . وماذا تتمنى المسلة الشاكية ؟ انها تتمنى حظ اختها التي نقلت الى باريس ونصبت في ساحة تعج بالناس ، فهي حية بين الاحياء واختها « مسلة الاقصر » ميتة في الصحراء الخالية .

اما قصيدة « المرأة والشاعر » التي نظمها نقولا فياض في شبابه فاننا نجد فيها قبسا من روح الفرد دي موسيه في « لياليه » ونجد فيها شيئا من الحب واليأس والندم والالم — كل تلك العواطف المضطرمة المتشابكة المتناقضة التي خفق بها فؤاد الشاعر الفرنسي وماج بها شعره . » ففي « ليلة ايار » نصغي الى ربة الشعر تدعو الشاعر الى الحب ، لكنه يجيب آسيا حزينا : « انني لا اتغنى بالامل ولا بالمجد ولا بالسعادة ، كلا ولا اشدو بالالم . ان الفم ليطبق في الصمت ليستمع الى كلام القلب . » وهذه المرأة في قصيدة فياض توجه نفس الدعوة الى الشاعر :

عد للهوى فربيعه قد عادا ... والعشب للعشاق مد وسادا
وعلى الارائك للهزار مواقف ... تستعبد الارواح والاجسادا
فعلام شعرك لا يكون لها صدى ... اعدمت نطقا ام عدمت فؤادا

وها هوذا شاعرنا في شغل شاغل عن الحب ، فهو قد مل الحياة قبل ان ينضو رداء الشباب . بيد ان المرأة لا تلبث ان تقنعه بحجتها فيعود الى صوابه ويعترف بفضل النساء امهات وازواجا واخوات .

بدأ شاعرنا ينظم الشعر الطليق منذ مطلع القرن الحاضر حين كان الشعر العمودي سائدا لا يكاد يخرج عليه ناظم و لايستسيغ سواه قارىء ، وكان شعر المهجر المنطلق جنينا لم يكد يبصر النور . وقد تضمن ديوانه « رفيف الاقحوان » عددا من هذه المنظومات التي تفنن في اوزانها وقوافيها كـ « زيارة من غير موعد » و « اسطورة نورية » و « الارض تخاطب الانسان » ومن تلك ايضا مقطوعة لطيفة عنوانها « اعترف » كانت قد نشرتها مجلة « الحرية » البغدادية لمحررها المرحوم رفائيل بطي في عددها الاول (تموز واب ١٩٢٤) بعنوان « وصال الخيال » :

ان اكن قد بحت يوما بالهوى ... فلانفاس السحر
بحت للريح التي تضحك او ... تبكي باوراق الشجر
بحت لليل الذي اسهره ... بين احلام وذكرى
بحت للعصفور اذ انشده ... كلما غرد ، شعرا
بحت للنهر الذي يصغي الى ... صامتا في جريه متئدا
كلما ملت بوجهي نحوه ... ان اكن بحت فقد بحت به
للصدى الخ...

وينحصر الابتكار في هذا الشعر — الذي يقارب الموشحات من حيث الاسلوب — في مزج البحور المتقاربة واختزال المصاريع بين الحين والحين وتنويع القافية او اغفالها اغفالا باتا . ولم يحاول شاعر عربي حتى الان — فيما عدا دعاة الشعر المنثور الذي يعتمد على الايقاع — لم يحاول شاعر استنباط مقاييس جديدة للنظم تقوم مقام اوزان الخليل .

والان ننتقل الى ديوان « بعد الاصيل » الصادر في سنة ١٩٥٧ وقد تضمن شعر الشاعر الشيخ في الاعوام الاخيرة . قدم له نقولا فياض بأبيات منها :

راعني عند احمرار الشفق ... يا اخي القارىء ان لا تلتقي
والقوافي لم يزل يفمرني ... حلمها الذاهب خلف الافق...

ان الشعر الذي حوته هذه المجموعة لم يكد يضيف الى مجد الشاعر شيئا مذكورا ، فاغلبه من شعر المناسبات الذي لا شأن له . ولقد يستمتع القارىء بـ « قصة من الصين » او « الارغن الصغير » او « بوذا والسنونة » او « منطق جديد » ، لكنه سيذكر ابدا نقولا فياض مترجم « البحيرة » وشاعر « رفيف الاقحوان » .

بغداد ... مير بصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدالية

حكى أخي حكايةً ليتَ أخي لم يحكِها
قصةَ حبٍّ مفجعٍ ضيَّعت منه النُهى

قالَ أخي :

« هل تذكرُ المُعرَّشا ؟
نجلس تحتَ الدالية؟
كنا هناكَ للعشا ،
وجمعُنا ثمانية
أمي واختي وأبي
وأخوتي حواليه ،
اذ سقطت قنبلة
دوتْ بكل ناحية ،
لكنها من لطفهِ
هوتْ بأرض خاوية ،
ثم هربنا نحتمي

في دار أمن نائية ، لخوفنا من ثانية
من تل ابيب قادمة، من الايادي الاثمة

وفي الصباح عندما
عدنا الى البيتِ الحمى
اذا به تهدَّما
لم ينجُ منه قطُّ ما
يمكن ان يُلملما
قد سقطت قنبلة
ودكَّت المعرشا
والتهمت حتى العشا
وأشعلت نار الحشى
اذ احرقت لي الدالية
لم تكُ يا أخي معي
ولم تشاهد أدمعي
اسكُبها من منبعي
على جذورِ الدالية
والان في المنفى معي
من رملها المشبَّعِ
بانهر من مدمعي
تذكارُ حبٍّ لا يعي
حزنا دفينا موجعي
منذُ احتراق الدالية،
ذا كلُّ ما املكه ذكرى البلاد الغالية »

* * *

تلك اذن قصتُه لكنني اشقى بها
عند اخي تذكارُه من ارضنا من رملها
أما أنا فلاجيء ابكي على فقدانها
وليس عندي مثله تذكارها او تربها .

لندن — معاوية محمد الدرهلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة مصرية

بقلم منيرة عبد الجواد

الفتنة

○ ○ ○

جلست صديقتنا يسرية صامتة حزينة ، معتمدة راسها بين يديها ، غير ملتفتة الى وجودنا حولها في زيارتها وعبثا حاولنا ان نعرف منها سبب حزنها والمها ، او ان نسري عنها بعض الشيء ، او نخفف مما بها.

وخيم علينا صمت ثقيل قاتم ، احسست به يضيق علينا الخناق ويكاد يزهق انفاسنا ، واصابنا تبلد عجيب لم اره يخيم على شلتنا طوال مدة صداقتنا الطويلة .

فها هي ذي يسرية المرحة الطروب التي لا تفارق الابتسامة شفتيها الا لتنفسح لضحكة فضية تنطلق صاخبة مرحة مجلجلة تجبر من حولها على مجاراتها في الضحك وتدعوهم الى مشاركتها مرحها وابتهاجها ، يسرية هذه تجلس حزينة صامتة متوترة الاعصاب وفي حالة لا تتحمل معها مجرد سماع كلمة واحدة ، وسلوى التي لا تهدأ ولا تستقر في مكان ، الدائمة الحركة والتي لا تكف عن التهريج والدعابة والاتيان بحركات مضحكة سواء بيديها او وجهها او راسها ، سلوى هذه تجلس هي الاخرى صامتة مطرقة ، وبقية الشلة مطأطئة الرؤوس حائرة لا تدري كيف تتصرف ازاء هذا الصمت الثقيل الاسود الذي ملأ جو الغرفة بالسأم والضيق ، وكانما يسرية قد اعدتها بحزنها وضيقها كما كانت تعديها ببشرها وسرورها ...

وفجأة وفي محاولة يائسة ، وكمن يلقي باخر ما في جعبته كاخر امل له في النجاة من موقفه اليائس ، قامت سلوى من مكانها ، واتجهت الى يسرية وانحنت امامها في حركة تمثيلية رشيقة متقنة ثم تفرست في وجهها لحظة ، وقامت بحركة من حركاتها المضحكة العديدة ... وكنا في حالة من الضيق والضجر لم تسمح لنا بتقبل هذه الحركة منها وكنت انا متوترة الاعصاب قلقة فصحت فيها بغيظ وحنق : فتنة .. عليك لعنة الله .. اهذا وقته ؟ وقبل ان اتم جملتي كانت يسرية قد انطلقت في نوبة قوية من الضحك المتواصل تبعتها فيه بقية الشلة وكانما تريد ان تعوض الضيق والضجر السابقين ، وجلست سلوى منتفخة الاوداج مزهوة كالطاووس وكأنها قامت بعمل خارق لم يحدث من قبل .

وما ان هدأت نوبة الضحك قليلا حتى قالت احدى الصديقات : سبحان مغير الاحوال ، أمثل هذه الحركة تفرج عنك بهذه السهولة؟ ليتنا عرفنا هذا من اول الامر .. واسترحنا من الجو الدرامي الذي كنا فيه .

فردت يسرية وهي ما زالت تغالب الضحك : لا .. لا .. انها ليست حركة سلوى التي اضحكتني فقد رايتها — قبل ذلك كثيرا — بل لقد كنت على وشك ان اصفعها من شدة غيظي وضيقي لولا سماعي كلمة فتنة ، ان كلمة « فتنة » والطريقة التي نطقتها بها صديقتنا هي التي جعلتني انفجر في الضحك .. فمهما كانت حالتي النفسية التي انا بها فاني — ما ان اسمعها — وخاصة اذا قيلت بغيظ — الا وانفجر في ضحك متواصل . انها تذكرني بحادثة وقعت وانا في بدء دراستي الجامعية واعتقد اني لن انساها ما حييت .

وصمتت سرية برهة لتسترد انفاسها وتجفف دموعها من كثرة الضحك وقرات في عيوننا الفضول لسماع القصة فعاودت الحديث .

كان ذلك في بدء دراستي الجامعية — في السنة الاولى بها ، ولم يكن بالقسم الذي التحقت به سوى انسة واحدة غيري اسمها امينة والباقون طلبة .. وامينة هذه وحيدة ابويها ، طويلة مفرطة في الطول نحيفة جدا ، ذات وجه لا يرتاح الناظر اليه ما لم ينفر منه ، عيناها واسعتان معتمتان تذكران الناظر اليهما في التو واللحظة بعيون البلهاء وتدلان دلالة واضحة على مدى ما تتمتع به من غباء مطبق ، وعظمتا وجنتيها نافرتان وخداها غائران وفمها واسع ذو شفتين رفيعتين لدرجة عجيبة ، وانفها طويل رفيع مدبب معقوف ، وجبهتها ضيقة بارزة ، وشعرها اصفر ناعم قصير تمشطه للخلف فتبدو كاحد العمال الذين يصبغون شعورهم باللون الاصفر ويطيلونها حتى تصل الى مؤخرة الراس ، وعنقها طويل نافر العروق واذناها كبيرتان طويلتان وذراعاها نحيفتان كالجريد واصابع يديها طويلة رفيعة وبقية قوامها ليس به شيء من علامات الانوثة .. فصدرها ماسح وساقاها طويلتان رقيقتان يغطيهما شعر كثيف .. يشبهان الكرابيج على حد قول احد الزملاء ، وصوتها غليظ مؤلم الوقع على السمع .. وتكوينها عجيب غريب ، وكم تعجبنا جميعا كيف استطاعت الوصول الى المرحلة الجامعية رغم ما تتمتع به من غباء مستحكم .

كان الزملاء من الطلبة ينفرون منها ويتندرون عليها تندرا مرا . واقسم احدهم انها فتى هارب من الجندية متنكر في زي فتاة ، واقسم اخر ان اسمها ينقصه شيء مهم جدا .. هو اضافة لفظة تعيسة او ضائعة او مكروهة بعد اسمها حتى يطابق الاسم الواقع ويصبح اسما على مسمى .. وثالث يخاطبني بصيغة جدية قائلا : لقد فرقت الطبيعة بينكما في كل شيء حتى في كشف الاسماء فهي اولة وانت في اخره ، تسمحين لها بتحطيم ناموس الطبيعة وتتركينها تصر على ملازمتك طول اليوم فيرد اخر : انها فدائية يا اخي تريد ان تستاثر بالجنة .. يا بخت اللي يصبر ويقول غيرهم بلهجة الوعظ ، صبرا آل ايوب .

سينتهي العام بخير ان شاء الله ونتركها لتكون في استقبال الطلبة الجدد ترحب بهم باسم القسم اما من يتخاذل منكم في المذاكرة او من تحدثه نفسه بالتخلف عنا فسيكون جزاؤه الرادع ان يقضي سنة اخرى معها ..

كان هذا يا صديقاتي شعور الزملاء من الطلبة وهم بعيدون عنها ، اما انا فقد كان عذابي اشد وانكى اذ كانت تلازمني طوال اليوم بحكم انه ليس معها في القسم طالبات سواي.

وكان يوم الحادث هذا .. ولا ادري اي شيطان وسوس لها في ذلك اليوم ان تتجمل او بالاصح تصبغ وجهها باللون الاحمر . اقول صبغته وشفتيها باللون الاحمر بطريقة مضحكة لانها فعلا قد طلت وجهها كله تقريبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشفتيها باللون الاحمر بطريقة مضحكة تثير السخرية ، ويومها ضحك الزملاء وتندروا ما شاء لهم الضحك والتندر وانتهت المحاضرة الاولى وغادروا قاعة الدرس وبقيت انا مكاني انقل بعض المحاضرات وهي بجواري معتمدة رأسها على يديها فوق المنضدة شبه نائمة ، واذا بالباب يفتح وارى زميلين معنا في القسم يهمان بالدخول ولكنهما ما ان رأيا امينة حتى تراجعا في الوقت الذي رفعت هي فيه رأسها واحدهما يقول بسخرية : الفتنة نائمة فيلكزه الثاني بمرفقه ويرد بغيظ : لعن الله من ايقظها .

وانفجرت امينة في البكاء بصوتها القبيح ولم افلح في تهدئتها اواسكاتها فصحبتها الى حجرة الطالبات وكانت حجرة الطالبات تجاور حجرة عميد الكلية الذي كنا نحبه حبا جما مبادلة لشعوره نحونا ، فقد كان يحبنا نحن الطالبات بوجه خاص ، ربما لانه لم يرزق بنتا ، وربما لان الكلية كانت في بدء نشأتها وعدد الطالبات بها قليل جدا يعرفن بالاسم ، وربما لاننا لم نكن نسبب له اية متاعب .. وربما لذلك كله ، وكانت كل واحدة منا تعتبره ابا لها ونحترمه جميعا ونقدره وكان يفصل حجرته عن حجرة الطالبات باب كثيرا ما كنا نسمع عليه طرقا ثم يدخل العميد يسألنا عن احوالنا واحوال الدراسة معنا وعما اذا كان ينقص الحجرة شيء ما ، وما الى ذلك مما كان يزيد تعلقنا به ..

ودخلنا حجرة الطالبات وامينة مستمرة في بكائها ونحيبها بصوت اقرب الى النهيق منه الى البكاء، تقطعه بقولها : لا بد ان اشيكهما للعميد .. كيف تبيح لهما اخلاقهما ان يغازلاني؟

كانت امينة تبكي وكنت ابكي معها ولكن من كثرة الضحك الذي لم استطع كتمانه لتخيلها انهما يغازلانها وبينما انا احاول ان اقنعها بعدم الدخول للعميد ومسامحة الزملاء اذ بالعميد يدخل علينا الحجرة ليسأل عن سبب بكائها وهو يتعجب من ضحكي، خاصة وانه ليس بالحجرة سوانا .

وما ان قصت عليه القصة حتى رأيت العميد يخرج منديلا من جيبه ويسرع به الى فمه ليكتم ضحكة عالية كانت قد انطلقت ولم يفلح في كتمانها عندما سمع قولها بانهما غازلاها بقول احدهما « الفتنة نائمة » ورد الاخر عليه لعن الله من ايقظها .

وبالطبع لم يكن العميد في حاجة الى ادراك الحقيقة ولكنه ارضاء لها استدعى الطالبين وهو يغالب الضحك وطلب منهما عدم التعرض لها مرة اخرى

ولن انسى ما حييت منظر الطالب الاول وهو مذهول مندهش ثم وهو ثائر لكرامته واستنكاره ان يغازلها وهو يقول باستغراب ، ليه ؟ جرى ايه في الدنيا ؟ اتقلبت حيوان ؟ ابتديت ارمرم ؟ تهمة .. فضيحة لي دي والله .. فيرد الاخر مواسيا بسخرية : معلهش ، ما تزعلش ، النفس الحلوة لها الجنة .

ورغم مرور هذه المدة الطويلة على الحادث فاني ما ان اسمع كلمة الفتنة او الفتنة نائمة الا وتسرع الى مخيلتي صورة العميد وهو يغالب الضحك ويحاول اخفاءه حرصا على شعور امينة ونظرته المندهشة المتطلعة الى امينة متعجبا ان يدور بخلدها رغم ما بها من غباء ان هناك طالبا مهما كان ذوقه يرى فيها نوعا من الفتنة ، فلا اتمالك نفسي من الضحك .

القاهرة — منيرة عبد الجواد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السراب

وشجرات البرتقال الثلاث

اطرقت رأسها تفكر
في المجهول كانت تفكر
انما ستائر اشجانها كانت تحجبه عنها؛
وعن دموعها

وعلى مرمى البصر...
رأت اشجارا باسقات
وحملت اليها انسام الصباح ؛
رائحة زهر البرتقال .

كانت اغصان الاشجار تتحرك من بعيد
من بعيد كانت اغصان الاشجار تتحرك
في قلبها تتحرك
في روحها تتحرك .

ثلاث شجرات كانت ماثلة
انسام الصباح معطرة لشذاها
السراب وشجرات البرتقال الثلاث
وقلبها الذي يتحرك
وروحها التي تتحرك

في المجهول كانت تفكر
في السراب كانت تفكر ..
واغصان الاشجار المتمايلة ؛
في قلبها تتحرك
في روحها تتحرك

حلب — علي بدور

من « الاصدقاء »

ثلاثة شعراء من ايطاليا

بقلم مصطفى آل عيال

○○○

ثلاثة من الشعراء تباعد الزمن بينهم وجمعهم الوطن ضمهم بلد واحد ولم يتعرفوا على بعضهم . ملأوا الدنيا شعرا وانشادا وفصاحة . ثلاث قيثارات جاب صداها الاعصر ، وانسابت موسيقاها في الاجيال شجية كئيبة مرنانة . عاشوا كما يعيش الناس ولكن لفنهم لا لانفسهم . لم يرووا غير الشعر وان من الشعر لسحرا تردده الافاق وتبعثه انغاما لها في النفوس وقع واي وقع وهي في الاذان ارق من نسيمات الصباح، وهي في الاذهان اشد من عاتي الرياح

ثلاثة شعراء لم يلتقوا في الزمن وكان بينهم وبين المجد موعد . لقد اختلفت مشاربهم واهواؤهم ولكل منهم منهجه وطابعه ، جمعتهم الشاعرية والعبقرية على صعيد الخلود وسط اكليل من الزهر كبير الدائرة اريج .

لقد تباعد بينهم الزمن وكان بين الواحد والآخر قرن او زهاء قرن .

كان مولد توركواتو تاسو Torquato Tasso عام ١٥٤٤ وكانت وفاته سنة ١٥٩٥ . ارستقراطي النبعة والتربية .

وولد بطرس ماتستازيو Pietro Metastasio عام ١٦٩٨ وتوفي عام ١٧٨٢ متواضع المحتد ، هو من صميم الشعب وعامته .

وثالثهم اوكو فوسكولو Ugo Foscolo ولد عام ١٧٧٨ وتوفي عام ١٨٢٧ . اسرته وسط موفورة الحال ، سرعان ما تألق نجمه ولم يعرف الافول وشغل بشعره ونفسه الربع الاخير من القرن الثامن عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر .

ثلاثة شعراء جمعت بينهم ثقافة واحدة كلاسكية متينة التراكيب ونهلوا من مناهل الاداب اليونانية واللاتينية الثرة ، وتألموا تألم البحاثة الحق يريد ان يتطلع الى كل ما في هذا الكون من اسرار ... وهيبات ثم هيهات ... وشادوا في بعض زوايا انفسهم معابد للقصص الخيالية والاساطير الخرافية . لقد تمكنوا من تحريك اوتار الشاعرية تحريكا لا مثيل له . وتمتع ثلاثتهم بعناق ربات الالهام .

في اعماق نفس التاسو Tasso آلام ومتناقضات متعددة الانواع هي كلها وليدة بيئة ذاك العصر القلق . كان يتلدد في آن واحد الى الوثنية والمسيحية ويتردد بين الجحيم والنعيم . كان يفزع من نفسه الى نفسه فتتنازعه الهواجس والسويداء ويظن بالناس الظنون فيهرب منهم ويعتزل بعيدا ...

وفي شعر الماتستازيو Metastasio لين منبثق من نفسه الرضية وقد انطبع بطابع القرن الثامن عشر وذهب مذهب الامثال اللطيفة فكان له وشوشة وريقات ازهار الربيع لامستها انامل نسيمات المساء بلونها الادكن الشفاف.

واطل فجر الثورة الرومنطقية واشتد ساعده من وراء طلعة الفوسكولو . هذه الثورة التي معناها معرفة الصراط الى النصر ونحن قاب قوسين او ادنى من الموت !

وهذا هو المفهوم الذي يسم بميسمه القرن كله فيتسرب منه الشيء الكثير الى القرن الذي نعيش فيه وقد خالطته ادعاءات كثيرة جوفاء ومثاليات متصدعة من الاخاء والحرية والمساواة .

واقام التاسو للجمال هيكلا في اعماق نفسه ، هذه النفس التي طالما خالطها الحزن والقلق . وهكذا نقرأ في احد مؤلفاته ـ « نجوى غزل » هذا التعريف : « الجمال هو كالعذراء الجميلة التي تكسو الافكار رونقا وبهاء وتلهم الشعر وتبعث الزفرات وترقرق العبرات وتهيجها وتلطف الالام وتبرد من لواعج الهوى والهيام . الموت جميل وكذا الجراح التي تسببه . جميل الهواء والارض والسماء والانهر والينابيع والجنائن في الربيع والاودية الموحشة والادغال الموغلة والجبال الشاهقة حيث النور والكهوف المدلهمة حيث الظلام البور . الجمال كالشمس النيرة يضيء كل ما حوله» .

ان العالم الذي يمسك على التاسو انفاسه ويملأ حجيرات قلبه هو عالم الشعور المرهف والاحساس القلق والهوى الكظيم المردي . لقد شقي كثيرا في حياته ، وشقاؤه هذا من جملة وساوسه . لا شيء يسليه ولا علم يجديه ولا شعر يلهيه . ومثله كمثل راكب البحر في يوم ماصف تطير امواجه كالجبال الراسيات . كانت تحف طريقه الى المجد الاشواك الدامية ، فتعب وتألم وتعذب ولم يأته المجد من الابيات « القدس المحررة » حيث تبرز شاعريته الفذة الا والزفرات الاخيرة تخالط حشرجات الموت .

ان جل شهرته ترتكز على ملحمة من الشعر في الاف الابيات «القدس المحررة» حيث تبرز شاعريته الفذة وخياله الواسع الخصيب ونفسه الطويل ، فيها وصف كامل لجميع الحروب الصليبية وما رافقها من احداث وتقلبات يملأ هذا الوصف كله خيال مبدع محلق . وفي هذه الملحمة كثير من التجني على الشرق ، كثير من الافتراءات وربما كان ذلك سببا من جملة الاسباب التي ساهمت في تشويه سمعة الشرق وتعكير صفو العلاقات بينه وبين الغرب . وبالرغم من كل هذا لا يسعنا الا ان نقف وقفة الاكبار والتقدير لعبقريته وشاعريته الخلابة بغض النظر عما افترته وتجنته وعما تركته من شنيع الاثر في نفوس بعض الشرقيين الذين واتتهم الفرصة فقرأوا ملحمته .

لم يمت الا ومس من الجنون ران على حجاه وملك عليه منافذ حياته . وقد كتب في اواخر ايامه الى صديق له كاهن : « انا اتعس رجل شريف على هذه الفانية ... ولقد حان الوقت الذي يجب ان تزول عني تعاستي او تزول عني حياتي ... »

ولم يكن الماتستازيو Metastasio اخا اسفار ، واقصى رحلة قام بها كانت بين نابولي وفينه . ولقد تخطى الزمان والمكان حسب طريقته هو . لا يحب العمل الكثير فهو والحالة هذه قليل النشاط ومع ذلك فقد ابتسمت له الشهرة من زوايا الارض كلها . ودعي بالاجماع الشاعر « الملهم » .

هو اشبه بآلة موسيقية كاد الزمن يأتي عليها ليستبدلها بغيرها اجد منها واحسن . وكان بيت الشعر في قصائده قصيرا يدور حول نفسه ويتخطى الحدود ويزيل الفوارق بين الناس والثقافات والاذواق وما شاكلها.

Mustafà Al Ayal — Centro per le Relazioni Italo-Arabe Roma.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا فانه يلفت اليه انظار العالم وينتزع اعجاب الناس فيهللون له ويطربون .

تختلط عنده وتتشابك التعبيرات السطحية ذات التأثير الخيالي ببعض المقاطع المكتفة من الحكم . هو كهربائي الانتفاضة وبليد في آن واحد . يمزج ومضات العبقرية الى عبارات التهذيب المصطنع . له في كل منعطف مفاجاءات ودغدغة وتأثير . لم يفته شيء من التعبيرات السائدة في عصره ، موزون الاقوال شعره مطواع له . هو كالينبوع البارد المتفجر يتفتح الالهام عنه كما تتفتح الازاهر عن البراعم . ولقد الهبت مآسيه بعض عباقرة الموسيقى امثال موزرت وبيتوفن .

الفن والحياة توأمان لا ينفصلان بالنسبة اليه ولقد كتب عام ١٧٣٣ في ديوانه « اولمبياد » هذه القصيدة ذكر فيها افتراقه عن صديقين حميمين له فتأثر حتى البكاء . ثم تعجب من تأثره هذا وآل به ذلك الى اطالة التفكير عن النشاط الزائل الذي نبديه ونحن احياء فهو بنظره نشاط ضائع سدى .

احلام واساطير تتنازعني فابثها
الطرس الابيض وبيدي اخطها
هل مسني الخبل فاقاسمها مغامراتها
وابكي الالم وقد افتريته ، واغضب له .
آه ، لا ادري ماذا انشد واخط ،
اساطير هي . اخشى كل شيء وآله
الخوف اكذوبة . افيق واغيب معا
تجري حياتنا مجرى الحلم ...
دعني اجد يا الهي متى بلغت اليقظة
الراحة في صدرك صدر الحق .

اما ثالثهما ، اوكو فوسكولو Foscolo فانه يضم بين ذراعيه حياة عالمية النزعة شاسعة الافق . يتوسع بنظراته الارض والبحار والقبة الجوزاء . ينقل الفكر في ارجائها فاحصا ثم يرتاح اليها فيقول « الكون غابة فيها الوحوش الضارية ترتع وتمرع » . ثم يهتف هتافا متواصلا فيقول « اصعد في الجبل الشامخ فانتصب فوق قمته لاهثا فافتح ذراعي نحو المشرق وانتظر الغزالة ... » . لقد احب الشمس اكثر من ميليه فغناها وهتف لها وقدسطعت في الحقول فوق السنابل الذهبية المتوجة ، ولمعت على نصل منجل الفلاح ... ان عيني المسجى على فراش الموت تفتشان عن الشمس ... والزفرات الاخيرة تصعد من الصدور والى نور الشمس تتجه .. »

وفي كبرياء الحصول على الحرية والذود عنها مهما كلف الامر ، كان يعتبر « ... فقر الذي لم يسخر ذكاءه لذوي السلطان ولم يستسلم بنفسه الى المصائب والاحن ، كان يعتبر فقر هذا الانسان فقرا عظيما مشرفا » ..

حمل القلم والسلاح معا . وكان هذا من دواعي فخره وافتخاره . ولما جرح في جسده وفي نفسه هتف قائلا « انا نفسي اتحسس جراحي وحيث هي اشد عمقا والما انكؤها لتصير اشد مضاضة ، ثم اتأملها وهي تدمي وتنزف فيلوح لي ان استشهاداتي والامي تحمل لي التكفير عن ما سبق واقترفته من الاثام . »

هذه القسوة في الفوسكولو سرعان ما يخبو اوارها وتصبح وديعة حلوة حينما يعثر على قوافيه الشعرية وانغامه الموسيقية الممتعة في « السلم بولكري » اي المقابر ، و « لا كراتسيه » (ربات اللطف) ، و « لا ميكه ريزاناته » (الصديقة التي ابلت) :

.... واذا انسام الليل الرطيب
هبت تدغدغ زبد الموجات
سمع لها عتاب تأوهات الاوتار

ـ نفي فرافقه في منفاه حزن بعيد الغور ، بعيد الاثر في نفسه المرهفة الحساسة . ان قساوة الفراق ومضاضته وانقطاع الروابط الانثوية من حيث هي رقة ولطف ، كل هذا مجتمعا الهمه قصيدة من الشعر يفضلها الكثيرون المعجبون به على قصيدته الشهيرة التي وصف بها نفسه .

حسبت ان الزمان وشظف العيش والصخور
التي اجتازها لاهثا والادغال
الموحشة ابدا حيث تأوي الضواري
حسبت ان تكون لقلبي بلسما .
ايها الامل الاجوف آه منك . يتبعني
الحب قويا بين ظلال الجحيم الابدي

هؤلاء ثلاثة من شعراء حوض البحر الابيض المتوسط هؤلاء هم قيثارته الطبيعية . اشعارهم الخالدة مفعمة انغاما ودغدغة ، يصعد صداها من صفحة اللازوردي فتجلجل وتملأ ارجاءه وتنبث في بلدانه .

كم مضى من الزمن طي هذا كله . ليس للزمن تأثير على الثروات الجمالية . للشعر الخالد اريج لا ينقطع ونشوة ابدية لا تصطنع . وللعبقرية عروش لا تتصدع .

روما

مصطفى آل عيال

منشورات عويدات

نحو ثقافة انسانية

ص.ب ٦٢٨ بيروت ـ تلفون : ٤٢٦٦٠

صدر منها حتى الان : فروش لبنانية

ـ ازمة الشرق الاوسط ١٢٥
ترجمه عن الانجليزية الراصد العربي

ـ في القومية والانسانية ١٥٠
للدكتور كمال يوسف الحاج

ـ في القومية العربية ١٥٠
للاستاذ عبداللطيف شرارة

ـ تاريخ الادب الروسي ١٥٠
للاستاذة مارسيل اهرار

قصة اردنية

بقلم سليمان موسى

الارض والحب

كانت اعواد الذرة الخضراء قد ارتفعت في الحقول ، وبدات سنابل بعضها تشق اكمامها وتتفلت من محبسها لتواجه ضوء الشمس ، حتى اذا هبت عليها نسمات المساء المعطرة تمايلت على بعضها كانها قامات الصبايا الغضة ، وسمع لها حفيف ناعم اشبه ما يكون بهمسات الاحبة ووشوشات العشاق .

وسار خليل في الطريق التي تخترق تلك الحقول ، يسوق حماره الاشهب ولكن دون عجلة او انهماك ، ويبدو ان الحمار كان يدرك مزاج صاحبه فلم يكن يتورع ان يميل تارة الى يمينه وتاره اخرى الى يساره كي يقصم ، بشيء من النهم ، ورقة من اوراق الذره او نبتة من نبات المديد الذي ينمو على اطراف الحقول ويستمد ريه من هذه الشجيرات النامية حواليه .

والحقيقة ان خليلا كان يستمتع بتلك الامسية ويستنشق النسيم بملء رئتيه ، ويشعر بالحياة المتوثبة تتدفق في عضلات جسده ، كان يحس بعواطف مطربه وهو يتملى من هذه المناظر الرائعة الخلابة ، مناظر الريف في بلاده الحبيبة . لم تكن هذه الحقول ملكا له وحده ، بل كانت قد قسمت حصصا بين اهل قريته ، واشترك الجميع في حراثة الارض وفي بذرها وفي تعهدها ، ولكن هذا كان امرا طبيعيا بالنسبة له في الارض متسع كاف للجميع . ولقد توارثها الناس عن ابائهم واجدادهم ، حتى صارت جزءا لا يتجزأ من كينونتهم ، بل صارت في الواقع اكثر من هذا بالنسبة لهم . انهم يتعاقبون عليها جيلا بعد جيل ، يجوسون خلالها في ايام الصبا ، ويتعهدونها بعرق جباههم في ايام الشباب والكهولة ، ويسيرون الهوينا على اطرافها في ايام الشيخوخة وهي باقية كما هي ، كانها الازل الخالد ، لا تتغير ولا تتبدل ، ولا يعرو مفرقها المشيب .

وها هو الان يمزج حياته بحياة هذه الارض كما مزجها من قبله ابوه وجده ومئات الناس من اهل قريته ، وهو لا يريد ان يساءل نفسه اذا كان سعيدا ام لا . فما هي السعادة اذا لم تكن القناعة والرضى ، وهو لا يشك في انه راض قانع بحياته الحاضرة .

لقد نشأ خليل في هذه القرية كما ينشأ سواه من ابناء الريف ، وارسله ابوه الى المدرسة الابتدائية ثم بعث به الى المدينة كي يتم تعليمه الثانوي ، ولكن اباه لم يلبث ان توفي ولم يكن هناك من يعني بامه واخواته سواه ، واشار عليه بعضهم ان يبيع قسما من الارض التي ورثها عن ابيه كي يتم تعليمه ، وذات مرة اخذ يحلم احلاما طويلة عريضة عن المستقبل ، تصور نفسه موظفا من موظفي الدولة ، يدخن السجاير الفاخرة ويمضي الى عمله في تمام الساعة الثامنة ، ويقضي امسيات ايامه متعطلا متبطلا بين منزله والمقهى . اليست حياة الوظيفة مطمحا غاليا بالنسبة لمعظم هؤلاء الفتيان الذين يتعلمون في المدارس ؟ واستشار امه في الامر فلم تستطع ان تعطيه رايا جازما ، فهي من جهة تريد ان ترى ابنها افنديا ، من هؤلاء الذين تشير اليهم بنات القرية بالبنان ويتحدث عنهم الفلاحون بشيء من التهيب والتوقير ، وهي من جهة اخرى لا تحب ان تفقد حفنة واحدة من تراب هذه الارض الطيبة التي ورثها خليل عن ابيه .

هذه الارض المعطاء التي تفتح صدرها كل عام لحبوب البذار وتعطي من ذات نفسها اضعافا مضاعفة لكل حبة دخلت في جوفها .

لم تكن الارض بالنسبة لام خليل شيئا ماديا يمكن ان يقدر ثمنه بالنقود انها اكبر قيمة من ان تباع ، فهي جزء من كيانها العائلي ، جزء حي له روح وله قلب وله وجدان ، واولئك الذين عاشوا من غلة الارض وعاشروها على مر السنين يستطيعون ان يدركوا مبلغ الصدق في شعور هذه السيدة نحو ارضها . ولقد تحدثت هي لابنها بشيء من هذا ولكنها لم تستطع ان تتغلب على طموحها في ان يغدو رجلا يشار اليه بالبنان كما يزعم الزاعمون وفهم خليل حقيقة عواطفها وكان فتى متبصرا رزينا ، وقد اولع بتسلق اشجار الزيتون منذ صباه الباكر ، فعز عليه ان يرى واحدة من زيتوناته ملكا لشخص غريب ، عز عليه ان يفقد قطعة من هذه الارض التي احتفظ بها اهله منذ مئات السنين . انه لن يكون الولد العاق ولن يرتكب هذه الجريمة .

وها هو الان يسير الهوينا بين اعواد الذرة الخضراء . لقد مرت عليه بضعة اعوام بعد ان غادر المدرسة الى الحقل . اما العلم فقد تزود منه بما يعينه على العناية بنفسه ، وهو لم يطلق العلم على كل حال ، انه يبتاع الصحف والمجلات ليتصل باحداث العالم الذي يعيش فيه ، وهو يجد من الفراغ ما يستطيع خلاله ان يستمتع بقراءة كتاب ، وان الرواية الجيدة والقصة الطريفة لتجد في نفسه مكانا اثيرا . ولكن لا بد لاي امريء ان يعمل في هذه الحياة ، وقد اختار خليل ان يؤدي عمله في الحقل يتعهد الارض ويعني باشجار الزيتون ، والارض لا تبخل عليه بغلالها وكذلك الزيتون .

وهبط كتف تلة صغيرة قبيل وصوله الى القرية ، وكانت الطريق تنعطف قليلا الى اليمين . وهناك خفق قلبه خفقات متلاحقة سريعة اذ شاهد نعيمة تسير امامه برفقة اخيها الصغير .

وساق حماره باهتمام وعندما اقترب منها تنحنح فالتفتت الى الوراء وحياها بحرارة وشغف فردت تحيته بشيء من الخفر والحياء .

وقال اخوها الصغير مزهوا مباهيا: انظر يا خليل ماذا وجدت

وفتح الصبي كيسا من القماش الابيض فشاهد فيه بعض حبات من القثاء والخيار .

ورفع الصبي عينيه اللامعتين الى وجه خليل ومضى يقول : لقد وجدت هذه بين اعواد الذرة في حقلنا، واكلت واحدة منها فوجدتها حلوة الطعم كانها قصب السكر . سوف اوزعها على اخوتي واخواتي وساعطي واحدة لابي وواحدة لامي .. اتريد واحدة لك ، خذ ، انها لذيذة الطعم .

وابتسم خليل في وجه الصبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دموع على ورق

يا ادمعا على ورق
بها السطور تحترق
ماذا وراء ما نقول
سوى الشحوب والنحول
وغير لوعة القلق
الفيتني ذات صباح
مطوفا ، مع الرياح
فقلتُ: فلاكن شعاع
ينير عالم الضياع
في هالة من الالق
يا رفقتي هي الدموع
احيلها لكم شموع
لكي تنير ، ها هنا
لكي تصير سوسنا
لكي تبعثر العَبَقْ
جعلت قلبيَ الصغير
نجما مجنّحا ، ينير
ينير كوننا الكبير
يبيد عالم السعير
يزيد ذلك الشفق
كلامنا ندى الصباح
غناؤنا شجى الجراح
نصوغه من القلوب
وفي قلوبكم يذوب
كالنور يسكن الحَدَقْ
نسيجه أسى اليتيم
ولونه ، دمُ الكليم
وفيه صرخة الذبيح
وفيه بسمة المسيح
وشدو شاعر عشق
تميمة ، لعاشقين
وصرخة ، لثائرين
نبثها ، بلا ثمن
هدية ، على الزمن
تزهو ، ونحن نحترق
ونحن حينما نموت
نمضي هناك في خفوت
مخلفين ، للوجود
شذى الزهور والورود
وأدمعا على ورق

القاهرة — **عبد المنعم عواد يوسف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وربت على خده وقال : شكرا يا شاطر ، ابقها لاخوتك . أترى كيس الحشيش على ظهر الحمار ؟ لقد خبأت فيه كثيرا من القثاء والخيار ، وسوف اوزعه انا ايضا على اخوتي

والتفت خليل الى نعيمة وقال :هل شاهدت البقرة البرشاء التي اشتريناها ؟ انها تشبه احدى بقراتكم

وقالت نعيمة ـ اجل يبدو انك تريد ان تستكثر من الحيوانات .

واجاب خليل ـ هذا صحيح لقد صممت ان اكون فلاحا اصيلا، ويبدو لي انني ساسعد هنا . كل شيء يتوفر لي ، وانا احب قريتي واهل قريتي ، انا احب هذه الربوع التي نشأت فيها . ان كل هضبة منها تذكرني بيوم من ايام صباي ، وكل درب من دروبها تحمل لي الوانا شتى من الذكريات ، السنا نبحث عن السعادة والاستقرار ، السنا نبحث عن تحقيق امل ما .. او هدف ما في حياتنا ؟ صدقيني يا نعيمة انني أجد تحقيق امالي واهدافي هنا ، في المكان الذي عاش ابي وجدي فيه، واشعر ان الحياة في القرية اكثر التصاقا بالطبيعة واشد اتصالا بالبساطة من الحياة في المدينة .اننا نستطيع هنا ان نمضي على سجيتنا في كثير من امورنا .. قد لا يقنعك قولي هذا يا نعيمة ولكنه يعبر عما في نفسي حقا .. ولا اكتمك ان هناك سببا اخر يشجعني على البقاء .

ورمقته نعيمة بنظرة من جانب عينها كانها تسأله عن ذلك السبب فمضى مسترسلا في حديثه :

ـ هناك سبب اخر ولا احسبك تجهلينه لقد مررت قبل يومين بالزيتونة التي اعتدنا ان نجلس تحت ظلالها . الا تذكرين ذلك اليوم عندما خرجنا عصرا وكنت مع اخواتك ، لقد خطر لي ان ادفن في جوف الارض قشور الرمانة التي اقتسمتها معك ، ولا ادري لماذا خطرت لي تلك الفكرة، وعندما عدت ابحث عن اثار القشور قبل يومين وجدت انها قد بليت وامتزجت بالتراب . ولكن حبي لم يلحقه البلي يا نعيمة ، وانا ما زلت على العهد .

واستدارت نعيمة نحوه بعينيها الواسعتين ، ثم غضت بصرها خجلا ، ولكن صعود الدم الى وجنتيها دل على حقيقة مشاعرها نحوه .

واشرف ثلاثتهم على القرية الوادعة، وكانت نسمات المساء المعطرة ما تزال تعبث باعواد الذرة الخضراء.

عمان — **سليمان موسى**

المرض بين الفكر والجسم

مهداة الى الجراح الدكتور بهيج عازوري

لماذا كان المرض ولماذا يكون ؟ والاصل في الحياة السلامة، فاحرف العلة قلة في اللغة واستثناء .

لماذا كان المرض ولماذا يكون . اليس الاجدر ان نتسائل لماذا كان الموت ولماذا يكون ؟

وقد يظن ان المرض مقدمة الموت او نذيره او الدليل عليه . كان المرض عندما وجد الموت ، وكان الموت اذ كانت الحياة ، ولعمري ان هذم البديهيات سيستسيغها طلبة « البكالوريا » في باب الانشاء .

على ان هذا الموضوع العادي لا يخلو من دقة ، فالمرض قد يكون افدح من الموت لذلك نهض في بعض بلدان العالم من اثر الموت فعال باختصار الام المريض في الاجهاز عليه حين يثبت ان مرضه عضال وانه امتداد للعذاب .

يظن المريض الواهي العزيمة ان مرضه هو النافذة التي يطل منها على الدنيا الاخرى ، واذا كان متفائلا عد مرضه مفرق طريق لحياة منغصة او لموت محتم .

ولو عاش الانسان العمر كله سليما معافى لما ترآى له شبح القمر فالسير في جنازة الاخرين رفقة طريق الى مكان ينساه المعزي بعد شده الكف ، فالنكبة لا تكون عبرة الا اذا مست الشخص بذاته .

المرض اعتلال عضو في الظاهر وفي السرير ، وهو اعتلال الفكر في الباطن ، والفكر يهيمن في المرء على روحه، ومعنويته ودورة دمه ، على لدته وسعادته ، على نظرته الى الحياة ، ولقلما مرض امرؤ فظل في حالته الفكرية السليمه اذ انه يصبح فريسة الكآبة منذ الساعة الاولى ، وريثة في مهب الهواجس ، وهنيئا لمن يتالم جسده ولا يتالم فكره ، انه المريض الاصم ، المريض الصنم ، اما مرضى الافكار والهواجس فهؤلاء هم المتالمون حقا .

ان مرض الجسد عارض . ومرض الفكر اصل ، ومن العسير مسح الغيوم من فكر الانسان ومن اليسير انتزاع الزائدة من جنبه . مرض الجسد لمس ومرض الفكر حس.

واعتلال الفكر قد لا يوافق فداحة العلة او تفاهتها فكل مرض حتى الزكام يشرك الفكر في قلقه وهاجسه فنشاط الفكر يعتل حتى عند « المزكومين » لانشغالهم بالمناديل .

لست هنا في معرض بحث طبي فابين انواع العلل واسبابها ومعالجتها ، ولكنه بحث يشعر بقدره كل من انتابه مرض في حياته فالمرض هو — الى ان يزول — مفض الى شلل فكري لا يستثنى منه الفيلسوف ولا الجاهل ، ذلك ان الناس يتساوون امام المرض ، فمرض الفيلسوف كبقية الامراض ، لان هواجس فكره عظيمة وان اتسع فكره ، ومرض الجاهل ذو هواجس وان ضاق فكره فكلاهما فريسة الهم والكدر والقلق والخوف وقليلا ما استطاع المريض ان يكون فيلسوفا فياخذ المرض على علته !

وثمة متشائمون يرون ان نزلاء القبور اناس كانوا اولا نزلاء المستشفيات ، وان خشب السرير في المرض قد من خشب النعش ، وان غرفة الاستشفاء هي الرتاج الذي يتقدم باحة القصر الابدي لذلك منعوا على المريض اخبار السوء هذا ولا بد من ارادة مكينة تطرد الوساوس ، وموليير لم يكن هازلا في شيء يوم وصف المريض بمريض الوهم ، لقد اسموه وسواسا وهاجسا وقلقا واضطرابا ، واسميه اعتلالا للفكر رافق اعتلالا للجسد ، ولا سيما متى جهلنا هل الفكر هو ايضا لحم ودم يتاثر بالوجع والالم ام هو شيء من الدماغ وقد خص الله به الادميين ، ومن زعم لك ان الحيوانات لا يعتل « فكرها » باعتلال جسدها أفما رايت القطة تنقطع عن الطعام وتبدو عليها الكآبة نتيجة انشغال بالها حين يعتل مزاجها .

والمرض على الجملة تبرم بحالة ، وحالة نفسية مزعجة ، ولا سيما اذا كان المريض مرهف الحس ، حامل تبعات ، وعلى كل فالمرض محطة كبرى ينزل فيها المسافر من قطار سريع ليبدل به قطارا بطيئا قد يوصله وقد لا يوصله الى نهاية مطافه .

والليالي من طبعها طروب حتى في حلكتها ، وهي للعشاق رداء كثيف وميدان واسع للنجوى ، اما ليالي المريض فهي اتعس الساعات واطول بكثير من ليالي النابغة، انها على عكس ليالي الحب والهوى .

والمريض حتى ذاك العزيز على قلب ذويه ينقل شلل الفكر اليهم ان الناس يتبرمون بالمريض ، واذا كانوا انسانيين تبرموا بالمرض ، اما عيادة المريض فسخرة ، وطاقة الورد يؤثرونها للعرائس ، والعياذ بالله اذا كان المريض على ثراء والوارثون على عوز !

ثم اعلم ان المرض علة اجتماعية اذ انه يعطل النتاج فكل مريض فم فاغر ومعدة عالة .

وتذهب جماعة المتفائلين الى القول ان المرض يفتق العبقريات فلولا داء الزهري مثلا في الفيلسوف الالماني نيتشه لما طلع للبشر بفلسفته المضطربة ولولا عمى ابي العلاء لما كانت لزومياته وسقط زنده ولولا سل الرئة عند الفرد دي موسه لما حمل الاخطل الصغير على تعريب شعره

اما مركب النقص فهو مرض ايضا . يحسه الرجل المعتل اكثر مما يحسه الرجل السليم لانه يحس بانه دون الاصحاء صحة وعقلا واطمئنانا ولذة وقدرة ، فتلعب الانانة دورا خطيرا في حياته ، الانانة السلبية وهي غير عاطفة الحسد. ان الحسد يداوى بالكد في سبيل اللحاق بالمحسود ولكن انانة المريض اغتباط لا يقوده الى الشفاء..

والقلق الفكري وحالة المرض صنوان متلازمان بل هما حلقة مفرغة فالمرض يقلق ، والقلق يمرض وقديما كان العلاج بالاستهواء .

هذا وان كل مخلوق مريض في فترة من فترات حياته ذلك ان في جسم المرء عضوا اضعف من سائر الاعضاء ، وهذا العضو تفضحه الاعضاء القوية .

واخيرا فان الكون باسره مستشفى فالجروم مستشفى مرض الضغط الدموي ، والبحار مستشفى الامراض الجلدية ، والمدارس مستشفى الجهل ، وميادين الحروب مستشفى تكاثر النسل ، والخمارة مستشفى التعساء، حتى الحدائق العامة فانها مستشفى الاطفال والعجاز

ان الكون بجملته مستشفى ، والحياة جميعها مراحل امراض ، والارض ومن يمشي عليها تراب فوق تراب ، وهذه المقالة كتبت في حالة اعتلال الفكر .

توفيق وهبه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثلج

لعدنان مردم بك

دمشق

تساقط من حالق والرياح ... كثكلى لها من شجون نواح
تهاوى كذات جناح هوت ... عن الوكر مثخنة بالجراح
ورفرف يبسط في عاصف ... جناحا ويطوي لذعر جناح
ترى الثلج يخفق عند الهبوط ... خفوق ابن جنب لوقع الصفاح
وتبصر بين تلافيفه ... صفاء الغدير وطهر الصباح
واثباجه لجج من لجين ... تهاوت بساح وماجت بساح
ويشجيك منه سقام امرىء ... طليح ورعشة أيد شحاح
صحائف للثلج منشورة ... على الارض ملء الربى والبطاح
تطالع كل طريف بها ... عن الناس في الزمن الغابر
وراحت يد للصبا تغزل ... من الثلج أفواف برد قشيب
تخال الضحى بين طياته ... يموج بسحر ويهمي بطيب
وتحسب بالنجم أفوافه ... تشع سنا بالبريق العجيب
تغطت به الارض واستسلمت ... الى النوم مجهدة من لغوب
ونامت على ضجر تحلم ... بدفء الضحى في الربيع الخصيب
وللدوح اغفاءة من فتى ... مريب واشجان صب كئيب
هوى رازحا تحت أشجانه ... كشيخ هوى تحت عبء الخطوب
مطارف للثلج منشورة ... بايدي الصبا في الفضاء الرحيب
تحاكي شراعا بجنح الدجى ... تململ من عاصف ثائر
تخال الطبيعة في موكب ... بهيج السنا بالكساء الانيق
وتبصر فيها عروسا زهت ... بثوب مهيب وقد رشيق
تبرجت الارض في أبيض ... من الثلج يحكي بياض الشروق
وتلقى الرياض بأفوافها ... تمايل تيها بوجه طليق
كأن الربيع بها ناشرا ... مطارفه في الفضاء السحيق
واعلامه في الربى رفرفت ... بقادمة من جناح المشوق
وتحسب ما ماج فوق الثرى ... من الثلج امواج لج عميق
وتحلم بما نثرته الصبا ... فراشا بليل أضل الطريق
يرفرف من حيرة ضاربا ... جناحيه في دهشة الحائر
أراك تشيحين في لوعة ... وللحزن عاصفة في الصدور
والمح في مقلتيك الاسى ... أطل بمخلب ليث هصور
ووجهك منقبض كالدجى ... به من شجون الليالي سطور
وقفت تطلين من كوة ... بقلب جريح وجفن ضرير
وحلقت في افق مظلم ... بقادمة من جناح كسير
فلم تبصري من فتون الحياة ... سوى ظلمة الليل عند القبور
شجاك من الثلج ما صورت ... يد الشك من سوء ليل المصير
ذكرت به الشيب في لوعة ... فجاشت دموع وغصت ثغور
وخلت مطارفه في الربى ... حكت كفنا من أسى ظاهر
أرتك الوساوس لمع الضحى ... بهيم دجى عاصفا بالقتم
وما العيش الا الذي ابدعت ... يد الوهم من صحة او سقم
ودنياك ما انت صورته ... من الامل الحلو او من الم
رايت من الثلج فوق الربى ... كاكفان ميت طواه العدم
واشجاك لون له كالمشيب ... أطل بفود عجوز هرم
وما القبح للثلج بل للنفوس ... بما نسجت من بهيم التهم
هل الثلج غير روؤى فتحت ... بصدر السماء ورجع النغم
على صفحتيه يطل الربيع ... مدلا ويعصف تيها كيم
والمح في الثلج طهر القلوب ... وما شع من امل زاهر

حول مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين

بقلم يوسف اسعد داغر

○ ⊙ ○

قيض لنا ، كما قيض لفريق كريم من ابناء الدول العربية ، ان نحضر الى جانب وفود الدول الغربية العديدة ، مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين ، المعقود في مونيخ من ٢٨ آب الى ٥ ايلول الماضيين ، وان نساهم ، قدر الطاقة باعماله ونشاطاته . ولما كان هذا المؤتمر ، حادثا ثقافيا وعلميا خطير الشان والاثر تجاوز بتأثيره ووقعه ، المكان الذي عقد فيه ، والدولة التي هيأت له الاسباب ودعت اليه ، والاشخاص الذين نهضوا بأعماله ـ الى مجالات ارحب واوسع ، واجواء اشمل وابعد ، وامكانيات اوحى لنا واخصب ، رأينا لزاما علينا ، ان نحمل الى قراء مجلة « الاديب » الغراء ، شيئا من قسمات الصورة التي تبلورت في نشاط هذا المؤتمر واعماله . فيتتبعون من خلال هذه السطور ، بعض وجوه النشاط العارم الذي انماز به مؤتمر مونيخ الاستشراقي الاخير وشيئا من اعمال وفود الدول العربية التي تمثلت في المؤتمر المذكور ، ووفود الدول الغربية الاخرى ، وما القي فيه من الابحاث والمحاضرات التي تناولت في مجملها ، معظم مظاهر الحضارات والمدنيات الشرقية ، قديمها وحديثها على اختلافها . بين فكرية وثقافية وفنية ودينية وغير ذلك .

كلمة عامة في الحركة الاستشراقية

الاستشراق لغة ، مصدر استشرق ، وزان : استفعل ، اي طلب الشرق ومال اليه ، واتجه منه وحدب عليه . واصطلاحا حركة علمية ، دولية ، عالمية ، عنيت ولا تزال تعنى ، بدراسة المدنيات الشرقية . وبما اندرس من مظاهرها وما استقر وبما تمثله هذه الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية ، وادبية ، وفنية ، ومذاهب ومدارس ، وبرامج ومناهج ، وبما الى ذلك كله من اثر ظاهر ناطق ، شاهد على ما تبدى من مظاهر الحياة ، في بلدان آسيا وافريقيا . خليق بان نحييه نشرا وطباعة ، ونميزه صورة وروحا ، ونبعثه قلبا وقالبا .

فالمستشرق ، والحالة هذه ، هو من جمع بين الانقطاع الى درس بعض نواحي المدنيات الشرقية ، قديمها وحديثها ، دانيها واقاصيها ، وبين الوقوف على القوى الروحية والفكرية والدينية التي تفاعلت معا وانفعلت ، بعضا ببعض ، فادت الى تكوين الثقافة الانسانية . فهو ، الى هذا ، من تعاطى درس هذه الحضارات في شتى مظاهرها ، ومن امكنه ان يقدر شأن العوامل المختلفة ، التي تضافرت معا واسهمت في طلوع المدنيات القديمة .

وهذه الحركة العلمية الشاملة التي تتناول مظاهر حضارات الشرق ومدنياته ، هي قديمة العهد ، قدم الاتصال بين الشرق والغرب والعكس بالعكس . فقد مرت على الحركة الاستشراقية اطوار وادوار ، اصارتها على ما هي عليه اليوم من شمول واتساع ، واطلاق ودولية ، ومن احياء وتتبع ، ونشر وطبع ، ودقة وتقص .

واخذت هذه الحركة العلمية تتطور سريعا ، خلال الاحقاب التاريخية التي درجت عليها ، سيرا مع سنة الرقي والنشوء ، وتطور اسباب البحث العلمي على شرائط حازمة من الدقة والاصالة الناهضتين على الوثيقة الاصيلة ، وظهور وسائل وذرائع علمية جديدة ، فيها من دهاء الكشف والتظهير والجلاء ، ما يفتح امام العقل مجالات رحبة للنظر والمقارنة ، والتحليل والمعارضة . وقد اشتدت هذه الحركة اوارا واضطراما ، بظهور عصر الانبعاث العلمي في الغرب ، في اخريات القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ، والاقبال فيه على الدراسات الكتابية وما تقتضيه من دراسات تاريخية ، لغوية ، السنية ، ومعارضات ومقارنات ، والحاجة البادية في التعرف الى بلدانية الاقطار الشرقية وجغرافيتها التي كانت مهدا لهذه الحضارات ، فحفظت بين ثنايا تربتها ، ومطاوي صخورها وجبالها ووهادها ، ومجاريها المائية ، ومسالكها البرية والنهرية ، الشيء الكثير مما تفتحت عنه هذه المدنيات المتدافعة وآثارها الناطقة .

واشتدت الحركة نشاطا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، مع طلوع الدول الكبرى في الغرب واخذها بناحية ثورة صناعية علمية واقتصادية عارمة ، ناهضة على اسس مكينة من العلم المؤصل ، وبروز مطامعها الاستعمارية فخلصت تدريجيا مما علق بها من نوازع وشبهات دينية شابتها من قبل ، ليحل محلها اغراض ومآرب توسعية ، سياسية ، اقتصادية ، شعبية ، الى ان اصبحت هذه الحركة العلمية ، في القرنين التاسع عشر والعشرين ، تيارا زاخرا رسخت اصوله ، واعرقت عميقا ، وزكت مذاهبه ، وتعددت روافده ، واستبطرت مجاريه في عواصم الممالك الغربية ، الكبيرة والصغيرة ، منها على السواء ، الى ان عمت دور العلم الكبرى وما اليها من جامعات ومعاهد وكليات . وقامت ، تباعا لذلك ، مؤسسات ومنظمات ، تعمل بهدي الحكومات وارشادها وتشجيعها المادي والادبي ، في كل ما يؤول الى تقوية هذه الحركة ، والتنقية لها ، والتمكين لاصولها والترسيخ لجذورها ، وذلك بالعمل على الاحياء العلمي للتراث الشرقي ، او باقامة المعارض العامة والمتحفات التي تفص بالدرر الغوالي ، التي تخلفت عن هذه الحضارات والمدنيات في ابهى ادوارها وازهى اطوارها ، كما نشطت لاقامة المؤتمرات الدولية لها ، دورا بعد دور ، ويحضر هذه المؤتمرات المستشرقون على مختلف اختصاصهم ، من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستعربين ومستحضرين ، ومستتركين ومستسامين ، ومستحبشين ومستهودين ومستعجمين ومستهندين ، الى غيرهم ممن استبحروا بالدراسات الامهرية والبربرية ، والاندسية والبوزنطية ، والصينية واليابانية . فيتوافدون من مشارق الارض ومغاربها ، ليكهنوا للعلم والمباحث الاستشراقية ، يبحثون فيها ويعارضون ، ويناقشون ويجادلون ، ويستعرضون وجوه الراي في ما جد عندهم من كشف مثير وراي خمير ، وفكر رحيب ، واقتراح خصيب . وينتظم هذا الرهط الكبير من العلماء المنقطعين للدراسات الشرقية على اختلاف مناحيها في عقود جمعيات علمية ، وطنية او دولية ، لها مراكزها ونواديها ، ومكتباتها الخاصة ومجلاتها العلمية المرصودة على المباحث المشرقية ، فيساهم اعضاؤها الكثيرون ، بين مقيمين ومراسلين ، متضامنين معا متضافرين ، في اصدار منشورات علمية تعمل في تظهير الرميم من عاديات تمت بسبب اصيل ، الى تلك الحضارات الدارسة ، في مختلف النواحي التي تفتحت او تتفتح عنها حيوات الشعوب والاقوام والافراد في اقطار الشرق الادنى ، والاوسط والاقصى .

مؤتمرات الاستشراق

ونهوضا بهذه الحركة العلمية التي لا تألو جهدا في نبش معالم الحضارات الشرقية الغابرة ، قام المستشرقون ، فرادى وجماعات ، ينظمون منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، مؤتمرات دولية يعقدونها دوريا ، كل سنتين او ثلاث بالاحرى في احدى عواصم الدول الغربية او في حواضرها الكبرى ، يؤمها المئات من العلماء الاعلام ، فيستعرضون في حلقات ودوائر واقسام محددة معينة اخر ما استجد من التطورات التي طرأت على المباحث الاستشراقية ، منذ المؤتمر السابق ويبحثون المشكلات العديدة التي تعترض سير البحث العلمي كما يبحثون الوسائل والنظم القمينة بادخال التحسينات على هذه الدراسات ، ويضعون في هذا السبيل الخطط التي تمكن للنهوض بهذه الحركة العلمية على اصول ومناهج جديدة ، ويناقشون الاراء والاقتراحات التي تلقى في اعمال المؤتمر كل ذلك على ما يتصف به البحث العلمي عندهم من الحرية التامة ، والاستقلال في الراي . كما يفهمها العلم الحديث. وهذه الدروس والبحوث ، والبيانات والكشوف التي يتبلور عنها نشاط المؤتمر ، تجمع وتنشر في مجاميع خاصة ، تعرف عندهم بـ « اعمال المؤتمر » ، يتالف من جماعها اليوم ، مجموعة ثمينة من الاصول وامهات المراجع ، هي من اوثق الاسانيد لمن يبغي الاستبحار في مجاهيل الاستشراق ، وتتبع سير هذه الحركة العلمية في الغرب . كذلك بنشر الكثيرون من اصحاب هذه المباحث ، ابحاثهم في المجلات الاستشراقية الكبرى .

وهذه المؤتمرات ، تعقد عادة على فترات معينة في عاصمة او قاعدة من عواصم الدول الكبرى وقواعدها الرئيسية . وقد بلغ عددها جميعا ٢٤ مؤتمرا عاما ، اخرها مؤتمر مونيخ موضوع هذه الكلمة ، والذي كان لنا شرف الدعوة اليه والمساهمة باعماله .

وها اننا نضع تحت انظار القارىء الكريم ، بيانا مفصلا بهذه المؤتمرات ومواقع انعقادها وتاريخها ، واهم اعمالها ، والمنشورات التي انبثقت عنها وعدد مجلداتها .

الرقم	المدينة	التاريخ	الناشر	المجلدات
١	باريس	١٨٧٣	له رو	مجلدان في ٣ اجزاء
٢	لندن	١٨٧٤		؟
٣	بطرسبرج	١٨٧٦	بريل،ليدن	٣ مجلدات
٤	فلورنسا	١٨٧٨	فلورنسا	مجلدان
٥	برلين	١٨٨١		جزآن في ٣ مجلدات
٦	ليدن (١)	١٨٨٣	بريل	٤ مجلدات
٧	فيينا	١٨٨٦	فيينا	٥ مجلدات
٨	ستوكهولم وكريستيانا	١٨٨٩		٣ مجلدات
٩	لندن	١٨٩٢		مجلدان
١٠	جنيف	١٨٩٤	بريل	٣ مجلدات
١١	باريس	١٨٩٧	له رو	٧ مجلدات
١٢	روما	١٨٩٩	فلورنسا	٤ مجلدات
١٣	همبورج	١٩٠٢	بريل	مجلد واحد
١٤	الجزائر	١٩٠٥	له رو	٤ مجلدات
١٥	كوبنهاغن	١٩٠٨	جريب	مجلدان
١٦	اثينا (٢)	١٩١٢		؟
١٧	اكسفورد (٣)	١٩٢٨		؟
١٨	ليدن (٤)	١٩٣١	بريل	مجلد واحد
١٩	روما	١٩٣٥	فلورنسا	؟
٢٠	بروكسل	١٩٣٨		؟
٢١	باريس	١٩٤٨		؟
٢٢	ستانبول	١٩٥١		
٢٣	كمبريدج	١٩٥٤		
٢٤	مونيخ (٥)	١٩٥٧		

اهمية مؤتمر مونيخ الاستشراقي

يؤلف مؤتمر مونيخ الاستشراقي الحلقة الرابعة والعشرين في سلسلة مؤتمرات المستشرقين الدولية . فقد عقدوا اول مؤتمر لهم ، في باريس ، عا م١٨٧٣ ، كما عقدوا ما قبل الاخير منها ، وهو الثالث والعشرون في هذه السلسلة ، في جامعة كمبريدج ، في انكلترا ، عام ١٩٥٤ .

ويرى الكثيرون ممن توافروا على حضور مؤتمرات المستشرقين الاخيرة ، ان مؤتمر مونيخ هذا ، هو اهم هذه المؤتمرات على الاطلاق ، فقد بلغ عدد اعضائه نحوا من ١٥٧٠ عضوا اتوا من جميع اطراف العالم : شرقا وغربا ، قبلة وشمالا .

(١) ـ راجع فيه المقتطف مجلد ٨ (١٨٨٤) : ٢١٧ و٢٨٥

(٢) ـ راجع فيه المشرق ١٥ : ٤٠٢ ـ ومجلة الاثار لعيسى المعلوف ٢ : ١٦ ـ والحسناء لجرجي باز ـ ٣ : ٣٧٣ ـ ولغة العرب للكرملي ، ٢ : ٢٢ (٣) ـ راجع فيه المشرق ٢٦ : ٢٨

وقد القي في مؤتمر مونيخ ، خلال الايام الخمسة التي استغرقها نشاطه ، من البحوث والمحاضرات ما بلغ ٤٤٧ محاضرة او بحثا ، في شتى نواحي العلوم الاستشراقية توزعت بين دوائر المؤتمر وفروعه العامة الاربعة عشر . وهي مادة علمية ضخمة اتصف اصحابها بالتتبع والتقصي ، وامتازت على الاجمال ،بالتركيز والتخثير ، سيجري نشر معظمها ان لم نقل كاملة فمجتزأة ، في ما يسمونه « اعمال المؤتمر » .

كذلك امتاز المؤتمر بحسن اعداده وتنظيمه . فقد وزعت رقاع الدعوة اليه ، سنة قبل انعقاده . فقد بلغتني الدعوة للمؤتمر ، قبل افتتاحه بسنة تماما ، اي في ٢٧ اب ١٩٥٦ ، مع العلم ان مؤتمر مونيخ ابتدأ ٢٨ آب ١٩٥٧ وبهذه المناسبة اود هنا ان انوه ، من قبيل المقارنة والمفاضلة ان مؤتمر ادباء العرب الثاني ، الذي عقد في بلودان ، في غرة ايلول ١٩٥٦ ، حبل به في جو من الفوضى ، ورأى النور على لفحات لاهبة من رياح السياسة والحزبية والفوضى ولم توزع رقاع الدعوة على اصحابها وطالبي الاشتراك به ، سوى يومين او ثلاثة قبل انعقاده . كل هذا أضفى على مؤتمر مونيخ ، جوا من الجلال والاجلال ، والاحترام ، والتقدير ساعد جديا على انجاحه ونجاحه، وهي صفات لا بد ان تطبع وتخصب كل مشروع ، دوليا كان ام اقليميا تتخذ العدة اللازمة لاعداده وتأمين نجاحه الى اقصى حدود النجاح ، على هدي من العلم ، وحاجاته ومقتضياته ، وحملته وتياراته ، في جو من التنسيق والتنسيب والمناغاة .

وفود الدول الشرق الاوسطية

اشتركت باعمال هذا المؤتمر معظم دول العالم . فجاءته الوفود من اليابان شرقا الى مشارف كاليفورنيا غربا ، ومن الاتحاد السوفياتي شمالا ، الى سواحل المغرب الاقصى جنوبا . فبلغ مجموع من حضروه ، ١٧٥٠ عضوا ، مثلوا الدول المشتركة ، والمؤسسات العلمية والمعاهد الثقافية على اختلافها : من جامعات وكليات ومكتبات وطنية ، باستثناء نفر قليل منهم جاء المؤتمر على نفقته الخاصة ، وكان صاحب هذه السطور في عداد هذا الفريق . فقد جاء :

من مصر : الاساتذة : سليم حسن ـ مراد كامل ـ عبد العزيز مرزوق ـ امين الخولي وزوجته بنت الشاطىء ـ الدكتور يحيى الخشاب ـ عبد العزيز برهام ـ عبد القادر القط ـ الاب جورج قنواتي ـ الدكتور ايوب . ومثل الجامعة العربية فيه الدكتور صلاح الدين المنجد ، مدير معهد الخطوط العربية في الجامعة العربية . كذلك اوفد المؤتمر الاسلامي في القاهرة ، السيدة سعاد ماهر ، لعرض فيلم عن الاثار الاسلامية .

من لبنان ـ موريس شهاب ، مدير الاثار في لبنان ـ الاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، مدير مجلة المشرق ـ والاب فلايش ممثلان لجامعة القديس يوسف في بيروت ـ ويوسف اسعد داغر ، صاحب هذه السطور ـ والانسة ليلى شاهين ـ عدا عن بعض طلاب لبنانيين يتخصصون في الجامعات الالمانية .

من سوريا : الاساتذة : امجد الطرابلسي وعادل العوا ممثلان للجامعة السورية . وجاء من باريس المنسنيور جوزف نصرالله المعروف بابحاثه التاريخية .

من العراق : الاساتذة : صفاء خلوصي ـ صالح احمد علي ـ مير بصري ـ مشكور الاسدي .

من تونس : حسن حسني عبد الوهاب ، مدير الاثار في تونس ـ السيد المطالبي ـ السيد خميري .

من المغرب الاقصى : وزير المعارف والسيد محمد ابرهيم الكتاني .

من ايران : تألف الوفد الايراني من نحو عشرة اساتذة برئاسة الدكتور سعيد نفيسي مدير الاكاديمية الايرانية في طهران .

من اسرائيل ـ تألف الوفد الاسرائيلي من ستة اعضاء يمثلون الجامعة العبرية فيها.

من تركيا : كانت تركيا ممثلة في مؤتمر مونيخ بوفد كبير منتقى من كبار الاساتذة في الجامعات التركية ومكتباتها الكبرى .

من الكويت : السيد ابراهيم رزق ممثلا لشركة نفط الكويت ـ وبدر خالد البدر .

وقد استغرب الكثيرون غياب الجامعة الاميركية في بيروت عن المؤتمر . فلم نر ان الجامعة عنيت بتعيين من يمثلها في هذا المؤتمر ، كما اننا لم نر احدا من اساتذتها يحضر المؤتمر ويشارك باعماله مع ان الوسائل المادية متوفرة لديهم .

وقد يكون اعراض الجامعة الاميركية عن الاشتراك بهذا المؤتمر الاستشراقي العظيم مرده اصلا ، الى الاسباب والنوازع التي جعلت مكتبة الجامعة من قبل تستهين بامر الحصول على سلسلة « اعمال المؤتمرات الاستشراقية » ولا تعني نفسها بالحصول عليها ، مع ان بين أساتذة الجامعة المعنيين او من عنوا ، من قبل بتزويدها باصول البحث وامهات المصادر ، من يقدر عاليا قيمة هذه المجموعة الثمينة التي تعد بحق اصلا من اصول تاريخ الحركة الاستشراقية في العالم .

سقنا ما سقنا من ملاحظة عابرة هي صدى استهجان

(٤) ـ راجع فيه مجلة الاثار ٥ : ٤٥٢ ـ ومجلة الكلية ١٥ : ٨١ ـ ومجلة العرفان ١٨ : ٣١٢٢ ـ ومجلة لغة العرب ٦ : ٥٥٥ و٩٧٤ ـ ومجلة السياسة الاسبوعية ، عدد ١٣٢ : ١٧ .

(٥) ـ وقد رأينا بهذه المناسبة ، بعد ان اعددنا هذا الثبت الكامل لمؤتمرات المستشرقين ، ان نتبين ما تملكه مكتبات بيروت الكبرى الثلاث ، من اصل هذه المجموعة الطيبة من مجموعة اعمال مؤتمرات الاستشراق . وبعد مراجعة فهارسها البطاقية ، ظهر لنا ان مكتبة الجامعة الاميركية لا تملك سوى اعمال مؤتمر الجزائر (١٩٠٥) لا غير وقد جاءت في ٤ مجلدات ، وان دار الكتب اللبنانية ، تملك اعمال مؤتمرين لا غير انما مخرومين . اما المكتبة اليسوعية (المكتبة الشرقية) فتملك القسم الاوفى من مجموعة اعمال مؤتمرات الاستشراق ، وهي الواردة في سلسلة الارقام تحت رقم ٤ ـ ٦ ـ ٧ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢١ ـ ٢٢ . وكم كنا نتمنى لو نستطيع ان نتبين ، ما تملكه مكتبات مصر من هذه المجموعة ، كدار الكتب المصرية ومكتبة كلية الاداب في جامعة القاهرة ، وشقيقتها في الاسكندرية ؟ فعسى ان تكون اسعد حالا من الجامعة الاميركية .

البعض لتغيب الجامعة الامريكية في مؤتمر مونيخ حرصا منا على ما تتمتع به من طيب الاحدوثة وسرعة المبادرة الى الاسهام بمثل هذه المؤتمرات . ولعل لها بعد هذا وذاك ، عذرا في الامر .

الوفود الدولية الغربية

تمثلت في مؤتمر مونيخ الاستشراقي معظم دول العالم في الشرق والغرب فارسلت لتمثيلها ابرز ما لديها من رجال الاختصاص في حقول الاستشراق على اختلافها. فقد برز في المؤتمر الوفد الالماني لكثرة افراده ولشهرة رجال الاختصاص بينهم . فليس في الامر من غرابة قط ، والمانيا هي الداعية اليه . فلا غروى ان يتوافد المستشرقون الالمان ، من كلا شطري المانيا الشرقي والغربي الى حضور المؤتمر ويساهموا على قدر عال باعماله ونشاطاته .

وهنالك وفود قوية جدا امت المؤتمر ، ممثلة بالوفد الاميركي ـ والبريطاني ـ والفرنسي ـ والايطالي والاسباني ولعل ابرزها كان ، في نظر البعض ، وفد الاتحاد السوفياتي الذي تألف من ٢٤ عضوا اذ برز كتلة واحدة او وحدة متراصة ، نزلت بهيئاتها الكاملة في اوتيل اضخم اوتيلات مونيخ واغناها ، بينما اعضاء الوفود الاخرى تفرقوا ، ايدي سبا ، بين شتى الفنادق فلم تبرز وحدتها وحدة متراصة . وقد حرص الروس على ايلاء رئاسة وفدهم ، الى السيد غفوروف ، وهو مسلم اوزبكستاني ، يرأس معهد الدراسات الاسلامية في موسكو ، واحد الاخصائيين الثقاة بالدراسات الايرانية، وعضو اكاديمية العلوم في موسكو

دوائر المؤتمر وفروعه الرئيسية

تقاسم نشاط المؤتمر والمؤتمرين ، ١٤ فرعا رئيسيا، فانتسب الاعضاء المسجلون الحاضرون ، الى الفرع الذي يمثل نواحي اختصاصهم . وهذه هي دوائر المؤتمر الرئيسية : الاثار المصرية ـ علم العاديات العام ـ الدراسات الكتابية ـ تاريخ الشرق البوزنطي ـ الشرق المسيحي ـ الدراسات السامية ـ الدراسات الاسلامية ـ الدراسات العبرية ـ الدراسات التركية ـ الدراسات الايرانية ـ الدراسات الهندستانية ـ الاسيوية الاوسطية ـ الالتائية ـ الملايوية ـ الصينية ـ اليابانية ـ الدراسات الافريقية .

وقد وضع لكل فرع عام من هذه الفروع ، برنامج عام ، حددت فيه المحاضرات والابحاث باوقاتها ومواعيدها ، والحالات الموقوفة عليها في الجامعة .



لغة المؤتمر

كانت ابحاث المؤتمرين تلقى بالالمانية والانكليزية والفرنسية وندر من القى بحثه او محاضرته بغير هذه اللغات وكانت الالمانية اللغه الغالبة ، الامر الذي جعل معظم الوفود يتمنون لو جرى تلخيص المحاضرات بالفرنسية او الانكليزية

تيسير العمل وتوفير المعلومات اللازمة

اربى عدد اعضاء المؤتمر على ١٥٠٠ عضو . فقد اعدت اللجنه المشرفة على تحضيره ، اضبارة من الورق المقوى ـ بشكل كيس يسهل حمله ونقله باسم كل عضو من الاعضاء ، زودته ببطاقة الانتساب ، وبعدد عديد من المطبوعات والكراريس في اغراض شتى كخريطة المدينة ، ومخطط للجامعه وكشوف ترفل بالعديد من الفوائد والمعلومات تتعلق ببيان ما في المدينة من اوتيلات وفنادق، وبنسيونات ، ومرابع ومقاه ، ودور سينما ومسارح ومنزهات ومعاهد علمية ، ومتاحف ومكتبات ، وغير ذلك من المؤسسات الثقافية ، والفنية ، والتربوية ، التي يرغب الاعضاء بزيارتها او التعرف اليها .

وبين هذه المجموعة ذات الطابع الاستعلامي او الاخباري التي زود بها كل عضو من اعضاء المؤتمر ، برنامج عام لاعماله ووقائعه وجلساته ، فيه بيان الفروع الاربعه عشر الكبرى التي يتفرع اليها المؤتمر . مع ذكر رئيس كل فرع من هذه الفروع وتفصيل المحاضرات والابحاث التي تلقى فيه يوما بعد يوم بمواعيدها المحددة ، قبل الظهر من كل يوم وبعده ، واسماء الاعضاء المسجلة الذين اشتركوا باعماله ، مع ذكر عناوينهم الدائمة . والبرنامج المذكور يحمل في قسمه الاخير بيانا باهم دور النشر الاستشراقية في الغرب . وليس في هذا القسم اسم او ذكر لدار واحدة من دور النشر في العالم العربي على الاطلاق، رات ان تعلن عن نفسها او عن احدث منشوراتها . وقد كانت فرصة طيبة للاعلان والتعريف بالجهود التي تبذلها حركة النشر العلمية في البلدان العربية .

ومن بين محتويات هذه الاضبارة كتاب اعد خصيصا، بهذه المناسبة ، ضم مقالات مركزة حول عدد من ابرز المعاهد الثقافية والفنية في مونيخ ، اعدها علماء يعملون في هذه المعاهد ويشرفون على توجيهها . وفي الكتاب المذكور بحث طريف قيم للدكتور بوير عن القسم العربي في مكتبة مونيخ الوطنية ونموه المطرد ، واهم الاصول والمراجع التي زيدت على مجاميعها في السنوات الاخيرة .

حفلة افتتاح المؤتمر

افتتح المؤتمر اعماله بحفلة رسمية تمت بمنتهى الروعة والجلال ، عند الساعة العاشرة والربع من صباح نهار الاربعاء الواقع فيه الثامن والعشرون من آب الماضي ، في بهو الجامعة الكبير ، واستمرت زهاء ساعتين وقد قدر بعضهم عدد من حضر واحفلة الافتتاح بما لا يقل عن الفي شخص

ابتدات حفلة الافتتاح وانهيت بقطعة موسيقية تحت اشراف الموسيقار ج. ف. هندل ، عنوانها « تيودورا » . وافتتح الكلام السير رالف ترنر ، مدير مدرسة اللغات الشرقية والدراسات الافريقية في لندن ورئيس مؤتمر كمبريدج الاستشراقي السابق . فبعد ان رحب بالوفود وتمنى لهم التوفيق غادر كرسي الرئاسة مفسحا المجال لرئيس المؤتمر الحالي في موينخ : الدكتور ارنست والدشمدت . فالقى بالالمانية ، خطابا طويلا ، بين فيه بايجاز ، اهم الاعمال التي قام بها المؤتمر السابق برئاسة السير رالف ترنر ، كما تبسط بوصف وتعداد فوائد الحركة الاستشراقية والمع الى اهم وجوه الاستشراق الالماني منوها بخدمات شيخ مستشرقي الالمان المرحوم بروكلمان الذي توفي من سنة ونصف ، مناشدا الحضور الوقوف تكريما لاسمه وذكره واشادة بفضله . وقد تبرم بعضهم من الاستطاعة في الكلام والخطابة ، فانقطع التيار الكهربائي صدفة واتفاقا . فكان هذا الانقطاع نذيرا بوجوب الايجاز وقد تعاقب على الكلام بعده سكرتير الدولة في الحكومة الالمانية ، ثم وكيل وزارة المعارف ، ثم رئيس بلدية مونيخ ـ فرئيس جامعتها : الدكتور فريدريك كلينجر ، فالدكتور ارنولد كونست ، ممثلا للامم المتحدة في المؤتمر والمشهور عن الدكتور كونست انه من كبار الاخصائيين في الدراسات الهندستانية .

مركز المؤتمر وجوه

عقد المؤتمر في جامعة مونيخ الشهيرة هذه الجامعة التي اشتدت عليها وطأة الحرب الاخيرة فنالت منها في الصميم ودكت قسما كبيرا من كلياتها ومبانيها ، الا ان الالمان ، بما عرف عنهم من نشاط عارم ، وحزم جميل ، وجلد جليد ، وقوة ايمان ، قد تمكنوا من اعادة جامعة مونيخ الى سابق عزها وان يزيلوا عنها كلوم الحرب واثر الخراب وندب الجروح .

وتعد جامعة مونيخ من اكبر واعرق الجامعات الالمانية على الاطلاق وتعرف باسم جامعة لويس مكسيمليان . ويعود تاسيسها الى عام ١٤٧٢ ويبلغ عدد الطلاب فيها نحوا من ١٤ الف طالب . فيها عدد كبير من الكليات العامة اهمها : كلية الدين واللاهوت ، كلية الحقوق ، كلية الطب ، كلية الطب البيطري ، كلية الفلسفة ، كلية علوم الاقتصاد السياسي ، كلية العلوم الطبيعية ، عدا معاهد عليا للتخصص في الموسيقى والفنون التصويرية والسمعية وغير ذلك .

مونيخ غنية بمتاحفها ومؤسساتها الثقافية ويتفرد البعض منها بمجاميع فنية وعلمية وثقافية غنية للغاية . وقد نظمت هذه المؤسسات بهذه المناسبة معارض خاصة دامت ما دام مؤتمر مونيخ الاستشراقي منعقدا ، وذلك جذبا للزائرين واستجلابا لانظارهم وانتباههم . فقد اقيم في مبنى ـ الا بالاحرى قصر ـ مكتبة مونيخ الاهلية معرض فني عرضت فيه روائع المخطوطات الشرقية التي تزخر بها خزائنها الفنية . قلت في « قصر » مكتبة مونيخ ، تاكيدا وتشييدا منا للعناية البالغة التي يرفل بها الكتاب في الغرب ، والمحل اللائق الذي يحلونه فيه ، والبذل الكريم الذي يسخون به عليه ، والتقدير الذي يلاقيه بين القوم هنالك ، والصحة التي يجرع بها ، ويترع . وكانت ابواب المكتبة مفتوحة للزائرين من الصباح الباكر حتى ساعة متاخرة من الليل بحيث لا تفوت زيارتها من يرغب فيها من الزائرين عامة ، ومن اعضاء المؤتمر خاصة .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، نقول ان مكتبة مونيخ الاهلية تقع من الرقم ٢٣ من شارع لودفيغ مقابل الجامعة وهي مكتبة كبرى من اغنى مكتبات المانيا ومن احفلها

بالكتب ، تأسست عام ١٥٥٨ ، ويبلغ عدد ما فيها من الكتب مليونين من المجلدات بمختلف اللغات وشتى الموضوعات . ويتولى ادارة المكتبة الدكتور هوفمان ويقوم على القسم الشرق الاوسطي فيها الدكتور بوير وهو مستعرب ضليع . وفي المكتبة من الرسائل والاطاريح العلمية ما يزيد عدده على ٥٠ الف اطروحة علمية ورسالة .

ولعل ما تتصف به مكتبة مونيخ الوطنية وتتفرد به عما سواها ، مجموعتها الفنية من « بواكير الطباعة » او « محاميل الطباعة » Les Incunables وهذا التعبير يطلقه علماء الكتب والببليوغرافيون ، على ثمار الطباعة وهي بعد في المهد، أي بين ١٤٥٣ و١٥٠١ . فكل كتاب طبع بين هذين الحدين هو من بواكير الطباعة وبالتالي من الدرر الغوالي .

الابحاث التي القتها الوفود العربية

القى رجال البحث واهل الاختصاص ممن توافدوا لحضور مؤتمر مونيخ الاستشراقي ، من البلدان العربية ، عددا طيبا من الابحاث والدراسات المخدومة كان لها وقع طيب لدى المستشرقين في الغرب ، رفعت من مكانة دولنا العربية ، واعلت من شأنها فاستحقت شكر المؤتمر . والى القارىء الكريم اهم هذه الابحاث التي القيت في مؤتمر مونيخ المتمشرق ، من قبل ابناء الاقطار العربية واصحابها.

يوسف اسعد داغر ــ الوضع الحالي للدراسات الببليوغرافية في العالم العربي اليوم (١) .

سليم حسن ــ الحفريات المصرية الحديثة في مدينة اوناس

الاب جورج قنواتي الدومينيكي ــ نص معتزلي لم يسبق نشره من قبل : « المغني في اصول الدين » .

موريس شهاب ــ حفريات عنجر الاخيرة : قصر جديد للامويين في عنجر .

عبد اللطيف الطيباوي ــ مقام رسائل اخوان الصفا في التربية الاسلامية .

الاب اغناطيوس عبده خليفة ــ نص غير منشور لابن خلدون

محمد ابراهيم الكتاني ــ المورد الاحلى في اختصار المحلى و « المقضي المعلى في اكمال المحلى » .

صفا خلوصي ــ القصة القصيرة ومنازعها الجديدة في الادب العراقي الحديث .

صلاح الدين المنجد ــ معهد المخطوطات في الجامعة العربية في القاهرة .

امجد الطرابلسي ــ كتاب « زجرا لنبيه » لابي العلاء المعري ، مخطوط في المتحف البريطاني في لندن .

التفاهم الدولي والتعاون العلمي

لعل من ابرز ما اتصف به مؤتمر مونيخ للاستشراق ، هذا التفاهم الدولي بين المؤتمرين الذي تجلى على اتمه بين هذه المئات من الاعضاء الذين توافدوا عليه من جميع اقطار العالم في الشرق والغرب لينظروا معا في الاشواط التي قطعتها الدراسات الاستشراقية والصعوبات التي تعترض سير هذه الابحاث بنجاح ، والمستجد من التيارات والمذاهب العلمية والنظريات الجديدة ، والابحاث الدقيقة في شتى المجالات المشرقية .

كذلك كان المؤتمر مجالا واسعا للتعارف بين علماء اعلام ، وباحثين متتبعين ، عملوا او يعملون في مجالات متقاربة ، طالما عرفوا بعضهم بعضا عن طريق المطالعة والمراسلة ، فاذا بهم يتلاقون معا وجها لوجه ، على صعيد واحد ويجلسون معا ، جنبا الى جنب ، في قاعات المؤتمر وباحات الجامعة وابهائها .

ثم ان المؤتمر كان كغيره من المؤتمرات الثقافية العلمية الدولية ، فرصة مؤاتية لتبادل الرأي بين اصحاب الاختصاص في حقل ما من حقول العلوم الاستشراقية على تنوعها وتباينها ، ولوضع الخطط والمناهج ، ولتهيئة ادوات البحث والتمكين لاصوله واسبابه ، للسير قدما بهذه المباحث على ضوء المستجد من حاجات العلم وشرائط التنقيب على اصول من المنهجية العلمية الاسرة .

وقد تكون معالم التفاهم العلمي والتعاون الدولي قد تجلت في مجالات مؤتمر مونيخ الاستشراقي الاخير اكثر مما تجلت في أي مؤتمر استشراقي سابق ، وذلك بعد ان تفاعل الناس واعتملوا عميقا ، عموديا وافقيا بالدعوة الى التعايش السلمي والتعاون النزيه المتبادل ، على اساس مكين من التفاهم الكلي في امور مشتركة فيما بينهم ، يفيد الواحد فيها من خبرة الاخر ، ويقبس مما تم لغيره من خبرة وحكمة وتجربة ، وبما بذله سواه من جهد كريم مبرور ، صرف في وجه معين أتى بالطيب من الاكل الرطيب والمحصول الخير .

دور النشر الاشتشراقية ومعارضها

مؤتمرات الاستشراق هي سوانح مؤاتية جد المؤاتاة، للتعرف بالجديد مما طلعت به المطابع ولفظته دور النشر

(١) ــ ستحرص « الاديب » على نشر هذه المحاضرة القيمة في احد اعدادها القادمة ، مترجمة الى العربية ، بنصها الكامل الذي يقع في نحو ١٥ صفحة مطبوعة على الالة الكاتبة ، وهي بالفرنسية .

اقصدوا :

البروفسور توفيق سكر

خريج الكونسرفاتوار الوطني بباريس والفائز بجائزته

دروس في السولفيج والارموني والتاليف والموسيقى وغيرها مما يمكنك من التضلع في فن الموسيقى

العنوان : بيروت ــ شارع مدرسة الحقوق رقم ٤
تلفون ٢٠٠٨٨

Prof. Toufic Succar

Lauréat du Conservatoire de Paris
Leçons de Solfège, Harmonie, Composition, etc.

Adresse : 4 Rue Ecole de Droit Beyrouth
Téléph. 20088

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الشرق والغرب من ادوات البحث العلمي . ولذا راينا دور النشر الكبرى في الغرب تتخذ من هذا المؤتمر يعقد في جامعة مونيخ على مقربة من سكرتيريته العامة ، سوقا تقيم لها السرادقات والقباب ، فتنشىء فيها معارض علمية تحفل باهم المطبوعات الاستشراقية الجديدة .

ومن بين دور النشر الاستشراقية الكبرى التي عرضت مطبوعاتها الثمينة ، دار بريل ، في مدينة ليدن في هولندا، وهي من اقدم واشهر واحفل دور النشر الاستشراقية في العالم . كذلك دار هاراسوفتس ، اكبر واقوى دور النشر الاستشراقية في المانيا ومن اكبرها وانشطها في العالم اجمع . ومنها دار مينرفا في فرانكفورت ، ودار سيروفتش في القاهرة . وقد عرفت دور النشر هذه ان تستفيد من المناسبة السانحة فعرضت على وجوه كثيرة من الاغراء والتشويق ولفت النظر ، ما لها من منشورات علمية في الحقل الاستشراقي ، مما يرغب اصحاب الاختصاص والمكتبات المعنية ، في الحصول عليه .

وترى العديد من المستشرقين في المؤتمر ، يصرفون الساعات الطوال ، في النظر في هذه المطبوعات ويقلبونها راسا على عقب او ظهرا لبطن ، ويتبينون مليا ما هي عليه من عدة العلم واداة البحث وسياقة صارمة . فيشترون ما طاب لهم شراؤه منها او يأخذون بهذا كله ، القيود والمعلومات الدقيقة ، يرجعون اليها عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

والذي نأسف له الاسف الشديد ، هو اننا لم نر دارا واحدة من دور النشر في العالم العربي . تنبري لاقامة جناح خاص بها تعرض فيها مطبوعاتها ومنشوراتها ولاسيما ما يقع منها في مأتى عين المستشرق ومطلبه ورغائبه . والمستشرقون في شبه عطش وجوع لما يساعدهم على الاطلاع على الجديد من المنشورات او المطبوعات الشرقية . وهذا التقصير الفاضح من قبل دور النشر عندنا يجعل الاوساط العلمية والاستشراقية في الغرب ، تجهل الكثير من معالم ومظاهر حركة التاليف والطباعة في عالمنا العربي.

وكم تمنى علي المستشرقون في المؤتمر ، وتشددوا امامي في التمني والحفوا في الطلب ، لو اتفرغ لاعداد نشرة دورية ، نصف فيها للمستشرقين بالعربية واحدى اللغات الاجنبية السائرة كما تصف لدور الكتب التي تعنى بالاصول الثقافية ، المستجد من مطبوعاتنا العربية ، وصفا ببليوغرافيا دقيقا ، فيه التعريف الوافي ، وفيه التوجيه المؤصل ، ولو بايجاز ، في تقييم هذه المطبوعات وتثمينها

نحن نعلم ان مؤسسة المطبوعات الحديثة لصاحبها السيد يوسف مشاقة تصدر في القاهرة نشرة شهرية بعنوان « بريد المطبوعات الحديثة » تتولى فيها التعريف باهم الكتب الصادرة عن مجموعته من دور النشر في مصر ولبنان ، هي ولا شك تسد ، بعض الشيء ، رغبات المستشرقين، الى حد ما، ولكنها ابعد من ان تفي بالمطلب المتمنى ، عال الوجه الامثل ، مع العلم ان هذه النشرة تتجه قبل كل شيء في ما تتجه اليه من القارىء العربي ، بخلاف النشرة التي اخذ الدكتور جمال محاسب يصدرها في بيروت ، بعنوان « المكتبة » يعرف فيها ، موزعة الى عشرة اقسام المطبوعات العربية الحديثة .

الدول العربية ومؤتمرات الاستشراق

من دواعي الاسف المرير ، الا تولي الدول العربية بما فيها من حكومات ومنظمات وهيآت ومعاهد ثقافية عالية ، مؤتمرات الاستشراق ، الاهمية التي يجب ان توليها اياها . والدليل على هذه الاعراض وقلة الاكتراث ناهز بارز الاخذ به ميسور وموفور لمن يريد التمثل بذلك وايراد الشاهد عليه . فليست هذه الفرصة بالسانحة الوحيدة التي طالما اهملوا الانتفاع بها والاستفادة من بروزها اسهاما منهم بهذه الحركة العلمية التي ترمي لنبش معالم الحضارات والمدنيات الشرقية والتي يعود تظهيرها بالخير العميم على الشرق قبل الغرب . فاذا ما اتفق ان اهتمت كل او بعض دولنا العربية بمثل هذه الفرص السانحة واقرت الاشتراك في هذه المؤتمرات من باب الدعاوة او من باب رفع العتب ، اوفدت اليها ، في كثير من الاحايين ، من ليس هم في العير او النفير من الحركة الاستشراقية ، او فريقا ضؤل اختصاصه او اقتصر على ناحية ضيقة من نواحي العلوم الاستشراقية .

ونحن نرى من الخير للبلدان العربية ان تهتم دولنا ومؤسساتنا العلمية ، اكثر مما فعلت في الماضي ، بهذه المؤتمرات ، فتوفد اليها بخير الضالعين بالدراسات الاستشراقية ، وبالاختصاصيين الثقاة ، فيشاركون بما يلقون من ابحاث مخدومة ، بالحركة الاستشراقية . فاشتراك الدول العربية والهيآت العلمية العليا فيها ، بوفود قوية ، مشهود لاصحابها بالاختصاص ، والاستبحار بهذه الدراسات يكون خير سفارة للبلد ترفع من شأنه وتعلي من جانبه في الغرب ، بين الاوساط العلمية .

الدول العربية ودعوة الى المؤتمر

كل المؤتمرات الاستشراقية التي عقدت للان ، وعددها ٢٤ مؤتمرا ، عقدت جميعها في الغرب . فلم نر واحدا من هذه المؤتمرات يعقد في عاصمة من عواصم الشرق .

فاذا كان في وضع الدول العربية السياسي في الماضي ، ما يبرر تغاضيها عن دعوة المؤتمر للانعقاد في احداها ، فليس ما يبرر اليوم ، مثل هذا التقاعس او التغاضي ، بعد ان استكمل معظمها اسباب استقلالها ومقومات سيادتها التامة .

مؤتمر المستشرقين القادم

قرر المستشرقون في مجمعهم الاخير في مونيخ، ان يستجيبوا لدعوة الوفد الروسي ، المؤتمر القادم ، أي المؤتمر الخامس والعشرين للانعقاد في الاتحاد السوفياتي، في مدينة لينينغراد ، وذلك في تموز ١٩٦٠ ، فقررت هيأة المؤتمر الاقتراح الذي تقدم به الوفد السوفياتي ، فتبنته بالاكثرية .

وبهذا تكون لينينغراد ، بطرسبرج من قبل، من جديد مركزا لمؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين ، بعد ان شهدت ، عام ١٨٧٦ ، المؤتمر الاستشراقي الثالث . ومن هنا الى ان يحين موعد مؤتمر لينينغراد القادم ، يخلق الله ما لا تعلمون .

يوسف اسعد داغر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد الرحيل

○

اين الضجيج العذب والشغبُ ... اين التدارس شَابَهُ اللعبُ
اين الطفولة في توقدها ... اين الدمى في الارض،والكتب
اين التشاكس ، دونما غرض ... اين التشاكي ، ما له سبب
اين التباكي والتضاحك في ... وقت معاً ، والحزن والطرب
اين التسابق في مجاورتي ... مَلَقاً ، اذا أكلوا وان شربوا
يتزاحمون على مجالستي ... والقرب مني حيثما انقلبوا
يتوجهون بسوق فطرتهم ... نحوي اذا رهبوا وان رغبوا
فنشيدهم « بابا » اذا فرحوا ... ووعيدهم « بابا » اذا غضبوا
وهتافهم « بابا » اذا ابتعدوا ... ونجيُّهم « بابا » اذا اقتربوا

* * *

بالامس كانوا ملء منزلنا ... واليوم ويح اليوم قد ذهبوا
وكأنما الصمت الذي هبطت ... اثقاله في الدار ، اذ غربوا
اغفاءة المحموم هدأتها ... فيها يشيع الهم والتعب
ذهبوا ، اجل ذهبوا ومسكنهم ... في القلب ، ما شطوا وما قربوا
اني اراهم اينما التفتت ... نفسي، وقد سكنوا وقد وثبوا
واحس في خلدي تلاعبهم ... في الدار ليس يصيبهم نَصَب
وبريق أعينهم اذا ظفروا ... ودموع حرقتهم اذا غُلبوا
في كل ركن منهمُ أثر ... وبكل زاوية لهم صخب
في النافذات زجاجها حطموا ... في الحائط المدهون قد ثقبوا
في الباب قد كسروا مزالجه ... وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في الصحن، فيه بعض ما اكلوا ... في علبة الحلوى التي نهبوا
في الشطر من تفاحة قضموا ... في فضلة الماء التي سكبوا
اني اراهم حيثما اتجهت ... عيني ، كاسراب القطا سربوا
بالامس ، في «قرنايل» نزلوا ... واليوم ، قد ضمتهمُ حلب

* * *

دمعي الذي كتمته جَلَدا ... لما تباكوا عندما ركبوا
حتى اذا ساروا وقد نزعوا ... من اضلعي قلباً بهم يجب
الفيتني كالطفل عاطفة ... فاذا به كالغيث ينسكب
قد يعجب العذال من رجل ... يبكي ،ولو لم ابك فالعجب
هيهات ، ما كل البكا خور ... اني ، وبي عزم الرجال ، اب

لبنان ـ قرنايل

عمر بهاء الأميري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الحارة

دعني ! دعني ! لا تتبعني
لا تتبع خطوي • لا تأت
أبدا لن ارجع للبيت
سأضم البنت الى حضني
هي بنتي ••• لن تبعد عني
وسأعرف كيف اقاضيك
وأهدم كل أمانيك
وسأقصم ظهرك بالنفقة
أبدا لن تأخذني شفقة
لا تحسب اني لا اقدر
سترى من هو منا الاشطر
ابدا لن ارجع للبيت
لا تتبع خطوي • لا تأت
يا خائن • يا ناسي العشرة
ما ذنبي كي تجلب « ضرّة »
ماذا لو انك لم تنس
ما كنتَ وما كنتُ الامسا
او لست انا « زينة الحيّه »
من هام بها الاوسطى «شحته»
ميكانيكي حيّ « البغّاله »
ضحّيتُ ولم أقبل ماله
لسواد عيونك يا ضائع

يا خائب • يا ردّ شوارع
لا تتبع خطوي • لا تأت
أبدا لن ارجع للبيت
ماذا لو كانت لي ليلة ؟
ولها الاخرى
أنسيت التضحية الكبرى
عاما لم أغضب أو أحزن
والضرّة تمرح في المسكن
أمّكَ تؤثرها باللحمه
وتعد على شدقي اللقمه
وأبوك ••• المرأة أغرته
فلكل جديد زهوته
أبدا •• لن ••• أر
لا تقرب !آي ••أي ••لا تقرب
ما زلنا في ضوء المغرب
والناس عيون تأكلنا
وامرأة ترقب ظلينا
خلف الشباك المردود
وحياتك ••• لم انس عهودي
فاسبق وتسلل في صمت
سأعود ، اليك ، الى ، البيت

القاهرة — جليلة رضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة عراقية

بقلم موفق خضر

الولد الطيب

○○○

كان الصباح باردا مقرورا . وفي الليل قبل ان تنقشع الظلمة كانت ميازيب البيوت ترمي بماء المطر الذي تجمع في السطوح الى الخارج على ارض الازقة المبلطة تبليطا مشوها ويحدث قرقعة ضعيفة تارة وقوية تارة اخرى ويكاد ان ينتظم فيها رنين خاص .. وعندما اطل الصبح كانت الغيوم قد انقشعت مع الليل ، لكن البرد كان شديدا قارسا لا تتحمله الاعصاب ..

وعندما خرج « كاظم » الى الطريق كان يغمغم مع نفسه بألم ووجع ويثني جسمه الى الامام قليلا علّه يوفر لجسمه شيئا من حرارة منعشة وبين هنيهة واخرى كانت لسعة شديدة الوقع من ريح باردة تفري عظامه الضعيفة فلا يملك الا ان يصك اسنانه ويضغط على اعصابه ضغطا اجهده كثيرا .

امس في الليل . لم تنطبق اجفانه ولم يفتح كتابا مدرسيا واحدا فقد قضى الليلة الماضية في البرد الذي لا يخفف من قساوته غطاء خفيف يلتف به في فراشه كانه ورقة ورد فضلا عن ان الحجرة التي ينام فيها تنازلت تنازلا مهينا للمطر فاخذ ينفذ من سقفها وتسقط قطرات منه على سريره وكتبه وغطائه الخفيف كورقة الورد .. وعندما اصطفقت الباب وراءه وهو في طريقه الى المدرسة هذا الصباح كان يفكر بالفشل والارتباك اللذين سيصيبانه عندما يسأله المدرس فلا يقدر على الجواب حتما سيعجز عن الجواب لانه لم يفتح كتابا واحدا في الليلة الماضية .. وعمته هذه المخلوقة الشرسة ذات اللحم المكنتز المتهافت قاسية معه كل القسوة ، لا ترحمه ولا تحبه ، كأن قلبها غلفته طبقة سميكة من اوساخ القسوة الموغلة بالتشفي .. انها تكرهه وتسومه سوء العذاب في كل مساء يرجع فيه من مدرسته . وهو يعلم انها فقدت اي حنان غريزي يمكن ان تسبغه عليه منذ يئست من انجاب ذرية صالحة ، ومنذ علمت ان العفاء سيطويها ما دامت لا ترزق من زوجها بنين وبنات .. ربما كانت تغار منه لان اباه يرزق في كل عام كانا ... امه الطيبة القلب الصافية النية ذات السمات الواضحة الطامنة ولو تحمل في كل عام جنينا حتى لقد بدت له — قبل ان يسافر الى بغداد وعندما قبلته من جبهته لحظة ئذ — انها عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون رهيبا

وفي الريف لا يعرف الفلاح في زوجته عجزا ، بل يجد فيها وعاء يفرغ فيه همومه وجهده .. اما هنا في المدينة الكبيرة « بغداد » ذات الانوار الصاخبة والضجيج الماجّ فالامر يختلف كل الاختلاف ، وها هي « عمته » تقيم الدليل كأروع ما يكون الدليل .. فهي شرسة متنمرة قاسية لا تسكت يوما عن عراك مع زوجها الضعيف ذي الرقبة الطويلة كأنها رقبة نعامة غبية .. تسبه وتشتمه باقذع السباب وابشع الشتم . او تضربه على راسه بنعالها المهترء عندما تفور فيها دماء المعركة وهو لا يقول لها الا عبارته الممله « اعقلي يا امراة » .

وعندما يشتد بعمته انفعال المعركة مع زوجها تتحول اليه فتصب عليه جام غضبها ايضا . انها « جاموسة » بشرية تريد ان تنطح دائما . وهي قادرة بطبعها الجاف الشرس على ان تخلق كل سبب للعراك مع زوجها او « معه » هو ان شاءت .. انه يكرهها كرها لا مثيل له بالرغم من كونها عمته اخت ابيه .. هي لا تمثل الفضيلة ولا تمثل الحنان . وهو يريد ان تتزايد عنده هذه الكراهية حتى تكون موازية تماما لقوة عمته وجبروتها فلا يغدو مغبونا مع نفسه على اقل حساب .. انها لتحرمه بجعجعتها وصياحها من الراحة والامن . وتحرمه من مطالعة الدروس في حجرته المتاكلة من اسفل الجدران تاكلا فظيعا .. وهو ايضا لا يود هذا المعروق الرقبة زوجها لانه ضعيف كالدجاجة المستكينة يخاف من زوجته السليطة اللسان القوية العضل ولا يرد عليها الا بعبارته « اعقلي يا امراة » . وكثيرا ما تمنى كاظم لو كان هو شخصيا مكان هذا المعروق الرقبة اذن لالقى على عمته درسا في الفضائل ولجعلها تركع الى قدميه ركوعا رائعا يشتهيه في نفسه .

انه يطلب فقط الراحة لنفسه المعصورة بشتى العواصف الداخلية القلقة . يتمنى ان يقرا كثيرا في كتبه ويبز زملاءه في الصف لانه وعد اباه الفلاح في ارض (الشيخ) الوسيعة الاطراف ، وعده ان يرفع عن راسه وجبهته المتغضنة غبار الذل والخضوع والعبودية .. وكان ذلك الوعد قبل ان يسافر الى بغداد ليقيم عند عمته هذه وليستكمل دراسته الثانوية في العاصمة ويحصل على الشهادة العالية .. ولقد رحبت به عمته يوم نزل عندها ترحيبا فيه غموض ثم ما عتمت ان مسته بكثير من اذاها ومساوئها ونالت بلسانها من ابيه الفلاح وهو اخوها الذي يكبرها بسنين ، وكان من اللائق بها ان تحترمه وتذكره بالخير ما دام قد اسبغ عليها رعاية وحنانا من قبل ان تقترن بزوجها هذا النحيف المتضعضع الارادة .. من ذلك الحين امست حياته عبارة عن قوقعة من الهم والالم والتوجع والمرارة .

وقطع معظم الزقاق الذي يقع فيه بيت عمته . وانتهى بعد قليل الى موقف سيارة المصلحة . وكان جو الصباح ما يزال باردا شديد البرودة واسنانه تصطك بألم .. وتأخر مجيء سيارة المصلحة ، وخشي ان يفوته ميعاد الدرس الاول فيمنعه فراش المدرسة من الدخول .. ونبع عنده القلق ، وجنح راسه بافكار يرهبها كثيرا . وتخيل ان وقوفه في موقف المصلحة مع هذا التأخير امر سيؤدي به الى الم مضاعف . وفي هذه اللحظة قرقعت سيارة من سيارات الباص الاهلية كانت مشحونة بالراكبين البسطاء .. فرفع يده للسائق ، فوقفت السيارة في الموقف وفتح السائق الباب الذي بجانبه وازاح له بجهد عن مكان ضيق . وعندما جلس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كاظم بجنب السائق حصرته الباب حصرا شديدا على خاصرته .. ومد يده الى جيبه واخرج نقدا ذا عشرة فلوس ناوله للسائق ، وتوجهت عيناه بعد ذلك الى الزجاجة السميكة الموضوعة امام السيارة واخذ يحدق في الشارع ..

كان في داخل سيارة الباص الاهلية حشد متراص ملتصق بعضه ببعض من شدة الازدحام وربما من شدة البرودة . وكان الجو المحصور فيها دافئا من الانفاس المتعانقة المختلطة ، فيه رائحة غير مقبولة .. وكانت سيارة الباص تعلو وتنخفض على اسفلت الشارع بعنف خشي معه على راسه ان يصطدم بسقف السيارة الواطيء .. وطقطق صوت منكر من اسفل السيارة فانتبه الى وضعه وحالته . وعادت الى مخيلته صورة عمته وزوجها والمطر الذي سقط في ليلة امس ، والدروس التي لم يقراها . وصورة الفراش وهو يمنعه من دخول المدرسة بعد دق الجرس للدرس الاول . وعرضت له صورة ابيه وملامحه المتعكرة من الجهد والارهاق وصورة امه وهي تنبيء عن عجز تام عن الحمل والارضاع .. آه يا ربي .. واطبق جفنيه وعاد ففتحهما وحدق ثانية الى الشارع والى الناس من خلال الزجاجة الثخينة الموضوعة امام السائق . ووقعت عيناه على مرآة صغيرة معلقة في وسط تلك الزجاجة تواجه السائق ايضا وتعكس صورة الراكبين من خلفه .. لمح فيها وجه السائق رضيا فيه مسحة رائقة من القناعة والاطمئنان والثقة .. واهتزت السيارة ثانية فانعكست في المرآة الصغيرة مع تلك الهزة صورة الحشد الجالس وراءه من الناس البسطاء.. كانوا يتحدثون ويجمجمون وابصرهم ينوسون جميعا ذات اليمين وذات اليسار مع ميل السيارة ومع اهتزازاتها المضطربة على ارض الشارع

وسمع صوتا من ورائه وابصر القائل في المرآة الصغيرة العاكسة — هذا البرد يمزق مفاصلي ..!

فهمهم اخر له وجه قوي الملامح — في الليلة الماضية لم تنم زوجتي لان الرضيع كان يبكي طيلة الليل من صوت المطر ..

وارتجف صوت عجوز تجلس في اخر صف من السيارة — اهه .. ليتك كنت رايتني قبل سنتين وانا ازعق بالاوجاع من روماتيزم حاد في قدمي هاتين .. في قدمي هاتين انظروا ايها السادة .. انني عجوز.. ومع ذلك فاني ملزمة بشراء الحاجيات من السوق للاسياد ... وفي مثل هذا الصبح البارد ..

فقال صوت مبعثر الامواج — اوه. لك الله ..

فقالت العجوز بصوت اكثر طمانينة — الاسياد يقولون عني انني عجوز ثرثارة .. ومع ذلك فاني لم اثرثر في الليل عندما اشتد البرد والمطر . .وضعت رأسي على المخدة ونمت .. اهه ..

فقال شيخ في صوت عميق الحنان — انك مخلصة ايتها الام ..

قالت العجوز بعد ان التفتت الى القائل التفاتة قصيرة وغيرت مجرى الحديث — ان الحاجيات في السوق تكون جديدة طازجة في الصباح المبكر .. وهذا صحيح ايها السادة.. فاني اخرج دائما مبكرة واعود بحاجيات يرضى عنها السيد رضى اغتبط به ..

وزعق صوت جبار النبرات — نازل .. هنا ..

ووقفت السيارة . ونزل عامل كالح الثياب الا انه عملاق .. وتابعت السيارة سيرها .

وكان كاظم يصغي باذنيه الى الجميع وكان الجو البارد ما يزال يبتلع حرارة الاجساد فيتركها جامدة مضغوطة.. والقى الى السائق اشارة بالنزول . وعندما مست قدماه الارض احس بعنف البرد يلسع وجهه الشاحب الحزين مرة ثانية ، فانثنى على نفسه انثناءة قليلة . وقبل ان تتحرك السيارة لتواصل سيرها رفع عينيه الى الحشد الملتصق بعضه ببعض وهو لا يزال يثرثر في تشك لذيذ .

واغذى السير صوب المدرسة . وفي الصف كان يشعر شعورا عميقا بالغربة . ذلك لانه لم يقرا دروسه بالامس . وتذكر عمته القاسية القلب . وتذكر الوجوه جميعا حتى وجوه الحشد الذي كان يثرثر في سيارة الباص الاهلية . وتخيل اباه وهو يبتسم له باساريره الملوحة باشعة الشمس .. وعجز عن جواب في درس الجغرافية . ولم يستطع ان يجري عملية رياضية في الدرس الرابع . فناله من ذلك حزن، والتمعت عيناه بالدمع في فرصة الدرس الثالث ..

ومضى نهار ذلك اليوم . ورجع الى بيت عمته واوى الى حجرته المتاكلة الجدران الضيقة المساحة .. وعندما حل المساء كانت العصافير تسقسق فوق جدران السطوح، وكان كاظم يحس بضيق ووحشة وحصر نفسي وغربة ايضا .. فقد كانت صورة الحشد المتراص في سيارة الباص الاهلية تترعرع في ذهنه على انها وضع رائع للراحة النفسية التي تتمتع به جماعة من الناس يتخلف هو عنهم بنكده وبؤسه في بيت عمته ، حتى طفح في نفسه احساس بالضنى والظلم معا .

واختنقت في حلقه غصات متزاحمة وباخ عنده الميل الى مطالعة الدروس. فانفجر يبكي وحده بحرقة وصمت واحمرت عيناه من الدموع. وتناهى اليه وهو يبكي لغط في باحة الحوش. فعلم ان زوج عمته قد جاء الان من عمله . عند ذاك كفكف من دمعه . وكان المساء يولي والعصافير تهجر جدران السطوح . وتحرك لسانه متيبسا في فمه واحس بالعطش .. فخرج الى الباحة وكانت عيناه ما زالتا حمراوين من النشيج . وكانت عمته جالسة هناك . فجعلت تلحظه وهو يمشي نحو « حب » الماء وتصعد فيه نظرا ثاقبا فيه غرض مكبوت كانه عشعش في نفسها من زمان بعيد .. وقبل ان يرتد الى حجرته بعد ان اصاب حظه من الماء اشخص نظره الى زوج عمته فرآه ياكل وحده في ركن الحوش قرب الباب ويزدرد طعامه بشكل يبعث على الضحك والهزء فدعى عليه في نفسه بالبلى.. وقبل ان تنتظم في ذهنه سلسلة جديدة من الافكار الطارئة حول هذه الوضعية التي يتخذها زوج عمته دوى صوت العمة الجالسة في ركن اخر من الباحة .

— ايها الصبي الصغير ...

وانتفضت اعصابه المرهفة . وتصلب في مكانه لا يريم . ورفع زوج عمته عينيه اليه وحدق فيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحظة ثم عاد الى ازدراد طعامه بشكل مضحك ... عول كاظم في هذه المرة على بقية شجاعته وعزم على ان يقف موقفا صلبا تجاه اية عملية متخشبة من عمليات عمته القاسية .. لم يجب .. ودوى المكان بالصيحة ثانية

ـ ايها الصبي الصغير .. هل كنت تبكي ؟..

فاجاب بصوت يكاد ان يكون متضعضعا :

ـ لست صغيرا ...

وانثنت عمته السمينة الى الارض واستندت على يدها ثم نهضت عن مقعدها وهي تلهث من الترهل وتقول بصوت يتميز غيظا :

ـ طال لسانك .. هاه .. حسنا اكتب هذه الليلة الى ابيك ان يبعث بثلاثة دنانير اخرى لمصروفك .. هذه الثلاثة دنانير التي ارسلها لا تكفي ولا تنفع شيئا ..

وكاد ينفجر بالبكاء مرة ثانية ويوغل فيه ايغالا شديدا ، فان عروقه المثلوجة ازدادت تصلبا وتجمدا في هاته اللحظة .. من اين يأتي ابوه بثلاثة دنانير اخرى يذهب معظمها في بطن عمته وزوجها ؟ وتلجلج لسانه وغمغم :

ـ لن اكتب يا عمة .. ابي لايملك هذا المبلغ !

فزعقت وهي ترتجف :

ـ ليذهب ابوك الى النار .. هل تريد ان تبقى عالة علي ايها المسطول ؟

ولم يقل شيئا . انما دخل غرفته وجاشت بنفسه العواطف المكبوتة فاهتز جسمه بالبكاء .. لم يعد يحتمل هذه الحياة .. هذا الوضع السيء .. كل جوارحه تدعوه الى النشيج ، حتى ارادته التي يحاول ان ينميها ويقويها في هذه الايام تتخاذل في هذا المساء الموحش .. وعندما رانت الظلمة على الدار اظلمت نفسه المعصورة المنكودة ، وكان في تلك اللحظة الرهيبة من لحظات الصراع النفسي المرير يمسك بيديه قنينة رمادية فارغة . وكانت عمته تدمدم في الباحة ولكنه لا يتبين ما تقول .. وغامت في عينيه المرئيات ثم غابت تماما عندما هبطت يداه على راسه بقوة وبعنف .. وسمعت حينذاك صرخة مدوية مفزعة وارتطام جسم بالارض .

وفي المستشفى كان كاظم مغمض الجفنين وقد تراخت يداه بذبول . وكان يتمثل في ذهنه المكدود مشهد الحشد المتراص في سيارة الباص الاهلية وصورة ابيه ذات القسمات الوادعة العميقة . وصورة امه وهي تنبىء عن عجز تام في انجاب جنين اخر .. ثم صورة عمته ذات التعبير المتخشب الذي لا يحوي معنى واحدا من معاني الطيبة والحنان .. وكان المطر في الخارج يسفع نوافذ المستشفى سفعا منغما وينهطل المطر كمثل ليلة امس .

بغداد — موفق خضر

دعوة

لماذا أموت ،
وفي ناظريكَ حنين صموت
ويولدُ في قلبيَ القاحلِ
اذا ما ابتسمتَ هوى وانتظار
كأنَّ النهار
تفتّح في قبويَ المظلمِ
وفتّح زهره
بلون الدمِ
أكادُ احسك حين تغني
يدا تدفع الموتَ عني
وعطراً يغلغلُ في جسميَ المتعبِ
وأجهلُ اني
أسيرة قلبي
أسيرةُ صمتي وحبي ودربي
حياتي ! انتظار طويلٌ اليك
حبيبي اليك ،
ففي ناظريك ،
وجودي تفتّح في ناظريك

دمشق — عبد المجيد الراضي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرواية في الادب الروسي

بقلم مارسيل اهرار

استاذة الادب الروسي في جامعة ليون بفرنسا

○ ○ ○

كان بوشكين ولرمنتوف روائيين ، ولكن منشيء الرواية الروسية الحقيقي هو غوغول .

غوغول ـ ولد نقولا غوغول في اوكرانيا ببلدة سورتشينتز ١٨٠٩ ، وكان ابوه يعنى بالتقاليد المحلية ، وكتب باللغة الاوكرانية روايات تمثيلية كوميدية انتفع بها الابن . وبعد طفولة هنيئة في الريف ودروس بسيطة في نيجين حيث ظهرت عليه موهبة الممثل ، سافر هذا الفتى الجنوبي ذو الوجه الناحل والانف الطويل الحاد والعينين الثاقبتين الى بطرسبرج وقلبه طافح بالطموح ، لا طموحا ادبيا فحسب ، وانما كان يحلم بتأدية دور في حياة بلاده ، وهو ككثير من الاوكرانيين فكاهي واسع الاحلام خيالي وواقعي ، يمتاز بالملاحظة والتقليد ، وهو ايضا غضوب ، قليل التأثر العاطفي ، ولن تدخل المرأة في حياته، وليس في مؤلفاته اية صورة للنساء غير العجائز ، هو مؤمن بل متصوف ، وسبق له ان كتب الى والدته بان الله قد اختاره لامر جلل . فلما عرضت عليه احدى الوظائف البسيطة لم يرض بها ، وحلم بان يصبح ممثلا ، ثم بدا بواكيره في الادب نظم الشعر ناظما قصيدة هانس كوشلغارتن مقلدا بها فوس ، ولكنه اتلف هذه القصيدة عند اول مغال نقد ، وسافر الى الخارج ، فما ان وصل الى لوبك حتى عاد . واذ راى نجاح الاساطير الشعبية والالوان المحلية ولا سيما ما كان اوكرانيا ، كتب ليالي المزرعة قرب ديكانكا (١٨٣١ ـ ٣٢) فاذا بها ترفعه الى المجد ، الذي كان قد يئس من الوصول اليه عن طريق الاوساط الادبية ، ويحظى بتأييد بوشكين وصداقته . وربما لم يكن ثمة كثير من الحقائق في تمجيده لاوكرانيا حيث تختلط ذكريات الصبى بحكايات هوفمان ولكن فيها حياة دافقة ، وفكاهة مستحبة ، ونلمس مواهبه في ليلة سان جان ، حيث يعرض رسوما هزلية واقعية ويمدها بوصف رومانطيقي جميل ، غني بالالوان ، موسيقي الالفاظ . وقد شجعه هذا التوفيق فسافر الى اوكرانيا لانعاش ذكرياته فعاد خائبا من هذه الناحية ، الا انه جلب افكارا لمجموعته الجديدة ميرغورود وغيرها من الاقاصيص . وتسيطر الواقعية في قصة كيف اختلف ايفان ايفانوفتش مع ايفان نيكيفوروفتش ، الا انها ممزوجة بالسخرية . وفي قصة ملاكي الزمن القديم السعيد تتجلى هذه السخرية مع نفحة من الانفعال ، والحياة في المسكن العتيق تتعطر بشذا الحنان . وفي تاراس بولبا حديث ممتع عن بطولة اوكرانيا الماضية في صفحات رومانطيقية ، غير صحيحة تماما من الوجهة التاريخية ، الا انها حية ملونة فاتنة في اوصاف السهول والبراري الزاهرة .

ان هذا الاستيحاء من الماضي قد اوهم غوغول انه حائز على موهبة المؤرخ ، ومع انه لم يكن على شيء من الاطلاع في هذا الحقل ، فقد طلب ، ونال ، منبرا لتدريس التاريخ في جامعة بطرسبرج ، ولكن سقوطه احدث دويا شديدا فعاد الى الادب ، واحدث تجديدا في انتاجه اذطبق على رسم الحياة البطرسبرجية الاساليب التي استعملها بنجاح في اقاصيصه الاوكرانية . ولكن لما كانت العاصمة تعطي القليل من الناحية الشعرية فقد زاد مقدار الواقعية في يوميات مجنون وفي قصة المعطف الرائعة ، وهذه حكاية بسيطة محزنة لمستخدم حقير في مكتب احرز معطفا جديدا بعد اقتصاد طويل فسرق منه أول مساء ، ونهاية القصة ليست ذات شأن يذكر بالقياس الى الصفحات المكتوبة عن الحياة اليومية لهذا العجوز المسكين ، تلك الصفحات التي قال فيها دوستوفسكي : « ان الرواية الروسية كلها قد خرجت من معطف غوغول » .

ان الملاحظة وذوق الفكاهة وحيوية الحوار التي امتاز بها غوغول كانت تهيء له اسباب النجاح في المسرح ، الا ان نجاح تمثيلية رفيزور (التي سنبحثها في الفصل التالي) أوقعه في ارتباك مؤلم ، حيال استنكار الرجعيين وتحمس الاحرار ، وقد احتج بكل اخلاص ، ولكن عبثا ، بانه لم يقصد الى انتقاد انظمة بلاده . وللتخلص من الضجة التي اثيرت حول مسرحيته هذه ، والعمل في هدوء ، وبدافع الحاجة الى الفرار الذي قذف به الى الباخرة في لوبك ، غادر غوغول روسيا عام ١٨٣٦ وبقي حتى ١٨٤٨ يعيش متجولا في انحاء المانيا وفرنسا التي يكرهها لما فيها من لباحية الالحاد ، وايطاليا التي يحبها لشمسها وجو روما الديني . وكان رفيق سفره الدائم التأليف الذي بداه عام ١٨٣٥ ، اعظم انتاج حياته (النفوس الميتة) وقصته، كما يقول ، هي قصة نفسه .

لقد ظهر الجزء الاول من هذه القصة عام ١٨٤٢ بعنوان : مغامرات تشيشيكوف او النفوس الميتة شعرا . وموضوعها الذي اقترحه بوشكين يتلخص في ان مختلسا يتخيل انه اشترى « نفوسا ميتة » أي فلاحين مستعبدين منذ اخر احصاء ، وما زال مالكو الاراضي يدفعون عنهم الضريبة ، وهؤلاء يسرهم كثيرا ان يسلموه بابخس الاثمان سندات الملكية التي سيستخدمها رهنا لقروض ينالها من المصارف . وفي سبيل تجارته الغريبة يطوف تشيتشيكوف سهول منطقته بريتشكا التي سرعان ما اصبحت اسطورة من الاساطير . هو رجل ليس عجوزا ولا فتى ، قوي البنية والهيئة مرح بسام ، يعرف كيف يضحك مع القرويين وكيف يسلك في قصر حاكم ، انه خلق لكي يوحي بالثقة ، فلا احد يكترث لماضيه . ولكن هل هناك اسوأ خلقا من موظفي بلدة صغيرة ومن المالكين الريفيين الذين عقد معهم صفقاته المريبة ؟ اننا لنجد مجموعة من الوجوه امامنا : النبيل الكسول ، المتجمل باللطف ، والجار الشرس يدافع عن مصالحه بقوة ، والمرأة العجوز المحدودة ، والمسرف الخداع والبخيل القذر المقرف . ونرى المسافر التاجر البارع يخاطب كلا من هؤلاء على قدره ، فالحوار طلي ممتع ، ولكن احدا لا يمكنه ان يصد العرض

من كتاب « تاريخ الادب الروسي » الذي سيصدر في منشورات عويدات ببيروت

السخي المشبوه ، بدافع من العفة ... بل الجميع منغمسون في شهوات المنافع المادية . وكل هؤلاء الاحياء نفوس ميتة.

ان هذه « الرمزية » التي ظهرت بعد حين لفوغول كانت بعيدة عن فكره عندما بدأ كتابه ، وقد كتب الى بوشكين : « سيكون مسليا جدا ! » ولكن بوشكين بعد قراءته الفصول الاولى صاح قائلا : « رباه ما اشد تعاسة روسيانا » ، واجمع الاحرار والمحافظون ، كما جرى بعد مسرحية « رفيزور » على ان هذه القصة المرحة هي تصوير حساس للحقيقة الروسية ، وكيف الافتراض بان مؤلف كتاب يلمح بنقد عنيف للعبودية هو نصيرها وانه لم يفكر الا في دراسة الطبائع وفي الجانب الهازل من المواقف ، بيد ان صفاء ملاحظته وموهبته في رسم العادات اعطى روايته، رغما عنه ، هذا المعنى غير المنتظر ؟ ان هذا الفهم السيء هو احد اسباب المأساة التي هزت نفس غوغول ، مأساة برزت طلائعها من قبل في هذا الجزء الاول الواقعي من الاندماج الفنائي حيث ينشد غوغول ايمانه بالشعب الروسي وفي مستقبل روسيا التي ستسبق اوروبا ركضا. لقد اتهمه خصومه بتسويد وطنه ، ولكن اذا كان الجزء الاول من قصيدته كان الجحيم فسيتلوه المطهر ، حيث يجزى تشيتشيكوف ، ثم الفردوس الذي سيظهر للعالم معطيات النفس الروسية .

ولكن اذا كان غوغول نجح في تصوير العيوب والمفاسد فلم يكن بقادر على سكب الحياة في الفضائل ، وقد شعر هو نفسه بذلك ، فتميز غضبا . وبين ١٨٤٣ و١٨٤٥ كتب الجزء الثاني من النفوس الميتة ثم اتلفه ، وعاد يكتبه من جديد (في بعض الفصول التي حفظت مسوداتها لم يكن صالحا سوى الصفحات التي يغلب النقد فيها) . انه لم يدرك ان الصعوبة ناجمة عن طبيعة موهبته ، بل حسبها قائمة في ضعف نفسه ، فهو غير كامل ليخلق كائنات كاملة، وراعه ان لا ينجح في اداء الرسالة التي خصه الله بها في ارشاد شعبه ، فشعر بالحاجة الى الاعتراف العلني ، والاستغاثة .

وفي ١٨٤٦ ظهرت مختارات من مراسلاتي مع اصدقائي فسببت فضيحة حول كشف عقيدة غوغول الحقيقية ، المحافظ والمتصوف ، ولهجة « النبوة » التي يخاطب روسيا داعيا اياها الى الانتعاش والى مساعدته هو نفسه على الانتعاش . وبعد رحلة الى الديار المقدسة حيث كان يأمل هبوط الوحي عليه فلم يشعر الا « بجفاف قلبه » ، قرر بغتة الرجوع الى روسيا لينعم النظر فيها ويجدد رسمها . وفي موسكو زاده احد الرهبان اضطرابا اذ اتهمه بالفرور والاطماع الادبية . وتنازع في ذاته الفنان والورع فأحرق يوم ١٢ شباط ١٨٥٢ كل ما كان كتبه من الجزء الثاني من النفوس الميتة ، وقد انهكته هذه التضحية وطول الصيام فتوفي بعد بضعة ايام .

من غوغول الى دوستوفسكي ان النفوس الميتة تحدد، الى امد طويل ، الخطوط الاساسية للرواية الروسية، وبما انها واقعية قبل كل شيء ، فهي تعمل لرسم الافراد ، وكذلك لوصف البيئة التي يمثلونها . ويستنتج من ذلك ان المؤلف شاء ام ابى (كما هو شأن غوغول) يساهم في القضايا الاجتماعية والسياسية ، فما من نتاج الا ويبحث فيه عن « ميله » .

وهكذا فان ميل سيرج اكساكوف (١٧٩١ ــ ١٨٥٩) الذي كان صديقا لغوغول هو ميل محافظ يتجه الى احترام الماضي . وهذا الرجل الممتاز الذي يحب الطبيعة والحيوانات قد احترف الكتابة في شيخوخته ليقص ذكرياته ، ذكريات صياد ، ذكريات قناص ، ثم طبق على الرجال مواهبه في الملاحظة بكتابة سيرة حياة اسرته وسنوات الطفولة لحفيد باغروف وهما كتابان بديعان يمثلان وسطه العائلي ببساطة . ثم ان غونتشاروف وتورغنيف هما ايضا رجلان هنيئان ، فنانان قبل كل شيء، واذا كانا قد اهاجا الافكار اكثر مما تمنيا فلانهما كانا قادرين على نفخ الحياة في كل ما يشاهدان .

ولد غونتشاروف عام ١٨١٢ في سمبيرسك وترعرع في احضان المزارع الفنية التي وصفها ، حيث كانت المآدب هي القضية الكبرى والايام متشابهة ، وقد بقي متمسكا باسباب الرفاهية ، فعاش في الوظائف عيشة سكون واطمئنان ، حتى بلغ منصب « المراقب » فمارس واجباته باعتدال ، فلم يقع له سوى حادث واحد : اذ اشترك في رحلة البارجة بالاس Pallas الى افريقيا وآسيا ، فقص مشاهداته كملاحظة لاه . وقد توفي عام ١٨٩١ رخي البال لم يتعرف في حياته الطويلة الى متاعب السياسة ولا اكترث بامور الدين . ورأى اعظم حدث في زمانه ، وهو الغاء الاستعباد ، دون ان يتأثر به . كان منصرفا بكل حواسه الى الادب ، وافضل الساعات عنده تلك التي كان يقضيها في صقل رواياته الثلاث على مهل وروية : وهي : تاريخ عادي (١٨٤٧) اوبلوموف (١٨٥٩) رافان (١٨٦٩) وفي هذه الاخيرة يبدي ملاحظاته على رفاقه وعلى نفسه كما تخيلها يوما بعد يوم .

اما ادويف بطل تاريخ عادي فهو فتى ، على غرار بطل بلزاك ، ولعله المؤلف نفسه ، يصل الى العاصمة لنيل مركز عال ، ومجد ادبي ، وحب مكين ، فينتقل من خيبة الى خيبة حتى يضطر للقناعة بما هو فيه : انه عاجز وانانى . ونجد بعض اوصاف ادويف ايضا في اوبلوموف لكن هذا اكرم فطرة واسمى موهبة ، فأراد التخلص من اعباء الملكية العائلية والتعلم والعمل . الا ان خصلة التواكل كانت اقوى منه ، فلبث مضطجعا على ديوانه يحلم طول النهار بما سوف يفعل في المستقبل . ويحاول صديق نشيط وامرأة جريئة انقاذه لكن اوبلوموف غير صالح لمتابعة مجهوده المنعش طويلا فينهار نهائيا في عالم الاحلام . ويرتفع غونتشاروف حتى يخلق شخصية من اشهر شخصيات الرواية الروسية شاجبا اكبر نقيصة وطنية هي التواكل الذي يشل كثيرا من الوثبات الكريمة ، وقد غدا اسم اوبلوموف علما عند الروس على هذه النقيصة . اما في رواية رافان فالدسائس الطويلة ليست نتيجة لقوة التحليل النفساني كما في الروايتين الاوليين ، اذ ان غونتشاروف لم يكن جديرا بان يمنح الحياة شخصيات لا تنبع من اغوار نفسه ، فان تورغنيف اقدر منه في هذا المضمار .

ونجد شخصية اوبلوموف في ايفان تورغنيف . فالتواكل يظهر عليه عندما يحاول انتاج عمل فني .

ولد ايفان تورغنيف في اورل ١٨١٨ من اسرة تنحدر من اصل تتري وكان ابوه ضعيفا وامه قوية شديدة القسوة في معاملة

الفلاحين فنشأ الفتى وفي نفسه استفظاع للاستعباد . لقد عاش في مزرعة سباسكوي الخصبة واحب منذ نعومة اظافره الطبيعة والشعر . درس الفلسفة في روسيا ثم في برلين وقضى شبابا طليقا ، ولما عاد الى بطرسبرغ اخذ يغشى انديتها وينظم القصائد ويؤلف تمثيليات قصيرة ، واصدر في ١٨٤٧ خور وكالنيتش اولى احاديث صياد عندما تعرف الى بولين فياردو شقيقة ماليبران التي اتت في جولة وشعر نحوها بغرام اضطر للتخلي عنه ليصبح صداقة، بيد ان هذا العازب الذي كان يحب الوحدة قد عاش في بيت آل فياردو حيث عرف معنى الحياة العائلية التي يصفها في روايته . وتبع الاسرة الى اوربا ، بيد انه كان يعود الى مزرعته سباسكوي كل صيف ، ثم سكن مع تلك الاسرة في باد عام ١٨٦٤ وفي باريس بعد عام ١٨٧١ واصبح صديق غونكور وموباسان والفونس دوديه وجورج صاند . وفلوبير في الدرجة الاولى . واستطاع بلطف حديثه ان يكتسب لروسيا وادبها الكثير من الانصار في باريس ، لكنه كان يتألم لانه فقد الاتصال ببلاده ، ولان سوء الفهم قد وقع بينه وبين الشبيبة الروسية ، ومات في بوجيفال (فرنسا) ١٨٨٣ بعد اشهر طوال من الالم بقي خلالها عاكفا على تحويل آخر قصائده الى نثر .

بعد ان احرزت احاديث صياد ما احرزت من نجاح عام ١٨٥٢ ، اعتبر تورغنيف مؤلفا روائيا . فالامور المتعلقة بالفلاحين ، كانت موضوع اهتمام عام في اوربا بأسرها ، وكانت في روسيا مثار الاعجاب منذ عهد غوغول . ثم جاء فلاديمير دال فاستخدم في هذا النوع من الادب معرفته الواسعة باللغة الشعبية . وكان غريغوروفتش (١٨٢٢-٩٩) قد اصدر في ١٨٤٦ قصة القرية وفي ١٨٤٧ انطوان سيء الحظ واعقبتها الصيادون والمهاجرون ، فحيا بلنسكي بحماسة هذه اللوحات التي تمثل الطبائع والاخلاق القروية دون ان يرى فيها الناحيتين العاطفية والفائدة . بيد ان الروايات العائدة للفلاحين لم تبلغ كلها سواء في روسيا او الخارج المستوى الذي بلغته احاديث صياد في بساطتها ومتعتها الشعرية . هذا الصياد ، الذي هو تورغنيف نفسه، يجوب الغابات والحقول ويجتمع الى الفلاحين ويحضر معرضا وجنازة وينزل في ضيافة صاحب مزرعة او عزبة . وهكذا نرى امامنا الارياف الروسية بكل ما فيها ، ونسمع ـ بغير كلام ـ دفاعا عن حرية الفلاحين ، واستنكارا صامتا للاستعباد . ان تورغنيف كان يقدر في مؤلفاته الراي العام ويتحدث عن مجد الامبراطور دون ان يجادل او يناقش ، ولم يكتم عيوب الموجيك الا انه اظهر ذكاءه وغنى حياته الداخلية وفظاعة استعباده ، لا لان الاسياد كانوا يجلدون الفلاح بالسياط ويزجونه وينفونه كما تشاء اهواؤهم ، فهم وحوش ، بل لان الاستعباد الذي هو عماد رفاهيتهم قد قتل فيهم شعور الاخاء الانساني .

ويمتاز تورغنيف بقدرته على ان يخلق باسطر قليلة اشخاصا لا تنسى وجوههم من نبلاء وفلاحين ، وان يمنح كلا منهم لغته . وسياق القصة الذي يكون فكها تارة وحزينا طورا يشتمل على اوصاف ترافقها معرفة دقيقة بالنباتات مما يدل على قوة الشاعرية ، فهو يصف الحر الثقيل في قلب الغابة ، وصبيحات الخريف الفارقة في الضباب ، وجمال الشمس في شروقها وغروبها على الاودية والسهول، والليل الصافي المرصع بالنجوم فوق بريباجين حيث الاولاد الذين يحرسون الخيول يشعرون بان الارواح الشريرة ترود حولهم .

واعقبت الروايات الكبرى الاقاصيص ففي ١٨٥٦ قدم رودين بشخصية هملت روسي وكانت هذه الشخصية قد ظهرت في سلسلة من الحكايات التي انتجها تورغنيف : وهو الرجل الذكي ذو المقاصد الكريمة ، الا ان ارادته لا تصلح للعمل حتى ولا لعاطفة حقيقية . ومقابل ذلك فان الفتيات اللواتي يبرع تورغنيف في تصويرهن ، بعضهن مثال الحنان والبعض الاخر مثال القوة لا يحجمن عن شيء متى اعطين قلوبهن . وثمة موضوع اخر متكرر احيانا يتجلى في هذه الرواية الاولى ، هو الخلاف بين جيلين : الاباء الذين يعيشون في حقولهم المعيشة التقليدية المألوفة ، دون ان يكون لهم مثل اعلى ، والابناء الذين فصلتهم الثقافة الاجنبية عن بيئتهم فاسكرتهم افكار واقوال غير راهنة .

اما وكر الاسياد (١٨٥٩) فتكتفي بان تكون رواية غرام في نطاق قديم وبديع وفي رواية عند العشية (١٨٦٠) يبحث تورغنيف عن الرجل القوي الذي تحتاج اليه الازمنة الحديثة (وكان قد اقترب موعد الغاء الاستعباد) ولكنه لا يجد هذا الرجل لا عند الفنان الفاتن الطائش ، ولا عند المثقف الخجول ، وانما عند انساروف البلغاري ذي الجسم القوي والنفس المتيقظة يندفع لتحرير بلاده ويموت قبل الوصول الى غايته ، واليه يتجه حب هيلانة المتوقدة التي كانت تختنق في بيئة انانيته . اكان من المستحيل اذن وجود الرجل القوي والجسور في روسيا ؟ يجيب تورغنيف عن استياء الشبيبة الروسية في رواية آباء واولاد (١٨٦١) حيث يتجنب ، كعادته ، الميل الى احد الجيلين ، فيمنح الاباء في اسرة ارستقراطية تهذيب العادات والمشاعر ، وتذوق الجمال ، ويمنحهم في الاسرة العادية متانة التراث الخلقي والديني لروسيا القديمة . اما الابناء فنجد فيهم ضعفا ، اذ ان اركاد ذا القلب الممتاز ، لا يكاد ينقضي زمن طموح الشباب حتى يعود لقضاء الحياة كأبيه في هدوء رتيب ، ولكن « الفوضوي » بازاروف يختلف طينة وفطرة ، فبعد ان يصف تورغنيف في هذه الرواية الماضي المتحجر المادي في الفلسفة والحب ، نرى بطل روايته يضع الاشياء كلها تحت التجربة العلمية ، فينكر الفن والشعر ونشعر انه في السياسة يدعو الى الثورة التامة . الا انه على الرغم من قوته تتغلب عليه الحياة ، فيضطرب تحت وطأة الحب اولا ، ثم يقتله وباء خاطف .

وقد احدثت هذه الرواية دويا لا نظير له في اوساط الشباب المثقف الذي اخذ على المؤلف تشاؤمه في الخاتمة واتهمه ظلما بالتحامل على بازاروف . والحقيقة هي ان التعلق بالماضي ، والتشوق للمستقبل ، والقلق على الحاضر تتشابك كلها في نفسه كما في هذه الرواية التي هي في آن واحد مستند تاريخي وعمل فني ايجابي

ولقد ضاق تورغنيف ذرعا بما لمسه من عدم التفهم العام لمقاصده واهدافه فهاجم الرجعيين والتحرريين ، السلوفانيين وانصار الغربيين ، الاباء والبنين في روايته الرائعة دخان ، (١٨٦٧) ، وهي تصوير بارع قوي للبيئة الروسية في باد الفارقة في مشاحناتها ومنازعاتها الدائمة قائلا ان ذلك كله دخان ، كأي شيء روسي ، وكأي شيء

في الحياة كلها دون شك او ريب ، بيد ان الخاتمة تشرق بنصيحة هي العمل في صمت وسكون ، وفي المكان الصالح ويقدم تورغنيف عام (١٨٧٦) اراضي عذراء وهي انتاج اضعف ، دل على جهل المؤلف بالشباب الثوري .

لم يهمل تورغنيف القصة القصيرة حيث تتجلى مزاياه في الاتزان وجزالة الاسلوب . ففي ١٨٧٣ اضاف بقايا رفات حي على احاديث صياد ثم اقتصر على انتاج عدة اقاصيص ، وتحويل بعض قصائده الى نثر ومال فيها الى بث فلسفته التي اسيء فهمها قائلا ان البشر عبثا يجهدون. فالطبيعة تنظر غير مكترثة منذ الازل ، فلم يبق على الانسان ، وقد ادرك بطلان غروره في امانيه ، الا ان ينصرف الى مهمة نافعة او يفر الى دنيا الفن . ولكن معاصري تورغنيف كانوا يفضلون الكفاح .

وبعد الغاء الاستعباد استمر التحرريون في معالجة الموضوعات الباحثة عن علل المجتمع الروسي : تعاسة الفلاح ، فساد الموظفين ورجال الاعمال ، وكان ابرز من بحث هذه العلل سالتيكوف (١٨٢٦–٨٩) الذي كان يكتب في البداية باسم تستشورين المستعار . لقد كان من النبلاء ، وشغل عدة مناصب حتى عام ١٨٦٨ ثم استقال ليدير مع نيكرازوف مجلة حوادث الوطن . وكان قد اتى من فياتكا باقاصيص ريفية وحكايات ساخرة وهزلية ، ونشرت المجلة كثيرا من الروايات التي تصور حياة الفلاحين تحت امرة الاقطاعيين ، وتدعو لالغاء الاستعباد . وفي رواية غولوفليف يصور لنا لوحة قاتمة لاسرة نبيلة يستولي عليها الكسل الموروث ، فنرى عجوزا بخيلة شريرة سيطرت عليها فكرة « العائلة » طول حياتها بحيث ادخرت الفتى لاولادها، الا انها لم توجه عنايتها واهتمامها لتربية هؤلاء الاولاد ، بل ان المنافق يودوشكا اصغر اولادها بدد ما جمعت والدته من اموال .

وتقدم روايات سلتيكوف شخصيات رجال عرفوا كيف يفيدون من تطورات الزمن الحديث ، وموظفين من مختلف الرتب والدرجات امنت لهم الوظيفة كل تسهيلات الغنى ولا سيما في المقاطعات النائية ، وهي شبه مستعمرات يكون اهلها تحت رحمتهم كما في رواية « هؤلاء اسياد طشقند » ومتى نجح الانتهازي يصبح بومبادور حاكم مقاطعة او وزيرا بغير ضمير . اليست روسيا بأسرها طشقند مكبرة ، حيث « النعاج في كل المواسم تسلم اعناقها للذبح » ؟ ثم ان قصة مدينة غلوبوف تعطينا صورة مصغرة عن قصة روسيا كلها (تذكر في اسماء الحكام بدلا من القياصرة) فنرى الشعب راضيا بكل شيء . بيد ان اتباع طريقة التلميح دون التصريح والاسلوب المعقد ، واللغة الجافة الغامضة التي كتبت بها هذه القصيدة تجعل من العسير فهمها على الروس الحاليين ، ويعتبر سلتيكوف مصدر ثقة في وصف احوال عصره .

ونجد رواية بودليبوفتسي لمؤلفها رشتنيكوف (١٨٦٣) مليئة بالتلميحات والكنايات ايضا ، وفيها لوحة عن اخلاق الفلاحين في منطقة كاما تدلنا على التعاسة المادية والمعنوية التي تعانيها روسيا قاطبة . اما رواية ما العمل ؟ لتشرنيشفسكي (١٨٦٤) التي احرزت في ذلك الحين نجاحا منقطع النظير فتبدو الان سطحية بالطالبين اللذين تدفعهما روح التضحية والنبيل الذي ينتحل صفة حوذي ويحار في الفولغا ، ويرينا شخصية مثل شخصيات روايات تولستوي قبل مجيء تولستوي .

ان الكتاب المحافظين هم واقعيون ايضا الا انهم يستخرجون من الحقائق استنتاجات شتى ، فان بيزسكي (١٨٢٠ – ٨١) قد جمع بين اليمين واليسار في الفنفس وهي قصة مغامر اعظم شرا من بطل تشيتسيكوف ولكن البحر الهائج التي تمثل المجتمع الروسي المضطرب بسبب الغاء الاستعباد قد وضعت مؤلفها بين الرجعيين .

وظلت موهبة لسكوف الكبرى (١٨٣١ – ٩٥)مجهولة زمنا طويلا بسبب ميوله ، ولكن مكسيم غوركي اماط عنها اللثام . لقد تعذر على لسكوف تلقي الدروس لفقره ، فكسب رزقه في التجارة . وطاف في انحاء روسيا وكتب عام ١٨٦٢ مقالا غمز فيه قناة الطلاب الثوريين ، فاغضب عليه الشباب الطالع ، واشتدت النقمة بروايتيه لا منفذ وحتى السكين الموجهتين ضد الاشتراكية وهما مليئتان بالتوريات والكنايات الساخرة . وهذه الكتب الجدلية ليست ، لحسن الحظ ، كل مؤلفات لسكوف . ففي رجال الكنيسة (١٨٧٢) صور لنا بيئة الاكليروس ، وهذا هو الانتاج الادبي الروسي الوحيد في هذه الناحية الذي يرينا وجوها كريمة بين الرهبان ولكنه يتهكم على بعض كهنة الارياف . وبطل الكتاب توبيروزوف نفس ملتهبة بالايمان والاحسان ، يناضل في وقت واحد ضد عداء المثقفين ، والضيق الفكري في رؤسائه فينهزم . وهناك مؤلفات اخرى يصور لنا فيها لسكوف بيئات اخرى رآها عن كثب: بيئة تجار الارياف في ليدي مكبث لقطن متسنيك وبيئة المؤمنين القدماء في الملاك المختوم وفي هذه القصص كثير من الفن وجمال الاسلوب .

وملينكوف (١٨٢٩ – ٨٣) الذي يوقع بالاسم المستعار بشنرسكي في مواضيعه يشبه لسكوف ، ولكنه دونه رجلا وكاتبا . هو استاذ جامعة في برم Perm وفي ثيني نوفغورود . كان يعنى بالتقاليد المحلية ولا سيما بالمتدينين القدماء فيما وراء الفولغا ، ويتهم بانه استغل ثقتهم حين كان موظفا ترك الوظيفة الى التعليم ، لكي يقدم اسلحة ضدهم الى الحكومة . لقد كتب عنهم روايتين طويلتين في الغابات (١٨٧٢) وفي الجبال (١٨٧٥ – ٨٠) مظهرا العادات التي لم تتبدل منذ الانشقاق وواصفا حياة القرى، والاديار الخفية في قلب الغابات ، وعيشة الرهبان في تنسكهم واخلاصهم ، الا انه يجدهم ذوي ذهنيات محدودة، واللوحات الملونة التي يرسمها لنا تعوزها الحرارة لتكون مؤثرة .

دوستويفسكي – يدعي المحافظون ان دوستويفسكي منهم ، فدعوته الى الايمان ، طبعا ، تتفق وافكارهم ، لكن عبقريته تحطم ، على الرغم منه ، كل الاطارات وتنقل انتاجه الى ملك الانسانية المشترك .

ولد فيدور ميخائيلوفتش دوستويفسكي في موسكو عام ١٨٢١ وهو ابن طبيب نبيل على شيء من الثراء ، صارم ، وبخيل وتقي . وخلافا لمعظم الكتاب الروس ، ترعرع في المدينة ، وعن المدينة تتحدث رواياته وقد كانت وفاة والدته ثم موت بوشكين اكبر احزان سنواته الاولى ، وكان في السابعة عشرة يقوم في مدرسة الهندسة العسكرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في بطرسبرج بدراسات لا تروق له عندما جاءه نعي ابيه الذي قتلوه فلاحوه وكان شديد القسوة في معاملتهم ، وكان وقع النبأ شديدا على الفتى فاصابته نوبة صدرية كادت تذهب بحياته . وما لبث ان غادر السلك العسكري ، وانقطع الى الكتابة ، فظهرت عام ١٨٤٤ اولى رواياته الناس الفقراء وقد تاثر فيها برواية المعطف لغوغول ، ونالت اعجاب بلنسكي ونيكراسوف . لكن القصص التي اصدرها بعد ذلك كتبت بسرعة كبيرة . لقد تجاذبته الافكار التحررية التي ما لبث ان انكرها بعد حين فارتبط بكتلة بتراشيفسكي واعتقل واياها عام ١٨٤٩ ، وحكم عليه بالموت . وامام منصة الاعدام مرت به الدقائق الرهيبة التي يحدثنا عنها مرارا في كتبه . ولكن في اللحظة الاخيرة جاء عفو القيصر ، قاضيا بارساله الى سجن اومسك حيث قضى اربع سنوات ، الف خلالها ذكريات دار الاموات . ويستدل منها على ان دوستويفسكي لم يلجأ مرة الى الشكوى ، وانما يقتصر على وصف الحياة الرهيبة التي يعانيها السجناء ، ويحاول ان يبعث اخويا شرارة الرحمة الالهية الى هؤلاء التعساء . وخرج من السجن محطم الصحة ، فخدم كجندي بسيط في سميبالاتنسك ثم اعيدت اليه رتبة الضابط والنبالة ، الا انه لم يسمح له بدخول روسيا الا سنة ١٨٥٩ ، وكان قد تزوج في سيبريا ارملة ريفية شرسة تدعى ماري ايسايف . فلما عاد الى بطرسبرج اذا بروايتيه ذكريات دار الاموات والمضطهدين والمعذبين تضمنان له المجد .

واسس مع اخيه ميشال مجلة الطان التي منعت بعد قليل . وفي ١٨٦٢ قام باول رحلة الى الغرب . وفي ١٨٦٣ سافر الى باريس ليلحق بالطالبة بولين سوسلوف التي خانته قبل ان يلتقي بها . ورغم ذلك فقد سافر واياها الى المانيا ثم عاد الى بطرسبرج حيث احاطت به المصائب من كل جانب : ماتت امراته واخوه ميشال تاركا له دينا باهظة واسرة يعولها . فبدا يقوم باشغال شاقة حقا في الانتاج الادبي لينهض بهذه الاعباء ، وكان يقبض ثمن رواياته سلفا فيضطر لارهاق نفسه في سبيل الاسراع بانجازها واستخدم فتاة تدعى آنا سنيتكين كمختزلة ثم تزوج بها سنة ١٨٦٧ ، وقد اعجبت به دون تفهمه وغمرته بحنان وثيق مخلص ، وقضيا عدة سنوات في المانيا وسويسرة وايطاليا ، وهي سنوات حافلة بالكآبة اذ كان دوستويفسكي قد اولع بالمائدة الخضراء الروليت يصب عليها ما في جيوبه وكان قد اصبح ابا لعدة اولاد عاش منهم اثنان ، فعاد مع هذه الاسرة الى بطرسبرج وتحسنت اوضاعه المالية قليلا عندما قررت زوجته ان تتولى بنفسها طبع مؤلفاته .

ولكي يبسط دوستويفسكي عن طريق الرواية آراءه السياسية والدينية ، وهي واحدة عنده ، راح ينشر دوريا يوميات كاتب . وخرج من عزلته عام ١٨٨٠ ليلقي في تدشين نصب بوشكين بموسكو خطابا قوبل بتصفيق حماسي شديد . ولكن الويلات التي عاناها في شبابه والاجهاد المستمر في العمل ، والامراض المتعاقبة تألبت عليه فصرعته في كانون الثاني ١٨٨١ على اثر نزيف رئوي وقد توفي مسيحيا .

ان روايات دوستويفسكي الكبرى : جريمة وعقاب (١٨٦٦) المقامر ، الاحمق (١٨٦٨)، الزوج الابدي (١٨٦٩) الابالسة (١٨٧١) المراهق (١٨٧٢) الاخوان كرامازوف (رواية لم تنجز وقد صدر منها جزءان عام ١٨٧٧) تتطلب كل منها دراسة مفصلة ، ولا نستطيع هنا الا ان نحاول استخراج وجوهها الاساسية .

العقدة الاساسية بسيطة تتعلق غالبا بجريمة . فرواية جريمة وعقاب تتحدث عن طالب شاب طماح يقتل امراة طاعنة في السن ليسرقها ، وينتهي بالاعتراف . والاحمق رجل طيب السريرة يقف بين امراتين يحب اولاهما ويجد الثانية بحاجة الى الانقاذ فيختار الزواج من هذه الاخيرة ، ولكنها ترفض منه هذه التضحية وتلتحق برجل آخر فيقتلها هذا . اما الابالسة فتقودنا الى مؤامرة اشتراكية ، تقع فيها الشبهة بالخيانة على احد الاعضاء فيقتل . والاخوان كرامازوف تتحدث عن خطأ قضائي فاجع . ويمكن ان نجد في هذه المؤلفات عناصر رواية الجيب ، حتى الرواية البوليسية الشائعة في عصرنا . ان موهبة كتم السر الذي يكنه شخص او عدة اشخاص حتى نهاية القصة ، والتناقضات التي تجمع هؤلاء في مكان او زمان غير منتظر ، وتعدد الابواب التي تتجدد في الفصل وزيادة الوفيات العنيفة ولاسيما في رواية الابالسة ، كل ذلك من المفاجآت التي تتشابك . ويملك دوستويفسكي قوة خلاقة ، حتى ان مخلوقات عديدة تظهر ، دون ارادته تقريبا ، لتحتل مراكزها في روايته . هو يرى اشخاصه ويرينا اياهم ببضعة خطوط قصيرة تستقر في الاذهان كتفاحة آدم في قصة الاب كرامازوف . وهو اكثر ايجابية من تولستوي فلا يضع من ذات نفسه في اشخاص روايته سوى نفثات متفرقة ، الا انه يعيش مع كل منهم ، ويتبعهم خطوة خطوة .

ومن آثار التجديد عنده ، مما اثر كثيرا في الرواية العصرية، انه يكشف على دراسة اشخاصه في ساعات واوضاع غريبة عن الحبكة الروائية ، وكذلك اعارته الاهمية للعقل الباطن والقوى الغامضة التي قد تحمل المرء على قرار غير مرتقب ، وتصويره العاطفيين والعصبيين : فالامير ميشكين يصاب بالصرع وسميرد ياكوف ايضا ، الاول منهما قديس والثاني وحش . وكثيرون يبصرون رؤى هي رهيبة عند غير المؤمنين ، مرضية عند اليوشا كرامازوف . ولا يهتم دوستويفسكي للبيئة (لقد سخر من ابطال تورغنيف ومن تورغنيف نفسه في الابالسة) ، وانما يوجه عنايته الى الاشخاص الخليقين باعمال اجرامية ، يدرسهم اختبارا ، واضعا اياهم امام الجريمة وامام الحب . وعنده ثلاثة انواع : رجل الفكر يسيطر عليه الذكاء ، ورجل العاطفة يسيطر عليه الجسد ، والرجل البسيط الصافي .

لقد حاول بعضهم تفسير وفرة الجرائم في روايات دوستويفسكي بانها نتاج خطيئة مكتومة في صدره ، فالامر ايسر من ذلك ، وهو ان السجن فرض على فكره مسالة علاقات المجرم بعمله (تبين له فقدان الشعور المألوف بالندم) وسيطرة الجريمة وعواقبها على النفس . ان راسكولنيكوف الطالب في رواية جريمة وعقاب هو رجل فكر يقوده التعليل الفكري الى القتل : فاعدام المخلوق الضار الذي هو العجوز المرابية التي لا تقرض النقود الا لقاء رهن نفيس ، لكي يؤمن لنفسه بقتلها حياة خصبة للكائن الكريم الذي يتصوره في ذاته ، ان هذا الاعدام لا يجعل

القاتل مجرما . وانسان كنيوتن او نابليون ليس له حق الابادة . ولكنه كمفطور على الذكاء ، لا على الارادة ، غير خليق بان يفيد من جريمته وهو مرهق بسره ، بيد انه ليس الندم هو الذي يحمله على افشاء سر اجرامه ، بل يظل مقتنعا بصواب الفكرة التي قادته الى الجريمة ، وانما يحتقر ضعفه . ثم يدرك بعد حين عند دخوله السجن واحتكاكه بسونيا الحقيرة معنى قانون الحب والرحمة الذي تجاوزه . ويرى ايفان كرامازوف المتفوق في الذكاء ايضا ان كل شيء جائز من حيث المبدأ ولكنه اضعف من راسكولنيكوف استعدادا للتصرف . اما سميردياكوف المقتنع بدراساته فهو الذي سيكون قاتل كرامازوف ، على ان ايفان سيكون هو المسؤول .

وفي مقابل هؤلاء المثقفين تضع كل رواية رجل الجسد الذي يعجز عن مقاومة عواطفه الدنسة ورجل الجسد هو سفيدريغايلوف في جريمة وعقاب ، وهو روغوجين في الاحمق ، وديمتري في الاخوان كرامازوف ، اذ تجعله الشهوة الطاغية رهيبا لانها تنبع من اغوار نفس كريمة ، ويبقى الاب كرامازوف في الدرك الاسفل . ثم ان غريزة الحساسية المنحطة موجودة في كل انسان حتى ان اليوشا الطاهرة تعلم ان فيها شيئا من كرامازوف ولا تكره اباها . والناس الطاهرون الذين ليسوا من مملكة سدوم ، بل من مملكة مادون هم من الحقارة بحيث لا يستطيعون الظن بانهم اسمى من الملوثين والمجرمين ، فلا يضمرون لهم سوى حب اخوي . وبينما المثقفون والعاطفيون جميعا انانيون ، نجد هذا الفريق الاخير مثالا للحب ، انه يحب الناس لايمانه بالله ، وتتالف هذه الجماعة من الاطفال والنساء : سونيا تحترف الدعارة حبا بعائلتها ، وتلحق براسكولنيكوف الى السجن ، داشا تستعد للاخلاص الى ستافروغين ، غروشنكا الى ديمتري ، واخيرا هو الرجل كالامير ميشكين في الاحمق يدرك بقلبه ما لم يدركه اي مثقف بعقله ، من سمو نفس اليوشا كرامازوف . ان قانون الحب يسيطر على الفكر الديني والسياسي في دوستويفسكي .

تولستوي ـ تنتظم حياة تولستوي وانتاجه في مراتب متتالية فيقف عندما يجد تفسيرا للحياة التي تسمح له بالخلق ، ثم تاتي مرحلة البحث والحيرة التي ترفعه الى المرتبة العليا .

ولد الكونت ليون نيقولايفتش تولستوي في ٢٨ اب (اغسطس) ١٨٢٨ في ياسنايا بوليانا ، في حكومة تولا ، وكان اجداده من جهة ابيه قد اشتركوا طويلا في تاريخ روسيا ، وفي فضائح مدوية ايضا، ولكن اسرة امه الاميرة فولكونسكي كانت اكثر غنى ونبلا . فقدها وهو في السنة الثانية من عمره ، وكان في التاسعة عندما توفي ابوه ، فتعهدته عماته . وفي جامعة قازان درس اللغات الشرقية والحقوق فلما بلغ التاسعة عشرة ترك العلم منصرفا الى استثمار اراضيه والسعي لاسعاد فلاحيه ، وسرعان ما خاب امله فقضى بضع سنوات يلهو في بطرسبرج ، ثم سافر الى القوقاز ملتحقا باحد اخوته ودخل الجيش فصار ضابطا . وكان كثير المطالعة ، معجبا ببوشكين ، غوغول ، مونتسكيو ، روسو . ويعترف بان تاثير روسو عليه كان عظيما .

كتب طفولة في القوقاز واصدر هذا الكتاب عام ١٨٥٢ ، ولم يكن ذكريات حقيقية بل ، كسائر رواياته ، مزيج من الحقيقة والخيال ، من اشخاص موجودين ووهميين . وعلى كل حال فان الولد الذي يضعه في الوسط هو نفسه بافراحه واتراحه ، وقد بلغ الذروة في تصوير مشاهد الطبيعة الفتانة . اما روايتاه مراهقة وشباب فكانما كتبا رغم ارادته .

كان القوقاز قد اثر تاثيرا عميقا في هذا التلميذ من تلاميذ روسو واعطى اول جواب على سؤال بسطه من قبل : لماذا نعيش ؟ ففي رواية كبرى اعدها وظلت في مستوى القصة القوزاق قدم هذا الجواب العم ياروشكا رجل الطبيعة الذي يحب الاشجار والحيوانات ومع ذلك يصطادها دون ان يتالم ضميره لان هذا قانون الطبيعة ، فيقول مجيبا الفتى المتمدن : « الله صنع كل شيء لبهجة الانسان .. فما ثمة من خطيئة » . ان هذا الحب للحياة يزداد قوة عند احتكاك الجندي بالموت ... ففي حرب القرم حيث كانت كتيبة تولستوي في سيباستوبول يبدي الكاتب دهشته للبساطة التي يتالم ويموت فيها رجل الشعب الذي لا يفقه من الحرب شيئا . وهذه البساطة تكسب احاديث سيباستوبول كثيرا من الروعة ، ولكن فظائع الحصار تزعزع في نفسه الثقة بقانون الطبيعة فيعود الى بطرسبرج غاضبا . ولكنه لا يلبث ان يعاوده الامل في ان التقدم سيجعل الانسان مسالما وطيبا ، بيد ان هذا الامل يتلقى صدمات مؤلمة في اثناء رحلة قام بها الى الخارج ، الى بلد اكثر تمدنا من روسيا فاذا هو أشد فظاعة

أكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : مدام ومسيو كاربيس

عضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط
والحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

اقصدوا معهد كاربيس المحترم موضع ثقة ورضى جميع
من تعامل معه من العائلات وافراد المجتمع

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

تلفون ٣١٣٩٦ ص.ب ١٤٩٩
بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... (لقد شاهد اعدام شخص في باريس) ، ومع ذلك فسوف يحاول المساهمة في التقدم . فأسس مدرسة في ياسنايا بوليانا ووضع كتب مطالعة للشعب ، ومضى ، في الوقت ذاته ، يجرب عيشة البساطة وسط العائلة فتزوج عام ١٨٦٢ صوفيا برس ، كان في سن الرابعة والثلاثين وهي في الثامنة عشرة رصينة ، تتدفق حيوية وسريعة الغضب ، ورغم المصادمات... فقد عاشا سعيدين في ياسنايا بوليانا سنوات طوالا ، كانت فترة خصب في انتاج تولستوي فاصدر حرب وسلم (١٨٦٤–٦٩) وانا كارنينا (١٨٧٣–٧٧).

كان تولستوي قد فكر في كتابة رواية عن رجال ثورة دسمبر ، ولتصوير زمانهم اضطر لدرس حروب نابليون فتوقف عندها . ان حرب وسلم تمثل في وقت معا الاحداث التاريخية الكبرى مع نابوليون والاسكندر وكوتوزوف والحياة اليومية لاسرتي روستوف وبولكونسكي اللتين ابتكرهما تولستوي جريا على خطته في تحويل محيطه الخاص الى بيئة اخرى معطيا الكثير من ذات نفسه للبطلين الرئيسيين ، الامير اندريه وبيار . ان له مقدرة لا تضاهى على فرض شخصيات روايته الكثيرة على ذاكرة قرائه ، فهناك الاميرة ماري الدميمة ذات النظرات الحلوة ، وبياض ساعدي هيلانة ، وغزارة حركات ناتاشا التي تركض ، وترقص ، وتشب فياضة بالحيوية . ويغدق الزينة والزخرف على نابليون ، ويدقق في وصف الفلاح المسافر في عربة صغيرة الى سمولنسك فكانما ترى كل هذه الشخصيات راي العين . تترابط مصاير الاسرتين بسهولة . وكان اكثر صعوبة جعلها كمصاير اوربا لولا ان تولستوي يجد لالوان الاطعمة المصنوعة كل يوم قيمة عالية كقيمة النصر في معركة .

ان كبار الرجال يعتقدون بعظمتهم فنابوليون يعتقد انه يدير التاريخ كالطفل المسك بزلاج الباب يحسب انه يقود العربة ... والحقيقة ان القدر هو الذي يسوقه . والمعركة تربح او تخسر لا بفضل عبقرية البطل ، وانما بعوامل خفية تصدر عن الجندي البسيط القريب جدا من الطبيعة . ان هذه الفكرة القابلة للجدل التي يفيض تولستوي في شرحها تصبح صورة حية حين تتجسد في نابوليون الذي اعماه ذكاؤه ، وفي كوتوزوف الرجل الضخم الهادىء الهانىء الذي ينتظر ساعة القدر ، وفي كراتاييف الجندي الذي يرضى بمكانه في الحياة والموت . يبحث الامير اندريه وبيار عن الحقيقة التي سيبنيان عليها حياتهما بين قطبين مختلفين ، على الطريق التي توصل من نابوليون الى كراتايين ، الاول بالعمل والاخر بالمضاربة الفلسفية ، واذ يتعلم هذا في الوقت المناسب من كراتاييف ، فانه يجد خيرا ان السلم في الحياة العائلية . وتندفع ناتاشا نحو هذه الحقيقة لان هذه الاميرة الصغيرة كانت بروحها قريبة جدا من الشعب ، قريبة جدا من الحياة . حرب وسلم هي نشيد للحياة ، وليس من كتاب يضارعه حيوية وبقاء . ففيه تضطرب روسيا باسلة ، هائئة في معارك ومنازعات عائلية ، في آلام واناشيد تحت جميع وجوه مشاهدها . انها الياذة واوديسا روسيا .

في انا كارنين يريد تولستوي ان يصور حياة العصر الذي عاش فيه ولكن على نطاق اضيق ، فيقدم حياة البيئة الارستقراطية التي هي حياته ، في المدينة والحقول ، حيث نجد كثيرا من الذكريات الخاصة به تحت اسم ليفين . ونتابع سير الحياة الزوجية – تعسة او هنيئة ، وكل منها غني بالمشاكل . تترك انا كارينين زوجها الفاضل الجاف المتفلسف لتلحق بفرونسكي اللامع ، وعلى الرغم من اخلاص هذا الاخير وكرمه فانها تمضي الى الالم فالانتحار

لقد تساءل الكثير من القراء لماذا اختار تولستوي هذه الخاتمة ، حيث يقول : « اني احتفظ لنفسي بالانتقام وانا الذي سيعاقب » ما دامت انا لم تفعل كناتاشا الا اطاعة فطرة الحياة . يجيب دوستويفسكي : لا يحق لاحد ان يبني سعادته على الم الاخرين وانا قد ضحت بالزوج والولد . ولكن تولستوي امتنع عن كل موعظة ظاهرة ، وليس تحت انظارنا سوى عبرة محزنة في امراة عاشقة يضطرب فؤادها منذ بداية الرواية حتى نهايتها الفاجعة . ان نية الوعظ الخلقي اكثر ظهورا في العقدة الثانية من الرواية وهي التي ترسم الحب الهنيء بين ليفين وكيتي . ويتضح التطور الذي ظهر بعد حرب وسلم . يمتاز ليفين بالحياة العائلية والعمل المفيد الذي يقترحه تولستوي غاية للحياة ، ومع ذلك فان ليفين يتالم ويتساءل : لماذا نعيش ؟ ويرسل هذا السؤال في قلق يسول له الانتحار لولا ان يجيبه احد فلاحيه : « اعتقد بالله » . نحن نعلم من تولستوي في اعتراف ان هذه المأساة النفسية هي مأساته، وان سنوات السعادة الظاهرية انمت فيه القلق الديني والقلق الاجتماعي وان النور جاءه من اناس بسطاء « الايمان هو الذي يحيي الناس » وهذا الايمان التمسه من شتى الطرق : « ان غريزة الشعب لا تضل » .

وهكذا نرى تولستوي يحاول فيما بعد ممارسة المذهب الارثوذكسي ولكنه لا يجد فيه ارضاء نوازع نفسه، وانما يصل الى الاعتقاد بان الدين الذي يجب ان يكون صحيحا ما دام فيه حياة للناس قد طرأ على مجراه ما كدر صفاءه ، لانه اضحى لا يقنع العقل . ثم عكف على دارسة التوراة وترجم الانجيل وحذف منه كل ما اعتقد انه اضيف عليه ، وانتهى الى حصر تعاليمه بالعبارة التالية : « احبب قريبك كما تحب نفسك » واستخرج منه بالمنطق عقيدة اجتماعية يبشر بها ، فهو يستنكر ليس الحرب وحدها بل كل مقاومة للشر ، على اعتبار ان ذلك مخالف لقانون المحبة مسترشدا بما جاء في الانجيل : « من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر » ، « لا تدن لئلا تدان » .

ونتيجة لذلك ، فهو يشجب كل سلطة مبنية على العنف وعدم المساواة حتى في وجود الدولة ، يشجب الصناعة التي تخلق « العبودية في زماننا » وامتلاك ما يزيد من الاراضي عن طاقة المالك في العمل ، يشجب فتوحات المدنية المزعومة ، والتزين حتى في الفن ، على اعتبار ان ما لا يستطيع الشعب فهمه هو زينة كمالية . فماذا يبقى بعد هذا الهدم الشامل ؟ على كل انسان واجب بسيط هو ان يغذي عائلته من العمل في الارض ، واذا اتحد الجميع في المحبة الاخوية لا يبقى اي مجال للاختلاف حول المشاكل التي ادت الى انشاء الدول والجيوش والمحاكم

هذه الاراء يرددها تولستوي دون ملل في عديد من

الكراسات التي نشرت في الخارج ،الا انها كانت تتداول سرا في روسيا . وقد اصدر المجمع المقدس امرا بحرم تولستوي ، غير انه ظل يعيش مطمئنا دون ان تزعجه الحكومة بشيء في بلدته ياسنايا بوليانا التي اصبحت محجا لانصاره المتحمسين يتوافدون اليها من شتى اقطار العالم . وكان يحاول جاهدا ان يطبق مبادئه على نظام حياته ، فوزع اراضيه على اولاده ، وزرع حقوله وصنع احذيته ، الا ان معارضة زوجته والصراع بين عواطفه العائلية ووحي عقيدته قد سببا له مأساة في نهاية العمر . وكان ثمة نزاع اخر يحز في نفسه . كان الفنان الراقد في اعماقه يتمرد على مذهبه في شجب الفن ، فيتغلب هذا المتمرد . ففي سنة ١٨٨٦ اصدر رواية موت ايفان ايليتش ، وهي رسم واقعي لحياة هادئة تشرق ضياء في ساعة الموت . وفي سنة ١٨٨٥ نشر قصة مماثلة صاحب العمل والعامل ، وفي ١٨٨٦ دراما قوة الظلمات وفي ١٨٨٩ نغمة في كروتزر ، فان تأملات تولستوي الاليمة في الزواج تسوقه الى استنكار اتحاد الرجل والمرأة كعقبة دون ملكوت الرب . ومتى ادركت الانسانية هذه الحقيقة تتوارى ولكنها تكون قد سلكت سبيل النجاة . وبعد هذا النتاج المرير الذي يتضمن دراسة رائعة للحب الحسي الفيور يسترد تولستوي تفاؤله في اخر رواية كبرى له البعث (١٨٩٩) حيث يلوح ، كما في قوة الظلمات بامكان نهوض المذنب من عثرته بالاعتراف والتوبة .

وهذا موضوع من موضوعات دوستويفسكي ، ولكن هذا الاخير يرى النهوض عن طريق الحب ، بينما يحوله تولستوي نحو العمل المثمر . ومرة اخرى ، وضع الكثير من ذات نفسه والاعتراف المقنع بخطيئة شخصية في الامير نخليودوف الذي حسب انه رجل شريف الى يوم جلس فيه حكما في قضية جنائية فعرف في المتهمة ، العاهرة سلوفا فتاة نقية مغررا بها اضاعها القانون سابقا ، فعملا بالواجب ، ودون حب ، يبحث عن التوبة لاحقا بالفتاة على طرق سيبيريا . اما هي ، وقد حطمها الالم ، فترفض تضحيته ، وينفتح طريق جديد لكل منهما ، فتنتهي الرواية بان يقود تولستوي القارىء الى مناظر وبيئات لم يعرفها . ويبدو الشرح طويلا مملا ولكن بعض الصفحات تسمو الى ابهى درجات النضج .

بيد انه في الكفاح بين الفنان والمفكر ينهزم الفنان . وفي الكفاح بين العواطف العائلية ونداء التنسك تنتهي الصلات التي كانت تشد تولستوي الى الانفصام .

في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٠ هجر العجوز تولستوي بلدته ياسنايا بوليانا ، يصحبه طبيبه ، رغبة في قضاء اواخر ايامه في عزلته . وبينما كان في القطار اصيب بذات الرئة ، فانزل في بيت رئيس محطة اوستابوفو الذي حاصرته جموع غفيرة بينها كثير من الصحفيين والفضوليين وهناك اسلم الروح ذلك الرجل الذي كان تورغنيف قد سماه « كاتب روسيا العظيم » .

لقد عني تولستوي اشد العناية بعادات الفلاحين وتنبأ لهم بحسن المصير ولكن غليب اوسبنسكي (١٨٤٠ – ١٩٠٢) الذي تطغى حساسيته من جراء مصاعب الحياة وينتهي الى الجنون ، يخالف هذا الراي فيقول ان الفلاح مادي ، مشدود زراعيا الى الارض ، مقضي عليه من جانب الراسمالية بالانحلال . وعلى النقيض من ذلك نجد ان كورولنكو (١٨٥٣ – ١٩٢١) رغم المحن التي عاناها في المنفى بسيبريا يحتفظ كتولستوي بايمانه بالانسانية .

وقد كرس كورولنكو حياته الطويلة سواء في عهد القياصرة ام في ظل النظام السوفياتي لخدمة البائسين والمضطهدين .

التشاؤم في نهاية القرن – كانت الصحة الخلقية الممتازة التي نعم بها كل من تولستوي وكورولنكو شذوذا في نهاية القرن التاسع العشر المتشائم ، فمعظم الكتاب كانوا متشائمين في ذلك الجو الثقيل حيث انتصرت الرجعية وتحطمت الافكار الكريمة ، وانكمشت على نفسها . واللوحات التي رسمها المؤلفون الروائيون تمثل مجتمعا يحتضر ويتقبل الموت راضيا ، لا امل له في نهضة ممكنة وبعث منتظر . وهذا الجو سيطر على غارشين الذي انتحر عام ١٨٨٨ وهو في الثانية والثلاثين : شخصياته في « الضمير المريض » معذبون كشخصيات دوستويفسكي من جراء معضلة الشر ، ولكن الديانة المسيحية لا تنجيهم . جنود يموتون دون ان يعلموا لاي سبب ، وعمال مكدودون في عمل لا انساني . وحيوانات حتى ونباتات مكتوب عليها الالم .

ويقدم نتاج تشيخوف متنوعات من الاقاصيص ، خالية من الزخرف الفني ومسرحيات تمثل المجتمع الروسي على وشك الثورة ، وله اقاصيص هزلية مليئة بالفكاهة يرجع تاليفها الى عهد شبابه ومع ذلك فان الكآبة ترقد في اعماقها . انطوان تشيخوف (١٨٦٠ – ١٩٠٤) هو ابن بقال في تاغانروغ ، تلقى دروس الطب في موسكو . وليكسب معيشته ورزق عياله شرع يكتب احاديث صغيرة اقترنت سريعا بالنجاح ، فعدل عن ممارسة الطب وحقق حلمه بامتلاك مزرعة في الريف . لكن المرض اضطره لمغادرتها الى القرم ، وكان مريضا مدنفا حين تزوج بالممثلة اولغا كنيبر ومات اثناء اقامته في الغابة السوداء .

يمتاز تشيخوف على معظم الروائيين الروس بوفرة الاطلاع التي اكتسبها خلال طوافه بالعواصم والارياف على مختلف البيئات الروسية . ويكفي ان تقرا احاديثه التي خص بها الطفولة لتلمس مدى حساسيته وعمق تفكيره ، الا انه بعيد عن زخرف الخيال ، ضعيف الامل في فضائل الفلاح وجهود المثقفين . ان فلاحيه قد حطمهم البؤس والكحول . فايمانهم سطحي واخلاقهم بهيمية ، والاسر النبيلة تتخبط لاحراز ظروف معيشة افضل على غير جدوى . والصناع كادحون ، اما حياة الرفاهية فانها وقف على التجار الاغنياء . لكن هؤلاء ليس لهم مثل اعلى . ان الطلاب المتطلعين لمهمة كريمة هم كثيرون ولكن هذه الشعلة تنطفىء سريعا في طبيب الريف المرهق بالعمل المنعزل في بيئة جاهلة . ان الموظف والقاضي والاستاذ المحصورين في تفاهة البلدة الصغيرة يعيشون حتما على هامش الحياة او متهالكين على اعتاب رؤسائهم طمعا بالترقية والوسام . حتى المثقف من الطبقة العالية والفنان والعالم اسراء «الروتين» وفي قصة مملة يرد احد الاساتذة على فتاة سالته عن مبدأ الحياة : « لست ادري »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومشاغل الحياة تزداد يوما بعد يوم فلا حب ولا مثل اعلى يقاومها ... ذلك هو موضوع انتاج تشيخوف . اشخاص روايته ييأسون لقلة جدوى جهودهم فيكفون عن الكفاح وينتظرون الموت .

اما اشخاص فيدور سولوغوب (١٨٦٣ — ١٩٢٦) الروائي الشاعر والمؤلف المسرحي ، فلا يستسلمون للقدر انهم يكرهون الحياة ، فالرغبة في الموت تساورهم جميعا حتى الاطفال . والذين يعتقدون بالحياة هم كالاطياف . وينبثق من رواية ابليس الحقير جو الضجر والسأم في مدينة صغيرة ينصرف اهلها الى الفودكا والمنازعات وزبدة الرواية رسالة وشاية مغفلة تدور حول بيرودونوف .

غوركي — يمكن تصور شعور الخلاص الذي استقبل به الجمهور ، خلال هذه الفترة من اليأس الشامل ، قهقهة المتشردين في روايات غوركي . فهؤلاء لا يتضجرون من الحياة ، رغم التعاسة التي يعيشون فيها والاخطار المحدقة بهم ، يأكلون بشهية ، ولا يكترثون للبلاء .

ولد الكسيس بتشكوف (الاسم الحقيقي لمكسيم غوركي) عام ١٨٦٨ وترعرع في نيجني — نوفغورود باحضان عائلة صناعية جافة الطباع . ومنذ ان كان في سن العاشرة تقلب في جميع المهن ، متنقلا من مدينة الى اخرى ، فكان حمالا في اوديسا ، فرانا في قازان ، مستخدم سكة حديد في تفليس وقرأ حسب الصدف روايات فرنسية لبلزاك ، دوماس الاب ، بونسون ، دترايل وفي ١٨٩٢ اصدر قصة مكار تشودرا في جريدة القوقاز وانتفع برعاية كورولنكو فسرعان ما اقبل عليه التوفيق الباهر في الخارج كما في روسيا ، وما لبثت شهرته ان طبقت الاماق اثر ظهور بعض مسرحياته (١٩٠٢) .

ان في اقاصيص غوركي الكثير من الرومانطيقية ، فلا المشاهد ولا الطبائع ما يشعر بالحقيقة الطلقة ، ولكن هذه الرومانطيقية نفسها تحمل تجدد الشباب للجمهور المتململ من سخافة التحليلات النفسانية . فتحت السماء المشرقة والريح العاتية في السهول الشاسعة من الجنوب تتجلى سحنات متصلبة لمغامرين ومهربين وافاقين لا يثنيهم العمل الشاق ولا يتورعون عن الفساد والجريمة ، ولا يكرهون سوى الحياة الرتيبة في ابن المدينة والفلاح . ونلمس قوة جديدة حتى في صدر اكثرهم اخفاقا وفشلا .

ثم طرأ على غوركي تطور نقله في آن واحد من الفوضوية الى الماركسية ، ومن الرومانطيقية الى الواقعية ، ولم يعد ابطاله من المتشردين الافاقين بل من المستخدمين والتجار كما عرفهم في صباه . وقد اصدر فوما غورديف، ماتفيي كوجمياكين ، وبعد امد طويل (١٩٢٥) قضية ارتاموبوف قصة الارتفاع والانحطاط في حياة اسرة بورجوازية . ففي هذه المؤلفات كلها لوحات قاتمة الالوان ، الا ان غوركي يضع قبالة هؤلاء البورجوازيين الكبار والصغار العمال الذين يهيئون الثورة والذين حافظوا على حمية ابطاله الاولين وصقلوها ونظموها . ان السياسة العارمة تضر احيانا بحقيقة الطبائع في رواية الام الى جانب الصفحات الرائعة . واخر روايات غوركي حياة كليم سامغوين تصف الثورة المنطلقة في سيرها .

ولكن الروائي لا يصل الى اوج القوة الا عندما يروي قصة شبابه ، وليس بين اشخاصه الخياليين من هو احق بالتخليد من الجد الفظيع والاعمام السكيرين الافظاظ والجدة اللطيفة الصابرة في قصة طفولة ، وكذلك شخصيته بالذات كما نراها ، حساسة متمردة في الجزء الاول من الذكريات وما تلاه من اجزاء . انه ينتقل عن بعد سحيق بالفكر الى موطنه : بعد اخفاق ثورة ١٩٠٥ اضطر لمغادرة روسيا ، فاقام ردحا من الزمن في نيويورك ثم استقر في كابري وعاد منها مرتين ، الاولى في اثناء الحرب مما اتاح له ان يشهد انتصار الثورة وان يتولى الدفاع عن قيمها الثقافية. والمرة الثانية عاد ليموت في وطنه عام ١٩٣٦

واقعيون ورمزيون

ليونيد اندرييف (١٨٧١ — ١٩٢١) روائي ومسرحي يشبه غوركي في عقائده السياسية ولكنه يختلف عنه مزاجا هو اقل اهتماما للعالم الخارجي منه لسر المصاير ، فنراه يميل الى اعطاء قيمة رمزية للاخلاق ويسبح الموت فوق نتاجه كما في رواية سولوغوب . وفي قصة المشانيق السبعة دراسة لانعكاسات الحكم الرهيب في نفوس المحكوم عليهم بالعقوبة القصوى . اما في قصة نير الحرب فيصور اثر الاحداث الكبرى على نفس الرجل الذي يقبع في مؤخرة الجيش .

ويرسم كوبرين ،تلميذ غوركي ، الجو المكفهر في مدينة صغيرة للحامية بكثير من القوة في قصة « المبارزة » واشتداد الحركة بمرفأ كبير « كامبرينوس » وحياة العاهرات في « الحفرة » ولكن الامعان في التعليل يفسد السياق احيانا . ولكن لا نستطيع توجيه مثل هذه الملاحظة الى ايفان بونين (المولود عام ١٨٧٠ والحائز على جائزة نوبل) فانه يظل محافظا على موضوعيته مستخدما موهبته وانتباهه الواضح الملون في تصوير حياة اثنين من الفلاحين في قصة « القرية » ، وهو يبدع في سرد الرحلة المزدوجة التي يقوم بها بطل قصته « سيد سان فرنسيسكو » الذي يذهب حيا مفعما بالمشاريع ثم يعود الى قبره .

والى جانب تراث الرواية الواقعية التي حافظ عليها شميليف ، وزاييتسييف وغيرهما تتجلى ظاهرة معاكسة في نهاية القرن التاسع عشر مرتبطة بانتفاضة الشعر الرمزي . فان مريجكوفسكي يعتقد ان الرواية التاريخية ليست الا تتويجا للفكرة التي تملأ انتاجه (شعرا ومسرحيات وانتقادا) ومحاولة للتوفيق بين الديانة المسيحية والثقافة الوثنية ، بين الروح الناصرية والروح اليونانية ، وتمهر الروايات الثلاث كريست ، انتيكريست لجوليان ، الابوستا، ليونار ده فنشي ، بيار والكسيس المراحل الثلاث لهذا المذهب .

ثم ان الشاعر اندره بيلي يهتم للمعضلة الازلية في توجيه روسيا : انحو الشرق ام الغرب ؟ فالحمامة الفضية (١٩١٠) تحدثنا عن النهاية الفاجعة لمثقف يقاسي تمسك جماعة من المتعصبين بعقيدتهم .

وعلى عتبة الثورة كانت المؤلفات الروائية غزيرة متنوعة ، ولكن دور ازدهارها ولى ، فالثورة جاءت تلقحها بافكار جديدة .

مارسيل اهرار

رعشة قلب

✳

حسنك يدعوني لماضي الغرام ... والفكر يأبى ان يجيب الدعاء
والنفس من حشد الاسى في زحام ... والقلب يهوى ان يلبي النداء

ازلت ما قدست في وحدتي ... من ذكرياتي في بكور الشباب
لما مشت دنياك في غربتي ... بسحرها والرغبات العذاب

يا فتنتي أنت اللهيب الجديد ... في قلبي الداخن بالتجربه
يا زهرتي أنت الربيع الوليد ... منبثقا في أرضي المجدبه

طلعت في أفقي يا نجمتي ... فكيف لم يحجبك داجي الغيوم ؟
وجئت بالبهجة في مهجتي ... فهل توقيت عويل الهموم ؟

صغيرتي ، اني لاخشى الهوى ... عليك ، ان الحب داء عقيم
ماذا دهى قلبك حتى هوى ... في شرك الحب الجديد القديم !

لا تعذليني ان قصرت الخطى ... والحب يا حواء درب طويل
فقد غدوت اليوم بعد السرى ... في ليله أخشى عذاب الوصول

أعياني الركض قديما به ... ونؤت منه بالهموم الثقال
ماذا جنت روحي بمحرابه ... غير رؤى الوهم وفقد المثال

أعياني الركض قديما فما ... عدت لابغي منه غير النجاء
وكلما عيني رأت مغرما ... أشفقت مما شفه من عناء

يا لك من غار سحيق القرار ... تهوى به الروح لغير ارتجاع
يا حب يا لحد النفوس الكبار ... كم باركوا فيك النعيم المضاع !

لا تزدهي بالحب أو تطربي ... يا طفلتي ، هذا طريق الشقاء
لن تستطيعي اليوم ان تثقبي ... شغافه المنسوج من كبرياء

اثرت في الوتر الكامنا ... وهجت في كابي الضلوع الرماد
ولم تصوني حسنك الفاتنا ... عن لفحة اضرمتها في الفؤاد

لا ، لم تصونيه ولم تنصفي ... ميت الهوى الموؤود بين الضلوع
يا ويل هذا الجسد المدنف ... يحمل روحا ريها من دموع !

يا ويله والداء يسري به ... مسرى الصدى الممراح بين العناه
بعثت ما ودع من حبه ... والحب في ظنك نبض الحياه

وآه لو كنت اعرت القتام ... ظلا من النور الذي تحملين
ما نفع هذي النار ، نار الغرام ... والقلب أشلاء مدمى طعين ؟

ما نفعها بعد انطفاء الشموع ... ومصرع الاطياف بين الدجى ؟
يا حسرتا ان يتلاشى الربيع ... وتخفت الاصداء بين الربى ؟

يا حسرتا الا يدوم الرحيق ... على شفاه ساحرات اللمى
قبلها الفجر وقبل الشروق ... أصابها الدهر بسهم الظما !

لم يبق الا الذكر الغالية ... هذا نصيبي من حصاد الهوى
بعض شجا الافئدة الوافية ... أعجلها للظعن داعي النوى

القاهرة — حسن فتح الباب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الشعر الاسباني المعاصر

لـكارمن كونـده
Carmen Conde

ترجمـة محسن جمـال الدين
جامعة برشلونـة باسبانيا

قائدة الشعر النسوي الاسباني المعاصر دون منازع او مدافع . شاعرة ، كاتبة ، روائية من نوع الادب الواقعي المعتدل . المزين بجميل الصور ، والوان التعابير . لم تنس الطابع الاسباني الشعبي الاصيل في اشعارها ومقالاتهـا . ساهمت في تحرير عدة مجلات وصحف . ولدت في قرطاجنة عام ١٩٠٧ ـ وتجولت بعدة مدن وسكنت مدريد ـ بلنسية ـ برشلونة ـ مراكش ـ نالت شهادة فن التدريس ـ ودرست الاداب والفلسفة بتفهم وعمق !! اصدرت عدة مؤلفات نثرية وشعرية منها : تهليل ١٩٣٤ ، محبة الروح ١٩٤٤ ، تمنيـات الشكر ١٩٤٥ ، امرأة بلا جنة ١٩٤٧ ، تكوين الضوء ١٩٤٧ ، نور الارض ١٩٥١ ، في أيدي الصمت ١٩٥١ . هذا وقد كرمتها الاوساط الادبية الرفيعة . ومقامات الشعر الاسباني . واصدرت بالاحتفال بها مجموعة « رسائل الشعر » عام ١٩٥١ . وها هي نفحات من جميل ازهارها ، وعبق عطورها ، ورائق ابداعها .

غيـاب الحبيـب

رجعت من الطريق بدون زهور
ذهبت الى النهر لاجد خيالي
يا لها من وحدة مطبوعة لقمر منفرد
يا لها من عزلة لماء خال من حوريات حمر
يا له من انفراد لشجر الصنوبر التائه
ذهبت لانتزع عيوني ،
التي تركتها على شاطىء النهر

وجـــود ...

عريانـة .. ممسكة بعريان
صدورنا كالثلج المولود جديدا
كتفي تفتح تحت كتفيك
صفحة الماء القريبة من صدرك
وانت تتهادى عـلي
سارفع ذراعي مستندة
على ذراعيك ، في الهواء .
لـكي اقدر ان انتهي من حلم النوم اللذيذ
لان الشمس سترتاح على جبهتي
روافد انهارك تكون انهاري
لنمشي متحدين سوية
وانت ستكون شراعي
وانا ساحملك الى ابحر مجهولة خفية
يا لها من عظمة لهذا الاتحاد الجغرافي
يدك على يدي عيناك في عيني
طيورك على اشجاري وازهارك في راسي

انطفـــاء

الصدور تتهادى مثل اوراق يابسة
على صفحة الماء
صدور متفضنة خجلة هاربة
أمس امتلأت حياتي سعادة
وارتحت في حياة حلوة
معجونة ، بيضاء كالحليب
قبلاتنا في خلسة عن آبائنا
بانفاس معطرة رافقت خطوبتنا
وقلوبنا كالبراكين الصغيرة
وكالازهار الكبيرة المعتدلة ذات العطور
مع صراحتك التي ابتدات مع حبنا
الحمائم تنشد وتقول :
ان صدري هو الجمال ، وهو الحمائم
هذا ويدي تغطي فقاقيعك العارية
ومن هذا الحب كان الطفل ،
وهو الفم الاخر
الذي اشتريته باتصالاتك المترددة
وتحت جناح قلبي المتالم
وصدري المجروح

تملـــك

ابتعد عني
صداك ثقيل على حياتي
كنت اغنية ملونة خالدة
غصت في صمتي وسكوني
كنت الشمس التي تسند الجدول
والتي تنهض الشجرة
ولهذا وفي الكوكب الصغير
كان صوتك الخالد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة عراقية

عربة على المنحدر

بقلم انور محمود سامي

○ ○ ○

في منتصف بلدتنا تقوم هضبة معتدلة الارتفاع تحيط بها الاحياء والشوارع من كافة الجهات ، عدا الجهة الغربية حيث يمتد شارع يطل على النهر الذي يخترق البلدة ويمتلىء بسيول المياه كل شتاء ويجف في الصيف ، وعلى حواف الهضبة العالية بنيت بيوت قديمة رمادية اللون مرتفعة الجدران تحيط بالبيوت الاخرى التي تزدحم بها الهضبة ، ويتخلل كل هذه البيوت ازقة وحارات موحلة عامرة بالطين العفن المزرق ، وباكوام النفايات ، والروائح الرطبة الكريهة التي تسوقها الريح الحارة في الصيف خلال الازقة وعبر ابواب البيوت المفتوحة . وحتى اليوم ، ما زالت عجائز بلدتنا يروين القصص عن الملك الذي كوم هذه الكمية الهائلة من التراب ، وجعل منها هذه الهضبة الصغيرة ، وانشأ فوقها قلعة محصنة منذ الاف السنين ليحتمي فيها ، ويجعلها درعا يقي المناطق التي حولها من غارات الاعداء ، وان شبابنا وصغارنا يصغون الى تاريخ هذه الهضبة ، التي لا نزال نسميها « القلعة » ويستمتعون بحكايات المعارك التي حدثت فيها ، حين يتحلقون حول عجوز تروي لهم القصص في ليالي الصيف القمراء الباردة ، فوق السطوح ، ويرنون بأعينهم الى حيث تربض هي ببيوتها التي تبدو ككتل عظيمة من الظلام ، وتشرق مئذنة جامعها باضواء ملونة.

وقلعتنا يرقى اليها بثلاثة طرق ، احدها يبدأ من الشارع الذي يوازي النهر ، وهو سلم عريض من الاسمنت اما الاثنان الباقيان فيبدآن من السوق التي يحيط بها من جهات ثلاث ، واحد هذين الطريقين ضيق شديد الانحدار مبلط بالقير ، وعلى جانبيه تقوم بيوت مرتفعة الحيطان ، وبضعة دكاكين ، ومخزن للصوف والجلود كثيرا ما يزدحم بالحمالين ، وقد تقف امامه سيارة شحن لتحمل بالصوف والجلود المتعفنة من جراء رطوبة المخزن ، وهناك على الجهة اليمنى للطريق عند الصعود لوحة سوداء كتب عليها « ريجينه مراد ، قابلة ماذونة » وحين تبلغ نهاية الطريق في اعلى القلعة ـ حيث يخف ارتفاعها من هذه الجهة نوعا ما ـ يتشعب الطريق الضيق الى ازقة تجري منها اقنية مياه قذرة تلتقي كلها لتشكل قناة واحدة كانها لسان ثعبان اسود .

في احد الازقة كان الاسطى محمد يقف قبالة احد البيوت في الزقاق المتعرج مستندا بظهره الى الحائط ، وهو رجل جاوز عهد الشباب بقليل ، ذو وجه عريض نحاسي اللون ، ولحية قصيرة سوداء ، وفم متسع ، وحاجبين يتراقصان كلما تكلم بانفعال يرتدي « شروالا » اخضر غامقا وسخا ، وفوقه سترة مستعملة متاكلة الاكمام ، والياقة منطاة بالدهون وهي من ذلك النوع الذي يباع في سوق « القيصرية » في بلدتنا .

كانت اشعة شمس الصباح صفراء على بعد قدم او اكثر من سمت رأسه بينما اشرقت اشراقا مريضا على الاجزاء العليا من حيطان البيوت ، وكان بمقدوره ان يشم رائحة القداح الذي ازدحمت به شجرة برتقال برزت من خلف احد الحيطان الواطئة واخذت تنفث اريج زهورها البيضاء مع النسمات الخفيفة التي كانت تمر في تلك الساعة المبكرة من ذلك الصباح الربيعي .

احس بانتعاش مريح ، وفضلا عن شذا القداح ، كان الغبار يملأ الجو حوله ، غبار ابيض يتصاعد من الانقاض التي تختلط فيها قطع الصخر والجص واكوام التراب المتبقية بعد بناء الحائط في البيت الذي يقابل الاسطى محمد ، وكان العامل الذي انيطت به مهمة رفع الانقاض ناشطا يقذف بها بمسحاته فوق عربة الاسطى محمد الخشبية المستطيلة التي تقوم على اطارين من اطارات السيارات ، تصل بينهما اسطوانة حديدية طويلة شدت العربة من وسطها اليها ، وكانت العربة مستقرة بتكل مائل مستندة على ذراعين من الخشب يمتدان خارج جسمها المستطيل يصل بينهما حزام من المطاط السميك يستعمل عند سحبها

واصل الاسطى محمد وقفته ، وكان يرى شريكه « عبد الله الصغير » كما ينادونه في السوق سواء من قبل اصحاب محلات الخضراوات ، او من قبل رفقته من الحمالين فهو صغير ضئيل الجسم ، ولا عجب فكلاهما من زمرة الحمالين الذين يجوبون السوق بحثا عن زبون ، ثم عملا معا في علوة « علي افندي » وفي سنة واحدة جمعا عشرين دينارا اشتريا بها هذه العربة التي يفخران بها على بقية معارفهم . كان شريكه يكبره كثيرا ، كما تدل على ذلك شعرات راسه الظاهرة على شكل دائرة خالط السواد فيها بعض البياض ، دائرة تحيط بها عمامته البيضاء المنقطة بالسواد التي لفها بلا طاقية ، كان شريكه يحاول جاهدا الا يدع شيئا من قطع الاحجار يتساقط من حواف العربة التي لا حاشية لها ، ويربت بكفه المعروقة السمراء على الاطمار ليفحص مقدار الهواء فيه ، ويمسح بين الحين والاخر التراب عن وجهه بكم لبدته القصيرة التي لبسها على « شروال » اسود طويل فضفاض .

وعلى بعد قريب منه ، كان فتى متين البناء ، اصفر الوجه ، ذو عينين ضيقتين تطل منهما نظرة كئيبة ، يقبع ساكنا ، يحدق فيما يدور حوله ، وكان الاسطى محمد قد استأجره ليعاونهما في دفع العربة وانزالها من القلعة الى السوق ثم الى وادي النهر حيث يفرغونها ، وحين لحظه ، نهره بصوته الغليظ الذي بدا غريبا على سمعه في ذلك الصباح ، فنهض الفتى صاغرا ليشارك في ترتيب الاحجار وقطع الانقاض على العربة .

السماء فوقهم عالية جدا ، غامقة الزرقة ، شديدة الصفاء ، والصباح الباكر هادىء ، غير ان الضوضاء تنمو تدريجيا ، فهناك ابواب تفتح

وتقفل ، وقد تخرج طفلة شعثاء الشعر ، مخمورة العينين لتبتاع قليلا من الباقلاء المسلوقة من البائع الذي يدور بقدره البيضاء ويصيح مناديا على بضاعته ، او يتصاعد الموقد النفطي ، وهو يعمل من وراء احد الابواب . ومع ذلك شعر الاسطى محمد بالوحدة ، وبقلق غامض طفق يبحث عن سببه حتى وجده ، فمنذ ان جاء الى هنا منذ برهة لينقل اول دفعة من الانقاض كما اتفق مع صاحب الدار بالامس ، وهو يفكر في امر انزال العربة بحملها الثقيل في الطريق الذي ينحدر الى السوق ، كانت هذه مشكلة عويصة ، زاد من تجسيمها وتهويلها ، خبرته الطويلة في هذا العمل ، انه يفكر بعقل رجل العمل الذي يفهم دقائق الامور .

اخرج علبة من الصفيح ، وتناول سيكارة ، ودار بالعلبة على الاخرين ، فتناول الشريك سيكارتين ، له وللفتى ذو الوجه الاصفر ، بينما واصل الرجل الرابع تحميل العربة ووسقها . امتص الدخان من لفافته ، ونفثه في ضجر ، وكان طعم التبغ الردىء لا بأس به ، وقدر في سره الوقت الذي ستكون فيه العربة جاهزة للسير ، وسعل بشدة ثم قذف ببصقة لزجة على التراب الرطب

بعد قليل ، كانت العربة قد اخرجت من فم الزقاق ، واوصلت الى رأس المنحدر ، والاسطى بين ذراعيها الخشبيتين ، منصرف الى سحبها كفأر في فخ محكم ، وقد توتر الحزام المطاطي على حوضه ، ويداه متشبثتان بالخشبتين ، وشريكه والفتى يدفعانها من الخلف ، وحين بلغ رأس المنحدر صاح بهما ان يقفا ، ثم جعل العربة تتكىء على مؤخرتها .

الان كان بمستطاعه ان يمدبصره عبر الطريق المنحدر ، حيث يلتوي في نهايته حتى يبلغ السوق ، وبدا له الانحدار شديدا ، والقير الذي يغطي الطريق المبتل في بعض المواقع قد يعرضه للانزلاق ، والحيطان المرتفعة السمراء تحيط به من الجانبين وعلى امتداد البصر كان الافق يبدو بعيدا خلف المدينة ، وعند الافق ايضا كان هناك شريط من جبال زرقاء اللون يكتنفها شيء كالضباب ، وخضرة الربيع تكسو الحقول المترامية في كل اتجاه ، ومئذنة عالية لجامع يقع في السوق تبدو مزخرفة محلاة بطابوق ملون .

كان الوجيف قد انتاب قلبه ، فالحمل ثقيل ، وهو يجر العربة من الامام ، وسطعت في طاقتي انفه رائحة القذارة التي بدأت تتصاعد من صدره الكثيف الشعر ، فقد جعله دفء الجو الذي يتزايد بمرور الوقت يعرق .

التفت الى صاحبيه وقال :

ـ حسنا ايها الاخوان ، انكما تشاهدان اية ارض سنسير عليها ، وتعلمان اي ثقل سنسحب ، فيجب ان تحذرا ، وهكذا ... فليمسك احدكما بمؤخرة العربة جيدا ، ويمسك الاخر بجانب منها ، تعلقا بها عندما نهبط ... آه اي حمل ثقيل هذا ..

فاجابه شريكه وهو يهز رأسه

ـ انا لا ادري كيف سنوقف العربة من الاندفاع فيما اذا افلتت ، احسب ان ذلك يحتاج الى زوج من الحمير .

ـ انني اعلم ان ذلك امر صعب ، ولكن ماذا تريدني ان افعل ، هل نقف هنا حتى يأتي صاحب الدار ، ليأخذ احجاره ويدفع اجرتنا ، استعينوا بالله .. يا الله .. الله .. ياحي .. وفي هذه اللحظة التفت اليه بعض المارة وهو يصيح بشريكه ان يقبض على مؤخرة العربة ، ثم بصق في يديه ، بينما تنحنح شريكه ، وسار ذو الوجه الاصفر بهدوء ليمسك بالجانب الايمن من العربة ، وادخل الاسطى جسمه في الفراغ بين ذراعي العربة الخشبيتين والحزام المطاطي ، فاصبح في قيد مستطيل وتعلق بالحزام حتى جعل العربة في وضع افقي ملائم للسير ، وصاح في صاحبيه

ـ هيا ، انها اسهل قيادا في بادىء الامر ، ولكنني ادعو الله ان يحفظنا في النهاية ...

تحركت العربة ، وفي تلك اللحظة احس الاسطى محمد بان اندفاع العربة لا يمكن ان يطاق او يصدوانها ستجرفه امامها .. بضع اقدام ، وما عاد يسيطر على اتجاه سيرها ، بل اندفعت العربة زاحفة على مؤخرتها ، واعوج خط سيرها ، فاصطدمت بالحائط الايمن .

افاق الاسطى من المفاجأة على صياح عال ، فالتفت وخرج من محله ، فرأى شريكه لا يزال ممسكا بالمؤخرة ، اما الفتى ذو القامة المتينة البناء ، فقد كانت ساقه محشورة بين العربة والحائط ، وكتفه قد اصطدمت بعمود كهربائي ملاصق للجدار ، ولا بد انه كان يشعر بالم بالغ جعله يطلق صوتا مزعجا ادى الى تجميع المارة والاطفال الذين كانوا يزدادون بمرور الوقت في ذلك الصباح . وحين نظر الى وجهه طالعته نظرة خائفة فاستعان ببعض المارة الذين اقبلوا لمعاونته . واخرجوا الفتى من ورطته فاستلقى هذا على الارض باكيا كالطفل ، قاذفا بكلام كالهذيان :

ـ لا بد ان ساقي قد كسرت ، آه ان كتفي ليؤلمني ، اية تعاسة حشرت فيها!

ـ هس ، ما هذا الخوف ، هل انت جبان ، هيا ايها الاسد ، دعني ارى ساقك وكتفك . وحين كشف ملابسه لم يجد اثار جروح ، فانهضه من رقدته ، غير ان الفتى ما كان في حاله الاولى ، فقد كان الالم يعتصره ، واخذ يلاحظ ذاهلا مستكينا حاجبي الاسطى وهما يتراقصان من الانفعال وتتقلص الفسحة بينهما وتنبسط .

في النهاية قال الاسطى مخاطبا شريكه :

ـ ماذا سنفعل ؟

وكان المارة الذين جذبتهم الحادثة يشكلون طوقا من الزحام حولهم مما زاد في حرارة الجو ، وبدا الكل يدلي برايه في الطريقة الناجعة للخروج من المأزق . بيد ان الاسطى التفت الى الاولاد الذين كانوا اكثر الجميع تشوقا للمساهمة في مهمة كهذه ، وقال:

ـ يا ابنائي ، هل لي ان اسالكم ان تعينوننا على ما نحن فيه ، تعلقوا خلف العربة وليركب بعضكم على الجزء الخلفي حتى تغدو ثقيلة فنقدر على النزول .

وفي الحال ، ضج بعض الاطفال بالضحك من سحنته الغريبة ، بينما احدث الباقون ضوضاء تدل على ترحيبهم فتعلقوا خلف العربة ، وبعد ان عاد بها الاسطى الى الاتجاه المطلوب ، بدأ بالسير ، والعربة تزحف على مؤخرتها ، بينما مقدمتها مرفوعة بشكل استهوى عقول الصغار فاخذوا يتهامسون ، وكان الاسطى ينطلق محذرا بين برهة واخرى ، وحين بلغوا الالتواء في نهاية الطريق اسرعت العربة قليلا فارتعب اغلب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شتاء

شتاء ... شتاء ...
ينقر في جبهتي
ينتف من مهجتي
وريح شمالية باردة
تلف الطريق
وتغمر بالطين وجه الطريق
وتغمره بالحصى والرمال
وتملأه حفرا وتلال
وشيء كناب الحريق
ينقر في جبهتي
ينتف من مهجتي
ويركم في نفسي المجهدة
ظلال الشتاء ...
ولون المساء ...

شتاء ... شتاء ...
حياتي شتاء
حياتي ككانون برق ورعد
وثلج وبرد
وريح شمالية باردة
وقصف حقود ووغد
ينقر في جبهتي
ينتف من مهجتي
ويركم في نفسي المجهدة
ظلال الشتاء
ولون المساء

متى تبزغ الشمس في مشرقي
متى التقي
بموكب زهر
بموكب عطر
بقطرة طل نقي
نقي كحب ..
كشيء جميل حنون يرف بهدب

سأرحل يوما على جنح غيمه
لاسكن خيمه
بعيدا .. بعيدا بحضن الاقاحي
سأرحل يوما وطي جناحي
حبيبا أحب ، وضوء صباح

دمشق — **الياس الفاضل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصبيان وتركوها فاندفعت الى السوق وكادت ان تدهس دراجة مارة لولا محاولة الاسطى المستميتة لايقافها حتى بلغ بها جانب احد الارصفة .

وقف الاثنان دون ان يتكلما ، الاسطى يلهث ويبتلع ريقه بعسر ، وذراعاه اللتان كان قد شمر عنهما قد نفرت شرايينهما ، وشريكه الصغير ، شاحب الوجه ، تلمع في تجاعيد وجهه حبات صغيرة من العرق ، ويتنفس بصعوبة .

كان الاسطى ينظر خلفه الان ، فلمح ذا الوجه الاصفر ، يخطو بوهن ، يحاول عبثا ان يسرع ليلحق بهما ، وراسه منكس الى الاسفل كراس كلب حقير تلقى ضربة منذ قليل .

مسح الاسطى وجهه بظاهر كفه ، ثم اخذ شهيقا عميقا ونفثه بارتياح ، وبدأ يفكر فيما سيفعله في المرات القادمة حين يعود لينقل البقية الباقية من الانقضاض ، ثم توجه بالكلام الى شريكه :

ـ يبدو ان المسكين قد اصيب بأذى كبير ، ولكن لا بأس به الان ، غير انه لن يقوى على الحركة حين تبرد حرارة الصدمة في اخر النهار .

وظل الشريك صامتا ، وحين وصل ذو الوجه الاصفر واستعد الجميع للمضي ، بدأت العربة تسير نحو وادي النهر الذي يخترق بلدتنا ويمتلىء بسيول المياه في الشتاء ، ويجف في الصيف ، ورغم الضجيج الذي كان يحيط بهم وهم يشقون طريقهم في السوق نحو الوادي ، فقد استمر الاسطى مفكرا في الطريق المنحدر ، وكانت السماء تمتد فوق المدينة زرقاء صافية ، وبراعم الاشجار العارية تتفتق في اشعة شمس الصباح الدافئة .

العراق ـ كركوك — **انور محمود سامي**

الباكية

الى التي رايتها تشيع حبها الاول بالدموع

لِمَ تبكينَ ؟
ستنسينَ الحبَّ الاول
وسيأتي بعد الخائن شخص ثاني
يرمي الازهار على دربكِ
عند القدمينِ منوّعة الالوانِ
وسيدعوكِ : القديّس الامثل
والمحبوب الافضل
وسيشرب من خمرِ الثغرِ
كؤوساً ، لا ككؤوسِ الحانِ
بل أصفى ،
أغنى من ينبوع الزهرِ الفتّانِ
لا تبكينَ ...
ستنسينَ ...
سيأتيكِ الشخص الثاني
انْ كنتِ تريدين الموعدَ
عند النهرِ سيأتيكِ الموعد
وسيأتي الشخص الثاني
فتعودينَ كما كنتِ
تحبينَ الدنيا
وترودينَ الدرب العاشقَ
قصدَ اللقيا
وستسري الهمساتُ : أحبت
ها عادت تضحك للدنيا
وتغني للموعد
ويغنيها المحبوب غناءاً أعذب
وتسير واياه على دربٍ أرحب
لا تبكينَ ...
ستنسينَ ...
سيأتيكِ الشخص الثاني
ان كنتِ .. وماذا كنتِ تريدينَ
سوى السير الى درب الحب
وسوى خفقات القلب
والخوف : اذا جاء أبي ورآنا
أو اختي أو امي
ماذا سيكون عقابي ؟
الباب ستغلق في وجهي
واذا ما موعدنا حانا
سأظل ببيتي أبكي
وعيوني ترنو للبابِ
ويكاد الدمع يساقط من عيني
وأنا انظر للساعة :
ها ... فات الوقت
لا تبكينَ ...
ستنسينَ ...
سيأتيكِ الشخص الثاني

العراق ـ الحلة — علي الحسيني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



١ ـ مبادىء من باريس

لممدوح مولود ـ مجموعة قصص ـ ١٠٨ صفحة ـ مطبعة الثقافة بحلب

●

يلزمني شكر الاخ مولود مرتين ، الاولى لانه تجشم ، مشكورا ، عناء ابراد مجموعة قصصه لي ـ استجابة للنداء الاخوي الذي وجهته الى كل الاخوان الشعراء والكتاب العرب حول ارسال نسخة من كتبهم الجديدة لتقييمها بما تستحق وانقاذها من الاهمال والضياع وسط الجلبة والضجة الملونة والمسمومة والتافهة التي تحتل مكاتبنا واسواقنا الادبية ـ والثانية لان مجموعة قصصه هذه التي سأتحدث عنها كانت شيئا يستحق الكتابة عنه . . لقد كانت قصصا بحق وحقيق ، وكانت المجموعة تستطيع ، بسهولة ، ونتيجة لذلك ، الوقوف على قدمها . .

وقبل ان ابدأ تقديم الكتاب ، نقدا ، احب ان استذكر ردا كتبته قبل زمن ـ في « الاديب » اب ١٩٥٧ ـ حول « دمى واطفال وقصص اخرى » ، وان اقبس السطور التالية ، فهي ذات اهمية حيوية لما سأقدم من قصص : « ... ومن ناحية اخرى ، فاني وجدت الاخ موسى يؤكد كثيرا على التكنيك في القصة حتى ليخيل لي انه يقدمه على الموضوع والمضمون . ومسالة كهذه أثارت وتثير جدلا طويلا عريضا . وفي رأيي ان القصة ، كلوحة الرسام ، وتمثال النحات ، وقصيدة الشاعر ، وباختصار كأي عمل فني ، يجب ان تدرس من ثلاثة ابعاد ومقومات وهي : الموضوع والمضمون والشكل . وفيما يخص مجموعة سافرة نجد الموضوع يتنفس بارتياح وعافية اكيدة ، فهو سليم طيب . اما المضمون فلا اعتقد انه يتمتع بنفس درجة ونوعية عافية الموضوع . ولا حاجة ان نقول ان المضمون لدى القاص او لدى أي فنان ومفكر يخضع لبيئته الثقافية ومكتسباته واستجاباته الشعورية واللاشعورية وذخيرته الذهنية المعطاء . وهنا فان تراوح صحة المضمون بين الانتكاسة والاشراق ، يكمن في صميم الشكل الذي اختارت به سافرة معالجة وصب تفاعلها وعطائها الفكرة مع مجتمعها . لا شك ان المضمون والشكل يتفاعلان عضويا ووظيفيا الى ابعد حد . وهنا فان مشكلة الشكل لدى سافرة ـ باعتبار انها قاصة ناشئة ، لا زال امامها الدرب الطويل كي تتطور فيه باتم ابعاد التطور واوسع منطلقاته ـ تبقى متعلقة بوعيها ونظرتها الى المجتمع الصغير والكبير الذي تتغذى بعطاءاته . المهم ، انها في المضمون والشكل ليست ثابتة القدمين راسختهما كما في موضوعها . والمهم ان ارهاصات تطورها تكنيكيا متوفرة لحد يبعث فينا الامل بتقدمها ، كما بعث لدى الاخ موسى لان يقول : « وختاما ، فان من تكتب قصة كقصة (دمى واطفال وقصة حصة الكلب) لها مستبل زاهر في ميدان القصة ، ان هي ثابرت على جدها ودأبها في الاطلاع على روائع القصص والاستفادة من خبرات الاخرين في هذا المجال »

ان هذه السطور مهمة لانها تعكس واقع القصة العربية الناشئة بل انها تنطبق ، حالا ، على كثير من قصص اليوم القصيرة والطويلة منها.

وفيما يخص مجموعة مولود ، ارى تشابها كبيرا بين محاسن ومساوىء مجموعة القاصة العراقية سافرة وبين مجموعته ... الموضوع والمضمون مرتاحان في مركزهما الطيب ، نسبيا ، بينما لا زال امام التكنيك القصصي لديهما درب ودرب طويل .. لكي يحتل حصته اللائقة به في الميدان .

على ان شيئا في تكنيك مولود ينتصب باشراق وحيوية مدهشة .. وهذا الشيء هو عنايته المتطاولة بالمونولوج الداخلي . وربما اهتم بذلك لانه شاعر .. وشاعر مبدع في بعض قصائده الرهيفة الشفيفة ـ كقصيدته الاخيرة « الى شاعر .. من اجيرة » . فالمعروف عن الشعراء ، ان كتبوا القصة ، انهم يجيدون حبكتها .. ووجوها السيكولوجي .. اضافة الى انهم يعنون عناية خاصة ودقيقة بالصورة الطويلة .. بالهاجسية والخاطرية والحلمية والعفوية .. وكل ذلك تجمعه عوالم المونولوج الداخلي .. الواسعة .

ففي قصة « نصف ليرة في الجيب » ، يهتم امين بمحاولته المخلصة في ان يتمتع انسانية في جو لما يكتمل ثقافة وتقدما وتطورا حياتيا .. وفي محاولة كهذه لا بد له ان يشقى .. وان يعاني النصب والكد .. وقد نال منهما امين الكثير .. ومع ذلك فانه لم يفقد الامل .. ولم يستسلم لليأس والذل : « ... والقى نظرة عجلى على الرصيف المواجه فطالعته لافتة فيلم (فتاة النهر) وبلا شعور اصطدمت يده بقطعة نصف الليرة القابعة في ركن من جيب معطفه فتلمسها ، وما لبث ان خطا الى الاتجاه المقابل حيث استعرض افلام الاسبوع وهو يكبح جماح رغبته في مشاهدة فيلم فرجينيا مايو ويستبعد من خاطره مطالبته احدا بحاجة الى النقود ... ولما انتهى به المطاف بين واجهات دور السينما ، اتجه شطر البيت وسار بطيء الخطى ، جامد النظرات ، مكتئب النفس ، وقد عقد العزم على كتابة شيء يزيح عنه الحمل الذي يثقل عليه ... »

اما قصة القلب المنعف التي سجلت عناية قاصنا بالحبكة والجو السيكولوجي ، فقد كانت لا تقل روعة عن سالفتها التي أشرنا اليها ، وان كانت مبهرة النفس ، مخنوقة الخاتمة .. ومع ذلك فان الجو السيكولوجي الذي سربل القصة كلها سربلة شعرية غنية دسمة خفف علينا وطأة الخاتمة .. وهذا هو نفس الشيء الذي يمكن قوله عن « مصائر الاخرين »

وتحمل القصة « مبادىء من باريس » التي عنونت الكتاب باسمها ، تحمل شحنة دفيقة بالاحساس بالمأساة .. وبالرغم من ان الوعظ اخذ طريقه في تضاعيف القصة ، فان القصة ، ككل ، كانت جهدا طيبا : « ... هذه هي الهمجية ، وبصق على الارض بشدة ، هذه هي البربرية ، هذه هي قلة الادب التي تحمل بعض الرعاع على الاساءة الى الاخرين دون ان يهمهم ذلك ، وكأنما كانت وظيفتهم في الحياة حمل قلة ادبهم الى الاخرين بدلا من احترام انفسهم باحترام الاخرين ... »

على ان قصة « بصاق على الارض » تمنحني الثقة ان اقول ان عند مولود قابلية فنية طيبة في القصة ، كما و في الشعر ، وانه جندي باسل في هذا الميدان الرفيع الحبكة ، والاحساس بالمأساة ، والتعليم الفني الفوركي الملامح والسمات ، والتانس الشفيف .. كل هذا يتجلى هنا ، ومضات لطيفة منعشة « ... وأي معنى لوجود انسان لا حق له ، يرضى بما يفرض عليه من واجبات ، دون ان يكون لديه مجال لممارسة انسانيته والتمتع بحواسه ؟؟.. » « .. واذا كان الظلم يذهل البعض ، ويفقدهم اتزانهم العقلي ، فانه جعل منهم فيلسوفا يقبل على قراءة القانون والاخلاق والحقوق بنهم جامح ، فقد اقتنى من الكتب ، كتاب الحقوق الجزائية ، والعقد الاجتماعي بصرف النظر عن الدستور ... » « واذ كان يسير في مساء اليوم التالي على الرصيف المواجه للحديقة العامة هربا من طموم الكراهية والامتعاض والاشمئزاز التي كان يود التحرر منها .. توقف قليلا عن المسير وقد رأى خلو الطريق من المارة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد قليل كان يتابع سيره على الرصيف مخلوق تعيس بخطوات متثاقلة ذاهلا ، خائر القوى ، وكانت هناك بصقة على الارض ..»

ويبدو احساس مولود بانسانيته عارما في قصته الرائعة « هزيمة فرنسا » . ههنا يمنح مولود ابطاله حيوية مدهشة ، ويحررهم من كثير من الالية والروتينية والجليدية ـ ان صح التعبير ـ مما تفرضه«الطبيعة» والفوتوغرافية السوداء ـ وهو ما شاب بعض قصص مولود ـ ويدفعهم الى الفجر .. الى الفجر الانسان : « ... وعندما اشرقت شمس صباح يوم ٣١ ايار ١٩٤٥ كان الجنود الفرنسيون مصطفين على جانبي شارع البرلمان في دمشق منكسين اسلحتهم لمرور عربة الجثمان التي كان يتقدمها القائد الفرنسي وعن جانبيه ام الفتاة وبعض رجالات الحلفاء ... لقد حاول الطبيب جاهدا ان يفصل الجسدين عن بعضهما ، ولما اقر بعجزه غادر المكان ، وحمل الشاب العربي والفتاة الانكليزية وقد اشتبكت يداهما متعفرتين بالدم والتراب الى مثواهما الاخير بعد ان آثرت الفتاة الدفاع في سبيل القضية العادلة للفتى الذي احبت على الذهاب مع امها وتركه بين أيادي الاجرام والبغي ... »

اما « من اجل الحياة » و « ثمن قلب » ، فهما قصتان من واقعنا مرسومتان بفنية مكينة ركينة . ويبدو لي ان بقية القصص دون التي أشرت اليها حتى الان ، ولعل سبب ذلك انها لم تكن قد تمتعت بحضانة كافية . والمهم بعد ذلك كله ان مولود قد أثبت انه قاص .. وقاص مبدع مثلما هو شاعر مجيد .. فقط اذا استمر يطور تكنيكه القصصي .

٢ ـ مجموعة مسرحيات

لسعدون العبيدي ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد

●

يقول الدكتور صلاح خالص في مقدمته « لرأس الشليلة » ـ مجموعة مسرحيات ليوسف العاني : « .. فالاديب المسرحي الحديث غير مقيد اذن بموضوع معين او اسلوب معين في التعبير ، فالحياة امامه بكل ما فيها من حركة دائبة وتعقيد ، توحي اليه بانبل المشاعر واسماها واروع الموضوعات واشدها تأثيرا في النفوس . وما عليه سوى ان يفهم هذه الحياة على حقيقتها ويصدق في عرضها ويدرك طبيعة العمل الذي يقوم به وتأثيره في النفوس والدور التاريخي الذي يقوم به في معركة البشرية من اجل سعادتها وهناءتها ومستقبلها . ان هذا الوعي وهذا الادراك هما اللذان يميزان الكاتب الواقعي الحديث عن غيره وهما اللذان يقودانه دائما الى التقدم المطرد النمو المستمر والابداع الحقيقي في الخلق الفني المسرحي ...»

ولقد صدق الدكتور خالص في كل ما قال .. لقد صدق فيتحديده اهم مقومات الادب المسرحي الواقعي .. ومصداق صدقه ان كل الحقائق الموضوعية والواقعية تؤيده في دعواه .

وهنا .. ومع الاخ سعدون العبيدي نجد ان النبوءة تتحقق مع كثير من العناء والتعب . ولن يكون الابداع بلا تعب ولا الم ولا اجهاد والا كان اصطناعا باهتا زائفا .. كزائف اللؤلؤ ..

تتحقق نبوءة خالص مع العبيدي في مسرحيتيه « جسر العدو » و « انطلاق » .. وتتحقق ايضا في « انه سيعيش » و « وطبول الانتصار» الا ان المسرحيتين الاوليين كانتا عميقتي العطاء وبشكل مدهش .

ان « جسر العدو » مثلا ولا حصرا ، كانت نقطة انطلاق . فليوسف وهبي مسرحية بعنوان « الاستعباد » تدور حول معركة التحريرالافريقية العربية ، ومسرحية سعدون هذه تدور حول النضال الجزائري البطل دون انساننا العربي.. والفارقواسع بين مسرحية وهبي ومسرحية سعدون هنا يتعملق سعدون ، رغم حداثته في التكنيك المسرحي الادبي ، وسر عملقته انه واقعي النبرة والايحاء والمضمون واللغة . اما وهبي فقد كان رومانسيا مع انحناءة لكلاسيات القرون السالفة . ان العواء واللطم يعيشان مسرحية وهبي .. بينا ينطلق انساننا العربي بانسيابية وعفوية واصالة تستمد شفافيتها من دم الواقع .. ولهب الثورة .. وحاجات الناس البسيطة ـ وفورة الايمان .. وههنا بعض الفارق بين مسرحيتي سعدون ووهبي .

اما « انطلاق » فقد كانت انطلاقا حقا .. ولو كان التكنيك السعدوني مناسبا لكانت النتيجة في صالحه ، غب التمحيص الطويل . الا انسعدون لا زال طالبا في الصف الخامس من فرع التمثيل في معهد الفنونالجميلة ببغداد ... وهذا يعني ان « تمسرحه » لما يتكامل طولا وعرضا وعمقا . ومع ذلك فان جرعة كبيرة من الثقافة نشاهدها بين شفتي سعدون .. وهذا دليل على انه يحاول مخلصا ان يتقدم . و « انطلاق » هذه ترنو باخاء الى « اكلة البشر » وهي مسرحية اخرى لسعدون فيها خيوط من كامو وكوكتو .. ولكن « انه سيعيش » تنطلق ، اخيرا ، لتسعفنا بفيض من حيوية الواقع ولتمنحنا شرف مصاحبة لوركا .. مسرحينا ناجحا ، أعني ان سعدون قد افاد من المسرحيتين العالميتين دون ان يسرق منهما .. وفي ذلك نموذجية طيبة تصح ان تحتذى .

لست استطيع ان اعرض قطاعات من مسرحيات سعدون لضيق المجال . الا اني اشد على يديه متمنيا له كل التوفيق في مسرحياته المقبلة .. وليسمح لي ان اقول له اخيرا الى الامام ابدا يا سعدون في خدمة المسرح الحق !

بغداد — جليل كمال الدين

قرارة الموجة

لنازك الملائكة ـ شعر ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم صغير ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت

●

حين يسخر الفن من اعمال الحياة الاليمة ، ويحذر من التردي في عتمات السلبية ، ويأنف ان يصير لهجة باردة ونشاطا روحيا منسيا ، فلا بد له من الاثارة البنائية والدفقة المذهلة لتعبيرات الدهشة والسمو ، ليقيم معناه الانساني المروع في مخاض تجربي يمتص افاعيل الخلق الفني ، ويتنفس الحدود البعيدة ، حدود اليقظة الحياتية ، بتساميها المدني الحار .. والشعر بطبعه الجميل المحاط بهالات الاذى المأسوي ، وحمى الذات المتبرمة ، انسان لغة ، ورث من الانسانية ارجاعاتها العاطفية وذبذباتها الوجدانية التي تعيش لصق الرؤيا الشعرية ، بعفويتها ودمويتها ، وكل ما يكربها من تصادي ، والتحام ، ورنين شفقة وتعاطف دافق .. والشعر كذلك مناخ الفن الاصيل .. انه عملية خلق جسيمة، وخالقها يعيش في معنى الاثر والصيرورة .. ومن هنا ادركت شاعرتنا المبدعة نازك الملائكة مفهوم المعاناة والالم ادراكا متفتحا ، فاخذت تسفح من دم الذات عاصفات الصراع النفسي وهواجس الخوف ، حتى غدا لقاء الحبيب عندها يحمل بين ثناياه طعم المنون ، فتشفق من اول لقاء ، ذلك الطريق الغريب المخيف المعابر . فتهتف :

لنلتق فالريح تعصف والمنحنى لا يعي
وغمغمة الهاجس المتهدد في مسمعي
وهذا الطريق الذي سلبته خطاي السكون

غريب مخيف المعابر يشبه لون المنون
احس السراب
وراء الهضاب
والمس في لونه معرعي
وانت بعيد وراء الظنون

وتتجسم لها صورة الالم في انتظار ثقيل ابدي يلف الخائفين على مصير اللقاء :

لنلتق .. ما اطول الانتظار على الخائفين

ثم تعود تراودها فكرة الخلاص ، فكرة البناء المصائري ، برغم جذب الزمان البليد وتحريه الخطى وراء المحال .. انها تبغي مكانا بعيدا وراء كهوف الانين حيث يبدأ هنالك كل طريق .. ان التصميم حجر الحياة الشاعرة ، لانه يسخر من مهزلة المحنة والجدب العاطفي ، ويمحو الابعاد وما ينغص لذة اللقاء :

سنمحو الزمان
وننسى المكان
هناك ونقسم الا نعود
الى امسنا المنطوي .
سربنا !

تلك هي تجربتها في الحب واللقيا الجميلة .. فالحزن يتفشى شعرها ، حيواتها ولقاءاتها ، وعناقها مع المطلق والعدمية .. والكآبة تسري على متون احلامها وتتلون باحاديثها النفسية ونجواها مع القدر والظلام .. والصور الاسطورية والكونية في شعرها تنم عن شعور عميق بقيمة الالم كمنطق عميم الخير والجمال فهي كما قال الاستاذ عبد اللطيف شرارة « لا تستعدي الكون من اجل الامه ، ولا تتبرم بالعالم تبرم الحائر ، التائه المضطرب ، وانما تتقبل الالم وتحسب فيه كثيرا من الخير والجمال».

حكاية الالم في شعر نازك نبع من صميم التجربة المعاشة ، وليس الما انفلاقا وانحسارا عن زيد .. تراه يرتسم في عناد على رقعة تسبيحاتها المحزنة ، ليخاطب الناس ، كل الناس ، من وراء مخاطبتها لطفل او شبح او حبيب غائب او ذكريات بعيدة .. الما انصبابة ماء تسيح على حرقة النفس فتوقظها بعد موات .. او تخط عليها حروف السخط ، ذلك السخط الذي يتحول الى عداء لا راد له ازاء عالم لا يفهم الاشواق ، فيغدو الحب سيرة تروى ولونا مزروعا في تربة البغضاء :

أعيننا لا تفهم النجوى
الحب فيها سيرة تروى
كان لها امس
وضمه رمس
من تربة البغضاء

والبغض وليد لعنة الزمن ، وحصاد الايام الذي أذوى الاحلام وخلفها اشلاء فوق الثرى .. طبيعة نسوية .. تتعاطف ، وتلين ، وتهزأ ، واخيرا تتسمر فارغة النظر تتملى حصاد المصادفات ويلفها الفراغ بجمود الموتى وصمت القبور :

وتحس العيون ان عيونا
مات فيها المعنى وعادت رمادا

أبعد ذلك الموقف الصامت الشامت تعود نازك الى اشعال حطب اليقظة ، والتفني بلهب العبير ؟! اجل .. فالكلمات عندها الوان شتى .. عطر يتنزى .. وسخرية مرة . وغناء معجون بالدموع .. وسرعان ما يهتف في اعماقها صوت الالم الانساني وتتجاوب مع جراحات المجتمع .. فترى روحها الحزين يلمح من خلل التقاليد البالية والقيود البغيضة ، التي يشحذها الجهل والتعالي الوحشي فتقول في (غسلا للعار) مخاطبة فتيات القرية :

يا جارات الحارة ، يا فتيات القرية
الخبز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا وسنسلخ أيدينا
لتظل ثيابهم بيض اللون نقيه
لا بسمة ، لا فرحة ، لا لفتة فالديه
ترقبنا في قبضة والدنا واخينا
وغدا من يدري أي قفار
ستوارينا غسلا للعار ؟

ان نازك هنا ، تحس احساسا انسانيا بما يقترف من اثم وتسلط في حق الجنس الاخر باسم الكرامة والتعالي .. انه منطق مقلوب وريث زيف الجهالة .. فالعقاب يوقع على المرأة ولو كانت بريئة نظيفة الوجه.. هذه كلمة مبصرة تدل على مدى القرف والخوف الذي يأخذ بخناق المرأة الشرقية والعراقية بوجه خاص ، حتى تكاد انفاسها تختنق بين ركامات الوعيد والتهديد .

ولا تنسى شاعرتنا مآسينا الاخرى فتنفض ذاتها وتتقمص مأساة النكبة ، نكبة فلسطين وياخذ (أناها) بالذوبان في التعبير المحير لمواجيد الرثاء الدميع .. لم تعد الصورة تنضح باستفهامات القدر المحتوم واللوعة القائمة في مآقي النجوى العارمة ، والتفني باكتشافات اللقاء المر. هنا تتسع ملحمة التعبير ، فتفتتني بمرارة الاستشهاد والفداء .. وهل هناك من معنى رثائي ابلغ في الاثارة من تصوير الشهيد بالنبي الذي سيبعث برغم البغي والظلم؟.. تقول مشيرة الى البغاة. وهي تعني ماتقول:

يا لحقى اغبياء
منحوه حين أردوه شهيدا
الف عمر وشبابا وخلودا
وجمالا ، ونقاء

وفي الاستشهاد يكرم البعث والخلود :

انه عاد نبيا
وهو قد اصبح نارا تتحرق
في امانينا وثارا يتشوق
وغدا يبعث حيا

حين تصور نازك المأساة فانها توزع قطرات الدمع في انسيابات من التأوهات تصخب بتعابير لاهثة متقطعة .. ولكنها ـ ويا للعجب ـ تشح احيانا فلا تبدو منها سوى ملامح لا لون لها ولا زخم .. وقد ينتاشها البرد اللفظي المعاد وتظهر اجواء القصيد راكدة مفعمة بالدخان .. ومن هنا وجد النقد العاتب مسراه الى بعض قصائدها التي يحسبها البعض معطى من معطيات السريالية والضباب التعبيري .. ومن هنا نجد في بعض تعابيرها حشوا ونكسة شعرية واحاديث عادية لا مدعاة لها . كمثل قولها :

ثم يأتي زمان
وتدب الحرارة في الجسد الجامد

وقولها :

ومشينا لكن الحركة
ظلت تتبعنا والسمكة

وقولها :

واصبح لا بد من ان نذوق الجراح

عبارات عادية يصح ورودها في القصة والتقريرات الكلامية الخطابية وليست من الشعر الحر في شيء ولكن الجفاف الكلامي لا يسرق الطعوم الاخرى النقية التي لا يمكن التغاضي عن مراميها واغتنائها بالوجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانساني والتدافع الحركي ... ان صرخة الحزن ايمان نظيف يحسه كل من يعاني الحياة ويتبرم حيال الاماني الذاوية .. والشعر بعد هذا عزاء كما تراه نازك بالنسبة للمحزون ، لانه وسيلة حياة ، تلمح ذلك بوضوح في رثائها لامها في (ثلاث مراث لامي) .. فحزنهـا على فقد امهـا يتجسم في محسومات ، فتارة تشبهه بطفل وغلام مرهف ، سابح في بحر أريج ، وتارة بغلام دائم الحزن خجول ، او بزهرة نبتت في الظلام وسقاها دمعها ـ دمع الشاعرة ـ لينا ونضرة .. في قصيدتها هذه التي تحوي ثلاث اغنيات رثائية ، تعبير جديد عن الالم .. انه يتحرك كالغلام ، نرى الشاعرة تهب لاستقباله والاحتفاء به ، وتحاذر ان يجرح بالضجيج .. وهو يحيا في الدموع الخرس .. وله كوخ خفي شيد في عمق سحيق ، اجمل من الافراح ومن كل حب .. وعلى هذا النحو تهدهد نازك الالم وتحبه وتداريه ..

من هذا نستطيع ان نقول باطمئنان ان مصادر الحزن في شعرهـا ، لا تدفعها الى الهروب والتهالك والتراجع الى السلبية كما يتصـور البعض .. وهي اذ تخاطب الالم وتوقظه وتعيشه ، فانما تخاطب بشكل بارع ، انتفاضة الحب الكوني في عروق حبيبها ، الذي يشمل كل شيء ويسعد بكل شيء . تريده حرقة ابداع في اشعارها ، وغضبا على الصمت المهين الساكن ، وصرخة اعصار في الافق المديد ، لانها تكره الموت واليباس ، وتحب الحياة من اعماقها :

اني أحب تعطش البركان فيـك الى انفجار
وتشوق الليل العميق الى ملاقـاة النهـار
وتحرق النبع السخي الى معانقة الجـرار
اني أريدك نهر نار ما للجتـه قـرار
فاغضب على الموت اللعين
اني مللـت الميتـين

العراق ـ البصرة — عبـد الرحمن مـجـلي

احـلام وأوهـام

لسليم مبارك ـ مجموعة قصص عراقية ـ ١٣٢ صفحة
مطبعة الرابطة بغداد

●

تمـر القصة العراقية في الوقت الحاضر بارهاصات شديدة التاثير . وتعاني مخاضا ما يزال عنيفا ترمقه العيون بشيء من الحـذر والعطف والعناية والاهتمام . والدور الذي تريد ان تمر به القصة العراقية قائم في نجاحه على سواعد الزمرة الطالعة من كتاب القصة الجدد . وعلى عواتق الفئة المثقفة الواعية لرسالتها اكمل الوعي ، المدركة لمسؤوليتها اتم الادراك .. وعلى الرغم من رجود كتاب للقصة العراقية قبل عشرين سنة مضت وما زالوا يمارسون كتابتها حتى الان. فان هذه الجماعة لم تتمثل الفترة الحاضرة تمثلا تاما ولم تحاول ان تقدم شيئا جديدا يبرز لنا مشاكلنا بجراة ووضوح ويعرض لمضطربنا ويعاصر خوالجنا واوضاعنا الحاليـة بشيء من الاندماج الاجتماعي المؤمن بمسؤولية الكاتب تجاه مجتمعـه وطبيعة اوضاعه وظروفه وبيئته .

والواقع اننا لم نتخذ في كتابة الاقصوصة وجهة معينة مميزة لهـا عما دونها رغم محاولات البعض في ان يرسم لها تلك الوجهة ويحـدد الخطوط البارزة منها ... ذلك لان الاقصوصة العراقية ما تزال متاثرة تاثرا عظيما بالادب الكلاسيكي تارة وبالرومانتيكية تارة اخرى ، وبالادب الروسي وبالقصة الروسية بالذات او بالقصة المصرية ذات الطابع المكشوف في اغلب الاحيان . ولو ان هذا التاثير كان يقف حده عند مرحلة الاطلاع والتثقيف لما كان ثمة ايلام في الامر . ولكن التاثير يسري في صلب انتاجنا الادبي فيشوهه تشويها ماحقا وينتفي منه طابعه المحلي الخاص به . وقد تبين لنا ذلك بوضوح فيما تكتبه زمرة القصاصين بعد فترة الحرب الثانية رغم تقرب هذه الزمرة من واقعنا المائل تقربا فيه حذر .

انني لا استطيع ان ادعو الى مبدا « الالتزام » في الادب . فانه قتل وسحق لجميع خوالج الاديب التي يجب ان تتمتع بالحرية المنزهة ـ اللهم الا اذا حملت على ذلك حالة من الحالات الآنية التي تمر بنا بين حين واخر ـ ولكني اعلم ان مجتمعنا يضطرب دائما وبلا توقف ، ويبرهن على الحياة ويعطي التاكيدات المضبوطة بانه يعيش بكل صفات المجتمعات الاخرى . فلماذا اذن لا ناخذ صورا من مجتمعنا ، ولا نحاول ان نلمسه لمسة رقيقة واحدة نبني بها ادبا قوميا حيا ؟

هنالك مشاكل عديدة تكتنف الاديب من كل اقطاره فتحد من نشاطه وحيويته .. وهذا حق لا سبيل الى المواربة فيه .. وانها لمشاكل مؤثلة اوجدتها ظروف قاسية عاتية .. فالنقد عندنا يقصر في اغلب الاحيان في توجيه كتابنا الناشئين توجيها صحيحا . وخطأ المفهوم القائم بيننا عن منهاج النقد الصحيح والتوجيه المنظم شائع شيوعا رهيبا لا يبعث الا على التثبيط ، ففضلا عن افتقارنا الى وسائل التشجيع الاخرى وخاصة المجلات الادبية والصحف ودور النشر والتوزيع .. هذا من جهة .. وهناك جهة ثانية تشكل جبهة خطيرة تقف في سبيل ترقية الاديب وتنمية مواهبه وتطوير تجاربه وتعميقها .. فالقاص عندنا ـ مثلا ـ يمر بتجربة ذاتية معينة يعاني فيها صنوفا من الاحداث . او يبصر حادثة سطحية او مهمة تقع عليها عيناه فلا يحاول ان يلبسها من عنده لباس الفن. ولايحاول ان يكللها ببردة الخلود... بل انه لن يبتغي من ذلك الا تسجيلها بصورة شكلية مجردة من كل لفة جمالية ومن كل اطار فني .. فلماذا يفعـل القاص العراقي ذلك اذن ؟ .. اليس لنا الحق في ان نتساءل لماذا يتردد القاص العراقي كل هذا التردد المرير ؟ نعم .. انه ليفعل ذلك .. وانه ليتردد .. وانه ليشكو ظلم الزمان والظروف ولا يشكو نفسه ولا يهذب مواهبه ولا يشحذ ملكاته ..

انها نفسية معقدة عقدا شديدة الالتواءات ناتجة عن خوف القاص العراقي من نفسه ومن الناس . انه يخاف ان يناله الارهاق في منتصف العمل او ان يصيبه النصب بعد مرحلة واحدة من كتابة ما يريد كتابته. او ان يخذله الناس خذلانا فظيعا تنطفيء بسببه شعلة فنـه وتتراخـى عزيمته .. فكيف اذن ننفي عن انفسنا هذا العجز وهذا الخور ؟ اننـا لا نستطيع ان نلوم الزمان والظروف فليس لنا بهما شان . ولكننا نستطيع ان نتمثل تجاربنا وامور حياتنا بعمق وصبر. وندع لانفسنا الخلود فيما بعد، ثم نذود عنا ما يصيبنا من غرور . ونمضي فيما نريد رغم خذلان الاخرين لنا .. المهم اننا سنبدع وسنحس بلذة الخلق وحرارة الانتاج .

هذه المقدمة أثارها كتاب قصصي جديد لقاص عراقي لعله يريد ان يثبت مكانه في هذا المضمار .. فلنبين هل وفق ذلك التوفيق المرموق الذي نرجوه وننتظره من كل كاتب ناشيء لنتوضح به مدى ما يضيفه من جديد في هذا الدور الخطير الذي تمر به الاقصوصة العراقية .. ما من شك ان الاستاذ سليم مبارك قد حقق لنفسه امنية عظيمة عندما طبـع مجموعته القصصية التي نحن بصددها الان . واني لابصره مسرورا بعمله ، واني لاراه جذلا به فخورا باصداره في ذلك الكتاب الانيق الذي يعجب الرائي .. ولكننا مع ذلك لا بد ان نستعرض الكتاب لنقع على ما نريد ان نحققه لادبنا من نمو وتطور وازدهار .

الكتاب يضم اثنتي عشرة اقصوصة تتفاوت بين القـصر المفـرط بالعجالة والطول الموغل بالاسهاب الممل احيانا .

فاذا ما استعرضنا القصة الاولى « الاحمر اللعين » نجد صحفيا في حفلة خيرية لرعاية الاطفال تضطره فتاة ناعسـة الصوت علـى شراء « ورقة يانصيب » يفوز من ورائها بقلم « احمر الشفاه » فيحار اين يذهب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

به ولن يعطيه وليست له زوجة ولا حتى خطيبة ؟ فيهم ان يعطيه للفتاة الناعسة الصوت فتحدجه بنظرة غاضبة . ويلاقي بسببه الوانا من المشاكل الحرجة لولا ان تنقذه الفتاة في النهاية فيعطيه اياها .. ونعلم ان الصحفي لم يكن الا في حلم نائم .. ! وما دامت القصة عبارة عن حلم فانها بعيدة عن الواقع بطبيعة الحال . وهذا مما يجعلها ذات تكنيك قصصي هابط . ومحور المشكلة – وهو القلم الاحمر – يكاد يكون تافها ومضحكا من ناحية التقدير والحكم النقدي .

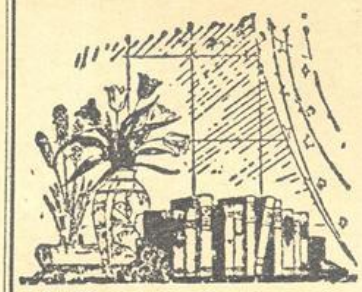
اما قصة « ذكريات » فان الكاتب يستقي موضوعها من ايام شبابه. فالبطل سامي كان يحب جارته سميرة . وكان يراها دائما في طريقها الى مدرستها وهو في طريقه الى مدرسته .. ويشاء حبه لها ان يصرفه عن دروسه ومدرسيه وتجابه اباه ظروف مالية عسيرة فينتقلون الى بيت اخر . ويمضي سامي في طريق غير طريق مدرسته فيشتغل عاملا ، اما سميرة فانها تمضي في مدرستها وتتزوج . وها هو يراها الان في سيارة الباص وفي حضنها طفلها الجميل النظيف (وهو) بملابس العمل القذرة .. انها ذكريات جميلة مؤثرة يبعثها هذا اللقاء في سيارة الباص لولا ان القاص لا يحاول ان يتعمق في تصوير نفسية البطل بصورة وافية .. والتقرير الصحفي في بداية القصة سلب من فنيتها الشيء الكثير . وهذا عيب منفر في كتابة الاقصوصة .

فاذا انتقلنا الى قصة « رجال الليل » نجدها مهلهلة التراكيب عديمة الحبك خافتة الصوت كثيرا ما تناول موضوعها كتاب قصصيون فكتبوا ما شاء لهم قلمهم حتى اصبحت حوادثها مملة باعثة على النفور وان كانت تصور حياة الليل وحياة الفنانات اللواتي يقدمن لازواجهن ما يحصلن عليه من جيوب رواد الملاهي .. فانهن اذن ضحايا هذا البتشع المقيت . وانهن اذن قرابين تقدم على مذبح الجسد رضاء للرجال المالكين رقابهن بالزواج .. ولو ان الكاتب حاول ان يأتي بجديد في هذا الموضوع لكنا حمدنا له هذه الخطوة .. ولكنه لم يفعل .. وبالاضافة الى ذلك فان اسلوب القصة ضعيف جدا وتوجد فيه اخطاء نحوية كثيرة .

واما القصة الرابعة من المجموعة فاسمها « خفايا القصور » . ولعلها اروع ما كتب الاستاذ سليم مبارك في هذه المجموعة . ولعل نجاحه فيها عائدا الى اتباعه « طريقة الرسائل » التي تتيح له ان يحرك افكاره بسهولة ويسر .. انها قصة صبي يتيم يخدم في قصر باذخ النعيم . ويكون خادما « خاصا » للصبية الجميلة « عفاف » التي تكافؤه في السن . فينمو وتنمو حتى يشقا اردية الصبا والفلومة . وتشرع عفاف تغريه بمفاتنها الكثيرة ولكنه متحجر متلبد . فتنصرف عنه وتتركه في حيرة من امره . وينتقل بعدئذ الى خدمة قوم اخرين وهناك تقع في حبه خادمة تعرض عليه صنوفا من رغائبها الحسية . ولكنه بارد الحس فاتر العواطف ايضا . فيعلم من امر نفسه ما يروعه ويزلزل به . ذلك ان اهل « عفاف » لكي يضمنوا لها سلامتها من خادمها الموكل بخدمتها يجرون له عملية يقطعون بها صلته بكونه رجل .. فهو الان نصف رجل ..

القصة رائعة الفكرة ناجحة من حيث المضمون . اما الاسلوب فانه يراوح بين الهبوط والارتفاع مما يدل على عدم استكمال الكاتب لادواته الادبية . ولا يفوتني ان احمد له براعته في اظهار نفسية الطفل في جميع مراحل حياته وصدمته بفقدان رجولته .

في قصة « مساكين » فتاة يشاء حظها المنكود ان يموت ابوها. وان تعيش من بعده مع امها وشقيقتها عيشة قائمة على حساب الشرف والكرامة وتحدث في اثناء ذلك حوادث تؤدي الى وفاة الام والى سجن الفتاة بسبب جريمة نكراء . وعندما تنتهي مدة محكومية الفتاة وتخرج الى الحياة الحرة مرة ثانية تعيش على بيع جسدها ايضا . وينتهي بها الامر الى اصابتها بمرض جنسي وبيل تنطفىء بسببه نضارة وجهها وجماله وتأخذ بالتسول في المقاهي.. القصة لاتاني فيها رغم مشكلتها الاجتماعية الا ان الكاتب آثر ان يسابق الزمن على ما يبدو ، فهو يكاد ان يقفز قفزات مفزعة وهو ينتقل من



الاديب

*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : Tél. { الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 / المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 }

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت – لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرحلة الى مرحلة وكان غولا من الفيلان يعدو وراءه .. فلماذا يؤثر الكاتب هذا النمط من السرعة والعجالة ولا يدع لافكاره فرصة للتاني ولابراز المشكلة في اطار فني ؟ انها الغمرة النفسية المعقدة التي تغمر كتابنا فتسمهم بميسم العجالة وتوصمهم بالروح الانهزامية التي لا تقدر على الوقوف طويلا امام هاتيك المشاكل ومجابهتها بصبر وشجاعة .. وهناك جوانب من القصة لا يمكن للقارىء ان يصدقها ولا للناقد المحقق ان يتقبلها لانها بعيدة عن الواقع المعقول . فمن هو يا ترى ذلك الشخص الذي ينتهر متسولة مسكينة بيديه ويدفعها بقسوة بالغة وفي مقهى عام ويلتقط صورة سقطت من عبها الى الارض ـ فيما كان يدفعها تلك الدفعة العنيفة ـ ثم يجبرها بقوة على سرد قصتها امام اعين الناس ومسامعهم الا ان يكون من الحمقى المأفونين ؟ ونحن لا نغفر للكاتب موعظته الاخلاقية في بداية القصة . فان ذلك مما يشينها حقا . وقد كفانا ان نكتب قصصا ونحشوها بالموعظة او غيرها مما يفسد علينا اعمالنا الادبية .

وعندما ناتي الى قصة « ياقوت » نجد راقصة في ملهى يعج بالموسيقى الصاخبة والصياح والصفير . ونعلم ان الراقصة كانت تعيش ايام طفولتها مع امها وشقيقتها الكبرى في لبنان . وان بطل القصة كان يومئذ في لبنان ايضا . وقد تعرف على هذه الاسرة البائسة وخص الطفلة « نادية » بعطفه ورعايته وحنانه . ولكنه عندما يرجع الى بغداد يعلم من الرسائل المتبادلة ان الشقيقة الكبرى قد ماتت وامورا اخرى قد حدثت . ثم تنقطع الرسائل ويمضي الزمن . ونعلم ان « نادية » الطفلة هي هذه الراقصة التي اسمها « ياقوت » جاءت الى بغداد لترقص في ملاهيها .. هذه القصة استطيع ان اقرر انها ناجحة بحوادثهاوصخبها والذي اعجبني فيها قوة الزخم التي نحسها من خلال عواطفنا تجاه الراقصة وشفقتنا لما تتكلفه من عناء لارضاء الرواد والفوغاء وقد كانت في طفولتها تلك الطفلة المشرقة البريئة .. ومع ذلك فان الكاتب ـ على ما يبدو ـ كان يصر على القاء ما على عاتقه بخوف وسرعة عجيبتين .

فاما قصة « ورقة يانصيب » فان بدايتها رائعة الهمس مشرقة الملامح خصوصا عندما يعرض الكاتب لعواطف الرجل وآماله حينما يتمنى لو ربح لنفسه البطاقة الاولى .. ولكنه في كل مرة يشتري بها ورقة يانصيب يبوء بالفشل المرير .. وفي المرة الاخيرة لا يجد ثمنا لورقة اليانصيب فيستدين ثمنها من صديق له . ولكن هذا الصديق سرعان ما يطالب بالدين ـ قبل السحب ـ ويلح فيه حتى يضطر البطل المسكين الى اعطائه الورقة بدل النقود وعندئذ تفوز البطاقة .. قلت ان البداية كانت طيبة باعثة على الطمانينة . ولكن لنتساءل كيف يمكن ان نصدق ان ثمن بطاقة يانصيب مقداره « ربع دينار » يجعل من صديق البطل ملحاحا في طلب النقود الى هذا الحد والى هذه الشراسة في المطالبة وكيف رضي هذا الصديق بالبطاقة بدل النقود مع العلم بانه لا يعلم انها ستربح الجائزة الاولى .. ؟ ان الكاتب اراد ان يغرينا بمسالة «الثمن» هذه ليجعل منها عقدة لقصته . واعتقد انه لم ينجح في هذه الخطوة لانها غير مقنعة من الناحية المنطقية وخصوصا « عندنا » في بغداد ..

في قصة « فضيلة » شاب يريد ان يجرب حياة الحب مدفوعا بشبابه ووسامته .. فتنجح جارته « فضيلة » في القاء الشباك عليه فهي تحبه حبا عارما ناجما من عمق قلبها المعذب . ولكن الشاب لا يحاول ان يتلمس قلبه حقا ، فهو يبادلها الحب ملهوفا الى استكشاف عوالم مجهولة كثيرا ما كان يحلم بها . فتصبح له فضيلة حبيبة « روحا وجسدا» وتقص عليه قصة حياتها مع خالتها ذات السيرة السيئة وكيف دفعتها الى طريق الخطيئة .. وتمضي الايام والشهور والسنون واذا بالشاب يشتغل بالمهن الحرة فتدر عليه ربحا عظيما . عندئذ يحس بانصراف وملل في صحبته مع فضيلة فيهجرها وتظل هي وفية لحبه .. ان الانصاف يقتضينا ان نشهد لهذه القصة بالنجاح فهي تبعث على الرضى والتفاؤل بموهبة الكاتب . وتثير فينا شعورات متباينة بين البهجة لهذا الحب والرثاء لفضيلة . والاستاذ سليم مبارك يكاد ينجح في القصة ذات الخط الزمني الطويل . ولكني اعجب لضعفه البارز في النحو وقواعد الصرف . فهو هنا ينصب الفاعل طورا ويرفع المفعول به طورا اخر .

اما « احلام واوهام » فانها عبارة عن « حكاية » من هذه الحكايات التي تسردها على مسامعنا جداتنا العجائز في ليالي الشتاء قرب كانون النار الذي يبعث في الاجسام الدفء والخدر ، فهي اذن « اسطورة » ليس لها نصيب من الواقع ولا تصلح قراءتها الا للمتعة الذهنية وقتل الوقت وان كانت تحمل معنى من معاني العظة في الحياة .

وفي قصة « امراة الحاج » نجد فتى « او صبيا » مراهقا يعجب « بالهام » زوجة الحاج الصغيرة الجميلة .. ويأخذه التعجب للفارق العظيم بين عمريهما وطبعيهما . فكثيرا ما يؤذي الحاج الكهل زوجته الصغيرة ويضربها . وكان الفتى ـ بحكم الجوار ـ يشتري لبيت الحاج ما تطلبه زوجته من حاجيات من السوق .. ويموت الحاج على اثر مرض اصابه فتبقى الزوجة وحيدة .. وذات مرة يدخل الفتى بيت الحاج بعد وفاته فيرى الهام تخلع ملابسها في الغرفة فتثور دماؤه وعواطفه المراهقة المكبوتة ويندفع اليها ولكنه ما يكاد حتى يخيل اليه ان شبح الحاج يجول في الغرفة وينظر اليه بشزر وغيض وغضب فيأخذه الرعب ويولي مدبرا لا يعقب .

هذه القصة لا تعدو ان تكون افكارا صبيانية يكتنفها شعور المراهق المحموم المتعطش . وهذا كل ما في المسالة .. وهناك تناقض ظاهر اذ ان زوجة الحاج كانت ترسل الفتى ليشتري لها الحاجيات من السوق ومعنى هذا ان الفتى لا يتجاوز عمره الحادية عشرة . فكيف يفسر لنا الكاتب اندفاع الفتى الى زوجة الحاج وكانه ابن الثامنة عشرة مع العلم ان الخط الزمني السائر في القصة يوشك ان يكون بطيئا جدا ..؟

اما القصتين الاخيرتين « نضال الشباب » و « قلب معذب » فان الغموض القاتم يلفهما والتناقض الصريح يغشاهما خصوصا قصة « قلب معذب » فانها حلقة مفرغة من الحوادث المتناقضة التي لا تستند على اساس من التاويل المقنع .

هذه هي الاقاصيص التي طلع بها علينا الاستاذ سليم مبارك . فهل نجد فيها شيئا اخر غير الذي قلناه ؟ اجل .. هناك اشياء كثيرة تزدحم ها هنا امامي .. اميزها واصرحها واشدها وضوحا قضية الارادة والعزم والتصميم .. فاننا لم نقع على شخصية من شخصيات الاستاذ مبارك تقف عملاقة ذات ظل كثيف وذات ارادة وعزم وتصميم ، حتى خلناها شخصيات جد ضعيفة تنهار لاقل مقاومة .. ولو كانت هذه الشخصيات قوية في معنويتها عالية في روحها لتكشفت لنا عن عوالم متفاءلة زاهرة تبني وترفع وتؤثر وتتاثر ولا تعرف الفشل والمرارة والتراجع ! ثم نتساءل بعد ذلك هل حقق لنا الاستاذ مبارك شيئا جديدا في بناء الاقصوصة العراقية ؟ فلا يكون الجواب الا مزيجا من الخيبة والامل .. ذلك لان للسيد سليم مبارك موهبة لا سبيل الى نكرانها ولكنها من الفضارة والسذاجة بحيث تحتاج الى طويل زمن يعمل في خلاله على صقلهاوتهذيبها

ولا يفوتني ان انبه السيد مبارك الى اخطائه الكثيرة في النحو والاعراب والصرف ، فانها سوف توقعه في مآزق حرجة متعبة ان لم يعمل على تلافيها في المستقبل .. هذا ومن السهولة بمكان ان نعثر على جملة ذات تركيب ركيك مفكك او تعبير لا يؤدي الغرض اداء موفقا .. ولا شك اننا سنتطلع اليه مرة ثانية فلا نجد في مجموعته القادمة ـ ان شاء الله ـ هذه الافكار المراهقة المحمومة التي وجدناها في « احلام واوهام » اللهم الا اذا كان قادرا على تصوير هذه الافكار بصورة بارعة مقتدرة غير مبتذلة .

وآمل ان يتعمق الاستاذ مبارك في الفكرة التي تراوده ويريد ان يجعل منها مادة لاقاصيصه ولا يتعجل كل هذه العجالة المخطوءة .. ويسرني جدا اذا تفضل بقبول تحيتي واحترامي .

بغداد — موفق خضر



● ماساة الانسانية في الجزائر ـ لمحمد الاخضر عبد القادر السائحي ـ ١٠٨ صفحة ـ مع عدة صور ـ منشورات مكتبة النجاح بتونس [لم يذكر اسم المطبعة] .

● المشعل الخالد ـ شعر ـ لامين شنار ـ ٩٦ صفحة ـ الغلاف بريشة نبيه رفيدي ـ مطبعة الشرق بالبيرة رام الله بالاردن .

● الغرب العربي في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي ـ ليونس صالح الحريثي مدير المشاريع والمباحث الاقتصادية بلجنة تنظيم تجارة الحبوب ببغداد ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● جراح شعب ـ مجموعة قصص ـ لرضوان ابراهيم ـ ١٦٦ صفحة مع عدة لوحات ـ منشورات البعث الجديد [لم يذكر اسم المطبعة] .

● كتاب المستعرب ـ في علم اللغة العربية القياسي ـ المجلد الاول : علم الاصوات ـ لراجي باسيل ـ باللغتين العربية والبرتغالية ـ ٨٨ صفحة ـ مطبعة جريدة الاخبار في ريو دي جانيرو بالبرازيل .

● كتاب التمهيد ـ تاليف الامام القاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني ـ عني بتصحيحه ونشره الاب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي ـ وهو الجزء الاول من سلسلة علم الكلام ـ ٤٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق فاخر ـ منشورات جامعة الحكمة في بغداد ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● احلام وثورة ـ شعر ـ لعلي صدقي عبد القادر [المحامي الليبي] ـ ١٤٦ صفحة ـ لوحات الديوان بريشة الاخوين مصطفى واحمد الحاراتي ـ منشورات دار النشر المصرية ـ دار البناء للطباعة [؟]

● ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية ـ طبعة ثانية منقحة ومزيدة ـ لجورج صيدح ـ ٦١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ وورق ممتاز ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● آن الاوان ـ لسعد صائب ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● نهر الرماد ـ شعر ـ لخليل حاوي ـ مع مقدمة لعفاف بيضون ـ ١٠٠ صفحة ـ منشورات مجلة شعر ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● الكلية الجعفرية من المهد الى اللحد ـ وهو البيان السنوي [١٩٥٧ـ ١٩٥٨] للمدارس الجعفرية في صور لبنان ـ ٦٤ صفحة ـ مع عدة رسوم ـ دار الشمالي للطباعة في حريصا لبنان .

● في القومية والانسانية ـ للدكتور كمال يوسف الحاج استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● حياة حافظ ابراهيم ـ لاحمد محفوظ ـ مع مقدمة لعزيز اباظة ـ ٢٤٦ صفحة ـ منشورات مؤسسة نصار للتوزيع والنشر بالقاهرة ـ مطابع الناشر العربي بالقاهرة .

● كانديد او المتفائل ـ لڤولتير ـ ترجمها عن الانكليزية يوسف عبد المسيح ثروة ـ مع مقدمة عن فولتير لبرياز فورد ـ ١١٨ صفحة ـ مطبعة الجامعة ببغداد .

● الشعر والتجديد ـ لمحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٥٢٨ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث ـ دار العهد الجديد للطباعة [؟]

● خطرات مسلول ـ لعباس العنبر ـ ٢٥٦ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● ديوان العرجي ـ رواية ابي الفتح الشيخ عثمان بن جني المتوفي سنة ٣٩٢ هـ ـ شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي ـ ٢٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ الشركة الاسلامية للطباعة والنشر المحدودة ببغداد

● انا عاطل ... وقصص اخرى ـ لباسم عبد الحميد حمودي ـ ٤٠ صفحة ـ منشورات دار الابتهاج ببغداد ـ مطبعة الشباب ببغداد .

● التربية ثورة وتحرر ـ لواصف البارودي ـ الجزء الاول : نظرات عامة ـ ١٥٤ صفحة ـ منشورات دار النشر للجامعيين بيروت [لم يذكر اسم المطبعة].

● في القومية العربية ـ لعبد اللطيف شرارة ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة قلفاط بيروت .

● باتريشيا وقصص اخرى ـ لعبد الواحد محمد ـ ١٠٦ صفحة ـ معمل ومطبعة العراق الحديث للطباعة والنشر [؟]

● مجموعة مسرحيات ـ لسعدون العبيدي ـ ١٦٠ صفحة ـ مصورة ـ تقديم خالد سعيد ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● Mélanges — Louis Massignon — Tome III — 488 pages gd. f. — Publiés sous le patronage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris et de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Les Inquiets — Les Peintres : Kamel Telmisany, Ramsès Younan, Fouad Kamel—par Aimé Azar—18 pages —Extrait de «La Peinture Moderne en Egypte»— Imprimerie Française Le Caire.

● Les Ainés — Les Peintres : Youssef Kamel, Ahmad Sabry, Ragheb Ayad, Mahmoud Said, Amy Nimr-Smart, H.Y. Amin — par Aimé Azar — préface d'Ahmed Rassim — 36 pages — Extrait de « La Peinture Moderne en Egypte » — Imprimerie [?]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كلمات ...

● ان الدواء القوى المسمى Clorpactin Xcs والذي يستعمل منذ عدة سنوات لقتل الجراثيم ، يستعمل الان لمنع انتشار السرطان الى اعضاء الجسم السليمة بعد اجراء عملية جراحية لمريض يشكو من السرطان . ويقول الفرد غلوبس رئيس الشركة التي تنتج هذا الدواء ان العلاج المذكور قد برهن على مقدرته في قتل خلايا السرطان التي تفلت من السرطان الاساسي اثناء العملية وقد ظهر ذلك في سلسلة من العمليات الجراحية التي اجريت لمئة مريض في مستشفى البحرية الاميركية بنيويورك . ويقول غلوبس ان هذا الدواء قد يكون خطوة هامة في معالجة السرطان وتخفيض امكانية مراجعة المرض .

● القى الدكتور رونالد رافن خطابا في الجمعية الصحية الملكية في لندن تحدث فيه عن التدخين وسرطان الرئة واورد فيه احصاءات وضعتها مصانع التبغ ثم أغرب عن اسفه لان الشعب قابل اخطار التدخين بعدم الاهتمام . والجدير بالذكر ان نسبة بيع اللفائف هبطت هبوطا ملحوظا منذ ان اعلنت الحكومة رسميا اخطار التدخين وعلاقته بسرطان الرئة الا انه لوحظ ان هذا الهبوط رافقه ارتفاع ملحوظ في بيع حاملات اللفائف ذات المرشحات وتبغ الفليون

وانتقد الدكتور رافن موقف اللامبالاة الذي وقفه الشعب من « البيانات المتوالية على اخطار التدخين وعلاقته بسرطان الرئة » وقال على الذين لا يدخنون ان يتحاشوا التأثر بسموم التدخين في الاماكن العامة كدور السينما والصالات وعربات سكة الحديد والمطاعم

● شكلت الحكومة الايرانية لجنة لدراسة ادعاء شخص ايراني يدعى اطاي هراتي بانه اكتشف علاجا للسرطان من عصير ينبت في جبال ايران في مواسم معينة . وكان عدة اطباء قد اكدوا شفاء الكثيرين بهذا العلاج

● نشرت مجلة ميديكال تايمز الطبية تقريرا جاء فيه ان اكثر من اربعين بالمئة من اطباء اميركا قد غيروا عادات تدخينهم التبغ خلال السنوات الخمس الماضية . وان دراسات حالات ٢١٢٢ طبيبا اظهرت ان ١٧ بالمئة منهم اقلعوا عن التدخين و١٤ بالمئة خفضوا استهلاكهم من السجاير و١٠ بالمئة زادوا من استهلاكهم وثلاثة بالمئة توقفوا عن تدخين السجاير واخذوا يدخنون السيجار او الفليون اما الباقون فما زالوا يدخنون نفس العدد من السجاير

● ارسل الطبيب المصري الدكتور عمر شوقي برقية الى المؤتمر الدولي لمعرفة سر الحياة في طوكيو يقول فيها : انه عثر على سر الحياة . واعلن نظريته بان المعادن التي في الجسم تصطدم مع الكترونات الاشعة الكونية فتحدث طاقة الكترونية في الجسم وان هذه الطاقة تتحول من حرارية الى كيماوية الى نفسية الى كهربائية وان تشابك الالكترونات الخارجية لذرات الجسم مع بعضها البعض ، تكون ايضا طاقة الكترونية ، وهذه الطاقات هي سر الحياة . ويعتقد الدكتور عمر شوقي ان هذا الاكتشاف سوف يساعد على علاج السرطان والجنون .

● شرح احد اخصائي امراض القلب في كلينلاند طريقة جديدة يمكن ان تحول دون وقوع النوبات القلبية وتصلب شرايين القلب عن طريق اخذ فيتامين E بكميات كبيرة جدا. وقد ابلغ الدكتور ليوغيتمان حشدا من رجال العلم ان ابحاثه تشير الى ان فيتامين E اذا اخذ بكميات كبيرة يستطيع ان يزيل طبقات الدهن السميكة المحيطة بالقلب والتي اتفق عموما على انها تسبب في حدوث النوبات القلبية وتصلب الشرايين في نسبة كبيرة من الناس . واكد الدكتور غيتمان ان طريقته ما زالت تحت التجربة .

● صرح الدكتور ديل . جي. فريند الاخصائي في بوسطن ان الامراض التي يسببها الاطباء بالاكثار من ايصاف مرضاهم باستعمال ادوية غير صالحة وباستعمال « الريجيم » اخذت بالازدياد . وقال الدكتور المذكور ان لديه خمسين حالة من هذه الان ويتوقع زيادة هذا العدد .

● استطاع علماء جامعة كولومبيا ان يحملوا الافا من الاعصاب الجديدة على النمو حول اطراف العامود الفقري في الهررة . ويبعث هذا الاكتشاف الجديد على الامل للمرضى المصابين بفالج الاطراف الناتج عن مرض او اصابة في العامود الفقري . وقد اعلن العلماء نتيجة ابحاثهم هذه في الاجتماع السنوي لمجمع الجراحين الاميركي وقالوا انهم لم يشفوا بعد شلل الاطراف في الهررة ولا يعلمون ما اذا كان بامكان الاعصاب الجديدة التي حملوها على النمو ان تنقل الخلجات العصبية كالاعصاب الاصلية . واضافوا بان الاعمال والابحاث التي قاموا بها تبعث على الكثير من الامل .

● اشترك ثلاثة اطباء من سويسرا والسويد ومصر في اكتشاف علاج جديد للبلهارسيا ، وتدخل في تركيبه مادة الكبريت ، واسمه « ميراسيل » وهو عبارة عن اقراص تشفي من المرض في اسبوع واحد . وقد تم تسجيل الدواء في زيوريخ ، ويجري انتاجه لتصديره

● اعلن فرع مختبرات ليديرل لصنع العقاقير الطبية التابع لشركة سيناميد الاميركية انه سيجري قريبا تجارب واسعة النطاق على لقاح جديد مضاد لشلل الاطفال . ويصنع هذا اللقاح الذي ادخلت عليه تحسينات كثيرة خلال سنوات عدة من الفيروس الحي الذي يخفف مفعوله عن طريق تصويره في الحيوانات . ويقول الناطقون بلسان الشركة انهم يعتقدون بان اللقاح الجديد سيوفر وقاية من الشلل تفوق حتى تلك الوقاية التي يعطيها مصل سالك الشهير .

● صرح عالمان اميركيان بانهما يتقدمان في ابحاثهما حثيثا نحو اليوم الذي سيتحقق فيه للعالم امكان خزن القلوب والرئات الادمية في ثلاجات لاستعمالها « كقطع غيار » للمصابين في حوادث او امراض خطيرة . وقد تمكن العالمان من نقل هذين العضوين الى حيوان مخبري وعاش بها يوما كاملا .

● امر الدكتور محمد علي وكيل وزارة الصحة المصرية باعداد جميع الادوات اللازمة لعمل الدم التي طلبها الدكتور سليمان حشيش مكتشف الدم الجديد في امريكا ، وقد بحث الدكتور محمد علي التقرير الكامل الذي اعده الدكتور حشيش ، ووافق على كل طلباته ، وامر مدير معمل المصل واللقاح ، ومعمل الدم الملحق به بتوفير كل التسهيلات المطلوبة للدكتور المصري ، ليبدأ فورا في انتاج الدم الذي يبقى محتفظا بحيويته اكثر من سنتين ، بدلا من الطرق الحالية التي لا تجعله يظل محتفظا بهذه الحيوية اكثر من اسبوعين ، وسينتج معمل الدم مواد طبية تساعد على الوقاية من الاوبئة والامراض ، وهذه المواد ستستخرج من الدم نفسه لاول مرة في مصر.

● طلبت النشرة الصحية التي يصدرها مكتب المعلومات في المانيا الغربية الى جميع المستشفيات التوقف عن ايقاظ المرضى قبل الساعة السادسة والنصف صباحا . وقالت النشرة ان المرضى بايقاظهم في الساعة الرابعة صباحا في بعض المستشفيات يحرمون من النوم الذي هم في اشد الحاجة اليه وعلى الاخص اذا كانوا قد قلقوا خلال الليلة وطلبت النشرة وجوب السماح للمرضى بالنوم بعد تناول طعام الغداء ، اذ ان ذلك يشكل عاملا فعالا في شفائهم .

● حصل الدكتور ابراهيم محمد نبيه ، خبير الادوية والعقاقير بوزارة الصحة المصرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر اليوم العدد الجديد

من مجلة

العالم

•

المجلة التي تقرأها شعوب العالم العربي

طباعة فاخرة بالروتوغرافور الملون ونموذج

رائع لصحافة القرن العشرين

•

زيد عدد الصفحات الى ٤٠ صفحة ابتداء من عدد نوفمبر

دون زيادة في السعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

•

الوكلاء العموميون في البلاد العربية

شركة فرج الله للمطبوعات

فراجعوها بكل ما يتصل بهذه

المجلة الفريدة

او راجعوا فروعها في البلاد العربية

على نصر عالمي لمصر . فقد أرسل اليه معهد نوبل للكيمياء بالسويد يطلب منه ان يتابع ابحاثه التي بدأها في المانيا على « الكبريت» وكان الدكتور المصري قد نجح في ابتكار انواع من الادوية لم يسبقه اليها احد ، فمنحته جامعة المانيا الدكتوراه مع رتبة الشرف الاولى

● اجرى الدكتور طومبسون تجربة على خمسة الاف طفل تتراوح اعمارهم بين خمس وسبع سنوات ، اثبتت فيها ان اطفال عام ١٩٥٧ ، يرجحون بذكائهم اطفال الحقبات الاخرى من الاعوام فمن اصل تسعين طفلا اختبرهم شخصيا تبين له ان ٢٦ يملكون مقدرة عقلية ترقى الى ١٤١٠ درجة .. والذكاء الخارق يقف عند درجة ١٥٠ ويضيف الدكتور طومبسون قائلا شاهدت طفلا ابن سبع سنوات يجيب بدقة على اسئلة فلكية معقدة لا يراها ، ولا يكتنهها اذا قرأها . وذلك ناتج عن القنابل الذرية والهيدوجينية لان مادة ــ سترونتيوم ٩ ــ التي تنفذ الى الجسم لم تكن متوفرة قبل عام ١٩٤٥ ويدعو الدكتور الى التريث مقدار عشر سنوات لمعرفة مدى استمرار هذا الذكاء

● ان متوسط عمر الانسان في الاتحاد السوفياتي هو الان ٦٧ عاما ، أي بزيادة ضعفين على ما كان عليه قبل الثورة . فلقد كان في ذلك الحين ٣٢ عاما . وكانت الوفيات في روسيا ما قبل الثورة تبلغ ضعفي الوفيات التي كانت تحدث في الولايات المتحدة وبريطانيا وهي تبلغ الان ٧٫٥ من الالف . وهو رقم اقل بكثير مما هو في الولايات المتحدة وانكلترا .

● يعقد بالقاهرة في اول مارس القادم المؤتمر الرمدي الافريقي الاسيوي الاول . ومن اهدافه دراسة امراض العيون الخطيرة المنتشرة في القارتين الافريقية والاسيوية وبحث وسائل القضاء عليها وتشجيع البحث العلمي وايجاد رابطة علمية بين بلدان هاتين القارتين . وسيدرس المؤتمر الرمد الصديدي والرمد الحبيبي والجلوكوما والكتاركتا وعلاج العين بالذرة .

● اطلق الاتحاد السوفياتي كوكبه الاصطناعي الثاني « سبوتنيك » في ٣ نوفمبر [تشرين الثاني] وهو يشكل الجزء الاخير من الصاروخ الناقل الذي يحتوي في داخله على اجهزة علمية ويحمل الكوكب الاصطناعي الثاني اجهزة لدرس الاشعاع الشمسي في ميادين الاشعة فوق البنفسجية ذات الموجات القصيرة واشعة رونتجن الناتجة عن الطيف الشمسي . كما يحتوي على جهاز لدرس الاشعة الكونية وجهاز لدرس الحرارة والضغط ويحتوي القمر الثاني كذلك على جهاز محكم السد يحتوي في داخله على كلبة من نوع كوباي « لايكا » مرفقة بجهاز لتكييف الهواء ومواد احتياطية للتغذية واجهزة لدرس النشاط الحياتي في شروط الفضاء الكوني ، واجهزة قياسية لنقل المعطيات العلمية التي يتم الحصول عليها الى الارض . كما يضم جهازي ارسال يعملان على موجات طولها ٧٫٥ و١٥ مترا . ويحتوي الكوكب ايضا على الموارد الضرورية للطاقة الكهربائية .

يبلغ الوزن الاجمالي للكوكب بما فيه الكلبة وموارد التغذية الكهربائية ٥٠٨٠٣ كيلو غراما بلغت سرعة مدار الكوكب الجديد ٨٠٠٠ متر بالثانية . ويبلغ اقصى بعد الكوكب عن سطح الارض ١٧٠٠ كيلو متر وتستغرق دورته الكاملة حول الارض ١٠٢٤٧ دقائق وتبلغ زاوية انحناء المدار بالنسبة لسطح خط الاستواء ٦٥ درجة وتعمل جميع الاجهزة داخل الكوكب بصورة طبيعية .

رغم الزيادة الملحوظة في وزن الاجهزة العلمية واجهزة القياس التي يحتويها الكوكب الاصطناعي الثاني والتي تزيد عن نصف طن فان سرعته الى فلكه قد زيدت عن سرعة الاول لكي تتاح زيادة مدة بقائه. وهناك اجهزة لاسلكية للقياس عن بعد (راديو تيليمترية) موضوعة في الارض في الاتحاد السوفياتي تلتقط وتسجل معطيات اعمال الرصد العلمية التي تجري في الكوكب الثاني ووفقا لبرنامج السنة الجيوفيزيائية سيجري بنوع خاص في الكوكب الاصطناعي الثاني دراسة المسائل الطبية البيولوجية الهامة التي يثيرها الطيران عبر الكواكب .

● اكد العالم الروسي الشهير فلاديمير شميليكوفسكين في موسكو ، ان الكلبة «لايكا» قد ماتت وليس ثمة وسيلة يمكن بواسطتها اعادتها الى الارض . وقال ان موت « لايكا » قد فرضته ظروف تجربة اطلاق الجرم الاصطناعي الروسي الى الفضاء . وشرح العالم وضع الكلبة « لايكا » من الناحية الطبية والبيولوجية . واذاع راديو موسكو ان العلماء الروس لم يكونوا يستهدفون استعادة «لايكا» من الفضاء ووعد راديو موسكو بان يقوم العلماء الروس ببذل الجهد لاستعادة الكلاب الاخرى التي سترسل في الفضاء مع الاجرام الاصطناعية

ونشرت جريدة « البرافدا » مقالا شرحت فيه خصائص الجرم الروسي الثاني الذي ارسلت فيه الكلبة « لايكا » . وقد اعلنت البرافدا ان مدة بقاء الجرم الاول هي ثلاثة اشهر . وذلك يعني ان الجرم سيستمر في التنقل ضمن مداره حتى نهاية ١٩٥٧ وسيحترق الصاروخ الناقل قبل الكوكب الاصطناعي . وستفوق مدة تنقل الكوكب الاصطناعي الثاني مدة تنقل الكوكب الاصطناعي الاول .

ثم تحدثت البرافدا عن درس الظواهر البيولوجية للحيوان (الكلب) فاشارت الى ان السفر على الكوكب الاصطناعي يسمح بدرس سلوك كائن حي في وسط فاقد للجاذبية ، وذلك لمدة عدة ايام ان المعلومات الاختبارية التي تم الحصول عليها ، على نطاق الابحاث الميكروبيولوجية قد درست بالتفصيل . فقد تحمل الحيوان بصورة جيدة السرعة لدى اطلاق الكوكب الاصطناعي الى مداره وكان سلوكه جيدا في وسط فاقد الجاذبية . وتدل المعلومات التي تم الحصول عليها على ان حالة الحيوان كانت مرضية طوال مدة التجربة . وختمت البرافدا مقالها فقالت : ان الابحاث التي تمت تشكل فائدة كبرى في طريق تحقيق السفر القادم عبر الكواكب ، وتصلح اساسا لاعداد الوسائل التي تؤمن سلامة طيران الانسان عبر الفضاء الكوني .

● كشف راديو موسكو النقاب عن حادث اخر فذ يتعلق بالطيران في الفلك . فقد اعلن ان تجارب اجريت على ١٦ شخصا ارسلوا في مرات مختلفة الى فلك الارض خارج نطاق الجاذبية واسفرت عن اكتشافات هامة . ومن هذه الاكتشافات التي توصل اليها الروس نتيجة التجارب المذكورة ونتيجة اطلاق الجرمين الاصطناعيين ان فقدان الجاذبية في الاجواء العليا لا يؤذي الانسان بل يمده بمصدر هام للراحة والهدوء وان الذين اجريت عليهم هذه التجارب افادوا ان الانسان عندما يبلغ الاجواء العليا يعتريه احساس غريب فكانه ريشة طائرة في الفضاء . وقال راديو موسكو انه اتضح ان هذه التجارب اذا اجريت مرات متعددة على انسان ما اعتادت اعضاؤه على انعدام الجاذبية وان عددا من هؤلاء الذين اجريت عليهم التجارب تمكنوا من الطيران مددا قصيرة على الارض ، وان كثرتهم اصبحوا يتمتعون بقدرة مدهشة على المحافظة على توازنهم في الفضاء كالسير على الحبل مثلا .

● بدأ الحديث يدور في الاوساط العلمية في موسكو على امكان استخدام الاجرام الاصطناعية نقاط وصل لاجهزة التلفزة في العالم ، وقال العالم الروسي مانايف انه من السهل تصوير جميع انحاء اوروبا الغربية بواسطة الاجرام الاصطناعية ونقل برامج التلفزة من قارة الى اخرى بهذه الواسطة ايضا وقال ان العالم الروسي ماركوف تطرق الى الفكرة منذ خمسة عشر عاما .

● ذكرت صحيفة ليبراسون البارسية ان عالما فرنسيا التقط صورة لجرم ارضي ، قبل ستة اسابيع من اعلان اطلاق القمر الاصطناعي الروسي الاول الذي يدور حول الارض .

● اعلنت المصادر الصناعية في اميركا انه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الرغم من تكتم الروس حول الوقودالجديد الذي استخدموه لاطلاق الجرم الاصطناعي الثاني فان الدوائر الاميركية ذات العلاقة تعرفه وان اميركا تملك هذا الوقود .

● اعلن سلاح الطيران الاميركي ان المعلومات الاولية التي تلقاها العلماء تدل على انالصاروخ المسمى « فارسايد » الذي اطلق فوق المحيط الهادىء في ٢٢ نوفمبر [تشرين الاول]الماضي قد وصل على ارتفاع اربعة الاف ميل في الفضاء ويقول الكولونيل اوجين لافيار الذي اشرف بنفسه على اطلاق « الفارسايد » بانه من الممكن ان يكون الصاروخ قد ارتفع الى علو اربعة الاف وبضع مئات من الاميال وقال بان العلماء لم يتموا بعد تحليل المعلومات التي تلقوها من الصاروخ بواسطة الراديو . وتقول المعلومات التي وردت من الصاروخ ان سرعته بلغت ٢٧ الف و٢٠٠ كلم بالساعة أي حوالي خمسة اميال بالثانية الواحدة . ويعتقد العلماء بانه اذا امكن جعل السرعة تصل الى سبعة اميال في الثانية والمحافظة على هذه السرعة يتمكن هذا الصاروخ من الوصول الى القمر . وسئل الكولونيل لافيار عما اذا كان سيصل الى ارسال صاروخ الى القمر في غضون سنة فاجاب « لا ارى مانعا لذلك من الناحية الفنية » . وقال ان « الفارسايد » لم يقصد منه التوصل الى القمر بل انه يرمي الى جمع المعلومات العلمية عن الاشعة الكونية والحقل المغنطيسي الذي يحيط بالكرةالارضية وقال انه ليس لهذا الصاروخ اية استعمالات عسكرية مباشرة وقال انه لم يدر حول الارض لانه لم يوجه بشكل يجعله يدور .

● صرح رؤساء اقسام الابحاث والتطوير في الجيش الاميركي بانه اصبح في استطاعة الانسان الان ان يصعد الى الفضاء الخارجي ويعود الى الارض بسلام . وقال الجنرال جيمز غافن ان هذا الامر اصبح حقيقة واقعة بعد ان اطلقت اميركا قذيفة مصنوعة من مادة خاصة وتمكنت من اعادتها الى الارض . ورفض الجنرال غافن الذي كان يلقي خطابه امام جمع من الطلاب الاميركيين ، ان يكشف النقاب عن المادة التي صنعت منها القذيفة . واضافيقول ان الاسباب الفنية التي كان يخشى معها من الحرارة الشديدة المتولدة من احتكاك القذيفة بطبقة الهواء الخارجي عند عودتها الى الارض قد امكن التغلب عليها بواسطة هذه المادة واصبح بالتالي في امكان الانسان ان يصعد الى الفضاء ثم يعود الى الارض بسلام .

● كشفت اليابان النقاب عن تجربتهاالناجحة لاول صاروخ من صنع ياباني يسبق الصوت وقد اتمت تجربة هذا الصاروخ سبع مرات خلال الشهر الماضي وقال متحدث بلسان وزارة الدفاع ان هذا الصاروخ ذو اجنحة وانه صمم لتجربة اجنحة الطائرات النفاثة لتمكينها من الطيران بسرعة اكبر .

● اعلن سلاح الطيران الاميركي اضافة سلاحين جديدين الى اجهزة الدفاع الاميركية وهما صاروخ يقذف من الجو الى الارض والة تصوير تكبيرية تتبع سير القذائف المسيرة خلال الاميال المائة الاولى من انطلاقها اما الصاروخ الجديد فهو القذيفة الموجهة ذات المدى البعيد المسماة « راسكال » والتياصابت هدفا ضمن دائرة قطرها ٣ الاف قدم اربع مرات من اربع طلقات خلال تجربتها ولميكشف سلاح الجو النقاب عن المسافة التي اطلق منها الصاروخ من الجو الى الهدف الارضي ولكن المعروف ان مدى القذيفة يتراوح بين ٣٠٠ ميل و٥٠٠ ميل والغاية من صاروخ « راسكال » هي اطلاقه من قاذفات القنابل ذات السرعةالعظميه وهي على مسافة مئات الاميال عن الهدف الارضي بحيث يقل الخطر الذي تتعرض له الطائرة من نيران المدافع الارضية .

وينتظر ان تساعد الة التصوير التكبيرية كثيرا في معرفة الاسباب التي قد تمنع انطلاق الصواريخ في الجو . وتتركز عدسة الالة التصويرية الجديدة على الجسم بصورة اوتوماتيكية عن طريق الرادار .

● اعلن الاتحاد السوفياتي انه سينزل الى البحر قريبا اول باخرة كاسرة للجليد في العالم تسير بالطاقة الذرية . ويقول البيان ان هيكل هذه الباخرة ، التي يصار الان الى صنعها في احدى ترسانات صنع السفن في لينينغراد منذ حوالي السنتين قد انجز حتى الان . وان محركات الباخرة ومولداتها يصار الان الى تركيبها وان العمل قد انجز كذلك في جوانبها وقد وصفت كاسرة الجليد هذه بانها ذات حمولة ستة عشر الف طن وان قوة محركاتها تبلغ اربعة واربعين الف حصان . والمنتظر ان تتمكن من السفر سنة كاملة دون حاجتها الى التزود بالوقود الذرية .

● صرح ناظر البحرية الاميركية بانالفواصة الذرية الاميركية « نوتيلوس » قد مخرتمسافة تزيد عن الالف ميل تحت الجليد في المحيط المتجمد الشمالي وقضت خمسة ايام ونصف تحت الجليد اثناء رحلة خاصة بجمعالمعلومات عن الاحوال العامة في المياه التي يغطيهاالجليد ودراسة التيارات المائية والطقس البارد وكيفية عمل بعض الالات والادوات في هذه الاحوال الجوية . ثم اعلن ان البحرية وافقت على بناء ١٧ غواصة مماثلة في برنامج بناء الغواصات لعام ١٩٥٨ وقال بان البحرية الاميركية تصف هذه الغواصات بانها غواصات « حقيقية » لانها تستطيع البقاء تحت الماء مدات طويلة بينما تحتاج الغواصات العادية ان تصعد الى سطح الماء للحصول على الاكسوجين والمحروقات وفي ابريل [نيسان] الماضي وبعد سنتينمن العمل زودت النوتيلوس بالوقود لاول مرة بعد ان مخرت ستين الف ميل وقد قطعتاكثر من نصف هذه المسافة تحت الماء . وقد قطعت هذه الغواصة منذ انزالها الى البحر حتى اليوم ٩٦ الف ميل منها ٦٤ الف تحت الماء .

● صرح وزير الدفاع الاميركي بان البحرية الاميركية قد اتمت صنع اسلحة ذريةللاستعمال في اعماق البحار . وقال ان دول حلفالاطلسي قد جهزت بهذه الاسلحة وقال الوزير ان الاسلحة الذرية المضادة للغواصات ستلقى بطريق الجو .

● تحدث محمد علي عنابي رئيس وفد تونس لدى الوكالة الذرية الدولية في فيينا بالنمسا عن عزم حكومته على بناء محطة لتوليد الكهرباء الذرية كل خمس سنوات على ان تكون قوة الواحدة منها عشرة الاف كيلوات . وقال بان بلاده لا تملك ابارا للنفط ولا مناجم فحم حجري ولا مجاري مياه قوية تسمح لها بتوليد الكهرباء وستطرح مشروع بناء اول محطة من هذه المحطات للمناقصة في القريب العاجل .

واشار السيد عنابي الى ان مشروعاستخدام الطاقة الذرية هو قسم حيوي من مشروع الانماء التي رصدت له الحكومة مبلغ ١٢٥ مليون دولار . وقال ان تونس قد اوفدتعددا من العلماء للتخصص والدراسة في فرنسا وسوف تبعث بعدد اخر الى الولايات المتحدة

● تبدي الحكومة العراقية اهتماما كبيرا بامكان زيادة عائدات العراقمنشركة النفط . والمعلوم ان عائدات العراق من نفطه تبلغ نصف ارباح الشركة باستثماره . ولكن التقارير التي اخذت تتحدث منذ مدة قصيرة عن عرض الشركة الايطالية ٧٥ في المئة من الارباح على ايران ، اعادت الى بساط البحث مسالةنسبة العائدات العراقية . وقد نشرت الصحف تصريحا لعبد المجيد محمود وزير الاقتصاد السابق الذي وقع اتفاق ١٩٥١ قال فيه ان من حق العراق المطالبة بمبدأ جديد في توزيع ارباح استثمار النفط اذا تاكد ان ايرانحصلت من الشركة الايطالية على نسبة ٧٥ في المئة من الارباح وقال ان الجانب العراقي ارسل الى شركات النفط كتابا متضمنا ان من حق العراق مطالبة هذه الشركات باية زيادة تتعدى حدود المناصفة وقد تنالها اية دولة من دول الشرق الاوسط فكان جواب الشركات انها مستعدة لدرس الطلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● اعلن الكونسرتيوم الدولي انه وافق على تخصيص ٥٠ مليون استرلينية تنفقها شركات النفط على توسيع اعمالها جنوب ايران وخصص من هذا المبلغ ١٩ مليون استرلينية من اجل المواصلات وخلق جميع اسباب التسهيلات الضرورية للطرقات وسبل النقل وتوسيع اعمال المرافىء التي تستوعب ناقلات ضخمة تصل حمولتها الى مئة الف طن . وفي جملة ذلك ايضا انشاء المنازل والمكاتب والاندية للموظفين وبناء ارصفة جديدة بحرية وخط انابيب جديد بالاضافة الى اعمال التحري عن النفط وحفر الابار التي سيصل عددها الى تسعابار مع تنفيذ الدراسات الجيولوجية وعمليات اخذ رسوم لمناطق العمل لمواصلة الدراسات الفنية والعلمية . وخصص لبناء البيوت والبرامج الترفيهية ١٠ ملايين استرلينية وقد قرر انشاء ١٣٠٠ منزل جديد للموظفين ومليون استرلينية للاعمال الطبية .

● اعلن مصدر مأذون في وزارة الاشغال العامة السورية ان الخبراء السوفيات الذين زاروا سوريا اخيرا قد اكدوا وجود معادن الحديد والامينت والمنغنيز والكروم والبلاتين في شمال سوريا الشرقي ووجود معدن الرصاص في منطقة جبل الشيخ في الغرب ومعدن الكبريت في منطقة راس العين قرب الحدود العراقية ، وكميات من الفحم الحجر في مناطق سوريا الجنوبية .

واضاف المصدر قائلا ان هؤلاء الخبراء لم يقوموا بتحريات علمية بالمعنى الصحيح عن النفط في سوريا الا انهم اعربوا عن اقتناعهم بوجود النفط بشكل جازم في البلاد بعد اطلاعهم على الدراسات الجيولوجية وانواع التحاليل التي اجريت للتربة واجراءات السبر التي تمت حتى الان .

● اعلنت شركة « اميريكان افياشن » نبأ صنعها جهازا اليا كاملا لهبوط الصواريخ والطائرات التي يقودها الطيارون العاديون وهذا الجهاز يشرع بالعمل في الوقت المناسب عند انحدار الطائرة نحو المدرج وبالامكان استعماله في حال هبوط الطائرة مستعينة بالاتها وهو يمكن الطائرة من الهبوط مهما كانت الاحوال الجوية .

● يتوقع ان تزود سفن الركاب الضخمة في السنوات القليلة القادمة ، بزحافات مائية تعينها على مخر عباب البحار بسرعة مائة ميل في الساعة . وستكون هذه الزحافات اشبه باجنحة متصلة ببطن السفينة ترفع جسم السفينة عند شقها الماء وبذلك تزيد من سرعتها

● توصلت معامل بريطانية الى صنع نوع جديد من الفولاذ ينتظر ان يحل اكبر مشكلة يواجهها واضعو تصاميم الطائرات الحديثة ومعامل القذائف الموجهة والصواريخ لان هذا الفولاذ يقوى على احتمال حرارة جد مرتفعة . وبذلك اصبح بالامكان صنع طائرات وقذائف وصواريخ تصمد في وجه الحاجز الحراري بعد ان كانت هذه العقدة مشكلة صناعية تواجه المعامل ، وهو يتميز بعدة صفات يتحلى بها الفولاذ المعروف حتى الان ويضيف عليها ميزات اخرى جديدة ، منها مقاومة الانفصام وقوة الاحتمال وعدم التأثر بالتآكل والتصدع كما انه مطواع لعمليات التلحيم ويتحمل حرارة ٥٠٠ درجة سنتيغراد . لذلك فهو يصلح لعدة اغراض صناعية اخرى .

● اعدت الحكومة العراقية مشروع قانون صيد الحيوانات المائية وحمايتها ينص على ان يكون الصيد البحري في المياه الاقليمية بنظام خاص يقضي بتسجيل سفن الصيد وتعيين مواصفاتها وادوات الصيد المستعملة فيها وغير ذلك . ويمنع الصيد باستعمال السموم والمواد الكيماوية والمواد المتفجرة والوسائل الاخرى كما يمنع تغيير مجرى الماء بقصد الصيد وطرح فضلات المعامل ومجاري المياه القذرة في المياه الطبيعية اذا كانت هذه الفضلات تؤدي الى قتل الحيوانات المائية او اتلاف غذائها وبعدم استعمال الوسائل التي تعيق حركة الاسماك الطبيعية واجاز القانون للوزير المختص بتعيين مواسم الصيد والمناطق المحرمة ، وتعيين الحد الادنى لحجم الاسماك التي يسمح بصيدها ، ومنع استيراد أي نوع من الاسماك الاجنبية بقصد تربيتها في المياه العراقية الا بعد الحصول على موافقة من الدائرة المختصة .

● فحص مكتب السواحل والمساحة بالولايات المتحدة جهاز رادار مبتكر ، يستطيع اجراء عمليات المساحة التي يحتاج اتمامها الى اربعة شهور في ١٤ يوما فقط . وهذا الجهاز من ابتكار علماء من جنوب افريقيا ويعرف باسم « تلروميتر » . وهو يقيس الابعاد والمسافات بواسطة موجات الراديو بين وحدة رئيسية واخرى بعيدة .



● يتمتع المرضى في بعض مستشفيات انكلترا باجهزة راديو تتيح لهم الاستماع الى برامج اذاعات مختلفة دون ان يزعج احدهما الاخر وذلك بواسطة مكبرات للصوت (هوبارلورات) صغيرة موضوعة في داخل المخدات . وتتصل هذه المكبرات بمركز في بناء المستشفى حيث يوجد جهاز راديو لاقط وفونوغراف وآلة تسجيل على الشريط ومكرفون . وبادارة مثبت على الجدار بجانب السرير يتمكن المريض من ان يختار احدى الاذاعات البريطانية الثلاث او الاستماع الى موسيقى مسجلة على الشريط او الاسطوانات . وباستطاعة المريض ايضا ان يرفع او يخفض الصوت بواسطة زر ثان قريب من الزر الاول . وعلاوة على كل ذلك يتمكن المريض من ان يستعمل الجهاز نفسه كتلفون لمخاطبة الممرضات وذلك بعد الكبس على زر منبه كما ان الممرضات يتمكن من التكلم مع المرضى او اصدار التعليمات اليهم وذلك عن طريق المكرفون الموجود في المركز .

● ذكرت صحف نيويورك ان محطات اللاسلكي في جميع انحاء العالم التقطت اشارات لاسلكية غريبة من المؤكد انها ليست صادرة عن القمرين الاصطناعيين الروسيين الاول او الثاني .

● اخفقت الطائرات النفاثة واجهزة الرادار في اكتناه سر جسمين شوهدا في الفضاء فوق جوهانسبرغ باتحاد جنوب افريقيا وقد صعدت طائرات ـ سابر ـ الى اقصى ارتفاعها وهو ٤٥،٠٠٠ قدم ولكنها لم تتمكن من الاتصال بالجسمين ويقول المراقبون على الارض ان ارتفاع الطائرات لم يكن كافيا للاقتراب منهما. واخفقت اجهزة الرادار في التعرف على الجسمين اللذين بدا احدهما بشكل قرص يعكس اشعة الشمس من صفيحة فضية .

● شاهد الدكتور بريبلسكي واثنان من زملائه من مرصد سترومبلو بالقرب من كانبره جسما غامضا يسير في السماء اشد لمعانا من كوكب « الزهرة » ، وهو يتجه نحو الغرب عبر السماء الشمالية على مستوى منخفض من الافق وذلك خلال عدة دقائق . وقال هؤلاء العلماء الفلكيون الذين سبق لهم ان شاهدوا مرور الجرم الارضي الروسي سبوتنيك رقم ٢ ان هذا الجسم الغريب هو غير مالوف بحيث لا يشبه اي جرم شوهد في السابق .

● شاهد بضعة الاف من سكان مدينة غرانز في النمسا صحنا طائرا يميل لونه الى الاخضر يسير في السماء تاركا وراءه سحابة يشع منها النور . وقد ارتفع هذا الصحن فجاة في الفضاء واختفى نحو الشمال .

● شوهد جسم غريب مشتعل بشكل كتلة ملتهبة مستديرة ، يخترق سماء دمشق ويحلق على ارتفاع شاهق متجها من الغرب الى الشرق ثم شوهدت الطائرات النفاثة السورية تحلق في الجو متعقبة هذا الجسم الغريب .

وقد سئلت مديرية مرصد المطار عن هذا الجسم فاجابت بان المعلومات لم تكتمل لديها بصدده وانها لا تعرف حقيقته ولم تستطع الكشف عن كنهه .

● وردت على وشنطن تقارير عن جسم لماع غريب مر فوق غربي ولاية تكساس وعكفت دوائر السلاح الجوي الاميركي على دراستها . وجاءت كذلك تقارير من جنوب ولاية مكسكو الجديدة تفيد ان جسما لماعا كرويا قد شوهد يمر فوق الولاية .

وقد شاهد الجسم ضابطان من البوليس في مكسيكو الجديدة بفارق ١٧ ساعة بينهما. وقال احدهما انه شاهد الجسم اللماع ويبلغ طوله بين ٢٠٠ و٣٠٠ قدم وسرعان ما اختفى في الفضاء وقال الثاني انه شاهد الجسم اللماع على علو ٥٠ ياردة فوق مركز الابحاث الذرية .

وقالت المصادر الاميركية المسؤولة ان هذا الحادث لا علاقة له باعمال المركز الذري . وصرح ناطق بلسان وزارة الدفاع الاميركية بان الوزارة لم تتلق اية تقارير رسمية عن الحادث وان افادة شهود العيان تدرس الان

وافاد بعض شهود العيان ايضا في ولاية تكساس انهم شاهدوا الشيء اللماع الغريب وفي اللحظة التي مر فيها فوقهم توقفت محركات سياراتهم وانقطعت الطاقة الكهربائية في السيارة فانطفأت الاضواء . ولم تعلق المصادر الرسمية على هذا الحادث الخارق .

● صرح البروفسور خوان اولساخر مدير المتحف العلمي الوطني في مدينة كوردوبا في الارجنتين بان التحليل الذي اجراه لنيزك سقط قرب مدينة بنانا في اغسطس الماضي ، اظهر ان النيزك يحتوي مركبا معدنيا « من صنع الانسان » وقال ان النيزك الذي سقط على مرأى من مئات الناس في ٢١ اغسطس بلمعان ودوي عظيمين كان يحتوي عناصر الالومينيوم والمغنيزيوم والليتيوم .

● اخرج فريق من علماء جامعة كولومبيا في احدى تجاربهم التي يجرونها لحساب السنة الجغرافية الطبيعية برغوثا رمليا دقيق الحجم، ودودة ، من اغوار قياسية عند شواطىء افريقيا الغربية . وقد ظلت الحشرتان حيتين مع ان البرغوث اخرج من عمق ١٣٢٠٠ قدم والدودة من عمق ١٦٢٠٠ قدم ، واستطاعا تحمل الاختلاف الكبير في درجتي الحرارة والضغط بين قاع المحيط وسطحه .

● عثر على آلة تصوير تلسكوبية تحتوي على فيلم يعتبر خير الافلام التي تظهر صورة الشمس بوضوح تام . وكانت الالة مربوطة في مظلة جوية سقطت من ارتفاع ٨١ الف قدم . وكانت جامعة منيسوتا قد اطلقت بالونا ضخما من البلاستيك على بعد خمسة اميال من المكان الذي هبطت فيه المظلة وكان في البالون قارب صغير يحتوي على آلة التصوير التي تمكنت من اخذ ٨٠٠٠ صورة للشمس .

● اعلن العلماء في مرصد طوكيو ان البقع الشمسية التي ظهرت على سطح الشمس منذ بداية الشهر الماضي ، تزايدت حتى اصبحت مساحتها ٦٥ ضعفا لمساحة الكرة الارضية . ويؤكد العلماء انه من المحتمل ان تحدث انفجارات شمسية اخرى . تسبب الاعاصير المغناطيسية وتعرقل جميع المواصلات اللاسلكية فضلا عن تغيرات طبيعية خطرة في انحاء العالم .

● علم من مصادر دائرة الاثار الاردنية ان اعمال الحفر التي تجريها المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في خربة « المبيقة » في قضاء الخليل باشراف دائرة الاثار الاردنية دلت على ان هذه الخربة كانت مأهولة بالسكان حتى القرن الثاني قبل الميلاد . وقد استعين بحجارة سورها في بناء قلعة صليبية كانت قائمة بالقرب من الخربة ووجدت ادوات فخارية ونحاسية وزجاجية وتمثال صغير من العاج يمثل ابا الهول . وقالت المصادر انه اتضح ان تاريخ هذه الخربة يعود الى عصر الكنعانيين اي الى حوالي ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد

● عثر في « دور دوني » في جنوب فرنسا على بعض عظام هيكل بشري لعملاق يبلغ طوله حوالي ٢،٥٠ متر كان يعيش منذ نحو ٥٠،٠٠٠ سنة . واكتشف الهيكل عندما بدأت الحفريات في جنوبي فرنسا منذ العام الماضي للتنقيب عن الماء في مكان يقع على ارتفاع ٣٥٠ مترا فوق احدى المغارات وعثر المنقبون على عظام حيوان ثم عظمتي ساق وعظم ضلع مكسور وفك عريض وعلى هيكل عظمي لولد كان يعيش قبل التاريخ .

● اكد المستكشف البحري المعروف القومندان ميموند بوتشر الذي يقوم حاليا بابحاث في اعماق مياه البحر على مقربة من سواحل جزيرة لينوزا انه اكتشف في اعماق الماء اطلال بناء هائل ضخم محاط بحوائط عالية منحوتة . وقال انه عثر ايضا في قاع الماء على تمثال ومراسي سفن ذات احجام كبيرة ربما تكون من معدن الرصاص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

من وحي مكة المكرمة

●

صحفي مغترب عاش في هذه البلاد، وفي دنيا العرب كافة باحلامه الذهبية ثلث قرن في الارجنتين وقد زار المملكة العربية السعودية اخيرا ، وزار مكة المكرمة ، وعلى ضوء بعض مشاهداته كتب المقالة التالية :

قد تكون اسلاميتي الدافع الاساسي لوضع هذا العنوان لمقالتي « من وحي مكه المكرمة ». وقد يكون الدافع الحقيقي ايضا لارسال كلمتي هذه انطباعات تركت في نفسي تاثيرا عميقا بعد زيارتي هذا البلد الامين الذي ، حقق الله احلامي الذهبية بزيارته بعد حنين دام ثلث قرن او يزيد

ما مر يوم من عمري في المهجر دون ان افكر باني غريب ، بالرغم من صرف ثلثي عمري في بلاد ، تحترم الغريب كاحترامها لابنائها ، ولا تفرق شرائعها بين المهاجر ، وابن البلاد الاصلي واذا انقطعت صلة البعض بينهم ، وبين بلادهم فان صلتي ببلادي لم تنقطع فكل مقال وقصيدة وخطاب ، وانشودة ـ كانت لي بشيرا ونذيرا وتركت صدى بعيدا في نفسي ، وليعذرني قراني الكرام اذا ذهبت الى ابعد من هذا ـ اذ استطيع القول بان القصيدة التي كانت تنشدها ام كلثوم بصوتها الرخيم ومطلعها : [الى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله يا عرفات] من مسافة عشرين الف كيلو مترا بواسطة الاذاعة المصرية ، وصوت العرب كانت تكهرب شعوري وتتركني اعيش في بلادي بروحي وتفكيري العميق ، واذا كان المعول على ما يخالج الروح ، والقلب فلا عبرة للمسافات ، نعم كم تصاعدت زفراتي عندما كانت مطربة هذا العصر تلقي في موسم الحج هذه القصيدة وهي تقول الى عرفات الله يا خير زائر .

كم تمنيت ان اكون بين الحجيج مسلما نكرة اناجي ربي سويعات من الزمن واطلق الدنيا سويعات اخرى وانطلق بروحي انطلاق الطير في عالم اللانهاية .. ثم شاء الله ان اكحل عيني بمشاهدة البلاد العربية ، وابلغ امنيتي واني لسعيد ان ارى هذه البلاد السعيدة التي وقفت جهدي على خدمتها منذ صدور جريدة (العلم العربي) اي منذ ٢٤ عاما حتى الان .

ولي على حنيني لعروبتي وعقيدتي هذه الابيات التي نظمتها في عدة مناسبات ولفظها القلب دما:

دعني امج كؤوس الراح من عرقي
مما اذبت على الاقلام والورق
احن للكوخ للازهار انشقها
من حوله لشذى النسرين والحبق
احن للحقل للاطيار راقصة
في مطلع الشمس اوفي حمرة الشفق

●

يهنيني بيوم العيد صحبي
وشمس العيد لم تشرق عليا
فقلت لصاحبي سيجيء عيدي
متى حريتي عادت الي
متى شاهدت اهلامن نجاري
واخنا ان امت تبكي عليا
هنائي ان اعود الى بلادي
فقيرا عشت فيها او غنيا

●

لغير العرب لم يرن قلبي
ولا رفت لغير هم جفوني
اذا انكرتهم لا عشت يوما
وشلت ان زهدت بهم يميني

واكثر ما يسرني ان ارى البلاد التي تركتها صبيا ، يرتع الاجنبي في اراضيها ، ويلعب وليس لها علم يرفع .. ان اراها متطهرة من درن الاستعمار وقد فرضت سيادتها فرضا ، بعد ان نالت عزتها واستعادت كرامتها ويعود ولعي لمشاهدة المملكة العربية السعودية الى زمن الطفولة يوم كنت اتصور الصحراء مصدر الالهام والوحي والنبوة وهل زال هذا التصور من نفسي ؟ حاشا وكلا ... ان ايماني بنهضة هذه المملكة كان يزداد كلما ازددت سنا ، وعلما! وها قد زرت مكة ، وعدت الى تفكيري الاول ، ونقلت صدى اماني ورغباتي التي اعطانيها الله كاملة غير ناقصة الى اسرتي في الارجنتين التي تتطبع بطابعي وعقيدتي رغم البيئة والمحيط والتيارات واجعل من جريدتي مسرحا لما رايت، وسمعت .

وكان همي ان اقتطف اول ثمرة من ثمرات جهادي المرير في غربتي .. ان اقتطفها في حقل مخصب بالكرامات والفضائل ، واللامبالاة بالمادة الفاتكة ، وحطام الدنيا ، في مهد محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . في البيت الحرام ... حيث اقتطفت تلك الثمرات الروحية وحيث زرت بمعية الشيخ عبدالله بلخير مكة المكرمة والبيت الحرام . وهل تغني الثمرات المادية عن الثمرات الروحية اذا كان الانسان يعيش بروحه ؟

قد تكون مكة المكرمة هي الدافع الاول ، والهدف الاول وقد يكون بيت الله الحرام . والاماكن المقدسة مبعث احلامي ولكنني وانا الصحفي العربي المسلم الذي صرفت ٣٤ عاما في بلاد اغرقتها الصهيونية بالدعايات وملاها المستعمرون بالوشايات وبيني وبين عناصر الشر وسماسرة الفتنة صولات وجولات فيما كتبت في جريدتي باللغتين العربية، والاسبانية مدة ربع قرن تقريبا سيما عما يتعلق بهذه المملكة الفتية ومليكها المعظم الذي قطع بنصف عقد من السنين مسافة نصف قرن باستباق الزمن ... ان صحفيا مثلي لا يمكنه ان يمر بهذا البلد الامين مرور عابر سبيل او عائد عليل دون ان يحمل في جعبته صورة ناطقة عن وضعية البلاد ، ويزود قراء جريدته الجياع لمعرفة هذه البلاد بواسطة صحف عربية (لا صحف افرنجية مغرضة) واسوق اليهم المعلومات التي المسها والدراسات التي اقتبسها عن بلاد احيطت بالشبهات وكثرت عنها الاشاعات ، وكان نصيبها من الدعايات الفاسدة في الخارج اكثر من نصيب شقيقاتها .

ان كل ما كان مرتسما في مخيلاتي وانا اشد الناس تعصبا للبلاد العربية ومحاربة للدعايات الاجنبية بان مكة (مثلا) هي عبارة عن مدينة لا تزال تعيش في عصر الظلمة بدون ان يتناولها الرقي قليلا او كثيرا بل دون ان يكون لها من المدنية الحديثة والعمران الحديث نصيب ، وانها عبارة عن مجموعة بيوت قديمة متراصة نصيب العناكب منها اكثر من نصيب اهلها ! ولكن سرعان ما اخذ يزول الشك من نفسي عندما رحت اشاهد تلك الدور الفخمة والقصور الضخمة ترتفع على هضبات مكة وتخترق الايدي العاملة النشيطة الجبال والقمم ليبني ابن مكة صرحه الذي يقول بامثاله الشاعر العربي .

لنا جبل يحتله من نجيره
رفيع يرد الطرف وهو حسير

ولا يعني الشاعر (بالجبل) الامثل هذه الصروح صروح العز والكرامة التي كانت تبنى على الجبال الرواسي !

ليست هذه المواكب الزاهرة التي تشق الطرقات في الوديان وتخترق الجبال الا نتيجة تنازع البقاء في جميع الامم . ثم ان هذا المشروع الجبار الذي تبنته حكومة صاحب الجلالة الملك سعود ايده الله واخذت على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عاتقها انجازه وهو توسيع الحرم الشريف هو بحد ذاته مشروع خمسين سنة لا خمس سنوات وما كنت لاتخيل ان ارى مشروعا كبيرا يثير اهتمام الحكومة كهذا المشروع العظيم .

لقد يتخيل للدارس الذي لا يترك مرحلة من مراحل تنقلاته تمر دون ان يدون مشاهداته ان هناك مدينة بكاملها ترمم وهناك قرى بحذافيرها تهدم . بل هناك جيش من نوابغ العالم العربي واشهر مهندسيه تقتحم معارك الانشاء والترميم لتطلع على الدنيا الجديدةفي دنيا العرب بعد سنوات قليلة باعجوبة القرن العشرين وهو نهاية توسيع الحرم الشريف الذي سيتسع لنحو مليون حاج وقد علمت ان نفقات توسيع الحرم الشريف الذي سينتهي بعد ثلاث سنين سيكلف الحكومة نحوخمسمائة مليون جنيه ولم يقبل جلالة الملك سعود ان تساهم الدول العربية ولو مساهمة رمزية بهذا المشروع العظيم .

اما المشروع الثاني العظيم فهو مشروع الاذاعة الجديدة التي ستنشأ في مكة المكرمة وتنتهي بعد ثلاث سنين حيث ينطلق منها الى العالم اجمع : « هنا مكة المكرمة الله اكبر لا اله الا الله » هذا المشروع هو توأم لمشروع توسيع المسجد الحرام ، في الكعبة المقدسة ، وفي هذين المشروعين جهود جبارة تنوء تحت اعبائها دول لا دولة واحدة، وتضعف ميزانيتها!

ان المملكة العربية السعودية غدت اخيرا حسكة في حلاقيم الصهيونية العالمية فيامريكا الجنوبية ، نظرا لموقف جلالة الملك سعود الحازم من عدوانها ، والعدوان الثلاثي على مصر ، وكانت زبانية الاستعمار في امريكا الجنوبية خاصة في الارجنتين ، والبرازيل توهم الرأي العام ، با نموقف جلالة الملك سعود من العدوان على مصر ، لا يتعدىموقف المتفرج ، والمتحايد ، او اظهار الشعور الرمزي ولكن عندما ارتفع صوت اسد الجزيرة من عرينه في الداخل ، والخارج ، تأييدا لمصر ، وانتصارا لها ، وقول جلالة الملك للرئيس جمال عبد الناصر (كل ما نملكه من قوة ، ورجال ، ومال تحت تصرف مصر) صعق المستعمرون ، وباؤا بالفشل الذريع .

وأراني مدينا بما شاهدته ، ولمسته في مراحل تنقلاتي ، واختباراتي ودراساتي ، وتعليماتي من جهة ، وما اتزوده من المعلومات عن نهضة هذه البلاد اجتماعيا ، وثقافيا ، وعمرانيا ، وانشره في جريدتي (العلمالعربي) وفي قسميها الاسباني ، والعربي اراني مدينا الى رجل الجد ، والعزم والاخلاص ، والوعي العربي المتفتح ، والثقافة المركزة ، والعقل النير الموجه ، الذي يقول بامثاله الشاعر العربي :

اذا عدت رجال الفضل يوما
فانك الف الف في الرجال

واعني بهذا معالي الوزير المفوض لشؤون الاذاعة والصحافة والنشر الشيخ عبدالله بلخير نعم يعود الفضل باطلاعي على الكثير من تقدم هذه البلاد ـ في المدة الاخيرة ـ بما أغذي به جريدة العلم العربي في الارجنتين عن بقعة المملكة العربية السعودية ونهضتها ومساعي جلالة الملك سعود المعظم لجمع كلمة العرب ، والمسلمين يعود الفضل الى معالي الوزير الذي افرغ كل جهوده لجعل هذا البناء الضخم ، نقطة الانطلاق المدوية ، في الافاق ، المؤدية رسالة شعب ، وامانة امة ، وعدالة ملك ، وخير من يعرف بحقيقة المملكة في الداخل والخارج ويعطي صورة الحقيقة للعالم اجمع عن حياة امة وبعث شعب وانشاء جيل وخلق عقلية جديدة تتمشى مع موكب الحضارة ...

لقد اختلطت في مرافق الحياة باكثر العاملين في جهاز الدول من امركية وعربية وعرفت موظفين بسطاء في دوائر شتى فيدول شتى اذا شاء البعض ان يشغلهم بسؤال بسيط او بكلمة واحدة في وقت عملهميتافقون ويضجرون ويمنعون ايا كان من الحديث معهم بينما شاهدت معالي الوزير الشيخ عبدالله بلخير ينطلق في عمله دون ان يضيق صدره من هذا وذاك واولئك من الذين يزورونه كل يوم زرافات ووحدانا ويجتمعون في مكتبه في ايام عمله فيقضي حاجة الجميع ويستمع الى الجميع ويرضى الجميع ومن لم يقدر على ارضائه (على هامش القانون) يرضيه بابتسامة المسلم النبيل الذي لم تغير الوظيفة سجيته .

واني لابرى نفسي من ان تكون هذه الكلمة مصدر غاية لا نهاية ، بل هي كلمة حق لايراد بها باطل ولا شك ، والسلام على المخلصين العاملين وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعلى هذا فليعمل العاملون .

جدة — عبد اللطيف الخشن

من عرف العرب بالشعر الطلق؟

●

حين يختلف اثنان على رأي رجل ثالث ويمتد بهما الخلاف ، فان حل خلافهما هو في الرجوع الى الرجل الثالث منشىء الخلاف يحتكمان اليه ويسالانه حقيقة الموضوع الذي كان هو خالقه .

هل تساءل احد ممن يتابعون تصارع الحديث والقديم في الشعر العربي اويشاركون به ، عن طرف اخر قد يكون طرفا ثالثا في الخلاف ؟ كلا ، لان الظاهر في سياق المساجلات بين شعراء الشعر الحر والشعراء الكلاسيكيي الصيغة هو العكس .

قد يبدو جميلا اذا ان نقول الان من هو ذلك الطرف الثالث في الخلاف ، او ، بالاصح، من هو احد منشئي الخلاف .

★ ★ ★

البير اديب مخضرم . مخضرم في حياته لا في ادبه . يعرفه القدامى مديرا عاما لراديو الشرق عهد الفرنسيين في لبنان ، ويعرفونه صحافيا متنقلا في صحف مصر ومجلاتها المحتجب معظمهاليوم . ويعرفه « الجديد » صاحب المجموعة « لمن ؟ » والمجلة « الاديب» وقلائل من يقرون اليوم بفضل مجلة البير اديب عليهم بالامس ، عندما حضنتهم تلك المجلة وقبلت نتاجهم الذي لم يكن دائما صالحا للنشر . الا ان الرأي يكاد يكون مستقرا على ان تشجيع اديب لنفر من كتاب البلاد العربية كان مثمرا ... وعند سهيل ادريس وعبد الوهاب البياتي وجبرا ابراهيم جبرا وثريا ملحس واحمد سويد وعبدالملك نوري وخليل حاوي والفيتوري والعنتيل ورزوق والناعوري والحيدريين والنشاتين وسميرة عزام ونقولا قربان ، عند هؤلاء وسواهم الخبر اليقين .

★ ★ ★

لما ظهرت « لمن ؟ » في شباط ١٩٥٢ عرفتها دار المعارف المصرية على الغلاف بـ « مجموعة

في القومية العربية

تأليف عبد اللطيف شرارة

اجرا بحث واصدقه عن مفهوم القومية العربية ـ خير معين لتوجيه النشء العربي ـ اسلم دستور يتزود به رجال الحكم ـ احرج قضايا الساعة التي تهم كل جماعة وكل اسرة وكل فرد

في أي قطر عربي

منشورات عويدات

ص.ب ٦٢٨ بيروت ـ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الشعر الرمزي » . ولكن المجموعة ليست رمزية بقدر ما هي تعبيرات باطنية تبلور بعضها تلقائيا بلورة رمزية بينا ذهب بعضها الاخر مذهب الواقعية الايحائية الموقعة .

وعلى الرغم من كل ما تحمل هذه المجموعة ومما لا تحمل ، ليس هذا هو المهم فيها . طريقة الاداء هي الاهم ، سواء بالنسبة لصاحب المجموعة ام بالنسبة لمتابعي حركة الشعر الحديث ومناهضيها والمشاركين بها .

« الشعر الطلق طلق من كل قيد » . هذا ما يقوله البير اديب ويؤمن به . « المستقبل للشعر الطلق » . وهذا ايضا ما يقوله ويؤمن به. لذلك يصر على الكتابة حرا متحررا، حرا ومتحررا من بعض الوضوح احيانا .

والواقع ان الشعر الطلق طلق بالفعل من القيود ، من الوزن من القافية ، واحيانا من اصطلاحات المعاجم . التركيز فيه على التجربة ولا قيمةله بدونها . يمر الشاعر بالتجربة فيعانيها ثم يتناساها ويتركها تنام في لاوعيه حتى تختمر . وبعدما تختمر توضع كلمات ويجيء وضعها واعيا لانها اختمرت فياللاوعي، وتصبح التجربة ناضجة لانها عيشت واقعيا وباطنيا ، ويجيء العمل الشعري لتجسيد التجربة عملا واعيا تلقائيا لا اثر للتفكير المتعمد فيه . ولغل اثار بودلير كلها تولدت هكذا وتولدت هكذا اشعار رمبو و « قصائد » العقلانيين . وقريب منا اوجزت مدام فرانس ده دالماسي هذه الطريقة الشعرية بقولها « اغمض عينيك واقطع ما بينك وبين كل ما يحيط بك لكي ترى العالم باكثر جلاء وسعة ». وشعراؤنا يغمضون اعينهم ولكن يغمضون احيانا وعيهم فيحفظون فيه مرئياتهم ومحسوساتهم ومعايشاتهم ليعودوا فيأخذونها شبه جاهزة . هذا مع العلم بان شعراءنا عندما يغمضون اعينهملا يروندائما العالمباكثرجلاء واكثر سعة

البير اديب ينظر في الشعر هذه النظرة . اذا قلبت القصيدة العربية التقليدية راسا على عقب ، يقول ، يبقى معناها هو اياه ، لانها لا تقوم على تجربة شعرية . لان موسيقاها تهريجية عادية . الشعر الطلق تجربة كله . فيه موسيقى صامتة لا وجود لها في شعرنا التقليدي لان قيود شعرنا التقليدي لا تسمح بايجاد موسيقى صامتة . واي معنى للشعر اذا لم يكنتجربة معيشة تعزفها موسيقىصامتة؟

من اجل ذلك قصير هو البيت فيالقصيدة الطلقة . من اجل ذلك قد يقف البيت الواحد عند نقطة نهائية وقد يقتصر على كلمة اوحرف واحد . وحين يطول البيت وحين تلتقي قافيتان متشابهتان فلان رغبة تلقائية ارادت ذلك لا هندسة سابقة للقصيدة .

ارجع الى « لمن ؟ » تجد ما قراته هنا مجسدا في معظم مضمونها . « تلامذة » « لمن ؟ » اذا رجعت اليهم يقولون لك القول نفسه . متزعمو الشعر الحديث في البلاد العربية اليوم يقولون الشيء نفسه . البير اديب لا يزال يقول الشيء نفسه . عارفو اديب يقولون انه هو الذي عرف العرببالشعر الطلق .

البير اديب عرف العرب بالشعر الطلق ؟ هل هذا صحيح ؟ هل سبق اديب امين الريحاني ؟ هل سبق مي ؟ كثيرون يؤكدون الـ « نعم » . اما جبران فيعتقد اديب بانه جهل الشعر الطلق بمفهومه الحالي . ونوافقه نحن على ان جبران ليس عنده شعر طلق وانما عنده شعر. عنده شعر في كل شيء.حتىفيموته .

اما شبابنا من ادونيس الى البياتي ورفاقهما فلا يزالون يحافظون على بعض روحالكلاسيكية في النظم . لم يحرروا شعرهم من كل قيد وان كانوا قد اطلقوه من ثلاثة ارباع القمقم . ولعل ذلك ما يكسب شعرهم قيمة ليست للشعر الطلق الذي تقتصر صعوبته على معاناة التجربة معاناة كلية ثم تجسيدها بموسيقى.. صامتة ..

★ ★ ★

ليس هذا كل مفهوم الشعر الطلق ، بل كل شعر ، عند البير اديب . والذين يعرفون البير اديب يعرفون ماهية الشعر في نظره . يفهمه وجدانيا ويفهمه مع ذلك ، علميا . لا يريده دارجا على قضايا العلم والاختراعات والاكتشافات ، كلا ، وانما يريد الشاعر ان يختزن التقدم العلمي في نفسه قبلما يتعاطى الشعر ، لانه يريد الشعر ، على وجدانيته ، غير ساذج النظرة في الحياة والحيوانات .

ولا يحسبني أحد متحدثا عن مدرسة ادبية حين اتحدث عن البير اديب . فالبير نفسه لا يدعي المدرسة . ان لهنظرة في الشعر خليقة بالمرور بها والوقوف عندها . وله ، الى ذلك ، محبذون . ولئن يكن البير اديب نال من « تلامذته » وممن فسح لهم في مجال الشهرة على صفحات مجلته عقوقا بلوحقدا وصفرا بهيئة « شكرا » « ممنون » « يعني شو بدي الك » ، فله فضل تنشئة بعضهم وتوجيه بعضهم الاخر وهذا ما لا يمكن احدا نكرانه . وهذا ما خبره اليقين عند من ذكرتهم في بدء الكلام وعند سواهم ايضا .

★ ★ ★

السؤال الان : هل يوفق شعراء «الاديب» و « تلامذتها » ، وانصار الشعر الحر في لبنان والعراق ومصروالسودان وسوريا والاردن على ما يقوله عارفو البير من انه هو الذيعرف العرب بالشعر الطلق في مفهومه العلمي ؟ هل يقول البير اديب ، وهو الطرف الاخر في الخلاف القائم ، كلمته اخيرا ؟

خمسة عشر عاما تتكلم حين يتكلم البيراديب.

[النهار] انسي الحاج

قالوا في « الاديب »

●

نواصل فيما يلي نشر بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرينعطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديبدائما عند حسن ظنهم بها :

★ ★ ★

قالت جريدة العمل الغراء التي تصدر في بيروت :

خمس عشرة سنة انقضت ومجلة « الاديب » لمنشئها الاستاذ البير اديب دائبة في خدمة الفكر والحرف على افضل وجه وبثبات واطراد الى الامام ليس مثلهما ثبات واطراد .

وقد استقبلت عامها الجديد بعدد ممتاز زاخر بالممتع والشائق من نتاج الاقلام الطيبة. ومن كتاب هذا العدد : [.....]

فنهنيء الزميلة على ما حققته من خدمات ، ونتمنى لها رواجا وانتشارا لائقين بالمكانة التي اقتطعتها لنفسها على صعيد صحافة الادب .

في القومية والانسانية

بقلم الدكتور

كمال يوسف الحاج

استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية

كتاب فكري يبحث في مفهومي القومية والانسانية ويوضح الترابط الواجب بينهما . لا قومية بدون انسانية ولا انسانية بدون قومية

سفر وحيد في اللغة العربية يفتح بابا فريدا لفكر عربي عالمي

منشورات عويدات

ص.ب ٦٢٨ بيروت ـ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

١٦ اكتوبر ١٩٥٧ ـ اعلن فوستر داليس ناظر الخارجية الامريكية انه اذا هاجم الاتحاد السوفياتي تركيا فان العمل الذي ستقوم به امريكا لن يكون دفاعيا بحتا .

ـ وصلت الملكة اليزابيت والامير فيليب قرينها الى وشنطن في زيارة رسمية .

١٧ ـ ردت تركيا على المذكرة السورية بمذكرة قالت فيها انها لا تدبر لسوريا اي اعتداء

ـ الف انطوان بينيه الحكومة الفرنسية الجديدة .

١٨ ـ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة النظر في الشكوى السورية ضد تركيا .

ـ اسقط مجلس النواب الفنلندي حكومة سوكسلاينن المؤلفة من الفلاحين والاشتراكيين.

ـ رفضت الحكومة الوطنية الفرنسية منح الثقة لوزارة بينيه .

١٩ ـ صدر بلاغ لبناني سوري مشترك اثر انتهاء زيارة الملك سعود نص على اعتبار الاعتداء على اي بلد عربي اعتداء على كل منهما والسعي لتوحيد موقف العرب .

ـ قطعت المانيا الغربية علاقاتها الدبلوماسية مع يوغسلافيا لاعترافها بالمانيا الشرقية .

٢١ ـ اذاعت وزارة الانباء السعودية ان الملك سعود عرض وساطته بين سوريا وتركيا وقد قبلت الحكومتان الوساطة .

٢٢ ـ وصل الى وشنطن هارولد مكميلان رئيس الحكومة البريطانية لاجراء محادثات رسمية

ـ عقدت الجمعية العامة للامم المتحدة جلسة لمناقشة الشكوى السورية من تركيا وبعد الخطب والمناقشات طلبت سوريا التاجيل ثلاثة ايام .

٢٣ ـ قرر وزير الخارجية الامريكية وقف كامل المعونة الامريكية الى يوغوسلافيا بسبب اعترافها بالمانيا الشرقية .

ـ استقبل الملك سعود فطين رشدي زورلو وزير الدولة والمبعوث التركي لبحث الوساطة في القضية التركية السورية .

٢٤ ـ ارسل الرئيس شكري القوتلي الى الملك سعود رسالة يبسط فيها الاسباب القومية التي تتطلب ان يسحب جلالته الوساطة بين سوريا وتركيا .

٢٥ ـ استانفت الجمعية العامة للامم المتحدة بحث الشكوى السورية من احتشاد القوات التركية على الحدود .

ـ صدر بيان امريكي بريطاني اثر انتهاء المحادثات بين الرئيسين ايزنهاور وماكميلان. وكان من نتائج المحادثات الاتفاق على عقد مؤتمر في باريس لاقطاب حلف الاطلسي في ديسمبر القادم حتى لا يقتصر توحيد الابحاث والجهود والموارد العلمية على بريطانيا وامريكا . وسيطلب ايزنهاور من الكونجرس تعديل تشريع ماكماهون القاضي بمنع مد الدول الاخرى بالاسرار النووية .

٢٦ ـ على اثر عودة الماريشال جيورجي جوكوف الى موسكو بعد زيارة ليوغسلافيا والبانيا صدر بلاغ ذكر فيه ان ديوان المجلس السوفياتي الاعلى قد اقال الماريشال جوكوف من منصبه كوزير للدفاع وعين مكانه الماريشال رودیون مالينوفسكي .

ـ اعلنت قيادة منظمة جنوب شرق اوروبا التابعة لمنظمة الاطلسي ان القوات الاطلسية البرية والبحرية والجوية ستقوم بمناورات عند شواطىء تركيا الجنوبية .

ـ الف جي موليه الحكومة الفرنسية الجديدة

٢٨ ـ فاز الحزب الديموقراطي التركي وهو حزب رئيس الحكومة عدنان مندريس بكثرة المقاعد في الانتخابات النيابية .

ـ وصل الى وشنطن ثم عاد الى باريس في نفس اليوم الجنرال لويس نورستاد القائد الاعلى لقوات الحلف الاطلسي وقد صرح على اثر مقابلته للرئيس ايزنهاور بان القوات الحليفة ستجيب بالقوة على اي عدوان يقع على اية دولة من دول الحلف الاطلسي .

ـ على اثر انتهاء زيارة الملك فيصل لطهران صدر بلاغ ايراني عراقي مشترك تعهد فيه الشاه والملك بمواصلة الجهود في سبيل تعزيز حلف بغداد للدفاع عن منطقة الشرق الاوسط.

ـ وصل رئيس الجمهورية اللبنانية ترافقه قرينته الى مدريد في زيارة رسمية لاسبانيا

ـ تم في دمشق توقيع اتفاق بين سوريا وروسيا للمساعدة الاقتصادية والفنية يفتح الاتحاد السوفياتي بموجبه لسوريا اعتمادا ماليا غير محدود لاستعماله في سبع سنين .

٢٩ ـ رفضت الجمعية الوطنية الفرنسية منح الثقة لوزارة جي موليه .

ـ القيت قنبلة داخل البرلمان الاسرائيلي على اعضاء الحكومة فاصابت بن غوريون رئيس الوزراء واربعة وزراء اخرين بجراح.

٣٠ ـ اشتدت الاضطرابات في تركيا نتيجة النقمة المتزايدة من الانتخابات التركية الاخيرة وقد اعلنت الاحكام العرفية في عنتاب على اثر مظاهرات انصار الحزب الجمهوري .

٣١ ـ اصدرت المحكمة في مصر احكاما تتراوح بين خمس وسبع سنين على المتهمين بالانتماء للحزب الشيوعي.

اول نوفمبر ١٩٥٧ ـ وصل الى موسكو اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة المصرية تلبية لدعوة الحكومة السوفياتية .

ـ اعادت الجمعية الوطنية التركية انتخاب جلال بايار رئيسا للجمهورية .

ـ تم الاتفاق بين الوفد السوري في هيئة الامم ووفود الدول الغربية على استبعاد القرارين السوري والياباني وتكليف همرشولد امين الجمعية بمهمة ازالة التوتر بين سوريا وتركيا

٢ ـ اعلن في موسكو طرد الماريشال جوكوف من مجلس السوفيات الاعلى ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بتهمة انه خفف من الدور الذي يقوم به الحزب الشيوعي داخل الجيش واهمل تشريب الجنود مبادىء الشيوعية وضاق صدره عن الانتقاد .

٣ ـ اطلق الاتحاد السوفياتي جرما اصطناعيا ثانيا فيه كلب يدور حول الارض .

٤ ـ وجه الرفيق خروشوف تحذيرا الى الدول الغربية جاء فيه ان القواعد العسكرية التي احاط بها الغربيون الاتحاد السوفياتي لم يبق لها من نفع بعد الصواريخ عابرة القارات

٥ ـ اعلنت روسيا انها لن تشترك في لجنة نزع السلاح التابعة للامم المتحدة ولجنتها الفرعية كما هما مؤلفتان وانه يجب توسيع نطاقهما لتشملا جميع دول العالم .

ـ تمكن فيليكس جايار من تاليف الحكومة الفرنسية وفاز بثقة الجمعية الوطنية .

٧ ـ وصل رئيس الجمهورية اللبنانية وقرينته الى اثينا في زيارة رسمية لليونان

ـ اعلنت الحكومة البريطانية انها نقلت مركز قيادة القوات المسلحة في الشرق وافريقيا من قبرص الى لندن .

ـ احتفل الاتحاد السوفياتي احتفالا كبيرا بالذكرى الاربعين للثورة امتاز بعرض الاسلحة الجديدة القائمة على العلوم والابحاث الفنية اثناء العرض العسكري الضخم الذي جرى بموسكو

٨ ـ القى الرئيس ايزنهاور خطابا تحدث فيه عن قوة امريكا العسكرية وما تملكه من انواع الاسلحة الحديثة ووجه الدعوة الى التضحية وحشد الطاقات العلمية والتعاون العلمي بين امريكا وحلفائها . ومما قاله ان لدى امريكا طائرة تحمل ما يوازي كل متفجرات الحرب العالمية الثانية كما ان لديها صواريخ تبحث عن الهدف واخرى تذهب وتعود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قليلا من النسبية والايمان



صحت نظرية « اينشتين » في النسبية ، كان على رجال الفكر عندنا ، من علماء وادباء وفنانين ، ان يتوقفوا طويلا قبل ان يستعيروا قوانين « التجارة » مثلا ليطبقوها على عالم العقل والقلب .

ففي دنيا الاقتصاد والمال ... تسود قوانين بعينها ، ومنها قانون العرض والطلب ، ونظرية بع كثيرا بربح قليل تربح اكثر من بيعك القليل بربح وفير .

ومنها مبدأ الباب المفتوح ، على انه عامل من عوامل الازدهار ، في البلد الضئيل الموارد . والمبدأ المعاكس الذي يرى اغلاق ذلك الباب ، حفاظا على طاقات البلاد وثرواتها .

اما في دنيا الثقافة ، دنيا الحرف واللون والنغم ، حيث تختلف المقاييس والموازين ـ بطبيعة الحال ـ فان فتح الباب على مصراعيه جناية لا تقل بشاعة عن القتل الجماعي .

ومن هنا كان هذا السفه الذي ينشر في المطبوعات الخليعة ، والرسوم الماجنة ، والاغاني الداعرة ، على انه ادب عبقري او فن واقعي اوغناء حديث .

ومن هنا ايضا كان ذلك الفسق الذي يعرض في دور السينما على انه افلام تحاكي الحياة!

ان واجب المسؤولين ـ سواء كانوا آباء وامهات ، او ارباب صحف ومجلات ، او اصحاب دور نشر وسينما ، او مربين وحكاما ـ ان واجبهم جميعا يحتم عليهم ان يؤمنوا برسالتهم اولا ، وان يؤمنوا كذلك بانهم يؤدون تلك الرسالة في امة ناشئة ، او هي في دور الانبعاث ، فما لا يؤذي شعبا قويا متطورا كالامريكان او الروس ، قد يكون له في شعوبنا الضعيفة المستيقظة اسوأ النتائج واوخم العواقب .

قليلة من النسبية العلمية اذن ، ايها السادة المستوردون ... وقليلا من الايمان بمصائر اوطانكم وشعوبها ، ايها المسؤولون . وحينئذ تضعون حدا لهذا الانحلال الخلقي الذي يبدأ بالادمان على الهروين وينتهي بالفسوق والموبقات الاخرى .

وفي اعتقادي انكم عارفون قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، ان للامم اطوارا تمر بها ، كما يمر الافراد : فطور الطفولة ، وطور الشيخوخة ، وما بينهما من مراحل .

ونحن ، مع هذه الشعوب التي تتكلم لغتنا ، ما برحنا في المرحلة الاولى . فحرام اذن ان نستورد لهم ـ لهذه الشعوب ـ (بعض) ما تمخضت عنه الحضارة الغربية اخيرا، قبل ان يبلغوا الطور الذي صار اليه اصحاب تلك الحضارة في شيخوختها الراهنة ! حرام ان نضع تلك المستوردات الخطرة بين ايدي ... ابرياء سذج ، على انها (كل) تلك الحضارة في تنوع نتاجها وسموها وعظمتها . وهي فوق ذلك مستوردات ... أي انها لم تنبت في اوطانهم ولا كانت حصيلة تطورهم الطبيعي !

فهل في هؤلاء الشعوب ـ المساكين حقامسؤولون ؟ وهل في اولئك المسؤولين قوم مؤمنون حقا ؟

رشاد دارغوث

فلسفة التربية

بقلم الدكتور كمال الحاج

الباب الاول

في الغاية من علم النفس التربوي

من الافضل ، كي نوضح ما نرمي اليه ، ان نميز بين التعليم والثقافة والتربية . على هذا الاساس ، نوجه الاضواء نحو الغاية المطلوبة ، التي هي فلسفة التربية . نقول ، والحالة هذه ، بان التعليم نشاط ذهني مجرد يهدف الى تمكين الانسان من موضوعه . نتعلم القراءة ، نتعلم الحساب ، والتاريخ ، والجغرافيا . نتعلم كيف نستخرج المعادن من قلب الارض . نتعلم الزراعة ، والصناعة ، والخياطة ، والسباحة . ثمة علم الاقتصاد ، وعلم السياسة ، وعلم الاجتماع ... الى ما هنالك من ضروب في العلوم

نلاحظ ، هنا ، ان العلم (او التعليم) قضية استيعابية ، تتناول العقل والحافظة . يحفظ الانسان بالذاكرة ما يدركه بالعقل . ولا يعقل الا النواميس العامة ، لان العقل لا يكون الا بالانتقال من الخاص الى العام . لهذا كانت لفظة تعليم تفيد الاجماع ، في الاراء ، على امر واحد . ان العلم ، الذي لا يكون عاما ، ليس بعلم . ومن هنا كان ديكارت ينظر الى الرياضيات كمثال للعلم الصحيح ، لان الانسانية لم تجمع على خطة واحدة ، كما اجمعت منذ البداية على مسائل الرياضيات . والعلم واجب في حياة الانسان ، لا لان الجهل اصل من اصوله ـ ان هذا الاعتبار يلغي امكانية العلم ـ بل لان العلم هو الاصل الاصيل ، وقد طرأ انحراف على الانسان ، فكان الجهل العارض ، وكان التعليم المقوم .

لكن الانسان قلما يقنع بعلم واحد . وهذا لسببين : (اولا) لان العلوم يحتاج بعضها الى بعض . اذ ما من علم يستكمل شروطه بمعزل عن العلوم الاخرى . الطب بحاجة الى الفيزياء والفيزياء بحاجة الى الكيمياء والكيميات بحاجة الى الرياضيات . وعلم الاجتماع بحاجة الى التاريخ ، والجغرافيا ، والسياسة ... الى ما هنالك من تشابك عريض ، طويل ، بين مختلف العلوم الانسانية . لهذا كان الانسان بحاجة الى ان يستشرف عدة علوم ، كي يطلع على تمام علم واحد . (ثانيا) لان المرء لا يرضى بعلم واحد ، يؤمن به عيشه . هناك ترف عقلي يميز الانسان من باقي الموجودات . اجل ، كل منا يحمل بعض اله ـ اله صغير ـ يريد ان يعرف كل شيء . من هنا الرغبة في الاطلال على الكثير من العلوم المتنوعة . تلك هي الثقافة . الطبيب المثقف هو ذلك الذي يلم بغير الطب من تاريخ ، وسياسة ، وفن ، وادب . اذا مثلنا العلم ببعد العرض ، فاننا نمثل الثقافة ببعد الطول

لكن الانسان ، من وجه انه وجود روحي ، مدعو جوهرا الى ان يفعل الخير ويتجنب الشر . هنا نجتاز عتبة العلم ، والثقافة (التي تتناول العقل والحافظة) الى مخاطبة الارادة . الى تسديد المرء نحو الذي يجب فعله . هنا عالم التقييم . عالم الواجب ان يكون ،او ان لا يكون . عالم الصلاح والطلاح . وبكلمة عالم الفضيلة . اجل العلم ، والثقافة ، غير الفضيلة . العلم والثقافة وحدهما جهل اشد ، في هذه الحياة الدنيا ، لانهما يؤديان الى الشقاء ، اذ يفضيان احيانا الى الرذيلة . وويل لامة تكتفي بهما وحدهما . هذه الامة ينقص من عدد عارفيها ، ويزيد في عدد جهلائها . هنا تدخل التربية ، التي هي تهذيب ادبي للانسان . التي هي الخير الواجب ان يكون .

التربية ماخوذة من جذر ربا ، الذي معناه زاد ونما . الزيادة لا تكون الا على نقص ، والنمو لا يكون الا نحو الكمال . ولا شك في ان كلمة تربى ، وربوة ، وربوبية ، وتربة ، ورب ، تفيد المعنى ذاته ، اي توجيه الحياة النامية نحو السمو المتعالي . لا زيادة الا في سبيل مرمى ، ولا نمو الا وهو سير نحو بلاغ . بلاغ ذلك المرمى هو حتما الى فوق ، لا الى تحت ، والا بطلت الزيادة ... وبطل النمو . وهل هذا يعني الا ان التربية هي تكملة عقل ، وتهذيب قلب ، بغية ادراك الخير الاكبر ؟

التربية لا تقف عند حد العلم ... عند حد تعليم الولد ، عن ظهر قلبه ، معلومات يشغل بها عقله . هذه الامور تصيب القريب من التربية . تهدف الى تدريب العقل نحو ما هو صائب في العلوم . ولكن الغاية القصوى ، التي وجد من اجلها العلم ، هي ايصال الانسان الى فعل الخير . ولهذا قيل بان العلم الخالي من التربية هو تخريب للبشرية . التربية ، اذن ، ذات غاية اخلاقية واضحة ، بدونها تبطل كل محاولة تربوية ، في حياة الانسان . غايتها ان يصلح الكبير الصغير اصلاحا ، يحدوه على تبني الصواب (الخير) ونبذ الخطأ (الشر) . غايتها اذكاء الخلقيات عند الولد . اذ ما قيمة الانسان ، في نهاية الامر ؟ باخلاقه اصلا ، وبعلومه فرعا ... اي بما فيه من سرعة خاطر ، وتمييز وضوح ، وشدة ملاحظة ، وصرامة حزم ، وقوة ارادة ، تجعل منه انسان عمل مفيد ، في حياته بين الناس . قيمته ان يكون بناء خير .

الواقع ان الخير والشر هما قطبا النفس البشرية . هما غاية الغايات ، التي تراود الانسانية ، منذ ان سويت النفس عاقلة . ولذا لم يفن الانسان حياته خلف شيء ، مثلما افنى حياته خلف معرفة خير مستحب وشر مستقبح . فكم توارى في خضم الظلمات ، موقنا تارة وشاكا طورا ، ولكنه لم يتقاعس مرة في استجدائه . ذلك لان محضه قائم على معضلة الخير والشر ، التي فطر عليها ، وتطبع بها ، حتى صارت النبضة الاولى في شرشه الادمي . لهذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نرى «كانت» يوجه الفلسفة كلها ، في النهاية ، نحو معضلة الخير والشر ، بعد ان قدم لها ببحث في معضلة المعرفة .

ماذا يستطيع الانسان ان يعرف ؟ تلك هي المعضلة الاولى . معضلة العقل النظري ، الذي يبحث في ماهية الكائن . وقد ضمنها كتابه (نقد العقل النظري الصافي) حيث ارانا المدى ، الذي يمكن للعقل ان يذهب اليه في ميدان العلم . ماذا يجب على الانسان ان يعمل ؟ تلك هي المعضلة الثانية . معضلة العقل العملي ، الذي يبحث في الطريق اللازم ان يتخذه الانسان . وقد ضمنها كتابه (نقد العقل العملي الصافي) حيث ارانا واجباتنا نحو الغير، ونحو انفسنا

هذا التقسيم الثنائي الى خير وشر ـ اي الى فوق صالح وتحت طالح ـ لم يأت عبثا . هو قائم على اساس جسمي ، ونفسي ، واجتماعي . ان الجسم ذاته يصنف الاشياء الى فئتين : فئة الاشياء التي تروقه ، وفئة الاشياء التي لا تروقه . الاولى تريحه ، والثانية تزعجه . ولهذا كان من ربع المستحيل ان تتساوى عنده الاشياء كلها . والنفس ايضا تصنف الحالات الوجدانية الى فئتين : فئة الحالات المفرحة ، وفئة الحالات المحزنة . الاولى جميلة ، والثانية قبيحة . ولهذا كان من ربع المستحيل ان تتساوى عندها الحالات كلها . واذا نظرنا الى اعمال الانسان ، في المجتمع ، رايناها تصنف الى فئتين : فئة الاعمال الصالحة (او العادلة) وفئة الاعمال الطالحة (او الظالمة) . الاولى تسعد ، والثانية تتعس . لهذا كان من ربع المستحيل ان تتساوى في المجتمع الاعمال كلها .

كل شيء في حياة الانسان ، يؤول الى خير او شر . المسائل الرياضية والمشاكل الاجتماعية ، والمعضلات الفلسفية ، والاسرار الدينية ، ترد في نهاية الامر الى الانسان ذاته . والانسان نية حسنة ، او نية رديئة ... عمل في سبيل خير ، او عمل في سبيل شر . ومن هنا قول برغسون ، في فاتحة كتابه ـ مصدرا الاخلاق والدين ـ بان صورة الثمرة المحرمة لهي من اقدم الصور ، بل اقدمها اطلاقا ، في حافظة الانسانية. منها تفرغت ، واليها ترد السبل التي نهجها البشر، في جميع محاولاتهم الوجدانية

هنا تلتقي التربية الفلسفة . ذلك لان الفلسفة تدور على القيم ، اي على الواجب ان يكون . على الذي يجب ان يفرض . والبحث في هذا الواجب يعود ، بالحقيقة ، الى البحث في كيف نربي الانسان ، كي يحقق هذا الواجب . اذا امعنا في تاريخ الفلسفة ، رايناً ان الفلاسفة لم يتناحروا على الحقيقة ذاتها ، بقدر ما تناحروا على المسلك ، الذي يؤدي الى الحقيقة . لقد تساوى الجوهر طبعا بين جميع الناس . يعني ان كل واحد منا يحمل فيه ملكة الحكم بضبط ، وملكة التمييز باحكام بين الصحيح والخطأ . ولكن اختلاف الاراء ينتج عن اننا لا نسير دائما في الطريق القويم ، مما يبعدنا عن الحقيقة ، ويقيم التناقض فيما بين الاراء . هذا هو سبب الجهل . لذا كانت العقدة الكبرى ، في حياة الانسان ، ان يحسن انتقاء المنهج الذي يوصله بامان وثقة الى الخير . اليس في مثل هذه الفلسفة معنى التربية التي هي ايضا تدريب الولد نحو الخير ؟

والخير جوهر ووجود . والجوهر عام اما الوجود فخاص . لهذا كانت غاية التربية ان توقظ ، في كل تلميذ ، مواطنا انسانيا ومواطنا قوميا . المواطن الانساني هو الذي يقيم الوجود. وهو الغاية الاولى التي ترمي اليه التربية . معناه ان التربية ديمقراطية الروح . التربية والديمقراطية يقومان على مبدأ التساوي العادل ، اي على مبدأ الاعتراف بوجود حقيقة واحدة لجميع الناس . هما في تلازم بعضهما بعضا . التربية لم تنتشر الا يوم انتشرت الديمقراطية ، والديمقراطية لم تنتشر الا يوم انتشرت التربية . المواطن القومي هو الذي يحقق قيم الوجود . وهو الغاية الثانية التي ترمي اليه التربية . معناه ان التربية عمل وطني . التربية الصحيحة تعد التلميذ الى تأدية رسالة اجتماعية نحو امته . تحدوه على خدمة شعبه ، وتقديس تاريخه ، واجلال ارضه ، واكبار شأن لغته . هي التي تزرع محبة الوطن في قلوب التلامذة . ذاك هو الانسان .. امتداد لامة واحدة ، ولغة واحدة ، وتاريخ واحد . ان مثالية المواطن الانساني لا تتجسم الا في واقعية المواطن القومي . من اراد ان يخدم الانسانية خدمة صحيحة ، وجب عليه اولا ان يخدم الامة التي ينتسب اليها . التربية الناجحة ، اذن ، هي التي تعير اهتماما كبيرا الى هذين المواطنين . هي التي تعمل بجد على ان يكون التعليم ذا هدف انساني ـ قومي . المعلم الاكبر هو الذي يوقظ في نفس التلميذ الشعور بالمواطن الانساني ، ليدرك ان عقلا واحدا قد وزع (من حيث الجوهر) اعدل توزيع بين الناس ... وهو الذي يوقظ في نفس التلميذ الشعور بالمواطن القومي ليدرك انه لا يكفي التفكير جيدا ، ولكن المهم ان نجيد تطبيق هذا الفكر الجيد . والتطبيق لا يكون الا في حيز الخاص ... في القومية (١) .

التربية ، اذن ، تذهب الى ابعد من التعليم والتثقيف تذهب الى قيمتي الخير والشر . تذهب الى الفضيلة . هي تحمل في ثناياها وحدة الانسان . تحمل اعداده جسميا ، وفؤاديا وعقليا . تحمل اعداده قوميا وانسانيا . هي تشمل كل هذا دفعة . ولذا جاء التعليم من ضمنها . جاء ناحية من نواحيها . جاء كسبا لمهارة ، واتقانا لعلم ، ودراية بمهنة. جاء وسيلة لغاية اعم . لغاية هي الخير الكامل . فالمعلم ، الذي لا يكون مربيا ، يخفق في رسالته . انه لا يصيب من تلميذه الا جانبا من جوانبه ... الجانب الادنى ، والارخص ، والاخس ، والاضعف . هو الجانب ، الذي يعين الانسان على ارتكاب افحش الجرائم ، اذا لم يقترن بغاية تربوية . هو الجانب ، الذي يكتفي بتلقين مواد ، وترسيخ معلومات، وتثبيت ارقام جامدة في الحافظة. وويل لامة يكثر المعلمون فيها، ويقل المربون. ويل لها اذا كان معلموها غير مربين انها كالباخرة ، التي تفقد ربانها ، في وسط الرياح العاصفة.

معنى هذا ان الخير لا ينتقل بالوراثة ... ان الانسان لا يمشي ، منذ البداية ، على الصراط القويم ... ان الانسان بحاجة الى التربية . اجل ان ابن الجاهل وابن العالم متساويان ، من هذا القبيل ، فور ولادتهما . مثلهما كمثل الصحيفة البيضاء . وليس في ذلك سوء حظ للبشرية . اذ لو حصل الامر عكس ما هو الان (اي تنوقلت التربية بالوراثة) لتجمع الخير في جهة واحدة من طبقة الناس ، وتجمع الشر في طبقة اخرى ، فكانت جبرية انتقال الخير الى اولئك ، وجبرية انتقال الشر الى هؤلاء . وما فضل خير ، وذنب شر ، ينتقلان بالوراثة؟ ايثاب خيّر ، ويعاقب

(١) راجع ما كتبناه في مؤلفنا « فلسفيات » الجزء الاول . محاضرة « في التربية » .

شرير ، وهما لم يقوما بذلك عن طريق الارادة المسؤولة ؟

الاخلاقيات في متناول كل من يسعى اليها . وهي انسانية . هي والحقيقة في عينة واحدة . ولهذا كان من الواجب ان يولد الطفل على الفطرة الاولى . ان يولد خلوا ، بالاساس ، من الخير والشر . يكون الطفل متهيئا لقبول ما يرد عليه ، وينطبع فيه ، من خير وشر . فاذا سبق اليه الخير ، بعد عنه الشر ، وصعب عليه اكتسابه . واذا سبقت اليه عوائد الشر ، وحصلت له فيها ملكة ، بعد عن الخير ، وصعب عليه اكتسابه . ما يتمكن منه، بادىء بدء ، يغلب في النفس . من اجل هذا ينبغي ان يؤدب الطفل ، باكرا ، قبل ان تهجم عليه الاخلاق السيئة . ان التربية رياضة . ولهذا مارستها جميع الشعوب ، وزاولتها جميع الطبقات وطلبها كل انسان . ولهذا ايضا ما كانت بالامر الهين . انها بنت الصبر ، والحزم ، والعزم ، والخبرة ، والاناة . اما قيل كما يكون الطفل تكون الاجيال المقبلة ؟ ان الاعتناء باطفال اليوم هو اعتناء برجالات الغد . ومن هنا خطورة المربي ، وعظمته ، وجلاله . ولقد اعلن ارسطو بان من احسن تربية الاولاد كان اولى بهم من ابائهم ، لان اباءهم لا ينفعونهم بغير المعيشة ، واما المربون فهم يزودونهم بما يخولهم ان يكونوا في عداد السعداء . الاباء يلدون الجسم، المربون يلدون الروح . هؤلاء وحدهم يلقنون ابجدية القومية ، وارجوزة الانسانية، ليكون الولد في عداد الحاضرين .

الاطفال لا يولدون خيرين . ولكنهم يصيرون ذوي خير بفضل التربية . كذلك لا يولدون همجيين . ولكنهم يصيرون ذوي همجية ، بسبب الاهمال التربوي . والا يلغى الثواب والعقاب ، اللذان يقومان على المسؤولية ، ولا مسؤولية حيث تبطل الحرية . اذن يجب على البداية ان تكون خاما ، في الحياة ، لا بدء خلفها . تلك البداية الخام ، من جهة الخير والشر ، هي المساواة عينها بين كل الناس . من اراد الخير كان عليه ان يتعب . ان يشقى . ذلك لان الخير لا ياتي بدون جهد وعناء . وما فضل غني ، اخذ ماله بالوراثة ، ليكون الخير من جانبه ؟ وما ذنب فقير حرم المال بالوراثة ، ليكون الشر من جانبه ؟ كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه ، او ينصرانه ، او يمجسانه هذا عمل التربية في النفس البشرية .

لا اسبقية لبطرس على بولس ، منذ البداية ، ولا افضلية ايضا . مثلنا ، حيال الخير والشر ، كمثلنا حيال الموت . مساواة مطلقة في البداية . ثم يأتي عمل الترويض ... عمل التقميش والتفصيل ... الذي هو نحت العقول في سبيل الرؤية الصائبة ، والذي هو تهذيب القلوب في سبيل المشاهدة الصالحة . فاذا اخفق الكبير في ترويض الصغير ، اخفق في تسليم وديعة الخير الى الاجيال المقبلة ، فكان مسؤولا هو ايضا عن هذا الاخفاق . اجل التربية عمل استلام وتسليم، بين السابق واللاحق ، على غير صعيد الوراثة .

التربية اذن ، رابطة بين كبير وصغير ... علاقة بين راشد وولد . التربية هي مزاولة تلك الرابطة ، او العلاقة ، في سبيل تحقيق الخير . ولكن هذه الرابطة لم تزاول ، عبر التاريخ ، باسلوب واحد . لقد رافقت الانسان في تقلباته . سايرت مراحل تفكيره ، فتنوعت ، وتطورت ولبست عدة قمصان . ولذا يرى الذي يقلب تاريخها ـ منذ اقدم العصور حتى وقتنا الحاضر ـ ان التربية مرت ، من حيث تلك الرابطة ، بمرحلتين مختلفتين .

المرحلة الاولى هي التي اعتبرت فيها التربية ان الولد هو الدائر في فلك المربي . هو التابع في التدريب . هو المجبر على ان يدرك عقل الكبير، ليتمكن من ان يمتثل باوامره . وهكذا تركزت التربية ، في الازمنة الماضية ، على المربين ، فقط ، ناسية ان الولد هو حجر زاويتها الكبرى . جهلت التربية ، يومذاك ، انها تطلب من الولد نضجا لم يدركه بعد ، وهجرا لعالمه الخاص الذي يعيش فيه ، والذي بدونه لا يمكنه ان يكون ما يجب ان يكون . الولد المثالي ، في نظر قدامى التربية ، هو الذي يتنازل عن كيانه ، فلا يحرص على ان تحترم شخصيته . وما ذلك الا لان المربين القدماء كانوا يضخمون كثيرا قيمة الطاعة . ويبالغون في مالها من قيمة اخلاقية . ان الراشد يذهب فورا الى الغاية . ويطلب تحقيقها ، دون ما التفات الى نفسية الولد . ولقد جرى معظم الاباء مع اولادهم على طريقة الزام الطفل اطاعة الاوامر حتما ... على طريقة الاذعان الصادر عن القهر ورغم الانف ... ولسان حالهم يقول : يجب على الولد ان يفعل ما نريد نحن ، وان يعتقد صدق ما نقوله نحن ، لا لشيء اخر الا لاننا قد امرناه ذلك . تلك هي السلطة المطلقة ، التي تقهر الطفل على الامتثال ، من اجل الامتثال .

ومن هنا كانت التربية ، في مرحلتها الاولى ، ممتزجة بالمنطق والاخلاق . كانت مواعظ ، وارشادات ، وحكما . كانت كلمتها الدائمة : افعل ولا تفعل . لا شك في ان العلماء تناولوا بالتفسير ، يومذاك ، الكثير من الحالات النفسية عند الولد . تساءلوا لم يفكر الطفل ؟ ولم يفصح عن ذاته بهذه الطريقة ، لا بتلك ؟ ولم يتصرف ، في هذه الحالة ، او في تلك ، بالطريقة الفلانية ؟ اجل لقد تساءلوا مثل هذه التساؤلات . ولكنهم عجزوا عن تبيان حقائق نفسية الطفل ... عن اجلاء غوامضه ، وحل المعقد في شبكته . ولهذا لم تنته التربية القديمة الى نتيجة فعالة . اما عيبها فعائد الى ان العلماء ، يومذاك ، لم يختبروا عقل الطفل الا بالمعايير التي يقاس بها الراشدون . على ضوء مقاييس الراشد ، اراد المربون القدماء ان يدركوا عقل الطفل . ونحن نعلم ان الراشد ذو عقل مكتمل ، ينظر الى الامور ، دفعة ، من زاوية المنطق والاخلاق .

ثم جاء القرن التاسع عشر . هنا حدث تغيير في تاريخ التربية . لقد تنبه المربون الى ضرورة عدم التدخل في شؤون الولد ، الا اذا تعرض للاخطار . ان الولد ذو زعامة لا يجوز لنا ان نحطمها ... ذو عالم خاص به ، ومسلك خاص به . لولايتنا عليه حدود يجب ان لا نتعداها ان التضييق على حريته يقتل فيه قوى العزيمة ، ويضعف زخم شخصيته ، ويميت ملكة الابداع . الخير الصالح هو الذي يفعل بملء الاختيار، لا رغم انف . هو الذي يصدر عن ارادة مرتاحة . هذا الخير، الذي ينبثق من حرية واختيار، يرفع قيمة الانسان . علينا، اذن، ان نبقى (نحن الراشدين) على هامش عالمه، متاهبين فقط ودائما الى تشجيعه وتقدير اعماله، لا بالنسبة الى ما نرتايه نحن ، ولكن بالنسبة الى الجهود التي يبذلها وفقا لمنطقه الخاص . وهذا يعني ان المربي يجب ان يكون رفيقا للولد، يوجه نشاطه بلباقة، ويكتشف الدنيا التي يعيش فيها، ليقف هكذا على اسلوبه . المربي هو الذي يدور في فلك الولد .

نفتح كتاب اميل ، لروسو ، فنقرا ما معناه : وتريد الطبيعة ان يكون الاولاد اولادا ، قبل ان يكونوا رجالا . اذا اخللنا بهذا النظام ، اقتطفنا ثمرات خالية من النضج ، والطعم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلا تعتم ان تفسد . وبذلك يكون لدينا اساتذة احداث واولاد شيوخ . للطفولة انماط من البصر ، والتفكير ، والشعور ، خاصة بها . ولا شيء اقل صوابا من ان نستبدل بها ما عندنا . اني افضل المطالبة بان يبلغ الولد من الطول خمس اقدام ، على ان يكون حصيفا في العاشرة من سنيه. وما نفع العقل له في هذه السن حقا ؟ ... عاملوا تلميذكم على حساب سنه ، وضعوه في مكانه منذ البداءة ، وامسكوه فيه جيدا ، كي لا يحاول الخروج منه . هنالك يمارس اهم الدروس قبل ان يعرف ما الحكمة . لا تلقوا اليه اي امر ، في اي شيء ، على الاطلاق . ينبغي ان لا يتمثل وجود زعم لكم بأي سلطان عليه . ليعلم ، فقط ، انه ضعيف وانكم اقوياء ... ان وضعه ووضعكم يوجبان وجوده تحت رحمتكم بحكم الضرورة . لا تلقوا عليه اي نوع من العقوبات ، وذلك لانه لا يعرف ما فعل الخطأ . ولا تحملوه على طلب العفو ، مطلقا ، لانه لا يعرف انه اساء . وبما انه خال من كل خلقية في افعاله ، فانه لا يستطيع ان يصنع ما هو سيء خلقيا ، فيستحق عقابا او عتابا (١) .

كلام روسو فاتحة عهد وخاتمة عهد. لقد ظن قدامى التربية ان مشكلة الولد هي مشكلة كمية ... ان الفرق بينه وبين الراشد هو فرق في الدرجة ... ان نمو عقله نتيجة اضافات من هنا ، وحذف من هناك ، فيستقيم الامر . هذه النظرة السكونية ، الساذجة ، للولد ... هذا التفكير الممزوج بالمنطق والاخلاق ، والذي يبين صحيحا لاول وهلة ... لم يعد ذا قيمة عند علماء النفس المحدثين . ان مربيا كبيرا كبياجه Piaget ، يرى اليوم ان نمو عقل الولد يرجع بالاساس الى اختلاف نوعي (اي في النوع) بين الولد والراشد .

القضية ليست قضية وجود عناصر اكثر عند الراشد وعناصر اقل عند الولد . ان تفكير الولد يختلف كل الاختلاف عن تفكير الراشد . هو نوع اخر من التفكير ، هو نوع من الفكر تجاوزه الراشد ، وتركه خلفه . من اجل هذا يجب على المربي ان ينمي شخصية الولد ، وفقا للخصائص التي تكون قد وضعت فيه اصلا . ان الولد لا يشعر غير شعور ولد . لا يدرك غير ادارك ولد . ولا يتصرف غير تصرف ولد . ومن هنا قول بولس الرسول : « حينما كنت طفلا كنت اتكلم كطفل . وكنت افهم كطفل . وكنت افكر كطفل . ولكن لما صرت رجلا ابطلت امور الطفولة » (٢) . اجل اذا طلبنا من الاولاد ، وهم بعد اولاد ان يستبقوا سير التطور ، ليدركوا وهم اولاد ما ندركه نحن الراشدين ، ويفعلوا كما نفعل ، نكون على خطأ مبين في فهمنا لكيان الانسان . ان الولد لا يصير الرجل الذي يجب ان يصيره ، فيما بعد ، الا اذا كان اولا الولد الذي يجب ان يكونه ، بادىء بدء . فالذين يعتقدون بان الولد هو ولد لخلوه من النضج والرصانة ، يجهلون معنى التطور في الحياة . هذا التطور سير صاعد ، منتظم ، يتدرج من الادنى الى الاعلى. فمن اراد ان يدرك الاعلى ، دون المرور بالادنى ، اخفق في الاثنين معا. لا رجل الاو قد كان ولدا في البداية.

ماذا نستنتج من اقوال كهذه ؟ ان علم التربية لا يقوم بعد الان على غير اساس علم النفس La Psychologie ...

(١) راجع القسم الاول من كتاب Emile لجان جاك روسو .

(١) رسالة بولس الاول الى اهل كورنتيوس . الاصحاح ١٣

اي علم نفس الطفل . ولهذا لم تبزغ نهضة القرن التاسع عشر ، العامة في العلوم كلها ، حتى انعكف بعض علماء النفس ، وبعض المربين ، على الطفل لدراسته بطريقة امينة ، قوامها تسجيل الحوادث اليومية في حياته . وقد كان من السابقين لهذه الدراسة امثال بستالوزي Pestalozzi وجان جاك روسو Rousseau وغيرهما الذين نظروا الى التربية فرأوها ما زالت تنقصها التحسينات الكثيرة . هؤلاء هم الذين صمموا، بادىء بدء ، ادخال تلك التحسينات اللازمة. ولذا عمدوا الى الدراسات، التي تعزز الكشف عن حقائق نفسية الطفل، ويساعدهم على تطبيق المشروعات الموافقة

راوا ان المربي الحذق هو الذي يستكشف عقل الطفل ، اولا ، ويوجهه بعد ذلك بلطف ولباقة . وهكذا بدأت العلاقة تتوطد بين التربية وعلم النفس . فقد وعى المصلحون ، في التربية ، الاخطاء التي ارتكبها الاولون . وعوا ان للتربية قواعد نفسية يجب ان تعزز ، لتكون اصلاحاتهم في مأمن من النظريات الذاتية . ان ما اساء الى التربية ، في العصور الفائتة ، عدم ارتكازها على قواعد نفسية ... اي انجرافها خلف النظريات الهوائية . ولذا كان جلها يدور حول المربي ، او المعلم ، دون مراعاة بتة لنفسية الطفل . هذا ما تنبه اليه المصلحون التربويون ومن هنا تصميمهم الخطط اللازمة ، في سبيل ادخال التحسينات الواجبة .

ولكن هؤلاء المصلحين التربويين لم ينجوا من العثار في اخطاء السلف . لقد اصابوا عندما قالوا بان التربية يعوزها تركيز على قواعد نفسية ، وبذلك اقاموا لاول مرة العلاقة بين التربية وعلم النفس . ولكنهم ما عتموا ان انزلقوا في الشرك نفسه ، اذ التجأوا الى اصول نفسية هي من خلق واهتمتهم ، وضعت خصيصا لتتفق مع ارائهم التربوية . فهناك فئة ، مثلا ، تعتقد ان كل شيء يصنعه خالق البرايا حسن اصلا ، ولكنه يفسد بين يدي الانسان في المجتمع. وهذا لا يعني ، اساسا ، الا الاعتقاد ببراءة الطفل الطبيعية . ومن هنا توجيهها التربية نحو الاعتقاد بتلك البراءة . وقد اعتقدت فئة اخرى عكس ذلك . اعتقدت بتاصل الخطيئة في الطبيعة البشرية. ومن هنا توجيهها التربية نحو هذا الاعتقاد . كانت النتيجة ان بانت مساوىء التامل النظري . اذ لا يصعب اطلاقا على المرء ان يجد ما يرغب فيه . ان يجد ما يريده ان يكون . وبذا يعطي لنظريته السابقة ، الذاتية ، الحجج التي تدعمها وتعززها. متى اراد المرء شيئا ، تيسرت له الوقائع والامثلة التي تظهر انها في سبيل هذا الشيء . ان القلب يصبغ الامور بتلاوينه .

يبقى ان هؤلاء المصلحين ، في مطلع القرن التاسع عشر ، ذوو اياد بيضاء على التربية . يكفي انهم اعاروا الانتباه ، اولا ، للحالات الخاصة بطبيعة الطفل . لقد انطلقوا منه ، قبل كل شيء وفوق كل شيء . علموا ان الطفل هو غاية التربية . هو المدار الاول فيها . اجل ، لقد تحيزوا لارائهم الشخصية . ولكن هذا التحيز لم يستطع ان يحجب الحقائق الكبرى حجبا كاملا . هذه الحقائق (وان كانت لا تنسجم كل الانسجام مع ارائهم السابقة) برزت الى عالم النور . بانت جلية . وبذلك ساهموا في ايجاد علم نفس تربوي . هذا علم النفس التربوي ، الذي بدا يتكون منذ اوائل عصرنا ، ينظر الى تربية الطفل نظرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محايدة . ان المربين المحدثين يتجردون عن كل محاولة تريد ان تعزز احدى النظريات السابقة . جل همهم ان يعرفوا جبلة الطفل ، في طبيعتها الاصلية . ومن هنا ازدياد عدد علماء المربين ، يوما بعد يوم ، واتجاههم نحو تبني طريقة جديدة تقوم على مجموعة من الاسئلة ، التي تكشف عن محتويات باطن الطفل . وقد ظهر على اثر ذلك ، نهضة قوية في ايجاد الاختبارات المنظمة التي ساعدت — الى حد بعيد — على تركيز التربية بصورة ايجابية .

اذا اردنا ان نأخذ شاهدا على تشابك علم النفس بعلم التربية ، وجدنا في محاولة الفرد بينه Alfred Binet احسن مثل على ذلك . فقد تنبه المعلمون في باريس الى مشكلة تربوية خطيرة ، هي هذه : هل المتأخرون من الطلاب عاجزون عن التعلم ، ام انهم لا يرغبون فيه ، ام انهم يتعلمون باسلوب خاطىء ؟ وقد لجأ المشرفون على التعليم ، يومذاك أي في اوائل هذا القرن ، الى العالم النفسي الفرد بينه ، كي يجيب عن هذا السؤال . وصادف ان بينه كان منعكفا منذ اعوام ، على درس الحالات العقلية العليا . ولكن درسه ذلك لم يكن يتسم بغير طابع سيكولوجي محض . ثم جاءت المشكلة التربوية ، فكان مقياسه للذكاء .

يجب التنويه ، ههنا ، بانفصال علم النفس — في الوقت ذاته — عن الفلسفة التقليدية . لقد ثار علماء النفس ايضا ، على الفلسفة التقليدية التي كانت تصبغ دائما بألوانها كل محاولة لتفهم النفس البشرية . ولذا نرى علم النفس يتحرر من النظريات الاهوائية السابقة ، ليتجه نحو العلوم الايجابية : كالفيزياء ، والكيمياء ، والطب . وقد تجمعت حقائق نفسية كثيرة ، على اساس علمي ، تصلح اليوم للتطبيق المباشر في التربية . . . نعني في العمل المدرسي . لهذا خطت التربية ، في ميدان علم النفس ، مسافات بعيدة ، حتى اصبح عالم النفس التربوي لا ينتظر النتائج التي يصل اليها علم النفس ، والتي يمكن ان يفيد منها لاغراضه التربوية . لقد صار عالم النفس يقتحم الجوانب النفسية ، بغية حل مشاكل تربوية . هو يطرق ابواب علم النفس كلها ، حين يشاء ، ويستخدم أي منهج من المناهج النفسية ، ويعدل ، ويغير ايضا ، اذا تراءى له ان ذلك التصرف يفي بغرضه الخاص ، ويوصله الى نتائج تربوية صالحة .

لنضرب مثلا على ما لاسانيد علم النفس من علاقة بالتربية . وهو (أي المثل) مأخوذ من حادثة جرت لالفرد بينه مع فتاة كانت قريبة منه (١) . هذه الحادثة تدور على تمرين الذاكرة . اسم الفتاة ماتيلد ، في العشرين من العمر ، تدرس الغناء منذ عدة سنوات . وقد احبت كثيرا هذا الفن ، ودرسته بشغف ولذة وسرور . لكنها لم تتوصل الى نتيجة مرضية ، على الرغم من ان صوتها لا بأس به . والنقص الذي كان يعيقها من التقدم ، في الغناء هو انها لم تستطع بعد تلك المدة الطويلة ان تحفظ لحنا واحدا عن ظهر قلبها . لهذا لم تكن قديرة على الانشاد ، الا اذا ضرب امامها نغم الانشودة ، او اذا ساعدها الاستاذ باعطائها الطبقة . وكان استاذ ماتيلد سيدة ، تجهل تماما نواميس علم النفس . ومن هنا خطاها التربوي في الحكم على تلميذتها . قالت لها ماتيلد ، يوما ، بانه يعوزها شيء من الذاكرة الموسيقية . اجابت الاستاذة : « اذا لم يكن لديك الذاكرة الوافية ، فان ذلك يدل على انك لست بموسيقية . ونحن عاجزون ان نفعل شيئا ، وانت على هذه الحال ، بل ينبغي لك ان تتركي الموسيقى » .

هذا الحكم الخاطىء ، من الاستاذة ، كاد يودي بماتيلد كاد يخلق في وجدانها عقدة نفسية ، ويثبط عزيمتها . ثم التقاها بينه ، فوجد انها فتاة ذكية ، ذات ذاكرة قوية ، لا عيب فيها اطلاقا ، بدليل مقدرتها على حفظ ما كان يحدث لها في حياتها اليومية . تحفظ الشعر ، والامثال ، والكثير من صفحات الاداب الخالدة . كيف اذن اصابها ضعف الذاكرة ، في اللحن الموسيقي ، وهي منكبة على درسه منذ سنين . اليس عجيبا حقا ان تكون ذاكرتها قوية في كل النواحي ما عدا الموسيقى ؟ هل هذه الفتاة خالية من ذاكرة موسيقية ؟ تلك هي الاسئلة ، التي طرحها بينه على نفسه ، وراح يبحث في الاجابة عنها . وقد طلب من ماتيلد ان تذكر له القطع ، التي تدرسها ، والتي تقدمها لها استاذتها بغية حفظها . فوجد انها اعطيت لحن (فالون) Le Vallon للموسيقي (غونود)، وهي ما زالت تدرس فيه منذ ستة اشهر ، دون ان تتمكن من حفظه عن ظهر قلبها . واخذ بينه يحلل حادثة ماتيلد ، حتى عثر على مكمن الخطأ .

الخطأ هو في الاستاذة المربية ، لا في ماتيلد ، التي ظن ان ليس لديها شيء من الذاكرة الموسيقية . يقول بينه بان القطع الموسيقية ليست على درجة واحدة من الصعوبة منها الصعب ، ومنها السهل ، ومنها ما كان هذا وذاك . ولتمرين الذاكرة قاعدة نفسية معينة ، ونهج واضح لا يتغير هذه القاعدة يجب ان نعرفها ، اذا كنا نريد ان نحصل على البلاغ ، والا بقيت جهودنا بدون منفعة . هذه القاعدة النفسية للذاكرة تقول بانه يجب البدء بالسهل ، ثم التدريج الى الصعب ، فالاصعب شيئا فشيئا . وقد بدأت ماتيلد بالصعب فورا ، وكان ينبغي ان تعطى اولا القطع السهلة جدا ، ثم تزيد شيئا فشيئا في حفظ القطع الصعبة وبذلك تدرك ماتيلد غايتها بكل سرور ، فلا تتهم ذاكرتها بانها ضعيفة . وقد اتى الفرد بينه بهذه الحادثة ليدلل على اهمية معرفة القواعد النفسية في اعمال التدريب التربوي . ان لتمرين الذاكرة طريقة نفسية ، اذا اتبعنا غيرها ، فقدنا ما لدينا من ذاكرة وابتعدنا عن الهدف المنشود بدلا من ان نقترب اليه . ان جهلنا لناموسية الحالات النفسية هي التي تضلنا السبيل القويم ، في ميادين التربية ، وهي التي تجعلنا نطلق احكاما خاطئة على تلاميذ ليسوا اصلا من فاقدي الاهلية .

لم تكتف التربية باسانيد علم النفس . لقد تبنت اسانيد تحليل النفس La Psychanalyse التي فتحت امامها افاقا جديدة واسعة . فنحن نعرف اليوم ان اللطيفة البشرية تتالف من ذات واعية وذات لا واعية . الذات الواعية هي المنطقة الواضحة ، الامامية ، المعلومة ، في مدى الوجدان . هي شمس هذا الوجدان . وهي التي وقف عندها علم النفس ، مدة طويلة ، وعلل جميع مظاهرها على اساسها . ولكن الباحثين رأوا ، في اواخر القرن الماضي ، عن طريق الطبابة النفسية ، ان ثمة ذاتا لا واعية . هذه الذات اللاواعية هي المنطقة الغامضة ، الخلفية ، المجهولة ، في مدى الوجدان . هي قمر هذا الوجدان . وهي التي يقف عندها

(١) راجع Alfred Binet في كتابه Les Idées modernes sur les Enfants ص ٢٣٢ الناشر Flammarion ١٩٤٩

علم تحليل النفس ، في وقتنا الحاضر ، ويحاول ان يعلل اكثر مظاهرنا الواعية على اساس الذات اللاواعيه .

الواقع ان النفس البشرية تحتوي على طبقات عميقة. هي اعمق اعماقها ، التي لا تدركها الذات الواعية . وقد ذهب البعض الى ان تلك الذات الواعية (الانا) امتداد للذات اللاواعيه (الانا العليا) ... تبلورها ... تستمد منها لفظها المحرك ، الذي يحدو على العمل . قد يكون ، في هذا القول ، بعض المغالاة . المهم ، ان الذات الواعيه كثيرا ما تنشأ عن نزعات لا واعية نزعات تمتد شروشها، في بعيد الماضي ، حتى تتناول الوراثة . هذه النزعات الوراثيه ، اللاواعية فينا ، يجب علينا ان ندركها ... ان نفهمها تمام الفهم ، لنتمكن من الوصول الى التقويم . لا سبيل بغير ذلك الى اصلاح المعوج في عاداتنا . هناك دوافع اساسيه ، في سلوكنا ، تعود باسبابها اما الى الطفولة المبكرة ، واما الى ما وراء خط هذه الطفولة ... الى انحدارها بالوراثة من اقصى الماضيات .

اجل من الخطأ الاعتقاد ان التربية تبدأ من ذلك الجزء الواضح الذي يدركه الانسان من حياته اي الجزء الواعي. ان مثل هذا الاعتقاد يجعلنا نقلل كثيرا من اهميه السنوات الاولى ، في حياة الانسان ، التي تبقى غالبا محاطة بالابهام.

كثيرا ما يأتي الولد الى المدرسة ، مزودا طرازا من التصرف هو امتداد لما يكون عند اهله في البيت . يأتي وله طريقة خاصة . وله مجموعة من الصفات لهذا نرى العدد العديد من المعلمين يشكون من انهم قلما يتناولون الاطفال خاما . هم ليسوا صحائف بيضاء لقد خطت على تلك الصحائف بعض الاسطر . ومن هنا الصعوبة في تعويدهم ان يسلكوا اتجاها معينا . ذلك لانهم يكونون قد عاشوا في جو مغاير من المرح ، او اللعب ، او الحزن ، او اللامبالاة او الحرمان ، قبل مجيئهم الى المدرسة . الحق ان هؤلاء الاطفال ليسوا اطفالا . لم يعودوا اطفالا . لقد اصبحوا رجالا مهيئين ، او معدين .

ان كتب تحليل النفس كلها تشدد على ما للمنطقة اللاواعية من اهمية كبيرة في توجيه تصرفاتنا اليومية . هذه المنطقة اللاواعية جهلها علم النفس التقليدي ، وجهلتها الفلسفة التقليدية ايضا ، ولم يكن لها اثر يذكر في المعارف الانسانية . ثم جاء عصرنا الحالي ، وكشف بطبه النفسي عن تلك المطاوي المخبوءة في الاعاميق . التي تكوّن قاعدة حياتنا كلها . هذه المطاوي كثيرا ما نجهلها . وكثيرا ما تكون سبب اصابات مرضية ، اذا لم نحسن مواجهتها بتربية سليمة قوية ، في ما يعتري طريق حياتنا من ظروف قاهرة وملمات غامضة .

يقول سيجمند فرويد بان الخبرة التي اكتسبناها من تحليل النفس ، زادت في معرفتنا للكثير من قضايا التربوية فهو (اي التحليل للنفس) الذي اقنعنا بصحة الرأي الشائع ا ن الطفل اب الانسان الراشد . وهو الذي ارانا ما لحوادث الاعوام الاولى من اهمية عظمى بالنسبة لحياتنا كلها (١) . وقد ذكرت ابنته آنا فرويد ، في بعض محاضراتها ، عددا كبيرا من الامثلة التي ترمي اضواء وافية على علاقة التحليل النفسي بالتربية (٢) . ذكرت عدة امثلة نورد بعضها .

عرفت ولدا كان مغرما ، في سنواته الاولى ، غراما شديدا بكل ما هو حلوى . وقد جنح به هذا الغرام للحلوى حتى عجز اخيرا عن اشباع شهوته بالطرق اللائقة المشروعة. لهذا اجبر على ان يلتجيء الى مختلف الاساليب والحيل ، كي يحصل على الحلوى . كان يتخذ اي سبيل غير شرعي، كي يدرك المزيد منها . ثم اضطر اهله ان يلجاوا الى التربية ، ليوقفوه عن شهوته ، فحرم اخيرا اكل الحلوى . وترعرع الطفل ، وشب ، حتى اصبح راشدا . وقد تمكن من ان يملك مالا كثيرا ، ومن ان يبتاع بحرية اكبر . صار بمقدوره الان ان يشتري جميع الحلوى من اي دكان . ولكن لم يستطع ، رغم كل ذلك ، ان يأكل قطعه واحدة من الحلوى ، دون ان يحمر وجهه احمرارا زائدا . لا عجب ، والحالة هذه ، اذا استنتج الناظر اليه انه يأتي عملا غير مشروع ... انه يقوم بسلوك حرام . كاننا به يأكل حلوى قد ابتيعت بمال مسروق . ذلك التحريم ، الذي فرض عليه في طفولته الاولى ، ما زال يفعل فعله في جوانبه . ان مربيا ، يجهل هذا الحدث ، يضل سبيل التقويم . ينحرف عن كيفيه تربيته بصورة مجدية .

حكاية ثانية . ولد احب امه حبا شديدا . واتجهت كل رغباته نحو ان يملأ المكان الذي كان يشغله ابوه ... نحو ان يكون موضع ثقتها ، والمدافع عنها . وقد عرف الولد انه يطلب المحال . ان والده هو صاحب الحق الشرعي. وهو قادر على ان يبعده عن امه ، ساعة يشاء ، وكيف يشاء . انه ضعيف حيال ابيه ، عاجز ازاءه . ولهذا كان يقاسي آلاما مستمرة ، اوجدت فيه الخوف من قوة ابيه . ثم ترعرع الولد ، وشب ، حتى اصبح شابا . وصار من الطبيعي ان يحن الى معاشرة الفتيات . لكن كان يظهر جبنا وترددا مزعجين ، موجعين ، في كل مرة يتعرف بها الى فتاة . هذا الخوف الشاق منعه من الارتياح في حضرة الفتاة . وكم جعل مركزه محرجا ، لا يطاق . اذا ما وجد نفسه ازاء شابة . وليس صعبا ان ندرك سبب هذا الجبن ... علة هذا التردد . فقد كان يخشى ان يأتي احد الناس ، ويعلن حقه الشرعي على الفتاة ، فيقول بانها تخصه . ولذا كان يتحاشى كثيرا هذا الموقف المحرج ، الذي استنفد قسطا كبيرا من طاقته النفسية ، وتفكيره العقلي، ليخلق الاعذار . اية اعذار ؟ تلك التي تمكنه من ان يبرر وجوده في المنزل .

لقد كان تحليل النفس اول علم واجه تلك العقد النفسية ، وحاول ان يعالجها ، كي نصل به الى معرفة الكثير من تصرفاتنا في الحياة اليومية . ولا يمكن ، اليوم ، اهمال هذه النواحي من الطفولة المبكرة . اذ بها نستنير ، ونسترشد ، بغية الوصول الى تربية صحيحة . بدون التحليل النفسي ، يعسر جدا وضع الاصبع على الامراض، التي يعانيها الاولاد الراشدون . ومن هنا الاثر الكبير الذي احدثه تحليل النفس في ميادين التربية الحديثة .

كثيرا ، بل دائما ، ما نهون خطر الطفولة في البيت . نترك الطفل ، هنا ، يحاط باتعس الظروف . نتركه عرضة

كمال يوسف الحاج

[التتمة في صفحة ٧٥]

(١) راجع كتاب Sigmund Freud تحت العنوان الفرنسي Abrégé de Psychanalyse الفصل السابع الناشر Presses Universitaires de France

(٢) راجع كتاب Anna Freud تحت العنوان الفرنسي Le Traitement Psychanalytique des Enfants المحاضرة الاخيرة للناشر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطاع الطريق

○

« لا تقسمي »
وتثاءب الماضي السحيق
والليل والافيون والماضي السحيق
في حانة الموتى وقطاع الطريق
كنا نعيد حكاية بلهاء عن صبح رقيق ،
عن حبنا ،
كنا نعيد ولا نطيق
ان تسكت الاصوات والدم والرحيق
في حانة المرضى ،
نعيد حكاية الماضي العتيق
وتمر اشباح تجر وراءها سحبا تموت وتستفيق
سحبا من الافيون والدم والعروق
تنأى وتنأى كالصدى بعد الشهيق
وأنا اعيد لها حكاياتي ، اعيد ولا اطيق
صمتي واصوات الحيارى في الطريق

« لا تقسمي »
ومضغت قلبي في فمي
« أخشاكِ ، أخشى ان يفور تأثمي
ويموت فيك توهمي
فتثور في نبضي اساطير الزمان المعدم
وتدق الاف المعاول في دمي »
وحجبت عن عيني ضباب التبغ والمرضى ،
وليل تأثمي ،
فلمحت ما أبقت لي الامراض من حب سخي ملهم
وحبست قلبي في دمي ،
ودفعت نفسي في الطريق المظلم ،
اعدو مع المرضى وقطاع الطريق المظلم

فـؤاد رفقـه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كل بيت اسطورة

بقلم موسى سليمان

*

لم تتنكر الحضارة الغربية للاساطير فتقف منها موقف الخوف والحذر ، او تعمل على طمسها ومحوها من عالم الفكر والعلم والادب ، بل نراها ، على العكس ، تنبش هذه الحكايات الغريبة من مخبآتها فتجند، في سبيل ذلك ، جيشا عرمرما من العلماء المتخصصين ، ينقبون في بطون الارض ، مفتشين عن اي اثر من الاثار القديمة ، يستنطقونه اخبار الاولين ، وسير مدنياتهم ، وروح معتقداتهم .

ولقداستطاع هؤلاء العلماء بما بذلوه من جهود جبارة، في الحفريات والتنقيبات التي قاموا بها ، منذ اكثر من مئة عام ، وما يزالون ، ان يغيروا مجرى التاريخ بما اكتشفوه في مختلف المدن والبلدان التي عمرت بالشعوب القديمة وتمتعت بالحضارات الشرقية .

ولم يكتف عالم الغرب ، العالم المتمدن ، بالقيام بدور الباحث المنقب عن اصل هذه المدنيات وجذور الاديان القديمة ، بل راينا ، راينا هذا العالم بعلمائه وادبائه وشعرائه ومفكريه يقبل على الاسطورة اقبال الظمآن على حبة الماء يرتشف من معينها ، ويغذي روحه وخياله من روعتها ، ثم هو يشرح الدين والتاريخ على اساسها ويقرض الشعر الجميل من وحيها . كما استطاع ان يستوحيها روائع من الفن خالدات ، ما زالت تعمر بها متاحف اوربا واميركا وتزدهي . وساقتصر في مقالي هذا ، على مظهر واحد للاساطير ، هو اثرها العملي الذي ما زال ظاهرا في جميع مناحي حياتنا الاجتماعية ، يعيش معنا حتى اليوم ، واكثرنا لا يدري انه متحدر الينا من الاساطير . وسيجري البحث في الحكايات التي رويت عن آلهة اليونان والرومان دون غيرهم من الالهة .

ولنبدأ باسماء النجوم والكواكب ، السيارة منها والثابتة ، تلك التي يعج بها هذا الفلك الدوار ... من اين اشتقت اسماؤها ؟ وكيف توصل العلماء الى تسميتها ؟

ما هي زيتا وايتا وامكرون ، والكلب الاكبر ، والكلب الاصغر ؟ ولماذا دعيت بالعذارى الخمس او بابسلون ؟ من اين جئنا بالدب الاكبر والدب الاصغر ، ومئات الاسماء لمئات الكواكب اللامعة في كبد السماء ؟ امثال : بنات نعش الكبرى ، والثريا ، وعقد الثريا ؟ والسماك الرامح ، والسماك الاعزل ؟ والشعرى اليمانية والشعرى الشامية ؟ والتنين، والدلفين ، والمجرة وعطارد ، وقنطورس وقيفاوس ، وقيطس (او سبع البحر) وقد اطلقت اعضاء جسده على الكثير من النجوم فقيل : منخر قيطس ، وذنب قيطس ، وكف قيطس ، وبطنه .. الخ الخ .

ما اصل الزهرة ويونون ؟ والمشترى والمريخ والجبار؟ والطاووس والشاهين ، والعقاب ، والحمل او الكبش ، والحوت والثور وغيرها من اسماء الحيوانات والطيور التي سميت بها الكواكب ؟ ولم سميت بها وكيف ؟

لو جئنا نجيب عن بعض هذه الاسئلة بالتفصيل لاستغرق البحث معنا الصفحات ولكنني ساكتفي بعرض بعض الالهة في اساطير اليونان والرومان ، محاولا ان اذكر بعض ما تركته الحكايات التي وصلتنا عنهم وعن حيواتهم من اثر في العلوم والفنون والشعر والادب .

ولنأخذ جوبيتر ملك الالهة . فالتاريخ اليوناني يروي لنا ان الالعاب الاولمبية التي ما يزال العالم المتمدن يشترك في احيائها كل اربع سنوات مرة ، هي من وضع الاغريق القدامى ، كانوا يقيمونها تكريما لجوبيتر العظيم ليؤدوا ما لهذا الاله من دين وفضل عليهم . ولقد بدات الالعاب الاولمبية عام ٧٧٦ ق.م وكانت تزداد اهمية على ممر الزمن وكر الاعوام . ولم تكن تلك الحفلات معرضا لاجمل الاجساد الرياضية العالمية فحسب ، بل كانت تفسح المجال امام كبار العباقرة من موسيقيين وادباء ، ونحاتين ومصورين ليعرضوا نتاجهم الفني امام الجماهير . اما العالم الحديث فلم يرث عن اليونان من حفلاتهم الاولمبية سوى وجهها الرياضي

والمقول ان قارة اوربا قد اكتسبت اسمها من فتاة فينيقية كانت تعيش على شواطىء بلادنا اسمها اوربا . رأى جوبيتر هذه الفتاة العذراء الجميلة تلعب مع لداتها على الشاطىء فاعجب بها واستهواه جمالها واراد ان يخطفها فاحتال ، لذلك ، بان حول نفسه الى ثور ابيض . ثم اخذ يغريها على امتطاء ظهره . وما ان صعدت العذراء الجميلة على ظهر الثور الابيض حتى طار بها ، يقطع الفيافي والاودية متنقلا من عالم الى عالم ، ومن قارة الى قارة ، الى ان حط على الارض . فدعا الارض تلك باسم اوربا تكريما للعذراء ورفعا لشأنها !...

اما اسم الاله جوبيتر ، وهو زاووس باليونانية ، وهرمز بالفارسية ، فلقد اطلق على اكبر سيارات النظام الشمسي . وسماه العرب المشتري . وكان المنجمون يتفاءلون به فدعوه : السعد الاكبر .

ومن الطريف ان نذكر ان جوبيتر ، وهو من هو من العظمة والجلال ، الاله الاكبر ، وملك الالهة ، وسيد الاولمب ، جوبتر العظيم هذا ... يحب الجنس البشري ، ويميل قلبه الى هوى الجميلات من بني الناس . فلقد هام حبا بامراة من اجمل نساء دهرها تدعى كليستو Callisto فغضبت من هذا الحب يونون Junon زوجة الاله جوبتر واخته . فما كان منها ، ارواء لغضبها ، ونكاية بزوجها ، الا ان حولت كليستو الى دبة . فراحت هذه الدبة المسكينة تتيه في الاحراج والغابات من مكان الى مكان الى ان وقعت عليها عين ارغاس Argus ابنها الصياد الماهر . فاراد ان يصطادها ، لانه لم يعرفها ، ولكن جوبتر ، وهو الاله العاشق ، كان يسهر على كليستو بعين عنايته ، فلم يسمح بهذه الجريمة الشنعاء فرفع بقدرته الابن وامه الى ... السماء ! فكان لنا هناك مجموعتان جميلتان من الكواكب السيارة هما : الدب الاكبر والدب الاصغر .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولجوبتر حكاية اخرى عن حبه وعشقه العذارى من بنات هذه الارض . قيل ان كبير الالهة شغف بصبية حسناء تدعى يو Io . وكان من الطبيعي ان يثير هذا الحب غيرة يونون زوجة جوبتر واخته . فما كان منها وهي الزوجة الغيرى الا ان حولت العذراء المسكينة الى بقرة بيضاء ، ووضعت عليها حارسا يقظا يحرسها خوفا من ان تهرب فتجتمع بجوبتر . وكان هذا الحارس ، واسمه ارغاس Argus مخلوقا عجيبا له مئة عين يستطيع ان يرى بها ما لا يرى . فقام بحراسة الصبية خير قيام ، ولم تستطع يو المسكينة ان تتفلت من نظراته الحادة الصارمة، الا بمساعدة الاله عطارد Mercure الذي رق لحالها واحتال على ارغاس فاخذ يخرفه بالف خرافة وخرافة حتى اخذت عيون الحارس الحادة تنغلق الواحدة تلو الاخرى . فاستسلم في نوم عميق مما سهل قتله وخلاص يو الحسناء منه . اما يونون زوجة جوبتر واخته فتعتبر ملكة السماء وحامية الزواج . ولقد اطلق اسمها على سيار صغير يقع بين المريخ والمشتري كما اطلق اسم الحسناء يو التي احبها جوبتر ، على النجم الذي يتوسط مجموعة النجوم السائرة وراء المشتري .

وظهر اثر هذه الاسطورة في اللغات الاجنبية فقالوا : (ارغاس ايز Argus Eyes) اي عيون حادة البصر ، شديدة التيقظ . وقالوا : فلان (ارغاس ايد Argus Eyed) اي يقظ حاد النظر .

وليونون زوجة جوبتر اثرها في الاداب والفنون . فهي تظهر دائما بصورة سيدة جليلة محترمة ، تتدثر بثوب طويل وتحمل ، في اكثر الاحيان ، صولجانا رمزا لسلطانها كملكة . ويرى غالبا بجانبها الطاووس ، وهو طائرها المفضل . اما لماذا يحمل الطاووس عشرات العيون على ذنبه فذلك يرجع الى النادرة التالية : عندما قتل ارغاس ، وهو يحمل مئة عين كما راينا ، لم تجد يونون ، مكافاة للطاووس الجميل ، افضل من ان تجمع هذه العيون الحادة الكثيرة ، وتزين بها ذنب طائرها الحبيب !...

والاطرف من هذا وذاك ان يطلق الاميركيون اليوم ، في القرن العشرين كلمة ارغاس Argus ، وقد مر معنا معناها الاسطوري ، على آلة للتصوير هي من احسن وافضل الالات الفوتوغرافية الحديثة . ولقد اتيح لي ان ازور معملا لهذه الالات في مدينة اوماها نبراسكا في الولايات المتحدة . ولا شك في ان القارىء يلاحظ العلاقة الوثيقة بين حدة النظر ، وقوة العيون الاسطورية عند ارغاس الاسطورة ، وبين آلة فوتوغرافية حديثة ارادها مخترعها بمئة عين وعين ، ترى كل شيء ... وتلتقط كل شيء ... وتسجل كل شيء ...

فتامل ...

الجامعة الامريكية بيروت **موسى سليمان**

ل. هـ. ب. روبرتسون

استاذ الفيزياء الرياضية في معهد كاليفورنيا

طبيعة الكائنات : الكون

ترجمه ووضع حواشيه وعلق عليه

يوسف اسعد داغر

○

من ادق القضايا واشقها (*) على العقل والعلم معا ، ومن اشملها على الاطلاق ، القضية التي تتعلق بمركز ارضنا من الكون وبمحلها من الاعراب في هذا الوجود المعقد الغامض ، وهي قضايا وقف حيالها العقل لا يبدي ولا يعيد ، ووقف منها العلم موقف الاعشى في رابعة النهار يتلمس طريقه تلمسا . وقبل ان يتمكن الانسان من تبيين هذه المشاكل والتعبير عنها ، وقبل ان يتمكن من تحييز نفسه كمية متميزة عن العالم الذي يعيش فيه ومن هتك حجب اسراره وتحديد ما يشده به من روابط واواصر عليه ان يمد نفسه بصورة ما او بنظرية تقرب شيئا من مفهوم الكون الذي هو منه واليه ويتيه في فضائه . عليه ، وفقا للمصطلح العلمي الذي نحته تنظيما منه لافكاره ونظرياته ، ان ينشىء له مخططا لهذا الكون الذي يعيش فيه يعرف بـ « الكوسمولوجيا » . وقد يجمح به الخاطر الشرود ، فيطوح به الى ابعد من وصف خارجي لهذا الكون الذي يعيش ضمنه فينصرف للتجريد، دارسا منه طبيعته ، وغاياته ، واصله وفصله ، ونشاته ، كل هذا وفقا لما اصطلح على تسميته بـ « علم الكون » او الاونتولوجيا ، والتليولوجيا او مطلب الغاية «الكوسموغونيا» او نشاة الكون .

ان النظريات العلمية حول الكون هذه النظريات التي ابتدعها الانسان عبر التاريخ مرضاة لفضوله العلمي ، تتسم بطبيعة البيئة التي اكتنفته ، او جاءت استجابة لما يجيش به من مطامع ومصالح ، او يتحسس به من عقائد ، هي صدى

(*) ابتداء من هذا العدد ، توالي « الاديب » نشر سلسلة من الابحاث العلمية بعنوان : « منازع العلم الحديث » تتالف من اثني عشر بحثا ، لمثل هذا العدد من مشاهير العلماء في العالم ، يبدون فيها ، كل في حقل اختصاصه ، وجهة نظرهم حول معطيات العلم الحديث ومنازعه في المستقبل الطالع . وقد استعرضوا في ابحاثهم هذه طبيعة الكائنات في هذا الوجود ، وخصائص المادة ، والحياة واسرارها ، والانسان وسر وجوده ، ومشكلات العقل البشري لتنظيم معارفه وضبط نشاطه

للمعتقدات التي سادت مجتمعه البشري في الزمان والمكان المحددين . وهكذا لا بد لمن ينعم النظر في هذه الامور الا ان يتبين لدى بعض الشعوب القديمة في الهند « كوسمولوجيا » بدائية ، مقوماتها تبدي صور الاشياء والافكار العادية التي يعيشها الانسان كل يوم من ايامه ، فتبرز الارض ، من خلال الكوسمولوجيا الهندية كأنها طبق من ورق الشاي محمول على ظهر ثلاثة فيلة واقفة معا على ظهر سلحفاة جبارة . اما نظرة الهنود القدامى للكون ونشوئه ، فلا يبدو انها بلغت عندهم اي اهتمام للتساؤل من اين جاءت السلحفاة التي تنهض بالطبق المذكور

هذا في الهند ، اما الاغريق القدماء الذين تأثروا الى حد بعيد بنظرية ارسطو الذي يتمثل كمال الصورة في الشكل الكروي او الدائرة ، فقد رسموا الارض وصوروها على شكل دائرة تامة يحيط بها القمر والشمس والكواكب السيارة وكلها دائر حول الارض راسما دائرة غاية في الاتقان . وهذا النظام الارضي الذي توهموه افرغوه ضمن كرة سماوية ، فرش اديمها بالنجوم الثوابت التي تدور يوميا حول الارض : مركزها الاساسي وقطبها الاكبر .

ان نظرياتنا الحديثة عن الكون ، موضوع بحثنا هنا ، ليست هي الاخرى سوى حصيلة او مرآة لهذا العهد الذي نعيش فيه ، وهو عهد جعل من التطور العلمي عقيدة لها من الرسوخ رسوخ العقائد الدينية ، وهي عقيدة تسربت الى كل منحى من مناحي الحياة . ولما كنت اود ان اشدد هنا على هذه النظريات التي تقع ضمن نطاق العلم ، فساقتصر في بحثي على « الكوسمولوجيا » وحدها دون ان استطرد الى هذه المباحث الفلسفية التي تتعلق بطبيعة هذا الكون ، والغاية منه ، واصله ونشأته مما سبق واشرنا اليه لماما في ما تقدم . ساعني باقتضاب ، بهذه النظريات العلمية التي كوناها حول هذا الوجود ، وهي نظريات واراء استقامت لنا بفضل ما اقمنا تباعا ، من فرضيات وحدسيات وتجارب ، عندما اخذنا نحملق في القبة الزرقاء نستشف منها اسرارها الخفية، مستعينين على ذلك ، بما من دهاء في الآلات والاجهزة التكنية ، كالمرقب ، والمطياف (مقياس الطيف) فمكنتنا من هتك اسرار الطبيعة والكشف عن نواميسها وتفهمها ، وتنسيق ما يبدو لنا من اسرار هذه الابعاد السحيقة ، وفقا للنواميس التي مكننا من وضعها

واستثمار ما فيه من قوى عليا عاقلة .

ويقوم باعداد هذه الابحاث وبابرازها بحلة عربية قشيبة الاستاذ يوسف اسعد داغر من اسرة الاديب ، الذي برهن فيما نشرناه له في الحقل العلمي ، على ان ثقافته العلمية لا تنقص بشيء عن ثقافته الادبية والتاريخية ، وعما عرف عنه من طاقات واختصاص في علم المكاتب والببليوغرافيا اللذين برز فيهما اخصائيا كبيرا له وزنه وشانه في الاوساط العلمية .

(١) يقطع النور المسافة بين الشمس والارض في ثمان دقائق مع العلم انه يقطع ٣٠٠،٠٠٠ كيلو متر في ثانية واحدة .

(٢) نيقولا كوبرنيكوس ، راهب بولوني وعالم من علماء الفلك . هو اول من قال وعلم ان الشمس وليس الارض ، هي قلب نظامنا الشمسي ، فكان

الارصاد العلمية والاختبارات الضيقة النطاق التي قمنا بها على هذه الارض .

والاشياء التي ساعني بالبحث عنها والتكلم فيها ، هي التي تمت بصلة الى ارضنا هذه والى رفيقاتها او رصيفاتها في نظامنا الشمسي ، على ان اتخذ منها ثكاة للعبور الى النجوم التي يتألف منها جهاز مجرتنا ، حيث نمر بالشمس مرورنا بالطيف ازاء الوف الملايين من النجوم التي تتكون منها المجرة . واخيرا لا بد لي من ان انظر معكم بعين الفكر والخيال فقط ، خلال مشارف الفضاء البعيد السحيق لنصل معا الى قبضة من العوالم ، الى هذه السدم الجبارة ، وبينها عدد كبير يشبه مجرتنا من حيث الحجم والتركيب ، يصلها بعضا عن بعض ، افضاء وامداء شاسعة، بحيث يقتضي للنور المنطلق من احدها الى الاخر ، ملايين من السنين الضوئية (١)

جعل الانسان ، خلال الاحقاب التاريخية السحيقة التي تعاقبت عليه ، من هذه الكرة الارضية التي يعيش فوقها والتي تبدو له منبسطة مسطحة ، قلب الكون ودائرة قطبه. فجاء كوبرنيكوس (٢) ، منذ نحو اربعمائة سنة ، يعلم عكس ما استقر في اذهان الناس من ثبوت الارض ودوران الشمس حولها ، فاحدث في علم الفلك ثورة قلبت المتعارف منه ظهرا لبطن ، ورأسا على عقب ، اذ نقل مركز القلب في عالمنا من الارض الى الشمس وجعل من الاخيرة القطب الذي يدور حوله نظامنا الشمسي . وهذا التطور في النظرية العلمية لم يكن له بحد ذاته من الخطر والشأن بقدر ما كان للنتائج التي ترتبت عليه ، اذ انه افضى عن طريق الارصاد والتسجيلات العلمية المتتالية التي قام بها تباعا تيشو براهي (٤) (١٥٤٦ — ١٦٠١) Tycho Brahe وكبلر (٤) (١٥٧١ — ١٦٣٠) Kepler وغاليلو (٥) (١٥٦٤ — ١٦٤١) Galilée الى فجر العلم الحديث وما اليه من مبادىء الميكانيكيات ، ونظريته الجاذبية التي طلع علينا بها اسحق نيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٧) Isaac Newton وهكذا استطاع الانسان منذ وجوده على الغبراء ، ان يتبين بنجاح مطرد ، حركات النجوم والاجرام السماوية الرتيبة، وهذه الدوائر المدهشة التي ترسمها في دورانها وفقا لنواميس الطبيعة ، وهي نواميس تضبط النجوم في حركاتها وسكناتها ومطافاتها كما تضبط تساقط حبات التفاح الصغيرة من اغصان الشجرة ، سواء بسواء ومثلا

بذلك الواضع الاول لعلم الفلك الحديث .

(٣) تيشو براهي — عالم دانيماركي الاصل ، قام برصد الفلك في مرصد له انشاه في احدى جزر السوند (١٥٧٦) ثم جاء دولة بوهيميا وعمل فيها في الدراسات الفلكية ووضع الزيج والارصاد بمعاونة كبلر ادى نشاطه الى اكتشاف عدة نجوم ، وحدد مواقعها بعضا من بعض ومواقعها من السيارات الاخرى .

(٤) كبلر — احد علماء الفلك من الالمان ومن اشهر واضعي علم الفلك الحديث ، تأثر بتعاليم كوبرنيكوس وعمل برفقة تيشو براهي في مرصد يقع على مقربة من براغ ، ثم خلفه في ادارة المرصد المذكور

بمثل من الدقة والضبط .

وكان من جراء تطبيق مفعول النواميس الطبيعية المسجلة في عالمنا الارضي ، على العالم السماوي ، ان فقدت الشمس بدورها ، كما فقدت الارض من قبل ، ادعاءها احتلال قطب الدائرة في العالم . فقد قام ، حتى في القرن السادس عشر ، اناس امثال توماس دغز (٦) + ١٥٩٥ Digges ، وجيوردانو برونو (٧) Giordano Bruno (١٥٤٨ ــ ١٦٠٠) ، وغيرهما استشفوا وجود كون لا حد له ينتظم سلكه عدد من النجوم تناثرت في الكون على انساب تزيد او تنقص من التساوق المطرد ، وهي نجوم تصطحبها اجرام واقمار اصغر حجما منها بالطبع كما هي حالة الارض تماما وغيرها من الكواكب السيارة التي حلت محلا مرموقا من الكوسمو لوجيات التي ابتدعها الناس قديما . ولكن هذه الصورة التي رسمها الاقدمون بما كانوا عليه من سذاجة ، كان عليها ان تختفي وتزول بدورها امام اعمال الرصد الجديدة التي مكن لها اختراع المرقب بعد ان تطور من انبوبة غاليليو الزرية فافضت الى هذه العدسات العاكسة الجبارة التي تقوم اليوم في كثير من مراكز رصد الكواكب على وجه الارض ، والذي كشفته لنا هذه الاجهزة الراصدة الجبارة هو ان الشمس تؤلف بالفعل نجما من هذه النجوم التي ينتظمها سلك مجرتنا، هذه المجرة الضيقة المحدودة التي تتالف من مئات ملايين النجوم التائهة في هذا الفضاء البهيم ، وبينها من الابعاد والامداد بحيث يقتضي للنور المنطلق من احد اطرافها مائة الف سنة ليبلغ منها الطرف الاخر المقابل له . وهذه الربوات من ملايين النجوم تقوم في مواقعها المعينة لها كانها عدسة جبارة تكاد الشمس تحتل منها القلب على منتصف المسافة بين مركز القلب والضلع الاخر . اما من جهة مركز هذه النجوم من الارض ، فهي تنتشر بشكل حجاب كبير يفترش الفلك كله . وكلما امعنا في درس هذا الفلك على ضوء القوانين التي وضعها اسحق نيوتون ، بدت لنا المجرة عالما من النجوم آخذة في الدوران ببطء حول مركزها ، وهو عالم له من الاتساع والانبساط والامتداد بحيث ان « السنة الكونية » Cosmic year التي تتطلبها دورة هذه العوالم من النجوم وهي تدور ببطء على نفسها او على محورها ، تزيد مائة مليون مرة على دورة الارض حول الشمس التي تتم في سنة واحدة (او ٣٦٥ يوما)

فبعد ان رفعنا ذيل هذا الحجاب المسدول واطللنا على هذه الفضاوات النائية ، هل لاح لنا منها ، يا ترى ، ما نسميه بالكون ؟ فاذا كان هو الكون الاكبر ، كان قطب الدائرة منه ، والحالة هذه ، في نقطة تبعد عنا عشرات الالوف من السنوات الضوئية ، في اتجاه برج القوس (او الرامي Sagittaire) وهو القطب الذي تتجه منه المجرة ــ مجرتنا ــ في دورانها . والسنة الضوئية Light-year كما نعلم هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة كاملة من حسابنا الشمسي .

ولعل ادهش واعجب ما في هذه المجرة ــ مجرتنا ــ الوف النجوم المؤلفة التي تظهر على عدسة المرقب لعلماء الرصد الفلكي ، وهي تدور بعظمة وجلال حول مركزها القطبي ، غير ان المرقب كشف ان بين هذه النجوم اجرام من نوع خاص اشبه ما تكون بعناقيد او ثريات ملزوزة مكتظة ، تتالف من رقاع الهيولي التي تتوالى وتتعاقب ، مضيئة هنا ومعتمة هنالك ، فتكسف بظلالها ما يقع وراءها من نجوم متالقة .

وبين الاشياء الاخرى التي ظهرت على عدسة المرقب ذر من النثير الهيولي المضيء يدعى « السديم » ، وبلغة ادق : « سدم ما وراء المجرة Extra-galactic Nebulae فقد استطعنا بفضل التحسين الذي طرأ على اجهزة الرصد عامة ، ورصد الفلك خاصة ، والعدة التي استعملت له خلال القرن الذي عبر ، ان نتبين تماما حقيقة هذه الرقاع القائمة في كبد الفضاء بانها مجموعات من النجوم وغير ذلك من الهيولى المضيئة كل ما فيها يشبه الى حد بعيد مجرتنا ، انما تقع منها على ابعاد شاسعة لا يمكن ان يتصورها عقل . ومن ادنى هذه الثريات النجمية لنا ومن اقربها الينا ، السديم الكبير Great Nebula الواقع في برج « المرية المسلسلة » Andromeda التي نعرف اليوم جيدا انها تبعد عنا اكثر من مليون سنة ضوئية لا غير . وهذه المسافة بعينها كان علماء الفلك يقدرونها من قبل ، بنحو سبعمائة الف سنة ضوئية ، فاذا بهؤلاء العلماء يضطرون الى زيادتها الى ضعفي هذا الرقم تقريبا ، على اثر الارصاد الدقيقة التي قام بها العالم الفلكي ولتر باد W. Baade في كل من مرصد مونت ولسن وبالومار

وعمل استاذا للرياضيات في المعهد الامبراطوري . وهو مكتشف النواميس الثلاثة التي تضبط حركات بعض السيارات .

(٥) غاليليو ــ عالم ايطالي من مشاهير العلماء الفيزيائيين والفلك في العصر الحديث . له رسالة في كلف الشمس اتهم فيها بالانحراف عن التعاليم الكنسية والانزلاق الى مهاوي الهرطقة فحكم عليه ديوان التفتيش .

(٦) دغز Digges عالم بريطاني من مشاهير العلماء الرياضيين في عهده، تولى قيادة القوات البريطانية العليا في هولندا (١٥٨٠ ــ ١٥٩٤) . له عدة مؤلفات في الرياضيات المطبقة على الهندسة الحربية

(٧) جيوردانو برونو ١٥٤٨ ــ ١٦٠٠ فيلسوف ايطالي لبس الثوب الرهباني في رهبانية الاباء الدومنيكيين ، اتهم بالخروج عن جادة الدين فخلع الثوب الرهباني ، وراح يعلم ويحاضر ويخطب ناشرا نظرية كوبرنيكوس الفلكية ودوران الارض حول الشمس . حكم عليه ديوان التفتيش بالاعدام حرقا بالنار . كان له تاثير بالغ على كل من بوهم وليبنتس وسبينوزا وهيجل .

وقد كان ليبنيتس ١٦٤٦ ــ ١٧١٦ فيلسوفا وعالما رياضيا من ابرز واشهر علماء عصره في اوروبا في القرن السابع عشر . ولد في مدينة ليبزيغ وتخرج من جامعاتها . جاء باريس ولندن واجتمع بزملائه من العلماء في تلك البلدان . عمل مدة مدير لمكتبة امير برونزويك ومستشارا له . حاول يوفق بين الاصلاح البروتستانتي اللوثري والتعاليم الكاثوليكية ، قامت بينه وبين بوسويه مراسلات عدة . قضى معظم حياته في درس الرياضيات العالية والعلوم الطبيعية

اما سبينوزا (١٦٣٢ ــ ١٦٧٧) ففيلسوف هولاندي يهودي من اصل برتغالي ، كرس حياته للفلسفة ولا سيما لابراز نظرية ديكارت . قال بالحلولية وعلم بها وعمل على نشرها .

في كاليفورنيا

لنعد الان للكلام عن السدم . يقدر علماء النجوم الذين يقومون بعمليات رصد الفلك ، وعلى ضوء النقط التي ترتسم على اللوحات التي يأخذها المرقب الكبير البالغ قطرعدسته المائتي انش والمركز في مرصد مونت بالومار ، ان هنالك نحو مليار من السدم موزعة على انصاب من التساوق تزيد او تنقص ، في فلك ، شعاعه او نصف قطره ، مليارات من السنين الضوئية . ولعل في السديم الواحد بين مجموعة هذه السدم ، من الهيولي المضيئة ما يوازي عشرة مليارات مما في شموس مجرتنا ، كما يمكن له ان يضم مثل هذا القدر ايضا من الهيولي المعتمة التي تتخذ أشكالا شتى من غازات ، وغبار ونجوم ميتة . وانتشار هذه السدم في الكون على امداد منسقة يقضي على حد اقصى فرضية احصائية ، بان السدم تتجمع غالبا في مجموعات تتألف الواحدة منها من بضعة سدم او من المئين منها ، وهي تتماسك فيما بينهابما فيها من قوة التجاذب المتفاعل.

هذه هي لعمري صورة تقريبية لهذا الكون الفلكي ، كما تمكن علماء الفلك من تصوره ، هذا الكون البعيد الارجاء ، الفسيح الحدود الى ما لا نهاية له ، الذي يضم بلايين او مليارات من السدم ، والتي يباعد م ن المسافات بين السديم الواحد والاخر ، ما يقتضي لاجتيازه ، ملايين من السنين الضوئية . ولما كانت هذه السدم مبعثرة جزافا في هذا الفضاء المنظور الرحيب ، كان بحث العلماء عن قطب او نقطة الدائرة لهذا الفلك الدوار أشبه ما يكون الرجم بالغيب او غير ذي موضوع . فكل قسم او جزء من هذه الفضاوات هو كغيره تماما من الاقسام او الاجزاء الاخرى . وهكذا فليس بعد الذي ذكرنا ونوهنا به من مركز او قطب يفضل غيره او يبز سواه يمكن اتخاذه نقطة الدائرة لهذا الوجود .

فلنترك جانبا ، والحالة هذه البحث عن مثل هذه النقطة : موضوع المركز الوجودي او نقطة الدائرة لهذا الوجود ، ولننصرف لتبيين الخصائص الكبرى التي يتصف بها هذا الكون الذي يتألف من هذه الديميات التي تبدوعلى عدسة المراقب . ومن محاولتنا تحديد هذه الخصائص او المميزات التي تيناها ، علينا ان ننسقها وننتظمها وفقا للقوانين والتواميس الفيزيائية التي ادت للكشف عنها اختباراتنا العلمية المحدودة او التجارب التي قمنا بها في نطاق مجرتنا . فاذا ما جاءت هذه المحاولة اعتصارا للناموس الطبيعي الذي جرى تحديده حتى الان ، كما يرجح عدد من المتمكنين في العلوم الطبيعية ، امكننا ، اذ ذاك ، ان نبحث ما هي التعديلات او النظريات الجديدة التي يمكن الاستعانة بها والركون اليها لتنظيم معارفنا عن هذا الكون (Cosmos) اللامحدود .

ولعل ادهش واوقع هذه الظاهرات التي تبدو عليها السدم الواقعة وراء المجرة ـ مجرتنا ـ كما تبدو لنا من موقع ارضنا منها ، ان هذه السدم كلها تقريبا ، باستثناء عدد ضئيل جدا ، آخذة ، على ما يبدو ، بالابتعاد عنا ، وانما كلما امعنت في البعد ، وتناهت في النأي والتيه عنا ، زادت حركتها سرعة .

قلت : « على ما يبدو » انها تبتعد ، وذلك لان لدينا الان دليلا واضحا عن الطريقة التي يمكن لنا ان نوسع طرق تفكيرنا والانتقال من المعلوم الى المجهول . نعلم علم اليقين عن طريق اختباراتنا وتجاربنا العلمية على هذه الارض ان النور الصادر عن مصدر مشع ، يمكن تكسير اشعته وذلك باستخدام الآلات الخاصة التي تعرف : بالمطياف او المرقب الطيفي Spectroscope ورد مقوماتها الى الموجات الضوئية المختلفة التي يتألف منها النور ، مع تبيان ما لها من ذبذبات . فاذا ما نأى عنا مصدر النور هذا ، زادت بالتالي هذه الموجات الضوئية وما لها من ذبذبات مميزة بفضل سرعة ابتعاد المصدر المشع بالنسبة لنا ، كما يحدث مثلا في خفوت حدة الصفارة في قطار يسير منا بسرعة فائقة فاذا ما نظرنا الى النور الصادر عن نجم او سديم ما من خلال المرقب الطيفي ، ظهرت لنا خطوط ضوئية ، امكننا بما لها من مواقع وطاقة ضوئية معينة ، ان نرى فيها ذات المميزات التي نراها في بعض العناصر الكيماوية التي استطاع العلماء ان يعزلوها والتي يمكن لنا ان نجزم بوجودها ، نتيجة لهذا التحليل الضوئي ، في الاجرام السماوية المضيئة التي يجري رصدها في مراصدنا الفلكية . وهذه الخطوط المتألقة في الضوء السديمي ، يبدو انها تنتقل الى الطرف الاحمر في الطيف الشمسي فلا نعدو المنطق السليم والحالة هذه ، اذا ما استنتجنا ان هذا الانتقال سببه اصلا ابتعاد مصدر الضوء عنا ، وذلك بالاستناد الى القانون الطبيعي الذي اكتشفه دوبلر (٨) (Doppler) وهذا التعليل هو الاساس الذي ينهض عليه تأكيدنا بان السدم آخذة بالابتعاد والتنائي عن مجرتنا ، وهي ، اي هذه السدم ، كلما ابتعدت عنا بدت أعتم واظلم ، وزادت بالتالي سرعتها في حركة تباعدها عنا . وهكذا يمكن لنا ان نجزم ، بصورة عامة ، ان السرعات التي تبيناها تزيد في نسبة المسافة التي تفصل بين السديم وارضنا ، وذلك بمعدل ٥٠ ميلا في الثانية مقابل مسافة كل مليون سنة ضوئية . فالارصاد التي قام بها ادوين بويل هوبل(٩) (١٨٨٠) وهومايسون مستعينين عليها بالعاكسات الجبارة، والتي اضفت اضواء جديدة على حقيقة العلاقة القائمة بين السرعة والمسافة ، مكنت لوضع جداول دوبلر التي يفسرها الاخصائيون نتيجة لسرعات تمثل ١\٥ سرعة الضوء . وفي الطرف العلوي للسلم الطيفي ، نجد اجراما سرعتها تزيد على ٣٠ الف ميل في الثانية الواحدة ، في هذه المسافات التي تمتد الى ٧٠٠ مليون سنة ضوئية . ولكن هذه السدم يمكن رؤيتها حتى في الحالات التي يصعب عليها فيها الاشعاع لضعف نورها وخفوته فينعكس نورها على عدسة المطياف راسما مختلف ذبذبات الموجات التي يتركب منها . هل باستطاعة احد منا ان يقيس تأثيرات دوبلر

(٨) دوبلر ١٨٠٣ ـ ١٨٥٣ عالم نمساوي من مشاهير علماء الطبيعة والرياضيات العليا في القرن الماضي اشتهر باكتشافه القانون الطبيعي المتعلق بانتقال الضوء الصادر عن الاجرام البعيدة المتألقة .

(٩) هوبل ـ احد مشاهير علماء العصر من الاميركيين بالفلك والنجوم ، تولى ادارة مرصد مونت ولسن وعمل على الاخص في عملية رصد السدم السماوية .

في السدم وامكانياتنا من الرصد الجوي على ما هي عليه اليوم اذا كان معدل الزيادة التي ترسمها هذه التأثيرات يقف عند هذه المسافات الشاسعة ، فلا عجب بعد هذا من ان نصادف سدما تبتعد عنا بسرعة توازي نصف سرعة النور ، اي اكثر من ٩٠ مليون ميل في الثانية الواحدة !

بعد ان وصلنا الى مثل هذا الحد من التجريد ، آن لنا ان نترك جانبا جميع هذه الملاحظات الاستنتاجية، لنكون لنا صورة مبسطة لهذا الكون تبدي لنا المميزات البارزة التي سجلناها في هذا الفضاء القائم . والقصد الاول من عملية كهذه هو ان نستبدل المشكلة العويصة الحل عمليا ، التي تعترض سبيلنا عندما نريد وصف حركات السدم في الفضاء ، بمشكلة اقرب تناولا منها قد يساعد حلها على تخطيط الطريق الذي يجب ان نسلكه في تفهم واقع الفضاء . ان رائدنا في هذه العملية فرضية يدعوها بعضهم بالمبدأ الكوسمولوجي Cosmologic principle وهو ان الصورة او الشكل تنبسط وتمتد على السواء ، وبعبارة اخرى ان السدم المثالية تتوزع بشكل سوي في الفضاء القائم بحيث ان واقع العالم كما يبدو من نظرة شاملة على احدى هذه السدم لا يتغير بتغيير موقف الراصد من الفضاء او باختلاف الجهة التي ينظر اليها . وهذه الحركة المقدرة التي يرسمها السديم في تنائيه وابتعاده عنا ، تبرز في الصورة التي نبنيها للفضاء اذا ما حددنا لكل سديم مثالي السرعة التي يتحرك بها ، على نسبة بعده عنا ، وذلك على ضوء العلاقة القائمة بين المسافة والسرعة التي المعنا اليها اعلاه ان من يقوم برصد اي سديم لا بد له من ان يجد ان السدم باجمعها ، حتى ما جاء منها في النظام الشمسي لارضنا ، تبدو له كانها تبتعد عنه على خط مستقيم على نسبة العلاقة القائمة بين السرعة والمسافة التي اقمنا عليها ارصادنا الفلكية . وهكذا نرى ان المبدأ الكوسمولوجي يصح اتخاذه اساسا والاعتماد عليه في رصد حركة السدم ومواقعها من هذه الصورة التي رسمناها للكون الآخذ بالامتداد الى ما لا حد له .

وهذا الكون الآخذ بالامتداد والانبساط الذي وضعنا له هذا المخطط ورسمنا له هذا الشكل ، كيف يتصرف وما المستقبل الذي ينتظره وما هو ماضيه ؟ فاذا كنا لا نزال اليوم نجهل التفاعل الذي تتفاعله السدم الكونية بعضها مع بعض ، فليس ما يمنعنا من التنبوء من ان كل زوج منها سيستمر في حركته بمعزل عن غيره ، وبالمعدل ذاته الذي نراه عليه اليوم ، وان هذه السدم كانت على مثل حركتها هذه ، منذ ان كانت وكان الزمن . وهذا انما يعني انه منذ ثلاثة مليارات ونصف من السنين ، كانت هذه السدم تؤلف فيما بينها كتلة او مجموعة واحدة ضمن نطاق فضائي ضيق ، ثم اتسع فجاة عقب انفجار هائل تناثرت معه هذه السدم في الكون بسرعة لا يدركها عقل ولا خيال، وهي سرعة لا تزال السدم منذ ذلك الحين السحيق محتفظة بها في حركتها الجنونية ، فانتشرت على ابعاد وآماد تتباين بعضها عن بعض .

ان افتراضا على هذا الشكل ومن هذا النوع ، لا بد له ان يثير فينا قلقا واضطرابا بالنظر للشكل او الصورة التي اقترحناها ، اذ ان العلماء الجيولوجيين يؤكدون من جهتهم ان الارض لا يقل عمرها عن ثلاثة الى اربعة مليارات من السنين وهو تقريبا السن المقترح للسدم التي تفترش الفضاء البعيد ، اذ ليس من المستبعد قط ان تكون ارضنا هذه احدى نتائج القارعة الجبارة الاولى التي حلت بالكون فنثرت اجزاءه وبعثرتها . فحقبة الزمن التي تقترحها النظرة الاولى ، هي من الايجاز والقصر ما يزعج العقل ، اذ انها تقيم للكون عمرا هو اقل من عمر الارض ، فتحيل الضلالة الكبرى القائمة في ان عمر الابنة يزيد بكثير على عمر الاب الذي تدور في فلكه .

فالتقصي الدقيق حول تصرف الصورة المرسومة يجب ان يرتكز على نظرية من نظريات تفاعل الهيولى في حدها البعيد . ولعل خير النظريات التي تتفق تماما وتجاربنا العلمية هي نظرية النسبة لاينشتاين ، وهي نظرية تأخذ معادلاتها بعين النظر ناموس الجاذبية الذي يتحكم بالاجرام الكبيرة . ولكن هذه المعادلات تحتم بان تخضع خصائص الفضاء الهندسية لمحتوياته الطبيعية لا سيما وقد سبق لي ان افترضت من باب الاستقراء والاستنتاج على السواء ان الفضاء الذي تنتشر فيه هذه السدم والذي له من المدى ما يتسع الى ما لا حد له ، قد حدثت فيه احداث الفناها وعرفناها منذ الوقت الذي اقتبسنا فيه هندسة اوقليدس وهذا الافتراض او الحدسية يفتح امام الشكل الذي اقترحناه سلسلة من الامكانيات والاحتمالات تقوم في ان توزيع السدم المثلى توزيعا سويا عدلا يستدعي حتما ،مقابلا له ، فضاء سويا هو الفضاء المسطح الذي تقضي بوجوده هندسة اوقليدس . وقد يكون هذا الفضاء في الواقع فضاء مطبقا او مغلقا ، تتفق مقاييسه الثلاثة والمقاييس التي يفرضها سطح كرة عادية حجمه الكامل محدود ، معين ، وخطوطه المستقيمة تنتهي ابدا حيث تبتدىء ، كما هي الدوائر الكبرى التي تمر بسطح الكرة الارضية ففي مثل هذه الحالة ، نحن امام كون متناه غير محدود ، يضم عددا معينا من السدم . وعلى عكس الفضاء الاقليدسي المنبسط، ان فضاء من هذا النوع وعلى هذا الشكل ، يتمتع بتقوس موجب (Positive Curvature) له ما يعرف بـ « شعاع التقوس » (Radius of Curvature) وهو مسافة لها شأنها ، وهو شأن اشبه ما تكون بشعاع الكرة القائمة على حدين او قياسين لا غير . وفي هذه الحالة تنعكس حركة السدم بحيث ان شعاع التقوس سيتغير في الوقت المناسب بنسبة المسافة القائمة بين سديمين من السدم القائمة . ان معرفة كاملة للعلاقة القائمة بين المسافة والسرعة ستتيح لنا ان نستنتج نسبة علاقة الشعاع بالوقت . ولا يزال بعد الاخذ بهذا الافتراض امامنا افتراض ثالث ، هو افتراض قيام كون ينبسط فضاؤه الى ما لا نهاية له، ذو تقوس سالب (Negative Curvature) وهو عالم من الصعب تمثله او تصوره، انما يتميز بشعاع تقوس ، يتبدل في الزمن بنسبة حركة السدم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الكوسمولوجيا النسبية ، أي دراسة مسلك الشكل الذي نصفه لعالمنا في ضوء المعادلات التي وضعها اينشتاين في حقل الجاذبية ، تعطينا صورة لهذه انعلاقات القائمة بين حجم السدم وسرعة حركتها ، من جهة اولى ، وبين تقوس الفضاء وتقببه ، من جهة ثانية . ولسوء الحظ ان الارصاد القائمة الان تحت تصرفنا ، لا تسمح لنا باعتماد حل ما من هذه الحلول الممكنة التي ترسم او تحاول ان ترسم صورة لهذا الكون المتحيز في الواقع . وبعض هذه الحلول يجب اطراحها جانبا ونبذها بالكلية ، لانها تفضي بنا الى افتراض مدى قصير مر به العالم ، منذ القارعة الاولى التي نزلت به في العصور الهلكية السحيقة . وبين الحلول الاخرى الباقية ، ما يعكس تماما معرفتنا الدقيقة لامر السدم من بعض نواحيها . وباستطاعتنا ان ننظر باطمئنان وثقة ، الى الارصاد التي ستطلع في المستقبل التي ستزودنا ولا شك، بالمزيد من المعلومات الضافية الدقيقة وهي معلومات يمكن لنامعها تضييق دائرة اختيارنا او ربما دلتنا على ان ايا من هذه الاشكال النسبية المقترحة ، ربما اعطي صورة صحيحة للواقع المتحيز . ومع ذلك ، لا بد لهذه الخطة التي سرنا عليها في تفكيرنا والنهج الذي اتبعناه من ان يبرر ما نتوقعه للكون من ديمومة وبقاء ومن استمرار في امتداده الحثيث . فالسدم السحيقة في بعدها ، تمسي في منأى من هذا الفضاء الطارىء او العارض ، وسنبقى وجها لوجه مع بعضها في رفاقة واحدة من قوة الدفع والجذب التي تجمعنا معا في مصير واحد . وخيالات هذه السدم التي اتفق ان كانت فيما مضى من مقومات هذا الكون قد تكون بعد قائمة في ما يمثله الجزء المعتم من اشعة ما بعد الاحمر التي تظهر في الطيف الشمسي ، كما يذهب الى ذلك دوبلر نفسه ، وهي أطياف واشباح من الراجح ان لا يستطيع احدان يستكشفها او يميزها ، بين من يبقى حيا ليبصرها . ولكن قبل ان يحدث شيء من هذا ، تكون الشمس قد اتت على اخر ما فيها طاقة ذرية ويكون مشعل النور العقلي قد انطفأ او دخل في خبر كان لفناء البشر، او انه قد يكون عاد فتالف من جديد بعودة الحياة ثانية على ارض جديدة تدور حول شمس جديدة .

اما من منجاة ، والحالة هذه ، من هذه النتائج المظلمة وهي نتائج ادى اليها اضطرارنا على توسيع معارفنا والانتقال معها من القريب المانوس المألوف ، الى البعيد الغامض المجهول ؟ وفي احتمال من هذا النوع ، افسحنا المجال امام عنصر غريب لم نتبينه ان يتسرب الى داخل البناء . فبين حدود المعادلات التي تقيمها النظرية النسبية ، معادلة تقضي بوجود قوة تدفع بالسدم بعيدا بعضها عن البعض ، وهي نظرية دان بها انيشتاين وعلمها منذ عام ١٩١٨ عندما قام يجابه حل القضبة الكوسمولوجية او قضية الوجود ، لم تفض الى نتيجة محسوسة يمكن تسجيلها تتعلق بالاجرام القريبة منا ، الامر الذي حمل اينشتاين نفسه على نبذها واطراحها جانبا فيما بعد . لا نستطيع ، وايم الحق ، ان نغادر بمعرفة ووعي هذا الموضوع ، موضوع الوجود الكوسموغرافي ، قبل ان نختبر بعض الاحتمالات العديدة التي اقترحت بهذا الصدد ، مع انه ليس من دليل قاطع على صحتها البتة .

ولعل اول طريق للنجاة قد تعرض لنا تقوم في ان هذا الاحمرار الذي نتبينه في النور الصادر عن السدم قد يكون مرده ، على الارجح الى بعض العوامل الغامضة الخفية التي يتعرض لها ، في رحلته الطويلة عبر الفضاء الفسيح ليبلغ الى ارضنا اكثر مما هو نتيجة مباشرة للمبدأ الذي يقول به دوبلر ، اذ يرد هذا الاحمرار للحركة التي تطبع المصدر نفسه. وفي هذه الحالة ، يمكن لهذه السدم ان تبقى حيث هي الى ما لا حد له فيتم فناء العالم عن طريق تبدد النور واشعته بدلا من فناء الهيولى او المادة عن طريق انفلاتها وهروبها في متاهات الفضاء الشاسعة الفسيحة . قد يكون في مثل هذا الاحتمال المعروض مخرج لنا منطقي غير ان المنهجية العلمية تفرض علينا ، انه قبل التسليم بهذه الفرضية ، يجب ان يتوفر لها من عوامل الاقناع والادلة القاطعة ما يدعونا للاخذ بها .

هنالك بعد هذا ، احتمال اخر يكون الاخذ به ثورة عارمة يفرض بداهة وجود مادة ، في محل ما من هذا الوجود ، تنشأ من لا شيء ، فتحل محل القسم المندثر في السدم البالية . وقد ذهب الى مثل هذا الافتراض علماء كبار امثال : هويل (Hoyle) في اميركا ، وبوندي (Bondi) وغولد (Gold) في انكلترا ، وجوردان (Jordan) في المانيا وقد يختلف هؤلاء فيما بينهم ، من حيث الطريقة والتفاصيل انما يتفقون معا ، على القول بخلق مادة سديمية جديدة ، اما عن طريق تجمع المادة الغازية المخلوقة حديثا ، او عن طريق انفجار طارىء او تألق فجائي لنجم مهموث (Super-Novae) ومثل هذه الانفجارات تحدث كما لوحظ ، كل قرن تقريبا في اقرب السدم الينا . ومثل هذا الافتراض او الحدسية يضطرنا التسليم بها لان ننبذ ، جانبا ، مبدأ فيزيائيا طالما علمناه وشددنا على وجوب احترامه واعتماده ، هو مبدأ بقاء المادة والقوة .

هذان احتمالان من اهم الاحتمالات التي تفضي اليها الكوسمولوجيا النسبية . فأية نظرية من هذه النظريات يا ترى ، هي التي يركن اليها ويعتمد عليها وتسود ؟ فالقطع فيها سلبا او ايجابا ، منوط بالمستقبل . والشيء الثابت الذي نثق منه الوثوق كله ، هو ان تطور العلم وتقدمه الصاعد هو الذي سيقضي نهائيا في الامر الذي نستفتي ، وفي مثل هذه القضايا المعقدة التي نقف حيالها حيارى . وقضية هذا الوجود أو هذا الكون الذي يتالف من هذه السدم المحيرة ، لن تشذ هي الاخرى عن سنة العقل السليم والعلم العليم .

ولعل خير ما نختتم به هذا البحث المستفيض عن هذا الكون البهيم ان نصرخ مع النبي الملك : « السماء تذيع مجد الله والفلك يخبر بأعمال يديه » .

يوسف اسعد داغر

كان أبي

لادونيس

كان أبي يؤمن أن الشباب
وسّع لي دربي
وأنه في لا نهاياته
أصغرُ من قلبي .
كانت حياتي معه عالماً
أسهلُ ما يزخرُ فيه الصّعاب
أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحاب
أحبه ، أحبه أعظماً
في القبر تستعصي على الخالقين
أحبه سرّاً عصيّاً دفين
وجبهةٌ ملفوفةٌ بالتراب
أحبه صدرا رميما وطين .

من مجموعة « قصائد اولى » تظهر في اوائل الشهر الحالي

قبر ابي

قبر أبي ، قبر أبي قصّةٌ
تكتبها الريحُ
أوراقها أعمدةٌ رُكّزت
هياكلاً والحرفُ تسبيحُ .
ترابه ، في صمته ، بيدرٌ
غلاله الموتُ
لا همسةٌ تحفر في صدره
رقيمها العقلَ ولا صوتُ
قبر أبي يغفو وأجفانه
مسحورة الهدب
تحلم بالبدء وبالمنتهى
وتسأل الحلمَ عن الربِّ
ما بالها نامت الى لا غدٍ
يأتي .. ترى نامت على الحبِّ ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صانع الضلوع

مهداة الى من اتم عملية قلبي باعجاز ، الى

السير راسل بروك

أعلنت قسمات وجهه حزما صارما ، فبات ينفث في الروع بان للحياة طبيعة اعظم ادراكها الثقة بالبقاء واصبحت النظرة الى عينيه بحثا تحليليا يبدد كل وهن وخور .!

هو جراح انكليزي ، حقق النجاح السحري بما جمع من كفاءة المتفوقين ، مازجا بين العمق والبساطة بائتلاف مهيب فاذا عزيمة روحه تشحذ مواهب الامل في النفس الجريحة ، فتبدد حقائق الحياة جميلة صالحة ، وتتعين حدود انسانيته بما يرتفع عن ظل العرق واللون ، ثم يغدو استيلاؤه على العقل والعاطفة طريقة مثلى لتطهير التاريخ الانكليزي من اوبائه المادية .

فلو شاء هذا الرجل ان يوقف قلبه ويستنفذ العيش بقلوب الملايين ممن رد اليهم شرف البقاء ، لامتدت به الحياة الجديدة الف الف عام ، لان في انفاس الخير الرضي ما يقوم مقام النور والهواء في بعث حركة قلبه وتجديدها !

امام كهولته الجليلة تنحني النفس خشوعا ، فهو فاتح ليس كالفاتحين ، يجوب مناطق القلوب متسلحا بالعلم العظيم ينزع قوته عن معجزات الانبياء .

يداه العجيبتان في جمالهما يقين بذيوع العطف ، ومشهد انامله خلود للصلاح ، من يذكر تلك الايدي ويجرؤ ان يشيع مقارنة بين انامل الهدم وانامل البناء ؟ بين من يقبض على زمام العداء في انكلترا ويطلق النيران من افواه المدافع ، وبين من يلمس مشرط الجراحة ويعيد الى النفس المعذبة اعمق خوالجها عذوبة ؟! فكأنما اعد فريدا ليكون انتشار تحية عبر البحار النائية الدانية .

كيف يحيل الانفاس المتهدجة الى زفرات ذهبية ويجعل الشهقات الصافرة تمتمات فضية ، فاذا القلب متابع مسيره جادا قويا مثل خبب الحصان ، لا يستوطنه من الموت وهم ولا يقاسي من ضربات المرض شيئا . .!

كيف جفا الطبيعة في اصل شريعتها ، واقفا حيال القلب بكل دقائق اخطاره ، مراقبا حركة الدماء المنقبضة المنبسطة والوجود يخلق خلفها انسام الحياة المتعاقبة المستمرة ؟

امثل قلبه العظيم تلك القلوب المريضة ؟ ام هي يعوزها الثبات على اقتحام الجديد ، فهي عنه غريبة !

ليت العظيم يخبرنا ، هو الذي كان انسانا قبل ان يكون جراحا ، عما يهمس اليه الحشد الهائل من القلوب ، اذ يبرز اليه من وراء الضلوع مبديا تحت مجهر روحه الف سجية وخلق !

ايتشابه القلب البشري رغم تباينه ، في اذعانه الحزين للقضاء ؟ ام هو يختلف استسلاما وجحودا ووضاعة ونبلا ، ولكل قلب طابع يميزه بما يمارس من حنين وانجذاب ويأس وهوان ؟ هل هناك قلوب تستعر حزنا واخرى خالية الوفاض ؟ وهناك قلوب وحشية كالموت قاتمة كالليل تنعدم فيها مباهج الحب واشعة السلام ؟

أتمر امام مقلتيه عناصر الجبن والصمود ، ويرى القلب متسربلا ثوبا فضفاضا من الرحمة والشفقة ؟ ايطالعه القلب الهائم يوما ؟ كيف يكون القلب هائما وكيف يبدو عندئذ خفيا نقيا اثبت من كل قلب وابقى ؟!

اليه تفضي القلوب باعمق اسرارها ، نازعة عنها الى حين مذلة كل قيد ، مستفيقة من سبات الاوجاع والحياة ، غافلة عن ان هناك من يرقبها ليستشف منها معنى كل هدوء وكل تاثر ؟ فتبدو هكذا بجميع اهوائها حتى ليستطيع ان يلحظ كل ما فيها من رصانة وخفة واباء وتواضع ثم تمده بجميع مكنوناتها المضيئة المظلمة وتذهله بآفاقها الوسعات !

ايتناهى الى ناظريه ما يجري في مسارب الجنان ، فيجمد ازاء الغل والحسد ، وتستبد به الثورة حيال مجاهل القلب المدلهمة فيروعه ما يتشابك في انحائه من قهر وعنف !

كيف لا يضيق بالتشابه الرتيب بين نسج القلب الموحد ، حيث تستعيد الاذينة والبطينة والصمامة والشريان اشكالها الدائمة الواحدة ، فينزع الى ابداع المعاني في تأمل المشاعر الخفية النائمة في ابعاد كل قلب ، مهيمنة فيه على ادق خفايا الحياة !

ليحس العشاق جميعا ! فهو سيد القلوب الجريحة بلا منازع ، وهم في غفلتهم يهشمون قدسية العلة القلبية لكثرة ما يلمعون من ذكر الجراح ، قائلين باعتباطية فاجعة بان لهم في الفؤاد اوصابا ، هي من جراح المشرط البناءة العظيمة كالندب النائلة !

عجبا للنبيل يصاول داء القلب بآلاته الصماء ، فينظم في دقة باهرة حركة الحياة الغريبة ، كيف يقنع ان يقف محايدا ازاء النشاط البشري المستعر في انحاء الشرايين المتعانقة المتنافرة ؟

كيف يكتفي بان يحدق في معاني القلب العميقة الساذجة حين تغدو مسالكه طوع يديه جميعا ؟

اليس في وسعه ان يضع قوتا روحيا لجوع كل قلب وشرابا لظمأ كل عاطفة ، ثم يحيله شفافا ملائكيا تسري الارواح في اجوائه وتتسع الممكنات ؟!

كيف لا يرقق كل ما ضخم في القلب من اثم ، ولا يبذل النقاء والمحبة في كل ما عكر من شعور ؟

بل ليته يخبرنا كيف تبدو له اليوم قلوب العرب من مرضاه ؟ هو الذي ينتسب الى الامة التي عضت على الافئدة بالنواجذ ، أتخرج اليه شاهرة سيوف البغض ام انه لا يسعها الا الخشوع امام من يحكم مملكة القلوب الناقهة التي لا تغرب عنها شمس العرفان الا ليبزغ قمر البر ، تلك المملكة الشاسعة النادرة التي تعينت حدود انسانيتها بما ارتفع عن ظل العرق واللون وبما جثم على صدر رعيتها من فضل وشكران .

دمشق — هبة الوادي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمل

✳

امـــل تالـق مشرقـا كالفجر من خلل السحاب
حال الدجى شمسا تموج بسائـل التبر المـذاب
وانزاح غمـر وسـاوس حطمت عواصفـه ربابـي
وتفجرت للشـوق فـي صدري رغـاب كالعبـاب
وزكت خمائـل للمنـى ضاعت بعـرف مستطاب
فملأت مـن ورد الهـوى كأسي وطاب بهـا شرابـي
وقنعـت مـن أمـل بحرمـاني ولم أنكر مصابي
امـل غنيـت بجـدبـه ونقعت غـلي بالسـراب
ولرب قفـر كالكآبـة قاتـم في العـين نـابي
وافتيـه والفجـر يومىء كالمليحـة مـن حجـاب
وبـكـل منعطـف لهمس الريـح غمغمـة انتحـاب
والصمـت ران بكلكـل فوق الاباطح والهضـاب
والشوك مـن ظمأ ترامى كالنزيـف عـلى التـراب
قـدح الهـجير به السعير وراح يقـذف بالعـذاب
لمـا نظرت بعين آمـالي لـه حـين الغيـاب
ابصرت جنـات تحـير اللب بالعـجـب العجـاب

★ ★ ★

ولشـهقـة محمومـة للريـح تنقلهـا الروابـي
سالت لهـا عـين السماء أسـى وفاضت بانتحـاب
والارض بادرت السمـاء جوابها قبـل الجـواب
اغضت بأجفـان السقيم أشـاح من وقر المصـاب
وترى السواجع اطرقت مما شجاهـا بالرقـاب
وتشوفـت مذعـورة للريـح تنصت باكتئـاب
ارهفت من امـل بسمعي للعواصف في الغيـاب
فحسبت جلجلة الرياح عزيـف الجـان التصـابي

★ ★ ★

ومررت بالروض الانيـق أبث جـدولـه عتـابي
جاذبتـه طرف الحـديث وامنيـات كالشـراب
وتـلوت من سير الهوى عجبـا كمقتبـل الشباب
وبعثـت فيـه ربيعـه لمـا عزفـت عـلى ربابي
واتيت بالسحر المبـين مجليـا في كـل بـاب
فـاذا الـذي غنيتـه الاعجـاز فـي ام الكتـاب
امل اطل مع الغيـاب فزاد في حسن الغيـاب
والعمر لـولا الامنيـات لـكان وقرا من عـذاب
ومسائـل نشد الصـواب وحاد عن سنن الصـواب
قال المصير الى التـراب وكـل امـر للتـراب
والعمر اضغاث تشتتهـا الحقيقـة كالهبـاب
أمـا الحيـاة فما يعادل بؤسهـا حسن الثـواب
فأجبته هـون عليـك مصيبـة واسمع خطـابي
يكفيـك من نعـم الحياة على الدجى لمـع الشهاب
حسب الرجـال سعادة أمل لهم حين المصـاب
ولرب حلم كان أحـلى في النفوس مـن الشباب

دمشـق — عدنـان مردم بـك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

ت. س. اليوت

بقلم تشارلس وليمز

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

لو جاء اليوت الى الوجود في عهد الاساطير اليونانية لربما عد من ذباب الخيل . ولعل هذا يستمر الى الوقت الحالي ، لان حقيقة شكله لا تزال مجهولة ، كما هي الحال بالنسبة الى أي انسان اخر ، اما اليوت محرر مجلة (نيوكريتيريون) المعروفة بنقداتها الفكرية ، فهو ليس غير شبح او روح غريبة . ولكن الذبابة عاجزة عن دفع (ايو) عبر البحار والبراري ، في حين انها قادرة على لسعنا واقصائنا الى التيه ، بين التخوم الخضر تارة وبين القبور وغرف الاستقبال ، والاقبية النتنة والمناظر الطبيعية تارة اخرى . ولا شك ان في هذه المجاهل دليلا يقتدى به ، ولكنا لن نتمكن من معرفته ، اذ ان ازيز هذه الذبابة لا يفيدنا بمعنى من المعاني .

قد يقال انك واجد ذلك في بعض كتب الحكمة ، التي يعسر العثور عليها ، او قد تلحظ ذلك في شعر من درج من الشعراء القدامى ، غير ان الكلمة المهمة ، التي نحن بامس الحاجة اليها ، عزيزة الوجود ، عسيرة المنال . وبعد تجوالنا في هذه المتاهة مدة طويلة ، نعود الى المحل الذي انطلقنا منه ، تلفنا اذيال الخيبة ، ثم نعاود الكرة ، وتجري الامور بين الاخذ والرد ، وفي ذات مرة يستطرد بنا الحديث الى الشعراء المحدثين ، فاذا بنا في منتصف المتاهة نغذ السير من غير دليل ولا هدف ، مشتتين ، ضائعين ، غرباء لا نعرف سواء السبيل ، افكارنا مفعمة بالقوافي المنسية تقريبا ، وآمالنا متقطعة الانفاس ، وعيوننا مبهورة ، متعبة ، فيها كثير من التكهن والتطلع .

وهنا بين القبور الدوارس ، والتخوم المخضرة ، نلمح شخوصا غريبة ، ونسمع اصواتا عجيبة . بروفروك ، وسوينسي ، واغاممنون ، واشباح تتلاعب على اوراق تاروت ، والامير فرديناند ، امير نابولي ، الذي غرق ، ولم يغرق ، وخادمات البيوت ، والفئران الكثيرة . ثم نسمع تتفا من الاحاديث المتطايرة الينا ومن ذلك ــ (انا لا اتصنع في كلماتي ــ هذا ما قلته لها بنفسي) ، (قريبتي هاريت ، دونك نسخة من (بوسطن ايفننغ) ــ و (كنت معي في السفينة في ميلي) . تدور هذه المحادثات بالفرنسية والالمانية والايطالية . ومن اجل ذلك يتساءل احد الشعراء الفكتوريين ، مشيرا الى مثل هذه الظاهرة فيقول (انحن) اذن مجانين ام هذا هو الشعر ؟)

وعلة ذلك كله هو الغموض والابهام . صحيح ان في هذا ردا عاطفيا على نتاج اليوت . ولكن ماذا يمكن ان يكون الامر غير ذلك ؟ انحن نملك اذن (اليوبانشاد) (١) وموعظة النار التي القاها بوذا ، وكتاب الانسة وستون (من الشعائر الدينية الى الرومانس) على رفوف كتبنا ؟ ومع ذلك فشرح القصيدة الموسومة بـ (ارض الخراب) تحتاج الى جميع الكتب التي ذكرتها ، وهذا ما يؤيدني فيه اليوت على وفق ملاحظاته .

ومما قاله في هذا الصدد « انـي ارشـح (كتاب وستون) ليكون مفسرا للقصيدة ، اذا اراد اي من الناس تجرع مثل هذا الاضطراب » ان الازيز لا يزال يطاردنا ، ويا ليته لم يكن ! آه لو نتمكن من الاستغناء عنه والعودة الى شعرائنا التقليديين الاصحاء . ذلك بانهم لن يثقلوا كاهلنا بالاستعارات غير المفهومة ، والتشبيهات المتحذلقة . نحن نعلم ما سيقولون ، فاذا لم يكن لهم ما يقولونه فهذا دليل لهم لا عليهم . وبعد مَن من هؤلاء ، اجاد باسلوبه الخاص كما اجاد شاعرنا حين قال :

« تغرد البلابل على مقربة من دير القلب المقدس ، وتغني في الغابة الدامية حيث كان يصرخ اغامنون عاليا . ثم جعلن ينثرن رياشهن الذائبة ليلطخن الجدث الدنس » .

ومع ذلك فان القطعة الاتي ذكرها ، تغني الذهن ، ولو انها اقل جمالا مما سبق :

« رأيت لحظة عظمتي وقد هبت عليها الريح ، وشاهدت الانسان الحافي الخالد ، وهو يأخذ بتلابيبي » « ويتهكم ، وبالايجاز غمرني الرعب ، واشتد بي القلق » .

ولما كانت عبارة الانسان الحافي الخالد ، تتكرر في اول قصيدة ، من الكتاب ، ولما كنا لا نعرف المعنى الذي قصده اليوت ، يجدر بنا ان نفكر في هذا القول . نحن لا نعرف غرض الشاعر بكلمة (خالد) أهو يعني بذلك انتقاء الزمن او (الابدية) ؟ ومع ان هذا الامر لا يهم كثيرا ، غير ان اليوت هو احد الشعراء القلائل الذين يعنون ما يقولون بالحرف الواحد ، ومن هنا يتضح لنا قصده الجلي . على ان ذهن الانسان غالبا ما يسري عن نفسه باضفاء المغزى الاول على الثاني . اما شعور هذا الانسان الذي يصوره فهو لن يتعدى ــ في حال من الاحوال ــ نطاق الزمن . وفي هذا يبدو الوجود عاريا ، في ايجازه وقصره .

(١) عن كتب الهنود المقدسة

وهذه التجربة ـ أي تجربة الحياة ـ هي عامة شاملة وممقوتة في الوقت نفسه ؛ وبخاصة حين يقهقه الكون بأجمعه وراء اي منا ، في حين انه يمد يده الينا من اجل ان نعرض انفسنا كما نحن . وهذه اللحظة لا تبدو جلية كما تبدو حين نتصل بالاشياء العامة والخاصة ، عن طريقة التبدل والمقارنة ، لان فيها نشعر بآفة النقصان وضآلة القيمة . وخير ما يمثل في هذه الآفة هو الرعب ، ذلك العبد الذي لم يطأ عتبة باب التقاليد القديمة ، فجاء الى العصر الحديث ليجهد نفسه ، انه ذلك الخوف الذليل ، الصارخ .

يمتاز اليوت بشدة زخم شعره ، وقوة اندفاعه ، وتناوله لبعض الموضوعات التافهة ووضعها في اطر خاصة، فما تتخلص اي اداة من ادوات البيت او القصر من ملاحظاته والتفاتاته ، فهو لا يأبى ـ مثلا من استخدام (فرشة الاسنان) في احدى قصائده المعروفة (فرحة في ليلة عاصفة) ومع رقة هذه القصيدة وصفائها ولطافتها ، فهي لا تتورع عن استعمال كلمات مبتذلة ، والتلاعب بها ، ووضعها في اغراض معروفة ، واساليب مطروقة (عامية) التفكير. ومع ما في هذه القصيدة من سهولة في العرض ، وبساطة في المعاني ، فهي لا تفرق في شيء من حيث الصعوبة عن اي من قصائده الاخرى ، اذ انها تأخذ مكانها في جحيم شعره ، وليس من وصف يصح لنا ان نضفيه على شعره غير هذا الوصف ، ولكن على شرط الا يرافق ذلك شيء من التعنت والتصنع .

فتجربة اليوت الشعرية في الحياة ، لا تعدو ان تكون جحيما مختلف الاشكال والالوان ، وسبب ذلك هو العنف الجامح في الصياغة الشعرية ، ولكن هذه التجربة هي ما نمارسه ونحسه نحن انفسنا ، بالاضافة الى ما نجده عند اليوت ايضا . غير ان الجحيم ، كالفردوس ، فيه مقاصير عديدة . فاذا خصص لنا اليوت احداها ، فمن اللياقة الا نخيب ظنه فينا قدر الامكان ، ولكن الشيء الذي نخشاه ونتخوف منه هو انسانه الجبار الخالد الذي قد يمنعنا من الدخول ، بعد ان يملأ شدقيه هزءا بنا وسخرية منا . قد يكون المكان الذي تحدث عنه اليوت موجودا قبل ان يذكرنا به ، ولكن حديثه ربما ضيق شقته ، وحدد موضعه . ومن هنا فالتعرف بعباراته هو تعرف بتجاربنا نحن ، وهو في الوقت نفسه انطلاق نحو الشعور بشيء من الغبطة والانشراح ، في صبيحة كل يوم حين :

(نحس بارواح الخادمات اللدنات ، في تطلعهن اليائس من وراء الابواب) .

من الطبيعي الا نضع اللوم على كاهل هاتيك الخادمات لانهن اكثر المخلوقات لطفا وايناسا ، ولكننا نلوم بشدة المحترفات منهن ، اللائي لا يعرفن غير التلفت والتطلع . ومع هذا ينبغي لهذا الامر أن يخفف في المستقبل ، باستعمال العبارات الرقيقة ، الناعمة الجرس . وبعد ، كم يسرنا لو اعترفنا باننا صائرون الى حالة معينة في امسية من الامسيات لا يفسرها شيء كما يفعل قول اليوت :

« تعب يدفعنا بكسل لنهز رؤوسنا قائلين: وداعا يا روشفوكو كان احدنا أغذ السير في طريق الزمن ، ولم يبق له منه غير غايته ».

وهنا حتى فكرة التعرف بروشفوكو تبدو وكأنها توهج طارىء عظيم ! ثم يمضي فيما هو بصدده فيقول :

« تتساقط ابتسامتي وتتهاوى على (الارض) بددا ؛ والعوالم تدور كأنها عجائز مثقلات بالسنين يلتقطن الوقود ليضعنه في اكياس مثقوبة . فيا ليتني كنت كومة من البرائن الممزقة لاغرق تحت صفحة البحار الساجية ، بين المهاوي العميقة » .

وكل هذه الاقوال تعبر ـ بمختلف الطرق ـ عن تجربة عامة ، تفسر ظاهرة معينة ، فيها الكثير من الاحتمال السلبي ، والتقزز العنيف . انها تعنى احتفاظ اليوت بقوته لدعم فكره ، وبخاصة التعبير عن مثل هذا الفكر ، وتبييح لنفسه الصبر غير الفعال تجاه هجمات العالم الخارجي المتعبة . وبسلبيته المجردة هذه يعزو الى تلك الهجمات ضربا من الضعف والوهن. ومن هنا، فمقابل فراغ اذهاننا ، هناك فراغ هائل مجهول يغمر الكون، وتجاه ظلالنا الخيالية تنتصب خيالات مماثلة لا تمت بصلة الى الحقيقة او الواقع.

ولا يبدو تأثير اليوت عنيفا عميقا كما يبدو في منازلته للثورة الواسعة الانتشار التي تجعل منا موضوعات تراجيدية ، ومكافحة للاساليب الفخمة ، والتقاليد المزركشة ومصاولته للملامح النارية التي تعلقت بها الاذهان الكليلة . وبالرغم من ذلك ، فلا يسع الا اشجع النقاد ان يقول ان هذا الامر كان في نية الشاعر . لان الله وحده يعرف ما كان يقصده اليوت حين ذهب ما ذهب اليه . ثم قارن هذه الرباعية الاتي ذكرها برباعية غولدسمث المشهورة :

« حين تنحني الفادة الجميلة على عبثها ، وتقطع غرفتها جيئة وذهابا ، فريدة وحيدة لا تفعل شيئا غير تصفيف شعرها بيد آلية ، بعد ان تكون قد ادارت اسطوانة لتسمع اغنية بالية » . (١)

هنا نجد متنفسا ، لأننا نسمع هجاء يتناول اوليفر ، او اذا شئت مرورا رفيقا به ، لان اليوت لن يرضى لنفسه السخرية منه . لشد ما يرضينا هذا في عالمنا الآلي الذي نعيش فيه ، وكم يسرنا ان نتعرف على ماجريات الامور في جحيمنا هذا ، الذي تفرض عليه اخلاق معينة، لتستخلص منه اهمية محددة . والصعوبة التي تواكب الاخلاقيين في هذا الشأن هي ان قراء كتبهم غير متأكدين مما يفعلونه ، فهم يحاولون حصر العالم في نطاق قواعد معينة ، ليجعلوه مفهوما ، قابلا للادراك ... اما اذا كانت ثمة اهمية في هذا العالم ، فهي تلك الاهمية التي تقر بالحقائق (غير المرغوب فيها وغير المنكورة).

وهذا الذكر لغولدسمث يقودنا الى مسألة اخرى . فالذكريات هي القانون المسيطر على شعر اليوت وليست هي (ميزته الخاصة) لانها واضحة الملامح احيانا ، وغامضة (بالنسبة الى الاذهان القليلة الادراك) احيانا اخرى . وعلة ذلك اننا لا نعرف ويبستر ومدلتون كما يعرفهما . اسمعه يشير الى ذلك :

« قالت : هنا نصيبك ، هنا الملاح الفينيقي الغريق . هذه هي اللآلىء التي كانت يوما عيناه . انظر ! »

هذا شيء معروف ، فيه نفحة من شكسبير . ولكن :

« ما هذه الضوضاء ، ما هذه الرياح المنطلقة من خلال

(١) تقع هذه الرباعية في القسم الثالث من (ارض الخراب)

الباب ؟ »

ولا شك ان في هذا تلميحا الى ويبستر . ولكن القلة النادرة منا تعرف ذلك .

ولكن هذه الظاهرة لا تخص اسلوب اليوت الفكري حسب ، بل هي دليل على الاتجاه المتنامي في الشعر الانجليزي ايضا . وقد اصبح ارثنا الادبي من الغنى – في توارد الخواطر – بحيث غدا من العسير تجنبها في خلق ادب جديد . ولم يرفض اليوت التعلق بها حسب ، بل هو جعلها – عن دراية وتفكير – جزءا لا يتجزأ من لغته . ومن هنا نحن نتقرب الى ضرب من الحياة الشعرية التي تتضافر على العمل من خلال اساطير الشعر القديمة . فنعود الى الماضي السحيق لنتحدث عن فاوستس ، وروميو ، وارثر ، وعبديل . اماالاسماء التي هي اقل شهرة ، فمن الطبيعي الا تستخدم الا قليلا . ومن اجل ذلك فان ميرابيل وميلامانت والشيطان الابيض نبذوا جميعا ليتناولهم مبضع النقد .

وكل هؤلاء صاروا الان وسائل جديدة في التعبير . واذا ما استمر هذا التطور فسيغدو الشعر نوعا من الاختصاص ، وسيكون بالنسبة الى المختصين اكثر اثارة ، واشد فعالية . ومن هنا ستنظم القصائد من اصداء عبارات لا تكاد تعرف ، نطق بها شعر الاسبان في القرون الوسيطة . والشيء المدهش انها ستكون قصائد جديدة ، جميلة . اما معرفتنا بشاعرنا المعاصر ، فستنبثق من اسلوبه في معالجة هذه العبارات ، في استدعائه لها وضبطه اياها . سنراه في مرآة مجلوة ، لا تعرف الظلام ابدا ، سنراه في صفاء ونقاء ، كأنه هو الذي سطر كل بيت من ابيات قصيده .

ومن الجلي ، الذي لا لبس فيه ، ان اليوت لم يذهب بعد الى حد التطرف الذي ذكرنا ، فمعظم ابياته لا تزال من ابداعه الخاص ، واسلوبه يختلف بين الخلق المباشر ، والتطوير ، ولذا تتفق العقائد القديمة والعلم الحديث في مجالي شعره ، فهو وحدة المتناقضات ، بحق وصدق ومما قيل ان هاوسمان يلائم في القصيدة الواحدة بين السطحية العامية والجمال الفريد .

اما الحال بالنسبة الى اليوت فهو يوائم بين سطحية غريبة وجمال عامي . ومن اجل ذلك يصح القول ان سطحية قصائده متقصدة مختارة ، وجمالها لا يفرق في شيء عما تعارف عليه الناس ، في المقتطفات المنتقاة ، وهي – اعني هذه القصائد – لا تعدو كونها اصداء لادبنا ، في الوقت الحاضر ، الامر الذي يحول بينها وبين التأثير الوصفي الجديد ذي الصبغة الخاصة ... اننا لو تصورنا (الشاعر) وتعمقنا في مدركاته ، لحسبنا الكون شيئا منفصلا عنا ، ولذا نحن مضطرون الى امرين ، اما الاعتياد على اسلوبه ومجاراة تسلسل افكاره ، واما مقته مقتا عنيفا . والحالة الاخيرة لا بد لها من ملازمتنا ، فهي طبع انساني لا غبار عليه ، وعاطفة لا ينبغي توجيهها توجيها انانيا ...

* * *

ومما يعتمد عليه الشاعر هو مقتطفاته ، التي يجمعها من هنا وهنا ، ومن ذلك ما قاله القديس جون الصليبي :

(ان الروح لا تنسجم بالوحدة الالهية ، ما لم تنفصل نهائيا عن الاشياء المخلوقة) .

وقد استخدم الشاعر هذا القول في قصيدته (نتف من المقدمة) قد كان نشرها سنة ١٩٢٧ في مجلة (نيوكريتيريون) ، ثم انه وضع صلاة استهل بها قصيدته (الى لانسيلوت اندروز) – التي نشرت سنة ١٩٢٨ . ومما جاء فيها :

« يا الهي ، انت الذي تسير في وسط الشموع المذهبة ، لا تحرك شموعنا من اماكنها ، ولكن وضع الامور في نصابها ، اننا نتوسل اليك ، لاننا بحاجة الى عونك ؛ يا الهي اشدد ازر الذين ظلوا في قيد الحياة ، منتظرين الموت، مستعدين له » .

وفي عصر مثل عصرنا هذا الذي تبدو فيه الصوفية الزائفة الظاهرية ، يتجاوز الناس قول القديس جون ، لشدته المعروفة . ومع هذا يستخف اليوت بالاهمية (الكونية) التي قد تظهر على نتاجه . ولكن صلوات المتصوفين وابتهالاتهم لا ينبغي ان تختلف في دلالتها على الشعر المنظوم من دلالتها على الشعر الذي نمارسه ، والذي ندعوه الحياة . وتحت ضياء مثل هذه الكلمات ، تظهر شخوص (اغون) في حدتها وحرافة طباعها ، فتبدو المومسات وعملاؤهن ، في جو من الرعب النفاذ ، والجهامة المتغلغلة في النفوس ، وهذا كله واضح في تلك الاغاني المجنونة المتطايرة من تلك الاحياء ، وفيما يتداوله الزوار والدواعر من مجاملات ثقيلة ، وقلق لا يصدق ، حتى لكأن كل هذا البناء ينهار برمته ، فلا يبقى منه غير العويل واصدائه المرعبة .

وهذا ما يعود بنا الى الصفحة الاولى من (مجموعة قصائد) لاليوت ، حيث تصدّر (اغنية غرام) لالفريد بروفروك بمقتطفات من دانتي . واذن هنا يجتمع القديس جون الصليبي ودانتي – من اجل ان يكونا مفسرين للشعر وهل يكون هذا الجحيم غير المطهر بالذات ؟ وهل يصح ان نجعل (الرجل الخالد) على صلة وثيقة بالايام الخوالي؟ ولا شك في ان اليوت على حق اكيد حين يحذرنا من البحث في هذا الشأن – لقد رغب آباؤنا في التشبث بفكرة (الرسالة) الرفيعة القدر ، ولكنا لن نكتب (كراسات) عن (ت.س. اليوت ، وكيف اعاننا في شدائدنا) ولكن الامر يقودنا ، بالرغم من رضا الشاعر او غضبه ، الى فكرة ذات وجهة عقلية ، تبدو في تغير مستمر ضمن الانحلال والانهيار الى النشوء والارتقاء . ودونك في هذا الصدد اقواله : [مقطوعة الختام]

« اطفىء الضياء ، ثم اطفىء الضياء ،وكيف لا والذهن المؤمن ، يتخلص من كل شيء بسكون وهدوء ليس بلمحة عابرة ، ولا بتحد ساخر ، يشملان مصابيح السماء ، بل هذا الانسان ينتظر اخلاء المسرح ، ومع اشباحنا المتشابكة المنهزمة ، ينتهي الزمن ، بعد ان تبح صرخات الثناءوالمديح. عندئذ يسير الخدم في الاروقة الفارغة ، ليقضوا على الظلمة نفسها . فالفراغ والامتلاء يمكن التمتع بهما ، وما المتعة ان لم تتناول الخواء والعراء ؟ وما مسرات الشعر ان لم تكن منبثقة من النقائض المتلائمة ؟ والذهن في كلا الحالين يقظ متحرك ، تثيره كلمة (اواه ، اصغ ، كل الغنى في كلمة) كل الخير في خدمة زينوكرات المقدس » . [الشعر في الوقت الحالي ١٩٣٠] .

العراق – بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

الحـــادي

انا الحادي ، انا الحادي دليـل المهمـه الهـادي
انـا الرائـح والغـادي من البحر الـى الـوادي
سميري القمـر البـادي وتمـر المنحنـى زادي
رفيقي الجمل الصادي
نجـوب البـر والقفـرا نطيـق القـر والحـرا
نجوز السهـل والوعـرا ونطوي الليل في المسرى
بأغـوار وانجـاد
فضـاء اللـه دنيانـا ووادي الاثـل مغنانـا
ونهوى الفجـر نشوانـا بأنسـام ومزدانـا
من النـور بابـراد
وعند المـاء فـي الواحه يمـد النخـل اشباحـه
وريـح الرنـد فواحـه ، فتجثـو النـوق مرتاحه
ويروى الظمأ الصادي

* * *

كم ذا اممنا تدمرا ونخلهـا والاعمـدة
زحف الرمال هد من اركانها المخلـدة
أخنى على ربوعها ودورهـا المشيده
طيوف ماضيها ترف في الفضاء مصعدة
وهيكل البعل يباب بات يبكي سؤدده
زنوبيـا تطـل مـن عليائهـا منفـردة
والفرس والروم مضت جموعهـا مبددة

* * *

انفاس نجد عبقت فهاجت الوجد الدفين
لاحت ظباء حاجر(١) تميس في غنج ولين
بين اثيلات النقا كانهـا حـور وعـين
نشر الخزامى في الربى ازرى بعطر الياسمين
وصاح مجنون الفلا : اني على العهد امين
وطيف ليلى قد اطل باسما عبر السنين
يقري السلام عاشقا له الهوى دنيا ودين

والرطبة الدكناء في قلب الفلاة جاثمـه
تلثم ردنيـها الرمـال كالاواذي القاتمـه
جفونها مغمضة : هل هي حـقا نائمـه
تحرس ابواب البوادي في الليالي الهائمه
قوافل البر اليها فـي الصباح قادمـه
حاملة وسق الطيوب والثياب الناعمـه
كسم من عروس في البعيد تشتهيها حالمه

* * *

« سلمان باك » خلدت آثار كسرى الغاليه
فالطاق يقعي شامخا تحت السماء الصافيه
غدت مغانيه وجـارا للوحوش الضاريه
تأتي الرعاة تبتغي خصب المراعي الدانيه
وينثر الـناي لحونـا لاهثـات باكيـه
كم تطلق الاسد زئيرا في الليالي العاريه
فتشرد الغزلان خوفا والضباع العاويـه

* * *

زمان العيس قـد ولى ومجـد البيـد قـد ذلا
وعصـر العلم قـد حـلا يضـيء الكهربـا ليـلا
تبز القمـر الهادي
سرى العمران في القفر وشق الطرق في الوعر
فسياراتـه تجـري من الوادي الى البحـر
ومن شام لبغـداد
واضحـى ذلـك الحادي غريب الوجه في النادي
مضى وقتـي وميعـادي كانـي بعـض احفـاد
ثمـود باد او عـاد
دعاني المنـزل الخـاوي الـى كهف بـه آوي ،
وخدني الجمـل الضاوي فهـل يـروي غـدا راو
حديث العيس والحادي ؟

بغـــداد • مـير بـصري

(١) قال ابن الفارض :
احفظ فؤادك ان مررت بحاجر فظباؤه منها الظبى بمحاجر

وجوه عربية على ضفاف النيل

محمد علي الطاهر

بقلم السيدة وداد سكاكيني

*

هذا الاسم الكبير يتجاوب صداه في العالم العربي كما يتجاوب الصدى بين الجبال الشامخة ، ويتردد ذكره ورأيه في محافل الفكر والوطنية ، كما يتردد المثل الطيب والكلمة المأثورة .

لقد حمل السيد محمد علي الطاهر منذ كان فتى صغيرا يتلقى المعرفة والادب ويحس ما تعانيه العروبة والحرية من هم وضيم، فكرة كبيرة دبت في مزاجه وشعوره وسيطرت على وعيه المبكر ووطنيته الملهمة ، انه هو نفسه لا يعرف على التحديد متى تمكنت منه تلك الفكرة الضخمة التي شبت معه وعاشت فيه على الحداثة والرجولة ، يحملها على ضخامتها ونحافة جسمه وطول مراسه ولا يحس في ثقلها الا العزة والقوة ، لان نفسه الكبيرة هي التي حملت اعباء الفكرة واعتنقتها ، فكان صنعها ووحيها ، بينه وبينها عهد قديم شهد عليه جهاده الذي لم يفتر يوما، فقد نصب عمره للفكرة التحررية ، لا يبالي ان يشرد من اجلها وان يلقى الدواهي في سبيلها ، ومتى آمن المرء بفكرته وعاش لها تمازج فيها ودلت عليه ، وقد شاع اليوم في رأي العالم العربي وصف المجاهد محمد علي الطاهر بفكرة الوطنية المتوقدة ، وانها لفكرة مجردة مجنحة تبدو في ذاته وصفاته شفافة متوهجة ، فهي تطل من عينيه الناقدتين ونحسها في نبراته ولهجته ، وتراها في حركاته واشاراته ، والطاهر نفسه لو سئل عن سرها لما احار جوابا ، لانها اعم من حسه واقوى من نفسه .

ان رواسب الاستعمار وبقايا عهده ما تزال تجري في دماء كثير من مدعي الجهاد ومحترفي السياسة والوطنية مهما نسجت الظروف على شخوصهم ومآربهم ستائر التمويه والمغالطة ، وكان من حظ الطاهر ان يسلم دمه من هذا الرسوب الوبيل الذي جعل المتلونين والمستغلين كدليل الرياح الذي يدور مع الهواء حيث دار .

اما فكرة المجاهد الطاهر التي ولدت نقية حرة وعاشت فيه قوية متأججة فقد رافقته في مقره ورحيله وفي ليله ونهاره ، ومن جرائها ضاقت عليه الارض التي انبتته واعدته للايام العصيبة ، فانطلق من نابلس قبيل الحرب العالمية الاولى فتى ثائرا يتأبى الخمول والتربص ويتحرى لفكرته وحريته نورا جديدا وافقا رحيبا ، فنزل القاهرة كما نزلها من قبل ومن بعد اعلام الفكر واحرار الراي الذين وجدوا في حماها سكنا واهلا ، وقد كان في انداد الطاهر من افذاذ المصريين لهيب من الثورة على المحتلين . وكانت الكنانة في ذلك الحين تضج باحداث دنشواي وما خلفت وراءها ، ويعيش شبابها المتنور بتعاليم مصطفى كامل وصحبه ، فازداد الفتى الطاهر حمية ونخوة وعزما ، ومضى في غمرة النضال يدعو لانقاذ فلسطين من غد اسود وعدو يتوعد ، ولم يفتر سعيه عن المشاركة في حركة التبصير والتحرير ومناواة المستعمر الذي رصد عيونه المتدسسة لتقصي مشاعل الثورة واطفائها بالقمع والحبس والتشريد .

ولم ينج السيد محمد علي الطاهر من السجن عام ١٩١٥ ، لكن هذه الشدة من المستعمر ما كانت ، الا لتزيد فكرته حدة وتوقدا ، فكان يودعها دعوات لليقظة والحذر ، ومقالات تحررية وطنية ، نشر اكثرها بجريدة « اللواء المصري » وقد اتخذ التجارة للمعيشة وما هو بسبيله من السعي الى اذاعة العروبة والتأهب للكفاح ، حتى غدا متجره المتواضع ملتقى الاحرار ورجال السياسة المشردين من مصر والشام وبلاد المغرب والعراق ، فيهم شيخ العروبة احمد زكي والرئيس شكري القوتلي ، واعلام الجهاد الوطني والفكري : رياض الصلح ونبيه العظمة واميل الخوري وعادل ارسلان ومنصور فهمي ومحمود عزمي ، والزنكلوني والسمالوطي والثعالبي التونسي وعمر المختار الليبي وغيرهم كثير ممن كانوا يتخذون مصر ملجأ لهم ومرصدا لجهادهم حتى احسوا الحاجة ماسة الى صحيفة حرة تعبر عن مشاعرهم وتفكيرهم ، وتبصر القوم بقضايا مصر والبلاد العربية مع الغاصبين ، فبادر الطاهر الى انشاء « الشورى » لتكون صوت الفكرة التي يؤديها من ضفاف النيل الى كل بلد عربي يكابد الويل والمحن في سبيل الاستقلال والى مهاجر العرب في امريكة وافريقية حيث يتنادى المجاهد ومن منهم وحملة الاقلام لنصرة الوطن الذي يناديهم ، ولقد ضاق اعوان المحتلين بجريدة الطاهر التي لقيت التأييد والاقبال والتجاوب ، وكان هذا الصحافي الدائب مثابرا على تأييد رسالته بالرغم من كل ازمة ورقابة، فكانت «الشورى» تتسلل الى البيوت والمجالس ، وتتغلغل بين الاحرار والمجاهدين حاملة انباءهم واراءهم في المشكلات القومية الراهنة والمساعي الوطنية في بلادهم وظاهرها ، ولم يخف على الحكم الغاشم خطر هذه الجريدة الحرة ، فالحق الكيد بصاحبها وهو ماض في فكرته وجهاده غير عابيء بما اصابه من العابثين بحقوق الوطن ، حتى زار مصر « بلفور » صاحب الوعد المشؤوم ، واحتفى بقدومه بعض الساسة ، فهب الطاهر غاضبا في تظاهر مع رفاقه ، هاتفا ، بسقوط الزائر المداور ، لكن الحكومة قمعت غضبه والقته بالسجن فازدادت ثورته على الغاشمين المراوغين ، ولم تزده النقمة والمساءة الا مضيا في فكرته التي اخذت سبيلها الى القلوب الواعية والنفوس الحرة في الجيل الصاعد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي مصر اسس المجاهد الطاهر مركزا لمصلحة فلسطين جعله وسيلة الاتصال بين وفدها في لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني وبين وفد سورية برئاسة شكيب ارسلان وذلك ما بين عام ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ كما اتخذه رابطة بين المجاهد الثعالبي وبين تونس والمغرب العربي .

وفي خلال هذا الداب والنضال كان الصحافي الطاهر بالقاهرة مثايرا على الدعوة لحرية مصر والبلاد العربية بمقالاته الثائرة المبصرة ، وباقلام الاقطاب من المفكرين والاحرار وقد سجل في « الشورى » حوادث الثورة السورية عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ وما تلاها من الفورات والانتفاضات السياسية بمصر واقطار العرب ، حتى وقعت الحرب العالمية الثانية فكان لاعلانها دوي رهيب ملأ النفوس في الشرق والغرب قلقا وفزعا ، وقد سرى في وادي النيل كثير من الوان الدسيسة والوقيعة ، اذاعها الارصاد والمضللون كبتا لحرية الراي وتنكيلا بذويها من المجاهدين ، لعل الفتنة تفت في عزائمهم وتشغلهم عن قضايا العروبة والكفاح ، وكانت اعين المتربصين تتبع هؤلاء وتنصب عليهم بالحقد والتوعد ، واول من تصيب صاحب « الشورى » لترميه بداهية تطفىء فكرته التي كانت تلقي في قلوب المحتلين واعوانهم حمما ، وبخاصة بعد هزيمة فلسطين وافتضاح الذين اضاعوها بخلافهم وخذلانهم لمن افتدوها بالارواح ، فغوتوا على الاحرار والمناضلين سوانح الخلاص والبطش بالخادعين والاعداء ، فضاق المتهمون ومدعو الزعامات بتهكم الطاهر ومقالاته المنيفة التي كشفت عن التضليل والخطيئات ، والناس يومذاك يتقاذفهم القلق والتدليس والاضطراب وقد ازداد وعيهم للحوادث وسرت فيهم النقمة وروح الثورة ، وكان الطاهر ينشر المقال تلو المقال في النقد الصريح والتوجيه السليم ، غير عابيء بالمضطغنين والمتوسلين بالدس والرياء ، حتى ظهر حكم الارهاب وزج الطاهر بالسجن عام ١٩٤٩ مع كثير من الاحرار والابرياء الذين كانوا يجاهدون الظلم والاستعمار ، فكان غيظ الاستاذ الطاهر من حكام هذا العهد لا يقل عن غيظه من اعداء التحرر والوطنية ، ولما الح عليه المرض في الحبس والمستشفى آثر الفرار والتنقل في ارجاء مصر متخفيا تارة برداء بدوي وقور وتارة بزي معلم ازهري ، وقد تصدت الشرطة السياسية بالاذى لزوجته ام الحسن (١) وسيقت الى السجن تشفيا واحراجا ، لكن الفرج كان قريبا فقد تغيرت الحكومة وكان رئيسها الجديد عارفا بجهاد الطاهر وفضله ، فضمن له الحرية على الرغم من اعدائه المستعمرين على ان المجاهد الطاهر وقد استرد هذه الحرية الغالية وتحدى الخصوم والناقمين تعهد لرئيس الدولة بالمهادنة والسكينة ريثما تنجلي ايام البلاء

ولئن وقف نشاطه الصحفي والوطني لميقات محتوم ، فانه عكف على اوراقه في تلك الفترة يفك الرموز التي كتبها وهو في السجن ، كما عاد الى مفكراته ليستخرج منها صفحات وانطباعات تصور اطوارا مما عاناه في سعيه وسجنه وما لقيه في حياته النضالية ، لتكون تاريخا للحوادث المتعلقة بقصة الجهاد ومن شاركوا فيه مخلصين ومستقلين ، ولقد استعجل الاديب الطاهر بتصوير تلك الحوادث وتحليلها كما قال في مقدمة كتابه ظلام السجن « ليضرب الظالمين قبل ان يبرد الحديد » .

وفي ذكريات « معتقل هاكستب » (٢) دارت صور هائلة للثورة الفكرية والوعي الوطني في مصر والبلاد العربية كانت ثمرة التجاوب والتمازج بين الاحرار والمكافحين ، وفيها صفحات مشرقة وقاتمة لمن اخلصوا لله والوطن او انحرفوا عن الحقيقة والمصلحة العامة ، فتلونوا بتلون الايام والسياسة والقارىء المتتبع يحس مرارة في السطور التي اودعها المؤلف عتابا وذكرى لصحبه الذين عرفوه في الجهاد والفوه في المحن والنزل الخشن ، فلما اظفرهم الله بحرية بلادهم ونعموا بالعزة الوطنية نسوا ان يسعدوه معهم بفرحة الاستقلال وجلاء المحتل عن ارضهم وديارهم ، فكان المجاهد الطاهر في كتابيه هذين قاسيا على من عاتبهم ولامهم ، وهذا الامر منه يحتمل افتراضين ، اما انه ذكرهم بما صنعوا واعصابه منتفضة وشعوره انف حزين ، لما احس منهم ساعة الحوادث واما انه كتب ذلك على سبيل الذكرى فان كان الاول فحسبه ما صنع ، وان كان الثاني فان

(١) لهذه الزوجة الذكية المثالية اثر فريد في جهاد قرينها الطاهر على ان المجال في هذا المقال لا يتسع لتعداد مآثرها ولكن لا بد من القول بانها لبنانية المولد مصرية الثقافة والوطن .

(٢) هاكستب اسم ضابط امريكي مشهور عند قومه ، فلما نزل الجيش الامريكي ارض مصر لنجدة الانكليز في الحرب العالمية الثانية عسكروا في الصحراء بين مصر الجديدة والسويس وقد سمي المعسكر باسم صاحبهم الضابط هاكستيب ، واتخذت الحكومة المصرية مبانيه سجنا .

اكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : مدام ومسيو كاربيس

الحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس
وعضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

اقصدوا المعهد الذي حاز على ثقة ورضى جميع
الذين تعاملوا معه من العائلات وافراد المجتمع

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

تلفون ٣١٣٩٦ ص.ب ١٤٩٩

بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحوادث تبدو للقارىء عميقة في نفس المؤلف ، اذ ان الايام وتغير الاحكام لم يخففا من هولها وثقلها ، لكنه حلل شعوره في اخر صفحة من « ظلام السجن » حيث قال : « حتى انني ـ انا نفسي قد اغير فكري فيه ، وقد يتغير بعض من ذكرت من اشخاص فهذا كله بيد الله ، ونحن في هذه الدنيا لسنا اكثر من شخوص واشباح تمر وتنطوي ونفنى جميعا والمحرك باق » .

ومهما يكن شأن هذا المجاهد المؤلف فيما كتب منتقدا او مستحسنا او موجها وما اعطى التاريخ من ذكريات ومشاهد في نضاله واعتقاله ، وفي حوادثه وتجاربه ، فان صراحته فيما ابدى وحلل وناقد جعلته يعيش في نطاق من محبين يفهمونه ويفدونه واصدقاء يظهرون غير مايبطنون وربما خسر مودة بعضهم واكتسب الثقة والتقدير من الشعوب واعداء لا يتورعون عن التلفيق ضده دسا ، وهم ادرى الناس باخلاصه وتفانيه في الجهاد وثورته على المستغلين ، وهذا كله دليل على سمو شخصيته وخلوده في تاريخ النهضة العربية التي كان من روادها وطلائع الوعي والتحرر فيها ، وان احكام القدر العجيبة هي التي سخرته لهذه الرسالة الشاقة وقضت ان يكون على هذه السيرة داعيا الى اليقظة الفكرية والتعبئة الروحية في الرجال والنساء ليتحقق الانبعاث المرجو والوعي العام ، واليوم يعيش الطاهر ناعم البال بما يرى من تحرر الشعوب العربية وسعيها الى الوحدة والائتلاف .

على ان المرء ليعجب للطاقة الكامنة في هذا المجاهد الحر الذي يبدو في حديثه ومن بين سطوره كالماء النمير عذبا صافيا ، لكنه حين تمسه النار وتشتد عليه يغلي كالماء ، فهو في الحالتين يعطي الخير ، ولئن كان ابي النفس قوي الثقافة والوجدان حريصا غلى كرامته فان في طبعه وحياته تواضع العلماء وزهادة المجاهدين ، ولن يحاسب الطاهر على صراحته لانه لا يجرح فيها ولا يقدح ، وتصويره بالقلم او باللسان ممزوج باللباقة والنكتة ، لكنه لو اوتي المسايرة والمكابرة لعاش في راحة وبحبوحة ، ولو انه ادى رسالته في الادب لبرزت مواهبه في النقد والتصوير متجردة مسددة ، ولقد آثر الصحافة بقلمه الحر ودرايته الواسعة لشؤون السياسة في الشرق والغرب ، فجال في ميدانها وكان ولا يزال من فرسانها ، مجاهدا فيها للعروبة بما ينفع اهلها ويقيم العثار ، ولم تكن صحافة الطاهر يوما حرفة استغلال وملق للجمهور او ذوي النفوذ ، ولم ترفدها جماعات او حكومات ، ولهذا توقفت « الشورى » عن الصدور وان بقي ذكرها قائما واثرها بعيدا ، وبقيت صفحاتها مرجعا وثيقا لتاريخ الجهاد الوطني وتطور الوعي القومي ، وحين تعذر على صاحبها نشرها من جديد عكف على تصنيف مذكراته وانطباعاته وتأليف الكتب التي تصور جوانب من الحياة السياسية ابان النضال القومي للتحرر من قيود الاستعمار ، ففي عام ١٩٣٢ نشر المجاهد الطاهر « نظرات الشورى » وقد حوت فصولا وخواطر عن احوال العالم العربي عامة وفلسطين خاصة ، ولما اصدر كتابه « معتقل هاكستب » عام ١٩٥٠ نشر في الصفحة ٦٦٧ اشارة الى انه تبرأ من « النظرات » وان نفد المطبوع منها لانه غير رايه في بعض من اثنى عليهم فيها اذ كان يحسن الظن فيهم ويعدهم من الاخيار ثم تبين له انهم ثعالب ...

ثم اتبع المؤلف تلك النظرات بكتاب « ذكرى الامير شكيب ارسلان » عام ١٩٤٧ وقد اشتمل على سيرة هذا المجاهد القديم الذي يعتز الطاهر بصداقته ، وفيه اكثر ما قيل في تأبينه ومراثيه التي قيلت في الشرق الغرب ، والاستاذ الطاهر يدعو اليوم لتجديد هذه الذكرى بتخليد الفقيد في كتبه وآثاره .

وفي اخر سنة ١٩٤٨ ظهرت للمجاهد الطاهر « اوراق مجموعة » وصف فيها حال فلسطين قبيل رحيل المحتلين ، وكيف كان اهلها يستبسلون في الذود عنها حتى شردهم الغدر والطغيان .

وعلى مرور الايام عاود الطاهر الحنين الى اعادة « الشورى » لكن الحكومة لم تسمح له بتحقيق هذه الامنية ، فلم يجد بدا من تسريح قلمه في صحف مصر والعالم العربي والمهاجر التي عرفت جهاده للعروبة والحرية ولا يكاد يمضي اسبوع حتى تقرأ له مقالا يتعلق بالحوادث الوطنية او يبصر بالامور العابرة والشخصيات السياسية الخطيرة ، فاذا كتب الطاهر عن قطر عربي جال في مقاله جولة السابرين في اعماق القضايا والمشكلات ، وما هذا الا لانه يعيش في صميم الحياة العربية متتبعا وجهة نهضتها ، ولم يتفق هذا الامر الا لهذا المجاهد الكبير الجدير بلقب المواطن العربي حيثما وجد .

لقد استوطن الطاهر مصر منذ صباه فاحبها وفداها وكافح فيها لحريتها وحرية البلاد العربية فكان له اثر في الحركة الوطنية وتعبئة الشعور القومي والوعي الفكري ، بل انه يعد اليوم ممن مهدوا للثورة وجاهدوا من اجلها ، وحسبه ما لقي من الظلم والاساءة في العهد السابق ، وان مصر اليوم بشوق الى الرجل الذي وهب لها عمره واخلاصه مرتقبة عودة « الشورى » بعودته ، فهو يعيش بعيدا عنها وعن اهله فيها لهيفا مشوقا ، فاذا تحدث عن ثورتها وولبثها كان شديد الغبطة والاعجاب بما ادى رجالها من وطنية وبطولة ، وتجوال الطاهر في البلاد العربية للتعاطف بينها ، وبعث المقومات والذكريات لتوثيق الروابط فيه دعامة لهذه الثورة التي يؤيدها بقلمه فيكتب المقالات والتعليقات فيما يوضح اهدافها ومجهودها ، وذلك في صحف سورية ولبنان والمهجر .

واي مؤرخ للصحافة العربية والجهاد الوطني القديم والحديث لا بد ان يذكر الدور الذي قامت به «دار الشورى» بمصر اذ كانت هذه الدار اول سفارة عربية حرة لم تعرف قيود الدبلوماسية ولا مجاملة التمثيل ، تتلقى بالحفاوة والتكريم كل عربي يؤم القاهرة على اختلاف الديار وبعدها، فيجد اخوانه ومن يشوقه التعرف اليهم من رواد النضال واعلام الفكر والادب ، حتى لو ان زائرين احدهما من شرق العرب والاخر من غربها هبطا مصر على غير ميعاد ، فانهما يلتقيان حتما بدار الشورى على خير ما ترجو العروبة والثقافة والمودة .

وحين يكتب التاريخ العربي الجديد حوادث التطور والانبعاث سيكون لهذا المجاهد الكبير الذي نذر حياته للحرية دون ان يبتغي جزاء او منالة ذكر خالد على الايام في صفحات هذا التاريخ العتيد .

دمشق — وداد سكاكيني

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الليـــلة المقبـــلة

✳

لشـلي

•

ترجمـة

عصـام الـدليمـي

•

بغـداد

✳

الا سيري مسرعة فوق الامواج الغربية
أيتها الروح روح الليل
واخرجي من الكهف الشرقي المضبّب
حيث طيلة النهار الطويل الموحش
تحوكين احلام السرور والخوف
مما يجعلك مخوفة وعزيزة
فليكن طيرانك الي سريعا

*

غطي شكلك بعباءة مبهجة
أيتها المرصعة بالنجوم
واعصبي بشعرك عيون النهار
وقبليها طويلا حتى تكل
ثم تجولي فوق المدن والبحار والبر
لامسة الجميع بعصاك السحرية المخدرة
تعالي يا من أفتش عنك طويلا

*

عندما استيقظت وابصرت الفجر
تحسرت عليك ...
وعندما ارتفع النور عاليا وزال الطل
واضطجع الظهر بثقله على الاشجار والازهار
ثم مال النهار المتعب نحو راحته
متثاقلا كالضيف الثقيل
تحسرت عليك ...

*

اقترب موت اخيك فصرخت
يجب ان تكون معي
ان ظلك الحلو ذا العيون الناعسة
همس كنحلة الظهر
هل استقر بجانبكَ
وهل أكون معكَ فأجبت
ليس معكَ

*

ستأتي منيتي عندما تموتين
وذلك قريبا جدا
سيأتي النوم عندما تهربين
وسوف لا اطلب نعمة من احد
بل اطلبها منك ايتها الليلة المحبوبة
فاقتربي الي طائرة مسرعة
وتعالي سريعا سريعا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة لسومرست موم

في ارض غريبة

ترجمة حسن السعران

انا اسافر شوقا الى مشاهدة روائع من الناس الذين يعشقون اسافر شوقا الى مشاهدة روائع الاثار الخالدة ، فهي تضايقني الى حد ما ، ولا حبا في التفرج على المناظر الخلابة فما اسرع ما تملها نفسي وتزهدها . انني اسافر لرؤية الناس. ولست بالذي يجشم نفسه مشقة عبور الطريق لمقابلة رئيس او ملك ، فانا اتحاشى العظام والكبار حتى لتجدني اقنع بمعرفة الكاتب من صفحات كتابه والفنان من لوحاته . ولكنني اذكر انني قطعت في مرة من المرات مئات الاميال لمقابلة احد افراد ارسالية سمعت عنها قصة غريبة .. كما اذكر انني قضيت نحو اسبوعين في فندق خال لاوطد علاقتي بمحاسب طاولة البلياردو . واخالني لا ادهش للقاء اي مخلوق لولا انني اسعى دائما ابدا وراء طراز معين من الناس لا تحرمني مقابلته من مناجاة طريفة او قصة ممتعة . مثال ذلك ، انجليزية عجوز ـ ميسورة الحال عادة ـ تعيش وحدها في اطراف نائية من الدنيا قلما يتوقع المرء وجود امثالها في مكان كهذا . الا يستغرب المرء اذا سمع بامرأة تعيش في فيللا منعزلة ببلدة ايطالية صغيرة ، وانها الوحيدة من بنات جنسها التي تقيم في ذلك المكان او فيما يجاوره . او ربما يشير احد الناس الى ضيعة صغيرة قائلا ان سيدة انجليزية عاشت بها سنوات وسنوات . ولكن لعله ما من شيء اكثر غرابة من ان تسمع مثلا بان الشخص الابيض الوحيد في مدينة صينية هو سيدة انجليزية ليست من الارساليات . من يدرينا اي سر وراءها ؟.. وغيرها كثيرات . وهناك من تقيم في جزيرة مهجورة في البحار الجنوبية ومن تعيش في بيت هندي خلوي بقرية في قلب جاوة وهكذا .. انهن يعشن وحدهن في عزلة ، وما من صديق يؤنسهن.. ومع ذلك تراهن لا يرحبن بالغريب في الوقت الذي لا يلقين احدا من جنسهن طوال شهور . تمر بك الواحدة منهن وكانها لا تراك . واذا تراءى لك زيارتها لما يجمع بينكما من جنسية مشتركة ، فانها غالبا ما تعتذر عن المقابلة ، او هي تدعوك لتناول فنجان من الشاي من ابريق فضي جاءت به من وطنها . وهي تتحدث اليك في غاية الادب حتى لتشعر كانك ضيف في بيت قسيس . وعندما تفترقان فانها لا تبدي اية رغبة خاصة في استمرار العلاقات بينكما او في تكرار الزيارات ويعجب المرء كل العجب ولكن عبثا يحاول معرفة السر او الدافع الذي طوح بهن بعيدا عن الاهل والخلان ليعشن هكذا في ارض غريبة وقد تقطعت بهن الصلات والاسباب . اهو الحب دفعهن الى ذلك ؟ .. ام هي الحرية ينشدنها بعيدا عن الاهل والديار ؟..

ومن بين جميع اولئك الانجليزيات اللاتي سمعت عنهن او التقيت بهن واحدة لا تزال قصتها عالقة بذاكرتي. عجوز عرفتها في اسيا الوسطى . اذ حدث ذات مرة ان بلغت بلدة جبلية صغيرة بعد رحلة شاقة ، وكنت قد وطنت العزم على الصعود منها الى جبل مشهور . هنالك اهتديت الى فندق صغير عند سفح الجبل ، بلغته في ساعة متاخرة من الليل فوقعت اسمي في دفتر النزلاء ثم صعدت على الفور الى غرفتي . وكان الجو شديد البرودة بحيث اصابتني رعدة عندما اخذت اخلع ملابسي استعدادا للنوم . وماهي الا لحظة حتى دق الباب ودلف منه الترجمان ودهشت عندما قدم الي زجاجة ماء ساخن قائلا : مع تحيات السنيورة نيكوليني.

فسألته : ومن تكون السنيورة نيكوليني ؟

فقال : صاحبة الفندق ..

فطلبت اليه ان يبلغها شكري ، وانسحب الرجل . والواقع ان ذلك هو اخر ما كنت اتوقعه في فندق صغير باسيا الوسطى تديره عجوز ايطالية كما يبدو من الاسم . وليس من شيء احب الى نفسي عند النوم في غرفة باردة من زجاجة ماء ساخن. (ولو كان حديث الحرب مما تطيقه النفس لقصصت عليك قصة ستة جنود خاطروا بحياتهم لاسترداد زجاجة ماء ساخن من قلعة دكتها القنابل في الفلاندرز) . وفي صباح الغد، طلبت مقابلة السنيورة نيكوليني لاعبر لها شخصيا عن شكري وتقديري . وبينما كنت في انتظارها اخذت افتش في ذاكرتي عن اللفظة الايطالية لزجاجة الماء . وما هي الا لحظة حتى اقبلت . كانت سيدة بدينة بعض الشيء ، بادية الاعتزاز بالنفس وكانت ترتدي ميدعة (مريلة) مطرزة وقبعة من طراز الميدعة . وقد وقفت امامي متشابكة الذراعين . وراعتني طلعتها اذ كانت اقرب شيء الى مديرة بيت من البيوتات الانجليزية العريقة.

قالت : اتريد التحدث الي يا سيدي ؟

وتبينت من عبارتها القصيرة ولهجتها اثر اللكنة اللندنية ، فلا شك في انها انجليزية .

فاجبتها في شيء من الاضطراب : اردت ان اشكرك على زجاجة الماء الساخن .

فقالت : عرفت يا سيدي من دفتر الزوار انك انجليزي ، وانا دائما ابعث للنزلاء الانجليز بزجاجة المياه الساخنة

فقلت : صدقيني ، انها كانت

ترحيبا سارا .

فقالت : لقد كنت في خدمة المرحوم اللورد اورمسكيرك سنوات طويلة . وقد كان دائما يستخدم في اسفاره زجاجة الماء . اهناك اية خدمة اخرى استطيع يا سيدي تاديتها لك ؟

فأجبتها : ليس الان وشكرا جزيلا .

ثم انسحبت بعد ان ابتسمت ابتسامة تنم عن ادب جم . وتملكني العجب اذ كيف تسنى لعجوز انجليزية كهذه ان تكون صاحبة فندق صغير في آسيا الوسطى . ولم يكن من السهل دفع الكلفة بيني وبينها . انها تعرف مركزها كما فرضته هي بالذات فلم تقربني اليها قيد انملة . وذلك على الاقل بعض ما تعلمته من خدمة عائلة انجليزية عريقة . ولكنني الححت عليها واضطررتها اخيرا لتدعوني الى تناول قدح من الشاي في حجرة جلوسها الصغيرة الخاصة . وعرفت منها انها كانت وصيفة لليدي اورمسكيرك ، وكان السنيور نيكولبني (اذ لم تشر قط في حديثها عن زوجها الا بهذا الاسم) ، رئيس خدم اللورد . وكان السنيور نيكولبني رجلا جذابا للغاية ، ولهذا ساد « التفاهم » بينهما بضع سنوات . ولما تمكنا من اقتصاد قدر من المال اعتزلا الخدمة وبحثا عن فندق لابتياعه ، فوقع اختيارهما على ذلك الفندق منذ ثلاثين سنة ، عن طريق اعلان في الصحف . وكان السنيور نيكولبني يتوق الى مشاهدة العالم .. ثم وافاه الاجل المحتوم بعد خمسة عشر عاما . ولم تعد ارملته الى انجلترا منذ ذلك الحين . فسألتها اذا كانت لا تحن للعودة الى الوطن .

فردت قائلة : « لست ازعم انني زاهدة في زيارة الوطن ، وان كنت اتوقع الكثير من التغييرات ولكن عائلتي لم تكن راضية عن فكرة زواجي من اجنبي ، فانقطعت صلتي باهلي منذ ذلك الحين . وطبيعي ان الحياة هنا لا تشبه الحياة هناك ، فشتان ما بين الحياتين . ومن عجب ان المرء يعتاد الامور ويألفها على مر الزمن . هنا ارى جانبا حافلا بالحياة . ولست اظن ان الحياة الصاخبة في مكان مثل لندن بالحياة التي تروقني » . ووجدتني ابتسم ، اذ يناقض ما تدعيه واقع حالها ، على الرغم من انها كتلة من اللباقة . اليس من الغريب انها عاشت كل تلك السنوات الثلاثين في هذا الوسط الموحش وتلك البلدة المتاخرة دون ان تتأثر بها اطلاقا ؟ ومع انني لا اعرف اللغة التركية ، وهي تتحدثها بسهولة ، فانني على يقين من انها لا تجيدها ومن انها تلفظها بلهجة لندنية . واكبر ظني انها محافظة على طابعها ، شخصية الوصيفة الانجليزية التي تعرف مكانها على الرغم من كل ذلك التغير الذي يحيطها . شخصية تنقصها القدرة على الاعجاب . لقد كانت تتقبل الامور على علاتها وعلى النحو الذي تأتيها به . كانت تنظر الى كل من ليس بانجليزي على انه اجنبي ، فتراه لذلك انسانا شبه اخرق يمكن التماس المعاذير له . وكانت تتعسف في معاملة خدم الفندق — او لا تدري هي كيف يحق لرئيس الخدم في البيوتات الكبيرة ان يملي سلطانه ونفوذه على كل من هم دونه ؟ — وكان كل شيء في الفندق نظيفا غاية النظافة .

— انا ابذل قصارى جهدي .

قالت ذلك معقبة على تهنئتي لها على تلك الهمة والنظافة . وكانت تقف كما هي عادتها وقد شبكت يديها في احترام ظاهر ، ثم استطردت تقول :

« طبعا ليس للمرء ان يتوقع من الاجانب ان تكون لهم نفس افكارنا ، ولكن علينا — على حد قول سيدي السابق اللورد اورمسكيرك — يتحتم علينا يا باركر (هكذا كان ينادني) في حياتنا هذه ان ننتفع الى أقصى حد بمادتنا الخام » .

والواقع انها احتفظت باكبر مفاجأة ليلة استعدادي للرحيل اذ قالت :

— يسرني انك لن ترحل قبل رؤية ولدي يا سيدي .

فقلت : لا اعرف ان لك اولادا على الاطلاق .

قالت : كانا خارج الفندق في مهمة ولكنهما عادا منذ برهة قصيرة . وستدهش لرؤيتهما . لقد ربيتهما بيدي كما يقولون ، وعندما يحين اجلي فسيشتركان معا في ادارة الفندق .

ودخل الردهة في تلك اللحظة شابان يبدو عليهما سيماء الصحة وطول القامة . فشع النور في عينيها عندما اقبلا نحوها يحتضنانها ويقبلانها بقبلات مسموعة .

وقالت : انهما لا يتحدثان الانجليزية يا سيدي ، وان كانا يفهمانها قليلا . ولكنهما بالطبع يتحدثان التركية كالاهالي ، واليونانية والايطالية كذلك .

وبعد ان تبادلت معهما السلام أسرت اليهما بشيء فانصرفا على الاثر .

فقلت لها : لا بد انك جد فخورة بهما يا سنيورة فهما رائعان كل الروعة .

فقالت : نعم انا فخورة بهما ، وكلاهما رائع حقا . انهما لم يزعجاني قط في اي يوم منذ ولادتهما . وهما صورة صادقة للسنيور نيكولبني .

فقلت : الحق ان احدا لا يستطيع القول بان لهما اما انجليزية .

فقالت — انا لست امهما تماما يا سيدي ، لقد بعثت بهما لكي يسلما عليها .

وبان علي شيء من الاضطراب .

فقالت — انهما ابنا السنيور نيكولبني من فتاة يونانية كانت تعمل في الفندق ، وقد تبنيتهما لانه ليس لي ابناء .

وعبثا وجدت عبارة اعلق بها على قولها .

فقالت وقد شدت من قامتها بعض الشيء : ارجو الا تظن بالسنيور نيكولبني الظنون . فلست اود شيئا كهذا يا سيدي . ثم شبكت يديها واضافت عبارتها الاخيرة في مزيج من الكبرياء والعزة والرضا .

— لقد كان السنيور نيكولبني رجلا موفور الرجولة .

حسن السعران

في جميع المكتبات .

ملحمة عيد الرياض

لبولس سلامة

تقع في ثمانية الاف بيت

وستماية صفحة

ثمنها ١٥ ل.ل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انـا الحـب

٥

انني اسير وحدي .. في طريق مظلمة موحشة .. أسير وأسير دون ان التفت او أعلم الى أين المسير ..

*

اريد ان اعرف اين انا .. وهل ما زلت ـ كما خلقت ـ فكرة من وهم أزرق في فضاء واسع كبير .. أم انني مجرد فضاء ليس بمحدود .. اريد ان اعرف اين انا .. ؟

*

ماذا ستقول عني ..

مجنون يتكلم .. ! قل ما تشاء ؛ ولكن قبل ان تحكم علي .. دلني على الطريق وقل لي اين انا .. ومن اكون .. وقل بعدها .. انني مجنون ..

*

.. والتفت ورائي فجأة .. لاسمع صوتا يناديني ..

كلا ..

انه لا ينادي .. انني انا الصوت ..

انا النداء .. فمنذ ان عرفت الحياة وانا انـادي وحتى لا اسمع صدى صوتي .. !

*

أتراني اتساءل ـ يوما اين كنت اتحمل ضوء هذه الشمعة الخافت ..

أتراني أرى ـ يوما .. ضوءها المتراقص الهادي ..

أتراني استطيع ان اتحمل رؤيتها وهي تذوب ..

أكاد اجن يا صاحبي ..

*

لك وحدك هذا القلب يا حياتي

لك وحدك استطيع ان ادعي وابتهل .. ولكن لم كل هذه النيران المتوقدة حواليك .. ؟

أتوقدينها لتبعدي الشر عنك .. !

لن اقترب منك يا حياتي . واطفئي النار .. لانني المحك تتحرقين .. !

*

سأطهر نفسي .. سأطهر نفسي واقترب منك بعدها اقترب وارى النار . واعلم انك توقدينها لتصطلي بها وتتعبدي .

لا لتبعدي الشر عنك . سأطهر نفسي ..

انك لا تعلمين .. كيف سأطهر نفسي .

سأحرقها .. سأحرق نفسي .. فحبك في قلبـي لا يزول

انه يريد نارا أزلية متأججة ..

*

كم تمنيت ان اقطف اجمل وردة من البستان .. اجمل واعطر وردة .. واضعها بين طيات شعرك الفاحم يا حياتي ..

ولكنني أخاف .. ان انا فعلت ذلك ..

ان يفقد شعرك الساحر الجميل رائحته وعطره !

*

بعدي وجهك الساحر عني ..

ودعي شعرك وضفائرك فوق جبينك ـ هذا الذي قبلته بالامس ..

فأنا مشتاق لان اراك هكذا في صورة ساحرة ..

حتى ولو كنت لا احتمل ..

فأنا الحب الذي في قلبك يا حياتي .. !

حمـص — عدنـان الداعـوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبـل الحقيقـة

*

احلامي الميته
لا زالت حيث تركتها
في الافق النائي
تلمع كقوس قزح
لن يبهر بعد الان ذاتي
.. الى أفق جديد
لا الوان فيه ولا ضياء
رحلت بذاتي المفجوعة
وقبعت ، هناك ، في الظلام
وحيدا بلا احلام
احلامي الميتة

*

في أفقي المظلم
بكت ذاتي احلامها وانتحبت
وضاقت بوحدتها معي
وتلفتت كثيرا للافق المغمور بالضياء
فلا زال يبهرها الضياء

*

هنا ..
سأقف وجها لوجه
أمام تفاهتي
وسيبزغ في ذاتي ــ هنا
فجر الحقيقة
الحقيقة التافهة

*

لتبك ذاتي وتنتحب
فلن اروع ابدا من تفاهتي
ولتلمع احلامي الميتة وتلمع
فلن يقوى بريقها
بعد الان على محوي

*

هنا ــ في أفقي
سأبقى قابعا في الظلام
وسأتنظر بزوغ الحقيقة في ذاتي
الحقيقة التافهة
الحقيقة ...

حلب • عبد الوهاب سابس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجغرافية العربية

للمستشرق بارتولد - ترجمه وعلق حواشيه

حسين علي الداقوقي

مفتش معارف كركوك بالعراق

*

احتضنت الخلافة العربية ممتلكات الدولة الساسانية ، وبلادا شاسعة من جسم الامبراطورية البيزنطية بالاضافة الى شبه جزيرة العرب وربوع الاندلس وقد كانت هذه الدولة على النقيض من سابقاتها من الدول الشرقية ، لان اجزاءها لم تكن مترابطة بروابط الوحدة السياسية فحسب انما كانت مستندة الى اساس ديانة عامة ، فتأسست في داخليتها رابطة وثيقة دامت دون ان تفقد خطورتها حتى بعد اضمحلال الخلافة نفسها .

ان الاختلاط بين العناصر البشرية التي كانت تضمها الدولة الاسلامية ، والتأثيرات المتبادلة فيما بينها تمخضت عن حركة الترجمة الى العربية وعن تطور العلوم بما فيها علم الجغرافية . فاحتفظ العرب بقسم من النظريات اليونانية على ما كانت عليه من دون تعديل ولم يغيروها كما غيرتها النظريات الحديثة في اوربا الغربية راسا على عقب ، فظلوا على التقسيم اليوناني القديم للربوع المسكونة من الارض من الجنوب الى الشمال الى سبعة اقاليم ، وحافظوا على نظرية سلسلة الجبال الممتدة من الغرب الى الشرق والتي تفصل اليابسة من الكرة الارضية الى قسمين . غير ان معارفهم الجغرافية من حيث غزارة الموادالجغرافية التي جمعوها ومن حيث صحتها تفوق على ما لليونان مرات ومرات ، وان الدراسات الوصفية التي قدمها الكتاب العرب عن مناطق ارض الخلافة وحواضرها ، والدراسات التي وصفوا بها الاحوال الجغرافية والمناخية لهذه البلاد قد تضمنت معلومات مسهبة وصحيحة حول حياة الناس وحول مختلف ضروب صنائعهم ودرجات تقدمهم المدني . ولم تنحصر معلومات العرب الجغرافية بين حدود ارض الخلافة بل تجاوزت الى ما وراء البوادي العربية الى البلاد الخارجية عنها فغدا الطريق البحري المؤدي الى بلاد الهند وجزيرة سيلان والصين معروفا لديهم بكل وضوح من جراء حركة الاختلاطات التجارية التي حصلت في تلك الاثناء . واكثر من كل ما ذكرنا انهم قد تعقبوا حذاء سواحل الصين وواصلوا سيرهم حتى وطئوا ارض مسمية جزيرة كوريا . اما اليابان فان ما بلغهم عنها لا يتعدى اشاعات غامضة حول هذه البلاد .

ومن جهة البر فان الآثار الاسلامية تحمل معلومات واوصافا مفصلة عن طريق الصين وتدل على ان مسالك اخرى كانت معروفة لديهم كالطرق المؤدية الى (جو) الساكنين في جهات (التبت) و (يدي صو) . والى (أيرتيشن) القاطنين في سيبيريا . والى مقرات خانات آسيا الوسطى الرحالة الضاربين على ضفاف أعالي نهر (بكي جاي) .

ان المع ادوار التقدم في تاريخ التأليف الجغرافي هو القرنان التاسع والعاشر الميلاديان ، ويسرنا ان نقول بان جانبا عظيما من هذه الآثار الادبية الجغرافية توجد ضمن السلسلة التي نشرها المستشرق الهولندي المتوفي (دي خوية) تحت عنوان المكتبة الجغرافية العربية .

ان اعظم مؤلفات القرن التاسع والذي حاز القيمة والاهمية الكبيرتين هو أثر ابن خرداذبة (١) ، وكذلك يكون اثر محمد التاريخي الاندلسي وهو من مؤلفات القرن العاشر المع حجة على التبادل الخصب بين الاجناس ، التبادل الذي استمر بين مختلف انحاء الخلافة حتى بعد سقوطها .

الف البلخي وهو احد جغرافيي آسيا الوسطى كتابا يسمى (صور الاقاليم) (٢) وهو مصدر رجع اليه الاصطخري وهو احد جغرافيي الفرس وجدد فيه العمل واكمله (٣) . ومؤلف الاصطخري بدوره اصابه تصحيح وتكميل من قبل (ابن حوقل) (٤) الذي نشأ في بغداد وامضى شطرا كبيرا من حياته في شمالي افريقيا .

ان المعلومات التي امكن وصولها الينا بواسطة كتب العرب الجغرافية حول البلاد الخارجة عن حوزة الخلافة مختصرة جدا ويرجع ذلك بوجه خاص الى انه لم يظفر الى الان بنسخة كاملة من مؤلف ابن خرداذبة ، ولا تيسر ايجاد نسخة من كتاب الجيهاني (٥) الذي تناول المعلومات التي اوردها ابن خرداذبة في القرن العاشر وجدد فيها العمل وعمل على استكمالها . بل كل ما هنالك اننا عثرنا على مقتبسات بلغتنا من هذين الكتابين ، وهي تعكس صورة مفصلة للطريق البحري المؤدي الى كوريا ، وتعرض معلومات قليلة جدا حول الطريق المؤدي الى بقاع الصين عن طريق آسيا الوسطى . وينبغي الا يغرب عن البال في هذا الصدد ان الخليفة العباسي الواثق بالله (٨٤٢-٨٤٧م) رأى في المنام ان سد الصين مشرف على الانهيار وامر سلاما الترجمان ان يقوم بسياحة الى السد فحصلت هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السياحة وصورت (٦) .

وهناك قطع مفصلة مقتبسة من ابن خرداذبة والجيهاني محفوظة في الآداب الفارسية ، وتدور حول طرق التجارة في آسيا الوسطى . وقد وجدت هذه القطع بوجه خاص في كتاب عثر عليه في بخارا عام ١٨٩٢ وعنوانه (حدود العالم) (٧) لمؤلف مجهول من جغرافيي القرن العاشر ، كما وجدت قطع اخرى من هذا القبيل في مؤلف الكرديزي احد مؤلفي القرن الحادي عشر .

وبالاضافة الى كل هذه الاثار فان الطرق البحرية المؤدية الى الهند والصين عرفت بآثار مؤلف في القرن العاشر من سيراف (ميناء فارسي) اسمه ابو زيد السيرافي (٨) ، وهذا بدوره مثلما افاد من مؤلف التاجر سليمان (في القرن التاسع) فقد اكمل عمله بما سمعه من الروايات الشفهية عن ابن وهب (٩) والرحالة الاخرين .

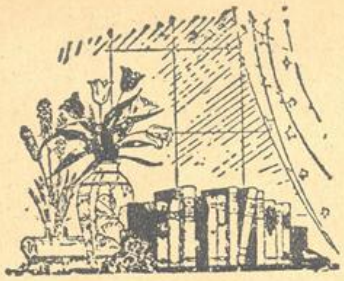
ان مرافىء الصين الرئيسية في تلك العهود بالنسبة لاقوال العرب مدينة خانقو (كانتون الحالية) وزايشون (تويان ـ جوي ـ فوالحنالية) وكان في المدينتين الثنتين اذ ذاك جالية اسلامية وافرة العدد عظيمة الشأن (١٠) .

وقد كانت الطرق المؤدية من المرافىء الصينية الى البقاع الداخلية معروفة ايضا والعرب بخلاف اليونان ، ومن بعدهم متأخرا الاوروبيين ، كانوا يعرفون الطرق البحرية والبرية المؤدية الى الصين معرفة جيدة ، ووجدوا في الآداب الفارسية معلومات تتعلق بالطريق البحري الصيني اكثر تفصيلا مما وجدوه في المؤلفات اليونانية . فنجد ان عاصمة الصين مدينة (سي ـ يان ـ فو الحالية) حافظت عند العرب على اسمها الفارسي « خومدان » ، ويقابلون هذه الكلمة باسم (هون ـ ديان) الذي يفيد معنى العاصمة . وكان هذا الاسم هو الاخر معروفا عند البيزنطيين ويحتمل انهم اقتبسوه ايضا من الايرانيين (١١) .

لقد كان مجال نظرة العرب في تاريخ العالم اوسع من مجال نظرة اليونان بمرات ، ويرجع ذلك الى اتساع معارف المسلمين الجغرافية اتساعا لم يتيسر مثله لليونان . فظهر في القرن التاسع الميلادي مؤرخون عرب حاولوا جمع روايات تتعلق بماضي الشعوب المتحضرة كافة بما فيهم الصينيون والهنود ، في الوقت الذي لم تكن هناك وسيلة تذكر لتحديد صحة هذه المنقولات وما قد توفر لدى هولاء المؤرخين لم يكن يكفي لتقدير الحضارات الاجنبية باستيفاء ولم يكن يلقي الضوء الكافي على الخطوط الحيوية التي تلعب الدور الاكبر في تعيين مقدرات الامم .

ان الاهمية التي اكتسبها الدين في المجتمعات الاسلامية دفعت المؤرخين العرب الى ايلاء ارجح الاهمية للمعتقدات الدينية في حياة الامم الاجنبية فراوا ان الصين قد اغلقت الطرق المؤدية اليها امام الخارج تبعا لتعاليم دينية وضعها حكيم ديني قرر فيها « ان تأثير الاجانب يعرض اعتقاد الناس الى خطر الضعف والوهن » . وهكذا يعلل اهتمام المؤلفين المسلمين في بحوثهم التاريخية بتوضيح ديانات الاقوام الاجانب ، وتفسر دقتهم في هذه الناحية من حياة الاقوام اكثر من النواحي الحيوية الاخرى .

فالصور التي وضعت من قبل هؤلاء المؤلفين حول المذاهب المسيحية واعتقادات الفرس والهنود تسترعي الانتباه لما بلغوا فيها من مبلغ الكمال والحياد . ولم يتوان



الأديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 Tél.

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واضعو هذه البحوث في هذا المضمار عن تعلم اللغات الاجنبية وتحمل مصاعبها كما كان شأن البيروني أحد علماء القرن الحادي عشر . فقد ترك اثرا مهما حول الهند يدل على امتلاكه ناصية اللغة السنكريتية وتضلعه بها .

يعتبر القرن العاشر الميلادي الدور الكلاسيكي لتاريخ الجغرافية العربية اما المؤلفات الجغرافية التي وضعت بعد ذلك فانها لا تعكس سوى مجموعة مواد تعود للقرنين التاسع والعاشر . ومن أشهر المؤلفات المتأخرة من هذا القبيل الحاوية على تلك المواد هو مؤلف الادريس (١٢) المكتوب في صقليا في القرن الثاني عشر . والمعجم الجغرافي لياقوت الحموي في القرن الثالث عشر . ويستلزم عند استعمال هذه الاثار ان يوضع حيال الاعين بان المعلومات الواردة فيها لا ترجع الى الازمنة التي عاصرها جامعوها انما ترجع بوجه خاص الى القرنين التاسع والعاشر . وهذه حقيقة كثيرا ما نسيت فادت بالباحثين الاوربيين الى الوقوع في اغلاط عديدة في هذا الشأن .

الشـــروح :

(١) (المسالك والممالك) . الفه في سنة اثنين وثلاثين ومائتين من الهجرة . استرعى هذا المؤلف انتباه الغربيين في القرن التاسع عشر . فنشر (رينو Reinaud قسما منه تحت عنوان (المدخل الى جغرافية الشرقيين) . وفي عام ١٨٦٥ طبعه Barbier de Maynard باربيه دومينار) في باريس ، وقد نقله الى الفرنسية ونشر الاصل مع الترجمة الفرنسية. وفي عام ١٨٨٩ نشره دي خويه في ليدن في سلسلة Bibliotheca Geographorum Arabicorum وتعرف بالاختصار BGA المجلد السادس VI

(٢) وهو اكبر مرجع عول عليه الاصطخري [راجع آدم متز ٢ ح ص ١٠]

(٣) ابو اسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري (المسالك والممالك) . اثار اعتناء المستشرقين في اوربا فطبعه مولر J. H. Moeller في غوتا سنة ١٩٣٩ ثم نشره دي خويه بطبعة انيقة في ليدن ١٨٧٠ ا ح المكتبة الجغرافية العربية.

(٤) ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي : الف كتابه صورة الارض او المسالك والممالك عام ٩٦٧ م وهو يحمل خاصية كتاب تاريخي وجغرافي معا قام بتحقيقه وترجمته السر W. Ouseley وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ ثم اخذ P.J. Ugienbroek بطبع المتن العربي والقسم الخاص بعراق العجم من هذا الكتاب باسم (خلاصة اخبار المسافر والعجم في معرفة بلاد العراق والعجم) في ليدن سنة ١٨٨٢ بعد اضافات وحواش قيمة . وترجم دوسلان De Slane الى الفرنسية القسم الخاص بافريقيا ونشره في باريس عام ١٨٤٢ . وبعد ثلاث سنوات من انتشار كتاب المسيو دوسلان ترجم آماري Amari القسم الاخر من كتاب المسالك والممالك باختصار الى الفرنسية ونشره في باريس سنة ١٨٤٥ . وعلى اثر هذه الترجمات حاز هذا الكتاب اهمية كبيرة في اوربا . ففي عام ١٨٧٣ نشره دي خويه كاملا في ليدن II BGA

راجع رسالة العلامة Z. W. Togan المنشورة في حيدر آباد سنة ١٩٣٤ باسم Islam and the Science of Geography وكتابه المشهور بـ (اصول البحث في التاريخ) وقد اورد في الثاني بان اقدم نسخة من هذا الكتاب واكملها موجودة في مكتبة طوبقيوسراي باستانبول رقم ٣٣٤٦ وعليها نشر J. H. Kromers الكتاب تحت عنوان Opus Geographicicum Auctore Ibn Haukel ليدن سنة ١٩٣٩

(٥) الجيهاني وزير احمد بن نصر الامير السامانـي ويعرف كتابه بـ (المسالك والممالك) . وهذا الكتاب كان قد وقع في سبع مجلدات ضاعت كلها ، الا ما نقل عن مطهر بن طاهر المقدسي في كتاب البدء والتاريخ ، والكرديزي في كتاب زين الاخبار الذي الفه في حدود سنة اربعين واربعمائة ، وشرف الزمان طاهر المروزي في كتابه منافع الحيوان ، الذي نشر قسما منه مينورسكي .

كان الجيهاني مولعا بجمع اخبار الملل غير الاسلامية في الترك والصين والهند . وكان يكتب الى بلاد الروم والصين والهند يسأل عن عادات تلك البلاد . وكان يجمع الاجانب الواردين من تلك الاصقاع عنده ويسألهم عن الخراج ، والطرق وامور تتعلق بالسياسة ثم يضع ما سمعه في كتابه المذكور (مقتبس من بحث للاستاذ ريتر نشر في كتاب (المنتقى من دراسات المستشرقين ا ح) .

(٦) راجع ما ذكره عن الرحلة : المقريزي وياقوت والادريس في نزهة المشتاق ، ومولانا ابو الكلام آزاد في مجلة ثقافة الهند سبتمبر ١٩٥٠ .

(٧) حدود العالم (فارس) كتب سنة ٣٧٢ هـ و٩٨٢هـ وقد نشره ف. بارتولد V. Barthold بواسطة الاكاديمية الروسية العلمية جزءا فجزءا . لننغراد ١٩٣٠ وترجمه الى اللغة الانكليزية ونشره وعلق له حواشي ف. مينورسكي V. Minorsky بعنوان The Regions of the World في (مجموعة تذكار جب) اكسفورد ١٩٣٧

(٨) سليمان السيرافي رحالة عربي لا نكاد نعرف شيئا عن ترجمة حياته ولكن وصف سياحته في الهند والصين انتهى الينا فقد كتبه سنة ٢٣٧ هـ (راجع كتاب الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ٢١ ، ٢٣)

(٩) ابن وهب القرشي: قام برحلة الى الصين نحو سنة ٢٥٦ وساح طويلا في ممالك الهند الصين وقد افاد من حديثه مؤلف اسمه ابو زيد حسن . (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ص ١٩)

(١٠) راجع : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري للدكتور عبد العزيز الدوري ص ١٤٧

(١١) احسن ما يجدر ذكره :

Gabriel Ferrand: Relations de voyage et textes géographiques et Arabes, Persans et Turcs relatifs à l'Extrême-Orient du VIII au XVIII siècles, Paris 1913-1914 جزءان

(١٢) الادريس : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الفه بناءا على طلب الملك روجر ضمنه ما توصل اليه الاقدمون وزاد عليه بحوثه الخاصة . منه نسخ مخطوطة في باريس (1221, 2222) Arab. وفي استانبول : مكتبة كوبرولو رقم ٩٠٥ ونسخة اخرى مع الخرائط في مكتبة ايا صوفيا رقم ٣٥٠٢ مكتوبة سنة ١٤٩٩ وراجع عن طبعات الكتاب : الاستاذ Togan وقدري حافظ طوقان في كتابه العلوم عند العرب واورد الاستاذ محمد بهجة الاثري معلومات قيمة عن الادريس في مقالة له نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي نيسان ١٩٥٢ .

العراق ـ كركوك **حسين علي الداقوقي**

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطـاحون

للشاعر البلجيكي فيرهارين

○

في اعماق المساء .. تدور الطاحون بهدوء عميق
في سماء كئيبة ، لهفى
تدور وتدور وشراعها بلون الحثالة
فهي حزينة ، ضعيفة ، ثقيلة ، تعبى للغاية

★ ★ ★

منذ الفجر ، واذرعها ممتدّة كأذرعٍ تشكو
انها تتراخى أيضا
وها هي تتدلّى .. هناك في الهواء الاسود
والصمت مطلق .. صمت الطبيعة الخامدة

★ ★ ★

ذات نهار ماطر حزين ، فوق القرى الغافية
الغيوم تعبى ، من رحلاتها الغامضة
والغابة الطويلة تلملم ظلالها الخضراء
والعجلات ترحل نحو افق ميت

★ ★ ★

حول مستنقع حنون ، بضع اكواخ من الشجر
شيدتْ بحزنٍ عميق على شكل دائرة
وهناك مضباح نحاسيّ يضيء سقوفها
فينسلّ شعاع عاشق من زوايا نوافذها

★ ★ ★

وفي السهل المديد ، على شاطىء موجة ناعسة
هذه البيوت القلقة ، تحت السماء المنخفضة ترنو
بالعيون المشقوقة ، خلال النوافذ الوحشيّة
والطاحون العتيق تدور تعبى ، تدور وتموت

طرابلس — صالـح درويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة سورية

المرأة التي كانت امه

بقلم اسكندر لوقا

لم يكن يعلم بانه ضيق الابعاد ، صغير الحجم ، الى هذه الدرجة، حتى جاء الى « الشام » لاول مرة ، فرفع بصره الى البنايات العالية على جوانب الشوارع . الشوارع العريضة التي يكاد يذوب فيها كما تذوب قطرة من ماء في بحر ..

احس الفتى في المدينة الكبيرة .. بما يحس به الفار في متاهة علماء النفس والحيوان ! فأر مرتبك امامه ثمة طرق لا يدري ايها يسلك لينجو بنفسه من هذه الزحمة التي لم يألفها من قبل في طرقات القرية التي ودعها في الصباح مكرها ، ولن يعود اليها ثانية الا اذا عثر في « الشام » على ضالته ..

الفتى يبدو في اول شبابه . ربما في الثامنة عشرة من عمره او دون ذلك بقليل . هيئته تنم عن انه رقيق الحال بين اليسر والعسر . يلبس جلبابا فضيا مقلما بخطوط سوداء لامعة .. مشدودا الى خصره بدكة سوداء ايضا . وفوق الجلباب سترة ذات لون بني متأثر بالشمس . وفي قدميه حذاء مستعمل علته غبرة واضحة .

كانت عيناه تائهتين . لا يدري الى اية جهة يتحول بناظره . الى الجبل الذي سمع عنه كثيرا في القرية ؟ الى القصور التي قرأ عنها في الكتب المدرسية ؟ الى السيارات الفارهة المئونة المسرعة تنهب الطريق وتغيب ، كما تظهر وتختفي الذكريات في رأسه .. كان ثمة كارثة ستحل بذلك المكان ؟ الى الاناسي يمرون به ولا يلقون اليه بالا ؟ الى الاشجار المزروعة على جانبي الشارع الطويل وتبدو متعانقة من بعيد تؤلف خطا اخضر واحدا ؟

انه لا يدري تماما ..

كل شيء حوله يغري بالتأمل فيه. ومرقت اذ ذاك من امامه فتاة نحيفة العود ، جميلة ، انيقة جدا . التقت عينه بعينها . عيناها عسليتان! وكانت الفتاة تتردى ثوبا رقيقا مثقوبا من عدة جهاته العليا بثقوب غير دقيقة ، يظهر من تحتها لحمها الناصع كان ثمة عيونا مزروعة هنا وهناك تصعد وتنزل في وجوه الرجال كما تصعد وتنزل عيون هؤلاء الرجال على بدن صاحبتها !!

وكان لهذه الفتاة تأثير كبير عليه ، كتأثير الكوكب الجديد في عالم الفلك الذي يكتشفه على حين غرة ! على ان الفتيات اللواتي مررن به فيما بعد ، استطعن ان ينتزعنه من غمرة ذهوله بكل جديد في النساء ، تكاد نفسه الجاهلة تقع تحت تأثيره لاول وهلة !!

وكان لا يزال واقفا امام « السبع بحرات » في شارع بغداد . الهواء الناشط يرشقه برذاذ الماء المتطاير من نافورة البحيرة فينعشه . الوقت أصيل . حركة السير عنيفة . بنت صغيرة في يد امها تثور في غضب ويصبح جسدها كخلية النحل الهائجة . ثمة قطة هزيلة مدهوسة ملقاة قرب الرصيف ..

وكان لا بد ان تبدأ مهمته . ان يبحث عن ضالته . عن المرأة التي يمضغ ناس القرية اسمها بافواههم منذ سنوات طويلة، وينعتونها بصفات قبيحة . المرأة التي كانت امه ذات يوم ..

فحاول السير .. ولكنه تفكر الى اين ؟

كان دأبه الخروج من القرية على صورة من الصور ، ذلك انه تشاجر مع ابن قائد فصيل الدرك .. وضربه على عينه ضربة قاسية .. معلنا بها عن كامل سخطه على ناس القرية ، منذ وقت طويل ..

لم يكن يهمه من قبل ان يسمع من الناس بأن امه قد هربت مع معلم مدرسة الى « الشام » يوم كان في الثامنة من عمره . وكان يجب ان يتريث في القرية مدة اطول لجمع اخبار امه والتعرف على ماضيها قبل محاولة البحث عنها ، ولكن جاءه ابن قائد فصيل الدرك مؤخرا وعيره بامه ، وقال له امام جمع من الناس : « ابن الـ ... » ففقد اعصابه اذ ذاك ، وما لبث ان اشتبك معه في شجار اسفر عن تحويل لون عين خصمه الى لون الصدأ ! ومن ثم فر الى المدينة . فر من وجه «السلطة» الوحيدة في القرية ! وقرر – بالمناسبة ان يبحث عن المرأة التي بقيت ثماني سنوات بدون رجل .. ثم احبت معلم مدرسة .. وهربت معه .. وتركته صغيرا ترعاه جدته لابيه .. وسببت له آلاما كبيرة ..

البحث عن امرأة معينة مهمة عسيرة .. وتجربة عقيمة .. في هذه المدينة الواسعة ، ذات الشوارع العديدة الفسيحة .. وخصوصا اذا كانت ملامح المرأة المطلوبة غير واضحة، ولكن مجرد «كروكي» خطوط رئيسية

انه يكاد لا يذكر امه . كانت نحيفة . ذات عينين خضراوين كعينيه . شعرها طويل اسود. ولكنه لا يذكر شكل فمها وانفها وجبينها. انما سمع اكثر من مرة من جدته لابيه، بانه صورة طبق الاصل عن امه . امه القاسية . وكان ذلك من بواعث اطالته النظر الى وجهه على صفحة المرآة.. ثم الضوء الوحيد الذي يخترق ظلمات مأساته .. واول الخيط الذي أمسك به حينما وجد نفسه مرغما على البقاء في المدينة ، يسير مع جملة من الناس صوب «بوابة الصالحية » .

وبلغ ذلك المكان ، وسأل هناك عابر سبيل عن اسم فندق ، فسمى له الرجل فندق « قصر عدن » . يقع على « كتف » نهر بردى .. قرب

فندق اخر اسمه « سميراميس » .. احدث فندق في المدينة . وقال له بانه في وسعه ان يختار لنفسه احدهما !!

لم ينتبه الفتى الى ما في اقوال الرجل من سخرية ، ولكن تلمس سبيله الى الفندق سائلا اين يقع نهر بردى . فوصل اليه بعد تجوال قصير . ووجده متواضعا وكما كان يرغب ان يجده . وقبل ان يضع قدمه على عتبته .. تحسس كيسا صغيرا في ثنايا الدكة التي يشد بها وسطه .. وتسلق بعد ذلك الدرجات الضيقة ..

المدينة تبدو رائعة ومغرية كالحسناء التي التقت عينه بعينها قرب « السبع بحرات » .. من نافذته العالية ! الاضواء تظهر وتختفي في كل مكان كعيون مصابة بالرجفان! المصابيح كأنها نساء عاريات يتدفق من اثدائهن النور ! النهر ماؤه قاتم يأتي من بعيد حاملا معه قصصا مؤلمة من التاريخ . حركة السير لا تزال على اشدها . والناس لم تخل منهم الطرقات . الطرقات التي تأخذ بالالباب .. وتأسر قلوب القرويين ..

ودار حول نفسه في الحجرة البسيطة التي اودع فيها كل تعب جسمه . جدران مزينة بنقوش ملونة صغيرة ولكن غير دقيقة . الارض مبلطة ومرشوشة بالماء . الفراش ليس طريا تماما . الوسادة فيها قش حتما ! المرآة .. واما المرآة ، فالتقت عينه بها اكثر من مرة .. فوقف امامها وراح يطيل التحديق الى العينين الخضراوين .. والشعر المهوش الاسود .. والقسمات القوية التي تنم عن طيبة وعزم معا ..

انه يشبه امه . حسنا . ولكن ذلك لم يعد له اهمية بالغة في الموضوع . انه بعد ان طالع تلك الوجوه المطلية بالاحمر والابيض في الطريق .. فقد نصف رجائه بالتعرف على امه اذا ما لقيها صدفة في مكان ما ، بين جمع آخر من الادميين !

وخرج ليتناول عشاء خفيفا في مطعم صغير قرب الفندق اياه . ومن ثم دار مرتين حول النهر يستنشق هواء المساء مضمخا برائحة السمك . ورائحة الارض المبلولة .. وما هي الا ان عاد الى مأواه .. وراسه محشوة تدور مع جملة افكار متعبة ..

غدا موعده مع العمل . ولكن من اين يبدأ ؟ اين يقف ليستعرض النساء؟ كم يوما سيقضيه في الشام ؟ الايجدر به ان يسأل عن عمل يكفل له دفع اجرة الفندق الذي ينام فيه على الاقل ؟ ولكن كيف يتاح له تأدية مهمته اذا ما ملأ يومه بساعات عمل ؟ واذا لم تكن امه موجودة فعلا في « الشام » ، وكانت — مثلا — في مدينة اخرى او في قرية من القرى ذهبت اليها مع زوجها المعلم ؟ من يسأل ؟ الشرطة؟ المخاتير ؟ دائرة النفوس ؟ صاحب الفندق ؟

قال له صاحب الفندق ان دائرة الشرطة لا تستطيع ان تساعده . وموظفو النفوس اعمالهم الرسمية تبتلع كل اوقاتهم ، بالاضافة الى ان كل واحد منهم وراء طاولته نصف امبراطور ! والمخاتير انفسهم مجرد القاب فارغة يسعون وراء المصالح الشخصية ! ولا احد يعرف حقا ماذا جرى هنا قبل عامين .. فكيف قبل عشر سنوات ؟!

فاسقط في يد الفتى . غب اول سؤال طرحه على انسان . والدوامة التي بدا يدور فيها متعبة حقا . فما اطيب النوم العميق ، حتى الاصباح ، على انسام الليل ؟ الانسام التي تذكره بجو قريته . بصفاء سمائها ونقاء فضائلها ؟

لشد ما سيشعر حنينا الى كل سنبلة من تلك الارض التي تفوح منها رائحة الحقول . الارض التي نما عليها كساق شجرة جذورها عميقة . لشد ما يحب القرية التي تنكر لها في ساعة حرج . جدته التي ذرفت دمعها خلفه . النهر الذي اغتسل بمائه مرة وكاد يغرق فيه . نساء القرية اللواتي لا يتبرجن .. ولا ينشنين الا في عذوبة وطهارة .. ولا يعرفن الابيض والاحمر والشعور القصيرة كشعور الصبيان !

غدا لن يعمل شيئا . سيعود فقط الى قريته . سوف يقبض عليه حتما اذا عاد ، ولكن ذلك لا يهم .. طالما ان ابن قائد الفصيل .. وباقي الرجال .. لن يلوكوا اسم امه بافواههم في حضوره .. بعد ان ضرب ابن اقوى شخصية في القرية ! سيعرفون اذ ذاك بانه قد صار رجلا . دخل السجن . ككل الرجال الذين دخلوا السجن وخرجوا منه !!

مرة اخرى تقلب الفتى في فراشه القاسي . وحدق الى الضوء الاحمر الذي يبدو كعين متعبة من كثرة السهر ومصابة بالتراخوما ! الجو لطيف مقبول ، ولكن افكاره لا تدعه يتفرغ للنعاس . الافكار اقوى من النوم . وراسه مستودع افكار . فكيف ينام ؟

يجب ان ينسى اذن لماذا حضر لماذا هو موجود في المدينة التي يتيه فيها الانسان كفأر ضئيل تافه ؟

ابوه مات قبل ان يخرج هو الى الحياة .. فماذا يضيره ان تموت امه الان ، فيريح ويرتاح ؟!

انه لم يعد شيئا بالنسبة الى امه .. والا لما فرت مع معلم المدرسة وحرمته دفء صدرها .. واهملته كل هذه السنوات الطويلة . فلم لا تكون امه بالنسبة اليه مجرد خاطر وليس شيئا اخر البتة ؟

ابوه مات قبل ان يولد . وامه يجب ان تموت الليلة . هذا كل ما في الامر ..

وذرف الفتى دمعتين على قبريهما ..

ونام ..

ومع خيوط الصباح الاولى ، ودع صاحب الفندق .. وترك باب حجرته مفتوحا ليلعب فيها الهواء . وسار في الدرب . درب المدينة التي نامت فيها امه مع رجل اخر غير ابيه منذ عشر سنوات ..

وبصق في مياه نهر بردى ..

واسرع خطاه كأنه مجداف يشق الموج .. وبلغ ساحة المرجة وكان قد انتشر فيها ثمة عمال يكنسون ارضها في نشاط . احدهم كان يغني ميجانا ، وبين قدميه كلب وسخ صغير .. يلعق براس لسانه عظمة يلعب حولها الذباب ..

اراد ان يتوقف امام المشهد يتأمل فيه ، ولكن تساحب الى اذنه صوت رجل ينادي من بعيد : حمص .. حماه .. حلب . حمص .. حماه ..

فغذ السير صوب الكراج ..

وفي طريق عودته ، مر « بالسبع بحرات » ، وخيل اليه كأن ثمة فتاة تنتظره على عطفة الطريق . فتاة عيناها عسليتان .. يضحك الحب له في جفنيها ..

دمشق — كلية الاداب اسكندر لوقا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن المقرب من شعره

بقلم عبدالله علي الخنيزي

°
° °

في الجزء السادس ـ يونيو ١٩٥٥ ـ من الاديب الغراء : كلمة قصيرة ، حول ديوان ابن المقرب كتبها الاستاذ محسن جمال الدين ، بنفس وشعور رفيع ، تكبر فيها الاخلاص ؛ وتجاوبها اصداء عميقة ، بعيدة في نفسي ... ذلك : دعوته لازاحة هذه الاكداس ، الحاجبة عن اعيننا الضوء ، لنبصر من ماضينا : جوانبه المشرقة ، ونتطلع الى رجالاتنا الخيرين ؛ فالحاضر انبثاق من الماضي . والماضي للحاضر بذرته الاولى ، وانبثاقته المتصلة . فامة لا ماضي لها امة بتراء . وامة لا تصل ماضيها بحاضرها ، وحاضرها بماضيها ، لتتماسك بينها الحلقات ، وتشتد الاواصر ، وتبعث التفاعل امة ناقصة الثقافة ، ضحلة المعرفة ، منكرة لما عليها من واجب ودين .

وفي نفس الموضوع : [ابن المقرب ، وديوانه] ، من بريد الاديب ـ اكتوبر ١٩٥٥ ـ كلمة اخرى ، للاستاذ محمد عباس القباج ؛ دفعته تلك الكلمة ، والشعور الانساني والتعاون الادبي ، لان يسجل فيها ما يعرفه عن هذا الشاعر وديوانه .

وكلتا الكلمتين ، القيتا على كاهلي الواجب ، لان اقوم بتسجيل هذه الالمامة القصيرة ، عن هذا الشاعر ـ وهي جهد المقل ، والفقير من مصدر ، يسعف الباحث ، ويأخذ بيده في ملتوي الطريق . اذ ليس ـ لدي ـ ما ينير لي هذا الطريق ، سوى الديوان نفسه ، وما فيه من شروح كلاسيكية بالية ، تلقي بعض الضوء .

نسب الشاعر ، ولمحة عن العيون والاحساء

نسب شاعرنا الامير ـ كما نجده في الديوان ـ هو : علي ، ابن مقرب ، ابن منصور ، ابن مقرب ، ابن ابي الحسن ابن غرير ، ابن ضباب ، ابن عبد الله ، ابن علي ، ابن عبد الله ابن محمد ، ابن ابراهيم ، ابن محمد ، العيوني ، الاحسائي ـ ويكنى بأبي عبد الله ، ويلقب بجمال الدين (١) .

واما العيوني ـ وليس « العينوني » ، كما ذكر الاستاذان : محسن جمال الدين ، والقباج ـ فنسبة للعيون : احدى المدن الاحسائية وقد ذكرها الفيروز ابادي ـ في قاموسه ـ تحت مادة « عين » : قرية بالبحرين ـ ويعني بالبحرين : المعنى القديم ، لهذا الاقليم ، كما سنوضحه قريبا .

وقد اشار لها شارح الديوان ، عند مطلع قصيدة لشاعرنا ، يمدح بها الامير شمس الدين باتكين ، امير البصرة ، عند قتاله بني معروف ، وهو :

ترى حيث اعلام العيون تراهـا فخلوا لاعناق المطي براهـا

فيقول الشارح : [العيون : ناحية الشمال من الاحساء من البحرين . زعموا انه كان بها اربعماية عين كلها تجري ، وتسقي بساتين ، وهي الارض التي تنسب اليها ملوك البحرين : بنو عبد الله ابن علي العيوني ، وكان صاحب مال عظيم] (٢) .

وعبد الله هذا ، هو الجد السادس للشاعر .

وقد ذكر « العيون » جرير ، في بيت ، قاله ، في احمر بن غدانة :

ونبئت عبدا بالعيون يسبني احيمر سوادا على كرب النخل (٣)

ولعل من الخير ـ وقد ذكرنا بيت جرير ـ ان نذكر ما اجابه به احمر :

اعيرتنا بالنخل ان كان مالنا ؟ وود ابوك اللؤم لو كان ذا نخل (٤)

وينسب هذا البيت ـ بابدال « ابوك الكلب » للصلتان العبدي ، ردا على جرير ايضا ، في بيت اخر (٥) .

وكان قد [نزلت عامر بن الحارث بن انمار بن عمرو ، بن وديعة بن لكيز بن افصى بن عبد القيس ... الجوف والعيون والاحساء ، حذاء طرف الدهناء ، وخالطوا اهل هجر في دراهم] (٦) .

اما الاحساء : فجزء من الرقعة الممتدة ، التي كان يطلق عليها ـ قديما ـ احد الاسماء الثلاثة : الخط . البحرين . هجر . وبعد تعاقب الازمنة ، طرا على هذه الاسماء ما ابدل اطلاقها ، فكان ان اختصت الاحساء باسم هجر .

والاحساء ـ في اللغة ـ جمع حسي ـ بفتح اوله ، وقد يكسر ـ السهل من الارض ، الذي يستنقع فيه الماء « أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر ، وكلما نزحت دلوا جمت اخرى » (٧) . وقيل : « هو الماء الذي تنشفه الارض من الرمل ، فاذا صار الى صلابة امسكته » (٨) . وقيل فيه غير ذلك .

وهناك عدة مواضع ، تحمل اسم الاحساء ـ ولعل اكثرها في البادية ، حيث تنطبق عليه هذه الكلمة ، فيما تحمله من معناها اللغوي . فمنها : احساء بني سعد بحذاء هجر . وماء لجديلة طيء بأجا . واحساء خرشاف . واحساء القطيف . و « مدينة بالبحرين معروفة مشهورة كان اول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر : ابو طاهر الحسن بن ابي سعيد « الجنابي » القرمطي ، وهي الان مدينة مشهورة عامرة » (٩) .

(١) ذكر الاستاذ القباج نسب الشاعر هكذا : « الامير غالي الدين : ابو عبد الله ، محمد بن علي ، بن المقرب ، بن المنصور ، بن مقرب ، بن علي ، بن عبد الله ، بن محمد ، بن ابراهيم ، بن محمد القيوابي » . ومما نستدل به على ان النسب الذي اتينا به اصح : اسم الشاعر نفسه . فليس من شك ، في ان اسمه علي ، وليس محمدا . والنسبة فهو : « العيوني » ، لا القيوابي ـ وان يكن القباج ، قد لفت نظر القارىء للنسبة بكلمة (كذا) الا انه ذكره ـ اولا ـ « العينوني » وكلاهما خطأ .

(٢) الديوان ص ٥٥٨ . (٣) و (٤) طبقات فحول الشعراء لابن سلام : تحقيق محمود ومحمد شاكر ص ٣٨٦ (٥) المصدر ص ٣٤٥
(٦) المصدر هامش ص ٣٨٦ (٧) القاموس ص ٣١٧ : ع
(٨) مهد العرب ، الدكتور عزام ص ٨٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه الاخيرة هي الاحساء ، اليوم .

وفي تحديد الاحساء ، وقع الجغرافيون القدامى ، في اختلاف ، يعسر على الباحث تقصيه ـ مثلهم في مدلول كلمة البحرين ، والخط ، وهجر ، وحدودها . ولعل السبب في ذلك : ان كل واحد منهم ، يسجل ما يسمع ، دون تثبت من الواقع ، او انه يسجل ما يصطلح عليه في عصره ، دون ان يدرس ما سجله من قبله . لهذا من الصعب ان تجد الكلمة الفاصلة له ، في الموضوع ، لتضارب الاقوال!

والاحساء : صحراوية رملية ، ترتفع من الجهة الغربية عن ساحل البحر . لذلك فان هواءها شديد اللهب في الصيف ، يثير الرمال ، فيكسو الافق بحلته الدكناء . وفيها: كثير من التلال ، الا انها متباعدة ، كأنها قائمة على نفار .

وهي من كثبان الرمل على غنى ؛ وتنتقل هذه الثروة الرملية من محل لاخر ، حينما يزلزله من مستقره ، ما يهب من العواصف والزوابع .

وفي الاحساء ـ مما يسترعي الانتباه ـ جبل القارة الرائع . ويجثم هذا الجبل في جهتها الشرقية .

اما ارضها : فمخصاب . فثروتها المائية غزيرة. وتوجد فيها بعض المياه المعدنية . ولكن ـ مع كثرة ما فيها من الاراضي ، العامرة بالزراعة ـ فان فيها من الاراضي القاحلة والصحارى المقفرة ، ما لعله يزيد على المساحات المزروعة ، اضعافا واضعافا .

الديوان

كان لا بد لنا ، وقد نسبنا شاعرنا للاحساء : ان نسجل سطورا حولها . وكم كنا نود ان نستوفي الحديث حولها ـ في مثل هذه المناسبة ـ لولا ان الحديث ـ وقد يطول ـ يخرجنا عن موضوعنا ، او يبعد علينا فيه الطريق !

والان ، نود ان نخلص من تلك المقدمة ، لنعرف القارىء الكريم ـ اولا ـ بشكل الديوان ، قبل ان نمضي في الحديث ، عن الشاعر وشعره ـ وهما حديث واحد ؛ اذ ليس لنا حديث ، حول الشاعر ، من سوى الديوان .

يقع الديوان في ٥٧٦ صفحة ، من القطع الوسط ـ وهي كل ما اشتملت عليه الدفتان ، من مقدمة مسجعة ، وشروح خاطفة . وهذه الشروح ، تفصل بين البيت واخيه، فهي تتخلل الابيات ، وتجزأ القصيدة ، الا ان هناك بجانب كل بيت ، من شعر الشاعر ، رقمه المتسلسل بين القصيدة ويضم الديوان ، من الشعر ، واحدا وتسعين قصيدة (١٠)، تكون اربعة الاف وستمئة وستين بيتا .

اما جامع الديوان ، فهو ـ كما نهتدي له ، من التقريظ الذي في نهاية الديوان ـ الشيخ حمد بن خليفة العيوني .

وهذه الطبعة ـ كما يتبين لنا ـ غير الطبعة ، التي اشار اليها الاستاذ القباج ، في مقاله ، حيث ذكر انه «طبع بالمطبعة الميرية بمكة المكرمة في عهد ... عبد الحميد عام ١٣٠٧ هـ. وقد التزم نشره الشيخ عبد الله بن سعيد باخطمة » .

ولم نقف على الطبعة الثانية ، حتى نعرف اي الطبعتين :ميز واتقن ، واوفى لشعر الشاعر . وهل الجامع واحد ، ولا تمتاز احداهما عن الاخرى ، من حيث ضبط الرواية وصحتها ، ومن حيث استيفاء شعر الشاعر ، ام هناك خلاف بينهما ذو قيمة ؟

وتنسب للشاعر قصيدتان ، في رثاء الامام حسين السبط «م» ؛ ولم نقف عليهما في الديوان ، الذي بايدينا.! ولماذا ...؟ الانهما منحولتان ؟ ام انهما اسقطتا عند الطبع ... ؟

نحتاج ، في الاجابة ، عن هذا السؤال ، الى دراسة اوسع من هذه ... ونامل ان نتوفر عليها في المستقبل ، حين تتاح لنا ادوات الدراسة العلمية ، عن الشاعر وشعره.

وعندما عارضنا ما اتى به الاستاذ القباج ، من الفقرات التي اقتطفها من مقدمة الديوان ، وجدنا بعض التفاوت ، بينها في الاديب ، وبينها في الديوان الذي لدينا . ولعل من الخير : ان ناتي على شيء من هذه الفقرات بالذات ، ليتسنى للقارىء الكريم المقارنة . وقد جعلنا ما نجده من زيادة ، في الديوان ، عما جاء في الاديب ، بين قوسين « ... » كما جعلنا هذه الاشارة «خ» جوار الكلمة التي فيها خلاف ، ما عدا المواضع التي لها اهمية ، فانا سنشير لها في الهامش :

[وقد اعطى « الله » الامير جمال الدين ابا عبد الله علي ابن مقرب ـ الخ (١١) ـ من هذه الحلة «خ» افضل الانصبا «خ» وخصه «خ» فيها بخصائص لم ينلها احدا «خ» من الادباء ، حتى صار فريد دهره . ومقدما «خ» في هذا الشان على كثيرمن سابقي «خ» عصره . « وشهد له بالسبق كل ناقد اريب ، وملكه زمام الفضل كل فاضل أديب . وفيه كرم النفس المتوافر ، ونزاهتها ومجدها المتكاثر ، والتمسك بالدين والعفاف ، وحسن الخلق والانصاف ، فلم يقصر عن الكمال بغوى فضيلة ، ولا دنس عرضه بارتكاب رذيلة . بل كمل فضلا وخلقا ، واخذ من كل نفيس حظا وحقا » (١٢) ومع ذلك فقد نظم بدائع الكلم (١٣) قبل «بلوغ » اوان الحلم ، وبرز على الكهول في الشعر (١٤) ولم يزد سنه على عشر . ولم يخرج منه القريض لاكتساب مال ، او لفاقة ورثاثة حال (١٥) فانه من ... (١٦) الشرف الاصيل « والنسب » الوافر الجزيل، وله النفس الابية عن المطامع ... (١٧) « والجبلة المرضية في الطبائع » . ومنه الاحسان العميم على الاقارب والاباعد

(٩) القاموس ٣١٧ : ٤ ، وجغرافية شبه جزيرة العرب ، لرضا كحالة ، حاشية ص ٢٦١-٢٦٢ . وقد ذكر « الجنان » بدل « الجنابي ».

(١٠) من الخير ان نشير الى : حدوث غلط في عدد القصائد ، فتكرر رقم ٧١ ، فبلغ مجموعها ٩٠ ، فاذا صححت الغلطة كان ٩١ .

(١١) وهو ما سبق ان عرضنا له في صدر المقال . وقد اشرنا الى الاختلاف في نسب الشاعر ، عما جاء هنا ، وعما جاء في مقال القباج. وكذا لقب الشاعر ونسبه .

وقام بطبعه عبد العزيز بن احمد العويصي . وقد طبع في [المطبعة دبرت ساد الواقع في المنبىء سنة ١٣١٠ هـ] .

(١٢) ما بين القوسين من « وشهد » الى « وحقا » ـ زيادة في الديوان ، عما جاء في مقال القباج . وكذا كل ما بين قوسين .

(١٣) في المقال : ومع ذلك اختص بنظم بديع الكلم .

(١٤) في المقال : وبرز على الملوك في الشباب ـ ولا نشك في ان الاصح هو ما جاء في الديوان . اذ به يستقيم سياق الحديث .

(١٥) في المقال : ولم يكن همه لاكتساب مال ، ولو نالته رثاثة حال .

(١٦) في المقال زيادة ـ محل النقط ـ كلمة : ارباب .

(١٧) في المقال زيادة كلمة : الموبقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٨) والافضال الجسيم (١٩) والافاضل الجسيم

(١٩) على الغادي والقاصد «خ» شعره مقصورا « خ » على تعديد «خ» مناقبة وتعريف «خ» ابائه واقاربه] .

ونكتفي بهذا القدر ، فليس لنا ان نمضي في المقارنة ، بين كل ما اقتطعه الاستاذ القباج من مقدمة نسخته .

الامارة العيونية

انبسطت السلطة القرمطية على البحرين ؛ وكانت — كما اشرنا — قد عمرت الاحساء ، وجعلت منها مدينة . ولكنها عندما انهارت منها قوى السلطة ، واذنت بالعدم والانقراض ، ثار في وجهها الثوار ، بعدما سئموا الضيم وذاقوا مرارة الاذى . وكان قد تزعم حركة الثورة في القطيف : يحيى بن العياش . وفي البحرين : ابو البهلول محمد بن يوسف الزجاج . وفي الاحساء : عبد الله بن علي العيوني .

وخلف يحيى على القطيف ابنه زكريا . فما عتم هذا ان غزى البحرين ، فتغلب عليها . وكان الطمع في الغنم يدفع هؤلاء الثوار على ان يكسر احدهم الاخر فاذا ما قدرت الغلبة لاحدهم ، فان الطمع ليدفعه لالتهام الاخر ، لئلا يبقى في وجهه ذلك النظير ، وهو لا يرى فيه سوى اللقمة السائغة ، السهلة الازدراد . لذلك لم يمكث زكريا ان جهز ما يغزو به الاحساء — وقد غره النصر ، فطمع في بسط سيطرته على هذه الرقعة الممتدة — ولكنه لم يكد يبلغ « ناظرة » — وهي احدى قرى الاحساء — حتى فجأه عبد الله بن علي ، فلم يلبث ان هزمه هذا هزيمة نكراء ، فاتبع اثره الى القطيف . فراى ابن العياش : ان القطيف فراى ابن العياش : ان القطيف ليست بمانعته ، ومن وجه هذا اللاحق به ، والذي يريد ان يريق منه الدم ، وقد انتهك حرمة البلد الامن .

ولم يرض عبد الله ان يقف من النصر عند هذا الحد فالحق ابنه الفضل ،بابن العياش ، هذا الفار الى البحرين ، ليمتنع فيها هناك ، ويبقي على الحياة ، وصبابة من الملك المضعضع ، الذي لم يكد يتسع حتى عاد فضاقت منه الرقعة ، وليس يعلم الى اين سيبلغ هذا الانكماش .

وفي تلك المحاولة ، بين الفضل وابن العياش ، تغلب فيها الفضل ، فخمد الانفاس من اشجع جندي في جيش العياش — يدعى « عكروتا » — فانهزم بذلك ابن العياش ، وركب البحر الى العقير ، ليعاود — ثمة — صياله — فحشد من البادية الحشد الكبير ، واغار على القطيف ، فصمد له عبد الله بن علي ، ليفت من الجيش وحدته ، ويكسو منه شوكته ، وكانت هذه المعركة اختام حياة ابن العياش .

وكانت هذه الحركات ، هي الدعامات الاولى ، في بناء الامارة العيونية ، التي امتد منها الظل على : البحرين ، والقطيف ، والاحساء ، واستمرت نحو قرنين ونصف (٢٠)

ولشاعرنا ابن المقرب قصيدة ، طال فيها النفس ، وامتد به الشوط ، حتى بلغت مئة وواحدا واربعين بيتا ، يعدد فيها مناقب سلفه ، ويفتخر بمآثرهم الباقية ، نظمها — وهو في بغداد — عام ٦١٣ هـ ، استهلها بقوله :

قم ، فاشدد العيس للترحال معتزما ... وارم الفجاج فان الخطب قد فقما
ولا تلفت الى اهل ، ولا وطن ... فالحر يرحل عن دار الاذى كرما

ويقول — بعد اثنين واربعين بيتا — ليعرض انهيار الدولة القرمطية ، وقيام الامارة العيونية ، وما لابستها من احداث ، وهو في معرض الفخر ، بان كان تقويض هذه الدولة ، على يد اسلافه ثم يمضي في عرض حوادث اخر حتى يصل لقوله :

ولم ينج ابن عياش بمهجته ... يم ، اذا ما يراه الناظر ارتسما
أتى مغيرا فوافى جو « ناظرة » ... فعاين الموت منا ، دون ما زعما
فراح يطرد طرد الوحش ليس يرى ... حبل السلامة ، الا السوط والقدما
فانصاع نحو «اوال» يبتغي عصما ... اذ لم يجد في نواحي «الخط» معتصما
فاقحم البحر منا — خلفه — ملك ... ما زال مذ كان للاهوال مقتحما
فحاز ملك « اوال » بعد ما ترك « العكروت » بالسيف للبوغاء ملتزما
وصار ملك «ابن عياش» وملك «ابي البهلول» مع ملكنا عقدا لنا نظما

ثم يمضي الشاعر ، في شوطه البعيد . فبعد ان يذكر عبد الله بن علي ، يعدو اسلافه ، ويذكر منهم من ابقى الاثر ، او من نال مكرمة ، فيعدد منهم الكثير ، ويقول : منا ... ومنا ... وبعد عشرين من « منا » عد خلالها كثيرا من اسلافه ، بما ابقى من اثر ، وما لابست حياته من احداث ،وما قام به من عمل باق ، ولو في رايه — على الاقل — حتى يقول :

منا الذي ابطل «الماشوش» فانقطعت ... آثاره ، وانمحى في الناس وانطسما

ويختتم هذه الملحمة بهذا البيت :

وما عددت عشيرا من مناقبنا ... ومن يعد ترى « يبرين » مرتكما ؟!

خطوط من حياة الشاعر

لسنا نعرف عن حياة الشاعر ونشأته شيئا ، يعتمد عليه الباحث ، او يرجع اليه المؤرخ . فمتى ولد ؟ وما لابس حياته ، ورافق طفولته ، واثر في تفكير ؟ وماذا ؟ ... ؟ وماذا ... ؟ اسئلة تزدحم وتلح ، وليس في وسعنا الجواب عليها ! .

ولكن مما لا شك فيه : انه ولد في القرن السادس الهجري. اذ انا نجد في ديوانه قصيدة ، يمدح بها الامير محمد بن احمد ، بن محمد بن ابي سنان ، عام ٦٠٢ هـ ، « حين تحالفت عامر على حربه » — كما يقول الشارح — « وهي اخر قصيدة قالها فيه » :

رماح الاعادي عن حماك قصار ... وفي حدها عما تروم عثار

اذن . فهذا التاريخ ، ليس اول عهده بنظم الشعر — كما تدل قولة الشارح : بان للشاعر قصائد اخرى — قبل هذه — في مدح محمد هذا . وله في هذا العام — ايضا — قصيدة اخرى ، استهلها بقوله :

الا رحلت نعم واقفر نعمان ... فبح باسى ، ان عز صبر وسلوان

وكان ما دفعه لنظم هذه القصيدة — وهي في مدح الامير محمد بن احمد ، ايضا — ان دخل الشاعر على الامير

(١٨) قدمت في المقال كلمة « الاباعد » على « الاقارب » . وهذا مما يسيء الى التسجيع ! (١٩) في المقال : وله المروءة البالغة على ...

(٢٠) اخذنا خطوط هذا العرض ، من شرح الديوان ص ٤٥٠ ، ومن ملوك العرب للريحاني ص ٢٣٥—٢٣٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فجر الحديث الحاضرين الى ذكر الشعر ، حتى سألوه عن شعر جديد ، قد يكون قاله ، فلم يكن لديه شيء . «وكانت العرب قد فسدت نياتهم عليه ، ولم يكاشفوه بذلك خوفا منه » (٢٢) . وكان قد لمس هذا منهم ، فافزعه ذلك ، لان هذا مما يجعله في مأزق . فالاحوال السياسية مضطربة. فلما تلى هذه القصيدة ، نال الاعجاب من الامير ، وممن ضمه مجلسه . وكان من ثمار هذا الاعجاب : ان طلب منه الامير ، ان يقول قصيدة اخرى ، ولم يجده الاعتذار ، حتى قال تلك القصيدة الاولى : « رماح الاعادي... » ، مما مكن منزلته في قلب الامير ، وضاعف الاعجاب به .

فاذا كان الشاعر ينظم الشعر ، في هذا العام — وهو عام ٦٠٢ — وليس هذا التاريخ بنقطة البدء . واذا كان هو — حينئذ — ممن يخاف الجانب — ويهاب السيطرة ، فانه حينئذ — ولا بد — ناضج الرجولة ، مكتمل التفكير ، فهو — على اقل تقدير — في اخر عقده الثاني ، او بداية الثالث وان يك قد نظم الشعر ، وهو ابن عشر سنوات — كما يقال ، او كما بالغ الشارح في مقدمته : « برز على الكهول ولم يزد سنه على عشر ».

ولسنا — كما قلت — لنستطيع ان نعرض شيئا ، عن حياته وملابساته ، وما رافقتها من احداث . فالمقدمة ليست بالتي تسعف الباحث لتاخذ بيده في ملتوي الطريق ، ان لم تزده حيرة وتخبطا ، وان لم تكاثف عليه من الظلم طبقات وطبقات ... وليس بين هذه التسجيعات الطوال — ومنها صيغة المقدمة ، التي شغلت حيز سبع صفحات — سوى عرض غامض ، لشيء من مطاردة السياسة القائمة للشاعر ولكنها لا تعرض الاسباب ، ولا تبحث الدواعي ، ولا تعلل الاحداث ...

صادر ابو المنصور علي ابن عبد الله ابن علي (٢٣) — وهو للشاعر من بني عمومته — كل ما يمتلكه الشاعر ، حقيرا كان او جليلا ، وزج به في غياهب السجن ، تحت وطأة الاصفاد ، ومرارة الاضطهاد والحرمان .

ولكن الشارح يدع الباحث ، لا يدري لم يعزو هذه الشدة والعقاب الصارم ، الذي انزله ابو المنصور في الشاعر ، وهو له من الارحام الواشجة ؟

ان الشارح يعلل ذلك بوشاية ، نسجها اعداء الشاعر وحساده ، من اهل بيته ، وقصدهم من وراء ذلك : اخماد هذا الصوت ، ولمة هذا الفضل ، الذي يتمثل في شخص الشاعر ، الرفيع المقام ، الشامخ الفضل .

وهذا التعليل ، وان كان ينير للباحث بعض الجوانب ، الا انه غير مستكمل الادوات . فالحسد والبغضاء لا يبقيان في المرء على فضيلة ، ولا يفسحان لحسنة ان تبقى في قلب من يحلان فيه ... الا ان ذلك تعليل سلبي ، او تعليل ناقص — على الاقل — فاول ما يبتدر للسؤال : بماذا وشى به هؤلاء السفل ، حتى اثاروا حفيظة ابي المنصور ، فانزل الشاعر ما انزل ، وهو عقاب لا ينزل الا في من عظم منه الذنب ، وتضاعفت الجريمة ؟

فهل ان الشاعر دبر مؤامرة ضد السياسة القائمة انذاك ؟ او الهب الجمهور ، فغرس في قلوبهم بذرة المناهضة والعصيان ، فوشى به هؤلاء ، قبل ان تنتج حركته شيئا ذا بال ؟ او انهم اتهموه بذلك ، ولم يكن يعلم بشيء ، ولم يقم بشيء ؟ أم الوشاية من نوع غير هذا ؟

وهل ان ابا المنصور : منذ صغى لقول الوشاة ، قام بهذا العقاب ، قبل ان يدرس الحال ؟ أم انه بان له من التهمة دليل ؟

كل ذلك يتعطش القارىء للجواب عليه ... ولكن ماذا بيد الباحث ، ليجيب ؟

ويمضي الشارح ليقول : ان الشاعر نال العفو ، بعد تأزم الحال ، وشدة العقاب ، فعاش كسير الفؤاد ، كاسف الوجه ، مهيض الجناح ، مضاعف الالم ان ينال الاذى من القريب وان تصفعه الكف المرجوة لان تقيمه وتحميه .

ولم يطل المكث في الاحساء ، بعد ما نبا منه المضجع فيها . وكيف يعيش فيها ، وهو المجروح الكرامة ، المرضوض الهمة ، الصفر الكف ؟

اتجه نحو العراق ، ليمكث هناك شهورا ، يأسو فيها جراحه ، ويريح باله ، ويتناسى الامه . ففي بغداد ما يرضي نفسه الطموح ، ويحافظ على كرامته الرفيعة .

ولكن ليس له ان يهجر وطنه كل هذا الهجران ... فليتناس كل ما لاقى من انماط العذاب ، والوان الاذى والهوان . فما للطير سوى عشه ، وان طورد او هوجم . فليعد للوطن — وليس لمثله ان يناى عنه — فعسى ان يلين من الدهر جانبه الخشن الملمس ، وتنبسط منه رقعته الكمداء . فعاد وقد اعد له سلاحا — وما سلاح الشاعر سوى ما تجود به قريحته — فليس له الا ان يمدح الامير محمد بن ماجد ، ابن محمد ابن علي ، ابن عبد الله ابن علي — وقد ملك الاحساء والبحرين .

وانه — وهو يقدم القصيدة ، يستعطف بها الامير — لا تبرح فكره صورة املاكه المغصوبة ، ويتساءل عماذا الت اليه ، وهل نالتها كف البلى والعدم ، فيستطلع للاخبار بنفاذ صبر :

خذوا عن يمين المنحنى — ايهاالركب	لنسال ذاك الحي: ما صنع السرب؟
عسى خبر يحيي حشاشة وامق	صريع غرام ، ما يجف له غرب
باحشائه نار اشتياق يشبها	زفير جوى يابى لها الناي ان تخبو
الا ليت شعري ، والحوادث جمة	وذا الدهر سيف لا يقام لا عضب
وهل اينع الوادي الشمالي واكتست	عثاكيل قنوان حدائقها الغلب ؟
عن الحي بالجرعاء هل راق بعدنا	لهم ذلك المرعى وموردة العذب ؟

ويقول الشارح : ان الجرعاء من الاحساء في الشمال وفيها منازل اهل الشاعر . كما يقصد بالوادي قريته من سواد الاحساء تسقى من عين اسمها « السحيمية » وفيها الكثير مما اغتصب من امواله .

ويخلص الشاعر لمدح اسلافه ، ليأخذ في اطراء هذا الامير ؛ فعسى ان يلين منه القلب ، فيعيد عليه ما اخذه

(٢١) ص ٤٩٦ الديوان

(٢٢) ناقض الشارح ما قاله في المقدمة ، حيث ذكر : ان ابا المنصور هو الذي صادر اموال الشاعر — هذا في المقدمة — ولكنه عاد في ص ١٨٤ ليقول : ان ذلك كان من محمد بن ماجد بن محمد بن علي ، وذلك عند شرحه لهذين البيتين :

كنت قبل اليوم ابكي بشجى — هم نفسي وطريفي وتلادي
ثم قد اصبحت ابكي بأسى — شجو اخواني ورهطي وبلادي

ومحمد هذا ، هو الذي استعطفه الشاعر ، لرد املاكه — كما سيجيء — فكيف هذا ؟ وأي القولين نعتمد ؟

الغاصب الجائر ، ولكنه لا يلقى من الامير سوى خلوب الوعود ، فاستبطأ منه الوفاء ، فعاد يستنجزه ما قطعه على نفسه من وعد ، بقصيدة اخرى ، استهلها بقوله :

امن دمنة بين اللـوى والدكادك شففت بتذراف العيون السوافك

ولكن الامير يمضي في الوعود بكرم واسراف ، دون ان يفي بجانب من هذه الوعود الكثر . فليس غير وعد يمتد دون ان يقف عند ساحل . ويعلل الشارح : ان مطل الامير في وعده ، جاء نتيجة لوشاية من اعداء الشاعر ـ ايضا ـ حيث حسنوا له ذلك ، وحملوه على عدم الوفاء ؛ فهم يخوفونه ـ ان رد عليه ما غصب منه ـ ان يطمح في اكثر من ذلك ، وان تمتد عينه الى ابعد ؛ فانساق لذلك ، واثر ان يضرب مثالا للوفاء بالوعود !

ولكن الشاعر ، لم يستقر به المقام في الاحساء ، وقد بات الخوف يقلقه ، وحب الحياة يدفعه للخروج . فاتجه الى القطيف ـ ووواليها : الامير فضل ابن محمد ـ فطال منه فيها المقام ـ وامتدحه بقصيدة ، لم تعد عليه بالجدوى ... ويقول الشارح : ان الجلساء حسنت له ان لا تمتد اليه يد بمعروف ، لانه لن يرضى بيسير العطاء ، ولن يرضى طماحه حقير الصلة ؛ فما مال الامير اليهم ، بل امتدت اليه يده بما هو في حق غيره وفير ، وان يك في حقه يسيرا ـ كما يذكر الشارح .

ولعل هذه القصيدة التي امتدح بها الفضل ، هي التي استهلها بقوله :

تجافى عن العتبى ، فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما انت واجد
اذا خانك الادنى الذي انت حزبه فوا عجبا ان سالمتك الاباعد ... !
ولا تشك احداث الليالي الى امرىء فذا الناس : اما حاسد ، او معاند
وعد عن الماء ، الذي ليس ورده بصاف ، فما تعمى عليك الموارد
فكم منهل ـ طامي النواحي ـ وردته على ظمأ ، فانصعت والريق جامد؟!
ولا تحسبن كل المياه شريعة بل الصدى منها او توكى المزاود
فكم مات في البحر المحيط اخوظمأ ـ بفلته ـ والماء جار وراكد ؟ !
وان وطن شانتك اخلاق اهله فدعه!ـ فما يقضي على الضيم ماجد
فما «هجر» ام ، غذتك لبانها ولا «الخط» ـ انفارقتها ـ للوالد

وهي قصيدة تضج بالشكوى ، ويصرخ فيها الالم المبدع وما هي سوى نفحة من نفحاته .

عاد الشاعر للاحساء ، وكاد يركن لليأس القتال ، فلم ير جدوى في مراجعة الكرة ، لاستعطاف الامير محمد ابن ماجد ، بعد ان فشلت كل مساعيه ، ولم ينل منه سوى سلسلة من الوعود المفرغة . ولكن هذا الامير شارف من العمر النهاية ، فختم صفحة حياته قتيلا على يد عمه ابي القاسم محمد ابن مسعود ، ابن محمد علي ـ واولاد القاتل اخوة للقتيل من امه ـ فكانت اليه ازمة الامور ، ودفة الحكم ، فوجد الشاعر متنفسا ، وشع له من الامل بريق ، فعاود العمل ـ وليس سوى الاستعطاف ، والمدح ، الذي جره للندم ، وتمنى الموت ـ قبل ان يقدم على ذلك ـ لتخمد فيه الانفاس ، ويتلاشى الصوت :

ندمت على مدحي رجالا ، وسرني بان ضمنتني ـ قبل ذاك ـ الملاحد!
وحق لمثلي ان يمـوت ندامة اذا نشرت في الناس تلك القصائد

امتدح هذا الامير بقصيدتين . وامتدح ولده الفضل مسعود ابن محمد بقصيدتين . وامتدح ولده الفضل ابن مسعود بقصيدة ، حيث راى بوادر الخير ، في فاتحة امارته . ولكنه لم يرتض منه اعماله ـ اخيرا ـ وقد انحرف منه السلوك ، فيغتصب املاك ذوي قرباه ، ليغمر به الاباعد ، فكان للشاعر ـ معه ـ عتاب طويل !

لم يطق الشاعر هذه الاعمال ، فغادر الاحساء للعراق ـ مرة اخرى ـ ولم يعد لها ، الا وقد قام في الاحساء الامير علي ابن ماجد ، ابن محمد ابن علي ، ابن عبد الله ابن علي ، ابن ماجد ، فامتدحه بقصيدة ، استهلها بقوله :

صدت فجذت حبل وصلك زينب تيها ، واعجبها الشباب المعجب

ومدحه لهذا الامير ، هو من طراز اخر ، فهو نمط من انماط مديحه . انه ـ بذلك ـ يحاول ان يلجم افواه الحسدة والوشاة ، لئلا تحمله عليه ، اذا لم يقدم له هذه المدائح .

وضن الشاعر على الامير الجديد ، الذي خلف علي ابن ماجد ـ وهو : مقدم ابن غرير ، ابن الحسين ابن شكر ، ابن علي ابن عبد الله ابن علي ـ حيث لم يجد من سيرته ، سوى ما ينتقد ، سوى ما يثار عليه ، وليس فيها ما يطرى او يمتدح !

وصمم الشاعر على مغادرة الاحساء ، ميمما شطره للعراق ؛ وقد عزم على لقاء « الملك الاشرف ابن العادل » . غير انه لم يحقق له هذا العزم ، وقد حال بينه وبين اللقاء : ما قام به الملك واخوته وجنده ، ليلتقي بالافرنج .

ولكنه وقد وطأت قدمه تربة الموصل ، شاء ان لا يعود منها بخفي حنين ، فقدم لواليها ـ بدر الدين ـ قصيدة يستندي منه الكف ، فتشاء الظروف ان تسجل له هذه القصيدة ، من اجل طلب الرفد والمعونة ، فتكون من تاريخ حياته سطرا على انفراد ، اذ لم يمدح سواه لطلب الرفد ـ كما يقول الشارح :

حطوا الرحال فقد اودى بها الرحل ما كلفت سيرها خيل ولا ابـل
بلغتم الغاية القصوى ، فحسبكم: هذا الذي بعلاه يضرب المثـل
هذا هو الملك بدر الدين خير فتى به تعلق للراجي الغنا : امـل

ونال من الوالي ما كان يأمل ، فعاد عنه ، وهو يلهج بذكره ، غير انه يحن الى لقاء الاشرف ، وقد نمي اليه : ان الاشرف محمد يطري شعره ، ويأمل بان يخلد في احدى روائع هذا الشاعر الشهير . ولكنه ، وقد حالت الاقدار عن ذلك ، فليعد من حيث اتى .

وكانت رحلة الشاعر هذه ، في العام الـ ٦١٨ هـ .

والى هنا يقف الشارح عن ابراز هذه الخطوط الباهتة من حياة الشاعر ، وقد استكثر هذا الكرم الفياض ! اذ يقول :

[وانما قصصت هذه الاحوال ، واطلت المقال ، تصديقا لما ذكرته من طرائفه الزاهية الزاهرة].

وهكذا نجهل حياة الشاعر ، وماذا جد عليه ؟ وهل ابتسم له الدهر ، بعد طول قطوب ، وانفرجت عنه تلك الجهمة الكمداء ، فلان له الجانب الخشن ؟ ام بقي يجرع كاس الخيبة والحرمان ، وتتضاعف له الالام والمتاعب ؟

ويمتد بنا هذا الجهل ، حتى يضم الخلود شاعرنا بين جنبيه ، فلا نعلم : متى لفظ النفس الاخير ، وارسل السراج انفاسه المحتضرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه الظروف السود ، التي مرت بالشاعر ، واثرت عليه ؛ وهذه القسوة والشدة والمطاردة ، الاخذة منه بالخناق ؛ وهذه الحياة المضطربة المزعزعة ، الجهمة الطلعة ... كل هذا اثر على شاعرية الشاعر ، وصقلها الالم المبدع ، فانتجت الشكوى والعتب ، وتحولت الى النقد والثورة .

طرق الشاعر من الشعر اكثر مواضيعه . فالشكوى والمديح ، والرثاء ، والنقد والهجاء ، والغزل والوصف ... كل هذه كان لها نصيب في الديوان .

اما المديح ـ ومنه اكثر الديوان ـ فهو يقسمه لاقسام يعتبر بعضها عثرة لا تقال :

الى الله اشكو عثرة لو تدوركت ... بتمزيق جلدي ما اسفت على جلدي
مديحي رجالا بعضهم اتقي به ... اذاه ، وبعضا للمراعاة والود
فلا الود كافي ذا ، ولا ذا كفى الاذى ... ولا نظروا في باب ذم ولا حمد
فكيف بهم لو جئتهم متشكيا ... خصاصة ايامي ، وسمتهم رفدي؟
وكنت ، واهدائي المديح اليهم ، ... كغابط اذناب المهلبة العقد

وهذه الحاجة الملحاح ، والضرورة الخانقة ، التي تحتم عليه ان يمدح اناسا ـ ليتقي شرهم ـ هم عنده اولى بكيل الذم والنقد طافحا ، من اسباغ حلل المديح الفضفاضة ... هذ الضرورة ، هي احدى بواعث تذمره وشكواه وثورته ، وهي التي تورث له الندم ، ويتمنى ـ معه ـ الموت المريح ، قبل ان تنشد هذه المدائح ، وتسير بين الناس .

وهكذا تبذر هذه الظروف بذور النقمة عنده

الى م انتظاري انجم النحس والسعد؟ ... وحتى م صمتي لا اعيد ولا ابدي؟
لقد مل جنبي مضجعي من اقامتي ... ومل حسامي من مجاورة الغمد
لقد طال اغضائي جفوني على القذى ... وطال امترائي الدر من بحر جد
وان مداراتي العدو مهانة ... اذا لم يكن من سكرة الموت من بد
أارضى بما يرضى الدني وصارمي ... حسام ، وعزمي عزم ذي لبدة ورد؟!
سامضي على الايام عزم ابن حرة ... يفدى باباء الرجال ولا يفدي

وتتطور لديه اساليب النقمة . فقد تمر به ظروف تضرم اوارها ، وتلهب سعيرها ، وتدفعه لان يرسل الحمم ملتهبا من قلبه ، حتى انه ليتناسى ـ وهو الوطني ـ وطنه، وينكر النسبة بين المواطن والوطن ، اذا كان له الوطن على نكران . والاهل على هجران ، فبلاده ستذل عنده ، ان لم يلق منها سوى الجور عليه ، واهله اللئام ، ان هم تقبضت منهم الايدي عنه ، وانبسطت لسواه ، فليس وطن المرء ، سوى ما ربى في تربته ، فحسب ، بل كل بلد تيمم شطرك نحوها ، فهي لك وطن . فليس للحر ان يصبر على ضيم ، لا يستطيع دفعه ، ، بالسكوت والصبر ، بل عليه ان يضرب في الارض الفسيحة الارجاء ، وكل رقعة منها وطن له .

ولكنه وقد عرض هذه الفكرة ، فانه لا يعرضها مسلوبا عن الوطنية بل يعرضها بدافع الوطنية ، ليبعث في النفوس العزيمة ، فهو ينعى عليهم هذا السكوت ، وهذا الاستسلام انه يلهب النفوس :

لا تكثري من مقالات تزيد ضنى ... ما «الخط» «امي» ولا وادي «الحسا» «ابي
في كل ارض اذا يممتها وطن ... ما بين حر وبين الدار من نسب
يا ساكني الخط والجرعاء من هجر ... هل بانتظاركم شيئا سوى العطب !
بحجت مما اناديكم واندبكم ... لخير منقلب عن شر منقلب
فسكتوني بقول لا تفون به ... قد صرت ارضى بوعد منكم كذب !
لي عن ديار الاذى والهون متسع ... ما كل دار مناخ الويل والحرب
لا تحسبوا بفضي الاوطان من ملل ... لا بد للود والبغضاء من سبب
قل ، وذل ، وخذلان ، وضيم عدا ... مقام مثلي على هذا من العجب
اذا الديار تفشاك الهوان بها ... فخلها لضعيف العزم واغترب
لاطلبن العلا جهدي طلاب فتى ... يدوس بالعزم هام السبعة الشهب
دعاي : يا رب الهم رب دولتنا ... ان يبلغ الرأس منا رتبة الذنب !

وتنفجر هذه النقمة في قصيدة ، نظمها في القطيف فقد رأى الاساليب المستعارة ، والاشارات البعيدة ، ليست بالتي تعود بالجدوى .

الى كم مناجاة الهموم العوازب ... وحتى م تأميل الظنون الكواذب ؟
اما حان للعضب اليماني ان يرى ... بيمناك كالمخراق في كف لاعب ؟
لعلك خلت الذل حتما ، او العلا ... حراما ، او ان الشر ضربة لازب ؟
فقم ! ـ قام ناعي من يقيم بمنزل ... يضام به ، والارض شتى المذاهب
ولا عاش من يقضي على الضيم جفنه ... وفي قائم الهندي فضل لضارب
اتظما لديك المشرفية والقنا ، ... وفي قلل الباغين ورد لشارب ؟

ثم يسفر عن وجه النقمة ، ويرسلها مدوية بعيدة الصدى :

وامدح اقواما لو اني امتدحتهم ... بما فيهم... لم يبق عيب لعائب !
لكف اذاهم ، لا اجتلابا لخيرهم ... وكيف يدر الحول ابساس حالب؟
فيا عربا لا يفتا المدح شرهم ... وقد يفتا الراقون سم العقارب
متي جر نفعا مدحكم او كفى اذى؟ ... وكم نفع السارين حدو الركائب !
فيا ضيعة المدح الذي سار فيكم ... على السن الراوين سير الركائب
الا ليتني من قبله كنت مفحما ... ولم يجر من لفظي به خط كاتب !
فقد كان مني ـ مثل ما قال «فلتة» ... وما اعتضت منه غير عض الرواجب
لان كنت ـ لا كنتم ! قذى في عيونكم ... فاني شفاء للعيون الضوارب
اغركم دهر خسيس ، احلكم ... مراتب ما كانت لكم بمراتب ؟ !

ويمضي في الانذار ، وتخويفهم سوء المغبة :

رويدا بني المستقرمات ! فحاضر ... وعدتكم انجازه ، غير غائب !
فوا اسفا ان مت لم اوط ارضكم ... كتائب خيل تهتدي بكتائب !
تريكم نجوم الليل ظهرا ، اذا بدت ... تكدس في ليل من النقع ضارب
بكل فتى امضى من السيف عزمه ... اذا اعتركت والسيف عضب المضارب
فلست ابن ام المجد ان لم تزركم ... مسومة بين القنا والقواضب

وهو ـ في الكثير من شعره ـ يشاء : ان يضرب منه امثالا ، تسير ، وتتلقفها الاسماع ، وتلهج بها الالسن ، كل ما مر في شريط الزمن ـ من الاحداث ـ شيء يتناسب معها .

وهنالك امثال ، قالها الشاعر ، متأثرا بامثال اخرى ، لبعض فحول شعراء العربية ـ كالشريف ، والمتنبي ، وغيرهما ـ وهذا مما يدلنا على تأثره واعجابه بالشعر الرفيع ، من تراثنا القديم .

وهذه الامثال وان جاءت مجترة ، الا ان لها قيمتها ، من حيث تقديمها في حلة جديدة ... ونود ان نأتي على طائفة من امثاله ـ بالاضافة الى ما مر بنا ، في القطع التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اتينا بها ـ ودون ان نقصد عرض المبتكر من المجتر . ولكنا نود ـ الى جانب هذا ـ ان نبدأ العرض بهذا المثل ، الذي اجتره من الشاعر الفخم الشريف :

اذا لـم اداو العضـو الا بقطعـه فلا قصب يبقى ـ لعمري ! ولاقصب

فشاعرنا لم يوفق في اجتراره هذا المثل ، من مثـل الشريف ، اذ افقده الحياة الدافقة ـ بقوة ـ في مثـل الشريف :

اذا العضو لم يؤلك الا قطعتـه ـ عليمضض ـ لم تبقلحما ولا دما!

ان هذا المثل طاقة حية ، تترقرق فيها النضارة والقوة . فجاء شاعرنا ، فخمد فيها الحياة ،وقدمها قطعة جامدة !

وهذه طائفة اخرى من امثاله :

ومن لم يرو السيف يظما ، ومن يهن يهن ـ ومحاريب العـلا للمحارب
ومن لم تخف منه العـدا بـلادهـا تخفه ـ وعقبي الذل شر العواقب
ارى الناس ـمذكانواعبيدالفاشم ، وخصما لمغلوب ، وجندا لغالب !
ومن لم يعض الدهر من قبل عضه بنابيـه ، اضحى مضغة للنوائب

* * *

اما الوطنية في شعره ، فهي : على جانب مرعي . وما نقمته الاجانب من هذه الظاهرة ، البارزة فيه . ونريد ان نشير ـ هنا ـ الى : انه كثيرا ما يعنى بتسجيل صور وطنية فيصف عادات شعبية ، في شعره ، لتبقى صورة ناطقة باقية ... وهذا ما نود أن نعرض على القارىء بعض نماذجه ، الى جانب ما مر بنا ـ عفوا ـ في غير هذا الموضع

وقد جعلت «نخلين» خلفا ويممت قرى الشام،او ارض العراق نجوعها(٢٣)
فخير ـ لعمري ـ من بساتين «مرغم» على ذي المجاري: طلح نجد وشوعها(٢٤)
ومن ماء نهر « الجوهرية » لوصفى ذبابة حسي لا يرجى نبوعها (٢٥)
ومن «مرزوي» بالقطيف و «الالس»: «عباء» بوادي طيء و «نطوعها»(٢٦)
ومن لحم «صاف» في اوال و «كنعد» ضباب وجرذان ، كثير خدوعها (٢٧)

ومثل هذا كثير في شعره . ولعل الشاعر ـ هنا ـ متاثر بتلك البدوية ، التي لم يرقها ترف معاوية ، ومفاتن قصوره ، وشهي ملذاته ، فصرخت تحن للبادية ، بشعرها المعروف !

★ ★ ★

وقد يكون اولى ظاهرات شعر الشاعر هي : طـول النفس ، وامتداد الشوط . فقليل من قصائده ، التي لا تبلغ الثلاثين بيتا ـ على الاقل ـ وفي شعره الثوري قوة وحماس شديد . ولكنه قد يسف في اسلوبه ، حينمـا يطول منه النفس ، في قصيدة يحشرها بالاحداث ، ويجعل منها سجلا تاريخيا حافلا .

(٢٣) نخلين : قرية بالاحساء .
(٢٤) مرغم : موضع من الاحساء .
(٢٥) الجوهرية : عين جارية في وسط الاحساء .
(٢٦) مرزوي ولالس : نوعان من الثياب . ولعلهما ـ كما يتبين ـ ينسجان في القطيف ؟
(٢٧) الصافي والكنعد : نوعان من السمك معروفان في القطيف والبحرين وغيرهما . وهما اجود انواع السمك الموجود فيها .

وقد طرق الهجاء ـ في بعض شعره ـ فاسفّ فيه وجعل من بعضه هجاء بذيئا ففي الديوان قصيدتـان ، هجاء في « بن الدبيثي » .

وهذان بيتان يهجو بهما بدر الدين ، وقد ارتفع فيهماالشاعر عن الاسفاف :

تسلط بالحـدباء عبد للؤمـه بصير... بلى ! عن نيل مكرمة عمي
اذا ايقظتـه لفظـة عربيـة الى المجد ، قالت ارمنيته : نم !

ولكنه يعود الى الدبيثي ـ في القصيدة الاخرى ـ لينزل الى سفح السباب والشتائم . الا انه لا يصل الى واطىء مستوى قصيدته الاولى :

قالـوا : الدبيثي ذو قـواف محكمة النظم مستقيمـة ...
فقلت : بعدا لكم وسحقا ! اكل افهامكـم سقيمـة ؟
هو الـذي تعلمون كـلب فهل لنبـح الكلاب قيمـة
انا الـى اللـه من طغـام تعتقـد الفضل في بهيمـة
راحت جيوش الضلال فوضـى قـد هـزمت اسـوء الهزيمـة

* * *

والشاعر يحمل روحا حرة ، لا ترضى بخرافة ، ولا يقر ما لا يعتقد . فقد كان من الرقى والتعاويذ على غـير طمانينة . اذ ضمته جلسة ، كان من بين الجلوس من اصيب بوجع في راسه ، وحمى ملتهبة الحرارة ، مرتفعة الدرجات فاتجه الحضور للشاعر ، طالبين منـه ان يكـتب للمريض تعويذة ، تطرد عنه المرض ، وكان المريض ذا دعابة ومزاح ، خفيف الروح ، ساخرا ، لا يالف سوى منتديات اللهـو والضحك ... فعرف ما بيته الصحب ! فاختلى عنهم ، واستوحى الهة الشعر ، ليكتب هذه التعويذة ، وقدمهـا للمريض لتشد في عضده ، غير ان بعض الصحب شاء ان يعرف ما ضمنته سطور هذه التعويذة ، فاذا بهم يقراون :

يا مالك الخير ! عليـك السـلام اتاك شيخ من اضـل الانـام
فاجـج النـار ، وافتح لـه ابوابها ، وانعـم له بالمقـام
واجعلـه بالتابـوت مـن خلفـه ابليس يمشي نحـوه في قيام
وقل لـه : يختـار في جوفـه بيتـا ، وزينـه بفـين ولام
وزفـه ترقـص مـن حولـه عقارب ، كالبخت ، او كالنعام
وقل لاهـل النار : حفـوا بـه فهو لمـن سن المعاصي امـام
حتى اذا اكمـل في قعرهـا من المذى ـ يا مالك ! ـ الف عام
فامر بـه يخـرج ولـو مكرهـا منهـا الى الجنـة ـ دار السـلام

* * *

وبعد ... فالحديث عن الشاعر وشعره ، قد يطول كثيرا ، لو انسقنا لمشيئة اليراع ... ولنقف منه عند هذا الحد . وكل ما ارجوه : ان اكون قد وفيت حق شاعرنا ، وقمت بواجبي ! ويسرني ان اقدمهـا لعشاق الشاعر ، والراغبين في ان يقفوا على دراسة عنه ـ وفي المقدمة : الاستاذان محسن والقباج ، وهما الباعث لي على القيام بهذه الدراسة . وان الفضل الاول والاخير ـ في احياء الحديث عن هذا الشاعر ـ ليعود الى مجلة الاديب الكبيرة : همزة الوصل بين ادباء العربية في مختلف اوطانهم ...

عبد الله علي الخنيزي

العربية السعودية ـ القطيف

برشلونة

✳

مهداة الى المدينة التي لن تنام

●

لمحسن جمال الدين

جامعة برشلونة - اسبانيا

✳

يا اخت الدلال
يا ربيبة المعرفة
ويا ام الضلال ..
نامي ... ما بالك لن تنامي
أعيونك من نور النجوم
واجفانك من ظلال الايام ؟
يا مدينة اللهو
ويا مسرح الذكريات
كم سارت في دروبك أقوام
وتعبت في مساربك أقدام
هذه بقايا الخطى التائهة
وتلك رموز الاجيال المندثره
برشلونة ...
يا عروس البحر المتوسط
أين هم الفاتحون الذين اغتصبوك
وأين هم العشاق الذين احتضنوك
غابت آثارهم تحت حناياك
واندثرت معالمهم في زواياك
وتلاشت اصواتهم في ضجيج ملاهيك
وذبل شبابهم من سهر لياليك
وتصوحت أزهارهم من حر انفاسك
يا ظامئة ما ارتوت
ويا جائعة ما شبعت
ويا سائره ما وقفت
ويا شابة ما هرمت
ويا معشوقة ما وفت
سقط في تجربتك الكثيرون
وانتظر امتحانك القليلون
الراحلون عنك عائدون
والمقيمون فيك راحلون
تودعين الالوف وتستقبلين الملايين

* * *

برشلونة
يا دنيا المتناقضات
ويا عالم المدهشات
كم تضمين في جوانحك من حسرات
وكم تحوين في أحشائك من ملذات
أي سر فيك
ويا اخت الدلال
يا ربيبة المعرفة
ويا أم الضلال
يا عروس المدائن
ويا مبدعة الجمال
نامي ... ما بالك لن تنامي
يا ساهرة الليل ..
ويا مستيقظة النهار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة سورية

لا شيء

بقلم فيليب عبد الحق

ما قيمة هذا الدرس ؟ بل ما قيمة المجيء الى هذا المكان ؟.. سخف على سخف ، أخنق عواطفك واحاسيسك واملأ دماغك ، تنل شهادتك .

وتنبه الى الاستاذ يشير نحوه ويسأل ، فوقف مستندا الى مقعده في ضيق خامل متكبر ولكنه سرعان ما تداعى جالسا تعصف بروحه احاسيس كريهة ممقوتة .. لم يكن السؤال له ، حسنا ، كفاه جعجعة وحسبه ثرثرة ، تصرمت السنة ولم يعطنا اية فائدة ! مهما يكن ، ليس لمروان ان يرجو من هذا المدرس ما ليس في زملائه ...

...لماذا هو في المؤخرة ؟ لماذا يجلس هكذا بعيدا ؟! انه لا يسمع شيئا مما يقال ! ورفع راسه فاغرا فاه عاقدا جبينه يصيخ بسمعه الى النقاش الذي تعج به القاعة ، لكنه عبثا حاول الوصول الى مدار البحث .

وامتدت رجلاه ، طويلتين ، خارج مقعده ؟ وارتاح راسه على كتفه . هو متعب ! نعم ، راسه ، بل كل جسده ... وخفق قلبه واخذته موجة شوق محترق ، وحنين يطل من جهنم يأسه ، سيكتب الليلة سيكتب لها . انه يحبها ! هي تعرف هذا ، كما يعرف هو الاخر انها تحبه ، ان صديقه ابن عمها ، ولقد ادى له الاخير خدمة رائعة دون ان يدري ، جعله يتأكد من اهتمامها به ، والحق ، لو انه علم بحبه لها لما اخبره ...

ـ من هم اصدقاؤك ؟

ـ اصدقائي كثيرون

ـ طبعا ، يا نبيل . ولكن لكل منا عينيك يشدني اليك » . ما هذا اصدقاء لهم ميزة خاصة ، اصدقاء.. موضع ثقة

ـ آه فهمت ، والحقيقة انا لم أغد بعد صاحب اسرار ، لهذا ...

ـ ولكني اراك ابدا برفقة مروان.. مروان ماذا ؟

مسكين نبيل ، لا اسرار له ، ولن يكون ، مروان يعرف هذا النوع ، لقد خبره جيدا ؟ هذا النوع الذي يظن في الحياة قمة يسعى اليها ولو على اشلاء الاخرين ، ولا يقيم وزنا لسوى ما يمكن ان يأتيه بالفائدة ، والفائدة المباشرة ... ومن كل الحوار الذي دار بينه وبين ابنة عمه لم تتكون لديه اية فكرة ، وعندما اخبرها عن مبلغ لامبالاته لم يجد اي مغزى في ضحكتها المرحة الرنانة ...

وارتعشت اجفان العيون المحدقة ، اما القسمات الهادئة فظلت موسومة بابتسامة حالمة . لقد قرع الجرس، وانتهى اليوم ، وفي الغد عطلة ، بعد ان ينام كل من في المنزل سيكتب .. سيكتب . عزيزتي منى . اخيرا وجدت الجراة ، انت تعلمين انني احبك !.. وماذا بعد ؟! واطبق عينيه بشدة . اف ، حقا هو متعب ، ان في راسه هواجس حادة ، وتقاربت خطواته ، أتكون على الفائدة ؟.. وفي داخله كان احساس بالنفي ، فاندفع بعناد ، هو بحاجة الى نظرة منها ، يجب ان يراها وتراه ... واحس بومضة غضب ، منذ ثلاث سنوات وهو يحبها ، ولكنه لم يسمع سوى صوتها ، لم يكلمها قط ! . يراها في الشارع فينسحب وراءها ، ان فيها ما يريده ، ما هو ؟ لا يدري ، كل ما هنالك انه ينسحب وينسحب وعندما يعود الى المنزل تكون روحه مغشاة بسكون جد حزين .

لم هذا التفكير الان ؟! سيبعث اليها برسالة ، وبادىء بدء يجب ان تعلم انه يعول كثيرا ـ يعول كثيرا على حبها ، هو لا اخوة له ولا اخوات، له والدان ... وانطلقت قهقهة مكتومة ورزح تحت وطأة الم هائل ، ما هذا الازدراء ؟ ما هذا الحقد ؟! وانبسطت شفتاه في سكون وقسوة، وقبل ان يجهش ، اخرج منديله وقد انحجب الناس عن ناظريه وانعطف مسرعا فكانت زفراته خافتة متقطعة، يبكي ؟! . ليست المرة الاولى، البارحة وفي ركن من غرفة ارضية على طاولة جرداء كان يبكي مغيظا ، وراسه يهلكه الصداع ، ووظائفه امامه لا يستطيع اتمامها ... وسباب والديه في شجارهما العنيف العريق وحركاتهما العدائية الوحشية تنهك اعصابه وتجعل منه شبه مجنون .. وفي الصباح اذ صعد الدرجات الاربع، ولفظه الباب القزم ، اجتاز الزقاق هاربا ! كل من في الحي مطلع على ما في بيته من وباء .

وانتقلت الكتب الى اليد الاخرى ، وتلك التي سرى فيها الخدر ارتفعت تسوى الشعر المنسدل ... لو انه يكلمها وتكلمه ... بل لو يثق من انها تعرف حبه لقرت نفسه ، تمر به ايام وفي راسه فكرة هو يحب ، لا شيء ! خيال في حلم اسماه « منى » ، ويجهد كثيرا لاسترجاع تقاطيع وجهها ، لاسترجاع المسحة السحرية، النقاب القدسي المنسوج على محياها السفرجلي فلا يوفق ، وفي لحظات اخر يحاول رسمها ، رسم وجهها وشعرها المعقوص كآلهة اليونان ، وتذوب روحه ... ولكنه رسام سيء .

هو بعد لا يعرف بما يمتاز شكلها ! نهداها ؟ اكما يجب ؟ أم ؟ . غريب!!. ما به اليوم ؟ وهذه العار ، لا . منى ! انت لست كالاخريات ، مناي ان تظل سماتك ثابتة في خيالي ثبوت الشعاع في كبد الشمس ... أانا بليد ؟ أم انا لا استحق ؟! منى ! من امام وجهك المقتحم مخيلتي تفر ـ شياطين الجسد، واهوائي الشريرة تتبدد . فقط ، منى ، احبيني وانقذيني من كل فكر شيطاني ...

ورفع وجهه الى السماء ، وسره لسع قطرات المطر ... ولكن ، خير له ان يعود ، اضحى محالا ان يراها اليوم ، ثم ان امه قد تكون بحاجة الى شيء ما ! بلى ، عليه ان يعود .

الرسالة بين يديه ، ولكن لا يبدو عليه الرضى ، بل قل ان تعبير السخر هو المتوج شفته ، وكأنما توقفت الدما عن السريان في راسه فغدا دماغه لا يعمل ! وتراخت الانامل القابضة على الرسالة ولم يرقه وضعه ، وكمن يتخلص من كابوس مريع تحركت يداه في عنف ، وزفر ، ونظر الى الرسالة واخذته الندامة ! الندامة،لانه قضى الليلة المنصرمة في كتابتها ، كان خير له ان يدرس في الرياضيات.. اف ، اهذا هو حبه ؟! وتشبثت عيناه، هو لا يذكر انه كتب هذا ! « حبيبتي! انت شهية كعنقود عنب وردي في قلب الشتاء » . وباحكام أطبقت اجفانه ... انه يتمرغ !.. يتمرغ . انها ـ كلمات !! سيفجر راسه ويخنق خياله ...

وهدأ ، وعاد نظره الى الرسالة ، وحومت على شفتيه ابتسامة زهو ، ولكن ، او ليست كلمات رائعة ؟ انها شعر ! كان يكتب محترقا والعاصفة في الخارج تضج ورجلاه مثلجتان ! وهيمنت الابتسامة، والتهمت الاسطر، ثم توقف وهز راسه باعجاب وقرأ متمتما : « انا وانت كهلال الغروب تتبعه النجمة الضالة ، لكنها ابدا لن تلقاه ... نعم ، كذلك انا لن القاك ، لن القاك ، انا ادرك هذا . لكنني احبك . » وتغيرت معالم وجهه ، هذا ما يحسه على الدوام ، لن يلقاها ... واطرق ، وراح قلبه ينفطر .

وواجه البحر ، متبع الطريق المنحدر ، هناك على الشاطىء لن يجد أي انسان ، هو يضيق باصدقائه لا بل بالناس اجمعين ، هل فقد نفسه ؟ لا ، انها حالات طارئة ، من يدري ؟ ان قلبه الان قطعة من نحاس ازرق ، من ادراه انها تحبه ؟ ماذا في عينيها ؟ أحب ؟ أم استهزاء ؟ لقد كتب في الرسالة . « ان الحنان الذي في عينيك يشدني اليك » . ما هذا الحنان الذي يتحدث عنه ؟ منذ يومين عندما تبعها لمشاهدة عرض شريط سينمائي لم تنظر اليه الا مرة واحدة، كمن يبغي معرفة الجالس هناك في الزاوية ، نعم ، لم يكن في نظرتها أي اشعاع ، اي تعبير ! لا . كان ثمة تعبير واحد وان لم يكن واضحا ، كالتعبير الذي يرافق المرء الناظر الى شيء يزعجه ... على كل ، لقد عرف الان ، هو لا يحبها ، ولكنه يحب الحب الذي فيها ! وتزاحمت الافكار في راسه ... وحبيبتي ! لن يقولها بعد اليوم ، انها كلمة مهترئة ليس لها من ثمن ...

واذا صيغت على شفتيه كلمة « منى » كست وجهه سحابة بلهاء . ما عاد يلمس الروعة في هذا الاسم .. وارتفعت يده الى جبهته ، ليس له ان يكون حتى ذرة ملح ! هو ، هو الفراغ بعينه الفراغ الذي لا يستطيع ان يعطي ، بل يلتهم كل شيء ... وهذه ؟ لن يقرأها ثانية ، انها غير مجدية ثم ، ان والدها فظ ، وكذلك امها وقد يتسلمها احدهما من الساعي ... اما هذه فامور لا تقف حجر عثرة ، انها لا تخيفه ، ولكن ، هي ، « منى » ! حقا هذه افكار اطفال ، ما جدوى حبه ؟

يجب ان ينساها ، هو ، لا يحبها ، وانما يحب الحب الذي فيها . وهذه فلتمزق ، هكذا ... ووقف وقفة من تكشفت له امور كانت معماة ، لولاها ما كانت حياته هكذا ،وتصرفات والديه ما كانت لتغضبه وتحفر في قلبه حفرا عميقة ل.. ل.. لا يدري لماذا . ثمة شيء واحد يعترف به كل حدسه ، ان والديه غير شريرين.

وكان النفيان المتطاير من الموج المتهشم على حاجز الرصيف قدضمخ وجهه وثيابه ، وامتد الى الرسالة فلوثها ، ولكن مروان كان يبدو بعيدا عن كل هذا ، الاصابع آلية ترمي بالمزق الى الريح والرذاذ ، والوجه كفيمة صغيرة سوداء في الافق البعيد .. ولكن . اذ اخذ يتقدم في الطريق الصاعد ويسوى شعره ،كانت مزقة فريدة بين اصابعه ، لم تكن مبتلة ، وانما كانت تحمل اسم ، « منى » ...

الاذقية — **فيليب عبد الحق**



عتاب

○

عندما كنتُ في المحطة .. وقد ضمَّكِ القطار الى مقصوراته ، ونوافذه العديدة .

كنتُ يا محبوبتي الراحلة .. أقفُ لوحدي . على الرصيف العتيق . أشيع موكبك الراحل ، بدمع هتون .. وقلب افعمه اوار الحنين ..

بينما كنت أنت .. توزعين البسمات والتحيات .. الى المشيعين والمشيعات .. !! هؤلاء الذين جاءوا لاجلك يا راحلة الى البلد البعيد في الجنوب ..

أما انا فلم يكن لي من تلك البسمات ، وتلك التحيات .. سوى ما للجدران الصمّاء .. من لفتات ، ونظرات ..

* * *

.. اذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تشائين ..

فالعمر لم يعد سوى ذكرى من حنان .. ولهفة من شوق عميق .. وايماءاتٍ من خيال مظلم .. وصدى من أغنية خافتة بعيدة ..

اذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تريدين ..

لان الحب لم يعد سوى زفراتٍ من أنين وآهات من عذاب اليم .. وهتافاتٍ من نداء مبحوح .. ورغبات من نفسٍ تحتضر .. وآمال من روح في طريقها الى الموت ..

اذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تبغين ..

فان الدنيا لم تعد بنظري .. الا كذلك الكهف المهجور ، في أعالي الجبل الهرم .. لا توحي جدارنه ، الا بالكآبة الموحشة ، والحلكة الرهيبة المخيفة ..

* * *

وليكن لك ما تريدين .. في البلد البعيد ، هناك في الجنوب ...

ولكن .. سوف تمرُّ بك الذكريات الرائعة ، بعد حين .. وتطرق ابواب عواطفك الضائعة ، بانامل من سحر ، فترتجُّ لها اعماقك ، وجلة خائفة ...

عندئذٍ .. ستعيدك تلك الذكريات ، الى حيث درجنا معا هنا .. في دروب البنفسج .. وغفونا هنا معا .. تحت ظلال الزيزفون الحالم وقطعنا معا هنا .. المسافات الخصبة ، بين الكروم النشوانة بخمرة العنقود ، في السفوح المستحمة بندى الاسحار ..

* * *

.. أجل يا مسافرتي الجميلة ..

سوف يرجعك الحنين ، الى الهيكل العظيم .. هنا .. حيث كنا فيه معا ، نرتل الصلاة الاولى .. في غمرة الفجر الضاحك .. ونغتسل بمائه المقدس .. ونقبل حجارته بركة وخيرا .. بينما ينتصب قبالتنا تمثال « كيوبيد » الصغير .. وفي يده قوسا سحريا ، وفي جعبته سهاما عجيبة .. وقد صوَّب الينا سهما منها بقوسه الرهيب .. فاذا بك تسجدين .. خشوعا لآلهة الحب المبدع ..

* * *

فاذهبي يا مسافرتي .. الى حيث تريدين .. فلسوف يلفك الليل بالوانه الكالحة .. وتمطرك السماء بوابل من عاصفتها الهوجاء .. وسيلفظك القطار ، في مكان غريب .. لا ترين عنده ، سوى اشباح خيالات مرعبة .. وجدران اطلال خربة متربة .. لا توحي اليك معالمها الا بالظلام الدامس ، والعذاب الممض الاليم

ولكن .. عندما تودين الرجوع .. ستجديننـي في دروب البنفسج ... تحت ظلال الزيزفون .. بين الكروم النشوانة ...

ستجديننـي في الهيكل القديم .. بين يدي « كيوبيد » الجميل ... ارتل الصلاة الاولى ... صلاتنا نحن ... وخلفي الكثيرات ... من اللواتي شيَّعن رحيلك بالبسمات ، والتحيات .. الذاهبة في مسارب الفراغ .. يسألن الان «كيوبيد» ان تبقي بعيدا حيث انت ... خارج الهيكل القديم ...

سألتك متي تعودين ؟ ..

دمشق

اسماعيل عامود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحـــة

بين أنفاس المساء العبقة ... وارتعاشات اللحون الشيّقه

خفقت روحي ؛ تناغيها الرؤى ... عبر افاق الغيوب المغلقه

أتملّى غدي النشوان من ... رفرفات الامل المؤتلقه

من ضياء الفجر قد صورته ... وانبثاقات الشروق الريّقه

واحة ؛ ينزلق الماء على ... ضفتيها والظلال المورقه

ويموج العطر في اكنافها ... من أفاويق الزهور العبقه

أتتحيها كلما التاثت على ... حاضري أطياف بؤسي المرهقه

وتلوت بلهاث الجدب في ... مهمه العمر دروبي المحرقه

لي ملاذ في حناياها الندي ... هيمات غافيات مونقه

تبعث العزم ؛ اذا دب الونى ... في عروقي ؛ والمنى المنطلقه

وتشيع الدفء في عمري وفي ... نفسي الحيرى اشعات الثقه

ما لسعي المرء في العيش اذا ... طمس اليأس رؤاه المشرقه

وانطفى في افقه نور المنى ... وطوته الظلمات المحنقه ؟

أنا لولا أملي الحلو الى ... فجر أحلام الغد المؤتلقه

لاختصرت العمر واخترت الثرى ... مسكنا يحضن نفسي المرهقه

العراق ـ اعظمية — **احمد امين**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تكويـن العقـل الحديـث

لجون هرمان راندال ـ ترجمة الدكتور جورج طعمة ـ مراجعة برهان الدين الدجاني ـ مقدمة تحليلية للدكتور محمد حسين هيكل ـ الجزء الاول ـ ٥٥٥ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار الثقافة ببيروت
مطابع دار المعارف بمصر .

قال الدكتور جورج طعمة في تقديمه هذا الكتاب الجليل الى القراء : تتداول على السنتنا اليوم او تشيع في كتاباتنا الفكرية مفاهيم والفاظ كثيرة « كعقلية القرون الوسطى » و « العقلية الحديثة » و « الرجعية » و « التقدم » و « الاصلاح » وغيرها ، دون ان نعطي هذه المفاهيم او الالفاظ مضمونها العلمي الدقيق او محتواها التاريخي ، بحيث يدور تفكيرنا حول مفاهيم نستعملها استعمالا غامضا غير صحيح . ومن هنا كان الخطأ في التفكير والابهام ـ بالقياس لانفسنا ـ في نظرنا الى الماضي والحاضر والمستقبل . فكم نسمع عن دعوات للاصلاح ، او نقرأ عن ضرورة تأسيس نهضتنا الحديثة على « فلسفة كونية او كيانية شاملة » ، ولو انت سألت الكثيرين من اصحاب هذه الدعوات عن المقصود بالاصلاح او بالفلسفة الكونية او الكيانية لما وجدت اكثر من الفاظ كبيرة يتجاهل اصحابها ان الحقيقة ليست في اطلاق احكام كلية او تعميمات جارفة ولكنها تقوم في المحطة الاخير على الجزئيات والتفصيلات فضلا عن المبادىء الكلية . وعلى ذلك فلسنا نبالغ اذا قلنا ان بين العيوب الاساسية التي تشكو منها ثقافتنا العربية المعاصرة والتي تؤخذ على تفكيرنا العربي الحديث هو استعمال المفاهيم دون مضمونها الدقيق بحيث نجعلها فارغة جوفاء .

وفضيلة هذا الكتاب « تكوين العقل الحديث » الذي اقدمه للقارىء العربي اليوم انه يسد مثل هذا النقص باعطائه كثيرا من المفاهيم التي ذكرتها ـ بل واكثر منها بكثير ـ مضمونها التاريخي والعلمي ، ويحددها تحديدا بينا واضحا ، بوضعها في اطارها الصحيح من الزمان والمكان الذي نشأت فيه ، معفيا بالنتيجة على الكثير من انصاف الحقائق التي نقلبها . وتحديد المفاهيم ضرورة اولى لكل تفكير نير واضح يطمح للتوصل الى نتائج صحيحة من مقدمات ثابتة سليمة .

وتبرز في الكتاب ناحيتان : وحدة المعرفة البشرية ووحدة الثقافة الانسانية . فلقد اعتدنا تحت تأثير تقسيم العلوم ونشوء الاختصاص والمبالغة به خاصة بعد القرن التاسع عشر ان نفصل بين المشاكل الفكرية فصلا حاسما ، متناسين ان الحدود التي تقيمها بين قضايا العلم والمعرفة انما هي ناشئة عن حدودنا الذاتية بالدرجة الاولى . فثمة مشكلة « لاهوتية » واخرى « فلسفية » او « سياسية » او « اجتماعية » او « اقتصادية » . وكل مشكلة من هذه المشاكل أثرت في جميع المشاكل الاخرى وتأثرت منها ، وكانت لها ظواهرها ونتائجها في الحياة العملية الواقعية التي ادت خلال تطور تاريخي طويل الى تكوين المجتمع العلمي الحديث . فثورة نيوتن مثلا لم تكن مجرد ثورة علمية في الفيزياء ولكن تأثيرها امتد الى الفلسفة والاجتماع والسياسة وكان لها أثرها الخاص في تكوين عقلية الانسان الحديث ، وقس على ذلك قضايا المعرفة الاخرى كلها .

اضيف الى هذا ان الثقافة الانسانية لم تكن نسيج امة واحدة مما يبرر لنا القول ـ كما يقول البعض ـ « ثمة ثقافة يجب ان ناخذ منها واخرى يجب ان نهملها » بل كل ثقافة قومية، اغنت هذه الثقافة الانسانية الواحدة، الشاملة، المتعالية، واغتنت منها بقدر ما تفاعلت معها تفاعلا حيا ، واخذت منها واعطتها ، واعتبرت نفسها جزءا مكونا منها ، متكونا فيها وضمنها على حد سواء . وهو الشرط الاساسي الضروري لتكوين ثقافة مبدعة خلاقة . وعلى ذلك فانت تقرأ في هذا الكتاب مثلا ما كان من أثر للثقافة والعلم العربيين في عصر النهضة ، الاوروبية خاصة ، كما تقرأ عن مساهمات جميع الثقافات الحية الاخرى. اما الثقافات المنقرضة فهي التي تحبس نفسها ضمن قوقعة محكمة ، لا ينفذ شيء منها او اليها وتزعم ضمن هذه القوقعة وحدها بانها « الحق المطلق » دون ان تعي انها باتخاذها مثل هذا الموقف تحكم على ذاتها حكما مبرما بالانقراض والموت .

ثم اننا في عالمنا العربي وفي رغبتنا الملحة لاقامة مجتمع حديث اضعنا حس الزمن التاريخي الصحيح وهو من التقدم والتطور بمثابة المادة من الصورة . ويتضح ذلك اكثر مما يتضح في مفاهيمنا الاجتماعية وتفكيرنا السياسي . فنحن نتحدث عن نظم ديمقراطية او اشتراكية يتمتع العلم المتمدن بنعمها وخيراتها اليوم . ونتناسى الاجيال الطويلة من الزمن، والتضحيات البشرية الهائلة ، وجهود المفكرين والعلماء والمصلحين ، الذين قدموا حياتهم قرابين على مذبح الفكر والحياة ، والمفاصل والرقاب التي اجتزتها والثورات الكاسحة والدماء والدموع ، التي عرفها العلم المتمدن قبل ان يحقق الفوائد التي ينعم بها اليوم فوراء كل فكرة من الافكار ، او وراء كل حق من حقوق الانسان التي نعتبرها امورا بديهية ، عشرات بل مئات من الافكار والحوادث التي ادت الى توطيد هذه الامور بحيث اصبحت من مقومات العقل الحديث . ولا اقصد من ذلك ان نقبع في زاوية منفرجين منفعلين ، بل ان نشعر بضرورة الثمن الباهظ الذي دفعه بناة الثقافة والحضارة والذي تنعكس بعض صوره الممتعة الرائعة في فصول هذا الكتاب .

اما مؤلف الكتاب فهو جون راندال ، ولد في ولاية ميشيغان في اميركا عام ١٨٩٩ . درس في جامعة كولومبيا ونال درجة الدكتوراه في الفلسفة منها عام ١٩٢٢ . ودرس الفلسفة فيها ابتداء من عام ١٩٢٠ الى ان اصبح استاذا عام ١٩٢٥ وما زال في هذا المنصب . وله عدة مؤلفات غير الكتاب الذي نقدمه لقراء العربية اليوم اهمها « الانبعاث وتاريخ الافكار الحديث » و « تاريخ العلم » و « الدين والعالم الحديث » .

نشر « تكوين العقل الحديث » لاول مرة عام ١٩٢٦ ، ثم نشر ثانية بعد تنقيحه عام ١٩٤٠ .

ونظرا لضخامة الكتاب باللغة الانجليزية كان لا بد من تقسيمه الى جزأين باللغة العربية يتناول الجزء الاول الذي يصدر اليوم « النظرة الفكرية في القرون الوسطى المسيحية » و « عالم الانبعاث الجديد » و « نظام الطبيعة او تطور الفكر في القرنين السابع عشر والثامن عشر » اما الجزء الثاني فموضوعه « عالم ينمو ـ الافكار والامال في السنوات المائة الاخيرة » .

وانني لارغب في نهاية هذه المقدمة الموجزة ان اوجه خالص الشكر لزميلي وصديقي الاستاذ برهان الدين الدجاني للعناية الفائقة والجهد المخلص اللذين بذلهما في مراجعة هذا الكتاب .

لقد كان نقل هذا الكتاب باللغة العربية رحلة شاقة في عالم الفكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثقافة والحضارة . ولكنها رحلة ممتعة دون ريب ، نأمل ان يجد القارىء العربي فيها المتعة التي وجدناها ونحن نجتازها .

جورج طعمة

شعر

مجلة فصلية ـ العدد الاول : شتاء ١٩٥٧ ـ رئيس تحريرها يوسف الخال ١١٦ صفحة ـ حجم متوسط ـ [لم يذكر اسم المطبعة] بيروت

صدور مجلة « شعر » يعتبر حدثا هاما في بلدان العالم المتمدن ـ حدثا لا يقل في أهميته عن أي عمل سياسي او اقتصادي ، فالشعر والادب بشكل عام هو مظهر اساسي من مظاهر التطور الحضاري المتعدد الاوجه . إن العالم العربي اليوم ، وان ادركت قلة فيه اهمية هذا الحدث ، يترسخ بالارث الحضاري اكثر من أي يوم مضى في تاريخه الحديث ، فمجلة « شعر » هي في عداد المعطيات الهامة التي سيواجه بها شعبنا حكم التاريخ ، وهي في اعتقادي ، احدى البرآات التي يحملها هذا الجيل لتسنم المركز المعد له بين شعوب العالم .

« شعر » مجلة تختص بالشعر ، وهي ، كما جاء في التعريف عنها « لا تخضع في اختيارها القصائد لاي مذهب فني ينتمي اليه القائمون على تحريرها ، فالمقياس الوحيد ، ارتفاع الاثر الادبي الى مستوى فني لائق .» وبمعنى ثان انها تكرس وجودها لاعلاء شأن الشعر ، وقد تدنى الى المستوى الذي يؤلمنا جميعا في ما نلاحظه من مجلاتنا المختلفة . بهذا المعنى نحن نسارع الى الحكم على هذه المجلة بانها مظهر عظيم في حياتنا الجديدة ، وفي يقيني ان عظمة هذا الحدث لا تقاس بما يحتوي العدد الاول منها وحسب ، بل تقاس اكثر بالتجربة ذاتها وبانها محاولة لبلوغ هدفها المعين . هذا لا يعني ان ما جاء في العدد الاول منها غير جدير بالتعبير عن رسالتها ، ففي ما احتواه العدد الاول شهادة جيدة لما تصبو ان تكونه .

لم أعرف في حياتي مجلة احتوت في تنويعها كما احتوت «شعر» ، البير اديب ، نذير عظمة ، فؤاد رفقة ، موسى النقدي وابراهيم شكرالله ، فيها من الشعر الكلاسيكي المقفى كقصيدتي بدوي الجبل ورفيق معلوف ومن الشعر الحر المتخطي النمط الكلاسيكي كقصائد سعدي يوسف ، وفيها من الشعر الناعم الذي تمتاز به الشاعرتان نازك الملائكة وفدوى طوقان ، وفيها تجارب شعرية جديدة لم نعهد مثلها في شعرنا الحديث ، كقصائد بشر فارس الغريبة الوزن والايقاع والمبنى ، وقصيدة يوسف الخال التي تخطى بها القافية وعمود الشعر القديم ووحدة البيئة ، واعتمد الايقاع والانسجام الداخلي ، وقصيدة « ادونيس » على النمط المسرحي وقد ادخل فيها الصدى كاحد الاشخاص ، وفيها لميشال طراد .. والترجمات من جميتيز ، عزرا باوند واملي ديكنسون ، وفيها معالجات للشعر لرينه حبشي ، وانطوان كرم في محاولة نقدية لقصائد نزار قباني ، وبياً روبان عن شعر جورج شحاده ومسرحه .

مع وثوقنا التام بان ما احتوته هذه المجلة يتطلب صفحات كثيرة من الكتابة عنها ، فاننا في هذه العجالة سنكتفي بمرور سريع على اكثرها محاولين القاء بعض الاضواء عليها .

قصيدة سعدي يوسف ـ « حكاية » ـ هي لوحة جميلة تتماوج بالحس ، ولكنها لوحة صغيرة ، لوحة فنان كان يلزمها اكثر من المهارة في مد الخيوط وفي حبكها :

كان الظلام يكفن الضوء الاخير
وتلوح احداق الفوانيس العتيقة شاحبات
لا صوت .. لا انسان .. صمت كالصلاة »

هذا مثال على صفاء اللون بريشة الشاعر ، ولكن :

« انا سواء أيها الرجل العظيم
يا ميتا لم ننسه يوما .. ولن ننساه يوما ..
يا حامل الستين .. يا ربا مدمى »

قد يظهر هذا ما اعني عندما قلت انها بحاجة الى مهارة اكثر في مد الخيوط وحبكها .

مع ذلك فان الصورة الانسانية غنية بالاحساس .

اما « اللهب القدسي » لبدوي الجبل فتحتاج لدراسة خاصة .غير ان لي انطباعا واحدا ارغب في تسجيله ـ هو مشكلة الشكل في القصيدة . فدعاة الشعر الحر يؤمنون بان النمط الكلاسيكي لم يعد قادرا على الاستمرار في استيعاب مشاعر الانسان الحديث ، ولذلك فهم يتوقون الى محاولات جديدة توافق مضامين الحضارة الحديثة . في يقيني ان بدوي الجبل نجح في ان يقيم الدليل على مقدرة النمط الكلاسيكي على الاستمرار في استيعاب مشاعر انساننا الحديث ومضامين حضارته . يظهر ان المشكلة في الاساس هي مشكلة الشاعر نفسه ، وليست مشكلة الشكل في الشعر ـ اقرأ له هنا :

أسمى العبادة رب لي يعذبني ... بلا رجاء وارضاه واهواه
وأين من ذلة الشكوى ونشوتها ... عند المحبين ، عز الملك والجاه
تقسم الناس دنياهم وفتنتها ... وقد تفرد من يهوى بدنياه

شيء من البحتري في هذا الشعر .

فقصيدتا نازك الملائكة « خصام » وفدوى طوقان « تشك بحبي » قطعتان من قلبين افعما بالحب والرقة . الحس الناعم الهادىء يتغلغل في القلب كما يغفل الجدول الصافي وهو يتغلغل في احشاء العشب أيام الربيع . ليس شعر الملائكة وطوقان غلغلة الجدول وحسب ، وانما هو هذه الغلغلة الشديدة وسط صخب ضجاج من الموج . يحس القارىء هذه العذوبة ويرتاح اليها اكثر ما يكون عندما يتمثل له ضجيج عالمنا وصخبه، هذه القيمة تمتاز بانها طريقة فريدة من نوعها في الغوص على أعماق الانسان ، الانسان في صفاءه وسعادته . « خصام » نازك الملائكة ليس حربا تشن على حبيب هجر او غدر ، وانما أمر عادي ، من امور الحياة التي تزخر بالخصام ، كما تزخر بالحب ، وبالدمع كما بالضحك

واما بشر فارس ، والبير اديب فانهما يمثلان نوعا جديدا فيه بعض التقارب ، مع غلو في الابهام ، عند فارس ، وفي الغرابة ، اقرأ لبشر فارس :

في كونك الحالم ... مستجابي
اغفاءة الواهم ... واغترابي
عن عالم جاثم ... عند بابي

قد يظن ان الدكتور فارس كتب هذا الشعر بالفرنسية اولا ، ثم ترجمه الى العربية . انني اعترف بتواضع انني لم افهم كيف يكون هذا شعرا ، لعلنا نحتاج الى توضيح من الشاعر عن مبنى هذه القصيدة وعن الغاية من اتباع هذا النهج . لو اعتبرنا هذا شعرا ، لكان من الضروري ان ندخل في بحث طويل عن ماهية الشعر ، وهذا ما نتجنب الخوض فيه الان .

اما البير اديب ، فلونه يتمخض عن عنف في اعماقه ، يخال القارىء ان الكلمات تقصر عن استيعاب هذا العنف كله ، فتثور الكلمة مرات متوالية وتتردد :

ساحتمل ساحتمل ساحتمل
كالارض تدور على نفسها

وكالارض ... كالارض ...

ثم ... « اريد ، ولا اريد » ... « هباء .. هباء .. »

هو لون على كل حال ، وهو يفرض جوه الخاص على القارىء كما لا تفعله قصيدة بشر فارس .

مأساة « المجنون بين الموتى » « لادونيس » ـ هذا الشاعر الكون ـ تستحق دراسة مفصلة لكتاب خاص . هذه ليست مسرحية ولا قصيدة عادية . انما هي فريدة من نوعها . فريدة في انها تعتمد الشكل المسرحي ـ الحوار ، حيث يبقى اطارها العام اطار قصيدة واحدة تامة . فريدة في انها تتخطى الزمان والمكان لتشد كل ما في الكون الى مسرح المأساة ـ الحجرة ، والنجم والاصوات (اصوات الذين قتلوا امام عيني المجنون) والابعاد وهي ترجع صدى غناء الجندي .. الحياة كلها تنتظم على مسرح هذه القصيدة ، فيشعر القارىء انه وضع على سوية واحدة مع الكون، والابدية وانه يعيش معهم ، وانهم جزء من آلامه ومن شكوكه وعذابه ، وهذا الاحساس هو ميزة العقيدة الاولى ، في اعتقادي ـ الانسان وجها لوجه امام الكون ، وكل ما عداه . يتخطى عتبة الحياة ، الى الموت ، ونسمع اصوات القتلى تتساءل :

بعدي ، بعد موتي ما قيل ؟ ما يقال ؟

أي انسان لم يراود تفكيره يوما التساؤل العميق الملح : بعد موتي ـ كيف يصبح الكون ؟ هذا التساؤل ذاته يجسده الشاعر بعنف جميل هذا الترفع عن جزئيات الحياة الى قمة عالية حيث يشرف الشاعر على كل شيء .. ويتحسس كيانه كشيء اقوى من الفناء ، واقوى من العدم ، لانه الحياة ذاتها ، ولان الحياة لا معنى لها بدونه . هذا كله ، بالاضافة الى الموسيقى التي تتناسب مع جلال الموضوع ومع عظمة الانسان ـ الكون :

تنهض بي وترتمي
مطرقة من الدم
كانما طنينها يحبسني في قمقم

كأن القافية ـ الميم ـ المطرقة ذاتها التي تنهض بالشاعر والصدى .. ما هو ؟ لعله رجع الماضي البعيد ، رجع من مات ومن لم يولد بعد ، انه شيء في خاطر المجنون ، في عقله .. كذلك الاصوات كلها في خاطر المجنون ، والدنيا كلها في خاطره ..

وبعد التساؤل عن حقيقة المصير ، والمغيب ، والبداية ، والزمان ، والحياة :

ـ ما الحياة ؟
ـ خمس اطفال صغار
كالدراري
عمروا كوخا من العشب وماتوا »

بعد هذا تطل النهاية ، وكما وقف الحضور جميعا خشوعا عندما عزف « هاندل » مقطوعته الشهيرة « ميسايا ـ المسيح » لاخر مرة ، هكذا يقف كل ما في الكون ، الجندي ، وصوت تدحرجه على منحدر الحياة ، «وكانما العالم عاد الى السديم .. كل ما فيه يفني ، خلاصة الوجود .. » يقف هذه المرة ليس خشوعا وحسب بل لينشد خلاصة الوجود كما يراه :

لاننا من عدم نركض خلف العدم

ويطلع علينا نذير عظمة بقصيدته « الجدار العتيق » ، بمطلع مفاجيء :

« أأحمل ذكرى انتصاري
وذكرى انكساري
واعبر درب السنين
واشرب نبع الحنين »

في رايي ان هذا المطلع سريع . لو بدأ الشاعر بهدوء اكثر لكان، في اعتقادي ، أكسب القصيدة وحدة موسيقية أتم . نذير عظمة شاعر غنائي مبدع الكلمة في قصيدته تطرق جارتها كصنجين ، يتسارعان احيانا، واحيانا يخفان ، اسمع له هنا في حدة تصفيقه :

... وجوه ملطعة كالجباة
تخر على الوحل والطين ، تزحف ، تسجد ، تركع
تمص وترضع
وتاكل ، تاكل يا نهما كاسرا ليس يشبع ،

فقصيدة موسى النقدي « ذات مساء » حزينة ، قصيدة قلب يتالم، يبحث عن الضوء بشفاه عطرت بالحب .. يبحث وحيدا ، وكانسان غريب عن شيء يحبه ، النهاية رائعة ـ لها بساطتها التي تتغلغل في القلب وترسخ به بعمق :

« واخيرا
صرت كالناس اغني فرحا او اتالم
وقليلا فقليلا اتعلم
ان احب الاخرينا
واغني بحرارة .. »
لتهنا بحبك العظيم يا موسى .
ويأتي يوسف الخال بـ « الحوار الازلي »

هذه القصيدة محاولة جديدة من نوعها . فيها التخلي عن القافية ووحدة البيت وفيها امتداد الكلمة من خط لخط . يحس القارىء عند قراءته هذه القصيدة انه مسوق في تيار القصيدة ، او محمول على الاجنحة . الكلمة الناعمة الملتفة تحمل القارىء في عبها حيث يريد الشاعر ، وهي تحمله لا قسرا ولا اغتصابا ، بل كما يحمل جناحا النسر ابنة الملك الاسيرة في ملحمة « جلقامش » ، عندما القت بنفسها من سور القلعة المعتقلة فيها لتلتقي بحبيبها . وكما يترفق جناحا النسر في هبوطه خارج الاسوار ، كذلك يرغب الشاعر ان نرمي بانفسنا نحن فوق اجنحة الصليب الذي ينقذنا وحده من جور الملك الطاغي ، ويمحو خطايانا ، وبه تورق آلامنا ، وبه نطوي سيرة الموت على الارض ..

الاصداء الانجيلية في القصيدة كثيرة ، وهذا التوق الى حضن الصليب عند الشاعر ، لم يسبقه اليه احد الا بعض من زاملوه في

اقصدوا :

البروفسور توفيق سكر

خريج الكونسرفاتوار الوطني بباريس والفائز بجائزته

دروس في السولفيج والارموني والتاليف والموسيقى وغيرها
مما يمكنك من التضلع في فن الموسيقى

العنوان : بيروت ـ شارع مدرسة الحقوق رقم ٤
تلفون ٢٠٠٨٨

Prof. Toufic Succar

Lauréat du Conservatoire de Paris

Leçons de Solfège, Harmonie, Composition, etc.

Adresse : 4 Rue Ecole de Droit Beyrouth
Téléph. 20088

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغرب كت اس. اليوت ، وس. د. لويس مثلا :

يد الايام لم تصنع خطايانا .
خطايانا صنعناها بأيدينا :
لعل الشمس لم تشرق لتحيينا :
هنا مقبرة النور ، هنا الرمل ،
هنا تستنسر البغاث ، تفنى القمحة
الاولى . هنا ينعدم الشك ،
يموت القول في الالسنة الحق .

وقصيدة ابراهيم شكرالله ـ موقف اللذة ـ قصيدة تجري حوادثها في طرابلس الغرب ايام الحرب العالمية الثانية . عند قراءتي القصيدة لم يفارق ت.س. اليوت مخيلتي لحظة واحدة . الانغام والطريقة والتعابير كلها قريبة ان لم تكن مطابقة لت. س. اليوت .

« ان السعي في المكان
سيحررك من المكان والزمان »

هكذا يقول اليوت في برنت نورتن ايضا .

واسمع هذا :

في السأعة العاشرة في قهوة باشكوالي
يجتمع حكماء المدينة يشربون القهوة بالكونياك
وفي الثانية عشرة يصطفون على البار المترنح
يمزجون الماء بالجن المصفى
وفي السادسة يتكئون على الارائك العريضة
يشربون الوسكي ويتحدثون
عن العرب والطليان

في الساعة العاشرة ، والثانية عشرة والسادسة .. هذا التتبع للزمن بالساعات والدقائق هي طريقة اليوت ايضا . ثم ما هذه قهوة باشكوالي ؟ لو اراد الشاعر لكان وجد اسم مقهى اسهل من هذه واقل غرابة ، ولكن الغرابة ذاتها هي صفة الشاعر هنا ، كما هي صفة اليوت . ويتحدثون عن العرب والطليان .. اقرأ هذا المقطع من اليوت :

« In the room the women Come and go
Talking of Michelangela»

لعلهم اشخاص شكرالله ذاتهم هؤلاء الذين يجيئون ويروحون في الغرفة ويتحدثون عن مايجل انجلو .

وثم ـ حديث المرأة على فراش اللذة ، للجنود :

لا تنس ان توصد الباب وراءك
فلن نستقبل احدا هذا المساء
طابت ليلتك
طابت ليلتك .. »

كم يقرب من حديث المرأة ذاتها في قصيدة «الارض الخراب»

لاليوت ، وللجنود ذاتهم :

... And think of poor Alberty
He's been in the Army Four years he wonts a good time
And if yoo dont give it him, these's others will, I said.

وفي نهاية المقطع في القصيدة ذاتها :

Good night ladies, good night, suveet ladies
Good night
Good night

ابراهيم شكرالله تخلى عن شيء هام لم يتخل عنه ت.س. اليوت. هو الايقاع ، لهذا خطر ببالي اول ما قرأتها انها قد تكون مترجمة . لو كان فيها ايقاع من أي نوع لكان نجح الشاعر في ان ينقل الى لغتنا اسلوب اليوت بأتمه . انها محاولة تحمد من شكرالله ، ولكن لا ادري مقدار نجاحها .. لعل المستقبل يحمل لنا دليلا تقنعنا بنجاحها اكثر مما تفعل هذه القصيدة .

سأتوقف هنا في هذا العرض الموجز دون ان أمر بالترجمات او الابحاث ، مع يقيني التام ان كثيرا من القصائد التي مررت بها تحتاج لدراسة تفصيلية ومركزة اكثر مما تسنى لي الان في هذه العجالة . يبقى ان نشكر « شعر » على فضلها الكبير في ان تحرك تيار الشعر الاصيل فينا .

منير بشور

محاضرات عن ولي الدين يكن

للدكتور محمد مندور ـ ٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد الدراسات العالية بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

قدم الدكتور محمد مندور هذا الكتاب الذي ضم بين دفتيه المحاضرات التي القاها عن ولي الدين يكن على طلبة الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة بالكلمة التالية :

تحدثنا في العام السابق عن الشعر بعد شوقي ، فلاحظنا وجود تيارين كبيرين هما تيار الشعر التقليدي ، وتيار المجددين ، وسايرنا كلا التيارين بعض الشوط ، ولكننا لاحظنا بعدئذ اننا قد جاوزنا في الحديث الزمن الذي عاش فيه شاعران كبيران لم يتحدد لكل منهما مكان في التيارين الكبيرين سالفي الذكر . وهذان الشاعران هما ولي الدين يكن (١٨٧٣ ـ ١٩٢١) واسماعيل صبري باشا (١٨٥٤ ـ ١٩٢٣) .

ولم يكن ذلك لضعف في مكانتهما الادبية او تفاهة في انتاجهما الشعري ، ولكن لان كلا منهما كان في الواقع بمثابة جدول خاص ينساب الى جوار التيارين الكبيرين اللذين كانا يشغلان حقل الشعر عندئذ ويصطرعان اصطراعا مستمرا لا هوادة فيه ولا رفق .

والواقع ان هذين الشاعرين لم يثيرا دويا في عالم الشعر العربي المعاصر ولم يخوضا معارك ، ولم يحاولا اجتذاب انصار وتكوين مدرسة او مذهب في الشعر . واذا كان من النقاد المحدثين من يرى ان اسماعيل صبري يدخل في تيار الشعر التقليدي ، بالرغم من ثقافته الفرنسية وعمله في القضاء المختلط زمنا طويلا ، بينما يعتبر ولي الدين يكن شاعرا مجددا في روحه واسلوبه ـ اذا كان هذا هو رأي بعض النقاد ، فان الحقيقة ، الاكثر وضوحا هي ما سبق ان ذكرناه ان هذين الشاعرين لم ينضم اي منهما الى تيار من التيارين الكبيرين اللذين اصطرعا ولا يزالان يصطرعان في عالم الشعر العربي الحديث .

والواقع ان كلا من ولي الدين يكن واسماعيل صبري لم يحترف الشعر ولم يجعل منه وكده ولا اشترك في معارك الشعر والادب ، وان اختلف باعث كل منهما على الموقف الذي وقفه منهما .

فاما اسماعيل صبري فاننا لا نجد في تحديد موقفه من الشعر خيرا من اصطلاح ايطالي انتقل من الايطالية الى غيرها من اللغات الاوروبية الحديثة كالفرنسية والانجليزية وغيرهما وهو لفظة ديليتانتي Dilettante التي يمكن ترجمتها الى اللغة العربية بلفظة « الهاوي » . فهو لم يكن يقول الشعر لان من واجبه ان يقوله عندما تعن مناسبة ، ولم يكن الناس

يحاسبونه على صمته كما يحاسبونه على قوله لانه قد عرف بين الناس بانه شاعر أي محترف – كما انه لم يحرص على ان يخوض في مناقشة اصول الشعر ومذاهبه ، ولا على تحديد مكانه في عالم الشعر ، وانما كان يقول الشعر اذا ساقه مزاجه الى ان يقوله في غير قصد ارادي ولا تصميم وهو الرجل الهادىء المنعم الذي يأخذ الحياة من ايسر سبلها ولا يعرف الانفعالات العنيفة او المشاعر الجامحة او التكالب على الادب وعرش الادب ، حتى لقد وصفه الاستاذ العقاد في كتابه عن « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي » بانه شاعر قاهري لما لاحظه على شعره من روح المدن ومدينة القاهرة بنوع خاص حيث تقلب على امزجة سكانها روح اليسر وعدم التزمت والانفعال .

وان ولي الدين يكن ، فبالرغم من ان مزاجه العصبي العنيف كان يختلف الاختلاف كله عن مزاج اسماعيل صبري القاهري المرفه ، الوديع الهادىء الطبع – الا انه هو الاخر لا يمكن ان يوصف بانه قد احترف الشعر واتخذه غاية في ذاته او فنا جميلا قائما بنفسه . وانما اتخذ الشعر وسيلة للتعبير عن آرائه واتجاهاته السياسية والاجتماعية ، حتى لنراه يجمع بين الشعر والنثر في كثير من ابحاثه ومقالاته التي كان ينشرها في الصحف والتي جمعها بعد ذلك في كتبه : « الصحائف السود » و « التجاريب » و « المعلوم والمجهول » بجزئيه . واكبر الظن ان ولي الدين يكن لم يكن يلجأ الى الشعر ليستهل به مقالاته الا لاحساس عميق بان الشعر يستطيع بفضل موسيقاه واخيلته ان يستنفد ما في افكاره من انفعالات حتى اذا هدأت نفسه واستراحت من عصبيتها العنيفة الدافقة ، لجأ الى النثر ليفصل القول ويعالج المشكلة التي يدور حولها المقال مما يدفعنا الى ان نحدد الخاصية الاساسية لشعر ولي الدين يكن في قولنا انه شاعر الانفعالات الفكرية ، كما حددنا من قبل اسماعيل صبري بانه شاعر العواية الادبية .

ثم ان كلا من الشاعرين قد كان مقلا نسبيا في انتاجه الشعري وذلك لان اسماعيل صبري كان مشغولا بالحياة ونعيمها الميسر عن الشعر كما ان ولي الدين يكن قد كان مشغولا بمعاركه السياسية والاجتماعية عن الشعر كفن جميل يقصد لذاته ، وكل ما كان يحرص عليه كما قال في مقدمات كتبه وفي شعره احيانا هو ان يأتي يوم ينتفع فيه مواطنوه من عرب واتراك بآرائه ونزعاته الاصلاحية ، وقد عبر عن هذا الامل في بيتين حرص على ان يدونهما تحت صورته التي يفتتح بها كتبه وديوانه وهي :

ما كان اهناني واسعدني ... لو كان ينفع معشري قلمي
انا لي فؤاد لا انزهه ... لكن يراقب ما يقول فمي

وهو يردد نفس المعاني في نثره مثل قوله في تقديم كتابه المعلوم والمجهول بهذا الكتاب اشياء وقد فاتته اشياء ، وفي احوال العالم ما يمنع الافصاح بكل ما يدور في الخلد ، على انني لا احب ان اخرج من هذه الدنيا قبل اظهار ما عندي من الخوافي ، فاذا اوفقني الله الى امنيتي تلك كنت سعيدا ... حين تذهب دول الظلم ويذوق الناس نعيم العدل يقرأون مثل كتابي هذا بارتياح . واذا اوهب الله اقوامنا من الترقي اكثر مما نالوه ، وبقيت حيا بينهم كلمتهم بما يخالج صدري تصريحا لا تلميحا . »

محمد مندور

الشاعر الاعمى بشار بن برد

لعبد الله العاني – ٨٠ صفحة – مطبعة المعري – بغداد

أصدر الاستاذ عبد الله العاني دراسة تحليلية عن بشار بن برد مساهمة منه مع من سبقه في استكشاف جوانب حياة هذا الشاعر .

وقد قدم للكتاب الاستاذ الشاعر حافظ جميل الذي قال « فاذا ما انبرى في الاونة الاخيرة نخبة من علية الكتاب والادباء لتقصي اخبار بشار والتحري عن كل شاردة او واردة من شوارد شعره ثم دراسة أثر ذلك الشعر على مجموعة الشعر العربي فانما يؤدون بذلك رسالة من اقدس رسالات الادب والتاريخ ، ولعل الاستاذ عبد الله العاني ابى الا ان يكون من جملة من يؤدون مثل هذه الرسالة المقدسة ... » .

وانا في كلمتي هذه الموجزة اقلب صفحات الكتاب بعد مطالعته مليا وادون ما عن لي من خواطر حول بعض المشاكل في بعض الفصول فحسب .

ففي الفصل الاول – الذي عنوانه (من هو بشار ؟) – يتكلم المؤلف عن نشأة بشار ووالديه ومكانته في البصرة بين موالي بني عقيل . واشفاق والديه عليه لعاهته .

لم يحلل لنا – باسلوبه الممتع – العوامل التي أدت ببشار الى سلوك مسلك الهجاء في اغلب شعره فيعزوه الى فقدانه بصره منذ الصغر مما جعل شعره مرآة لعقدته النفسية التي تكونت من خيوط متشابكة يغطيها الشعور بالنقص لعماه وكونه من الموالي ونفسه الثائرة كشاعر ملتهب العاطفة ...

هذه العاطفة التي انحرفت انحرافا سيئا نحو ذم الناس وبيان نقائصهم مما يجعله شاعرا بالارتياح لانهم ليسوا احسن منه بنقائصهم هذه ان كان اعمى ومولى !

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف عن (الحب عند بشار) فيقول ان الحب يصيب أي انسان سواء كان اعمى او مبصرا ثم يردف « وقد يكون الحب عند الاعمى اقوى واعنف لانه احب باذنيه لا بعينيه وحب الاذن اقوى من حب العين ! » ثم يستشهد بقول بشار :

ظهر حديثا :

فلسفة اللغة

تأليف الدكتور

كمال يوسف الحاج

٣١٢ صفحة – قطع كبير

الثمن ٦٠٠ غ.ل. او ما يعادلها

دار النشر للجامعيين – بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

اما في الفصل الثالث فيتحدث المؤلف عن بشار (الشاعر السليط) وهو ترويد لما كتبه في الفصل الاول واصفا اياه بصبغة الفجور ثم يحلل لنا سر حب النساء لبشار ويرى ان هناك اسبابا ثلاثة وهي حسن حديثه وقوته الجنسية و (شدة تأثير ما في شعره من دعارة يحث الفتيات والفتيان بها على اقتراف الفسق والدعارة وكلا الفريقين في دور البلوغ وسن المراهقة) .

وانا لا اعتقد ان النساء احببن بشار بكل ما في كلمة (الحب)من معنى وانما اعجبن بشعره الغزلي والجنسي . فاما حسن حديثه فهناك الاف من ذوي اللسان الطلق الممتع لم يظفروا بحب واحدة من بنات حواء . واما قوته الجنسية فلا اتصور ان امراة تسلم لبشار البشع الخلقة جسدها ليعبث به لا لشيء الا لانه (قوي جنسيا) فان القوة الجنسية متممة لنواحي اخرى في شخصية الانسان المحبوب عند النساء قد يكون منها الجمال والجراة او مشابهة ذلك الشخص ـ في ناحية من نواحي جسمه وشخصيته ـ لاب الفتاة اذا اخذنا المسالة من الناحية السيكواوجية ودرسناها على ضوء (عقدة الكترا) . اما شدة تأثير شعره فهو صحيح الى حد ما فان المؤلف قد سمى الاعجاب بشعر بشار الغزلي حبا .

اما الفصل الرابع فهو من امتع فصول الكتاب حيث يتحدث المؤلف عن حب بشار لعبدة ثم نمر بـ (بشار يداجي) و (الحسن عند بشار) ونأتي الى الفصل السابع (بشار والمهدي) ويتحدث فيه المؤلف عن علاقة بشار بالخليفة المهدي وكيف امر بقتله عندما تاكد من زندقته وكفره ولم يغفر له حسن معاشرته . وكيف ندم على ذلك بعد ان عرف انه لم يبن اتهامه لبشار على دلائل واضحة الا كلمات سمعت من الناس ومنه عندما دخل على نساء قصر المهدي اللواتي قلن له (انك ابونا) فاجاب (ونحن على دين كسرى) اشارة ـ قد تكون مازحة ـ منه الى ان الاباء يعاشرون بناتهم عند المجوسيين ففضب المهدي منه وامر بجلده بالسياط حتى الموت .

ثم يتحدث المؤلف عن (بشار الاب) وكيف برزت شاعريته في محنته بموت ولده (محمد) فقال :

اجارتنا لا تجزعي وانيبي اتاني من الموت المطل نصيبي
كاني غريب بعد موت محمد وما الموت فينا بعده بغريب

الى اخر الابيات التي تدع الدمع يجري من العين حتى عند ذوي القلوب المتحجرة .

ثم يتحدث المؤلف عن (الشاعر الخليع) وكيف عبث بشار بفتاة صغيرة لا تتجاوز الثالثة عشر وبعض اخباره المستقاة من المصادر القديمة ولا بد من ان اختم كلمتي السريعة هذه بتعليق اراه هاما وهو ان المؤلف الفاضل لم يبوب فصول الكتاب تبويبا صحيحا فهو يتحدث عن موت بشار قبل ان يتحدث عن صفاته الاخرى وهو يكرر بعض شعره من فصل الى اخر وهو ـ بعد ذلك ـ يكرر الحوادث مرة بعد اخرى واملي ان يعيد النظر فيه في الطبعة الثانية وعلى اية حال فقد كان المؤلف الفاضل موفقا في تحليله لبعض نواحي حياة بشار . ولعل اكبر خدمة اداها المؤلف للادب هو احياؤه ـ مرة اخرى ـ لذكرى هذا الشاعر الملهم الذي يعد من مبرزي شعراء العرب .

بغداد — باسم عبد الحميد حمودي

دموع وزهرات

لاحمد عبد الله الحسو ـ شعر ـ ٦٣ صفحة ـ بغداد

تكاثف يا غمام
ففي قلبك شبه بما يضمه صدري
وارسل صرخاتك في الافاق
حتى تذوي هذه الزهرات
وتختبيء الطيور في منحدر الوادي
دون ان تغني من اناشيدها شيئا

هكذا ينطلق الشاعر احمد عبد الله الحسو باسلوبه الجميل وعاطفته الجياشة الملأى بعذاب الوحدة ومرارة اليأس في باكورة انتاجه الادبي « دموع وزهرات » . ينطلق كعصفور بريء ضاع عن السرب فراح ينشد اناشيد الاسى ويلقي بعضا من زفرات قلبه ويسكب بعض الدموع من فيض دمعه على وجنتيه ، ويرفع راسه لينظر الى شجرة الذكرى واحلامها الوردية وهي تفور في الاعماق اعماق قلبه ليؤمن بالاسى والجوع البشري الى الفرح والسعادة . ومن خلال وحدته وانسانيته وايمانه القوي بالانسان يقف على قدميه ، امام انسان الغد ليصرخ في اذنيه .

ايها الانسان
كن رهيبا قويا
كالموت
كالعاصفة
كالطبيعة
كامواج القدر والحياة

احاسيس دفينة في لحظات قوية من حياته وظلال حمراء من دموعه وزهراته مشحونة بالصور الطبيعية الساذجة والخيال الشعري المتواضع والمشاعر الانسانية والمسحات التي يلج فيها عالما عاريا من آثام الارض ومليئا بالجمال والحب الرفيع ... ونفحات من قلب يزخر بالوعي والامل كل هذه الشاعرية نجدها تملأ قلب الشاعر فنحس معه بالالم والحب والامل .

وهنالك ماخذ عديدة احب ان ابينها هنا وهي :

اقتصار الشاعر على تصوير مظهر واحد من مظاهر النفس البشرية وهو الالم ... وان كان هذا الالم .. الما بنائيا ـ كما ذكر الاستاذ زروق الموسوي الجزائري في المقدمة ـ غير ان هنالك مظاهر اقوى من الالم والشاعر الشاعر هو الذي يعبر عن جوانب متنوعة وعديدة من الحياة في لحظات قوية .

عدم التوسع والتعمق في آماد الحس والطبيعة والحياة التي هي اسمى واضخم من ذرف الدموع ومناجاة البشر وذكر الروابي والنسمات. فالسطحية اس بلاء الادب الحديث .

لم الم الفكرة مركزة الا في قصائد قليلة منها « دموع كلكامش » و « الموكب » و « فراشة تحترق » ولهذا بدت بعض المقاطع .. لا صلة لها بالمقاطع الاخرى في القصيدة الواحدة لتكوين الفكرة اذ ان الاساس في الشعر هو ان كل كلمة فيه تحمل بعضا معينا من الفكرة او الظلال .

واعود فاقول ان قصائد صديقي احمد عبد الله الحسو هي ازهار جميلة ، لان الشاعر يكتب عن عاطفة صادقة واحساس مرهف .

أترون الى القطرة المنسكبة من غمام احلامي
ان ورائها غيثا يوشك ان يفيض
وهذا الشعاع الذي يتراءى من خلال ذاتي
يخفي وراءه شمسا
يدور حولها الف كوكب

العراق ـ كركوك — فاضل كلو العزاوي



ظهر حديثاً

● البترول في البلاد العربية ـ محاضرات القاها الدكتور محمد جواد العبوسي على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لمعهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية ـ ٢٩١ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة .

● النقود والبنوك في البلاد العربية ـ الجزء الاول مصر والسودان ـ محاضرات القاها الدكتور فؤاد مرسي على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ ١٠٢ صفحة ـ حجم كبير ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● قضاة دمشق ، الثغر البسام في ذكر من وُلي قضاء الشام ـ تأليف شمس الدين ابن طولون ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ ٤١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق

● النكبة ، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢ ـ تأليف عارف العارف ـ الجزء الاول ـ ٣٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ـ المطبعة العصرية في صيدا .

● محاضرات في القانون المدني اللبناني : انتقال الالتزام ، حوالة الحق وحوالة الدين ـ القاها الدكتور صبحي المحمصاني على طلبة الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ـ ٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● ديوان ابن ابي حصينة ، الامير ابي الفتح بن عبد الله المشهور بابن ابي حصينة السلمي المصري ـ الجزء الاول ـ سمعه وشرحه ابو العلاء المعري ـ حققه الدكتور محمد اسعد طلس ـ ٤٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المطبعة الهاشمية بدمشق .

● تاريخ المجمع العلمي العربي ـ تأليف احمد الفتيح الامين العام لوزارة المعارف السورية ـ ٢٧٩ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق .

● كتاب الزيارات « بدمشق » ـ تأليف القاضي محمود العدوي المتوفي سنة ١٠٣٢ هـ ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ ١٢٢ صفحة ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ مطبعة الترقي بدمشق .

● فلسفة اللغة ـ تأليف الدكتور كمال يوسف الحاج ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ دار النشر للجامعيين ـ مطبعة سميا ببيروت .

● بين القصرين ـ رواية ـ تأليف نجيب محفوظ ـ ٤٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات مكتبة مصر ـ دار مصر للطباعة بالقاهرة .

● الشيخ قسطنطين يني ، الشهيد ـ صفحة من التاريخ القومي العربي الحديث ـ مع مقدمة بقلم علي ناصر الدين ـ ١١٩ صفحة ـ اخرجته لجنة احياء ذكرى قسطنطين يني في بيروت ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● رذاذ .. ـ مجموعة قصص ـ تأليف شحادة نمر ـ ١٠٥ صفحة ـ مطبعة الوفاء [؟]

● البستاني ـ لشاعر الهند رابندرانات طاغور ـ ترجمة بديع حقي ـ ٧٨ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● خمس رسائل اسماعيلية ـ تحقيق وتقديم عارف تامر ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الانصاف للتأليف والطباعة والنشر [؟]

● الادب المهني ـ تأليف خليل رشيد ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة القري الحديثة بالنجف ـ العراق .

● المغني في القواعد والاعراب والفوائد ـ لطلاب المدارس الثانوية ـ يحتوي على ١٤٠ بيتا معربا عدا الجمل المعربة ـ تأليف نهاد التكريتي ـ ٢٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العمومية بدمشق .

● ديوان مورد الصفاء ومنهل الشفاء ـ لمصطفى متولي ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الهنا بمصر .

● القصة والاساطير في الادب الكردي ـ الجزء الثاني ـ تأليف محمد توفيق ووردي ـ ٣٧ صفحة ـ مطبعة دار المعارف بغداد .

● تعليم وانشاء ـ منشورات اليونسكو ـ ٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة دار الهلال بالقاهرة .

● التكيف الاجتماعي للاطفال ـ الكتاب رقم ١٧ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تأليف بول لانديس وجون هاير ـ ترجمة السيد محمد عثمان بالبحوث الفنية بوزارة التربية والتعليم المصرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم المصرية ـ ١١٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر .

● زينون الرواقي ، خط الفكر السوري ـ تأليف جورج عبد المسيح ـ ٩٤ صفحة ـ دار الجيل الجديد بدمشق .

● الوان من القصة اللبنانية ـ بقلم انعام الجندي واحمد سويد وسعيد تقي الدين وفيصل المسكي وموريس كامل ونبيل خوري ويوسف حبشي الاشقر ويونس الابن وسميرة عزام وسهيل ادريس ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار العروبة ـ مطبعة دار الكتب بيروت .

● اساسات التنمية الاقتصادية ـ تأليف يونس صالح الحريثي معاون مدير الادارة في المصرف الوطني العراقي ـ ١٤٧ صفحة ـ دار العلم للملايين بيروت .

● Mélanges — par Louis Massignon — Tome I — 432 pages gd. f. — Publiés sous le patronage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris et de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● La Escuela Siro — Americana : Yubran Jalil Yubran, Mijail Naima, Iliya Abi Madi, Rashid Ayyub, Nasib Arida, Nadrah Haddad — Con Antologia de Textos en Arabe — de Pedro Martinez Montavez — 104 pages — Volum en 4 de la Colleccion « Itimad » de Ediciones Al Motamid — Imprenta Del Majzen de Tetuan Marruecos.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الصعب جدا ان نصف في هذا المجال الضيق التطورات العديدة التي رافقت صناعة الزجاج . فادارة مصانع كورننغ تملك في اضباراتها اكثر من ٥،٠٠٠ وصفة تتعلق بصناعة الزجاج ولا تزال ادارتها ماضية في استكشاف وسائل وذرائع جديدة او انواع جديدة من الزجاج .

وبعبارة ثانية ساعدت صناعة الزجاج بوجه من الوجوه تطوير العلم الحديث والتكنولوجيا فهي تقوم بخدمات تذكر في المختبرات الصناعية . والطب نفسه لولا ما تمده به صناعة الزجاج من عدة والة لم يكن ليستطيع استخدام هذه الابر الدقيقة للحقن تحت الجلد التي تحقق هذه الشفاءات العجيبة

والمواصلات على اختلاف مرافقها ووجوهها تعتمد الى حد بعيد ، على المصنوعات الزجاجية التي اسهمت على نطاق واسع بنشط صناعة الالكترونيات وتطورها المدهش فاتحفتنا بما لدينا من وسائل الترفيه والتسلية ممثلة بالراديو والتلفزيون والهاتف والتلغراف والرادار وغير ذلك من الاجهزة الدقيقة التي مكنت لها صناعة الزجاج بما تمدها من قطع زجاجية تتحمل ما تتحمله من ضغط التيارات الكهربائية العالية التواتر والذبذبات .

ومن ادهش الخدمات تؤديها صناعة الزجاج هي التي تتوفر في الحقل الذري ممثلة في مقاييس طاقة الاشعاع . فقد انتجت مصانع كورننغ من هذه الموازين اكثر من مليون قطعة وتتخذ ادارة المصنع الترتيبات اللازمة لصنع موازين او عدادات تستطيع ان تقيس طاقة الاشعة التي تتعرض لها المواد الغذائية .

وفي المختبرات العلمية حيث تجري التجارب الذرية العلمية ، يلعب الزجاج دورا كبيرا اذ منه تصنع نوافذ زجاجية طول الواحدة ٨ اقدام بسماكة ٦ وزنتها ١٢ طن ، لا تسود من جراء تعرضها للاشعاعات الذرية يستطيع معها العلماء الذريون ، دون ان يخشوا شرا مراقبة ومتابعة التجارب العلمية في المختبرات الذرية

ويستطيع المرء ان يتتبع بحماس مظاهر التطورات التي سجلتها صناعة الزجاج عبر التاريخ الى يومنا هذا وما اصطحب هذا التطور من الات واجهزة دخلت في صنع الزجاج وصقله وذلك بزيادة خاطفة الى متحف الزجاج الذي نظمته محلات كورننغ في نيويورك حيث تقع العين على نماذج من الزجاج في مختلف ادواره عبر التاريخ منذ ١٥٠٠ سنة قبل المسيح ويشاهد المرء نماذج زجاجية من جميع اطراف العالم . وباستطاعة الزائر لهذا المصنع حيث يصنع زجاج ستوين المشهور تتبع الادوار المختلفة التي تمر بها صناعة البلور النقي في اذابة المواد وصهرها الى مزجها ونفخها وصبها في القوالب المطلوبة كذلك تقع عين الرائي على الامكانيات التي لا حد لها وعلى الوف الطرق التي يمكن ان يستخدم فيها الزجاج في الفن والعلم والصناعة والمنزل ويكفيك شاهدا على ذلك ان تعلم ان ٦٠ في المائة من نشاط مصانع كورننغ تقوم اليوم بانتاج مصنوعات زجاجية لم تكن معروفة من عشر سنوات مضت .

وهكذا يتبين المرء المراحل البعيدة التي قطعتها صناعة الزجاج في الماضي والاحتمالات التي لا حد لها المتوقعة في المستقبل الطالع .

ريموند شوسلر

في كلمات ...

● صرح الدكتور ستانلي ريمان احد الاخصائيين العاملين في معهد الابحاث العلمية حول السرطان التابع لمستشفى لكنو في فيلادلفيا ، بانه مقتنع كل الاقتناع ان الاشعة المنطلقة من نظائر الكوبالت المشعة هي اجدى في مكافحة السرطان من الاشعة السينية . والدكتور ريمان ومساعدوه كانوا اول الاطباء في اميركا الذين استعملوا قذائف نظائر الكوبالت المشعة لمعالجة السرطان . وحجم قذائف الكوبالت المشعة هي بحجم ملء ملعقة شاي من هذا المعدن تصبح مشعة بعد تعرضها للاشعة النيوترونية في محرك ذري . والمعروف ان هذا النوع من النظائر هو اقوى ١٢ ضعفا من الاجهزة السينية العادية التي تبلغ قوتها ٢٥٠،٠٠٠ فولط الكتروني . والقوة المشعة في نظائر الكوبالت تساوي قوة الاشعاع المنطلقة من كتلة من الراديوم ثمنها ٣٠ مليون دولار ، وهي كمية لم يحصل عليها الانسان بعد منذ اكتشاف الراديوم عام ١٨٩٨ . والمصابون بالسرطان قيد المعالجة في معهد فيلادلفيا للسرطان يتعرضون لفعل الاشعة المنطلقة من كبسولة الكوبالت المشع لمدة تتراوح بين ٨ – ١٠ دقائق لا غير وهي تدور حول جسم المريض وقد اشار الدكتور ريمان ان اشعة الكوبالت تستخدم اليوم على الاخص لمعالجة الاورام السرطانية المستعصية وانه من الصعب اعطاء راي قاطع في مفعولها قبل مرور خمس سنين على طريق المعالجة هذه مع ان الطريقة مستعملة منذ سنتين ونصف فقط .

● اذاع راديو موسكو ان العلماء السوفياتيين قد اخترعوا عينا تليفزيونية تستطيع تشخيص مرض السرطان في مرحلته الاولية وهذه العين التلفيزيونية تعمل بالاشعة الاولترا فيوليه بالاضافة الى مساعدة المجهر لها .

● يؤخذ من تحقيق اجري في سبعة بلاد وبعد دراسة لستة وستين الف حالة من حالات سرطان الرئة ان وقوع هذا المرض يزداد بارتفاع نسبة التدخين وعلى الاخص تدخين السيجارات

وقد وردت هذه المعلومات في مقال نشره الدكتور وايندر الاميركي في المجلة الطبية البريطانية . وقال ان على الخدمات الصحية في مختلف البلدان ان تجمع المعلومات المتوفرة لديها بهذا الصدد واذا ما تبين لها صحة هذا القول فان عليها ان تقرر ايهما اهم الحياة او الاعتبارات الاقتصادية . وقال الدكتور وايندر: ان اصابات سرطان الرئة كثيرة في اميركا وبريطانيا حيث يكثر استهلاك السيجارات، امافي اسلندة حيث تنخفض نسبة التدخين فاصابات سرطان الرئة قليلة .

واشار المقال الى ان الرجال معرضون للسرطان اكثر من النساء ، ولكن النساء اللواتي يتعاطين التدخين كالرجال ايضا هن ايضا معرضات للمرض . وقال ان السبب الرئيسي في السرطان لا يعني انه السبب الوحيد ، فهناك اسباب اخرى بينها تلويث الهواء .

● تمكن علماء المعهد الصحي القومي بماريلاند من تحويل كاميرا تلفزيونية الى جهاز للتحري عن السرطان ،وذلك بتجهيزها بصمامات تلفزيونية جديدة حساسة للاشعة فوق البنفسجية . وبتسليط الكاميرا ، بواسطة مجهر ، يمكن فورا مقارنة التفاعلات الكيماوية الحادثة في خلايا الجسم الطبيعية بالتفاعلات التي تحدث في الخلايا السرطانية . ويقول المعهد ان مزايا الصمام الجديد كذلك ، اذا استعمل مع جهاز اوسيللوسكوب امكان ملاحظة التفاعلات الكيماوية التي تجري داخل الخلايا الحية بالعين المجردة وتصويرها على شريط سينمائي ، ودراسة مئات الخلايا الحية وتحليلها في جزء ضئيل من الوقت الذي كان يستغرقه الاطباء في العمل سابقا ، وملاحظة وقياس وتشخيص بعض التغيرات الكيماوية التي تحدث داخل الخلايا الحية .

● من الاخطاء الشائعة القول بان السمك يقل فائدة من اللحم من الناحية الغذائية وهذا خطأ جد خطير ولعله يعود في بساطة الى ان السمك اسهل من اللحم في الهضم وهو في الحقيقة طعام مغذ ومفيد تماما ولكنه لا يدفع الانسان الى السمنة فهو غني بالكلسيوم والفوسفور والمغنسيوم انه غني بكثير من الفيتامينات اللازمة للانسان. وتدلنا الاحصاءات الرسمية على ان صيادي الاسماك يعيشون على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جهل تام بهذه الافة التي اصابت العصر الحديث الا وهي السرطان ويرجع هذا الى الحقيقة الاتية وهي ان كل ورم خبيث (سرطاني) او كل الجسيمات السرطانية تشير الى فيض زائد في مادة البوتاسيوم وافتقار شديد الى مادة المغنسيوم .

وعلى ذلك فالسمك يمد الانسان بالمغنسيوم اللازم للتغذية الطبيعية ويجنب الانسان خطر الزيادة الفائضة في البوتاسيوم الناتج من سوء استعمال الاسمدة البوتاسية حتى ان عالما فرنسيا هو الاستاذ رلبو طالب باصدار تشريع عالمي يحرم استعمال الاسمدة في كتابه « الزراعة والصحة » .

● قام احد اطباء مستشفى الصدر في مدينة سوثمبتون باخطر جراحة قلبية في تاريخ الطب الحديث وذلك لازالة دمل كبير من قلب مريض شاب في فترة تسع دقائق فقط . وقد رفضت ادارة المستشفى الكشف عن اسم الطبيب او المريض ولكنها اعطت التفاصيل الاتية عن الجراحة المثيرة .

« اكتشف احد اطباء المستشفى عند فحص احد النزلاء قبل شهر تقريبا وجود دمل في الجانب الايسر من قلبه فقرر ازالته .

ولما حان وقت الجراحة خفضت حرارة المريض الى ٢٨ درجة أي ٩ درجات دون المستوى العادي للجسم السليم (٣٧ درجة) ثم جرى عزل الدورة الدموية عن باقي الجسم ولما تمت هذه المراحل الاستعدادية كان لدى الجراح عشر دقائق فقط لازالة الدمل واعادة الدورة الدموية ، فتمكن الطبيب من اجرائها في ٩ دقائق فقط . »

وتقول ادارة المستشفى ان هذه الجراحة الناجحة هي الاولى من نوعها في بريطانيا واميركا ، وفي العالم كله على الارجح . وقد جرت محاولات من هذا النوع في السابق ولكنها لم تنجح وكانت تنتهي بوفاة المريض .

● صور الاطباء دهانا يدعى يزيدورجان بعد ان سقط من على دراجة في احد شوارع باريس فوجدوا في كتفه رصاصة ظلت فيها منذ اثنتين واربعين سنة .

● كان وليم فرولنغ وعمره ٤٩ عاما ، يتمشى في المنطقة التجارية في كرواذولز – وسكونسن المدينة الصغيرة فاصيب بنوبة قلبية ونقل الى المستشفى لاسعافه ، وهنا نترك للاطباء الثلاثة الذين تولوا اسعافه ان يفصوا علينا ما حدث بعد ذلك :

كان قلب وليام قد توقف تماما عن الخفقان حين ادخلناه غرفة الاسعاف فقام احدنا باحداث شق كبير في صدره فوق القلب ، ومد الاخر يده بين عظام القفص الصدري حتى وصل الى القلب فدلكه باصابعه بينما انهمك الثالث باعطائه تنفسا اصطناعيا .

وكانت النتيجة الاولى لهذه الاسعافات السريعة ان شرع القلب بالارتعاش ، وهذه دلالة غير مسرة اذ انها تعني الموت المحتوم .

ولم يبق امامنا الا وسيلة واحدة هي اعطاء القلب رجفات كهربائية . ولكن مستشفانا الصغير غير مهيأ لمثل هذه الحالات ولم يكن لدينا الجهاز المعقد الخاص بهذا العلاج ... فتلاقت نظراتنا ... وكان كل منا كان يعرف ما يجول في خاطر الاخر ... وفجأة امتدت يد احدنا الى شريط الكهرباء الذي يضيء المصباح المتنقل فانتزعه بحدة وعنف وعرى طرفه ثم ادخل الشريط الى صدر المريض حتى مس السلكان قلب المريض . واعاد الطبيب هذه الصدمة الكهربائية مرتين دون نتيجة . ولكن في المرة الثالثة توقفت الارتعاشات وعاد القلب الى خفقانه كالمعتاد . وما زال وليام بحالة خطرة ، وذلك ليس مستغربا بعد الصدمة القلبية التي تعرض لها ولكنه سيشفى باذن الله

● ذهبت السيدة انغالس زوجة احد رجال المال في نيويورك الى المستشفى لاجراء فحص عام فرضه عليها الاطباء بعد اجراء جراحة في قلبها عام ١٩٥٢ . ولما اقترب منها الطبيب الشاب سيفن لوبيل لمعاينتها شهقت السيدة فجاة وسقطت ثم تصلبت ... ولما افاق الطبيب ستيفن من هول الصدمة سارع الى جس نبضها فلم يجد له أي اثر ولم يبق امامه الا ثلاث دقائق لمحاولة اسعافها ولم يدر ماذا يفعل ... وصادف مرور احد زملائه الطبيب اروين شوارزن فلما علم بما حصل نصحه بان يتفخ في فم المرأة . ثم تناول مبضعا فشق صدر السيدة بسرعة فائقة وادخل يده بين ضلوعها حتى امسك بالقلب وشرع في تدليكه ، وبقي كذلك عشرين دقيقة حتى عاد القلب الى خفقانه . وتبلغ السيدة الخامسة والخمسين من عمرها وهي اليوم تتحدث عن هذه الواقعة المثيرة وهي عالمة بان دقيقة واحدة فقط كانت تفصلها عن العالم الاخر .

● ثبت من المباحث الطبية التي قام بها بعض الاطباء ان الارتجاف هو الوسيلة التي تلجأ اليها الطبيعة لتدفئة الجسم وتفصيل ذلك انه لما تبرد بشرة الجسم تأخذ عضلات الاوعية الدموية في التقلص وهذا التقلص يجعل الدم يتدفق من الاوعية الدموية الصغرى الى الاوعية الكبرى وبما ان الاوعية الاخيرة تتمدد وتنتفخ بما يتدفق اليها من الدم ثم تتقلص بسبب حصول البرد فان تتابع التقلص والتمدد على وجه اشبه بنوبة تشنجية يسبب الارتجاف . وقد ثبت بالاختبار ان التنفس بواسطة الانف يزيد في اوكسجين الدم ويؤدي الى انتاج الحرارة

● تفيد الانباء ان البعثة البريطانية لارتياد المنطقة القطبية الجنوبية قد اصطحبت معها مؤنا من مادة « الكوميلان » وهي مادة غذائية جديدة مصنوعة على شكل مسحوق . ويعتقد انها تحوي جميع المواد الضرورية للمحافظة على الصحة الجسمانية . وتتالف هذه المادة الغذائية من مزيج جاف من المواد البروتينية والكاربوهيدرات والدهنيات والمواد المعدنية والفيتامينات يبلغ مجموعها نحو ٢١ عنصرا . وقد اجريت عليها اختبارات طبية دقيقة عديدة وقد ثبت من هذه الاختبارات ان المرضى الفاقدين وعيهم يستطيعون ان يعيشوا لمدة شهرين معتمدين على هذا الغذاء وحده كما ان المصابين بالامراض العقلية امكنهم ان يعيشوا على هذا الغذاء وحده تقريبا مدة تتراوح بين ثلاثة وستة شهور ولعل اهم ميزة لغذاء « كوميلان » انه لا يحتاج الا الى قدر من الماء لكي يصبح غذاء كافيا غير انه بالامكان اضافة بعض المواد الاخرى اليه للتنويع في الطعم مثل الكاكاو والقهوة والشوكولاته او خلاصة اللحم . ويقول الناطق بلسان الشركة التي انتجت هذا الغذاء وهي شركة كلاسكو لا بوراتوريز ليمتد بانكلترا انه اذا اضيف الى هذا الغذاء الماء والهواء فقط فان الانسان الطبيعي الصحيح الجسم يستطيع ان يعيش به مدة غير محدودة وان كانت الغاية الاولى من عرضه في السوق هي لاستهلاك الاطفال والشيوخ والكهول الذين هم بحاجة الى المزيد من المواد الغذائية .

● اعلنت الدوائر الكندية ان الوحوش التي تقطن في المناطق القريبة من كوبيك قد اصيبت بداء الكلب ، وانها لذلك تهاجم كثيرا الحيوانات الداجنة والانسان في بعض المناطق المنعزلة وقد اعلنت دوائر الصحة ان ٢٤ بقرة وخروفا ، وخنزيرا قد اصيبوا بهذا الداء نتيجة هجمات الذئاب والثعالب عليها .

● في غمرة تفشي وباء الجدري في مدينة بيروت بلبنان وانتشار الحمى القلاعية في الابقار صرح الدكتور فيليب شديد نقيب اطباء لبنان قائلا :

ان داء الجدري لم يعرف حتى اليوم مصدره وكذلك لم يكتشف له أي علاج سوى التلقيح وتوفر النظافة التامة وهذا التلقيح لا تصبح له مناعة الا بعد مرور ثلاثة اشهر كما انه يجب اعادة التلقيح مرة ثانيا بعد ١٥ يوما في حال عدم اشتغال اللقاح الاول وخصوصا للاطفال الذين يتعرضون للعدوى اكثر من سواهم وان الاحتياطات الصحية السريعة كعزل المرضى ومجانبة الاختلاط بهم وتطهير امتعة المصابين ومنازلهم بجانب التلقيح كل ذلك كاف لوقف هذا الداء والقضاء عليه .

وتحدث عن عدوى الحمى القلاعية المتفشية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في البقر في لبنان خلال هذه الايام فقال بان عدوى هذا الوباء سريعة الانتقال من هذه المواشي الى الاهلين عن طريق تجمع حليبها وانه لا عبرة بالخرافة التي تقول بغلي الحليب لقتل جرائيمه اذ ان في لبنان عددا كبيرا جدا من الابقار المريضة بالسل وغيره من الامراض الفتاكة التي يباع حليبها في الاسواق ويصار الى غليه قبل تناوله ومع ذلك فان هناك مئات من الاطفال يموتون في كل عام في لبنان يذهبون ضحية الاهمال من هذا القبيل وواجب دوائر وزارة الزراعة البيطرية فرض رقابتها التامة على هذه الابقار عامة وفي كل جهة من لبنان حتى يطمئن الناس الى ارواحهم والى ارواح فلذات اكبادهم .

ومماقالهالدكتور شديد ان نقابةالاطباءسبق لها ان تقدمت بعدة مشاريع صحية لصيانة السلامة العامة ومن ابرز هذه المشاريع اقتراح بانشاء مستشفى حكومي مجاني في قاعدة كل قائمقامية يتولى الاشراف عليه اطباءمن جراحيين وصحيين ومولدين بحيث يتسنى لكثير من اطباء الملحقات الذين هجروا مناطقهم الى المدن سعيا وراء الرزق ، من البقاء فيها بعد ان يجدوا اعمالا لهم في هذه المستشفيات وتعم الفائدة منهم اكثر فاكثر ، كما ان هناك مشاريع اخرى تتعلق بتنظيم المستوصفات الصحية والمستشفيات وامثال ذلك منالمشاريع الهامة التي لم يعرها المسؤولون اي اهتمام الامر الذي قد يؤدي الى اوخم العواقب في الصحة العامة .

● من المحتمل ان تسفر قريبا ابحاث نفر قليل من علماء كلكتا عن نتائج من شانها ان تسهل معالجة مرض السل بقليل من نفقات معالجته . ويقول هؤلاء العلماء ، وعلى راسهم الدكتور بازو السكرتير العام لاتحاد مؤتمر العلم الهندي ، انهم توصلوا الى انتاج عقار جديد ضد السل يحتوي على المزايا البارزة للعقارين الرئيسيين السابقين لمعالجة هذا المرض وهما الايزونيا سيد ، والبارا امينو ساليسيليك اسيدا وما يعرف باسم باس . وقد سمى هذا العقار بازيناييد ويقوم الاخصائيون في داء السل الان باجراء التجارب عليه لمعرفة مدى فعاليته وخصائصه الاخرى . وقد بحث فريق من الاطباء الخبراء خصائص هذا العقار الجديد ومدى الفعالية التي نسبت اليه اذ ان العلاج بواسطته يجري جرعات اصغر بكثير من الجرعات التي تعطى من اي علاج شاف اخر. فكانت النتيجة ان المرضى المصابين بالسل الغددي استجابوا للعقار حالا . وكذلك كانت نتائج المصابين بانواع اخرى من المرض مرضية ايضا .

وما تزال التجارب والاختبارات مستمرة للتاكد من طبيعة ومدى القدرة على المقاومة التي يحصل عليها المرضى الذين شفوابمعالجتهم بالبازيناييد فيما اذا تعرضوا لاصابة جديدة .

● اقيمت في مختبر الالكتروفيزيك لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي منشاة جبارة لدراسة النواة الذرية . واصبح بمقدور العلماء ان يعجلوا بواسطتها البروتونات حتى طاقة ١٠ مليارات الكترون فولت . ان الجهاز الكهرطيسي في المعجل الجديد يزن ٣٦٠٠٠ طن ويبلغ قطره ٦٠ مترا . ويتيح هذا المعجل دراسة السير النووي ذي التوتر العالي .

● في الاجتماع الاخير لاكاديمية العلوم في الولايات المتحدة الاميركية ، وبعد المناقشة الطويلة واستنفاد البحث في المواضيع المعروضة قررت اكاديمية العلوم ان الخطر الناجم عن استخدام الطاقة الذرية على حياة الانسان ، وخاصة على اغشيته وخلاياه الوراثية ، هو اعظم بكثير من استخدام الذرة في الشؤون الحربية .. فحتى الساعة لم يتمكن العلماء من ايجاد حل لمشكلة النفايات الذرية التي تتجمع من عمليات الانتاج الصناعي الذري ، كما وانه لم يوجد اي حل لمشكلة تلويث المياه والهواء بالانفاس المسمومة بالاشعاعات الذرية فالنفايات تظل مشعة مئات السنين على الاقل وتجرف في اشعاعها وتلوث جميع المعادن او الحجارة او سواها من الاشياء التي تقاربها فتصبح هذه المعادن والاحجار بدورها مشعة كاشعاع النفايات ذاتها . وبالتالي فان هذه الاشعاعات تفتك بالانسان ، فتولد شتى الامراض وليس اقلها مرض سرطان الدم ، وتؤثر الخلايا الوراثية ، وتدفع الى خلق اجناس بشرية جديدة ذات اعضاء مشوهة . ولا يمكن طمر هذه النفايات في الارض على اعماق كبيرة او صغيرة لان المياه التي ستجري بالقرب منها ستصبح مشعة ، وبالتالي تلوث الينابيع

على ان العلماء يعتمدون اليوم على قوالب كبيرة من الاسمنت المسلح يدفنون فيها هذه النفايات ثم يغلقون هذه المغارات الجهنمية بطبقة سميكة من الاسمنت المسلح ايضا . ولكن الاسمنت يصبح بدوره بعد فترة معينة من السنين مشعا كالنفايات المدفونة به تماما ، فلم يتمكنوا اذن من الوصول الى حل لهذه المشكلة العويصة .

ويختم علماء الاكاديمية الاميركية تقريرهم بهذه الملاحظة الخطيرة : ان العالم الذي ينتظر اليوم بفارغ صبر اعجوبة الصناعة الذرية وما قد تدر به من خيرات لا يقدر الاخطار الهائلة التي يتعرض لها الجنس البشري نتيجة هذه الاعجوبة الذرية ذاتها التي قد تكون كالساحر العجيب الذي اطلق بقضيبه من عالم الغيب قوى هائلة ثم لم يعد يستطيع ان يلجمها فذهب هو ضحيتها بدوره . وقد يكون من نتائج هذا التسمم الذري الشامل علاوة على فناء جزء كبير من البشرية انبثاق اجناس بشرية جديدة ناجمة عن تفاعل الاشعة المسمومة وخاصة اشعة «جاما» بالخلايا الجنسيةالوراثية

● في معهد الابحاث الذرية في مدينة دوبنا في الاتحاد السوفياتي يقوم ابرز العلماء بابحاث نظرية وتجريبية في الفيزياء النووية . وهذا المعهد مجهز بعتاد ممتاز بما في ذلك السانكروسيكلوترون ، وهو اكبر معجل من نوعه في العالم ، وينتج ٦٨٠ مليون الكترون فولت ، وكذلك السانكروفازترون الفريد من نوعه المعد لتعجيل البروتونات لغاية طاقة ١٠ مليارات الكترون فولت .

● امر الرئيس ايزنهاور بالشروع في اسرع وقت ممكن ببناء اول سفينة تجارية من عابرات المحيط تسير بالطاقة الذرية . ومن المقرر ان تكون سرعة السفينة الانقلابية الجديدة ٢١ عقدة بحرية في الساعة ، وستحمل مئة راكب و١٢ الف طن من البضائع وينتظر الانتهاء من بنائها وتدشينها خلال عام ١٩٥٩ . على انه سيبذل كل جهد ممكن لاتمام صنعها قبل هذا التاريخ . وتعير شركات الشحن موضوع تسيير السفن بالذرة اهتماما بالغا لاسباب عديدة . واحد هذه الاسباب ان باوندا (الباوند ٤٥٣ غراما) واحدا من الوقود الذري يوازي الطاقة الموجودة في ٧٠٠ طن من زيت النفط (المازوت) كما انه باستطاعة السفن الذرية حمل كميات اكبر من البضائع مسافات اطول ، بنفقات اقل ويمكن كذلك الاستغناء في السفن الذرية عن المداخن والاستفادةمن المساحاتالتيتشغلها هذه المداخن في زيادة عدد الغرف المخصصةللركاب

● اعلن تقرير لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان انتاج الولايات المتحدة اوكسيد اليورانيوم قدتضاعف سنة ١٩٥٦ . ويقول التقرير ان المصانع الاميركية تنتج الان اكثر من ثمانية الاف طن من هذه المادة سنويا .

● اعلنت شركة « اتوميكس انترناشونال » عن توصلها الى صنع فرن ذري قليل الثمن صغير الحجم يمكن وضعه في اية مدرسة او مختبر للابحاث الصناعية او الطبية . ويقول الدكتور مارتن مدير الشركة المذكورة ان هذا الفرن الذري المامون ، المبسط ، قليل الثمن ، سيفتح الطريق امام الباحثين في حقل الذرة . وهو يرى ان اثر هذا الفرن في حقل العلوم الذرية سيكون شبيها بما احدثه ابتكار سيارة فورد طراز (T) في صناعة السيارات وتقول الشركة ايضا انه يمكن صنع هذا الفرن وتركيبه واعداده للعمل في اي مكان في اقل من ستة اشهر ، كما يمكن وضعه في اي مختبر قائم دون حاجة لاضافة اية تركيبات خاصة ومع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفر هذا القرن الجديد ، فانه يكفي للقيام بابحاث واسعة النطاق في الميدان الذري كما وانه يزود الباحثين بكمية من الاشعاع تكفي للقيام بالدراسات الهامة في الهندسة والطب وعلم الاحياء.

ويتالف قلب الفرن ـ حيث تتم عميلةالانفلاق من كرة الفولاذ الذي لا يصدأ قطرها قدم واحد وتحتوي على ٤ غالونات من سلفات اليورانيل المشبع في محلول مائي . ويحيط بهذا القلب حاجز من الرصاص سمكه ٦ بوصات ، موضوع في صهريج قطره ٨ اقدام وارتفاعه ٨ اقدام مملوء بالماء العادي . ويمكن اجراء عدة تجارب مختلفة عليه في ان واحد. ويكفي لادارة الفرن رجل واحد ولا يزيد ثمنه عنى ٥٥ الف دولار .

● صرح ناطق بلسان محطة الرصد الجوي في اليابان بان الاتحاد السوفياتي قد فجر قنبلة هيدروجينية في مكان ما من سيبريا في الرابع عشر من شهر كانون الاول الماضي فقد لاحظت المراصد الجوية بوادر اشعاعية في ثلوج ومياه وامطار مناطق واسعة من الاراضي اليابانية وقال الناطق ان تقريرا دقيقا عن حجم القنبلة ومكان تفجيرها يجري اعداده الان من قبل المرصد .

● تفيد الاخبار الواردة من طوكيو الى واشنطن ان بريطانيا اعلنت ان المياه حول جزيرة كريسماس في الباسيفيك تعد منطقة خطرة في المدة من اول مارس الى اول اغسطس ١٩٥٧ التي ستقوم بريطانيا خلالها ببعض التجارب لتفجير القنابل الهيدروجينية . هذا وتبعد جزيرة كريسماس نحو ١٢٠٠ ميل جنوبي هونولولو .

● وضع معهد الكيمياء الفيزيائية لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي مجهر يعمل بواسطة الالكترونات والايونات . وهو يتيح الحصول على صور مكبرة مليون مرة ، الامر الذي لا يمكن الحصول عليه بواسطة أي جهاز اخر . وفيه جهاز خاص يتيح استخدامه بسهولة ونظام ودون خطر . وهو يتيح الرؤية والتصوير معا .

● صرح السر جون كوكروفت رئيس مؤسسة هارويل للابحاث الذرية لاصحاب السفن البريطانية بان البلوتونيوم المستخرج من محطات الطاقة الذرية البرية قد يستخدم في المستقبل في سبيل تخفيض نفقات السفن التي تسير بقوة الطاقة الذرية واكد السرجون امكانية استخدام المراوح الذرية لدفع السفن من ناحية فنية بدليل التجربة الناجحة التي اجرتها الولايات المتحدة على احدى غواصاتها التي زودت بفرن للماء المضغوط . وقال بيد ان هنالك فجوة واسعة من حيث النفقات لا بد من سدها قبل ان يصبح مبدأ المراوح الذرية جذابا من ناحية تجارية وقيل ان جمعية الابحاث لبناء السفن البريطانية تتعاون مع سلطة الطاقة الذرية في هارويل في امكانية استنباط افران تقوم على اساس مبدأ السوائل المضوية او مبدأ استخدام الاورانيوم الطبيعي وقد تم الاتفاق على ان مسالة تامين السلامة بصدد المراوح الذرية في السفن يمكن حلها في غضون الوقت اللازم لبحث امكانيات تطبيق هذا النظام على السفن التجارية .

● اخترع جهاز اليكتروني يمكن ان يتلقى بيانات عن حالة قذيفة موجهة اثناء طيرانها ، واثبات هذه البيانات كتابة ويجري الان تعديل هذا الجهاز لامكان استخدامه في ميدان الصناعة بحيث يسجل حالات الخلل .

● قام الجيش الالماني الجديد بسلسلة من المناورات لاختبار نوع البندقية التي سيحملها الجنود دائما . وبعد تجربة النماذج الاميركية والانكليزية والبلجيكية ، وقع الاختيار على البندقية الاسبانية المعروفة باسم « استمي » وقد قرر الخبراء الالمان انها افضل بندقية رشاش في العالم ، وهي مستوحاة من بندقية الهجوم التي كان يستعملها الجيش الالماني في الحرب الماضية .

● قطعت الباخرة الاميركية «جون ماركت» وهي من طراز بواخر « الحرية » ، المحيط الاطلسي وكانها الطود الذي لا يؤثر به تلاطم الامواج مهما بلغت من الشدة والعنف ، وذلك بفضل محركها الغازي الطوربيني الجديد . وهذه اول مرة تزود فيها باخرة تجارية كبرى بمحرك من هذا النوع ويقول جون ماكمولان من ادارة الملاحة التجارية الاميركية ، وكان من بين المسافرين على ظهر الباخرة : « ان من اهم مميزات الرحلة خلوها من كل اثر للاهتزازات اذ كانت الباخرة هادئة تماما » . ونظرية الطوربين استخدمها الانسان منذ زمن بعيد في توليد القوة . والنواعير التي تدور باندفاع الماء مثل على كيفية عمل الطوربين البسيط اما المحرك الطوربيني الغازي فانه يدور بقوة ضغط الغاز الناتج عن حرق الوقود على شفرات الطوربين .

● اخترع كشاف جديد للطائرات تابع للجيش الاميركي يجري اختباره حاليا ويستطيع هذا الكشاف الدوار رؤية طائرة تسير على مسافة ٣٠٠ ميل بالوانها الطبيعية بواسطة عدسته القوية التي يبلغ قطرها ١٦٠ بوصة.

● جرت تجربة طائرة نافورية بريطانية تستطيع ان تقلع او تحط على الارض بصورة عمودية وقد اطلق عليها اسم « شورت سي س. ١ » باسم الشركة التي صنعتهاوباستطاعتها ايضا ان تمر بسرعة من الوضع العمودي الى الوضع الافقي او الى وضع تحوم فيه تحويما بشكل دائري : كما تستطيع ان تنطلق بصورة امامية . وتقوم على خمسة محركات نافورية من طراز رولز رويس التربينية الجديدة بشكل تحويم الى الطيران العادي وهذا هو الفرق بين محركات رولز رويس المعروفة وبين هذه المحركات الجديدة .

● اصبح بوسع الفرنسيين المشتركين في التلفون ان يسمعوا اغنية جديدة في التلفون كل صباح وذلك بسعر مخابرة تلفونية داخلية

● تمكن دافيد سنستاين سنويد من اختراع جهاز جديد من الرادار الملون يستطيع ان يلتقط صورة السفن الماخرة في عباب اليم خلال العواصف الهوجاء . وهذا الطراز الجديد من الرادار يمكن ان يحول دون اصطدام السفن بعضها ببعض كما حدث مؤخرا بين السفينة الايطالية اندريا دوريا والسفينة السويدية ستوكهلم .

ويمتاز هذا النوع من الرادار على الاجهزة العادية القديمة بكونه يتخذ من اللون ادلة لتمييز الاهداف التي يود التقاطها ، عما حواليها من الاشياء . فقد كان من الصعوبة بمكان على العامل في الرادار ان يحصل على صورة واضحة دقيقة ولا سيما في البحار المضطربة الرجراجة حيث يمتزج لون السفينة بلون الماء والمبدأ العام الذي يقوم عليه جهاز الرادار الجديد هو ان الحركات او الصور الصادرة عن السفينة هي على الاجمال اكبر من تلك التي تصدر عن مساحات اكبر من الارض او الماء . والجهاز يدع هذه الصور تخترق انبوبا من اشعة المهبط (القطب السالب) مجهز بستار متالق ينبعث منه نور من لون معين عندما يقذف بتيار الكتروني . وهذه الصور او الاشارات تعود فترتسم على شاشة او ستار ثان . واذ ذاك يستطيع عامل الرادار ان يرى الهدف المعين بلون يختلف عن لون ما يحيط به من اشياء .

● اخترع المهندس الفرنسي بيير لويس مار انسانا الياً يؤدي عمل ربة المنزل ويقول المخترع انه يغسل ملابس زنتها ١٢ رطلا في بضع دقائق وينظف المائدة وما عليها بعد وجبة لخمسة اشخاص في ٣٠ ثانية وان من الاعمال التي يؤديها ايضا تقشير الخضروات وكنس ارضيات الغرف وتلميعها بالورنيش وتبلغ نفقات تشغيل هذا الانسان الالي لمدة ساعة حوالي عشرة فرنكات .

● تجري في الوقت الحاضر تجربة قطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كهربائي بثلاث عربات على الخط الحديدي الممتد بين ميونيخ وريجنسبورغ اسمه « ا.ت، ٣٠ » . وقد تم صنعه بطريقة لا يسمع معها اية ضوضاء عند الوقوف . وتبتديء سرعته بعشرين كيلومترا في الساعة ثم تصعد الى اربعين فثمانين فمائة ، فمائة وعشرين كيلومترا بمدة لا تزيد على ٤٧ ثانية فقط ، وهذه اسرع درجة في التعجيل وصل اليها قطار كهربائي في العالم حتى الان .

ويوجد اليوم ٢٤ قطارا من هذا النوع اعدت للتجربة ولتخصيصها للمواصلات السريعة في منطقة الرور في المانيا الغربية .

وقد اوصت مصلحة السكك الحديدية الفيدرالية بصنع ١٠٠٠ قطار من النوع الجديد على ان يكون البعض منها بقوة الكهرباء والبعض الاخر بقوة الديزل .

● قامت السلطات الفرنسية بتجربة نوع جديد من الطائرات النفاثة وهي من طراز لودوك ٢٢ وتستطيع ان تطير عاموديا وافقيا وتستطيع هذه الطائرة الجديدة في ان تسير بسرعة تتراوح بين الثلاثة الاف والاربعة الاف كلما في الساعة .

● انزل الاتحاد السوفياتي طائرة تو ـ ١٠٤ النفاثة في الطيران المدني ، فكانت انقلابا خطيرا في هذا المجال ، اذ انها الطائرة النفاثة الاولى العاملة في الطيران المدني . وتتمتع «الطائرة تو ـ ١٠٤ » بميزات فائقة . فهي تسير بسرعة وسطية قدرها ٨٠٠ ك.م. وقد ادخلت هذه الطائرات في حيز العمل وهي تعمل الان على خطوط النقل في الاتحاد السوفياتي .

● افتتح نهرو رئيس وزراء الهند العمل في خزان هيراكود بالهند وقد بلغت جملة تكاليف هذا الخزان ١٤٠ مليون دولار . وستنتفع به الهند في توليد الطاقة الكهربائية وري الاراضي ويقول المهندسون الهنود ، ان هذا الخزان يعد اطول خزان في العالم .

● قام معمل بريطاني في يوركشاير بصنع انوال خاصة لمصلحة شركة بغدادية من اجل حياكة سجاد شبيه بالسجاد المحوك بالايدي وسيتم تسليم النوع الاول من هذا النوع خلال هذا العام والانوال المذكورة تستطيع حياكة سجادتين في آن واحد .

● تقول وكالة الصين الجديدة ان عالم النوع البشري الصيني الدكتور بي شونغ يقول ان قردا هائلا له خصائص الانسان عاش في الصين نصف مليون سنة وقد استند العالم في قوله الى متحجرات الاسنان الضخمة التي عثر عليها منذ عشرين عاما في اقليمي كوانغ سي وكوانغ تونغ ومكن هذا الدرس العلماء الصينيين من الملاحظة بان هذه الاسنان يجب ان تكون اسنان قرد اكبر بكثير من أي قرد حالي . فانياب هذا القرد وطواحنه الامامية تشبه الى حد كبير انياب وطواحن الانسان ، لكن بعض خصائصها تشبه ميزات اسنان الفرد هذاوقد وضعت اكاديمية العلوم الصينية مشروع عشر سنوات للقيام بالابحاث عن النوع البشري في مختلف الاقاليم حيث يؤمل العثور على متحجرات اخرى خاصة بالقرد الانسان .

● صرح متسلق سويسري بانه اخفق في



العثور على أي أثر يدل على وجود انسان الثلج الاسطوري الضخم ، وذلك بعد اقامته الطويلة في جبال ايفرست وبعد ابحاثه الواسعة هناك . وقال انه لا يعتقد بان العثور على اثار قدمين ضخمين في الثلج يدل على وجود عملاق نيبالي يعيش في المنطقة التي يعتقد انها غير مسكونة . وقد كان السيد موليز عضوا في البعثة السويسرية التي تسلقت جبال الايفريست في الربيع الماضي وقد بقي هناك من اجل البحث عن رجل الثلج والقيام بدراسات عن الاجواء الجليدية لحساب مؤسسة الابحاث التسلقية السويسرية .

● صرح الدكتور توماس رئيس جمعية فكتوريا للورود في نيوزيلنده بان امكانية انبات ورود زرقاء لا تقل روعة عن امكانيات انبات زهرة سوداء من الخزامى التي ادهشت المشتغلين باعمال البستنة حين اصابت نجاحا تاما . فمنذ سنوات عديدة لم يكن هنالك من يعتقد بامكانية نبات زهرة غارديتيا زرقاء اللون . ولكن هذه الامكانية اصبحت الان حقيقة واقعة .

● وضع المعهد الاوكراني للطاقة والاصطفاء لدى اكاديمية العلوم في اوكرانيا (خاركوف) طريقة جديدة للقاح النباتات . ويجري درس هذه الطريقة بواسطة النظائر المشعة .

● اكتشف معدن الاورانيوم في اراضي السودان كما وجدت كميات ضخمة من الحديد والبترول في مناطق شاسعة . فقد صرح وزير الثروة المعدنية بان الخبراء عثروا على الاورانيوم في بعض المناطق . وقال ان البترول قد وجد بكميات ضخمة في تلال البحر كما وجد الحديد هناك في خمس مناطق في مساحة قدرها ٤٨٠٠ ميل .

واضاف الوزير ان الحكومة تدرس طلبات الشركات المختلفة للتنقيب عن البترول والاتفاق على نسبة الارباح ، وانها ستتولى استخراج الاورانيوم بنفسها .

● اوضح تقرير المهندسين الجيولوجيين بوزارة الاعمار العراقية عن اليورانيوم في العراق بانه اكتشفت مخزونات فوسفاتية مشعة تحتوي على كميات دقيقة من اليورانيوم واقترح ان يعهد بالتنقيب الى لجنة جيولوجية لها فروع بجهات القطر .

● كان فريق من العمال الفرنسيين يعملون في بقعة من الارض الجزائرية تبعد ثمانين كيلو مترا عن واحة وارغلا وبينما كان احد العمال يستخدم الة الحفر على عمق ٣٢٣٠ مترا في صخرة قاسية اخذت الالة تدور بسرعة عنيفة مما دل على ان المسبار وصل الى منبع الزيت واستمر العمال عدة ايام في تنقيبهم حتى تبين للخبراء ان عمق بحيرة البترول التي توصلوا اليها يزيد عن ١٣٧ مترا .

وعندما نعلم ان اضخم ابار البترول في الارض العربية السعودية لا يزيد عمقه عن اربعين مترا ، وان اعمق بحيرات البترول في ارض تكساس الاميركية لا يزيد عن عشرة امتار نستطيع ان نقف على اهمية بحيرة البترول الجديدة التي اكتشفت في الجزائر . ويعتقد المهندسون انهم لن يتمكنوا من تحديد كمية البترول في الارض الجزائرية بشكل نهائي قبل شهر يوليو القادم ولكنهم يتوقعون ان يكون ذلك المنبع مصدر ثروة هائلة .

● تقول وكالة الصين الجديدة ان ابارا كثيرة للبترول قد اكتشفت في المناطق الجبلية في الصين وان علماء طبقات الارض الذين اجتمعوا مؤخرا قد اعلنوا ان هناك اكثر من ٨٠ طبقة ارضية تحتوي على البترول في الصين.

● باشرت وزارة الزراعة اللبنانية بمعاونة النقطة الرابعة الاميركية بناء مصنع للتلقيح الاصطناعي في بعبدات والغاية من بناء هذا المصنع تعميم التلقيح الاصطناعي على الحيوانات الداجنة في لبنان بجلب العروق المؤصلة من البلدان التي قطعت شوطا بعيدا في هذا الحقل وهي هولاندا ، واميركا ، واوستراليا .

وفي احصاء رسمي وضعته وزارة الزراعة ان البقرة البلدية التي يربيها الفلاح اللبناني تعطي لبنا في ايام خصبها بعد الوضع مباشرة ما مقداره ١٢ كيلوغراما في حين ان البقرة الهولندية تعطي ضعف هذه الكمية . لذلك قدمت النقطة الرابعة الى وزارة الزراعة مجموعة من البقر والعجول المؤصلة وزعت على المحطات الزراعية التي انشأتها وزارة الزراعة في الملحقات لتلقيح بقر الفلاحين اصطناعيا من عجول مؤصلة العروق ، وتوزيع العجول الاناث الصغيرة على الفلاحين لرفع الانتاج المحلي والثروة الحيوانية في البلاد .

● عثر علماء الاثر الارمن في قعر بحيرة سيفان على اطلال مدينة قديمة يعود تاريخها الى ثلاثة الاف عام ومن المعروف ان هذه البحيرة تقع في وادي ارارات وكانت السلطات تقوم بتجفيف البحيرة المذكورة حيث تبين لبعض العاملين هناك وجود اثار مختلفة فابلغوا الامر الى الدوائر المختصة التي ارسلت عددا من علماء الاثار .

وقد عثر العلماء على تحف ذهبية واثار تقدر اثمانها بملايين الليرات كما عثر على عربات من الخشب ، وعلى هياكل عظمية . وما تزال الابحاث مستمرة حتى الان .

● انجزت بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو التي وصلت العراق لاجراء تحريات على مجاري الانهار القديمة جانبا كبيرا من مهمتها وينتظر ان تفرغ من عملها في الربيع

● قررت وزارة الاقتصاد الاردنية تكليف بعثة العمل الاميركية (النقطة الرابعة) استئناف دراسة ممكنات استخراج وتحسين انتاج البوتاس من البحر الميت . وقد طلبت الوزارة تخصيص ٤٠ الف دينار اجورا للخبراء الذين سيتولون هذه المهمة . وكانت البعثة قد اجرت دراسات بهذا البيان خلال العامين الماضيين .

والمعروف ان شركة تمثل ست دول عربية قد شكلت لاستثمار بوتاس البحر الميت براسمال يبلغ اربعة ملايين ونصف مليون دينار.

● يتخذ العراق الاجراءات اللازمة لرفع صادرات البترول من الابار الواقعة في جنوب البلاد الى ١٢ مليون طن سنويا على ان تصدر الكميات الاضافية عن طريق مرفأ احمدي في الكويت . وكانت ابار البصره تنتج البترول بمعدل ثمانية ملايين من الاطنان سنويا وتقول الاوساط الرسمية ان المباحثات تدور الان مع الكويت من اجل مد خط انابيب جديد يصل حقول البصره بمرفأ الاحمدي . والمقول ان الطرفين توصلا الى اتفاق مبدئي وكان العراق قد صدر في السنة الماضية ٣٤ مليون طن من البترول عن طريق الانابيب التي تصب في البحر الابيض المتوسط وبواسطة الخليج الفارسي . وتقول مصادر وزارة الاقتصاد العراقي انها تسعى لرفع هذا الرقم الى ٤٤ مليون طن في السنتين القادمتين .

● بعد ان تطلق الولايات المتحدة كوكبها الصناعي عام ١٩٥٧ سيقوم مئات المراقبين الهواة بمساعدة علماء الارصاد المحترفين في تتبع القمر الصناعي في دورانه حول الارض . وقد تطوع هؤلاء الهواة للاشتراك في مشروع اطلق عليه اسم « مراقبة القمر » برعاية مرصد مؤسسة سمثسونيان الذي سينشىء شبكة من محطات الرصد تتالف من ٥٠ محطة وفي كل محطة سيقوم فريق من المراقبين بالبحث بواسطة تلسكوباتهم في صفحة السماء لمعرفة المحور الذي يقطعه الكوكب من الغرب الى الغرب بسرعة ١٨ الف ميل في الساعة في دورانه حول الارض مرة كل ١٠٠ دقيقة . وسيستعين المراقبون بتلسكوبات مصممة خصيصا للغرض ذات مجال عريض للرؤية ، وتزود كل محطة من المحطات بمحطة ارسال على الموجة القصيرة تذاع عليها تنبؤات المراقبين حول اقتراب الكوكب الصناعي وسائر ملاحظاتهم وتوجه هذه الاذاعات الى محطة مركزية ، حيث يجري مقارنة هذه المعلومات ودراستها واذاعتها الى ١٢ محطة اخرى مزودة بكاميرات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلسكوبية كما تستخدم هذه المعلومات في تتبع سير الكوكب هذا وستذاع نتائج هذه العملية ، وهي جزء من مساهمة الولايات المتحدة في السنة الجغرافية ـ الطبيعية ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ليستفيدمنها العلماء في جميعانحاءالعالم

● تعد السلطات الحالية في رودس بالتعاون مع مصالح الاثار اليونانية التصاميم اللازمة لاعادة بناء هيكل ابولو في رودس . ويتوقع ان يكون الهيكل بعد ترميمه ، كالهيكل القديم مرئيا من جميع السفن التي تمر قرب شاطىء الجزيرة ويضيف ذلك الى اسباب جذبالسياح لزيارة الجزيرة .

● اتمت الهيئة الفنية الخامسة المسؤولة عن شؤون الاسكان بوزارة الاعمار العراقية المواصفات الخاصة بانشاء ٢٧٠٠ دار للسكنى في الوية بغداد والموصل وكركوك وذلك على اساس ١٣٠٠ دار في الموصل و١٠٠ في بغداد و٤٠٠ في كركوك . وقد اتمت الهيئة المذكورة مسح الاراضي المخصصة لتنفيذ برامج الاسكان فيها والمحيطة ببغداد واعدت هذه الاراضي في الاصل لانشاء ١٠ الاف دار للسكنى . ويتضمن منهاج الاسكان ايضا انشاء ١٥٠ دارا في كل من الرية الديوانية والعمارة والكوت والناصرية والسليمانية وكربلاء .

● صدر تقرير عن دوائر الصحة التي تعمل في ميدان المحافظة على الحيوانات في بريطانيا عن عام ١٩٥٥ من قبل وزارة الزراعة والاسماك وقد جاء فيه ان جميع الاعمال ترمي الى وضع حد للسل البقري هناك . وقد انتهت حتى الان الحملة التي شنت على هذا الداء الذي يصيب الابقار والمواشي . وجاء في التقرير انه اذا تواصلت الاعمال على الاساس الجاري الان في هذا المضمار فستتحقق الغاية من هذه الحملات الصحية خلال خمسة اعوام من الزمن وذكر التقرير ايضا انه لم تحدث في البلاد حوادث جرب الخراف ويمكن اعتبار هذا الداء في مصاف العدم اذ قضي عليه قضاء مبرما .

● كثيرا ما تمنى الانسان لو يستطيع ان ينفذ ببصره في غياهب الظلام . وها هي احلامه تتم على الوجه الامثل بفضل جهاز جديد طلع به العلم حديثا على يد الاستاذ هـ. مورفن استاذ التصوير بالاشعة في جامعة جونز هوبكنز يساعده رالف ستورم من الفيزيائيين الضالعين بالبحث العلمي . والاختراع الجديد يدعى « لوميكون » ويصنع في مصانع فريز التابعة لشركة بندكس لهندسة الطيران .

واللوميكون يشبه اصلا جهاز تلفزيوني مفرغ يتصل طرفه الواحد بالة مصورة ويتصل الثاني بانبوب تصويري ، وبين هذا وذاك مكثف يلتقط الضوء الذي تسجله الة التصوير وتعكسه على الانبوب التصويري بعد ان تكبره ٥٠ الف مرة .

وجهاز اللوميكون هذا لا يعمل في الظلام ، ولكنه يستعين بأي قدر من النور مهما كان دقيقا خافتا بحيث تستطيع ان تصور اي شيء في ليل بهيم يقع امام عدسة الالة المصورة بواسطة الضوء الخافت الذي ينبعث من النجوم القصية فتبدو الصورة وكانها مأخوذة في رابعة النهار .

ويمكن استخدام جهاز اللوميكون كلما بدت الحاجة الى تكثيف المضوء : اي تقويته ، فيستعمل في التصوير بالاشعة السينية ، وفي التصوير الفلكي عندما ترغب في تاليق اي جسم او جرم يبدو على المجهر في قرص السماء ويجرون على استعمال اللوميكون في جامعة جونز هوبكنز في كل ما يتصل بالتصوير بواسطة الفلوراو يتعلق بالمعالجة بالاشعة السينية.

وفي راي البرت ولسن مدير مرصد لويل في فلاجستاف من اعمال ولاية اريزونا ان اللوميكون سيحدث في التصوير الفلكي ثورة كتلك التي احدثها اكتشاف التصوير الفوتوغرافي وتصريحه هذا مبني على اختباره الواقع بعد ان تمكن من اتخاذ بعض صور رائعة للمريخ لم يؤخذ مثلها من قبل .

ففي الثاني من تموز الماضي كانت المسافة بين كوكب المريخ والارض ادنى مسافة بين الكوكبين منذ ١٣ سنة . وكان فلكيو مرصد (لويل) قد اعدوا لهذه المناسبة جهاز اللوميكون لتصويره ، فلما دخل المريخ في نطاق التلسكوب ظهرت الصورة واضحة على اللوميكون . ويصف الدكتور ولسون الصورة التي انطبعت على الجهاز يومئذ بانها «اوضح صورة للكواكب امكن تصويرها حتى الان » .

وقال ان العلماء استطاعوا رؤية التفاصيل الدقيقة والخطوط التي توحي بوجود قنوات الري المشهورة عن هذا الجرم السماوي . غير انهم ـ لعدم وجود الاجهزة الفوتوغرافية اللازمة لتصوير الصورة المنعكسة على انبوبة التصوير في جهاز اللوميكون ـ لم يستطيعوا تسجيل هذا الحدث التاريخي .

ومن المشكلات التي يواجهها الفلكيون وعلماء الارصاد ان جو الارض دائم الاضطراب والتأرجح مما يجعل الصور التي يشاهدها العلماء في اجهزتهم مهزوزة مشوشة سرعان ما تزول وتتلاشى . ولهذا السبب لم يستطع احد ان يثبت وجود « القنوات » على سطح المريخ، او انها ضرب من خداع النظر ... وفضلا عن ذلك ، فان النور المنبعث من كوكب المريخ من الضعف بحيث انه لا يمكن تصويره دون ابقاء عدسة التصوير مفتوحة مدة طويلة قد تصل الى دقيقة كاملة . وابقاء العدسةمفتوحة هذه المدة يؤدي الى الحصول على صورة مهزوزة مشوشة بسبب الجو « المتراقص » والهواء المضطرب وهنا تبدو قيمة «اللوميكون» اذ يمكن بواسطته خفض مدة التصوير الى عشر الثانية او اقل بحيث تتمكن الكاميرا خلالهذه البرهة القصيرة من اقتناص تفاصيل دقيقة تضيع اذا بقيت العدسة مفتوحة مدة اطول .

وباستطاعة هذا الجهاز الجديد ان يكثف الضوء الذي يلتقطه المجهر ثلاثين ضعفا بحيث ان عدسة مجهر مرصد فلاجستاف البالغ قطرها ٤٠ انشا تصبح وكان قطرها ٢٤٠ انشا ويصبح قطر عدسة مجهر مرصد جبل بالومار البالغ ٢٠٠ انش (٥٠٨ سنتمترات) وكانه ١٢٠٠ انش او ٣٠٤٨ سنتمترا . ويرى الدكتور ولسن انه بواسطة جهاز اللوميكون يمكن الاستغناء بسهولة عن مجهر مرصد بالومار في كاليفورنيا .

● صرح الاميرال دلر فرنهي القائد السابق لقسم القذائف المسيرة في البحرية الاميركية استنادا الى الانباء التي استقاها من مصادر حسنة الاطلاع تبين ان اجساما غريبة تاتي الى فضائنا عن ارتفاعات شاهقة وبسرعة كبيرة . ويقول الاميرال ان القذائف التي تصنع في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لا يمكن ان تصل الى هذا الارتفاع ولا الى تلك السرعة التي ترقى اليها هذه الاجسام الغريبة ، ويبدو ان الذكاء الذي اخترع هذه الاجسام يفوق كثيرا الذكاء البشري الانساني . وبعد ان اعلن انه لم يشاهد في حياته صحونا طائرة اكد ان التقارير التي وضعها العلماء ، والمهندسون تدل على ان هذه الصحون تسير بسرعة تؤكد عدم وجود اشراف مباشر عليها .

● افاد علماء الاثار في مصلحة الاثار في برقة بليبيا بان المعبد الذي اكتشف في قرية بيدا الواقعة على بعد عشرة اميال جنوبي شرقي قورنيا في منطقة الجبل الاخضر انما هو المعبد الشهير لاله الطب اليوناني ايسكولابيوس .

وكانت الحفريات قد بدات في قرية بيدا منذ عدة اشهر وكان المعروف عن هذا المعبد انه يقع بجوار الجامع الابيض الذي بناه سيدي محمد بن علي السنوسي جد الملك ادريس السنوسي ملك ليبيا سنة ١٨٣٨ وقد عثر عمال الحفر على حائط حجري ضخم وفي وسطه بوابة واسعة وعندما دخلوا البوابة وجدوا انفسهم في ساحة كبرى مبلطة بالرخام تحيط بها اروقة اغريقية انيقة وفي الوسط ممرات سفلية ذات بناء عظيم مزين بالنقوش لا يمكن ان تكون الا هيكل اله الطب . ووجدت عدة قطع من المنقوشات القديمة داخل الهيكل وبينها تماثيل صغيرة لايسكولابيوس وهيفيا الهي الطب القديمين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



العصر الذي نعيش فيه

للمؤرخ الانجليزي الشهير

ارنولد توينبي

●

ما هي اهم المشكلات التي سيواجهها العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين؟

يتوقع الكثيرون نشوب حرب عالمية ثالثة ، تستخدم فيها الاسلحة الذرية . وهذه الاسلحة اذا استخدمت ، ستفني العسكريين والمدنيين على السواء ، ومن كلا الطرفين المتحاربين دون تمييز . ولهذا السبب ، لن ادهش اذا ما كانت نتيجة هذا التطور الجديد في اساليب القتال محو الحروب وابطالها ، بدلا من ان يمحو الجنس البشري نفسه .

وهذا الاحتمال ـ اي ابطال الحروب ـ سيفتح ولا شك افاقا سعيدة جديدة للجنس البشري ، وخاصة اذا علمنا ان الحروب كانت في الماضي السبب المباشر لانحلال المدنيات وانهيارها . غير اننا يجب الا نتوقع بان يؤدي محو الحروب الى محو التوتر ، والكفاح ، والقلاقل ، فهذه شرور لم يمحها الغاء الرق الذي تم في القرن التاسع عشر ، ولن يمحوها شيء اخر ، لانها ثمرة من ثمار « الخطيئة الاولى » لا تزال دفينة في قلب الطبيعة البشرية ...

والغاء الحروب ، الى جانب خفض معدل الوفيات الذي حققه تقدم الطب والصحة العامة ، لا شك سيؤدي الى بروز مشكلة تضخم عدد السكان باشد مما هي عليه الان فهل يحرر الجنس البشري نفسه من نقمتين من نقمات البشر الثلاث ـ اي الحرب والاوبئة ـ ليواجه الموت بالنقمة الثالثة ـ اي الجوع ؟ لا شك في اننا لن نكون من البلاهة بحيث نسمح لانفسنا بهذا المصير . ولكننا اذا ما استنفدنا جميع الوسائل العلمية لزيادة انتاج العالم من الاغذية ، فالسبيل الوحيد الباقي امامنا لمواجهة ازدياد عدد السكان المستمر بسبب خفض معدل الوفيات هو معادلة هذه الزيادة بتخفيض مماثل لمعدل المواليد . وهنا تواجهنا المشكلة من ناحيتيها الخطيرتين ـ السياسية والدينية . فمعدل الوفيات يمكن خفضه بسهولة وبسرعة ، حتى في البلدان المتاخرة عن طريق الاطباء ورجال الصحة المدربين . اما معدل المواليد فلا يمكن خفضه الا باقناع الاباء بجدوى هذا العمل ، او اجبارهم عليه قسرا . والامر الاول ، اي محاولة الاقناع ، قد يصطدم بالمعتقدات الدينية التي ورثها الناس عن ابائهم واجدادهم . واجبارهم على عدم التوالد او الحد منه تدخل طفياني في حرية الرجل وزوجته ، وهي حرية كفلتها واحترمتها جميع الحكومات ـ بما فيها اشد الحكومات طغيانا ، عبر عصور التاريخ .

ومع كل ذلك ، فمشكلة تحديد النسل قائمة ، ولا بد من مواجهتها . وعلى العالم ان يختار بين تحديد النسل ، والجوع .

من الحقوق المعترف بها لجميع شعوب العالم الان « التحرر من العوز » .. والامن والعدالة الاجتماعية في رأس قائمة ما تطالب به هذه الشعوب . وهذا يضعنا امام مشكلة جديدة ، على العالم ان يجد حلالها ، وهي مشكلة ايجاد توازن جديد بين العدالة والحرية . فالعدالة والحرية كانتا دائما على طرفي نقيض ، وكان لا بد لوجودهما معا من محاولة التوفيق بين الواحدة والاخرى .

ومع ذلك فلا حياة للبشر بدون التمتع بالقليل من كلتيهما ، والمحافظة على التوازن بين هذه وتلك كانت دائما من مشكلات الانسان الاجتماعية . اما عن العصر الذي نحن بصدده الان ، فيبدو لي ان الميزان اخذ بالاتجاه نحو اقرار العدالة والامن على حساب الحرية ـ ذلك لان الحرية ، اذا قورنت بالامن ، تعتبر شيئا كماليا ، ولان خطر الحرية يتزايد تدريجيا كلما زودنا انفسنا بالالات الميكانيكية الجبارة .

ومع ذلك ، فلا حياة للانسان بدون حرية في بعض مجالاة الحياة . وان كان الاتجاه فيما يبدو سائرا نحو تقييد حرية الانسان في المجالين الاقتصادي والسياسي بسبب ازدياد المطالبة بالعدالة وبالقوانين الكفيلة بحماية الانسان في هذا العصر الالي ، فلا بد ان تبحث الطبيعة البشرية عن تعويض لهذه القيود باصرارها على ان تنال قسطا اكبر من الحرية في مجالات اخرى . والمجال الذي يحتمل ان تتجه اليه الطبيعة البشرية لهذا الغرض اكثر من سواه هو مجال الدين ، الامر الذي يجعلنا نقف وجها لوجه امام مشكلة جديدة اخرى..

ما هو السبيل لان يملأ الرجل العصري الفراغ الروحي في نفسه ؟ لقد وجد هذا الفراغ بنشأة العلوم الحديثة . فقد اخرج العلم الدين عن اشكاله التقليدية ، ومع ذلك فالعلم ، وحده ، غير قادر على ملء الفراغ الذي احدثه . لقد مكن العلم الانسان من السيطرة الى حد كبير على الطبيعة غير البشرية ، بما في ذلك الاجساد التي تسكنها ارواح بشرية ، ولكن العلم لا يساعد الانسان على السيطرة على نفسه . والسيطرة على النفس كانت دائما اكثر مشكلات الانسان تعقيدا واحوجها الى الحل . ونحن بحاجة الى حل هذه المشكلة اليوم اكثر مما كنا في اي وقت مضى . فانسان اليوم اشبه ما يكون بفتى مراهق يتسلح باسلحة رجل بالغ رشيد ، دون ان يكون عقله قد بلغ درجة الرشد . ومثل هذا الفتى يظل خطرا على رفاقه ، وخطرا على نفسه ، الى ان تنمو روحه حتى تتكافأ مع قدرته الفنية والعلمية .

والسبيل الى النضج الروحي لا يأتي عن طريق العلم ، وانما عن طريق الدين . ولهذا السبب ، فاني اتوقع ان ارى رجل القرن العشرين منكبا على محاولة احياء الدين، واعتقد انه سينجح في محاولته هذه . واغلب ظني ايضا ان الدين سيعود الينا باشكال اخرى تختلف عن اشكاله التقليدية المعروفة ، بحيث قد يبدو دين الانسان الجديد ، لاول وهلة ، مختلفا كل الاختلاف عن دينه السابق .

والان ما هو المحك الذي سيكشف لنا عما اذا كان الدين الجديد دينا حقيقيا لا زيف فيه ؟ ان محك الاديان هو في قدرتها على حل مشكلة عذاب الانسان . وايامنا المقبلة ، على ما يبدو ، ستكون مشحونة بالعذاب المرير ...

آرنولد توينبي

التحدي الاجتماعي

للعلامة البرازيلي الدكتور

جلبرتو فريري

●

منذ بضع سنوات ، كتب السياسي الفرنسي والناقد الاجتماعي « ليون دوديه » كتابه عن القرن التاسع عشر فسماه « القرن الـ١٩ الغبي » . وقد قسا في هجومه ونقده للقرن الماضي كمن ينتقد شخصا او منظمة نقدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاذعا عنيفا .. والواقع ان القرون اصبحت ـ بتقليد خالص ـ بالنسبة الينا بمثابة المنظمات او في منزلة الاشخاص حتى اصبحنا ننظر الى كل قرن وكانه يتسم بنوع من الشخصية العبقرية الممتازة .. او الشخصية المتوهة التافهة في بعض الاحيان .

وهذه هي نظرة بعضنا الى العصر الحاضر. فبعض المتشائمين من العلماء يعتبرون النصف الثاني من القرن العشرين كانه الدكتور جيكل بالنسبة الى مستر هايد (قصة الشخصية المزدوجة المعروفة) اي بعبارة اوضح ان النصف الاول من القرن هو مستر هايد الشخصية الشريرة ، والنصف الثاني هو الدكتور جيكل الشخصية الطيبة او الشخصية العادية الطبيعية . وبعبارة اخرى خلافا لما قاله الشاعر براوننج « في الايام المقبلة ما هو اسوأ ».

ترى هل هناك قاعدة لهذا التشاؤم في نظر المتشائمين للقرن الحاضر ؟ او ان هناك اساسا لتوقع العار والتعاسة للانسانية من نصفه الثاني ؟ وهل يكون الحكم على العصر ، كرجل شيخوخته فيها مبالغة قاتلة لمعالم شبابه ؟

ان نظرة التحليل الاجتماعي للنصف الثاني من القرن العشرين ليست مجرد اصدار حكم مسبق عليه وانما محاولة فهمه على قدر الامكان .. ومن المحتمل ان يكون المستقبل القريب الذي يطلع علينا وعلى ابنائنا ـ في الخمسين سنة القادمة ـ صورة مضادة عنيفة حادة . هو تضاد بين مدنية ذرية ومدنية غير ذرية . ومن المحتمل ان يحاول المستقبل مباغتتنا فجاة بشيء من السيطرة كانه مراهق مأفون يريد ان يصبح ، بصورة مفاجئة ، في عداد الرجال ، دون اكتراث لمن يكبرونه سنا ، لا الى حد الوقاية فحسب بل الى حد التجني والوحشية .

وعلى كل حال فان طابع الوحشية يحتمل ان تقل حدته بعد ان يشتط في عنفه . فالتجارب الانسانية تدلنا على ان الصدمات العنيفة بين المدنيات على مر الاجيال المختلفة تميل الى القصر . بل اكثر من هذا يعقبها وجوه من الامتزاج والتداخل ، وهذا من شانه ان يفضي الى تعديلات معناها بالقياس الى الجماعات البشرية لا تخفيف حدة التوترات وانما توازنها بطريقة سلمية ، قد تكون احيانا خلافه وذات طابع تكميلي مشترك .

وليس لاحد منا ، رجلا كان او امراة من اهل القرن العشرين ، ان يتوقع ان يعيش في عصر فكتوري جديد . العصر الفكتوري كما كان بالنسبة الى اوروبا او الشعوب الغربية المتفوقة في تمدنها . ذلك ان فريقا منهم فقط تمتع بالمسرات واسباب الراحة لعصر استقرار وبقدر تجاوب ذلك الفريق للاستقرار ومشاركته فيه . اما في هذه الاونة الحاضرة فعدد الذين يعيشون عن قصد او غير قصد في هذا العصر عدد ضخم كبير . واليوم نجد للغربيين من يشاركهم في تجاربهم كرجال ونساء عصر معلوم ـ عصر كله زخم وقلق وتجارب في النواحي الثقافية والسياسية ـ اجل يشاركهم هذا النفر الكبير من الشرقيين بل ان عدد الغربيين انفسهم الواعي بانتسابه لتطورات هذا العصر يفوق كثيرا عدد امثالهم ممن كانوا ينتسبون للمدنية الغربية خلال القرن الماضي (التاسع عشر) . واذا كان التاريخ يذكر ان العصر الفكتوري كان عصر راحة واستقرار ، معتبرا ذلك حقيقة عامة عالية فالخطا هنا ان الذين ارخوا لتلك الفترة انما كتبوا وجهة نظر رقعة من العالم ـ وهي رقعة جماعة المثقفين من اهل الغرب .

والان فقط بدا العالم كله ـ او معظمه ـ يعيش في نفس الفترة الاجتماعية والنفسية على الرغم من الاختلافات البادية بخصوص تنظيم الجماعات البشرية لنفسها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا. فهذا الوعي الجديد بوحدة الجماعة الانسانية ، الذي نتج بفضل بعض وجوه التقدم التكنولوجي ، والذي زود الناس بصورة جديدة للزمان والمكان من المحتمل ان يزداد قوة خلال النصف الثاني للقرن العشرين.

وفي اعتقادي انه سيفضي الى تفاعل الوعي بالجماعة البشرية ، وخاصة بين الاقطاب المسئولين في كل مكان . وهو وعي جديد ينزع الى اصلاح نظرة الخصومة بين الشرق والغرب ، وبين الجماعية والفردية . فالعداء بين هذه الخلافات الراديكالية لا نهاية له . ولعل النصف الثاني للقرن العشرين يتسم بطابع جديد ، من وجهة النظر الاجتماعية وبالنسبة للناس في انحاء مختلفة من العالم. فتزداد العلاقة بين الزمان والمكان قوة وزخما.

وهو وعي لم يكن معروفا حتى وقتنا الحاضر ولم تدركه حتى الجماعات الداخلة في نطاق المدنية الغربية . فهذه الجماعات قد عاشت في عصور اجتماعية ونفسية مختلفة وان تكن من الوجهة التاريخية الزمنية نفس القرن او العصر .. وينبغي لنا باعتبار كوننا اهل عصر واحد ان نحس ، على حد قول رجال الاجتماع باننا في وجوه كثيرة جماعة في قارب واحد. فالحياة في نفس الطابع الزمني تتطلب الاحساس بالانتماء الى مجتمع لا تحده الحدود الجغرافية الجامدة .

ولا شك ان النصف الثاني من القرن العشرين سياتي بمزيد من التغير السريع .. التغير الاجتماعي والتغير الثقافي بين الناس ، ولكن هذا التغير ربما يختلف باختلاف الامكنة ، بسبب مشكلة الاختلافات في الزمان الاجتماعي والنفسي وهي مشكلة هامة على رجال الاجتماع والسياسة معالجتها .

جليرتو فريري

درس من المشوهين

●

عرضت في العاصمة الاميركية اخيرا ٢٢ لوحة زيتية بريشة فنانين كلهم مصابون بعاهات جسيمة . وقد اعجب النقاد بهذه الرسوم ووصفوا المعرض بانه « برهان حي ناطق على انتصار الروح البشرية على المعوقات الجسدية » .

وقد كشفت هذه اللوحات التي اختارتها لجنة خاصة عينتها وزارة المعارف والصحة والترفيه الاميركية من بين ١٠٠٠ لوحة ، عن مواهب فنية كامنة لدى هذه الفئة من المرضى والمعاقين بدنيا ، كما كشفت عن اهمية الفن في الترفيه عن اولئك الاشخاص وتشجيعهم على استعادة الثقة بانفسهم . وقد منح الفائزون منهم جوائز مالية بناء على توصيات لجنة خاصة مؤلفة من خمسة من اساطين الفن في الولايات المتحدة .

ومن مفارقات هذا المعرض انه لم يوضع تحت اسم الفنان وعنوانه اسم اللوحة كما هو المتبع عادة ، بل وضع مكانه وصف مقتضب لعاهته . وكان هدف وزارة المعارف والصحة الاميركية التي اشرفت على تنظيم هذا المعرض ان تلفت نظر الناس الى الكفاءات الكامنة لدى كثير من ذوي العاهات والمعاقين تشجيعا لامثالهم وتوجيها لهم ، وفي نفس الوقت لفت نظر اصحاب الاعمال الى ذوي المواهب من المقعدين للاستفادة من مواهبهم في مؤسساتهم واعمالهم

ومن الفنانين الفائزين في هذا المعرض رجل اسمه جيمس ابركرومبي ، من تكساس ، وقد منحته لجنة التحكيم الجائزة الثانية وقدرها ٥٠٠ دولار للوحته التي تمثل حظيرة حيوانات. وكان جيمس قد انقضت عليه صاعقة وهو صبي افقدته السمع . وبعد اعوام قليلة سببت له هذه العاهة عاهة اخرى اذ لم يستطع سماع صفارة قطار مقبل في اتجاهه فصدمه القطار صدمة عنيفة اضطر الاطباء على اثرها الى بتر ذراعيه . وقد رسم لوحته ـ وغيرها ـ بكلابات حديدية مركبة على جذامتي الذراعين كما انه يشغل منصب المستشار لمكتب « التأهيل » المهني التابع لحكومة ولاية تكساس .

اما الجائزة الاولى من جوائز هذا المعرض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

٢٨ ديسمبر ١٩٥٦ ـ اعلن رئيس جمهورية بوليفيا هيرفان سيليز سوازو انه بدأ بالاضراب عن الطعام كوسيلة اخيرة يلجأ اليها لاقناع اتحاد العمال بعدم اعلان الاضراب . وكان الاتحاد قد هدد بالاضراب لمعارضة مشروع الحكومة الرامي الى توفير الاستقرار الاقتصادي والغاء نظام الرقابة الذي انقضى على تطبيقه ٢٥ سنة .

٢٩ ـ قامت ثورة جديدة في جزيرة « شيليب » المقابلة لجزيرة سومطرة في اندونيسيا والتي كانت مسرحا لانقلابات عسكرية متوالية في الايام الاخيرة . .

ـ عاد جواهر لال نهرو الى نيو دلهي بعد زيارته للولايات المتحدة وكندا وانجلترا وقد تحدث عن مباحثاته الهامة مع الرئيس ايزنهاور واعرب عن امله في تحسن الوضع الدولي .

٣١ ـ شكل السيد صبري العسلي الوزارة السورية الجديدة .

ـ اعلن الدكتور سوكارنو رئيس الجمهورية الاندونيسية حالة الحصار والحرب على مقاطعة سومطرا الجنوبية .

ـ اصبحت منطقة السار بصورة رسمية جزءا من المانيا الغربية اما من الناحية الاقتصادية فان السار لن يندمج تماما بالمانيا الغربية الا في مطلع ١٩٦٠ .

ـ حذر السيد فيكتا خروشيف امين السر العام للحزب الشيوعي السوفييتي حذر العالم الغربي من ان اية محاولة لمساعدة العناصر المعادية للشيوعية ما وراء الستار الحديدي ستقابل بصد عملي عنيف حالا .

٢ يناير ١٩٥٧ ـ الغت مصر معاهدة ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ المعقودة مع بريطانيا وكانت تنص على استمرار العناية بقاعدة قناة السويس بعد جلاء القوات البريطانية عنها منذ سنتين ، على يد فنيين مدنيين بريطانيين وعلى عودة القوات البريطانية الى القاعدة عند وقوع اعتداء على تركيا او البلاد العربية .

ـ وصل الى تونس السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا لاجراء محادثات سياسية واقتصادية مع الحكومة التونسية .

ـ طلبت حكومة باكستان رسميا دعوة مجلس الامن للانعقاد لمناقشة مشكلة كشمير .

ـ بعث الملك حسين برسائل الى ملوك العرب ورؤسائهم طالبا منهم الضغط لتنفيذ قرارات الامم المتحدة بانسحاب اسرائيل من غزة وشبه جزيرة سيناء .

ـ ابلغت اليونان هيئة الامم انها ترفض المشروع باسم واضعه المشترع اللورد راوكليف لقبرص على اعتبار انه وسيلة لفرض السيطرة الاجنبية بالقوة على شعب رغم ارادته. ويعرف المشروع باسم واضعه المشترع اللوردرادكليف

٣ ـ طلبت الحكومة اليمنية الى الجامعة العربية دعوة اللجنة السياسية الى عقد جلسة عاجلة للبحث بالاعتداءات التي تشكو اليمن قيام بريطانيا بها ومنها قصف مدينة حارب

ـ استقالت الوزارة البوليفية ، بعد اضراب رئيس الجمهورية عن الطعام ، فتركوا المجال واسعا امامه لاختيار معاونيه وتثبيت النقد.

٤ ـ توفي في فيينا رئيس جمهورية النمسا الهر تيودور كورنر عن ٨٢ عاما .

٥ ـ ادلى الرئيس ايزنهاور ببيان عن سياسته او ما سمي « بمبدأ ايزنهاور » بصدد الشرق الاوسط في رسالة وجهها الى الكونجرس طلب فيها اعطاءه سلطة مسبقة لاستخدام الجيوش الامريكية في الشرق الاوسط اذا وقع اعتداء على سلامة دولها وحذر الرئيس في رسالته روسيا من التورط في اي عمل للتوسع وبسط نفوذها في الشرق الاوسط مؤكدا ان امريكا ستضطر الى التدخل عسكريا لرد اي اعتداء روسي وان ليس للروس ان يخشوا شيئا من امريكا سواء في الشرق او في اية بقعة اخرى ، واعلم ايزنهاور الكونجرس انه سيطلب اعتماد ٤٠٠ مليون دولار لتقديمها الى بلدان الشرق الاوسط على شكل مساعدات اقتصادية . وفي البيان ان استخدام القوات الامريكية لحماية الاستقلال السياسي للدولة التي تتعرض للاعتداء يكون اذا طلبت تلك الدولة مثل تلك المساعدة لرد اعتداء مسلح تتعرض له من اية دولة تسيطر عليها الشيوعية العالمية .

ـ اعلن السيد نوري السعيد رئيس الحكومة العراقية بمناسبة الذكرى السادسة والثلاثين لتاسيس الجيش العراقي ان هذا الجيش المدرب والمجهز اصبح عنده بعض اصناف من الاسلحة لا تملكها غير القوات الامريكية وبعض الوحدات البريطانية ويمكن استخدامها في الحروب الذرية .

ـ سافر السيد شكري القوتلي الى الرياض ومنها الى الباكستان ومنها الى الهند في زيارة رسمية للبلدين .

٧ ـ اعلن ان اتفاقا وقع بين روسيا والمانيا الشرقية تنال فيه المانيا المزيد من المساعدات الاقتصادية كما اتفق الجانبان على تحديد المواقع التي ترابط فيها قوات الاتحاد السوفييتي مع اعطاء الحكومة الالمانية حق الاشراف على تنقل هذه القوات واعدادها اسوة ببولونيا بعد الثورة الاخيرة .

ـ وصل الى موسكو شوان لاي رئيس وزراء الصين الشعبية في طريقه لزيارة المجر وبولونيا

٩ ـ قدم السير انطوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية استقالته بسبب سوء صحته .

ـ اكد جي موليه رئيس الوزارة الفرنسية في بيان اذاعه على الشعب الجزائري ان فرنسا مع حرصها على انهاء القتال في الجزائر لن تتخلى ابدا عن تلك البلاد .

١٠ ـ كلفت الملكة اليزابيت المستر هارولد ماكميلان عضو مجلس العموم تاليف الحكومة البريطانية .

ـ اصدرت الحكومة البريطانية بيانا قالت فيه ان طائراتها النفاثة قصفت بعض المواقع الجبلية في محمية عدن لاخراج الجنود اليمنيين ورجال القبائل الذين احتلوا تلك المواقع

١١ ـ استقال السير انطوني ايدن من عضوية مجلس العموم البريطاني .

ـ اقرت الجمعية العمومية للامم المتحدة مشروعا امريكيا يدعو الى اعادة توحيد كوريا عن طريق انتخابات حرة تشرف عليها الامم المتحدة

ـ اعلنت السلطات المصرية انه بدأ تدريب المتطوعين في مصر لمساعدة اليمن في نضالها ضد الاعتداء البريطاني .

١٢ ـ دعا كونراد اديناور مستشار حكومة المانيا الغربية الى تحريم الاسلحة النووية وانشاء منطقة عزلاء تفصل اوروبا الشرقية عن الغربية كوسيلة لتخفيف حدة التوتر في العالم.

١٤ ـ اعلنت وازرة الخارجية البريطانية ان محادثات تمهيدية بدأت في عدن لايقاف القتال الذي يدور منذ عدة ايام في مناطق الحدود بين اليمن ومحمية عدن .

١٥ ـ جلت القوات الاسرائيلية عن مدينة العريش ودخلتها قوات الامم المتحدة تمهيدا لدخول القوات المصرية اليها .

١٦ ـ وصل الى المدينة المنورة الملك حسين واجتمع الى الملك سعود وتباحثا في القضايا العربية الراهنة .

١٧ ـ تنظر الجمعية العمومية للامم المتحدة مشروع قرار تقدمت به ٢٤ دولة اسيوية وافريقية يطلب من الامين العام ان يبذل جهده لدى اسرائيل لحملها على قبول الانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة في مهلة خمسة ايام .

مطبعة الشراع
بيروت الحازمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حضارة اليوم

✳

يحتدم النقاش أحيانا في بلاد الشرق حول السبيل الامثل الذي يجب على هذه البلاد ان تسلكه لبلوغ التقدم . وفي غمرة هذا النقاش ترد الفاظ متعددة مثل الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات ، حاملة بذلك مفاهيم مختلفة متضاربة بحيث يقضي عليها الغموض . وبهذا يستديم النقاش وتذوب جدواه .

الواقع ان من الامور التي يتميز بها عصرنا الحاضر انه لايتسع لقيام حضارات متنوعة متباينة ، اذ ان وضع الانسان فيه مختلف عما كان في غابر الازمنة . فلقد كانت تقوم في الماضي حضارة معينة ثم يزول سلطانها او يضمحل بتأثير الاحداث السياسية اوبفعل نشوء حضارة اخرى واحتكاكها بها ، كما كانت الحضارات تتعايش احيانا في مناطق متباعدة من العالم . غير ان حياة الانسان اليوم هي غير حياته بالامس .

لقد تطورت الانسانية تطورا جوهريا في حياتها ، فبعد ان كانت الامم تعيش منعزلة في بوتقات منفردة ، اصبحت اليوم تحيا حياة جماعية مشتركة في جميع عناصرها ، وذلك بفضل ما طرأ على الحياة العامة من كثرة وسائل الاتصال بسائر انواعه ، ومن سرعته الفائقة . فقد ساعد هذا الاتصال على انتشار الافكار والانباء في حينها ، ولم يعد هناك من تأثير للحواجز الجغرافية والمسافات الشاسعة ، بحيث ان الانسانية جمعاء غدت تعيش وكأنها اسرة واحدة تحت سقف واحد . وقد كان من شأن هذا التطور ان جعل لهذه الانسانية كلها اليوم رسالة واحدة، هي حمل مشعل حضارة لا يمكن الا ان تكون واحدة . اما هذه الحضارة فمن العسير ان لا تكون خلاصة نتاج الفكر الانساني في جميع مراحله ، اذ انها لا تستطيع ان تتجاهل الماضي او جزءا منه ، لانه كان الطريق الى الحاضر ،ولان جميع الشعوب تسهم اليوم في المجهود المشترك بحيث يحمل سماتها كافة ، كما انها لا تستطيع ان تقف عند الماضي او جزء منه ، لان سنة التطور لا تسمح بذلك . فحضارة اليوم حضارة انسانية شاملة ، ولئن كان للشعوب الاوروبية نصيب وفير في ابداعها ، واكسابها طابعا خاصا ، فان ذلك لا يجيز اعتبارها حضارة اوروبية المصدر ، لان هذا الابداع لم ينتج الا عن عملية تاليفية تم فيها انصهار جميع الحضارات السالفة وما تلاها من عناصر اساسية ادى اليها التطور المنطقي للفكر الانساني، ومن مظاهر الحذف والتهذيب لتلك الحضارات التي قضى بها هذا التطور .

ان حمل مشعل الحضارة الحديثة هو اليوم رسالة جميع الامم ، وعلى الامم كافة ان تسهم في ايقاد جذوته ، كل منها بما في طاقتها ومقدورها . وليس من مجال اليوم للتمييز بين رسالة امة ورسالة امة اخرى . فهذه الرسالة تعين اعباء، وعلى كل امة يقع نصيب من هذه الاعباء ،وقيمة كل امة تتعين بمقدار ما تأخذ على نفسها القيام به من هذه الاعباء وتنهض به فعلا ، وبقيمة هذه الاعباء واهميتها بالنسبة الى الهدف المشترك .

ونحن حين نتحرى روح هذه الحضارة نجد انها قمة في سلم تطور الانسان كانسان . فمن عناصرها الفكر العلمي ، بما يتضمنه من عامل الذكاء الناتج عن الثقافة الواسعة ،والجهاد المتجرد في سبيل المعرفة . وقد أدى هذا العنصر الى ازدهار الصناعة وتبدل أحوال المعيشة . ومن عناصرها الروح الاجتماعية التي قضت بازدياد اسباب التعاون ونشوء كثير من العادات المساعدة على نمو الحياة الاجتماعية وتقدمها . ومن عناصرها الاخيرة تكون الراي العام العالمي وظهوره كقوة ذات تأثير في الشؤون السياسية ونحوها . على اننا لدى تأمل هذه العناصر نلمس انها جميعا تصدر عن اساس واحد هو مفهوم الحرية . فالحرية هي روح سائر الجهود علمية كانت أم اجتماعية . ولذا كانت مظاهر التحرر القومي من اهم ما نتج عن هذه الحضارة في المجال السياسي . أما بقية قوى العدوان الاستعماري فلا عبرة بها ، لانها لا تقوم الا عند شرذمة من سياسيين لا يمثلون ــ كما اثبتت الاحداث ــ ارادات شعوبهم .

ان كون الحرية روح الحضارة الحديثة هو ما يؤكد انتمائي قمة من التطور الانساني، لان الانسان في جوهره ليس الا حرية خالصة، وقد مشت به حضاراته اليوم الى لقاء هذا الجوهر وتقمصه فعلا بعد ان صادف الكثير من العقبات . ولذا جاز لنا القول ان مصير كل امة معلق على أداء رسالتها في خدمة هذه الحضارة .

محمد وهبي

فلسفة التربية

بقلم الدكتور كمال الحاج

الباب الثاني

في وحدة نفس الطفل وتقسيمها الى مراحل

قلنا بان الطفل هو محور التربية. هو نقطة التقاء مناهجها. هو انسان. وقلنا بانه يجب علينا ان نحترم فيه وجود هذا الانسان . هو انسان على طريقته لا رجيل يحمل في جنبيه ما عند الكبير من ملكات ناضجة . ولا شك في ان روسو كان من المربين الاولين ، الذين خدموا الاطفال خدمة عظيمة . لقد انتصر لهم ، ودافع عن حقوقهم ، وحررهم من كابوس الاغاليط . وربما عادالى كتبه ما القي ، في نفوس الافرنسيين ، من بذور الثورة. . .وما استحرت به اذهانهم من حب تكسير الاغلال ، يومذاك . ان كتاب «اميل» حادثة كبرى في تاريخ التربية ، بل في تاريخ الفكر البشري عامة . لقد خفف من ضغط الولاية الابوية ، وشحل من ثقل الاطاعة العمياء . كان ثورة على صلابة المعاملة الباردة ، وتشديدا على تحرر الطفل من قيود التكلف ، في سبيل اعلاء شأنه ، ورفع قدره . على التربية ان توصل معنى الخير الى نفس الطفل ، لا ان تقسو بلا مبرر . اذن يجب ان نبدأ بالطفل. . ان ندرك طبعه ، اولا ، لنتمكن من تسديد خطواته ، بعد ذلك ، نحو البلاغ . لنشرع بالطفل . . . منذ البداية . . . ونتساءل كيف تكون حالته النفسية فور ولادته .

تضاربت الاراء ، كثيرا ، حول تلك البداية . منهم من قال بان الطفل يحمل بالفطرة بين جنبيه (اذ يرى النور) كل الحقائق التي يستضيء بها المرء ، في هذا الوجود هؤلاء هم الفطريون . ومنهم ايضا من قال بان الطفل يأتي الحياة الدنيا صحيفة بيضاء ، فتخط عليها التجارب كل الحقائق التي يستضيء بها المرء ، في هذا الوجود . هؤلاء هم التجريبيون . الاولون يؤمنون بفاعلية الوراثة . الاخرون يؤمنون بفاعلية البيئة .

لو سلمنا بان الطفل يأتي الحياة ، وفي جنبيه كل الحقائق ،لبطلت التربية . اذ كيف نستطيع ان نربي من كانت الحقائق ، في عنقه ، منذ اول البداية ؟ التربية انماء . ولهذا تقتضي ان يكون الطفل ناقصا بالفعل ، ليصير قابلا للاستزادة عن طريق التربية . ولو سلمنا بان الطفل يأتي الحياة صحيفة بيضاء، فقط ، لبطلت التربية ايضا . اذ كيف نستطيع ان نربي من الغي ، من عنقه ، كل ميل الى الحقائق ؟ لو كان الانسان كله خيرا محضا بعينه (اي بفطرته) لما وجبت التربية ، ولا امكن التهذيب . اذ لا يعود من داعية الى اصلاحه ،وتخييره . ولو كان الانسان كله شرا محضا بعينه (اي بفطرته) لما وجبت التربية ، ولا امكن التهذيب. اذ لا يعود من نفع في محاولة تخييره ، وتطهيره .

ان بطلان هذين القولين ظاهر من اساسه ، والا لما اقدم المتشرعون على سن القوانين ، وتقرير الاحكام والحث على الترغيب هنا والترهيب هناك . . ولما كان مرتبطا بالله ان يوجد نارا للاشرار ، وجنة للابرار . ان تخصيص النعيم للصالحين ، والجحيم للطالحين ، يضع اهلية اصيلة ، في الانسان ، لاحدى القيمتين . اذن التربية واقع . وهي تكملة . لهذا تقضي ان يكون الطفل كاملا بالقوة ، ليصير قابلا للاستزادة عن طريق التربية . معنى كل ذلك ان التربية واقع اساسي ، في حياة الانسان، لايمكن لاحد منا ان ينكرها . ولذا تفرض علينا ان نسلم بالنظريتين معا . بالوراثة (اي بمبدأ القوة) . تلك هي الفطرية . وبالبيئة (اي بمبدأ الفعل) تلك هي التجريبية . بناء عليه نقول :

١ ــ للوراثة اثر بعيد في تكوين شخصية الانسان . ولهذا ينبغي لكل مرب ان يبني على اساس الوراثة ، عمله التربوي . ذلك لان ثمة شبها نوعيا فيما بين الكائنات الحية . الكلب يلد كلبا . والفرس يلد فرسا . والثور يلد ثورا . وهكذا الانسان . فهو يلد انسانا . هذا من حيث النوع ، الذي لا يمكن ان يتغير عينه ، والذي يفرض توارث الخصائص العامة . وقد نذهب الى ابعد من ذلك في الدقائق فنقول بان الزنجي يلد زنجيا . والمتوحش يلد متوحشا . والذكي يلد ذكيا . والغبي يلد غبيا . لقد اصبح ثابتا ان في اجيال البشر انواعا من القابليات ، هي استعدادات وراثية ، يتناولها الابناء من الاباء ، والاباء من الاجداد . يعني ان العمران ينتقل بالوراثة ، من جيل الى جيل . هناك ، اذن ، مراسيم سابقة لخلق الطفل ، تحدد فيه درجة استعداده، من تصورات غريزية وقوى حدسية ومواهب خلقية هناك فيض خفي ، هوذاته العمران البشري،الذي نتوارثه.

وقد تصح الوراثة في غير هذه الصفات الانسانية الاولى . . . في غير هذه الخصائص البديهية . فتحدث في سلوك المرء ، وخلقه . اذ كثيرا ما نرث عن والدينا ما لهما من شعور ، ومزاج ، وطبع ، وكفاءة ، كما نرث عنهما ايضا القامة والهيئة . ان بعض الابحاث النفسية تميل الى القول بان النبوغ يجري وراثة في بعض الاسر . مثلا اسرة باخ الموسيقية . وقد اجريت دراسات كثيرة على اقارب العظماء ، من قضاة ، ومحامين ، وادباء ، وفنانين، واطباء ، وسياسيين . وكان يبين ان للعظماء اباء عظماء ، او اجدادا عظماء ، او اعماما عظماء . . . الخ . وهم ينجبون في العادة ابناء عظماء ، او احفادا عظماء . وقد يعود النقص العقلي (عند الاولاد) الى نقص في الجرثومة (عند الوالدين) .لهذا كتب احد الاباء ، الذين ولدوا معتوهين ، يقول : هو اليوم الوحيد ، الذي كنت فيه سكرانا . وكتب احد الاطباء ، بصدد الاولاد المعتوهين، يقول : كنت اجددائما ، على وجه التقريب ــ عندما يتسنى لي ان اكشف الجهة الحميمية في العلاقات الزوجية ــ كنت اجد ان الولد تصور به عندما كان ابوه سكرانا (١)

من الدراسات الكلاسيكية، في هذا الموضوع، ما كتب عن اسرة الكاليكا . حكاية هذه الاسرة كما يلي : انجب مارتن كاليكا ، وهو جندي في جيش الثورة الامريكية ، ولدا غير شرعي من فتاة ضعيفة العقل . فنشأ عن هذا الزواج، على مر الاجيال ، اسرة تتالف من ٤٨٠ فردا . وتمكن الدكتور غودارد من تتبع ذراري تلك الفتاة في الاجيال المتعاقبة . وقد وجد ان ٦٤ شخصا ، فقط ، من بينهم هم عاديون.

١ Léon Mac — Auliffe : La Personnalité et l'Hérédité

اما الباقون فبينهم ضعاف عقول ، ومعتادو سكر ،وفاسدو اخلاق جنسية ، ومصابو صرع ،ومجرمون ... الخ . ثم تزوج ذلك الجندي عينه بفتاة سليمة العقل من اسرة طيبة . فنشأ عن هذا الزواج ، على مر الاجيال ، اسرة تتألف من ٤٩٦ فردا .وتمكن الدكتور غودارد من تتبع ذراري تلك الفتاة في الاجيال المتعاقبة . وقد وجد ان ذراري تلك الفتاة السليمة العقل عاديون شغلوا مناصب اطباء ، ومحامين ، وتجار ، وحكام ، وعمداء جامعات ، ورؤساء كليات ، ومعلمين واساتذة . ولم يشذ عن هذه القاعدة الا اثنان فقط من افراد تلك الاسرة الثانية (٢) .

نستطيع ، بعد هذا ، ان نقسم الصفات المتناقلة الى فئتين :الصفات الوراثية الاصيلة التي تنتقل حتما من السلف الىالخلف ، والتي تكون النوع البشري الثابت على مر الاجيال . والصفات الاكتسابية التي يجنيها الفرد من محيطه ، والتي تصبح غريزة فيه ، فتنتقل الى نسله .وقد احتدم الجدل ، بين العلماء ، حول تلك النقطتين . فمنهم من دحض ، ومنهم من اثبت .

هل نستنتج ، مما سبق ، ان الطبيعة تسمح بتطبيق الوراثة بشكل تام ؟ هل اصبحت قضية الوراثة في نطاق العلم الجبري ؟ هل نستطيع ان نتصرف بالنسل ، كما نريد نحن ؟ يجب الاعتراف ، هنا ، ان قضية النسل ما زالت على صعيد النظر . ما زالت فكرة . الوراثة واقع ،ولكنها واقع لعوب . ذلك لان الصفات لا تنتقل الا عن طريق جرثومة البويضة . البويضة هي التي تحمل الشيء الموروث من جيل الى جيل . ولهذا كانت الوراثة تقتضي تغييرا جرثوميا ، كي يحصل الانتقال من السابق الى اللاحق . وقد تبين ان الجرثومة في البويضة لا تحمل، بين جنبيها ، الا النوع البشري . الانسان يلدانسانا . هذا شيء حتمي . اما التعديلات ، التي تطرأ ، والتي هي صفات مكتسبة تثبت بالاستعمال والتدريب ، فهي من بنات الظروف الخارجية . وقد ظلت لا جبرية . ان العلم لم يستطع ، حتى الان ، اثبات انتقال الصفات المكتسبة . ولا يعقل ان يصبح التوارث عملية جبرية ، فيفقد الانسان حريته ، وتفقد الحياة غنى تنوعها .ان الوراثة ليست جبرية في غير الخصائص الانسانية الكبرى ، اي في غير النوع البشري ، والا ادت بالمجموعة الآدمية الى الافلاس المخيف . اذ يجيء ابن الاعور اعورا . وابن الاعرج اعرجا . وابن الشاعر شاعرا . ان الذي ينتقل من جيل الى جيل ، هو المقدرة العقلية . تلك المقدرة موزعة على البشربصورة عادلة . وهي تعني ان الجيل الجديد يستطيع ان يتناول ثقافة مساوية في النوع للثقافة التي تناولها الجيل الفائت. الاحتكار هو في المقدرة الذكائية ... في ما اسماه ديكارت بالذوق السليم Le Bon Sens الذي وزع بصورة عادلة ، بين جميع الناس .

يقول ديكارت في اول خطبته حول المنهج ، ما فحواه: ان الذوق السليم هو اعدل الاشياء التي وزعت في العالم . كل واحد منا يعتقد انه اوتي منه الكفاية ، حتى ان الذين يصعب جدا ارضاؤهم بسواه ، لا يرغبون عادة في ان يصيبهم منه ، اكثر مما اعطي لهم . وهذا لا يعني انهم معصومون من الخطأ . لكنه الدليل الساطع الى ان ملكة الحكم بضبط ، او ملكة تمييز الحق من الباطل – وهي الملكة التي يطلق عليها حقا اسم الذوق السليم ، او العقل – هي متساوية بين جميع الناس ... انا لا اعرف مزايا الاها ، تساعد على كمال النفس ، لانني اميل الى الاعتقاد بان العقل ، او الحس (ما دام هو الشيء الوحيد الذي يصيرنا بشرا ، ويميزنا عن الحيوانات) موجود بتمامه في كل واحد منا ، متبعا في ذلك الراي الشائع بين الفلاسفة ، الذين يقولون انه لا زيادة ولانقصان الا في الاعراض . اما النوع فهو واحد (٣)

لا وراثة جبرية ، اذن ، الا في ما يعود الى النوع البشري .اضف الى ذلك ان التمادي ، في مبدأ الوراثة ، يؤدي الى بعض الاخطار . فقد نرجع الفشل في التربية الى عجز وراثي، كما جاء في التوراة «الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون » . وهكذا يدخل التشاؤم ، في التربية ،فتخف المسؤولية الملقاة على الانسان . كثيرون هم الذين يتذرعون بهذا القول في سبيل حماية انفسهم من النقد . وهو قول يدفع الى الخيبة ، واليأس ، ويزيل التبعة ... ثم يبطل كل امكانية تربية .

يبقى ان الوراثة قائمة ، في خطها العريض ، على اساس واقعي . لقد اثبتت عدم كون النفس صحيفة بيضاء رمة . في عنق كل مولود بعض الميول البدائية ، التي يجب علينا ان نحترمها ، وان نسير في اتجاهها . ما من نفس بشرية تأتي العالم ، دون ان تحمل شيئا في ثناياها . لقد اصبح «الميل» امرا شاهده منه . وهذا يوقظ الوالدين الى اهمية الوراثة ، كي يراقبوا سلوكهم باكرا . فقد تنتقل الخصال العاطلة . وهذا ممكن وقوعه في كل نسل . اجل ، ان التربية لا تخلق شيئا من لا شيء. لا تخلق وجودا من عدم . هي توجيه ، والتوجيه يقضي بان يكون ثمة ميل ، اولا ، ليعمل من ثم على توجيهه . يقول «الفرد بينه» بان دراسة الميول عند الاطفال من اخطر القضايا التي يجب ان ندرسها بكثير من العناية . ذلك لانها لا تؤثر فقط تاثيرا عمليا على اطفالنا ، من وجهة التعليم في المدرسة بل تحدد ايضا مستقبل كل واحد منهم . ان انتخاب التلميذ للمهنة ، التي سيزاولها في المستقبل ، يجب ان يتم بعد فحص ميوله . اذ ذاك يوجه الى المهنة الملائمة له . هذا الانتخاب يجب ان لا يحصل وفقا للمصادفة ، او وفقا لاراء اعتباطية لا تستند الى شيء واقعي . اما اذا جرى فحص الميول ، واعطي التلميذ المهنة التي تنسجم معه قابلياته ، فان عدد المخفقين والمتذمرين يقل في عملهم ويزداد الانتاج الاقتصادي عند الجميع ، بوضع كل شخص في المهنة التي تلائمه . ولعمري انها ابسط الوسائل ، واحسنها ، واكثرها بداهة لحل – ولو جزئيا – بعض القضايا الاجتماعية المعقدة التي كثيرا ما اشتغل بها المفكرون ، دون ان يجدوا لها حلا ، وهي تهدد الى حد بعيد الهيئة الاجتماعية الحالية (٤)

لم يعد من شك في ان انتخاب المهنة لا يفرض على التلميذ. من واجب الراشدين ان يتلمسوا اتجاه قابلياته

(٢) Goddard : The Kallikak Family.

(٣) ديكارة : خطاب في المنهج — Discours de la Méthode

(٤) الفرد بينه .ص. ٢٣٧ — Les Idées Modernes sur les Enfants

ان يقتاسوا بميوله المغروسة في نفسه ... وان يخففوا كثيرا من ولايتهم عليه بصورة تعسفية . اجل ! التربية لا تخلق شيئا من لا شيء . لا تخلق وجودا من عدم . هي توجيه ، والتوجيه يقضي بان يكون ثمة ميل ، اولا ، ليعمل من ثم على توجيهه . ولكن هذا الميل هو بحاجة الى مدى يعيش فيه . الى مجال ينمو فيه . هذا المدى ... هذا المجال ... هو البيئة .

٢ ــ البيئة، كما للوراثة ، اثر بعيد في تكوين شخصية الانسان . وابرز مثل يوضح لنا هذا الاثر البيئي هو ظاهرة اللسان . اذا اخذنا طفلا فرنسيا، فورولادته ، واقصيناه عن والديه الافرنسيين اللذين لا يتكلمان الا اللسان الافرنسي ثم سلمناه الى حاضنة روسية مثلا ، فان اللسان الروسي هو الذي يتحكم بحنجرته . لقد اظهرت التجارب ، ههنا ، ان لا دخل البتة للوراثة . ان اللغة ــ الام لا تنتقل جبرا من الوالدين الى البنين ، الا اذا بقي البنون في مناخ والديهم . اللغة الام ، التي يتكلمها الولد الافرنسي هذا ، بعد ان سلم الى حاضنة روسية ، هي اللسان الروسي . ان تعلم الولد اللسان الانجليزي ، او الفرنسي ، او العربي ، او الروسي ، معرفة اكتسابية عائدة الى البيئة (٥)

هنا يجب ان نميز بين نوعين من البيئة : البيئة الجغرافية (الطبيعة) والبيئة النفسية (البشر) وقد تبسط ابن خلدون كثيرا ، في الباب الاول من مقدمته حول تأثير البيئة الجغرافية . فقسم الارض الى سبعة اقاليم ، كما قسمها الجغرافيون القدماء ، وراح ينعت كل اقليم بدرجة من الحرارة والبرودة ،تختلف عن درجات الاقاليم الاخرى . ولهذا يصف الاقاليم الثلاثة المتوسطة بالمعتدلة ، ويصف الاقاليم الباقية بالمنحرفة . الاولى تساعد على وفرة العمران . الثانية لا تساعد على ذلك . ان اهل الاقاليم المتوسطة ، اي المعتدلة ، يمتازون بالاعتدال في كل شيء . في خلقهم ، وخلقهم . في المعاش ، والمساكن ، والصنائع ، والعلوم ، والرئاسة ، والملك . فقد كانت فيهم النبوءات ، والشرائع ، والعلوم ، والمباني ، والصنائع . اما اهل الاقاليم الاخرى اي المنحرفة ، فهم متأخرون في جميع احوالهم . بناؤهم من طين وقصب . اقواتهم من ذرة وعشب ملابسهم من اوراق الشجر ، او الجلود . اكثرهم عرايا من اللباس . ولهذا كانوا قليلي العمران .

وذهب الى القول بان اللون تابع لمزاج الهواء ؛ وبان شدة الحرارة تسود جلود الناس . اما الافراط في البرودة فهو يؤدي الى بياض اللون ، وزرقة العيون ، وبرش الجلود، وصهوبة الشعور . فاذا سكن جماعة من السودان في الاقاليم المعتدلة، او الباردة، تبيض الوان اعقابهم بالتدريج . وبعكس ذلك اذا سكن جماعة من اهل الشمال بالجنوب تسود الوان اعقابهم . وقد انتقد ابن خلدون بشدة الاسطورة القائلة بان السودان هم ولد حام بن نوح،اختصوا بلون السواد ، لدعوة كانت عليه من ابيه ظهرائرها في لونه، وفيما جعل الله من الرق في عقبه . يعتبر هذه الاقاويل خرافات قصاصين ، ويتهم اصحابها بجهلهم « العلم بطبائع الكائنات » (٦)

ولم يغفل ابن خلدون تأثير الطبيعة في الاخلاق . قال في المقدمة الرابعة من الباب الاول ، ما يلي: « خلق السودان على العموم الخفة ، والطيش ، وكثرة الطرب . فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق في كل قطر . والسبب الصحيح في ذلك ان طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه . لقد تقرر ان الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة له زائدة في كميته . ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه، فيتفشى الروح ، وتجيء طبيعة الفرح . وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات ، اذا تنفسوا في هوائها ، واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم ، فتسخنت . لذلك حدث لهم فرح ، وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشيء عن السرور . ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار ، واستولى الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم ، فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل الاقليم الرابع أشد حرا ، فتكون اكثر تفشيا ، فتكون اسرع فرحا وسرورا، واكثر انبساطا » .

هذا ما قاله ابن خلدون ، وهو على حق صراح. ان مناخ الطبيعة ــ من وديان ، وجبال ، وبحار ، وهواء ــ يطبع الجسم والنفس (الخلق والخلق) ببعض الصفات التي يعسر علينا جدا ان نتملص منها . البيئة القروية غير البيئة المدينية . البلاد الحارة غير البلاد الباردة . ولهذه الفوارق الجغرافية دخل كبير في تزويد الانسان طبائع خاصة . تلك الطبائع لا تعود ابدا الى الوراثة ، التي تحدثنا عنها سابقا . وما من احد يستطيع ، بعد اليوم ، ان ينكر هذه الاستطالات الجغرافية في الانسان . قيل المرء وليد ارضه .

لكن البيئة الجغرافية لا تؤثر وحدها في الانسان من الخارج . لو وقف هذا التأثير من الخارج عند حد البيئة الجغرافية ، فقط ، لقامت شخصية الانسان على بضع ميزات . الا اننا نعلم تمام العلم كونها اعقد مما تسمح لها الطبيعة الخارجية. هذا التعقيد يأتي من ان الانسان يعيش في بيئة نفسية ... يعيش بين بشر . هناك تفاعل بينه وبين من هم مثله تفاعل يخلق ما اتفق على تسميته بالوسط الاجتماعي . ومن هنا تشديد العلوم الفينومينولوجية على صفة الانسان الاجتماعية . هذه الصفة طبع فيه . انه كائن اجتماعي بالضرورة . ما معنى هذا ؟ معناه ان وجود الانسان ، في غير بيئة اجتماعية ، يؤول به الى الفناء . كل حالة وجدانية هي متعدية ، اي انها لا تكتفي بنفسها . لا تقبع في قرارتها . لا تقف عند حد ذاتها . ولكنها تهدف الى موضوع في الخارج . الى موضوع مغاير لها . فعاطفة الحب ، مثلا ، تستلزم حبيبا ومحبوبا . وعاطفة البغض تستلزم باغضا ومبغوضا . وفعل العقل يستلزم عاقلا ومعقولا . وهكذا دواليك، حتى تشمل تلك الهدفية شخصية الانسان كلها . ان نمو الحالات الوجدانية يحصل ، اذن ، من الداخل الى الخارج . الحالة هي دائما بحاجة الى نفس اخرى ترتكز عليها . لان التفاعل الذي يقوم بين الانسان والبيئة الجغرافية ، لايكفي وحده ليشفي غليل النفس البشرية . هذا حوار ، بين الانسان والطبيعة ، في اتجاه واحد .. في اتجاه الانسان . ان الطبيعة لا تجيب مثلما

(٥) راجع كتابنا « فلسفة اللغة » الفصل الثاني

(٦) راجع المقدمات الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، من الباب الاول .

يجيب الانسان . ولهذا كانت النفس بحاجة الى نفس أخرى حيالها ، من النوع ذاته ، أي من النوع البشري . ذلك لتتمكن من ان تحدث حوارا متبادلا فيما بينهما. الانسان بحاجة الى ان يرى نفسه في نفس غيره .. الى ان يسمع نفسه في نفس غيره ... الى ان يخاطب نفسه في نفس غيره . الانطواء على الداخل لا يحدث بصورة صحيحة الا بعد الانضواء في الخارج . بهذا الانفلاش البراني يعود الوجدان الى ذاته عودة اوعى .

ونحن اذا تتبعنا الطفل ، منذ صغره ، رأيناه مجموعة قابليات ، هي قوى كامنة في شقوق نفسه ، تنزع بالضرورة الى ان تصبح افعالا . هذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم الا عن طريق الاخرين . ولهذا ركزت في الطفل ملكة التقليد ، التي هي اكبر دليل الى ان الانسان كائن اجتماعي . التقليد واجب . به ينمو الطفل . به تفزر ابعاد شخصيته . به يتأثر بالذين هم حوله . فهو يقلد والديه اولا . يقلدهما في كل شيء . يقلد لسانهما، فيصبح له لسان معين ، وتنتقل اللغة من القوة الى الفعل. يقلد حركاتهما . يقلد تصرفاتهما . ومن هنا امكانية توجيهه نحو الغاية التي يرغب فيها الوالدان . لولا ملكة التقليد ما كان التعليم . التقليد طواعية ، وقابلية تكييف . ولا شك في ان الام هي اقرب الاشخاص الى الطفل . منها يأخذ اولى مداميكه. اولى تصرفاته . اولى الجرعات لاكتساب اتجاه معين. ثم يأتي الوالد، والاخوة، والاخوات فمناخ العائلة كلها . ان الولد يعيش بين اهله في جو من التلقيح الدائم .

وهل يمكن ان يحصل مثل هذا التلقيح لو لم يحمل الطفل في ذاته عاطفة الغيرية؟ اي عاطفة الميل الى الغير ؟ لولا الغيرية Le toi ما كانت الانية Le moi هذه تستلزم تلك جبرا ، والا سبح فكرنا في الفراغ . ان الشعور بالذات لا يكفي . انه يتضمن دائما موضوعا ، في الخارج يتمثله ويقابله . وعليه كانت الغيرية والانية دعامتي الشخصية الانسانية . وما لنا الا ان نستعرض ما كتب عن الاطفال ، او ان نراقبهم في حياتهم اليومية الخاصة ، لنرى كيف ان الطفل يحن الى ربط وجوده بوجود شخص اخر ... وكيف انه يعاني الما كبيرا اذا الفيت تلك الرابطة . ثم ينتقل الطفل من البيت الى المدرسة ، فينوجد في جو آخر من التلقيح الدائم . هنا ايضا يقلد . يقلد استاذه . يقلد تصرفاته . يتبنى افكاره . يقلد رفاقه . يتبنى خصالهم الحميدة والذميمة . يقلد مناخ المدرسة . يتبنى اتجاهها التربوي . يتبنى نظرياتها في الحياة . لولا هذه الملكة في التقليد لما حصل علم . لما حدث تعليم . وهو الفارق الاكبر بين الانسان والحيوان . لا عدوى خصال ، واراء ، من حيوان الى حيوان . قيل : «قل لي من تعاشر اقل لك من انت» العشرة ـ وهي من العشيرة ـ تغمر الانسان كيفما اتجه .

ثم يخرج الولد من المدرسة ، ويرتمي في احضان المجتمع ، حيث يندس بين خيوط الشبكة الكبرى. هنا ايضا يعيش في جو من التلقيح الدائم . هنا ايضا يكتسب خصالا جديدة بسبب انتمائه الى هذه الفئة من المحترفين ، ولا الى تلك الفئة . وقد ظهر تأثير الوسط الاجتماعي ، في الانسان ، باوضح معانيه ، في ما اسمي « النقابات » . النقابة هي مجموعة من المواطنين يزاولون الحرفة ذاتها .. حرفة اكسبتهم خصالا ذهنية وغير ذهنية معينة ،وخلقت فيما بينهم الفة وترابطا ، واقامت منهم « طبقة » . ولقد كان اميل دوركايم من أشد العلماء حماسة لنظرية الوسط الاجتماعي . فهو زعيم مدرسة من هذا القبيل ، ترجع كل اسانيد شخصية الانسان الى المناخ البشري الذي يعيش فيه . وما لنا الا ان نفتح كتابه في « التربية والاجتماع » او كتابه « في التربية الاخلاقية » لنرى الى اي حد يشدد على سيطرة الجو البشري ، في توجيه الطفل ، وتهذيبه، وتركيزه نهائيا . وقد بالغ في التمسك باثر المجتمع الى درجة انه اذاب الفرد ، وارجع كل الفضل في تكوين الشخصية الانسانية الى العشيرة ، بمعناها الواسع . ولا شك في ان نظرية « الوسط الاجتماعي » من اهم النظريات التي فعلت فعلها في اقامة التربية الحديثة على اساسات اصلح.

من اهم الاخطاء ، التي وقع فيها بعض الفلاسفة ، اعتبارهم الانسان في معزل عن البيئة الجغرافية والبيئة النفسية . هذا العزل ... هذا التجريد .. هو الذي ساعد كثيرا على ايجاد المعضلات الفكرية ، التي لا حل لها . الانسان، في حد ذاته ، وحدة لا تتجزأ . اين يبدأ الجسد ،واين تنتهي النفس ؟ اسئلة لا يمكن الاجابة عنها اطلاقا. والعلوم تظهر ، يوما فيوما ، ان التفاعل بينهما شديد . واذا نظرنا الى الانسان ، في علاقته بالطبيعة ، رأيناهنا ايضا انهما يكونان وحدة لا تتجزأ . اين تبدأ الطبيعة ، واين ينتهي الانسان؟ اسئلة لا يمكن الاجابة عنها اطلاقا . والعلوم تظهر، يوما فيوما ، ان التفاعل بينهما شديد . واذا نظرنا الى الانسان ، في علاقته بالانسان ، رأينا هنا ايضا وايضا ، انهما يكونان وحدة لا تتجزأ . اين ابدأ انا ، واين ينتهي هو ؟ أسئلة لا يمكن الاجابة عنها اطلاقا . اذن من الخطأ جدا ان نفكفك الانسان عن اصوله ، لندرسه في معزل عنها . الانسان وحدة ، تلك الوحدة ليست وحدة نفس فقط . هي وحدة جسم ونفس . وحدة جسم ونفس وطبيعة . وحدة جسم ونفس وطبيعة ونفس اخرى . هذا هو الانسان في ارقى معانيه . في اسمى اجوائه . فمن العبث كل العبث ان ندركه في نفسه فقط ... او في نفسه وجسمه فقط ... او في نفسه وجسمه وبيئته الجغرافية فقط . الانسان الانسان هو كل هذا مضافا الى البيئة النفسية . هل يعود بامكاننا ، بعد ذلك ، ان نقف عند حد تأثيرات الطبيعة لا غير ؟ هل يعود بامكاننا ان نرجع كل شخصيته الى الهواء، والماء، والتراب... الخ ؟ وتفاعله مع سواه من البشر ؟ أليس لهذا التبادل اكبر اثر في اعطائه تلك الجهة ، لا هذه ؟ وهل يعود بامكاننا ان نرجع كل شخصية الانسان الى الوراثة ؟ الوراثة قوى . والقوى تميل الى ان تصير افعالا . والافعال تحدث جبرا في مكان وزمان. المكان هو البيئة الجغرافية والزمان هو البيئة النفسية

القوى (اي الوراثة) هي افعال مكموشة . والافعال (اي البيئة) هي قوى مفلوشة . فبأي حق ، او باي مبدأ، نفصل القوى عن الافعال ؟ نفصل الوراثة عن البيئة ؟ نفصل البيئة الجغرافية عن البيئة النفسية ؟ بأي حق نفكفك هذه الاصول المتماسكة ، فيما بينها ، تماسكا قويا ؟ اما كان ذلك التفكفك سببا في تعقيد التفكير الفلسفي ، والعلمي ، والتربوي ، في الاجيال الفائتة ؟ لقد ارادوا ، على ضوء ذلك التفكفك ، ان يدربوا بالاستناد الى النفس . ولهذا اهملوا ما للجسد من اسانيد واجبة ، وما للبيئة الجغرافية من اسانيد واجبة ، وما للبيئة النفسية من اسانيد واجبة . ولهذا ايضا اهملوا ما للوراثة من اسانيد واجبة ، فضربوا

عرض الحائط بالميول التي يشعر بها الولـــد ، وارادوا ان يفرضوا عليه ما يبين لهم صائبا .

ان العراقيل الشائكة ، التي ارتطم بها المربون فـــي الماضي (والفلاسفة ايضا بوجه عام) ناتجة عن انهم لـم ينظروا الى الانسان كوحدة ، لهاارتباطات مع الخارج . ولهذا تاهوا عن معناه الصحيح . تاهوا عنالمنهج الصحيح. تاهوا عن الغاية ،وبلوغ تلك الغاية . فالتربية الحديثة لا يمكنها ، امام تلك الحقائق ، الا ان تأخذ بعين الاعتبارالانسان فـي امتداداته الخارجية والداخلية. وحدته أبعد مما نـراه بالبصر ، واعمق مما ندركه بالعقل الواغي . ان للانســـان استطالات في ماضي سلالته ، وفي بيئته الجغرافية ، وفي بيئته النفسية ، يجب تناولها عن كثب .

٣ ــ محصول هذا القول ان الوراثة ليست كلشيء، والا استحالت التربية ... وان البيئة ليست كل شيء ، والا استحالت التربية ايضا . لاتربية ، اذن، حيث لا توجيه (هذه هي البيئة) . ولا توجيه حيث لا يوجد ميل يوجـه (هذه هي الوراثة) هدف التربية ، والحالة ذه ، ان تزاوج بين عامل القوة وعامل الفعل ... بين الوراثة والبيئة .

لو صح ان الوراثة لا تقوى مطلقا على ايجاد الميـول العقلية ، والخلقية ، التي نتسلمها قبل الولادة ، لاستطعنـا ان نضع اي ميل في اي ولد ... لاستطعنا ان نخلـق المجتمع الذي نريد ، اي مجتمعا اصطناعيا لا حياة فيه . وبذلك تنتفي التربية . ولو صح ان البيئة لا تقوى مطلقا على توجيه امكاناتنا العقلية ، والخلقية ، التي نتسلمها قبل الولادة ، لما استطعنا ان نقوم بعمل تربوي . اذ ما النفـع من التربية (وهي توجيه) ما دام كل شيء قد فرض منذ البداية ؟ للوراثة كلمة تقولها ، وللبيئة كلمة تقولها .الانماء واجب . ولكن يجب ان يكون ثمة ميل نقوم بانمائه . الميل يأتينا عن طريق الوراثة . والانماء يحدث في البيئـة . التربية ، اذن ، هي ان نتعهد بيئيا ميولا وراثية .

نقول هذا لانه يصعب علينا ان نرسم خطا فاصلا ، واضحا ، بين الوراثة والبيئة . ما هي الوراثة ، وما هي البيئة ؟ اين تبتدىء الاولى ، وتنتهي... واين تبتـــدي الثانية ، وتنتهي ؟ انها ، وايم الحق ، اسئلة عاصية . ذلك لان اثر الوراثة لا يمكن ان يظهر الا في البيئة ... ولان أثر البيئة لايفعل الا في شيء موروث . هـذا ونستطيع القول بان مفهوم البيئة يشمل مفهوم الوراثة ، وبان مفهـــوم الوراثة يشمل مفهوم البيئة . ان البيئة تعمل منذ اللحظة الاولى التي تعمل فيها الوراثة . اذ لا يمكن ان يعيشالانسان الا في مجتمع يحيط به . الانسان كائن مجتمعي . هـو لم يكن ، يوما من الايام ، في غير حالة مجتمعية . والمجتمع المقصود ، هنا ، ليس فقط المجتمع الناتج عن شبكةالاحوال الجغرافية، بلالمجتمعالناتجايضا وخصوصا عنروابطالناس بعضهم ببعض . هذا المجتمعما كان بعد ان وجد الانسان . ولذا كانت الوحداتالوراثية ، التي يحملها الطفل بـــين جنبيه فور ولادته ، تأتيه هي ايضا من مجتمعاتسابقة . اذن نستطيع ان نرجع الوراثة الى صفات بيئية ، يتلقاها الانسان من بيئات ماضية . ويمكننا ،في الوقت ذاتـــه ، ان نرجع البيئة الى الوراثة . ذلك لان حياة الإنسان في البيئة ، والتأثر بها ، والتقولب حسب عواملها ،والتكيف بها ... كل هذا هو قابلية وراثية . لولا تلك القابليـــة الفطرية ، لما استطاع المرء ان يعيش في البيئة عيشـــة دينامية . عيشة كم وكيف. ان خضوعه للبيئة قابليـــة (اي قوة) تأتيه بالوراثة . من الصعب ... ان لم يكن من المستحيل ... ان نفصل بين هذين الافعولين : الوراثـــة والبيئة ، القوة والفعل . الميل والنمو . الواحد منهمـــا يستلزم الاخر . وهكذا يقوم سلوك المرء على نوعين مـــن الدوافع : دوافع لاواعية . تلك هي الوحدات الوراثيـــة ، او الغريزية . ودوافع واعية . تلك هي الوحدات البيئيـــة او العقلية . نحن اذن امام وحدة لا تتجزأ .

ان تحليل النفس يثبت هذه الوحدة في اسانيده.. يثبت ان الميل والنمو لا ينفصل احدهما عن الاخر . لقـد أرانا ان الطفل والد الانسان . ان جذورتصرفاتنا اليوميـة (نحن الكبار) هي في تربة ذاك الصغير الذي كناه. انخلف الذات الواعية (البيئة) ذاتا لاواعية (الوراثة) . وهـذا يعني اننا عاجزون عن الفصل بينهما . نحن لا نستطيع ان نقول اين تبدأ الذات الواعية ، ثم تنتهي ..؟ واينتبدأ الذات اللاواعية ، ثم تنتهي ؟ لا نستطيعان نقول اين يبدأ الميل ، واين يبدأ النمو ؟ اين تبدأ الوراثة ، واين تبدأ البيئة ؟ ان كل عمل من اعمالنا يرتبط بعمل سابق ، والسابق باسبق، حتى ندرك القاع الاخير، فنأتي على مجمل حياة الانســـان كلها . معنى هذا ان حياة الانسان ، من المهد الى اللحد . وحدة واحدة . وحدة لا تتجزأ . وعمل التربية هـو ان تظهر ما استكن ، في هذه الوحدة ، من انواع الاستعـداد وضروب القوى .

ولكن هذه الوحدة الواحدة ، التي لا تقبلالتجزئة ــ ولذا تبدأ التربية مع الولادة ، بل قبلها ، ولا تنتهي الا بنهاية الانسان ، لانها تكملة عمل وتهذيب اخلاق ــ قلنا ان هـذه الوحدة لا تتنافى مع فكرة تقسيمها الى مراحل متنوعـــة . اجل ، ان النمو ينبثق من الداخل لا من الخارج (ومن هنا عملية استمراره ما دام الانسان حيا) ولكننا نلاحظ ان هذا النمو يتغير تغيرا واضحا في سياق مظاهره . فهناكالناحية الجسمية ، والناحية النفسية ، والناحية الاجتماعية .ولكل ناحية مراحلتعبر فيها، لامحيصلنا من اخذها بعينالاعتبار.

اجل ! ان النمو ذاته يفرض تقسيمه الى مراحـل ، تتنوع بصورة غير واضحة تمام الوضوح . نقول هذا لان عملية تقطيع النمو ، الى عدة مراحل ، ليست سهـــلة كما يظن غالبا . انها مهمة جد عسيرة . ذلك لاننا عاجزون عن أن نحدد خط كل مرحلة تحديدا سكونيا ، فنقول مـن هنا تبدأ هذه المرحلة ، والى هنا تنتهي . لسنا حيـــال جلمود صخر ، او سواه من دائرات المادة اللامتحركـــة ، لنقسمه كما نشاء الى اجزاء مخلعة ، متميـــزة الحروف بعضها عن بعض . نحن ، هنا ، امام نفس تتحرك ديناميا . امام وحدة واحدة من الحياة الانسانية . مثلهـذه الوحدة الانسانية ، وتقسيمنا اياها الى مراحل كمثل وحدةالشجرة وتقسيمها الى ساق ، واغصان ، واثمار ، واوراق ؛ وجذور او كمثل وحدة النهار وتقسيمه الى ساعات .. او كمثـل وحدة السنة ، وتقطيعها الى فصول ، وشهور ، واسابيع ، وايام . ولكن اذا صعب التمييز بين شهرين متحاذيـين (اعني بين آخر شهر سابق واول شهر لاحق) فسهولة التمييز تكون ابرزجدا بين الصيفوالشتاء . قد لا نلحظ

كمـال يوسف الحـاج

[البقية على الصفحة ٧٣]

دنيا الاساطير

لكل مكان وكل زمان

بقلم موسى سليمان

*

يعتقد البعض منا ان الاسطورة خرافة من الخرافات وجدت في عصر بعيد ، قديم ، لتمثل حياة الشعوب البدائية . اما وقد انقرضت هذه الشعوب وبادت فيجب ان تنقرض معهم اساطيرهم وحكاياتهم وتموت ...

وهذا اعتقاد وهمي لا يقوم على اي منطق او برهان . فدارس التاريخ ، في جميع مظاهره ومراحله ، يرى ان المدنية الحديثة مدينة باشياء كثيرة للاساطير .

فهذه الحكايات الطريفة الساحرة التي غذت خيال هوميروس في جاهلية اليونان كانت غذاء روحيا لشعراء العالم المحدثين ، امثال بيرون، وشيلي، وشكسبير، وشوسر وكيتس ، وتنيسن ، وامرسن رالف والدو ، وود باري ، وسبنسر ، وارسكين ، ولونجفلو ، واوسكار وايلد ، وبوب وملتون ، ووليم بلايك ، وكورنواي ، وراسين ، والعشرات لا بل المئات غيرهم من كل امة ومن كل عصر .

كما ان رجال الفن الكلاسيكي ، من مصورين ورسامين ونحاتين ، وجدوا في هذه الاساطير معينا لا ينضب لفنهم، فاستوحوها رسوما رائعة ولوحات خالدة مازالت ، حتى اليوم ، العنوان الصادق والبرهان الساطع على تقدم القوم الروحي وازدهار مدنيتهم الحديثة وتأثرها بالاساطير .

وها انا ، في موضوع اليوم ، مكمل ما بدأت به في الحديثين الماضيين(١) ، عامل على وصل الماضي بالحاضر ، مبرهن ، بامثلة ونوادر منتزعة من صميم الحياة الاجتماعية، على ان الاسطورة الخرافية ، التي عاشت منذ الوف السنين قبل اكتشاف العلوم الحديثة، وقبل اهتداء الجنس البشري الى الاديان السماوية ، اقول :ان هذه الاساطير ما زالت تعيش معنا ، في ادبنا وفي فنوننا ، وفي علومنا ، وفي ذلك ما فيه من دلالة على وعي من رجال الفكر الذين عرفوا كيف يفيدون من القديم ، وفيه دلالة اخرى ، هي ان هذه الحكايات الاسطورية الرائعة لم تخلق لزمان معين ، ولم توجد ليحتكرها جماعة واحدة معينة ، بل كانت لكل زمان ، وصلحت لكل مكان ...

هناك مجموع من ابهى مجاميع النجوم يسميه العرب كوكبة الجبار ويسميه الغربيون اوريون. وهو، كما يقول علماء الفلك ، صورة جميلة هي اجمل الصور الجنوبية كلها. وهي على هيئة رجل قائم في ناحية الجنوب عند دائرة البروج ، بيده اليمنى دبوس وبيده اليسرى ترس هو رأس اسد ، وعلى وسطه سيف .ذكر هذه الكوكبة هوميروس في الياذته واوذيسته ، كما ذكرت ايضا في سفر ايوب عند وصف الخالق ، اذ قيل:

« صانع النعش والجبار والثريا ومخادع الجنوب »
(ايوب اصحاح ٩ : ٩) .

لهذه الكوكبة حكاية اسطورية نلخصها في ما يلي :

كان اوريون هذا الجبار ، اذا شئت ،صديقا حميما لديانا ، الهة الصيد ، وكانت تحبه حبا جما فلا ترى الا معه، ولا يرى الا معها . فاصابت الغيرة قلب ابلو العظيم اخيها. والآلهة مثل بني البشر ، كلهم في الحب واحد يغارون غيرتهم . فصمم ابلو على ان يتخلص من اوريون ، مهما كلفه الامر . فدبر الامور وفق هواه وسارت بحسب مشتهاه. كان مرة في نزهة مع اخته ديانا على شاطىء البحر ، وفجأة لمح في البعيد علامة سوداء طافية على وجه الماء . وكانت تبدو بعيدة لا يكاد الرائي يتبينها لشدة بعدها . فأخذ ابلو يتحدى ديانا قائلا :

ـ ديانا ... يا ربة الصيد وسيدة القوس ...أترين هذا الهدف الصغير الاسود الذي يلوح في البعيد ؟

ـ نعم ... اجابت ديانا .

ـ هل تقوين ، وانت من انت ، على اصابته ؟

وقبل ان ينتهي ابلو من تحديه ، كانت ديانا تستل قوسها وترسل في اتجاه الهدف نبلة قتالة من نبالها الحادة لتصيب بها قلب اوريون.. فيغيب في طيات الامواج.

وماذا تستطيع الالهة الجميلة الحزينة ان تفعل من اجل حبيبها الذي قتلته يداها عن غير عمد ؟

فلتعده الى الحياة !! ولكن كيف ؟ فلترفعه الى السماء وليخلد اوريون الحبيب هناك بين النجوم والكواكب كوكبا جميلا وضاء . وكان لديانا ما ارادت ... وكان لنا هذه الكوكبة التي اشرنا اليها في حكايتنا .

اما النجمة المضيئة التي تبدو وكأنها تلحق الجبار ، فهي عند العرب الشعرى اليمانية او الشعرى العبور ، وعند الاغريق والرومان ، تدعى كلب الجبار . والمجموعة بكاملها التي منها الشعرى ، تدعى الكلب الاكبر . وبالقرب منها مجموعة اصغر منها اسمها الكلب الاصغر . وجميع هذه الاسماء اسطورية لها حكاياتها ، واسباب تسميتها تعود الى الاساطير ..

ولنأخذ الاله نبتون مثالا اخر على ما نقول :

كان لنبتون ، على ما تدعي الحكايات ، كل مياه الارض، ملكا خاصا به ، فلم ينازعه فيها منازع .

وكان له قصر فخم عجيب في اعماق الاوقيانوسات . هناك كان يعيش عيشة الاله الحاكم مع زوجته الحسناء امفتريت .

وامفتريت هذه ، مع اختها ثاتيس ، ام اخيلوس ،هما من بنات البحر الجميلات ، عذارى المياه ، بنات الاله نريوس، ذوات الاجسام المؤلفة من نصفين ، نصف بشري ونصف ثان بجسم سمكة . وكن رائعات الجمال ، فاتنات ، مغريات . قيل انهن كن يغوين كل من ينظر اليهن ...

ويرى نبتون في اللوحات والرسوم التي ترسم له شيخا جليلا يمثل واقفا حينا وجالسا في عجلته البحرية حينا اخر ، يحمل صولجانا مثلث الحراب ، رمز القدرة والشجاعة . وكثيرا ما يرى معه في الرسم دلفين او اية علامة من علامات البحر ... فهو اله المياه ... ورب البحار

وفي سنة ١٩٠٤ ، تباشر حكومة الولايات المتحدة بناء قنال البناما لتصل بين مياه الاوقيانوس الاطلسي من جهة والباسيفيكي من جهة اخرى، فتقرب بين عالمين وتسهل وحدة قارتين عظيمتين . وينتهي هذا العمل المضني بعد عشر سنوات (١٩٠٤ ـ ١٩١٤) فترى حكومة الولايات

(١) راجع الاديب عدد يناير وفبراير .

المتحدة عند ذاك ان تفتح القنال بحفلة كبرى يتبارى فيها الشعراء والادباء والخطباء تخليدا لهذا الحدث الرائـــع

ومن اجمل الاثار الفنية التي اوحت بها هذه الذكرى صورة زيتية كبرى رسمها احد الفنانين على حائط القصر الحكومي في مدينة مديسن في ولايات وسكونزن . لم يجد الفنان رمزا لهذا الاتحاد ، الذي اشرنا اليه ، اجمل واقوى من ان يمثل الاوقيانوس الباسيفيكي بألهة اخرى تمد يدها اليسرى ، بانطلاق وانامل منفتحة ، الى نبتون الذي يتلقاها بيده اليمنى في محبة وهناءة .

اما اميركا ، فتبدو في هذه اللوحة ممثلة بفتـــاة تجلس مطمئنة على عرشها ، وهي تبارك هذا الاتحاد .

وما زالت الحفلات ، في وقتنا الحاضر ، تقام على شرف الاله نبتون : ففي روايات البحارة والمسافرين ان المراكب الضارية عرض البحار ، عندما كانت تجتاز خط الاستواء ، كان يستسلم بحارتها ومن عليها من مسافرين الى انواع غريبة من اللهو والتسلية والترفيه ، ويقيمون الحفلات البالغة حد التصور ، تمجيدا للاله نبتون وتقديرا له . وكثيرا ما افاضت الصحف والمجلات الاميركيـــة والانكليزية في وصف هذه الحفلات الغريبة .

ولندرس ،كمثال اخر ، اثر الاله ماركير في حياتنا الاجتماعية الحديثة : ماركير ،او هرمز ، هو ابن الاله جوبتر، ويعتبر امير الكلام ورب القصاصين والخطيب الافصـــح والرياضي العجيب . وهو اله الرعاة وحامي المسافرين . ولقد اعتبره الرومان الها للتجارة والعمل والكسب . يصوره الفنانون دائما بصورة فتى جذاب مجنح القدمين ، يلبس جبة ذات جانحين ، ويحمل بيده عصاه التي خلدت حتى اليوم ، عصا « هرمز » التي يلتف عليها حيتان متشابهتان. اما حكاية هذه العصا السحرية فطريفة تلخص في ما يلي :

قيل ان الاله « مركير » وجد مرة حيتين تقتتلان ،فاراد ان يفصل بينهما ، فلم يجد بدا من ان يضع بينهما عصـاه التي كان يحملها ، وحالا وقفت الحيتان عن القتال والتفتا حول العصا في الوضع الذي نراه الان .

والطريف ان هذه العصا ، في صورتها النهائية التي مر وصفها ، اعتبرت رمزا للجمعيات الطبية العالمية دون ان يكون هناك سبب واضح او مبرر جلي لمثل هذا الاعتبار . ولقد انتشر هذا الرمز بصورة خاصة في الحربين الاخيرتـــين

وكثيرا ما نشاهده اليوم ملصقا على سيارات اكثر اطبائنا.

وكثيرا ما نرى الاندية الرياضية تتخذ رمزا لها رسما لقدم مجنحة هي قدم الاله « ماركير » الرياضي العجيب ، كما اسلفنا .

وتظهر صورة « ماركير » ايضا محفورة على بعـــض القطع الفضية من النقد الفرنسي القديم ، نظرا لعلاقة هذا الاله بالتجارة والكسب ، كما قدمنا ، فكثيرا ما يشاهـــد السائح في عواصم العالم الغربي على حيطان المصـــارف الكبرى وبيوتات المال صورة « ماركير » محفورة حفـــرا هندسيا فنيا يجذب النظر ويلذ له .

ومما ترويه الاساطير عن زهرة النرجس الطيبـــــة الرائحة الطالعة حول مجاري المياه في سواقينا واوديتنـــا وفي سهولنا وجبالنا ما يلي :

قيل ان « ناركيسوس » كان فتى اغريقيـــا جميلا تذلهت بحبه عذارى اثينا وآلهتها ، وكان شديد الاعجاب بنفسه . كان لا يمل من كثرة التطلع والتأمل في صـــورة وجهه الجميل ، وهي تنعكس على غدران الماء وغيطانه التي تملأ الغابات .

وطال تأمله وكثر حتى اصبح الفتى يعشق نفسه : فكان يبدو احيانا كثيرة وهو يتأمل في صورته المنعكسة على صفحات الماء وكأنه يحدثها حديث الوجد والهيام ، محـاولا ان يضمها الى صدره كما يضم الحبيبة الحبيب . . .

وتقول الاساطير ان العاشق المسكين برح به حبـــه نفسه فهزل وذاب أسى وحنينا ثم مات عشقا . . .

وكانت عرائس الماء جد مفرمات بهذا الشاب الحـلو الرائع الجمال فحزن عليه حزنا عميقا واردن ان يقمن لـه مأتما يليق به . فجئن وهن مسبلات الشعور ، يطفح الدمع من عيونهـن ، ويهدهن اليأس ، ليحملن جثة الشـاب الى مدفنها الاخير . . . ولكن يا لحيرتهن !.. لقد اختفت جثة ناركيسوس ولم يجدن مكانها سوى. . . زهرة . . . زهرة رائعة الجمال . . . ما زالت تحمل اسم « ناركيسوس» حتى اليوم . . . هي زهرة النرجس !

واخيرا هذا المثل :

كان « طنطلوس » ابنا «لجوبتر» ووالد « نيوبي » ملكة « ثيبة » التي قتل اولادها الاربعة عشر بسهـــام « ابلو » و « ديانا » .

عاش « طنطلوس » هذا براحـة وامان مع الالهة ، يؤاكلهم ويشاربهم ويستمع الى حكاياتهم ، كما كانوا هـم يستمعون اليه يقص نوادره وحكاياته الى ان بدر منه مـا كان يجب ان يبقى مخفيا . لقد أفشى احد اسرار الالهة . والالهة لا يفشى لها سر . فحكم عليه بالعذاب المؤبد وارسل الى « طرطروس » حيث يعذب الكبار من الخطأة ، بشرا كانوا ام انصاف آلهة !. .

وكان عذاب « طنطلوس » في « طرطروس »عذابا اليما . لقد قضت الالهة ان يوضع امام عينيه دائمـــا وابدا الماء والطعام ، ولكن دون ان يتمكن من الوصول اليهما كما سلطت فوقه جبلا هائلا يكاد يقع في كل لحظة على رأسه ويسحقه سحقا .

ولهذه الحكاية اثرها وعلاقتها بالكيمياء في العصر الحديث

في بعض التراكيب الكيميائية معادن نادرة حـــار العلماء الكيميائيون في تعريفها واعطائها اسما ، وهي مستقلة قائمة بنفسها ، الى ان اهتدى العلماء فسموها باســـم « طنطلوم » ، مستوحين في ذلك اسم «طنطلوس» صاحب حكايتنا المار ذكرها . يقول معجم اوكسفورد : ان من سمى هذا المعدن باسم « طنطلوم » فعل ذلك لسببين :

اولا ، لان العادة جرت عند العلماء ان يطلقوا عـــلى الاجسام الكيميائية اسماء متحدرة من الميثولوجيا الاغريقية وثانيا ، لانه لاحظ ان هذا المعـدن يبقى مـــدة طويلة في الحوامض دون ان يتشربها . . . فكأنه في هـذا شبيـه بطنطلوس وامامه الخبز والماء وهو لا يستطيع الوصول اليها

وهذان الشرطان متوافران في «طنطلوس»،بطل الحكاية

وهكذا نرى ان الاسطورة لعبت دورها الهام في جميع مظاهر حياتنا الحديثة فطبعت الفن والادب بطابعهـــا الاسطوري الخاص وتركت في العلم اثرا عميقا لا يمحى .

الجامعة الامريكية ـ بيروت **موسى سليمـان**

الـوحـدة

ليوسف الخـال

○

أشتكي الوحدة ، لا تعجبْ ، هنا
التربةُ الواهبةَ الجماجمَ افترارَها
العجيبَ ، ازدهارَها الكئيبَ ،
انتظارَها الطويلَ
الطفولةَ الطروبةَ الهيولى •

اشتكي الوحدة ، لي صَمتيَ ، لي
يوميَ اليهربُ مني ، لي غدي :
آه ، ما هذا الذي يُحتضَر ؟
هوذا الليلُ تقضّى وانقضى
وانبزغ الفجر • فلِمْ لا اشتكي
الوحدة من هذا الذي بهرني ــ الضوءُ :

الدواليبُ ، واقدام غزاةٍ ، وعفاريت
بها يرزح البحر ، ينوء الشفق
الاحمر ، تنهار الذرى •

والعواميدُ : أفي الارض يد
رفعتها ههنا في بعلبك ؟
والجنائنُ : هذه الحالمةُ العالقةُ
الجبينِ بالسماء •
والمراكبُ : ويحها الزاحمةُ
الزرقةَ في الخضمّ •
والبخارُ • والشرر
الخفيّ • ونقطةُ الزيت التمزقُ القصيّ ،
الترّوضُ العصيّ ، التصغّرُ الدني •
والقدرُ الاعمى ؟

أهو مريٌّ بعدُ ؟ لا ،
أقيصريٌّ ؟ لا ، ولا تابوتُ عهد
يهدم الاسوار في اريحا ،
يقتل الصغار والعجائز
الاعداء والحبالى •
القدر الاعمى أنا •

أملح أرضٍ ، أم
جبينٌ مسح التراب في
مقابر الملوك ــ هذه الانا ،
أم غيمة عابرة ، أم اقحوانٌ فتّح
الجفون عند مطلع الصباح
فافتقده الصباح ، أم
نعمة سكبها الخلود في مسامع
الضحايا ، أم شبح يسير في
شوارع المدينة الناطحةِ السحابَ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العاليةِ القبابِ ، المغلقةِ النوافذِ
الزجاجِ ـ المدينةِ المقفرةِ الموحشةِ
الخاليةِ الروح ، التي يسكنها اناس •

اشتكي الوحدة قل لي من ترى

يشتكي الوحدة غيري: أفم
جاع حتى جاعت الارض به
فابتلعته ؟ أيمينٌ قصرت فاقتصرت
على الهُنا ؟ أخيال هيض فانهدّ
عياءً ؟ أفؤاد رق حتىذاب ، أم
عقل اذا صدم المجهول ساق القدرَ ؟
أي شيءٍ لم نكن نحن ؟ سلِ الامس
وسل « سرتريا » خلع الخفّ على
الرصيف ، أخفى رأسه الاصلع في
لِحافه عندالضحى •

أي شيء ، أي شيء
لم نكن نحن ؟
الا عصافة كنا ، وكنا الجبل
المحالَ ان تهزه الريح ، بلى
والهرمَ الرفعه العبيدُ ، السواعدَ
الهدّمتِ الباستيلَ والشيّدتِ المدائنَ
القبابَ والحضّرتِ المجاهلَ
اليبــابَ ،

بلى ، وكنا الشاطىءَ اليشدّهُ
بشاطىء طموحنا الرهيبُ ، المغارةَ اليقبعُ
فيها السباد ، الشرفة اليطلُ
منها قيصرٌ وهنيبعل ، الموكبَ اليشقُ
دربه الصليبُ ،

بلى ، وكنا القمة
الصّعِدها الزمان ، الهوةَ الكدسها
الهوانُ بالاضاحي ـ الاضاحيَ الذليلةِ
الكسيحةِ ، الاضاحيَ الشهيدةِ المضيئةِ
السماءَ بالنجوم •

ألا ووحدتي ، ووحدتي
المازلتُ اشتكيها ، اروّع الصباح فيها ،
يروعني الصباح والمساء فيها ؟
وهذه القبور ؟
وهذه السجون ؟
سأفتح القبور والسجون ،
سأخلق الحياة •••
فالوحدة المازلتُ اشتكيها
في خيبتي عرفها ،
عرفها ،
من قبل ان يخلقنا ، الاله •

يوســف الخــال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى اخـي فـــؤاد

نحن والزمان

« هنالك اشياء كثيرة رائعة ، ولكن لا شيء اكثر روعة من الانسان » .
سوفوكل ـ جوقة انتيجونا ـ

بقلم نهاد التكرلي

✳

نحـن والعالـم

« ها انا ذا حاضر تماما ، كامل في هذه اللحظة مـن الديمومة الابدية ، شبيه بمن يتقدم على خشبة المسرح ويقول : انا اوديب ، لي من العمر اربعو نسنة ومن الحكم عشرون عاما . بقوة ساعدي بلغت قمة السعادة . واين ، هذا الطفل الضائع الذي عثر عليه من دون حالة مدنية ومن دون اوراق ، لست سعيدا بصورة رئيسية الا لاني لست مدينا لاحد عدا نفسي بأي شيء . وهذه السعادة لم توهب لي بل لقد قهرتها . »

بهذه العبارات يقدم « جيد » بطله « اوديب » . وهي تفصح بصورة جلية عن يقظة الانسان وشعوره بنفســه . وهي التي نود اتخاذها نقطة انطلاق لهذه الدراسةعن الزمان الانساني . ولكننا يجب ان ننبه اولا بان ما يؤكد عليــه « جيد » وهو هذه الانا البورجوازية التي تفخر بوحدتهـا وتفردها ليست بالنسبة لنا الا لحظة ابتداء فقط . لحظة يستيقظ فيها الانسان على نفسه ليتحمل بعدها مسؤوليته كفضو في مجموعة واسعة من البشر يحدوها امل عظيـم وتصنع تاريخها بنفسها . انها لحظة شعورية من اجـل الانتماء الى الحكم البشري . اما الشيء الثاني الذي نـود التأكيد عليه فهو ان الانا او الذات التي نتحدث عنها ونجعلها موضوعا لدراستنا ، ليست هذه « الكوجيتو » العقلية التي اكتشفها ديكارت ، هذه الانا التي تتأمل نفسها وتعكس ذاتها بل هي كوجيتو جديدة مرتبطة بالحياة « الطبيعية » اوثق ارتباط وهي سابقة على كل تفكير لانها هي الشعور نفسه او هي الشكل الاساسي لكل حياة فعلية . ما هـي معطيات هذا الشعور او هذه التجربة الحية وماذا يمكن ان نستخلص منها ؟ لكي نفعل ذلك يجب ان نعود الى الاشياء « بلحمها ودمها » كما قال هوسيرل ، الى هذا الشعـور الاصيل الذي لدينا عن العالم لكي نلاحظه ونجرد عناصره .

من الواضح اني اشعر بعالم له امتداد لا نهائي فـي المكان ، كما ان له الان وقد كان له في الماضي تطور لا نهائي في الزمان . ماذا يعني اني شاعر بهذا العالم ؟ ذلك يعني اولا وقبل كل شيء : اني اكتشفه بنوع من العيان او الحدس المباشر وان لدي تجربة عنه . فالاشياء المادية كما يكشفها لنا البصر والسمع واللمس وباقي الحواس وفـــق كيفيات الادراك الحسي المختلفة ، موجودة هنا ببداهة بالنسبة لي حسب توزيع مكاني معين . انها « حاضرة » بالمعنى الحرفي والاستعاري للكلمة ، سواء أعرتها انتباها مخصوصا ام لا وسواء اشغلت نفسي بتأملها والتفكير فيها وارادتهـــا والاحساس بها ام لا . كما ان الكائنات الحية ومن بينهـا امثالي من البشر موجودة امامي بصورة مباشرة ايضا . فانا انظر اليها وابصرها واسمعها تقترب واتناول يدها واتحدث معها وافهم بصورة مباشرة ما تتمثله وتفكر فيه ، كمـــا استطيع ان ادرك ما تشعر به من احساسات وما ترغب فيه او تريده . وبالاضافة الى ذلك فهي حاضرة في نطاق حدسي كحقائق واقعة بغض النظر عما اذا كنت التفت اليها ام لا . ليس من الضروري ان تقع هي او الموضوعات الاخرى في نطاق ادراكي الحسي لكي تكون موجودة . فهي حاضره بكيفية حدسية حتىولولم تكن مدركة حسيا وهي تكـون جزءا لا يتجزأ من الموضوعات المدركة حسيا بصورة فعلية . اني استطيع ان اغيراتجاه انتباهي باستمرار ، ان افصله عن هذا المكتب الذي رايته ولاحظته منذ قليل ، وان احمله عبر القسم الذي لم اكن اراه من الغرفة ، وراء ظهري نحو الشرفة ، في الحديقة، نحو الاطفال .. الخ اي نحو جميع الموضوعات التي « اعرف » تماما انها في هذا المكان او ذاك من محيطي وانها حاضرة بصورة مشتركة ومباشرة مـع شعوري . وهذه المعرفة في الواقع ليست من التفكـــير العقلي في شيء بل هي نوع من الحدس الواضح والعيان المباشر . غير ان هذا المجموع من الموضوعات الحاضـــرة بصورة مشتركة وفي آن واحد امام حدسي بصورة يقل او يزيد وضوحها لا تستنفد في الواقع العالم الموجود بالنسبة لي بصورة شعورية . انه على العكس يمتد بدون حـدود وفق نظام ثابت للموجودات . أي ان ما هو مدرك حسيا في الوقت الحاضر وما هو واضح ومحدود امامي الان ، يتخلله في قسم منه ويحيط به افق من الواقع غير المحدد الذي اشعر به بصورة غامضة . وهذا المحيط غير المحدود يمتد بصورة لا نهائية كما ان هذا الافق الضبابي الذي يفلت الى الابد من اي تحديد كامل ، موجود « هنا » بصـورة ضرورية .

وما قلناه عن العالم باعتباره نظاما للموجودات فـي حضورها المكاني ، ينطبق على العالم باعتباره نظاما للموجودات في تتابعها الزمني . فهذا العالم الحاضر بالنسبة لي الان له افقه الزمني غير المحدود في اتجاهية الماضي والمستقبل سواء اكانا معروفين ام مجهولين . وانا في الفعالية الحرة التي تنبثق من تجربتي الحية استطيع ان اتابع هـــذه العلاقات في قلب الواقع الذي يحيطني بصورة مباشرة . فاستطيع ان اغير وجهات نظري في المكان والزمان وان احمل نظري هنا او هناك ، الى الامام او الى الوراء في الزمان . كما استطيع ان اثير في نفسي ادراكات حسية ماضيـة وامتثالات جديدة واستطيع ان اولد صورا يقل او يكثـر وضوحها بواسطتها استطيع ان اسبغ غنى الحدس وقوته على كل ما هو ممكن او ما يمكن تصوره من الاشكال الثابتة للعالم الزماني ـ المكاني .

وهكذا فما دام شعوري حيا فاني اجد نفسي في كل لحظة ـ ومن دون ان استطيع تغيير هذا الموقف ـ عـلى صلة مع عالم واحد هو نفسه مهما كان قابلا للتغير مـن ناحية المحتوى . انه لا ينقطع عن كونه « حاضرا » بالنسبة لي وانا منضم اليه ومندمج فيه . غير ان هذا العالم ليس موجودا بالنسبة لي «كعالم اشياء» فحسب بل هو موجود ووفق نفس الكيفية المباشرة «كعالم قيم» و «كعالم اموال» و « كعالم عملي » . فالاشياء الموجودة امامي ليست مجهزة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصفات مادية فقط بل لها ـ وانا اكتشف ذلك دفعة واحدة وفي نفس الوقت ـ خصائص تقويميه ، فهي جميله او قبيحه ، مسره او كريهة ، مرضيه او غير مقبوله ... الخ كما ان الاشياء تحضر بصورة مباشره كادوات وكموضوعات قابلة للاستعمال : « المنضده » مع « كتبها » والقدح والمزهريه والبيانو .. الخ وكل هذه السيم وهذه الاوجه العمليه تعود للموضوعات الحاضرة ككيفيات مؤسسة لهذه المواضيع سواء انشغلت بها ام لم انشغل . وما يصدق على الاشياء البسيطة يصدق ايضا وبصورة طبيعية على الحيوانات والبشر الموجودين في محيطي . فهم «اصدقائي» او « اعدائي » « مرؤوسي » او « رؤسائي » « غرباء » عني او من «اقاربي» .. الخ

هذا هو العالم الذي اجد نفسي فيه والذي يحيطني من كل جانب ، وبه تتعلق حزمة الفعاليات الانبعاثيه التي لشعوري بجميع اشكالها المتعددة . فالعالم ليس موجودا وحده بل هو موجود مع شعوري ومن اجل شعوري . وهذا الشعور لا يقتصر على اعمال الانا البسيطة التي اشعر بواسطتها بالعالم باعتباره موجودا هنا بصورة مباشرة عندما التفت نحوه بصورة ابعاثية ، بل يشمل جميع الافعال والحالات المختلفة التي تقع تحت نطاق العاطفة والارادة : اللذة والاشمئزاز ، الفرح والحزن، الرغبة والكراهية ، الامل والخوف ، التصميم والعمل ... الخ او بعبارة واحدة ان هذا الشعور يشمل جميع الافعال والحالات الفكرية والنفسية التي اطلق عليها ديكارت اسم « الكوجيتو » ولكننا هنا ازاء كوجيتو جديد ذي طبيعة حية اي انه يرتبط بالحياة الطبيعية اوثق ارتباط ولا يشترط فيه ان يستطيع التوجه بصورة تاملية او « انعكاسية » نحو نفسه . انه كوجيتو لا انعكاسي ومن ثم فهو لا يملك بالنسبة لنفسه صفة موضوعية (١). وهكذا فانا اجد نفسي في كل لحظة مخلوقا معينا يدرك حسيا ويتمثل الاشياء ويفكر ويحس ويرغب .. الخ

غير اني اعرف ايضا بان ما يصدق على « اناي » يصدق ايضا على جميع الاشخاص الاخرين الذين اجدهم حاضرين في محيطي . فانا بواسطة التجربة التي لدي عنهم كبشر ، افهمهم واتقبلهم كذوات شخصية اي باعتبارهم عائدين الى محيطهم الطبيعي . غير اني ادرك بان محيطهم ومحيطي بالرغم من انهما يشكلان من ناحية موضوعية نفس العالم الواحد ، الا انه يصل لشعور كل منا بصورة مختلفة . فهنالك عالم مشترك بين الذوات كما ان هنالك لكل شخص مركزه الذي يرى منه الاشياء الحاضرة ويتسلم بواسطته عن الاشياء مظاهر مختلفة ، اي ان هذا الاختلاف في المركز ضرورة وجودية صرفة وهو لا يمنعنا عن التوصل الى ان نتفاهم مع الاخرين وان نضع بصورة مشتركة واقعا موضوعيا ذا نظام مكاني زماني يشكل بالنسبة لنا جميع محيط الكائنات رغم اننا نجعل من انفسنا في نفس الوقت جزءا من هذا المحيط .

والان وبعد ان قلنا بان العالم حاضر بصورة مستمرة وبشكل من الاشكال امام شعوري وبعد ان عرفنا بان الانسان لا بد ان يكون موجودا ـ في ـ العلم كما يقول هيدجر وان كل شعور لا بد ان يكون شعورا بشيء ما على حد تعبير هوسيرل ، يحق لنا ان نتساءل ما هو كيان الانسان بحيث صار بوسعه ان يشعر بالعالم وان تكون الاشياء حاضرة امامه . اننا نعرف بان العالم عاجز عن ان يحضر امام نفسه او ان يكشف عن نفسه كعالم ، فلا بد ان يكون هنالك كائن مخصوص هو ما سميناه بالشعور بواسطته يكشف النقاب عن العالم . فما هي طبيعة هذا الكائن ؟ قبل الاجابة على هذا السوآل ومن اجل توضيح جوهر هذا الكائن نود ان نتحدث عن الشعور في صيرورته اي عن الانسان كمخلوق يوجد في الزمان .

نحن والزمان

كان « ديكارت » قد تحدث عن الكوجيتو او عبارة «انا افكر » في آنيتها اي كما توجد في « الان » ، والان في الحقيقة نقطة لا بعد لها او حد نهائي لا وجود له ، ومن ثم كان من الضروري لكل بحث في الوجود الانساني ان يقترن بالحديث عن الزمانية او الزمان الانساني كما يسميه البعض . والزمانية في الحقيقة بناء تركيبي له ابعاد ثلاثة هي الماضي والحاضر والمستقبل ، وهنا ايضا سنأخذ بنصيحة هوسيرل في العودة الى الاشياء في لحمها ودمها اي الى تجربتنا الحية عن الزمان والى عناصر هذه التجربة : الماضي والحاضر والمستقبل .

اننا نعيش في الزمان وهذا امر جلي لا يحتاج الى بيان . فنحن منذ ان انتبهنا على انفسنا وعلى العالم كان لنا ماض نتذكره ونفكر فيه احيانا ومستقبل نركض وراءه باستمرار وحاضر يفلت منا على الدوام . متى بدأ زماننا الوجودي هذا ؟ لا شك في انه بدأ بولادتنا ، ولكننا يجب الا نتصور زماننا جزءا من زمان العالم اي ان نتصور زمان العالم تيارا يجري باستمرار منذ الازل واننا نلقى فيه فترة من الزمن ثم نختفي بعد ان نتركه يهدر وراءنا . ليس هنالك في الحقيقة زمن عام كان يجري قبلي ثم ظهرت خلاله فجأة كشعور يعي نفسه وعالمه وصرت اجري في نطاقه الحقيقة هي ان الانسان يولد وولادته هي قانون وجوده الاصيل ، وابتداء من هذه الولادة يتكشف للانسان عالم (له) زمان عام وابتداء منها يرى للعالم ماضيا بعيدا يستطيع ان يحدد فيه لحظة لم يكن فيها شيئا معينا ولحظة ظهر فيها الى الوجود ، لحظة كان هنالك فيها اشخاص لم يولد « منهم » واخرى فيها اشخاص ولد منهم . اي ان العالم لا يكتسب ماضيا الا بولادتي كما ان ولادتي هي التي تحدث لي ماضيا معينا يختص بي . متى ابتدأ هذا الماضي ؟ ان الماضي في الحقيقة لا حدود له . اي ليس هنالك خط واضح يتبدأ منه ماضيٌ ، خط كنت قبله بدون ماضي ثم ابتدأ هذا الماضي بانتكون (بعد) هذا الخط . ان الماضي في الحقيقة يمتد حتى ينزل ويضيع تدريجيا في تلك الظلال المتدرجة التي تستحيل شيئا فشيئا الى ظلمة قاتمة ينطوي عليها جسد الجنين . وعلى هذا فلا يمكن القول ان الشعور في الجنين معدوم تماما ومن ثم فان الماضي معدوم ايضا . هنالك حتى في الجنين بصيص من شعور ، مشروع شعور اذا صح هذا التعبير ، او شرارة ضعيفة كانت تتدرج نحو النور شيئا فشيئا . والتفكير في هذا النشوء التدريجي للشعور في جسد

(١) ادموند هوسيرل « افكار موجهة نحو فلسفة ظاهرانية » خاصة الفصول الاولى من القسم الثاني .

الجنين يثير مشكلة في خاطر الانسان ، فهو لا يتمالك ان يتساءل بشيء من القلق : ما الذي جعلني (انا) نفسي اولد من « هذا » الجنين لا من غيره ؟ ويبدو ان هذه المشكلة غير قابلة للحل وستبقى هنالك مشكلة متافيزيقية للولادة لا يمكن ادراكها بالعقل . ولكن المهم بالنسبة لنا الان هو انه ليست هنالك مشكلة وجودية للولادة لاني عندما اوجد كشعور اكون قد ولدت قبل ذلك أي حالما يوجد شعوري يكون قد وجد على شكل (شعور ــ له ــ ماضي) .

والان نتساءل عن هذا الماضي ، ما هي حقيقته وما هو كيانه ؟ من الواضح ان الزمان بصورة عامة ــ وزمان حياتي ايضا ــ يجري باتجاه واحد اي انه غير قابل للاعادة باية صورة كانت . فكل جريان زمني يتميز بكونه يتألف من « قبل » و « بعد » وقانونه الاساسي ان هذا الـ « قبل » يعقبه هذا الـ « بعد » وهكذا باستمرار أي ان هذا الحاضر يصبح ماضيا وهذا المستقبل يصبح مستقبلا سابقا وهكذا. وهذا يعني ايضا بان هذه «الواقعة» بعد ان اصبحت «بعد» واقعة معينة لا يمكن ان ترجع فتصبح مرة ثانية قبلها . وكل هذا له معنى واحد هو ان الماضي لا يمكن ان يعود وانه حدث مرة والى الابد . وهذا يعني ايضا بان طفولتنا وشبابنا والاشخاص الذين كنا نحبهم ، ثم ماتوا وسعادتنا الماضية ، كل هذا لا يمكن استعادته ابدا . لماذا ؟ في بعض الاحيان يشعر الانسان بغصة عندما يلقي على نفسه هذا السوآل . اين ذهب ذلك العالم الجميل السعيد الملون بتلك الالوان الزاهية ؟ هل نستطيع العثور عليه في يوم من الايام أم ان هنالك روحا سحرية تلبسته فجعلته وستجعله دائما خارج متناول ايدينا ؟

قبل الاجابة على هذا السوآل لا بد ان ننقد مع سارتر (٢) نظريتين بسيكولوجيتين في الذاكرة . الاولى مثالية عقلية تحدرت من ديكارت وهي التي انشأت نظرية « الاثار الدماغية » الشهيرة . وهي تنسب الوجود الى الحاضر وحده وتعتبر الماضي عدما لم يبق منه الا أثار مادية « حاضرة » في الدماغ . ولكن العقبة التي تصطدم بها هذه النظرية هي انها لا تستطيع ان تفسر سلبية الذكرى . اي كيف يكون بوسع شعوري عندما يتذكر ان يعلو على الحاضر ليتجه الى حادثة سابقة فيلقاها « هناك » حيث وجدت وفي الزمن الذي حدثت فيه . كما انه بموجب هذه النظرية لا يمكن التمييز بين الذكرى والصورة الخيالية ما دامت هذه الاخيرة تقدم نفس المميزات التي للاولى .

اما النظرية الثانية وهي التي تبنتها الفلسفة البرجسونية فهي واقعية اي انها تعترف بالوجود للماضي اي ان هذه الحادثة « الماضية » موجودة ولكنها تختلف عن الحوادث الاخرى الحاضرة بكونها احيلت على التقاعد أي انها فقدت فعاليتها من دون ان تفقد وجودها فهي باقية « في مكانها » في تاريخها الى الابد . ولكننا حسب هذه الفكرة لا نستطيع ان نفسر كيف سيكون بوسع الماضي ان يولد من جديد ، ان يمازجنا وان يكون موجودا « بالنسبة لنا » .

والحقيقة هي اننا لا نستطيع ان ندرك كنه الماضي اذا بدانا بقطع الجسور بينه وبين الحاضر . فالماضي ليس عدما كما انه ليس عالما مسحورا مغلقا على نفسه يعيش في صمته الابدي . انه قبل كل شيء خاص (بي) اي انه ماضي هذا الحاضر الذي اكونه الان . فهو ليس (لا شيء) كما انه ليس الحاضر بل هو تابع وعائد الى ينبوعه الاصلي الذي ينبثق منه اي الانسان بكليته كما هو كائن الان . فهذا العالم الطفولي الذي اتذكره ليس موجودا الا لانه مرتبط بي اي لانه يتصل بحاضري . انه لا يمكن ان يبدو في عزلة تامة وسيكون تصورنا له على هذا الشكل تصورا لا معنى له . فالماضي يتميز بكونه ماضي شيء معين او شخص معين . وفي الحقيقة لا يوجد هنالك ماض (عام) يتجزأ الى مواضي اشخاص بل العكس هو الصحيح . وهكذا فالاشياء والحوادث السابقة والوقائع المتقومة التي اختفت الان لا تكون ماضية الا باعتبارها جزا من ماض متقوم لشخص تجاوزها وهو باق يعيش بعدها الان . وهنا يحق لنا التساؤل عن امواتنا ، ما هو مصيرهم الان واين ذهبوا ؟ ليس من شك في انهم كانوا يملكون ماضيا عندما كانوا على قيد الحياة وكانوا يحيون ذلك الماضي . اما الان فانهم لا يمكن ان يكونوا الا جزءا من ماضينا . نحن وحدنا المسؤولون الان عن وجودهم لان حريتنا وحدها هي التي تستطيع نقلهم وانقاذهم بان تجعلهم جزءا من ماضيها . وفي الوقت الذي نهملهم ولا نعود ــ انا او انت ــ ننقلهم فيه الى ساحل ماضيي او ماضيك فانهم لن يكونوا عندئذ « ماضيا » بل سيغرقون هم وماضيهم في لجة العدم .

هذه الملاحظات تقودنا الى ان نرفض الماضي عن

(٢) جان بول سارتر « الوجود والعدم » الفصل الثاني من القسم الثاني وهو المتعلق « بالزمانية » .

اكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : مدام ومسيو كاربيس

الحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس
وعضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

اقصدوا المعهد الذي حاز على ثقة ورضى جميع
الذين تعاملوا معه من العائلات وافراد المجتمع

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

تلفون ٣١٣٩٦ ص.ب ١٤٩٩

بيروت ــ شارع السور ــ امام صيدلية حمادة

الاشياء الموجودة في العالم ، لان الماضي كما رأينا ليس سوى خاصية اصيلة لكائن يملك القدرة على تجاوز حاضره والاندفاع نحو ماضيه . انها خاصية وجود يستطيع الا يكون نفسه وهذا هو الوجود الانساني . ان الاشياء لا يمكن ان تملك ماضيا وهي لا تستطيع الا ان تكون جزءا من ماضي انسان يحيا الان في الحاضر . الانسان وحده هو الذي له ماض .

ولعل البعض يتساءل عن المخلوقات الحية ــ النباتات والحيوانات ــ الا يمكن ان يكون لها ماض ؟ والحقيقة هي انه لا يمكن البت في هذه القضية . اننا لكي نستطيع التصور بان « للحياة » ماضيا يجب ان نبرهن اولا على ان المادة الحية هي (شيء اخر) غير النظام الفيزيائي الكيماوي الذي تتألف منه وهذا ما لا سبيل الى اثباته ولعله سيبقى في نطاق الاحتمال . ولكن الشيء الاكيد هو ان هنالك وجودا خاصا نعرف بصورة يقينية انه يستطيع الا يكون نفسه ، ان يكون ماضيه ولا يكونه في نفس الوقت وهذا هو الوجود الانساني . بواسطة الانسان وحده يطرأ الماضي على العالم ويمكن ان يبرز للعالم هذا البعد الجديد.

ولكني في الحقيقة لا اكون ماضيي فحسب بل استطيع ان اكون امكانياتي المستقبلة ايضا . اي اني لست الطفل الذي كنته منذ سنين عديدة والموظف الذي كنته قبل سنتين والشخص الذي كنته قبل يومين ولكن الشخص الذي يمكن ان اتقمصه بعد شهرين او سنتين . اني هذا الشخص الذي اضرب معه موعدا منذ الان والذي انوي لقاءه بعد شهر مثلا .

غير ان الماضي يختلف في طبيعته عن الامكانيات وهذا ما نريد ان نبينه منذ الان وقبل الحديث عن المستقبل . فالاختلاف الجوهري هنا يكمن في ان : هذا الشخص « الممكن » الذي اريد ان اكونه في المستقبل ، هذا الانسان الذي سيحصل على دبلوم في القانون الذي اتواعد معه منذ الان ، موجود امامي « كامكان » محسوس . اي بالرغم من اني اكونه منذ الان بصورة من الصور ، الا ان هنالك « الى جانبه » اشخاصا اخرين موجودين ايضا ــ وان كانوا على درجة اقل لاني لا اتجه نحوهم الان ــ وهذا يعني بان من المحتمل جدا الا التقي بالشخص الحاصل على دبلوم بل التقي بشخص فشل في الحصول على دبلوم ، او رفض الحصول عليه ، او تمرض فتعذر عليه الحصول عليه ... الخ وهذا هو جوهر كينونتي للاشخاص المستقبلة . اما الشخص الماضي الذي (كنته) فانه لا يملك اية امكانية اي ليس هنالك ولا يمكن ان يكون الى جانبه (اي شخص اخر) وهنا هو الاختلاف الجوهري بين طبيعة الماضي وطبيعة المستقبل . وهذا يعني باني لا استطيع تغيير الماضي لانه حدث وانتهى امره الى الابد (٣) . انه اصبح شيئا من الاشياء . وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعلني لا استطيع ان احيا في الان مرة اخرى . لذلك اني لا استطيع الدخول الى عالم الماضي من دون ان اختنق كشعور لانه كما قلنا عالم لا امكان فيه وانا لا استطيع ان اوجد من دون امكان .

وهكذا فالماضي لم يصبح عدما لا وجود له كما انه ليس عالما ضائعا لا استطيع العثور عليه . انه موجود ولكنه موجود ورائي كعبء احمله على كتفي واجرر اذياله اينما اسير . اني أكونه باستمرار ولكني لا استطيع ان أحييه ابدا . والان اذا كان الماضي لا يمكن ان يوجد الا بالنسبة لحاضر يضيئه ، فما هو هذا الحاضر وبماذا يتميز ؟

من الواضح ان كل ما يوجد في الحاضر يتميز عن غيره من انواع الوجود بخاصيته الاصلية وهي (الحضور) فالحاضر هو حضور ، اي علاقة باطنية تجعلني انا الكائن الشاعر شاعرا بشيء ما ، بنفسي وبجسمي وبالعالم الذي حولي . والعلاقة هنا ليست خارجية اي ليست علاقة تجاور لاننا لا نستطيع ان نقول عن الكرسي والمنضدة انهما حاضران امام بعضهما . ان فكرة تجاورهما نفسها لا يمكن تصورها الا اذا كان هنالك « شاهد » يوجدان بالنسبة له في آن واحد ويكونان حاضرين بالنسبة لوجهة نظره . فالاشياء بحد ذاتها اذن ليس لها القدرة على الحضور امام بعضها لان الحضور كما قلنا علاقة باطنية . لا بد ان يكون هنالك وجود لديه القدرة على الذهاب (الى) الاشياء ومواجهتها لكي يمكن ان توجد بينهما علاقة تسمى الحضور وهذه هي خاصية الوجود الانساني او الشعور الانساني . ومعنى ذلك ان الانسان وحده يستطيع ان يكون حاضرا امام الاشياء وامام العالم وان « يدوم » اثناء اتصاله بالعالم فيدوم العالم معه خلال الزمان . وهذا يعني ايضا ان الانسان مهما فعل لا يستطيع الا ان يجد نفسه في الحاضر منفصلا عن العالم وعن نفسه ولن يستطيع مهما فعل ان يحصل على ذلك الانسجام او الاندماج الاصيل الذي يحن اليه ، تلك الراحة المطلقة التي تخلصه من عبء نفسه وعبء العالم . لا بد ان يبقى يحقق نفسه في الزمان وامامه هذا العالم القريب منه البعيد عنه في نفس الوقت . ومعنى هذا ايضا الا سبيل لبلوغ اللازمانية . ذلك ان الابدية التي يحلم بها الانسان ويحن اليها ليست في الواقع ديمومة لا نهائية اي زمانا لا اخر له . انها لا يمكن ان تكون هذا السعي العقيم وراء الذات التي لا استطيع الا ان اتحمل مسؤوليتها دائما ، ولذلك فهي ليست سوى الراحة في الاندماج مع الذات ومع العالم . هي اللازمانية هذا التوافق المطلق مع الذات وهذا هو الشيء الذي لا يمكن تحقيقه لان تحقيقه يعني القضاء على الوجود الانساني . وهكذا فالانسان في الحاضر حاضر امام نفسه وامام العالم وهذا هو جوهر وجوده .

ولكن الانسان لا يمكن ان يقتصر على الحاضر فقط بل لا بد ان يكون امامه دائما افق متسع الارجاء هو عالم الامكان اي عالم المستقبل . وهنا ايضا نؤكد على هذه الحقيقة الرئيسية التي كررناها مرارا وهي ان الاشياء بحد ذاتها وموضوعات العالم لا يمكن ان تكون مستقبلا او ان تحتوي على ذرة من المستقبل ، لان المستقبل كما قلنا افق وهو لا يمكن ان يوجد الا بالنسبة لمخلوق مفتوح على نفسه وعلى العالم . اما الاشياء فمغلقة على نفسها دائما وهي غارقة في ظلام دامس بصورة مستمرة . وفي الحقيقة ان المستقبل وحده هو الذي يجعل الحاضر موجودا

فرنسا ــ بواتييه **نهاد التكرلي**

[التتمة في صفحة ٧٢]

(٣) ولكن هذا لا يمنع من ان استطيع تغيير « معنى » هذا الماضي.

اشراقة خادعة

○

في الصحاري .. همسة الاحلام للوجد المثار
وارتعاش النور في صمت المساء
وأناشيد حيارى في عيون الشعراء
والتراب ..
التراب اللاهب الظمآن يغفو في العراء
فوق جفنيه طيوف من دماء
والافاعي الماكرات تتلوى في ارتخاء
ثم تخفي رأسها تحت الرمال
والغراب ..
ينقر الدود بصمت وارتياب ..
ثم يرميه بعيدا في ملال ..
والسراب ..
آه ما أحلى السراب !
ومضة النور وأحلام اليباب
خفقة الآمال في قلب الضياء
وانعتاق النغم الساحر من دنيا الصفاء
والظلام ..
والنجوم البيض حب لا ينام
وعذاب شارد الدمع ، وسر من ضرام
ألسراب ..
السراب الخادع الملعون يغفو في العراء
ويغني للتراب قصة الوهم على جفن الضباب
وصراع اليأس في قلب المساء
فتجن الارض شوقا للسماء !
والمدى الجبار يطوى في الخفاء
فاذا الارض نشيد ساحر الانغام مفتون الرنين
وصداه المرح النشوان حب وحنين
والمدى الجبار يطوى في الخفاء
فاذا النجم صفاء وانطلاق وغناء !

العراق ـ المقدادية «الزهرة البيضاء»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تطور العدالة

بقلم اميل توفيق

✳

حينما نبحث التطور التاريخي للقانون ـ في دراستنا للنظم البدائية ـ نجد ان نقطة البداية هي حيثما توجد العقوبة . والعقوبة ظاهرة اجتماعية تصدر عن المجتمع لتؤدي في النهاية الى سلامته ودرء الخطر عمن تحدثه نفسه ان يجرم في حق المجتمع . ومعنى العقوبة هوتوقيع نوع من الالم على من يخل بالقواعد او الاحكام الاجتماعية . فالقانون law انما هو اية قاعدة اجتماعية يؤدي الاخلال بها او الانحراف عن اتباعها الى توقيع العقوبة الملائمة . ومعنى القانون في نظر الانثروبولوجيا يتحدد كذلك بحقيقة اخرى وهي وجود سلطة معينة تختص بتوجيه الاتهام والاقتصاص من المتهم .

والعقوبة بطبيعتها مقياس استثنائي ، فالناس تجيز القانون والعقوبة الناتجة عن كسره ، لان غالبيتهم يتبعون احكامه ، ولان هناك خشية من القلة التي ستخل بهذه الاحكام . اذ لو كان كل انسان يسير بطبعه بمقتضى القانون دون استثناء لما قام قانون ، ولما كانت حاجة لوجوده . وفي القبائل البدائية يصعب وجود القوانين ، وذلك لان الناس ـ في غالب الاحيان ـ لا تنحرف عن العرف الاجتماعي ، ولا يدور بخلد الفرد ان يخرج على اوضاع مجتمعه .

والعرف الاجتماعي custom او التقليد هو بمثابة الطاغية المتحكم في المجتمع البدائي . لقد سئل احد رؤساء قبيلة تاهيتي Tahiti : لماذا هم يأكلون منعزلين بعضهم عن البعض فكان جوابه : (لان هذا حق) . وبمثل هذه الروح المسيطرة يؤدي الناس في المجتمع البدائي افعالهم « فهو العرف وكفى !» في شئون السياسة والاخلاق . وهذه الظاهرة جمود رجعي عنيف ، وترجع نفسيا الى وظيفة المحافظة على التراث التقليدي وهي وظيفة تؤدي الى التماسك والترابط . ومهما تحدث من تغيرات فيها او انحرافات عنها ، فان المفروض الا تحدث بسبب وجوب هذا التماسك . والقانون الاجتماعي ـ في المجتمع البدائي ـ قانون حرفي فهو بمثابة شريعة مادي وفارس ، التي لا يعتورها ـ من فرط صرامتها ـ تغيير او تبديل . ولاحترام العرف مزايا ، كما ان له مضاره . ومن مزاياه انه يتضمن عنصر النظام ، الذي بدونه ينهار المجتمع وينحل . ونحن اذا تأملنا طبيعة الانسان المتوحش نجده في آن ما صديقا حميما ، وبعد لحظة ينقلب عدوا لدودا . ومن هنا كان المجتمع البدائي اكثر استمساكا بالقانون وبحرفيته من المجتمع المتمدن ، لان الفرد البدائي يحتاج في كل وقت ليد القانون الصارمة .

اما السيئة التي تنجم عن اتباع العرف والتقليد حرفيا ، فأساسها ان الروح المحافظة الرجعية تمتد الى كل انواع السلوك الانساني ، العقلية منها وغير العقلية . ويحدثنا السير تايلر E. Taylor في كتابه Primitive Culture عن قبيلة الدياك Dyaks في جزيرة بورنيو فيذكر ان الرجل اذا شذب شجرة بالطريقة التي يشذب بها الرجل الاوروبي يعرض نفسه لعقوبة او غرامة فادحة ولما عرفوا ان الطريقة الاوروبية اجدى عليهم واوفر جهدا ، كانوا يعملونها بحذر فيما بينهم . اما المستر A. R. Wallace في حديثه عن نفس هذه القبيلة فيصفهم بالهدوء والدعة في المعاملات والعلاقات الاجتماعية العادية . ومع ذلك فهم يقومون برياضة صيد الرؤوس البشرية head-hunting ويفسر والاس ذلك بقوله : انه العرف الذي يجري عليه الناس ، فلا يرون في ذلك خروجا او انحرافا او شذوذا .

فالعاهات الاجتماعية تصورات يخضع لها الفرد ، بلا تعقل او منطق ، وهو لا يخرج عنها ولا يتجاوز نطاقها الا عندما تنمو فرديته وتنضج وترتفع فوق تلك التصرفات الرتيبة ، ويبدو نضجه فيما تعكسه هذه الفردية من غايات ووسائل ومطامح تخالف غايات المجتمع ووسائله ومطامحه . ان الصدام بين الفردية النامية ، وهذه التصورات الاجتماعية المفروضة ، هو اول شرارة انبثقت عنها انوار المدنية ، ذلك لانها اضاءت شعلة الفكر بالنقد ، وبالجدل ووضع الامور موضع البحث ، ثم موضع التجريب فيما بعد . ولقد تألقت هذه الشرارة في الفكر اليوناني القديم لانهم خرجوا عن اوضاع المجتمع المفروضة وافكاره ، ووضع فلاسفتهم مسائل الحياة على بساط من الجدل القريب من العلم .

ومن العجيب ان هناك ظاهرة تبدو في المجتمع بينة حتى في المدنيات الحديثة . وهي اننا قد نتطور ، ونغير من تقاليدنا وعاداتنا ، واراءنا ، ويصبح العرف الماضي في نظرنا سخافة من سخافات العقل المخرف ، ومع ذلك تبقى في نفوسنا ، او في نفوس الكثير منا عادات نقوم بتأديتها لا بوحي العقل ، ولكن من تلقاء انفسنا بوحي الماضي . فكأنما هناك انسان يعيش في الماضي السحيق ، رغم نمو حاستنا الناقدة وعقليتنا العلمية ، وهذه الرواسب او الباقيات survivals هي اشبه بالدوافع النائمة . ومن هذه ايضا الخرافات الشعبية والتقاليد العتيقة التي نجدها في كثير من الدول التي بلغت شأوا كبيرا من الحضارة كاليونان او بريطانيا وغيرهما .

والان نبحث بداية القانون المرتبط بالعقاب . يحدثنا مستر مان عن المجتمع في جزر الاندامان Andaman Islands في المحيط الهادي فيذكر ان العدالة هناك تؤدي بشكل جماعي . فالجماعة المظلومة تقتص لنفسها بنفسها . انها تأخذ القانون بين يديها . امثال ذلك ان يرجم المجرم بشعلة من النار ، او بسهم حاد من بعد قريب . اما سائر افراد الجماعة فينسحبون ويختبئون وراء اكمة من الاكمات وينتظرون حتى تمضي فترة القصاص بزمن كاف حتى يعودوا ثانية . واحيانا يتدخل بعض الاصدقاء لفض المنازعات . وقد تطورت هذه الحالة بفضل الحاجة الى التنظيم الاجتماعي والى ضرورة وجود معايير يخضع لها الافراد في الجماعة البدائية . فالاصدقاء الذين يناط بهم عبء فض المنازعات اختياريا اصبحوا لازمين في المجتمع المتطور ، وذلك على شكل هيئة اجبارية هي قوة البوليس . واذا رجعنا الى المجتمع الطوطمي حيث نجد التنظيم الاجتماعي المعقد ، نجد الانتقام الدموي التزاما من الالتزامات الاجتماعية لاعضاء العشيرة . فالانتقام في نظر المتوحش هو كل القانون .

وفي المجتمع الطوطمي هناك قانون تأديبي تقره الجماعة ويطبق على كل انسان مخالف للقواعد الاجتماعية ،

واهم هذه القواعد الاخلال بقاعدة الزواج من خـــارج العشيرة exogamy فهذه القاعدة تحرم الزواج مـــن نساء العشيرة . والشخص الذي يغتصب فتاة مـــن عشيرته ــ وهي في العرف محرمة عليه ــ يذبـح ذبحا . وهناك صورة اخرى لهذا الانتقام وهو اخذ الثأر ، ذلـــك ان بين العشائر التي تنضم الى قبيلة واحـدة يتحتم ان يحكم على العشيرة التي ينتمي اليها القاتل مثلا ، ان يقتل منها شخص ما ولو كان يعرف انه بريء . وهذه تعـرف بالمسئولية الجماعية Collective responsibility ، وهي التي من اساسها تتطور ــ خلال الاحداث التاريخية ــ المسئولية الفردية .

لقد كانت الطريقة الجماعية في فض المنازعات طريقة طبيعية عندما كان الناس موحدين في هيئات ترتبـــط بعلاقات من القرابة . ومن الجهة الاخرى عندما كان المجتمع خاليا من السلطة التي يناط بها مسألة القضاء او اصدار الاحكام او التوفيق بين المتخاصمين ، كانت الطريقة هـي ان ينشب العراك بين الفريقين ، ويحاول الفريق المعتـدى عليه ان يقتنص المجرم الفعلي ليقتص منه واذا لم يتمكن من ذلك يفتك بأي شخص اخر في مقابل المجرم . وقد فطن الناس بعد ذلك ان المسئولية ينبغي ان تنحصر فـي افراد الاسرة من الاقارب الذين يرتبطون بوشيجة الـدم كالابن والاخ والاب واما الاخرون من افراد القبيلة فيأتون في المرتبة الثانية .

وقد حدث هذا التطور بين القبائل الاسترالية وجماعة الاسكيمو ، فقد كانت تنشب المعارك الجماعية بين عشائرهم وبمرور الزمن اقتضى التطور ان يختار من بين كل عشيرة متنازعة فئة معينة هي الفئة التي يختص بها الاتهام او الجريمة . ومن هنا نشأ مبـدأ المبارزة duel ومثال هذا الانتقال يتضح بين الجماعات السود في بورت لنكولن . ذلك ان اخا القتيل يستدعي للمبارزة ، وتباح هذه المبارزة لكل من يهمه الامر لكل من الجانبين . وفي شمـال امريكا نجد المبارزة لدى جماعة الاباش Apaches ولكن في صورة شكلية .

وتظهر صورة اخرى جماعية في تاريخ التطـــور القانوني ، وهي المبارزة المشروعة legal duel او القانونية وبموجبها يتحتم على اهل المجرم ان يدفعوا الثمن بالمبارزة. ويقول كرانز Cranz ان جريمة القتل بين اهل جرينلاند Greenland جريمة نادرة لان الفرد منهم يدرك تمامـا ان عاقبة القتل هو الانتقام من غيره من افراد أسرته او من أعز أصدقائه . ولعل في هذا الادراك الصحوة الاولـــى للشعور بالمسئولية الفردية .

ولما كان مبدأ المبارزة ذاك ، لا يعمل على فض النزاع نهائيا ، لعدم تكافؤ القوة بين الفريقين المتنازعين مثلا ، فقد خطا القانون خطوة اخرى لحسم المنازعات في صورة اخرى وهي مبدأ المحنة ordeal فلدى جماعة الاستراليـــين البدائيين ، يقف القاتل في ساحة معينة ، ليستقبل مـن الحراب والسهام ما تصوبه على جسده الفئة المجنى عليها ، على اساس ان هذه المحنة تحسم المنازعة بين الطرفين نهائيا .

ولحسن حظ المجرم او القاتل ، ان يمر وقت طويل قبلما تجري محاكمته وعندئذ تهدأ سورة الغضب فلا يطالب بدمه . ومن هنا جاء مبدأ آخر هو مبدأ التعويـــض Compensation يطالب به المجنى عليه ــ او اهله ــ في مقابل الدم المسفوك . والواقع ان المجرم اذا امسك عقب جريمته اعدم على الفور ، اما اذا استطاع الهرب كـــان مطالبا بدفع غرامة يسمونها غرامة الدم blood fine اي في مقابل النفس التي ازهقت . ولدى جماعة الاروكـوا Iroquois يمكن المتهم ان يفدي نفسه من القتل بان يقدم منحة لاهل الجريح ، يكون بعضها ثمنا لتضميد الجراح والبعض الاخر لمن يعيد السلام والطمأنينة بين اهل العشائر.

ووفقا لقاعدة المسئولية الجماعية ، فان رجال العشيرة يشاركون في ثمن الكفارة او الفدية . ومن ثم تفرض على الجميع جزية تتفاوت مقدارها تبعا لدرجات القرابة للمتهم ثم تجمع وتعطى لاهل المجنى عليه .

وتأتي بعد ذلك مرحلة ينتقل منها حق القضاء مـن الولاية العائلية الخاصة الى هيئة قضائية عامة . ففي امريكا وفي افريقيا وغيرهما نجد ان رئيس القبيلـــة او روساء العشائر يعلنون القضايا ولكنهم يتركون تسويتها للعشيرة او للاسرة ، او ان يؤتمن الاقرباء على القيام بتوقيع العقوبة ، ولكن في الحدود التي يرسمها اولياء السلطة من الرؤساء . ففي الحبشة مثلا ينفذ الحكم على القاتل اقرب قريب للقتيل، وذلك بحضور الملك او من ينوب عنه ، مستخدما في ذلك نفس السلاح الذي استخدمه القاتل في جريمته .

وقد انكمش حق القريب في توقيع العقوبة حتـى صار تقليدا شكليا ففي الافغانستان نجد المتهم يمثـل امام اسرة القتيل ، وهذه بدورها تمثل لحكم السلطـــة القائمة دون ما تدخل . وفي ساموا Samoa يقف المتهم ليظهر الخضوع امام اسرة المجنى عليه ، كدليل بانه واقع تحت رحمتهم ، في حين ان الرئيس يقوم هو بالتنفيذ .

ان التطور القانوني مرتبط في تاريخه البدائي بالعقوبة الخاصة بالقتل اكثر من اية جريمة اخرى . فالزنى في نظر المتوحش يعتبر تعديا ولكن بدرجة اقل من درجة القتل . اما المراحل القانونية المختصة بعقوبة الزنى فتكاد تكون هي نفسها المراحل التي ذكرناها . فالعراك ثم المبارزة ثم المحنة ، ثم الاختيار بين عقوبة الموت والغرامات ، ثم الانتهاء الـــى مرحلة الفدية او الغرامة هي المراحل التي مرت بها تلك العقوبة.

غير ان هناك فارقا بين جريمة الزنى او السرقة ، وبين جريمة القتل فالاولى تعتبر مدنية اي تعديا على الافراد ، واما الثانية فتعتبر تعديا ضد الجماعة او ضد امن الدولة. وقد استطاع البدائيون ان يفرقوا بين ما هو فردي ، ومـا هو جماعي كما في قانون قبيلة الكفير Kafir

بقي ان نذكر نصيب المرأة من العقاب ، في جريمـة الزنى . ففي المجتمعات التي سارت شوطا في المدنية ، مثل المجتمعات الرومانية نجد القانون يقر ما يسمى قضـــاء العائلة حيث يعطي رب الاسرة حق الرياسة واخضاع افراد اسرته التي تتكون من زوجه واولاده وارقائه للنظام الذي يراه ملائما لهم . وقد كان القضاء العائلي ذاك مستقـــلا عن قضاء الدولة ، وقد ظل كذلك عهدا طويلا في اوروبة قبلما يصبح لقانون الدولة السيادة الشرعية المطلقة .

وهنا ينبغي ان نتساءل: ما الذي نلقيه دراسة المجتمع البدائي من ضوء على بداية القانون العائلي الذي ينفذ احكامه رب الاسرة ؟ ان هذه المسألة مرتبطة بتطور الاوضـــاع الاسرية واهمها التطور من النسب الاموي ؛ حيث كانـت للام حق الامومة ، وحيث كان الخال يعتبر ولي الامر بالنسبة لاولاد اخته ، وحيث كان الاب الى حد ما غريبا عن عشيرة

زوجته .. الى النسب الابوي حيث اصبح الاب ـ وخاصة عند بدء الرعى ونمو الجماعات الزراعية ـ هو المسئول عن اسرته وينتسب اليه ابناؤه كما هو العرف في مجتمعنا الحديث .

ان أعلى مرتبة لحق الامومة ، هي الحالة التي تكون فيها الاقامة العائلية بين عشيرة الزوجة ، في المجتمع الاموي . فان نشب عراك بين الزوجين في مثل هذا المجتمع، دافع عن الزوجة اهلها . وهذه الاقامة تفسر لنا ندرة جريمة الزنى في تلك المجتمعات وحتى ان قارفت الزوجة هذه الجريمة ، فان حرية الزوجة بفضل حق الامومة ، تكفل لها ان تضع نهاية للزواج ، بطلاقها من زوجها . اما عندما تقيم المرأة بين عشيرة الزوج ، فالامر يختلف تماما ، اذ ينظر الى تلك الجريمة نظرة جدية .. الامر الذي يفسر لنا كبر نسبة حدوث هذه الجريمة في المجتمعات الابوية .

على ان الاتهام لم يكن قاصراً على جريمتي القتل والزنى . فالسرقة والافتراء جريمتان محدودتان في المجتمع البدائي . ولئن كانت السرقة جريمة قليلة الحدوث ، فان المعارك كانت تنشب بسبب اعتداء الجماعات بعضها على بعض وقد يكون ذلك من اجل مغانم الصيد ، وانتهاك ملكية الارض ، او الاعتداء على البقاع المشروعة لصيد السمك . وقد كانت المبارزة هي الصورة القانونية التي بها يحسم الاستراليون القدامى نزاعهم الخاص باغتصاب ملكية الاراضي . ولم تصبح جريمة السرقة ذات موضوع الا عندما تميز المجتمع الى طبقة غنية باملاكها ، وطبقة معدمة، اذ اصبغ للسرقة ما تستحقه من عقوبة قاسية .

اما الافتراء او القذف في حق الناس ، فقد كان من الامور التي تغيظ البدائي اشد الغيظ، فليس أدعى لاستفزاز غضبه من ان يهان اسمه او تخط كرامته . وبين قبيلة الكفير مواد تختص بالنظر في هذه التهمة المدنية ـ ولدى قبيلة بانجندو الافريقية نظام اجتماعي لفض المنازعات ، يختص بمقتضاه بعض الرجال بوظيفة أقرار الصلح والسلام وحسم الخصومات . ولعل في وجود هذه الوظيفة ما يجعل صانعي السلام هؤلاء يلتمسون خلق المنازعات كسبا لارزاقهم

اما الجرائم التى تعتبر تعديا على سلامة الدولة او الاخلال بامن المجتمع كالتخلف عن الحرب ، او جرائم الاحتيال ، فلها من العقوبات ما يقترن بالازدراء والتعيير . فبين القبائل الامريكية ، تقطع ذراعا الجبان المتخلف عن الحرب ، او يحكم عليه بان يأكل بين الكلاب ، او ان تلقى على جسده السهام والحراب . اما الخائن فيذبح بلا رحمة، او يربط في جذع شجرة ثم يقتل رميا بالرصاص اويقطع جسده اربا . وبالطبع قد عمل تطور اساليب الحروب على تحديد المواد القانونية للتهم المتعلقة بالحرب وعقوباتها . على أن تتبع مثل هذا التطور مرتبط تمام الارتباط بمراحل نشأة الملكية . فالقتال المستمر من جانب قبيلة من القبائل ـ كما في قبيلة الزولوس Zulus ـ يخلق حالة تستوجب تنصيب امير للحرب War-lord او قائد يملك في يده السلطة الدائمة . وهذا جانب من تاريخ نشأة الملكية .

على ان الطمأنينة التي يستشعرها البدائيون هي في اساسها طمأنينة روحية ـ اي الشعور بالامن وبالحرية من مخاوف القوى الغامضة والخطر من الارواح التي تملأ ـ في نظر البدائي ـ الكون باجمعه . ان الخوف من نحس الحظ هو الروح الشريرة التي تهدد كيانه ليلا ونهارا ومن أجل ذلك تصبح حياته مسيجة باسوار من المحرمات او اللامساسات Taboos والتابو (كلمة ميلانيزية تعني المحرم) هو كل شيء ينهي المرء عن فعله ، ويعتقد انه لو فعله أجلب له الشؤم والحظ التعس . لذلك كان من يقترف خطية من الخطايا او الامور المحرمة ، مطالبا بان يمسح عنه هذه الخطية ، والا كان عقابه المسح من المجتمع .

ويهمنا ان ندرك طبيعة تطور القانون

فالعلامة الفرنسي اميل دوركايم يفسر كل ضغط اجتماعي ـ ومنه انواع الضبط control ، على انه ظاهرة اجتماعية خارجة عن تصورات ضمائر الافراد .. اذ هم يخضعون لها بغير ان يشاركوا كافراد في ايجادها . ومع ذلك فهو يعود في بعض كتبه يؤكد ان الالزام الخلقي moral obligation انما ينبع من الباطن ـ بمعنى ان هذا الالزام شيء يشعر بضرورته الفرد ككائن اجتماعي أي ان القانون ينبع من الجانب الخلاق او التعاوني في الانسان .

ولعل وجود هذا الشعور الاجتماعي وضرورته وحيويته المتغيرة في الفرد والمجتمع على السواء ، كل ذلك يفسر لماذا تميل قيم الاخلاق والعرف والتقليد لان تتغير في المجتمعات . ذلك ان النظم الانسانية مفعمة بهذا الميل الشديد لان تجد لها حلولا عقلية ، وان تجد لها مسالك تستند على الترشيد .

وينظر جورفتش Gurvitch للمجتمع من هذه الوجهة الديناميكية . فالضبط الاجتماعي في صور القواعد والقيم والمثل العليا انما تشكله الخبرة الاجتماعية والسعي وراء أفكار وقيم جديدة ، وهو (اي الضبط) يختلف بالطبع باختلاف المجتمعات اذ ان تلك القيم تتشكل وتصاغ في الاطار الاجتماعي (او السياسي الاقتصادي العام) ، كالبورجوازية او الاقطاعية او الراسمالية والاشتراكية وهكذا .

وليست التطورات قاصرة فقط على الناحية الجنائية . ان مالنياوسكي العالم الانثروبولوجي ليذكر في دراسة عن جزر التروبرياند ان القانون المدني في اساسه ، ليس هو بالضبط العرف او التقليد الذي وضعت له اللوائح والنظم .. بل هو عبارة عن شبكة من الالتزامات المتبادلة reciprocal obligations التي تحكم جميع العلاقات القبلية في كثير من المناسبات مثل الميلاد والموت والزواج . وهي العلاقات التي تمثل حقوق بعض القبائل ، وواجبات البعض الاخر، بشكل تبادلي، وبنظام يورث في تكوين مجتمعهم القبلي

ويفرق دوركايم بين نوعين من القوانين . النوع الذي يخضع له المجتمع البدائي ويسميه المجتمع الجزئي segmental society حيث يسلك الناس بموجبه سلوكا موحدا ، متشابها ومتماثلا وقد أسماه بقانون القمع repressive law ونوع اخر هو الذي يتكون بارتقاء المجتمع الذي اصبح يعيق التماسك والتكامل حيث انه (اي المجتمع) قد انقسمت أجزاؤه بسبب تقسيم العمل division of labour والميل الى التخصص .. فالمجتمع في هذه الحالة يسمى بالمجتمع العضوي organic society

مراجع البحث :

Anthropology by Marett

The Elements of Sociology by F. J. Wright

Anthropology by Calverton

سحر

في شهرها الثاني

•

ياطلّة الاحلام •• يا ارجوحة النجوى الحنونِ
يا رفلة الناي الخجول مقبّلا زرق العيون
يا طفلتي الشقراء••يا (سَحري) المعطرةالجفون

•

أبدعتِ من (ماما) و (بابا) اغنيات ناعمه
فعبرتِ بستان الالوهة امنيات حالمه
ونشرتَ صبحا في القلوب المتعبات الواجمه

•

يا طيب ثغرك : أخضر الدفقات •• ثغرك أخضر
يا سحر وجهك •• بالاساطير الغنية يقمر
يا لهو جفنك •• هدبه قد طاب فيه المخمر

•

دنياك ، ما دنياك ؟ حضن دافىء ويد عطوف
ورنين موسيقا مفجرة واغفاءة لطيف

•

وتسلق ثديا ودمع ان يغب عنه ذريف

•

كم انت شلال من الاضواء في عيني يصبّ
كم انت في دربي : مطلات ، وامواه ، وعشب
طرزت بالانغام افقي فهو ، لولا فاك ، جدب

•

يا ويلتا لحامة ما اطربت اذنيكِ
يا ويلتا لغزالة ما قبّلت عينيكَ
يا ويلتاه لنجمة ما عطرت قدميك

•

(سحري) غدا ان تكبري اياكِ ان تنسي بلادك
قولي لها وتبسمي « هذا دمي فخذي قلادك
انا ، يا بلادي ، ثورة عربية ابني مرادك »

حلب **علي الزيبق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحتاج الى قانون يتحكم في العلاقات بين أجزائه وهذا القانون يسمى بالقانون التعويضي restitutive law

وبقي ان نذكر بعض الاراء بصدد العقوبة .

فهناك علماء اجتماعيون يرونها تعبيرا جزائيا ، اى انها تعبير عن السخط الخلقي للراي العام . فبقدر درجة الجريمة تكون درجة العقوبة .

ومنهم من يرى ان العقوبة يجب ان يكون لها غرض اعم ، يفوق المشاعر الجزائية ، وهذا الغرض هو منع وقوع الجريمة .

وهناك فئة ثالثة ترى ان العقوبة يجب ان تهدف الى اصلاح المجرم وتهذيبه وتقويمه .

واذا اخذنا بالرايين الاخيرين فقط ، كان معنى ذلك ان العقوبة يجب ان تتجرد من الشعور الجزائي ، اي لاتهتم بسخط الرأي العام ، بل يجب ان تهتم بمنع وقوع الجريمة (او اصلاح المجرم) .

وهذه النظريات التي تقصد النفع للمجتمع تتجاهل حقيقة هامة هي ان النفع يجب الا يتعدى حدود الراي العام ومشاعر سخطه ، فالعقوبة اذا تعدت مثل هذه الحدود قد تقع على اناس ابرياء ويفلت منها المجرمون الاصليون .

لقد اصبح الهدف النفعي للعقوبة من الامور الاجتماعية الهامة لكل مشتغل بعلاج الجريمة ، او باصلاح السجون .. ولكن هذا الهدف ينبغي الا يخرج عن مشاعر المجتمع بخصوص الجريمة ، بل يجب ان تحدده هذه الاعتبارات الجزائية .

القاهرة **اميل توفيق**

قصة تمثيلية

عندما تمرض الزوجات

بقلم الآنسة سميرة عزام

الفصل الاول

(غرفة الانتظار في احدى عيادات الاطباء) .

السيدة : اوه .. الحر فظيع .. كم اكره الانتظار .. (للممرضة) هل قلت للطبيب بانني انتظر ..

الممرضة : اجل انه يقابل المراجعين بالدور الم يحدد لك الساعة الحادية عشرة موعدا ؟

السيدة : نعم ولكن ..

الممرضة : اذن فلا بد من الانتظار نصف ساعة اخرى ..

السيدة : قولي للطبيب .. بانه لا يستطيع ان يعامل كل الناس بهذه الطريقة .

الممرضة : اية طريقة يا سيدتي ؟

السيدة : هل يريدني ان انتظر مثل بقية الناس ؟.. انني مريضة.. لااستطيع الانتظار .. هناك مواعيد وهناك ايضا (البرستيج)

الممرضة : ماذا ؟..

السيدة : (برستيج) .. ألم تسمعي هذه الكلمة قبلا

الممرضة : لا لا اظن ..

السيدة : هذه كلمة لا تقال في كل وسط .. لو كنت تعرفين معنى هذه الكلمة لادركت انه ليس من المعقول ان انتظر ..

الممرضة : لماذا يا سيدتي ..

السيدة : تسألين لماذا ؟؟ هل تتوقعين مني ان اعطيك محاضرة عن نفسي .. لا لا يهمني .. ان الاشياء لا تخفى .. اوه .. لقد ضاقت انفاسي انني .. انني مريضة .. اجل انا مريضة .. لا بد من ان اكون مريضة !!

الممرضة: هل بامكاني ان افعل لك شيئا؟

السيدة : اجل ان تغربي عن وجهي فقد بدات اتضايق منك

الممرضة : هكذا ؟ انك مضطرة للاسف ان تتحملي وجهي نصف ساعة اخرى

السيدة : . ولكنني مريضة ..

ادخلي قولي للدكتور بان السيدة مريضة وانها لاتستطيع الانتظار.. وانها ليست ممن ينتظرون على الابواب .. كهؤلاء ..

الممرضة : يلوح لي ان مرض سيدتي لا يساعدها على شيء سوى الكلام .. حسنا بماذا تحس سيدتي يجب ان نقول للطبيب شيئا فقد يسمح بدخولك

السيدة : بماذا احس ؟.. وهل اعرف ماذا احس .. لو كنت اعرف لما اضطررت الى المجيء .. لقد الغيت زيارتي للمدلك والحلاق ..

الممرضة : اذا كيف عرفت السيدة انها مريضة؟

السيدة : لا تثرثري كثيرا .. لا بد من ان اكون مريضة .. مريضة بشيء او اشياء .. على فكرة ما هي الامراض التي يفضل الدكتور ان يتعاطى بها ؟

الممرضة : يتعاطى تها ؟.. لا افهم ماذا تقصدين ..

السيدة : .. وهل يبدو عليك انك تفهمين شيئا ؟ قلت لك من اي شيء يشكو زبائن الدكتور عادة ،

الممرضة : تضحك .. اشكال والوان .. سكر ضعف قلب تصلب في الشرايين انهيار عصبي

السيدة : ما هذه الامراض السخيفة. اريد شيئا جديدا .. شيئا يستحق ان ادفع فيه الكثير انني مستعدة لان ادفع الكثير في سبيل مرض غير مبتذل .. ان كل الناس حتى الشحاذين اجل حتى الشحاذين يمرضون بضعف القلب وتصلب الشرايين والزكام .. اريد مرضا طريفا له اسم لاتيني .. (تضحكين ؟) معذورة انت لا تعرفين من انا

الممرضة : بل اعرف ان اسمك مسجل في مفكرة المواعيد

السيدة : وماذا يغني الاسم .. لقد رايت ثلاثة من زبائن الطبيب يدخلون قبلي . واحدا يلبس قميصا مقطع الازرار واحدة لا يمكن ان تكون اكثر من زوجة لسمسار .. واخرى لا ادري ماذا اقول عنها ، لعلها خادمة .. ومع ذلك فقد سجلت اسماؤهم بجانب اسمي اليس كذلك ؟

الممرضة : بل قبل اسمك يا سيدتي ، لقد حجزوا مواعيدهم قبلك (تضحك)

السيدة : ان لسانك لا يعوزه الطول.. لقد خدعت ، فقد كنت اعتقد ان الدكتور يتقاضى اجورا خيالية ..

الممرضة : ليس دائما .. في الواقع انه يعالج احيانا بالمجان !

السيدة : (تقفز مذعورة) ماذا بالمجان ؟ لا لا هذا كثير .. ماذا يظن بي .. بالمجان انني ادفع في الزكام اكواما من الليرات .. لقد تورطت .. اسمعي ايتها الممرضة امسحي اسمي لا اريدان امرض.. يجب ..

[يفتح الباب ويطل الطبيب]

الطبيب : لمن الدور الان ؟

الممرضة : للسيدة .. ولكن يبدو ان السيدة مستاءة ..

الطبيب : مستاءة ؟.. آسف لعلي تأخرت ..

السيدة : .. التأخير واشياء اخرى.

الطبيب : تفضلي .. يا سيدتي انني افضل ان اتبع النظام فهذا افضل لي وللمراجعين ..

السيدة : النظام .. انكم تقتلونني بهذه الكلمة .. اي نظام هذا الذي يتيح للخادمات ان يتقدمن علي .. لعلك لا تعرفني يادكتور.

الطبيب : ـ بل اعرفك جيدا .. انني حريص على قراءة صفحة الاجتماعيات في الصحيفة اليومية من باب الترويح عن النفس .

السيدة : اوه .. لطيف اذن فقد عرفتني ..

الطبيب : .. اجل الست عضوا في

نادي الزرافة ؟..
السيدة : تقول عضوا ؟ انني الرئيسة. رئيسة « نادي الزرافة »، وعضو في « نادي الاسود والابيض » ، وعضو في فريق التزلج المائي .
الطبيب : اذن فسيدتي رياضية ؟..
السيدة : ليس تماما ..
الطبيب :ماذا تعنين بليس تماما ؟
السيدة : انني لا انزلج .. ان العنف يسيء الى عضلات النساء ..انني احضر الحفلات فقط ..
الطبيب : لطيف .. هذا من حسن حظي فالمتزلجون ليسو من زبائن عيادات الاطباء ..
السيدة : انني اكره هذه الرياضة ولكنها رياضة ارستقراطية كما تعلم .. ان البرستيج يضطرنا احيانا ان نشترك في اشياء لا نحبها .. اوه .. ان الحياة لاتبدو مسلية دائما ..
الطبيب : مم تشكو سيدتي ؟..
السيدة : حسنا هذا هو السؤال .. لقد جئت هنا لالقي عليك السؤال
الطبيب : ان الفحص يقرر الجواب طبعا ولكنني اسالك عن الاعراض
السيدة : آه الاعراض !.. ماذا تعني بالاعراض ؟..
الطبيب : اعني على تحسين بالم ؟ بظواهر معينة ؟ هل تتضايقين من شيء ..
السيدة : اجل انني اتضايق احيانا.. مثلا لقد تضايقت من الممرضة
الطبيب : ولكنها ممرضة ظريفة
السيدة : ظريفة عجيب كيف تسمون الوقاحة ظرفا ..
الطبيب : الا تعذرينها يا سيدتي فهي لا تقرا اخبار المجتمع .. الا نعود لتشخيص الاعراض ؟
السيدة : حسنا .. قل اي مرض يحسن بي ان امرض ..
الطبيب : (يضحك) وهل هذه عيادة لبيع الامراض ؟
السيدة : وماذا يهمك ما دمت تقبض؟
الطبيب : سيدتي لا يمكن ان يكون المال هو الهدف الوحيد دائما !!
السيدة : اذن لماذا فتحت العيادة ؟ ولكن مهلا اريد ان اتاكد من شيء لقد قالت الممرضة انك تعالج بالمجان احيانا ..
الطبيب : هذا اذا كان زبائني يستحقون المساعدة ..
السيدة : فظيع .. انا ما جئت الا بعد ان قيل لي انك ممن يتقاضون اجورا خيالية ..
الطبيب : ولكنني ساكذب معك هذا الزعم انني يا سيدتي لا اتقاضى الا ما استحقه ..
السيدة : انت لا تفرحني بهذا الكلام .. كان يجب ان تدرك انني لست ممن يساومون انا ادفع الكثير اذا استطعت ان تقترح لي مرضا يستهويني
الطبيب : (يضحك) اذن فسأطلب منك ثمنا ترضين عنه
السيدة : لا ليس هذا هو المهم .. المهم ألا يكون معروفا عنك انك تعالج بالمجان .. لقد جئت لاستشير طبيبا في عيادة مشهورة لاطبيبا مغمورا في مستوصف شعبي
الطبيب : اذن فمن سوء حظي انني احب ان اكون انسانا احيانا .
السيدة : اجل من سوء حظك الا اتمكن من ان اكون زبونة .. فالمسألة مسألة برستيج .. وانا سيدة معروفة .. معروفة تماما .. رئيسة نادي الزرافة و..
الطبيب : (يكمل) وعضو فريق التزلج .. ونادي الاسود والابيض
السيدة : حسنا لقد عرفتني اذن .. فلا ضرورة لاقول لك من انا ..
الطبيب : ابدا فانا اعرفك تماما .. اعرف مثلا انك طردت جماعة قصدتك لتجمع بعض التبرعات لمنكوبي الزلزال ..
السيدة : هذا افتراء .. لقد كنت متعبة .. كنت ما ازال في فراشي بعد سهرة متعبة ، تصور انهم جاؤوني في العاشرة صباحا ..ما هذا ان اعصابي لا تحتمل كل ذلك
الطبيب : آه
السيدة : ومع ذلك فلا حق لك في ان تقول هذا عني
الطبيب : ادري يا سيدتي ولكنني كنت احاول ان اؤكد لك انني اعرفك تماما
السيدة : هذا يسمونه سوء ادب .. انت لا تحسن معاملة سيدة راقية
صحيح ان التربية شيء لا علاقة له بهذه الشهادات الكثيرة التي تعلقها على الجدران
الطبيب : معقول .. فالحصول على الشهادات لا يسمح للرجل بان يكون دجالا من الطبقة الراقية
السيدة : افتح لي الباب . يجب ان انصرف . كان يجب الا اتسرع فاسعى وراء طبيب مغمور يعالج الخادمات
الطبيب : ومع كل ذلك فانا افتح لك الباب بكل ادب وارجو ان توفقي في انتقاء مرض ارستقراطي (صوت السيدة وهي تبتعد) قلة ادب .. قلة ادب

الفصل الثاني

[السيدة نفسها في منزلها . تدخل عليها صديقة]

الصديقة : بونجور شيري..
السيدة : بونجور ، لقد توقعت ان تحضري
الصديقة : لقد افتقدتك في حفلات الاسبوع الماضي .
السيدة : انني مريضة كما ترين ..
الصديقة : مريضة ؟ ان وجهك لايبدو هكذا
السيدة : انت تكذبينني .. قلت لك انني مريضة وهكذا قال لي الدكتور .. مرض غريب .لم يستطع الطبيب ان يشخصه ..
الصديقة : عجيب
السيدة : قال ان ظواهر مرضي شيء لم يصادفه قبلا..اوه ..سانادي الخادمة لتفتح النافذة (تنادي) هيلانه ، هيلانه ، افتحي النافذة.. اريد هواء منعشا
الصديقة : مسكينة .. لهذا اذن حرمت من الحفلات ..
السيدة : طبعا والا فما عسى ان يكون السبب.. انني لا اتأخر عن شيء.
الصديقة : (تضحك بتخابث) تريدين الحق .. لقد ظننت ان السبب راجع لاشياء اخرى
السيدة : (بعصبية) اشياء اخرى ؟ ماذا تقصدين ؟
الصديقة : انت تعرفين ماذا اقصد
السيدة : تعنين تلك المرأة ..
الصديقة : اجل ..
السيدة : اانا اهتم بواحدة مثلها ؟؟ واحدة تافهة مستهترة ..
الصديقة : ولكنها تحسن الاغاظة ..
السيدة : تغيظني انا ؟ انني لا ابالي بها ... انا حتى لم امنع زوجي من الذهاب الى حفلة الامس ..
الصديقة : وهل يطيعك لو حاولت ؟
السيدة : ها .. ها .. لا تنسي انني ذات الدور الاقوى في هذا البيت
الصديقة : ولكن زوجك يبدو كالطفل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المدلل ..
السيدة : هذا اذا اغدقت عليه من نقودي .. انني اعرف كيف اعاقبه حين اريد ..
الصديقة : لقد بدأ اللغط يدور حولهما
السيدة : انه غير مسئول .. اليكس رجل (جانتي) .. وهذه تطمع في نقوده .. هي التي تلاحقه .. ان اليكس مخلص. مخلص جدا ..
الصديقة : ولكن الناس يقولون غير هذا
السيدة : الناس ؟ من هم الناس ؟.. قبضة من الثرثارين التافهين المفلسين ان بوسعي ان احطم هذه المراة في اربع وعشرين ساعة لو شئت
الصديقة : ولماذا لم تشائي ..
السيدة : انني مريضة ليس لدي وقت لاعالج سخافاتها .. انني مريضة اتفهمين ؟
الصديقة : افهم افهم ولكن الناس يقولون انك امتنعت عن الحفلات لانك تموتين غيرة.. تعرفين ان السنة الناس طويلة اكثر من اللازم
السيدة : انا اموت غيرة ؟؟ وممن .. من واحدة ساقطة ؟.. ارملة رخيصة افاقة مفلسة .. انني اعجب كيف يفتح المجتمع صدره لواحدة على هذه الشاكلة ! من تكون هذه حتى تستحق ان تكون عضوا في نادي الزرافة وعضوا في نادي الاسود والابيض ..
الصديقة : وعضوا في نادي الفروسية وفي جماعة اصدقاء البقر الهولندي .. وهي صديقة كل السفارات وكل دور الدبلوماسية. انها ناجحة . ناجحة جدا ..
السيدة : هيلانه هيلانه (تنادي الخادم) افتحي .. افتحي النافذة الاخرى ، واعطني علبة السجائر يجب ان ادخن .. مع ان مرضي لا يسمح (تشعل سيجارة) .
الصديقة : انت عصبية كثيرا يا عزيزتي
السيدة : بل مريضة . هناك فرق بين عصبية ومريضة. انك تثيرينني اليوم
الصديقة : متأسفة لقد اعتقدت انني اسليك بهذا الكلام
السيدة : اجل انت تسلينني .. فهو لا يدعو لاكثر من التسلية ، ولكنها تسلية على حسابي .. اسمعي لا اريد ، لا احب ، ان اسمع احد يتحدث عن اسمي مقرونا باسم تلك الساقطة .

الصديقة : هم لا يقرنون اسمها باسمك بل باسم زوجك
السيدة : هكذا على المكشوف ؟
الصديقة : هكذا على المكشوف .. انه يرافصها ويشاربها وقيل بانهما شوهدا معا في السوق وفي سباق الخيل .. وانه دفع في احدى حفلات الاسبوع الماضي خمسين ليرة ثمن وردة تزين بها صدرها .
السيدة : يا للكلب ..
الصديقة : والسنة الناس يا عزيزتي لا ينقصها الطول ..
السيدة : ولكن
الصديقة : ولكن ماذا .. ان الناس يبحثون عن قصة ، اية قصة يلوكونها وزوجك اسمحي لي ان اكون صريحة انسان يعوزه فن المداراة ..
السيدة : هل كانوا يغفرون له لو عرف كيف يستر علاقته بها ؟
الصديقة: اذن انت تعترفين بهذه العلاقة؟
السيدة : انا ؟. لا . انني اعقب على كلامك فقط . ان اليكس طيب ونزيه القصد .. تصوري لقد سأل عني اليوم ثلاث مرات في التليفون ليطمئن عن صحتي
الصديقة : طبعا يا عزيزتي فهو كزوج فوق الشبهات
الخادم : (الخادم تدخل) سيدتي لقد جاء عامل مصلحة التليفونات ليصلح الخلل .. وقال ..
السيدة : (بثورة) قال ماذا .. قلت لا اريد ان يزعجني احد في مرضي الا تفهمون .. (هنا تعي ما قالته الخادم فتنخفض طبقة صوتها) ماذا قلت؟ عامل التليفون؟
الخادم : نعم يا سيدتي .. فهو اعني التليفون معطل من الامس ..
[الصديقة تضحك]
السيدة : (تستمر في ثورتها) .. معطل ؟. لا ليس معطلا ..اغربي عن وجهي ايتها الغبية .. كلكم اغبياء .. اغبياء و .. يا الهي انهم لا يدعونني استريح في مرضي
الصديقة: انت ثائرة الاعصاب يا عزيزتي
السيدة : ثائرة الاعصاب ومريضة.. طبيعي ..
الصديقة : لا يحسن بك ان تنامي في الفراش .. فهو يزيدك ضيقا.
السيدة : اعرف هذا ولكنها نصائح الطبيب ..

الصديقة : دعك من نصائح الاطباء .. انهم يبالغون دائما . معذورون يجب ان يعيشوا .. قلت دعك من الفراش .. يجب ان تحضري الليلة حفلة نادي الصيد ..
السيدة : لا لن اخرج .. ساظل في الفراش واليكس بجانبي..
الصديقة : اؤكد لك انك لو خرجت فسيظل بجانبك ايضا ..
السيدة : ماذا تقصدين ..
الصديقة : تلك الاخرى لم تعد تشكل خطرا فقد التقطت ضحية جديدة
السيدة : (بفضول) ضحية جديدة ؟
الصديقة : اجل سمعت بالمغترب الذي عاد من الارجنتين بعد غيبته ٢٥ عاما
السيدة : نعم نعم
الصديقة : انه يبعزق المال بلا حساب ويتحدثون فلا ينتهون عن مزارعه واسطبلاته وقصوره هناك ..
السيدة : نعم
الصديقة : لقد عرفت اللعينة كيف تصطاده.. لقد كانت بالامس تلبس قرطين ثمينين قيل بانهما هدية منه
السيدة : .. اذن ..
الصديقة : نعم لقد انتهى .. فقد نبذته تماما في السهرات الثلاث الاخيرة
السيدة : وكانت مع المليونير ؟ هل قلت بانه مليونير ؟
الصديقة : .. اي مليونير ؟ انه multi-millionnaires اجل كانت معه ثم خرجا معا لا ادري الى اين .. يقال بانه دعاها لتسافر معه الى الارجنتين ..
السيدة : لو قبلت فستستريح هذه البلد كثيرا ..
الصديقة : (بضحكة) لقد كان منظر زوجك وهو يشرب وحيدا على البار داعيا الى الابتسام.. وتراهن الناس بانه سيظهر الليلة معك .
السيدة : هل راهنت انت ؟
الصديقة : سأكون صريحة واقول نعم!
السيدة : اذن فسأدعك تكسبين الرهان ..
السيدة : (تنادي على الخادم) هيلانه هيلانه اعدي لي الحمام .. يجب ان لا استسلم للمرض ان حماما ساخنا يفيدني كثيرا .. والحياة اقصر من ان نبددها في الفراش . اليس كذلك يا عزيزتي ؟؟

بغداد — سميرة عزام

القمر

نسجتُ الخيال وصفت الصورْ
حقائق تشرق ملء البصرْ

خلعتُ على القفر حلم الربيع
بما رحت تنظمه من درر

فأخصب قفر بسحر الخيال
وفاض بدفء الحنان الحجر

فأيقظت غافي المنى في الصدور
وحركت في كل قلب وتر

تجليت تنظر من حالق
كأنك في الافق عين القدر

فقلب اليك تشكى الحنين
وجفن اليك تشكى السهر

وأنت على الدهر لا تستجيب
لعين بكت ولقلب زفر

ترفعت من شمم في السماء
وحلقت في شاهق من كبر

بلغت الذي رمت من رفعة
وهل رفعة عصمت من ضجر

شهدت على مسرح للقضاء
ذئاب النفوس بثوب البشر

وأبصرت ما اجترحته الاكف
من الاثم واقترفت من عور

جحافل ركب الزمان المغير
تخدُ الخدود وتبلى الحجر

أرى فوق خدك مثل السطور
وأثر جبينك منها اثر

تقاذفك الدهر في ملعب
كما صبية قذفت بالاكر

ورحت على مسرح للقضاء
تجوب الفضاء وتطوى العصر

فحدث فعندك ما يشتهى
لمستخبر رام صدق الخبر

شهدت الرواية من (آدم)
وطالعت فيها جليل العبر

وهل كنت الا كتاب الزمان
حويت بصدرك شتى السير

طلعت على الافق في جحفل
مهيب من النور ملء البصر

كأنك مرآة هذا الوجود
بما رحت تعكسه من صور

نسجت الخيال لاهل الخيال
وجئت لاهل النهى بالسور

رفعت حجابا ومن دونه
سدلت حجابا واشيا اخر

فكنت لنا واضحا غامضا
وكنت لنا ظاهرا مستتر

فتنت القلوب ورعت البصر
وشقت الورى بدوهم والحضر

تفرقت الناس عن فتنة
شتاتا كسرب وراحوا زمر

وكم خافق طاش من وجده
حنانا اليك وجفن سهر

رأيتُ مردَ الصواب العقول
وكان مرد الضلال العور

مراميك ابعد من ان تحدَّ
وهيهات يعروك يوما خور

وسرك مستغلق كالزمان
تطيش بخافي دجاه الفكر

سفرتَ وكل كما ذوقت
مناه ارتضاك بذاك الوطر

رآك الشباب بأطماعه
كما صوَّرتها رغاب الصغر

فكنت لهم زورقا ماخرا
على الدهر ليس له مستقر

وقيثارة بين حضن المغيب
لها من قلوب الصبايا وتر

وخالتك في الافق عين المشيب
لفرط الوساوس لوح القدر

تعد على الناس انفاسهم
وتحصي الذنوب على من عثر

وما كنت الا كتاب الزمان
وعيتَ بصدرك شتى السير

دمشق

عدنان مردم بك

منازع العالم الحديث : المادة

بقلم وولفانغ باولي

الحائز على جائزة نوبل للفيزياء

ترجمة يوسف اسعد داغر

*

كانت المادة (١) وستبقى ابدا موضوع علم الفيزياء . وعندما اتكلم(٢) عن «المادة» باعتبارها مظهرا اوليا من مظاهر طبيعة الموجودات ، انما اتوخى ، من كلامي هذا عنها ، ان ابين لكم كيف تم الكشف عن القوانين اوالنواميس الطبيعية التي تتحكم بالمادة ، موضوع علم الفيزياء وكيف يجري التوسع بها استطرادا من المعلوم الى المجهول . من الثابت الذي لا يواجهه الشك ، ان النواميس الطبيعية التي نكشف عنها ، والاراء التي نكونها حول واقع الموجودات او الكائنات المحيزة التي تفرض وجودها ، تدخل اكثر فاكثر في عالم الفكر او التجريد . فمن المرغوب فيه كثيرا ، حتى لرجال الاختصاص ، ان يتذكروا ان وراء هذه الصور او الروامیز التكنية والرياضية للافكار والاراء التي نبني عليها نواميس الطبيعة لا تزال الحياة تبرز على وجهها العادي كما نعبر عنها بلغتنا كل يوم . فالعلم ، اصلا ، ليس سوى تجريد منهجي لافكارنا العادية او لمعطيات الحياة ، كما تتبلور لنا ، فتعبر عن حقيقة اكثر عمقا مما يتراءى لنا من خلال واقعيات الحياة وصور الاشياء في صخبها وضجيجها والوانها المتمورة . كذلك يجب الا ننسى ، من جهة ثانية ، بان هذه الواقعية الابعد عمقا ، لا تصلح ان تكون موضوعا للفيزياء ، يختلف عن موضوع الرياضيات المطلقة او التجريدات المطلقة ، اذا كانت الروابط التي تربطها بواقع الحياة اليومية غير متصلة او مقطوعة تماما .

لنأخذ مثلا على ذلك النواميس الاساسية التي تخضع لها الميكانيكيات هذه النواميس التي يمكن لنا ان نسميها كلاسيكية او نيوتونية وقد كانت مجهولة تماما قبل اكثر من ثلاثمائة سنة . ينص قانون الاستمرار او التصور الذاتي Laws of inertia على ان الاجسام تتحرك بسرعة مستمرة في اتجاهها وحجمها ان لم تصدمها عوائق خارجية عنها . والجديد في هذا القانون انه احدث انقلابا جذريا عندما اتضح للناس وعلموا ان الحركة المتناسقة Uniform movement هي الوضع النهائي او الاخير الذي ينتهي اليه الكائن المتحرك ، عندما ينقطع عنه المحرك الخارجي المسبب لحركته المرسومة . وهذا المبدا الجديد ، يغاير تماما الاراء التي سادت قديما والتي كانت تؤكد ان في ارتفاع او انقطاع العلة المحركة او السبب المحرك ، يقع السكون او الجمود ، وان كل سرعة حاصلة عن علة ، مسببة لها . ومن الامور التي تبعث من جهة اخرى على التساؤل اكثر من غيرها ، في وقتنا هذا ، القول بحركة الاجسام المتناسقة دون القول او الافتراض بوجود اجسام اخرى تتحرك . وبعد دروس عويصة وابحاث دقيقة وتحقيقات استطالت الى القرن الماضي كله ادى الجواب على السؤال السابق الى تحديد جديد لنواميس الجاذبية على يد انشتاين (٣)

لنعد ، وفقا لروح العلوم الميكانيكية الكلاسيكية ، الى تلك المشكلة التي تطلع علينا ، وهي : كيف ان العلل الخارجية تؤثر على الاجرام في حركتها وقد سبق لنيوتن فسمى هذه المسببات الخارجية « قوى » وحددها بكونها : حاصل ضرب الكتلة بالتسارع Mass times acceleration لنسلم جدلا ، تبسيطا للامور ، باننا ندرك تماما ماهية التسارع . فالتحديد المذكور لا بد له ان يفضي بنا ، على ما يظهر ، الى حلقة مفرغة : فالقوة تحدد بالكتلة والكتلة بالقوة . ان حلا من هذا الشكل ، لا بأس به كما يبدو لنا لاول وهلة ، اذا ما نظرنا للقانون الاخر الذي وضعه نيوتن عندما يقول ويؤكد: « ان الفعل ورد الفعل هما متكافئان ومتعاكسان معا. وهذا التوضيح انما يعني ان مجموع كل القوى والعلل المؤثرة في جهاز منغلق او مطبق هو بالنتيجة صفر . وهذا الحكم انما يؤدي الى النتيجة التالية وهي ان هنالك شيئا يبقى ويستمر في الزمان ، وخصوصا حاصل السرعات مضروبة بكتلها في الاجسام الموجود ضمن جهاز مغلق مهما كان اتجاهه .

وعلى هذا يبدو لنا اننا تقدمنا بضع خطوات في اتجاه التجريد العقلي او النظري وهي عملية تلابس اصلا

(١) نحن مدينون بترجمة قسم كبير من المصطلحات والتعابير العلمية الصرفة الواردة في هذا المقال للصديق الكريم الاستاذ نقولا شاهين ، استاذ الفيزياء في كلية الهندسة في الجامعة الاميركية في بيروت ، الذي يجمع الى ثقافة علمية مشهود له بها ثقافة عربية عريقة. فليتقبل هنا شكرنا العميم

(٢) وولفانغ باولي Wolf Pauli ١٩٠٠ ـ عالم فيزيائي مشهور ، ولد في فيينا وعلم في زوريخ ١٩٢٦ ـ ١٩٤٠ . انضم منذ عام ١٩٤٠ الى معهد العلوم العالية في جامعة برستون . نال جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٤٥ .

(٣) البرت انشتاين Alb. Einstein (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) عالم الماني الاصل والمولد من اكبر واشهر والمع علماء الطبيعة في كل زمان ومكان . ولد في مدينة اولم ، ثم تجنس بالجنسية السويسرية وهو ابن ١٥ سنة . علم في زوريخ ، ثم في الجامعة الالمانية في براغ ثم دعته اكاديمية العلوم الالمانية في برلين حيث علم في الجامعة وعاد الى جنسيته الالمانية الاولى . راس معهد القيصر للفيزياء . فر من المانيا عند وصول هتلر للحكم وجاء اميركا وانتخب عضوا في معهد الابحاث العالية في جامعة برنستون حيث اعتنق الجنسية الاميركية . من تعاليمه

مواضعات حياتنا اليومية . فالكتلة التي تقوم عادة بالاوزان ومعيارها المكيال او المقياس ، أصبحت بذلك عبارة عن تجريد لمعدل قياس السرعات المحدودة على شكل معين بحيث ان الحاصل يبقى هو هو . ثم يتحتم على المرء بعد ذلك ، ان يأخذ بعين الاعتبار ما بين الكتلة والسرعة من علاقة قائمة . واود ان اقرر هنا ان حاصل ضرب الكتلة بالسرعة Product of mass & velocity هو الزخم Momentum والزخم ، كالسرعة ، هو الاخر كمية موجهة ، تدعى عندهم فكتر Vector او الكميات الموجهة . وتلك القوة التي كان عمادها فيما مضى الجهد المادي او العضلي تؤديه عضلات الجسم ، اصبحت الان شيئا حاصلا من ضرب الكتلة بالتسارع Mass times acceleration وهذه القوى يجب ان تحدد ويعرف بها بشكل من الاشكال ، وذلك على ضوء علاقتها او ارتباطها ببعد الاجرام او الاجسام ، بحيث يتاح لنواميس الميكانيكا المسلم بها التثبت من صحتها بالتجربة والاختبار ، كما حدث تماما لحركة الاجرام السماوية الخاضعة لتأثير ناموس الجاذبية ، هذا الناموس الناتج عن القانون المعروف بـ « التناسب العكسي لمربع المسافة » الذي وضعه نيوتن Inverse square law

ومهما كانت هذه القوى في مظاهرها ، فهي نتيجة مباشرة للقوانين الميكانيكية التي توجب على الاوضاع الاولية وحدها ، ان تعين حركة كل جسم وجرم اذا كان كل من الوضع والسرعة او زخم الاجسام ، يتوفران في الحالة الاولية ، في فترة ما او وقت معين . ولكي يستطيع المجرب الارضي اختبار قوانين الميكانيكا الكلاسيكية او النيوتونية ، عليه ان يختار الحالات الاولية على الاساس الذي يريده من الاختبار والتجربة ، بينما يتوجب على الراصد للظواهر الفلكية ان يستفيد من مختلف الحالات والاوضاع التي تعرض لها جميع الاجرام السماوية في الفضاء على اختلافها .

ونتيجة منطقية للنواميس الميكانيكية النيوتونية ، لا يزال هنالك كمية قائمة ، ندعوها « الطاقة » Energy وهذه الطاقة تتالف من عنصرين ، اولهما « الطاقة المركزية » Potential Energy وهي نتيجة وضع او حالة الاجسام التي تساعدنا على تحديد القوى وتقويمها . ومجموع القوتين واحد في الزمان . فالطاقة ، بعكس الزخم ، لا اتجاه لها .

وقدوجد الكيماويون قانونا اخر يتعلق بالحفظ والبقاء، هو قانون حفظ الكتلة The Law of the Conservation of Mass في رد الفعل او التفاعل الكيماوي . الا ان انشتاين ، اثبت بتحليله الدقيق للقوانين التي تخضع لها الكهربائية والمغنطيسية ـ وهذه القوانين طبقها مكسويل (٤) على البصريات وفيزياء الضوء ايضا ـ على ان هذين القانونين الخاصين بالحفظ والبقاء ، ليسا في الحقيقة سوى قانون واحد . فعندما تتحول الطاقة ، تتحول الكتلة ايضا ، تبعا لذلك . ومع ذلك فالتغيير طفيف جدا يكاد لا يؤبه له ، اذ ان العامل المشترك هو مربع سرعة الضوء The Square of the Vlocity of light وهو يتطلب تغييرا كبيرا في الطاقة لاحداث تغيير في الكتلة يمكن قياسه وتقويمه .

كل هذا انما يعني الان خطوة حاسمة مهمة في عملية التجريد في كل ما يتصل بالمادة نفسها . وقد حق لنا ان نتساءل هنا : وما هي المادة Matter يا ترى ؟ فالورقة التي ارسم عليها هذه الحروف والكلمات ، مادة هي . والهواء الذي اتنشقه واعب منه عبا مادة هو الاخر ، حتى الضوء نفسه لا يخرج في صميمه عن كونه مادة هو ، كما يتضح جليا من الكشوف العلمية التي حققها اينشتاين فللضوء : الكتلة والوزن . فهو من ، هذه الناحية ، لايختلف كثيرا عن المادة في ما استقر في علمنا من مفهومها المادي ، وله منها حتى الطاقة والزخم . والفرق الوحيد الذي يميزه هو ان الضوء لا يستقر ابدا . فهو في حركة متصلة دائمة بما له من السرعة الواحدة المميزة .

المعت من قبل ، الى قوانين الكهرطيسية . فهل هذه القوانين هي نتيجة محتومة للنواميس الكلاسيكية التي وضعها نيوتن للميكانيكيات ؟ لا لعمري . فهي تختلف عنها نوعا ودرجة بالرغم مما بينها من مقارنات ومشابهات ومحاكاة اساسية تتعلق باثرها الكامل المفروض على مجرى المظاهر بالنسبة للحالات او الاوضاع الاولية . فمنذ عهد فراداي (٥) ومكسويل صرنا نتكلم عن «المجال» Field فما هو « المجال » يا ترى ؟ اننا نرى انفسنا هنا امام تجريد جديد لفكرة تلازمنا كل يوم من ايام حياتنا . فالمجال شيء مستمر في الزمان والمكان ، له صفاتهما الفيزيائية الكاملة ، يتغير ابدا ودوما بتغيرهما ويتحول بتحولهما . فما هي لعمري ، حقيقة هذه الصفات الفيزيائية ؟ فالجواب كما يراه العلم الحديث ، هو ان هذه الصفات الفيزيائية لا تؤثر بشيء . وجل ما احتاج اليه ذريعة تمكن من قياس هذه الصفات ومدى او نسبة تغيرها المستمر . هذا هو « المجال » بعينه .

اما في القرن الماضي فكان الجواب الذي يعطى لنا ، شيئا يختلف تماما عن هذا ، اذ كان يفرض بان تكون هذه الصفات المحيزة ميكانيكية يمكن التثبت منها : كالتشوهات ومناقب العروق والفصائل والسلالات ، ولو كانت وسائط فكرية او نظرية ، انما تبقى ميكانيكية في كل حال . غير ان العلماء الفيزيائيين صرفوا شيئا فشيئا النظر عن الافتراض المادي او الميكانيكي . ان وصفا علميا موضوعيا لم يعد بالضرورة وصفا ميكانيكيا في الزمان والمكان المطلقين ، بل استحال وصفا اكثر تجريدا لظواهر الاشياء ، تبنى عملية التجريد فيه على مركز الدلالة Frame of reference ومهما يكن من نظرية مركز الدلالة هذه ، فالنواميس الطبيعية واحدة هي . ان حركة عادية متناسقة يرسمها راصد ما او جهاز ما ، لا تؤثر بشيء على المظاهر البارزة

ونظرياته ، النظرية النسبية ، كما جاء بنظرية جديدة غيرت كثيرا من مبادىء الكهرطيسية وقانون الدفع والجذب . من مؤلفاته : « معنى النسبية ١٩٢١ ، وبناة الكون » ١٩٣٢ ، و « منهجية الفيزياء النظرية » ١٩٣٣ ، و « ولماذا الحرب » بالاشتراك مع فرويد ، و « العالم كما اراه » ١٩٣٤ ، «وتطور الفيزياء » بالتعاون مع انفيلد ١٩٣٨ .

(٤) جيمس كلارك مكسويل J.C. Maxwell (١٨٣١ ـ ١٨٩٧) عالم فيزيائي مشهور ، من ابرز والمع علماء الفيزياء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اسكتلندي الاصل ، تخرج من جامعتي ادنبره وكمبريدج . علم الرياضيات وعلم الفلك في كلية الملك في لندن ، كما علم الفيزياء التجريبية في كمبريدج ايضا . له ابحاث دقيقة حول رؤية الالوان وعمى الالوان . عمل وبحث كثيرا في حقل الكهرطيسية . من كتبه المهمة : « الكهرباء والمغنطيسية » ١٨٧٣ .

بل ان حركة تسارعية نفسها حسبما يؤكده اينشتاين تعادل لمجال تجاذبي . لن احاول هنا ان اشرح لكم الاراء الرياضية التي ترتكز اليها « النظرية الجماعية » Group theory التي جاؤوا بها للتعبير بدقة عن هذا التساوي او التوافق ، هذه الاراء التي تعبر اليوم عن الاسس الركينة التي تقوم عليها الفيزياء الحديثة ، والتي لم يتمكن العلماء للان على ما ارى ، ان ينفضوا منها كل ما تخبؤه من الفوائد الاكيدة . وجل ما اريد ان اؤكده هنا بايجاز ، ان هذا الباب من الرياضيات هو ايضا من باب التجريد لاختباراتنا اليومية ، كما نفعل تماما في تجريد عملية التمييز بين اليمين والشمال . ولكي يستطيع اينشتاين تطبيق قانون تعادل التسارع والجاذبية The equivalence of acceleration gravitation اضطر لايجاد مجال جديد لنظرية الجاذبية شبيها من جميع الوجوه بالمجال القديم المتعلق بالنظرية الكهرطيسية ، مضيفا اليه فكرة عدم تغير قوانين الطبيعة ونواميسها بالنظر لتحول العوامل الفضازمنية Space-time coordinates باعتبارها كميات دائمة التغير بالنسبة لمراكزها Contenuously varying numbers coordinated to the points

وعند هذه النقطة بالذات من تطور المبادىء العامة للفيزياء علينا ان نواجه هنا السؤال المزمن وهو : هل هنالك حد ام لا ، لقابلية انقسام المادة ؟ Divisibility of Matter وبعبارة اخرى ، هل المادة ، في نهاية الشوط ، مستمرة دائمة ، او منقطعة منفصلة ؟ فالتجربة والاختبار جاءت تؤيد وجود وحدات اخيرة نهائية للمادة ، مؤيدة في ذلك اراء ونظريات العلماء الاغريق الذريين القدامى . اما علماء الكيمياء المحدثون ، فقد وجدوا ان القول بوجود دقائق او جزيئات Molecules ثابتة تقوم عليها المادة وتنهض بها ، هو ابسط الحلول لامكان وصف التحولات والتفاعلات الكيماوية . ولم يستطع علماء الفيزياء من وضع المقاييس والموازين الدقيقة اللازمة لتبيين هذه الذرات وتحديد عدد هذه الدقائق المقومة للمادة في مظهرها الاخير ، الا في القرن التاسع عشر الماضي . فقد استطاعوا ان يحصوا بدقة كلية الرقم الاساسي او الاصلي Key number للذرات الحقيقية التي تتالف منها الوحدات الكيماوية Chemical units

يتبين من طبيعة مظاهر التفاعلات الاشعاعية The radio-active phenomena على ان الذرات الاصيلة او « الذرات المفتاح » التي تقوم جوهر المادة الكيماوية تتالف نسبيا من نواة دقيقة للكهرباء الموجبة ، محاطة بجزيئات كهربائية سالبة تسمى عندهم «الكترونات» Electrons او كهيربات . وهذه النواة هي اشبه ما تكون بالشمس تحف بها السيارات والاقمار . وقد دلت التجارب التي اجريت فيما بعد ، على ان هذه النوى التي هي اثقل بكثير من الالكترونات ، قابلة بدورها للتحول والتغير وهي تتالف من جزيئات اكثر لطافة ودقة يسمونها «نيوكليون» Nucleons او نسيمات نووية . وهذه النسيمات النووية او النيكليون هي بدورها على نوعين : « البروتون » ذو شحنة كهربائية موجبة و « النيوترون » غير المشحون بالكهرباء ، وكلاهما : اي البروتون والنيوترون ، من كتلة واحدة . لا اود هنا ان اذكر شيئا عن « الميزونات » Mesons التي تكثر في الاشعة الكونية والتي امكن فيما بعد اصطناعها وتوليدها مخبريا ، بكتلات وسط بين كتلة الالكترون والبروتون . وان ذكري هنا لـ « لبوزيترون Positrons فلماما او عرضا ليس الا . وهذه « البوزيترونات » لها كتلها المتعادلة ، انما هي من شحنة كهربائية مضادة لشحنة الالكترونات . فاذا ما تلاقى او اصطدم البوزيترون والالكترون بعضا ببعض ، اباد احدهما الاخر واستحالا معا شعاعا كهرطيسيا وهذا الشعاع يستطيع بدوره بما له من طاقة ، ان يخلق ، بصورة عكسية الكترونات وبوزيترونات ، باعداد شفعية .

فاذا ما اخذنا بعين الاعتبار كل هذه التحولات ، فما عسى ان يبقى لعمري ، من المفهوم القديم للكتلة او المادة Substance الجواب هو الطاقة . هذا هو الجوهر الحقيقي الذي يبقى ويدوم . وجل ما يظهر عليه من تحول هو الشكل او المظهر الذي يبدو فيه . هنالك كمية اخرى، تستمر هي الاخرى وتبقى ، ولكن على عكس الطاقة . فهي تظهر على وجهين مختلفين : موجب وسالب ، يعرفان بالشحنة الكهربائية . وهذه الشحنة ليست فقط تبقى وتستمر بل انها تظهر بشكل ذري صريح واضح . ان كل شحنة كهربائية تقع في الطبيعة ، تعادل حاصلا يساوي عددا صحيحا Integral multiple لرقم ما ، هو الكم الكهربائي الاولي The elementary quantum of electricity الذي لا نعرف للان لماذا يظهر على هذا الشكل . فالنظرية العلمية افترضت الواقع المحيز وسجلته ، الا انها لم تستطع ان تفسره للان .

وهذه القضية ترتبط ارتباطا وثيقا بمظاهر الطبيعة الاخرى التي تدخل تحت ما يسمى عندهم بـ « كم الفعل » Quantum of action الذي اخترعه بلانك (٦) . فقد وجد هذا العالم الفيزيائي الذائع الشهرة ، ان قوانين الاشعاع الكهرطيسي Electro magnetic radiation ومن بينها الضوء، في توازنها الحراري مع المادة العادية ، لا يمكن تفسيرها او شرحها الا عن طريق فرضية جديدة تتعلق بالقيم الممكنة للطاقة المشعة ذات ذبذبات معينة Of given frequency وهذه القيم او الاعداد لا بد لها ان تكون اعدادا صحيحة Integral Multiples لعدد ما معين يتناسب وتلك الذبذبات Proportional to frequency ان الثابت العام

(٥) ميكل فراداي M. Faraday (١٧٩١ ـ ١٨٦٧) احد اعلام الكيمياء والفيزياء في انكلترا . صحب السير همفري دايفي في رحلته عبر القارة الاوروبية مطوفا بين بلدانها . علم الكيمياء في المعهد الملكي . له اختراعات عظيمة في حقول العلم ولا سيما في الفيزياء والكهرباء من كتبه ومؤلفاته المعروفة : « ابحاث تجريبية في الكهرباء » (١٨٤٤ ـ ١٨٥٥) ـ « ابحاث تجريبية في الكيمياء والفيزياء » ١٨٥٩ـ « محاضرات حول تاريخ الكيمياء للشمعة » ١٨٦١« حول القوى الطبيعية على اختلافها » .

(٦) ماكس كارل ارنست لودفينغ بلانك Max Karl Ern. Ludw Planck ١٨٥٨ ـ ١٩٤٧ عالم فيزيائي مشهور الماني الاصل والمولد ، ومن ابرز المع العلماء الفيزيائيين في النصف الاول من القرن العشرين . ولد في مدينة كيل وعلم في برلين . .هو صاحب نظرية « الكم » . نال جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩١٨ قام بابحاث دقيقة حول اشعاع الاجرام المظلمة ، كما قام بابحاث عويصة حول الثرموديناميكس والميكانيكيات والمسائل الكهربائية والبصرية التي تمت بصلة للاشعاع الحراري ونظرية الكم .

النسبي The universal Constant of proportionality
المنصوص عنه هنا ، انما هو « كم الفعل » بالذات الـذي يفرض وجوده بلانك . فمن الخير ان نذكر هنا ان «الفعل» هو عملية تجريد جديدة للميكانيك الكلاسيكية اوالنيوتونية ويتأتى على الاخص كحاصل لضرب الطاقة بالزمـــن
A quantity with the dimension of energy times time
وهذه النظرية او الفرضية الجديدة حلت محل نظريـــة « الفعل النوعي » qualitative concept of action التـــي تعرض لنا في كل يوم من ايام حياتنا العاديـة . وهـذه الفرضيةالجديدة ادتالى القولبفكرة الفوتونات photons او « الكم الضوئي » الذي هو عبارة عن جزئي ضوئي لـه ملء الطاقة والزخم Momuntuni في الفضاء ، بحيث ان كتلته بكاملها يمكن عبها وامتصاصها او بثها في وقـت واحد . هنالك ، مع ذلك ، مظاهر مرئية او بصرية اخـرى تعـرف عنـدهم بظاهرات « التداخل والتفريـق »
Interference and diffraction phenomena
التي لا يمكن شرحها او تفسيرها الا « بالصورة الموجبة »
wavepicture وقد كان لزاما علينا القيام بتحليل اعمـق لننجو من هذه المتناقضات . والغريب جدا في هذا كله ، ان الامر اصبح الان ممكنا بالنظر الى ان الالكترونات او الكهيربات ، اسوة بغيرها من الجزيئات المادية الاخرى ،تنعم هي ايضا بالخصائص الموجيـة wave properties عدا ما لها من خواص الدقائق particles properties اسـوة بالضوء نفسه الذي لدقائقه ايضا خواصها المفردة ، الـى جانب خواص الصورة الموجية wave properties

وهذه المتناقضات التي نلاحظها في « كم الفعـل » جعلت من الذرة شيئا يختلف تماما عن اغراض الميكانيك النيوتونية ويشذ عنها . صحيح ان التاثير الذي تحدثـه ذرة واحدة يمكن للعين ان تتبينه عن طريق تفاعـــلات جماعية متتالية Collective or avalanche effects
آخذ بعضها برقاب البعض الاخر ، وذلك بواسطة جهـاز مناسب معد لهذه الغاية . يجب الا يغرب عن البال قط ، اننا هنا امام واقع محيز غير منظور Invisible reality تبدو خطوطه جوهرية وان كانت تصبح مهملة على الاقل لا شأنا عمليا لها في الاجرام المجسمة التي ترى بالعـين المجردة Macroscopic objects . والفضل للعالم بوهر(٧) نفسه الذي عرف ليس فقط ان يوسع اراء بلانك ويبسطها بحيث جعل منها نظرية قائمة هي نظرية « التركيبالذري»
Theory of atomic structure « والخطوط الطيفية »
Spectral lines بل عرف ايضا ان يخرج منها بالنتائج النظرية Epistomological Consequences للميكانيكا الموجية Quantum mechanics او Wave mechanics التي ازالـت منذ عام ١٩٢٧ ، المتناقضـات العقليـة Logical contradiction من التفسـير النظـري « للظاهرات الكمية » Quantum phenomena وهذه النتائج ليس منالسهل ، وأيم الحق ، تفهمها واستساغتها بيسر . ان وجهة النظر المعروفة عندهم بـ « الاضافيـة » Complementarity التي جاء بها بوهر وغيره مـن العلماء الذين نهجوا نهجه ، لهذه الغاية بالذات ، لقيـت بين لفيف العلماء من عارضها وناهضها ، مع العلم ان السواد الاعظم بين الفيزيائيين ، تبنوها وقالوا بها .

ولكي تفهم تماما ما معنى « الاضافية » هذه ، عليك ان تتصور اجساما ماضية في حركتها المستمرة في الحين الذي تنظر انت اليها فيه بواسطة جهاز يستطيع ان يحدد بالدقة المطلوبة مركزها او موقعها . ولا يغير في الامر او يبدل منه شيئا ، اذا كان بوسعك ان تضبط هذه الحركة وتقومها ، فتقوم بذلك وتحدد بصورة نظريـة طبعا ، الاضطراب الذي يحدث خلال عملية القياس او التقويم هذه . ولكن ما عسى ان يحدث لو كان هذا الاضطـراب لا يمكن ان يقع تحت الاشراف العلمي مبدئيا ؟ فاذا مـا ادت هذه القياسات الاختبارية لهذا الاضطراب ، الى وضع آلة او مقياس جديد يضبطه ، ادت تفاعلات المقياس الجديد مع الموازين القديمة ، الى اضطراب جديد لا يمكن حصره والتحكم به مبدئيا .

هذا هو بالفعل ما آلت اليه محدودية او تناهـي « كم الفعل » The finiteness of the quantum of action
فالمرء يرى نفسه هنا ، كما سبق لهيزنبرغ (٨) واوضـح ذلك لاول مرة ، في وضع رجل يواجه ورطة او يتخبط حيص بيص . فهو بين التضحية والاختيار في جـيرة ظاهرة . وهذا الوضع يفرض ، من جهة القائم بالبرهـان الاختباري ، شيئا من الحرية ليختار الموقف الذي يقفه من هذه التجربة ، بين عدة مواقف تعرض له ينافي احدها الاخر . وهذه الحالات الاولية المتفرعة عن قانون القصـور الذاتي Inertia في الميكانيكا الكلاسيكية التي تقـول بالمركز Position والسرعة Velocity والزخم Momentum تبدو الان زوجا حقيقيا من المتضادات تتألف من كميـات مستقلة Independent quantities ووفقا لهذه النظرية ، يمكن ان نعين لكمية ما من هذه الكميات ، قيمة محددة بدقة ، وذلك في الحالة التي تكون فيها الكمية الثانية فقط غير محددة القيمة مبدئيا ، بحيث يشير كم الفعل الىحاصل ضرب الكميات غير المحققة بالكميتين المذكورتين . ولما كانت هذه اللامحدودية Indeterminacy عنصرا لا بد منه في الدور الاولي لكل نظرية جديدة مفرض فيهـا ان تـكون ، على اقل تعديل مطابقة للقوانين الطبيعية الجديدة تعذر والحالة هذه ، ادخال أي تحسين او تطوير على الطريقـة الجديدة ، كما حدث في الميكانيكا النيوتونية .

فالنظرية لا تنبىء بغير نتائج الاحصائيات التيتفضي اليها اختبار يأخذ مجراه ، عندما يعاد الاختبار ذاته في حالة معينة بالذات . واسوة بحادث نهائي لم يتأت عـن مسبب ما ، لا تقع نتيجة القياس الفردي ضمن نطـاق النواميس المعترف بها . وهذه هي الحالة التي يجـب ان تتوفر اذا ما نظرنا الى الظاهرات الكمية او الميكانيكا الموجبة

(٧) نيلز بوهر Niels Bohr ١٨٨٥ ـ عالم فيزيائي دانيماركي علم في جامعة كوبنهاغن ورأس فيها معهد الفيزياء النظرية . قال بنظرية خاصة للتركيب الذري عرفت عندهم : « بنظرية بوهر » يعترف فيهـا بما للذرة من اثر ديناميكي ناتج عن الكترونات تتحول في مداراتها مـع نواة الذرة . وهو اول من طبق نظرية الكم على التركيب الذري .

(٨) هيزنبرغ Vermer Heinsenberg ١٩٠١ ـ عالم فيزيائي الماني ، استاذ الفيزياء النظرية في ليبزيغ . قام بابحاث دقيقة حول التركيب الذري . حاول تطوير الميكانيكا الموجية ١٩٢٥ ونادى بمبدأ اللامحدودية Indeterminacy نال جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٣٣ كان ابـوه اختصاصيا بالتاريخ البيزنطي والحضارة البيزنطية .

quantum or wave mechanics باعتبارها عملية تعميم عقلية للميكانيكا الكلا سيكية او النيوتونية التي تأخذ بعين الاعتبار محدودية كم الفعل The finiteness of the quantum of oction ان المرجحات التي وجدت طريقها في النواميس الجديدة يجب اعتبارها بدائية أي انها لا تستنتج من القوانين الكلاسيكية النيوتونية Deducible from deterministic laws Primary probabilities وكمثال على هذه الاحتمالات الاولية فاني اذكر هنا ان الوقت الذي تخضع فيه ذرة ما لتفاعل معين ، يبقى معدل حدوث رد الفعل في مجموعة كبيرة من الذرات ، غير محدود حتى في الحالات التي يتضح فيها بصورة عملية .

وعلى هذه القواعد تم التغلب على ما يبدو من تناقض بين الصورة الموجبة والجزيء ، منذ ان كانت علاقة اللامحدودية Relation of indeterminacy الملازمة لقوانين الطبيعة تجعل الاختبارات المتخذة للكشف عن خواص الموجات في جسم ذري ما ، والتجارب الاخرى المراد منها الكشف عن خواص الدقائق ، تتنافى معا بالاشتراك المتبادل.

وهذا التفير انما يقصد منه ان يتيح لنا النظر في الامكانية المنطقية او النظرية Logical possibility لعملية تجريد جديدة اوسع واعمق . وهذه العملية التجريدية الجديدة تأخذ بعين الاعتبار المختبر الراصد ، والجهاز الذي يستخدمه في اختباراته ، خلافا للطريقة المتبعة من قبل في الفيزياء الكلاسيكية ، وفقا للنظرية النيوتونية او لنظرية مكسويل انشتاين . وفي عملية التجريد الجديدة هذه، لم نعد لنفرض مختبرا او مجربا معزولا ، كما يحصل مثلا في هذه التجريدات الخاصة بهذه النظرية من النوع الكلاسيكي ، بل مختبرا يحدث بتأثيره غير المحدد ، وضعا جديدا يوصف عقليا بكونه وضعا جديدا للنظام الجاري رصده . وعلى هذا تبدو عملية الرصد هذه بمثابة ابراز نتيجة حقيقية خاصة ، تتحيز في الزمان والمكان ، وتبرز مستقلة عن الامكانيات النظرية Theoretical possibilities وتوضح بالتالي نظرية عدم الاتصال في الظاهرات الطبيعية The discontinuous aspect of the physical phenomena

يبقى مع ذلك ، في هذه النظرية التي هي من نوع جديد ، « حقيقة موضوعية » Objective reality على نسبة ما تجرد هذه النظريات المختبر من امكانية التأثير على نتائج القياس ، بعد ان يكون اختار لنفسه الموقف التجريبي الذي يلائمه . ولذا ، فالصفات الخاصة التي تميزبها مجرب فرديما ، لا تدخل في الاطار العقلي للنظرية The Conceptual framework of the theory بل على عكس هذا تماما ، فهي تصف الظاهرات وفقا للمقياس المجهري للاجرام الذرية On the microscopic scale of Atomic objects بطريقة تنطبق على كل المختبرين من اي نوع او جنس كانوا ، وفقا للنواميس الرياضية ، مع تبيين الخصائص النظرية او الفكرية لكل منها ، هذه الخصائص التي يمكن تلقينها لاي كان تم له التهيؤ العلمي الكافي من الرياضيات والفيزياء . وعلى هذا المفهوم الواسع ، ان الوصف الموجي او الكمي للظاهرات الذرية The quantum mechanical description of atomic phenomena يبقى وصفا موضوعيا صرفا بالرغم من ان وضع جسم ما ، من غير المفروض فيه ان يبقى مستقلا عن الطريقة التي يمكنه بها ان يلحق تغييرا بمصادر المعرفة المتعلقة بالجسم ، عن طريق التغييرات التي تطرأ على الارصاد او الاختبارات ذاتها . ان حدوث مثل هذه التغييرات يوضح لنا وجود نوع جديد لكمال الطبيعة wholeness in nature لم يفطن اليه علم الفيزياء النيوتونية ، باعتباره محاولة لتقسيم ظاهرة يسخر لها الترتيب التجريبي بكامله اذ ان رصدها يوجد تماما ظاهرة جديدة .

والذي عليه اتفاق الاراء الان هو ان الميكانيكا الكمية Quantum mechanics تترك عددا من الظاهرات الاساسية بدون شرح ولا تفسير ، منها مثلا صفة الكهرباء الذرية The atomistic character of electricity التي نوهت اليها سابقا . والى هذا ، لا نرى أي تفسير مقنع للخواص المميزة المختلفة للمادة The Characteristic variety of mas value ولا لما نرى من تفاوت عظيم بين درجات الاستقرار في عدد من الجزيئات التي اصطلحوا بصورة موقتة على تسميتها « ابتدائية » Elementary فاذا ما اخذنا بحدود امكانية تطبيق هذه النظرية التي نقول بها اليوم ، سيبقى حتما بالرغم من هذا ، اختلاف كبير بين العلماء حول قيام تطوير ممكن لها في المستقبل . وبعض العلماء يرى امكان الرجوع الى الفكرة الكلاسيكية التي تقول بالمختبر المعزول تماما الذي يمكن اجتناب تأثيره على الجهاز التجريبي بتصحيحات يمكن تحديدها بصورة نظرية . وهنالك فريق آخر ، وانا بينهم ، يعلقون آمالهم بعكس ذلك ، على طريقة اخرى معاكسة تماما . والذي أثر علي بالاكثر ، في التجارب العلمية التي أدت صدفة ، عام ١٩٢٧ ، الى نظرية الميكانيكا الموجية wave mechanics هو ان ازدواج المضادات الحقيقية real pairs of opposition امثال علاقة الجزيء بالموجة Particles versus waves او علاقة المركز بالزخم Position versus momentum او علاقة الطاقة بالزمن Energy versus time توجد في الفيزياء ايضاء ، ومثل هذه المضادات لا يمكن حلها او التغلب عليها الا بطريقة متناسقة Systematical way . وهذا انما يعني ان حدا واحدا من حدود هذه المضادات ، لا يحذف او يستغنى عنه في صالح الاخر ، انما الحدان او الطرفان المذكوران يستعملان معا فيتخذان قاعدة لقانون فيزيائي جديد يبين بدقة ما لهذا التضاد من ميزة تكميلية The complementary character of the Contrast

ويخيل الي انه من المعقول جدا ان تأتي الامور على هذا المنوال الذي نرسم ، في كل ما يتصل بعلاقة المجال بالاجسام المختبرة Field Versus test bodies لا يمكن قياس مجال ما الا بما له من اثر بين على الاجسام المختبرة . وهذه الاجسام المختبرة يجب النظر اليها باعتبارها مصدرا للمجال المشار اليه . وهذا القول من شأنه ان لا يثير أي صعوبة او مشكلة في الظاهرات التي تتعلق بالاجسام الكبيرة العادية Macroscopic phenomena اذ ان الاضطراب الذي يطرأ على المجال من الاجسام المختبرة من الممكن دائما توهمه بما صغيرا دقيقا وتحت المراقبة . وليس هذا بوجه من الوجوه ، حال الاجسام المختبرة التي لا مندوحة قط من تحديد تركيبها الذري ، ولا سيما فيما

يوسف اسعد داغر

[التتمة في صفحة ٥٢]

الى زوجتي

○

« .. وتروي الاساطير اليونانية قصة بنلوب الزوجة الوفية لزوجها المغامر الغائب اوديسيوس ... وتروي ايضا ان الطبيعة كانت تشارك هؤلاء الابطال اتراحهم وافراحهم : فترعد وتبرق اذا مسهم ضر ، وتشرق شمسها بهية دافئة اذا لفتهم السعادة بجلبابها » .

○

الليلُ أقبل والظلامْ
غطّى ببُرْدَيه الانام
والسحبُ حيرى لا تنام
قد لفّها قلق ضرام
وحدا بها شوق عُرام
وأنا مع الافق الحزين
أشكو له وجدي الدفين
وأراكِ نحوي تنظرين
وتغزلين وتنقضين

*

الكلُّ قد لبّى الدعاء
ليزيلَ عنه صدا العناء
وأنا أحملق في الفضاء
وأعاتب الشهبَ الوِضاء
وتكر في ذهني السنون
حيرى كسحب في جنون
وأراكِ دوما تغزلين
وتغزلين وتنقضين

*

الليلُ أدبر والنهار
غمر الفيافي والقفار
وبَدوتِ لي نورا ونار
وسنا به روحي تثنار
ونظرتُ في حَدق العيون
لارى بماذا تحلمين ؟
ونظرت نحوك من قريب
فاذا بقلبينا وجيب
وعلى الشفاه جوى حبيب
ومن العيون بدا لهيب
وتصافحت اقداحنا
وتعانقت ارواحنا
وعَجلتِ نحوي ترفلين
والثوبُ من وجد السنين
أطرافه حُمراً بقين
والدمعُ من حب مكين
حُب بدا لي من عيون
نجلاءَ لا تخفي حنين
ولا تطيفُ بها ظُنون

*

الانَ قد زال العَنا
والنفس تحيا في هَنا
وغدوتِ في أرضي سنا
وعلى مَحيّاكِ الجميل
آيات وجدٍ لا تزول

لندن — محمود السمره

قصة لبيرل بك

الشيطان العجوز

ترجمة صدقي حطاب

كانت زوجة وانج العجوز تعرف بالطبع ان هناك حربا ، فلقد كان كل امرىء يعرف منذ امد بعيد ان هناك حربا تدور رحاها وان اليابانيين يقتلون الصينيين . ولكن الامر كان لا يزال مشكوكا فيه ولا يعدو كونه اشاعة بالنسبة لاسرة وانج ما دام لم يقتل احد من تلك الاسرة . وكانت قريبة قبيلة زوجة وانج تقع على ضفة النهر الاصفر ، ولم تر يابانيا ابدا . وسنحت هذه الفرصة ليتحدثوا عن اليابانيين .

في أمسية من امسيات اصيف المبكر صعدت زوجة وانج كعادتها كل يوم درجات السد بعد ان تناولت طعام العشاء ، لكي ترى كم بلغ ارتفاع النهر . فقد كانت تخشى النهر اكثر من خشيتها اليابانيين بكثير ، فانها كانت تعرف ماذا يفعله النهر ، وتبعها القرويون الواحد تلو الاخر ووقفوا يحدقون في النهر الاصفر الحقود ، وهو يلتف كأنه مجموعة من الحيات ثم يتسع عند ضفاف السد العالي .

وقالت زوجة وانج انني لم أر مياهه مرتفعة هكذا في مثل هذ االوقت المبكر . وجلست على مقعد من انبوص احضره لها حفيدها (لتل بيج) وبصقت في الماء .

وقال لتل بيج مجازفا انه شر من اليابانيين ، هذاالنهر الشيطاني العجوز فقالت زوجة وانج بسرعة : ايها الغبي ان رب النهر سيسمعك ، فتحدث عن اي شيء اخر .

وهكذا اخذوا يتحدثون عن اليابانيين ... وكيف ، مثلا ، سأل وانج الخباز ابن ابن اخي زوجة وانج العجوز ، هل يعرفون اليابانيين حين يلقونهم ؟

وهنا قالت زوجة وانج بكل تأكيد: ستعرفهم ، لقد رايت مرة غريبا ، لقد كان اطول من طنف بيتي ولون شعره كلون الوحل وعينيه كلون عيني السمكة . ان كل من لا يشبههنا يكون يابانيا .

وانصت اليها الجميع لانها كانت اسن امراة في القرية ،وكل ما تقوله يعتبر القول الفصل . ثم تكلم لتل بيج بطريقته الاعتباطية : انك لا تستطيعين ان تريهم يا جدتي ،انهم يختفون في السماء في طائرات .

ولم تجب زوجة وانج في الحال، فقد كانت تقول بكل تأكيد : انني لن اصدق بوجود الطائرة ما لم ارها .

ولكن اشياء كثيرة كانت صحيحة ولم تصدق بها ـ الامبراطورة ، مثلا، ماتت ، مع انها لم تصدق بموتها . ثم انها لم تصدق بالجمهورية لانها لم تعرف ما هي الجمهورية . وكانت لا تزال لا تعرف شيئا عن ذلك، مع انهم كانوا يقولون منذ زمن بعيد بأن هناك جمهورية . وانصرفت الان الى التحديق بهدوء في السد والجميع جالسون من حولها . وكان الجو جميلا جدا وباردا ، وكانت تشعر بان كل شيء لا خوف منه اذا لم يرتفع الفيضان . وقالت وهي ترسل القول على عواهنه : انني لا اصدق بوجود اليابانيين

وضحكوا عليها قليلا ، ولكن احدا منهم لم ينبس ببنت شفة . واشعل بعضهم انبوبة تبغها ـ وكانت التي اشعلتها محبوبتها ـ زوجة لتل بيج واخذت تدخنه .

ونادى احدهم : غنينا يا لتل بيج

وهكذا اخذ لتل بيج في غناء اغنية قديمة بصوت مرتفع يهتز . واصغت زوجة وانج العجوز ونسيت اليابانيين وكان المساء جميلا ، والسماء صافية جدا وكانت اشجار الصفصاف التي في اعلى السد تنعكس على صفحة الماء العكر . وكل شيء هادئا ، وكانت تلك الثلاثين بيتا القريبة التي تكون القرية متفرقة الى الاسفل منهم . ولم يكن هناك شيء يقطع هذا السكون . وبعد كل هذا ،ان اليابانيين من بني آدم .

وقالت ليتل بيج بعد ان توقف عن الغناء : انني اشك في وجود هذه الطائرات .

ولكنه اخذ في غناء اغنية اخرى دون ان يجيبها .

وهكذا انفقت السنين من حياتها في الجلوس على هذا السد في امسيات الصيف. وكانت المرة الاولى التي تجلس فيها على هذا السد يوم ان كانت عروسا في السابعة عشرة من عمرها يوم ان ناداها زوجها لتخرج من البيت وتأتي الى السد ، فجاءت وهي خجلة تفرك يديها التختفي بين النساء بينما ضج الرجال بالضحك عليها والسخرية منها . غير انهم مع كل هذا كانوا يحبونها، وقالوا لزوجها « ان قطعة دسمة من اللحم في جفنتك » . فأجاب مستهجنا « ان قدميها كبيرتان » . ولكنها كانت ترى امارات السرور في وجهها ، وهكذا فارقها خجلها تدريجيا .

وقد غرق المسكين في احدى الفيضانات وكان لا يزال في ريعان شبابه . وصلت من اجله سنين لتخرجه من المطهر البوذي . واخيرا تعبت من ذلك ، فقد كان عليها ان تعتني بطفلها وبالارض ، ولذا عندما قال لها الكاهن مداهنا : اذا دفعت عشرة قطع اخرى من الفضة فانه سيخرج من المطهر تماما. سألته ما الذي بقي منه في المطهر حتى الان ؟

فقال لها الكاهن وهو يشجعها : يده اليمنى فقط .

وعندها نفذ صبرها، عشرة دولارات انها تكفيها مدة الشتاء ، بالاضافة الى ان عليها ايضا ان تدفع اجرة عامل كنصيبها في اصلاح السد لكيلا تحصل فيضانات اخرى .

فقالت بحزم : اذا كانت يد واحدة فهو يستطيع ان يسحبها بنفسه .

وكم كانت ترتاب في امر ذلك المسكين . وكم انفقت الليالي تفكر

فيه ، والغم يملوء قلبها ، وهو لايزال مسجى هناك ينتظر منها ان تعمل شيئا من اجله . فقد كان من هذا النوع من الرجال . ولعل زوجة لتل بيج ترجع اليه في يوم من الايام لتخلصه من المطهر بعد ان تضع طفلها الاول وتوفر قليلا من المال . ولم تكن هناك سرعة حقيقة مع ان ...

وقالت زوجة لتل بيج بصوتها الناعم : هيا يا جدتي ان الضباب يرتفع من النهر بعد ان غربت الشمس . فأجابتها زوجة وانج العجوز بالايجاب قائلة : نعم يجب ان افعل . وحدقت في النهر برهة . ذلك النهر ـ انه ممتلىء بالخير والشر معا . انه يسقي الحقول اذا اقيمت له الحدود والسدود ، ولكنه اذا زاد بوصة واحدة انطلق مدمرا كأنه تنين مزمجر . وهكذا اكتسحت المياه زوجها ـ وكان مهملا في الجزء الموكل اليه من السد . وكان ينوي دائما ان يصلحه بأن يكوم الطين في اعلاه ولكن النهر ارتفع في ليلة من الليالي فأغرق ما حوله . فخرج مسرعا من بيته وصعدت الزوجة على سطح المنزل ومعها طفلها فنجت هي والطفل ، اما هو فغرق . وردوا النهر الى ما وراء السدود وبقي مكانه كل هذا الوقت . وكانت تسير في كل يوم على طول السد جيئة وذهابا وتفحصه ، هذا السد المسئولة عنه القرية كلها . وكان الرجال يضحكون منها ويقولون : اذا حصل تلف في السدود فان (جراني) ستخبرنا .

ولم يخطر على بال احد من اهل القرية ابعاد القرية عن النهر . وكانت قبيلة وانج تعيش فيها منذ اجيال ، وكان بعض افرادها ينجون دائما من الفيضانات ويقاومون النهر الان بشدة اكثر من مقاومتهم له في أي حين .

وتوقف لتل بيج فجأة عن الغناء .

وصاح : ا ن القمر قد طلع ، وهذا ليس شيئا حسنا ، فان الطائرات تأتي في الليالي المقمرة . فسألته زوجة وانج باستغراب : من أين تعلمت كل هذا عن الطائرات ؟ واضافت قائلة بلهجة قاسية ان ذلك ينعبني . فلم يتكلم احد ، وفي خلال هذا الصمت اتكأت على ذراع زوجة لتل بيج وهبطت على مهل الدركات الارضية التي تؤدي الى القرية ، وجعلت من انبوبة تبغها ، التي اخذتها في يدها الاخرى ، عصا تسير عليها . وتبعها القرويون الواحد تلو الاخر ليأووا الى فراشهم ، ولم يكن يتحرك واحد قبلها او يمكث بعدها .

ونامت في فراشها اخيرا نوما هادئا خلف ستائر البعوض القطنية الزرقاء التي ثبتتها زوجة لتل بيج وظلت مستيقظة مدة قصيرة وهي تفكر في امر اليابانيين وتتساءل ماذا يريدون من الحرب ، فلا احد يريد الحرب غير الجناة الغلاظ . وتصورت اناسا جناة غلاظا وتصورت انهم اذا جاءوا كان على المرء ان يداهنهم ويدعوهم لتناول الشاي ، ويفسر لهم تفسيرا معقولا ـ لماذا يأتون الى قرية زراعية آمنة ..؟

ولذا لم تكن تتوقع ان تسمع صراخ زوجة لتل بيج وهي تقول ان اليابانيين قد قدموا . فجلست في فراشها وهي تتمتم : اقداح الشاي ... الشاي ...

فصاحت زوجة لتل بيج : لم يعد هناك وقت يا جدتي ، انهم هنا ... انهم هنا .

فاستيقظت زوجة وانج العجوز فصاحت : أين ؟

فردت زوجة لتل بيج مولولة : في السماء ! .

وخرجوا جميعا مسرعين عند الصباح الباكر ليتبينوا الخبر وشخصت ابصارهم الى السماء ، وكانت هناك اشكال على هيئة الطيور الكبيرة وكأنها الاوز البري الطائر في ايام الخريف .

وصاحت زوجة وانج العجوز : ولكن ما هؤلاء ؟

وحينئذ سقط شيء يشبه بيضة فضية ساقطة ووقع في طرف القرية النائي في احد الحقول ، وخرج ينبوع من الارض فاسرعوا جميعا ليشاهدوه فوجدوا حفرة اتساعها ثلاثين قدما تشبه بركة كبيرة . وعقدت الدهشة السنتهم ، ثم قبل ان يستطيع احدا الكلام سقطت بيضة وبيضة وكان كل انسان يجري ويجري ...؟

كل انسان الا زوجة وانج . وعندما اخذت زوجة لتل بيج بيدها لتقودها ، افلتت نفسها وجلسة مستندة على حافة السد .

وقالت معلقة : انني لا استطيع ان اركض ، انني لم اركض منذ سبعين سنة حين قيدت قدماي ، اما انت فسيري ، ولكن اين لتل بيج ؟ . والتفتت الى ما حولها . لقد كان لتل بيج قد انصرف ، فقالت معلقة : انه يشبه جده اذا هو دائما الاول في الفرار

ولكن زوجة لتل بيج لم تكن ترضى ان تتركها حتى ذكرتها زوجة وانج العجوز بان من واجبها ان تفعل ذلك .

فقالت لها : اذا كان لتل بيج قد مات فانه يكون من الضروري حينئذ أن يولد ابنه حيا . وعندما وقفت الفتاة مترددة ضربتها بانبوبة تبغها ضربا لطيفا قائلا : انصرفي .. انصرفي

وهكذا ذهبت زوجة لتل بيج مع الاخرين على غير ارادتها لانهما كانتا لا تستطيعان سماع كلام بعضهما البعض من جراء دوي القنابل الساقطة من الطائرات .

ولكن القرية قد اصبحت الان حطاما ، وسقوف القش والعوارض الخشبية كلها مشتعلة مع انه لم تمض سوى بضعة دقائق . لقد ذهب كل فرد ، وعندما كانوا يمرون بها كانوا يهيبون بها ان تأتي معهم فكانت ترد عليهم بمرح : انني آتية ـ انني آتية !

ولكنها لم تذهب ، وجلست وحدها تراقب مشهدا عجيبا ، فسرعان ما جاءت طائرات اخرى ، لا تعلم من أين اتت ، ولكنها هاجمت الطائرات الاولى . وأشرقت الشمس على الحقول بما فيها من قمح مستو على سوقه ، وكانت الطائرات في هذا الجو الصافي تدور وتنقض وتقذف حممها على بعضها البعض . وفكرت بعد ان انتهت الطائرات ان ترجع الى القرية وترى ما اذا كان قد بقي هناك شيء . فكانت ترى هنا وهناك جذارا قائما يحمل سقفا . ومن هنا لم تستطع ان تتبين بيتها . ولم تكن غير معتادة على الحرب ، بل كانت متعودة على مثل ذلك . فلقد نهبت عصابات اللصوص قريتهم وحرقت البيوت ايضا . والان قد حدث هذا من جديد . ان المرء يستطيع ان يرى البيوت المحترقة كثيرا ولكنه لا يستطيع ان يرى مثل هذه المعركة بما فيها من اندفاع فضي لامع في الجو ؟ . ولم تفهم شيئا من ذلك ـ لم تفهم ما هذه الاشياء ، لا ولم تفهم كيف تبقى في السماء . وظلت جالسة تراقب ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجوعها يزداد .

وقالت بصوت مرتفع : انني اود ان ارى احدا قريبا . وفي تلك اللحظة اضطربت احدى الطائرات فجاةوكانها تجيب على امنيتها ، فاذا هي تلف وتدور وكانها جريحة وسقطت في حقل حرثه لتل بيج بالامس ليزرعه بفول الصويا . وفي هنيهة عادت السماء خالية مرة اخرى ولم يبق على الارض سوى هذا الشيء الجريح وسواها .

ونهضت بكل حرص عن الارض، فهي في سنها هذا لا تحتاج لان تخشى شيئا . انها تستطيع ان تذهب وصممت على الذهاب لترى ما ذلك الذي على الارض . وسارت في الحقول بطيئة الخطى ومتكئة على انبوبة تبغها البوصية . وظهر خلفها في هذا السكون المفاجيء كلبان او ثلاثة من كلاب القرية وتبعتها وهي تتسلل الى جانبها فزعة ، وعندما اقتربت الكلاب من الطائرة الساقطة اخذت تنبح نباحا شديدا ، فضربتها بانبوبة تبغها .

وقالت توبخها : اخرسي فلقد سمعت ضجة تكفي لوقر اذني .

وقرعت الطائرة بانبوبة تبغها

وقالت للكلاب : معدن ! واضافت قائلة : فضة من غير شك انها لو صهرت لجعلتهم اغنياء .

وسارت حول الطائرة ، وفحصتها فحصا دقيا . ما الذي جعلها تطير ؟ انها لتبدو ميتة ، ليس هناك شيء فيها يتحرك او يحدث صوتا . ثم جاءت الى الجانب الذي انكفأت عليه فرات رجلا فيها مكوما في مقعد صغير ، ونبحت الكلاب فزجرتها فتراجعت .

فسألته بادب : هل انت ميت ؟

فتحرك الشاب قليلا عندما سمع صوتها ولكنه لم يتكلم . واقتربت منه ونظرت الى الثقب الذي يجلس فيه ، وكان خصره ينزف دما .

فسألته مستغربة : مجروح !.. وتناولت معصمه، وكان دافئا ولكنه جامد ، وعندما ارخته سقط الى جانب الثقب وحدقت فيه . لقد كان شعره اسود اللون وبشرته سمراء كالصينيين ، ولكنه مع هذا كان لا يبدو كالصينيين .

وفكرت ، يجب ان يكون من اهل الجنوب ولكن الشيء المهم هو انه حي . وعقبت قائلة : من الافضل ان تخرج من مكانك ، وسأضع على خصرك بعض الادوية العشبية .

فتمتم الشاب بشيء تمتمة فاترة .

فسألته : ماذا قلت ؟ ولكنه لم يكرر ما قاله .

واستجمعت قوتها وقالت: انني لا ازال قوية. ولذا اقتربتمنه وامسكت به من خصره وسحبته على مهل ولهثت كثيرا . وكان ، لحسن حظها ، شابا ضئيل الجسم وخفيفا جدا ، وعندما وضعته على الارض شعر برجليه فوقف وهو يترنح وتعلق بها فأمسكت به .

وقالت : اذا استطعت الان ان تمشي الى بيتي ساريااذا كان لا يزال قائما هناك .

ثم قال شيئا بكل وضوح، فأصغت ولكنها لم تستطع ان تفهم كلمة واحدة من كلماته ، وافلتت نفسها منه واخذت تحدق فيه .

وسألت : ما ذلك ؟

واشار الى الكلاب ، وكانتواقفة تعوي واعناقها مشرئبة . وتكلم مرة اخرى وهوى الى الارض وهو يتكلم ، ووثبت الكلاب عليه فكان على السيدة ان تضربها بيديها .

وصاحت : ابتعدي ، من قال لك ان تقتليه ؟

ثم رفعته على ظهرها بعدان ابعدت الكلاب ، وكانت تحمله وهيترتجف وتجره الى القرية المهدمة ووضعته في الشارع بينما ذهبت لتبحث عن بيتها واخذت الكلاب معها .

لقد اصبح بيتها اثرا بعد عين ، فوجدت المكان بسهولة فهو يجب ان يكون هنا مقابل بوابة الماء في السد لقد كانت تراقت هذه البوابة بنفسها دائما ، ونجت هذه البوابة باعجوبة فلم تصب بضرر وكذلك لم يهدم السد . وسيكون من السهل ان تعيد بناء بيتها . وكل ما في الامر انه قد تهدم في الوقت الحاضر .

ورجعت الى الشاب وكان لا يزال مستلقيا كما تركته مستندا الىالسد يلهث وكان شديد الشحوب وقد فتح معطفه واخذ حقيبة صغيرة فأخرج منها لفائف من القماش وزجاجة ، وتكلم مرة اخرى ولكنها كذلك لم تفهم . ثم قام باشارات فهمت منها انه يطلب ماء ، فتناولت اناء مكسورا من الاواني المبعثرة في الشارع وذهبت الى السد وملأته بماء النهر واحضرته وغسلتجرحه وقطعت من لفائف القماش ، وكان يعرف كيف يضع القماش فوق الجروح الدامية فكان يشير لها وهي تعمل طبقا لاشاراته ، وكان يحاول في كل هذه الاثناء ان يقول لها شيئا ولكنها لم تستطع ان تفهم شيئا .

فقالت : يجب ان تكون من اهل الجنوب يا سيدي . وكان من السهل ان يرى المرء انه على جانب من الثقافة فكان يبدو ذكيا جدا .

فقالت : لقد سمعت ان لغتك تختلف عن لغتنا . ثم ضحكت قليلا لتؤنسه ولكنه لم يفعل سوى التحديق فيها بعيون ثقيلةالجفون . ولمع خاطر في ذهنها فقالت : سأذهب الان فلعليأجد شيئا تأكله، فان ذلكمفيد.

ولم يجب ، والواقع انه استلقى على ظهره واخذ يتنفس بانفاس منبهرة ، ويحدق في الفضاء وكانها لم تتكلم شيئا .

واستانفتحديثها قائلة: ستتحسن عندما تتناول الطعام وكذلك انا . وكانت قد بدأت تشعر بوطأة الجوع.

وخطر في ذهنها انه يمكن ان تجد بعض الخبز في دكان الخباز وانسج وحتى لو كان هذا الخبز مغبرا من الجير المتساقط ، الا انه مع ذلكخبز، وستذهب وترى ، ولكنها قبل ان تذهب حركت الجندي قليلا بحيث اصبح يستلقي في طرف الظل الذي تلقيه شجرة صفصاف كانت تنمو على ضفة السد . ثم ذهبت الى دكان الخباز وكانتالكلاب قدانصرفت

وكان دكان الخباز ركاما ككلشيء اخر . ولم يكن هناك احد ، ولم تر في اول الامر سوى كتل الحيطان المهدمة ، ولكنها تذكرت ان الفرن داخل الباب وكان لا يزال اطار الباب واقفا يقيم احد جوانب السقف ووقفت عند هذا الاطاروادخلتيدها تحت السقف المنقض وتحسست الغطاء الخشبي للقدر الحديدي فقد تجد الخبز تحت هذا الغطاء ، وبحثت بيديها بحرص وبمهارة ، وظلت مدة طويلة وكادت سحب الغبار والجير تخنقها ، وبالرغم من ذلك ، فانها قد اصابت هدفها وقبضت يدها تحت الغطاء على ارغفة الخبز الكبيرة الناعمة الملمس وسحبت اربعة الواحد بعد الاخر .

وقالت فرحة وهي لا تكلم احدا : ان من الصعب قتل عجوز مثلي : واخذت تاكل رغيفا وهي آئبة . آه لو حصلت على شيء من الثوم وقدح من الشاي ـ ولكن المرء لا يستطيع ان يحصل على كل شيء في هذه الاوقات .

وفي هذه اللحظة سمعت اصواتا، وعندما وصلت على مرأى من الجندي وجدت حوله جماعة من الجنود الاخرين جاءوا من مكان مجهول ، وكانوا يحملقون في الجندي الجريح الذي كانت عيونه الان مغمضة .

فصاحوا بها : من اين جاءك هذا الياباني يا اماه ؟

فسألتهم وهي تقترب منهم : من هو الياباني ؟

فصاحوا : هذا ...

فصاحت وبكل دهشة : هل هو ياباني ؟ ولكنه يشبهنا .. ان عيناه سوداوين وبشرته ...

وصاح احدهم بها : ياباني !

فقالت بهدوء: لقد سقط من السماء

فصاح اخر : اعطني الخبز !

فقالت بهدوء : لقد سقط من السماء هذا فهو له .

فصاح الجندي : ياباني قرد يأكل خبزا جيدا ؟

فاجابت زوجة وانج العجوز : اعتقد انه هو ايضا جائع . واحست بكراهية نحو هؤلاء الرجال ، فالجنود هم الجنود دائما .

فقالت : اود ان تنصرفوا ، فماذا تفعلون هنا ؟ لقد كانت قريتنا هادئة

فقال احد الرجال وهو يكشر عن انيابه : انها بالتأكيد تبدو الان هادئة جدا ، هادئة كالقبر ، اتعلمين من فعل هذا يا اماه ؟ اليابانيون !

فقالت موافقة : اعتقد ذلك . ثم سألته لماذا ؟ وهذا ما لا افهمه ؟

فقال : لماذا ؟ لانهم يريدون ارضنا، هذا هو السبب !

فكررت قوله : ارضنا ! ولماذا ؟انهم لن يستطيعوا ان يأخذوا ارضنا !

فصاحوا : ابدا !

وفي اثناء كل هذا كانوا يتحدثون ويمضغون الخبز الذي قسموه بينهم ويرقبون الافق الشرقي .

وسألت زوجة وانج العجوز : لماذا تديمون النظر الى المشرق ؟

فاجاب الرجل الذي اخذ الرغيف : ان اليابانيون قادمون من هناك

فأجابت وهي دهشة : هل انتم هاربون منهم ؟

فقال مدافعا : انهم ليسوا سوى حفنة منا فقط . لقد ترك لناحراسة قرية (باو آن) في منطقة ...

فقاطعته زوجة وانج العجوز قائلة: انني اعرف القرية ، ولا تحتاج لان تحدثني عنها . فقد كنت صبية هناك . كيف حال باو العجوز الذي يدير مقهى الشاي في الشارع الرئيسي ؟ انه اخي .

فأجاب الرجل : لقد مات كل انسان هناك ، لقد احتلها اليابانيون فقد جاء جيش لجب ومعه المدافع الغريبة والدبابات ، فماذا نستطيع ان نفعل ؟

فقالت موافقة : تهربون طبعا .

ومع ذلك فقد شعرت بالاعياء والمرض . اذن لقد مات ذلك الاخ الوحيد الذي بقي لها ، انها الان اخر من بقي من عائلة والدها .

ولكن الجنود تفرقوا وتركوها مرة اخرى لوحدها .

وكانوا يقولون : سيصل هؤلاء الاقزام السود، ومن الافضل ان نسير .

وبالرغم من ذلك فقد تلكأ احدهم لحظة ، وكان هذا هو الذي اخذ الرغيف ، ليحدق في الشاب الجريح الذي كان مستلقيا وعيناه مغمضتان ولم يتحرك ابدا .

وسأل : هل هو ميت ؟ وقبل ان تجيبه زوجة وانج سحب سكينا صغيرا من حزامه قائلا ، ميت اوغير ميت ، انني سأطعنه طعنة او طعنتين بهذا ...

ولكن زوجة وانج العجوز دفعت ذراعه .

وقالت بلهجة آمرة : لا ، لن تفعل، فان كان ميتا فلا فائدة من ارساله الى المطهر اربا اربا. انني بوذية مخلصة



فضحك الرجل واجابها : حسنا ، انه ميت . ورأى ان رفاقه قد ابتعدوا عنه فجرى في اثرهم .

اهو ياباني ؟ وصارت تنظر اليه زوجة وانج العجوز بامعان بعد ان تركت مع هذا الهيكل الهامد ، لقد رات انه في ريعان شبابه ، وقد اغمضت عيناه الان . وكانت يده تبدو في خيالها رخوة كيد ولد لم تتشكل بعد ولا تزال تنمو . وتحسست معصمه ولكنها لم تستطع ان تحس نبضا ، وانثنت عليه ورفعت الى سفتيه نصف رغيفها الذي لم تاكله .

وقالت بصوت مرتفع جلي : كل انه خبز !

ولم يحر جوابا . لقد كان واضحا انه ميت . لقد مات وهي تحضر الخبز من الفرن .

ولم يكن هناك ما تفعله سوى ان تأكل الرغيف بنفسها ، وعندما انتهت من ذلك تساءلت اذا لم يكن عليها ان تتبع لتل بيج وزوجته وجميع القرويين . وكانت الشمس في كبد السماء وحرارتها في ازدياد . واذا كان لا بد من ذهابها فيجب ان تذهب الان ، ولكنها يجب ان تصعد على السد وتتبين الطريق الذي سلكوه . لقد ذهبوا الى الغرب مباشرة ، واخر ما تدركه العين ناحية الغرب سهل فسيح ، بل انها تستطيع ان ترى جمهورا كبيرا على بعد اميال ، وعلى كل حال ، فانها تستطيع ان ترى القرية الاخرى ولعلهم فيها .

وتسلقت السد على مهل وكانت الحرارة ترتفع درجتها ، وكانت تهب على قمة السد نسمات خفيفة تلطف الجو . وفرغت حين رأت ان النهر كان يقارب قمة السد كثيرا ، لماذا ؟ انه ارتفع في الساعة الاخيرة !

فقالت بشدة : ايها الشيطان العجوز . ليسمع ذلك رب النهر اذا شاء . انه شرير الان حين يهدد بالفيضان بينما تتجمع كل النكبات .

وانحنت على الماء ففسلت وجنتيها ويديها ، وكان الماء باردا كانه امطارا جديدة قد سقطت في مكان ما . ثم وقفت ونظرت الى مكان ما . وكان لا يبدو في الغرب سوى الجنود الهاربون عن بعد ، وبعدهم معانم القرية الثانية التي تقع على مرتفع من الارض وانه من الافضل ان تسير الى تلك القرية ، فمما لا شك فيه ان لتل بيج وزوجته كانوا ينتظرونها هناك .

وبينما كانت تهم بالهبوط لتبدا سفرها رأت شيئا في الافق الشرقي . وكان في اول الامر بقعا كثيرة ، ولكنها عندما ادامت النظر فيه بدا بسرعة فائقة بقعا سوداء كثيرة وبقع لامعة . ثم تبينت ما هو ـ لقد كان رهطا من الرجال ـ جيشا . وفي الحال علمت أي جيش هو .

وتمتمت : انه الجيش الياباني نعم ان الطائرات الفضية المدوية تحلق فوق رؤوسهم ، انهم يتجمعون وكانهم يبحثون عن شيء .

واردفت قائلة : انني لا اعلم عن من تبحثون ، اللهم الا اذا كنتم تبحثون عني وعن لتل بيج وزوجته، فنحن وحدنا اللذين بقينا ، لقد قتلتم اخي (باو) .

وكانت قد كادت تنسى ان باو ميت اما الان فتذكرت ذلك جيدا لقد كان له دكان لطيف ـ نظيف دائما ـ والشاي جيد ، واحسن الفطائر المحشوة باللحم ، والسعر العادي دائما ، وكان باو رجلا طيبا . ثم ما اخبار زوجته واطفاله السبعة ؟ لا شك انهم قد قتلوا جميعا ايضا . اما الان فان اليابانيين يبحثون عنها وخطر لها انها تبدو واضحة فوق السد ، فاسرعت في الهبوط .

وتذكرت في نصف الطريق بوابة الماء . هذا النهر العجوز ـ لقد كان لعنة عليهم منذ البداية ، فلماذا لا يكفر الان قليلا عن آثامه ؟ لقد كان يدبر جريمة جديدة محاولا ان يطغى على ضفافه ، ولم لا ؟ وترددت برهة ، حقيقة انه لمن المؤسف ان يجتاح الفيضان الشاب الياباني الميت . فقد كان شابا وسيما وقد انقذته من الطعن . وبالطبع ان هذا ليس كانقاذ حياته ، ولكنه يشبه ذلك نوعا ما . فلو كان حيا لانقذ ، وذهبت اليه وجرته حتى القته في اعلى الضفة تقريبا ، ثم هبطت مرة اخرى .

انها تعرف تماما كيف تفتح بوابة الماء . ان اي طفل كان يعرف كيف يفتح فتحة الخزان ليسقي المحاصيل ولكنها كانت تعرف كيف تفتح بوابة الماء كلها . والمسألة هي هل تستطيع ان تفتحها بسرعة وتنجو من المياه .

فتمتمت : انني الان لست سوى امراة عجوز . وترددت مرة اخرى. انه من المؤسف ان لا يرى الطفل الذي ستضعه زوجة لتل بيج ولكن المرء لا يرى كل شيء ، ثم انها قد رات في حياتها الشيء الكثير . وعلى كل حال ، ان هناك نهاية لما قد يستطيع المرء ان يراه .

ونظرت مرة اخرى الى المشرق ، وكان اليابانيون قادمون يعبرون السهل وكان هناك صف طويل اسود منقط بالاف من الرؤوس اللامعة ، ولو فتحت هذه البوابة لاندفع الماء القوي مزمجرا نحوهم ، مندفعا في السهول ومكونا بحيرة كبيرة وقد يغرقهم . ومما لا شك فيه انهم لن يستطيعوا ان يقتربوا منها اكثر واكثر او يقتربوا من لتل بيج وزوجته اللذان ينتظرانها . آه ـ لتل بيج وزوجته ـ سيتساءلان ماذا عسى قد يكون جرى لها ـ ولكنهما لن يحلما بهذا ، ان ذلك قصة طيبة ـ انها ستستمتع بروايتها على الملأ .

ورجعت الى البوابة بكل تصميم، ان بعض الناس يحاربون بالطائرات وبعضهم بالمدافع ولكنك تستطيع ان تحارب النهر ايضا اذا كان شريرا كهذا . وسحبت عرضة خشبية كبيرة وكانت زلقة بما عليها من الطحالب الفضية والخضراء . واندفع الماء بقوة من الفتحة . وحين تسحب العرضة الاخرى ، ستنفتح النوافذ الاخرى تلقائيا . وبدات في سحبها وشعرت بانها بدات تنزلق قليلا عن الثقب .

وفكرت قائلة : لعلي استطيع ان اخرج من المطهر بهذا ، ولعلهم قد يسمحون لي بأخذ زوجي القديم ايضا . وأين يده من كل هذا ؟ وحينئذ سوف ...

وزلقت العرضة الخشبية فجأة وفتحت البوابة بقوة سلبت انفاسها ولم يبق لها سوى وقت تقول فيه للنهر : هيا ايها الشيطان العجوز ...

ثم شعرت به يمسك بها ويحملها الى السماء . فقد كان تحتها ومن حولها ، وكان يسوقها فرحا هنا وهناك ، ثم اخذها في حضنه واندفع على الاعداء .

الكويت **صدقي خطاب**

الماضي الشهيد

○

ايها الماضي على شط الظلال ... أين في صمتك أيامي الخوالي ؟
يا ترى الانسام من وادي الهوى ... راجعات لي أغاريد الخيال ؟

* * *

هتف القلب على انغامك البيض الوضاء
ينشد الفرحة في طي أمانيه الظماء
لهفة طالت وضلت في هباء
وشباب ضاع ، والحلم انطوى
وعلى الدرب هتاف .. ودعاء

* * *

وبنفسي من جراح الامس آهات حيارى .. وأنين
وانا طيف غريب بين اجفان السكارى .. التائهين
ونداء خنقته عبرة الحب السجين
يا لعمري ذاب في حلم العذارى .. والسنين

* * *

كيف امضي وقيودي آخذات بيدي ؟
آه من لوعة أيامي ومن خوف غدي
آه من وقدة حبي .. آه من صد حبيبي
كيف أحيا غير أمسي .. غير ماضينا الغريب ؟

* * *

ايها الماضي على شط الروابي .. الناضرات
عندك استودعت احلام شبابي .. وحياتي
ههنا محراب آمالي والحان شكاتي
يا ترى ترجع احلام الليالي الزاهرات
فأغني للغد الضاحك عذب الامنيات ؟

القاهرة — رضوان ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

وليم كودون

بقلم جي مدلتون موري

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

اقسى حظوظ الانسان ، لو اوتي الشيء اليسير من العبقرية ، واضطر الى ملازمة من هو اوفر نصيبا منها . قد يتذكره احدنا ، ولكن باسلوب يبدو ان من الخير نسيانه . ذلك ان كتاب السير المتحمسين الذين يتناولون دراسة النوابغ ، يجعلون مثل هذا الانسان قطعة من أثاث المسرح ، انموذجا مشوها من التفاهة وكل ذلك من اجل اضفاء السمات السامية على البطل . ومن هنا اصبح (لي هنت) ذيلا تابعا لبايرون ،، كما غدا وليم كودون امعة لشيللي .

كان بايرون وشيللي رومانسيين ، وشهرتهما في هذا الصدد لم تعد لتسحر القارىء الاعتيادي ، اما اصدقاؤهما التعيسو الطالع ، الذين ربطوا مصائرهم بهما ، فقد تجاهلهم المهتمون بالسير ، ومن اجل ذلك غدا هؤلاء طفيلين على الادب ، في اذهان عامة الناس . ثم ان احدنا ، وبخاصة كاتب السير لن يزعج نفسه بالتساؤل عن الصلة التي تربط العبقري بمن هو اقل منه جدارة بهذه الصفة ، على ما في هذه الصلة من متانة ، ولوجودها من ضرورة . اما فكرة العلاقات المتقابلة فيمكن اغفالها ، بالاخلاد الى مذهب عبادة البطولة .

وهذه الفكرة تذهب بعيدا في ارضائها الرومانسي الى حد انه من اليسير اقتلاعها من خيال الجمهور وبعثرتها هباء منثورا ، وعلة ذلك ان وصفك لانسان ما ضئيل النصيب من النبوغ ، لا يعني سهولة العمل ، ولا ضآلة الجهد ، وربما ان تسعة من عشرة اشخاص ممن يقصون كودون من مجالي حديثهم ، لم يقرؤا شيئا من كتاباته . وكل ما هناك ان هذا الرجل قد استمد قوته من شيللي ، وفي هذا نهاية له وقضاء عليه . اما موقف شيللي منه واعتماده عليه ، فمن الامور غير المفهومة اكثر من كونها منسية ، والا فالمسألة تقتضي كثيرا من الدراسة التطبيقية لشعر شيللي والتاثيرات التي تضافرت على ايجاده . واذا ما انصفنا هذا الشعر ، فثلاثة ارباعه تعود الى كودون بالذات . انه اعطى شيللي افكاره وتأمل منه ما له .

واذا هل بلغت القضية هذا الحد من الوخامة حقا ؟ وانها قد تبدو كذلك بالنسبة الى من يعد المال واقعا حيا والافكار عبثا لا طائل تحته ؟ وبعد ، ربما ان خطيئة كودون الرئيسة هي اعتقاده العملي بانه يضفي قيمة خاصة على المال . وذكرى ذلك كله لا يمكن ان يمحي من الذهن . فكل ما كتب عن وليم كودون ، على قلته ، يثير الاعجاب ويوحي بالاكبار . وطبيعي ان تكون الحال كذلك ، لان كودون لا يمكن التصرف به في دقائق معدودات .

لقد اطلع هازلت على كتاباته خير اطلاع ، قبل ان يدبج مقالته الفريدة (روح العصر) وفي الايام الماضية القريبة عمد بريلزفورد الى ايفاء حق دراسته قبل ان يصنف كتابه الرائع (شيللي وكودون) ولكن صورة كودون لا تزال كما هي من غير تبديل ولا تغيير ، وهي ستبقى كذلك على الرغم من كتاب براون القيم (١) والامل الوحيد في اعادة مكانته الضائعة اليه ، هو في ادراكنا النامي لسحر ماري ولستونكرافت وعبقريتها . وحين تتضاءل سمعة سيدات القرن الثامن عشر (الرقيقات) تبدو اشجع النساء الانكليزيات واقربهن الى القلب ، في مكانها اللائق بها ، وعندئذ يمكن ان ينثر شيء من مجدها على الرجل الذي وجدت عنده السلام والاطمئنان والراحة .

وحتى الان نحن لا يسعنا الاقتراب من كودون الا باستنادنا الى ماري ولستونكرافت ؛ ذلك بان نظرتنا المباشرة اليه تخلق شيئا من الارتباك والحيرة . فعثورنا على مؤلف (العدالة السياسية) و (كاليب وليمز) ليس من اليسر ، كما كانت الحالة بالقياس الى هازلت ، الذي عرفه لحما ودما في حياته وعاداته . وحقيقة اعجاب تشارلس لام به ، ومحبته اياه لا تدلان على شيء غير جعلنا نشعر بوجود (انسان) ذي قيمة مجهولة ، مغموطة الحق .

اما اسلوب كودون الخاص في التعبير ، فهو منطقي ، دقيق الاشارة ، بحيث نحمل على تقليب (العدالة السياسية) ظهرا لبطن ، وصفحة لصفحة ، من اجل التطلع الى آثار انسانيته ، التي تظهر لنا فجأة في (عقل) كودون المنعزل ، المنطوي على نفسه ذلك العقل الذي يشتمل على حشد متنوع من الغرائز والعواطف والاهواء . وقد عمل جهده من اجل غاية مماثلة لغاية معظم البشر . واعنى بها اسباغ صفة عقلية على (قيمه) الخاصة . ولذا ففكرة (السخاء الشامل) التي امتاز بها كودون ليست نتيجة توصل اليها ، بل عقيدة تشبث بها ، وآزرها ايمانا منه بها ، ومن هنا تجده يحاول ايجاد اسس عقلية للعاطفة التي تبناها ، والمثل الاعلى الذي كان حلمه الملازم له بغير هوادة . وهذا الحدس يصبح حقيقة لا شك فيها ، حين نقرأ مذكرات كودون عن ماري ولستونكرافت . فلغة الفيلسوف الشكلية ، تغدو بديعة ساحرة ، كلما جرب اخضاعها لرقة حبه وغرامه . ومع هذا ، فمزاجه لم يعرف

(١) (حياة وليم كودون) بقلم فورد ك. براون .

التخنث والتكسر ، والميوعة . وعلة ذلك ، ان خمسا وعشرين سنة ، من العمل الادبي المجهد ، والتأمل الانفرادي خشنتا يده الكاتبة . الا ان جمال ماري ولستونكرافت ، لا بد له من الظهرر ، ومن هو اهل لهذا العمل غيره ؟ وعليه اذن ان يفعل ، وقد فعل . فكانت نتيجة جسارته هذه جميلة اخاذة في تأثيرها . وهاك ما قاله :

« حين نلتقي مرة اخرى ، نلتقي بسرور جيد ، وربما اضيف الى ذلك ، ان تفضيلنا لبعضنا البعض سيكون اشد وقعا ، وابعد أثرا ، ومع هذا ، فقد انقضت ثلاثة اسابيع ، قبل ان تنفجر هذه العاطفة من شفتي كل منا ، بعد ان كانت تتململ مرتجفة على لساننا . اما القصة فلم تكن لها فترة ملازمة لها من الالام والمتاعب . والتوضيحات المتقصدة وهذا ما اشرت اليه من قبل . فكل ما هنالك كان صداقة ذابت في بوتقة الحب . ولقد اعلن كل منا سابقا عن ثقة ضئيلة بنفسه ، ولكنا شعرنا معا بشيء من القلق المرتجف ، وكل ذلك من اجل الحصول على الثقة الكاملة ، غير المنقوصة .

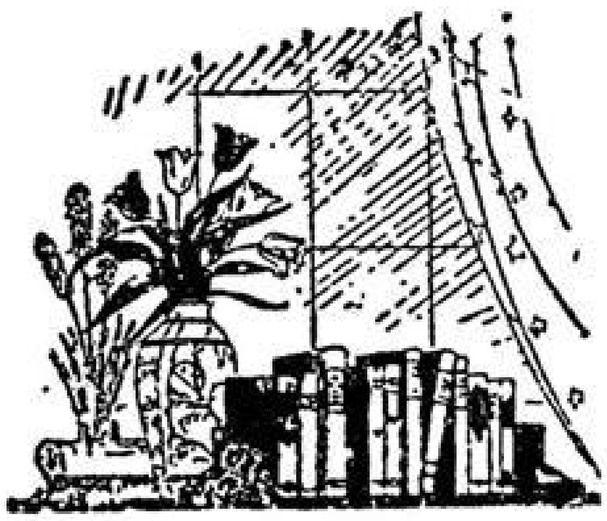
وضعت ماري رأسها على كتف حبيبها ، املا منها ان تجد قلبا تدخر فيه كنز عاطفتها اللاهبة ، ولكنها كانت تخشى الوقوع في الاخطاء ، على الرغم من تجاربها السوداوية غير ان روحها العظيمة المليئة بالثقة السخية ، ظلت كما هي دون ان ينطفىء اوارها . انا لم اعرف الحب من قبل قط ، حتى تداركني الان ، ولم اكن لاشعر بعاطفة متنامية ، كالتي اشعر بها الان ، اذ انني لم اصادف شخصا جديرا بمحبتي كما هو شاني في هذه الاونة بالذات . »

ومن الاهمية بمكان عظيم ان نتحقق من شيء هو قدرة كودون على ايحاء مثل هذا الحب والتحسس به ، وبذا يمكن ان نفهمه خير فهم .

ولا شك في ان الرومانسية العقلية في مثل هذه الفلسفة بعيدة عن مشاعرنا العصرية وجافة بالنسبة اليها . ومع ذلك ، ينبغي لنا الا ننسى تأثير كتاباته الحماسية العظيمة في اسخى الارواح التي عرفها عصره . لقد اصاب هذا التأثير كوليردج ووردزورث وهازلت وشيللي ، وليس من الامور العارضة ان تشعل نيران الحماسة في قلوب مثل هؤلاء الرجال . اما هازلت ـ الذي كان اصعبهم مراسا في التفكير ، فقد ظل مواليا لكودون طوال ايامه ، مع بقائه محتفظا بقواه الفكرية كل هذه المدة . وفي مذكرات كودون عن ماري ولستونكرافت لا نزال نجد وميضا من هذا السر . ثم أن المثالية النارية تكمن وراء (العدالة السياسية) .

اما جفاف الكتاب الظاهري فهو تاجه التام التكوين بالنسبة الى عيون الذين تطلعوا اليه ، وتعلقوا به ، ذلك بانه ظهر لهم كما يظهر الى كودون . واعنى بذلك ، انه كان برهانا ناصعا ودليلا قاطعا على احقية معتقداتهم الغريزية ، التي تصر على اثبات وجود الخير والجمال . وكأنه بذلك أثبت ضرورة وجود ملكوت السماء بواسطة استخدام نظرية اقليدس . وكلما امعنا البصر في كودون ، قل ميلنا الى التبسم حين يأتي ذكره . قد لا يحسن بنا ان نكون مثاليين ، فهذه حرفة خطرة ، وكودون نفسه وجد ذلك الامر حقا لا ريب فيه . ومن الحق ايضا ان نقول بان المثاليين هم ملح الارض ، وهذا ما اعلنه معظمهم .

اما مشاكل كودون المالية ، في قصتها التي سردها



الاديب

*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٢٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Dle. : 25139 — Direc : 23819

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

براون بتفصيل ، فهي تثير فينا ـ حين نقرؤها ـ شعلة فجائية ترشدنا الى حقيقة كودون ، في ابتعاده عن شؤون العالم كما كان شأن شيللي بالذات . فهو يبدو وكأنه يعيش في منطقة من الفكر حيث يرى ان من حقه الواضح الاستيلاء على ثروة اصدقائه . لقد جاهد اصدق الجهاد من اجل تحقيق الجمهورية المثالية ، بعد ان وضع قوانينها ، وعاش كل حياته خاضعا لها . ثم مارس السخاء الشامل ، بحيث سبق غيره في هذا المضمار ، متوقعا مقابلة الاخرين بالمثل. ومن سوء الطالع انه بدلا من ان يعطى ما كان يرجوه ويأمله اضطر هو نفسه للاستجداء والالتماس . حسنا ، فهو سيفعل ذلك . ومراسلاته مع فرانسس بليس الذي شغل نفسه في تنظيم شؤونه ، فيها كثير من الاضواء الكشافة في هذا الصدد .

تكلم الرجلان لغتين مختلفتين جد الاختلاف . وعد كودون ان يدفع له دينا بذمته مقداره ثلثمائة جنيه في يوم معين . فلم يتحقق في هذا اليوم الموعود ، فاضطر بليس ان يكتب له قائلا (ولكنك وعدت) وردا على ذلك يقول كودون : « طبعا لقد وعدت بدفع ما بذمتي . ولكنني جعلت قدرتي المالية شرطا اساسيا في انجاز وعدي . » تقزز بليس من الامر ، كما ارتبك كودون اشد ارتباك . واذن ، من سيحكم بينهما ؟ ثم دعنا نتذكر المعجبين به ، هؤلاء الذين ساعدوه بالقروض من اجل العدالة السياسية فهم لم يفعلوا ذلك لاعتقادهم بمضمون الكتاب واعترافهم بقيمته . فهل كان من غير الطبيعي ان يتوقع كودون معاملته على وفق مبادىء ذلك الكتاب ؟

ان من يقرأ المراسلات مع بليس يعجب من تحمل كودون اللطيف ، وصبره الشهم ، حين يخاطب مساعده الغاضب ، ثم لا بد له ان ينتهي الى ما توصل اليه كودون ، بان جعل صاحبه قليل الادراك ، ضعيفه ، كليل الضوء الفطري ، لانه لم يستوعب المبدأ الرئيس ، مبدأ (السخاء الشامل) ، اما الحالة بالنسبة الى شيللي فقد كانت مختلفة لان الاذى الذي تحمله بسبب كودون لم يكن ليخص المال ، وانما لان كودون رفض تأييد هروبه من ماري . فظن شيللي ان هذا الرفض هو خيانة لمبادىء (العدالة السياسية) ، وربما كان الامر كذلك ، غير ان كودون لم يذهب مذهب صاحبه ، بل ادعى بانه هو الشارح الثقة لافكاره الخاصة .

وايا ما كانت الحالة ، لقد تزوج كودون ماري ولستونكرافت قبل ان ترى ماري شيللي نور الحياة . ومن هنا كان اتفاقه مع ماري ولستونكرافت منصبا على نتيجة حكيمة مؤداها : انه من العبث تحدي المجتمع في مسائل شكلية بعد ان تكون قد حصلت على الحقيقة الجوهرية . وقد صاغ كودون هذه الفكرة باسلوبه الخاص حين قال :

«بعد تجربة سبعة اشهر من الاختلاط الودي الذي تسمح به وسائل معيشتنا ، قل الخطر بالنسبة الى كل منا ، اذ اتفقنا على اخضاع ذاتيتنا لجميع النتائج المترتبة على تطبيق القوانين الانكليزية فيما له صلة بالزوج وزوجته . »

وحتى لو لم تمس المسألة شيللي لابى كودون ان يبيح لابنته اعادة تجربته الخاصة . ولكن شيللي كان منذ اشهر قلائل يعيش مع زوجته هاريت المخلصة له في دار كودون. فهو لم يكن قادرا على الاقتران بماري حين هرب معها حسب ، بل هو ظل يعد هاريت زوجته ، ولما حملت منه ولدا دعا ماري لكي تشاركه في فرحه وانشراحه . حسب كودون هذه الوضعية تطبيقا سيئا غير شرعي لمبدأ السخاء الشامل ، والانكد من هذا ان سمعة ابنته ، التي احبها كثيرا ، تلطخت بالعار . ومما لا ريب فيه ان وجهة نظر شيللي كان لها ما يدعمها من الاساليب المعقولة ، فتبرير كودون تمام التبرير في علاقاته معه فيه الكثير من الحمق. وفي الوقت نفسه ان اظهار شيللي بمظهر المساء ايه ، ووضع كودون في موضع المسيء لا يقل في التجني ومجانفة الحق في هذا الباب .

اضف الى ذلك انه من خطل الرأى ، اسباغ حرية العبقرية على شيللي ، والحكم على كودون بمعايير الاخلاق التجارية . صحيح ان شيللي عاش على وفق مبادىء كودون ، في كثير من البذخ والرخاء ، ولكن المسألة لا تتعدى كون الاول وهب بسطة من العيش ، فكان غنيا ، في حين ان الثاني امتاز بفقره المدقع . وهذا هو الاختلاف الرئيسي بين مسلكيهما في الحياة . ومتى ما اعترفنا بهذا الامر صح لنا الاختيار . ومن هنا ، فنحن اما ان نهز رؤوسنا مع ماثيو ارنولد قائلين « ما اعجبهما ! » واما ان نبيح لكل منهما حقه في المحاولة الجريئة لكي يحيا على وفق مثله العليا الصعبة المنال ، العصية التحقيق .

والخطأ الوحيد الذي نجده في « حياة » براون الرائعة هو ان اسلوبه (الانعزالي) الدقيق يميل الى التغلب على حبه لموضوعه ، في انطباعه الاخير . لا يزال كودون يلوح امامنا وكأنه بعبع ، وعلة ذلك تناقضاته الظاهرية في حياته ، تلك التناقضات التي لا يمكن التخفيف من غلوائها عن طريق التفسير والايضاح . غير ان كودون ، حتى في اسوأ احواله ، ناضل نضالا بطوليا متواصلا ، وكافح العالم المعادي له باستمرار وشجاعة عظيمة . ولقد تجاوز في احتمال العداوة حد الطاقة الانسانية . فكتب اشهر كتاب في النظريات الاجتماعية ، واحسن قصة في عصره ، ودافع بحرارة عن حرية الرأي والفكر ، فتمكن ان يغلب آير ـ رئيس القضاة ـ على امره ، وان يبرأ ساحة اعضاء جمعية (كورسبوندنغ) .

ومع ذلك ، ففي الخمسين من عمره حمل على كتابة قصص للاطفال من اجل معيشته ، بعد شطب اسمه ، بسبب ما كان يتمتع به من مقت . لقد احب امراة نبيلة جميلة ، كما شغفت به تلك المرأة ايضا ، وبعد سنة من السعادة توفيت . اما محاولته لتوفية حقها ولو عن طريق الذكرى ، فقد استنكرها الناس وعدوها شيئا شائنا . ومع هذا ، يبدو وكأنه لم يشعر بالمرارة مما لحق به من مصائب ونكبات . بل هو يظهر على الضد من ذلك ، عاملا مجدا (في غبش الغناء اللطيف) ، وفي وسط المشاكل التي لا امل فيها حتى النهاية .

وكلما تعرفنا به كثيرا ، صعب علينا اصدار الحكم عليه ، اذ انه كاد يدرك العظمة في حقيقة جوهرها . ولكن السر الصغير الذي يتبقى من كل هذا هو ان كودون عاش حياته مقترا بل بخيلا ، وقد حصل من شيللي وغيره من اصدقائه على عشرة الاف جنيه ، فاين ذهبت ، يا ترى هذه الثروة الكبيرة ؟

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

قصة لشيروود اندرسون

●

فتاة رائعة

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

●

لم ير احد « آجنس » وهي تهبط الدرج ، فلها طريقتها الخاصة في ان تمضي من غير ان يلحظها فرد ما ، وقد اثارت اباها واخاها « هاري » ، ونبهها والدها الى ذلك مرارا غير ان هاري لم يفعل ، ربماكان هذا لان آجنس تعلم الكثير عنه . واحيانا ما كان هاري يقف وهو ينظر اليها ويقول : « يا الهي ساعدنا» وعندما تلج حجرة بالصدفة حيث يجتمع الاخرون ، يرفع ابوها راسه عن كتابه او عن صحيفته ويقول في دهشة « حسنا ، كيف اتيت هنا ؟ »

تقول آجنس « لماذا ؟ لقد حضرت» انها لا تحب مثل هذه الملاحظات وتقول في نفسها « لانني لم اذهب لالعب الراكت »

انها تهبط الدرج من حجرتها وتسمع اصواتا في حجرة امها . ثمة شيء يلوح في الافق . فابوها يعنف امها « وآجنس رقيقة وتمشي بخفة » وهناك تليفون قائم في القاعة الكبرى قرب باب حجرة امها ،وقد أغلق الباب في هذه اللحظة . .انهم يسمونها « القاعة الكبرى » ليس لانها رائعة ولكن ليميزوها عن القاعة التي في اعلى والتي يطلقون عليها اسم « القاعة العلوية » . « لقد تركت نظارتي على حافة النافذة في القاعة العلوية » وكان هذا مقنعا . ان معظم الحجرات تحمل اسماء وانهم ليشتطون في ذلك . فهناك « حجرة الرسم » و « حجرة الخمر » و « حجرة معطف بابا » والحجرة الاخيرة كانت من ايام جد آجنس بجانب حجرة امها . ولقد سمعت آجنس ايضاحا « اوه ، انه يأتي دائما ويلقي بمعطفه على السرير»

وقفت آجنس بجانب التليفون قرب باب حجرة امها والتقطت دليل التليفون ، فاذا تصادف وجاء ابوها او امها من هناك فستكون في وضع يبدو بريئا من انها تبحث عن رقم في الدليل ، وليس على انها تسترق السمع على ابيها وامها .

وقفت وعيونها تلمع « اذن الامر هكذا » ! ان زوج اختها « مريم » المدعو « توم هالر » يريد ان يطلقها. ولقد طربت آجنس بل وكانت فرحة بالطبع ليس لان مريم في ضيق . « وهكذا لم تخبرني انها قد حضرت للبيت من شيكاغو لهذا السبب » هكذا فكرت « آه ، لقد طردها توم ؟ » وانتقلت افكارها على الفور الى مريم « هذه القطة الخبيثة ! انها لم تقل لي كلمة واحدة » لقد كان الجميع في العائلة يعتقدون ان مريم صريحة « انهم يتهمونني باني خبيثة فماذا عنها ؟ » وها ابوها وامها يعلمان عن توم وعن مريم . فاذا كان هاري يعلم ايضا وكانت هي — — آجنس — الوحيدة التي لم تلم بالموضوع فستكون طيبة وحزينة . ولو كانت تعطف على مريم ، فلربما ذهبت بعيدا في اكتشاف ذلك .

ان اباها ثائر وهو يذرع حجرة امها جيئة وذهابا وقد صاح « اذاجاء هنا فسوف أريه ! » ان توم هالر يريد الطلاق ولا يريد ان يدفع نفقة لمريم .

« والله لاجعلنه يدفع حتى اخر قرش . سوف انزع جلده قطعة قطعة »

ان من المضحك ان تتصور والدها وهو يحاول ان ينزع جلد توم هالر ، فالفريد ويلسون — الاب — ضئيل بالنسبة لتوم الكبير ، اما هاري فهو خائر جثمانيا . ان هاري اكبر من مريم وآجنس وقد اشترك في الحرب العالمية وقد تسمم بالغاز واصيبت رئتاه وبدأ يسكر . انه يشرب اكثر مما يعرف اي فرد في العائلة عدا آجنس . انها تعلم اين يخبيء زجاجة الويسكي في البيت وهاري يعلم انها تعرف عنه اكثر من أي فرد اخر وهذا ما جعله يخشاها .

استمر ابوها يذرع حجرة امها جيئة وذهابا وجميع من في المنزل يعتقد ان آجنس في الخارج بعد الظهر . لقد اخبرتهم جميعا انها ستخرج بالسيارة مع « ماري كالبرتسون » وغادرت المنزل بعد الغداء . ثم غيرت رأيها ورجعت بعد ان تحدثت مع ماري تليفونيا من مخزن العطارة وعادت متسللة الى المنزل وصعدت الى حجرتها ، فهل كان في نيتها ان تقوم بلعبة ما ؟ انها لا تدري لماذا قررت فجأة الا تذهب مع ماري . وقد أحدث حذاء ابيها ضوضاء مزعجة على ارض حجرة امها.

قالت الام « من أين حصلت على هذا الحذاء يا الفريد ؟ » صاح ابوها « اوه ، يا للحذاء اللعين ! » وكان هناك نقاش حول صوت ابيها المرتفع . قالت الام « سوف تسمعك

(١) ولد الكاتب الامريكي شيروود اندرسون عام ١٨٧٦ وتوفي عام ١٩٤١ ويعتبر مع ارنست همنجواي ممن ابدعوا القصة القصيرة .. وقد خدم اندرسون في الحرب الامريكية الاسبانية وهو يثور على العقدة في القصة كما هو السائد منذ ايام ا. هنري .. وقد تأثر بدعوى فرويد من ان الناس يقاسون من جراء حاجة لم تتحقق.. وقصصه عادة ما تمتلا باحساس العزلة والاحلام وشقاء الناس الوحيدين . وفي قصته هذه يصور ندرسون شخصية فتاة تتحول الى الناحية الشريرة خلال عزلتها وخيبتها .

كيت يا الفريد » وكيت هي الخادم الجديدة ، وهي ريفية ذات شعر احمر طويل وكانت تشتغل عند اسرة ويلسون منذ اسبوعين ،وليس من اللائق ان تعرف كيت عن الاسرة شيئا بهذه السرعة ، اذ ليس من المستحب ان تصبح الخادم اليفة ووقحة بمثل الطريقة التي كانت عليها اخر خادم .

ان آجنس لتقف الان بالقرب من باب حجرة امها تتسمع ودليل التليفون في يدها . وعندئذ اقترب ابوها من الباب ورات الاكرة تدور غير انه لم يخرج على الفور فقد وقف قريبا من الباب يتحدث بصوت مسموع ، ولهذا وضعت آجنس دليل التليفون جانبا ومضت بخفة كالعادة حتى وصلت الى الباب الخارجي حيث مكثت لحظة ثم توجهت الى الباب الجانبي وقررت ان تظل هناك فبعد قليل سينطلق ابوها الى مكتبه للمحاماة بالمدينة وستنطلق هي الى حجرة امها وستنظر ما اذا كانت امها تريد ان تبقي الامر سرا . كانت مريم قد غادرت المنزل قبل ان تهبط آجنس وعلمت ان مريم انطلقت الى المدينة لتبحث عن هاري ، وسينطلق الاثنان معا في عربة هاري الى مكان ما . فكرت آجنس « اراهن على انهما سيسكران معا » لقد فكرت انه من العار ان يسكر اخ مع اخته، قبل ان تتزوج مريم توم هالر كانت مريم تلازم هاري خلال السنين التي قضتها في المدرسة ولا تعود الى المنزل الا في العطلات الصيفية وكانت آجنس تعلم ان مريم في ذلك الوقت اعتادت ان تتستر على هاري وان تشجعه على السكر . وقبل تحريم الخمر كان هاري يحصل على الشراب من رجل يسكن طريق «مدكريك » بالقرب من محطة بنزين، وعرفت آجنس ذلك ، بل عرفت ان مريم كانت تقود السيارة احيانا مع هاري ويذهبان الى هناك وتنتظره فيها ريثما يذهب هو الى الداخل . وعملت آجنس على ان يقبض على ذلك الرجل ويرسل الى السجن ، ولم يعلم احد بذلك، فقد كتبت خطابا الى العمدة ووقعته باسم مختلق واتى الخطاب بمفعوله وقام العمدة بمهاجمة المكان ، ولا ريب انه وجد كمية كبيرة من الويسكي ، وحوكم الرجل وارسل الى السجن ، لكن هاري بالطبع بدأ يحصل على الويسكي من مكان اخر .

وكان ما أثار آجنس الى حد كبير في اليوم الذي سمعت فيه والديها يتناقشان في امر طلاق مريم شيء حدث بعدما انطلقت لتقابل ماري ماكبرتسون وغير رايها ، فعادت ثانية الى المنزل من غير ان يلمحها احد ، ومضت الى حجرتها عبر « القاعة العلوية » . وعندئذ وصل عامل التلفراف على دراجته وقد رأته من النافذة . دق الجرس وفتحت كيت الخادم الباب وكان والدها لم يزل في حجرة امها والباب مغلق غير ان صوته لم يكن مرتفعا . وفكرت آجنس من ان الخادم الجديدة مخلوق ضخم احمر الشعر والذراع ، له صوت اجش غير مهذب وكم كانت عصبية وهي تقترب من اسفل الدرج وتصيح « مريم ! مريم ! هاك تلغراف لك . » كان من الواجب على مريم ان توبخها « انه شيء فظيع ان تسمح لخادم ان تناديك باسمك مجردا » لقد اعتادت كيت ان تنادي آجنس بمثل هذه الطريقة ايضا ولكن لم يكن في استطاعة آجنس ان تحتج لانها لو فعلت ذلك وكانت الوحيدة التي تحتج في المنزل ، فستحمل الخادم الضغينة نحوها ، ولن تقضي لها حاجة ، فمثلا لو ارادت ان يكون لها رداء بسرعة لكان في امكان كيت ان تتلكأ في كيه او تتعمد الاهمال وتحرقه .

بعد ان سمعت آجنس كيت وهي تنادي ، ظلت في حجرتها تراقب وتتسمع ، واغلق الباب المؤدي الى القاعة لكن آجنس ذهبت وفتحته قليلا . خرجت مريم من حجرتها مهرولة من الجانب الاخر للقاعة وهبطت الدرج . ولو كانت كيت تلك الخادم الجديدة على شيء من التهذيب كما هو المفروض ،ولو كانت الام قد اوضحت لها كيف تتصرف في مثل هذه الامور عندما جاءت للمنزل في اول الامر ، لكان من الطبيعي ان تصعد الدرج بهدوء الى باب حجرة مريم وتطرقه طرقا خفيفا . وقفت آجنس وراء باب حجرتها ، ومن خلال الفتحة راقبت مريم وهي تهبط الدرج الى الطرقة حيث ينحني السلم لتقابل كيت في منتصفه .

قالت كيت وهي تناول مريم التلغراف « لقد وقعت باستلامه . ولدي ما اغليه على الموقد » قالت هذا غير انها وقفت تنتظر حتى انتهت مريم من قراءته ذلك لانها كانت فضولية للغاية وعصبيتها هي التي جعلتها تنادي باسم مريم بطريقة نابية .

لم تكن مريم في مثل خفة آجنس ولم تكن رشيقة ، فمها واسع جدا مثل فم امها وهي ذات ذكاء ونالت تعليما في المدرسة ثم في جامعة شيكاغو ، بينا آجنس لم تنل تعليما. فعندما كانت آجنس ـ والتي تكبر اختها مريم باربع سنوات ـ على وشك ان تتخرج من مدرستها الثانوية ، غامر والدها كأي أبله وفقد في مغامرته هذه اموالا طائلة . وبعد مضي ثلاث او اربع سنوات استطاع ان يقف على قدميه مرة اخرى وعرض على آجنس ان تعود لتواصل تعليمها لكنها لم ترد ان تفعل ذلك ، فلم يكن من السهل عليها ان تعود الى فصل تكون هي اكبر من فيه .

ان آجنس لتؤمن انها اجمل من مريم ، وتعلم انها اجمل حقا وتعتقد انه من العبث تضييع الوقت مع الكتب ، فالرجال لا يحبون المرأة التي تدمن القراءة . وهي تملك شعرا غزيرا لامعا بنيا مشوبا بحمرة ولها عينان جميلتان جذابتان خضراوتان تشوبهما رمادية خفيفة . ولقد انفقت وقتا كبيرا لتجعل نفسها تبدو جميلة ودفعت الثمن غاليا . وحاول هاري في بعض الاحيان ان يثنيها عن ذلك ، لكنها عرفت كيف توقفه عند حده ، ففي ذات مرة رأت شيئا يحدث . كان هذا مع الخادم المتزوجة التي كانت عندهم قبل كيت . كان اسمها مسز هنري وقد القى القبض على زوجها لانه ضرب رجلا بعصا البلياردو . كانت ذات مظهر حسن ، ممشوقة ولها شعر اشقر وقد سمعت آجنس عنها اشياء واشياء . ولم تذهب آجنس بعيدا في القول بان هناك شيئا حقيقيا بينها وبين هاري . وذات يوم كان هاري في المطبخ حيث كان يجب الا يكون ، وكان

انوقت في رائعة النهار ، وفكرت آجنس في انه لا بد وان يكون على شيء من المرح، وقد حاول ان يحصل على قطعة من الدجاجة المحمرة من الثلاجة ولم ترد مسز هنري ان تمنحه اياها . وذهبت آجنس الى باب المطبخ ووقفت ترقب . قالت مسز هنري انه اذا اخذ هاري اية قطعة من الدجاجة فلن يكون هناك ما يكفي الغداء . كان اسمها الاول « آليس » وقد قال هاري « يا للشيطان يا آليس ؟ » وعندئذ بدأت تدفعه عن الثلاجة وكان الاثنان يضحكان ، ودفعها هاري دفعة سريعة وادارها الى الخلف تماما ، ثم سكعها على عجزها ودل هذا على شيء ما .

وفي ذلك اليوم كانت كيت الخادم الجديدة تضطرم بالفضول ، فهي لم تعبأ حقا ما اذا كان هناك ما يغلي في المطبخ . فاذا تلقت عائلة تلغرافا وكانت لدى العائلة خادم ريفية جاءت من المزرعة فهي دائما ما تعتقد ان هناك شيئا مخيفا قد حدث . ان الريفيين والفلاحين لا يتلقون تلغرافات الا عند موت فرد ما . ارتجفت يد مريم ومي تفتح الظرف وصعدت الى حجرتها وارتدت قبعتها ومعطفها وهبطت الدرج ونادت اباها من حجرة امها واسرت اليه بكلمات قليلة لم تسمعها آجنس بالرغم من انها كانت في « القاعة العلوية » تتسنط ، وعندئذ خرجت مريم . ولكن بعد ذلك سمعت آجنس اباها يرجع الى حجرة زوجته وتسمعه وهو يتحدث معها عن التلغراف الذي ذكر فيه ان توم هالر سيأتي يوم الاربعاء . ان اليوم هو الاثنين فحسب . لقد جاء ليتفق مع مريم على الطلاق . ان الامر هكذا . لقد القت آجنس على مريم نظرة فاحصة قبل ان تخرج ورأت كم هي منزعجة ومضطربة . وفكرت « اني مسرورة انها تقاسي » ولكنها خجلت وقالت « كلا ، لست كذلك »

لقد اعتقدت ان هناك شيئا حدث عندما رجعت مريم الى البيت من شيكاغو منذ شهرين وقد تداولت مع امها « مولي ديلسون » في همس دائم . وكانت هناك نظرة غريبة ثابتة في عيون مريم . لم يكن لها عيون جذابة كمثل عيون آجنس ، فعيونها كابية الزرقة

فكرت آجنس اولا « اراهن على انها حبلى » ولكنها اخيرا قبل ان تكتشف الحقيقة ، غيرت رأيها عن ذي قبل (تزوجت مريم توم هالر منذ ثلاث سنوات ، وقد حصلت عليه مريم عندما ذهبت الى المدرسة في شيكاغو) لاحظت آجنس اشياء على مريم ، وتعجبت لماذا تبدو دائما كما لو كانت تبكي ولماذا تترك نفسها تسمن ، غير انها اكتشفت ان الامر ليس كما ظنت اولا وكان من المضحك ان مريم لم تخبر آجنس وكذلك لم تفعل امها بالرغم من عائلة ويلسون من النوع الذي يخفي اسراره . وقد تصورت انها لو كانت هي نفسها ـ لو كانت هي التي تزوجت توم هالر لا مريم ـ فما كان يمكن ان يحدث هذا بسبب ما شعرت به لاو لمرة رأت فيها توم هالر عندما جاء الى « كارلسفيل » ليتزوج مريم . واعتقدت انها لو كانت هي ، فلا بد انها كانت تحمل بطريقة سليمة ، وقررت انها لو كانت قد تزوجت لكان هذا الطريق الاسلم . وقد فكرت « اراهن اني استطيع ان افعل هذا » .

كانت لديها افكار عديدة بعد ان تلقت مريم التلغراف وقبل ذلك منذ ان تزوجت مريم توم . لقد حضر توم الرشيق الاشقر من شيكاغو وتزوج مريم في منزل ويلسون في « كارلسفيل » وكانت آجنس اشبينة العروس وكانت حفلة الزفاف هادئة لان الفريد ويلسون يشتغل بالسياسة ، فقد كان غضوا في مجلس الولاية وكان عليه ان يدعو كل فرد . ومما يدعو الى الفكاهة ان اثنين من اهم الناس في كارلسفيل كان يجب ان يدعوا ، لكنه لم يدعهما على الاطلاق لاسباب سياسية . لقد فكر في ان يدعوهما لكنه لم يفعل وارسلت آجنس رقاع الدعوة بالبريد وحملتها الى مكتب البريد بعد ان كتبت العناوين ، وأخذت رقعتي الدعوة من كومة الرقاع ومزقتهما . وكانت زوجتا هذين السياسيين نادرا ما تدعوا الى مكان ما من قبل عليه القوم ، ومع ذلك فلم تتبين آجنس جيدا لماذا فعلت ذلك .

لقد ظنت هي نفسها انها كانت رائعة وهادئة اثناء العرس وقد

حضر توم هالر ومعه رجل اخر وهو رجل فاضل ـ لكنه بالتأكيد ليس بالجذاب جدا . كان اكبر من توم وهو مدرس للانجليزية او شيء شبيه بهذا ويلبس نظارات وخجول . لم تحبه آجنس على الاطلاق ، بجانب انه فقير وذكي وقصير النظر . وان آجنس لتراهن بأي شيء على ان توم قد اقرضه النقود لكي يحضر الى كارلسفيل من شيكاغو . وبالرغم من انها لم ترد ان تقول اي شيء عن مريم ، فلم يكن في مقدورها ان ترى ما يعجب توم ومريم في بعضهما ، بينما لو كانت مريم قد انتبهت الى ذلك المدرس ـ فهو ومريم يحبان القراءة ـ لكان هذا اكثر توافقا . وبالطبع لم تقل هي اي شيء مثل هذا . انها تحب توم ، ومرة عندما كانت تهبط الدرج في المساء الذي سبق حفلة الزفاف ـ وكانت في اعلى في حجرتها تحاول اعداد ثوبها وكانت تريد الهبوط لتريه لامها ـ قابلت توم على الدرج . وفجأة أخذها بين ذراعيه وقبلها ، وقال ان هذه قبلة اخوية ولكنها لم تكن . انها تعلم عن ذلك اكثر من هذا .

واخيرا ، هذا اليوم ، بعد ان اكتشفت ما علمه جميع افراد عائلة ويلسون ، ولم يعبأ اخد باخبارها ، صعدت آجنس الى حجرتها وجلست بجانب النافذة . وكانت لديها ساعة صفاء ان تجلس هناك وتفكر ، ومن ثم لم تر العائلة ان من الحكمة اخبارها . وكان توم هالر آتيا كي يرى مريم ليتحدث معها في موضوع الطلاق ، وعلى اية حال لن يتزوج توم ثانية حتى يحصل على الطلاق ، وسوف تساعده مريم في ذلك بالرغم من والدها ، ولن تعبأ بالنفقة . ان مريم غبية ، وانها لتتذكر تلك اللحظة على الدرج مع توم في الليلة التي سبقت العرس . فكرت آجنس « انهم جميعا اغبياء » وقررت ان العائلة اذا استمرت في اخفاء الامور عنها ، فانها ستحتفظ لنفسها بدورها بخططها الخاصة . لقد جلست لحظة ولديها افكارها ، ثم نهضت ونظرت الى نفسها في المرآة . لسوف يصل توم هالر بعد يومين وفكرت « سوف اذهب واحصل لي على امان دائم غدا . »

القاهرة مجاهد عبدالمنعم مجاهد

تقولين لي

*

تقولين لي .. والشباب الحزين ... يعربد في خطوي المثقلِ
وينسل .. ينثر احلامه ... الظماء على ضفة الجدولِ
لتمضي الى البحر بحر الوجود ... وتنحل في موجه المرسل
كئيب.. وخلف الضباب الكئيف ... بعينيه .. سر الهوى الاعزل
يسير .. وفي روحه حيرة ... الطريق .. وصمت المدى المسدل
وتضرى باعماقه ثورة ... الكرامة عبر الدجى المعول

★ ★ ★

تقولين لي .. دع ظلام الطريق ... واشباحه السود في معزل
ولا تخنقن ربيع الشباب ... بروحك : في ظلمة الهيكل
وغن الصباح نشيد الضياء ... فكم لك في النور من منهل
لك اليوم فامرح به ما غد ؟ ... سوى حلم كالصدى المهمل
اذا لم يغن الشباب الحياة ... فما العمر ؟ ما روعة المأمل ؟

★ ★ ★

تقولين لي ـ وأنا تائه ... مع الدرب ـ في الغيهب الاليل
وحولي من اغنيات السنين ... بقايا دم الوتر الاول
وانت كما تشتهي الامسيات ... حياة تغني وفكر خلي
نجاواك في خفقات الصباح ... ودنياك في مرح البلبل

★ ★ ★

انا ـ يا صديقة ـ حس يذوب ... على روعة الفجر اذ ينجلي
وروح طروب يحب الحياة ... وينهل اضوائها من عل
ويغزل ـ من وحيها ـ لحنه ... فيغفو الخيال على المغزل
ولكنني شاعر حطمت ... اغانيه ، زمجرة المعول
اسير وأسقي بذور المنى ... دمي ، وحياتي ، ومستقبلي
واجري لاحصد منها الثمار ... فيحطم عسف الدجى منجلي
فماذا تريدين من شاعر ... طوت عمره لوعة المبتلي ؟

★ ★ ★

انا ـ يا صديقة ـ رغم الظلام ... سأجري الى عالم افضل
تموج الحقيقة في روحه ... وتنساب في فجره المقبل
وتحتضن الحب قيثارة ... تغرد للشاطىء الاول
فحسبي من العمر وحي السماء ... وطهر الحياة .. فلا تسألي

بنت جبيل ـ لبنان — **محمد حسين فضل الله**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اساليب الشعراء

بقلم وجيه مبروك

*

ان الاسلوب في النقد الادبي يعني طريقة التعبير. والتعبير وليد الفكر ، متأثر به ، خاضع لظروفه، وان ما ينطق به المتكلم او يكتبه الكاتب هو صورة من صور تفكيره . فاذا كنا نجزع من الموت فان استقبالنا له متفاوت الصورة : فمنا المؤمن الصابر، ومنا الثائر المحزون ، ومنا المتشكك في جدوى الحياة ، ومنا من يجمع في نفسه بين احوال كثيرة متباينة .

وعناصر الاسلوب الادبي ثلاثة : الافكار ، الصور ، التعبيرات (نظم العبارات والافكار) والاسلوب الادبي قوامه العاطفة الصادقة التي تعبر عن نفسها في اشكال كثيرة ، والتي هي مصفاة تمر فيها الافكار المختلفة ، ونافذة تطل منها الافكار ، وهي تذكي الخيال ولا تقنع بالوصف في حدود الواقع المألوف لانه لا يشبع الحاسة الادبية في الانسان . فاذا كنا نريد وصف فرس سريعة وصفا اديبا فاننا لا نقنع بان نقول انها فرس سريعة جدا ، لان هذا التعبير عادي لا يثير اعجابا ولا يوقظ شوقا. اما اذا وصفناها بأنها :

اذا ما سابقتها الريح فرت وألقت في يد الريح الترابا

فان السامع يتيقظ لمدى سرعتها ، بسبب عنصر الخيال الذي اقام سباقا بين الفرس والريح وجعل للفرس السبق على الريح بحيث انها خلفتها وراءها تتلقى التراب الذي يثيره جريها .

ويبدع الشاعر علي محمود طه أيما ابداع ، حين يصف طارق بن زياد وغزواته فيصوغ ما يجول في ذهنه من افكار في صور جميلة جذابة وبتعبيرات يعز على غيره من الشعراء ان يأتي بها فيقول :

اشباح جن فوق صدر الماء تهفو باجنحة من الظلماء
أم تلك عقبان السماء وثبن من قنن الجبال على الخضم النائي
لا ، بل سفين لحن تحت لواء لمن السفين ترى وأي لواء
ومن الفتى الجبار تحت شراعها متربصا بالموج والانواء
ما زال يرمي الروم ـ وهو سليلهم ـ ويديل من قرطاجة الغلباء
من علم البدوي نشر شراعها وهداه للابحار والارساء

وهكذا يجذب انتباهنا هذا القول البديع ، والخيال المجنح ، فترانا نحلق مع الشاعر في سماء خياله . في حين تجد شاعرا اخر يغوص في أفق الخيال ويقول :

سللت له الحسام فخلت أني شققت به لدى الظلماء فجرا

ويتطرق ابن كلثوم الى فن اخر من فنون الخيال وهو ـ تكثير القليل ـ بقوله :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا

ومن فنون الخيال ايضا ـ تكبير الصغير ـ كقول بشر يصف وقعة الاسد حين قسمه شطرين بالضربة القاضية :

فخر مفرجا بدم كاني هدمت به بناء مشمخرا

ويتطرق شاعر اخر الى فن اخر من فنون الخيال ـ وهو تخيل المعنى وتصويره في صورة المحسوس ـ وفي هذا يقول الشاعر :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة
فقالت : كيف لا أبكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

ويغوص العتابي ايضا خلال اطباق السحاب في وصفه للسحاب فيقول :

والغيم كالثوب في الافاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
ان معمع الرعد فيه قلت منخرق او لالأ البرق فيه قلت محترق

واننا نعجب كثيرا بالحكم التي تنبت في شعر المتنبي، وتجيء معبرة عن شعوره الخالص في موقف من المواقف كما في قوله يخاطب سيف الدولة :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

وقد كان المتنبي شاعرا طموحا معتزا بنفسه وفنه ، وكان كثير من الناس يكيدون له عند سيف الدولة حتى اضطر في النهاية الى مفارقته . وهو في هذه الابيات يعاتب سيف الدولة على استماعه لهؤلاء الوشاة ، ولكنه يجيء في اثناء هذا العتاب بحكم صادقة عن الحياة في مثل قوله :

أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وفي مثل قوله :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

ونحن نتأثر بهذه الحكم لانها جاءت متصلة اتصالا وثيقا باحساس الشاعر فتحولت من مجرد افكار ذهنية الى شعور وعاطفة . وفرق كبير بين هذا الاسلوب وبين اسلوب صالح بن عبد القدوس مثلا في قوله :

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق
ما الناس الا عاملان : فعامل قد مات من عطش واخر يفرق
وزن الكلام اذا نطقت فانما يبدي عيوب ذوي الكلام المنطق

ولا شك ان في هذه الابيات كثيرا من النظرات الصائبة في الحياة ، ولكننا لا نستجيب لها ولا نتأثر بها لان الشاعر عرضها عرضا ذهنيا ولم يربطها بتجارب معينة تهيء وجداننا لها من ناحية ما . وتبعا لهذا الاسلوب قسم الشعراء عند القدامى الى اربع طبقات : اولهم الفحل الخنذيذ ، ودونه المغلق ، ودون ذلك الشاعر ـ فقط ـ ؛ ورابعهم الشعرور او الشويعر .

وقد أشار بعضهم الى هذه الطبقات بقوله :

الشعراء فاعلمن اربعة شاعر يجري ولا يجري معه
وشاعر يجول وسط المعمعة وشاعر لا تشتهي ان تسمعه
وشاعر لا تستحي ان تصفعه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القصة الانكليزية

بقلم ج.ب بريستلي

*

سئلنا : ما الذي كان يحدث للقصة الانجليزية في اوائل هذا القرن كان لنا الحق بان نصيح : « كل شيء » .. وندع « كل شيء » هكذا .

ان القصة الانجليزية تابعت ما كان القصاصون الانجليز قد بداوا به منذ قرنين ، فوضعت يديها على معظم مواضيع الحياة .

بدات القصة الانجليزية ، تكتنه ما تزخر به الحياة فاقتربت من الموضوعية الى حد كبير . ولكن هذا لا يعني ، ان القصص الذاتية قد قلت قيمتها ، كل ما نعنيه ، انه ـ مثلا ـ عندما اكتشف علم الاجتماع وضعت القصة الاجتماعية ، وعندما اكتشف التحليل النفسي ، وضعت القصص التحليلية النفسية .

ان كثيرا من كتاب القصة الانجليزية المعاصرين هم اشبه بالصحفيين منهم بالادباء ، لان جل اهتمامهم موجه الى نقل الحدث الحياتي نقلا فوتوغرافيا اشبه بالريبورتاج الصحفي ، وضؤل اهتمامهم بالشخصية والحدث الروائي. ولكن .. هل قضت القصة الانجليزية الحديثة على القصة القديمة ؟ ان قصص جين اوستن ووالتر سكوت وديكنز لا تزال تقرأ ... مثلما تقرأ مسرحيات برنارد شو . كل ما في الامر ان طرق المعالجة والاسلوب ومنابع الوحي قد اختلفت باختلاف العصر ، ذلك ان التطور الاجتماعي يفرض على اساليب الادب ان تتطور هي ايضا ، فالادب شديد اللصوق بالحياة .

في مطلع القرن العشرين بدات محاولات القصاصين الانجليز للتخلص من الاساليب القديمة . وكانت اول محاولة للكاتب اركبيهالد مارشال ، الذي عالج حياة القرن العشرين بالطريقة التقليدية القديمة . ثم تبعت تلك المحاولة ، محاولات ، وليم دي مورجان ، الذي عاد الى ضباب ومرح القرن التاسع عشر في قصته « جوزيف فانس » . وعالج موريس هيولت القصة التاريخية في « الملك ريتشارد » . واخذ معظم الكتاب الشباب آنذاك ، يعالجون القصة ، فكتبوا قصصا ، لا يحق لنا ان نسميها فنيا قصصا . وعلى الرغم من ذلك فهي نسيج وحدها لانها تعالج الشخوص باسلوب جديد . ومن هؤلاء الكتاب : و.هـ. هوسن كيفيث جراهام، والتر دي لامير ، ج.ك شاترتون ، جيمس ستيفنس ، وصموئيل بتلر الذي تعد رائعته : Way of all flesk بحق من اعظم القصص التي ظهرت في الادب الانجليزي ، لانها تهاجم ما كان الناس ، يعتقدون فيه المثالية ، تهاجم العهد الفيكتوري بافكاره الدينية والتربوية ، وحياته العائلية وقد لفتت تلك القصة انظار النقاد ، بان عليهم الا ينظروا للقصاص كفنان فقط ، بل ايضا ، كناقد اجتماعي ، وفيلسوف .

اذا القينا نظرة عامة ، على قصص القرن التاسع عشر وقصص القرن العشرين ، لاحظنا اختلافا واضحا بين الفئتين . ان قصاصي القرن الماضي ، يريدون ان يقصوا حكاية ان يعرفوا القارىء ما الذي حدث لتوم ومابل .. وهكذا يبداون ، الحدث الروائي في الفصل الاول ، ثم يتبلور الحدث وينتهي في الفصل الاخير . كانوا يهتمون بان يجعلوا الاحداث معقولة ولا تعارض خط سير الحياة ، ولكنهم ، لم ينجحوا في هذا كثيرا .

اما اليوم فقد اتخذت القصة الحديثة طريقة اشد لصوقا بالحياة من سابقتها وهي المعروفة بطريقة « البحث عن مفاهيم الحياة » Slice of Life . انها الطريقة التي لا تحاول اخبارك ما الذي «حدث» لتوم ومابل بل تحدثك عن كيف « بدت » الحياة لتوم ومابل في وقت ما .

« ان ما احاول ان اتجاوب معه ليس الا الحياة. انني اود ان اقص عليكم نفسي بانطباعاتها الاجمالية عن الاشياء والناس . ان اعبر عما اشعر به نحو القوانين والتقاليد والعرف والافكار التي تؤلف بمجموعها المجتمع الانساني ، وكيف نخدع نحن الافراد ونضيع في مجاهل الحيرة . » هذه كلمة من هـ.ج ويلز وهي تعبر تعبيرا صادقا عن ارائه واهدافه .

اما ميزة القصة الانجليزية هي التجاوب مع الحياة تجاوبا كاملا Render Life اما شيوخ الادباء ، فقد وجهوا اهتمامهم نحو القوانين والعادات والافكار التي تؤلف بمجموعها المجتمع فاعطونا مفاهيما للحياة اشبه بقطعة خبز جافة ، منتزعة من « رغيف » علم الاجتماع . اما ادباء الشباب فقد حرصوا على مبدأ « اود ان اقص عليكم نفسي » حرصا شديدا فعرضوا علينا نماذج متعددة لافكارهم . كانت محاولتهم تلك لاسر طير الحياة الجارح ، واقتناصه بشبكة صنعت من كل خاطرة ، وكل رفة وكل فكرة عابرة .

لم يعالج الادباء الشيوخ الشخصية Chacter والحادثة Action معالجة فنية . اما ادباء الشباب فقد اختفت الشخصية والحادثة من قصصهم ليحل محلها ذلك السيل المتدفق من الافكار والخواطر . كان لهذه المدرسة لحظات من النصر ولكنها كانت تتطلب تضحية بالشخصية والحادثة ، فاستحالت بسرعة الى قصص مملة .

اما اعلام القصة الانجليزية الذين دفعوا بها الى مقام القصة العالمية ، فاذكر منهم « جوزيف كونراد » الكاتب الرومانتيكي في « السهم الذهبي » و هـ.ج ويلز في « الرجل غير المنظور » و« وادي العميان » وسومرست موم الذي يعد من اعظم كتاب القصة في العالم كله .

وكاد هذا النوع الرابع من الشعراء يجري مجرى الامثال في يومنا هذا ، فاصبح يقال للشاعر غير المجيد والذي لا يخلو شعره من الركاكة والغث وسقط الكلام بقولهم له ـ يا رابع الشعراء .

عمان **وجيه مبروك**

قصة لاوسكار وايلد

•

ابن النجم

ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز

•

كانت الارض مغطاة بالثلوج فكانها عروس في ثوب زفافها وكانت الحيوانات قد اختبات في اوكارها من شدة البرد الا البومة التي كانت مسرورة بذلك الطقس .

وفي تلك الساعة كان حطابان يواصلان سيرهما باحذيتهماالحديدية فوق الثلوج وكم كان فرحهما عظيما حين شارفا قريتهما بعد سير طويل مضني . وقهقها عاليا عند ذاك الا انهما عادا فتذكرا انهما بائسان فقيران وان وراءهما اطفالا ينتظرون القوت فقال الاول : لم الفرح يا صاح والحياة عابسة لنا مبتسمة للاغنياء ؟ انه خير لنا لو صرعتنا الثلوج في الغابة اذن لاسترحنا من هموم الحياة ...

وهز صاحبه رأسه علامة الموافقة واضاف قائلا : في الحقيقة ان الكثير من متاع الدنيا معطى للاقلية وليس هناك ما يتمتع به الفقراء غير الحزن والاسف .

وفيما هما غارقان في افكارهما السوداء خر نجم لامع من السماء قاب قوسين منهما او ادنى ، وصاح كلاهما من فرط الفرح وركضا لالتقاط النجم الذهبي ، وحين وصلا الى القرب منه وجدا رداء من الذهب مرصعا بالنجوم .. وفكا الرداء ليقتسما ما بداخله من الذهب ولكن ماذا وجدا ؟؟ لم يجدا ذهبا ولا فضة بل .. غلاما صغيرا نائما .

وقال الاول لصاحبه: «وماذا يفيدنا الطفل ؟؟ لندعه في موضعه ولنأخذ رداءه فان لدينا من الاولاد ما لا نقوى معه على ان نوفر لهم الخبز والطعام الضروري » .

فأجابه صاحبه : « انه لمن الظلم ان نتركه يهلك بين الثلوج ومع ان على اشباع افواه جياع تنتظرني ومع قلة ما في يدي من النقود الا انني ساخذه الى زوجتي لتعني به » .

وما ان تم كلامه حتى التقط الطفل بكل تؤدة ولفه بردائه عائدا الى قريته وزميله يسخر من حماقته .

وحين وصلا الى القرية قال الثاني « لنقتسم ما لقيناه فخذ انت الطفل واعطني الرداء » فابى الحطاب الاول قائلا ن الرداء ملك الطفل وافترقا

وطرق باب داره فخرجت زوجته تحمد الله على سلامته واخذت منه حمله وحزمة الحطب وازاحت الثلج عن حذائه فابتدرها قائلا : « لقد اتيت لك بشيء ثمين من الغابة لتعتني به » ورفع الرداء عن وجه طفل صغير ينعم بالنوم .

« يا لسوء الحظ ؟؟ اليس لدينا من الاولاد ما فيه الكفاية حتى تضيف اليهم واحدا ؟؟ ومن يدري لعل سوء الحظ يحالفنا بمقدمه ؟؟ »

« انه ابن نجم من السماء ، ولا تيأسي من رحمة الله فان الله يرزق الطيور في وكناتها ولن يضن عليه بما قسم له من رزق » .

« ولكن الطيور تموت شتاء من الجوع والوقت الان شتاء ، آه اغلق الباب فانني احس ببرد شديد ان الرياح الشديدة تدخل حيث القلوب القاسية » .

وهنا لان قلب الزوجة ودنت من الطفل ترنو الى عينيه الزرقاوين وقبلته ثم اضجعته في فراش اصغر الابناء حتى الصباح حيث نزعت عنه ثوبه وسلسلة من حول رقبته فاودعتهما صندوقا كبيرا . وشب الطفل بين ابناء الحطاب ، وكان كلما كبر عاما ازداد جمالا فوق جمال فهو ابيض كالعاج المنحوت وشفتاه ورده حمراء وعيناه صافيتان صفاء الماء وشعره كخواتم النرجس ولكن لم يكن ذاك الجمال ليجلب له غير الشر فقد جعله متعجرفا شريرا يحتقر كل الناس حتى ابناء الحطاب وكان يذهب الى بركة قريبة ليرى صفحة وجهه الجميل ، وكثيرا ما استدعاه كاهن القرية طالبا منه ان يقلع عن كبريائه والا يحتقر غيره ولكن ذلك كان يزيده جفاء الى جفاء وقسوة الى قسوة .

وذات يوم مرت بالقرية عجوز رثة الثياب تنزف قدماها دما من وعورة الطريق وما ان رآها ابن النجم حتى استدعى رفاقه من غلمان القرية واخذ يقذف العجوز بالحجارة ويسخر منها ونظرت اليه نظرات ملؤها الرهبة والتفكير . وعندما راى الحطاب ـ الذي كان يقطع الاخشاب قريبا منه ـ ذلك ركض اليه يوبخه على ما اقترفه نحو المراة المسكينة ولكن ابن النجم احمر وجهه واستشاط غضبا وضرب الارض بقدميه قائلا : « من انت حتى تسألني عما افعل لست ابنك حتى تتحكم في ولكني ابن النجم » .

ولما سمعت المتسولة ذلك صرخت واغمي عليها وحين استيقظت من اغمائها في بيت الحطاب قالت للحطاب : « الم تقل انك وجدت ذلك الغلام في الغابة ؟ الم يكن ذلك قبل عشر سنوات ؟ وماذا كان في رقبته؟ سلسلة كهرمانية اليس كذلك وكان رداؤه ذهبا موشى ؟؟ »

واكد الحطاب صحة قولها فاخرج الرداء والسلسلة الكهرمانية من الصندوق ، وحين رأت ذلك بكت من شدة الفرح وصاحت « انه ابني الذي اضعته في الغابة وها قد طفت العالم بحثا عنه فاحضره لي لاراه » .

وذهب الحطاب وزوجته الى الغلام وعادا به الى البيت بعد ان انبآه ان امه في انتظاره ، وما كاد يراها بانتظاره حتى ضحك باحتقار وقال « انك لحمقاء ؟؟ اأكون ابن متسولة بشعة رثة الثياب ؟؟ اغربي عن وجهي فلست بحاجة لك » .

« ولكنك ابني الذي سرقه مني اللصوص ليموت في الغابة ؟؟ لقد عرفتك من اول وهلة لقد طفت بقاع الارض كلها بحثا عنك فتعال معي » .

ولكن الغلام اوصد قلبه واصم اذنيه عن سماع نشيجها واضاف :

« حري بك ان تنصرفي عنا فقد حلبت لي العار ، انا ابن نجم لا ابن متسولة كما تزعمين ، اغربي عن وجهي فخير لي ان اقبل افعى او ضفدعا من ان اقبلك » .

وعادت الام ادراجها وعاد الغلام لزملائه وما كادت ابصارهم تقع عليه حتى هزئوا منه قائلين « ابتعد عنا فلن نلعب معك ، انك قذر كالضفدع كريه كالافعى » وانفضوا من حوله ونظر الى نفسه في الماء فراى وجهه كوجه الضفدع وجسمه كجسم الافعى فارتمى على الارض يبكي ورن في اذنيه صوت عقله « هذه خطيئتك لقد انكرت امك وطردتها بقساوة فابحث عنها واستغفرها » وازمع ان يبحث عن امه في كل مكان فاخذ يعدو متقفيا خطاها ينادي امه باعلى صوته ولا مجيب حتى اذا جنحت الشمس للمغيب افترش بعض اوراق الشجر لينام ففرت الطيور من جانبه لوحشيته .

وعاود البحث في صبيحة اليوم الثاني وكان يسال كل شيء يمر به عن امه حتى الخلد وحتى الطيور ولم يكن يجد لديها جوابا .

وواصل سيره اياما ثلاثة بلياليها دون جدوى بل كان الاولاد يرجمونه بالحجارة ويطاردونه كلما مر بقرية من قراهم .

وفي احدى الامسيات وبعد مسيرة ثلاثة اعوام لاقى فيها من العذاب والمشقة الشيء الكثير وصل ابواب مدينة محصنة بجانب نهر وكان منهمكا خائر القوى . وهم بالدخول لو لا ان تصدى له اثنان من الجنود وضحكا من خلقته الدميمة يتهيآن لطرده لو لا ان تبرع عجوز ثري كان قريبا منهما بان يشتريه بكمية من الخمر

وتمت الصفقة وقاده الثري الى داره ، وامام الباب عصب عينيه واقتاده داخل الحديقة الى زنزانة ضيقة حيث قدم له خبزا عفنا وماء اجاجا ثم اقفل عليه الباب حتى صبيحة اليوم التالي حين جاءه قائلا: « في الغابة القريبة من هذه المدينة ثلاث قطع ذهبية : الاولى بيضاء والثانية صفراء والثالثة حمراء وعليك اليوم ان تحضر الاولى والا فسأجلدك مائة سوط وموعدك المساء حيث تلقاني عند باب الحديقة » وسار ابن النجم حتى وصل الغابة التي اخبره عنها سيده الساحر وكانت مليئة باشجار العوسج والعليق تخزه وخز الابر ، وجد في البحث عن قطعة الذهب حتى الظهيرة ولكن دون جدوى وفي المساء طفق يبكي ولكنه في طريقه راى ارنبا في فخ فهرع اليه وحل وثاقه . وشكر له الارنب حسن صنيعه وسأله عن بغيته . وحين اخبره بمطلبه قاده الارنب الى حيث القطعة الذهبية فالتقطها وعاد الى المدينة مسرورا .

وما كاد يصل البوابة حتى اعترض طريقه مجذوم تتقد عيناه شررا وطلب منه ان يعطيه نقودا ولكن ابن النجم اجاب بانه لا يملك غير قطعة الذهب التي جاء بها من الغابة . وتوسل المجذوم اليه بمرارة ان يعطيه اياها فتملكته الشفقة وجاد بها عليه.

وحين وصل بيت الساحر دون قطعة الذهب انهال عليه هذا ضربا ولم يقدم له طعاما وقضى ليلته في حجرته الضيقة على الطوى .

وفي اليوم الثاني قال له الساحر : « اذا لم تحضر اليوم القطعة الصفراء فسأبقيك عبدا لي وستجلد ثلاثمائة جلدة » وعاد الى الغابة وبحث فلم يجد شيئا واستسلم للبكاء حين جاءه صاحب الارنب يسأله عن سر بكائه فانباه بانه يبحث عن قطعة الذهب الصفراء ، فركض الارنب وهو يتبعه الى بركة ماء حيث كانت قطعة الذهب المطلوبة واخذها عائدا الى المدينة بعد ان شكر الارنب اجزل الشكر واحره.

وكما حدث له في اليوم الاول تصدى له المجذوم واعاد له نفس حديث الامس وشكا له ما يلقاه ، وكما فعل بالامس اشفق عليه واعطاه قطعة الذهب ثم عاد الى الساحر خالي اليدين فالقاه هذا في غياهب السجن بعد ان كبله بالقيود وجلده .

وفي اليوم الثالث جاء الساحر واخبره بانه ان لم يحضر قطعة الذهب الحمراء فان مصيره الموت وسار الى الغابة حيث جد في البحث طيلة يومه حتى المساء حيث اجهش في البكاء يندب نفسه ولكن فيما هو كذلك اتاه الارنب يعدو وانباه ان قطعة الذهب في كهف قريب وان لا داعي للبكاء ، واقتاده الى حيث القطعة فاخذها وهو يلهج بالثناء على الارنب الذي انقذ حياته .

وفي نفس المكانين الاولين لقي المجذوم في انتظاره واخذ هذا يتوسل اليه ويشكو اليه مرارة الجوع . فرثى له وناوله قطعة الذهب قائلا : «ان حياتك اثمن من حياتي » وانطلق في طريقه . ويا للعجيب ما كاد يدخل المدينة حتى انحنى له الجنود على الباب قائلين : « ما اجمل سيدنا ؟؟ » وتجمع حوله جمع غفير من ابناء المدينة يعجبون من حسن صورة سيدهم . وظن انهم يسخرون منه فبكى وواصل سيره وهم يحفون به حتى وجد نفسه امام قصر الملك حيث فتح باب كبير وهرع اليه الكهان وكبار رجال القصر قائلين : « انت سيدنا وابن ملكنا الذي ننتظر قدومه منذ امد»

وخر له الكهنة ساجدين واخبروه ان الوقت قد حان ليحكمهم والبسوه تاج الملك واعطوه الصولجان ولكنه لم يكن ليصدق مما يجري حوله شيئا واجابهم قائلا : « اتركوني فلست جديرا بالاحترام لانني انكرت امي ولن استريح حتى استميحها العفو فدعوني وشأني » .

وحانت منه التفاتة عارضة الى جموع الناس فراى المتسولة وبجانبها الرجل المجذوم بين الجماهير ، وخرج مسرعا من القصر ليبل قدميها بدموع الغفران وليغسل جراح قدميها وانحنى بذلة قائلا : « اماه ان آلامي اكبر من ان اتحملها فاغفري لي ما اسلفت من ذنب ولاعد بعد ذلك اهيم في الغابات » ولم تملك الام الا ان تضع يدها على راسه تباركه وامرته بالنهوض ، وكذلك فعل الرجل المجذوم ونهض ويا للعجب ؟؟ لقد كانا الملك والملكة ؟؟

وتقدم منه ابوه المجذوم قائلا : « هذه امك التي غسلت جراحها بدموعك » ، وعانقاه وقبلاه ثم ادخلاه القصر وخلعا عليه الالبسة الثمينة والحلل الفاخرة وسلماه التاج والصولجان ليحكم المدينة .

وحكم بالعدل والرحمة ، ولم ينس الحطاب وابناءه بل اغدق عليهم العطاء واكرم وفادتهم ، وكسا الفقراء واطعم الجائعين وعم الناس السلام والطمانينة في حكمه .

ولكن حكمه لم يطل لكثرة ما لقي في حياته من آلام اذ بعد اعوام ثلاثة مات ليحكم من بعده رجل شقي .

الاردن ـ حنين احمد عبدالله عبدالعزيز

حكاية وردة

•

وانا في طريقي الى عملي ، اشتريت ورده
كانت حمراء كالدم، ندية كالفجر، متفتحة كقلبي..
قط لم أشتر من قبل ورده ولا اعرف الان ابدا لم اشتريتها
لو كنت اعرف احدا في هذه المدينة الضائعة ، لطرت بها اليه ، مضمخه بعطر قلبي ..
ولكني هنا ،وحيدضائع ــ كوردتي
كل يوم اذرع المدينة الكبيرة باحثا عن اللاشيء
وعدة ملايين ، أراهم يذرعون المدينة مثلي ، لعلهم يبحثون عن اللاشيء ايضا ..
هناك فرق واحد فقط بيني وبينهم ، هو انهم غالبا بصحبة اصدقاء وزوجات وخطيبات .. وانا دائما وحدي ..
لم اشتريك يا ورده ؟ لقد ظلمتك كثيرا ..
كانت احرى بك يدان لطيفتان ، او صدر جميل ، او قلب يطفح بالالفة والمحبة ، ما اتعس وحدتك معي يا ورده ، اني لا اعرف هنا احدا ، ولكني مستعد لان اهبك لاول عابر طريق يمر في وجهي ولو مقابل ابتسامة ..
ولكنهم هنا يخيلون جدا يا ورده ، بخيلون حتى بالابتسامات ...
وضممت وردتي الى فمي فلثمتها ، وشربت عبيرها
وبينا انا كذلك ، غافلتني واختلست من عيني دمعتين كبيرتين وخبأتهما بين خديها ..
وبدت المسكينة مزهوة بسليبتها . فلم ادر الا وانا اقتلع خديها خدا خدا ..
وبدون أي شفقة ، آكلها واحدا واحدا ..
ولما بان لي قلبها الشاحب ذليلا مستصغرا
أكلته ايضا ، ورميت بساقها اليابسة الى الارض وسحقتها بقدمي . .
.. وانا اسحق الساق اليابسة ، شعرت بقلبي يميد ويميد حتى يصل الى الارض فينسل تحت قدمي ويضطجع بجانب الساق المنسحقة في صمت .

حلب — عبد الوهاب سايس

سراب

•

أيتها الآلهة مات قلبي الخفوق ونضبت دماء حياته
وانصهرت مقومات قدرتي
لقد ضاع اللحن الازلي في فيافي الوجود
ايتها الآلهة الشفوق لهيب الشموس يحرقني
والجدول ارقراق هيمان حولي ...
هناك كنا رفاق صغار تعشقنا الطبيعة
واحببنا زرقة السماء وظللنا وشاح الغروب
فاحمرت جباهنا السمراء وافترت ثغورنا
لقد جالسنا الوجود في صفاء جميل
كالشمس الوضوح في رابعة النهار
حيث كان نضر الزهور يفترش الارض كالحرير الوردي
والكلأ الاصفر كالاصيل الذهبي يناجي الطيور الشوارد
على جزوع النخيل والشاطىء مغناج
على ايقاعها النسيم والموج يتدحرج من الشلال
كاللؤلؤ الفضي الى نهاية الحياة .
حيث الخلود السرمدي أيتها الآلهة الحنون
هناك بمحاذاة الجدول رأينا الشعاع الاحمر
والطير الغريد يملأ الكون أغاريد
احبتها قلوبنا وتجاوبت لها ارواحنا اذ كنا احباء .
أوجدنا الخالق معا منذ رأينا الشعاع الاحمر
والحلوك الاسود والنجوم الراقصة فوق رؤوسنا
هناك شببنا عن الطوق وتخطينا الطفولة
وتأزرنا ببراقع الصبا وكرت الايام كالقطار
وسجلت اعوام وغافلني الزمن الخؤون
فبت هنا وحدي امام الجدول أرثي ما كان
لقد ضاع اللحن الازلي وراء السراب .

دمشق — منور فوال

ان جلبت له مؤلفاته العديدة الناجحة شهرة واسعة ، ودونت اسمه في سجل الادب العربي الذهبي . فرمى بين أيدينا منذ مدة، كتابه « اكابر » كناية عن مجموعة قصصية استوحى موضوعاتها الكاتب من صميم الحياة اللبنانية المتطورة تطورا ملموسا ، بعد ان حرص اشد الحرص وابلغه ، على ان يدمج فيها الاسلوب الجلي ، الذي لا يشوبه غموض او ابهام ، في جمل متناسقة الاوصال ، تتسم طابعا جذابا بحيث يشعر القارىء ان بامكانه ان يقرأها ـ اي القصص ـ في الشارع ، في الترامواي ، في السيارة ، على مكتبه ، في فراشه ... دون ان يتملكه سأم ، او يعتوره ملل ، ودون ان يتوسط بينه وبين مفرداتها أي قاموس ... فالمعاني غاية في التانق والبساطة والابتكار والروعة ، مع العلم ان صاحبها يكتب للخاصة وللعامة معا في هذا الكتاب في اسلوب ادبي ممتع يفتقره كتاب القصة في شرقنا العربي في اغلبية الاحايين .

ولا عجب اذا راينا « ناسك الشخروب » يدأب في كتابه هذا ، على ان تكون اشخاص قصصه مرآة تنعكس عليها وجوه اشخاص كل بيئة ، وزمن ، على اختلاف نحلهم ومللهم ..

كيفما سرت وانما نزلت تجدهم : في الحانات يعربدون ، في الحقول يرعون مواشيهم ويسهرون عليها خوفا من انياب الذئاب الضارية، في الدور يقبعون في زوايا الغرف يثرثرون ، خلف الاشجار الوارفة الظلال يقطعون بفؤوسهم اغصانها ، وينزعون عنها فلذات احشائها وينهبون اعشاش العصافير وهي ـ اي العصافير ـ بعد بحاجة الى حنان الام وغير قادرة على التحليق في الفضاء ، في الغابات يتذوقون طعم الحب ، في الشوارع يستجدون بعين منكسرة وصوت ابح ، وحبات المطر تتدفق على رؤوسهم المكشوفة ، والرياح تصفر من حواليهم وقد اخذ منها الجنون كل مأخذ ، على حافة الطريق يهشمون بمطارقهم الحجارة ويفتقونها بازاميلهم ...

على اننا لدى انتهائنا من القصة ، نجد ان المؤلف صور لنا الداء وتفشيه في البيئة ، وعجز عن تشخيص الدواء تاركا هذه المهمة للقارىء او قل لا يريد ان يضنك النفس لوصف « روشته » .

ففي قصة « مصرع ستوت » نرى « ستوتا » تنتقل في القرية طارحة اخبارها امام كل فرد تصادفه ، او تلج مسكنه . والسكان لم يتذمروا منها رغم ثرثرتها المتواصلة . لقد احبوا السماع الى قصصها حتى باتت هذه تنسيم اتعابهم ، وتدعهم ينصتون اليها في اغلب الاوقات بشوق ولهفة هذا وكانت ستوت لا يفوتها خبر خير ، او خبر موحش . فسميت «تلفون الضيعة» . وكانت منازل الضيعة تفتح ابوابها على مصاريعها امام ستوت ما عدا منزل واحد هجره رب العائلة الى ما وراء البحار ، تاركا فيه امرأته الحسناء . فحمقت ستوت واضمرت لصاحبة البيت الشر . وذات ليلة رأت من خلال نافذتها منزل جارتها ، يشع بنور ضئيل . وبعد قليل غادره شخص بسيارة كانت تنتظره . عند ذاك المشهد ، فركت ستوت يديها ، وقالت في نفسها « الان وقعت ابنتها اللعينة في قبضتي يدي » . وقبل ان ينبلج نور الصبح ، أخذت ستوت تنشر خبر خيانة الزوجة ، جارتها . لكنها جرت اذيال الفشل الذريع ، اذ علمت ان الزائر انما كان اخ المرأة الصبية ..

وبعد مدة قصيرة رأت ستوت ان منزل جارتها يتلالا بالانوار . فقامت للحال تقصده متسلحة بعصاها . وكم كانت فرحتها كبيرة عندما وقفت تحت نافذة احدى الغرف ، وسمعت المرأة تقول : « لماذا طولت الغيبة يا حبيبي ؟ » فرجعت على اعقابها والبهجة طافحة على بشرتها ، اذ انها ستعمد في الصباح الى اذاعت ما سمعت اذناها . وقبل ان تصل بيتها ، وقعت ستوت في حفرة وقضت نحبها .

وفي اليوم التالي كان اناس يشيعون ستوتا الى مرقدها الاخير ، واناس آخرون يهنئون زوج جارتها بسلامة وصوله من ديار الاغتراب ... اذا ، نرى في هذه القصة ان ستوت النعيمة موجودة في كل مكان وزمان .

وفي قصة « صادق » يخبرنا المؤلف عن حياة صادق ، وما جرت له من بلايا ، جعلت حظه ابدا في هبوط . لماذا ؟ لان صادقا دأب ان ينطق بالصدق ولو كلفه ذلك قطع رأسه .. هذا وصدقة قاده في نهاية الامر الى دياجير السجن ، حيث ما لبث ان شنق نفسه ، بعد ما ارتأى ان العيش بسعادة بعيد عنه بعدا شاسعا . وعثر في جيبه على ورقة جاء فيها : « تبا لدينا لا مجال فيها لصادق » .

وهكذا يسير النعيمة في سرد قصصه في « اكابر » بطرافة ، وتسلية تحمل القارىء ان يواصل قراءته للقصة حتى النهاية، كي يظفر بمغزاها.

فهنيئا لقراء لغة الضاد بهذا الكتاب الدسم ، وهنيئا لناسك الشخروب به وبامثاله .

ابراهيم عبدو الخوري

[تتمة المنشور في صفحة ٢٩]

يتعلق بالجسيمات او الجزيئات الاولية كالالكترونات والنيوكليونات انفسها ، التي لا تخضع حركاتها ومواقعها ومراكزها لاحكام المراقبة ، على عكس الحال الخاصة بالاجسام غير المجهرية : الاجسام الكبيرة .

ففي الحين الذي تفرض فيه النظرية الحالية ازدواجية التضاد بين فكرة المجال والاجسام المختبرة Duality between the concepts of fields and test bodies أظن انا شخصيا انه لا بد من شكل رياضي جديد New mathematical form للقوانين الفيزيائية تفرض وجود مجالات بدون اجسام مختبرة ، وذلك ليس من الوجهة الفيزيائية او الطبيعية المادية فحسب ، بل ايضا من الوجهة العقلية او النظرية . كذلك يجب ان يعبر بدقة كلية عن صفة « التكميلية » Complementarity بين قياس مجال ما له موضوعه الذري ، من جهة وبين وصف هذا الموضوع الذري نفسه من جهة اخرى . انهاتين الامكانيتين يجب ان تدفع احداهما الاخرى بصورة تلقائية Automatically exclusive نتيجة لشكل معقول من اشكال نواميس الطبيعة .

وقد اعرب عن مثل هذه الاراء والافكار بوهر نفسه وغيره آخرون من كبار العلماء . ولا اود ان اشدد هنا باننا وجهالوجه امام عملية تجريد جديدة Lyrothetical domain حيث لم يقم بعد شيء على الاختبار او ينهض على دليل قاطع من التجربة وكل امكانية من هذه الامكانيات القائمة امامنا لا تثبت الا بنسبة ما تأتي التجربة مؤيدة لها . وما ذكري لهذه الامكانيات العقلية الا لاذكر بصورة عامة ان الانسان يجب الا يفكر بهذه الامور المعقدة بالشكل العادي الذي اتبعناه عبر أجيال في تفسير الطبيعة وتعليل مظاهرها بل يجب ان يكون ابدا مهيء الذهن للاخذ بنظريات تجريبية وعقلية جديدة لم يرد لها ذكر من قبل ، في تضاعيف هذه النظريات التجريدية التي عرفناها .

ونحن لعلى يقين بان العقل البشري سيطلع علينا دوما باراء ونظريات تنطبق بعض الشيء على المحسوسات الخارجية التي عرفناها عن طريق حواسنا ، فنتخذ منها شاهدا على وجود المادة او الهيولى والطاقة وكلها موضوع علم الفيزياء ، اذ ان العقل البشري القائم في داخلنا والمحسوسات التي نتبينها في الخارج ، كل هذا وذاك يخضع لنظام كوني واحد .

يوسف اسعد داغر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهر حديثاً



● شلال الاسود ـ تاليف محمد الصباغ ـ ١٢٤ صفحة ـ لوحة الغلاف للرسام المكسيكي روخاس ـ المطبعة المهدية بتطوان المغرب .

● مؤتمر الادباء العرب الثاني (المنعقد في دمشق بين ٢٠ ـ ٢٧ ايلول ١٩٥٦) ـ كلمات الافتتاح ، المحاضرات ، التعليقات ، المناقشات ، التوصية النداء ـ ١٦٥ صفحة ـ حجم كبير ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● البطريرك مكسيموس الرابع ، في امريكا بداعي المؤتمر القرباني الدولي السادس والثلاثين في ريو دي جانيرو ـ ١٧٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ هدية مجلة المسرة ـ المطبعة البولسية حريصا لبنان .

● رباعيات الخيام ـ للدكتور جميل الملائكة ـ مع تصدير بقلم الانسة نازك الملائكة ـ ٥٢ صفحة ـ مع عدة لوحات بريشتي الفنانين العالميين غوردون روس وادمون سوليفان ـ الغلاف بريشة الفنان علي الشعلان ـ مطبعة الرابطة ببغداد .

● يقظة العالم الاسلامي ـ الجزء الاول ـ تاليف ف.و. فرنو ـ ترجمة بهيج شعبان ـ علق عليه الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي العربي ـ مع تمهيد بقلم علي ناصر الدين ـ ٣٠٨ صفحة ـ منشورات دار الحكمة للتاليف والترجمة والنشر بيروت ـ مطابع الوفاء بيروت .

● شق الفجر ـ قصة ـ تاليف يوسف حبشي الاشقر ـ ١١٨ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● النصوص السائغة : مختارة من تراث العرب في الكلام والفلسفة ـ طبعة ثانية منقحة مشروحة ومجهزة بفهرس معجمي مفصل ـ ٢٤٦ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● كسب محبة الغير ـ الكتاب رقم ١٨ من سلسلة دراسات سيكولوجية: كيف نفهم الاطفال ـ تاليف هيلين شاكستر ـ ترجمة السيد محمد عثمان بالبحوث الفنية بوزارة التربية والتعليم المصرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم المصرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم المصرية ـ ٩٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر

● رسالة الى ناظم حكمت وقصائد اخرى ـ ترجمة عبد الوهاب البياتي ـ قدم له الدكتور علي سعد ـ ١١٨ صفحة ـ مطابع دار الكشاف بيروت

● قناديل اشبيلية ـ مجموعة قصص ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ١٤٧ صفحة ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● النزعة الاشتراكية في الاسلام ـ تاليف انور الخطيب ـ مع تقديم بقلم الشيخ محمد جواد مفتية رئيس محكمة الاستئناف الشرعية الجعفرية ـ ٢٧١ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● العراق في خدمة العرب ـ موقف العراق من الاحداث الاخيرة في الشرق الاوسط : اسرار ووثائق خطيرة تكشف لاول مرة ـ ٤٨ صفحة ـ مع صور عدة وثائق بالزنكوغراف ـ منشورات مديرية التوجيه والاذاعة العامة العراقية ـ مطبعة الرابطة بغداد .

● المجد للاطفال والزيتون ـ شعر ـ لعبد الوهاب البياتي ـ مع مقدمة بقلم عبد الرحمن الشرقاوي واحمد سويد المحامي ـ [الصفحات بدون ارقام وليس لها فهرست] مزين بالرسوم بريشة حسن فؤاد ـ منشورات دار الفكر بالقاهرة ـ دار الهنا للطباعة والنشر [؟]

● بعد الاصيل ـ شعر ـ للدكتور نقولا فياض ـ ١٠٤ صفحة ـ دار الاحد بيروت .

● عرق ، وقصص اخرى ـ تاليف جبرا ابراهيم جبرا ـ مع دراسة بعنوان عبر الارض البوار ـ بقلم توفيق صايغ ـ ٢٠٥ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة الفنان جواد سليم ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر بيروت ـ مطابع وزنكوغراف نصار [؟]

● عالم ولكنه صغير ـ مجموعة قصص ـ تاليف عادل ابو شنب ـ مع مدخل الى القصص بقلم جلال فاروق الشريف ـ ١٤٢ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة PID والرسوم الداخلية بريشة فاتح المدرس ـ مطبعة الجمهورية بدمشق .

● عائلة أ. ق. ـ قصة ـ تاليف الدكتور جورج حنا ـ ٨٢ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت.

● هل تدمع العيون .. ـ مجموعة قصص ـ تاليف نصر الدين البحرة ـ الغلاف بريشة غازي الخالدي واللوحات الداخلية بريشة ممتاز البحرة ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة الجمهورية بدمشق .

● حياة الفكر في العالم الجديد ـ تاليف الدكتور نجيب محمود استاذ الفلسفة المساعد بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ ٣٠٣ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

● حضارة انطاكية عبر العصور ـ تاليف نخلة ورد ـ ٢٤٦ صفحة ـ حجم كبير اخراج انيق وورق ممتاز مععدةرسوم ـ مطبعة صفدي التجارية بسان بولو البرازيل ـ ويطلب هذا السفر القيم من ادارة الجمعية الخيرية الانطاكية وعنوانها :

Sociedade Beneficente Antioquina — Rua Corrêa Dias, 136 — São Paulo — Brasil.

● محاضرات مختارة من الموسم الثقافي في بغداد لسنة ١٩٥٥ـ١٩٥٦ ـ السنة الدولية للجيوفيزيكا للدكتور عبد الجبار عبدالله ، الحركة الفكرية في المغرب العربي للدكتور نقولا زيادة ، نظرة في رباعيات الخيام للدكتور احمد شاكر شلال ، الغابات في العراق للدكتور حسن كتاني ، مشاهدات في امريكا للسيدة سعاد العمري ـ مع مقدمة بقلم عبد الرحمن خالد القيسي مدير العلاقات الثقافية ـ ١٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة المعارف بغداد .

● تطور اقتصاديات الشرق العربي ـ تاليف يونس صالح الحريشي معاون مدير الادارة في المصرف الوطني العراقي ـ ٧٢ صفحة ـ دار العلم للملايين بيروت .

● ازهار شبابي ـ شعر ـ لفاضل محمد العاني ـ ٣٢ صفحة ـ منشورات مطبعة الفري الحديثة في النجف العراق .

● prisoners of time — by thurayya malhas — a book of poetry — 196 pages — Printed by Rihani Printing & Publishing House, Beirut — Khayat's College Book Cooperative 32 & 34 Rue Bliss, Beirut Lebanon.

● L'Eveil de la Conscience Picturale en Egypte (Le Groupe de l'Art contemporain) — par Aimé Azar — Avant-propos d'Eric de Nemes — 82 pages gd. f. — Extrait de « Peintres de l'Egypte Renaissante » — Imprimerie Française Le Caire Egypte.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كلمات ...

● تحدث البروفسور انطوان لاكاسان من معهد الراديوم الفرنسي ، في اكاديمية العلوم الفرنسية عن علاقة التدخين بسرطان الرئة فقال ان مادة اكتشفت في التبغ ادت الى احداث السرطان في الفيران وقال ان احد عشر فأرا حقنت بالمادة المعروفة باسم ديبنزو بيرين فكانت النتيجة ان اصيبت هذه الفئران باورام سرطانية خلال عدة ايام .

وتحدث البروفسور كريستيان تشامبي من جامعة باريس في اكاديمية العلوم الفرنسية ايضا فقال ان طبيبين من المشتغلين بالابحاث المتعلقة بالسرطان استطاعا احداث السرطان في خنزيرين دون استخدام اية مادة كيمائية وذلك بان انفقا انسجة العصب الوركي فادى ذلك الى اصابة الخنزيرين باورام سرطانية ادت الى قتلهما في مدة قصيرة .

● صنع معهد الابحاث الخاص بالاجهزة والاوائل الطبية في موسكو نموذج جهاز طبي جامع يدعى اوزو ـ ١ ، ويستخدم هذا الجهاز في معالجة الامراض باحدائه في الاغشية الخارجية والاعضاء الداخلية اهتزازات ما فوق الصوتية (اولترا ـ سون) .

ويمكن للاشعاع الناجم عن الطاقة ما فوق الصوتية ، ان يتم بصورة متواصلة اوبواسطة دفعات ، وذلك في اي من التوترات الثلاث التالية : ٤٥٠ و٩٠٠ و٢٥٠٠ كيلوسكل . والطاقة القصوى للاشعاع المتواصل لا تقل عن ٤٠ وات ، وبدفعات تتراوح بين ٦٠ ـ ٨٠ وات للدفعة الواحدة منها . وتحدد كمية الاشعاعات بواسطة مقياس خاص (ميزان ما فوق الصوتية) مثبت فوق الجهاز .

وقد جرب جهاز اوزو ـ ١ ، في معالجة امراض الجهاز العصبي في اطراف الجسم مثل التليف ، والتليف المقعدي ، وسبنديلو ارتروز وغيرها .. وشعر المرضى ، بعد الجلسات الاولى ، بان اوجاعهم قد خفت . وهذا ما شعر به ايضا حتى المرضى الذين تلقوا من قبل ، دونما جدوى ، علاجات اخرى لمدة طويلة .

هذا وقد بدا المصنع التجريبي في المعهد بصنع كمية محدودة من هذه الاجهزة مخصصة لمؤسسات الابحاث الطبية .

● صرح الدكتور فيليب شديد نقيب الاطباء اللبنانيين ان اوضاع معظم (الافران) في بيروت اليوم هي غير صحية بسبب ان النار او دخان المازوت على الاقل يمر فوق الخبز الموضوع على بلاطة موقد الفرن فيمتزج اثر المازوت او دخانه بذرات الخبز ليكون مواد عفنة ربما تكون ضارة بالصحة وفي بعض الاحيان سامة .

فعلى وزارة الصحة ان تتخذ التدابير السريعة لتغيير اوضاع الافران وارغامها اتباع الوسائل الصحية . فهناك كثير من الناس يصابون بالام معوية من جراء فساد طريقة تحضير الخبز في افران المازوت ولكنهم لا يدرون سبب اوجاعهم.

● اعلن الدكتور دنهام هارمن البروفسور في جامعة كاليفورنيا في مؤتمر علمي عقد في الجامعة المذكورة ان تجارب اجريت على فئران حقنت بمادة كيمائية ، اثبتت ان في الامكان اطالة عمرها ٢٠ بالمئة .. وان ذلك يمكن ان يطبق على الانسان ..

ويقول الدكتور هارمن : ان هذه المادة اذا اعطت النتائج ذاتها على الانسان فان في الامكان اطالة حياة الانسان من ١٢ الى ١٤ سنة .

● كانت امراة شابة في غرفة العمليات في مستشفى فيكتوريا بمدينة سوموث وكان ثلاثة اطباء وممرضة يساعدونها على الوضع وقبل ان يخرج الجنين سمعوا صراخه ... ومعروف ان الجنين ، لا يمكن ان يبكي قبل ان يتنفس ولا يمكن ان يتنفس قبل ان يرى النور .

ويقول الاطباء الذين سجلوا هذا الحادث الغريب ، ان وقوع مثل هذا الحادث محتمل ولكنه نادر جدا .

● شاهد اخيرا اعضاء « رابطة الكتاب المختصين بشؤون الطيران في اميركا الشمالية» نموذجا لطائرة المستقبل وهي ذات محركات تدار بكليتها بالطاقة الكهربائية المستمدة من نور الشمس مباشرة ، بواسطة حجيرة السيليكون الشمسية .

وهذا النموذج صنعته شركة هوفمان للصناعات الالكترونية في لوس انجلوس بكاليفورنيا . ويقول رئيس الشركة في حديث له عما حققته الشركة من اعمال في حقل فيزياء الاجسام الصلدة ان من اروع ما اخرجته مختبراتها هو هذه الحجيرة الشمسية التي تولد لاول مرة كميات ، فعلية ، من الطاقة الكهربائية مستمدة من نور الشمس مباشرة .

ثم يقول هوفمان انه بالرغم من ان هذه الحجيرات الشمسية غير قادرة حتى الان على جعل الطائرة النموذجية المعروضة باكورة طائرات المستقبل ، وان كل ما تستطيعه هو ادارة محركاتها ، فان التطور السريع الذي احدثته خلال فترة قصيرة ، نسبيا ، كان مدهشا حقا .

وهذا التطور سار بسرعة بحيث بتنا نعتقد وثيقا باننا نستشرف عهدا قريبا ستتحقق فيه امور كنا نظنها في امس الغابر اضغاث احلام . ففي خلال بضعة اشهر لا غير زادت فعالية مختبراتنا التي تولد الطاقة الكهربائية بواسطة اجهزة حجيرة السيليكون الشمسية فارتفعت من ٢ الى ١٢ في المائة . وهكذا فان الحلم الذي راود العلم يوما بتزويد سقف كل منزل بجهاز خاص يمده بما تحتاج اليه العائلة من نور ونار وقوة محركة من الشمس نفسها اصبح اليوم قابلا للتحقيق ولم يعد مجرد حلم .

● صرح مدير شركة التلفونات والتلغرافات الاميركية بانه يتوقع استخدام نظام للاتصالات التليفونية والتلغرافية في اميركا لا يهيىء نقل الكلمات والصور والموسيقى فحسب بل والمعلومات الحسابية والتقارير المعقدة الخاصة برجال الاعمال بالاضافة الى المخاطبات التليفونية بين الافراد .

ثم قال ان بحوثا واسعة النطاق تجري الان لانشاء نظام يؤدي كل ما يريده الناس منه .

● يجري صنع اسرع قاذفة قنابل في العالم في بريطانيا الان . وقد اصبح صنعها في مرحلة تقدمية كبيرة اذ تخصص هذه الطائرة

لمعانه في اوائل شهر ابريل ١٩٥٧ فتمكن رؤيته بالعين المجردة ، ولعله يكون يومئذ من ابهى الاجرام السماوية التي شوهدت في القرن العشرين ، وثانيا ـ انه لن يصطدم بالارض .

والمذنب واقع اليوم في كوكبة الحوت التي تظهر في الجهة الغربية من القبة السماوية بعيد غرب الشمس ، ، ولكن لا تمكن مشاهدته الان الا بمرقب .

والكواكب المذنبة كثيرة في قبة الفلك ، ولكن يندر منها ما يبلغ من البهاء مبلغا يمكن العين المجردة من مشاهدتها .

ومذنب آرند رولان هو المذنب الثامن الذي كشف في سنة ١٩٥٦ . وهو كسائر المذنبات مؤلف من راس او نواة قوامها كرة مجمدة من قطع من الجمد ودقائق معدنية قطرها مئات من الكيلو مترات . فمتى دنا المذنب من الشمس ذاب الجمد وتكون حوله غلاف جوي كبير . واما الاذناب فمؤلفة من غازات تمتد في الفضاء ويبلغ طولها احيانا ملايين من الكيلو مترات .

واشهر كوكب مذنب في القرن العشرين كان مذنب « هالي » الذي ظهر في سنة ١٩١٠ . وقد مرت الارض في ذنبه دون ان يؤثر ذلك فيها . وسيعود مذنب هالي الى الظهور في سنة ١٩٨٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من القاذفات لمصلحة سلاح الاسطول الجوي وتعرف باسم بلاكبورن ن أ ٣٩ واما تفاصيلها فلا تزال سرية . ويعرف انها متقدمة على القاذفة الاميركية البحرية ن ٣ ج. التي هي طائرة نافورية ذات محركين ومقعدين ومن النوع المطارد . وقد حلقت بسرعة تزيد على الف ميل في الساعة .

واما نماذج القاذفة ن أ ٣٩ فقد قامت بتحليقات ناجحة وتجارب في النزول على متن الحاملات البحرية من قطع الاسطول . ولقد ادهش الخبراء البريطانيون ما قامت به من اعمال تحليقية اتمتها بنجاح كلي . ولربما تم اختيارها للعمل لمصلحة قوات الجو الملكية كما تستخدم في ميدان البحرية .

● قامت شركة جودير للاطارات والمطاط بالولايات المتحدة بانتاج طراز جديد من الاطارات صنعت من خيطان النيلون المتينة . ويقال ان هذه الاطارات يمكن ان تسير مسافة ٢٥٠ ميلا (٤٠٠ كيلو متر) بعد اصابتها بثقب او تمزيق .

وتتالف هذه الاطارات من اطارات مزدوجة ـ اطار داخلي واخر خارجي ـ بكل منهما كمية مستقلة من الهواء . فاذا ثقب الاطار الخارجي فان الاطار الداخلي يحفظ الاطار منفوخا . وتعتقد شركة جودير ان هذا الطراز الجديد الذي سمته « كابتيف اير » سيحل محل الاطارات الخالية من اطار الهواء الداخلي والمستخدمة حاليا اذ انها مع كونها مأمونة الا انها تضطر السائق للتوقف بسرعة عند وقوع حادث انفجار .

● تستعد احواض السفن البريطانية لبناء ناقلات تصل حمولتها الى مئة الف طن . وربما ايضا تم بناء ناقلات تتجاوز هذه الحمولة . وسيصير انزال ناقلات عديدة من مختلف الاحجام وبينها ناقلات من حمولة ٥٠ الف طن و٤٢ الف طن . مع العلم بان اسطول الناقلات البريطانية تجاوز حمولته الان المليوني طن . وتجدر الاشارة هنا ايضا الى ان احواض السفن قد تلقت عدة طلبات من الشركات ، ولديها برامج مشحونة بالبناء والعمل وهي تعمد الى وسائل جديدة في بناء الناقلات وتطبق مبدأ المنازل الجاهزة اذ ان الكثير من اجزاء الناقلات يبنى في المصانع ويأتي جاهزا الى الاحواض لتركيبه .

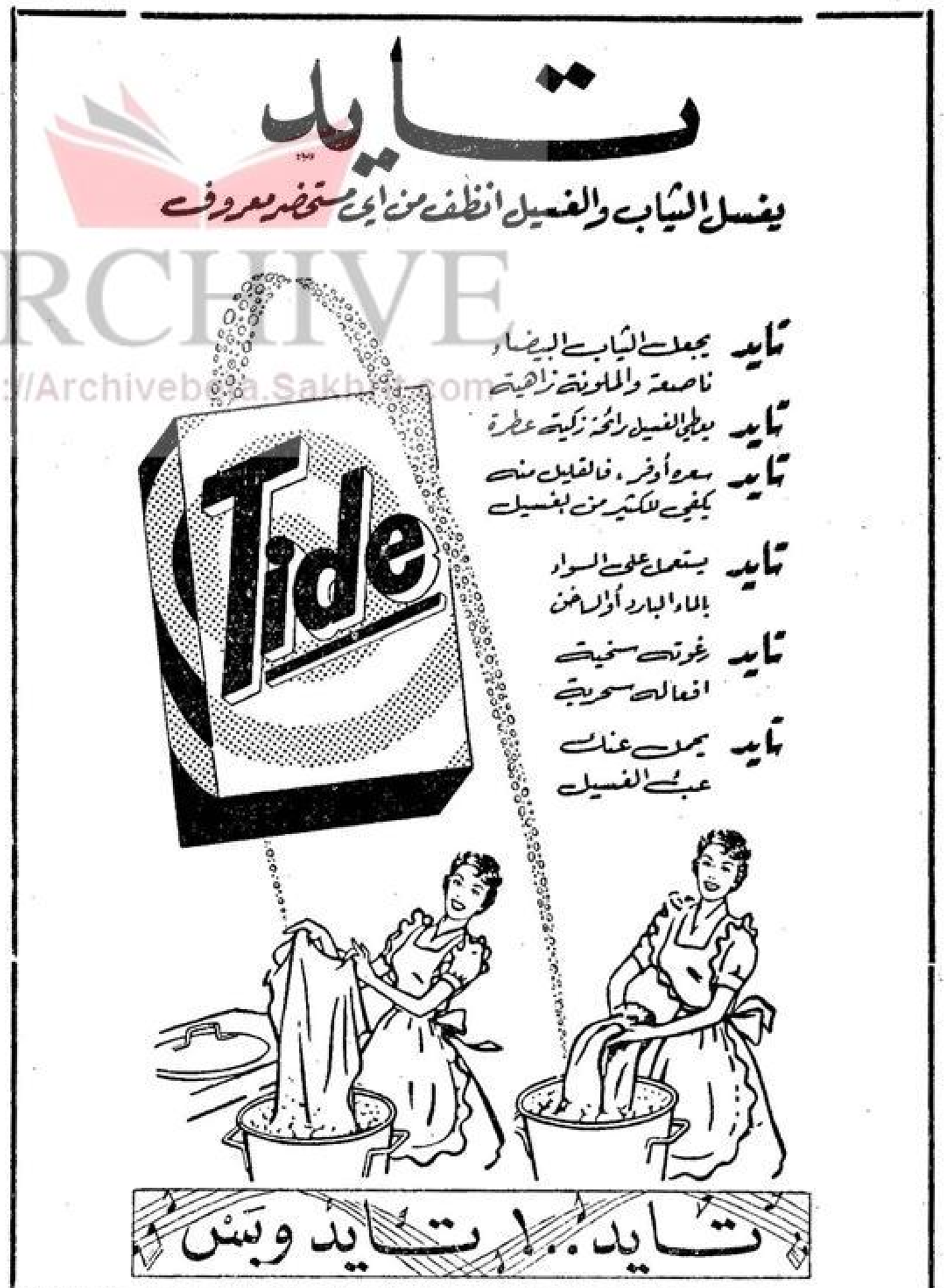
● صرح اثنان من علماء جامعة كمبردج انهما توصلا الى اختراع « خرطوشة » مستطيلة من النيلون تستطيع العوم من شانها ان تحل مشكلة نقل البترول وتغني العالم عن ناقلات البترول الضخمة .

ويقول العالمان الانكليزيان ان طول هذه الخرطوشة ٦٠ قدما تزن حوالي ٢٠ طنا وهي فارغة وتتسع لحوالي تسعة الاف طن من البترول . وبامكان السفن ان تجرها عبر البحار بسهولة .

والخرطوشة مصنوعة من عجائن البلاستيك القوية بحيث تستطيع تحمل ضغط الامواج ولا تكلف اكثر من مئة الف جنيه . وثمة ميزة اخرى لهذه الخرطوشة التي يمكن لفها وارسالها بالطائرة الى حقول البترول حيث تعبأ وباستطاعة السفن ان تجر اكثر من واحدة منها في كل رحلة حتى اذا ما وصلت الى الميناء افرغت من البترول واعيد شحنها بالطائرة مختصرة بذلك كثيرا من الوقت والجهد الذي تستهلكه ناقلة البترول العادية حين تعود الى حقول البترول فارغة .

وقد اجرى العالمان وليام هورثورن وجون آهو تجاربهما الاولى على امعاء بقرة عبئت بالبنزين ووضعت في بركة ماء مالح مدة طويلة كانت تعرض خلالها لامواج اصطناعية عنيفة لفحص مدى قدرتها على تحمل ضغط الامواج العاتية التي لابد وان تصادفها في البحار .

● اشترك اكثر من مئتي مهندس في اول مسابقة تجري في المانيا الغربية لوضع تصاميم لقطع الاثاث المصنوع من البلاستيك . وقد قرر كبار المهندسين الذين اشرفوا على التدقيق في نتائج المباراة ان صناعة الاثاث من البلاستيك تبشر بمستقبل حسن لان هذا النوع من الاثاث غير قابل للفناء .



وتتضمن التصاميم فكرة صنع خزائن الكتب والاسرة المصقولة بحيث لا يمكن خدشهـــا الا بصعوبة متناهية ويندر ان تقتضي الضرورة اعادة صقلها . وقد رفض المحكمون تصاميم يستخدم فيها البلاستيك الذي يبدو معـــه الاثاث وكأنه مصنوع من الخشب .

● اجتمع ما يقارب ٢٠٠ عالم ومهنـــدس لتوجيه اهتمامهم نحو موضوع واحد وهـــو كيفية بناء قرن يعمل على الطاقة الشمسية . وسيستمع العلماء خلال هذين اليومـــين لخمسة عشر تقريرا بموضوع القرن الشمسي قام بتحضيرها اتحاد القوة الشمسية بمساعدة جامعة اريزونا وكلية ولاية اريزونا . ومـــن خصائص القرن الشمسي انه باستطاعته انتاج الحرارة بدون تلويث الهواء بالغازات الضارة.

● بعثت الحكومة البريطانية بمذكرة جوابية الى اليابان تبدي فيها اسفها الشديد لعدم تمكنها من ايقاف التجارب الهيدروجينيـــة التي تجري في جزر كرسيماس القريبة من الجزر اليابانية .

وكانت حكومة اليابان قد طلبت الـــى بريطانيا توقيف هذه التجارب التي يخشى ان تؤدي الى بوار صناعة صيد الاسماك في الجزر اليابانية بسبب تعرض الاسمـــاك للاشعاعات النووية .

وتقول المذكرة البريطانية ان بريطانيا لا تستطيع ايقاف هذه التجارب الهيدروجينيـة الضرورية لسلامتها ودفاعها ما لم تتمكـــن الدول المعنية من الوصول الى اتفاق عالمي يغني بريطانيا عن متابعة هـذه التجارب . وتؤكد المذكرة ان بريطانيا ستواصل العمـل للوصول الى اتفاق لنزع التسلح على صعيد عالمي واسع .

● ان التصوير التكنيكي لجناح الطائـــرة ودراسة تحليق الصواريخ التي تزيد سرعتهـا عن سرعة الصوت ، وعملية الاستفادة مـــن الاقنية باكثر ما يكون من السداد ، كل ذلك يتطلب اعقد الحسابات الرياضية .

ولذلك فقد صنع العلماء الروس ماكنـــة حاسبة اليكترونية هي ماكـــنة « ستريلا » السريعة الجامعة . وهذه الماكنة معروضة في القاعة الرئيسية لمركز الحسابات لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي . وتستطيـــع « ستريلا » ان تقوم بـ ٢ ٥٠٠ ... عملية حسابية في كل ثانية . ويمكن بواسطـــة « ستريلا » ، في مدة ٢٠ ساعة ، حل مسالة يتطلب حلها بواسطة الماكنات الحاسبة العادية ٢٥٠ سنة .

● عرضت في نيويورك بطارية ذرية صغيرة جدا ويقول مخترعو هذه البطارية ان فـــي استطاعتها انتاج كمية من الطاقة تكفي لفترات من الزمن لاحد لها وانها لا تستدعي اتخـــاذ تدابير وقائية من الاشعاع الذري . اما المادة الاساسية التي يستهلكها هذ االاختراع فهي فضلات المنتجات الثانوية للمتفاعلات النووية المشعة .

ويقول صانعو هذه البطارية انها غيرخطرة اطلاقا .

● نشرت في لندن تفاصيل عن صنع جهاز ذري جديد في مركز هارويل جد معقد مـن الناحية العلمية والهندسية وقد دعـــي « هرمس » . والغاية منه فصل فئـــات من الذرات يختلف بعضها عن البعض الاخر شيئا قليلا ويفصلها ايضا عن المزيج المتعدد الانواع المعروف بعناصر الايزوتوب او الذرات المتشابهة التي يتالف من كل منها عـــادة عنصر ذري واحد . ويقوم هذا الجهـــاز على مبدأين في آن واحد أي على استخـدام الكهرباء والمغناطيسية في اداء عمله الفاصـل بين الذرات لتصنيفها ، ويمكن ان نسميـــه الجهاز الكهرمغنطي . وعلى اساسه يمكـــن فصل الذرات المتشابهة كيميائيا الواحـــدة عن الاخرى بواسطة تيار كهربائي تشترك فيه الطاقة الذرية في هذه العمليات .

وترغم هذه القوة الكهربائية والمغناطيـــة التجمعات الذرية المختلفة بعض الشـــيء في وزنها ان تسير في اتجاهات وسبل مختلفة عبر الجهاز الذي يرمي ايضا الى فصـــل عناصر الايزوتوب ذات الاشعاع الذري ، اذ ان التحري عن خصائص الذرة الاساسية وعـــن خصائص عناصر الايزوتوب الاشعاعية المنفصلة امر عظيم الاهمية ليس فقط لتوسيع مدى نطاق معرفة فيزياء الذرة بل ايضا للوقوف على معلومات حيوية ترتكز اليها وسائل تقدم صنع المولدات الذرية والافران من الناحية الفنية . بالاضافة الى انه سيستخدم للمساعدة في القياس الدقيق للخصائص الذرية المتعلقة بمختلف اجناس البلوتونيوم وانواعه وفئاتـه التي تتولد في الافران الذرية . كما يفصل الايزوتوب عن العناصر الاخرى .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية انها اكتشفت طرقا جديدة لصنع قنابـــل هيدروجينية اكثر فعالية من القنابل المعروفة حتى الان .

وتهدف الاكتشافات الجديدة للاستفـــادة من كل المواد التي تصنع منها القنابـــل الهيدروجينية الى اقصى حد ممكن بحيث يمكن بعد الان صناعة قنابل اصغر حجمـــا من القنابل المعروفة الان وبتكاليف اقـــل لها نفس قوة القنابل الكبيرة ان لم تكن اقوى .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركيـــة في ٢١ الشهر الماضي عن وقوع انفجار نووي سوفياتي جديد . ثم قالت ان هذا الانفجـار ليس الا بداية لسلسلة التجارب الجديدة التي كان السوفياتيون قد بداوها في شهر اغسطس الماضي . واصدر رئيس لجنة الطاقة الذريـة الاميركية السيد لويس اشتراوس البلاغ التالي:

اجرى الاتحاد السوفياتي يوم ٢٠ يناير تجربة اخرى للسلاح النووي في سلســـلة التجارب الاخيرة التي استانفها الان للمرة الاولى بعد اعلان الولايات المتحدة في السابع عشر من نوفمبر الماضي عن التجارب النوويـة السوفياتية التي اجريت .

والمعلوم ان لجنة الطاقة الاميركية الذريـة كانت قد اعلنت في السابع عشر من نوفمبـر الماضي عن اكتشافها الانفجار في الاتحـــاد السوفياتي تشابه تموجاته تموجات الانفجارات النووية . وهذا الاعلان الاميركي هو الاعـلان السادس عشر من نوعه من جانب الولايـــات المتحدة عن وقوع تجارب نووية سوفياتية كمـا انه الاعلان الرابع من نوعه منذ شهر اغسطس الماضي اذ بدات سلسلة التجارب النوويـــة السوفياتية .

● يستخدم علماء الذرة في مركز الابحـاث في هارويل بانجلترا الان المولد الذري المعروف باسم ليدو لدراسة قضايا الوقاية المتعلقـــة باجتناب اضرار الاشعاعات الذرية وذلك قصد التحقق من امكانية استخدام الطاقة الذرية وتطبيقها على السفن والغواصات . بالاضافة الى ان علماء الاميرالية البحرية يتعاونـــون في هذا المضمار مع علماء مركز هارويـــل المذكور منذ عدة اعوام لدراسة مختلف نماذج الافران الذرية التي يمكن تطبيقها في ميدان البحريـة عـلى افضل سبيل مـع معرفـــة نوع الوقود الذري المفضل ودراسة العوامـل الخاصة بالصحة والسلامة وقضايا النفقات ورؤوس الاموال اللازمة لتحقيق هذه الفكرة من ناحية عملية .

● اعلنت وزارة الدفاع الاميركية ولجنـــة الطاقة الذرية ان سلسلة من التجارب النووية ستجري خلال الربيع القادم في منطقة جبال نيفادا ، لفحص عدد من الاسلحة النوويـــة الجديدة والصغيرة بعض الشيء .

ويقول بلاغ وزارة الدفاع ان اميركـــا ستواصل هذه التجارب الهامة على الاسلحـة النووية لتهيئة الوسائل الكافية للدفاع عـن اميركا والعالم الحر ريثما يمكن الوصول الى اتفاق عالمي بشأن خفض التسلح وتحريـــم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استخدام هذه الاسلحة .

● استطاع المهندسون الالكتريون الذين يعملون في مصانع شركة لوكهيد للطيران من صنع ادق آلة تصوير تلفزيوني في العالم ، وهي جهاز طوله ٥ انشات فقط (٧ ر١٢ سنتيمترا) كما انه احدث جهاز يستخدماليوم في تجربة طائرات النقل من طراز الكترا. والالة الجديدة خفيفة الوزن جدا بحيث ان آلة تصوير من الطراز المعروف تزن ٨ اضعاف وزنها بينما آلة تصوير تلفزيوني عادية تزن ٣٠٠ مرة اكثر ، اما وزنها فهو ٦٨٠ غراما فقط .

وقد روعي في صنع الجهاز الجديد اتخاذ صور تللفزيونية لطائرات الكترا وهي في طيرانها . وبواسطة هذا الجهاز ، يستطيع المهندسون الذين يجربون الطائرة الجديدة ان يروا ويدرسوا قدرة الطائرة ومتانتها وحركاتها وهي في طيرانها مما يستحيل عليهم القيام به بدونه .

ويقول م. س. هدون رئيس قسم الهندسة في شركة لوكهيد انه بفضل هذا الجهازالدقيق تكون طائرة الكترا هذه اول طائرة ركاب توفرت لها كل وسائل الاختبار والتجربة قبل وضعها موضع العمل . وبفضل هذا الجهاز الدقيق يستطيع المهندسون الذين يجربون الطائرة ان يتبينوا عن بعد حالة اجنحة الطائرة وما لهيكلها من متانة ايضا ، فيرون على شاشة التلفزيون بادية على لوحة المقاييس امامهم ، منتهى قدرة هذه المتانة حتى حدود الانفجار .

ويمكن تركيب هذاالجهاز التلفزيوني المصدر في مقود الطائرة فتولد الشاشة صورة مساحتها ٢٧ انشا . ومما يطرب له المهندسون العاملون في مصانع شركة لوكهيد هو انهم في حال ظهور أي خلل او مشكلة لهم في الطائرة اثناء تحليقها يستطيعون توجيه الطائرة الوجهة التي يرغبون ليتبينوا وجه الامر على صحته مفصلا .

● بدأت الرحلة التجريبية الثانية للفواصة الذرية الاميركية الثانية المسماة « سي ولف » وقد بلغت تكاليف هذه الفواصة ٦٣ مليون دولار وقد غادرت احواض غروتن بولاية كونيتيكت متجهة نحو المحيط .

و « السي ولف » وحمولتها ٣٢٦٠ طنا ، اكبر واسرع من الفواصة الذرية الاولى « نوتيليوس » . اما محرك « السي ولف » الذري فيبرد بواسطة معدن الصوديوم المصهور بينما يستعمل محرك « النوتيليوس » الماء المضغوط للتبريد . ومعدن الصوديوم المصهور يأكل المعادن الاخرى مما ادى في بداية التجارب الاولى الى بعض التلف فتاخر بذلك اجراء تجربة « السي ولف » في البحر ويقول المسؤولون في البحرية الاميركية وفي الشركة التي التزمت بناء الفواصة انه مع الوقت بالامكان جعل طريقة التبريد بواسطة الصوديوم المصهور اشد فعالية من الطريقة المستعملة في الفواصة « نوتيليوس » .

وتشا الصدف ان تبدا « السي ولف » رحلتها الاختبارية في الوقت الذي جاءت « النوتيليوس » للتزود بالوقود بعد ان قطعت مسافة خمسين الف ميل بحري .

● اعلنتشركةماركوني البريطانية انهاوقعت عقدا بقيمة مئة الف استرلينية مع حكومة السودان لارسال جهازين اذاعيين مرسلين من احدث طراز للمحطة الاذاعية السودانية التي يجري بناؤها الان في ام درمان . وستبدا المحطة عملها في وقت وجيز . وقد اتخذت الحيطة لاعداد هذه المحطة بجهاز ينظف الهواء من الغبار ويبرده قبل ارساله الى جهازي الارسال . والغاية من المحطة الجديدة تكملة مهمة المحطة القائمة في الخرطوم وجعل الارسال الاذاعي او البث في متناول اكبر عدد ممكن من سكان البلاد .

● انتهى مؤخرا مد خط انابيب البترول بين الميتيفسك (تتاريا) وسبحان كولوفو (بشكيريا) وستنقل انابيب الفولاذ البترول من تتاريا نحو الشرق الى مدينة اومسك (سيبيريا الغربية) . وخط الانابيب الجديد هو جزء متمم للانابيب المارة في اراضي سيبيريا ، والتي تربط الصناعة البترولية في تتاريا وبشكيريا بمصفاة البترول في اومسك . وسيمدد هذا الخط في المستقبل القريب الى نوفوسيبرسك، ومن ثم الىاركوتسك (سيبيريا الشرقية) . وسيبلغ طول هذا الخط المار بالاراضي السيبيرية ٤٠٠٠ كلم تقريبا . ان مد مثل هذه الانابيب هو بمثابة مد خط حديدي يقتصر عمله على نقل البترول ومنتجاته .

● تم اعداد المصنع المصري لصنع عربات السكك الحديدية وبدأ انتاجه يخرج الى حيزالوجود، وسيكون في طاقته اخراج عربتين كاملتين يوميا. اما مصنع القاطرات فسيبدا انتاجه في منتصف هذا العام ليخرج قاطرة مصرية الحديد والصنع .

● كتبت جريدة الشعب المصرية تقول انها علمت انه عثر على خمسة مناجم للذهب لم تستغل بعد في الصحراء الشرقية . وقد صرح الدكتور عزيز صدقي ، وزير الصناعة المصرية للجريدة بان البلاد مقبلة على عهد رخاء كبير وان المناجم التي اكتشفت اخيرا ستدر على البلاد ملايين الجنيهات مما يساعد على السير قدما في حركة التصنيع . وقد وجدت بعض الاثار الفرعونية في هذه المناجم مما يدل على ان المصريين القدماء سبق ان استغلوا هذه المناجم .

● وكتبت جريدة الشعب ايضا تقول ان الابحاث التي اجريت في الصحراء الغربية تؤكد وجود كميات من البترول في وجهات معينة منها وقد انفقت الشركة القائمة بالبحث في الصحراء حوالى ١٦ مليون دولار منذ فبراير عام ١٩٥٤ حتى الان .

● صرح المستر انطوني موريس ممثل شركة بولي صاحبة امتياز التنقيب عن البترول في الاردن ، بانه يعتزم السفر الى الولاياتالمتحدة لاتخاذ الترتيبات اللازمة لاحضار برج للحفر، استعدادا للشروع باعمال الحفر في مطلع الصيف القادم . واوضح موريس ان هذا البرج يكلف مليون دولار وان الشركة قررت احضاره على ضوء الابحاث الجيولوجية التي اجرتها في منطقة الازرق حيث تعتقد الشركة بوجود البترول .

● تكلم ناطق باسم شركة شل في لندن عن تكهناته بوجود النفط في نيجيريا فقال ان اعمال التنقيب التي تمت هناك حتى الان تبعث على الكثير من الامال في هذا المضمار . وتوصل المسؤولون باعمال التحري عن مادة النفط الى حفر ابار عديدة ظهر النفط في بعضها . وتتواصل اعمال التنقيب ، واذا ظهر ان هذه الاعمال ستصيب بعض النجاح فان مؤن النفط ستكون اخذة بالتقدم اذ ينتظر ان تكتشف حقول جديدة هناك .

● اصدرت وكالة التعاون الدولي الاميركي بيانا تضمن فيه تكاليف عمليات التنقيب عن البترول في الاردن البالغة ستة ملايين دولار . وتغطي هذه الضمانة مبلغ مليون ونصف من الدولارات التي ستصرفها شركة بادلي في لوس انجلوس بكاليفورنيا في السنة الحالية والمليون ونصف دولار التي ستنفقها في السنة المقبلة اما الثلاثة ملايين الباقية فستنفق في مدة تتراوح بين سنة واحدة و١٨ سنة . وقد صرح السيد بادلي في لوس انجلوس بان شركته ستبدا بالحفر خلال هذه السنة .

● تلقت الحكومة اللبنانية عدة طلبات من شركات تتمنى السماح لها بالتنقيب عن البترول في لبنانوقد تقدمت اخيرا شركتان اميركيتان بطلب التنقيب .

وعلم انالحكومة ارسلت كتابا بهذا المعنى الى الامانة العامة للجامعة العربية تسالها فيه رايها في الموضوع وكانت الامانة العامة قد

طلبت الى الدول العربية اعلامها بكل طلب من هذا النوع لدرس وضع الشركة طالبة التنقيب بقصد معرفة علاقة رأسمالهابالرساميل الصهيونية وكانت الامانة العامة ، قد اشارت في الوقت نفسه الى القرار المتخذ في لجنة البترول العربية وهو يقضي بان تتولى الدول العربية استثمار بترولها بنفسها ، بعد تأمين التجهيزات الفنية اللازمة .

كما ان مباحثات جرت بين لبنان وسوريا منذ مدةطلبت خلالها حكومة دمشق ، ان لا تعطى الامتيازات الا لشركات تابعة لبلدان محايدة لا مطمع استعماري لها في الاراضي العربية . والجدير قوله استنادا الى اعتقاد الاوساط المسؤولة ، ان الطلبات الاميركية الاخيرة تنفى علاقة الرأسمال الصهيوني بالشركات طالبة التنقيب .

● وصل الى عدن عدد منالمهندسينالمعماريين الروس لمد ارصفة للموانىء على طولالسواحل اليمنية ، للسفن من ماخرات المحيط . وعلم ان اليمن ستدفع النفقات بعد مرور خمسة عشر عاما على الانتفاع بهذه الارصفة .

وقد وصل كذلك عدد من الاطباء الروس لانشاء المستشفيات وادارتها ، والاشراف على العيادات والمراكز الصحية دون مقابل .

● ينوي علماء الاحوال الجوية الالمان في ميونيخ ان يشنوا حربا صاروخية ضد عواصف البرد في الصيف القادم . ويعد هؤلاء العلماء عدتهم لاطلاق صواريخ تحتوي على يودور الفضة في الغيوم التي تتحول الى برد محاولة لتحويل البرد الى ندف ثلجية لا تنطوي على أي ضرر .

● جرى تصوير القمر بواسطة جهاز تلفزيوني في مرصد بولكوفو بلينينغراد ، فقد نجح العاملون في الفرع العلمي للنجوم في تصوير تفاصيل القمر على لوحة جهاز تلفيزيائي في مدة واحد على خمسين من الثانية . وبفضل الجهاز التلفيزيائي توصلوا الى ان يحصلوا على تمثيل للقمر على اللوحة وقد زادت اشعته ٦٠٠ مرة . وقد قال مخترع هذه الطريقة نيكولاي كوبريفيتش لمراسل وكالة تاس :

وتجري التصويرات العادية للقمر وسائر النجوم على لوحات بواسطة مرقب ـ تيليسكوب ـ ، ولكن ذلك لا يعطى صورة واضحة نتيجة لاهتزازات الاخراج الناتجة عن تقلبات الجو .

وكانت الفكرة في زيادة ضوء الصورة وذلك باستعمال تجهيزات التلفزة ، وقد وضع على المرقب الشمسي الكبير في بولكوفو قسطل ذو حساسية كبيرة والات مساعدة وجهاز تلفيزيائي ، ومنذ التجارب الاولى نجح في اخذ عشرة مناظر لتفاصيل مختلفة من مساحة القمر ويصار الان الى تشييد مرقب خاص في مرصد بولكوفو مزود بجهاز للتلفزة .

● انزلق احد الجبال في منطقة وادي شعيب بين عمان والقدس واقفل الطريق نتيجة لذلك . وهذه هي المرة الثانية خلال السنوات الثلاث الماضية التي تحدث فيها هذه الظاهرة الطبيعية .

● صرح عالم من جامعة كولومبيا بان هناك فجوة تحت سطح الارض طولها ٤٥٠٠ ميل . وقال الدكتور موريس اونغ بان معظم الهزات البحرية تجري ضمن المسافة الممتدة فوق هذه الفجوة الكبيرة التي تمتد من المحيط الاطلسي حتى المحيط الهندي ومن ثم تسير بفروعها داخل البحر العربي حتى الوديان الافريقية .



[تتمة المنشور في صفحة ١٥]

ويمنحه معنى وبدون هذا المستقبل لا يمكن تصور وجود انساني . ولتوضيح هذا الاتصال والضوء الذي يلقيه المستقبل على الحاضر اقول باني لو شعرت بالعطش وحملت القدح فجأة مارا يدي نحو حنفية الماء فان هذا الوضع الذي اتخذه لا معنى له الا بواسطة الحركة التي سأقوم بها بعد لحظات وهي فتح الحنفية وملء القدح بالماء ، ثم شربه . وحركتي الخاطفة هذه ليست انقيادا « لامتثال واضح » اعيه في فكري لهذه الحركة المستقبلة كما انها ليست « انقيادا اراديا عقليا » لانجاز هذه العملية . ان الامتثالات والقرارات الارادية ليست الا من صنع علماء النفس الذين يريدون تفسير الوجود الانساني تفسيرات عقلية محضة . والحقيقة هي ان هذه الحركة المستقبلة ـ فتح الحنفية وملء القدح بالماء ـ حتى ولو كنت لا اجعلها موضوعا لتأملي الفكري فانها تعود متقهقرة من حالتها الامكانية المستقبلة الى حركاتي الحاضرة ـ حملي القدح ومد يدي نحو الحنفية ـ لتلقي عليها ضوءا ولتربطها وتغيرها وتمنحها معنى . اني منذ البداية موجودا هناك ، فاتحا الحنفية وشاربا قدح الماء ، مقذوفا في صميم هذه الحركة المستقبلة التي اواجهها منذ الان كنقص لذاتي ، وما الحركات والاوضاع التي اتخذها للوصول اليها الا وسائل لتقريبي من هذه الحالة المستقبلة ولاذابتي فيها . وكل واحدة من هذه الحركات والاوضاع المتوسطة لا تأخذ كل معناها الا « بواسطة » هذه الحالة المستقبلة . وفي الحقيقة انه ليست هنالك لحظة من لحظات شعوري لا يمكن تعريفها او تحديدها على هذا الشكل اي بواسطة علاقة باطنة مع مستقبل معين ، سواء اكنت ادخن ام اكتب ام العب الكرة ام استريح .. الخ ان معنى لحظاتي الشعورية يكون دائما موجودا هناك ، على مسافة مني ، خارجا عني . وبهذا المعنى يكون هيدجر مصيبا كل الصواب عندما يقول عن الوجود الانساني بانه « دائما اكثر بصورة لا نهائية مما يكون عليه لو حددناه بحاضره المحض » وفي الحقيقة ان هذا التحديد او هذا الرد الى الحاضر مستحيل تماما لاننا اذا فعلناه سنكون قد جعلنا من الحاضر شيئا من الاشياء اي موضوعا مغلقا على نفسه لا افق له اي ليس لديه لحظة وراء اللحظة الراهنة .

ولكن ماذا يعني هذا الـ « ما وراء » الذي نتحدث عنه ؟ لكي ندرك ذلك جيدا يجب ان نتساءل بماذا يتميز المستقبل عن غيره من الابعاد الزمنية وما هي خاصيته الجوهرية ؟ ثم ، لماذا يبدو لنا المستقبل دائما ارضا سعيدة ستتحقق عليها جميع آمالنا واحلامنا وملجأ وافيا سيخلصنا من جميع اخطائنا الماضية ومشاريعنا الفاشلة . وفي الاخير ما هو سر هذه الخيبة العميقة التي نجدها بانتظارنا دائما كلما اندفعنا نحو المستقبل وكلما سقطنا على ارض الحاضر الباردة المتحجرة ؟

ان الخاصية الاصيلة التي يتميز بها المستقبل هي انه في جوهره : حضور « مستقبل » امام العالم ولكنه حضور شعوري « هذا » الذي انا عليه الان . فهو شعور مستقبل حاضر امام عالم مستقبل وانا اكون ذلك منذ الان . اي انه شيء ينتظر شعوري الذي انا عليه في الوقت الحاضر غير ان هذا الشعور المستقبل يبدو لنا عادة وكأنه (عالم) مستقبل فقط اي اننا نراه كعالم كامل من دون ان ننتبه الى ان هذا العالم ليس في حقيقته سوى عالم يظهر لشعور معين ، شعور سيأتي في المستقبل . وليس هذا فحسب ، اي ان المستقبل لا يقتصر على ان يبدو لنا كعالم ملء مجرد من لغة الشعور الانفصالية ، الا انه يبدو لنا ايضا النقطة المثالية التي سيتحد فيها كياني السابق (الماضي) وحضوري في العالم (الحاضر) وامكاني (المستقبل) لينبثق من كل ذلك هذه الذات المتكاملة التي طالما سعيت وراءها عبثا وطالما حلمت ببلوغها .

ومن البديهي ان هذا المستقبل لن يتحقق ابدا ولا يمكن ان يتحقق ولعل هذا هو سر شقاء الانسان . ان ما يتحقق دائما هو حضور جديد في العالم كان المستقبل « يشير له » من قبل وها هو الان يواجه مستقبلا جديدا . اي اني حتى لو اندمجت بالحركة المستقبلة التي كانت هدفي اندماجا دقيقا كاملا فان هذا الاندماج سيبقى مثاليا محضا ولا يمكن ان يتحقق واقعيا : لان المستقبل لا يسمح لاحد بان يناله وهو ينزلق بسرعة من حالته المستقبلة الى الماضي ليصبح مستقبلا سابقا وعندئذ يجد الشعور الحاضر نفسه في موقفه الذي لم يتغير : نفس الانفصال عن العالم وعن الذات ونفس العدم ونفس العوز ، كل ما في الامر انه يشعر الان ومرة اخرى بنقص جديد ويرى امامه مستقبلا اخر غير المستقبل السابق . وهذا هو سر الخيبة الوجودية التي تنتظر الانسان في كل مرة يرمي بنفسه نحو المستقبل ومعنى ذلك انه حتى اذا كان حاضري الذي احققه الان مماثلا بصورة دقيقة ـ شربي قدح الماء ـ للمستقبل الذي كنت اسعى اليه ، فليس « هذا » الحاضر هو الذي كنت اسعى اليه بل كنت اسعى نحو المستقبل باعتباره مستقبلا اي باعتباره نقطة تلاقي وجودي باكمله .

والان نستطيع ان نستخلص من كل ما تقدم بان الشعور بعد وجودي للانسان وهو الكيان الوحيد الذي يجعل بوسع الانسان ان يكون حاضرا امام العالم ، ان يضع العالم كشيء اخر غير ذاته وان يكون هذا الشيء ولا يكونه في نفس الوقت . وهذا الشعور اي هذه القابلية التي للانسان في الانفصال عن العالم وفي تغيير علاقته بالعالم بصورة دائمة هي الحرية الانسانية التي هي مصدر الفعاليات كلها .

اما الزمان فقد اتضح من هذا التحليل الظاهراني لابعاده الثلاثة ـ الماضي والحاضر والمستقبل ـ ان هذه الابعاد لا يمكن ان توجد الا بواسطة مخلوق يستطيع ان يكون شيئا اخر غير العالم وغير نفسه ، ان يكون هذه الابعاد الثلاثة في آن واحد ، وهذا المخلوق ، هذا الكائن الحر هو الانسان . وعلى هذا فالزمان ليس شيئا منفصلا عن الانسان مثل الاشياء الاخرى او بحرا خارجيا يخوض الانسان عبابه بل هو قانون وجوده نفسه . انه لكي يوجد ولكي يعي العالم ولكي يحقق ذاته لا بد ان (يتزمن) بالزمان ، ان يحيا في الزمان بواسطة الزمان . وفي اللحظة التي ينقطع فيها هذا الزمان عن الجريان ينهار قانون الوجود باكمله ويصبح الانسان كتلة من الحجر . ومعنى هذا كله ان الزمان هو الشرط الذي لا شرط بعده لكي يظهر شعور الى الوجود ، لكي يولد انسان .

فرنسا ـ بواتييه **نهاد التكرلي**

[تتمة المنشور على الصفحة ٧]

الفارق الكائن بين طفل التاسعة وطفل العاشرة . ولكننا نلحظه كثيرا بين طفل التاسعة وطفل الثالثة . الدورات تختلف وان كانت ضمن وحدة واحدة . هذه الوحدة عينها تمر في مراحل متمايزة. وهو شرط من شروط النمو، الذي تقوم عليه حياة الانسان ، والذي بدونه لا توجد تربية .

ولقد جاء علم الطب ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، تقرر هذا التقطيع الى مراحل. فمظاهرالنمو الجسمي لا تكون في عهد الطفولة مثلهافيسن العاشرة. ومظاهرالنمو النفسي لا تكون في سن العاشرة مثلها في سن الطفولة . ومظاهر النموالاجتماعيلاتكون فيالصغرمثلها فيعهدالشباب اذن لا شك في ان الانسان ينمو . ومعنىالنمو الانتقال من مرحلة الى مرحلة . هذا النمو يحدث بصورة دورية ، استمرارية ،دون توقف . لذلك هو عملية متصلةواحدة . وان تقطيعنا اياها الى مراحل ، يفيد من ناحيتين : فهو تبسيط ، كي لا يصعب فهمها علميا ... وهو تسهيل لعملية التعليم التي هي قوام التربية . ولكن هذا لا يلغي صعوبة الاجماع في الاتفاق على تبني تقسيم النمو الى العدد ذاته من المراحل . فقد اختلف علماء النفس ، منهذا القبيل ، لانهم لم يرتكزوا على المسلمات عينها . انطلقوا من بدايات مختلفة . ولما كانت النفس البشرية غير خاضعة لمعيار خارجيواحد ، فمن المستحيلالقول بان هذا التقسيم او ذاك هو الاصح ... هو الاوفق ... هو الاحق .

ولكن هناك شيء من الاجماع ، في التقسيم ، بين علماء تحليل النفس . فالتحليل النفسي يميز ثلاث مراحل متميزة في حياة الطفل : ١) المرحلة الاولى تمتد من المهد حتى نهاية السنة الخامسة من العمر . يمكن تسميتها بمرحلة الولد ، ٢) المرحلة الثانية تمتد من الخامسة الى اوائل دور المراهقة ، أي الى نحو الحادية عشرة، او الثانية عشرة ، او الثالثة عشرة من العمر . يمكن تسميتها بمرحلة اليافع ، ٣) المرحلة الثالثة هي عهد البلوغ الذي يمتد الى حياة الراشد ، اي الى الثامنة عشرة من العمر . يمكن تسميتها بمرحلة الشاب . ونلحظ ، في كل مرحلة من هذه المراحل ، استجابات ثلاث : جسمية ، ونفسية ، واجتماعية . وقد اقتاستالتربية بهذا التقسيم النفسي ، فجعلت مراحل التعليم ثلاث : الحضانة ،والمرحلة الابتدائية ، والمرحلة الثانوية .

الام

قلنا بان التربية تبدأ مع الولادة ، بل قبلها ، ولاتنتهي الا بنهاية الانسان ، لانها تكمله عقل وتهذيب واخلاق . الواقع ان التربية تستغرق العمر كله ، في حياة الانسان ، بل اكثر من العمر . فقد راينا كيف ان الذات الواعية هي امتداد للذات اللاواعية .. كيف ان الطفل هو والد الانسان.

ولكن الطفل لا يأتي العالم خلوا من كل ميل . لقد اثبتنا ، في الحديث عن الوراثة، ان الطفلمجموعة قابليات، ينبغي لها ان توجه التوجيه الحسن ... أي التوجيه الذي يلائمها . لهذا قلنا بان اول مبحث في التربية يجب ان يكون دراسة لنفسية الطفل . تلك القابليات ، التي تشحن معه ، من اين تأتي ؟ أمن الوراثة ، التي تصلهبالاجيال المدبرة ، وتجعله امتدادا لها في الاجيال المقبلة ؟ ام من البيئة ، التي تتلقاه اول بدء ، وتطبعه بخصائصها المحلية ؟ مهما يكن من امر ... أكانت القابليات وراثية ام بيئية .. فالام هي اسبق الاشخاص، في الحالين ، الى قولبة الطفل منذ البداية . هي أقرب الى الطفل من سواه . هي ، بالنسبة اليه ، المجتمع الانساني كله . هو لحم لحمها ، وجسم جسمها . يحيا بحياتها ، ويموت بموتها . لا محيص لنا ، اذن ، من ان نصيبها اولا بالدرس ... من ان نبدأ بها ، قبل ان نبدأ به، لانها صاحبةالكلمة فيديمومةالبقاءالبشري صاحبة الوصل ، والقطع ، فيما بين الاجيال . ولذا كانت التربية الاولى هي من وظائف الام ، وخصائصها المرموقة . وهو الامر الذي يبرر كتابة هذا البويب عنها .

الواقع ان الام وعاء ، او قالب ، تنسكب فيهالآدمية.. يفرغ فيه نوعنا الانساني ، وينتقل من والد الى مولود ... من جيل سلف الى جيل خلف . بالام يستمر البقاء في صيرورة الزمان . وهل يعقل ان تكون المرأة ، والحالة ذه ، ناقلة النوع الآدمي ، دون ان تتاثر بها نفس المولود بعض التاثر ؟ يصعب ، ولا شك ، تاكيد مدى تاثر الجنينبعصبية الام . ان العلم الحاضر لا يثبت شيئا ، من هذا ، بصورة يقينية . اذ ليس للعبقرية قالب خاص ، يفرغ فيه الاولاد، فيخرجون من كبار العظماء . ان قالبا كهذا ، يستحيل ايجاده بالتربية ، لانه من تهيئة الطبيعة . غاية التربية ان تجعل من كل طفل رجلا حرا ... ان تزرع فيه بذور الخير . وذلك في مقدور مساعينا البشرية .

ولكن وجودالشك ، في التاثر ، كاف لوجوب اتقاء الاسباب التي تشوه الطفل ، نفسا وجسما . ان العلاقة جد وطيدة ، بين اخلاق الجنين وانفعالات الام ، النفسية والجسمية . فنحن نعلم ان الفطر العادية ، السلمية ، تتاثر الى حد بعيد بمحيطها . هناك التماثيل البديعة ، والصور الجميلة ، والانغام المؤنسة ، والمناظر الطبيعية الساحرة ، والاستكانة ، والاستقرار ، وغيرها وغيرها ، تحدث شعور ارتياح وانبساط ، في نفس الناظر اليها . وعكسهايحدث شعور انزعاج وانقباض . هذه المظاهر كثيرا ما تكون سببا لتغيير في الامزجة .

من الصعب ان نفصل بين الجسم والنفس . ومن الصعب ان نفصل بين الانسان والطبيعة . من منا يستطيع ان يرسم الخط الفارق بين افعولات الجسم وافعولات النفس ؟ ومن منا يستطيع ان يرسم الخط الفارق بين مظاهر الانسان وظواهر الطبيعة ؟ ان كل معضلات الفكر البشري ، في أبعد مجالاته ، ناتجة عن ميلنا الى التجزئة.. تجزئة الانسان الى جسم ونفس . ثم تجزئة الجسم الى قسيمات ، وتجزئة النفس الى حالات . وهكذا قل عن الطبيعة . فاننا نجزؤها الى ظواهر مفككة . في حين ان التفاعل قائم بشدة بين الجسم والنفس ... وقائم بشدة بين الانسان والطبيعة . فهل من عجب اذا كان المرء يفعل في الطبيعة ، وكانت الطبيعة تؤثر في المرء ؟ هل من عجب، او غرابة ، في ان نقول بان الطبيعة تهز اعصاب المراة الحامل ... وبان الجنين ينفعل بعصبيتها المتحدة ؟ لقد ذهب ديكارت الى ان عناية الانسان بجسمه هي ذاتها العناية بنفسه . الاخذ والعطاء ، بينهما ، من بديهات الواقع البشري . وليس ادل على ذلك من الرسالة ، التي بعثها الى الاميرة اليزابيت ، في اول عهد الصداقة بينهما . هذه الاميرة لم تتعاف من مرضها ، بعد استلامها الحكم ،

ولم تزدهر كما كانت تستحق ذلك . فكتبت الى ديكارت تستفتيه. وفي ما يلي بعض من الجواب عن سؤالها . قال: « ان الانسان الذي يملك اسباب الفرح ، ثم لا يواظب رغم ذلك الا على مشاهدة المآسي ذات الفصول الكئيبة ، ولا يعنى الا بالاشياء المحزنة ـ التي يعلم حق العلم انها اساطير مختلفة ، يستحر بها قلبه، فتفرورق عيناه ، بدون ان يمس هذا ادراكه ـ اقول ان مثل ذاك الانسان لا بد لقلبه من ان يعتاد الانقباض والتأوه ، فتتمهل الدورة الدموية في عملها، وتتأخر ، ثم تلتصق اخشن اجزاء دمه بعضها ببعض ، لتعرقل الحركة ، سادة مسامات الطحال . وهكذا تتوقف عن الاحتراك الطف اجزاء هذا الدم ، لتفسد رئتيه ، وتسبب له سعالا يشتد خطره كلما طال الامد .

« ونقيض ذاك ، هو الانسان الكثير المتاعب ، الذي يدرس ذاته درسا ممضا ، لينسى متاعبه . هذا الانسان لا يفكر فيها البتة ، الا عندما تضطره اعماله الى مثل هذا التفكير . ولا يشغل باقي اوقاته ، الا بالنظر الى الاشياء ،التي تجلب له الطمأنينة والفرح . ان ترويحا كهذا عن المخيلة، يمكنه كثيرا من ان يطلق احكاما سديدة على الاشياء التي يهمه امرها ، لانه ينظر اليها غير منفعل . وهذا كاف ،بلا شك ، لنيله العافية رغم داء طحاله ، ورئتيه ، الناتج عن مزاج دمه الذي افسده الحزن ...

« ... اذا عملت جلالتك بموجب ما اعتاد الاطباء التوصية به ، وهوان يتحرر الانسان بشكل مطلق من كل انواع الافكار المحزنة ، والتأملات الرصينة المتعلقة بالعالم ، فلا يشغل وقته الا بالسير في خطوات اولئك الذين يتوصلون الى ان لا يفكروا ، وهم ينظرون الى غاب اخضر ، او زهرة ملونة ، او عصفور طائر ، الى غير ذلك من الاشياء ، التي لا تستلزم انتباها . وهذا لا يعني ضياع وقت ، بل استعماله بصورة حسنة . باستطاعتنا ، اذن ، ان نفرح انفسنا بالامل وحده ، مستعيدين الصحة الكاملة ، التي هي اساس جميع الخيرات الباقية ، والممكن الحصول عليها . »

اذا كانت المناظر الخارجية تؤثر في النفوس العادية السليمة ، من البشر ... فهل من عجب ان تكون مدعاة لاكثر من تغيير في مزاج الحامل ؟ هل من عجب اذا قيل لها ان تتقي النظر الى الاماكن البشعة ، وان تتحاشى الانفعالات الشديدة ، وان تبتعد عن الوساوس والمتاعب ؟ كثيرا ما يعود جبن الاولاد الى اهوال تلاقيها امهاتهم اثناء الحمل ... الى مصائب ورزايا تحيط بهن . ان الام بحاجة الى السكينة والاستقرار .

لقد تنبه اليونان الى مثل تلك التفاعلات ، فكانوا يحيطون نساءهم الحاملات بابدع التماثيل ، وابهى الصور ، المنسوبة الى اساطين الفن . من هنا كون التربية عملا جد خطير ، منذ البداية الاولى . ويأليت الاباء والامهات يدركون مبلغ التبعة الملقاة عليهم من جراء الابوة والامومة . ان في هذا الادراك ما يجب ان يعمر قلب كل والد ، ووالدة، بعيان ما يفرض عليهما من تربية الاولاد ، وتهذيبهم ، وتثقيفهم . ان مثل تلك التبعة لخليقة ان تحدث رعدة خوف ، ايضا ، لعظم المسؤولية . اجل ان الوالدين لمسؤولان عما وهب لهما من حلية الشرف . لقد اصبحا مؤهلين لان يشاركا بالخلق . اصبحا والدين . ان كمال الزوجية في صفة الامومة . اعظم قسيمة للمرأة هي ان تكون ام طفل . اذ في احشائها يزاول فن تكوين الرجال . في احشائها تقوم معامل البقاء البشري . وهو اول مدماك في بناء الامة . من اراد اصلاح مجتمعه ، عدل عن مكالمة الرجال ، وخاطب الوالدات . ان مثل الام الحامل كمثل الشجرة المثمرة . لهذا كان لها دخل كبير ، في الطفل ،وهو جنين ... دخل نفسا وجسما . فقد تدفع دين الامومة من نقد مزيف . اجل ، قد تشوهه ، رغم جمالها الخلاب ، اذا لم تعرف كيف تسوق حياتها ، وهي حامل . ولهذا يجب ان تكون من جنينها دائما على بال .

الطفل ، في الاحشاء ، وديعة . وديعة الاجيال الغابرة تنقلها الام الى الاجيال الآتية... وديعة الحضارات المنصرمة للحضارات المزمعة ... وديعة الانسان الراغب في الخلود.. وديعة الحياة ، رمة ، التي تنزع الى شق سجف الغد . هذه الوديعة يجب ان ترد الى واليها بامانة . الوالي ، هنا ، الانسانية ... النوع البشري الزاحف صعدا نحو بلاغ الاكمل . ولا يعقل ان ينسلخ جسم الطفل عن جسم والدته دون ان يجلب معه شحنات منها ... شحنات نفسية وشحنات جسمية ... لانه انبثاق منها . هو انبلاج وامتداد . ما هو عابر سبيل في احشائها . ان احتكاكا من انداخل يحصل بين الام والجنين . هذا الاحتكاك يترك من اثاره في الوديعة البشرية . وبذلك يدوم الانتقال . منذ ان يتحرك الجنين ، في الاحشاء ، يصبح سلوة امه . يصبح قرة عينها ، وعزة نفسها . وتشتد الرابطة بين الوالدة والطفل . اذا حزنت حزن في احشائها . واذا فرحت، فرح في احشائها . ان شخصها يضمه وهو جنين .

اول ما ينبغي قوله ، من هذا القبيل ، هو ان المفروض على الام ا ن تكون صحيحة الجسم . قوية البنية . سليمة من الاعراض . خالية من كل داء يمكن تسربه الى الوديعة التي استودعت اياها . على الام ان تكون ، في الحمل ، مستجدة القوى . ان تصبر على افعول الحمل . ان تحيط الجنين بكل ضروب الرعاية . وفي ذلك بعض التضحية ، من قبلها ، بل كل التضحية . ولكن يندر ان تصبر الام الحامل . يندر ان تطلق مباهج الدنيا الكبرى ، فتترك مجامع الافراح التي يحصل فيها الهرج والمرج ، من تمثيل وملاعب ... الخ . قليلات هن اللواتي يقدرن شرف الاتيان باولاد اصحاء ... باولاد حسان . وكثيرات هن المترفات من النساء .المرغات في حمأة الشهوات . الناسيات وظيفة المراة في الوجود . الضاربات كل شيء في الحياة بعرض الحائط بغية زينتهن . البائعات بابخس الثمن وظائف الحبل ... كل ذلك في سبيل البقاء ضمن بحبوحة التمتع بمعسول اللذائذ . فمن النساء الخواص ، اللواتي يرغبن في التزام مقتضيات فنون الجسم الغاوي، من يفضلن اخفاء حبلهن . ولذلك يتلفن سمنهن ، وبروز بطنهن ، فيلبسن الغلائل الضيقة الضاغطة . اما صدق الاطباء الذين يشددون النكير على هذا ؟ نشاهد في مجتمعات كثيرة نساء يقمن ، وهن يشارفن الوضع ، بافعال مرهقة في ميادين العمل . وهناك من يثابرن على الشغل ، ومن تضطرهن ضرورات العيش الى السهر ليلا ، او الى اثقال باهظة . كل ذلك يسبب رداءة نسل .

يقول احد الاطباء ما يلي : « يجب ان تكون كعوب حذاءيها منخفضة وعريضة في جهاتها الامامية عند اباهم

الرجلين ، وراسها وكتفاها مرتدةالى الوراء حفظا لاتـزان جسمها ، فتنشأ من هذه الحالة زاوية في الظهر ، تخلـع على المراة شكلا خاصا سماه شكسبير « كبرياء الحمل ». فاذا كانت عقبا المراة عاليتين ينحني الجسم الى الامـــام بدلا من ان يرتد الرأس والكتفان الى الوراء . وهو الوضـع الذي يجب ان تكون فيه الحامل ، وتتولد بخلاف ذلـك آلام في الخواصر وضغط فيالبطن ، يعوقان حرية المشي. ويجب ان لا تلبس الحامل ثيابا ضيقة ، لانها تسبب احتقان الاعضاء ، وتعوق النفس وحرية حركة الجسم ، والمشدات؛ والصدريات ، ورافعات الجواريب غير صالحة (والمشد) يضر الحامل بصورة خاصة ، لانه يضغطالرحم والجنين ، فيدفعها الى اسفل الحوض ، فتتاذى من جراء ذلك اوردة الحوض ، وتضعف العضلات البطنية ، وربمايحدث تشويه في تكوين الجنين (٧) »

وثاني ما ينبغي قوله ، من هذا القبيل ، ان الام هي التي ترضع طفلها . . . هي التي يجب ان ترضعه . تلـك الشريعة الحكيمة لا تعاكس، الا عند الضرورة الملجئة ، حيث تكون الام في غاية من العجز عن ارضاع طفلها . ومـن الافضل ، في مثل هذا العجز البالغ ، ان تلقم الام طفلهـا زجاجات لبن معقم ، على ان تلقمه ثدي ظئر (أي ثـدي مرضعة مستأجرة) . ان الام ، بالنسبة الى هذه ، هـي مرضعة ذات بلال . اما الظئر فمرضعة جافة ، قاسية ، عاسية ، خشنة ، لا يبل لبنها حلق الولد الرضيع. ولااخال اللواتي يلمن الارضاع المستأجر الا محقات في لومهن . فقد تكون المرضعة قذرة البدن ، جافية الطبع ، حمقاء ، ذات خرق ، وسوء راي . وهي امزجة ، وصفات ، لا تـقف محايدة ، وقت الارضاع ، بل تندس في وحـدات اللبـن « ان اللبن يعدي » . هذا قول ابن سينا في كتابه السياسة.

لا شيء يعدل عطف الام. ان الحرارة التي يرضعهـا الطفل مع لبن امه ، تقيم الحنان بينهما . . .تكون الامومة الحقة . الام التي ترضي ان يرضع طفلها ثديا غير ثديهـا هي ام فاسدة . تاجرة . هي ام تبيع طفلها بابخس الاثمان. هي املا تبالي بان تقتسم الامومة مع سواها . ان في مثل هذا التنازلعن ارضاع الطفل تنازلاعن حقوقها في الامومة. ذلك لان الولد لا يشعربالحب الا نحو التيارضعته. وفـي هذا تقويض لاركان العائلة ، والحياة الزوجية . يقـول روسو ، في الجزء الاول من كتاب « اميل » ، ما فحواه : يجب ان ننزع من قلب كل امراة جراة ارضاع ولدها مـن امراة اخرى . وذلك كي لا تقتسم حقوق الام ، او تنقـل تلك الحقوق . . . كي لا ترى الام ولدها يحب امراةاخرى، كما يحبها واكثر مما يحبها . . . كي لا تشعر بان العطف الذي يحفظه لامه الخاصة هو لطف ، وبان العطف الـذي يحمله لمرضعته المستأجرة هو حب فواجب . كيف تعالـج الام هذا الخطأ ؟ هل تلقن ولدها ازدراء مرضعته بـان تعاملها كخادمة حقيقية ؟هل تبعد ولدها عنها ، متى اكملت خدمتها ، وسرحت ، وردت بسوء استقبال ؟ هل هذا يكفي لتفتر الام ، وتعتقد بان ولدها لم يعد يعرف المرضعة ، ما دام لا يراها ؟ هل هذا العمل يجعلها تتلافى غلطتها ؟ ان اما

(٧) الدكتور شريف عسيران . علم الصحة . الجزء الثاني ص ٣٣٥

(٨) الدكتور شريف عسيران . علم الصحة . الجزء الثاني . ص ٣٥٦

كتلك تعود الرضيع الفاسد انكار الجميل بدلا من ان تجعل منه ابنا عطوفا . هي تعلمه ان يزدري ، ذات يوم ، تـلك التي ولدته ، كازدرانه التي ارضعته من لبنها . . لتتفضل الامهات بارضاع اولادهن ، فتصلح الاخلاق من تلقاء نفسها، وتنتبه مشاعر الطبيعة في القلوب ، وتعمر الدولة ثانية .

يقول احد الاطباء ما يلي : « مما لا ريب فيه ان اللبن الطبيعي ، اي لبن الام ، خير غذاء للطفل . والاطفال الذين يتغذون بلبن امهاتهم اقوى بنية واكثر نشاطا ونماء ، واقل تعرضا للامراض ، واطول عمرا ، ممن يتغذون تغذيـة صناعية كلبن البقر ، واللبن الرائب ، وانواع الالبان المجففة وغير المجففة . يجب ان لا تهمل الام التي تحب طفلهـا ، وتحب نفسها ، ارضاعه من لبنها . . . وان لا يجرفها تيار المدنية ، فتحول الزيارات والقبولات والملاهي بينها وبـين القيام بهذا الواجب المقدس (٨) » .

لا شك في ان اصلاح الاخلاق يجب ان يبدأ بالامهات. الام هي اركن اركان المجتمع . هي العامل الاول فيتكوينه، قلبا وقالبا ، وعليها يتوقف ازدهاره . ولهذا كان على الام ان لا تستهين بتلك الوظيفةالسماوية . اذ عليها ترتفـع شخصية الانسان . ان قول أبي العلاء بان النسل جنايـة امثولة رائعة في كيف يجب على الوالدين ان يتصـرفـا بحياتهما . كلنا يعلم تلك الصرخة التي ارسلها من اعمـاق عصره ، والتي ما زالت تدوي في الاجيال المتتالية . لقد اوصى ان يكتب على قبره :

هذا جنـاه ابي علـي وما جنيت على احـد

لم تكن المراة ، في عصر ابي العلاء ، ذات خطورة . ولذا نراه يلقي المسؤولية كلها على ابيه وحده . لا ريب من ان الوالد صاحب دخل كبير في تكوين شخصية الولد . ولكنه لا يعادل دخل الام في عملية التكوين . الام هـي الحياة مصغرة . هي الوجود مضغوط في احشائهـا . ولهذا كان اصلاح البيت يتوقف عليها ، اكثر مما يتوقف على الرجل . وكان اصلاح المجتمع يتوقف عليها ، اكثر مما يتوقف على الرجل . وكان اصلاح الانسانية يتـوقـف عليها ، اكثر مما يتوقف علىالرجل . ومن هنا اعتناء علـم الصحة ، في الوقت الحاضر، بما سماه «رعاية الام والطفل» هذه الرعاية تمتد على مراحل ثلاث : العناية قبل الولادة . العناية في اثناء الولادة . العناية بعد الولادة . والمقصودمن كل ذلك تحسين صحة الامة بتحسين صحة الام .

الانسان وحده بحاجة الى عناية . تلك العناية وفـاء ودين . وفاء من جهة الاباء ، ودين في اتجاه الابناء . هذا هو معنى التاريخ ، الذي يستمر فيه البقاء ــ عن طريـق الام ــ من السلف الى الخلف . هذا هو معنى الوديعـة ، التي تعطيها الاجيال الماضية للاجيال المقبلة . ذلك الانتقال، عبر الديمومة ، لا يحصل الا عن طريق المراة . . . اعني عن طريق الام . اولا الام ما بقي الوجود ، ولا استقام ، ونما . ام الكلاب ليست بحاجة الى رعاية ، ودراية، واعتناء . ام الكلاب لا تحمل في احشائها وديعة اخلاقية ، ولا هـي مسؤولة حيال اجيال مزمعة . الام ، في الانسانية ، هـي وحدها التي تحمل الآدمية الصاعدة . اجل ، هي الحيـاة مصغرة . وما الحياة غير الام مكبرة .

كمـال يوسف الحـاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

١٨ يناير ١٩٥٧ ـ غادر بيروت بعد ان اقام فيها بضعة ايام الامير عبدالاله ولي عهد العراق قاصدا انقره ومنها سيسافر الى لندن ثم الى واشنطن .

ـ صدر في موسكو بلاغ مشترك نتيجة المحادثات التي قام بها رئيس وزراء الصين الشعبية تشوان لاي مع الماريشال بولفانين وقد تحدث البلاغ عن مواضيع مختلفة وتعهدت الحكومتان بحماية اقطار الشرقين الادنى والاوسط من اي اعتداء او تدخل بشؤونها يهدف اليه مشروع الرئيس ايزنهاور .

ـ وصل الى القاهرة الملك سعود والملك حسين واجتمعا الى الرئيس عبدالناصر والرئيس صبري العسلي الذي ينوب عن الرئيس القوتلي.

١٩ ـ وقع في القاهرة اتفاق تقديم المعونة المالية العربية للاردن وقد وقعتها العربية السعودية ومصر والاردن وسوريا وستحل محل المعونة الانجليزية وقدرها ١٢ مليون دينار ونصف.

٢١ ـ اذيع بلاغ مشترك بنتائج مؤتمر حلف بغداد الذي عقد في انقرة وقد ايد البلاغ مشروع الرئيس ايزنهاور الخاص بالشرق الاوسط ودعا الامم المتحدة الى تسوية مشكلة فلسطين وتأمين حرية الملاحة في قناة السويس مع عدم المساس بسيادة مصر .

٢٢ ـ جرت الانتخابات النيابية في بولونيا وفاز حزب اتحاد العمال الذي يرأسه غومولكا رئيس الحكومة .

٢٣ ـ اعلن دافيد بن غوريون رفض اسرائيل الانسحاب من غزة والمنطقة الساحلية لخليج العقبة قبل الحصول على ضمانات لحرية الملاحة وعدم عودة القوات المصرية الى غزة .

٢٥ ـ رفع المستر هامرشولد تقريره الى الجمعية العمومية بعد انقضاء مهلة الايام الخمسة التي حددها قرار الجمعية لانسحاب القوات الاسرائيلية وجاء في التقرير ان اسرائيل لم تنفذ قرار الجمعية وارفق التقرير بمذكرة اسرائيلية عن اسباب عدم الانسحاب .

ـ اقر مجلس الامن مشروعا بتجميد الاوضاع الراهنة في ولاية كشمير ريثما يقرر سكان الولاية مصيرهم بانتخابات تجري باشراف الامم التحدة .

٢٦ ـ اعلنت الهند ضم نصف ولاية كشمير الذي تحتله وحلت المجلس التشريعي الذي يحكم المقاطعة وقامت مظاهرات عنيفة في معظم المدن الباكستانية احتجاجا .

٢٨ ـ وصل الملك سعود الى نيويورك في زيارة رسمية والقى خطابا في هيئة الامم المتحدة ندد فيه باستخدام القوة ونادى بالاستقلال وتقرير المصير لجميع الشعوب .

ـ اعلنت المدن الجزائرية الاضراب العام لمدة ثمانية ايام لمناسبة قرب بحث القضية الجزائرية في الامم المتحدة .

٣٠ ـ وصل الملك سعود الى وشنطن واستقبله الرئيس ايزنهاور بنفسه في المطار وهذه البادرة هي الاولى في تاريخ الرئاسة الامريكية ـ على اثر المحادثات التي جرت في موسكو بين الزعماء السوفيات ووفد تشيكوسلوفاكيا برئاسة الرئيس زابوتوكي صدر تصريح مشترك جاء فيه ان حلف وارسو سوف يقوى بسبب رفض الغرب مقترحات السلم السوفياتية القاضية بحل منظمة حلف شمال الاطلسي وقال التصريح ان الولايات المتحدة تريد استعباد الشعوب العربية وسوف يخلق هذا الامر خطرا عظيما على السلم .

اول فبراير ١٩٥٧ ـ وصل الى نيويورك الامير عبد الاله ولي عهد العراق

ـ قدمت امريكا والبرازيل ويوغوسلافيا والهند وكولومبيا والنروج واندونيسيا مشروع قرار للجمعية العامة للامم المتحدة ينص اولا : على دعوة الجمعية العمومية اسرائيل للانسحاب فورا من الاراضي المصرية. ثانيا : تدعو الجمعية كلا من مصر واسرائيل للتقيد باحكام اتفاق الهدنة ويعطي للمستر هامرشولد حق استخدام القوة الدولية عند خطوط الهدنة للحيلولة دون تجدد الاشتباكات

٢ ـ توفي في المانيا الشرقية الماريشال فردريك فون باولس قائد الجيش الالماني السادس في معركة ستالينجراد خلال الحرب العالمية الاخيرة وكان يعيش في عزلة تامة منذ عودته من الاسر الروسي في اكتوبر ١٩٥٣

ـ وجه الملك حسين الى رئيس وزرائه السيد سليمان النابلسي رسالة خطيرة حذره فيها من تغلغل الشيوعية تغلغلا خطيرا في الاردن وطلب اليه اتخاذ التدابير لمكافحتها .

٤ ـ عقدت اللجنة السياسية للامم المتحدة جلسة خاصة لمناقشة المشكلة الجزائرية

ـ تجري في عمان اجتماعات بين الجانب البريطاني والجانب الاردني في سبيل انهاء المعاهدة الاردنية البريطانية .

٥ ـ امر المستر جوكوستيلو رئيس وزراء ايرلنده بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة

٦ ـ قدمت اسرائيل الى المستر هامرشولد مشروعا جديدا من ثلاثة حلول بشأن قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ .

ـ صرح الملك سعود ان مشروع الرئيس ايزنهاور الخاص بالشرق الاوسط مشروع جيد يستحق كل عناية وتقدير من البلاد العربية .

ـ قدمت ثماني عشرة دولة عربية واسيوية مشروعا من ثلاث نقاط لتسوية المشكلة الجزائرية التي تناقشها اللجنة السياسية

٧ ـ اجتمع الملك سعود في وشنطن بالامير عبد الاله ولي عهد العراق وبحثا في عدة قضايا

٨ ـ صدر بيان مشترك عن محادثات الملك سعود والرئيس ايزنهاور ومما جاء فيه: تمديد اتفاق قاعدة الظهران خمس سنوات وتسليح الجيش السعودي واحترام حرية الشعوب وحماية الاوضاع الراهنة والتمسك بالامم المتحدة .

٩ ـ توفي منفيا في اسبانيا الاميرال نيكولاس هورتي الذي ظل دكتاتورا لهنغاريا مدة ٢٥ سنة

ـ غادر الملك سعود واشنطن بطريق الجو الى مدريد في زيارة رسمية لاسبانيا

ـ وصل الى مدريد الملك محمد بن يوسف ملك المغرب للقيام بمحادثات مع الجنرال فرانكو والملك سعود

١١ ـ رفع المستر هامرشولد تقريره الى الامم المتحدة وفيه انه لم يحرز أي تقدم في محادثاته مع اسرائيل

ـ وقع اتفاق تجاري هام بين فرنسا والاتحاد السوفياتي مدته ثلاث سنوات

١٢ ـ ارسل الاتحاد السوفياتي مذكرة الى امريكا وبريطانيا وفرنسا يقترح فيها عقد مؤتمر رباعي لدرس قضايا الشرق الاوسط وانعاشه اقتصاديا ومنع ارسال شحنات السلاح الى دوله وجددت المذكرة رغبة روسيا في ايجاد التعايش السلمي .

ـ اقترحت امريكا على اسرائيل مشروعا يهدف الى ازالة بعض المخاوف التي يتذرع بها اسرائيل لتأخير انسحابها من غزة وشرم الشيخ

١٣ ـ صدر بيان اردني بريطاني مشترك جاء فيه ان معاهدة الصداقة بين الاردن وبريطانيا المعقودة عام ١٩٤٨ ستصبح لاغية اعتبارا من اول شهر مارس القادم وفي خلال ستة اشهر ستسحب بريطانيا قواتها .

ـ انتهت اللجنة السياسية للامم المتحدة من مناقشة القضية الجزائرية وقد اعلن رئيس اللجنة فشل مشروع الكتلة الاسيوية الافريقية

١٥ ـ اعفي السيد ديمتري شبيلوف من منصب وزير خارجية الاتحاد السوفياتي وعين مكانه السيد اندريه غروميكو . وقد عين السيد شبيلوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين الشعر والحقيقة

○
○ ○

ان الشعر ، كسائر فنون الادب،فرع من فروع المعرفة ، بل هو المعرفة كلها بطريق الاحساس والحدس .

هذا حق لسنا بحاجة الى عقلانيةالفلسفة كي نعلل صحته . ولسنا كذلك بحاجة الى تجريبية العلم كي نؤمن باصالته . فصحةهذا الحق واصالته مستمدتان من اعماق القلب واغوار النفس وآفاق العقل على حد سواء .

الا ان المعرفة ، أية معرفة ، لا قيمة لها بحدذاتها . انها بحكم العدم ما لم تتحرك او تتجسد، أي تجد سبيلها الى قلوب الآخرين ونفوسهم وعقولهم .

وقد كانت اللغة ، منذ كان الانسان ، هي ذلك السبيل . فباللغة يتم للمعرفة ان تغدو كائنا ماديا ، ان تتبلور في نتاج محسوس . وسواءعندنا أكانت هذه اللغة بسمة على ثغر حبيب أم نغما في حنجرة طائر ، او كانت رمزا في حجر ام حرفا على ورق ، او كانت بيتا من الشعر ام قنبلة نووية !

من هنا كان الشعر ، وهو صدى الحدس والاحساس ، اروع فنون الادب ، لانه اصدقها . وكان الادب اسمى فروع المعرفة ، لانه اوسعها شمولا . فهو دون ريب قمة تنتهي اليها الحضارة حينما تبلغ ذروة ازدهارها .

فأين شعرنا من الادب ، وأين ادبنا من المعرفة ، بل اين شعراؤنا وسائر ادبائنا من تلك الذروة التي تترامى النجوم في احضانها ؟

ذلك في اعتقادي هو موضوع الناقد الاصيل ، الناقد المرتجى ، بعد ان كثر النتاج ، وقل المنتجون حقا .

اما مستوردو المقاييس والموازين ،ومخططو المفاهيم والمناهج ، فهؤلاء لا يدخلون ملكوت هذه السماء ... لانهم عاجزون عن الخلق والانشاء .

وخير من ان ينصبوا انفسهم حكما ...بين الناس ، ان ينصرفوا الى ما استعدوا له من تجارة يتقنون اساليبها ، ودعاوة يبرعون فيها ،واهداف اخرى ... يتزاحمون لبلوغها ، ولو على جثة المعرفة الخلاقة ، والحقيقة المتجردة .

المعرفة لا تحتمل الدجل، والحقيقة لاتهضم الزغل . فالمعرفة ، والادب منها ، مباءة للقلوب المؤمنة ، والنفوس المبدعة ، والعقول الرسولة .

وكذلك الحقيقة ، فانها تختنق تحت مسوح الدجالين واقنعة المخادعين .

هكذا فهمت الامم الخيرة رسالة المعرفة... والشعر منها ، فكان شعراؤنا ، وسائر الادباء، هم المخلدين بعد ان يطوى ذكر غيرهم من العظماء !

وكان الخلود ، على الاطلاق ، وقفا على ابناء الحق والخير والجمال ، بل وقفا على ابناء الحقيقة وحدها . فالحقيقة هي الحق بالذات .واما الخير فهو حركتها الدائمة . واما الجمال فهو سكونها المتناهي !

رشاد دارغوث

فلسفة التربيـة

بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج

✳

الباب الثالث : في الوليد ، في سني المهـد

ولـد الطفل . ها هو في عالم الناس يرفل بالنور . لقـد غدا تحت نظام الشمس والقمر . ينام ليلا ويقـوم نهارا . صار واحدا من البشر الذين يعيشون على وجـه الارض ... واحدا من الاحياء ، الذين يموتون بعض الموت، يوما بعد يوم .

ماذا تعني تلك الولادة ؟ ماذا يفيد ذلك الاطلال ... ذلك العبور من عالم الغيب الى عالم الحاضر ؟ هل تدل هذه الولادة على ان تكوينه قد بدأ فور خروجه من احشاء امه ؟ انه قد اخذ بتسجيل وقائعه ، وحوادثه ، منذ الساعـة التي راى فيها ضوء هذه الحياة ؟

من الخطأ اعتبار الولادة بدء تكوين الانسان . الولادة ليست بداية . هي امتداد لمرحلة دامت تسعـة اشهر ، قضاها الطفل في احشاء والدته . يرجع التكوين ، والحالة هذه ، الى الجنين ... الى الفترة التي بدأت الانسجة فيها تأخذ شكلا معينا . برهان ذلك ؟ لقد انعكف الطب علـى دراسة الاطفال ، الذين ولدوا بصورة غير عادية ، اي قبل انتهاء شهور الحمل التسعة . ماذا دلت نتائج البحوث ؟ دلت ان الطفل قادر على السلوك ، في الاحشاء ، قبيـل شعور الام بحركة منه اثناء الحمل . ان قلب الطفل يخفق في الاسبوع الرابع . وان راسه وجذعه يتحركان بعض الشيء في الاسبوع الثامن . وان اليدين يتثنيان في الاسبوع الثاني عشر . وان الصدر يتنفس ، وفق توقيع منظم ، في الاسبوع الثاني والعشرين . وان هناك عمليات كثيرة اخرى، تتعلق بالهضم والعرق ، تكون على وشك مزاولة وظيفتها ، قبل موعد الوضع .

ولد الطفل . ها هو بين ظهرانينا . لقد اصبح مـن عداد الناس . نعلم انه يزعق ، اذ يخرج من احشاء والدته. ماذا يعني هذا الزعيق ؟ لقد كتب الكثير عنه . منه ما جاء شعرا ، ومنه ما جاء علما . فشوبنهور ، مثلا ، يرى في الصياح الاول خيبة امل . يرى فيه تعبيرا عن جنايـة الانسان حين يولد ، كما يرى الشاعر العربي في قبض يد الطفل اشارة الى الحرص الذي فطر عليه المرء منذ البداية. يصرخ الطفل تذمرا من هذه الحياة الدنيا التي جاءها . انها لا تعادل قيمة حيث كان . هي وادي البكاء . وادي الفشل. لقد كان مطمئنا في عالم الغيب . كان هانئا دافئا . اليس في وضعه ارتكاب اثم ... فعل جريمة ... ما دام كل شيء يؤول الى السلب ؟ يصرخ الطفل وكاننا به قد علم انه دخل عالما ابتر .

لا شك في ان هذا القول مفعم بالمغازي الوجدانية... مليء بالادب الرومانسي . لكنه غير مرتكز على ثبت صحيح. انه بعيد كل البعد عن اسانيد العلم . وهو عائد الى الرواسب الفاحمة ، التي تكونت في قرارة شوبنهور ، نتيجة مـا قاساه من الفشل . لقد كان متشائما في وجوده ، بسبب دمامته ، وانكساره في اكثر من مشروع . الا ان الطـب الحديث لا يأخذ بتلك الاعتبارات الرومانسية ، التي تستند الى الواهمة . نعلم ان مناخ الاحشاء غير مناخ الطبيعة . مناخ الاولى دافىء ، مناخ الثانية بارد نسبة . ثم يحصل الانتقال المفاجيء ، فيزعق الطفل نتيجة عبور الهواء بسرعة على الحبال الصوتية . لقد تسلل الى الدم وحدات هوائية جديدة ، مما حدا الرئتين على المط . على التوسع . عـلى الشهيق الذي هو ردة فعل محض . هذا العبور السريع للهواء ، في الحنجرة ، لم يالفه الطفل ضمن الاحشاء . من هنا واجب التناسق ، والتكيف ، والتوافق ، مع الجـو الخارجي . اذ ذاك يحصل الاصطدام . تحدث الرجفـة . يقع الاختلاج والارتجاج ، فتكون الصرخة . وهي جـد خطيرة، من وجهة اللغة، لانها اول مظهر من مظاهرها العديدة

نستطيع القول ان الطفل المولود لا يختلف كثيرا ، في الاسابيع الاربعة الاولى ، عن الحيوان المولود . هـو كتلة اعضاء لا تتمايز . لم يبدأ بعد كل عضو منها بمزاولة وظيفته الخاصة . لا فرق البتة ، ههنا ، بين وظائف النفس والجسد . ان هي الا عملية نوم ، وغذاء ، وفرز . عـلى الام اذن ان تعتني كل الاعتناء ، في هذه المرحلة المبكرة ، بنوم طفلها وغذائه وفرزه . ان ينام ، وان يأكل ، وان يفرز. ثلاث عمليات يجب ان تحصل بصورة طبيعية . عادية . ذلك لان الاسابيع الاربعة الاولى امتداد للشهور التسعة ، التي يكون الطفل قد قضاها مطمئنا في احشاء امه .

انه في شبه غيبوبة . لا يقبض على اشياء الخارج . ولا يقوى على الانتقال بمفرده . ان هو الا كتلة قابليات . الا مجموعة قوى كامنة، رابخة في لطيفته، تنتظر النمو كي تتمايز ، ثم تنطلق . معنى هذا ان نشاطاته المختلـفة ، المتنوعة ، غير مركزة . غير معينة . يستجيب استجابات عامة . هو عاجز عن تثبيت نظره . عاجز عن متابعة الشيء المتحرك بتحريك عينيه . انه غامض . كل ما يحس بـه ، عن طريق العين والانف والاذن ، يشبه الخضم المتداخـل. يشبه الليل المدلهم . انه مهوش. كل جزء منه في كل جزء. هو واحد لم تتنوع اجزاؤه . يحس بالاشياء رمة ، ويشعر بها جميعا دون وعي . اذا اثير اي جزء ، في بدنه ، اجاب الجزء الاخر ، او استجاب البدن كله . مثلا على ذلك ؟ مص ثدي امه . ان حركة المص لديه تبدأ غير واضحة . الطفل السليم لا يزاول مص ثدي امه ، فقط ، بل يحدثـه عنـد ملامسة شفتيه لاي شيء مغاير ، باعتباره ردة فعل او نوعا من الاستجابة لاثارات اخرى . ولكن هذا لا يعني ان حركات الاعضاء مختلطة كلها ، دون بعض التنوع فـي البداية . ان وظيفة المص تكون محددة اكثر من سواها ، واذا قرص الطفل في قدمه ، وكان يمص حلمة المطاط ، تاثر مباشرة ووقف عن المص ، ثم استانف العمل . زبدة الكلام ان سلوك الطفل عام في هذه الفترة البادئة . يأتي ولا يجلب معه الا عددا محددا من التصرفات المائعة ، التي هي استطالات لفترة النمو الحاصل قبـل الولادة . يأتـي ولا يجلب معه الا ما يساعده على العمليات الواجبة للحياة المباشرة .

ويتوالى النمو الحركي . ففي الفترة الواقعة ، بـين الاسبوع السادس عشر والاسبوع الرابـع والعشرين ، يتمكن الطفل من الجلوس . يتمكن من تثبيت راسه ، ومن رفعه ايضا ، اذا القي على بطنه. ويتمكن من تسديد نظراته

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحو هدف معين ، اذا القي على ظهره . ويتمكن ايضا من الاتكاء على ذراعيه ، والتقلب على جنبيه ، اذا القي على الارض . ان النمو يبرز – اكثر ما يبرز – في الجذع ، واليدين ، وحركة الراس . ثم تاتي الفترة الواقعة ، بين الاسبوع الرابع والعشرين والسادس والثلاثين ، حيث يتوصل الطفل الى الجلوس بمفرده ، والاعتماد على رجليه بعض الاعتماد . وفي الربع الاخير من السنة الاولى يتمكن الطفل من ان يحتفظ بتوازنه . فيحول جلسته اذا اراد ، ولا يقع الا نادرا وهو جالس ، ويلقي بنفسه على البطن ، ليزحف الى منتصف الطريق . وفي اوائل السنة الثانية ، يقف ويمشي اولا بمساعدة ، ثم بدون مساعدة . اما النمو الحساسي ، فينحصر اكثره في البصر والسمع. العين تبدا بالتحديق ، والاستجابة للاضواء المتنوعة . ثم تقوى حركة العين يمنة ويسرة ، في سبيل مرافقة الشيء المتحرك . السمع اقل بروزا من البصر . ولكن الثابت ، الذي لا شك فيه ، هو ان الطفل يستجيب للاصوات العالية بحركة انتفاضية ، تسري في جسمه كله . ويستجيب ايضا للاصوات اللينة ، فيغمض عينيه . وقد يكون في هذا الاستسلام ، الى الصوت الناعم الهادىء ، سبب حدو الامهات على الغناء ، بغية تنويم اطفالهن .

قد يظن هنا ان الطفل ، عبر هذه المرحلة البادئة ، هو في قبضة حتمية الغريزة . الواقع ان الحيوان وحده يتصرف تصرفا غريزيا تاما ، رغم الشبه الكائن بينه وبين الطفل ، في اول الامر . اما طفلنا فهو قابل للتعليم فور ولادته . اذ القوة التي يحملها بين جنبيه ، منذ بدايته ، هي غير قوة الحيوان . قوة هذا الاخير ملتصقة بالفعل . وقد تقع مع الفعل في آن واحد . لهذا حرم زمانا على غرار الزمان الآدمي . اما قوة الطفل فهي بعيدة عن الفعل. تنتقل الى الفعل عبر الزمان ، بل هي الزمان عينه في انتقالها فعلا حاضرا . ومن هنا كونها طيعة ، اي قابلة للتعلم . اجل . . . ان الام قادرة على ان تنيخ طفلها ، في الاسبوعين الاولين ، لنظام تغذية معين . الرضاعة مثلا كل ثلاث ساعات . وهكذا يعتاد الطفل هذه الطريقة الخاصة ، حتى اذا طرا بعض الخلل ، اضطرب واحتج زاعقا . وقد يناخ سواه للرضاعة كل اربع ساعات ، حتى اذا طرا بعض الخلل، اضطرب واحتج زاعقا . ان ظاهرة التعلم تبين ، اذن ، منذ البداية . وهي دليل على ان الطفل كتاب مفتوح ، باديء بدء ، الى الكثير من الوحدات الصوتية ، والبصرية ، والسمعية . يتكيف سلوكه وفقا للحوادث التي تتوالى عليه ، كل يوم ، وترتبط في النهاية ارتباطا وثيقا بتصرف الوالدين . ومن هنا القول بان مزاج الطفل يتاثر ، الى حد بعيد، بشخصية ابيه وامه . فقد يكتسب ، منذ البداية ، نزعة الى الاصرار على الصراخ ، كي ينال ما يريده ، اذا شعر بان والديه ينزلان عند رغبته . وقد يكتسب عكس ذلك صفات اخرى ، اذا كان الوالدان دقيقين في المحافظة على تنفيذ ما يأمران به .

الى هنا والنمو لم يتجاوز عتبة قريبة . اما المهم في هذه المرحلة الاولى ، فهو المشي واللغة . ان القدرة على المشى هي اخطر الظاهرات التي تستند اليها شخصية الطفل . بالمشي يزاول استقلاله ، لاول مرة ، اذ يصبح قادرا ان يعتمد على نفسه . بالمشي يتفلت من امه ، او حاضنته ، ويطل على العالم الخارجي . ها هو ذاهب اليه، ليكتشف مجاهله . ليتصفحه ورقة ورقة . اجل . . . بالمشي يدرك عالم الاشياء ، ويحتك بعالم الاشخاص . هو بدء تعرفه على المادة ، اذ به يتناول المواجيد البرانية . وهو بدء حياته الاجتماعية ، اذ به يكتسب نوعا من التصرف حيال الاخرين . بالمشي يخترق المسافات . يقف حيال موضوعات في الخارج . يقف ازاءها وجها لوجه . يلمسها مباشرة . لقد بدا ارتباطه باشياء الطبيعة . بدا يزاول الابعاد ، طولا ، وعرضا ، وعمقا . بدا يقبض على الاشياء، باعتبار انها علاقات به ، وعلاقات فيما بينها . بدا يحتك بالاشخاص ، باعتبار انهم بعيدون او قريبون . . . باعتبار انهم علاقات .

ظاهرة اللغة لا تقل خطورة عن ظاهرة المشي . هي ايضا من اخطر الظاهرات ، التي تستند اليها شخصية الطفل . وهي تقتصر على الانسان فقط . اذ لا لغة للحيوان على غرار اللغة البشرية . ان الفرق بينهما فرق طبيعة لا فرق درجة . وقد حاول العلماء كثيرا سد تلك الثغرة ، فكانت النتيجة سلبا في كل مرة . اللغة ، على انها ارسال معنى ، هي من خصائص الانسان ، دون سائر الكائنات الحية . ويبدا الطفل بالمناغاة ، وهي لغة خاصة به ، قبل ان يلتحق بالمجتمع الذي يعيش فيه . والقدرة على اللغة فطرة يرثها من النوع البشري ، واما التكلم بهذا اللسان او ذاك ، فهو اكتساب من البيئة التي يعيش فيها . واللغة كالمشي تساعد على ربط الوليد بسواه . يشعر بالحاجة الى التعبير ، فيسال ، ثم يتلقى الجواب ، فيعلم ان هناك من يشاطره الوجود . وهي ايضا (اي اللغة) تقيم العلاقة بينه وبين غيره . اكثر من ذلك ان اللغة ذاتها علاقة .

لا نغالي اذا قلنا بان العقل يبدا بالمشي واللغة . اجل هو باديء بالقوة ، منذ الولادة ، بل قبل الولادة ايضا ، لان الطفل انسان . والانسان عاقل بالاساس . ولكن العقل يأخذ بالتبرعم الصريح ، بعد ان تحصل ظاهرتا المشي واللغة . ولا نعني بالعقل هنا ، ذلك الوعي المحاسب الذي يتحلى به الراشد ، والذي يكون قد نضج النضوج الكافي. وانما هو تصرف تلقائي يرجع به الانسان الخاص الى العام . . . اي الى روابط ثابتة ، وعلاقات متينة . هذا الادراك للامور ، على ضوء علاقة بعضها ببعض ، هو ما يسمى بالعقل . وهو غير كائن عند الحيوان ، الذي يلتصق بالشيء ذاته رمة ، ولا يزاوله الا كوحدة ، لا علاقة له بغيره من الاشياء المجاورة . اما الانسان فهو يمارس علاقات ، اكثر مما يمارس اشياء . اذ لا تحديد للشيء ، في حد ذاته ، الا على ضوء سواه . لا تعريف له الابالنسبة الى الاشياء الاخرى ، التي تتفق معه او لا تتفق . ويعود هذا الى ان الاشياء لا تتكسر . لا تنفصل . هي علاقات فيما بينها . والعقل البشري هو تلك القوة الملقطة ، في الانسان ، التي تدرك العلاقات . وما العلاقات الا نواميس. فيوم يبدا الطفل بالمشي ، تظهر العلاقة على مسرح الوجود. ويوم يبدا باللغة يبين التجريد . العلاقة والتجريد اساسا العقل البشري .

نصل الى السلوك الاجتماعي عند الطفل . هذا السلوك يتركز حول الذات في المرحلة الاولى . يحافظ الطفل ، باديء بدء ، على ذاته فقط . يستاثر بكل شيء في سبيل ذاته . يقبض على كل شيء . ويجلب نحوه كل شيء . لا يريد اللعب الا لذاته ، وان كان يحب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللعب مع الاخرين . فهو يحتكر كل ادوات اللعب ، ويرفض الاشتراك مع الغير ، بصورة فعلية . هذا النشاط الجاذب امر طبيعي ، في اول النمو ، نتيجة شغف الطفل للاحتكاك بالاشياء . انه نهم للاحاطة بكل شيء . كل شيء هو جديد بالنسبة اليه . والجديد جذاب . أضف الى ذلك ان الالفاظ لا تعني له شيئا بعد . انه عاجز عن التمييز بين انا وانت . . بين ضميري المتكلم والمخاطب . هذا التمييز هو الذي يكون حياة اجتماعية ، اذ يعينه على الفصل بينه وبين الناس ، فعلى وعي الروابط والعلاقات . الحياة الاجتماعية حياة روابط وعلاقات . ولهذا كانت اللغة شرطا من شروط انخراطه في المجتمع . وكان الانخراط في المجتمع شرطا من شروط اللغة .

نستطيع القول ، بعد هذا ، ان مقدار التعلم في الطفولة المبكرة ، ضخم جدا . هذه المرحلة الاولى جد خطيرة ، لان البذور الاساسية توضع فيها ، وتكون فاتحة مستقبل الرجل . هذا هو معنى قولهم الطفل والد الانسان . اجل . . . كثيرا ما توضع مداميك شخصية الانسان وبصورة نهائية ، في هذه المرحلة البادئة . ومن هنا الاعتناء ، الذي يجب ان يبذله الوالدان ، بغية وضع الطفل على الصراط القويم . ان الذي يهمل البداية يخرب النهاية . ولذا قيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر . ان الانسان ، في الطفولة المبكرة ، طواعية سمحاء . يأخذ السلوك الذي يفرض عليه . ومتى اتخذ مسلكا من المسالك يصعب من ثم الغاؤه . ان للتوجيه اثرا بعيدا في تكوين شخصية الطفل . هذا هو سبب خطورة التربية ، وضخامة المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين . ومن هنا قول ابن سينا ما يأتي : اذا فطم الصبي عن الرضاع بدىء بتأديبه ، وبرياضة اخلاقه ، قبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة ، وتفاجئه الشيم الذميمة . فان الصبي تتبادر اليه مساوىء الاخلاق ، وتتنال عليه الضرائب الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه ، فلم يستطع له مفارقة ، ولا عنه نزوعا ، فينبغي لغنم الصبي ان يجنبه مقابح الاخلاق ، وينكب عنه معايب العادات بالترهيب والترغيب والايناس والايحاش ، وبالاعراض والاقبال ، وبالحمد مرة وبالتوبيخ اخرى ما كان كافيا (١)

ومع كل ذلك فالانسان لا يتذكر ، في آخريات حياته تلك المرحلة اللاواعية التي هي اساس التعليم الواعي . قليلون جدا هم الذين يتذكرون بعض حوادث ما قبل السنتين الاوليين . في الثالثة من العمر يكون الوليد قد سار شوطا بعيدا ، في مدى الحياة ، واستشرف آفاقا كثيرة . يكون قد ملك قدرا كبيرا من مفاتيح اللغة . من معمياتها . من بضع مئات الالفاظ ، التي تساعده على المشافهة مع غيره ، وعلى تكوين ثروة عقلية في مبتدى وجوده . اضف الى ذلك ما يكون قد حصله من المهارات البادئة ، والانفعالات ، والميول والاذواق ، والاهواء . رغم كل هذا يعفي النسيان على تلك المجموعة الضخمة من الاختبارات ولكنها تبقى راسخة في اللاوعي . ولقد اصبحت هذه المنطقة المبكرة ، اللاواعية ، مدار علم تحليل النفس الحديث . ان انحرافات وجدانية كثيرة تعود جذورها الى ما قبل السنة الثالثة . هذه المرحلة الاولى لينة جدا ، وطيعة ، تتقولب وفق ارادة المربي . ولذا كان من الخطر اهمال الطفل ، على اعتبار انه غير قابل للتربية .

(١) ابن سينا : السياسة . (مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب) المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١١

في سني الحضانة

تتراوح هذه المرحلة بين الثالثة والخامسة . هنا يدخل طفلنا في تناسق مع دنيا الاشياء ودنيا الاشخاص . ها هو في بداية الثالثة . يجهل المحيط الخارجي كل الجهل . ولكنه توق شديد الى معرفته . لهذا نراه عظيم الشوق للاحتكاك به . انها دعوة المعرفة ، فيه ، التي تحدوه على مد يده نحو الموضوعات الخارجية . ان العقل في بدء تبرعمه . هذا التبرعم انطلاق . من هنا ازدياد العلاقة بينه وبين الطبيعة .

لقد انفتحت شبابيك الحواس ، واخذ العالم الشيئي يتسلل الى باطن النفس . والنفس تواقة الى التلقي . انها محض قوة لاقطة في اندفاقها الى الخارج عبر الحواس . أهم تلك الحواس العين ، والاذن ، واللمس . واعظمها ، في الطفولة المبكرة ، اللمس . اللمس اشد الحواس حماوة . ان داخل الوليد فارغ ، بعد ، الا من القوة الرابخة . هذا الفراغ كالصمغ يكمش كل ما يمر امامه . يندفع نحو الخارج بشوق . ويجذب نحو الداخل بنهم . وهو يتميز بالحركة العضلية ، عن طريق اليدين والساقين . ولذا يجب ان نفسح المجال للوليد ، في هذه المرحلة ، كي يمارس الاشياء بحرية تامة دون ما اعتراض . ذلك لانه مدفوع نحو لمس الموضوعات الكائنة في العالم الخارجي . ان عقله في حركة يديه ورجليه . ان ذكاءه يستمر في اطراف اصابعه .

بان الشق في ذات الوليد . لقد انفلق الى ذات وموضوع . موضوعه ، الان ، الطبيعة . فبقدر ما تنمو الذات ، تندفع جبرا الى الموضوع في الخارج . سيماوانها بكر بعد . ها هو الخيال الطاولة . ازاء لعبة صغيرة . ابمقدوره ان لا يمد يده ليقبض عليها ، ويجلبها نحوه ، ويمعن النظر فيها ؟ كلا . ان شخصيته كلها في هذه الحركة . ولذا يشعر بالغبطة المتناهية عندما يقبض على الاشياء . انه يفرح فرحا كبيرا . انه يكتشف . من هنا اضطرابه الذهني ، وانفعاله النفسي ، امام بعض المواجيد . ان الوالدين الذين يجهلون ما للحركة العضلية من خطورة ، في هذه المرحلة ، يقفون عادة حجر عثرة حيال اطفالهم . ولا شك انها مرحلة مزعجة للراشدين ، ولكنها جد ضرورية للطفل الذي يريد ان ينطلق في شاسعات الكون . اذ لا سبيل الى اكتشاف الكون الا بالحركة اولا . لا سبيل الى انماء العقل الا باعطاء الحرية للحواس ، اولا ، كي تزاول وظائفها وفق ابعادها الطبيعية . هكذا يبدأ العقل .

وقد دلت الابحاث النفسية ان الطفل يشعر بلذة فائقة عندما تنفلش حواسه بارتياح . فهو شغوف بلمس الاشياء . بتذوقها . بشمها . بالنظر اليها . بكسرها وتخريبها . شغوف بالجري ، والعدو . شغوف بالركض ، والتسلق ، والقفز . ان العقل لم يتمركز بصورة نهائية ، في اعالي الراس . ما زال منبسطا في الحواس . ولا سيما اليدين ، والرجلين ، والعين . فرغبة الطفل في القبض على الاشياء تعبر عن تفتح عقلي . العقل لا يجرد بعد . ولكنه يختلج في كل عضو من اعضاء الجسم . ومن المستحسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان لا تكون الاشياء ، التي يزاولها ، متجانسة كل التجانس فيما بينها . ذلك لان العقل ينهد الى وعي الصفات المختلفة اكثر مما ينهد الى وعي الصفات المشتركة . ولهذا كان من الواجب ان نضع امامه اشياء متنوعة الطول ، والعرض ، واللون ، والحجم ، والشكل ، لكي يعمل ذهنه في ادراكها . اما الاعمال التي تتطلب دقة في المزاولة اليدوية ـ اي المهارات النحيفة ـ فانها لاتشبع رغبته كبير اشباع. هذه المهارات تستلزم بعض الحضارة العقلية . بعض الصقل في الاصبع والعين . بعض الشفافة الادراكية . على حين ان الطفل لا يبتغي الا مزاولة الحركة العضلية ، رمة ، لتفجير قواه الكامنة . ومن هنا ضرورة وضعه في الهواء الطلق .

نلاحظ ايضا ان اكتشاف الوليد للعالم الخارجي لا يحصل فقط عن طريق الحركة العضلية . لا شك في ان الحواس تلعب دورا خطيرا ، خلال هذه المرحلة . الا انها ليست الركيزة الوحيدة التي يقوم عليها العقل . العقل يبدا بلمس الشيء ، عن طريق اليد ، في سبيل تجريده . ولا تجريد الا بالالفاظ ، اي باللغة . نشاط اللغة يواكب نشاط الحواس ، ويسانده في نموه الصاعد . عندما يمد الطفل يده ، ليقبض على شيء ، يميل في الوقت نفسه الى التلفظ باسمه . باللمس يتميز الشيء في المكان . يتميز عن سواه ، ويكتسب اطاره الخاص . وبالكلمة يترسخ في الذهن ، فيبين اطاره اوضح مما كان . بالكلمة ينتقل من الخارج الى الداخل، ليصبح مفهوما من مفاهيم العقل المجرد

تبدا اللغة اصواتا بسيطة . ومن ثم تتدرج في النوع باضافة حروف ساكنة . واخيرا تنتهي الى الاصوات المقطعية . عبر الثالثة فما بعد ، ينطق الوليد كلمات ، يتلقاها من الاخرين . فهو يلمس الطاولة ، مثلا ، او يراها ، وفي الوقت ذاته يلفظ اسمها عاليا . وقد دلت البحوث التجريبية ان اللغة تنمو من الحروف المتحركة ، الى السواكن ، فالمقاطع ، ثم الكلمات ، والكلمات المشيرة الى جمل ، واخيرا الجمل ، ثم الجمل الاخبارية فالاستفهامية . ونحن نلاحظ في هذا السلم المتعالي ، ان التطور يذهب من الحس الى العقل . من الحرف الذي هو مجرد صوت ، الى الجملة التي هي مجرد روابط كلمات بعضها ببعض . فبقدر ما تنتقل الاشياء عن طريق الحواس الى عالم النفس ،تتحول مفاهيم ذهنية هي في نهاية الامر كلمات مجردة .

وثمة نظريتان في شرح نمو اللغة . احداهما تقول بان الاصوات تبدا بالبسيط وتنتهي بالمركب . وهي تفرض على الطفل بالوراثة . والثانية تبنى على بحوث ايجابية ، هي اقرب الى العلم منها الى الخيال . تقول هذه النظرية ان الطفل يحمل بالقوة فيه ، باذىء بدء ، اصواتا لا يمكن عدها. كل الاصوات . فهو قادر على ان يلفظ جميع الاصوات، مهما كان نوعها ، نظرا لطواعية حنجرته . ان حباله الصوتية لينة . ثم يأخذ الطفل من لغة محيطه ما يعطي جهازه الصوتي قالبا خاصا ، ويهمل ما عداه من القوالب الاخرى . وهذا يعني ان الوليد لا يتكلم جبرا لغة والديه ، عن طريق الوراثة ، بل عن طريق البيئة . البيئة هي التي تفرض اللسان على الوليد . ايا كان والداه فهو يتلقن اللسان الذي يتكلم به محيطه . قد يكون الوالدان افرنسيين ، وابنهما عربي اللسان ، اذا سلم الى حاضنة عربية ،وعاش في جو عربي . اجل ... ان الطفل مهيأ بالقوة لان يتعلم اية لغة يسمعها من الذين يحيطون به .

من الخطأ القول ، اذن ، بان الوليد لا يعرف هنا الحياة العقلية . لقد بدا العقل يتكون صراحة بالمشي واللغة، ولكن على نطاق ضيق للغاية . هو منضغط في ثلاثة قموع: الاحساس ، الحركة ، اللغة . هذا العقل ما زال فوق الارض . يسرح ويمرح بين الجزئيات ، لان محصوله اللغوي لم يعزز بعد ، ليرتفع نحو الكليات . هو ينصب في المشاعر والتخيلات ،ويلتذ كلما قام بفعل واحد نحو شيء واحد . انه رخص العود ، كي يعبر الهوة الواسعة القائمة بينه وبين عالم الكليات المطلقة . انه عاجز عن التجريد الصحيح . ولكن هذا لا يعني انه قابع مكانه. لقد انتقل من سني المهد. خطا الخطوة الاولى في النمو . ها هو يمشي ، ويركض ، ويلمس بارتياح الموضوعات الخارجية ، ويدير لسانه على تعريفها بالفاظ متقطعة ، وجمل مركبة . وهي خطوة جد خطيرة في تكوين وظائفه العقلية العليا . ان شبابيك نفسه لم تعد مغلقة .

اما حياته الانفعالية فرجراجة كالزئبق . ينتقل الطفل بسرعة من عاطفة خاصة الى عاطفة مضادة . من الحزن الى الفرح . من البكاء الى الضحك . من الخوف الى الاستكانة . هذا الانتقال المفاجيء رمز الى ان الحيوية الانفعالية قوية جدا . ولكنها حيوية قصيرة الموجات . قصيرة المدى في كل حالة . وهو الدليل الساطع الى انها لم تتخمر كفاية بالعقل ذي النفس الطويل . العقل لا يعرف الترجرج . لا يعرف الانتقال السريع بين الاضداد . ديدنه الاستقرار والثبات ، وعدم التحيز . ولذا نرى حدة الانفعال تزول شيئا فشيئا ، كلما تكاملت الانسجة النفسية عند الطفل ، واشتدت اضلاعه ، وسددت فنارات العقل الى مسالكه ، واصبح قادرا على ان يربط الاجزاء فيما بينها

اقصدوا :

البروفسور توفيق سكر

خريج الكونسرفاتوار الوطني بباريس والفائز بجائزته

دروس في السولفيج والارموني والتاليف والموسيقى وغيرها مما يمكنك من التضلع في فن الموسيقى

العنوان : بيروت ـ شارع مدرسة الحقوق رقم ٤
تلفون ٢٠٠٨٨

Prof. Toufic Succar

Lauréat du Conservatoire de Paris

Leçons de Solfège, Harmonie, Composition, etc.

Adresse : 4 Rue Ecole de Droit Beyrouth
Téléph. 20088

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برباطات ثابتة . الاشياء والاشخاص تتحول بسرعة . اما الروابط فيما بين الاشياء ، والاشخاص ، فهي متينة . والعقل لا يدرك اشياء في حد ذاتها ، واشخاصا في حد ذواتهم ، بمقدار ما يدرك علاقات فيما بين الاشياء والاشخاص . العقل يدرك نسبا . ومن خصائص النسب ان لا تتغير بسرعة .

يبقى ان هذا التطور من الخاص الى العام ، الذي يقوي مفاصل الانفعال ، لا يقضي مطلقا على العاطفة . ومن الواجب ان لا يقضي . اذ الانسان لا يدور على مدماك العقل وحده . هناك مدماك القلب ، الذي يلعب دورا خطيرا في تكوين اللطيفة البشرية الواعية . ولذا يجب ان تغذى الوحدات الانفعالية . ولا شك في ان اول عاطفة تتكون ، عند الطفل ، هي تلك التي تتركز حول الام ، او حول من يقوم مقامها من الراشدين المعتنين به . وقد رأينا ، فوق هذا الكلام ، شدة العلاقة الرحمية التي تربط الابن بالام . تلك العلاقة هي ذاتها الحنان . ولعل هذا الامر هو الذي يحدو على القول بوجوب معالجة الامهات انفسهن تربية اطفالهن . وذلك لسببين هامين . اولا ، ان وجود الام دائما بجانب طفلها يعينه كثيرا على تكوين وحدة انفعالية مستمرة ثابتة ، صافية ، هو بامس الحاجة اليها في بداية حياته . هذه الوحدة الانفعالية المستمرة توفر عليه عددا كبيرا من الحالات السالبة كالقلق ، والخوف ، وما الى ذلك من الاضطرابات النفسية المخربة . ثانيا ، الطفل بحاجة الى الحنان . الى حماوة العاطفة الصادقة .. وهذا يصعب ايجاده عن غير طريق العلاقة الرحمية . عاطفة الام ركيزة بادئة ، في حياة الانسان ، واجبة الوجود . عليها ترتفع فيما بعد اعمدة العقل الضخمة . فاذا فقدت تلك العاطفة ، التي لا بد منها ، دب الخلل حتما في الاساس ، وبان الانحراف يوما بعد يوم ، كلما تكاملت خبرات الانسان . لا شيء يقوم مقام عاطفة الام . لا شيء يعطي حرارة ذراعيها ، وجمره صدرها . فاذا توافرت تلك العاطفة ، استقرت الوحدات الانفعالية ، ونمت الشخصية بصورة معتدلة .

اما شعوره الاجتماعي فهو يتراوح بين الاستقلال وعدم الاستقلال . مستقل بالنسبة الى سني المهد ، ولا سيما الاولى . لقد اكتسب وجودا خاصا به ، فاصبح له عادات ومسالك تعود اليه . صار قادرا على الاصغاء والتعبير عن ارائه . قادرا على خلع ثيابه ، وارتدائها ، دون الالتجاء الى والدته . ها هو يأكل وحده ، ويمشط شعره وحده ، ويرتب غرفته وحده ، ويروح ويجيء وحده . انه زعيم دنياه ، وان كانت صغيرة . ولكن هذا لا يعني ان شعوره بالاستقلال هو شعور تام . ما زال سريع العطب . سريع الاندحار . لذا يعي ، اكثر من كل وقت اخر ، انه بحاجة الى عضد الوالدين . هو لا يستطيع ان يقدم على فعل ذي خطورة ، الا بمعونة والديه . الدليل الى ذلك ؟ خوفه من الظلام ، وارتعابه من كائنات خيالية لا وجود لها ، كالغول والتنين وما شاكل .

من هنا تاليه الولد والديه ، في المرحلة الواقعة بين الثالثة والخامسة . هو يشعر ، بصورة لاواعية ، انه بحاجة اليهما . بحاجة الى راشد يعضده بحاجة الى مرجع يكون ثقته . ولهذا نراه يندفع بالسليقة الى تصديق كل ما يفوه به الوالد ، او تفوه به الوالدة . ما يعلنه الوالدان منزل من السماء . من الصعب ان نجد ، خلال هذه المرحلة ، وليدا يشك في اقوال والده او والدته . هما معصومان من الخطأ . اكثر من ذلك . انهما تلك السلطة المعصومة . من الواجب ، اذن ، ان تنطبع معاملة الراشدين للاولاد بطابع الجد ، والثبات ، والرصانة ، والاستقرار . الرخاوة في سلوك الوالدين يعطيان مثلا عاطلا . وكثيرا ما يصبح الوليد ضعيف الثقة بنفسه نتيجة للمعاملة المتراخية . فمن المستحسن ان يحزم الوالد والوالدة متى اصدرا امرا . ان ثبات الاباء يخلق ارادة قوية عند الابناء .

نصل الى روابطه بالاولاد ، الذين هم مثله . هذه الروابط اجتماعية صحيحة . لقد تحرر من النزعة الفردية في اللعب . هو لا يلعب وحده . لا يستأثر بادواته . ومن هنا التوصية ان لا يبقى الوليد وحيدا . ذلك لانه يميل بالفطرة الى ان يلعب مع رفاق له . والا اضطر في جو بيته ان ينضج قبل اوانه ، فيترصن ، ويهدأ ، ويستكن ، في غير وقته . اذن يجب وضعه في محيط من رفاق له . انه ينهد الى الاجتماع بهم . يشعر بالتعاطف مع الغير . بمشاركة الغير في لعبه . ولكن هذه النزعة الاجتماعية تتميز بطابع خاص ، وهو حب السيطرة على الاخرين . هو قائد وزعيم . يحب اللعب مع الغير في سبيل ارضاء نزعة له . هو يقود ويتزعم . يقود الاخرين ، ويتزعم حركتهم . ولا شك في انه صادق . صادق في الدور الذي يلعبه ، لان عقله لم ينشط بعد كفاية حتى يفصل الحقيقة عن الخيال . ليس اهون على الوليد ، في هذه المرحلة ، من ان ينقاد خلف الواهمة . ذلك عمر الحكايات . أيجوز لنا ان نقتل فيه روح القيادة والزعامة ؟ وروح الاندفاع نحو الخيال ؟ كلا . ان التزعم يقوي فيه الثة بالنفس ، والسيطرة في المستقبل على مجاريات الايام . بهذه الروح يتسلطن على الحوادث ، ويعمل دائما على ان يكون الفائز والقائد . اما روح الاندفاع نحو الخيال فهو جد ضروري ، شرط ان لا يتطرف به ، لانه يغذي فيه ملكة الاكتشاف ، والغياصة على الاشياء الجديدة . الاختراع هو دائما وليد الخيال . ولا يستطيع المرء ، في هذه الحياة ، ان يعيش وجوده بدون خيال .

من الواجب ان يستغل المربي هذه النواحي الايجابية عند الطفل . فهي تساعده على فهم حقيقة المجتمع في اسمى معانيه . وقد توصل الكثيرون من المربين المحدثين الى كشف الغطاء عن الفوائد الناتجة عن مثل الشعور بالزعامة . فعلى المدرسة ان تيسر جوها بصورة معتدلة ، لتنمي عند الطفل القدرة على ربط علاقات اجتماعية مع غيره من الاطفال . لا زعامة الا في مجتمع ، اذ لا زعامة حيث لا مجتمع . والزعامة ، بمفهومها الواسع ، من اقوى الادلة على ان الوليد اصبح يميل الى الاستقلال . وغاية التربية الصحيحة تغذية هذا الميل ، اي تدريب الانسان على الحرية . وليس ادل على الحياة الاجتماعية من ظاهرة التزعم . ذلك لانها تتناول ، في حياة الوليد ، ظاهرة من اهم ظاهرات التربية ، وهي اللعب .

لا يحدث اللعب الا في جو من التزعم . واللعب ، كما سنراه فيما بعد ، من اهم الفصول في كتاب التربية . هو من لزوميات انماء شخصية الانسان . ان اكثر انواع اللعب يحتاج الى الزعامة . المباراة في كرة القدم مثلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رئيس الفرقة هو دائما زعيم . بدونه لا يجري اللعب بنظام ، وانسجام ، وتسديد قوي نحو غاية واحدة ، هي الفوز . مثل مجتمع الاطفال كمثل مجتمع اكبار الراشدين . لا يتطور الا بالزعامة . فمن واجبات المدرس الحكيم ، القدير ان يتلمس مواضع الزعامة ، عند تلاميذه ، حتى اذا رأى لدى احدهم تلك الموهبة ، عمل على صقلها ، وابرزها ، وانحجب هو لكي تأخذ زعامة الوليد مجراها الطبيعي .

ومن الخطأ ، عبر هذه المرحلة ، ان يفرط الاستاذ في التوبيخ . الوليد عزيز الجانب كثيرا ، كريم الخصال ، لا يريد ان تكون زعامته مكسورة الانف . ولهذا رؤي ان المعاملة المهذبة افضل من المعاملة الخشنة . الامر الصارم ، والنهي التعسفي ، لا يوصلان الى نتائج تربوية مرضية . من المستحسن ، اذن ، ان يعتمد على المديح والتشجيع في تربية الطفل ، اكثر مما يعتمد على الذم والتقريع . التانيب المفرط يميت الحماسة . يقتل الحيوية . يشل الزخم . في حين ان الاطراء هو من غرائز الطفل واستعداداته الفطرية . يقول ابن خلدون : لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط . . . وقال: اما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للبأس بالكلية ، لان وقوع العقاب به ، ولم يدافع عن نفسه ، يكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك . واما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلك بعض الشيء ، لمرباه على المخافة والانقياد ، فلا يكون مدلا بباسه . ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد بأسا ممن تأخذه الاحكام . ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم، في الصنائع والعلوم والديانات ، ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ، ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه (١)

في سني الرياض

تتراوح هذه المرحلة بين الخامسة والسابعة . وهي بداية حياة الوليد الاجتماعية . بداية انخراطه في محيط اوسع من بركار جسده . اوسع من دائرة عائلته . الحواس تتطاول هنا بصراحة نحو الخارج . كل ما فيه ينهد الى هناك . لقد نضج كفاية ، واصبح بامكانه الاستغناء عن المعونات المباشرة . ها هو وحده تحت سقف غير بيته . لم يعد يدور في دنيا امه . لم يعد صغيرا بحاجة الى من يداديه . لم يعد البيت عالمه الاكبر . صار قادرا على الخروج بعيدا ، والاشتراك في مجتمع آخر ، هو اوسع مدى ، وارحب آفاقا ، واغنى لونا ، وشكلا ، ونوعا . هذا المجتمع الاول ، بعد البيت ، هو حجرة صغيرة للدراسة البدائية . هو اللعب مع الاخرين تحت مراقبة حاضنات مدربات . لقد خرج من دنيا البيت الى دنيا المدرسة . من دنيا العائلة الى دنيا المجتمع . هنا ينفلش نموه بصورة افعل في نواحيه الثلاث : الجسمية ، والنفسية ، والاجتماعية . اصبح يدرك ما هو فحوى الموقف ، اي فحوى ان يقف الانسان حيال ذاته ، او حيال غيره . اصبح يدرك ما هو معنى الازائية ، اي ما هو معنى ان يكون الانسان ازاء ذاته، او ازاء غيره . ان العالم ، الذي بدأ يعيش فيه ، يتيح له الان ان يسأل ويتساءل . يتيح له ان يواجه سواه ، لا كما كان يواجه امه المدللة . انه في دنيا العلاقة . وما العلاقة الا الاساس ، الذي يرتكز عليه الواجب .

نبدأ بجسمه . لقد قويت حركته العضلية ، بصورة عامة ، ولا سيما حاسة المس . ان هاتين الحاستين ، العضلية واللمسية ، تبلغان في قوتهما عند الوليد ضعف ما تبلغه الحواس الباقية عند الانسان الراشد . ولا عجب. فالنمو الحاسي ، في غير اللمس والحركة العضلية ، يتطلب الكثير من التجريد. من الدقة. من التدريب. من الجدارة . وهذا لا يحصل الا في وقت متأخر من العمر . ان حاستي السمع ، والبصر ، من النشاطات الجمالية ــ اعني الفنية ــ التي تستلزم بعض الصقل في مزاولتها . اما اللمس فمدى زخمه قصير جدا . ولهذا ينمو بسرعة اكثر من غيره . وهو يصل قبل غيره من الحواس الى نهاية شوطه من النمو. وهكذا قل عن الحركة العضلية ، التي تبدأ بالتفجر قبل سواها ، وتدرك مداها الاخير قبل سواها . وعلى الرغم من ذلك يجب الا نبالغ في نمو حاسة اللمس ، والنشاط العضلي ، في هذه المرحلة . ان كل حركة تتطلب دقة في المزاولة واجادة في الممارسة . تلك اللباقة في الحركة ما زالت ضعيفة بعد عند الوليد . هو عاجز مثلا عن تحريك اصابعه باتزان على اوتار عود ، بحيث يخرج النغم المتوخى صحيحا . هو عاجز عن المسك بالقلم جيدا ، ومعالجته باتقان ، وخفة ، ولفة ، بحيث يخرج الخط آية في الابداع. هذه الحركات مهارات فائقة . ونشاطه الحركي يقف عند حد اعطاء القوة العنيفة ، التي لا تحتاج الى الدقة ، والاجادة ومن هنا القول بضرورة توجيه الحركة العضلية ، والحاسة اللمسية ، الى التحكم فقط بالحركات الكبيرة ، اعني بالتي لا تستلزم براعة فنية .

قلنا فوق هذا الكلام بان الوليد يكون قد نضج كفاية، ههنا ، ليدرك ان الاشياء مرتبطة فيما بينها بعلاقات صارمة لقد بدأ يتحسس العلاقة الكائنة بين الموضوعات الخارجية . بدأ يعلم ان الطاولة ليست موجودة بمعزل عن الشباك. وان السقف ليس موجودا بمعزل عن الحائط . قد يصف طفل الثالثة ما في الصورة من اشياء . فاذا عمر الى السادسة ، اصبح قادرا على وصف ما فيها مستعينا بالاسماء والافعال. انه يدرك ما هو حادث فيها . والحدث دائما علاقة من العلاقات . وهو دليل وعي دينامي عند الوليد ، يوم يتوصل الى وصفه بالتسمية . واذا عمر الى السابعة استطاع ان يدرك العلاقات الفضائية الكائنة في الصورة . استطاع ان يحيز . ويمكن. ماذا يعني هذا التطور من ادراك الشيء ، في حد ذاته ، الى ادراكه مرتبطا بغيره . . . الى ادراكه علاقة بينه وبين سواه ؟ هذا التطور معناه ذهاب النفس العاقلة من الموضوع الفردالى الناموس الكلي. معناه ارتفاع من الجزئيات الى الكليات . من الوجود الى الجوهر. لقد بدأ يدرك العالم الخارجي كوحدة متماسكة الحلقات . وبذلك يخطو خطوة حاسمة نحو البحث عن العلة . ها هو فعل السببية في الظهور . لكن هذا النمو لا يتجاوز الحدود القريبة . لم يضرب بعد في الاعماق .

ينبغي الا ننسى ان عملية اللغة تحتل هنا مكانا هاما

[التتمة في صفحة ٦٩]

كمال يوسف الحاج

(١) المقدمة الباب الثاني الفصل السادس

قضايا ادبية معاصرة

بقلم وديع فلسطين

اثيرت في الاوان الاخير قضايا ادبية شتى ، انقسم فيها الكتاب الى شيع واحزاب، وانتقلت حلبات النقاش من صفحات الصحف الى ندوات الادب الى موجات الاثير الى معاهد العلم العليا الى المنابر العامة . ففريق يتحزب للعامية، وفريق يتشيع للفصحى ، وفريق يدعو الى الشعر الحر ، وفريق يلتزم الشعر الموزون المقفى ، وفئة تدعو الى ترجمة المصطلحات العلمية ، وفئة اخرى تقول باستخدام الالفاظ اللاتينية الشائعة ، وقوم يقولون بتيسير قواعد اللغة العربية ، وقوم ينادون بالتعسير والتزمت ، ومذهب يرى ان تكتب اللغة كما تنطق فتضاف الى الكلمات الحروف التي حذفت منها اقتضابا ، ومذهب يرى ان لا تمس الكتابة بسوء فتبقى على ما توارثناه عن السلف المتقدم ، ودعاة يقولون بنبذ الحرف العربي واستخدام الحرف اللاتيني بعد تطويعه لمقتضيات القراءة العربية الصحيحة ، ودعاة اخرون ينادون بالحفاظ على الحرف العربي فهو من المقومات الاصيلة للغة الضاد ، وفرقة تقول ان الادب يجب ان يكون ملتزما فيعالج قضايا الجماعة ، وفرقة تعتقد ان الادب يجب ان يكون طليقا من كل التزام يوجهه الكاتب حسبما يتفق مع هواه دون تقيد باداء رسالة معينة تفرض عليه ، وادباء يشيدون بشعر الهجر ويرفعونه الى اعلى درجات الشاعرية وادباء آخرون ينكرون على هذا الشعر كل شيء ويرمونه بالمروق .

كل هذه قضايا تستأهل المناقشة من جانب حملة الاقلام رجاء ادراك قدر من الاتفاق في صددها . فلنعرض هذه المعارك الادبية مبدين فيها الراي .

معركة العامية والفصحى

واولى هذه المعارك هي المعركة الناشبة اليوم بين دعاة العامية ودعاة الفصحى ، وقد ظهر اخيرا عنصر جديد فيها دان بسياسة التوسط في الامر ، وهو عنصر جديد يتزعمه محمود تيمور ويطلق على دعواه اسم « العامية الفصحى » اي العامية التي تتقبلها الفصحى وترحب بها ولا تنفر منها او تزهد فيها .

والذي لا ريب فيه انه ليس ثمة ما يسمى « اللغة العامية » ، فالعامية ليست لغة ، بل هي لهجات جرت على الالسنة مجرى غير مرهون بقاعدة او بمنهاج ، فجاءت عفو الخاطر والبديهة واكتسبت مع الوقع كيانا هو كيان من « العنعنة » لا من الادب المسطور المكتوب . فالقول بان هناك « لغة » عامية تصاول اللغة الفصحى وتطاولها قول فيه كثير من التجوز ، لان اللغة الوحيدة التي نعرفها هي اللغة التقليدية النظامية الفصحى ، وما عداها لغو منسوب الى العامية لا يقومه صرف ولا يخضعه لسطوته نحو ، ولا يعتد به في بحث او يستشهد به في مقام استشهاد .

والعامية لهجات لا ضابط لها ولا صلة بينها ، وهي بغير ماض ادبي عريق او غير عريق . والتفاهم بالعامية بين اقطار العروبة متعذر ، فاللهجة المغربية تختلف عن اللهجة الصعيدية المصرية ، واللهجة الصعيدية تختلف عن اللهجة المتداولة في دلتا النيل ، وهذه وتلك تختلفان عن اللهجة السورية ، وهذه بدورها بعيدة كل البعد عن اللهجة العراقية . وكل هذه غير ذات صلة باللهجات الشائعة في جزيرة العرب . فكيف يمكن ان تنشأ رابطة قومية بين شعوب هذه رطاناتها ، اللهم الا ان تجمعها اللغة العربية الفصحى بماضيها المجيد وحاضرها التليد وغدها المرجو .

وهنا يعرض لنا استفهام : فهل عز على اللغة الفصحى ان تعبر عن رأي او عن قصد مما يقال ان العامية تحسن التعبير عنه ؟ والجواب على هذا الاستفهام لا يمكن الا ان يجيء مقررا قدرة الفصحى على التعبير عن خلجات النفس جميعا ومقاصد الانسانية كلها تعبيرا صادقا يزيد في بلاغته على ما تتسع له العامية من الفاظ ذات سقم . فليس في الفصحى قصور عن الوفاء بحاجة الحوار ، وانما القصور قصور اولئك الذين لا يريدون ان ينهلوا من المنبع العذب ، مؤثرين عليه الماء الآسن الراكد في جدول دان .

فالدعوة العامية دعوة الى امتهان اللغة العربية وامتهان التفكير العربي عموما ، وهي ردة في التفكير لا تصدر الا عن قوم عاجزين ، كالمرضى اذ يألفون صحبة الداء فلا يعودون يطلبون منه برءا ، او كالارقاء اذ يألفون حياة الاستعباد فينفرون من الحرية ويجزعون منها وينقمون عليها .

وكل دعوة الى العامية هي دعوة الى خراب . واذا كان اهل السياسة يعرفون مذاهب هدامة تهدد الجماعة بخطرها الوبيل ، فان اهل الادب لا يميزون في الدعوة الى العامية الا انها مذهب من هذه المذاهب الهدامة التي يتعين مكافحتها قبل ان تفشو فتفسد علينا ادبنا وتفكيرنا ومنهاجنا الثقافي السليم .

وقد جاء محمود تيمور اخيرا براي بين بين ، فقال ان في العامية كثيرا مما يرتد الى اصل عربي عريق فصيح، وقد لاكته الالسنة فحرفته او اخرجته عن معناه الدقيق . فمثل هذه الالفاظ ترحب بها الفصحى كل ترحيب وتقبلها في حظيرتها دونما تحفظ او معاندة . وهذه الالفاظ ، وان تكن عامية تتداولها الالسنة في غير تحرز ، فهي فصيحة تؤديها اللغة السليمة ولا تتنكر لها . ومن ثم اطلق عليها تيمور اسم « العامية الفصحى » . وهذا الراي مقبول لا اعتراض عليه ، فسواء رددنا الى الفصحى ما صدر عنها اصلا ثم نالته ايدي التحريف والتزييف ، او ادخلنا في العامية الفاظا فصيحة تؤدي عين ماتؤديه الفاظ العوام من معان دقيقة ، فلن يكون ذلك منا الا دعوة خالصة الى الفصحى ، فهي الاصل والمنبت ، وما عداها لكنات ورطانات مطعون في سلامتها .

الشعر الحر المرسل والشعر الموزون المقفى

ومن المعارك الادبية التي احتدم اوارها معركة الشعر، فقد جاءت شيعة من الشعراء المحدثين بثورة على الوزن والقافية ، وحررت النظم من هذه القيود ، وارسلت الكلام ارسالا لا تتوخى فيه الا ان يكون ذا وقع في الاذن ، وذا جرس يتردد في الحين بعد الحين .

وحتى هؤلاء الشعراء المحدثون ، تطرف بعضهم حتى طلق جميع قواعد النظم ، بينما تحفظ البعض الاخر مقتصرا على التجديد في الاوزان وفي العروض .

ولسنا ننكر الدعوة الى التجديد ، فالحياة بجميع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرافقها ومرابعها ومراتعها ينبغي ان تتجدد كل يوم ، ولن يستطيع احد ان يوقف حركة التجديد ، سواء لجأ الى اسلوب الاقناع او عمد الى اسلوب البطش . فتيار التجديد كالنهر العاتي لا يصد ، وهو سنة من سنن الحياة لاينكرها حتى خصوم « داروين » .

ولكن التجديد ينبغي ان يتناول القالب لا الجوهر ، والا عد انحرافا عن الاصل وافتئاتا على الشعر نفسه . فالشعر ان فقد خصائصه الاصيلة لم يعد شعرا ، بل يصبح شيئا آخر للمرء ان يسميه نثرا مشعورا او شعرا منثورا او مرسلا ، ولكنه لن يكون شعرا بالمعنى الذي عرفته اللغة العربية والادب العربي .

واللغة العربية تتسع كذلك لايواء هذا اللون المتحرر من الوان الادب ، لا باعتباره نظما وشعرا ، بل باعتباره نثرا . واذا كان النقاد لا يعترفون بالمنفلوطي شاعرا في نظراته وعبراته وقصصه ، مع ان اسلوبه شاعري النزعة والاداء ، واذا كان ميخائيل نعيمة في كتابه « كرم على درب » لا يسلك في عداد الشعراء على الرغم من ان على عباراته مسحة الشاعرية الوضاءة ، فكيف يقال عن كل من يرص الكلام رصا وينثره على الورق نثرا دون تنضيد انه شاعر مفلق ؟

ومما لا جدال فيه ان الشعر الموزون المقفى ليس باعثا على الطرب كله ، ولا جيدا على اطلاقه ، ففيه ما يجمع النقاد على استحسانه ، وفيه ما يكادون يجمعون على استهجانه . والشعراء طبقات ، فيهم الفحول وفيهم الاقزام ، بل فيهم من قال شعرا موزونا مقفى دون ان يحسب في عداد الشعراء لضعف اداته وادائه او عامية تفكيره او تفاهة مادته .

فاذا كان هذا صحيحا في ما يتعلق بالشعر النضيد بوزنه وقافيته ، فانه يصح كذلك على الذين ينتمون الى المدرسة المتحررة من « الشعراء » . فبين افراد هذه المدرسة من نالوا استحسانا لتجويدهم وابداعهم ، وبينهم من لقوا استهجانا لاسفافهم وقلة عدتهم .

والخلاف على التسمية لا غير . فهذا الكلام الحر المرسل هل يسمى شعرا او يسمى شيئا آخر ؟ فان سمي شعرا انكره الادب العربي بقديمه وحديثه وعده ناكصا ناقصا ، وان سمي نثرا مشعورا ، فعندئذ تفتح له الضباد صدرها رحبا ، ولا سيما ان اتسم بالجودة واتصف بحسن الاداء وكان منتقى اللفظ بادي العناية بسائر قواعد اللغة .

معركة المصطلحات العلمية

وتدور حول المصطلحات العلمية معركة حامية الوطيس مشتعلة الاوار . فهناك فريق يراسه سلامه موسى يطالب بالكف عن ترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية واستعمال المصطلحات اللاتينية كما ترامت الينا . وهناك فريق اخر لا يأخذ بهذا الراي على اطلاقه ، بل يدعو الى الترجمة ان كان هناك سبيل اليها ، والى التعريب ان جاز التعريب ، والى النحت ان هان النحت ، والى استحياء المصطلحات القديمة ان وجدت سائغة ، والى استبقاء المصطلحات اللاتينية ان عز تعريبها او ترجمتها . ومن دعاة هذا الراي الامير مصطفى الشهابي ، وقد جلاه في كتابه عن المصطلحات العلمية وفي مقالات شتى نشرها في المجلات العلمية ثم في معجمه النفيس « معجم الالفاظ الزراعية » بعد ان زيده ونقحه وطبعه ثانيا . ولعل هناك فريقا ثالثا ، من اعلامه اسماعيل مظهر ، يدعو الى ترجمة جميع المصطلحات العلمية الى اللغة العربية رغبة في اغناء اللغة بتعبيرات جديدة تطوع للمشتغلين بالعلم ان يكتبوا بها بسهولة ويسر .

ومن طابع العلماء الا يتعصبوا تعصبا اعمى ، ومن طابعهم كذلك ان يناقشوا امور العلم بكثير من الحلم فلا يحتدون او يشتطون كما يفعل سواهم .

والذي لا ريب فيه ان اللغة العربية ، على غناها في ابواب الادب والقانون والاجتماع والفلسفة ، لا تزال فقيرة في ابواب العلوم البحتة ، ولا سيما الحديثة ، كعلوم طبقات الارض والطبيعة والاحياء والنبات والعلوم النووية والهندسية والميكانيكية والكهربائية وكذلك الطبية . ولكثيرين من العلماء المتقدمين والمعاصرين فضل في تغذية اللغة العربية بالمصطلحات العلمية ، منهم فان ديك وفارس نمر ويعقوب صروف وامين المعلوف ومحمد شرف ، ومنهم فؤاد صروف ومصطفى الشهابي وسلامه موسى واسماعيل مظهر وغيرهم .

وقضية المصطلحات العلمية هي من القضايا التي يحلها الزمن ، فالزمن وحده هو الكفيل باقرار المصطلحات ، يأخذ منها ما يأخذ لصلاحيته ، ويدع منها ما يدع لعيب فيه . والمصطلحات كالعملة التي يتداولها الناس ، فان كانت جيدة لم يقف في سبيل تداولها شيء ، وان ظهرت بها علة رفضت وكانت منبوذة .

ويقول سلامه موسى انه اذا اريد لنا ان نكون على صلة بتقدم العلوم والفنون في الخارج ، وجب ان نستعمل المصطلحات اللاتينية التي تكاد تكون عالمية يؤخذ بها في جميع اللغات الحية . ولكن العيب الرئيسي في هذه الدعوة هو ان الصلة مقطوعة بين اللغتين اللاتينية والعربية ، مما يجعل تبسيط العلوم متعذرا على من يجهل اللغة اللاتينية وما انشق عليها من لغات . ومعروف ان الشرق العربي لا يزال متخلفا تخلفا شديدا في مضمار اجادة اللغات الاجنبية . ثم ان النسبة الى هذه المصطلحات والاشتقاق منها يغدوان متعذرين في اللغة العربية ، لان تطويع هذه المصطلحات الاجنبية لقواعد اللغة العربية امر غير عملي .

بل اننا نلاحظ ان العلماء اليوم جروا على استعمال لفظة « الذرة » بدلا من لفظتي « الجوهر الفرد » عند بحثهم للعلوم النووية ، مع ان « الجوهر الفرد » اصح من « الذرة » تعبيرا وادق معنى من ناحية اللغة . وفي هذا دليل على ان الزمن وحده هو الفيصل في اختيار المصطلحات العلمية ، فان وجد « الذرة » اسلس من « الجوهر الفرد » واخف ، تداولها واشاعها ، ولا حرج .

ولكن يحسن في الاوان الحالي ان يقرن كل مصطلح لاتيني امكن ترجمته او تعريبه بما يقابله من معنى عربي . فان درست العلوم في الجامعات بالانجليزية او بالفرنسية ، فهذا لا يمنع من ان يوجه الاستاذ نظر الطلاب الى ماوضع بالعربية من مصطلحات تقابل نظيراتها الاعجمية . وبهذا نبقي على صلتنا بتطورات العلوم الحديثة ، ونحاول في الوقت عينه ان نزيد لغتنا العربية غنى وثروة في المصطلحات الجديدة .

ويجدر في هذا المقام التنبيه الى ان الصحافة ، ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان منها عاما او خاصا ، تعتبر خير وسيلة لنشر العلوم وتعميم الفاظها ومصطلحاتها فان بقيت الصحافة على صلة باهل العلم وببحوث اهل العلم ، افادت كثيرا في اشاعة الالفاظ العلمية واذاعتها على اوسع نطاق .

معركة قواعد اللغة العربية

ومن المعارك التي لا تخبو ، معركة قواعد اللغة العربية وفي قيام هذه المعركة اقرار بان المدرسة لم تفلح في تعليم النشء الجديد قواعد اللغة بحيث يخلو الكلام المكتوب او المقول من اللحن والخطأ فاما ان هناك عيبا في اسلوب التعليم ينبغي علاجه ، واما ان هناك صعوبة في قواعد اللغة العربية يتعين تذليلها . فان اجتمع هذا العيب الى تلك الصعوبة ، خرج جيل من الشباب يجهل لغته ولسانه ، ويعز عليه ان يكتب كتابة تخلو من خطأ او ان يتكلم كلاما يبرأ من سقام .

ويمكن تقسيم قواعد اللغة العربية الى قسمين : قواعد متداولة كثيرة الاستعمال ، وقواعد قليلة التداول تضاف اليها الشواذ ، وهذه لا يستعملها الا المتبحرون في اللغة الباحثون عن متونها واصولها .

اما القواعد المتداولة التي يحتاج اليها المرء في حياته اليومية حين يكتب خطابا او تقريرا او يلقي كلمة او يتلو رسالة او يطالع صحيفة ، فهي القواعد التي ينبغي ان تعطى اولوية في التدريس ، فتختفي تبعا لذلك الاغاليط الفاحشة التي يقع فيها السواد الاعظم من خريجي الجامعات والمعاهد العليا ، تلك الاغاليط التي ترجع الى جهل الكاتب او القارىء بقواعد النحو والصرف من رفع الفاعل الى نصب المفعول به الى معرفة اخوات ان وشقيقات كان والى متابعة تاثير احرف الجر والجزم والنصب في الجمل ، وغير ذلك من بسائط النحو .

وهذه القواعد المتداولة هي من السهولة والبساطة بحيث لا تحتاج الى مزيد من التبسيط او التيسير : ولو انفق المرء في دراستها قليلا من الوقت ، لامسك بناصية اللغة ، وامتنع عن ايراد الفاحش من الاخطاء مما هو معهود في النشء الجديد وفي خريجي المعاهد الجامعية العليا .

اما القواعد غير المتداولة كالعروض واوزان الشعر وبحوره والشواذ في اللغة وغير ذلك مما اتت عليه « الفية ابن مالك » فهي قواعد لا تعوز الا المتخصصين في اللغة الذين يبحثون قضايا النحو بتعمق وتوسع وتبحر لا يقوى على شيء منه الرجل العادي .

فالذي ننشده ، وهو اضعف الايمان ، هو ان تختفي من صحف الادب ومن الكتب المقروءة ومن احاديث الاذاعة ومحاضرات الجامعة والمنابر العامة ومن الصحف اليومية ، تلك الاخطاء النحوية الدالة على جهل مطبق بقواعد اللغة المتداولة . فالتذرع بصعوبة القواعد امر غير مقبول ، ومن لا يعرف لغته ، فخير له ان يثني قلمه عن الكتابة ويلجم لسانه عن الكلام لانه غير اهل لكتابة او لكلام .

فالمعركة حول قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها ، معركة موهومة لا وجود لها . والقول بصعوبة قواعد الضاد قول مردود . فالقواعد المتداولة ابسط من ان تحتاج الى تبسيط ، وفي وسع الصبية في المدارس الابتدائية ان يلموا بها الماما يعصمهم في الغداة من زلل الاقلام والالسنة . ومن جهل هذه القواعد المتداولة ، على يسرها ، فكيف يعتد بما يكتب او يعالج من معضلات المسائل التي تتناول جميع مناحي الحياة من علم وسياسة واقتصاد وهندسة وقانون وطب ، بل من قصة وشعر ومقال افتتاحي ونهر ثابت في صحيفة ذائعة الانتشار ؟ فكيف يؤتمن محام على قضية وهو الكن اعوج اللسان عليل العبارة؟ وكيف يؤتمن صحفي على جريدة وهو سقيم التفكير لا يقوى على تعبير ولا يحسن كتابة ولا يتجنب مواطن الزلل ؟

فما وضعت القواعد الا لتصون اللغة وتكفل لها الاداء الصحيح السليم . ومن استعصت عليه قواعد اللغة ، فليطرح قلمه جانبا وليصمت صمت القبور . وقديما قيل : « لا يزال الرجل مهابا حتى يكتب او يخطب » . فان كتب او خطب فضح جهله ان كان جاهلا ، وذهبت عنه الهيبة الى غير رجعة .

معركة الهجاء

وبقواعد اللغة تتصل اشكال الكتابة اي هجاء الكلمات . فكتابنا لا يخطئون في القاعدة وحسب ، بل يخطئون كذلك في الهجاء خطأ غليظا . وقد طلع علينا الدكتور طه حسين اخيرا بمنهاج جديد في الهجاء يدعو فيه الى كتابة الكلمات وفقا لمنطوقها . فاضاف الى طه الفين وصيرها « طاها » ، وجرى على هذا النحو في اعادة الاحرف المستترة او المحذوفة الى الكلمات العربية . ف « هذا » تكتب « هاذا » و « على » تكتب « علا » و « مصطفى » تكتب « مصطفا » و« يس » تكتب « ياسين » وهلم جرا .

ولو كان طه حسين جادا في دعواه هذه لتمسك بها ولم يتخل عنها بعد تجربة واحدة اقتصرت على مقال نشره للترويج لها . فلا اثر لهذه الدعوة في الفصول الاخيرة لطه حسين ولا في كتبه الحديثة ، بل انه يراعي في هذه وتلك اشكال الهجاء كما توارثناها واصطلحنا عليها .

واذا كانت دعوة طه حسين هذه قد اسفرت عن شيء ، فذلك الشيء هو ما احدثته من بلبال بين جمهرة الادباء والمتادبين ، طوع لكل ضعيف الاداة عليل التفكير ان يعبث باللغة كما يشاء بحجة التجديد ، وعذره ان عميد الادب العربي والعضو الخالد في مجمع اللغة العربية قد طالب بالتحلل من قيود الكتابة السليمة .

وفي اللغة العربية ، شأن اللغتين الانجليزية والفرنسية ، حروف زائدة وفيها كذلك حروف ناقصة . فالالف في « مائة » زائدة ، والالف والياء والنون ناقصة في « يس » . وفي الفرنسية تحذف اواخر الكلمات عند النطق او تدغم في ما بعدها . وفي الانجليزية حروف زائدة ايضا تحذف عند النطق ، كما ان فيها حروفا ناقصة في الكلمات . ومع هذا بقيت هاتان اللغتان على حالهما ، فلم يناد احد من المجددين بكتابة الكلمات حسبما تنطق ، اللهم الا في الولايات المتحدة الامريكية حيث اجيز حذف الحروف الزائدة في الكلمات وعدل الهجاء تبعا لذلك . وهذا « الاصلاح » الامريكي لا يزال غير مقبول من سائر المشتغلين بالادب الانجليزي اللسان في انحاء العالم المختلفة .

وما يقال عن القواعد يقال عن الهجاء . فمن اراد ان يشتغل بالكتابة ، وجب عليه ان يعرف كيف تكتب الالفاظ والكلمات . فان جهل الهجاء ، كان غير اهل لهذا العمل ، ولا يمكن بالتالي ائتمانه على اداء رسالة ما ، وخير له ان يهجر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتابة الى غيرها من الاعمال .

معركة الحروف اللاتينية

وكانت هناك معركة حول الحرف اللاتيني وهل يصلح للحلول محل الحرف العربي في لغة الضاد . وكان اول داعية الى الكتابة بالحروف اللاتينية هو المرحوم الدكتور عبد العزيز فهمي الذي وضع في هذا الباب سفرا بسط فيه دعواه . ولكن وفاة صاحب هذه الدعوة عاجلت الدعوة نفسها ، لولا ان سلامه موسى لا ينفك يرددها من آن الى آن

ومعروف ان الصلة مقطوعة تماما بين اللغة العربية واللغة اللاتينية القديمة ومشتقاتها الحديثة . فمحاولة انشاء صلة بين اللغة العربية واللغات اللاتينية الاصل لا يمكن ان تتم الا على حساب التراث العربي كله ، لان الاخذ بالحرف اللاتيني يقطع كل صلة بين الضاد وتراثها القديم ، وقد ينشىء لها صلة بالاداب اللاتينية وهو امر تكتنفه الريب الكثيرة .

والحرف هو من مقومات اللغة ومميزاتها ، فان انفصل عنها تهالكت اللغة وتداعت وصارت حطاما .

ومما نفهمه ونقبله ان يدعو داع الى اضافة حروف جديدة الى اللغة العربية تسد ما فيها من ثغرات ، كحرف الباء ذي النقاط الثلاث مثلا ، او حرف الفاء المثلث النقاط ، او حرف الجيم المخفف غير المعطش . ولكن مما لا نفهمه او نقبله ان ندع حروف الهجاء العربية جميعا ونحاول استبدالها بحروف هجاء لاتينية ، ثم لا نكتفي بذلك ، بل نحرف هذه الحروف الابجدية الجديدة مضيفين اليها حروفا اخرى منتفية منها كالخاء والظاء والعين والغين والحاء وما اليها .

بل ان مما نفهمه ولا نقبله ان يدعو داع الى هجر اللغة العربية بحروفها وقواعدها وتراثها الى لغة اخرى كالتركية الحديثة مثلا صار لها تراث وكيان مستقلان عن اللغة التركية القديمة .

ومما نفهمه ولا نقبله ان يدعو داع الى هجر اللغة العربية هجرا تاما الى غيرها من اللغات اللاتينية الحية ذات التراث المجيد كالانجليزية او الفرنسية لانهما لغتان عصريتان متطورتان تتسعان للعلم ومصطلحاته والفاظه . اما ان يدعو داع الى ابتداع لغة جديدة حروفها خليط من اللاتينية وغير اللاتينية وقواعدها عربية محرفة وتراثها معدوم وكيانها متروك للاجتهاد الفردي ، فهذه دعوة لا نفهمها ولا نقبلها .

ثم ، اليس مما يعطل ركب الثقافة ان نقف حيث نحن ثم نبدأ نتعلم هذه اللغة الجديدة ، ثم متى اجدناها وتمكنا منها شرعنا في اصدار كتب وصحف ومجلات بها ، وبعد ذلك نضيع العمر في اعادة كتابة التصانيف القديمة كلها بهذه اللغة ؟ اليس هذا مضيعة للوقت ؟ وخير منه واجدى وابدى ان ننفق هذا الوقت في البحث عن الاساليب التي تجعل اللغة العربية لغة عصرية مطواعة للعلوم غنية بالترجمات عن الآداب الغربية والشرقية جميعا .

فالحرف اللاتيني قد يساعد على تقويم النطق ، ولكنه يقضي على اللغة العربية قضاء مبرما . ولو حلت قضية القواعد على النحو الذي بيناه في ما تقدم ، لما كانت هناك حاجة الى تقويم النطق او ضبطه ، لان النطق يهون على من يعرف القواعد ويراعيها .

معركة الالتزام في الادب

وهناك معركة اخرى تدور في ساحة الادب هي المعركة التي سماها مثيروها « الالتزام في الادب » ، اي التزام الاديب بمعالجة قضايا المجتمع ، والا عد ادبه ترفا لا حاجة اليه او لغوا لا جدوى منه .

وليس لدينا اعتراض على ان يعالج الاديب مشكلات الجماعة من الزاوية التي تروق له ، فالحياة عامرة بالمشكلات التي ينبغي ان يتصدى لبحثها كل مفكر وكل صاحب قلم على النحو الذي يحسنه وتسعفه فيه وسائله .

ولكن محاولة قصر الادب على معالجة مشكلات المجتمع هي محاولة لافراغ الادباء جميعا في قالب واحد لا يشذ عنه احد . فالشعراء جميعا يجب الا يتغنوا بالحب والعشق والفتنة ، بل عليهم ان يعالجوا مشكلات التشرد والفقر وانتشار الكلاب واكتظاظ المدن بالسكان وكثرة حوادث المرور ومشكلة اضراب الباعة الجوالين . وكتاب القصة جميعا يتعين عليهم ان يكفوا عن معالجة المسائل العاطفية والانسانية ، وحسبهم من القصة ان يتناولوا الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والصراع بين الطبقات والحياة في الازقة والمنعطفات . ومن شذ عن هذا القالب الموحد ، فقد صار بعيدا عن الانتساب الى الادب ، فبهذا قضى دعاة الالتزام .

والواقع ان الاديب او المشتغل بالفن هو ثمرة ظروف خاصة وجدت فيه الموهبة فجعلت منه ذلكم الاديب او هذا الموسيقي او ذلك الشاعر . وقد تطلب من شاعر ان ينظم قصيدة في موضوع معين فينظمها مجاملة او طلبا لكسب ، ولكن هذه القصيدة لن تبلغ في روعتها وخلودها روعة قصيدة انطلقت ابياتها تلقائية وتفجرت عباراتها من ينبوع العبقرية دون ضابط او املاء ، فكتب لها الخلود . واجمل الشعر واعذبه هو ما انطلق مع السجية وعبر عن خلجات الشاعر الصادقة دون زيف او رياء . اما الشعر الحتمي ، اي الذي يحتمه دعاة الالتزام ويجعلونه فرضا واجبا على كل شاعر ، فلن يكون ابدا محلقا ما لم يكن ثمرة سليقة فطرت على ذلك .

وحسن ان يكون الاديب على دراية بمشكلات زمانه ، وان يحس كما يحس زملاؤه المواطنون ، وان يستجيب لدواعي الجماعة عند الاقتضاء ، ولكن ليس من المقبول ان تنتقل جميع مشكلات الجماعة الى فنون الادب فتفسدها وتجعلها انعكاسا لما في الحياة من معضلات وضائقات . فالادب يمثل لونا من الوان الترف الذهني ، شأنه في هذا شأن الموسيقى الهادئة التي تريح الاعصاب وتدخل على النفس سلوى . فان جعلت الموسيقى كلها صاخبة صخب الحياة نفسها ، فقدت عذوبتها وانحسرت عنها آيات الفتنة فيها .

فليعالج الادباء والشعراء ما يشاهدون من موضوعات ، سواء اتصلت بالعاطفة او بالجماعة ومشكلاتها او بالخيال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دميـة

✳

أخطأت في عدّ السنين
هرولت اسرع بعدها
بالعصا أقطع وصلها
أنا قلت : من وهمنا الدرب
أنا قلت : من غمّنا العمر
ما عهدت في الدنى الا سواي
كنتُ بالامس لا أعرف أمسي
والغد أرقدته في الرمس
رحت أكوّم التراب من الحول
أتلهّى .. أتلهّى .. أتلهّى
وأهّة الرعد
صدى أخرسته
غاب الصدى
ثقيلاً حملته
ما عرف به الورى
ولا أنا
كالدمية تراكم فوقها البلى
حملت الريشة
أزيّن خدّها وعينين
أرسم أحرفاً في قلبين
دمية أنتِ هل تعرفين ؟
أنتِ أنتِ بين يديّ

لا تعرفين
في طفولتي ترقّبت السنين
غداً يشتدُّ ساعداي
أصنع منهما دميتي
شعرها من رموشي
لونها من شحوبي
عيناها من عينيّ
غداً أتيه على الدنى
وعلى الشقيقة
مشت تهزأ من فراغي
تضمُّ دميتها الكبيرة
تمنّيتها منذ الطفولة
وصحوت أسأل عن وهم مضى
وهم الطفولة
وصحوت أبحث عما بقى
عن أشلاء دميتي
وريشتي
مع قسوتي
أداعب في أنملي مرّ السنين :
سُبحة
وأنا كبيرة

ثـريا ملـحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولو كان مجنحا مشتطا . وليلونوا اعمالهم الادبية بما يطيب لهم من الوان وظلال . فالادب الذي يكتب اليوم يقرأ كذلك بعد جيل وجيلين وعشرة اجيال . وحكمنا عليه اليوم يختلف عن حكم الادباء عليه غدا . وهذا وذاك يختلفان عن حكم ادباء قرن مقبل عليه . والادب ابعد ما يكون عن الحكر ، فهو لا يحتكر موضوعا واحدا ، وان فعل ، فلن يستطيع ان يحتكره العمر كله . والاديب الذي يكتب لا يريد بديلا لحريته ، فهي التي يستوحي منها ادبه ، وبها يجلو هذا الاديب ، وبفضلها يتميز هذا الادب بصدق الاداء وروعته .

فليترك الادباء احرارا يلتزمون ما يشاءون من مناهج واتجاهات ، وليكن الحكم الاخير للقراء اولا ، ثم للزمن في ما بعد .

بقيت قضية الشعر المهجري ومنزلته في الادب المعاصر ، وهي تحتاج الى بحث قائم بذاته .

القاهرة **وديع فلسطين**

قصة سورية

العودة الى الروضة

بقلم فاضل السباعي

كان عليه ان يتوجه ، مع هذا الصباح القارس ، الى المحكمة ليرى الدعوى التي رفعها باسم موكلته على مطلقها يطالبه فيها بالنفقة ومؤجل المهر وبالتعويض عن الطلاق الذي كان محض تعسف

كان يغذ السير ، والمحفظة في يسراه ، في غير ونى لا يحس ببرد او صقيع . انه في الحق لم يلامس كفه اي من قروش موكلته ، الا انه كان يعمل لها برغبة وحماسة على هدي الامل الكبير الذي دغدغ احلامه بالامس القريب .. انها دعوى رابحة ؛ رجل طلق زوجته بدون مسوغ قانوني ، وانها لتدعي عليه تطالبه بما منحها القانون من مميزات تقيل بها عثرتها بعد ان اصبحت ولا حول لها ولا طول .

انها دعوى رابحة . ذلك ما يدور في خاطره . ولسوف يكون حصيلتها مبلغ من المال وفير تحظى به الموكلة من مطلقها حقا خالصا غير مشوب .. وان له في ذلك نسبة مئوية اتفقا عليها كاتعاب محاماة . انه في مسيس الحاجة الى المال . لقد انقطعت ابنته الصغيرة عن « روضة الاطفال » منذ شهر وعشرين يوما على وجه التحديد .. طلبت منها المعلمة ان تذكر ماما بالقسط ، فكان ان حرجيها من يومئذ في البيت لا تغادره .. ما تفيدها الروضة ؟ انها طفلة بعد ، ولزومها البيت لن يفوت عليها سوى تزجية الفراغ بوسائل العصر الحديث ، ولكن دوامها الى الروضة مع القسط يأتي على جانب من دخل الاسرة الصغيرة .. انه محام ناشىء وامين معا ، وما كان ينال دخله الضئيل الابشق النفس والضنى .. بضع دعاوى في الشهر لا تتجاوز « اتعاب » بعضها الليرات القليلة ، في حين يخص بعضها الاخر الاقارب والاصحاب ، وهؤلاء يربؤون بالقرابة والصداقة ان يبلغا حد ان يدفع احدهم له مبلغا من المال كمقابل لما يقوم به نحوهم من خدمات في ساحة القضاء !

وانه الان — وهو في طريقه الى المحكمة — ليذكر يوم دلفت الى مكتبه سيدة في مقتبل العمر على محياها مسحة من حزن وفي خطواتها غير قليل من التهيب والحياء .. ولقد تفاءل اذ بصر بها تقتحم حجرة كبيرة ورجا ان يكون بين يديها بعض الفرج لحاله المتأزمة المعسرة .

قالت انها مظلومة ؛ فاحس تجاهها بالعطف والرثاء ، لانه مثلها مظلوم .. قالت بصوت الملتاع وهي تنتحب : « لقد تجنى علي من غير ذنب جنيت !.. » فما خالج فؤاده في هذا القول شك او ريبة ، لانه طيب .. ولانه ناشىء وامين .. وقالت ليس لها من اهل ؛ فاحس نحوها بالاسى وبالعطف يغمر جوانحه ، لانه مثلها من غير اهل اقربين ... وتمنى لو يفعل من اجلها الكثير .

كانت اخت مأساة .. بطل مأساتها رجل ... كانت تملأ حياة زوجها عهد ان كان في غير يسارة . حتى اذا واتاه الثراء من غير حساب ، انكفأ الى النساء يمتع فيهن غريزة هوجاء طال عليها الكبت والعناء ، فانطلقت من عقالها شررا لاهبا يحرق ولما يحترق . ولاذت التعيسة بالصمت على ذلك مرغمة ، لا تجسر حتى على مجرد الكلام . فان هي ضاقت يوما بالذل ترخى عليها سدوله ، وتنحنحت بين جوانحها كرامة الانثى المهيضة ، هددها بان يرمي بها الى عرض الطريق . فكانت تستكين متصبرة وهي تسقى اكؤس الهوان مفعمة ولا يرتفع لها مع ذلك حس من حلقها او نأمة . وكلما اطمع الرجل رضوخها الذليل ، فاذا هو يسفر عن رغبة في ان يفسح في الدار غرفة لمعشوقة هي اخر من علق بها قلبه ! .. هنا تمردت فيها كوامن غريزة الانثى على قيود الصمت والهوان ، فهتكت استاره وكشرت عن ناب الثائر الطعين .. فكان ان نبذها في طلاق لا رجعة فيه

قالت وهي تجهش :

— كل ذنبي اني لا اهل لي الوذ بهم .. ليس لي سوى عمة عجوز اقيم عندها اليوم واولادي الثلاثة الى ان ينجلي امري على يديك ... قالوا : انك طيب وشريف ، وان قلبك لله .. ولهذا اقبلت اليك ..

ولم يكن ثمة ما يحول دون ان يدعي لها على مطلقها على وفق ما تنص عليه القوانين ، غير آبه لمقدم اتعاب يناله منها يفرج به بعض ازمته فهي — فيما عرف جيدا — تعيسة قدر تعاسته او ابعد مدى ، وانه سينال نصيبه في اخر المطاف ، ولسوف يكون نصيبا وافرا فيه بعض الفرج يحسر عن قلبه الضيق الخانق ويمكنه على الاقل من ان يعيد البنت الى الروضة تزجي ايامها الغريرة كما يزجي اولاد الناس الايام

على ان ما استرعى انتباهه وشغله عن امره الى وقت ، ان اسم المطلق المدعى عليه لم يكن غريبا عن ذاكرته وان له في خاطره اصداء غامضة متباعدة ، ما لبثت ان اتضحت له فعرف فيه صديقا قديما ايام الدراسة .. وجعل يأسى على ان واحدا من اصدقاء المدرسة الاحباب قد بات يحمل نفس الذي لا يرعى عهدا ولا يستنيم في ضميره وفاء . وتمنى لو امكنه السعي الى التوفيق بين الموكلة والصديق الذي كان ، فلعل السعي يتوج بالصلح تعقد رايته بين المتخاصمين .

على انه ما توانى ليلتها عن تدبيج « استدعاء » الدعوى ، شارحا فيها ما قارف الزوج في حق المجتمع من اثم تشتتت في عقباه اسرة من زوجة وثلاثة بنين . وجهد ان يكون يوم المحاكمة في اقرب ما يكون من موعد فهو حريص على ان تبلغ الدعوى نهايتها سريعا فيكون له منها نصيبه المشروع .

ثم انه قد اقبل الى المحكمة في تلك الجلسة التي مضت .. فبصر بموكلته في مقاعد النظارة ، وعلى مقربة منها الصديق المدعى عليه . ولقد اشاح هذا بوجهه عندما تلاقت الاعين وازور بنظره عنه . ولعل ذلك ، لان صديق الامس قد رأى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليوم فيه محاميا يحمل راية الدفاع عمن يراها هو عدوا له لدودا يستكثر عليها اي قدر من المرحمة والاشفاق

وقد سأل القاضي صديقه عما اذا كان يضمر لمطلقته بعض الحب يعيدها معه واولادها الى منزل الزوجية فذلك ارضى لله وخير وابقى؟ فابدى هذا اتم الاستعداد لان يدفع لها ما يقضي به القاضي من حق ، ولكنه يأبى كل الاباء ان يعيد الى بيته امراة سفيهة لا يخلو لسانها من طول وبذاءة لا تفتأ يومها تنال به منه .. وقال في حماسة المعنى :

ـ لم يعد بوسعي ان اقضي معها اكثر مما قضيت .. انها امراة فاجرة يا سيدي القاضي !

فانبرى يدفع هذه الفرية الكاذبة تلصق بموكلته بهتانا ، وهو من طهرها وبراءتها في كل يقين . انطلق يقول متحفزا :

يا سيدي القاضي .. ان كل ما ورد على لسان الخصم الساعة ان هو الا محض بطل وافتراء . ان موكلتي لتتمتع بصفات الوداعة والنبالة والدماثة الى ابعد الحدود ، وانها لم تحد عن ذلك منذ بني بها هذا الرجل من سنوات طويلة خلت .. وهي لو كانت على مثل الصفات التي ادعى ، فما الذي يجعله يرضى بمعاشرتها طوال تلك السنوات وينسل منها الولد اثر الولد ؟ ! .. الم يفطن الى سوء خلقها المزعوم الا اليوم ؟ !

وازدرد ريقه ، والتفت الى موكلته يستمد من انكسارها قوة عارضة وبيانا مشرقا :

ـ نعم ، يا سيدي القاضي .. انه قد بات يرى فيها من العيوب ما هي بريئة منه والله ، وذلك بعد ان ايسر واثرى ! ... كانت في عينه فيما مضى من ايام ـ اذ كان فقيرا ـ الزوجة المخلصة تملأ حياته بالبهجة والسعادة فانجب منها ما انجب من ابناء .. حتى اذا اصاب من الغنى ما اصاب ، تبدلت الدنيا في ناظريه غير الدنيا ، وغدت الزوجة المخلصة اخرى في غير اخلاص لا يطاق معها العيش يوما .. قاتل الله الغنى ، وقاتل الله النفس التي انعدمت فيها المحبة والاخلاص والعواطف الانسانية الكريمة . يا سيدي القاضي . لقد انكفأ هذا الرجل من يومئذ الى بائعات الهوى يتسقطهن حيثما ثقفهن ، فاهمل البيت والزوجة والولد . فصمتت المراة الوديعة دون ذلك وصابرت ، عل الله يرد الضال الى جادة الهداية والحق . ولكن المصابرة ما زادت الاثيم الا جنوحا عن الحق والا تماديا وطغيانا ولججا . تصوروا .. لقد وصلت به الحال الى حد ان فرض على زوجه ان تقبل في بيتها واحدة من النسوة اولئك تشاطرها السكنى وكانها زوجة قد عقد عليها وفق احكام الدين الحنيف ! .. اشد من هذا نكرا وعسفا واستبدادا ! ! وابت عليه الزوجة هذا الصنيع ، فكان ان نبذها وحرم اطفاله الثلاثة الصغار من الرعاية يسبغها عليهم ما اقاموا في كنفه .. وبعد ذلك ، لا يتورع عن الزعم بان امراته سفيهة ، وانها فاجرة ، وانه لم يعد بوسعه ان يقضي معها اكثر مما قضى ! .. وان لدينا ـ يا سيدي القاضي ـ على الباعث على هذا الطلاق التعسفي قرائن وشهودا من الجيرة والاصدقاء نلتمس من المحكمة الموقرة دعوتهم بواسطتها ليدلوا بما يمليه الوجدان اليقظ والضمير الحي .

وانه قد قرا بعد هذا الدفاع المجيد آيات النقمة تلهب نظرات خصمه يصوبها اليه ! .. لا بد ظن به المعاداة يوثق عراها دونه وانه تنكر الصداقة التي كانت تنكر ما كان ليدور في خلده . مظلومون معشر المحامين ؛ يحسبهم الناس اشرارا ، وانما الشر والظلم والبغضاء في جبلة الناس انفسهم ، يطغى بعضهم على حقوق الاخرين ، فلا يكون ثمة بد من ان تتدخل في الخصومة طائفة من الناس تهيأت لان تاخذ بناصر الضعيف في مواجهة القوي السادر في تعديه ، فيحقد القوي لتقليم اظفار طغيانه زاعما في المقلم الافتئات والظلم والعدوان وما هو في واقع الامر من ذلك في شيء

ولقد رأى ـ في ختام الجلسة ـ ان يلقى الخصم الصديق على انفراد ، مبينا له خطل رايه ذاك الذي يدور ـ لا ريب ـ في باله والذي تنطق به نظراته القاسية لا يفتأ يرميه بها في عداء سافر . وكذلك فقد ناداه ، اذ انطلقوا جميعا من قاعة المحكمة ، فما رد الصديق ولا تلفت من فرط ما داخل نفسه من عاطفة المقت . فما كان الا ان مد في خطاه . وادركه في البهو قبل ان يروغ ، وابتدره يقول في لهجة اقرب الى الود

ـ لعلك لا تظن بي الظنون !

فظل الصديق في صمته محمر العين لا يدري مع المبادرة ما يقول . في حين تابع هو قائلا :

ـ الواجب غير الصداقة .. علي ان اتناسى معرفتي بك ما دمت لسان موكلتي امام القضاء ، لادفع تلقاءك بما يمكن ان يدفع به اي من المحامين لو اتخذ موقفي هذا . بيد اني ـ من قبل ومن بعد ـ احبذ المصالحة تجمع ما بينك وبين ام اولادك ، فالصلح سيد الاحكام ، وابناؤك الثلاثة ثروة انسانية اثمن من ان تلقي بها الى احضان الاهمال وسوء الرعاية ومطلقتك على ما تعرف من رقة حال ، وتربية الرجل لبنيه ليست كتربية المراة لهم بحال . ما ترى في ان اسعى الى التوفيق من قبل ان نوغل في الخصومة فتشعب القلوب من الحقد والعناء ؟ ..

فجمجم الخصم بكلام لا يفهم منه سوى الازورار وعدم الارتياح . اجل انه ـ فيما يبدو ـ على غير استعداد لان يهادن ؛ فالخليلة ـ لا بد ـ قد تملكت قياده فشلت فيه موطن التعقل والحنان .

ولقد وقعت عينه ـ اذ انفلت هذا من امامه في طريقه الى الشارع ـ على موكلته ترقبه على بعد خطوات وفي عينيها ريبة ما شق عليه ان يطالع معانيها .. انها هي الاخرى تذهب بها الهواجس والظنون مذاهبها . لقد علمته الايام ان ليس ادعى الى اثارة الهواجس في نفس الموكل من اتصال المحامي بالخصم . ولكنه يعرف كيف يرد الى نفسها الطمأنينة المسلوبة . انه لاهون عليه ان يموت جوعا من ان يخون موكلا وثق به والقى امره بين يديه في طواعية واختيار . وانها قد سألته ـ اذ ذاك ـ عما دار بينه وبين مطلقها من حديث ؛ فاجابها بانه صديق له قديم وقد عرض عليه الصلح قبل ان يمضي في الدعوى ولكنه ابى وراغ .

على انه يذكر الان ـ وهو في طريقه الى المحكمة ـ ان هاجس الريبة لم تخب ناره في عينيها الذابلتين . مسكينة موكلته ! . انها تجهل ما يتحلى به من نزاهة واخلاص . ولئن خانه ان يصيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قناعتها بذلك يوم امس القريب ، فانه لواصل الى غايته في ختام المحاكمة يوم ان يتوج جهده حكم على مطلقها يقضي لها بما وعدها به وبما تصبو اليه نفسها من آمال .

واحس بالبرد القارس ينفذ الى لب اصابع يسراه يخدرها . فامتدت يمناه الى المحفظة تحملها عنها قليلا . بينما اندست اليسرى في جيب بنطاله مضمومة الاصابع في شبه شلل .

انها دعوى رابحة . ولسوف يكون له من نصيبه منها ما يزيل بعض اعساره . سيستمع في المحكمة الى شهود الحال بعد قليل . هم اربعة . سيفيدون بان موكلته لم تكن على ما زعم مطلقها من صفات ، وبانه تشاطره اليوم سكنى الدار امراة شقراء متبرجة تخرج معه كل مساء ولا يأويان الى البيت الا في موهن من الليل .

وطرق سمعه نداء بائع الكستناء على باب قصر العدل ينادي برخيم صوته على فاكهة الشتاء . ووقعت عينه على بائع العصير منهمك في تلقيم عصارته انصاف البرتقال المشطور ليتناول الاكؤس من تحتها مترعة يدفع الى الظامئين المتحلقين حوله . ورأى الى « كتاب الاستدعاءات » ينتبذ كل منهم مكانا على الرصيف وقد انطمر بين اسماله وقبع على كرسيه القش الواطىء وبين يديه صفحات من ورق ابيض .

ولما دلف الى البهو ، كان طنين المراجعين يدوي في الارجاء كطنين النحل تتخلله صيحات الحجاب على المتخاصمين باصوات مختلفة النبرات ممطوطة الاخر .

واخذ الدفء يتمشى في اوصاله اذ اتخذ له مكانا في قاعة المحكمة . كان القاضي على قوسه مهيبا في عمامته البيضاء يقضي بين متخاصمين امامه من رجال ونساء ، في حين انصرف الكاتب على يساره الى الاوراق البيضاء امامه تتطاير عليها يده الخفيفة بالقلم يسود ناصع بياضها .

وحانت منه التفاتة الى جانب ، فبصر بموكلته تجلس بين النساء وقد اطرقت الى الارض لا تغير من وضعها هذا شيئا . ثم رأى الخصم الصديق في جانب اخر من القاعة يرقب القاضي بعين لا يتخفى فيها القلق .

ونهض من موضعه بعد فترة انتظار قدر انه آن بعدها دوره . ودنا من القوس ، وطلب من القاضي ان يفتتح له الجلسة في دعواه . واسترعى انتباهه بين الاوراق فيها وكالة جديدة ، فما شك في ان الخصم قد ابرزها الجلسة موكلا فيها احد المحامين . وداخلته الرغبة في ان يعرف من من الرملاء اوكل . فتناولها وامن على سطورها عينا لهفة ... فاذا هو يحس كان كفا لئيمة تهوي على قلبه وكرامته .. لقد اوكلت موكلته غيره محاميا ! ! ..

واطبق اضبارة الدعوى وردها الى موضعها بين الاضابير . ثم ارتد الى حيث كان يجلس قبل قليل ، وطفق يفكر ... ابلغ هاجس الريبة بموكلته — السابقة — هذا المبلغ البعيد ، حتى صنعت به هذا الصنيع ؟ . اما تدري انه مخلص ونزيه ؟ اما تعلم انه لا يخون ولا يمين ولو ملكت يمينه كنوز الارض ؟ .. ولكن ، من اين لها ان تدري ؟ . لو سمعت فقط ما قال لخصمها بالحرف الواحد ، اذن لما قارفت في حقه هذه الخطيئة الشنعاء ! وما احب ان يعاتبها ويلومها على سوء ظنها ، بل ما طاق ان يرى اليها في موضعها مطرقة في لؤم لا ترفع بصرها عن الارض ! ..

ولما كان في البهو — وقد اتضح في سمعه من جديد طنين النحل ونداءات الحجاب — كان يفكر في طفلته التي لن يقدر لها ان تعود الى الروضة عما قريب ... وجعل يسأل نفسه حيران غير مصدق — وهو يشق لنفسه طريقا في الزحام — عما اذا كان قد ارتكب خطأ اذ كلم الخصم يوما — على مرأى من موكلته — بغية ان يصل معه الى صلح يعيد المراة وبنيها الثلاثة الصغار الى كنف الاب السادر في غوايته ؟ !

حلب — فاضل السباعي

بوح

مسكينة أنت فما ضائري ... أن لا تكوني بعض احلامي
ما همّي والحبُّ اسطورة ... من نسج آمالي وآلامي
أن تجحدي ـ هيهات أن تجحدي ... يا طالما رددّتِ أنغامي
من كان مثلي لا يرى ظامئا ... والراح ما تجري بها جامي
أظما وكوبي في يدي مترع ... أروى وكوبي في يدي ظامي
تحلو لي اللذّات ممزوجة ... بالوهم واشوقي لاوهامي
لا تخجلي بالبوح : أنّ حبّني ... لولاكِ ما احببت آثامي

وديع ديب

شاعر الآلام والعنفوان

نديم محمد

بقلم عيسى الناعوري

يا بنت ! ما شعري سيوفا ، او رماحا للشجار
شعري عناقيد اللآلىء في مصابيح الدراري
وعواطفي ماء وانسام وطل في صحاري
انا لم احطم « خير » آنيتي على « شر » الحجار
ابقيتها لزنابق بيض كاجنحة النهار
لبنفسج وقرنفل ، لياسمين وللبهار
وفم يقبلها طر ، ولمعصم ترف السوار
ابقيتها للفن ، لم أعدل بها صنم النضار
[نديم محمد]

منذ شهور ـ منذ مؤتمر الادباء الثاني في بلودان ـ وانا احاول ان اكتب عن نديم محمد ، صاحب (آلام) و (فراشات وعناكب) ، الذي عرفته هناك في القمة الخضراء اخضر القلب والشعر معا . ومنذ شهور وانا اعود الى ديوانيه الانيقين ، اقرأ واعلق الحواشي ، واهم بان اكتب شيئا ، ثم يعود الديوانان يستندان الى طرف مكتبتي ازاء الحائط ـ كأنما يستدفئان من برد الشتاء الشديد ـ وانا اتهيب الكتابة عنهما في هذه الاونة من عمر اليقظة العربية ، على كثرة ما كتبت قبل اليوم عن شعراء ودواوين .

فمنذ شهور واصابع التي كنا معها دائما في نضال رهيب متواصل منذ عشرات السنين ـ تعبث بصفاء الحياة في بلادي ، وبمقدرة الناس على التلذذ بمتع الفن والجمال في بلادي ، فما عاد يطيب لقلم ان ينفث قطرة حبر في غير اللهيب وحيث يعشش الشر والجريمة ، تموت لذة الفن ، ومتعة الاحساس بالجمال والتعبير عنه ، او على الاقل تنكمش وتنزوي الى أمد

ولهذا ما تزال امتي فقيرة جدا في ادبها وفنها ، وما يزال الاديب فيها بعيدا عن المشاركة في تراث الانسانية الخالد الذي يصلح للحياة في كل بيئة وكل زمان . فلكي يكون الادب « انسانيا » عاما صالحا للحياة الطويلة ، يجب ان يكو نتعبيرا عن حقيقة الانسان الخالدة ، وعن مشاعر الانسانية العميقة ، لا مقيدا باحداث الساعة وحوادث البيئة وحدها .

ان الادب الذي يتقيد باحداث الساعة يموت بزوال تلك الساعة وتلك المناسبة او يفقد بزوالها عمق اثره في النفوس ، ويصبح شيئا للذكرى والتاريخ ، لا للادب والفن والجمال ، وكذلك الادب الذي ينحصر في حوادث البيئة ، لا يتجاوز ـ في الاغلب الاعم ـ حدود بيئته وحدها في تأثيره .

وامتي ما يزال ادبها ـ برغمها ـ مقيدا باحداث الساعة وحوادث البيئة ، وهي احداث وحوادث تفرض نفسها فرضا على قلم الاديب ، وخيال الشاعر ، فلا يملك الخلاص من ربقتها اديب ، واذا اراد الخلاص ، وأطلق لخياله العنان، ولقلمه الحرية ، ليجولا في عوالم الانسانية الواسعة ، بعيدا عن وقائع بلاده ، لم يعد يجد بينه وبين بلاده واهل بلاده ـ ولاحتى بينه وبين نفسه ـ شيئا من التجاوب الشعوري ، الذي هو عماد الرابطة بين الاديب والناس .

هذه الحقيقة الواقعة التي تعيش فيها امتنا العربية اليوم ، وهي في بدء يقظتها وعنفوان نضالها لاجل الحرية والاستقرار والسيادة، هي المثبط الاكبر عن المساهمة الحية في آداب الانسانية الباقية. ففي مثل ظروفنا الواقعة لا بد ان يكون القلم في يد الاديب رفيقا للبندقية في يد الجندي ، لكي تتمكن الامة من الوقوف على اقدامها ، في وجه الاحداث الخطيرة التي تجابهها وترمي الى قهرها وقتل وثبتها المتحررة .

نقول هذا ونحن نعلم ان هذه الحقيقة قد جعلت الغث من انتاج الاقلام عندنا يطغي على السمين ، حتى اصبح الفن الحقيقي في حالة انكماش وحياء في اغلب الاحيان ، والجأت عددا من الادباء ، الذين يهمهم الفن بمقدار ما يهمهم مسايرة واقع الحياة ، الى الانزواء من وجه العاصفة، وجعلتنا نقرأ كل يوم ، في الصحف وفي الكتب ، كلاما مكرورا متشابها في مواضيع معينة واحداث واحدة ، حتى لقد يبلغ بنا الامر في احيان كثيرة الى الملل من القراءة ، والى النفور مما تكتبه الاقلام ، ونكاد نبكي من فساد الذوق في بعض ما ينسب الى الادب والشعر من هراء وسخف .

من الامثلة على ذلك ما نظم من شعر وما كتب من نثر منذ ان بدات ثورات التحرر في تونس ومراكش ثم في الجزائر . فقد زاد عدد القصائد في هذه الثورات على عدد المعارك التي جرت فيها ، ولعله زاد على عدد ضحاياها من الجانبين . ولكن كم كان عدد القصائد الجيدة ـ او على الاصح عدد الابيات الجيدة ... ـ في كل ذلك الانتاج الهائل ؟! وكم كان عدد الشعراء الذين لم يتخلوا عن جمال الفن الى جانب تمجيد البطولة والثورة ؟!

وفي مأساة فلسطين لا يختلف الامر عنه في ثورات المغرب ، وكذلك لا يختلف الامر في معركة العروبة الاخيرة في بورسعيد .

الواقع ان الادب اصبح عندنا « غيرة وتقليدا » . يقع حادث في بلد عربي ، فيصبح واجبا على كل من يملك عدة الكتابة ، ومن لا يملك منها شيئا ، ان يقول فيه شعرا او نثرا ، ولا اهمية للقيمة الفنية في ما يقوله .

وفي هذا المضمار انساقت الصحافة الادبية ايضا الى حد بعيد ، فلم تعد تملك زمام التوجيه الادبي ، بل اصبحت تساق بموجة الاقلام الجارفة الى حيث تشاء او لا تشاء . ولعلها لا تملك الوقوف امام هذه الموجة لو ارادت ان تحتفظ لنفسها بمستوى ادبي وفني عال .

غير ان هذه الحقيقة نفسها ايضا ، لا تمنع من ان تكون هناك فراشة جميلة ترفرف من حين الى اخر باجنحتها الرقيقة على الازاهير والاعشاب النامية على ارض الدماء ، وعصفور تصدح حنجرته على الاشجار التي تشرب عروقها من نجيع النضال . وهذا العصفور وتلك الفراشة هما اللذان يجعلان الحياة تبدو لنا جميلة حلوة ، ويبعثان في نفوسنا دفء الجمال ، وعذوبة الموسيقى ، ويجددان فيها لذة النضال لاجل البقاء السعيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان هناك ادباء لم ينخرطوا في المعركة الا بحدود ، ولكنهم وهبوا الفن والعاطفة الانسانية شاعريتهم وحياتهم ، وراحوا يسكبون على اقدام محرابهما خلاصة مواهبهم وبراعتهم ومشاعرهم ، فلم يسفوا في شعرهم او نثرهم ، ولا انساقوا مع موجة التقليد والغيرة العامة ، ليبتذلوا لاجلها الجمال والفن الخالدين مسايرة للاذواق العامة . ولست أعتبر هؤلاء الادباء منهزمين من تادية الواجب في ميدان النضال ، بل اعتبرهم روادنا الحقيقيين في ميدان الفكر الانساني ، الذين يركزون اعلام ادبنا على تخوم بعاد من آفاق الانسانية الباقية فوق احداث الساعة وحوادث البيئة ، وفوق الثورات والمعارك والدماء ، ويقتربون من آفاق قادة الاداب العالمية الحية الباقية .

ومن هؤلاء الرواد نديم محمد ، صاحب الابيات التي صدرنا بها هذا المقال .

لقد اتيح لي ان اعرف نديم محمد بشخصه قبل ان أعرفه بادبه ، فلمست فيه انطواء على النفس ، واستئناسا بالكأس ، ورهافة مفرطة في الاحساس ، وحذرا من الناس، وتلذذا بالالم والكآبة . واشهد لقد احببت فيه عدم النفاق ، والهرب من الظهور ومن الاعلان عن النفس . وحين تجمع هذه الصفات كلها ، ثم تضيف اليها اغراق نديم في التخيلات ، حتى ليجعل لكل كلمة يسمعها الف معنى غير المعنى الحقيقي المقصود بها ، تجدنفسك امام شاعر صحيح، خلق للشعر وحده ، لا لشيء اخر . ولعله هو عرف ذلك من نفسه ، فانقطع من الحياة الى محراب الشعر يتعبد فيه ويتهجد ، ولا يعطي من عمره شيئا لغيره ، ولغير موحياته الانسانية ، من حب والم وايمان بالجمال .

ثم تلقيت ديوانيه المطبوعين فوجدتهما يجمعان الى صفاته تلك صفتين اخريين، هما عماد الفن الشعري الجميل واداته ، وهما : العبارة الفنية بالموسيقى والخيال ، واناقة الذوق في اختيار اللفظة المناسبة للاحساس المناسب .

ان الشاعر عند نديم محمد بجعة ـ كبجعة الفريد دي موسيه ـ يطعم الناس من قلبه ، ويغذيهم من دمه ، والشعر عطاء سخي ، وفيض من النفس والاحساس ، يقدمه الشاعر كما تقدم الكروم عطاءها سخيا ناضجا ، وما عليها كيف يستقبل الناس عطاءها .

انا اعطيت جنة الحب للنـاس فـالقـوا بجنتي في النار
ما على ناضج الكروم حساب الذوق لـكن عليه بـذل الثمـار

ان الشاعر الحق لا يتميز بكثرة نظمه في كل المواضيع، وكثرة مراعاته لاذواق القراء وميولهم في ما يقدمه لهم من انتاج قلمه ، ولكنه يتميز بمقدار ما يملك من موهبة الابداع الحقيقي في معانيه ، وبمقدار ما في شعره ـ او عطائه ـ من السخاء الحقيقي ، او من الغنى الصحيح والجمال في العطاء . وشعر نديم محمد غني بمعانيه ، ومترف في لفظته المشحونة بالجمال ، وعبارته المشحونة بالموسيقى . ان قصائده سيمفونيات تفيض رقة وعذوبة ، وتحرك المشاعر باصابع سحرية ، وفيها فيض من جمال الابداع في التعبير:

فاذا أطبقت على الشوك اجفاني ففضا بالف سر جميل
وجميل ان تأخذي بيميني للخطايا وترجعي بسلام
ذدت عن مرتع الهناء لباناتي وجوعي ، ولهف قلبي العليل
ومنعت المنى ـ ظماء المناقير ـ من الحوم في مداه البليل
وتقدست في الغرام فحرمت على النفس منزل التحليل
فخذي من جنى الحياة واعطي والبسي الحب ، واخلعي واعيدي
يا لها سكرة ويا لك سكرى لست تصحين من سلاف الوعود
كذبتك الظنون ... رب يدي فقر تسيلان بالغنى والسعود
قسمة الحق بيننا : ان أغني في هواك الدنيا وان تنكريني
يسكر الورد ان تلهثت في الروض وتذكو جوارح النسرين
انما العيش ان يقيك اذى الحر جناحي ، والبرد حر جراحي
فتعالي نهرب على زورق الفجر تعالي قبل اشتهار الصباح
ونعل الصبا... سلاف تناجينا ونرم النجوم بالاقداح

هذه النماذج كلها ـ وهي نماذج قليلة جدا مختطفة من هنا وهناك ـ عناوين حية للعبادة الفنية المعطاء لدى نديم محمد ، العبارة التي تعطي الشعر جماله ، وتنقل سحره الى النفس . واذا كان من اهم خصائص الفنون الجميلة انها تمتع النفس ، فان شعر نديم محمد من هذه الفنون الصافية الجمال ، التي تستغرق النفس في متعتها، وتغمض العين لحظات في عوالمها عن اللهيب والدماء والصراع، ريثما تستعيد نشاطها وشوقها الى الحياة والى الصراع وسعادة البقاء .

اما المذهب الشعري الذي ينطبق عليه شعر نديم محمد فهو المذهب الرومنستي . وانت حين تقرأ ديوانه (آلام) لا تدري لماذا تشعر بانك تعيش في جو ليالي الفريد دي ميسيه .

الكآبة الموسيقية الحلوة التي هناك ، تعيشها هنا من اول الديوان الى اخره ، وهو كله قصة حب واحدة ، ولهفات روح أحبت فحرمت ، وهمسات قلب يعذبه الحب والخيبة ، والشعر فيه صاف عذب ، يسلسل الكآبة ويرقرق الهوى المجرح بصدق عميق .

ولكن القلب الكئيب المعذب بالحرمان والخيبة ، لا يعدم الكبرياء والعنفوان الجميلين في كل ما عدا الحب وعذابه :

أيها المشفقون ! لا تلمسوا الكبر بنفسي ، فتقصروا ايامي
ليس في همتي ، وان وهن العظم ، سوى البأس والقوى والعرام
واحذروني ، فربما انتفض الشريثوبي وهاج بي اجرامي

وايضا :

أنف المضجع الوثير والقى ضلعه فوق صخرة صماء
ساخرا بالجراح يحفرها الشوك سطورا في الجبهة الشماء
وعلى ثغره من الالم العذب انتفاضات بسمة هوجاء
ورأى الناس ضعفه فاذاقوه على الضعف قسوة الغلظاء
ـ والضواري تجلو النيوب شباعا وتحك الاظفار بالاشلاء ـ
فلوى الخد عن حقارة دنياهم وأغضى عينا على الاقذاء
واذا اقبلوا عليه تلقتهم من الانف ... ضحكة استهزاء
عفرت زهوها العتي على رجليه جهم الحوادث الرعناء
في دوامي خطاه لفح المروءات وفي شهقه صدى الكبرياء
« في غد تنحني » ! يقول له الدهر ويأبى مهانة الانحناء
بسمة الرحمة الحقيرة ! لاكنت واهلا بقهقهات العداء !

هذا العنفوان الكبير ، والاباء الجموح ، يتنفسان في وسط الحراب والاشواك الحادة والجراح الدامية ، لا يلبثان ان يتحولا في يد الحب ذلة راضية ، وهوانا عذبا :

لو بغير الهوى يطاولني الدهر لاركزت في النجوم قبابي
ولجردت برد لهوي على البدر ولطمت خده بدعابي
راودتني عشيرتي سدة الشمس وراودتها هوان التراب
ان يكن في الهوى ضلالي ، فهيهات رجوعي الى الهدى ومتابي

ان نديم محمد لا ينظم كلاما ـ كما ينظم الاكثرون ـ ولكنه يسفح جراحا سكرى من قلبه ، ويسكب عصارة من رحيق آلامه . ان اللفظة عنده فلذة من روح ، والعبارة

عنده ذوب احساس . لقد تعذبت روحه كثيرا حتى فاض الشعر من عذابه ، فانطلق خياله يبدع الصور ، وكلها صور تصنع الكآبة العميقة اطرها ، وتخضبها بلون الدماء .

والالام التي فجرت الشعر والخيال في نفس نديم ، فتدفقت على سن قلمه ، الجأته كذلك الى الكأس ، يعانقها ويذيب فيها حروق روحه ، فالكأس ـ وكذلك النارجيلة التي لم ينس نديم ان يصور « خواطرها » ومتعاتها في بعض شعره ـ رفيق لصيق بحياة نديم وبشعره . وهذا بعض ما قاله فيها :

وتلوت على الصدى شهوة الخمر بصدري ، وعربدت في مهادي
وتنبهت ... أين كأسي ؟... على العهد اراها محمومة المنقاد
اسقنيها أحس من حلمة النهد على الطفل ليلة الميلاد
اسقنيها بيضاء من اثم حواء وحمراء من جنى الاكباد
صب لي الري في كؤوسي ، وصب الشبع فيها ، فالخمر مائي وزادي
يسكر الحس ذوقها بخشوع الاثم فيها وعفة الاحقاد
تشرب العين ، قبلها عبق السكر ، فيمشي الخمار في الامداد
كأسها في المدى قصاصة نور افلتت من مشارف الابعاد

وحين تمتلىء نفسه بالالم ، تفيض كذلك بالتشاؤم ، واحيانا باليأس الشديد الناقم الثائر ، وبالقرف من صغار بعض المخلوقات الآدمية وخياناتهم ، فيهتف باصقا من دماء جراحه في وجه الحياة :

انا طيف الشقاء ، يرجمني الكون بلحظ البغضاء والانتقام
انا كالئم ، يرقصون على لحني ويصمون مهجتي بالسهام
انا مشروع صورة خطها المبدع بين الاقدام والاحجام
قبعت في الظلام آمالي الزهر وضلت سبيلها احلامي
فاتركيني أعقر شبابي على الكأس واهرم قبل ارتداد الظلام

وفي مكان اخر يعود فيهتف :

انا صوت القبور ، يرجعني الليل شهيقا مفجرا من غليلي

او يقول ايضا :

ليت حسن الفناء لم يتنفس عن وجودي المشوه المشؤوم

ذلك بعض ما يفيضه عمق الالام وخيبة الحب في نفس الشاعر المرهف من مرارة يائسة ، وتشاؤم اسود . والحب ما هو ؟

الهوى ؟ ذكره رجوع الى الدمع رجوع الى العذاب المرير

واذا ضاق واقع الوجود بمشاعره ، وعجزت الكأس عن ان تنقع غلته ، وتذهب بهمومه وآلامه ، وجد عزاءه ومتعته في مجالي الطبيعة الجميلة في الريف : في سذاجة الريف وجماله ، واطياره وازهاره ، وفي رؤاه الحلوة من ايام الطفولة ، انها لذكريات تعيد الى النفس اشياء من البهجة التي خبت ، ومن حلاوة الطفولة وطمأنينتها الروحية وشعراء الرومنتية ـ منذ كانوا ـ يعبدون الطبيعة ، ويذوبون في جمالها كما يذوب الصوفي في حبه الالهي . وقد اسلفنا ان نديم محمد واحد من هؤلاء ، ولعل ابعدهم اثرا في شعره الفريد دي ميسيه في لياليه الاربع المشهورات .

هاك ما يتحدث به نديم عن ذكريات الريف التي تعيد احلامها الى نفسه البهجة التي سرقتها منه آلام الحب ، ومرارة الحرمان :

حلم نائم ، اضاءت عليه الكوخ في يوم هداة ومرور
حلم في طفولتي حبست نفسي عليه فنام كالمخمور
حلم العيش مفردا في اعالي الربف ، الا من قصبة وسمير
يملأ الفجر عب عيني ، فما تفسل الا في دفقة من نور
وقريب مني خراف على التل صغار ، بيض ، كدر نثير
وغدير غاف على قدم السفح الى الان ... في انتظار الهجير
عيشة ، هذه المباهج أفلاذ حسان من كونها المسحور
وكأني أعيشها ، فارانى عاريا ، ناعما ببرد الغدير
او على المرج ، اوضفاف السواقي اوخلال الغاب المهيب الوقور
ومعي في الفياض اعواد دبق وفخاخ شتى لصيد الطيور
واراني مع الاصيل على مفرق درب ، ومشرف من صخور
والعصافير لها مغرب النور لتشدو له بلحن اخير

ويمضي طويلا في حديث الريف وجماله ومباهجه ، ويتدفق في رؤاه رائعا ساحرا ، حتى ليكاد ينسى كل شيء عدا جمال الكون ومفاتنه وبساطته واغاريده . وكأنما ثابت اليه نفسه ، وثابت اليه كبرياؤه وانفته ، فرأى ان التمرغ في الوحل لاجل الهوى الفاشل شيء لا يليق برجولته ، فاذا به ينتفض ، فيزول عنه القبر والكفن ، واذا الحمم تتدفق هادرة على قلمه في وجه تلك التي احالت جنته جحيما ، وحبه شقاء ذليلا :

مرغي مرغي جبينك في النقع وغوصي الى القرار النكير
واتيحي للدود ان يرتعي منك بقايا حسن دفين نضير
ملأ الطين مقلتيك ازورارا ومحا منهما جمال الفتور
فاحملي عباء الثقيل ، وهذا بعض ما يستحق كبر الصغير
وان عار الحياة ان تلبس الدنيا على اهلها ضلوع الغرور
انت جوع اللظى الى الورق الاخضر والزهر والنوى والقشور
مات أمسي ، ولن أرد اليه العين ، فاستغفري علي وثوري

وعند هذا تنتهي قصة (آلام) نديم محمد ، ذات الاناشيد الاثنين والعشرين ، والصفحات المئتين والستعشرة . ومن هنا ينطلق نديم حر النفس والهوى والشعر ، ليصبح فراشة تحوم على كل روض ، وتقع في شباك عناكب الحب بغير حساب ، ولكنها لا تموت بين الخيوط ، ولا تبقى في اسرها طويلا . واذا كان ديوان (آلام) تعبيرا ـ في اغلبه ـ عن رضى النفس بذلة الحب ، مع كبريائها العارمة في كل ما عداه ، فان نديم محمد في (فراشات وعناكب) يتحول نحلة تشتار الرحيق من كل روض ، وتترك على كل زهرة اثرا من عسلها الحلو . ففي كل قصيدة نداء حب جديد ، واطلالة حبيب جديد ، وفراش غرام جديد :

ذهب الربيع فلا زنابق في الربوع ولا اقاحي
والموت ! هذا طيفه السكران في كأسي وراحي
ما هم ؟! أحمله واحبسه باحضان الملاح
واهز في وجه الحياة يدي ، واسمعها صياحي
جاوزت غايات الكفاح وعز القناء السلاح

ويصبح شعار حياته الجديد :

لوموا ، فما انا من يحوم على المياه بغير ورد
أنا طائر ، أحيا ربيعي بين غاليتي ونسدي
لي خطوة من فوق أغصاني الى أعماق لحدي

انه في (فراشات وعناكب) قيثارة انغام عذاب ، لا دموع فيها ولا يأس ولا مرارة ، ولكل قصيدة من شعره حلاوة ونكهة لا يغيبهما النسيان بسرعة ، ولكل بيت رنين يظل يتردد في النفس طويلا بعد الانتهاء من قراءته :

سألت تلاعبنا الصغار عن المعابثة الصغيره
سألت عن الارجوحة الزرقاء واللعب الكثيره
وعن الملاءة نستعين بها على حر الظهيره
وعن العقود من الزهور البيض والحمر النضيره
سألت عن الجنية الشقراء عن أم الضفيره
ما زال من ضحكاتها في مسمعي ذكرى أثيره
وعلى فمي قبلاتها لم تمح ، ناعمة ، عطيره

وايضا :

املاعبي ! لا تحسبيني ضعت في درب العقوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر والموسيقى

معرفة

العلاقات القائمة بين الشعر والموسيقى ، تستلزم اكتناه جميع الروابط التي تقارب او تباعد بين عناصر الشعر وعناصر الموسيقى حتى يصير بالامكان جلاء حقيقتهما المشتركة ، وتعيين الاساس الذي يجعل من المحتوم ، ضرورة بحثهما على صعيد واحد .

ما هو الشعر ! ؟ وما هي الموسيقى ؟؟

كيف كان تطور الشعر والموسيقى منذ بدء كينونة الكلمة والنغم ؟ وكيف انتهى تطورهما الى الواقع المعاصر والى ما يمكن ان يقال فيه ويزاد عليه انطلاقا منه ؟

الجواب على السؤال الذي تطرحه معضلة وجود الشعر ، ووجود الموسيقى يفترض الاجابة على السبب الذي من اجله كان الشعر وكانت الموسيقى في حياة الانسان .

ان تاريخ الفكر سار الى هذا الهدف متوسلا المحاولات التي قام بها اهله سواء من الشعراء ام من النقاد ام من الموسيقيين انفسهم بنسبة ما استطاعوه في مجرى تدافع الزمن ، ومن خلال التيارات الفكرية والشعرية والفنية على تنوعها .

ولم تبرز قضية الشعر والموسيقى بوضوح الا بعد القرن السابع عشر عندما انتقل الشعر من قيود الكلاسيكية الى انتفاضة الرومانطيقية الحية ، حيث بات الحب والالم والنحيب والخوف من الحياة ، وعليها نوافذ يطل منها الشعراء على الحياة والكون باحثين في الوجود عما يتجاوب والابعاد الرحيبة في وجدانهم المتحرك النشوان .

وحين تحول الشعر عن الرومانطيقية الطلق الى الرمزية الاخذة في التعمق اكثر فاكثر عبر الداخل ، كان اساس تحوله ناتجا عما ادركه بودلير من وجود صلات متجاوبة بين اجزاء الكون وبين الانسان والوجود بصورة ادق . وجاء فرلين يتحدث عن الشعر بالشعر فيقول في احد ابياته :

.. « من الموسيقى قبل كل شيء ... »

وما حمل فرلين على اعلان هذا الرأي ومكنه من الاستناد اليه مبدئيا في نظم قصائده ، هو اقتناع باطني قد يتجاوز مقاييس المنطق ، وانما يتكامل تذوقه بمجرد تذوق جمال الشعر .

ومظاهر التزاوج الحاصل بين الشعر والموسيقى تتجسد في كثير من الشعر الحديث ، وهو الذي بدا يكون عصارة الثقافة الشعرية المختمرة في طريقها الصاعدة ابدا الى الجديد والرائع .

يقول صلاح لبكي في قصيدة له نظمها في خليل مطران :

فيا ايها المستنطق الغيب ما ترى شهدت ؟ وهل غيب هنالك ثان ؟

فمنذ مطلع البيت يندفق الشعر ويرافقه نغم النداء الشجي الفياض بالتأوه والالم الكئيب

وبمعزل عن المعنى في البيت كمعطى مستقل ، أي فرق يبقى بين الشعر من حيث هو متعة هانئة ، والموسيقى من حيث هي انسجام رقراق يغمر الاحاسيس طربا وسحرا

وهذه المفاجأة الجمالية ينطلق بها صلاح ويندفع سريعا في انطلاقه تملأ كل ما جاء في البيت ، حتى لا يظل من السهل تمييز بين فكرة مترنحة يحملها النغم وروعة حالمة يسكبها المعنى .

اذن ، هو التقارب المتلاصق الحميم بين الكلمة والنغم يتجلى في الشعر .

وابعد من ذلك فان الكلمات التي تؤلف هيكل الشعر هي اجزاء موسيقية باعتبار ان كل حرف في الكلمة التي ينطوي على صوت جميل خاص ، وان مجموعة التحركات الصوتية تؤلف جوقة الحان متكاملة تنعكس صورة جميلة وموسيقى عذبة شرط ان يجوهرها الفن .

ولقد تقدم الشعر العالمي الحديث في اتجاه هذا الافق الجديد فبلغ مالارمه وفاليري الى صفاء نقي في اشعارهما : الى التوحيد بين الشعر والموسيقى ، وظلت التيارات تصطخب فظهر وله السوريالية ، وظهرت الحرفية التي لا يهمها اي معنى في الشعر سوى ان تحتوي حروفه انغاما سكرى محرورة .

الى أين قد تنتهي قضية الشعر والموسيقى ؟

ان تطورات جديدة ستقبل وان غرائب لا يفسرها العقل الكلاسيكي ستطل .

المهم في هذا النطاق الان ان الشعر والموسيقى يصدران عن ينبوع فني واحد هو الحياة في جوهرها الاصيل المتحرك .

جورج رجي

شفة الصفيرة طعمها ما زال في شفتي وريقي
لم انس مدرجها على صدري ، وماخذها بزيقي
عبقت باشعاري ، فهذا الطيب من شعري العبيق

وكذلك :

شقي دروب العطر بالقدم الطرية كالنسيم
صحي نعاس الماء ، لي الحر عن فيء الكروم
في خيمتي ما شئت من طرف السعادة والنعيم
علقت في أحنائها قمرا ومن كل النجوم
ودني أغان قطفوها من اخادير الحريم
في خيمتي خبز الحياة وخمرها بيدي كريم

لقد قسم نديم ديوانه هذا الى قسمين : الاول (للفراشات) وكله حب ولهو وطرب ، والثاني (للعناكب) وكله شعر اجتماعي ووطني . ولكن العبارة في القسمين واحدة : انها عبارة نديم محمد الغنية بالشعر والاحساس والخيال والجمال .

لقد قلتها من قبل ، واعيد قولها ههنا : ان نديم محمد شاعر من الرواد الذين يركزون اعلام ادبنا العربي على آفاق بعاد ، لتقترب من أعلام ادباء الانسانية الخالدين . ونحن في حاجة الى شعره في قلب خنادق نضالنا الدامي .

ان القطعة الموسيقية الجميلة ، والقصيدة الشعرية الرقيقة ، تشحذان الاحساس ، وتولدان في النفس شوق الحياة ، ولذة البقاء .

عمان عيسى الناعوري

انتظار

لعدنان مردم بك

دمشق

أي طيف في صفحة الجوزاء ... يتهادى بالحلة الحمراء
أبقايا الانوار في غسق الليل ... طوتها مطارف الظلماء
ذاك ركب المغيب ينهب ركضا ... باختيال المدل صدر السماء
أطرق الكون حين آذنت الشمس ... ببين كمدنف من عياء
وترامى الصفصاف من مضض ينزو ... كشلو مضرج بالدماء
وتهاوت كتائب الطير تطوي ... في الفضاء البعيد رحب الفضاء
لا تبالي والريح تعصف في الافق ... كيم عوادي النكباء
كلما دب في الجناح فتور ... أو توانت من سورة الاعياء
ذكرتها الرؤى لواعج شوق ... وحنين لرؤية الابناء
ودعاها الهوى المبرح في الصدر ... فتلقي زمامها عن رضاء
غمر الارض بالكآبة ليل ... مدلهم يجيش بالانواء
فاستتر الفضاء اذ نشر الليل ... جناحا في شملة سوداء
واستطابت حلو المنام عيون ... أجهدتها بهارج الاضواء
النفوس الظمأى يهدهدها الشوق ... فتغفو على نشيد الرجاء
والفؤاد الجريح يطمعه الوجد ... بوعد من كاذب الاهواء
نام من في الوجود غير كئيب ... يتلظى من وحشة وعناء
ليت شعري من ذا أثار شبا الوجد ... بصدر الحسناء عند المساء
درجت والظلام منعقد الستر ... بذعر كالحية الرقطاء
واستترت ببرقع من ظلام ... حين راحت عن أعين الرقباء
ما دهاها وقد تملكها اليأس ... فحارت كريشة في الهواء
أعرتها لواعج الالم المر ... فناءت من نهشة الادواء
أخذت ترمق الفضاء وترعى ... بالتياع جوانب الجوزاء
وهي حيرى من الوساوس تهب ... لسهام الاهواء والارزاء
تتلوى من الاسى كزنيف ... صدمته حرافة الصهباء
ليت شعري ما تبتغي حين راحت ... ترمق النجم في عنان السماء
أتراها تستطلع النجم عما ... خباته لها صروف القضاء
أي شيء عند السماء لمن بات ... يرجّي السماء غير ازدراء
يضرع المرء حين يدهمه الخطب ... ويذري مدامع الضعفاء
ويمد اليدين مد ذليل ... مستجيرا في النكبة العسراء
غير ان السماء عن كل شكوى ... لا تعير الحزين اذن اعتناء
سئمت وحشة السماء فولت ... بجفاء وجها الى الدأماء
علها تستبين في البحر امرا ... كتمته جوانب الجوزاء
فاذا بالنداء يخنقه الموج ... ويخفي المحيط كل نداء
وتضيع الامال في لجج البحر ... وتطوى الاخبار طي خفاء
كم حزين أتى الشواطىء يستجلي ... ببشر غوامض الاشياء
يسأل البحر عن حبيب تناءى ... مستعيدا ايام عهد اللقاء
وينادي العباب هل من رجاء ... في لقاء الحبيب بعد التنائي
أي شيء سوى التبرم يتلى ... في زفير المحيط من انباء
ينفث البحر نفثة الالم المر ... كمضنى يجود بالحوباء
ثائر صاخب يزمجر هدارا ... ويرغى من قسوة وجفاء
تتهاوى امواجه حين تهوى ... كخيول في حومة الهيجاء
ولصوت الرياح انة شكوى ... من حزين في فحمة الظلماء
ضاق صدر الحسناء ذرعا فراحت ... تترامى شطر الحمى من عياء
شفها أن يضيع في صخب الموج ... لفاها وينطوي كالهباء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة لانطون تشيخوف

متاعب الغير

ترجمة حسن السعران

عندما اخذ كوفالوف – وهو محام من الشباب الناهض – مكانه في العربة الى جانب عروسه في طريقهما الى القرية، لم تكن الساعة قد بلغت بعد السادسة صباحا. ولم يكن قد سبق له او لزوجه، الصحو من النوم مبكرا هكذا. فراعهما هدوء الصباح صيفا وبدا لهما اشبه شيء بمنظر في قصة خيالية. الارض مكسوة بخضرة ساحرة تتلألأ من فوقها حبات الندى تزيدها روعة وجلالا. والشمس تتساقط اشعتها قطعا لماعة فوق الاشجار ويتراقص نورها على صفحة النهر. وبدت الطبيعة من حولها – على غير العادة – ندية ريانة بهواء الصباح الازرق الشفاف الذي يلفها وكانما قد فرغت في التو من حمام منعش جعلها اكثر شبابا واوفر صحة.

واحس كوفالوف ووزجه – كما اعترفا بذلك فيما بعد – بان هذا الصباح هو اسعد صباح عرفاه في حياتهما كلها. وراحا يتحدثان دون انقطاع، ويغنيان، ويضحكان بلا سبب، ويلهوان معا دون استحياء حتى شعرا في اخر الامر بشيء من الخجل امام سائق العربة. وظللتهما السعادة بجناحيها وكانها لهما حاليا ومستقبلا. ها هما في الطريق لابتياع بيت ريفي ورقعة صغيرة رومانتيكية ولكم كانا يحلمان بها منذ تزوجا. لكأن المستقبل يحمل لهما في طياته اطيب المفاجآت السارة. هو، يحلم بمستقبله واستقلاله وعمله الريفي ونتاج جهده الشخصي وبالحياة الزراعية السمحة عامة، كما تراءت له مما قراه عنها او سمع به. واما هي، فقد فتنها الجانب الخيالي وحده من طرق وممرات تظللها الاشجار، ومباهج رياضة الصيد، وليالي الريف العاطرة.

وسرعان ما مضى الوقت في حديث وضحك وطوت العربة مسافة اثني عشر ميلا. وكانت عزبة ميخالوف التي يتجهان اليها تقوم على ربوة عالية شديدة الانحدار قرب ضفة النهر، وتختفي وراء اشجار كثيفة فلا تكاد العين تبين سقوف ابنيتها

وقال كوفالوف عندما عرجت العربة الى الداخل عند الضفة الاخرى من النهر: يا له من منظر بديع! البيت فوق التل والسفح عند النهر! منظر رائع حقا! ولكن انظري يا فيروكا الى هذا الدرج، انه لا يتناسب مع البناء. بل يكاد يفسد المنظر باكمله ويشينه. لا بد من ان نبدل هذا الدرج باخر من حديد عندما نشتري هذا البيت.

وكذلك اعجبت فيروكا بالمنظر، وضحكت عاليا، وسرى الاعجاب في كيانها كله، فاسرعت تقفز على الدرج ومن ورائها زوجها يحاول اللحاق بها، وقد داعب الهواء شعرهما وقطع الصعود انفاسهما، وكان اول من لقياه عندما بلغا الشجيرات المحيطة بالبيت فلاحا ضخما كثيبا كث الشعر يجلس متراخيا تحت سقيفة يمسح حذاء صبي.

فساله كوفالوف: هل السيد ميخالوف بالبيت، قل له اننا جئنا لرؤية البيت؟ وتطلع الفلاح الى الزوجين في شيء من الحيرة، واخذ يهرول ناحية المطبخ الذي يقع الى جانب البيت. ولمح وجوها اكثر حيرة من الفلاح تطل من نافذة المطبخ. وصاح صوت يقول: جاء مشترون. يا لله! بيت ميخالوف يباع! انظر كم هما صغيران!

ونبحت بعض الكلاب من بعيد، وماءت بعض القطط كانما داس ذيولها احدهم وهو يسرع الخطى. وسرت الاثارة التي استحوذت على الفلاحين فشملتهم جميعا، وامتدت عدواها ايضا الى الدجاج والاوز والديكة التي كانت تتهادى حول البيت في دعة وامان. وسرعان ما برز من المطبخ صبي اشبه بخادم راح يحملق الى كوفالوف وزوجه ثم اسرع صوب البيت، وكان يحاول ارتداء جاكتته اثناء سيره. ووجد المحامي وعروسه في هذا الاضطراب بعض التسلية فانطلقا يضحكان معا.

وتبادل المحامي الشاب النظر مع زوجه قائلا: يا لها من وجوه غريبة! انهم يتطلعون الينا كما لو كنا نفرا من المتوحشين!

واخيرا طلع من البيت رجل نحيل حليق الوجه تبدو على وجهه الشيخوخة واخذ يتقدم بخطى مسموعة – وكان في قدميه زوج من الخفاف العتيقة المذهبة – ثم ابتسم ابتسامة مرة ونظر للضيفين اللذين جاءا على غرة نظرة جامدة.

ورفع كوفالوف قبعته محييا ثم قال: السيد ميخالوف، اليس كذلك؟ كيف حالك؟.. هذه زوجتي لقد قرأنا اعلان البنك الخاص ببيع البيت والارض، فجئنا لنلقي عليهما نظرة لعلنا نشتريهما.. هل تتكرم وتسمح لنا بذلك؟

وابتسم ميخالوف ابتسامة مرة، وتملكته الحيرة، ودعك عينيه. وزاد اضطرابه هذا من شعث شعره، وارتسم على وجهه الحليق مزيج من الخجل والحيرة الى درجة ان كوفالوف وفيروكا نظر كل منهما الى الاخر، ولم يكفا عن الابتسام.

وقال العجوز: يسرني معرفتكما يا سيدي.. انني رهن خدمتكما.. اجئتما من بعيد يا سيدي؟

– من كونكوف.. اننا نقطن هناك فيلا صغيرة.

– تعيشان في فيلا.. وتبحثان عن بيت ريفي.. صفقة غريبة! مرحبا بكما! ارجو المعذرة، لقد تاخرنا في النوم هذا الصباح، والبيت بادي الاضطراب.

وبعد ان ابتسم ميخالوف ابتسامته المرة ودعك يديه، قاد الضيفين الى الجانب الاخر من البيت. ووضع المحامي نظارته على عينيه وبدا ينظر فيما حوله نظرة سائح يريد معرفة المكان. فراى اول شيء بيتا كبيرا من الحجر، عتيق الطراز معقد الشكل، تكسوه طبقات متداعية من المصيص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محلاة بنقوش عتيقة .. ونوافذ البيت من زجاج عديد الالوان ، اما سقفه فيبدو كأنه لم يعرف الطلاء منذ عهد بعيد . وفي الثغرات التي تتخلل الدرج تبرز حشائش خضراء نامية .. كل شيء يبدو عليه التهدم والقدم والاهمال ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد اعجبهما البيت .

ومد المحامي ببصره الى بعيد ثم قال : آها : توجد بركة ماء ايضا !هذا ممتع جميل . أتراها عامرة بالسمك؟

ـ كانت فيما مضى حافلة بسمك البلوط ، ولكنها اهملت ولم تحظ بأية رعاية او تنظيف فملت سمكها .

وعلق كوفالوف على ذلك بلهجة الناصح الامين قائلا : واأسفاه ! ان بركة المياه ينبغي تنظيفها ورعايتها .. وكلما زاد تنظيفها كلما زاد الانتفاع بما فيها من حشائش مائية كسماد للحقل . أتعرفين يا فيرا (فيروكا)انه عندما نشتري البيت يحسن بنا ان نشيد في وسط البركة بيتا صيفيا صغيرا فوق اعمدة مائية ، ونمد اليه جسرا صغيرا . لقد رأيت من قبل بيتا كهذا لدى الامير افرنتوف .

وتنهدت فيروكا راضية النفس وعقبت بقولها : وعندئذ نستطيع تناول الشاي وحولنا مياه البركة .

وما هذا البرج ذو المسلة ؟

فاجاب ميخالوف : انه جناح الضيوف .

ـ انه في غير مكانه ، فهو بعيد ومنعزل ! سنهدمه . بالاختصار لا بد من هدم الكثير . الشيء الكثير !

وفجأة انبعث صوت واضح النبرات ، صوت امرأة تنوح وتبكي . وتطلع الزوجان حول البيت ، وفي نفس اللحظة فتحت نافذة اطلت من زجاجها عينان واسعتان دامعتان ، لمعتا برهة ثم اختفت صاحبتهما اذ احست بالخجل .

وتجعد وجه ميخالوف على كثرة ما فيه من تجاعيد وابتسم ابتسامته المرة ثم اسرع يقول : هيا نلقي نظرة على الحديقة وارض البيت ، هيا بنا على كل حال ليس البيت بالشيء المهم في الصفقة فملحقاته وارضه هي الاهم

وقاد الزوجين لرؤية الاسطبلات ومخازن الغلال ، واخذ المحامي يتبين حجم المخازن ، ويتطلع حواليه ويدقق النظر ويعلق على كل شيء مستعرضا معلوماته الزراعية . وسأل عن جملة مساحة الارض وجملة رؤوس الماشية واخذ ينتقد سياسة البلاد في قطع الاحراج وتبديدها . ويلوم ميخالوف لتبديده كل هذه المساحة سدى دون زراعة .. الى غير ذلك . وكان يتطلع في اثناء حديثه الى وجه عروسه في الحين بعد الحين ، وما كانت هي ترفع عنه عينيها الحبيبتين لحظة واحدة . وكان لسان حالها يقول : كم هو ماهر!

وبينما اخذا يتفقدان حظائر الماشية سمعا مرة اخرى بكاء امراة . فتساءلت فيروكا : ترى من الباكية ؟

واشار ميخالوف بحركة من يده ودار بعيدا .

وعلا النحيب بشكل هستيري لا حد له .

فهمست فيروكا قائلة : غريب هذا، ما اشبه ذلك بمن يضرب اويذبح .

فقال ميخالوف : انها زوجتي ، بالله لا تحفلا بأمرها .

ـ وماذا يبكيها ؟

ـ انها امراة ضعيفة يا سيدتي ! وليست تطيق رؤية بيت العائلة معروضا للبيع .

فتساءلت فيروكا : حسنا ، ولماذا تبيعانه ؟

ـ نحن لا نبيعه يا سيدتي ، البنك هو الذي يبيعه ..

ـ هذا غريب ، ولم سمحتم له ؟

وحملق ميخالوف في وجه فيروكا الوردي مذهولا وهز كتفيه ثم قال : علينا ان ندفع فائدة البنك . الفان ومائة روبل كل عام ! من اين لنا بها ؟ انها مصيبة تقصم الظهر . والنساء ضعيفات بطبعهن وزوجتي كاسفة البال ، يؤلمها بيع بيت العائلة ، ويمضها الحزن من اجل الاولاد ومن اجلي ومن اجل الخدم . وقولك انه ينبغي هدم هذا وذاك كان بمثابة خنجر سدد الى قلبها .

وما ان عاد الزوجان ناحية البيت حتى لمحا صبيتين صغيرتين يتوسطهما تلميذ حليق الرأس ـ ابناء آل ميخالوف

ـ يطلون من احدى النوافذ ، ترى فيم يفكر اولئك الصغار وقد رأوا المحامي وعروسه يتفرجان على البيت والارض . من يدري لعل فيروكا ، قد ادركت ما يدور برؤوسهم الصغيرة . ترى لماذا تغير في ناظريها هذا الصباح المنعش الذي اكتحلت به عيناها ، واين ولت نشوة تلك الرؤى الحالمة والمناظر الحلوة التي سحرتها وفتنتها . ها هي تجلس في العربة الى جانب زوجها كالشاردة ، وفجأة تقول لزوجها وهما في طريق العودة : كل شيء يبدو كئيبا لا بهجة فيه .. الا ترى انه يجب ان نمدهما بالفين ومائة روبل وندعهم يعيشون في ارضهم .

وضحك كوفالوف قائلا : انت ذكية ولا شك ! أي حيلة لنا غير الرثاء لحالهما . على كل حال فاللوم واقع عليهم . لماذا رهنوا الارض ؟ ولماذا اهملوها الى هذا الحد ؟ ليس للمرء ان يبدد عطفه هدرا من اجلهم ، لو انهم احسنوا رعاية تلك الارض ، ولو انهم استعانوا بوسائل الزراعة المجدية واعتنوا بتربية الماشية والاغنام لعاشوا عيشة راضية . ولكنهم لم يفعلوا شيئا ، اولئك الاغبياء .. أرأيت سحنة وجهه ، لا بد انه معتوه ومقامر . ولا بد انها مسرفة مفتونة بالشباب . انني اعرف امثالهم .

وكيف تستطيع معرفة ذلك يا عزيزي ؟

ـ اعرف ذلك ! انهم يشكون من انه ليس لديهم ما يسددون به الفوائد للبنك . كيف لا يستطيعون الحصول على الفي روبل ؟ لو انهم استخدموا وسائل الزراعة المجدية ، وسمدوا التربة ، واهتموا بتربية الماشية والاغنام . على العموم لو انهم حسبوا حسابا للزمن والمستقبل لاستطاعوا التكسب حتى بفدانين من تلك الارض !

وراح المحامي يدردس هكذا طول الطريق في العودة الى البيت ، وكانت زوجته تصغي اليه وتؤمن بقوله ، ولكنها لم تستطع ان تستعيد مرحها السابق ، فما كانت تفارقها ابتسامة مخالوف المرة ، ومشهد الدموع التي انسابت من عيني زوجته وهي تطل من النافذة .

واخيرا حان موعد مزاد البيع ، وحضره المحامي السعيد واستطاع اخر الامر ابتياع بيت ميخالوف وارضه بمبلغ الدوطه ، واحست الزوجة بشيء من القلق ينتابها . واخذت اطياف عائلة ميخالوف تراودها ، فلم تنس مشهد الاسرة

[التتمة في صفحة ٧٢]

حسن السعران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد لرابندرانات طاغور

ترجمة الدكتور بديع حقي

النهاية

اقد الترحل ، يا امي ، فانا ذاهب.

حين تمدين ذراعيك ، في الغلس الشاحب من الفجر المنزوي نحو وليدك في السرير ، فلسوف اقول لك : ليس طفلك هنا ، اماه ، أنا ذاهب

سوف احول الى زفرة طرية من النسيم تداعبك ، سوف احول الى غضون الماء حين تستحمين فيه فالمثك والثمك .

وحين يجلد المطر ، في الليالي العاصفة اوراق الشجر ، سوف تسمعين ، وانت في السرير همسي ، وسوف تشع ضحكتي مع البرق ، وتنسرب من النافذة المفتوحة الى غرفتك .

وحين تأوين الى مضجعك وينقضي هزيع كبير من الليل وانت تفكرين بابنك فلسوف اغني لك من ذرى النجوم : نامي يا امي نامي ، ولسوف اتدحرج على اشعة القمر الهائمة حتى اشارف سريرك واضطجع على صدرك وانت نائمة .

سوف انقلب الى حلم وانزلق من اجفانك المنفرجة حتى اصل الى اغوار نومك ، وحين تستيقظين وتجيلين طرفك حواليك ، وانت مرتعشة ، فلسوف املس من الظلمة، مرفرفا ، كانني يراعة مضيئة .

وفي عيد (بوجا) الكبير حين يقدم اطفال الجيران ليلعبوا ، في فناء الدار، فلسوف اذوب في موسيقا الناي واخفق في قلبك ، سحابة اليوم .

سوف تقدم خالتي الطيبة ، حاملة هدايا عيد (بوجا) وسوف تسألك : اين طفلك يا اختي ؟

سوف تقولين لها في رقة : انه في انسان عيني ، انه في جسدي ، انه في روحي .

النداء

كان الليل داجيا حين مضت ، وكانوا مستغرقين في سبات .

الليل حالك ، الان ، وانني اناديها : عودي يا حبيبتي فان الكون غاف ، وقد لا يدري احد ان قدمت لتمكثي فترة قصيرة ، بينا تتلامح النجوم .

لقد مضت ، حين كانت الاشجار مبرعمة ، وكان الربيع في سحرة شبابه .

ان الازهار منورة ، الان ، وانا ديها: عودي يا حبيبتي ، الاطفال يقطفون الازهار ، ثم يبعثرونها في غمرة لهوهم الغافلة ، وان عدت وتناولت زهرة صغيرة ، فلن يشعر احد بفقدانها .

ان الذين كانوا يلهون لا يزالون يستمرئون اللهو ، فما اكثر ما تبدد الحياة .

واصغي الى لغوهم ، واقول : عودي يا حبيبتي ، فان قلب امك يطفح بالحب ، حتى حفافيه ، فان عدت وخلست منها قبلة صغيرة واحدة ، فلن ينفس بها على امك اي انسان .

طلائع الياسمين

آه ، يا لهذا الياسمين ، هذا الياسمين الابيض !

احسب انني لا ازال اذكر اليوم الاول الذي ملأت فيه ذراعي بهذا الياسمين ، بهذا الياسمين الابيض .

لقد شغفت بنور الشمس ، بالسماء بالارض الخضراء .

لقد تناهى الى سمعي الخرير الناعم من النهر المترقرق في ظلمة منتصف الليل .

لقد سعى الخريف وغروب الشمس الى لقائي ، عند منعطف الطريق ، في العزلة المنزوية ، كعروس تحسر عن خمارها لتستقبل حبيبها .

لما تزل ذاكرتي معطرة ، بطلائع الياسمين الابيض الذي ملأت به ذراعي ، حين كنت طفلا صغيرا .

لقدمرت في حياتي ايام رغيدة ، ولقد ضحكت ، مع اللاهين ، في ليالي الاعياد .

وفي الاصباح المربدة الممطرة ، جعلت انغم شتى الاغاني الوانية .

لقد احطت عنقي بطوق مسائي من زهر الباكولا ، مضفور بيد الحب .

لما تزل ذاكرتي معطرة بطلائع الياسمين الريان الذي ملأت به ذراعي حين كنت طفلا صغيرا .

الساعة الثانية عشرة

اماه ، انني اتشوف الى ان ادع دروسي جانبا ، لقد عكفت على كتبي، منذ متوع الصباح .

تقولين ان الساعة لا تتجاوز الثانية عشرة ، ولكن ، افترضي انه لا يوجد اي تأخر ، افلا تستطيعين ان تتصوري ان العصر قد حل ، بينا تشير الساعة الى الثانية عشرة .

بميسوري ان اتخيل في يسر ان الشمس قد لامست طرف حقل الارز، وان الصيادة العجوز تقطف الاعشاب، لتعدها عشاء لها ، الى جانب البركة.

انني اقدر ان اغمض جفني لاتمثل الظلال ، تزداد قتامة ، تحت اشجار المادار ، ويتراءى ماء البركة اسود براقا

ما دامت الساعة قد تشير في الليل الى الثانية عشرة فعلام لا يتسق لليل ان يحل حين تشير الساعة في الظهيرة الى الثانية عشرة ؟

حرفة الكاتب

تقولين ان ابي يؤلف شتيت الكتب بيد انني لا افقه شيئا مما يخط .

لقد انفق السهرة كلها ، وهو يقرأ لك، ترى أتدركين ، في الحق ، ما يعنيه ؟

اي حكايات طريفة تستطيعين انت ان تقصيها علينا يا امي ، وانني لاتساءل عجبا ، علام لا يكتب ابي مثلها ؟ ترى الم تقص عليه امه حكايات المردة والجن والاميرات ؟

تراه قد نسيها كلها ؟

وفي الغالب، حين يتلكأ في الذهاب الى الحمام ، فان عليك ان تمضي وتناديه مائة مرة .

انك تنتظرينه وتجهدين في حفظ صحون الطعام ساخنة ، من اجله ، بينا هو لا يني يكتب ، ناسيا كل شيء

* من مجموعة طاغور الشعرية « الهلال » التي ستصدر قريبا ترجمة الدكتور بديع حقي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان ابي يلهو دوما بتاليف الكتب .
وحين يتفق لي ان اذهب لالهو في غرفته ، فانك تبادرين الى البحث عني وتدعينني بالطفل العابث .
وحين تتناهى مني اقل ضجة ، فانك تخاطبينني : الا ترى الى ابيك وهو يشتغل ؟
أي لذة يستمرئها في ان يكتب ويكتب ويكتب ؟
وحين امسك بقلمه او بريشته واخط في دفتره ، مثلما يفعل : ا ، ب ، ج ، د ، ه ، و ، ز فعلام تسخطين علي يا امي ؟
انك لا تنبسين ببنت شفة حين يكتب ابي .
وحين يبدد ابي اكواما من الورق ، فلا يكرثك ذلك ابدا .
ولكن حين امسك بوريقة واحدة لاصنع منها قاربا فانك تقولين : يا لك من طفل مضايق !
ما رايك اذن بأبي الذي يخربش في صحائف وصحائف ويملأها بخطوط سوداء في كلا وجهيها ؟

الساعي الشرير

علام تقتعدين الارض، هادئة صامتة ؟ قولي لي ، يا امي الحبيبة .
ان المطر يهمي من النافذة المفتوحة ويبلل جسمك كله ، وانت غير آبهة لذلك .
الا تسمعين درداب الطبل يدوي اربع مرات ، لقد ازف اوان عودة اخي من المدرسة الى البيت .
ماذا دهاك ؟ لماذا تتراءين كئيبة ؟
الم تتلقي ، اليوم ، رسالة من ابي ؟
لقد رايت الساعي يحمل الرسائل في قمطره ليوزعها على معظم اهالي البلد بيد انه يحتفظ برسائل ابي ، ليقرأها وحده ، انني لموقن بان الساعي رجل شرير .
ولكن ، لا تحزني لذلك ، يا امي الحبيبة .
ففي غد ، تقام سوق القرية المجاورة ، اطلبي الى الخادم ان تشتري لك اقلاما وورقا .
سأكتب انا رسائل ابي كلها ، ولن تجدي فيها خطأ واحدا .
سأخط ، ابتداء من حرف الالف الى حرف الكاف .
ولكن علام تبتسمين يا امي ؟
الا تعتقدين ان في ميسوري ان اكتب مثل ابي ، كتابة جميلة ؟
غير انني سأسطر الورق بعناية ، سأخط الحروف كلها كبيرة رائعة .
وحين انتهي من كتابة رسالتي ، افتظنين انني سآخذ بمدرجة ابي المخبول فارمي بالرسالة في قمطر هذا الساعي البغيض ؟
سأحملها انا اليك ، دون انتظار ، ساعينك على قراءة خطي، حرفا فحرفا انني اعلم ان هذا الساعي لا يودان يحمل اليك الرسائل الرقيقة .

البطل

اماه ، لنتصور اننا ماضيان في الرحيل واننا نضرب في ارض عجيبة محفوفة بالمخاطر .
انت تسعين في حداجتك وانا على صهوة كميت يخب الى جانبك .
الشمس تجنح الى المغيب . انه المساء . وتمتد مفازة (جواردبغي) جهمة غبراء ، في منسرح نظرنا ، وتنفسح البيداء قفراء جرداء .
وتفكرين واجفة ، وتتساءلين : لا أدري انى وصلنا ، واقول لك : اماه ، لا تخافي .
المرج مكسو بالاعشاب الشائكة ، تعدو في بعض اطرافها درب ضيقة. وفي المدى الوسيع ، لا يبين اي قطيع، فقدعادت القطعان الى حظائرها في القرى .
الحلكة تنتشر ، والظلمة تغمر الارض والسماء ، ونحن لا ندري انى ندلج .
وتناديننني ، فجاة ، وتسالينني بصوت خفيض : ما هذا النور الذي يشع قرب الشاطىء ؟
في تلك اللحظة يدوي زئير مخيف وتهرول اشباح نحونا .
وتتمسكين بحداجتك وترددين اسماء الله ، في دعائك .
ويفزع الحمالون ، الى اجمة شائكة وقد ارتعدت فرائصهم ، فرقا ورعبا.
واصرخ : لا تفزعي يا امي ، فانا هنا وتقدم المغيرون ، شيئا فشيئا وقد بدوا شعث الشعور ، واشرعوا في ايديهم العصي الطويلة .
واصرخ : احذروا ايها الاشرار ، ان خطوة واحدة تنتهي بكم الى الردى .
ويتعالى من جديد زئيرهم المخيف، ويتقدمون الى الامام .
وتشدين على يدي وتقولين : بحق السماء يا طفلي الحبيب ، ابتعد عنهم واقول : سترين ما انا فاعل بهم .
واهمز جوادي واركضه في تقريب هائج ، وسيفي وترسي يقعقعان معا.
وتدور معركة رهيبة يا امي ، قد تبعث في اطرافك الرعدة ، لو يتسق لك ان تشاهديها من حداجتك .
ويلوذ اكثرهم بالفرار ، ويضحي بعضهم قطعا مزقا .
واعلم انك تفكرين وانت جالسة منفردة ، يا نطفلك، قد لقي ، ولا بد، مصرعه ، اذ ذاك .
ولكنني اقدم اليك ، مخضبا بالدماء ، واقول لك : اماه لقد انتهت المعركة .
وتهبطين من حداجتك ثم تقبلينني وتضمينني الى صدرك وتتساءلين: ترى ماذا كنت افعل لو لم يرافقني طفلي !؟
تقع ، كل يوم ، الاف الحوادث العقيمة فعلام لا يتفق لمثل هذا الحادث ان يحظى بان يكون حقيقة واقعة ؟
لعله ان يشابه قصة في كتاب ، وقد يعلق عليه اخي : تراه ممكنا ؟ انني أتمثله جد طريف .
وقد يردد اهالي القرية جميعا : أفليس من الحظ ، ان يكون هذا الطفل الى جانب امه ؟

الطفل الملاك

انهم يصيحون ويقاتلون ، يحك في صدورهم الشك واليأس ، انهم لا يعرفون نهاية لمنازعاتهم
دع حياتك يا طفلي ، تتألق بينهم ، كشعلة من ضياء سني نقي ، دعهم يفزعوا ، مبهورين، الى الصمت .
انهم قساة في جشعهم وحسدهم، ان كلماتهم كمدى خبيئة ظمأى الى الدم
اذهب الى هذه القلوب المعذبة ، وقف بينها ، واحدر اليها نظرتك الرقيقة ، كالسلام الرحيم المتطامن من المساء الى كفاح النهار
دعهم ينظروا الى وجهك يا طفلي ، ليتأتى لهم فهم معنى الاشياء كلها ، دعهم يحبوك ، ليحب بعضهم بعضا .
تعال ، واجلس في قلب اللانهاية يا طفلي ، وحين ينشق الفجر ، افتح قلبك وارفعه كزهرة منورة ، واحن راسك حين تغرب الشمس ، وتم ، في صمت ، عبادة النهار .

[التتمة في صفحة ٥٩]

استانبول — بديع حقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـروب

هربت ...
كنت خائفة ...
خائفة من قلبي
ومـن حبـي
ومن الظلام ...
من بريق نظـره
من حسٍّ يموت كزفرة
في الظلام ...
من الاحلام ...
والاوهام ...
المتلاشية في الظـلام
والسكون ...

*

هربت ...
من غرفة تملأها الالحان
وفي الهواء ...
وعلى الجدران
تبعثرت اوراق وردة
اوراق تشربت وجدا
وهذيان لحظة

واحلام يقظة
وجنون ...

*

هربت ...
من امل سعادة
من نار تحرق الارادة
ومن لظى عيون ...

*

لانـني كنت خائفـة
خائفـة ...
من هذيان نشوة
قلبـي ...
يدميه الشرود
وعيوني ...
تعبد الورود ...

*

هربت ... راجفـة
نحو ظلامي ...
والسكون ...

دمشـق كوليت سهيـل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منازع العالم الحديث : الحياة

بقلم الدكتور هـ. ج. مولر

الحائز على جائزة نوبل في الطب والفيزياء

ترجمة يوسف اسعد داغر

اذا ما نظر العاقل منا الى القبة(١) الزرقاء في ليلة سطعت بالزواهر من النجوم المتالقة ، بدا له هذا العديد المتناثر منها في الفضاء كحبات الندى النظيم ، كانما هي وشي لاعماله ومآتي لرفاقه من بني الانسان . ومن جهة ثانية ، فاذا ما عكسنا الموقف وتطلعنا الى الارض من عالم النجوم ، بدا لنا الانسان وكل حي يدب على وجه هذه الغبراء اشبه ما يكون بهرجا من الطلاء فوق اديم كرة صغيرة هامدة . وهب مع ذلك ، اننا حسبنا حسابا لصغرنا المتناهي واقمنا بعض الوزن لانانية رغائبنا المعقدة ولاهتمامنا بهذا الطلاء ، بقينا وجها لوجه امام هذا السؤال الذي يرتسم على شفاهنا : ما الذي يا ترى يجعل لهذا الصدأ ، في نظرنا ، مثل هذه البهجة ؟

والجواب على هذا السؤال تعطيه البشرية نفسها ، والجنس الانساني بعد ان تدرج في القمط : هو الحياة . وحقيقة الحياة الروح . وهذه الروح التي حلت في الهيولى التي نصفها بالحية تترك فيها اثرا بارزا لارادتها وتمدها باشكال عجاب وتطبعها بنشاطات غائية معينة . وقد تتبدى فكرة الروح احيانا على اوضاع صارخة لما فيها من ادعاء صادم فيصفونها بالعنصر المكمل ، وعامل الحياة ، والقوة المحيية او النفس . وكل هذه الالفاظ ، والاوضاع والمصطلحات ، تفترض كائنا ، شاعرا او نصف واع يسعى جهده لغرض سيطرته على المادة والتحكم بها .

وهذه النظرة الساذجة كثيرا ما كانت على الدوام مدعاة للتساؤل وباعثا على الجدل والنقاش . فباختراع الآلة مثلا ، وجد ان المادة العديمة الحس والحياة تماما ، يمكن افراغها في قوالب واشكال غاية في التعقيد تستطيع ان تقوم بنشاطات ملحوظة بعضها قريب الشبه بنشاط الاحياء . والى هذا ، فقد وجد في بعض حالات الطبيعة ، ان المواد العديمة الحس والحياة بلغت ، في بعض الاحيان منتهى درجات التعقيد والتركيب ، بحيث تستطيع ، وهي عديمة الحس والحياة ، ان تقوم في بعض الحالات ، برد فعل غريب عجيب يقرب او يحاكي ، ما يقع في نطاق ظاهرات الحياة المفروضة .

وهذه الريب والشكوك تكتنف وتلابس نظرية الحياة التي يرد اليها المفسرون مظاهر النشاط في الكائنات ،مكنت لها الدروس والابحاث التي تناولت المادة الحية نفسها . فكل النشاطات الصادرة عن المادة الحية تتلاءم شديد التلاؤم وقانون حفظ الطاقة وهذا يعني ان ما من طاقة تستخدم في هذه النشاطات التي تاتيها الكائنات ، الا ما جاءها من مصادر فيزكيماوية يمكن قياسها ، كما ان هذه النشاطات او العمليات التي تقوم بها هذه الكائنات ، لا تستنفد فيها اية طاقة . فذراتها تشبه تماما الذرات التي نجدها في اي كائن آخر ، وهي ذرات تتجمع وتتآلف في دقائق وجزيئات وفقا للقوانين نفسها . وهذه الدقائق يمكن بناؤها علميافي كثير من الحالات حتى ان التاثرات التي تتجاوب لها الكائنات الحية يمكن اصطناعها ، هي نفسها ، علميا في انبوبة او انبيق الاختبار .

كذلك ، ان بعض الافعال المهمة ، كحركات الكروموسوم مثلا ، التي لم يتمكن العلم بعد من وجود الراموز Formula الفيزكيماوي الكفء لها ، قد تم الكشف عنها مع القوانين النظيمة التي يخضع لها تصرفها ، فادى ذلك الى توضيح

(١) هرمان جوزف مولر ١٨٩٠ ـ عالم اميركي معاصر واختصاصي كبير في علمي المواليد والاحياء ، ومن حاملي جائزة نوبل في الطب والفيسيولوجيا لاكتشافه مبدأ النشوء المنتقل والتطور الاصطناعي بواسطة الاشعة السينية ، فاستطاع بذلك لاول مرة في تاريخ العلم ان يفتعل او ان يحدث الطفرة في المورث Gene

ولد في مدينة نيويورك ، عام ١٨٩٠ ، حيث جاء جده من المانيا واسس فيها اول مصنع لصب الفولاذ في اميركا ، تولى فيما بعد ابنه ادارته . تخرج من جامعة كولمبيا ، عام ١٩١٠ ، ونال عام ١٩١٦ الدكتوراه في علم الحيوان . نشر عام ١٩٢٧ ، بحثا حول : « تاثير الاشعة السينية على الموروثات والكروموسومات». انتخب عام ١٩٣١ عضوا في الاكاديمية الوطنية الاميركية للعلوم . وفي السنة التالية نال منحة دراسية اتاحت له الذهاب الى برلين والتخصص فيها ، لسنة واحدة ، في الدماغ ،وذلك في معهد القيصر غليوم . راس عام ١٩٣٤ ، الجمعية الاميركية لعلماء الطبيعة ، كما راس، عام ١٩٤٧ ، الجمعية الاميركية لعلم المواليد وتولى عام ١٩٤٨ رئاسة المؤتمر الدولي الثامن لعلماء المواليد. له كثير من الكتب والمباحث العلمية ، وشارك في تاليف الكتب التالية : « نظام الوراثة في مذهب مندل » (١٩٥١) و « علم المواليد والطب والانسان » (١٩٤٧) . من مؤلفاته الخاصة « خارج الليل » (١٩٣٥) ضمنه نظرة عالم بيولوجي في مستقبل الانسان .

كثير من الاسرار الغامضة القديمة التي تطبع هذه الاعمال في الطريقة التي تتم معها .

وهذه الابحاث والتحقيقات العلمية التي تجري حول الكائنات الحية ادت في الوقت ذاته ، الى الكشف عن تعقيدات فيها مربكة ومحيرة اكثر فاكثر ، فتنقلها بعيدا عن طبقة الكائنات العديمة الحياة وعن الآلات والاجهزة التي هي من صنع الانسان . فاذا ما نظرنا في جسم الكائن الحي وحاولنا بالتالي تكبير المقومات التي يتألف منها ، لالفينا في كل طبقة جديدة من الطبقات العديدة المكبرة ، حالة من التعقيد ادهى من الاولى واوقع في النفس لما تثيره من دهش . واول ما يبدو لنا ، بالعين المجردة ، ان في اعضاء الجسم الحي ، ثم في انسجته وفي خلاياه ، ثم في الاجزاء التي تتألف منها الخلية ، وفي مقطعات كل جزء من هذه الاجزاء حتى نصل اخيرا الى الجزيئات التي يتألف بعضها من مئات الوف الذرات ، تتناسق وتنسجم بانتظام مدهش لتؤلف فئات من نوع خاص تتفرع بدورها الى فئات اصغر وادق بدرجات متفاوتة . وهذه الدقائق عينها ، توجد في ابسط ما كشف عنه العلم من طوائف الميكروبات .

وهذا التعقيد المحير ، حتى في ما يتميز به من سمات غامضة نبدو حيالها مشدوهين ، يشجع ليس على الاخذ بالمذهب الاحيائي Witalism بل بما يوحي به العقل السليم الذي يرى في هذا التنظيم نفسه وفي دهائه المدهش خصائص الحياة وطاقاتها . فلو كانت النفس المصدر الذي تنبع منه امكانيات الكائنات الحية وطاقاتها المميزة ، لاصبح هذا التعقد الذي لمسناه في اجهزة الكائن الحي ودقائق تركيبها ومقوماتها ، والحالة هذه ، امرا غير ذي موضوع ولا فائدة منه على الاطلاق . وهذا الاستدلال يزداد رسوخا اكثر فاكثر ، كل يوم ، كلما شعرنا بان تصرف الكائنات الحية والاعمال التي تأتيها ، انما هي من هذه الاعمال التي تقوم بها مقومات هذا المركب المعقد . والى هنا ، فالكائن الحي ، اذا ما نظرنا اليه ككل ، تكشف لنا بوضوح ، يوما بعد يوم ، انه يؤلف مجموعه جهازا كبيرا متشابكا ، اعماله تنسجم بعضها مع بعض وتتناسق بحيث انها تهدف ، مجتمعة ، الى نتيجة واحدة اخيرة ، هي امتداد لنوع معين واستمراره الى ما لا حد له . .

فاذا ما اعتبرنا هذا كله امرا مفروغا منه وسلمنا به ، زادت القضية ، مع ذلك حرجا وتعقيدا ، فنتساءل كيف تم يا ترى ، لهذه الكائنات الدقيقة التركيب ، التي تأتلف منفردة ومجتمعة ، على شكل تستطيع معه ان تأتي مثل هذه الاعمال العجيبة ، المثيرة للدهش ان توجد وتبرز للوجود . ان الطريقة التي برزت فيها هذه الكائنات للوجود ، تفرض ، ولا شك ، لاول وهلة ، شيئا من التبصر المدبر الواعي . وقد ظن بعضهم ، بدء ذي بدء ، ان هذه الانواع من المخلوقات الحية ، كما تبدو اليوم ، قد جرى تصميمها وابتداعها الواحد منها بمعزل عن الاخر . الا ان القرن التاسع عشر جاء بالدليل القاطع على ان هذه الاجناس والانواع الحية ، درجت معا تباعا ، من بعض الانواع البرمائية كانت اصلا او ابا لها جميعا . وقد راحت بعض المذاهب الفلسفية ، اذ ذاك تفرض ان آباء هذه الاجناس الحية المختلفة ركزت فيها تصاميم معينة حدودها ، حملتها بالتالي على التطور تباعا الى ان آلت الى ما نراها عليه الان . وقد ظهر في ما بعد راي اخر ، احياه من جديد القائلون بالمذهب المبشوريني اعترف للكائنات الحية بقابلية عامة على التكييف الذاتي والتطور وفقا لما انطبعت عليه من تهيوء واستعداد للتكيف . وهكذا اخذت هذه الكائنات تتطور وتتحول صعدا ، وفقا لما خضعت له من عوامل التحول والنشوء والارتقاء ، بحيث ركزت ، نوعا ما ، في خلاياها التناسلية ، القدرة على التنويع في ما استطال بها من تغير وتحول . وهذه القدرة على الاصطفاء والانتقاء ، وعلى تحديد نوع التحول الذي يؤتي عمله بصورة نافعة مفيدة ، دون سابق تجربة او مراس ، انما يستلزم التسليم به تباعا ، بشيء من التبصر المدبر السابق ، وهو ما يأبى الاعتراف به بعض اصحاب هذا القول . ففي هذا الاحتمال يتم التصميم على دفعات ، وشيئا بعد شيء ، بدلا من ان يجري دفعة واحدة ، كما يتم الامر عادة .

ولعل الخدمة الجلى التي اداها هنا كل من دارون(٢) ووالاس(٣) هي انها جاءا بالدليل القاطع على ان هذا التكيف المتشابك المتداخل ، كان لا بد له ان يحصل ويتم ، دونما افتراض اي تصميم او تبصر سابق اريد له . ولما كان اعضاء اية طائفة من طوائف الكائنات الحية عرضة في تطورها ، لعدد من التحولات والتغييرات التي تميل ذراريها في ان تكون هي الاخرى عرضة لها ، ولا سيما لهذه التغييرات التي تنمي في الحي النزعة الى البقاء والتناسل ، فاننا نرى هذه الاعضاء تتوفر اكثر من غيرها على الظهور في الاجيال او الذراري التالية . وهكذا تتجمع هذه الذراري ، تدريجيا ، في ذاتها ، اكثر المميزات التي تمكن من طلوع جنس « تكيف » ، اي ، جنس اكفأ والبق على البقاء والنمو ، حتى ولو لم تظهر عليه نزعة للتحولات المجدية اكثر منها للتحولات الضارة المؤذية .

وتأييدا لهذا المبدأ ، فقد ادت الابحاث التي جرت اخيرا في علم المواليد ، اي في علمي الوراثة والنشوء ، الى ان السواد الاعظم من التغييرات التي ظهرت من عهد قريب ، من النوع التي يمكن توريثه ، هي بالحقيقة مؤذية ضارة ، كما يجب ان يكون عليه هذا النوع من التغييرات غير المصممة ، التي تحدث في جهاز معقد ، من اي نوع كان . والى هذا ، فاذا ما تغيرت الظروف الخارجية ، فالتحولات القليلة التي ثبت نفعها ، تأتي منسجمة مع هذه التغييرات الخارجية او لا تظهر بكثرة اكبر مما كانت تظهر به في السابق . ومع

(٢) دارون ١٨٠٩ ـ ١٨٨٢ لعله اعظم واشهر العلماء الطبيعيين الذين انجبهم القرن التاسع عشر ، هو صاحب نظرية النشوء والارتقاء . انكليزي الاصل والمولد نشيء تنشئة دينية في جامعتي ادنبره وكمبريدج لازم مدة العالم الجيولوجي آدم سدجوين ، والعالم النباتي جون هنسك ، فهام بالعلم وطلبه في رحلات مديدة ، بعيدة ، عديدة ، زار خلالها شطآن اميركا الجنوبية والجزر الجنوبية واستراليا ، وجمع خلالها معلومات وافرة حول ممالك الحيوان والنبات ، والجيولوجيا في ما تبدت له مظاهرها في البلدان التي زارها . وادى نظره في هذا كله الى القول بنظرية النشوء والارتقاء . من مؤلفاته المشهورة : « اصل الانواع » (١٨٩٥) ـ « تحولات الحيوان والنبات تحت عوامل التدجين » ـ « اصل الانسان » . دفن في كنيسة وستمنستر في انكلترا اعترافا بخدماته العظمى في حقل العلم .

ذلك ، فهي لا بد ان تنجح بالاكثر ، اي ان اصطفاءها يتم بصورة طبيعية فيما بعد ، وفقا للتجارب التي تخضع لها الاحياء اليوم .

والعامل الاولي في المسرحية الكبرى التي يمثلها النشوء والتطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي يقوم في هذا الدور الذي لعبه « المورث » (٤) والمورث هو جزيء استدق حجمه ، ولطف وزنه وقدره ، بحيث لا يمكن رؤيته تحت ادهى المكبرات ، مع انه عملاق في عرف المقاييس غير العضوية .

وقد جاء العلم الحديث بالدليل الواضح والبرهان القاطع على ان المورث ، تتألف نواته الاصلية على الاقل ،من وحدات عديدة فرعية لها طابعها المفرد ، تكونت مادتها من الحامض النووي تؤلف معا وحدة كيماوية على نسق معين يعرف بتشابه التركيب Polymer ولا يتم العمل الوظائفي لكل شكل من هذه الاشكال الا بالتعاون الوثيق مع الشكل الاخر الشبيه به كونت مادته الاصلية من البروتين . وقد ركز في كل جزيء من هذه الجزيئات التي يتألف منها المورث ، قدرة خاصة ، فيها من امكانية التصوق والانضمام ما يساعده ، كليا ، على التقاط الدقائق السابحة في مداه الحيوي المجاور، وهي دقائق تشبه الى حد بعيد ، المادة المقومة التي يتألف منها العامل الوراثي المعروف بالمورث ، فتمتصها وتتفاعل بها بحيث تصبح نظيرة لها ، فتتناسق وفقا لتركيبها وتجعلها بالتالي مؤتلفة معها ، كما تأتلف بالذات مع اجزائها المقومة ، بحيث يؤلف مجموعها مورثا جديدا يحاكي تماما ، اصلا وفصلا ، المورث الاخر . وهكذا يضاعف المورث نفسه . وعندما تنفلق حجيرة ما الى حجيرتين ابنتين ، ينضم المورثان المتكونان الناجمان عن عملية انفلاق الحجيرة هذه ، الى الحجيرتين ويطبعانها بذات الصفات الخلقية التي انطبعت بها الاولى وتفردت بها ، فتصبح مورثات الخليات او الحجيرات من نوع واحد وتركيب واحد .

هنالك في حجيرة واحدة الوف مؤلفة من المورثات المتباينة ، ولكل من هذه المورثات طابعه الداخلي المفرد الخاص ، كما له بالتالي ، نوع من التفاعل الكيماوي خاص به ايضا , وهذه المورثات تؤلف قسما ضئيلا من جسم الحجيرة ، ومع ذلك فهي تتحكم ، عن طريق تفاعلاتها الكيماوية المتباينة بتركيب العناصر الاخرى التي تدخل في قوام الحجيرة . ومن هنا كان لا بد للمورثات الموجودة في خلية تناسلية ان تحدد نوع الجنس الذي تتطور اليه. وهكذا نرى الدور الفصل الذي يلعبه المورث في عملية الوراثة وشأنه البالغ في اسس النواميس التي تنهض عليها

وقد يتعرض المورث في بعض الحالات النادرة جدا ، من جراء اصطدامه بجسم غريب في منتهى الدقة واللطافة هو الاخر ، الى هزة او خضة تضفي على نظائر المورثات الآخذة في التكوين نسقا جديدا ذا تفاعل كيماوي غير الذي كان عليه المورث من قبل . وهذا الحادث الغريب هو بالذات ما ندعوه بالتغاير الفجائي او الطفرة Mutation وهذا المورث الطافر ينزع خلال تكوينه ، لنقل او تقليد او محاكاة طابعه المميز بدقة واصالة ، اسوة بالمورث الاصيل الذي نقل هو ايضا طابعه المفرد . وهكذا ، فاذا ما وقعت طفرة ما في حجيرة تناسلية ما ، فقد يصبح واضحا ان هذا التحول سينتقل بالوراثة الى سلسلة من الاجيال المتعاقبة فتتناقلها وارثا عن وارث . وعلى هذه الكيفية ، فالتغيرات التي تصيب المورث هي الاساس الذي تقوم عليه عملية الاصطفاء الطبيعي . ان السبب الذي لاجله يترك للمورث وحده القيام بهذا الدور ، فهو ان المورثات لها وحدها الخاصة اللازمة لتأمين نظائر هي طبق الاصل عن ذاتها ، فتولى بنية الجزيء الابن الطالع الصفات نفسها والسمات عينها التي ميزت المورث الاصيل منها والحديث.

ان المادة التي تتألف منها اصلا بنية الحجيرة والتي يعبرون عنها بـ « البروتوبلازما » او المادة الحية ، هي لعمري امثل واكفأ خليط من عدة مقومات وصل اليه العلم . فقد اتضح ان تكوين عدد كبير من هذه المركبات المقومة ، هو عيال على فئات خاصة من المورثات . والعكس لايصح قط اذ انه باستطاعة المورث الطافر ان يكون نفسه عندما تصله البروتوبلازما القديمة ، حتى في حجيرة لم يسبق للمورث ان وجد فيها من قبل . وعلى هذا الاساس وغير ذلك من الاعتبارات الاخرى ، امكننا ان نستنتج بان في بدء كل حياة ، يظهر المورث اول ما يظهر ، وان المادة الحية او البروتوبلازما تحدث بعد ذلك بصورة تدريجية ، في سلسلة من الاحداث متصلة الحلقات تأتي نتيجة لتفاعلات كيماوية يتفاعل بها عدد من المورثات المتكتلة معا ، تغيرت وتحولت على شكل ادى تباعا الى هذه المواليد . وهكذا تبرز البروتوبلازما مادة لاحقة تابعة تحصل من تفاعل المورثات . والبروتوبلازما مدينة بتكوينها او بروزها لهذه المورثات الطافرة التي هيأ لها الاصطفاء الطبيعي ، فهيأ بذلك العناصر الكيماوية كبعض الخمائر والانزيمات مثلا ، التي تفيد في استحياء هذه المورثات نفسها ودوامها وتكاثرها

وهكذا امكن لنا ان نستنتج بان ذات الحياة وحقيقتها ليست قط في البروتوبلازما او في الوظائف التي تقوم بها ، كعملية الايض او الميتابولزم مثلا كما راح بعضهم يؤكد ذلك ، بل ان الحياة هي نتيجة لتفاعل بيولوجي كيماوي في تطور دائم . ان جوهر الحياة يقوم اصلا في القدرة على تحقيق مثل هذا التطور ، وهي قدرة تكمن اصلا في المورث بما فيه من خصائص وطاقات الى تضعيف تغيراته وتحولاته . والذي يبدو لنا في الوقت الحاضر ان البروتوبلازما على درجة عالية من التأليف المتداخل والتعقيد حتى في ما بدا منها في هذه الحجيرات البدائية فبلغ ابعد

(٣) الفرد هل والاس (١٨٢٣–١٩١٣) من مشاهير علماء الطبيعة في انكلترا . درس المساحة والهندسة ثم مال الى التاريخ الطبيعي فانقطع له وانصرف اليه بكليته . قام برحلات علمية الى الامازون وجزر الملايو ، وقال بنظرية الاصطفاء الطبيعي او نظرية بقاء الاصلح (١٨٥٨) . تتبع امر التوزيع الجغرافي للحيوان ، ولم يأخذ بالنظرية القائلة ان النفس البشرية جاءت نتيجة للتطور الطبيعي . من مؤلفاته : « العجائب وعلم الارواح الحديث » ـ « الدارونية » (١٨٨٩) ـ « القرن النجيب » (١٨٩٨) ، « مكان الانسان من العالم » (١٩٠٣) .

(٤) هو العامل الوراثي المعبر عنه باللغة الاعجمية : gene وقد استعمله بعض كتاب العصر بلفظه الفرنجي : جين ، وجمعوه على: جينات.

حد ، بحيث يحق لنا ان نرى في هذا البون العظيم من التعقيد العالي الدرجة الذي نراه بين المورث في ابسط ادوار تطوره وبين حجيرة واحدة كالبكتيريا مثلا هو على الاقل كالفرق الذي نراه بين البكتيريا الواحدة واعلى الكائنات الحية المتعددة الخلايات .

ليس من المستبعد قط ان يكون المورث نفسه طلع الى الظهور في القرون السحيقة الضائعة في الحقب الهلكية المتعاقبة في ليل الزمن البهيم ، بعد ان تكون شروط الحياة ومقتضياتها على قشرة الارض الاولى حلمت ولطفت بعض الشيء ، بحيث ان التقاء عارضا لبعض المواد مصحوبا بامتصاص الاشعة المحركة خلال حقبة من الزمن استمرت ملايين السنين التي مرت على الارض في تدرجها المطرد الصاعد ، فاتاحت للمركبات العضوية المعقدة ، وبينها ما يتوفر اليوم في الخلايا ، ان تتحشر وتتجمع بشكل فظيع (٥) . واذا اتفق وكانت المورثات بين هذه الربوات من عينيات الدقائق التي طلع بها التطور والنشوء كما لا بد له ان يكون اطلع العناصر المهومة الاخرى التي يتخذ منها المورث مادة لتضاعفه او تكاثره . والى هذا ، لا بد ان يكون طلع عدد عديد من المركبات والمقومات العضوية الاخرى التي كان باستطاعة التحولات التي طرأت على المورثات ان تتخذ منها مادة اضافية في ما هي آخذة به من تطور .

ولما كانت الاعمال التي تقوم بها هذه الكتلات الجينية قد اصبحت اكثر تعقدا ، بعد ان اشتد ساعدها بفضل هذه المواد الاضافية التي امدها بها التطور ، فقد نجم عن ذلك بالتالي ، تطور الاساليب المتبعة لتحويل هذه المواد الى مواد عضوية حية ، في عملية يقتضي لاتمامها مراحل مديدة من التحول والتطور ، وفي الحين ذاته اوجد التطور وسائل اشد فعالية ، واكثر دهاء لتأمين ما يلزم من قوة وطاقة وتخزينها وامكان انتحالها . وهكذا توفر في نهاية الشوط لبعض الكائنات الحية ، كالنباتات مثلا ، ان تحيا وتعيش على بعض المواد اللاعضوية ، وان تستمد طاقتها بالتالي ، من مصدرها الاول الا وهو نور الشمس . وقد اكتست بعض الكائنات اجهزة جديدة مكنتها من استخدام بعض المواد العضوية او غير العضوية المهيأة ، والانتفاع بها في تطورها ، وتمثلها او لاتخاذها طاقة الى ان توفر اخيرا في العالم شبكة من الكائنات الحية الدابة على الارض ، متصلة الحلقات ، مترابطة ، متباينة في تنوعها كيماويا . وهذه الشبكة ابقت المواد الحية التي تحويها في حركة مستمرة الدوران ، كما ابقت في حركة متصلة ايضا ، الطاقة المختزنة الى ان تتوزع وتنتشر ، بدلا من ان تدع هذه المواد الحية تتجمع تتخثر بشكل مواد تالفة ، لا تصلح للاستعمال ، كما كان شأن البعض منها في غابر الازمان . وهكذا ، وبعد ان تم للحياة ما تم لها من اسباب الوفر والرفه ، استطاعت ان تعطي اكثر فاكثر ، فتزداد الانواع فيها تباينا وتأخذ الامور فيها بتطور اسرع وابدع .

ومن الاسباب التي زادت حركة التطور في الطبيعة، احتداما واوارا اكثر مما كانت عليه في الدور الذي سبق ظهور البكتيريا ، ظهور التناسل او التوالد الجنسي بمعناه الواسع ، اي بانضمام مجموعتين من المورثات من مصادر مختلفة ، ولكي تأتي هذه العملية كل مفعولها البيولوجي ، اقتضت حدوث سلسلة من الافعال تفضي الى انشطار او انقسام الخلايا Meiosis بحيث ان بعض المورثات في كل من النوعين المتلاقين يعاد تركيبهما بانسجام من جديد ، بشكل يفضي الى نشأة طاقم جديد من جميع وجوهه . وبتكرار هذه العملية ذاتها ، جيلا بعد جيل ، طلع منها جنس او نوع جديد من المورثات ، تراكبت معه وتداخلت وتعاقدت بما لا يحصى ولا يعد من المرات ، في تمورها المتتابع عبر الاحقاب الهلكية ، بحيث لم يبق من هذه الاشكال ولم يستحي منها غير الكفء او الاصلح بينها للحياة . وهكذا تأمن ، اكثر فاكثر ، توافر او ظهور الفضليات الصالحات الباقيات من هذه المورثات الطافرة ، اكثر من ظهور الكائنات الحية التي كانت تتوالد بصورة غير تناسلية ضمن خطوط منعزلة بعضها عن بعض . ومما لا شك فيه قط ، ان التوالد التناسلي تغلب في نهاية الامر واستبد ، اذ ان الخصائص التي كانت تتوفر في هذه الاجناس ، كانت تزداد قوة على ممر التطور . وكان من اثر هذا التكاثر التناسلي الوظائفي ان ازداد بالتالي المورث طاقة على التطور .

وهنالك الى هذا ، ظاهرة اخرى ، تقوم اهميتها في انها ساعدت على الحركة التطورية وقوت من اسبابها ، وبعبارة ادق ، ادت الى الحؤول دون اعاقة التطور وحدوث صرورته ، الا وهو طروء الموت الطبيعي على جسم الكائن الحي . صحيح ان هذا الحادث برزت اصدق مظاهره ، في الدور الاخير من الادوار العديدة ، التي مر بها التطور ، هذا الدور الذي اصبحت فيه الاجسام الحية، متعددة الخلايا، والتي اصبحت خلاياها التناسلية تتميز ، نعلا ووظيفة ، عن الخلايا الاخرى في الجسم . فالموت الطبيعي ليس من هذه العوامل الكامنة في مادة البروتوبلازما . الا ان الاصطفاء الطبيعي المركز في كل نوع من انواع الاحياء ، قد ساعده في ما ساعد عملية على ابراز بعض الصفات المفردة في الحي ، على تحديد المدى الافضل للحياة فيها ، وفقا لظروف عيشه وحياته . وبعبارة اخرى ، ان الموت الطبيعي هو من حسنات الحياة وخير الانسان الاكبر ، اذ انه يتيح فرصا اكبر وظروفا اوسع ، امام المورثات في الجيل القائم ليختبر خصائصه المكتسبة وما لها من صلابة وقوة . وهذا انما يعني ، بالدرجة الاولى ، انه بتمهيد الطريق امام انواع جديدة من المواليد اطلعها التطور ، يحول دون اعاقة عملية النشوء او تأخرها ، في الاجناس والمواليد من قبل القديمة منها . ثم ان الموت يساعد بالتالي على القضاء على مواطن الضعف التي تبدو على الاحياء العليا في حال طعنها في العمر ، وذلك نتيجة لما تركت فيها العاهات والاسقام من اسباب الموت والفناء . ولذا اصبح الموت نافعا من الوجهتين، اذ انه يحمل معه اسباب الضعف هذه ، بعد ان كان المسؤول عنها والباعث اليها .

(٥) تبسط الكاتب بهذه النظرية ، في مقال له نشرته مجلة سينتفيك منثلي في مجلدها ٢٩ (١٩٢٩) ص ٤٨١ ـ ٥٠٥ ـ كما تبسط في الموضوع واستطرد فيه بعيدا في كتابه : « خارج ظلمة الليل المستقبل في نظر عالم بيولوجي » الذي نشرته دار فنفرد للنشر في نيويورك عام ١٩٣٥

وقبل ان تصل هذه الكائنات الحية في نشوئها الصاعد الى الدور الذي بلغ فيه تركيبها القائم تعدد الخلايا في تطورها الجرثومي المعقد ، مارة تباعا بالطفولة فالمراهقة، فالكهولة ، فالشيخوخة ، فالهرم ، فالفناء ، فقد مرت بسلسلة متعاقبة من اطوار التحول المختلفة ، يؤلف كل منها حلقات تطور كاملة . كذلك ظهر عليها ، في غضون هذه الادوار التطورية المتتابعة ، عدد من الاجهزة المساعدة على الحركة والمنظمة لها تستطيع معها ان تكيف نفسها في ما تستقر عليه من اشكال وهيآت مميزة ، وفقا لمقتضيات البيئة ، وظروف المحيط والمجتمع القائمة فيه . وبعض هذه الاجهزة الطافرة ، ساعدت على تركيز قوام الحي داخليا ليناسب بين مقتضياته والمؤثرات الخارجية المتفاعل معها ، كما ان بعضها الاخر هيأتها لاتيان حركات وافعال مكنتها من مقاومة المؤثرات الضارة التي تتفاعل معها ، او لتستفيد مما في هذه العوامل الخارجية من مؤاتاة وجدوى لها . وبين هذه الاجهزة التي طلعت ، ابان اطوار النشوء هذه فاضفت على الاجسام الحية خصائص وقابليات معينة من الاحاسيس كالتهيجية والامتدادية او التمدد، والانكماشية او التقلص ، وهي صفات انسجمت مع بعضها البعض واتسعت بحيث تتيح لها القيام بحركات تتفق وهذه القابليات

وهذه الحركات او الافعال التكيفية تقوم بها الاجسام الحية رسمتها اعضاء او بنيات تكونت على شكل خاص ساعدت المورثات على اطلاعها ، ظهرت تباعا على ممر حقب النشوء والتطور ، تقوت واشتدت في كفاحها للبقاء كلما سنحت ظروف وصروف مساعدة معينة على العيش ومهيئة لاسبابه تكررت تباعا . وهذه الحركات الخاصة ليست مع ذلك تعبيرا او مظهرا ما لاية قابلية تكيفية عامة ، كما انها لا تتحكم من جهة ثانية بمجرى التحول والتطور الصائر في ذات المورث . وهكذا عندما يذهب سابقو دارون الى القول بالنشوء ، واتباعهم من الميشوريين ، فمثلهم مثل من يضع المحراث امام الفدان ، اذ راحوا يزعمون ان الاجسام الحية، بفضل طبيعتها الكامنة ، تحاول جاهدة لتكييف ذاتها وفقا للظروف الجديدة الطارئة ، وان النشوء انما قام بفضل ما اذخرت هذه الكائنات ، ابا عن جد او عن طريق الوراثة ، من طاقة متجمعة على التكييف ، اقتضتها لها سنة التطور.

وفي بعض سلالات من الكائنات الاحادية الخلية التي تتمثل على احسن وجه كما يرجحون ، في النبات ، ان التكييفات التي طرات على النباتات المهيأة للحركة ، مكنت الكائن الحي ان يزيد من قوامه وذلك بما تطور اليه من قدرة على القبض والتمثل في بعض استطالات مادية عضوية مركبة ، وبالتالي لبعض كائنات اخرى . وقد ظنت هذه الكائنات انه من مصلحتها ومنفعتها على السواء ، ان تعتمد في نشاطها الحيوي بالاكثر على طريقة القنص والافتراس يقابل ذلك فقدانها تدريجيا لما عرف فيها من طاقة تاليفية ، وتقوية مقدراتها الحركية بدلا عن ذلك . وهكذا ظهر الحيوان لاول مرة على الارض .

وبعد هذا سار كل من الحيوان والنبات في اتجاهه النوعي الخاص به . ومع ذلك فقد قام بين المملكتين او الجنسين المذكورين ، في مختلف اطوار تطورهما المتتالية كثير من وجوه الشبه والمحاكاة والتنظير . فقد حقق كل جانب منهما تكملا في حجمه يتفق ومصلحته ونفعه كما يتلاءم والطريقة التي ينحاها في الحياة ، وهي زيادة تبدت بادماج او ادخال عدد من الخلايا ، دفعة واحدة ، في ذات كائن حي اكبر ، الامر الذي ادى بدوره الى نمو وظهور تخصص فعال اكبر في العمل الوظائفي لاجزائه وبعض اطرافه . ومع ذلك ، وبالنظر الى ان المواد الغذائية التي يحتاج اليها النبات يمكن ان تتوفر له بمجرد بقائه قابعا او مستكنا حيث هو ، فقد حتم هذا الوضع على النبات ان يأخذ في تطوره قواما مشجرا لا يأتي فيه الا ما هان من حركة خفيفة نسبيا تجهز ، في ما يتصل بالنباتات البرية ، اقله ، بجذع يعرق عموديا في الارض والتربة ، سعيا منه وراء حاجته من عنصر الحديد والماء ، وباوراق تظهر في الاقسام العلوية ، يستعين بها على امتصاص نور الشمس وحرارتها وغاز الكربون ، يربط بين العلوي والسفلي من اطرافه جهاز مرور او قناة عبور تصل فيما بينها . الا انه لم يكن بد من حركات وسكنات تنتقل معها خلايا الذكر المنجبة الى بويضات الانثى لتامين توزيع مواد التلقيح بما يؤمن بقاء الجنس ، وهي اعمال وحركات كانت تجري بصورة سلبية على الغالب بواسطة كائنات تنتفع في هذا السبيل بحركات الماء والهواء والحيوان .

هذا من جهة النبات . اما من جهة الحيوان ، فقد كان لطبيعة المواد الغذائية التي يحتاج اليها ، ان مكنت فيه ظهور وسائل واجهزة تسهل له من جهة التقام هذه المواد الغذائية ، كما تجنبه ، من جهة ثانية ، خطر الوقوع بدوره في قبضة غيره من نظائرة من الحيوانات القانصة او المفترسة . صحيح ان بعض المواد الغذائية الطافية على اديم الماء او السابحة في ثناياه ، كان في مكنة اي حيوان قائم مستكن ان يلتقطها وينعم بها على شريطة ان يكون الف طريقة تصفيتها او بزل ما فيها من ماء نقيع . ولذا بدت هذه الحيوانات ، ظاهريا اقله ، اشبه ما تكون نباتات. اما الخطر كل الخطر ، فعلى حيوان يجهد في سبيل الحصول على مواد غذائية كبيرة ، مصونة في حراسة قوي ، صعبة المتناول والادراك لما يقتضيه الحصول عليها من دهاء او لما يخفيه من ردة ورجعة . وعلى نسبة ما يكون غذاء الحيوان وطعامه على ما وصفنا من صعوبة الادراك والاخطار المحدقة به ، اشتد بالتالي حاجته للدهاء واللباقة والقوة ومرونة الحركة وسرعة الانتقال . ومثل هذه الصفات لها قيمتها ولها الفضل العميم على ما تدرع به الحيوان من تحرز وصيانة ، تقيه نزوات الحيوانات المفترسة .

وقد ساعد ناموس بقاء الاصلح او ناموس الاصطفاء الطبيعي ، انواعا كثيرة من الحيوان على ترسيخ هذه الطفرات الخلقية في ذات الحيوان والتمكين لها ، فازدادت بالتالي فيه قواه الحساسية واشتد ساعده بعد ما ظهر فيه من شتى الاجهزة التي تنسق في ما بين حركاته الوظائفية . وفي الوقت ذاته لما كان استخدام القوة يقتضي له ، على اقدار وانساب ، جسما شديدا لا تتداخله العناصر او تنسرب منه المواد بيسر وسهولة ، قبل ان تخضع فيه لسلسلة من التحولات والتكييفات تثير مستوى معينا من التفاعلات ، كان من المهم عندئذ ان تهيء اسباب النشوء وعوامله للجسم ، شبكة محكمة ، دقيقة ، من الاجهزة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعقدة ، تمكنه من هضم المواد واستمراء عناصر الغذاء والاوكسجين وتمثيلها ، واستحلابها ، وايصال عصائرها لحجيرات الجسم وخلاياه الدقيقة التي لا يأخذها حصر ولا عدد ، ولافراز ما نقل فيه من الفضلات .

وهذه الاجهزة المتباينة الصور والاشكال تباينا يدعو الى العجب العجاب، التي طلع بها هذا التطور الخلاق في كثير من الانواع ، برزت ولا شك ، وفقا لمقتضيات وظائفها ولظروف العيش وعوامل البيئة التي تفاعلت بها . ولطالما كانت هذه الفوارق في اكثر الاحيان استجابة لصفة خاصة او لبعض الصفات الكيانية الكامنة في قوام هذه الحيوانات وتكوينها ، كازعانف الزحافة في السمك مثلا ، او القدم القصبة التي كانت اشكالهاالاولى نماذجا سارت عليها الكائنات الحية الاخرى في سلالاتها المتعاقبة ، خلال تطورها المتتالي . ومن الواضح جدا ان بعض هذه السمات او الاجهزة ، حتى ما جاء منها ركنا اساسيا في قوام الحيوان ، اصطفاه الكائن الحي واختص به ، بشكله المتحيز ، نتيجة محتومة لتفاعل غريب في بعض الحالات العارضة الطفيفة ، التي لم يكن من المتوقع لها ان تسنح من جديد ، فظهورها، ولو لمره واحدة ، اثبت نفعها وجدواها ، واستخدامها بالتالي في اكثر من وجه واحد من وجوه الانتفاع بها ، على تباين هذه الوجوه وتغايرها . ولم تلبث هذة الصفات او الاجهزة ان اصبحت ، تباعا ، جزءا هاما من هذه المميزات التي تطبع الجسم الحي وتفرده . فلا عجب ان تساعد في مثل هذا الوضع على تعيين الاصطفاء الطبيعي لسلسلة طويلة من الحلقات في الخطوات التالية يخطوها التطور في اتجاه واحد معين . ولما كان هذا النهج المتبع في صيرورة التطور اصطبغ بطابع الفرصية والانتهاز بدلا من ان يتسم بطابع التبصر والتصميم السابق ، فقد لوحظ انه بالرغم مما يظهر على اعضاء الكائنات الحية واقسامها المختلفة من تفاعل غريب بين بعضها البعض واستجابة مدهشة للتعاون فيما بينها بانسجام ووئام ، فقد اخفى قوامها مساوىء وعورات ونقائص لجهة التركيب والوظيفة . وبالفعل فقد طلع علينا التطور والنشوء بمزيج غريب من الاعتباطية المتعسفة والتبعية الحتمية consequentialness بحيث يحق لنا ان نستنتج ان عالما اخر شبيها بعالمنا هذا من الوجهة الطبيعية يمكن ان تظهر فيه كائنات حية تشبه من بعيد الكائنات الحية التي طلعت على ارضنا هذه .

ولعل من ابرز ما ظهر بانتظام من مظاهر التطور التي تعاقبت على الاجناس الحية العليا ، تكوين جهاز تنسيق فيها يحمل في تضاعيفه عدة يستطيع معها اتيان او احداث ما يلزم من تغييرات في الحركات او الاعمال التي يقوم بها الحي على ضوء اختباراته الماضية وفقا لطبيعة الظروف السائدة المتحكمة . وقد تكون السمة البارزة في هذا التطور ما تم للكائن الحي ، من الوجهة الموضوعية ، من طاقة على التكييف ومن الوجهة الذاتية بالطاقة المهذبة او طاقة الترابط ، وذلك في قيام علائق من الترابط تشد بعضا الى بعض ، هذه الجملات العصبية التي يمكن ان تكون برزت على شكل ما في داخل الحي اذ ذاك ، بحيث اذا ما انفعلت احداها او تأثرت ، انفعلت الثانية بالتالي وتأثرت ، تبعا لذلك . وهذه الروابط او العلاقات المتماسكة التي قامت تؤلف فيما بينها شبكة من اعقد ما عرف من نوعها ، بحيث ان جملة من هذه الجملات العصبية (جملة «الف» مثلا) ترتبط بجملة (ب) في وقت ما ، كما ترتبط في وقت اخر جملة (ب) بجملة)س(، بحيث تصبح جملة (الف) مرتبطة بجملة (س) في هذا المثلث المؤلف من الجملات الثلاث :

ا

ب . س

ومن الامور التي تلعب دورا اساسيا في التعليم ، عملية التحليل ، وهي عملية تبرز وتحيز المقومات الخاصة او العلاقات التي تماسك بين اجزاء جملة عصبية متفاعلة ، كما تبدو على حقيقتها ، بحيث اذا ما دخلت هذه المقومات او العلائق في تركيب جملة او جملات عصبية اخرىمختلفة استخدمت لربط اجزائها المقومة بعضا ببعض ، كما تفعل (ب) التي تربط بين (ا) و (س) في الشكل الموصوف اعلاه. هنالك ولا شك في ذلك ، اجهزةخاصة تتصل بالحي بالارث، تؤثر مباشرة على عزل بعض العلاقات الخاصة المميزةوتحول دون انتقالها ، كاكتساب او انتقال اللون الواحد . ومع ذلك فان جانبا كبيرا من عمليات التحليل والنفاذ الى اعماق الاغوار انما يرتبط الى حد بعيد بالكشف عن طبيعة تصرف عوامل الترابط التي تقوم عليها الجملة العصبية بما فيها من تعقد وتشابك ، وهذه التفاعلات تولد بدورها ، بما تحدث في الجسم الحي من تغييرات ، سمات تبقى فيه ضمنا مشتركة بينه وبين الاجسام المركبة الاخرى .

كل هذه التغييرات تعود بنفع على الجسم الحي وحده، وذلك بنسبة ما تحدثه في سلوكه وتصرفه من تغير وتنوع. وهذا التغيير يصبح ممكنا مستطاعا بمجرد ما تقوى في الحي النشاطات العصبية وما فيها من قدرة على الحركة ، او تتأصل فيه حسبما تكون هذه الحركات اثارت في الحي تأثرات عصبيةوارتكاسات عكسية (وهو ما يسمى بالاختبار) يرغب فيها الحي او يرغب عنها ، او اذا ما كانت هذه الارتكاسات العاطفية او المسلكية (الفطرية) الحادثة ، مادة صدرت في الوقت ذاته عن البنية العصبية الموروثة. وهذه البنيات احدثها التطور بهذا الشكل الحليم، بحيث ان الكائن الحي يوفر ، من حيث لا يدري ، تأمين جنسه وتكاثره ، في ما تهدف اليه من تحقيق غاياته المرسومة . ومع ذلك،فهو يتعلم عن طريق هذا التاليف ويقوى بالتالي على تحقيق رغائبه الاساسية بوسائل اكثر فعالية ، واكثر تلاؤما للظروف والاحوال المحيطة به ، كما يتعلم ان ينسق وينظم شتى نوازعه وينسب بين بعضها البعض بحيث يستفيد منها الى اقصى حد .

وبالرغم من جهلنا التام لطبيعة الاسس الفيزكيمائية التي تقوم عليهاهذه الظاهرات ، فليس ثمت من يشك او ينكر حدوثها من الوجهة الفيزكيمائية ، وهي ظواهر نهضت بصحتها والدليل عليها حوادث التسجيل العلمي والاختبار التجريبي . وفي هذه المرحلة الاخيرة يبرز فقط التبصر والنظر وظهوره في الكائن الحي . وبالاضافة الى هذا ، وضمن جهاز التفاعل العصبي القائم فيه ، يرتسم في الكائن الحي ، تبعا لذلك ،صورة عنه ، تبدي ، شيئا فشيئا ، ما هو عليه امره المحيز وواقعه القائم من ترابط وتماسك . واذ ذاك ، يمكن لحي ناطق ان يستعمل كلمة « وعي » او شيئا قريبا من هذا التعبير وذلك عندما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرغب في الافصاح عن وجوده وكينونته ، وصيرورته ، وما هو عليه .

ومع ان هذا اللفظ ينم عما يمكن ان نسميه بنظرة الانسان الذاتية او يقظته من الداخل ، فلا يمكن استعماله مع ذلك ، الا بشيء من الخبط والتشويش في التفكير ، اذ انه يفرض وجود « حدين متوازيين » ، واع ومادي ، الى جانب الشبكة العصبية وما اليها ، اي ان هنالك شبكتان من الظاهرات تقومان معا في آن واحد ، تكمل احداهما الاخرى دون ان تتفاعلا كما انه ، من جهة ثانية ، يستفرغ جهدا كبيرا ، عملا بمبدأ القصور الذاتي ، لما طبع عليه الانسان من طرق متحكمة مؤذية . ومن جهة اخرى ، ان ما في الانسان من قابلية غريبة للرمز والتضمين ، مع ما لهذه الميزة من قيمة لا تقدر ، تسهل له ليس الاتصال بالغير فحسب ، بل ايضا رياضة فكرية وعملية عقلية ، كثيرا ما اودت به للشطط والزلل ، وسوء الفهم والحكم المبتسر على الامور ، وتفسيرها تفسيرا مغلوطا كما اودت لمباهاته برموزه وصوره وتضميناته ، حتى ولو اشكل عليه التمييز بينها وبين الحقيقة . الا ان ازدياد المعرفة بين الناس ، وانفساح رحابها واتساع ارجائها ، جعلتهم يدركون ان التقليد ، حتى القديم منه ، هو من صنع الانسان ، وان التجربة المنهجية المنتظمة ، والنقد الحر بمعزل عن كل رقيب او كابح او حسيب ، والمحاكمة العقلية التي تأتسي بالعلم وتعتمده دون سواه ، هي وحدها القمينة باعطائهم تفهما صحيحا للامور ، وادراكا صادقا للاشياء والكائنات .

وعن طريق التفتح التدريجي ويقظة الوعي في الكائن الحي ، واخذه بصورة رتيبة بهذا التكيف النموذجي ، استطاعت الحياة ، محيزة في الانسان ، ان تسير صعدا في طريقها الى آفاق جديدة ، والطلوع ، عن طريق الكشف والاستنباط ، بوسائل عيش جديدة . وفي الوقت ذاته ، عندما تحاول الحياة ان ترفع من دور الانسان الحيوان وتسمو به الى فوق بتصرفه ومسلكه وسيره ، يتقوى بالتالي ، مركزه عن طريق توسيع آفاق معرفته الى ان يحل محل النبات ويأتي فعلها ، في الاعمال والوظائف التاليفية التي تأتيها المملكة النباتية ، حتى في اكثرها تعقيدا .

وبين الامور التي تسترعي النظر في هذا الحد يبلغه الانسان في تطوره الصاعد نرى ان تطوره الاجتماعي قصر جدا عن اللحاق بتطوره المادي ومماشاته على قدم واحدة ، وان ما يلاحظ بالتالي من نقص فاضح في التعاون بين ابناء جنسه ، قد يكون فيه هلكته وفناؤه والقضاء على كيانه والتطويح بمعالم حضارته ، وعلى ما دبجها به ، منذ ان كان ، من منافع ، وفوائد ، وخدمات ، كلفته الامرين . قد يستطيع الانسان ، الفينة بعد الفينة ، ان يعمل في ريادة الفضاء المجهول ليجلو منه ما خفي بعد عليه ، كما يعمل ، حينا بعد حين ، على الكشف عما خفي عليه من اسرار ذاته . الا ان مثل هذه الريادة يقتضي لها حكمة وحذرا بالغين ، لا يتوفران الا بهذا التتبع الدقيق الحر الصادق ، المرتكز على ما لدينا من معرفة نامية متقدمة لطبيعة الاشياء والكائنات ، كما يرتكز على الموفور الخير من سلامة القصد وحسن النية والرشاد دونما لبس ولا التواء .

اذا كان تحولنا الخطر وانحرافنا عن هدف قصير محدود الى هدف اخر ، سيفضي فعلا الى هدف آخر بعيد الامد قائم على مخطط مدروس ، فقد يترتب علينا ، والحالة هذه ، ان نعيد النظر بشجاعة ورباطة جأش ، في كل ما لدينا من مثل وقيم فنقومها من جديد ، اذ ان المحاكات العقلية الخاصة بقيم الاشياء ، يجب ان يكون الموضوع الرئيسي لكل بحث علمي ، لا ان تكون فوق البحث كما يدعي بعضهم اليوم . وانسجاما منا مع النتائج التي توصلنا اليها بعدهذا المطاف البعيد يتحتم علينا ان نجري تبديلا وتحويرا في الاساليب والطرق التي تسير عليها دوافعنا الداخلية او في تلك الاواصر التي تشد الفرد الى الفرد الاخر وتربط الجماعة باختها . ففي الحين الذي نتبين فيه ان اهدافنا الواعية ، هذه الاهداف التي يمكن ان نعبر عنها بصورة عامة بـ « نشدان السعادة » هي الافعال المركبة المعقدة القابلة التحول ، المنبعثة من بدواتنا ونزعاتنا البدائية التي حيزها فينا الاصطفاء الطبيعي ، وفقا لحاجات المورث الدفينة ، ولمطلبه القائم من البقاء والديمومة ولتوسيع مجالات الانطلاق امامه ، تحتم علينا ، والحالة هذه ، ان ننشد وسائل اصلح واكفأ من الوجهة الوظائفية ، لنشدان السعادة . وهذه الوسائل يجب ان تؤمن ، بنجاح اكبر واتم ، الانسجام بين نزوات المورث وبدوات طبيعتنا الواعية البعيدة الغور ، بحيث ان تحقيق اية نزعة او اي مطلب من هذه النزعات والمطالب ، يدعو بالتالي لتحقيق غيرها . وكل منصرف غير هذا المنصرف يؤدي بالنتيجة ، الى اضعاف النفس وايهانها ، في عالم قوامه التعاون المتبادل والمنافسة المتشابكة المعقدة .

من الخطل في الراي التأكيد بان نزعة المورث للنمو والازدياد ، تكسب الكائنات الحية نجاحا بيولوجيا او انه يؤمن له منتهى الخصب والانتاج . والقاعدة العامدة هنا هي انه كلما ارتفعت رتبة الكائن الحي في مدرج او سلم الكائنات الحية ، ازداد بالتالي الفرد طمأنينة على حياته وسلامته ، فتتناقص ، بالتالي ، فيه ، قوة الانسال واستيلاد الذراري . فناموس بقاء الاصلح او ناموس الاصطفاء الطبيعي قد انقص في مرتبة الاحياء العالية ، طاقة الخصب والانسال ، اذ ان النزعة القوية للاكثار من الذراري ، يتهددها ، من جهة اخرى ، الخوف من عجز الحي عن تأمين الرعاية اللازمة لذراريه ، كما يوهن ما فيها من طاقة وفعالية ، وهذا بدوره يخفض كثيرا من طاقة الانواع على اتيان ما ترغب فيه من نماء بيولوجي . وبالفعل ان الانسان المتمدين قد بلغ ، بفضل ما لديه من وسائل تقنية متقدمة ، درجة عالية من الحفاظ على الحياة وصيانتها من المخاطر (باستثناء الحرب) بحيث ان خفوض ما فيه من طاقة الانجاب والانسال ، يتناسب تماما والحالة التي تلابسه اليوم من هذه الناحية : الناحية البيولوجية وسعادته الفردية ، اكثر من الحالة التي اصاره اليها ناموس الاصطفاء الطبيعي ، بعد ان عرف كيف يكيف الظروف والحالات البدائية الطبيعية التي لابسته وعاشها منذ البدء .

وها نحن نرى اليوم الرجل المتمدين يقطع اليوم ، في هذا السبيل ، اولى مراحل الطريق نحو تحقيق هذا المطلب بصورة آلية ، وذلك عن طريق التحكم بكافة الانسال وقدرته على الاستيلاد . الا انه يقتضي له ان يتمرن ويتمرس طويلا في هذا المضمار ، وينوع الوسائل التقنية التي يعتمدها لهذا الغرض بحيث يتوصل الى اثارة تفاؤل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عام بين الناس اجمع والحفاظ عليه بالنسبة لما هو عليه الفرد الواحد من قدرة على تامين ما يحتاج اليه من طاقة وغذاء وغير ذلك من مقومات العيش الكريم . والا لراي نفسه يعود القهقرى سراعا ليتردى في مهاوي الشقاء والفوضى ويتسكع في حرمان معظم المنافع والخدمات التي عرف ان يوفرها لنفسه خلال تطوره الصاعد ، ولربما افضى به الامر الى ما هو اقسى واقتل ، في حرمان دائم من هذه المواد والموارد التي يحتاج اليها ويستعين بها للنهوض من جديد او ليحقق المزيد من منافع وخدمات يستفيد منها على الدهر في حياته . وهكذا يبقى صحيحا الى ابعدحدود الصحة ان نجاح الانسان المتمدين في نشدانه السعادة ، هو شرط لا بد منه ولان ندحة عنه ليستطيع المورث تامين عملية استمرار النسل . ومن جهة اخرى ، ان نشدان السعادة والحنو اليها ، يجب ان يوجه في الانسان المتمدين على شكل وغرار بحيث يؤمن له الامتداد البيولوجي ، اذا ما شاء هذا الانسان او رغب في ان يتخذ يدا من الفرص المؤاتية لتامين اكبر قسط من الخير لاكبر عدد ممكن من الناس ، وبعبارة اخرى ، اذا اراد ان يخفض الى ادنى حد ممكن المخاطر التي تترصده ولا يبقي متخلفا عن الجهاد الاكبر في سبيل الحياة والبقاء .

ولكن ، لو فرضنا وسلمنا جدلا ان الانسان سيتوصل في نهاية الشوط للتحكم بصورة مطلقة بتحديد نسله ، او انه سيصل في مضمار تطوره الاجتماعي الى مراحل لم يكن ليحلم بها او لتخطر له في خاطرة ، فكل تقدم يحققه في هذه الناحية ، انما يقوم حتما على اساس بيولوجي واه ما لم يعن عناية خاصة بهذا الامر ، ليس من الوجهة الكمية فحسب بل ايضا من الوجهة النوعية ايضا . وذلك ان الاستبقاء المفتعل والاستحياء المصطنع للكائنات الحية في مدنيتنا الحديثة هذه ، سيؤدي ولا شك في ذلك ، الى طلوع عدد لا حد له من المورثات الطافرة المؤذية ، ما لم يقابله من جهة ثانية ، مراقبة مستنيرة رشيدة ، مدبرة لانواع المورثات المرغوب فيها وفي توالدها . ولكي تأتي هذه السلسلة من الافعال قديمة رشيدة ، يجب ان تأخذ مجراها بحرية تامة وبصورة مثالية بعيدة عن كل فجور او وهم او غرور

وهذه الروح ذاتها تفرض علينا قبول المبدأ القائل بانه بالرغم مما في طبائعنا من قابلية شديدة للتكيف مع ما يلابسنا من مؤثرات الوسط والبيئة ، فان حياتنا يمكن تحسينها تحسينا كبيرا بالنسبة للدور الذي نلعبه في عالم الاجناس الواسع ، وذلك عن طريق تكييف نواذعنا البدائية الموروثة ، وتحسين ملكة التفكير المولودة معنا ، حتى وتقويم تركيبنا الجسماني . وبالفعل ، فاننا لا نرى اي حد على الاطلاق يمكن ان يقف عنده تطور من هذا النوع ، على شريطة ان نعمل صادقين ، على تحقيق هذه التطورات ، بعد ان سدت امامنا بالكلية ، امكانية حدوث هذه التطورات عن طريق اصطفاء طبيعي غير واع ، كما سبق وذكرنا اعلاه ، من جراء الحالات الناجمة عن تطورنا الاجتماعي . وفي الوقت ذاته ، ان التطور الاجتماعي قد امدنا في الماضي ، وسيمدنا في المستقبل الطالع اكثر فاكثر ، بوسائل تقنية غاية في الفعالية يؤمن لنا معها تحقيق تطور مفتعل . وهذه الوسائل التقنية المرجوة ، تتضمن فيما تتضمن ، المزيد من مراقبة عمليات التناسل والوراثة ، كتكون الخلايا التناسلية وخزنها ، وعملية التلقيح ، والتوالد العذري ، وتعدد الاجنة والحبل المصطنع ، ومسلك الكروموسومات ، وربما توزيع المورث ونقله . ان التحكم بالطفرة او بالتحول ، لعملية تالية منوطة بالامكانيات الطالعة في المستقبل البعيد .

ولا شك قط ان التطور البيولوجي الذي بالامكان تامينه عن طريق الوسائل العلمية المتوفرة اليوم سيتم على نسبة واقدار تفوق بكثير نسبة التطور اللاواعي الذي تم حسبما رسمته نواميس الطبيعة . والخوف وحده من يد الموت المنتقمة ، هذه الخرافة التي اخذ بها الناس قديما وما زالوا ، هو الذي يفوت على معظم الناس الفرص المؤاتية لحياة افضل . الا ان تقدم الانسان في معارج النور والارتقاء ، كفيل بان يقضي على هذا الفزع بالكلية . فالانسان اليوم ، كما تنظر اليه نظرية النشوء ، يمثل مرحلة انتقالية من مراحل التطور ، انما هي مرحلة حاسمة وعطفة موجهة في تاريخ تطوره ، اذ ان منهج التطور في مراحله المقبلة سينتقل من اللاواعي الى الواعي ، ومن الواعي الى التجريبي والاختباري بمافيه من صح وغلط ومن التجريبي الى المخطط المرسوم لامد بعيد .

ان الانسان اليوم ، في ما يخضع له من عوامل التبعية وما يرسف فيه من قيود السلطة ، يعجز ان يرقى الى مثل هذه المراقي التقدمية . فاذا ما حاول الاتيان بشيء من هذا استهدفت جهوده للافساد والتضليل والاحراج . ولكن عندما تحين له الفرص المؤاتية والسوانح الحليمة للابراء والابداع والخلق ، وهذا كله من صفاته وخلاله ، فسيكون من منابع غبطته والهامه ، ادراكه انه الالف والياء والبداية والنهاية لهذا الوجود ، وباب هيكله ومحرابه ، وانه عن طريق جهوده هو ، وجهوده وحده دون سواه ، قد يصبح الناقل الافضل او المحبب للحياة على هذه البسيطة . وهذا انما يعني ان في مكنة الانسان ان يصبح الطريق التي تسلكه الحياة للانطلاق الى الامام ، والى العالم الخارجي الى هذه القوالب وهذه الصور التي هي اكثر انسجاما مع نفسها ، ومع الطبيعة الخارجية ، وقد ارتدى حساسية ارهف ، وحكمة اعمق ، وقوة ابعد مدى ، واشد انطلاقا .

من منا يستطيع ان يستشرق او يرى كم من الوقت وكم من الحقب يلزم لهذا الوعي الذاتي ، وهذا التحول الذاتي اللذين يحمل الانسان بزرتهما في ثنايا نفسه لتمتد وتعرق بعيدا في جنبات هذا العالم ، فتتحدى بتطورها المتصاعد عمل هذه القوى والكتل العمياء التي برز فعل الانسان بالنسبة اليها عملا مبتذلا او صدا تافها . والناموس الذي يخضع له المورث سيقوي ويزداد ، وسيتطور المورث بما فيه سلامته ونموه . واذا كان هذا المورث الفاقد الحس والعقل قد افضى به التطور الى ابداع العقل والتبصر ، ونقل هذه المناقبية من الفرد الفكري او العقلي الى الفرد الاجتماعي فما عسى ان تكون ، يا ترى ، الامداء التي سنصل اليها نحن وابناؤنا ، صورة هذا العقل الاجتماعي المتجسم ، اذا ما اردنا ان ننهض بوعي ومعرفة ، الانتصار على الحياة والتحكم بها ؟

يوسف اسعد داغر

الحاوي

*

أنا الحاوي ، انا الحاوي صديق الحيَّة الهاوي
سباني حسنها الذاوي وعين تنفث السحرا
وناب يبعث الذعرا وجسم مُعلَم ضاوي
لسان أحمر قاني تدلى من فم رطب
وذيل أملس داني ـ اذا التف ـ من القلب .
وفي الليل متى آوي

الى ركن على الدرب وحيَّاتي الى جنبي
ونجم الافق لي يهفو بطرف هانىء أغفو
كأن الدهر لي يصفو ولو أن الحشا طاوي
صحابي أفاعي القفار وزادي غبار الطريق
أجوب القرى والديار وأعرض ليل نهار

عجائب فن عريق

مشاهد فيها يحار لبيب الورى والبليد
ويهرع حيث أريد صغار الحمى والكبار
ليحظوا بمتعة عيد

اذا ما انتشى الافعوان وشيكا بخمر اللحون
أتى يعجب الفنون وهاج خفيَّ الشجون
وباح بسرٍّ مصون

كدرويش ليل حنون يثير الدجى والسكون
برقص طليق العنان

على ايقاع مزماري يشيل الرأس ممدودا
ويلوي العنق أملودا على ساق الغضا العاري
يهز الجسم في رقص بخصر ناعم رخص
كموج قد ثنى عطفا فأبدى ضوءه خطفا .
ألا فليسكت الراوي

فليس الرأي كالسمع : طغى السحر على الجمع
فأنظار هنا ترنو وألباب لنا تعنو
وأرواح بنا تدنو على عرش الثرى الخاوي
الى الحيَّات والحاوي !

بغداد — مير بصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

صراع مع الثلج

بقلم حليم بركات

شد نجيب حمل القمح الى ظهر بغله شدا محكما والقى نظرة على الضباب المتكاثف في الغرب فوق جبل « القصير » ، ثم التفت الى الوراء — الى سهول الجفتلك المنشلحة ابعادا متماوجة . وما اطال تحديقه اذ ركز بصره على زملائه وقد مشى كل الى جانب بغله متمسكا بحمل القمح محاولا ان يساعده في تسلق ذلك الجبل المتوحش الضارب نفسه نحو السماء الحق معك يا ابراهيم . الغيوم تزداد .

— اما قلت لكم ؟ رايي ان نرجع

ووقف خليل صارخا : نرجع ؟ بعد ما قطعنا الدنيا ؟ قطعنا ربع الطريق يا مجنون .

وتنبه ، فيما هو يقول هذا ، الى ان يفعل ما اعتاد فعله في كل الازمات — أن يضحكهم وينسيهم انفسهم فرفع كوفيته المثقوبة في اكثر من مكان عن راسه ورمى بها الى الارض قائلا بحنق مفتعل : اذا رجعت هذه الكوفية الى راسي ارجع انا .

وسمعهم يضحكون غير ان ضحكاتهم كانت باهتة مما جعله يدرك ان هذه النكتة لم تعد موفقة لكثرة ما فعلها فسكت ونظر الى تلك الغيوم : انها تزداد . كانت رمادية والان هي سوداء كسرواله ... لا بد ان تمطر . بعد قليل ستظلم الدنيا . مطر وليل مظلم وتسلق جبال لا يمكن اجتيازها قبل خمس ساعات ، وثيابهم الخفيفة . لا احد يلبس سترة غير ابراهيم . كان يجب ان يسمع ما قالته امراته فيجلب معطفه . اما كان من الافضل ان يقفوا تلك الليلة في « رباح » .

وود ان يصرخ بزملائه : يا شباب والله الحق مع ابراهيم . يجب ان نرجع . ولكنه لم يصرخ . لقد خشي ان يتهمه نجيب بالخوف . كما انه عندما يصل الى الكفرون سيجد ليون مجالا للسخرية منه فيخلق حول خوفه ملايين من النوادر . وبدل ان يصرخ بهم طالبا العودة ضرب رجله في الارض بقوة وقال : الى الامام ، يا شباب . ما بكم ؟

وتبع نجيب الذي يسير في الطليعة كان يعرف تماما ان يوسف مثله ومثل ابراهيم يود العودة غير انه تظاهر بالشجاعة . انه ليس شجاعا ، وهذه الحقيقة تسيطر عليه الان فلا يجروء ان يقول انه خائف . فهو يبدو شجاعا لانه يخاف ان يكون غير هذا . لا احد يريد اكمال السير غير نجيب رغم انه اكبرهم سنا واضعفهم بنية واقلهم اكتساء . لا شيء يستره غير هذا القميص فوق سرواله — قميص ضاعت بعض ازراره فكشف عن صدر هو بعض هيكل عظمي لفه جلد اسمر يعلوه شعر قصير ويتفرع عنه ذراعان ضعيفان يتحركان الى الامام والوراء بثقة . في جبهته وعينيه ويديه وصدره وحتى في صمته يلوح العزم هذا العزم يجعله يسير ويجعلهم يسيرون وراءه رغم انهم يفضلون العودة

والحقيقة ان تخوف ابراهيم ويوسف وخليل زاد من تصميم نجيب على المضي في سيره . فغدا في القرية لن يتحدثوا عن خوف هؤلاء فقط . سيتحدثون عن شجاعته ايضا . سيتناسون ما فعله في السنة الماضية . وعبر في راسه خيال ابن عمه ولكنه اغمض عينيه كانما يود الا يراه هكذا يسخر منه ، بل يلومه .

سيتناسون ويقولون : هذا الشبل من ذاك الاسد . ابوه الذي مات في صراع مستميت مع الاتراك لا يمكن ان ينجب ولدا جبانا . غدا لن يتجرأ المختار ويقول : لقد انتهيت يا نجيب . ايام العز مضت .

وعرف ما يقصد المختار عندما قال هذا في السنة الماضية . انه يلمح الى موت ابن عمه . وعبر في راسه خيال ابن عمه ثانية وقد هاجمه اللصوص في نفس المكان الذي يتسلقه الان . وتخيل نفسه وقد هرب في تلك البرهة . وتركه وحده فقتلوه . لا يدري كيف هرب . في حياته كلها لم يكن جبانا كما كان في تلك الليلة كيف تركه ؟

لو لم يفعل هذا لمات معه . ولكن الم يكن من الافضل ان يموت بشجاعة فلا يسخر الناس منه ويدعونه جبانا رغم ماضيه ؟

والتفت الى خليل كيما يطرد صورة خوفه من مخيلته ، واذ لم يجد ما يقول ود ان يفكر بشيء اخر : غدا سيكون عيد الميلاد ويجب ان يقضي العيد مع عائلته . وفي جيبه هدايا لولديه الصغيرين لا بد ان يوصلها .

غابت الشمس وراء تلك الغيوم الكثيفة الممتدة نحوهم وبدات الارض تحيك حول نفسها شرنقة من الظلام . ولولا تلك النسمات الباردة الاتية من الشمال ولولا خرير المياه في اسفل الجبل لبدت الطبيعة في وجوم .

انه ما زال في الطليعة . كل ما في نفسه ترقب وتوق الى شيء غير عادي سيحدث . ان هذه الليلة لن تكون كاي ليلة اخرى في حياته . شيء عظيم لا بد ان يحدث ، ولكنه لا يدرك ما هو تماما . وكيف لا يترقب حدوث شيء عظيم وهذا الجبل العالي الضارب نفسه نحو السماء يتحداهم وعليهم ان يستجيبوا؟ وهذا الطريق الضيق الذي تكاد تضيع معالمه في النهار كيف يمكن اكتشافه في الليل ؟ والظلمة التي ستلفهم لا يقف في وجهها قمر ولا نجم . وهذه الغيوم التي تكاد الان ان تقف فوق رؤوسهم لا تنذر بالمطر فقط بل بالثلج ايضا . كيف يجابهون الريح والمطر والثلج وهم في ثياب شبه صيفية ؟ وهذه الجبال المهجورة لا تخلو من الحيوانات البرية . هناك حكايات عن زملاء لهم مزقتهم الذئاب او ربضت لهم الضباع . منذ سنوات اما هاجم ضبع ابا نوفل ولو لم يكن معه مسدس لمزقه ؟ ما كان يجب ان يترك مسدسه في البيت .

اراد خليل ان ينسلخ عن افكاره ومخاوفه ويحطم ذلك الصمت فارتفع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صوته بالغناء . ووجد كل من ابراهيم ويوسف في غنائه حبلا ينجيهم من امواج بحر صمتهم المتكسرة على شواطىء نفوسهم ضجيجا وترقبا خائفا فاشتركوا معه في الغناء . كان صوته يرتفع ببيت من العتابا فيجيبانه بردة من الميجانا . ووجد نجيب نفسه يشترك معهم ايضا . فاختلط الغناء بالضحك والصريخ فنسوا انفسهم وما احسوا بالظلمة تلفهم .

ولما لم يجد خليل بيتا من العتابا يغنيه توقف واقترح ان يلقي كل واحد منهم نكتة ريثما يستريح قليلا فيعيد ما سبق له وغناه . ابتدأ نجيب وتبعه يوسف فخليل فابراهيم . وكانت نكتة الاخير بذيئة فارتفعت ضحكاتهم مجلجلة صاخبة .

وطاب لهم ان يتباروا في ذكر « اوسخ النوادر » كما اسماها خليل فعاد الضحك يجلجل في افواههم واذانهم وفي منعطفات الجبل .

وتكررت نوادرهم وكانت ستستمر لو لم يقفوا فجأة مصغين . وكان ابراهيم اول من تكلم : سمعتم ؟

ـ سمعنا .

ـ انه عواء ذئب . اليس كذلك ؟

وقبل ان يجيبوه ارتفع عواء الذئب ثانية من مكان ما في الجهة الثانية من الجبل .

والتفت كل الى الاخر ، ورغم ان احدا لم يستطع ان يميز وجه رفيقه ادرك نجيب ما يجول في رؤوسهم فقال : انه بعيد . هات يا خليل . حديثك في موضعه . هات خبرنا . واستجاب خليل والتفت يوسف اليه مصغيا غير ان ابراهيم ظل واجما تبحث اذناه عن عواء الذئب وسمعوه للمرة الثالثة فانتفض ابراهيم وقال : سمعتم ؟

فأجابه الثلاثة : سمعنا

واردف نجيب مطمئنا : انه بعيد يا ابراهيم . لا تخف فا . .

وقاطعه عواء ليس بعيدا ـ على نفس الجهة التي يتسلقونها كأنما يجيب رفيقه في الجهة الثانية . صعقوا وغمرهم الوجوم ، غير ان نجيب رغم تخوفه ادرك ان من واجبه ان يحافظ على شجاعته . فاذا ما انهار هو انهاروا جميعا : لذلك تنحنح وقال ضاحكا : خفتم ؟ كمل يا خليل . كمل . هذا ذئب عاشق يغازل حبيبته في الجهة الثانية . والذئب العاشق تأكله انت قبل ان يأكلك .

وضحكوا جميعا لا للنكتة بل لانهم بحاجة الى الضحك . وتبع ذلك برهة صمت فوقف ابراهيم وقال : لا يبدو لي ان هذا الذئب عاشق .

فصرخ خليل بانفعال : وكيف يبدو لك ؟

ـ اعتقد ان الذئب الاول رآنا فنادى ابن عمه يخبره بوجودنا .

قال الذئب الاول « عندك فريسة » فأجابه الذئب الثاني « رأيتها . رايتها . لا تخف » .

وابتسم نجيب وقال : معك حق يا ابراهيم . وانا سمعته يقول . خل لي قلب ابراهيم . خله يا ابن عمي خله

وضحك الجميع فقال ابراهيم بشيء من الحنق : ان شاء الله افتكرتم انني خائف ؟ انا اخر من يخاف

واستغل نجيب كلمته هذه ليشجعهم فقال متسائلا : من خائف ؟

فأجاب الثلاثة : لا احد .

وارتفع صوته بعزم : اذن . . الى الامام

لم يمض وقت طويل بعد ان تلاشى عواء الذئب كما تلاشى كل شيء يمكن ان تقع ابصارهم عليه في الظلمة الحالكة . ووقف يوسف فجأة : شباب . نقطة ماء كبيرة سقطت على يدي . ستمطر .

وقال ابراهيم : وانا سقطت واحدة على انفي .

وهتف خليل : وانا سقطت واحدة على شاربي

اما نجيب فأحس مثلهم باكثر من نقطة ماء غير انه لم يقل شيئا فقد بدا يفكر : لا شك انها ستمطر . ماذا نفعل ؟ من بيده اليمنى على ذراعه اليسرى يتحسس عريها . كيف لم يجلب سترته ومعطفه ؟ ليس في هذا الجبل اي مغارة او شجرة يلتجئون اليها . على القمة اشجار سنديان تظلل مزارا .

واضاء طريقهم فجأة نور قوي ثم تلاشى بسرعة كما ظهر وتبعه رعد دوى في اذانهم ، فصرخ خليل : يا رب يا جبار . مضت برهة قصيرة بدا المطر يتساقط بعدها بغزارة فقال ابراهيم : ماذا نفعل ؟

فأجاب نجيب حالا : نسير .

ـ نسير ؟ خمس ساعات نسيرها في المطر .

ـ تذوب ؟ ـ انا سأعود .

ـ انت حر .

والتفت الى يوسف وقال : وانت: الا تعود ؟

وحار بماذا يجيب . الحقيقة انه يود العودة ولكنه يخاف سخرية خليل ونجيب . خصوصا خليل سيجعل منه اضحوكة في القرية . سيحيك حوله عشرات الحكايات .

وقرر ان يكمل السير فقال : لنسر قليلا . ربما هي غيمة عابرة .

ووقف ابراهيم في مكانه : غيمة عابرة ؟ يعني تريد ان تبقى ؟ انا راجع . اي مجنون يسير خمس ساعات في المطر ؟

تمسك ببغله واداره راجعا، ولكنه ما سار قليلا حتى شعر انه وحيد فخاف . تذكر عواء الذئاب فتوقف ونادى : يوسف . يا يوسف . وجاءه صوت يوسف مع نفحة ريح باردة كتلك التي تحمل الثلج معها يسأله عما يريد فصرخ : ارجع . ارجع .

وشعر نجيب ان يوسف يتردد كأنما يريد العودة فقال : يوسف . ارجع معه . انه خائف .

ووجد في هذه الكلمات منفذا له. سيعود ولكن ليس لانه خائف بل لانه يريد ان يشجع ابراهيم فصرخ : ابراهيم . انتظرني انا راجع . . راجع

والتفت الى نجيب وخليل وقال : متأسف . لولا ابراهيم ما رجعت . حرام . انه خائف

وصرخ الاثنان معا : مع السلامة .

وزاد خليل وفي صوته صدى ضحكة هازئة: انتبه لابراهيم يا يوسف.

لم ينقطع المطر . بالعكس ، لقد ازداد غزارة حتى ان ثيابهما التصقت بجسديهما لكثرة ما تبللت . ليس في تلك الارض ما يفصلهم عن غضب السماء . لا مغارة . لا شجرة . لا شيء غير هذا الجبل يرتفع ، وغير هذين البغلين يسيران رغم ارادتهما .

ووجد خليل انه يجب ان يتحدثا عن شيء ـ اي شيء فقال: ما رايك ؟

ـ رأي ؟ ماذا تقصد ؟

ـ اقصد ماذا نفعل ؟

مسح نجيب المطر عن وجهه وقال: وهل نستطيع الا ان نكمل السير ؟ اذا اردنا ان نرجع امامنا مسير ساعتين ، واذا اكملنا السير امامنا ثلاث ساعات او اكثر بقليل . على كل حال لا بد ان نتحمل . القضية تحتاج الى صبر .

وحار خليل فيما يجيبه غير انه قال : ولكن مسير ساعتين اسهل من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسير اربع ساعات . حتى ان العودة لا تحتاج الى ساعتين فالانحدار اسهل بكثير من التسلق . كما اننا كلما ارتفعنا في تسلقنا اصبح الطقس اكثر برودة . وكان نجيب على وشك ان يقول له : انا صممت على اكمال السير اما اذا اردت العودة فمع السلامة . غير انه امتنع خوف ان يفقد رفيقا . اقل ما يفعل هو انه يسليه . ينسيه الطريق فقال : لقد تبللنا وما يهم المبلل من المطر ؟ اسمعت هذا المثل ؟

قال نجيب هذا لانه كان يعرف كم يتأثر خليل بالامثال . وتنهد خليل ثم ارتفع صوته بشتيمة : يلعنك يا سليم . يلعن الكبير في اهلك . كل همه ان يشبع جيبته الفجعانة . ابن الكلب

وعرف نجيب لماذا حول رفيقه غضبه الى التاجر سليم . هذا القمح الذي ينقلون من سهول الجفتلك عبر جبال العلويين الى الكفرون لايخصهم انه له . ولذ له ان يكمل هذه الشتائم فقال : معك حق . ابن الكلب . واندفع خليل في كلامه : ابن الكلب . في حياتي ما عرفت اطمع منه .

وضحك نجيب بكل ما فيه من حاجة للضحك غير ان ضحكته تلاشت فجأة . لقد بدا البرد يتساقط حبات كبيرة . وصرخ خليل : خلص . متنا .

ووضع كل منهما يديه على وجهه يتقي صفعات البرد القاسية . والريح زادت ولولتها حتى انها كادت تقتلعهما من الارض وترمي بهما الى الوادي . كانا يحاولان التقدم الى الامام والرياح تدفعهما الى الوراء . استمر الصراع دون جدوى فقد وقف بغل نجيب وتبعه بغل خليل .

وازداد سقوط البرد فصرخ خليل بحنق : اريد ان ارجع الان . واجابه نجيب بهدوء : مع السلامة .

لم ينتظر مثل هذه الاجابة فقال وقد تلاشت الحدة من صوته : وانت؟

ـ انا اكمل السير .

ـ ولماذا لا تعود ؟

ـ لانني صممت ان اقضي العيد مع العائلة .

وتلفت الى فوق ثم اردف : صممت ان اكون في البيت غدا .

ـ انت اعند من بغلك .

ـ وانت جبان اكثر من جحا . . . لا بأس . مع السلامة .

خطا خطوة ثم وقف وادار وجهه الى نجيب مبتسما فساله الاخير بسخرية : ما بك ؟

ـ سأعود حالا .ـ تعود الى اين

ـ اليك . انتظرني تحت السنديانة ـ في المزار . سأجلب اغطية وقنديل . انتظرني سأعود سريعا .

وفرح نجيب لهذه الفكرة ولكنه لم يقل شيئا .

وحده الان . . هو والبرد والرياح وقمة عالية عليه ان يجتازها ولا بد ان يجتازها . صراعه هذا لن يكون دون صدى في القرية . لن يقول احد بعد الان انه انتهى . لن يقولوا انه هرب كما فعل في السنة الماضية . جسده قد ضعف . هذه حقيقة لا شك فيها . انما ارادته ما زالت تلك الارادة القوية التي عرفها في شبابه . بعضهم قال انه عنيد مجرد عنيد ، لكنهم قالوها حسدا . لقد اعتاد منذ صغره الا يخاف . في العاشرة من عمره كان ينام وحده في العرزال . عرزاله لم يكن في القرية ـ حتى ولا قربها . كان في كروم العنب المحاطة بحرج من السنديان في صدر الجبل المواجه للقرية . تلك المنطقة كان يهجرها الناس ساعة تهجرها الشمس . كم من مرة نام وعواء الذئاب في اذنيه . تعود الا يخشى اي شيء ، تعود ان يصارع دون خوف فلماذا لا يكمل سيره الان ؟ لقد خاف عندما هاجمهما اللصوص . انها المرة الوحيدة التي خاف فيها . ما كان يجب ان يخاف . ولن يخاف الان .

ونهض ناهرا بغله فسار ماسكا حمل القمح المبكل متحديا البرد والريح . وكيف لا يكمل سيره ؟ لقد وعد زوجته انه سيقضي العيد معهم . وعد ابنه انه سيحمل له شيئا جميلا ، ومد يده الى جيبه يتلمس مسدسا للماء . كذلك وعد ابنته انه سيقدم لها اسوارا من الذهب جميلة مثلها وتلمس ايضا السوار النحاسي في جيبه الثانية .

وتأمل زوجته واولاده وقد سمعوا صوته عندما يصل فاندفعوا الى الخارج فرحين . تأمل امرأته تتعلق بعنقه وتقبله مارة بيدها على قميصه المبلل قائلة : نجيب ، حبيبي ، كل هذا المطر تساقط عليك . ادخل . ادخل حالا وبدل ثيابك واجلس قرب الموقد . النار بانتظارك يا حبيبي . ادخل .

وراحت تقبله ثانية ماسحة الماء عن جبهته مارة باصابعها في خصلة من شعره تدلت الى الامام . وشعر بطفليه يتعلقان بسرواله ويحتضنهما معا ويرفعهما اليه مقبلا : احزري يا رابية ماذا اجلبت لك . وانت يا عصام احزر .

ويصب نظره في عيونهما يراقب بريق الفرح بنشوة ثم سمعها تقول : سوار ذهب .

ويهز عصام كتفيه كانما يقول « لا اعرف » فيحتضنهما من جديد فرحا . ويسري الخبر في القرية ـ نجيب وصل وحده . كلهم خافوا المطر والريح والبرد ـ كلهم ماعداه .

زادت هذه الخواطر من تحمسه وانسته بعض مصاعبه . وهو اذا رجع لن يفقد متعة قضاء العيد مع عائلته فقط ، انما زملاؤه الذين تركوه ورجعوا ماذا يقولون اذا شاهدوه عائدا . سيقولون : اما قلنا لك لنرجع يا عنيد . لقد عرفنا انك سترجع . في المرة الثانية اسمع ما نقول لك .

حتى ابراهيم سيقف منتصبا ويصرخ . اه . رجعت ؟ قلت لهم انك ستعود .

لن يطيق سخريتهم . وانتهز بغله يحثه على السير غير انه لم يستجب . وبعد صراخ وشد وجد ان البغل اعند منه فما استطاع الا ان يشق طريقه صعدا نحو تلك القمة التي يحجبها عنه الظلام . راحت الثلوج تتراكم وتتراكم فوق طبقات البرد . رقع بيضاء تخالط سواد الظلمة وهي تتساقط بهدوء وطمأنينة . واحس كانما بدنه يتحول الى لوح من الثلج فود لو يستطيع ان يركض فيتحرك دمه قليلا . قدماه كانا يغوران في الثلج فما يمكنه نزعهما بسهولة . ومرت في رأسه فكرة اخافته . فكرة لم تخطر في باله قبل تلك البرهة . لقد غمر الثلج الطريق فما يبدو امامه اي اثر يتبعه . قد يحيد عن الطريق فيضيع . وقد يكون حاد عنه . لا يدري اين هو الان واين سيصل . ولكنه رغم هذا لن يقف

كان يمد بصره في الظلمة باحثا عن شيء لا يعرفه ، ولكن بصره ما كان يقع الا على الظلمة وعلى رقع الثلج التي ما زالت تتساقط . . بل زادت في تساقطها وكانها لن تنتهي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان السماء استحالت الى تلج وصبت ذاتها على الارض . مثل هذا اليوم لم يعرفه هو ولم تعرفه هذه البقعة من الارض . في ساعتين يتراكم الثلج حتى يكاد يصل الى ركبتيه . عجيب . ما كان يأمل هذا ابدا. كيف يقطع ما تبقى له من مسافة . عندما يصل الى القمة ينتهي كل شيء . ما عليه الا ان يلجأ الى المزار . وعند الفجر ينحدر نحو القرية فيستقبله اهلها وكأنه بعث من الموت . وتأمل امراته وطفليه يندفعون نحوه بسرعة وبلهفة . وطرد الصورة من راسه اذ صمم ان يسير من جديد . وانب نفسه لاستسلامها لنشوة التعب .

قدماه يغرقان في الثلج من جديد يغرقان حتى ركبتيه . كان يسير رغم التعب ورغم تخدره من شدة البرد . لم يبق له ما يدفعه الى الامام غير ارادة قوية . وسره انه يواجه هذه الصعوبات كلها . شعر بنفحة من السعادة تولد في عروقه . هذا اليوم لبس ككل يوم في حياته . انه الان ، وهو يشق طريقه في الثلج ـ يختلف عنه وهو جالس قرب النار يتدفأ . كل انسان يستطيع ان يجلس قرب النار . انه الان ـ وهو يواجه هذه الصعوبات يختلف عنه لو رجع ـ لو هرب مع رفقائه . اي فضل له في ان يهرب من الصعوبات . كل انسان يستطيع ان يهرب من الالام ولكنهم نادرون اولئك الذين يواجهونها وينتصرون عليها . انه يوم صعب ولكنه عظيم . انه يختلف عن كل يوم في حياته وما احس يوما انه موجود بقدر ما يحس الان . قد يقول البعض انه عنيد وانه مجنون . ولكن هل يكون عنيدا ومجنونا من يفعل ما هو خارج حدود مقدرة الاخرين ؟

زادت هذه الخواطر من تصميمه على اكمال السير . وشعر ان نفحة السعادة التي ولدت في عروقه تزداد مع ازدياد تساقط الثلج .

الرقع البيضاء تقذفها الريح الى راسه ووجهه فيفور بعضها في فتحات قميصه الى صدره . لقد برد كثيرا حتى انه لا يحس بالبرد الان . تقلصت عضلات رجله اليسرى فكأنما اصبحت قطعة من الخشب لا يحس بوجودها . ولو لم يشعر انه بحاجة اليها لما ادرك انه يستطيع تحريكها . انها مجرد شيء علق فيه ـ شيء يتجرجر وراءه . جمدت عيناه . جمدت يداه . جمد كل شيء فيه . ماذا ؟ ما بها ؟

ثم عبر هول المفاجأة فحاول تحريكها من جديد . كأنها ليست رجله . كأنها ليست منه وان حملها مثلما يحمل ثيابه . لا يستطيع ان يفهم ماذا حدث له . ربما جلدت ، او ربما خدرها التعب . ليكمل السير من جديد . ولكن كيف ؟ زحفا . زحفا ؟ ولم لا ؟ ما زال له رجل واحدة ويدان . ومال قليلا نحو جنبه اليمين وراح يزحف . انها عملية بطيئة جدا. ثم ان صدره العاري يلامس الثلج فيلمسه هذا بقساوة . ماذا يفعل ؟ ايستسلم فيموت هنا ام يصارع بكل قواه وبكل ما بقي له وراء هذا الامل الباهت . اذا استسلم سيموت ضعيفا ، اما اذا حاول ان يزحف . ربما يصل . وحتى اذا مات وهو يزحف سيكون موته كبيرا .

وعاد يزحف من جديد ـ يزحف بطيئا على الثلوج التكاثفة ، الريح ما زالت تنثر تلك الرقع البيضاء في وجهه دون رحمة وحتى دون اعجاب او تقدير .

وتمثل له طيف امراته وطفليه فابتسم وقال : لا تخافي . لا تخافوا. سأصل . لن اقف . سأظل ازحف رغم اي شيء . وسنقضي العيد معا . هدية البنت في جيبي . كذلك هدية الصبي . سنقضي العيد معا وسأراك في فستانك المخملي الجديد . ارجو ان يكون جميلا مثلك . ما بك ؟ ألا تسمعين ما اقول لك ؟ اراك خائفة ! لما هذا الخوف في عينيك . انت كنت دائما شديدة الثقة بي . وكأنه سمعها تقول : انا اثق بك ولكنني لا اثق بالطبيعة احيانا .

وقهقه في وجه الريح اذ حسب نفسه يقهقه في وجهها وصرخ : تثقين بي ولا تثقين بالطبيعة ؟ الانسان اقوى . الانسان اقوى . يبدو لي انك لا تصدقين ما اقول ؟ ما زال الخوف في عينيك. تأكدي يا امل ان الانسان اقوى ـ اقوى بكثير حتى ولو تغلبت عليه .

ورآها تحدق برجله اليسرى كأنها تقول « ألا ترى ؟ » فقهقه من جديد : ولكن الا ترين انني ما زلت ازحف رغم هذا ؟ سأصل يا امل . ولن يقف في وجهي اي شيء . هذه الثلوج المتراكمة ، لن تقف في وجهي، وهذه الرياح ايضا لن تقف في وجهي لقد اقتربت من القمة . هاهو خيال السنديانة على القمة .

وشد اسنانه بعضهم الى بعض كي لا يعود يسمع صريرها ولكنه لم يستطع . لقد فقد السيطرة حتى على اسنانه . لا بأس . ما زال له يداه ورجله اليمنى وان بدا يحس بتخدير يسري في عروقها . ستجلد كرفيقتها . لا بأس . يداه قويتان تجرانه الى القمة ـ الى السنديانة المادة اغصانها في الظلمة . وحاول ان يسرع في زحفه . يداه تبحثان عن شيء ـ اي شيء ، وصدره يتجرجر بكل ما فيه من حيوية وايمان وقدمه ما زال يدفع الثلج وراءه دفعا يتضاءل ويتضاءل قوة ، وسمع عواء ذئب ليس بعيدا [illegible] فما توقف . لن يخاف . قد يشم الذئب رائحة خوفه فيهجم .

ورفع نظره يتطلع الى السنديانة على القمة ـ السنديانة المادة نفسها اغصانا بيضاء في الظلمة . ضرب يده الى الامام ودفع قدمه الى الوراء فشعر ان الثلج يتحرك تحت صدره وينهار فيتدحرج ويتدحرج لا يدري الى اين . كتل من الثلج تضرب نفسها براسه . يداه تخبطان في فراغ بحثا عن شيء وما هناك غير هذا الثلج ينحدر به الى اسفل .. اسفل .

وشعر انه توقف فحاول ان يتحرك ولكنه لم يستطع . أيظل هكذا ملقيا على ظهره ؟ وحدق بالسنديانة فوقه فبانت له اغصانها وكأنما تحولت الى وجوه تبتسم .. وجه ابن عمه .. وجه امراته وجهي طفليه ملتصقين .

وفيما الثلج يتساقط .. ويتساقط كأنما ليغمره كان يرقب ضوءا باهتا يتسلق القمة الى مكان هو غير هذا الخندق الذي يحتويه ـ نحو دقات الجرس في عنق البغل .

واراد ان يصرخ فلم يستطع . وحاول ثانية .. وثالثة دون جدوى. وانحفرت في عينيه صور ووجوه واطياف واضواء ضاعت في وجه ابن عمه يبتسم .. يبتسم .. يبتسم .. يود ان يضحك

وما شعر بيده تتحسس الهدايا في جيبه .

حليم بركات

غزة ... المدينة السجينة

○

ايه غزه ...
كيف خلفت الضحايا
كيف امسيت حطاما ... وبقايا
كيف قارعت على البؤس الرزايا
والمنايـا ...!
اطبقت فوق هضابك
تتلهى بعذابك
وشبابك ...
ايه غزه ...
كيف أمسيت سجينة
خلف أسوار من البغي حصينة
كيف اخلدت الى الظلم
وسادت في نواحيك السكينة
كيف اطبقت على الدمع جفونـا
مثل راع اطبق الموت جفونه
أترى للريح ان صرت سماع
في لياليك الحزينة
يا حزينة ...
أم تراها اخلدت للصمت
حقدا وضغينة ...
أم تراها قد مضت للشاطىء
الشاكي تناجيه شجونه
حيث للكبر على الجرح اباء
حيث اخوان الشقاء التعساء
لم يزالوا مثل ما كانوا اباة شرفاء
لم يفت الجوع من عزمتهم
لا ولا البأساء أودت بالمضاء
من حبال الخيمة البلهاء قد نسجوا
بالصبر حبلا من رجاء
ومن الليل البهيم المطبق
كم شهاب فجروا بالافق
وعلى صفحة ذاك الشفق
كم سطور كتبوها بالدما والعرق
انها قصة غزه ...
قصة الشعب الذي عرف العيش
بطولات وعزة ...

ما نبا في كفه سيف على الطغيان هزه
كلما ثار به الحقد الرفيع
جلجل الصمت ودوى بالبقيع
فاذا الكون حشود وجموع
واذا بالقوم من بين الخيام
مثل أشباح تغشاها الظلام
جردوا للثأر عزما لا ينام
وسيوفا تحمل الموت الزؤام
وتنذر النور في درب الانام
شعلا للبعث تهدى والسلام
من دماء الابرياء الكادحين
ودموع الاشقياء اللاجئين
للغد المرموق زاد
واعتصام وجهاد
نحن فجرنا الدنا بالانبياء
وزرعنا النور في تلك السماء
ومشينا فوق هام المحن
نصنع التاريخ عبر الزمن
في صراع صاخب لا ينثني
واقمنا بدمانا والفداء
راية للحق تدعو والاخاء
لم تزل تسمو على كل سماء
فاذا ما ابصرت عيناك فينا ـ لاجئينا
والتقت عيناك في درب السلام ـ بالخيام
وتلفت فاذ غزة هاشم
شاركتها في أساها « كفر قاسم »
لا ترع فالموت مذ كان لنـا
بلسم نشفي به ادواءنـا
قد تخذناه طريقا للعلا
وجعلناه المثال الاولا
هكذا حدث عنا الاولون
سنة قد سار فيها الخالدون
وورثناها فنحن الوارثون

القاهرة حسين رشيد خريس
جامعة الدول العربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

الاخلاق والحركة الاستعمارية

بقلم ليونيل تريلنغ

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

*



وضعت مدرسة لاهوتية خطة لسلسلة من المحاضرات في موضوع (التوجيهات الادبية وعلاقاتها بالمسائل الاخلاقية المهمة) وقد دعتني لتقديم احدى هذه المناقشات . ولما كان لي ولع بهذا الموضوع ، فقد رايت لزاما على نفسي قبول هذه الدعوة . ولكنني ترددت في قبول البحث الذي اسند الي ، ذلك باني سئلت معالجة النتائج الاخلاقية في قصة (ايثان فروم) . لم اقرأ قصة ايدث ورتون الصغيرة، من عدة سنوات ، غير اني لا اتذكرها بشيء من السرور والاعجاب . ثم اني لا اعدها جديرة بالقائمة التي تضم (الاخوان كارامازوف) و (بيلي بود) ، و (فورتوبمان) .

واذا كانت هذه القصة تعرض نتيجة اخلاقية معينة، فانا قاصر عن ادراكها واستيعابها . ومن اجل ذلك اجلت موافقتي على قبول الدعوة ، حتى يتسنى لي دراسة الواجب الذي انيط بي . وهذا ما حدا بي الى قراءة (ايثان فروم) مرة اخرى ، الامر الذي اثبت لي صواب ما ذهبت اليه . هذه القصة ليست كتابا عظيما ولا جميلا ، بل ربما هو على شيء كثير من الوحشية . ولذا اربكني التقاء الكتاب ووضعه في القائمة ، فلماذا ينبغي ان يناقش على انه انموذج للادراك الاخلاقي ؟ وعندئذ تذكرت شهرته في اميركا ، وما يعزى اليه من قيمة كلاسيكية ، في بعض الاحيان . فقد قراه كل متعلم ، وغالبا ما وضع في منهاج المدارس العالية والكليات .

ولكن هذه الشهرة الطائرة الرفيعة ، ذات الوقار ، ليست الا حادثا طارئا في الثقافة الامريكية . ظهرت هذه القصة في سنة ١٩١١ ، حين كان الادب الامريكي ملتزما جانب التفاؤل ، والسرور والرقة وجمال المنظر ، وهي تلك الصفات التي يدعوها وليم دين هاولز (مظاهر الحياة الباسمة) . وقد كان لهذه المظاهر اهمية في ادب امريكا قبل ما يقارب الخمسين عاما ، هذه الاهمية التي لم يضارعها شيء في ادب اي زمان او اي مكان . فاضطر الذين يحاولون نقد الثقافة السائدة يومئذ ، ويريدون التسامي بالادب الجدي ، اقول اضطر هؤلاء الى توكيد المناهي الداكنة في الحياة ، حتى يساووا بينها وبين الصدق من جهة ، ويقابلوها بالزيف من جهة اخرى .

ذلك بان هؤلاء الناس كانوا يقاسون الامرين من الامل والفرح ، ولذا فكلمة (عارية) بدت تحمل ارفع الثناء واجزل المديح اذا ما تدفقت من وجهة نظر نقدية ، يلازمها في ذلك (الوحشية) و (الحتمية) وهما من مشتقاتها المعروفة . ومن هنا اعجب الناس بـ (ايثان فروم) لا لشيء الا لان صراحتها (عارية) في افعال شخوصها ولان القدر الذي تصفه لا يعرف معنى للرحمة ، في عتوه وضرورة لزومه . تقع حوادث هذه القصة في قرية (ستاركفيل) بولاية (نيو انكلند) .

ليس من احد يرغب في التساؤل عن اي قيمة رفيعة يمكن اضفاؤها على عرض الحوادث الباعثة على التعاسة . الا اذا جعلنا هذه القيمة مجرد (كليشة) تدفع طبقة مثقفة معينة ــ والا اذا فرضناها علامة من علامات تفوق هذه الطبقة في مجالي الذكاء والحساسية ، والرقة العاطفية وحين يكون الامر كذلك يصبح من حقنا بل من واجبنا ان ننظر الى العري والوحشية والحتمية نظرة فيها الكثير من الشك وسوء الظن . وهنا لا يسعني مغالبة معتقدي الذي يذهب الى حد القول : ان سمعة (ايثان فروم) لم تكن لتبلغ هذا المبلغ لولا انها تشفي غليل الوضاعة المتعاظمة حديثا فيما له صلة بالمأساة والالم .

ونحن لا نقدر ابدا ان نتكلم على ايدث ورتون من غير اعطائها حقها من الاحترام . فقد اسدت الى قصصها ذكاء قويا محدودا ، وقوة ملاحظة بارزة ، ورغبة اصيلة في قول الصدق والحق وهي تلك الرغبة التي ارضتها بعض الشيء . ولكنها كانت امرأة محدودة العاطفة القلبية ، وهذا القصور بارز من الناحيتين الادبية والاخلاقية في نتاجها كله ، وبخاصة في كتابها (ايثان فورم) . فهو ظاهر بين في هموم نثرها ، وجلي كل الجلاء في الام شخوصها. وكلما عانت شخوص القصة الاوصاب وتحملت الكوارث فعلت ذلك بوحي من المؤلفة التي تقع المسئولية على عاتقها ، ومن هنا فهي تبرر قساوتها بجد نواياها الاخلاقية .

ولكنها ــ في نظري ــ غير قادرة على ادعاء مثل هذا التبرير . فرغبتها في كتابة القصة لم تكن معادلة للمصائر المرعبة التي جاهدت لفرضها على شخوصها . وكل ما هنالك ، انها اغرقت نفسها في جهادها هذا ، ولذا فهي لا تعدو ان تكون « مجرد ادبية » . وهذا لا يعني ان القصد الادبي لا يثمر ثمارا مفيدة . ففي (ايثان فورم) تتجلى صورة الحياة في الموت ، والجحيم على الارض، تلك الصورة التي تكاد تنسى . فالكسيح ايثان ، وزينا زوجته المرعبة ، وماتي تلك الفتاة الساحرة التي احبها ايثان ، ولكنها سرعان ما انهارت فاصبحت طريحة الفراش ، تعارك الالم وتصارعه هؤلاء جميعا يعيشون في مزرعة (فروم) المهجورة ، ومن هنا فاستمرار الالم يذكرنا بلحظات العاطفة . انها لحظات

مرعبة ، لا تنسى ، اذا ما تأملنا فيها . ولكن الذهن لا يسعه ان يعمل شيئا بغيرها ، اذ ليس له من سبيل سوى تجرع غصصها .

واذن فقراءتي الجديدة للكتاب لم تقدني لتبرير شهرته ، وانما وكدت ذكرياتي القديمة التي عدت الكتاب شيئا ميتا ، اي نتيجة من نتائج الارادة الادبية الباردة . وبالاضافة الى ذلك فالكتاب لا يصلح موضوعا لاي مناقشة اخلاقية . ذلك بان نصه لا يعرض علينا وجهة اخلاقية محدودة الملامح بتاتا .

والان لنعتبر القصة كما هي . كان لاسرة من المزارعين في (نيو انكلند) شاب لطيف الاخلاق ، مستقيم السيرة . وكانت له بعض المواهب العقلية وشيء من الرغبة للتطلع على العالم . قضى هذا الشاب سنة سعيدة في احدى المدارس التكنيكية . ولكن عارضا من العوارض اقعد الاب عن العمل ، ومن اجل ذلك اضطر ايثان الى العودة الى المزرعة ، ومعمل النشارة . ثم مات ابوه ففقدت والدته قواها العقلية ، وفي خلال مرضها الاخير اعانتها احدى القريبات ، ولكن ايثان تزوج هذه الفتاة ، لا لشيء الا لانها انست وحدته القاسية . ثم لم يمض الا وقت قليل حتى اصبحت هذه الزوجة نكرة ، ثرثارة ، شكسة . ولاجل ان تتخلص زينا من المتاعب ، تحتم على آل فروم ان يستخدموا شابة ، فقيرة جميلة ، تدعى ماتي ، وكانت من قريبات زينا .

ويمر الوقت سراعا ، فيقع كل من ايثان وماتي في شباك الحب ، كان هذا الحب بريئا عميقا . وهنا تدرك الزوجة حقيقة الحال ، فتضع خطة لابعاد الفتاة ، لكي تحل محلها خادمة اخرى ، باهظة الاجر ، وكل ذلك من اجل تعجيز زوجها . وعندها يحاول ايثان وماتي الانتحار عشية فراقهما اليائس ، فيحاولان التدحرج من على احد السفوح الوعرة ، وبعد اتمام هذه العملية ، تخيب خطتهما ولكن على حساب كساح ايثان ومرض ماتي الدائم الذي يلزمها الفراش . والان تغدو زينا الزوجة ممرضة مخلصة وسجانة للعاشقين ...

بدت لي هذه القصة غير لائقة لان اتحدث عنها ، ولكن هذا لا يعني انها غير ذات اهمية كقصة ، على الرغم من ان اهميتها لا تجعلها قابلة للمناقشة ، وبخاصة في الموضوعات الاخلاقية .

غير اني ما ان بدأت اشرح للجنة المحاضرات عدم رغبتي في التحدث عن الكتاب ، حتى طرأت على بالي خاطرة مفاجئة ، اذ لمعت في ذهني الظاهرة التي استحدثها هذا الكتاب ــ فمن الامور البارزة المثيرة في هذه القصة انها قدمت الينا صورة مخيفة لحياة ثلاثة اشخاص ، في عذابها وتحطمها ، مبينة لنا كيف حل الهلاك بها ، من غير الاشارة الى دلالة اخلاقية معينة ، مهما كان نوعها . ولكنها مع ذلك تبعث فينا شيئا اكثر تحديدا ودقة مما نتطلبه من اي من القصص ، قد يكون الكتاب غير محتو على ذبذبة اخلاقية ، ومع هذا ، ففي نغمته جمال غريب صادر عن جو القصة المؤلم .

ربما تكون هذه النغمة غير موسيقية احيانا ، وقد تكون عديمة (المعنى) الا انها بالرغم من ذلك تسحرنا ،



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد أدنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 — المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 — Tél.

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كأنها الحان متطايرة من قيثارة ايولية ، او كأنها انين الرياح في المداخن الخاوية ... وهذا الامر قد اصبح من الاهمية بمكان بحيث اصبحت ارى فيه سببا يدعوني لمناقشة (ايثان فروم) .

قلت ان خطيئة (ايثان فروم) الرئيسة تبدو في عدم وجود دلالة اخلاقية فيها ... ومما لا شك فيه ان ضربا معينا من الحشمة يسيطر على الالم الانساني حين يعرض عرضا ادبيا . وهذه الحشمة تصر على الا يقدم الالم تقديما عفويا من غير هدف ولا غاية . فالحقيقة العارية في معالجة الالم الانساني والتأمل فيه ليست سوى لهو عابث ، وقد تكون قساوة جارحة . ولذا انت تجد بين المأساة والمنظر العام شيئا من المماثلة على الاقل ، وهذا ما يمكن مشاهدته في الملعب الروماني ، والسرور المنبعث من هذا كله ، لا يكون كذلك الا لانه يجعلك تلحظ الام الاخرين .

ومن هنا فالمأساة تحاذي القساوة دائما ، وما ينقذها من الوقوع في هوتها هو قصدها الذي يتجاوز نطاق فعلها. وهذه الغاية ربما تكون ساذجة كتلك التي تجعلنا نحاول اصلاح شأن المعذبين ، او على الاقل تحملنا على الشعور بوجوب ذلك ، او لعلها تقودنا الى البحث خلف الاسباب الظاهرة ، التي يريدنا المؤلف ان نفكر فيها ، لانها اشد واقعية ، واحسن مثل على ذلك هو القدر ، او ارادة الالهة او انها ربما تتحدى شجاعتنا او ذكاءنا او رحمتنا .

وضرورة مثل هذا القصد تبعث الحياة في كل الاعتبارات التي تتصل بالتناقض الغريب الظاهر على المأساة . اهتم ارسطو جل الاهتمام بحل العقدة التي تبدو في السرور المباح المتأتي من التأمل في الالم الانساني . فاراد ان يعرف ماهية الاحوال الادبية التي تحتاجها المأساة كي تكون بعيدة عن الرعب المجرد . وهنا لا بد لنا من التذكر ان اليونانيين لم يكونوا يهتمون بابعاد المناظر المرعبة عن المسرح ، كما كنا نظن . ففي عرض مأساة انطيغونا المحبوبة ، شاهد النظارة جوكستا معلقة بوتد ، كما راوا محاجر اوديبوس الدامية ، وعلى هذه الشاكلة اكتشف ارسطو المأساة ، او تظاهر باكتشافها ، اعني انه عرف كيف تتحصن المأساة من الانزلاق في الوحشية الغاشمة .

يقول ارسطو انها تفعل ذلك عن طريق اختيار بطل من ضرب خاص ، له مكانة اجتماعية واخلاقية ، وله مظهر او وهم من حرية الاختيار على الاقل ، يسعه ان يبرر نصيبه في الحياة ، او يبدو كذلك بواسطة حالته الاخلاقية التي لا تعرف الصلاح الكامل ولا الفساد التام ، وله خطيئة تتعاون مع الدهر من اجل اهلاكه وتدميره . وغاية كل هذه الصفات في بطل المأساة هي التوكيد على امر يجعلنا نحس بشيء اعمق من السلبية حين نشاهد عذاب البطل ، اي ان في هذا العذاب بعض المعنى وشيئا من التعقل .

ونظرية ارسطو في المأساة ، كان لها انتشارها الواسع في العالم ، الى حد بعيد ، وذلك لما اتصفت به من شمول ودقة . ونجاحها يغري بالدرجة الاولى الى معالجتها الصريحة للتناقض الظاهري في المأساة . ولذا فهي تقصي اي شعور اثيم قد نستخلصه من السرور المنبعث عن الالم .

ولكن العالم الذي تقبل نظرية ارسطو هذه ، تقبلها بشيء قليل من القلق الحاصل من نتائجها المنطقية . والعنصر الذي يسبب هذا القلق في النظرية ، وخصوصا في عصرنا الحالي ، هو مكانة البطل . وفي هذا المجتمع الذي مسته عواطف المساواة ، تصبح منزلة البطل سببا لانكار الوقار المزعوم في المأساة على الناس الذين هم اخفض درجة من البطل ذاته . وكذا الامر بالنسبة الى الثقافة التي اخذت تتساءل عن حرية الارادة ، فهي لن تضع بطل ارسطو في مكانه المعهود . ذلك بان ارسطو في وصفه لبطل المأساة ، كان على صلة جلية بتعريفاته في كتابه (الاخلاق) وفي طبيعة العمل الاخلاقي .

ومن هنا فهو يحدثنا عن الفعل الاخلاقي الحق ، بانه ينبغي ان يكون اختيارا حرا بين بديلين وهذا التعريف يمكن ان يتعقد كثيرا اذا ما نحن امعنا فيه بحثا ـ اذ يجب على الانسان الملتزم بالاخلاق ان يكون مدربا على الاختبار الصائب ، وهذا لا يتأتى الا من العادة ، حتى يكاد يصبح غريزيا . ومع هذا قد يقال لمثل هذه العادة انها اختيار ، وان العقل قد لعب دورا في ابداعها . ولكنا في الحقيقة لا نعزو للعقل مكانة في عالم الاخلاق كما كان ارسطو يفعل وفي المائة والخمسين سنة الماضية عمل الدراماتيكيون والقاصون جهدهم لعرض الالم الانساني ، بغير وقاية ضد الوحشية ، وهي تلك الوقاية التي جهدت ارسطو واتعبته لفهمها وتطبيقها .

والجزء الاعظم من ادب اوربا الغربية يمكن فهمه بعبارات غرضها محاولة نقد البطل وقلب وضعه راسا على عقب ، وذلك باستخدام المهزلة والسخرية ، او بالاصرار على الاساليب المبتذلة ، او بالتقليل من مركز البطل الاجتماعي ، او بالتخفيف من قوة اختياره المتعقل . ونتاج فيلدنغ يصح ان يعد مثلا على كيفية عمل الذهن الاوروبي ، وما تخيله من صور عظيمة ، وما تاثر به من المآسي الكلاسية ومحاولته لاستحضار تلك الروح الشهيرة . وحين يسمي فيلدنغ بطله توم جونس ، انما يقصد من ذلك ان هذا الشاب الذي شمله برعايته ، ليس هو اورستيس او اخيلوس ، وعندما يجعله لقيطا لا يريده ان يكون اوديبوس ، على الرغم من كل المظاهر المعاكسة لذلك .

وعلى هذا ، فاديث ورتون ، لم تعمل شيئا غير اقتفاء آثار الاخرين . فدافعها ، في استيعاب قصة (اتيان فورم) لم يكن قصده التجربة الاخلاقية . وانما كان هذا الدافع مجرد نزعة ادبية ، في اسوأ معاني هذه الكلمة . فهدفها لم يكن هدف وردزورث في اي من قصصه (الشعرية) التي تتناول شؤون الفقراء المعذبين ، من اجل فتح اذهاننا لادراك ما يعانيه هؤلاء عندما يمسهم الالم . ولا هو يماثل مقصد فلوبير في (مدام بوفاري) الذي يستخلص من الاحوال القذرة جميع الرحمة والرعب ، اللذين يطبعان الحكايات التراجيدية القديمة بطابعيهما .

ثم ان غرضها كذلك لا يشابه غرض دكنز او زولا ، الذي يهزنا هزا لفهم الجور الاجتماعي ، وتعليمنا على طبيعة الحياة الاجتماعية الصحيحة ، وكل ذلك من اجل اغاضبنا وحثنا على العمل . وهذه الامور ليست مقاصد ادبية ، في اساسها وجوهرها ، وانما هي اقرب شيء الى الاغراض الاخلاقية . ولكن جل ما كان في ذهن ايدث ورتون لم يتعد نطاق الالم والسجن في الحياة وسط الموت . اما الحوادث التي تقودنا الى هذا كله فامور لم تجدها مطلقا . واحسن ما يمكن قوله عن معنى القصة هو انها يمكن ان

تكون موضوعا للمناقشة في دراسة الريف من الوجهة الاجتماعية . وقد تفهم على انها بحث في الحب والسرور وكيف انهما لا يعيشان في نضارة وازدهار في مزارع نيوانكلند المصابة بالفقر المدقع .

واذا ما جربنا ان نضع القصة في نطاق الاخلاق ، فان مغزاها عندئذ سيتحدد بالاعتبارات الثقافية المجردة — اي انها ستقول للناس الذين يعدون ادبهم مظهرا « من مظاهر الحياة الباسمة » ستقول لهم « هذه هي الحياة في صورتها الحقيقية ، في بؤسها وشقائها » في حين انها ستخاطب الذين يستنكرون الادب الذي يمثل وجوه الحياة الضاحكة، بقولها « انكم اذكياء وشجعان لقدرتكم على فهم الحياة في جهامتها وشناعتها . » والحق انه ليس من شيء غريب في هذا .

ومع ذلك ، ففي (ايتان فروم) اهمية بارزة . فهي على ما هي عليه من حال ، ليس بسبب قوة المؤلفة بل بسبب ما استولى عليها من ضعف وقصور ، ذلك بان هذا الامر يلائم رغبات ايدث ورتون الواهنة ، فهي تقنع بسرد قصة عن افراد الشعب الذين لا يتوصلون الى قرارات اخلاقية حاسمة ، والذين لا تمتاز مصائرهم بحركة ادبية . والفكرة في هذا الشأن هي هذه : ان القصور الاخلاقي ، اي عدم اتخاذ الخطوات الحاسمة ، هو الذي يكون الجزء الاكبر من حياة الانسانية — في واقعها الاخلاقي . وهذه فكرة لا يعالجها الادب ، لانه يبغضها ويمقتها . ذلك بان الادب لا يعجبه شيء يعدل الحيوية ، ومن هنا كانت العداوة بينه وبين القصور الذاتي .

ترى ذلك في تمثيله الجلي للاخلاق كعمل ايجابي . ويصدق هذا ايضا على الفلسفة الاخلاقية في الغرب . فمنذ ارسطو يعد العمل الاخلاقي قوة عقلية ، تمتاز بالاختيار اخر . اما اخر تطور في هذا الاتجاه فقد جعل الفعل الاخلاقي اصيلا اذا تعارض مع ميول صاحبه : وقد انصب سيل من النقد الشديد على هذه الفكرة، حتى قيل ان العمل لا يكون اخلاقيا اذا اقتصر على الاصدقاء . ومع هذا فحياة العالم اليومية الثقيلة ترى شيئا تحت ما تهتم به الفلسفة الاخلاقية والادب من امور براقة وضاءة ، لانها مدركة لاخلاق القصور الذاتي ، في وظيفته كقاعدة اجتماعية لضبط الكيان العام . وهي تعرف ان الواجبات لا تنفذ الا لانها تسمى واجبات . واكبر سبب في هذا يعود احيانا الى المنفذ الذي لا يدرك طريقة اخرى ، او هو ربما يخاف من التفكير في اتجاه آخر ..

وهذا يعني ان العادة هي المسيطرة على الاخلاق . ومن هنا ، فاخلاق (ايتان فروم) ساذجة غير متسائلة ، وسلبية ، وقد تكون ماسوشية(١) . فهو في صباه لا يعير واجباته بالتفاتة ، وهو كزوج لا يهتم بها كذلك ، ومن اجل هذا نراه لا يعمل شيئا . وفي مرحلة واحدة من قصته نجد الازمة الاخلاقية آخذة بتلابيبه — ان عليه ان يختار بين واجبه الاعتيادي تجاه زوجته وواجبه وميله حيال الفتاة التي احبها . فليس من المحتمل بتاتا ان يعالج هذه المعضلة ، كما يفعل الادب والفلسفة الاخلاقية — عن طريق العقل والاختيار . وعلة ذلك ان الاختيار لا يلائم فكرة وجوده ، لان كل ما يحق له من انتقاء واصطفاء لا يتعدى حرية الموت .

وطبيعي ان الادب لا يمكن ان يظل غير مبال تماما بما اسميته اخلاق العادة والطبيعة ، او اخلاق القصور الذاتي . ولكنه يتناول هذا الموضوع بشيء من اللطف والبشاشة . فهو لا يعرف الحرية التي تعرضها علينا قصة فلوبير (القلب الساذج) لان مثل هذه الحرية فضيلة كاملة ، عمياء ، ومحبة لا تساءل فيها ولا تفكير . صحيح ان ثمة اناسا يشبهون — في الواقع — فيليسيتي(٢) — في طيبتهم الساذجة ، ومحبتهم الحمقاء . اذ نحن نلتقي بمثل هؤلاء مرارا في الادب ، في صفحات بلزاك ودكنز ودوستويفسكي وجويس ، وفوكنر وهمنغوي . انهم يختلفون كل الاختلاف عن هؤلاء الذين يجربون العالم بعواطفهم وعقولهم : فهم قديسون من نوع خاص اقل ارتباكا. وهم لا يمثلون ما اعنيه بالقصور الذاتي اوالطبيعي، ولذا فالادب لا يرتاح لعرض هذا القصور ، ورغبة منه في التغلب على الضعف نراه يضيف عليه شيئا من نعمة الغبطة او القداسة .

ولكن اخلاق الضعف هذه يسعنا العثور عليها في قصائد وردزورث . فهو معروف بتجاربه التي تعرض علينا انواعا مختلفة جديدة للعمل الاخلاقي — وكان من العبقرية بحيث انه كثيرا ما اضفى وجودا اخلاقيا على اناس يحسبون في عداد الموتى في الكتب الكلاسيكية . وكان من البرودة بحيث لم يتورع من اقصاء القداسة والنعمة الربانية عمن تناولهم في قصائده . اما القصيدة التي تخطر على بالي — في هذا الصدد — فهي — في ظاهرها — تبحث عن زهرة ، ولكن الانتقال من الرمز الى الحقيقة البشرية واضح كل الوضوح . على الرغم من بعض التحرج ...

ومن هنا نجد الضرورة هي التي تفرض نفسها لا الشجاعة ولا الاختيار . وهي هي الاخلاق التي تقسرنا الاحوال الوحشية على احتذائها ، من طريق الطبيعة البشرية والعادة ، والمتطلبات الاجتماعية التي لا نقوى على رفضها ، او حتى على تصور مثل هذا الرفض . والناس الذين يحيون على وفق هذه الاخلاق ، لا يكاد الثناء يصيبهم ، لسبب واحد هو اننا لا نعطيها اهمية تذكر ان لم تخرق .

وهذه هي الاخلاق المتعارف عليها عند جماهير الناس في العالم . وبهذا المفهوم تنتفي اي علاقة بين الاخلاق والقدر .

فقد يكون للقدر بعض التأثير في حياة البشر ، وقد تكون للاخلاق تأثيرها . اما بالنسبة الى ايتان وماتي فليس في حياتهما الاخلاقية ما له صلة بالمصير المرعب الذي انحدرا اليه . فكل ما هنالك هو حدث طارىء ونتيجة غير مرتقبة .

انا لم اتكلم على اخلاق القصور الذاتي من اجل الثناء والمديح . وانما لانني اعتقد ان معظم الناس يعملون ما يعملون من غير تفكير ولا اختيار ، وقد ينتهون الى نهايات معيبة ميكانيكية . والامر الذي اصر عليه هو الاعتراف بالحقيقة التي قدمتها ايدث ورتون ، تلك الحقيقة التي كثيرا ما ننساها وينساها الادب .

العراق — بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

(١) الماسوشية ، هي محبة ايذاء النفس والتلذذ بذلك ، المترجم .

(٢) هي بطلة (القلب الساذج) لفلوبير ، المترجم .

شهيد بور سعيد

○

الجسم اخر منحة للارض
يرجعها الشهيد ..
والروح كانت للسماء فردها ..
لم يبق من دين عليه
حتى الكفن ..
من قلبه دفع الثمن
والدم اخر ما تجود به
يد البطل الشهيد ..
روحي على كفي
وجسمي في التراب
وعلى الحشائش بقعتان من الدماء
يا رفقتي ذهب الشباب ..
وأنا أقبل كل زاوية وباب
أتحسس الجدران في شغف
وفي صدري حنين ..
فهنا ولدت ..
وهنا نموت ..
وهنا لهوت ..
وهنا أودع كل شيء ..
أهلي وداري والحديقة
كل شيء ..
اني اموت وملء عيني ابتسام
وصدى غمام ..
مطرا سيهطل في الدروب

حبا سينبت في الدروب
اني اذوب
وليس في عيني دموع
لا شيء من ألم هنا
بين الضلوع
فأنا شهيد ..
والدمع آخر ما تفيض به
عيونك يا شهيد ..
اني بذلت لاجلكم كل الحياة
اني أموت هنا لأمنحكم حياة
اني اموت وفرحة ملء العيون
اني اموت وبسمة فوق الشفاه
واريت قلبي في التراب
ومنحت روحي ، للسماء
ووهبت اهلي نقطتين من الدماء
ورجعت للارض الحبيبة
جسما بلا روح ولا دين علي
ما اسعد الانسان حين يموت
لا دين عليه ..
وينال ما يهفو اليه ..
ويعانق الدنيا بكل قوى يديه

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة عراقية

نهاية شهر العسل

بقلم حارث طه الراوي

كانت جيوش الفجر تلوح باعلامها في أفق السحر ، وتزحف زحفا بطيئا نحو « عانه » القرية العراقية النائمة على ضفة الفرات . وكانت القرية عائمة في بحر من السكون . سكون شامل لا تكدر صفاءه أغاني النواعير التي تدور من غير كلل اوملل

تململ « رضوان » في فراشه ونظر الى زوجه الحامل النائمة واستمع برهة من الزمن الى شخير بناته ، ثم اخذ يحدث نفسه : لقد كانت ليلة عابسة ، ليلة كئيبة، ليلة مزعجة ... انفقتها بالاستماع الى ثرثرة والدتي وصراخ زوجتي المزعج ... ، ماذا تريد مني زوجتي العاقر ؟ او ليست « عاقر » هذه التي لم تلد لي غير البنات ؟ وماذا اصنع بجيش البنات هذا ؟ والى متى اظل منكسا راسي بين عشيرتي وابناء قريتي ؟

« رضوان بلا اولاد » : هذه هي الاهانة التي تطاردني ليلا ونهارا وتكاد ان تجهز علي وتخنقني وتنقذني من هذا العار !!

ما فائدة المزرعة ، مزرعتي ، والمال، مالي ، بلا أولاد ؟ وحتى هذا الحمار بن عمتي يملك ولدا يداعبه وسيرثه ويخاصمني في المستقبل على الاملاك»

وارتعش شارباه وتأججت النيران في عينيه اللتين فقدتا كل ما فيهما من شبه بعين الانسان وصارتا بعد ان قفز نزقه الى الذروة ، أشبه ما تكونان بعيني ذئب من الذئاب التي تهاجم القرى عند اشتداد الجوع .. وكاد رضوان ان يصيح بأعلى صوته: يا سكان الدنيا خبروني ، هل يوجد بينكم رجل متزوج من غير اولاد ؟ — يا سكان العالم — هل يوجد بينكم رجل متزوج مبتلي بالبنات فقط ؟ ولكنه خشي ان يوقظ النائمين نيزعجونه بنقاش يدور في حلقة مفرغة

فقد صمم على الزواج من فتاة بدوية تسكن في قرية تبعد عن « عانة » حوالي اليوم اذا كانت واسطة السفر ظهور الدواب .

نظر الى زوجه النظرة الاخيرة فالفاها ، وهي مغطاة باللحاف ، تشبه البدر عندما يتدثر بالغيوم .. ولكن جمالها لم يكبح جماح غريزته الثائرة وافكاره المتمردة ، فهو يريد ، باصرار ما بعده اصرار ، اولادا ، ويعنى اشد العناية بمن تلد له الذكور ..

امتطى رضوان صهوة حماره الابيض ، ودس في الخرج رزمة من الارغفة والبيض المسلوق ، وغادر البيت ، وهو يحلم بتلك البدوية الحائعة التي طلبت منه يوما ما ، قطعة صغيرة من القثاء لتسد بها جوعها ..

ما كاد رضوان يبتعد عن البيت قليلا حتى تذكر انه نسي البندقية ، اي انه نسي المهر المعجل الذي وعد به « الحاج مطرود » والد « حفصه » زوجته المنتظرة . فعاد الى البيت واستل البندقية بسرعة خاطفة ، وامتطى حماره، واسرع في هربه. ولما بلغ ضاحية القرية ترجل من حماره ونزل في مزرعة يملك فيها حصة صغيرة ، وتزود بالقثاء ، واستأنف سفره . وما هي الا دقائق حتى انبلج الفجر ، ونثرت الغزالة انوارها الوردية الساحرة الناعمة على امواج الفرات النحاسية التي كانت تتدافع بعنف وصخب . اذ ذاك تلفت رضوان نحو قريته فلم يلمح غير اشجار النخيل وراس المغارة البيضاء ... فارغمته عاطفة الابوة على ان يفكر ببناته ، بفلذات كبده ، ولكنه لم يفكر طويلا في هذا الامر ... وتعب حماره بعد ان هجمت شمس الاصيل في الافق الدامي ، فترجل رضوان ووضع الخرج على الارض الصخرية بعد ان اخرج ما فيه من بقايا البيض والخبز والقثاء ، وتطلع الى ناعور قريب ، فذهب اليه بعد ان ربط حماره ، فأخرج كوزا من الفخار اعتاد الفلاحون ان يضعون على صخرة بالقرب من الناعور ليلتقط الماء العذب الصافي من أكواز الناعور الدائر . وشرب المسافر من الماء العذب الذي مرت عليل انفاس ايلول فزادته عذوبة

ونظر الى امواج الفرات النحاسية الثائرة المتلاطمة فالفاها ، وقد غربت الشمس ، ومادية قاتمة ، كئيبة ، وتوضأ ووضع خرجه فوق الاعشاب ليصلي صلاة المغرب . وما كاد يقف ليشرع في الصلاة حتى سمع صوتا مدويا لم يعلم مصدره ، صوتا يعنفه ويقول له : « اتكذب على الله ؟» فتلفت مذعورا فلم ير شيئا ، فارتعش وخارت قواه ولم يدر بان الصوت كان منبعثا من ضميره المغلوب . فوضع خرجه بيده المرتعشة على ظهر حماره ، وامتطاه واتجه نحو مرابع الاحباب ...

وهجم الليل ، ونثر الوحشة على طريق رضوان، بسخاء ما بعده سخاء، فصار رضوان يفكر في كيفية الخلاص من الذئاب بعد ان كان يفكر بالبدوية الحسناء . وما هي الا دقائق حتى استعرت عيون الذئاب في ذلك الليل البهيم ، فتلمس رضوان بندقيته وتأكد من انها محشوة بالرصاص ، وتلمس خنجره ، واحس ان يدا تربت على كتفه فالتفت وهو يصرخ مذعورا، فسقط من الحمار ، فاستأنف حماره السير ، وتلفت صاحبنا فلم ير شيئا ، فقد كان رضوان منطلقا مع الاوهام. واخذ يعدو مذعورا ، نحو حماره ، وامسك بالرسن ، بعد جهد جهيد . وما كاد يمسك الرسن حتى لمح ذئبا على بعد عشرة امتار ، يعدو نحوه ، فصوب نحوه فوهة بندقيته واطلق النار عليه . والظاهر انه لم يصبه في مقتل ، بدليل ان الذئب اطلق ساقيه للريح فتبعته الذئاب لتفترسه، فنجا رضوان بهذه الصدفة . ولكن الذعر لم يفارق افكاره القلقة . وبعد ساعات انفقها وهو من القلق في الذروة ، لمح السنة من النيران تتأجج ولما امعن النظر فيما حوله ادرك انه على قاب قوسين او ادنى من مرابع الاحباب، فتذكر بيتا من الشعر سمعه من خاله قبل عشرين سنة ، ولم

يفارق ذهنه ، فاخذ ينشد هـذا البيت الرائع :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل
ومل الحادي وتاه الدليـل

بصوته المزعج ـ ولما مل حماره من سماع صوته المنكر ، اخذ ينهق نهيقا متصلا لا هوادة فيه ، فامتزج النهيق البشري مع النهيق الحيواني في ذلك الليل البهيم . ولما وصل رضوان الى الخيام المنتشرة ، استقبله الحاج مطرود هاشا باشا ، وبيده المرتعشة قنديل يصارع الموت ، وعانقه ثم همس بمسمع ابنه « حمود » همسة ادت الى بتر راس خروف كان يمرح امام الخيمة . وانطلقت عاصفة من الزغاريد النسائية من خيمة مجاورة، وجيء بشيخ هرم يحمل القرآن الكريم وجاء خال حفصه وقال للحاضرين : « وكلتني اختي على ان اقوم مقامها في مجلس العقد » وجلس . وبعد دقائق تم العقد بحضور رجل الدين وشهادة الشهود، وثارت عواصف الزغاريد مرة ثانية ، وكانت أشد عنفا من السابق ،يتخللها ضحك وصخب نسائي معهود في تلك المناسبات السعيدة ...

وبعد برهة من الزمن جاء رجلان يحملان صحناكبيرا يدعى بين الاعراب بـ « المنسف » وعليه خروف مسلوق هاجع على رابية من الرز . فقدم والد « العروس » راس الذبيحة الى رضوان جريا مع العادة القبلية الواجبة الاتباع . فاكل القوم حتى تبلدت اذهانهم من كثرة ما اكلوا ، وشربوا القهوة العربية بعد انتهائهم من تناول الزاد مباشرة ، وبعد احاديث مرحة حول شجاعة فلان ومروءة فلان ، زف رضوان الى خيمة بعيدة خصصت لليلة الدخول . وكانت العروس تنتظره في الخيمة بفارغ الصبر ، فدخل بها رضوان بعد ان تمزقت طبلة اذنه بالزغاريد النسائية الصاخبة واصوات الطبول المملة ...

وفي اليوم التالي ودع رضوان مرابع الاحباب واصطحب «العروس» الى مزرعته التي تبعد ثلاث ساعات ، على ظهور الدواب، عن مرابع الاحباب وآثر ان ينفق شهر العسل في منزله الريفي البسيط بعيدا عن ضجة الناس وتعليقاتهم . وقد ذاق « رضوان » لذة العسل في السعادة الزوجية ، بعد ان مات ضميره ، وتحجر احساسه ، وتبلد ذهنه ، واصبح عبدا لغريزته الجنسية الملتهبة .

وفي اليوم الثلاثين من شهر العسل جاء من « عانه » ابن عمته « حامد » الذي يملك حصة في مزرعة رضوان بعد ان انفق اسبوعا في عانه بين زوجته واطفاله . فشاهد رضوان يمزح مع حفصة وسمعها تبعث ضحكة عالية ذات اجراس . فتوجه نحو رضوان ، وبعد ان حياه تحية باردة طلب منه ان يكلمه على انفراد . فنزل رضوان عند رغبته وهو من الذهول في الذروة . وبعد ان ابتعدا عن حفصة قال له حامد : « لقد ولدت زوجتك في عانه والمولود ذكر والحمد لله » . ما كاد رضوان يسمع هذا النبأ حتى غمرته موجة من الفرح الممزوج بالحيرة ... حيرة الذي لا يدري الى اين يتجه ولايعرف العقيدة والتصميم . وحاول ان يبتسم وفغر فاه ليرسم لحامد ابتسامة باردة بلهاء اكدت حيرته الثائرة . وترامت على ذهنه اسئلة موجعة وقال لنفسه : ترى لماذا تزوجت حفصة ؟ الاجل المتعة وتطمين الغريزة ام لاجل الولد ؟ واطرق وانحنى نحو الارض وحمل حجرا صلدا وقال لنفسه :لقد انتفى الباعث على الزواج من البدوية الحسناء ولكن كيف استطيع ان اطلقها؟ وكيف استطيع ان اجني جنايتين ؟ بل كيف اقوى على فراقها وقد امتزجت روحي بروحها ؟

كانت حفصة تلمح حيرة رضوان عن بعد ، وتحس بقلقه ، ولكنها لم تتنبأ بما يختلج في جمجمته من افكار ، ولا تعلم ان الايام قد طعنت مستقبل سعادتها الزوجية في الصميم ، ولكنها قلقت على اي حال وكادت ان تهتف: «ما بك يارضوان؟» ولكنها آثرت السكوت ، لان رضوان يشتم عندما يسمع ما يزعجه ويثير اعصابه. وتوجه رضوان بعد ذلك الى حفصة بخطى بطيئة تدل على انهيار الاعصاب . فتطلعت حفصة الى عينيه الملتهبتين ووجهه الاصفر الذابل وقالت له بلهجة الواثق من كلامه : « عسى ان يكون الخبر خيرا » فسكت رضوان ، واكتفى بنظرة بلهاء سلطها على زوجته المنكوبة وبعد لحظات ، تململت شفتاه ورسمتا ما يشبه الابتسامة الذابلة ، اذ ذاك ارادت حفصة ان تعانقه وتقبله لتهون عليه وقع ما سمع ، فتلفتت ولما لمحت حامد من بعيد خنقت رغبتها ودفنت أعز شعور لديها في تلك اللحظات . عند ذاك تمتم رضوان بصوت متهدج مرتعش : « يا حفصة ، لقد ولدت زوجتي والمولود ذكر ... » .

ما كادت « حفصة » تسمع هذا النبأ الفادح ، المفجع ، حتى غمرتها امواج الاغماء ، فسقطت فورا على الحشائش واستسلمت لغيبوبة رهيبة فانحنى عليها زوجها المذهول وصاح بصوت مرتعش مشحون بنبرات الاستغاثة والتوسل « يا حفصة .. يا حبيبتي الغالية ... ردي علي ، قولي لي : ماذا تشعرين يا روحي... قولي ... قولي ... قولي .. » ولكن حفصة لم تفق من غيبوبتها ولم تسمع كلمة واحدة من كلمات رضوان الحائر. فحملها زوجها برفق وادخلها الى المنزل الريفي ووضعها على الفراش ، ولما غربت الشمس اشعل رضوان قنديله القديم وأعد لزوجته كوبا من الشاي لينبه اعصابها ، وناداها لتتناول الشاي فلم يسمع الا صدى ندائه . كانت انفاسها متقطعة ، وكان صوت المنية ممتزجا مع زفيرها الرهيب

لقد انطفأ بهاؤها وتوارى حسنها واصبح وجهها يشبه اوراق الخريف. وبقيت على هذا الحال حتى الصباح، وبقي رضوان بجانبها والدموع تنفق من عينيه بغزارة. والقى رضوان من كوة المنزل نظرة خاطفة الى شمس الصباح وهي تبزغ في الافق القاني، فشعر بشيء من الطمأنينة العابرة ، وما كاد يلتفت الى حفصة حتى الفاها جثة هامدة . بلا انفاس ولا احساس ... لقد ماتت . فاخذ يبكي كالاطفال وخرج من منزله مذعورا ونادى على حامد والفلاحين واخبرهم بالمصيبة ، فهالهم النعي الا ان احدا منهم لم يعطف على رضوان لان عطفهم على زوجته الاولى طغى على كل عطف اخر ...

ودفنت حفصة بعد ساعتين في زاوية من زوايا المزرعة وعاد رضوان الى عانه واستانف علاقته الزوجية مع زوجته الاولى التي ولدت له ثلاثة اولاد بعد الولد الاول .

بغداد **حارث طه الراوي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كبرياء

*

أنا ان قصت الخطوب جناحي ... واختفى زورقي ومات صباحي

وعلت مرجتي الكبيرة موجات ... اصفرار .. وحطمت اقداحي

واباح الشقاء قلبي وآماني ... وحبي لقاسيات الرياح

لا تنوحي ولا تقولي حرام ... فتزيدي متاعبي وجراحي

أنا ابن العذاب والالم المضني ... رفيق الاحزان والاتراح

ولدتني الحياة في ليلة خرساء ... ظلماء في الطريق المباح

ورمتني كأنني لست منها ... في صقيع الاسى وثلج النواح

عذبتني الايام . عذبني دهر ... عتي اقسى من السفاح

ابدا اسأل الدروب ولا شيء ... هنا في الدروب عن مصباحي

كلما مر في حياتي هناء ... خنقته جحافل الاشباح

* * *

لم انا لا اثور ، لا املأ الدنيا ... كفاحا يفوق كل كفاح

لم انا لا اكون ، خفقة قلب ... همس حب ، على شفاه الاقاح

وضلوعي تفتات شوق فؤادي ... لشموخ الذرى وكبر البطاح

* * *

سوف احيا وسوف ابني قصوري ... رغم انف الردى وانف الرياح

فالعظيم العظيم من يقهر الصعب ويبقى في لهفة للساح

دمشق — الياس الفاضل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



برنارد شـو ـ العقـل الساخر

لعبد اللطيف شرارة ـ ٢٥٠ صفحة ـ منشورات دار بيروت

صدر هذا الكتاب في لبنان منذ بضعة اشهر ، فاحببت ان اطالعه لانني من المعجبين بآثار شو وبسيرة حياته . وانا من رأي الاستاذ سلامة موسى الذي يرى ان افضل سفر يكتبه مؤلف هو حياته التي يحياها والمثل الذي يستطيع ان يعطيه من خلال تلك الحياة . وقد كانت حياة شو غنية حقا : بالامثلة السامية . وكنت قبل عامين قد درست جميع آثار شو وجميع ما وصل الي من الكتب عن سيرة حياته . قاصدا من ذلك ان اضع مؤلفا بالعربية عن هذا الانسان الفذ . ولكني مع الاسف لم اوفق للعثور على دار نشر تقوم بطبع الكتاب .

اقول هذا لكي اؤكد سلفا للقراء وللاستاذ شراره انني ملم بموضوع شو الماما كافيا واود ان اسارع للقول بان كتاب الاستاذ شرارة هو دون شك افضل ما صدر عن حياة شو باللغة العربية . فكتاب العقاد الذي ظهر في سلسلة « اقرأ » هو كتاب مهلهل سخيف يستغرب الانسان المثقف صدوره عن قلم العقاد « الجبار » . وهناك كتابان اخران : « جورج برنارد شو » بقلم ميشيل تكلا ١٩٤٦ وفيه رسالة خاصة للمؤلف من شو و « جورج برنارد شو ـ فلسفته وشخصيته » بقلم فله فهمي بسدوي ١٩٤٤ . ولكنهما لا يرتفعان الى مستوى كتب السيرة الجيدة .

ويبدو من الكشف الذي نشره المؤلف في مؤخرة الكتاب عن المصادر التي اعتمد عليها انه لم يطالع جميع مؤلفات شو ومنها ما هو غاية الاهمية كالسفر الضخم الذي تفرغ لتاليفه ثلاث سنوات كاملة « دليل المرأة الذكية » ، كما يبدو انه اطلع على بعض مؤلفات شو في ترجمتها الفرنسية ومن اهمها سيرة حياته كما كتبها بنفسه « صورتي في ستة عشر رسما » والكلمة رسم Sketch ترجمها الاستاذ « خط » . ولعل سبب هذا نقله عن الفرنسية .

ثم من الواضح انه لم يطلع على افضل ما كتب عن شو ، ومن ذلك كتاب » برنارد شو ـ حياته وشخصيته » تاليف هيكست بيرسون . وقد كتب الجزء الاول والاكبر منه خلال حياة شو . وكتب الجزء الثاني بعد وفاة شو . ولا شك في انه افضل ما كتب عن حياة شو من حيث الشمول وسعة المعالجة . وقد علمت ان سيرة حياة جديدة قد ظهرت في انجلترا مؤخرا بقلم سنت ارفين . وقيل لي ان هذا الكتاب الاخير ممتاز وثمين .

ولا ادري اذا كان المؤلف الفاضل قد قرأ جميع المقدمات التي كتبها شو لمسرحياته . والتي كانت تحتوي على ارائه في مختلف الشؤون ، وعلى حلوله للمشاكل الكثيرة التي كان يعرض لها في مسرحياته .

وفي المقدمة التي كتبها الاستاذ شرارة لهذا الكتاب ، اوضح لنا رأيه في كتابة السيرة ، وهو يقسم السيرة ـ علميا ـ الى اربعة فصول : نحو من ... مع ... بعد ... وقد يكون رأيي الاستاذ صائبا (من وجهة نظر علمية) ولكني لاحظت ان هذه الخطة تستلزم توسعا عظيما قد يصل الاسراف فيها الى الجور على « السيرة » التي هي موضوع الكتاب . وهذا ما فعله الاستاذ شرارة .

ففي الفصل الاول « نحو برنارد شو » يستغرق المؤلف نحوا من خمسين صفحة في التحدث عن الثورة الفرنسية واثرها في الفكر الاوروبي وعن المدارس الادبية المختلفة وعن الجزر البريطانية وجغرافيتها وعن نوعية الجيل الذي عاش في العصر الذي نشأ فيه شو وينقضي الفصل دون ان يحظى القارىء بشيء كثير عن شو نفسه .

وفي الفصل الثاني « من برنارد شو » يستغرق المؤلف صفحات عديدة في التحدث عن ارلندا وتاريخها ، وعن دبلن واحدائها . ثم يخلص الى التحدث عن اسرة شو ونشأته . وفي الفصل الثالث يحدثنا عن ابسن فنكاد نحسب ان المؤلف يكتب سيرة حياته لاسيرة حياة شو .

ولا بد ان يحتج المؤلف على هذا بقوله انه يريد الاحاطة بموضوعه من جميع الوجوه . وان الحديث عن شو يستلزم حتما الحديث عن المؤلفين الذين تاثر بهم . وعن المؤثرات المختلفة التي فعلت فعلها في ادبه ونفسه . وجوابي على هذا ان اتباع هذه الخطة يقتضي المؤلف ان يضع كتابا في عدة مجلدات كي يفي السيرة المبحوث فيها حقها ايفاء كاملا . هذا مع العلم ان معظم ما جاء في هذا الكتاب عن شو لم يكن في الصميم بل كان يمس حياته مسا رفيقا « من بعيد لبعيد » ويصح ان يوصف بانه كتاب ، على هامش ، برنارد شو لا كتاب يؤرخ سيرة حياته وادبه ـ في الميان ـ

وهناك ملاحظات اخرى منها قوله : ان شو « قرر ان يكتب خمس صفحات كل يوم مهما كانت الموانع وقد وفق الى ذلك احسن التوفيق » ويخيل للقارىء ان شو اتخذ لنفسه هذه الخطة طيلة حياته ، ولكن حقيقة الامر ان شو روى انه اتخذ هذه الخطة في السنوات التي كتب فيها رواياته الخمس فقط ، وذلك اول عهده بالكتابة . وقد روى ذلك في معرض السخرية .

وهناك هنات منها انه يعطي ترجمتين لاحدى مسرحيات شو « رجل القدر » ثم « رجل المصير » ولا ادري لماذا يصر على قول « دجون » ترجمة لاسم جون Joan وهو قول ثقيل . ثم هو يترجم رتبة Major العسكرية « آمر لواء » . ان رتبة ميجر العسكرية يعادلها عندنا « رئيس اول » . واذا ترجمنا آمر لواء الى الانجليزية وجب ان نقول « جنرال » . لقد اعطى شو لبريارا رتبة ميجر لا رتبة جنرال ولم نسمع انه اوصى بترقيتها ! وهناك ترجمته الحرفية لكلمة Room عندما قال شو « ليس في روما متسع لباباوين » . ان Room تعني هنا « مكان فارغ » لا غرفة . والانجليز يستعملونها دائما بهذا المعنى اوذاك . وكل معنى له مناسبة .

وكنت ارجو لو ان المؤلف اثبت في مؤخرة الكتاب كشفا بمؤلفات شو باللغة الانجليزية وترجمته لها بالعربية كي يتاح للقاريء الذي يعرف الانجليزية ان يتذوق المعاني الواردة خصوصا وان ترجمة بعض عناوين الكتب لم تكن موفقة لصعوبة نقل المعنى في عبارة موجزة وافية . خذ مثلا Too True To Be Good وترجمتها «من الجودة لا يصدق» ثم Village Wooing وترجمتها «مناجاة قرية» ، بينما يجم ان تترجم « الغزل في القرية » لان المناجاة او الغزل لم تكن في شخص القرية ، بل دارت بين شخصين قرويين The Six Of Calais وترجمتها « ستة كاله » وهي ترجمة لا يفهم القاريء العادي منها شيئا . وكان يجب ان تترجم « ستة رجال من كاليه » وهلمجرا .

انا لا انكر الجهد الطيب الذي بذله الاستاذ شراره . ولكن سيرة شو ضاعت بين مختلف التفاصيل التي لا ضرورة لها . ولو ركز المؤلف جهده في « سيرة » شو وحدها لقدم لنا صورة اكثر حيوية ووضوحا .

الاردن ـ المفرق **سليمان موسى**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكميت بن زيد الاسدي

للدكتور احمد صلاح الدين نجا ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار العصر بيروت ـ مطبعة الاتحاد بيروت

من الدراسات الادبية الصادرة في مطلع هذا العام كتاب « الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة السياسي في عصر بني امية » وهو رسالة طريفة طرحت للمناقشة فنال بها المؤلف الاستاذ احمد صلاح الدين نجا شهادة الدكتوراه من احدى جامعات فرنسة .

تتميز هذه الدراسة من بين الدراسات الكثيرة التي تقدم هذه الايام « اطاريح » لنيل درجة علمية ما بمميزات وخصائص نوجزها في ما يأتي :

ـ جدة الموضوع فالابحاث عن الكميت لا تزال قليلة ، والاشياء التي يعرفها الناس عنه بحاجة الى مزيد من الغربلة والتمحيص .

ـ اهمية الموضوع بالنسبة الى عصرنا فالاتجاه العقائدي واتخاذ الادب منبرا للدفاع عن العقيدة ، والخوض في ميدان السياسة اشياء باتت تؤلف هما من هموم الاديب عندنا يجعله يقبل بشيء من الغضر على الوقوف على تجارب الاولين ونتاجهم في مثل هذا الموقف .

ـ لصوق الموضوع بحياة فترة غير قصيرة من تاريخ العرب في زمن بني امية الشيء الذي يطمعنا باكتشاف نوافذ جديدة نطل منها على حياة الاقدمين ومظاهر مجتمعهم .

هذه اهم المزايا التي تمتاز بها هذه الدراسة من حيث الموضوع فهل وفى صديقنا الدكتور نجا موضوعه حقه من حيث التناول وكشف الحقائق والخروج بنتائج تكفل لكتابه تلك القيمة العلمية المتوخاة من مثله ؟

من الخير ان اوضح لك مقدما ان المؤلف قام في هذا السبيل بمحاولة جاهدة كان له فيها ـ على حد قول الاستاذ فؤاد افرام البستاني كاتب المقدمة ـ « لذة الاكتشاف ، ومفاجأة الارتياد » وفضل الجمع والتمحيص والغربلة ، وجرأة السير على الطريق غير المعبدة . وهي صفات المحاولات الصحيحة في الادب والتاريخ والاجتماع وسائر مناحي البحث » .

وان كان لي من شيء اضيفه هنا الى هذه الشهادة فهي انني خرجت من قراءة الكتاب وانا اشعر بان المؤلف قد جلا لي بعض امور تتعلق اهمها :

ان الكميت بن زيد هو شاعر من شعراء المقاومة في الادب العربي واحد الذين ثاروا في وجه الحكم الطاغي والاستبداد المروع « ليدفأ مقرور ويشبع مرمل » ويصل الى الحكم « ساسة لا كمن يرى رعية الناس سواء ورعية الانعام » ووقف يفضح جشع الحكام بقوله :

فكيف ومن انى واذ نحن خلفة فريقان شتى : تسمنون ونهزل ؟

فانقض الحرس عليه معملين رؤوس اسيافهم في بطنه ، وبزلوه حتى فاضت روحه .

ان الكميت هو اول من هجر النسيب وسخر بالاوضاع البدوية وبشر ضدها ـ قبل الشاعر النواسي ـ فكان الحافز الحق للثورة الادبية العباسية والسباق للتحرر والتجديد بدليل قوله :

- لا الدار ردت جواب سائلها ولا بكت اهلها اذا اغتربوا
- فدع ذكر من لست من شانه ...
- وهات الثناء لاهل الثناء
- ما انت والدار اذ صارت معارفها للريح ملعبة ذات الفرابيل

تسدى الرياح بها نسجا وتلحمه ذيلين من معصف منها ومشمول

واظن القارىء يذكر اقوال ابي نواس في هذا الموضوع : « فدع ذكر من تهوى ... اثن على الخمر بالائها ... دع الاطلال تسفيها الجنوب ... يا من ينادي الدار هل تنطق ؟ » ان تاثير الكميت واضح في شعر ابي نواس هذا ولكن هل يعني ذلك ان الكميت افضل من ابي نواس وان تجديده « لاسمى منزلة وابلغ هدفا من تجديد ابن هاني » كما يقول المؤلف (ص ١٠٨) ؟

ليسمح لي المؤلف ان اخالفه في الرأي هنا فالعذوبة والرقة والكلام السهل المأنوس الذي اتصف به شعر ابي نواس كل ذلك رفع من منزلته وجعل شعره يدور على الالسنة بينما انكباب الكميت على حوشي الكلام وغريب العبارات وايثاره العويص على السهل ساعدا على خمول ذكره وحملا ابن سلام الجحى على ان يضعه في المرتبة العاشرة بين الشعراء على رغم سبقه الى هجر النسيب والسخرية بالاوضاع البدوية والتبشير ضدها . وعند المؤلف من آراء بشار والجاحظ وذي الرمة ونصيب وابي تمام وابن قتيبة في شعر الكميت الخبر اليقين (١١٠ ـ ١٢٢)

بقي شيء اخر هالني من الكتاب واستهجنته لدى الصديق الزميل هو ـ بالمناسبة ـ استعمال الغريب فهل هي العدوى ؟ ام ماذا ؟ لقد رايته مثلا يستعمل كلمات ميتة ليس من الخير احياؤها كقوله :

« ياخذون على شاعرنا لائمين .. ولكنهم ما فقهوا سخريته من القدماء ومن طريقتهم التي يتبعون وهم في تلال مبين » أي ضلال (ص٩٩) او قوله : « فابلى المتهم عذره » بدلا من ان يقول : قدمه » و « ان هذه الافكار لتبره » بمعنى تأتي بالبرهان .

ومثل ذلك كثير . يضاف اليه بعض اخطاء في الطباعة وضبط الشكل لا احمله تبعتها مثل « تشفي من العضد » بضم التاء والصواب تشفي بفتحها غير انها هنات لا تقلل من شأن الكتاب ولا تصرف ابصارنا عن القضايا الجوهرية التي استطاع المؤلف ان يثيرها في اذهاننا بحيث استحق شكرنا وتقدير الباحثين .

احمد ابو سعد

اكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : مدام ومسيو كاربيس

الحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس
وعضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

اقصدوا المعهد الذي حاز على ثقة ورضى جميع الذين تعاملوا معه من العائلات وافراد المجتمع

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

تلفون ٣١٣٩٦ ص.ب ١٤٩٩

بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريـــخ ابن خـــلدون

يصدر في ٣٢ جزءا ـ ٢٥٠ صفحة الجزء ـ حجم كبير ـ
منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت

قـد لا يكون دليلا على حضارة شعب من شعوب العالم ، ما هو فيه من رخاء العيش وسعة الرقعة ، وتمكن اساليب الوفاية ، فالحضارة كما هي في حقيقتها ، تعبير الكائنات الحية عن تجرب العقل والشعور الرفيع ، ذلك يوفر في دقيق الاعمال وجليلها في المظهر والمخبر ، غير ان امورا هامه لا بد من تحققها في مدى حضارات الامم كيلا تبقى تلك الفجوات الراعبة فاغرة فمها كانه باب العدم ، وعندئذ يتسرب عنصر الزوال الى بناء المدنية ، فيهدم حيطانها ، ويهوي بسلطانها .

لذلك فان الكتاب اهم عامل في بناء صرح الحضارة ، والدليل المباشر على مداها الصاعد ، فمن هنا يتبين لنا مقدار المؤلف والى جانبه التزام الناشر .

ان الذين درسوا مقدمة ابن خلدون ، ايقنوا ان هذا السفر النفيس واحد من كتاب الطليعة في مكتبة العالم ، وانه قل لعصر من العصور ان يظفر بكتاب كالمقدمة ، فهو ذو ميزة خاصة يتفرد بها على سائر الاسفار النفسية ، فهو قد ولد شابا ، مكتمل الاداة موفور العطاء ، ليس له مثيل سابق في بابه ، ولما يخلفه لاحق يبزه بالشاو البعيد ، الى اسلوب طبع انيق ، وعبارة عذبة محكمة ، مما جعل لمؤلفه « عبد الرحمن بن خلدون » مكانة ادبية في قمم الفكر ، لا يعد ازاءها مواكبوه او منافسوه من باحثي الا قلة في مدى التحضر .

اذا كان للمقدمة هذه القيمة من ناحية على التجمع البشري ، وتفاعله ، واذا تحقق للمكتبة العربية هذا المجد الرفيع ، فمن ايرسبل حفظ الملكية ، ان تكون العناية بالنفائس والذخائر عناية تتناسب مع قدرها ومدى شعاعها .

هنا ، يحق لنا ان نقول بجرأة صريحة ، ان مكتبة من مكتبات العالم العربي لم تقم بما يجب في هذا الحقل قياما لائقا ، ففي مصر وبغداد وبيروت ودمشق ، بعض نسخ اخرجت للناس على غرار الفنون والشعبيات ، بل كان لكتب الزير سالم ، والهلالي ، وبيبرس حظ اوفر في الاخراج من حظ مقدمة بن خلدون مع ان تلك ارض وهذه سماء ، الى ان اتاح الله للمكتبة العربية رجلا انطوى على حب المعرفة ، وتنظيم طرقها ، فشحذ همته في سبيل الكتاب مفهرسا ومخرجا ومبوبا ، فكان الاستاذ يوسف اسعد داغر حفظه الله من رواد التمدين الذين يداون شعوبهم على الجواهر النادرة ، ليقول للناس : ان الثقافة والزمان متلازمان فبمقدار ما نجعل الاستفادة من الزمان متوفرة ، بمقدار ما نغنم من بحار الثقافة اكثر ومن حسن الحظ ان تجاربه الخيرة لم تقف عند حدود دار الكتب اللبنانية ، بل امتدت لتساند شابا من خيرة شبابنا الطالعين في آفاق النشر ، وتزويد المكتبة العربية بخير نتاج في حقل التوزيع والتأليف ، فدل الاستاذ داغر صديقنا الاحب السيد حسن الزين صاحب مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني على اثار بن خلدون وضرورة نشرها في ثوب جديد يليق بمكانتها ، وخاصة المقدمة ، التي تعد واحدة من اهم المراجع في تاريخ علم الاجتماع ، استقى منها مستانسا اقطاب هذا الفن من ايطاليين ، وفرنسيين وانكليز ، فكانا ـ ايدهما الله ـ كجناحي الطائر بهما يشارفان النجوم .

لقد اخرجا هذا الاثر في خمسة مجلدات انيقة ، بهيجة الحروف ، واضحة التقسيم مزخرفة الغلاف مظبوطة العبارة ، وكل هذا هام ، غير ان الاهم منه هو ذلك الفهرس الدقيق الذي يسهل للمراجع وقوفه على كل ما يتعلق بالمقدمة ، ساعة يشاء بايسر الطرق فكانه اصبح ينادي الطلاب والمعلمين ، ورجال البحث اليه ، ليكون في صدورهم وذاكراتهم في لمحات من الوقت ، وهنيهات من تقليب الصحائف ، نظم الاستاذ داغر فهرسا عاما للمقدمة بداه بفهرس الموضوعات مرتبة حسب العنوان على حروف المعجم ، ثم ثنى بفهرس للاعلام من الرجال والنساء حسب الشهرة ، وتبعا لاسم الشخص ، بعده فهرس لاسماء الشعوب والقبائل ، والدول ، والاسر التاريخية ، فالبلدان ، فالامكنة ، فالكواكب ، فالحيوان والنبات والمعادن ، كما صنع فهرسا للايات الكريمة ، واخر لمواد الكتاب .

لم ينس ايضا ان يوجد ثبتا بالمصادر والمراجع لدراسة بن خلدون ، بداه بالمصادر العربية وقفاه بالمصادر الاجنبية ودراسات المستشرقين ، « والانسكلوبيديات » .

ان التأليف في مادة من المواد ، يمكن للدارس المطلع ، وان اخراج المؤلف فن قائم بذاته يقتضي علما ، وذوقا ، ودراية ، ولخير الف مرة للمتهاونين في هذا المضمار ان يتركوا امر دراسة مؤلفاتهم وتبويبها ، وتنظيم فهارسها للمختصين ، والرجوع الى الاصل مخطوطة كان اومحفورا او مطبوعة ، كما اخذ بتصوير مخطوطة المقدمة الموجودة في مكتبة باريس الوطنية ، كي تأخذ طريقها المعبد للذيوع والانتشار .

علي شلق

حبـر عـلى ورق

لمارون عبود ـ مجموعة مقالات ـ ١٧٣ صفحة ـ المطبعة التجارية ببيروت

رغم تقدمه في السن ، ما برح الاديب الكبير ، والنقادة اللامع ، مارون عبود ـ جاحظ القرن العشرين ـ يتحفنا بمؤلفاته الشيقة الانتقادية ، التي قامت عليها شهرته الواسعة النطاق ، والتي وطدت له منزلة اولية في دنيا الادب العربي

مارون عبود واحد من كتاب لغة الضاد الظرفاء ، الذين ما اعتنقوا مذهب الكتابة الا ليكونوا قدوة لمجتمعهم المتقلب ، ومدرسة ذات اهداف سليمة ، رائدها تهذيب النشء ودعمه بقوى الخير ، هذه القوى التي تؤهله لنوال حياة فضلى ، يرتسم على محياها طابع الرزانة ، والرصانة ، والاقدام لمناصرة المحتاجين .. ، وتشرق من جبينها انوار السعادة ...

هو واحد من عندياتنا ، حمل يراعه وراح يدق به ـ في كتابه « حبر على ورق » الذي نزل مؤخرا الى السوق ـ اعناق الفسادوالافساد ـ وذلك على عينك يا تاجر ـ ، وحمل به حملات قارصة على هؤلاء الجشعين الذين ما يزالون يرفعون رؤوسهم تعجرفا في عصر زاغت فيه اغلبية العناصر اللبنانية عن الصراط المستقيم ، متسترة باسمال الجشع ، والمكر ، والرياء ، والنميمة ، والاحتيال .. ، لا يهمها ، من هذه الفانية ، الا تأمين مصلحتها ، مهما كانت الظروف التي تحيط بها .

وكتابه « حبر على ورق » ما هو سوى مجموعة مقالات موفقةتوفيقا ممتازا ، ان كان من ناحية المبنى ، ام من ناحية المعنى . وغالبا ما يبداها المؤلف بسرد الامثلة ... فعندما نقرأها ـ اي المقالات ـ فبلذة زائدة ، دون تأفف او تذمر ، ودون ان يهيمن علينا ارتباك او ملل ، واي ارتباك او ملل ... انها تدعنا نشعر ، بانفسنا ، بارتياح عميق الغور ، نظرا لاسلوبها الرائق ، المتين الدعائم في جمل انتقادية لاذعة ، قصيرة الباع اجمالا ، سلسة الالفاظ ، جلية التركيب ، نائية عن الحشو ، والذبذبة ، والكلفة ، والابهام .. ، متلاحمة الاوصال ـ اكثرية الاحايين ـ بشكل جذاب ، كلها مغزى وعظات سلخها الكاتب من اعمق الاعماق ، شيدت حيطانها على اسس الصراحة ـ ميزة مارون عبود ـ التي يتحلى بها اينما كتب ، ومهما كانت عناوين كتاباته ...

فهذا الكتاب الدسم ، مادة حيوية لنا ، وصورة انتقادية ، حقيقية ، صارخة ، لوجه لبنان الداخلي ، لا بل مرآة مبروزة تنعكس عليها اوجه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النواب ، والطلاب ، والبؤساء ، والموسرين ، والغفلة ، والطماعين وحاملي الالقاب الطنانة ، وهاتكي الحرمات ، والسعداء ، والقابعين في زوايا دورهم بعيدا عن صخب البيئة المتكالبة ورنين فلوسها ، واصحاب الاراء الرعناء ، والسماسرة ، والمقامرين، والمنافحين عن القيم العليا رمز الحضارةوالمدنية، والمراوغين ، والفوضويين ، وقاطعي الوعود ، والاوفياء ، والمجرمين ...

ففي « شبابنا الحائر » يصور لنا المؤلف حياة الشبان لما يغادرون مقاعد الدراسة . فيهاجم منهم المتقاعسين عن الاعمال والفاشلين فيها مهاجمة صاعقة ... فواحد يتوصل بمقدرته العلمية الفائقة ان يبني مستقبلا محترما ، يكون بفضله عيشة ممزوجة بالمحبة والاخلاص واليمن. واخر ينزل الى معترك العمل نحيل البنية ، لا يفكر الا بلهوه ، وتنقلاته من مكان الى اخر ، تلك التنقلات التي تكسبه اخيرا ذل السؤال ، وعبث الناس به . وثالث يقضي اعواما عديدة دون عمل ، او قل دون ان يفتش عن عمل ، وعذره ان والده يتمتع بثروة لا بأس بها . انه يتكل على ورثته غير عالم ان البطالة شر قبيح ، ومرض خبيث ، دواؤه الاوحد هو العمل مهما كان نوع هذا العمل . ورابع يخونه الحظ في عمله ، فيقعد يندب حظه المشؤوم تارة ، راميا مسؤولية فشله على الدهر الخائن ، الغدار ، وطورا يروح يحسد زميله الذي كتب له الدهر الفلاح السريع ، فصار اسمه على اسلة لسان المجتمع الادبي الراقي ، ناسيا انه ايام الدراسة ، امضى وقته باللعب ، والثرثرة ، والضحك على ذقن معلمه ، بينا رفيقه كان كله اذانا صاغية لشروحات الاستاذ ، وانه لم يدع دقيقة واحدة من ساعة الصف تمر دون ان تحمل له علما جديدا يتغذى به ... هذا ولم ينس مارون عبود ان يهاجم الاباء الذين يغلتون الملق لاولادهم ، باعطائهم حرية واسعة ، واحشاء جيوبهم بالمال رغم كسلهم المخجل ..

وفي « الدنيا واسطة » يقود ادبنا المفضال حملة عنيفة على صاحبي النفوذ الذين ينظرون الى الشعب المهضوم الرزق نظرة احتقار وغطرسة. ويهاجم الواسطة التي ورثناها عن اجدادنا ـ طيب الله ثراهم ـ والتي ما زالت تلعب دورا رئيسيا في اوساطنا ، ان عيلية او عملية ... فافراد العائلة يتوسط بعضهم لبعض : الاخ يتوسط عند ابيه لاخته ، وهكذا دواليك . والموظف يصبح موظفا بفضل الواسطة ، والمستخدم ما توصل ان يشتغل في ذاك المحل الا بفضل واسطة ابن عمه الوجيه الساحلي.. « واذا سالت احدهم : كيف وصلت الى هنا وليس فيك الشروط المطلوبة؟ اجابك بعين مفتوحة : كله خلط ! الدنيا واسطة . واذا سالت غيره : كيف خلصت من تلك الورطة ؟ اجابك : واسطتي قوية جدا جدا ، والواسطة كما تعلم غير منكورة .

وفي « كالعيس في البيداء » ، يعطينا الكاتب صورة خاطفة عن القرية الضعيفة المصلحة التي لا يبالي بها المسؤولون عندنا . يريدون لها التقهقر بدلا من التقدم في عصر النور والعلم .. فاسلاك الكهرباء ما زالت غاضة النظر عن كثيرات من القرى بالرغم من مرورها على حدودها . فكهرباء نهر البارد قريبة من قرية صاحب « حبر على ورق ».

صدر حديثا :

غيوم ظامئة

للشاعر وديع ديب

لكن الفانوس ما زال ينيرها .

وفي « الشجر تتهم البشر » نرى الشجرة ـ في الغابة ـ تقف بوجه الانسان محملقة به ، ثم تأخذ تكيل له التهم ، بانه يأتي في معظم سوانحه بفأسه ، يهوي به على اغصانها الوارفة ، او يسرق اثمارها اليانعة ، او ينزع عنها ثيابها ، او يقطعها من الارض ضاربا عرض الحائط بالمثل السائر « ازرع ولا تقطع » ، وناسيا انها تبعث اليه الفيء ساعة تسلط الشمس اضواءها على الغابة الفسيحة .. « الشجرة نعيم هذه الحياة ، وعروس الشعراء ، بل عروس كل ذي نفس تشعر . » انها قانعة بعيشتها ، راضية بمكانها . « لا تتنازع على الماء ولا على النور ولا على الهواء » فشريعتها ما هي الا شريعة السلام والوئام في دنيا « عم فيها الطمع والرياء ، واصيب اناسها بداء حب الثراء ، وانتشرت المناجاة حتى سموها سياسة عصرية » ...

وهكذا يسير مارون عبود في سرد بقية مقالاته بقالب طريف ممتع، اختلط فيه الجد والهزل ، فالب برأسه النقد ، وتدخله الامثال البديعة في محلها .

ولا يسعنا في النهاية الا ان نبدي اعجابنا بهذا الكتاب ، ونطلب من صاحبه ان يظل دائما يقدم لنا تحفا ادبية نفيسة ، ترتكز اول ما ترتكز على الاصلاح ...

ابراهيم عبدو الخوري

شلال الاسود

لمحمد الصباغ ـ ١٢٤ صفحة ـ المطبعة المهدية بتطوان المغرب

أخي محمد : شكرا لك على رسالتك الاخيرة ... واذا انا لم اجبك في الحال فلانني كنت اترقب وصول كتابك « شلال الاسود » الذي تلطفت واهديت الي نسخة منه . اما وقد وصل الكتاب ، وقرأته ، فانه ليسرني ان اشهد قبل كل شيء بحسن ذوقك في اختيار عنوانه . فشلال من الاسود ليس بالصورة الفاترة التي يمر بها القارىء مرور الكرام . بل ان فيها ما يهمز الفكر والخيال همزا ، ويدغدغ العاطفة الشعرية والقومية . وهذه العاطفة تبدو في كتابك نارا مشبوبة تلتهم بعضها بعضا فلا تشبع ولا ترتوي ولا تهدأ. بمثل هذه العاطفة تقوم الثورات ، وبمثل هذه النار تلتهب صدور المظلومين والمحرومين متى بلغ الظلم والحرمان درجة لا تطاق . وعمل الشاعر اذ ذاك هو ان يذكي النار وان يكون ترجمان القلوب المستعرة بها الى القلوب التي حرارتها في درجة الصفر . وذلك ما يفعله قلمك حيث يقول :

« طوبى لي بك يا بلادي. هذا عمري، ان لم اخدمك به فليس بعمري وهذا شبابي . ان لم اعصر دماءه في راحتيك فسحقا له من شباب.

وهذا قلمي . ان لم اقفه عليك فسأخرقه في قلبي .

وهذا لساني . ان لم يكن حربا على عداك ، فساقلعه بعروقه من اعماق رجلي .

اسمك على لساني صلاة ليل كامل. ولقمتك في فمي غذاء لعام باجمعه وضوؤك في عيني رؤية الله في جلال نوره . وغصنك المثقل بندى رضاك رحمة على قبري . »

فزدنا من نتاج قلمك ، والى الامام .

بسكنتا ـ لبنان **ميخائيل نعيمه**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ظهر حديثاً

● الحضارة المصرية ـ تأليف الدكتور جون ولسون ـ ترجمة احمد فخري استاذ تاريخ مصر والشرق القديم بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ ٥٣٧ صفحة ـ حجم كبير ـ مع عدة صور فوتوغرافية للاثار والاماكن الاثرية وغيرها ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ في سلسلةمشروع الالف كتاب باشرافادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● القلق ـ تأليف الدكتور ابو مدين الشافعي ـ ١٦٠ صفحة ـ الجزء ١٧٠ من سلسلة « اقرأ » ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● قصائد اولى ـ شعر ـ لادونيس ـ ١١٠ صفحة ـ رسم الغلاف بريشة هلن الخال ـ منشورات مجلة شعر ـ مطابع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● ماذا حدث في التاريخ ـ دراسة لتطور الحضارة منذ العصرالحجري حتى نهاية العصور القديمة ـ تأليف جوردون تشايلد ـ ترجمة الدكتور جورج حداد استاذ ورئيس قسم التاريخ في الجامعة السورية ـ تقديم الدكتور حسين مؤنس الاستاذ بجامعة القاهرة والمدير العام لادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ٢٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ في سلسلة مشروع الالف كتاب ـ منشورات الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبع دار الطباعة الحديثة [؟]

● خطوط وظلال ـ مجموعة قصص ـ تأليف روز غريب ـ ٩٨ صفحة ـ سلسلة الروائع العالمية : كتاب الشهر رقم ٨ ـ منشورات دار الريحاني للطباعة بيروت .

● القصة العراقية قديما وحديثا ـ الجزء الاول وهو مقدمة تاريخية موجزة ـ بقلم جعفر الخليلي ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● جبروت العقل ـ تأليف جلبرت هايت ـ ترجمة فؤاد صروف نائب رئيس الجامعة الامريكية ببيروت ـ تقديم الدكتور احمد زكي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ ١٨٠ صفحة ـ رسم الغلاف بريشة الفنان حسين بيكار الاستاذ بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● اللوائح ـ مجموعة قصائد غزلية بريشة ـ لانطوان عبد المسيح الحايك ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة الاتحاد ببيروت .

● نصف العالم الحي ـ مجموعة شعرية ـ لمحمد رضا الاسود ـ ٨٠ صفحة ـ رسم الغلاف بريشة الفنانا كرم شكري ـ دار مطبعة التمدن ببغداد

● ادارة الناس فن ـ تأليف جورج د. هالسي ـ ترجمة احمد زكي محمد مدير معهد الادارة العامة [؟] ـ تقديم قائد الجناح حسن ابراهيم وزير الدولة لشؤون الانتاج ـ ٢٧٥ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● اللحن الثائر ـ شعر لجليلة رضا ـ ١٤٦ صفحة ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة الفنان طلعت المصري ـ منشورات الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبع دار مصر للطباعة .

● تنظيم مخيمات العمل الدولية ـ بقلم ويلي بجيرت [لم يذكر اسم المترجم] ـ ١٣٥ صفحة ـ منشورات اليونسكو ـ طبع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة .

● سقراط الرجل الذي جرؤ على السؤال ـ تأليف الدكتورة كورا ميسن ـ ترجمة محمود محمود ـ تقديم حسن جلال العروسي ـ ١٧١ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ في سلسلة مشروع الالف كتاب ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● غربـاء ـ مجموعة شعرية ـ لصلاح لبكي ـ تقديم يوسف غصوب ـ ١٢٥ صفحة ـ نشر وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● نقل الاديب لاديب العربية محمد اسعاف النشاشيبي ـ قدم له وترجم لمؤلفه الدكتور اسحق موسى الحسيني ـ ١٤٧ صفحة ـ نشروطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت

● نساء صغيرات ـ الجزء الرابع ـ تأليف لويزا م. الكوت ـ ترجمة امينة السعيد ـ ٢٧٠ صفحة ـ الصور الملونة والرسوم بريشة الفنان الامريكي لويس جامبور ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● اثر الاسرة والمجتمع في الاحداث الذين هم دون الثالثة عشرة من العمر ـ [لم يذكر اسم المؤلف او المترجم] ـ ٦٢ صفحة ـ الحلقة الرابعة من سلسلة « في سبيل التفاهم الدولي » ـ منشورات اليونسكو ـ طبع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة .

● القوميات [في جزءين] ـ بقلم امين الريحاني ـ تقديم البرت الريحاني ـ الجزء الاول ـ ٢١٦ صفحة ـ الجزء الثاني ـ ١٦٩ صفحة ـ منشورات وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● التعليم الثانوي في العراق : فلسفته واهدافه ومفاهيمه . علاقته بالتعليم الجامعي وبالمجتمع . تنظيمه ومناهجه وشهاداته . نظام الامتحانات فيه . مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية والفنية . اتجاهاته الحديثة ـ تأليف الدكتور نوري الحافظ مدير المناهج والكتب بوزارة المعارف العراقية ـ تقديم الدكتور محمد حسين آل ياسين ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● زهر وقفر ـ مجموعة شعرية ـ لاسحق محمد الخليفة شريف « الشاعر السوداني » ـ تقديم كرم ملحم كرم ـ ١١٠ صفحة ـ رسم الغلاف واللوحات الداخلية بريشة المؤلف ـ منشورات وطبع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة لابن شداد ، عز الدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم المتوفي سنة ٦٨٤ هـ . ـ تاريخ مدينة دمشق ـ عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ ٤٧٣ صفحة ـ حجم كبير ـ ورق فاخر ـ مع ٨ لوحات ـ منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● Mélanges — par Louis Massignon — Tome II — 386 pages gd. f. — Publiés sous le patronage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris et de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● La Critique Poétique des Arabes : jusqu'au 5e siècle de l'Hégire — par Amjad Trabulsi, docteur de l'Université de Paris, professeur à la Faculté des Lettres de l'Université syrienne à Damas — 304 pages gd. f. — Editions de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخبار علمية

اعلى مختبر في العالم

●

انه ثمرة تعاون العلماء في عدد من الدول وغيرة بعض رجال الفيزياء فكان هذا المختبر الجديد القائم اليوم على قمة جبل عال بالقرب من مدينة لاباز عاصمة بوليفيا وهو مختبر تشاكالتايا اعلى مختبر من نوعه في العالم

على مسافة ساعة ونصف الساعة من مدينة لاباز في طريق صاعدة متعرجة يقوم على ارتفاع ١٧٤١٠٠ قدم فوق سطح البحر في بلدة تشاكالتايا عدد من الابنية الحجرية يؤلف مجموعها مختبرا علميا هو واحد من اعظم مختبرات العالم تجهيزا واستعدادا . وتفترش مباني المختبر العديدة مساحة من الارض تبلغ ٢٥٠٠ قدم مربع كما انها تضم اجنحة خاصة لسكن ١٢ عالما وخبيرا يعملون فيه . ويمد المختبر تيار كهربائي من لاباز بقوة ١٢٠٠ كيلوواط تكفي لانارة المختبر وتدفئة مبانيه وحجراته وحماماته ودائرة مطبخه . وقد تم اخيرا تامين طاقة كهربائية مباشرة قوتها ٤٢٠ كيلوواط تكفي لمد اضخم حجرة مغنطيس كما ان الترتيبات اللازمة تتخذ لتامين اماكن السكن لفريق من ثمانية عشر عالما من علماء الابحاث العلمية .

والعمل في هذا المختبر لا يفتر فهو في حركة دائمة بحيث تجده في اي يوم من ايام الاسبوع ناشطا في البحث حول ثلاثة مشروعات علمية على الاقل . وتاريخ نشاة المختبر يعود الى عام ١٩٤١ يوم قام نادي اندينو بوليفيا نويروج لرياضة التزلج على جبال الاندلس فحانت لاحد اعضائه المدعو اسماعيل اسكوبار، استاذ الفيزياء المتيورولوجيا في جامعة لاباز الفرصة المؤاتية للقيام بارصاد جوية على قمة جبل تشاكالتايا التي وقع عليها الاختيار لتكون مركزا للتزلج ، وهو جبل لا يبعد كثيرا عن مدينة لاباز نفسها عاصمة البلاد واكبر مدنها . وقد عرف النادي ان يثير اهتمام الحكومة بالمشروع فجعلت الجبل المذكور في عداد متنزهاتها الوطنية وشقت للسيارات فيه طريقا معبدة فانفتح امام اسكوبار مجال الرصد العلمي الذي طالما راوده .

وقد قضى اسكوبار بعد ذلك السنة المدرسية ١٩٥٠-١٩٥١ يتخصص في معهد ماستشوستس التكنولوجي بالبحث عن الاشعة الكونية بفضل منحة مالية نالها من مؤسسة غوجنهايم فاستطاع ان يثير بدوره حماس استاذه مرونو روسي مدير الابحاث الخاصة بالاشعة الكونية بعد ان اطلع على المشروع بحذافيره وعمل على تزويد تلميذه بالالات والاجهزة العلمية ليقيس ما يلاحظ من التشويش الشرقي الغربي في قوة الميزونات الملحوظة في بوليفيا . وعند عودته الى بلاده عمل اسكوبار على ايجاد بناء في الجبل يتسع لايواء الاجهزة والمولد الكهربائي فوجد مرابا من الالومنيوم اقيم على ارض وزارة الزراعة في المنطقة فعمد الى اصلاحه وجعله ملجا للمتزلجين . ثم اقنع اولى الامر في الجامعة بتجهيز الموضع بمولد كهربائي استطاع معه الانصراف الى تجاربه العلمية حول طاقة الميزونات وما فيها من تشويش في سماء بوليفيا .

واتفق في ذلك الحين ، أي في عام ١٩٥٢ ان المعهد البرازيلي للابحاث الفيزيائية كان يهتم بانشاء مركز علمي خاص على ارتفاع عال للكشف عن اسرار الاشعة الكونية . وقد تمكن اسكوبار من حمل الفريق البرازيلي الناهض بالمشروع المذكور على اقامة المركز المطلوب في جبل تشاكالتايا لخلو البرازيل من جبال عالية لها مثل ارتفاع جبال بوليفيا . وعقد اتفاق بين جامعة بوليفيا والفريق العلمي في البرازيل لعشر سنوات نص على التعاون المتبادل بين البلدين . وقامت بفضل هذا التعاون مجموعة من الابنية تؤلف اليوم نواة المختبر العلمي المذكور .

ونهوضا بالابحاث العلمية وتوسيعا لها ، تمكن القائمون على ادارة المختبر اثارة اهتمام بعض الجامعات الاخرى في اميركا فامدته باجهزة جديدة والات جديدة للرصد وبفرق من العلماء المختصين جاؤوا من جامعة شيكاغو ومعهد ما ستشوستس التكنولوجي وجامعة البرازيل .

ولما كان العمل في المختبر يشق على علماء يعملون في مثل هذا العلو غير المالوف لندرة الهواء وعسر التنفس فقد عمدت ادارة المختبر باتخاذ التدابير العلمية التي تحول دون اعاقة العمل في مثل هذه الظروف الصعبة مع العلم ان عددا كبيرا من العلماء العاملين فيه يسكنون مدينة لاباز نفسها التي تعلو ١٢٥٠٠ قدم فوق سطح البحر .

ان وجود المختبر على مثل هذا العلو الشاهق وانصرافه للابحاث العلمية منذ تاسيسه عام ١٩٥٢ لدليل ساطع على ما يمكن ان يحققه التعاون النزيه بين علماء ينتمون لدول عديدة وكلهم جاد ليفيد من الظروف والفرص المؤاتية على ضوء المساعدات والتبعات المالية التي يجود عليهم بها افراد عديدون من الشعب والحكومة والمساعدة الدولية . وادارة المختبر برئاسة اسكوبار نفسه هي اليوم مستعدة لوضع امكانيات المختبر وخدماته الممكنة تحت تصرف من يرغب فيها من العلماء الذين يبغون الاستفادة منها في ابحاثهم العلمية .

ثيودور بوين

الجمال المجسم في الانشاءات الهندسية

●

هل الجمال البادي شيء يستقر في عين الرائي ام انه شيء ملموس تستطيع ان تتبينه في واقع محيز امامنا له مقاييسه الخاصة ؟ فالبت في القضية امر مرهون بالتحديدات النظرية . ان مظاهر الجمال في الطبيعة تبدو على اشكالها المختلفة . الا ان الجمال المجسم على اتمه هو في ما يصدر عن الانسان من انشاءات فنية مجسمة في هذه التماثيل التي ينحتها ، وهذه المباني التي يرفعها والجسور التي يقيمها يبدو على روعته الاخاذة في مثل هذه المآتي العظام . فهذا الجسر الكبير الذي ينبسط امامك فوق ركائزه وقناطره وزواياه ، أليس معجزة تتحدى بقيامها وارتفاعها ناموس الجاذبية نفسه وتشهد عاليا على جهاد الانسان وكفاحه في سبيل النمو والرقي والسيطرة على الطبيعة والتحكم بمظاهرها ؟ وهذا المهندس الذي رفع ناطحة السحب الجبارة عاليا يقيم للعظمة هيكلا ويصدر عن منهل واحد من الفن يصدر عنه النقاش الفنان نفسه الذي يعمل في تحلية كاتدرائية ما وتزويقها حفرا ونقشا . ففي عمل الاثنين نشوة روحية وتعبير رائع عن الجمال الاسمى .

اكتب هذا وامام عيني ماثل الجسر الجبار الذي اقامه المهندس روبلنغ ليربط بين بروكلين ومنهاتان فاري ما فيه من الوف الاسلاك الفولاذية التي تتشابك فيه كنسيج العنكبوت لها من المتانة والقوة ما تحمل هذا الجسر معلقا بين الماء والسماء تعبره مئات السيارات في وقت واحد فاهتف مكبرا لهذا العقل البشري يأتي مثل هذه العظائم .

ومثل هذا الجمال نراه ممثلا في ما تخرجه احواض السفن على اختلافها من تلك القوارب النحيلة الى عابرات المحيط ، او في ماتخرجه صناعة الطائرات اليوم من طيارة ليوناردو ده فنشي الى الطائرة التي وضعها الاخوان رايت.

وهذه البناية الجميلة هي الاخرى اختيار يشع الغبطة في النفس ويملؤها حبورا ليس فقط بما فيها من خطوط هندسية متناسقة ومواد مختلفة دخلت في تكوينها بل ايضا في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما تبديه من مشاهد لا حد لها مع الفجر الطالع وغياب الشمس وطلة القمر من وراء الافق . فالمباني الهندسية اسوة بغيرها من صنائع الانسان كالقوارب مثلا او الكبارى – الجسور – تتمتع بشخصياتها المميزة وتوحي للرائي انطباعات مدهشة مثيرة وهي في ما تنعم به من قوة الاحتمال والبقاء تغالب الزمن ويغالبها في حرب سجال من كر وفر ، وهي حرب لها فتنتها كما للجسر فتنته وفائدته وكما للبناء او للقوارب من فتنة وجمال .

والمدن نفسها لها شخصيتها التي تعرف ان توفق بين عناصر الجمال وهزة الطرب والرضى عن اثر صنعته يد الانسان ، اذا ما عرفت ان تتبين مصادر هذه الشخصية المفردة واصولها. فعندما تتصور لندن مثلا يطالعك نهر التيمس وهذا العدد العديد من السفن الماخرة فيه تحت عدد لا يحصى من الكباري الضخمة التي تمور بالحركة والحياة . ومنهاتان – نيويورك – تجمع في روعة واحدة العظمة التي توحيها مبانيها الهندسية الضخمة وفتنة النهر المنساب وانسجام ناطحات السحاب والكبارى الضخام القائمة على مقربة منها .

من المبادىء الاولية التي لا بد منها لمبنى كبير ليبدو جميلا السذاجة والصدق مع جمال الخطوط والشكل والانسجام . فاسمع مايقوله بهذا الصدد فرا فيليوليبي « فان تم لك الجمال الساذج ليس الا كان لك اروع ما خلق الله وابدع » . قد يختلف الناس حول تقويم الاشياء التي تحيز الجمال في الجسر المنصوب كما يختلفون تبعا لذلك حول الوسائل التي تحققه ، وكل وسيلة منها .

من يمر فوق جسر اسكندر الثالث القائم على نهر السين في باريس يؤخذ بما لقنطرته من جمال التناسب والانسجام وقد زادها روعة به الجسر نفسه من اسباب التحلية والتزويق وما يحمله من تماثيل . وعلى هذا النحوتاخذ الروعة المنطلقة من جسر خط الحديد في البولا في سويسرا ، بما فيه من بساطة وبما يبدوعلى قناطره المحدودبة وانسابه من جراة وعظمة تتحدى النظر .

فعلى المهندسين الذين يعملون في هندسة الجسور ان يراعوا في التصاميم التي يضعونها لها العناصر التالية ، الانسجام مع المحيط والانسجام في الداخل ، والتاليف والسيمتريا، والوضوح والسذاجة والتدرج والتناسب ، والروعة ، والتنوع ، والانحناء ، والاستمرار، والفائدة ، والنور والظل ، واللون والتجميل .

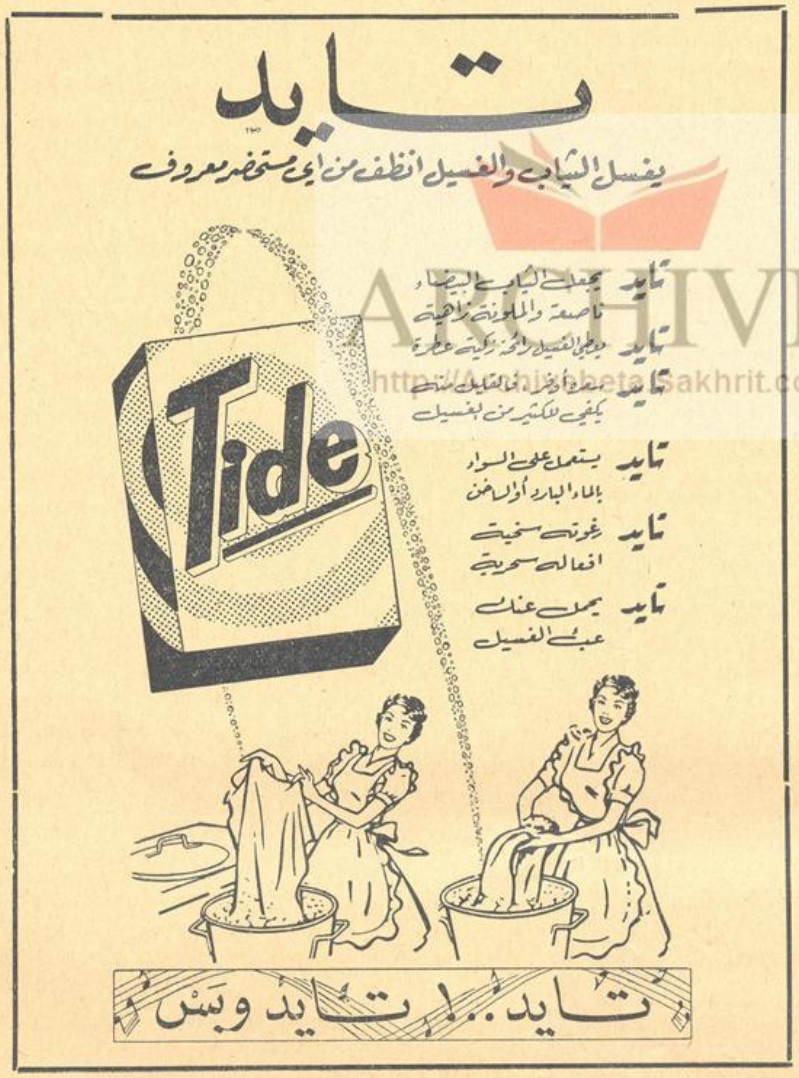
وكل هذه العناصر الجميلة اساس الاستتيكا هي قريبة الصلة بالجملة الموسيقية وتاليف النغم . وهذا ما حدا باحدهم للقول : « ما الهندسة سوى موسيقى متجمدة » . ان جسرا جميلا ليس سوى سمفونيا موسيقية

وقبل ان يدخل الفولاذ في صناعة البناء كان اعتماد المهندسين في بناء الجسور على الحجم وحده كاساس . وكل مهندسي القرن التاسع عشر كانوا يختارون الحجر قبل كل شيء ثم دخل في روعهم ان يتخذوا من اسلاك الفولاذ مادة للتزيين والتحلية في هندسة الجسور .

اما الان فقد اخذنا نستشرف عهدا جديدا في هندسة الكبارى يدخل فيها الفولاذ ليس كعامل تزويق وتحلية بل كعنصر جديد من عناصر البناء الاساسية فعلى بناة الجسور اليوم ان يكونوا في آن واحد مهندسين وفنانين ويعرفوا ان يوفقوا الى حد بعيد بين مقومات الهندسة ومقومات الجمال . ولعل نوعي نماذج الكبارى لمقومات الجمال هما النوعان المعروفان اللذان يبديان جمال الشكل والخط والتناسب أي جسر القنطرة والجسر المعلق .

لم تكن لتسمع في مدارس الهندسة من نحو ٥٠ او ٢٥ سنة كلمة : « جميل » يؤتى بها وصفا او تعبيرا عن رسم لجسر ما .ومعظم ما كنا نتلقنه يتعلق خاصة بعنصر التحليل وقوة مواد البناء وتناسب الاجزاء ونتيجة التجارب والتنويع والاشادة وغير ذلك . فلم يكن ليطرق اذننا كلمة ما تم عن التصميم الفني ولم يكن استاذ هندسة ان يهمس في اذن تلاميذه ان الجسور يمكن ان توخي مبانيها الجمال والروعة .

وقد دخل في روعي وانا بعد طالب هندسة ان الكباري يمكن ان توضع رسومها وتشاد على اسس من الجمال والفتنة . فقد قرات كل ما ظهر حول الموضوع من دراسات وبحثت مع كثير من اصدقائي المهندسين هذه الناحية الفنية ورحت اتبين وافحص عن كثب عددا كبيرا من الكباري والجسور القائمة دارساكل



زاوية من زواياها لارى ما الذي يجعلهاقبيحة المنظر ، او عادية او تبعث في النفس السام ، بينما غيرها هي متعة للنظر . وقد تبين لي من هذا كله ان عنصرين اساسيين يهمان اليوم كل فرد اولهما بساطة الرسم والتصميم وثانيهما جماله بالاضافة الى قوته طبعا .

ان رجل الاعمال لا يحتاج قط ليعتذر عما يبذل كل يوم في سبيل الربح والكسب من باب تحويل المواد الاولية الى مصنوعات تدخل في خدمة الانسان ومنفعته . فاذا لم يفطن للتشويه الذي يحدثه في محيطه من جراء المباني السمجة التي يقيمها وضرب جمال الطبيعة بعرض الحائط في عبثه بالاشياء الطبيعية القائمة حوله ، لوقفموقف المحكوم امام العالم الذي يطمع اكثر فاكثر بمجالي الجمال بعد ان قويت في الانسان طاقته على الفهم والخلق والابداع .

فالنظرة الى الجمال من زاوية الحرفة او المهنة ، تستدعي حتما مجتمعا متفتحا متفهما تعكس المصنوعات التي تقدمها له كل هذه العوامل سواء أكان ما تقدمه له محطة على خط حديدي او مصنعا ، او مخزن تموين او جسر .

دافيد ستينمان

المبضع الاشعاعي

●

قال لنا بافل ميناييف المجاز في العلوم البيولوجية :

ـ اليكم كلبا اجريت له البارحة عملية معقدة جدا ، هي عملية استئصال قسم من الدماغ .

ان هذا الكلب لا يختلف عن سواهبشيء. فهو يركض مثلهم ويبص بذيله ويأكل . ويجب ان نلاحظ ان العملية الجراحية داخل الجمجمة لم تؤثر ابدا على مسلك الحيوان .

ـ ولماذا لا نرى اي أثر لثقب الجمجمة ؟ فقال لنا الباحث :

ـ لقد استخدمنا هذه المرة آلة غير مرئية هي المبضع الاشعاعي . لذلك فقد جرت العملية بدون نزيف ولم تترك أثرا ...

ان مختبر البيولوجيا الاشعاعية التابع لمعهد البيواوجيا الفيزيائية في اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتي الذي يعمل فيه بافل ميناييف ، يطبق بنجاح مبدأ المبضع الاشعاعي في دراسة الجهاز العصبي المركزي لدى الحيوانات :وفي ذلك مثل ملموس لاستخدام طاقة نواة الذرة في الطب .

ولكن العلماء السوفياتيين قد قاموا بالوف التجارب وتطرقوا الى هذه القضية من عدة اوجه قبل توصلهم الى هذه الطريقة .

لقد مضى زمن طويل منذ عاين العلماء تعدد مفاعيل اشعة الفا وبيتا وغاما ، ومفعول النيترونات والاشعة السينية على الانسان والحيوان . فبامكان الاشعاع المدلف (الايوني) الناتج عن تفكك العناصر الاشعاعية ، ان يثير في الابدان تغيرات بيولوجية ملحوظة .

وقد تبين ان المقادير القليلة من الاشعاع تؤثر تأثيرا حسنا على الحيوانات . فهي تثير عند الكلاب والفئران والارانب شهية حسنة تؤدي لارتفاع الوزن وزيادة نشاط الغدد الجنسية . وهي تزيد انتاج البيض لدى الطيور

اما المقادير الكبيرة من هذه المادة فتؤدي الى نتائج معاكسة على طول الخط . ويلاحظ في هذه الحالة حصول « مرض الاشعة »الذي يصيب الجهاز العصبي ، وجهاز الدورةالدموية والجهاز الهضمي وغيرها .

فما الذي يحدث لخلايا الجسم وانسجته لدى هؤلاء المرضى ؟ وما هي التغيرات الفيزيائية والميكانيكية التي تحصل فيها والتي تؤدي في النهاية الى اصابات عميقة تصيب الجسم باسره ولا يمكن اصلاحها غالبا ؟ ولا حاجة للقول ان حل هذه المسائل هو عظيم الاهمية بالنسبة للعلم والتطبيق .

ان مختلف انواع الاشعاعات تؤثر على الانسجة الحية بصور مختلفة . فان اشعاعات الفا بيتا مثلا تتوقف على عمق قليل تحت سطح الجلد ، في حين ان النيترونات واشعة غاما والاشعة السينية تنفذ في الجلد والعظام والاعضاء الداخلية . والنوعان الاخيران من الاشعاعات يستعملان في الطب على مدى واسع من اجل الكشف عن مختلف الامراض ومعالجتها .

وقد اختار ميناييف الاشعة السينية في تجاربه ، تلك الاشعة التي لها ميزة النفاذ عميقا في البدن . وهي مشابهة في مفعولها البيولوجي لاشعة غاما .

وقد وضع هذا العالم فرضية جريئة . فقد قال في نفسه انه اذا ما وجه حزمة من الاشعة السينية الى هذا الجزء او ذاك من الدماغ فبامكانه ، بواسطة مقدار كبير من الاشعاع ، ان يحصل على نفس النتيجة التي يحصل عليها بواسطة البتر الجراحي لهذا القسم من الدماغ .

وسرعان ما طبقت فكرة المبضع الاشعاعي في مختبر التجارب . وبوسع الشخص الذي يقوم بالتجربة دون ان يمس الجلد والجمجمة والسحايا ، ان يلاحظ بعد توجيه الاشعاع وقتا تدريجيا في عمل اجزاء الدماغ التي وجه اليها الاشعاع . وفي هذه الحالة لا تحصل نوبات الصرع والتشنجات التي تحصل عادة لدى الحيوانات على اثر العمليات الجراحية في الدماغ بسبب تكون نسيج الالتئام

وللمبضع الاشعاعي ميزة طريفة اخرى بالنسبة للمبضع العادي . فان الاضطرابات التي تسببها حزمة الاشعة السينية تتضاءل مع الزمن ويمكن ان تزول نهائيا . وبامكان القائم بالتجربة اذن ان يتابع بصورة منهاجية « احتضار » جزء من الدماغ ، كما يستطيع ان يتابع ايضا النتائج الحاصلة خلال « استعادة » هذا الجزء من الدماغ «الحياة »، واستعادته وظائفه .

لقد اجرى ميناييف اكثر من ٣٠٠ عملية بواسطة المبضع الاشعاعي . وقد نجح بهذه الطريقة في خلق نماذج بيولوجية تجريبية لمختلف الامراض ، وفي ان يثير لدى الحيوانات من اجل ابحاثه مختلف الامراض العصبية ، وامراض الدم ، واختلالات الجهاز العصبي ،مما اتاح تجربة طرق ووسائل جديدة للمعالجة ، وسهل وضع مجموعة من التدابير الشفائية والوقائية . وسألنا العالم ونحن نستودعه :

ـ ما هي آفاق المبضع الاشعاعي المقبلة ، وماذا تنوون عمله قريبا ؟

فاجاب :

ـ ان ما تم عمله حتى الان ليس سوى البداية . فهي اول مرحلة في مباحثنا . ولا يزال امامنا الشيء الرئيسي . وسوف يصبح لدينا قريبا مبضع اشعاعي جديد متقن . فسوف نستعمل نظائر الكوبالت الاشعاعية .

واختتم ميناييف حديثه قائلا :

ـ وهكذا ترون اننا نعمل في ميدان علمي جديد : الجراحة الاشعاعية . اما في الوقت الحاضر فلا نزال في الصفحة الاولى من كتاب الحياة الممتع ...

نيقولا شيباييف

اطلاق القمر الاصطناعي

●

عما قريب سينتهي العمل في الدوائر الفنية في اميركا من « القمر الاصطناعي »وهو اغرب وادهش ما تفتح عنه عقل البشر منذ ان نشط العقل الانساني للخلق والابداع . وفي خلال الشهور القليلة المقبلة سيطلق في الجو هذا « القمر » الاصطناعي فينطلق صعدا الى طبقات الجو العليا حيث يندر الهواء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤسسة المطبوعات الحديثة

مركز الشرق العربي ببيروت

○

تعمل على تعميم رسالة الفكر والثقافة على اختلاف الوانها وميادينها وتقريبها لجميع شعوب الامة العربية ، في سبيل نهضة شاملة تستمد غذاءها من المطالعة المهذبة الراقية التي هي طريق المعرفة والتقدم .

قائمة مطبوعات مختارة لمطالعات الشهر

غ.ل.		
٦٠٠	تهافت الفلاسفة	تحقيق وتعليق سليمان دنيا
٨٠٠	جوامع السير	تحقيق احمد شكر واحسان عباس
٤٠٠	حديث الاربعاء ثلاثة اجزاء	لطه حسين
٣٠٠	المستشرقون	لنجيب العقيقي
٥٠٠	تاريخ الاداب العربية	للمستشرق كارلو الفونسو نالينو
٣٠٠	الموجز في الادب العربي وتاريخه ٥ اجزاء	لجنة من الاساتذة
١٢٥	الجاحظ	للاب حنا الفاخوري
١٢٠	الوصف	للدكتور سامي الدهان
٣٥٠	برجسون	للدكتور زكريا ابراهيم
٢٠٠	لمن ؟	لالبير اديب
٢٥٠	الطائر الجريح	للدكتور ابراهيم ناجي
٢٠٠	الديالكتيكية	لتيسير شيخ الارض
١٥٠	اميل زولا	لرمضان لاوند
١٧٥	فيكتور هيجو	ترجمة فرنسوا سركيس
١٥٠	كورساكوف	لسهيل ايوب
١٧٥	حورية البحر	لمحمود تيمور
٧٥	في قصور الملوك	لقدري قلعجي
١٥٠	الحب اقوى	لرئيف خوري
١٠٠	الامير علي	لعبد العظيم بدوي
١٠٠	بطولة غلام	لاحمد ابو بكر ابراهيم
٦٠	حرب الخامات	للدكتور عبد الحليم منتصر

يمنح حسم خاص قدره ١٠٪ لكل من يشتري لزوم مكتبته المنزلية ما ينتقيه من هذه القائمة بقيمة ١٠ ليرات لبنانية .

تطلب هذه الكتب من توكيلات المؤسسة

في لبنان : من دار المعارف بيروت

بناية العسيلي السور ـ المدخل من جهة المالية الطابق الاول ص.ب ٢٦٧٦

في سوريا : مكتبة اطلس [جادة الصالحية ـ دمشق]

في العراق : مكتبة المثنى [شارع المتنبي ـ بغداد]

ومن جميع المكتبات الشهيرة

ويتلاشى ويأخذ في الدوران حول الارض في هذا الفضاء الذي لا حد له ولا حصر ، وهكذا يتاح للناس ان يشاهدوا في خلال السنة الجيوفيزيقية الدولية مظهرا من اروع واوقع ما قد يخطر على بال بشر .

وعندما خطر للولايات المتحدة الاميركية منذ سبعة عشر شهرا ان تطلق في الجو عددا من الكواكب الاصطناعية جاء قرارها هذا يحقق امرا طالما حلم به الناس من قبل دون ان يجسر احد على تنفيذه . فلم يكن لاحد ان يتصور كيف يمكن تصميم مثل هذا « القمر الاصطناعي » وبنائه وما هو الصاروخ الذي سيقذف به الى الفضاء اذ كان من الصعب العسير جدا تنفيذ الشروط الفنية المتعلقة به . وكان مفروضا على هذا الكوكب السيار الاصطناعي ان يجمع الى صغر الحجم خفة الوزن وان يكون له من الطاقة والقدرة ما يساعده على حمل الالات الراصدة والمسجلة فترسل الى الارض ما تسجله من غرائب الطبيعة ومظاهر الفضاء على علو ٣٠٠ ميل فوق سطح الارض . وكان على الصاروخ المعد لاطلاق « القمر » ان يرتفع به الى علو شاهق ، ثم يطلقه بين طبقات الفضاء البهيم ليندفع بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الساعة ، ولو قلت سرعته عن ذلك لسقط الى الارض ، كما انه لو زادت سرعته عن هذا الرقم لانفجر وتناثر حطامه في الجو .

ولكي يجد العلم حلا لمثل هذه المشكلات لغيرها صنع مثل هذا الكوكب الاصطناعي وبناء ١٢ ـ ١٥ قمرا اصطناعيا فقد تعاون العلم والصناعة والحكومة في اميركا على وضع مشروع جبار لتذليل العقبات التي تعترض تنفيذ الخطة الموضوعة . والان ، بعد مرور سنة ونصف على تعهد الخطة المرسومة والعمل على تنفيذها بدقة ودهاء ، نرى هيكلي قمرين من هذه الاقمار الاصطناعية ينجز العمل منهما كما ان آلات الرصد والتسجيل الجوي قد تم صنعها ويجري تركيبها بنشاط في الهيكلين المذكورين . كذلك اجريت من جهة اخرى التجارب المتعلقة بالمرحلة الاولى من المراحل الثلاث التي يجب ان يمر بها صنع الصاروخ المعد لاطلاق الكوكب الاصطناعي .

واول الاقمار التي سيجري اطلاقها هو عبارة عن كرة قطرها ٢٠ قيراطا ووزنها ٢١ رطلا انكليزيا ونصف . والهيكل الخارجي للسيار الاصطناعي يزن ١١ رطلا ومادته متخذة من المغنيزيوم المصفح من الخارج بصفائح من النحاس والزنك والنيكل والفضة واخيرا الذهب والصفيح الخارجي من شانه ان يقي آلات الرصد والتسجيل المجهز بها القمر من عوامل حرارة الشمس وقر البرد عندما تكون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كرة القمر الى جانب الارض تعزلها عن الشمس

وتقوم في داخل الكرة آلات الرصد والتسجيل وهي غاية في الصغر كما هي آية في الدقة ، والضبط والاتقان ، بحيث تسجل بمنتهى الدقة المعلومات التي تتعلق بالعوامل والعناصر المسيطرة على الفضاء واثرها على الكرة الارضية والجو الهوائي المحيط بها . وهذه الاجهزة الدقيقة تسجل بدهاء حرارة الجو ودرجة ضغط الهواء ، ومظاهر الاشعة الكونية واشعة ما وراء البنفسجي والجاذبية والنيازك والشهب الفلكية وغير ذلك من الظواهر الجوية وكل ما يتصل بقشرة ارضنا البرانية .

وعندما يأخذ القمر الاصطناعي بالطيران والدوران حول الارض سيجهز بآلات ارسال خاصة ترسل الى الارض المعلومات والافادات التي تكون سجلتها بدقة ودهاء فتلتقطها المحطات اللاقطة في ٢٥ مرصدا كبيرا من المراصد الشهيرة التي تفترش اديم كرتنا الارضية . وتوزع هذه المعلومات فيما بعد على كل المراكز بحيث يستفيد منها من يرغب فيها

اما نقطة اطلاق القمر الاصطناعي السيار فهي رأس كمافيرال في ولاية فلوريدا . والصاروخ الجبار المعد لاطلاق الفلك الاصطناعي السيار ليدور دورته حول الارض كل تسعين دقيقة يبدو محدد الرأس (مروس) طوله ٧٢ قدما . وسيزن مع ما فيه من وقود ١١ طنا . وهو سيتالف من ثلاثة اقسام متميزة يمثل كل منها مرحلة من المراحل الثلاث المعينة للصاروخ . فالمرحلة الاولى المعينة للصاروخ هي الارتفاع بالقمر الاصطناعي الى علو ٣٦ ميلا فتبلغ سرعته اذ ذاك ٥٥٠٠ قدم في الثانية الواحدة . واذ ذاك ينفصل هذا الجزء الخاص بالمرحلة الاولى ويهوى الى البحر ، ثم تبتدىء المرحلة الثانية حيث تصبح سرعة الصاروخ ١٣٤٠٠ قدم في الثانية الواحدة . والجزء الخاص بهذه المرحلة يرفع الصاروخ الى علو ٢٦٠ ميلا ثم ينفصل عنه ويذهب الى المصير الذي سار اليه القسم الاول . واذ ذاك تبتدىء المرحلة الثالثة ويأتي دور الجزء الثالث الذي يدفع القمر الاصطناعي الى علو ٣٠٠ ميل فينطلق في الجو ويسير في مداره حول الكرة الارضية بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الساعة الواحدة .

ولما كان لم يسبق للطيران ان بلغ مثل هذا الارتفاع البعيد فقد يكون من الضروري لبلوغ مثل هذا العلو تجربة عدة اقمار واطلاقها في الجو . والعلماء الذين يشرفون على النهوض بهذا المشروع الجبار وتأمين نجاحه في مختلف المراحل المرسومة له هم على يقين وطيد بان كرة ذهبية ستنطلق في الفضاء البعيد قبل مرور سنة لتسبح في ثناياه في دورتها حول الكرة الام فترسم دورة كاملة حول الارض كل ٩٠ دقيقة ، وبذلك تتحقق الخطوة الاولى من هذه الخطى التي يرسمها الانسان في ريادته الفضاء الاوسع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجدد للخلايا يطيل عهد الشباب

●

تحقق اخيرا الحلم القديم الذي يتوق اليه الناس : اطالة الشباب النضر . فقد اكب على هذا الموضوع عن قرب العالمان البير شوفو وروجين رافارن . لماذا تأخذ الاغشية في الذبول وتجف وتعلوها التجاعيد او تنتفخ بالماء فتصبح رخوة متلاشية ؟ لماذا لا تتجدد خلايا الجلد ، في بعض مراحل العمر ، الا في قياس بطيء فتتلاشى وتموت بسرعة ؟

لقد اجاب العالمان شوفو ورافارن عن هذه الاسئلة بقولهما : يعود سبب ذلك الى افتقار في مادة الاوليجو Oligo-éléments وهذه المادة عبارة عن اجزاء معدنية صغيرة مركبة بدقة قصوى ولكنها في غاية الضرورة للحياة . ويدرك العالمان بان اختفاء هذه المادة من التربة التي تأكلتها المناجم يحرم مادة الاوليجو كما ان الجهاز الانساني المفتقر الى هذه المادة تعتوره الفوضى فيتشمع ويصيبه النشاف ويصبح سريع الحساسية على البنية . ومن هنا تقتحم الكهولة الجسم . واذن فالبنية البشرية تتقهقر بسبب افتقارها الى مادة الاوليجو .

لفت الدكتور جي لومان في بحث علمي الانتباه الى تمضية فترة النقاهة على شاطىء البحار منوها بانه لا يمكن حدوث شلل الاطفال في مياه البحر ومشيرا بذلك الى الحياة الزاخمة التي تزخر بها مياه البحر .

ان الحيتان الهائلة التي نراها احيانا على الشاشة . انها من الحيوانات ذات الثدي وتتنفس مثل البشر ولها جلد لا يختلف عنا ولها رئتان ودمها حار . وهذه الحيوانات هي من اقوى واكبر المخلوقات على الكرة الارضية . فالحوت يزن ١٥٠ طنا وطوله ٢٥ مترا ويعيش الف سنة . وهو على نصيب كبير من الليونة والسرعة والخفة العجيبة . والحوت في منجى تام عن الامراض . يموت دون ان يتعذب : لا مقاومة ولا احتضار ولا يعرف الكهولة ولا الشيخوخة . فما هو سر هذه الحياة الطويلة وتلك العافية الدائمة والشباب النضر لحيوان من ذوي الثدي مثلنا ؟ انه ولا شك وجود هذا الحيوان من ذوي الثدي بصورة دائمة في مياه البحر ، ذلك المصل الوثيق ببلاسما الدم البشرية الغنية بمادة الاوليجو . وانها لكذلك الغذاء المكون كله تقريبا من البلانكتون . فمي ان نعرف ما هو البلانكتون .

انه تلك المجموعة من الحيوانات الصغيرة التي تعيش في البحار ولا تراها العين المجردة . وقد تمكن الوصول الى حصر ثلاثة ملايين منها في كل متر مكعب من الماء . ويتكون البلانكتون من نصف حيواني ونصف نباتي في البراعم وفي الاجسام اللزجة وبيوض الاسماك الصغيرة ، وهي غنية بمادة الاوليجو التي تجدد الخلايا الحية . ان البلانكتون ولا شك البرعم لكل حياة على الارض .

وقد كشف الدكتور المغامر الن ومبار الذي عاش على زورقه ثمانية وخمسين يوما في اجتياز المحيط الاطلسي ، كشف عن الثروة الحيانية الموجودة في البلانكتون اذ انه امضى رحلته الطويلة على تناول البلانكتون والسمك النيء .

وقد نجح العالم شوفو وزميلته رافاران بعد سنين من الدراسات في اعداد علاج مجدد للخلايا المتعبة بفضل هذه الملاحظات التي اوردناها اعلاه وبفضل جهود العلماء امثال بلجفار ودرومون وغيرهما . والواقع ان النتائج قد فاقت آمال اكثر المتفائلين وقد سمي هذا

صدر حديثا عن :

دار بيروت للطباعة والنشر

الصبي الاعرج

بقلم توفيق يوسف عواد

معنى الثورة

بقلم الدكتور جورج حنا

معجم البلدان

الجزء الحادي عشر والثاني عشر

في كلمات ...

● نشرت مجلة لانست الطبية البريطانية تقريرا لاحد مشاهير الاطباء تنبأ فيه ان مليون شخص على الاقل في انكلترا وويلز سيموتون خلال هذا القرن من جراء اصابتهم بسرطان الرئة الا اذا امتنع الناس عن التدخين . وكان الدكتور هوارس جول قد تنبأ بهذا الامر في تقرير قدمه في اجتماع عقدته الجمعية الطبية الملكية في انكلترا . وتكلم الطبيب ريتشارد دول احد الخبراء في المسائل الطبية فقال ان الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع كشفت عن وجود علاقة كبيرة بين التدخين وسرطان الرئة .

● اعلنت مؤسسة الابحاث لمكافحة الادمان على المسكرات بكندا في تقرير رفعته الى المجلس التشريعي لولاية اونتاريو ان الابحاث في جامعة تورنتو ادت الى اكتشاف دواء جديد لمكافحة الادمان على المسكرات سمي سي سي سي . وجاء في تقرير المؤسسة ان النية متجهة الى انزال سي سي سي الى الاسواق الا انه لا يجوز استعماله الا تحت اشراف طبيب .

الاكتشاف : مجدد انيجور Enigor

ومنذ عامين عولج نحو خمسمائة حالة فاعطت نتائج باهرة لا مثيل لها . فقد استعاد الكهول قواهم ومرحهم واندفاعهم والضعفاء بأسهم وشجاعتهم وسرعان ما وجد المرضى الاتزان ونساء في الاربعين كن يحملن الهموم وعلى سيماهن طلائع الهرم عدن الى البهجة التي تتالق بها الفتاة في الخامسة والعشرين وجميع الحالات بكاملها كانت ناجحة . وبكلمة اخرى دفع هؤلاء الكهولة خمسة عشر عاما الى الوراء !

ويعمل الان شوفو وزميلته رافارن للحصول على البلانكتون من البحر في ساحل مدينة دييب شمالي فرنسا على عشرين كيلو مترا من اليابسة وعلى عمق ٢٠ مترا . وتعمل المختبرات على قدم وساق لاعداد انيجور ، ذلك انه يغذي الانسجة المتعبة ببراعم جديدة . وحين يتقدم العمر بالانسان او يرزح تحت اعباء مجهدة من هموم وامراض تظهر عليه علائم الكهولة من تجاعيد ولون كالح وخفقان قلب وافكار سود وصداع وعدم شهية . واذن فعلاج انيجور يعيد التوازن الى الخلايا ويعمل على تكوين خلايا جديدة غيرها ، وبذلك يعيد الى الانسان النشاط والشباب والنضارة .

● اعلن الجنرال جيمز كوني نائب رئيس اطباء الجراحة في الجيش الاميركي في لوس انجلوس ان مراكز الابحاث الطبية للجيش تقوم الان بتجربة مصل جديد ثبتت فعاليته حتى الان بنسبة ٩٠ بالمئة في القضاء على الجرائيم التي تسبب الزكام . واضاف يقول انه يجري الان تلقيح ١٠،٠٠٠ جندي بهذا المصل في محاولة للقضاء على جرثومة خاصة تصيب اربعة من كل خمسة من الجنود في كل شتاء . هذا وسيوضع المصل تحت تصرف المدنيين اذا نجحت هذه التجارب .

● اعلنت شركة « ابجون » لانتاج الادوية والمواد الطبية امام مؤتمر طبي عقد مؤخرا في سانت لويس نبأ اكتشافها علاجا جديدا « شديد الفعالية » لداء التدرن الرئوي واسم هذا الدواء «ستربتوفاريسين» وقد اجريت بواسطته عدة تجارب ناجحة على الحيوانات الاختبارية وتقول الشركة انها قد بدأت في تجربة هذا الدواء على الاشخاص المصابين بهذا الداء ولكنها لم تعلن بعد نتائج تلك التجارب . ويقول الاختصاصيون ان التجارب تشير الى ان الدواء الجديد سيكون له فائدة عظيمة عند استعماله مع الادوية الاخرى المضادة لداء التدرن الرئوي .

● كانت صدفة محضة عندما توصل الدكتور فردينانند هونكه الذي اصبح اسمه اشهر من نار على علم في المحافل الطبية فيما بعد ، الى معالجة الصداع النصفي وازالة الالم بظرف ثانية واحدة . فقد حدث ذات مرة عندما اراد في عام ١٩٢٥ حقن ساعد سيدة بمادة تعمل على تخفيف الم الصداع النصفي الذي كانت تشكو منه ، ان دخل رأس الحقنة في وريد الساعد خطأ وتسربت المادة الى الدم مباشرة . ولشدة ما كانت دهشة دونكه عندما لاحظ ان الالم المرض قد زالت فجأة في نفس اللحظة التي حقن فيها المريضة في الوريد . وجعل منذ ذلك الوقت يكرر العملية مرارا ويعتمد ارتكاب نفس الخطأ ، فكان يحرز دائما على نفس النجاح الذي حصل في المرة الاولى.

وقد قامت علية حملة عنيفة من قبل زملائه الاطباء لكن بعد دراسات لم يجد الطب المدرسي من مناص من الاعتراف بمفعول هذه المادة التي اخذ الدكتور هونكه يعالج مرضاه على الدوام بها . وهذه المادة تدعى امبليتول وهي تتكون من النوفوكائين الكوفيئين وكانت تقتصر وجهة استخدامها في اول الامر على التأثير على الاعصاب التي تنقل شعور الالم فتقوم بتخديرها فقط ، ولم تستعمل في ازالة المسببات كما حدث فيما بعد . ومما زاد في دهشة رجال الاختصاص ملاحظاتهم ان الـ « امبليتول » لا تقتصر فائدته على القضاء على الصداع النصفي فقط ، بل انه يصلح لمعالجة العدد الكبير من الامراض المستعصية مثل التهاب حوض الكليتين ، وثقل السمع ، وبعض الامراض الجلدية .

● أعلن الدكتور ونستون برايس احد اساتذة جامعة جون هوبكنز ، نبأ اكتشافه لقاحا يحمي الانسان من انواع من التهابات المخ التي قد يكون بعضها مميتا . وقال الدكتور

[تتمة المنشور في صفحة ٢٥]

العقد الاخير

ـ الا من يستخدمني لديه ؟

هذا ما كنت اردده ، عاليا ، في الصباح ، وانا اسير في الطريق المعبدة الحجرية. ومر ملك مستقلا مركبته، وفي يده سيفه .

وامسك بيدي ، ثم قال : انني استخدمك ، على ان ادفع اجرتك ، مشاركتك لي في سلطاني .

ولكن سلطانه لم يكن يحتوي على شيء ، ومضى الملك بمركبته .

وفي الظهيرة القائظة ، كانت ابواب الدور القائمة مغلقة . واخذت ، اضرب ، هائما ، في درب ملتوية .

وتقدم شيخ يحمل سفطا مليئا بالذهب وفكر ثم قال: انني استخدمك على ان انقدك اجرتك من مالي .

وجعل يعد نقوده ، قطعة ، قطعة ، ولكنني انكفأت راجعا .

وكان الوقت مساء ، وكان وشيع الحديقة كله مزهرا .

وتقدمت الفتاة الوسيمة وقالت : انني استخدمك ، على ان امنحك اجرتك ابتسامة . غير ان ابتسامتها شحبت ، واطردت دموعها ، باكية ، وعادت ، وحدها ، وغابت في الظلام

وكانت الشمس تتالق فوق الرمال وكانت الامواج تتلاطم جامحة وكان ثمة طفل جالس يلهو بالاصداف

ورفع رأسه وبدا كأنه يعرفني وقال : انني استخدمك ، على الا ادفع شيئا ، اجرة لك .

ومنذ ان تم الاتفاق على هذا العقد الذي جرى وانا الهو مع طفل، فقد اصبحت رجلا حرا .

استانبول — بديع حقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برايس انه استخرج اللقاح من نوعين من الفيروسات التي يكثر وجودها في منطقة الشرق الاوسط واسمها « فيروسات غربي النيل » التي تؤدي بعض الاحيان الى موجات من الامراض البسيطة تجتاح مصر والبلدان المجاورة . وان هذه هي المرة الاولى التي يكتشف فيها لقاح واحد يعطي مناعة ضد عدة انواع من الفيروسات التي تؤدي الى التهاب المخ وهو داء قد يجلب بعض المرات مرض النوم والشلل . وفي الماضي لم يوجد أي علاج واق من بعض هذه الامراض .

وقال الدكتور برايس ان اللقاح الجديد ، على الرغم من كونه في طور التجربة سيكون له تأثير هام على صحة شعوب اسيا وافريقيا ومنطقة البحر المتوسط واميركا الجنوبية حيث يكثر انتشار التهاب المخ من وقت الى اخر . وبالاضافة الى صفته الوقائية ضد عدة انواع من التهاب المخ فان اللقاح يمنع ايضا حمى الدانغ (ابو الركب) المزعجة . وقد نصح الدكتور برايس الاستمرار في البحث عن نوع افضل من الفيروسات المذكورة قبل البدء في استعمال اللقاح على نطاق عالمي . واضاف ان التجارب التي اجريت على الناس قد برهنت ان اللقاح مفيد .

● اتضح لفريق من الخبراء في جامعة ويسكونسن ان صوامع القمح المخزون يتصاعد منها غازات مؤذية وضارة تسبب في المتنشق لها من المزارعين مرضا لم يفطن له الطبيب كثيرا حتى الان . وهذه التصعدات تتألف من غاز النتروجين ، فتنبعث من صوامع القمح بعد خزنه ببضعة ايام حتى اذا ما نشقه المزارع اصيب بمرض اقعده عن العمل . ومع ان المرض الجديد جرى الكشف عنه من مدة قريبة فهؤلاء الخبراء يعتقدون ان المرض موجود منذ ان اخذ المزارعون بانشاء مثل هذه الصوامع في مزارعهم واعراضه شبيهة باعراض داء الخبب تقريبا .

● تبين من تصوير عدد كبير من الناس باشعة اكس في المانيا ان ٤٨ شخصا من اصل ٤٤٠،٠٠٠ كانت قلوبهم على جهة اليمين بدلا من الشمال . وكانت الاحصاءات قبل الحرب قد دلت على ان المانيا واحدا من كل خمسة الاف الماني كان قلبه على جهة اليمين ففلا عن اعضاء اخرى كانت في غير مواضعها العادية ويصح القول اليوم ان هناك عشرة الاف شخص في المانيا الغربية فيهم مثل هذه الظاهرة الغريبة . ومما يذكر ان هذه المظاهرة انقذت حياة شخص في برلين وذلك عندما طعنه احدهم بخنجر على جهة الشمال ظنا منه بانه يصب القلب . ولكن القلب كان في الجهة الاخرى ولم يقتل المعتدى عليه .

● يقول تقرير للهيئة الطبية الوطنية الاميركية ان حوادث مرض السفلس قد ازدادت بشكل هائل في الولايات المتحدة عام ١٩٥٦ بعدما كان قد خف نسبيا في السنوات التسع السابقة . ويضيف التقرير قائلا ان الشبان اليافعين اصبحوا يشكلون قضية كبرى في مراقبة الامراض الجنسية وان مئة وستة وعشرين الفا ومائتين وتسعة عشر شخصا قد اصيبوا بالسفلس في العام الماضي ، أي بزيادة اربعة الاف ومئة واربعة واربعين شخصا عن العام الاسبق . ثم يقول ان احدى عشرة ولاية وثماني عشرة مدينة قد ازداد فيها انتشار هذا المرض وبين اليافعين من ابنائها . ففي ولاية اوكلاهوما فان اربعين بالمئة من المرضى بالسفلس هم من الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين . وظهر ان هناك استعدادا كبيرا من الشبان اليافعين لالتقاط هذا المرض في ولايات سيسيبي وكنساس وانديانا .

● نجح كيمائي اميركي شاب في استخراج مادة من الاسماك المجففة ، اذا اضيفت لاي طعام ، منحته كمية من البروتينات تعادل ما في اللبن واللحوم ، في حين ان نفقات استخراج هذه المادة واعدادها لا تزيد عن ٥ بالمئة من ثمن اللبن واللحم . ويأمل الكيمائي الشاب « ليفين » ان ينجح اكتشافه هذا في انقاذ كثير من المناطق العالمية التي تشكو نقصا في التغذية . وقد وفق الى جعل المادة المستخرجة من الاسماك خالية من كل طعم او رائحة تنتمي الى السمك حتى يمكن للاشخاص تناولها دون غضاضة اما الاشخاص الذين يحبون اكل السمك ، فقد اعدت لهم وجبات خاصة تحتفظ بمذاق الاسماك ونكهتها . وقد اعد السناتور الامريكي بول دوجلاس وليمة خاصة حفلت بانواع الطعام المختلفة ، التي استخدمت المادة المستخرجة من السمك في صناعتها ، حتى الخبز كان هو الاخر مصنوعا من بروتينات الاسماك ، ودعي لهذه الوليمة مندوبون من ثماني سفارات اجنبية في امريكا .

وقد اعجب الجميع بمذاق الاطعمة التي



قدمت اليهم فضلا عما تحويه من مواد غذائية

● ورد في أنباء فرصوفيا ان بولين ريبكا ، وهي فلاحة بولندية قد توفيت في السابعة والاربعين من عمرها بعد ان عاشت ٢٢ سنة في غيبوبة شبه دائمة . وقد ترددت بين الحياة والموت طوال ٢٢ سنة في قرية نائية في جنوب غرب بولندا . وعندما توفي والدها تولى شقيقها وعائلتها العناية بها بعد ان وعدوا بان لا يرسلوها الى المستشفى مطلقا . وقالت الانباء انها كانت تعيش على ارغفة الخبز المبللة بالحليب .

وقبل وفاتها ببضعة اسابيع في ٢١ فبراير استيقظت ذات مرة وعرفت شقيقها وبقيت واعية وعيا تاما حوالي ثلاثة اسابيع لكنها كانت ضعيفة جدا وتمكنت ان تتكلم فقالت ببدو لي كانني نمت الليلة الماضية .

وجاء في نبأ وفاتها الذي وصل الى وارسو انها اصيبت بهذا المرض سنة ١٩٣٥ وبدت عليها عوارض تشبه تلك التي تنتاب المصابين بالالتهاب السحائي وظهر عليها عدة مرات خلال غيابها الطويل عن الوعي على انها ستعود الى وعيها لكنها لم تكن لتعي على شيء مما كان يدور حولها .

● جاء في تقرير وضعته الهيئة الصحية في مدينة كلكوتا ان شخصا واحدا يموت بمرض الجدري بمدينة كلكوتا كل ساعة ونصف .

● نقل طفل بريطاني عمره سنتان مع والدته وطبيبه على طائرة من لندن الى نيويورك لمعالجته من مرض السرطان الذي استفحل به ولن يدعه يعيش ، كما يقول الاطباء ، اكثر من ايام معدودة . وستجري معالجة الطفل في مركز ابحاث مرض السرطان الذي يعالج عادة فيه المرضى الميئوس من شفائهم، ولا تجري معالجتهم بواسطة العمليات الجراحية او اشعة الراديوم وانما باعطائهم حبوب وحقن من تركيب كيمائي توصل اليه الاخصائيون الاميركيون .

وقد دفعت نفقات سفر الطفل ووالدته وطبيبه جمعية خيرية بريطانية ، ويعالج في اميركا مجانا وعلى نفقة محامية اميركية هي الانسة فاني هالتز من التي زارت بريطانيا اخيرا ، وكتبت مقالا عن ابحاث الدكتور ايمانويل ريفيسي المشرف على مركز ابحاث السرطان في نيويورك .

● وقعت في قرية الحوامدية بمصر ظاهرة حيرت العقول . اذ توجد في البلدة بنت في الشهر الثامن عشر من العمر ظهرت عليها منذ ولادتها عوامل السمنة المفرطة . اما اليوم فانها تزن ٣٧ كلغ وتلتهم خمسة ارغفة واربع بيضات وتظل جائعة .

● شاهد سكان مدينة ديترويت جراحة قلبية دقيقة على شاشة التلفزيون اجريت على مريض شاب لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره . وقد كان الطبيب يشرح للمتفرجين مراحل الجراحة خطوة فخطوة وعرض عليهم عضلات القلب المختلجة . والجدير بالذكر ان عملية اصلاح احد صمامات القلب هذه تمت بنجاح

● تبرعت السيدة فرنكلين روزفلت ارملة رئيس الولايات المتحدة السابق بعينيها الى بنك العيون الاميركي حين توافيها منيتها . والمعلوم ان ١٥٠٠٠ شخص تبرعوا عام ١٩٥٦ بعيونهم الى هذه المؤسسة بعد وفاتهم .

● حاز احد هواة الراديو على جائزة اديسون للهواة لسنة ١٩٥٦ وذلك للخدمة التي اسداها الى طفل مريض في الكونغو البلجيكي . فقد التقط السيد هاري فندت من جزيرة ستاتن بولاية نيويورك اشارة استغاثة من احد الهواة في الكونغو البلجيكي بافريقيا يطلب فيها دواء خاصا لمعالجة طفل مريض فقام فندت عندها باذاعة الطلب من محطته الصغيرة على جميع الهواة في الولايات المتحدة مما ادى الى ارسال الدواء بالطائرة الى افريقيا . وقد وصل الدواء في الوقت المناسب وهكذا ساهم فندت بانقاذ حياة الطفل الصغير ونال الجائزة .

● طلبت هيئة الدفاع المدني الدنمركية من الحكومة منحها مبلغا يعادل ١٢٥٠٠٠ جنيه استرليني للشروع في انتاج كميات كبيرة من نوع خاص من الاقنعة الشعبية الواقية من الغازات . وتمتاز هذه الاقنعة ، التي سيزود بها جميع افراد الشعب الدنمركي ، بانها تقي حامليها من اخطار الغبار الذري والغازات السامة

● اعلنت الصين الشعبية انها ستبدأ برنامجا واسعا لتحديد النسل وذلك لحصر عدد سكانها الهائل . وبالاضافة الى ذلك سيسمح النظام الشيوعي الان للاطباء بالقيام بعمليات الاجهاض والتعقيم اذا اراد الناس ذلك . وقد قام وزير الصحة السيد لي تيه شو ان باعلان ذلك في خطاب القاه امام اللجنة الوطنية للمؤتمر السياسي الاستشاري للشعب الصيني.

ويقدر عدد سكان الصين بستمائة مليون نسمة يزدادون كل سنة حوالي ١٥ مليونا .

● يبني الروس الان سفينة لتحطيم الثلوج تسير بقوة الطاقة الذرية وهي اول سفينة من نوعها في العالم ، وستستطيع هذه السفينة ان تواصل السير في البحار سنة كاملة دون ان تحتاج للتزود باي وقود . وقد اطلق على هذه السفينة اسم « لينين » ، ويأمل الروس ان ينزلوها الى البحر في اكتوبر القادم ويبلغ طول هذه السفينة ١٣٤ مترا ، وحمولتها ١٦ الف طن ، وقوة محركها الذري ٤٤ الف حصان

● اعلنت البحرية الاميركية ان خمس غواصات ذرية جديدة ستصبح قسما من الاسطول الاميركي في نهاية العام القادم . والمعلوم انه لدى الولايات المتحدة الان غواصتان ذريتان وهما « نوتيلوس » و « سي ولف » وقد قطعت نوتيلوس حتى الان ما يزيد عن الستين الف ميل قبل ان تزود مرة اخرى بالوقود الذرية . وسيتم في عام ١٩٥٨ بناء الغواصات الذرية الجديدة التالية كاكت وسبوردفش وسارغو . وقد اعلنت البحرية كذلك توسيع برامجها لصنع الغواصات التي سيصل عددها الى ٦ غواصات في السنة ، اما مجمل الغواصات الذرية التي تم بناؤها والموجودة قيد البناء فهو ٢٠ غواصة ذرية .

● القى الدكتور تشارلز دنهام رئيس فرع علم الحياة والطب في لجنة الطاقة الذرية الاميركية ، القى خطابا بمناسبة الذكرى المئوية لكلية الطب في سنسيناتي اعلن فيه ان الولايات المتحدة تقوم الان ببناء اول جهاز تفاعل ذري جرى تصميمه خصيصا لاجراء الابحاث الطبية ويجري بناؤه الان في مختبرات بروكهافن الذرية الوطنية في لونغ ايلاند بنيويورك هو اول جهاز في العالم وضعت تصاميمه خصوصا لاجراء الابحاث ومعرفة امكانية استعمال النيوترونات التي يولدها في معالجة داء السرطان .

واضاف الدكتور دنهام قائلا ان العلماء في مختبرات بروكهافن قد تقدموا في ابحاثهم المتعلقة بالسرطان . وباستعمال الاجهزة الموجودة استطاع الباحثون تقديم العلاج الذري للطلوعات العميقة المقر بواسطة ادخال النيوترونات المنبعثة من تفاعل معدن بورون ـ ١٠ الى الدورة الدموية . والجهاز الجديد قد يمكن علماء مختبرات بروكهافن من ايجاد علاج للطلوعات الدماغية والطلوعات الاخرى في الجسد بواسطة زيادة كمية النيوترونات لاجراء المزيد من التجارب والابحاث . وقال ان النظائر المشعة تستعمل الان بشكل واسع في الحقل الطبي في الولايات المتحدة وخصوصا في معالجة بعض ميكروبات الدم وفي تشخيص الطلوعات الدماغية وغير ذلك . وقال الدكتور دنهام ان الولايات المتحدة قد ارسلت منذ عام ١٩٤٦ حتى الان ٥٢٥٨ شحنة من النظائر المشعة الى ٥٤ دولة لتستعمل في الابحاث الطبية والزراعية والصناعية .

● اذاع راديو موسكو تصريحا لرئيس لجنة الابحاث الذرية السوفياتية جاء فيه ان العلماء الروس حققوا خلال السنة الماضية نتائج مهمة في ميدان السيطرة على التفاعل الهيدروجيني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اد تمكنوا من السيطرة على قوة القنبلة الهيدروجينية . وقال المسيو الكسندر توبيتشف سكرتير لجنة الابحاث الذرية ان العلماء السوفيات اثبتوا ان الاشعة الكونية خارج نطاق اجواء الارض تتركب في معظمها من ذرات هيدروجينية وان هذه الذرات تدور بسرعة تعادل الضوء .

● شاهدت الملكة اليزابيت تجربة ذرية طريفة في معهد الابحاث الذرية في مدينة هارويل قام بها زوجها الامير فيليب . اما التجربة فهي عبارة عن آلة صغيرة تدعى « الالة العبد » وتستطيع ان تحلق شعر الرأس بتوجيه من المحرك الذري الذي يسيطر عليها. ولما لم يكن الامير فيليب خبيرا بمثل هذه الامور فقد اكتفى بتجربة بسيطة جعل «الالة العبد » تلتقط له انبوبا معدنيا وتنقله الى موضع اخر . اما تجربة الحلاقة فقد اجراها عالم من علماء المعهد . ومن الطريف ايضا ان الالة المذكورة تستطيع بتوجيه خاص التقاط علبة الثقاب واشعال احد عيدانها ثم اضاءة عدد من الشموع .

● صرح السيد الفرد شاو المهندس المشرف على بناء المركز الذري في معهد الابحاث النورولوجية بفنزولا بان المركز المذكور سيكون اضخم مركز من نوعه في العالم بني حتى اليوم . ذلك بانه سيكون مقرا لتركيز كافة المشاريع المهيئة للابحاث في المعهد المذكور . وسيجري تعميم استخدام الطاقة الذرية بواسطة انابيب لنقلها تعمل في آن واحد باتجاهين افقي وعمودي ويضيف السيد شاو قائلا بان لجنة الطاقة الذرية قد عممت استخدام الذرة لدرجة اصبحت معها هذه الاداة لا تسبب أي خطر فالخطر ينتج عادة من الاشعاع ولهذا اتخذت الاحتياطات اللازمة .

● أعلن المستر لويس ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية في اميركا ان الحكومة الروسية قامت في ٩ الشهر الماضي بتجربة ذرية جديدة لسلاح من حجم الاسلحة التي اجريت تجاربها خلال الفترة الاخيرة . ولم يذكر البلاغ الاميركي نوع التجربة الجديدة ولكنه اوضح ان الانفجار الاخير كان مشابها للانفجارات التي اجراها الروس في الايام الاخيرة ومن نفس الحجم

● عرضت اخيرا شركة وستنجهوس الكهربائية الاميركية نوعا جديدا من الالات الحاسبة الالكترونية تفحص المعلومات التي تعطى لها ثم تقرر ما تراه بشأن حل المشكلة المقدمة لها. وقد صمم هذا « العقل » الالكتروني لحل العمليات الكيماوية المعقدة التي يصعب على الانسان القيام بها . فتعطي الالة تفاصيل السؤال ، او المسألة بواسطة اجهزة قياس العمليات الكيماوية ، وتقوم هي بالحل بطريقة التجربة والخطا بدلا من حل المعادلات الكيماوية حلا مباشرا كما هي طريقة معظم الالات الالكترونية وتتلخص طريقة التجربة والخطا هذه بان تقوم الالة بمحاولة اعطاء الجواب على حد الاسئلة فاذا لم يصلح اعادت التجربة من جديد . وعند حصولها على احسن جواب قامت بتدقيقه والتحقق منه بان ترتكب اخطاء صغيرة عن عمد ، للتأكد من نتيجة عملها .

● اعلن السلاح الجوي الاميركي عن بناء فرن شمسي ضخم لدراسة اداء الطائرات في درجات الحرارة العالية جدا . ويقال ان الفرن الجديد سيشع حرارة تقرب شدتها من حرارة سطح الشمس ، وسيستخدم الفرن في الابحاث الجارية لتحسين صناعة الطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت .

● قررت مصلحة السكك الحديدية في بريطانيا اعداد قطار خاص بصورة دائمة بالاجهزة التلفزيونية لتسلية الركاب والمسافرين . وسيكون هذا القطار جاهزا للعمل خلال شهر ابريل القادم وسيكون فيه عربة مجهزة باستديو لهذا الغرض . وستعرض البرامج على جدران قطارات المسافرين لمشاهدتها .

● ستبدأ الصين في انتاج ما تحتاج اليه من ساعات اليد في نهاية هذه السنة في مصنع يتم انشاؤه في شنغاي . وان المقرر ان يعمل في هذا المصنع خمسمئة عامل يشرفون على ثلاثمئة الة تنتج ثلاثمئة ساعة يوميا .

● اخذت تغزو المصانع الاميركية اخيرا موضة استعمال الملابس المصنوعة من الالومنيوم لوقاية العمال من الحرارة ولهب المصانع ، ولهذه الملابس طاقة على تحمل درجة حرارة عالية جدا تصل الى ١١٨ درجة حرارة سطح الشمس وهي مصنوعة من نسيج مكسو بالالومنيوم الذي يعكس الحرارة الاشعاعية ، وتمتاز فضلا عن خاصيتها هذه بانها مرنة للغاية وخفيفة الوزن ومتينة بحيث يستطيع العامل الذي يرتديها العمل بكل راحة في الافران الصناعية التي تصل حرارتها الى ١٤٠٠ درجة فهرنهايت

● وتستعمل لوقاية العمال ايضا معاطف ومرايل واغطية للاحذية وقفازات وقبعات مصنوعة من القطن المكسو بالالومنيوم لحماية رجال الاطفائية وعمال الفولاذ وعمال الطوارىء في المطارات وحقول الزيت وغيرهم من الذين يقتضيهم عملهم مواجهة النيران او الحرارة العالية لانقاذ الارواح والاموال . وتقول مئات المصانع التي تستخدم هذه الملابس الان ان ابتكارها يحول دون وقوع تلف كبير في ممتلكات هذه المصانع كما انها وفرت مئات الالوف من الدولارات بتمكين لابسيها من دخول « المناطق الحارة » في المصانع بسرعة

● تعمل احدى مصانع السيارات الانكليزية حاليا في صنع السيارة المنز وهي لا تكبر سيارة الستايشن كثيرا وتضم غرفة نوم فيها سريران ومطبخا صغيرا وحماما للمياه الباردة والساخنة ، وقد ابتكر هذه السيارة مدير احدى الشركات الكيمائية ولا يتعدى ثمنها تسعمئة ليرة استرلينية .

● نشرت شركة دي هافيلاند البريطانية كلمة عن صنع محرك تربيني نافوري جديد يعرف باسم جيرون ويعتبر هذا المحرك من اقوى المحركات النافورية في العالم اذ تصل قوة دفعه الى ٢٥ الف ليبرة ويعتبر انه ارقى طراز تم احداثه في ميدان تطبيق الغاز التربيني على المحركات وكتب مراسل جوي يقول ان هذا المحرك عندما يكون في اقصى دفعه الجوي سيطلق من القوة الميكانيكية الدافعة اكثر من محركات السفينة كوين ماري . ومن الممكن ان يستخدم لقاذفات القنابل التي تصنع لتجتاز سرعتها سرعة الصوت او في الطائرات المحاربة العظيمة السرعة التي تستخدم لمعاكسة فعل المقاتلات الحربية الاخرى ومعارضة سبيلها . وقد وضعت تصاميمه كي يستخدم عندما نرغب في الحصول على سرعة تتجاوز سرعة الصوت ثلاثة اضعاف .

● افتتح خط جوي جديد بطائرات الهيليوكوبتير بين مدينة بركسل ومدينة باريس وتحط هذه الطائرات في قلب المدينتين.

● ابتكرت شركة ادميرال جهاز راديو فونوغراف يدور بالتيار الكهربائي المحول من نور الشمس بواسطة بطارية سليكون شمسية والجهاز مزودايضا بست بطاريات صغيرة بحجم بطاريات اليد تختزن من التيار ما يكفي لادارة الفونوغراف مدة ساعتين ، والراديو مدة عشر ساعات. ولا يزال الابتكار في طور التجربة

● ابتكرت شركة هوفمان للالكترونيات بوشنطن بطاريات شمسية لاستعمالها في اجهزة الراديو وبطاريات اليد واجهزة التحذير على الطرقات .

● منحت مصلحة التبوغ العراقية عقدا باربعمائة الف دينار لشركة هاوتي الالمانية الغربية لانشاء اول مصنع حكومي للسجائر في العراق .

● صرح السيد حمد الفرحان ، وكيل وزارة الاقتصاد الوطني الاردنية ، بان كميات وفيرة من النحاس قد اكتشفت في منطقة العقبة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال ان لدى وزارة الاقتصاد عددا من الطلبات قدمتها مؤسسات ترغب في استثمار مناجم النحاس التي اكتشفت اخيرا في تلك المنطقة ، ولم يكشف السيد الفرحان النقاب عن الكمية المقدرة للنحاس في تلك المناجم او مدى نقاوته من الشوائب .

● اشار المستر بتلر حامل اختام الملكة في مجلس العموم البريطاني الى امكان مد خط انابيب جديد من شمال العراق الى شواطىء البحر الابيض المتوسط عبر تركيا . وقد نوه بان المسائل المتعلقة بالتخطيط والتمويل والتنفيذ الخاصة بهذا المشروع هي من اختصاص المصالح التجارية التي تتشاور مع حكومات البلدان المعنية التي سيمر في اراضيها خط الانابيب المزمع انشاؤه .

ومما قاله: لقد جرت فعلا مباحثات في المدة الاخيرة بين شركة نفط العراق والحكومات المعنية بصدد امكان مد خط انابيب من الحقول الواقعة شمال العراق عبر الاراضي التركية الى شاطىء البحر الابيض المتوسط واتخذت في الوقت ذاته الترتيبات لابقاء الحكومة البريطانية مطلعة على سير هذه المباحثات .

● اعلن رسميا ان انتاج الفوسفات في الاردن قد تضاعف خمس مرات خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، وفي النية مضاعفته خمس مرات اخرى خلال السنوات الاربع القادمة ليبلغ مليون طن في السنة .

وكان انتاج شركة الفوسفات الاردنية في العام الماضي ٢٠٨ الاف طن مقابل اربعين الفا في العام ١٩٥٣ وازداد الانتاج الى ٨٠ الف طن في العام ١٩٥٤ والى ١٦٠ الف في العام ١٩٥٥ . وتسعى الشركة الان لزيادة انتاجها بمعدل ٢٠٠ الف طن في السنة اعتبارا من العام الجاري حتى يصل الى مليون طن في العام ١٩٦٠ وعندئذ يكون انتاج الفوسفات الاردني جزءا من ٢٥ من انتاج العالم الذي يبلغ الان عشرين مليون طن ويزداد بمعدل ١٠ بالمئة في السنة . وقد قدرت المصادر الرسمية قيمة المليون طن من الفوسفات التي ينتظر انتاجها عام ١٩٦٠ بنحو اربعة ملايين ونصف مليون دينار .

وقارنت هذه المصادر بين دخل الفوسفات ودخل البوتاس من شركة البوتاس العربية ، فقالت ان الانتاج الاولي لشركة البوتاس يقدر بمئة الف طن في السنة ثمنها مليون ونصف مليون دينار وتقول مصادر وزارة الاقتصاد ان هناك تقارير فنية وضعتها شركة ماكاي وستلمان الهندسية البريطانية تدل على ان نصف مساحة الاردن تغطيها طبقة ممزوجة بالفوسفات اما موارد الفوسفات المكتشفة في الاردن حتى الان فتقدر بخمسة عشر مليون طن .

● بينما كان العمال يقومون باستبدال بلاط احد المحلات التجارية في سوق سرسق ببيروت فوجئوا بوجود قبو تحت ارض الدكان فنزل بعضهم الى داخله حيث وجدوا بعض القطع الحجرية الاثرية فابلغوا مديرية الاثار التي باشرت بنقل الاثار الى المتحف .

● عثرت دائرة الاثار الاردنية على عدد من القبور الاثرية في ضواحي مدينة جرش المعروفة باثارها التاريخية والتي تبعد نحو ٥٩ كيلو مترا عن عمان . وتفيد المعلومات الاولية التي توفرت حتى الان ان هذه التوابيت الحجرية تعود الى حوالي الفي عام .





جولة الأديب في شهر

محمد حسين هيكل

لطه حسين

●

قال الاستاذ رضوان ابراهيم مراسل الاديب بمصر :

اهتزت الاوساط الادبية في مصر لما نعي اليها فقيد الادب والصحافة والسياسة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، واقيمت حفلات لتأبينه تبارى فيها الشعراء والخطباء ، وتحدث عنه جل اصدقائه وزملائه الا واحدا كان اولى الناس بالحديث عن هيكل هو صديقه وزميله الدكتور طه حسين ، فقد افتقده الناس في هذه الحفلات فلم يروه ولم يسمعوه ، وتساءلوا .. ولكن الدكتور طه حسين اسكته هول المصاب ، فاستانى حتى تهدأ فورة الحزن ليقيم ماتما وحده ، يشيع فيه صديقه الراحل ، فاقام حفلة لتابين هيكل كان هو خطيبها الاول والاخير .

وفي قاعة المجمع اللغوي وقف طه حسين يتحدث عن هيكل ساعة ، وما رأى الناس طه حسين يبكي فتفضحه دموعه ، وما عهدوا صوته المجلجل يحتبس كما شاهدوه اليوم وهو ينثر الدموع على قبر هيكل ...

★ ★ ★

انا لله وانا اليه راجعون .. وقد اصبح حزني عليك الوانا .

في هذا اليوم اتمثل وقفة استاذنا لطفي السيد منذ نصف قرن يرثي فقيدا عظيما هو فقيد مصر مصطفى كامل .

واليوم اقف هذا الموقف لاتحدث عن اخي وصديقي وزميلي محمد حسين هيكل رحمه الله .

وعزيز علي ان اذكر هذا الزميل العزيز وان افرن ذكره بهذا الدعاء الذي نذكره حين نسمي من سبقونا الى الاخرة .

وكم كنت اتمنى ان اذكره دائما وان اضيف (حفظه الله) ، ولكن قضاء الله لا يرد ، وليس بد مما ليس منه بد

لا بد للقرناء ان يتفرقوا
ليل يكر عليهم ونهار

لقد كان هيكل زميل الشباب ، وصديق الكهولة ، واخا الشيخوخة ، تعارفنا حين كنا ناشئين في مكتب استاذنا احمد لطفي السيد عندما كان مديرا للجريدة ، كنا نختلف اليه في الضحى فنشهد عمله في ادارة الجريدة وتحريرها ونسمع احاديثه العذبة في السياسة والفلسفة والمنطق وفي الادب العربي ايضا ، وكنا نتخذه نموذجا لانفسنا ، ونقيس المثل الاعلى به عندما نطمع للمثل العليا في الحياة.

وعرفته حين كنا تلميذين في الكتابة السياسية والادبية على استاذ لطفي السيد . كان طالبا في الحقوق ، وكنت مجاورا في الازهر ، ثم طالبا في الجامعة ، وافترقنا حين بعث لدراسة الحقوق ، ثم اجتمعنا ، ثم افترقنا حينما سافرت الى فرنسا ، ثم التقينا ، ثم اشتركنا بالعمل في جريدة السياسة . كان لي رئيسا ، ولكنه كان زميلا لم يعرف للرياسة معنى ، كان صديقا لكل من يعمل معه . كنا نلتقي مساء كل يوم فنتحدث ، ويجادل بعضنا بعضا في تحرير صحيفة الغد ، ثم نقتسم الفصول ، ويخلو كل منا الى فصله ، حتى اذا اتممه التقينا فقرأ كل منا ما كتبه للاخر ، وربما اصلحنا في هذا الفصل او ذاك ، ثم تصدر جريدة السياسة ، يرأس تحريرها هيكل ، ويشترك فيها نفر من زملائه واصدقائه .

وكانت هذه الفترة خطيرة في تاريخ الحياة المصرية ، فترة الصراع المر بين المصريين والانجليز ، وفترة الاختلاف بين المصريين حول وسائل الصراع والتخلص من الانجليز ، كنا نخاصم الانجليز احيانا ، ولكنا كنا نخاصم المصريين في تلك الايام اكثر مما خاصمنا الانجليز ، صرفتنا الخلافات بين الاحزاب عن الانجليز المحتلين ، وكنا نختلف حتى في سياسة الحزب الواحد ، وكنا نتسابق : اينا امضى لسانا واشد قلما من خصمه ، وكنا نساق للمحاكم ، فيقضى علينا او نبرأ ولكنا كنا نعود فنشتد في الخصومة .

وعرفت هيكلا وزيرا للمعارف ، وعملت معه زميلا صديقا وكثيرا ما كنا نختلف ، واذكر اني كنت معه ذات يوم في مكتبه ، ورايته متبرما ضيق الصدر ، لان احد كبار الموظفين في وزارته لا يستطيع ان يقول له لا : . فقلت له : اراينتني قلت لك يوما : نعم ؟ فقال اما انت فما قلت لي : نعم ، ابدا ، فقلت له : تعز عن هذه بتلك .

وكثيرا ما اختصمنا ، وكانت الخصومة التي كنا نؤثرها هي الخصومة حول كتابتي وكتابته، كنت اتهمه بانه لا يحسن العربية ، وكان يتهمني بانني احسن العربية واخطىء المعاني، وكان يقول لي ان تنميق العبارة يصرفني عن الاهتمام بالفكرة ، وانني استولي على قرائي بزينة اللفظ وروعة العبارة ، ولم نكن نمل هذه الخصومة ، وكان اخر عهدنا بها حين التقينا وقد اصدر قصته الاخيرة « هكذا خلقت » فقلت له ساكتب عن هذه القصة ، فقال : ساحتاط لما تكتب ، فقلت له : ساهاجم لفتك ، فقال : اما هذه فدعها سرا بيني وبينك .. هكذا كنا .

قلما تفرقنا كاني ومالكا
لطول افتراق لم نجد ليلة معا

وحديث الاخاء بين هيكل وبين اصدقائه طويل ، ولكنه لا يغني شيئا الا عن الذين ظفروا منه بهذا الاخاء .

يا ويح الانسان حين يتاح له ان يحيا ، وان يتخطف الموت من دونه اصدقاءه واحدا واحدا يذهب الموت بهذا ، ولا يكاد يفيق شيئا من حزن عليه ، حتى يفجعه الموت بصديق اخر ، وهو قائم كانما نصب في هذه الحياة ليتلقى مقدمة هذه السهام التي يصيب الموت بها الاحياء ، ويقدم بها بين يدي هذا السهم الاخير الذي يصيبه هو ذات يوم ، فيكون مصدرا لحزن من بقي من الاصدقاء والاخوان .

هذه حالي مع نفر من الاحباء والاصدقاء ، ذهبوا فاصبحوا بعيدين .. بعيدين جدا .. لعمركما ان البعيد لمن مضى
وان الذي ياتي غدا لقريب

انما يفني الاحياء من الذين عرفوا هيكلا من بعيد وقرأوا له ، وسمعوا به وانتفعوا بسيرته او حياته وتجاربه هو ان نحدثهم عن هذه الحياة ، وعما انتج فيها من الاثار الباقية التي لا يستطيع الموت ان يبلغها .

وقلوب الاصدقاء قبور حية ، بينها وبين تلك القبور المجتمعة او المنتشرة في الصحراء فرق واحد ولكنه عظيم ، تلك تضم اجساما يدركها البلاء والبلى ، وتدركها الوان من الفناء ، وهذه تضم ذكريات حية لا يدركها الموت الا حين يموت اصحابها .

لكل واحد من اصدقائنا الذين سبقونا الى جوار الله مكان في قلوبنا ، يحيا فيه بقدر ما نحيا نحن ، فهو بعيد جدا ، ولكنه في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوقت نفسه قريب جدا . بعيد حين نريد ان نلقاه كما كنا نلقاه من قبل ، قريب حين نخلو الى انفسنا ونستحضر ذكرياتنا ، ونسمر الى اصدقائنا الذين لا نجد سبيلا الى ان نلقاهم مصبحين او ممسين .

وهيكل ـ ايها السادة ـ قد سلك في حياته طرقا مختلفة اجدرها بالعناية ، واجدرها ان يفرض نفسه على الاجيال ـ ما حضر منها وما يستقبل ـ انما هو طريقته الادبية في هذه الحياة التي تخرمها الموت قبل الاوان .

فهيكل كان من هؤلاء الادباء الذين فتحوا للشباب ابوابا من الفن الادبي ، لعله لم يسبق الى بعضها وشارك بعد ذلك في ابواب اخرى مشاركة فيها غيره من زملائه واصدقائه

وهيكل مهما تكن ظروف الحياة ، ومهما تختلف ، ومهما يختلف تقدير الاجيال للناس ، ومهما تكن الاحداث والخطوب ـ هيكل اساس من اسس الحياة العقلية في عصرنا هذا الحديث ، فهو قد فتح لشبابنا باب القصة لا شك في ذلك ، فتح لهم باب القصة بقصته « زينب » . وهو قد فتح لهم باب التفكير في الادب من حيث ان الادب في نفسه موضوع للتفكير يتحدث الناس فيه على انه شيء يقبل الحديث والجدل والمناقشة .

والذين يحاولون الان في الادب الواقعي وغير الواقعي ، ويظنون انهم يبتكرون شيئا جديدا لم يبتكروا ، فهيكل قد سبقهم في هذا التفكير في كتاب اصدره ، ولعل الذين يجادلون اليوم لم يكونوا قد عرفوا انفسهم بعد ، وهو كتاب « ثورة الادب » عرض فيه نظرية الادب الواقعي ونظرية الادب والحياة ، والادب للحياة .

ولا اريد ان اتحدث عن هيكل الصحفي السياسي ، فهذا الحديث لا سبيل الى ان ينقضي ، فقد انفق اكثر حياته صحفيا كاتبا في السياسة ، ومخاصما للساسة ، ومجاهدا في سبيل ما كان يؤمن بانه الحق، وفصوله السياسية لاتحصى بالمئات بل بالالوف،والحديث عنها يحتاج ان نعود اليها ونقراها ، ونستخلص منها خصائصه التي لا يشاركه فيها غيره ، ولاني رافقته وزاملته وشاركته في خصومة سعد استطيع ان اقول : ان اخص ما يمتاز به ، هو انه جمع بين خصلتين قلما تجتمعان للصحفي السياسي ، وهما البراعة وتنزه القلم عن الشطط وعن الخوض فيما لا يليق بكرام الرجال ، فلا يستطيع خصم ان يقول انه اذاه بلفظ جارح ، وانما يستطيع خصومه ان يقولوا انه تفوق عليهم في الراي .

ولكن هيكلا لم يكن كاتبا سياسيا فحسب وانما كان صاحب سياسة ، وصاحب تاريخ ، ورحم الله المؤرخ العظيم الطبري الذي يقول الشاعر في رثائه :

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهدا
حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وكذلك هيكل ، فهو قد حاول ان يؤرخ ، فارخ للنبي ولابي بكر وعمر ، ثم ارخ للحياة المصرية المعاصرة اعمق تاريخ واصدقه على شيء الاختلاف في ذلك بين الذين يشاركونه في الراي والذين يخاصمونه فيه .

والذين يقراون المذكرات التي اصدرها في جزءين يرون انه قد اتخذ نفسه محورا لتاريخ مصر في العصر الحديث ، حاول ان يكتب مذكراته كما كان المؤرخون القدماء والمعاصرون من الاوروبيين ، ولكنه كثيرا ما كان ينسى نفسه ويمضي في الاحداث التي المت بمصر منذ اوائل هذا القرن الى ان ادركه الموت او قبله بقليل ، فهو يصور الحياة المصرية قبل الحرب الاولى يصورها حين كان المصريون يحاولون الخروج من الركود السياسي بمقاومة الاحتلال، وحين كانوا يحاولون ان يخرجوا من الركود الادبي ، ومن هذا الادب الذي عرفناه في اواخر القرن التاسع عشر الى ادب جديد فيه الاحتفال بالقديم من ناحية ، وتعمق الادب الغربي من ناحية اخرى .

وادبنا الحديث يستمد مقوماته من تيارين تيار الادب القديم الذي نشر من جديد في كتب القدماء ، وتيار الادب الحديث الذي عرفناه حين اخذت بعوث المصريين تذهب الى اوروبا فتترجم للمصريين .

ولكن ادب القرن التاسع عشر لم يتعمق قديما ولا جديدا ، وانما راى ادب القدماء فقلده شعراؤهم ، وراى ما كتبه القدماء فقلده كتابهم ، والذين يقراون شعر البارودي وشوقي وحافظ يستطيعون ان يفكروا في النموذج العربي القديم الذي كان امام الشاعر وهو ينشيء قصيدته ، والذين يقراون للكتاب في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين يدركون ان ادب هؤلاء ادب عربي يحاول اصحابه ان يقلدوا ما يكتبه الاوروبيون ولم يكونوا يبتكرون شيئا ذا بال ، انما كانت شخصياتهم تضيع بين تقليد العرب القدماء والاوروبيين المحدثين .

ولكن هيكلا كان كما كان بعض زملائه يحاولون الخروج من هذا الركود ، فلا يقلدوا قديما ولا جديدا ، وان ينشئوا في مصر ادبا مصريا لا يخرج عن الفصحى السمحة ، ولا يتكلف الاغراب فيها ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقلد القدماء تقليدا حرفيا ، فلا يتخذ المتنبي وابا تمام ولا الجاحظ وابن المقفع نموذجا له ، وانما يحاولون ان يكتشفوا انفسهم ، وان يتعرفوا على شخصياتهم ، وان يوجدوا ادبا يدل على هذه الشخصيات ، وتضطرب فيه نفوسهم لا نفس مسلم ولا ابي تما ولا ابي نواس ، ولا فيكتور هوجو او لامرتين ..

بهذه الميزة امتاز الجيل الذي نشا فيه هيكل ، واشهد لقد كان هيكل من ابرع الجيل الذي نشا فيه ، فما اسرع ماستكشف شخصيته وفرضها على قرائه وعلى العصر الذي عاش فيه ، وهيهات ان يستطيع المؤرخون للادب المصري الجديد بل للادب العربي كله ـ جهل هذا الاثر العظيم الذي اسهم به هيكل في انشاء الادب المصري والعربي الحديث ، فقد ذلل القصة لكتابها ، وذلل الكتابة السياسية الصحفية ، وشارك زملاءه ومعاصريه في تذليل اللغة العربية لتكون ملكا لكتابها ومتكلميها ، وشارك في الاتاحة لكتاب العربية ان يهجروا انفسهم من العبودية والاذعان للغة ، وان يطوعوا اللغة لافكارهم لا ان يكونوا هم الذين تطوعهم اللغة لما بقي فيها من اثار القدماء .

اذا كتب تاريخ الادب الحديث في مصر فلن يستطيع هذا التاريخ ان ينسى فضل هيكل وفضل زملاء لهيكل سبق الموت الى بعضهم ، وارجو ان تمتد حياة الباقين منهم ، كلهم حاول ما حاول هيكل ، وكلهم جاهد

حسن السعران

[تتمة المنشور من صفحة ٢٣]

المنكوبة وهي تغادر بيتها الحبيب . وكلما امضها الحزن واضنتها الهواجس ، كلما ازداد زوجها عنادا وامعانا في العمل . وراح يستعين باكداس من الكتب والمجلات الزراعية وادخل احدث وسائل الزراعة . واخيرا تحققت احلامه الزراعية الى حد يحق له ان يفخر ويزهو به ، فزاد هذا من سخريته لعائلة مخالوف .

واخذ يردد على مسامع زوجته : ها انت ترين بنفسك انني لست بمخالوف . ستعرفين كيف تكون ادارة المزرعة !

وكان اول شيء لفت نظر فيروكا عندما حلت هي وزوجها في بيت ميخالوف المهجور ، تلك الاثار التي خلفتها الاسرة وراءها : جدول مدرسي مكتوب بخط صبياني ، دمية مقطوعة الراس ، طبلة مهشمة ، كتابات صبيانية تغطي الجدران: «ناتاشا حمارة » وما شابه ذلك من عبارات الصغار . وهكذا يتطلب البيت وما حوله عمليات شتى من الطلاء والكسوة بالورق ، والترميم والبناء .. قبل ان يتمكنا من نسيان « متاعب الغير»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جهاد هيكل واتيح لبعضهم انتصارات ، ولكن حظ هيكل من هذه الانتصارات كان اعظم .

كتب تاريخ الاسلام الاول بلغة لا غبار عليها ولكن يستطيع كل قارىء معاصر ان يتذوقها ويسيغها في غير جهد ولا مشقة ، على حين لم يبق الا القليلون الذين يحصون على اصابع اليدين من الذين يستطيعون ان يقراوا كما كان هيكل واصحابه يقرأون كتب المؤرخين القدماء وان يطوعوها ويسيغوها ويستخلصوا منها التاريخ صحيحا صادقا ليقدموه الى الاجيال الناشئة ، وبذلك تبقى الصلة متينة بينهم وبين قديمنا الذي لا يجوز التفريط فيه .

لو لم يكن لهيكل الا انه شارك في هذا البناء الضخم الذي بناه هذا الجيل من كتاب اوائل هذا القرن ـ لكان هذا جديرا ان يفرض اسم هيكل على تاريخنا الادبي الحديث

وهيكل مع انه قد عنى بادبائنا المقلدين فشارك في نشر اثارهم وقدم لدواوينهم ، فقدم للبارودي وشوقي ، وكان من المعجبين بهما ـ ولكنه لم يكن يستطيع ان ينشىء ادبا كالذي ينشئه هذا او ذاك الا انه يعيش في عصره ، وهما يعيشان في عصور مضت ، عصور ابي تمام ومسلم وربما عاش البارودي في العصر الجاهلي ، اما هيكل فكان يعيش في عصرنا الذي نعيش فيه .

ولو لم يكن لهيكل الا ان الاحكام العرفية المتصلة ، والنيابة التي كانت شرا واقسى من الاحكام ، وبطش الحكام ، وبطش المسؤولين، كل ذلك لم يستطع ان يكفه وزملاءه عن الكتابة الحرة الصريحة ـ لكان من الحق على التاريخ الادبي ان يضع هيكلا بين الذين مهدوا طريق الحرية للاجيال المقبلة وحرية الراي وحرية التفكير وحرية التعبير ايضا .

وكل من ظن او قدر غير ذلك فهو لا يظلم هيكل وانما يظلم نفسه ، ويكفي ان تقراوا في مذكرات هيكل ، واذكر لكم انها تقرا كما تقرا قصة من القصص الطوال التي لا يجد فيها القارىء مشقة ، قد يتفق القارىء مع المؤلف وقد يخالفه ، ولكن هيكل كان ينعم بخلاف المخالفين كما يرضى بموافقة الموافقين .

كان هيكل كاتبا حرا باوسع ما في الكلمة من معان ، وكان اديبا حرا باوسع معاني الحرية ، ثم اتيح له ان يبتكر في ادبه وفي قصصه بنوع خاص ، واتيح له ان يكون مؤرخا للقديم والحديث ، ثم اتيح له ان يكون وصافا من الطراز الاول ، وما اشك ان المعاصرين لم يعرفوا وصافا كهيكل ، فلم يصف احد طبيعة الدنيا كما وصفها هيكل ، لم توصف الجبال والبحار والانهار .. كما وصفها هيكل في كتابه «ولدي» كيف ولماذا كتبه؟ دفعته الى كتابته عاطفة الحب وعاطفة الحزن وعاطفة الحنان ، اجتمعت عليه فدعته الى السفر ليسري عن زوجه الكريمة وعن نفسه بعد ان رزئا بفقد ولدهما ، فكان سفره الى اوروبا مصدرا لما في هذا الكتاب الرائع من اوصاف لا نكاد نعرفها في ادبنا من قبل .

واقراوا كتابه الصغير « عشرة ايام في السودان » ففيه وصف رائع للصحراء والسودان لا نظفر به في ادبنا الحديث .

وقد لا تكون لغة هيكل جاحظية لانه من جيل ثائر على القديم يبغي انشاء ادب جديد فلا غرابة ان يكون اسلوبه معاصرا ، ولا باس عليه ان يكون اسلوبه مخالفا للجاحظ وابن حيان والهمذاني حسبه ان يكتب بلغته واسلوبه الذي لم ينحرف عن لغة القرآن واسلوبه .

وكان هيكل زميلا في المجمع اللغوي فشارك فيه مشاركة مثمرة ، لم يشارك في جلساته فحسب ، بل شارك وقتا غير قصير في معجم الفاظ القرآن وكانت احاديثه ومناقشاته خير غذاء لزملائه ، وكانت فكاهاته روحا وريحانا لزملائه . كان في هذا المجمع كما كان في كل مكان عمل فيه ، اخا كريما وزميلا عزيزا ، واديبا يسبق حديثه الى النفوس . فليس غريبا ان يكون الخطب فيه فادحا ، وليس غريبا ان ياسى زملاؤه كما اسى قراؤه واصدقاؤه لهذا الخطب ، وان تكون المصيبة عظيمة بفقده ، ولكن متى نفع الاسى ومتى اغنى الحزن عن الذين يحزنون ؟ انما نحن اغراض لسهام لا نستطيع ان نجد عنها محيدا ولا تستطيع هي ان تجد عنا محيدا ، الم يقل الله عز وجل : « لكل اجل كتاب » ؟ واذا كان الله قد قدر فكيف السبيل الى المهرب وقديما قال ابو العلاء :

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

ونحن كما قال هيكل : هكذا خلقنا . اسبغ الله على الفقيد الكريم واسع رحمته ، وهيأ لنا صبرا وعزاء .

القاهرة — طه حسين

برق

تصدير لصالون القاهرة الثالث والثلاثين

للدكتور بشر فارس

●

في عهد لفت فيه الافق الشرقي ملاءات من السحاب اقبلت من جهات بعيدة فحجبت النور عن قلوب من آمنوا بالخير والعدل حتى انها حرمت الانفس لذة الانس بالسكينة والفرح بالحياة ، في هذا العهد الذي كتبه علينا القدر ليغمسنا في لجة من التجارب القومية والذهنية والارادية : لجة ركبت ماءها الطاغي شهوات الطامعين في ارض الشرق ، ايا كانوا ومن أي جحر وثبوا ، في هذا العهد المحفوف بتلال العتمة يلمع برق .

برق الفن ، يثقب ركام السحاب فيفتح لسر الانسان كوة يصل بها الى اديم السماء . هل لوجود الانسان معنى اذا هو قطع ما بينه وبين ذخائر العلا ؟ ولولا مدار النجوم هنالك يتنفس بها بصره حينا بعد حين لهلك في مسارب ارضه . قتلت المادية التي اصبحت تهجم علينا من منازل الجشع والجور ،تحاول ان تسلبنا ايماننا بمثل طالما استخرجنا من طيبها غذاء زكيا !

اهلا بالبرق ! حان لبصائرنا ان تهنأ بتلك الكوة النافذة الى مصاعد الخلاص الاسمى . وشكرا لاهل الفن من ابناء مصر ونزلائها . ما اجمل سعيهم في هذا المعرض الثالث والثلاثين تقيمه جمعية محبي الفنون الجميلة على عادتها الصالحة . اراهم مستمسكين بحقائق الروح ، منصرفين الى لقف اللطائف ، لا يصدهم عن نعومة الحس الصرف صيحات البطش ولا يعجزهم عن تفتيش كواكب الذوق ظلمات الغدر . هم جند البشرية العاملة ، يعزونها عن آلامها ويطردون من اغوارها مفاسد الرذيلة ويذكرونها بان الله اوجدها لكي تحسن وتعشق الحسن .

وانما الحسن بين أيدي هؤلاء الفنانين . لاحسن الموضوع الذي تقبل عليه انامله ـ فطبيعة الموضوع تتردد من اقصى القبح الى أقصى الجمال ، بل حسن المعالجة ، حسن مزج التصور بالتفهم في أثناء التعبير . وعند

يصدر قريبا جدا

المجد للاطفال والزيتون

للشاعر المبدع

عبد الوهاب البياتي

طبعة ثانية

منشورات دار ريحاني بيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعبير يقف المتأمل في التحفة ، وعلى قدر ما تورث فيه من خيالات وفكر ينبسط وجداننا .

وقد عبر الفنانون في هذا المعرض عن الوان شتى من الخلجات والخطرات ، كل باسلوبه . ومما جاء وليد السنة ان بعض الناقشين والنحاتين المصريين نفضت دخائلهم ما أصاب القطر العزيز من عدوان فاجر ، فقيدو اشمئزاز قومهم ونطقوا بغضبهم للحق، تارة في هيجان واقعي وتارة في سكون رمزي، ومع الطريقتين دلوا على ان الفن حديث بليغ اذا اهملته امة سدت دونها منفسا من ارقى منافس الشعور وانقاها .

القاهرة — بشر فارس

عضو الجمعية الدولية لنقاد الفن

على هامش فيلم « الى أين »

●

بعد ان بلغت السينما في اكثر بلاد الدنيا شاوا بعيدا ما زلنا نحن في هذه الزاوية من الشرق متخلفين عن الركب يحز في قلوبنا الم شديد ويعتري نفوسنا شعور الانقباض والخجل فكم نتمنى في بعض الامسيات ونحن نمشي لحضور فيلم اجنبي لو كان لنا ان نرى شيئا من بلادنا ونسمع صوتا من عندنا ولحنا من وحي سمائنا ومشكلا من صميم واقعنا .

لكن يا للاسف ان الفيلم العربي — بالرغم من بضع من اطلالات حالفها شيء من التوفيق في مصر — ما زال بعيدا عن ارواء عطش نفوسنا الى النتاج الطيب والى العطاء الكبير.

واما الفيلم في لبنان ، واما الافلام اللبنانية التي ظهرت على الشاشة الى الان فماذا اقول فيها وكيف اوفق بين حقيقة رأيي فيها ورغبتي في الا اثبط من همة القائمين على احياء هذه الصناعة في بلادي فاثر السكوت ولو على مضض .

ويلوح في الافق امل بل لقد اصبح اكثر من امل هو حقيقة ثابتة الم نسمع بفيلم « الى أين » هو فيلم من لبنان نقولها بلا خجل وعسانا لا نخفض رأسنا عندما يعرض في « كان » مع افلام الدنيا — بعد ان تبنته الجهات المسؤولة لهذا الغرض .

ان هذا الفيلم جمع كل المؤهلات التي تجعله عند حسن ظننا فيه . فموضوعه من صميم الواقع اللبناني انها الهجرة وهو من المشاكل التي تشغل بال اللبنانيين . ان نصف لبنان هو مهاجر بعيد عن الارض التي تحن اليه عن العيال الذين يقض مضاجعهم مر الفرقة . هي قصة الانسان مع البر ، رواية اللبناني المعتملة فيه ، حب المغامرة والطموح الى اكتشاف المجهول .

واما مناظره فمن قلب هذا الجبل ماخوذة في الاماكن نفسها (خاصة في درعون) هي الروائع الطبيعية تمر امامك ومعها الوان مختلفة من حياتنا المستحبة في الجبل ايام الزهو ايام الشقاء .

واما الموسيقى فهي من امل لبنان في التاليف الموسيقي — وان جرحت تواضعه — عنيت به الاستاذ توفيق سكر . وللموسيقى في هذا الفيلم اهمية خاصة فهو حديث موضوعه mélodrame فهي تعبر عن حالات داخلية يعجز الكلام عن الافصاح عنها

وقد لجأ الاستاذ سكر الى استعمال الفولكلور اللبناني (مثل ابو الزلف والدبكة والدلعونة) في عدة اماكن مما جعل للمشاهد لونا محليا شيقا وهو يتبع في ذلك الطريقة الجديدة التي استحدثها من حيث الهرمونيا واستعمال ربع الصوت .

واما التكنيون والممثلون فهم من صفوة الشباب الذين تخصصوا في الخارج وقضوا السنوات الطول في البحث والتدقيق .

افلم تسمع بجورج نصر وهو مخرج الفيلم الذي قضى اربع سنوات بين هوليود واوروبا دارسا الاصول النظرية والتطبيقات العملية والذي اظهر في اخراج هذا الفيلم القدرة والدقة التي تحملان على التفكير بالمستقبل الزاهر .

واما صديقنا جورج ابو سليمان مساعد المخرج الذي بقي في فرنسا ست سنوات قضاها في التحصيل فلم يوفر في سبيل نجاح هذا الفيلم قلبه ومعارفه ونشاطه .

ورودبرك دحدح وريمون عواد الذين قاما بالتصوير وتوزيع الانوار خير قيام .

اما الممثلون والممثلات لور عازار ، شكيب الخوري ، رؤوف الراوي ، ونزهة يونس ، فاكتفي بالقول انهم عاشوا ادوارهم وفهموا معنى التمثيل (ومفهوم التمثيل ما زال عند اكثر الممثلين في هذه البلاد وما جاورها بدائيا يعتمد على كثرة الحركات واعلاء الصوت اكثر من اعتماده على التعبير النفساني باقل حركة ممكنة .

« الى اين » هذا الفيلم اللبناني المستمد من الواقع والمعتمد على الواقعية والحقيقة الذي بحث مشكلا من اهم مشاكلنا الاجتماعية وما تترك من نتائج مؤلمة في المجتمع والذي تحضيره على ايد اختصاصيين من النخبة فاذا لم يات بالنتيجة المرجوة فماذا عسانا ننتظر .

« ابن انا شار »

الفنان في بلادنا

●

نشرت مجلة « لا ريفو دي ليبان » التي تصدر في بيروت باللغة الفرنسية هذه القصة الطريفة التالية :

تلقينا رسالة مؤثرة موقعة بامضاء س. سينفي « صوت الفنان » . ويروي صاحب الرسالة باسلوب بسيط وشيق قصة صديقه اللبناني مازمانيان عازف الجيتار المعروف يقول :

التقيت صدفة بعازف الجيتار الشهير وبعد التحية المعتادة بادرته بقولي :

— لقد مر زمن طويل ولم نسمع انغام جيتارك !

فكان جواب مازمانيان بحسرة :

— من المحزن ان يجعلنا الزلزال من المنكوبين !

سيتبادر الى ذهنك بان العازف الشهير قد فقد جيتاره وان س. سينفي يدعوك الى مساعدته بالبذل والعطاء . لا ، لقد اخطأت الظن . فها هو س. سينفي يواصل كلامه :

وحين رأى على محياي علائم الدهشة ، واصل مازمانيان قصته قائلا :

ان ضريبة « الاغاثة والتعمير » التي تطبق على حفلات الكونسير والمهرجانات الفنية تمنعني من تقديم الحاني كما كان الامر في الماضي ، لانه ، كما تعلم ، يتوجب علي ان ادفع مسبقا لوزارة المالية ٢٥٠ ليرة لبنانية ليسمح لي بطبع ٥٠٠ بطاقة .

ثم استطرد مازمانيان بقوله :

الفنان مبدئيا وواقعيا لا يملك قرشا واحدا ... فلا يمكنه الانتاج ، وهو من فئة المنكوبين ... المنكوبين ... غير المغاثين ..

واني اعرض الحالة المؤثرة لهذا الفنان الشهير ليتأمل اولئك الذين يتفانون في اغاثة منكوبي الزلزال .

فاي شيء ادعى الى البهجة او اكثر شرقية كحفلات الجيتار ؟ اغنية خفيفة ، تؤثر وتفرح ذات انغام رقيقة كتغريدة العصفور..

بكل اسف ، لقد اهتزت الارض واثقلت الرسوم كاهل الفنانين وسكت جيتار مازمانيان

قد لا تصدق هذه القصة في أي مكان .

والواقع انه اذا لم يكن بوسع عازف الجيتار قبل حفلته ان يدفع الرسم الباهظ البالغ ٢٥٠ ليرة لبنانية ليؤذن له بطبع ٥٠٠ بطاقة — يأمل في بيعها — فلا اقل من السماح له بدفع هذا المبلغ بعد الحفلة !

الا يمكن ان نكون اكثر سخاء فنعفي الموسيقي المسكين !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

١٦ فبراير ١٩٥٧ ـ وافقت الجمعية العامة للامم المتحدة على مشروع قرار بشأن الجزائر ينص على ان الجمعية تعرب عن املها في ايجاد حل سلمي ديموقراطي عادل وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة وذلك بالطرق المناسبة والصحيحة وبالتفاهم المشترك .

ـ رفض البنديت نهرو مشروع القرار المعروض على مجلس الامن بخصوص مشكلة كشمير .

ـ اعلن رئيس وزراء الباكستان حسين سهروردي ان القوات الهندية تقوم بنشاط وتحركات كبيرة على طول الحدود الباكستانية.

١٧ ـ وصل الملك سعود الى الرباط في زيارة رسمية للمغرب بعد ان انتهت زيارته لاسبانيا وقد صدر بلاغ مشترك اسباني سعودي عن المحادثات التي جرت لا سيما التي تتعلق بالحالة الراهنة في الشرق الادنى.

ـ وصل الى لندن الامير عبدالاله في طريق عودته من واشنطن الى بغداد .

ـ اجرى الرئيس ايزنهاور عدة اتصالات لمعالجة تعنت اسرائيل ورفضها الانسحاب من غزة وسيناء .

١٨ ـ اعلن في القاهرة ان سلطان «مسقط» اعلن ضم امارة عمان الى امارته بعد ان خلع الامام غالب امام عمان .

ـ نفذ اليوم حكم الاعدام في سجن بيروبي بزعيم منظمة الماو ماو الشهيرة ديدان كيماتي

١٩ ـ اعلن المستر دالس ناظر الخارجية الامركية انه نقل للامين العام للامم المتحدة وجهة نظر امريكا في مشروع موقت لادارة قناة السويس حالما يتم تعزيلها .

٢٠ ـ استعمل الاتحاد السوفياتي حق الفيتو في نقض مشروع الدول الغربية الخاص بكشمير الذي يدعو الى ارسال رئيس مجلس الامن الى الهند والباكستان لاجراء محادثات على اساس نزع السلاح من كشمير تمهيدا لاجراء استفتاء شعبي .

٢١ ـ وصل الملك سعود الى تونس في سلسلة زياراته للشمال الافريقي حيث يجري محادثات على مستوى عال مع المسؤولين .

ـ وجه الرئيس ايزنهاور خطابا خطيرا الى الشعب الامريكي مؤكدا فيه وجوب انسحاب القوات الاسرائيلية من منطقتي غزة وخليج العقبة . كما وجه ايضا مذكرة اخطار اخرى الى بن غوربون يطلب اليه فيها تقرير سحب القوات الاسرائيلية قبل ان يعرض الامر على الامم المتحدة .

ـ القى بن غوربون خطابا اعلن فيه رفض اسرائيل الانسحاب دون تامين حرية ملاحتها وسلامتها .

٢٢ ـ قدم الدكتور شارل مالك وزير خارجية لبنان طلبا باسم الكتلة الاسيوية الافريقية الى الجمعية العمومية للامم المتحدة بفرض العقوبات على اسرائيل بسبب اصرارها على عدم الانسحاب .

ـ اعلن الامين العام للامم المتحدة ان مصر ترغب في ان يتم تسلم قطاع غزة من اسرائيل من جانب القوات الدولية وحدها وان مصر اعترافا بالمشاكل الراهنة في القطاع ومسؤولية الامم المتحدة فانها مستعدة لوضع ترتيبات بالاتفاق مع الامم المتحدة لتخفيف حدة التوتر كوضع ترتيب خاص بالقوات الدولية لتكون في مركز يفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية

ـ وصل الملك سعود الى طرابلس في زيارة رسمية لليبيا .

٢٣ ـ استقالت الوزارة اليابانية التي يرأسها تانزان ايشيباشي بسبب المرض .

ـ اقال الجنرال فرانكو الوزارة الاسبانية بسبب خلافه مع الكتائب

٢٥ ـ بدا في القاهرة مؤتمر الرؤساء الملك سعود والملك حسين والرئيس جمال عبد الناصر والرئيس شكري القوتلي .

٢٦ ـ اصدرت المحكمة العرفية في دمشق قرارها في قضية التآمر على سلامة الدولة التي اتهم فيها ٤٧ شخصا من النواب والوزراء السابقين والزعماء السياسيين والضباط السابقين وهي تقضي باعدام ١٢ متهما وبالاشغال على الباقين

ـ اتهم وزير خارجية يوغسلافيا الاتحاد السوفياتي بمحاولة عزل يوغسلافيا وتشويه سمعتها امام العالم وخلق المتاعب الكثيرة لها.

٢٧ ـ انتهى مؤتمر الرؤساء في القاهرة وصدر بيان مشترك بتأييد مصر والجزائر واليمن بنضالها وتأكيد ابتعاد العرب عن الحرب الباردة والتزام سياسة الحياد الايجابي

ـ اعلنت حكومة الارجنتين عن اكتشافها مؤامرة واسعة لقلب نظام الحكم كان يعدها انصار الجنرال بيرون .

٢٨ ـ صدر بلاغ مشترك عن محادثات الرئيس ايزنهاور وغي موليه رئيس الوزارة الفرنسية وقد اعرب الرئيسان فيه عن اقتناعهما بان ازمة الشرق الاوسط يمكن ان تسوى بالوسائل السلمية وبما يتفق مع مبادىء العدالة والقانون .

ـ عاد الملك سعود الى العربية السعودية من رحلته .

اول مارس ١٩٥٧ ـ اعلنت اسرائيل موافقتها على الانسحاب سريعا من قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ دون قيد ولا شرط . وقالت غولدا مايير وزير خارجية اسرائيل عند اعلانها النبأ في هيئة الامم ان اسرائيل تحتفظ بحرية العمل للدفاع عن حقوقها اذا تطورت الاوضاع في غزه .

ـ اعلن الرئيس سوكارنو عزمه على الغاء نظام الحكم البرلماني واقامة حكومة جديدة برئاسته تمثل جميع الاحزاب السياسية .

٢ ـ استولى جماعة من الضباط على الحكم في اندونيسيا الشرقية بقيادة الكولونيل فانتي صموئيل

ـ وصل المستر ريتشارد نيكسون نائب الرئيس ايزنهاور الى الدار البيضاء وقد اعرب عن ارتياحه للمحادثات التي جرت بينه وبين الملك محمد الخامس الذي ابدى موافقته على مشروع الرئيس ايزنهاور .

٤ ـ اعلن رسميا ان بن غوربون اعطى اوامره لبدء ترتيبات انسحاب القوات الاسرائيلية نهائيا من قطاع غزة وساحل سيناء المشرف على العقبة .

٦ ـ أقر مجلس الكونجرس مشروع الرئيس ايزنهاور الخاص بالشرق الاوسط

ـ بعث الكولونيل صموئيل قائد الانقلاب في اندونيسيا الشرقية بانذار الى الرئيس سوكارنو يطلب اليه اقالة حكومة علي حميدو جوجو الائتلافية وتشكيل حكومة عسكرية واطلاق سراح الضباط المعتقلين . والحالة متوترة بين الاحزاب الاسلامية والمسيحية في جانب والاحزاب اليسارية والشيوعية في جانب اخر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– اعلن اليوم استقلال ساحل الذهب واصبحت تعرف باسم دولة غانا ورئيس وزراء الدولة الافريقية الجديدة الدكتور نكروما وتدخل غانا في الكمنولث .

– اعلن وزير الدفاع السوري استبدال احكام الاعدام الصادرة وجاهة عن المحكمة العرفية العسكرية بحق الزعماء السياسيين الى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة

– اعلنت الحكومة السورية السماح لشركة نفط العراق بالمباشرة في اصلاح خط انابيب النفط التي جرى تخريبها اثناء معركةالقنال.

– بدأت القوات الدولية تدخل مدينة غزة في نفس الوقت الذي كانت فيه القوات الاسرائيلية تنسحب .

٧ – فاز حزب ديغاليرا بكثرة مقاعد البرلمان الارلندي متغلبا على حزب رئيس الوزراء الحالي كوستيلو

– اعلن الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة متمسكة بموقفها من مشكلة الملاحة في خليج العقبة وانها تعتبره ممرا مائيا دوليا الا اذا اصدرت محكمة العدل الدولية قرارا مخالفا لذلك .

– وافق مجلس الامن على الطلب الذي تقدمت به دولة غانا للانضمام الى هيئة الامم

٨ – اتمت القوات الاسرائيلية تسليم منطقة شرم الشيخ الى القوات الدولية

٩ – رفضتمصرالمشروع الامريكي البريطاني الفرنسي النروجي الرامي الى اقتسام رسوم المرور في قناة السويس بين مصر والمصرف الدولي الى ان يتم الوصول الى حل نهائي .

١١ – على اثر قيام مظاهرات صاخبة في غزة تطالب بعودة الادارة المصرية قررت مصر تعيين اللواء محمد حسن عبد اللطيف حاكما اداريا لقطاع غزة وان تتولى الادارة المصرية عملها فورا . وقد وصفت سكرتيرية هيئة الامم هذه الخطوة بانها مؤسفة وتناقض ما اتفق عليه الامين العام معوزيرخارجيةمصر.

– رفضت امريكا وبريطانيا وفرنسا مشروع روسيا الاخير لتهدئة الحالة في الشرق الاوسط الذي اعلنه شبيلوف قبل نقله من وزارة الخارجية .

١٢ – غادر وشنطن الى الشرق الاوسط المستر جيمس ريتشاردس موفد الرئيس الامريكي الخاص لشرح مشروع ايزنهاورالمتعلق بالشرق الاوسط .

– وقع انقلاب جديد في بورينو اكبر جزر اندونيسيا ويتزعم الانقلابالكولونيلبصري

– وصل الشاه محمد رضابهلوي امبراطور ايران الى الرياض في زيارة رسمية للمملكة العربية السعودية .

١٣ – قامت ثورة دامية في هافانا عاصمة كوبا لخلع رئيس الجمهورية الجنرال باتيستا وقد اخمدتها القوات الحكومية.

– قدم السيد علي حميدو جوجو رئيس الوزارة الاندونيسية استقالة حكومته

– اعلن رسميا الغاء معاهدة ١٩٤٨ الاردنية البريطانية بتوقيع اتفاق انهائها واقرار هذا الاتفاق في مجلس النواب الاردني واحتفلت الاردن احتفالا رائعا بذلك

١٤ – وصل الى غزة اللواء محمد حسن عبد اللطيف الحاكم الاداري المصري لقطاع غزة واكدت مصر انها ستتعاون تعاونا تاما مع القوات الدولية .

– انسحبت من الاراضي المراكشية اخر وحدات الفرقة الاجنبية الفرنسية وبذلك انتهى عهد الاحتلال الذي دام ٥٤ عاما .

– وصل الى بيروت المستر جيمس ريتشاردس مبعوث الرئيس ايزنهاور الى دول الشرق الاوسط للبحث مع حكوماتها في التصريح الخاص بسياسة الولايات المتحدة ازاء هذه المنطقة .

١٥ – كلف الدكتور سوكارنو السيد سويرجو رئيس الحزب الوطني الاندونيسي تشكيل الحكومة الجديدة على اساس السياسة التي تبناها رئيس الجمهورية اي حكومة لا تخضع للنظام البرلماني المعروف .

١٦ – ختم موفد الرئيس ايزنهاور المستر ريتشاردس محادثاته مع الحكومة اللبنانية وتم الاتفاق بين الجانبين على التعاون بموجب مشروعالرئيس الامريكي وعرض الجانباللبناني المشاريع المطلوب تمويلها والقضايا الدفاعية التي تضمن سلامة لبنان وصدر بيان مشترك بذلك .

– تخلت القوات الدولية عن شؤون الامن العام في قطاع غزة الى الادارة المصرية واصبحت مهمة القوات محصورة بالمحافظة على السلمعند خطوط الهدنةبين مصرواسرائيل

١٧ – توفي رئيس جمهورية الفلبين المستر ماغ ساي ساي في حادث سقوط طائرة في جزيرة سيبو .

– وصل الى ليبيا موفد الرئيس ايزنهاور المستر ريتشاردس

١٨ – وصل الى تونس المستر ريتشارد نيكسون نائب الرئيس ايزنهاور لزيارة اخر قطر افريقي في رحلته الطويلة التي حملته الى ثماني اقطار افريقية .

– اصبح السنيور كارلوس غارسيا نائب رئيس جمهورية الفلبين رئيسا للجمهورية .

١٩ – هدد بن غوربون في تصريح لهباعلان الحرب على مصر اذا هيمنعت سفن اسرائيل من الملاحة في خليج العقبة .

– اعلنت مصر ببيان رسمي ستة اسس لسياستها المتعلقة بالملاحة في قناة السويس ومنها احترام اتفاقية القسطنطينية وانتقبض مصر الرسوم . وصرح الرئيس عبد الناصر بانه لن يسمح لسفن اسرائيل بالمرور لانها في حالة حرب مع مصر .

٢٠ – اعلن وزير المستعمرات البريطانيان قضيةقبرص رفعترسميا الىحلف الاطلسي.

– افتتح الرئيس ايزنهاور والمسترهارولد مكميلان رئيس الحكومة البريطانية مؤتمرهما في جزيرة برمودا

– احتفلت تونس بالذكرى الاولى لاستقلالها احتفالا رائعا حضره ممثلون من جميع الدول العربية والاسلامية كما حضره المستر نيكسون نائب رئيس الولايات المتحدة

– وصل الى مصر المستر داغ همرشولد الامين العام للامم المتحدة لاجراء محادثات مع الرئيسعبد الناصر

٢١ – انتخب المستر دي فاليرا رئيسا لوزارة ايرلندا

– اعلنت ليبيا اشتراكها رسميا بمشروع الرئيس ايزنهاور المتعلق بالشرق الاوسط فقد صدر بيان مشترك امريكي ليبي يعلن الاتفاق . وقد سافر المستر ريتشاردس موفد الرئيس ايزنهاور الى تركيا .

٢٢ – سافر الاستاذ كميل شمعون الى المملكة العربية السعودية في زيارة رسمية

– صدر بيان مشترك يعلن اتفاق الحكومة التركية مع المستر ريتشاردس مبعوث الرئيس ايزنهاور وتاييد تركيا لمشروع الرئيس الخاص بالشرق الاوسط . وقد سافر ريتشاردس الى ايران .

– ابلغ الرئيس ايزنهاور المستر مكميلان رئيس الحكومة البريطانية استعداد امريكا للاشتراك باللجنة العسكرية التابعةلحلفبغداد

٢٣ – تجري في موسكو محادثات بين رئيس وزراء المجر جانوس كادار وزعماء الاتحاد السوفياتي .

مطبعة الشراع
بيروت – الحازمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوعي الاجتماعي

*

من الالفاظ الجارية على الالسن عبارة الوعي الاجتماعي • فالوعي الاجتماعي ميزة الشعب الناضج ، وهو ضرورة لازمة للنهوض والتقدم ، ولذا فهو في نظر الكثير من ذوي التفكير العاطفي مظهر من مظاهر حياتنا الاجتماعية •

الواقع ان عبارة الوعي ، على اتساع مدلولها ، تتضمن في جوهرها معنى اساسيا ، وهو ان تنتظم في وحدة متماسكة لا فكاك لها عناصر الزمن الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل • فليس الوعي وعيا اذا اغفل عنصرا من هذه العناصر • وابسط مثال على هذا مثال الرجل الفرد : فالفرد لا يمكن ان يعتبر واعيا في موقف من المواقف الا حين يتناول بانتباهه المركز وجوده في هذا الموقف ، منسجما مع وجوده التاريخي الذي سبق هذا الموقف ، ووجوده المقبل والكامن في حيز الامكان ، بحيث يستعين بالذاكرة وبملكة الابداع لينسج من ماضيه وحاضره ومستقبله صورة واحدة لفكر واحد ، وعمل واحد ، وشخصية واحدة • والنتيجة الطبيعية للفشل في هذه المهمة هي التناقض وعدم الانتاج : فهاتان الصفتان هما على النقيض تماما من الوعي ، وهما الكاشف الصريح لانعدامه •

والمجتمع كالفرد تماما في هذا المجال ، فالامة التي تحيا زمانها في عناصره الثلاثة هي الامة الواعية ، وهي على العكس من هذا اذا نسيت ماضيها او اغفلت التفكير في مستقبلها ، بحيث تفقد شخصيتها ويؤدي بها الارتباك الى الوقوف والركود ثم التقهقر •

من الافكار الشائعة ان للماضي في نظر العرب كثيرا من الاثر والاعتبار ، وان فرط الاهتمام به هو الذي يسد عليهم مسالك التفكير في المستقبل • والحقيقة ان العرب اقل الامم اهتماما بماضيهم ، فما بهذا الماضي من مفاخر ومساوىء مطوي في النسيان ، اذ ان تاريخ اغلب الاعمال والرجال العظام فعلا لا يلقى شيئا من عناية الدرس والابراز والتخليد ، كما ان اخطاء الماضي لا تحظى بأي بحث مفيد • وكل الاثر الذي يحدثه الماضي في العرب اليوم هو هذه النفحة العاطفية الخالية من أي مظهر من مظاهر الفكر الباحث •

لذا فانه من الضرورة بمكان ، في فترة التحول الراهنة ان يوجه العرب لماضيهم اهتماما مرتكزا الى اساس من الفكر العلمي المجرد ، بحيث يكون ذلك نقطة انطلاق صحيحة نحو البعث • فما الماضي في الواقع الا الطريق الى المستقبل •

ولما كان واجب كل امة ان تقوم بنشاط حضاري يكون بمثابة اسهام جماعي صميم في بناء حضارة الانسانية واثرائها ، فان على العرب ان يتناولوا الماضي من هذه الزاوية بل يجب ان يخرج الفرد العربي من عيش حاضره الخاص ، والمتمثل في شؤون الان الفردية ، لكي يرقى الى عيش حاضر الامة باسرها ، حيث يبلغ مرتبة الشعور بالتبعة الاجتماعية التي يؤمن معها بانه جزء من كل متعاضد متماسك ، فيأخذ في التجاوب مع معاني الاخلاص لمصلحة المجموع ، والتضحية في سبيل العلم او الفن ونحوه ، ومن ثم يستطيع ان ينتج انتاج امة لا انتاج افراد ، ويؤتي بذلك ثمرات ذات قيمة حضارية ، فلا يظل عالة على مجهودات غيره من البشر •

ان النتيجة الطبيعية لادراك الماضي والحاضر والمستقبل هي ان يتجسد للامة كيان موحد له شخصيته ومسؤولياته • وهذا الادراك او هذا الوعي الاجتماعي هو الاساس لتكون الشعور بالتبعة الاجتماعية الذي هو مصدر كل نهضة حقيقية •

محمد وهبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفلسفة والمدينة

بقلم الدكتور محسن مهدي

في فاتحة محاورة « فايدروس » يخاطب سقراط صديقه فايدروس بقوله : « اذا سرت على طول الطريق الى ميغارا ، واذا ما وصلت سورها ثم عدت القهقرى ، كما يقول هيروديكوس فلن اتركك » . بهذا القول يرمز افلاطون الى طريق الفيلسوف وعلاقته بالمدينة . ففايدروس كان طيلة الصباح داخل المدينة ، داخل اثينا ، في بيت ليسياس بن كفالوس السفسطائي ، الذي يعيش ويعلم داخل المدينة . وقد خرج الان من المدينة ليتمشى خارج سورها لان السير خارج السور ، كما قال صديقه وصديق سقراط اكومنس ، اكثر صحة . وفي داخل المدينة سمع فايدروس مقالة عن الحب من ليسياس ، وسقراط يريد سماعها منه ، وضمن حديثه هذا يخاطب فايدروس بقوله الذي ذكرناه .

والظاهر من قول افلاطون ان الفيلسوف يخالف السفسطائي في طريقته ، فالسفسطائي يجلس داخل المدينة ، محددا ببيوتها واسوارها ، اما الفيلسوف فيسير خارج سور المدينة ، متحررا من جدران بيوتها ومن سورها وافلاطون يحدد طريق الفيلسوف بقوله انه طريق طويل وان اتجاهه هو اولا الخروج من البيت والتحرر من جدرانه والخروج من المدينة والتحرر من سورها ، ثم السير الى سور المدينة ـ يصل الى السور ولكنه لا يدخل المدينة ـ والعودة من السور .

والقدماء بداوا بالنظر في الانسان ككائن مدني ، اي ككائن خاصته انه يعيش في المدينة ، وعيشه في المدينة اساس كيانه الانساني وسبب وجود جميع الاحوال التي تفرقه عن الكيان الحيواني ، فلولا المدينة لم توجد الحياة الاقتصادية ولم يوجد تقسيم العمل ، ولما وجدت الفنون والصناعات ، ولما وجدت العلوم ، ولما وجدت الفلسفة ذاتها . ولولا المدينة لم توجد الانسانية ، او ان الانسانية تؤدي حتما الى وجود المدينة والانسان ككائن مدني ، والانسان لا يوجد كفرد مستقل عن المدينة ، بل وجوده كانسان يحتم عليه وجوده كمواطن يقوم بواجباته ضمن المدينة ، اي يقوم بواجباته كمواطن ، ووجوده كمواطن فاضل هو الطريق الوحيد لوجوده كانسان فاضل .

ولكن هذا لا يعني انه لا فرق بين المواطن الفاضل والانسان الفاضل . لان القدماء عندما نظروا في المدينة وجدوا ان المدن عديدة ، وانها تختلف في سننها وسيرها وشرائعها ، وان بعضها اسوأ من البعض الاخر ، وان المواطن الصالح في مدينة صالحة قد لا يكون انسانا صالحا ، وان هناك درجات في صلاح الشرائع وكذلك في الفضائل التي تقررها هذه الشرائع .

وهذا ادى بهم الى ان يتساءلوا : هل يحصل الانسان على كماله الاخير في المدينة ؟ ولما وجدوا تعدد المدن واختلافها في درجات الكمال ، وان المدينة الفاضلة لاتوجد بالفعل ، تبين لهم ان المدن الموجودة بالفعل كلها ناقصة وان الانسان لا يبلغ كماله الاخير كمواطن في هذه المدن ، وتبين لهم ان المدينة مرحلة وسطى بين الوجود البهيمي والوجود الالاهي (البهائم والالهة لا تحتاج في وجودها الى المدن) . فالمدينة رفعت الانسان من وجوده البهيمي ولكنها عادة تمنعه من الحصول على كماله الاخير . وذلك لان المدينة تفرض على الانسان آراء وافعالا شرعتها ، وهذه الاراء والافعال غايتها عملية ، وفي هذا الاطار العملي يقضي الانسان حياته كمواطن يرى اراء مدينته ويفعل افعالها ، وهذا هو الذي رمز اليه افلاطون بالسور ، فلكل مدينة سور يحدد اراء مواطنيها وافعالهم .

ولما كانت الفلسفة عند القدماء هي الفحص عن كمال الانسان ، وهو فحص يبدا بالبحث عن هذا الكمال ، وغايته الحصول على هذا الكمال موجودا على قدر الامكان في الانسان وفي المدينة ، ولما كان هذا الكمال كمال النظر وكمال العمل ، ولما كانت اراء الانسان وافعاله مدنية ، بداوا بالنظر في هذه الاراء والافعال . ففحصوا عن المشهورات وعن اراء اهل مدينتهم عن الالهة والموجودات الالاهية والطبيعية والموجودات الطبيعية ، وعن افعال اهل مدينتهم وعن آرائهم التي يبنون عليها هذه الافعال : عن الخير وما هو الفعل الخير والانسان الخير ، وعن العدل وما هو الفعل العادل والانسان العادل ، وعن الشجاعة وما هو فعل الشجاع . ثم فحصوا عن طرق الفحص التي يتبعها اهل مدينتهم ويظنون انهم يصلون بها الى الحق مثل طريق الخطابة وطريق الشعر وطريق السفسطة والكلام .

ولما كانت الفلسفة هي البحث عن الحكمة ، ولما كان الطريق اليها هو طريق المحاورة والجدل ، وهذا يتطلب المحادثة مع المعارف والمبتدئين والاصدقاء ، ولما كان هؤلاء مدنيون واراء وافعال اكثرهم هي اراء وافعال مدينتهم ، ظهر ان طريق الفلسفة في البحث عن الحكمة هو طريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدني ، وان جنون الفيلسوف الناتج من محبة الحكمة يحتاج الى القصد والعدل كي يحصل الفيلسوف على اراء وافعال عادلة ولكي يعبر عن هذه الاراء والافعال باقوال عادلة لا تظلم الحق ولا تقود العامة الى افعال ظالمة ، ولما كان العدل اما انسانيا او الاهيا ، ولما كان الفحص عن العدل الالاهي طريقة البحث عن العدل الانساني ، ولما كان العدل الانساني عدلا مدنيا ، ولما كانت العدالة هي روح المدينة واساسها ، رأى القدماء من الالاهيين لكل هذا ايضا ان الفلسفة فعل مدني وان مبدأها وطريقها هي المدينة وقالوا ان طريق الطبيعيين هو طريق الجنون وان في بحثهم عن الامور الطبيعية واحتقارهم للامور الانسانية خطرا على الفلسفة والمدينة على السواء .

ثم نظروا في نظام المدينة فراوا انه يشمل عديدا من الاراء والافعال ، وبحثوا عن هذه الاراء والافعال فوجدوا انها اراء عن جميع الموجودات الالاهية والطبيعية كما ان الافعال هي افعال في جميع الاشياء الانسانية . وبالرغم من انهم وجدوا هذه الاراء اكثرها ظنون واعتقادات ووجدوا افعال اهل مدنهم ليست افعالا فاضلة الفضل على كماله تبين لهم ان هذه الاراء والافعال كاملة على وجه اخر : وهو انها كل كامل يحتوي على جميع الاشياء ، وان المدينة دائرة كاملة . ولما كان النظر في طبيعة الكل الطبيعي هو غاية الفلسفة ، ولما كانت المدينة تكون كلا صناعيا ، ولما كان هذا الكل الصناعي هو اقرب الينا من الكل الطبيعي — وهو العالم باكمله — راوا ان يبتدؤا من هذا الكل الصناعي القريب لانه خيال الكل الطبيعي البعيد ، وراوا ان طريق المبتدىء في الفلسفة يجب ان يبدأ بالنظر في هذا الكل الصناعي وادراك ما معنى الكل في الاول ثم النظر خلال هذا الكل المدني الى الكل الطبيعي . وذلك شبيه بالذي يريد معرفة شكل دائرة واسعة الكبر ولا يقدر بعد على المشي على محورها ، فنبدأ بخط دائرة صغيرة حوله ونجعله يمشي حولها ليرى ما معنى الدائرة ، ثم نوقفه في وسطها ونشير اليه ان ينظر في الافق ليرى محيط الدائرة الكبيرة .

ولما اعادوا النظر في هذا الكل المدني راوا انه يحوي نظاما يشبه نظام العالم : ففيه ما يشبه النظر والعمل ، وفيه الحاكم والمحكوم والخادم والمخدوم ، وفيه طبقات بعضها فوق بعض ، وفيه اعمال يكمل بعضها بعضا ، وفيه القوانين وفيه اجزاء لا تبلغ كمالها الا كاجزاء لهذا الكل . ولما وجدوا ان المدينة في نظامها تحاكي نظام الكون ، راوا ان مما يفيد الناظر في نظام الكون ان يبدأ بالنظر في نظام المدينة على شاكلة الطفل الذي يريد ان يركب حصانا فنعطيه حصانا من خشب لكي يتمرن عليه دون ان يحيطه الخطر الذي قد يأتيه من ركوب حصان طبيعي . والناظر في المدينة يرى مثلا كيف ان الخير العام لا يوجد في انسان بمفرده بل في جماعة مجتمعة وهكذا يسهل عليه ان يرى معنى كمال الكل الذي لا يوجد في الاجزاء وكيف ان الاجزاء لا تكمل الا كاجزاء في كل . وهذا هو الذي رمز اليه افلاطون بالطريق من المدينة الى خارج سورها .

وخروج الفيلسوف من سور المدينة يعني نظره في الكل الطبيعي والبحث عن الموجودات الالاهية والطبيعية كما هي وليس كما يراها اهل مدينته . ولما كانت اراء اهل المدن كلها ظنونا ومعتقدات قد تقرب من الحق وقد تضاده ، وكان الفيلسوف لا يقنع بالظنون والمعتقدات فقط ، ويبغي الحق سواء وافق اراء اهل مدينته او خالفها ، قام الخلاف بين اهل المدن ومحبي الحكمة الالاهية . وذلك لان المدن تخاف الذي يسير خارج سورها ويتحرر من ربقتها ولا يرى آراءها ويغري ابناءها بالخروج من المدينة .

ولكن افلاطون لم يحدد عمل الفيلسوف بالخروج من المدينة (وان كانت الفلسفة غير ممكنة دون هذا السير عبر سور المدينة) ، ولكنه لما فحص عن الخير المحض وجد انه كالشمس يشع على جميع الموجودات ويبعث الخير فيها ، ولما كان على الفيلسوف ان يتشبه باعلى الموجودات عملا ، راى ان على الفيلسوف ان يرجع الى المدينة التي رمز لها بالكهف ويبعث الحق والخير فيها على قدر الامكان : وذلك بان يؤدب الطاغية ان وجد طاغية قادر على التأدب وتعلم الفلسفة ، او يزيل الظلم والمرض عن المدينة على قدر الامكان كما يفعل القاضي والطبيب ، بان يصلح شرائعها ، او يحسن سيرتها .

ولكنه لما نظر مصير من يفعل ذلك — وما فعله الاثينيون في قتل سقراط الصالح — راى ان بين المدينة والفلسفة صراعا دائما ، وان الفلسفة في المدينة على خطر عظيم . وذلك لان معلمه وصديقه سقراط كان ابا الفلسفة المدنية ، فهو على المشهور اول من حول نظره من الاشياء الطبيعية الى الامور الانسانية ، ولم يقبل بطريق النظر والفحص الذي تبعه الطبيعيون واحتقارهم للامور الانسانية التي قالوا انها كلها عادات وتقاليد مصطنعة ليس لها اساس طبيعي . اما سقراط فتبع طريق فيثاغورس واحترم الامور الانسانية والشرائع والاراء والافعال المدنية ، ولم يقل انها كلها مصطنعة بل قال ان لها او لبعضها اساسا طبيعيا والاهيا ، وقال ان الامور الانسانية جزء من الكل وان الكل لا يعرف تمام المعرفة دون معرفة هذا الجزء ، وان لهذا الجزء مكانا خاصا في الكل الطبيعي كما ذكرناه لانه يشبه هذا الكل من وجوه عدة .

ولكن الاثينيين قتلوا سقراط وقالوا انه لم يرض عن آلهتهم وآلهة مدينتهم . وظاهر لمن ينظر في اراء سقراط وافعاله انه كان الاهيا لم يخرق سنن مدينته وشريعتها بل فضل الموت مسموما على ذلك .

وافلاطون لما راى ان الطبيعيين المحتقرين للمدن وشرائعها يعيشون في مأمن من المدينة ، وراى ان الالاهيين والفضلاء من الفلاسفة تقتلهم المدينة ، ولما كان يرى ان نظر الالاهيين في طبائع الاشياء هو النظر الصواب ، وان هذا النظر يجب ان يصان من نقمة الطغاة والدهماء ، تبين له ان على الفلسفة ان تبتكر طريقا تصون به ذاتها وحب الحكمة في المدن . ووجد ان هذا الطريق هو طريق الاقناع والخطابة ، وان على الفيلسوف ان يحصل على مقدرة اقناع الجمهور والمتكلمين . وهذا يعني ان على الفيلسوف ان يجمع بين طريق سقراط وطريق الخطيب . وطريق الخطابة هذا اصبح من آلات الحكمة . وذلك لانه لما كان واجب الحكيم ان يرجع الى الكهف ويصلح احوال مدينته ، وجب عليه ايضا ان يتعلم الفن الذي به يخاطب الجمهور وغير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفلاسفة من عامة الناس .

والقدماء من فلاسفة اليونان لما نظروا في الاجتماع الانساني وجدوا ان غايته المدينة ، وان المدينة هي صورة الاجتماع الانساني ، وانها اعلى مراتب الاجتماع الانساني ، وانها الكل الذي يشتمل على اجزاء الاجتماع الانساني كمؤسسات المعاش والحياة الاقتصادية ومؤسسات العلم والفن ونواحي الحضارة الاخرى ومؤسسات الدين والطقوس الالاهية والشريعة ، وان ليس واحد من هذه او بعضها اعلى رتبة من المدينة .

والفلسفة عندهم بدأت من المدينة والاراء المدنية والصناعات المدنية والافعال المدنية ، ثم تحررت من سور المدينة ونظرت في كمال الانسان فرات ضرورة تركيب مدينة فاضلة بالقول يتحقق فيها كمال الانسان وينظر اليها الذي يريد اصلاح المدن . ثم نظروا في كيف يمكن تحقيق هذه المدينة بالفعل ، فوجدوا ان على الفلسفة ان توجد آراء وافعالا ادنى رتبة من آراء وافعال اهل المدينة الفاضلة يقدر على تصديقها والقيام بها اهل المدن اذا ارادوا اصلاح مدنهم . فالفلسفة عندهم كانت اسمى رتبة من المدينة ، والفلسفة هي التي تعطي اراء المدينة الفاضلة وافعالها ، وهي التي تعطي الاراء والافعال التي يجب على اهل المدن اتباعها ان ارادوا اصلاح انفسهم .

وفلسفة القدماء هذه هي التي ورثها المسلمون . وبدأ العلم المدني عند المسلمين كما بدأ عند اليونان بالنظر في المدينة كما هي في الواقع وفي آرائها وافعالها . ولكن فلاسفة الاسلام لم يجدوا امامهم مدينة بالمعنى اليوناني (polis) ، فهذا الكيان السياسي انقرض او كاد في العصر الهليني وقامت مقامه الدول العظيمة التي تسيطر على مدن عدة ومساحات شاسعة من الاراضي . وفلاسفة الاسلام لما نظروا في الكيان السياسي الاسلامي وجدوا انه مكون ليس من مدينة بمعنى المصر او الحاضرة وانما من ملة كبرى تمتد على قسم كبير من الارض ، فدار الاسلام كانت داراً واسعة . ولكنهم لما فحصوا عن طبيعة هذه الملة وهذه الدار وجدوا انها – وان اختلفت في سعتها عن المدينة اليونانية – لم تختلف عنها في جوهرها ، ولذلك احتفظوا باسم المدينة واصبحت المدينة عندهم كناية عن الملة والملة اسما آخر للمدينة بمعنى الكيان السياسي .

وذلك لانهم وجدوا ان الملة الاسلامية ، كالمدينة اليونانية ، تتكون من آراء وافعال تقررها شريعة جامعة تقرر آراء اهل الملة وتقرر افعالهم : ايها واجب وايها مستحب وهكذا . ووجدوا ان هذه الشريعة ذات مصدر الاهي شرعت خلال انسان الاهي وغايتها مصلحة الفرد كجزء من الملة اي المصالح العامة ومصالح الكافة في الدنيا والاخرة ، وان هذه مصالح لا تركز على مصالح الدنيا في الوقت الحاضر وانما تقرر خير الانسان المستقبل وعلاقة الانسان بالله . فالخير الذي تقرره ليس خيرا انسانيا محضا وانما هو خير انساني – الاهي ، والعدل الذي تقرره ليس عدلا انسانيا محضا وانما هو عدل انساني – الاهي ، وغايتها ليس خير الجسد فقط بل خير الجسد والروح ، والفضائل التي على المؤمن ان يحصل عليها ليست الفضائل الانسانية فقط بل الفضائل الانسانية والالاهية معا .

ثم وجدوا ان الفضائل الانسانية والفضائل الالاهية وخير الجسد وخير الروح ومصالح الدنيا ومصالح الاخرة ، وان اختلفت ، لا تضاد بينها ولا توجد الواحدة مستقلة عن واخرى تقرر اراء الانسان وافعاله الاخروية المتسامية ، بل وافعالهم على ان الدنيا مطية الاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول . ولذلك لم يجدوا في الملة الاسلامية مدينتين احداهما تقرر آراء الانسان وافعاله الدنيوية الطبيعية واخرى تقرر اراء الانسان وافعاله الاخروية المتسامية ، بل وجدوا ملة واحدة ومدينة واحدة تقرر خير الانسان ومصلحته في الدنيا والاخرة معا وترتب مصالح الانسان في الدارين معا .

وفيلسوف الاسلام الاول ، ابو نصر الفارابي ، لما نظر في الفلسفات التي اتت الينا من اليونانيين وفرق بينها ، وجد ان الفلسفة الحقة الصالحة هي فلسفة الالاهيين وهي فلسفة افلاطون وارسطوطاليس . وقرر ان هذه فلسفة واحدة على اختلاف افلاطون الالاهي عن ارسطوطاليس في طريق النظر في الامور الانسانية والطبيعية والالاهية . وبين ما هو هذا الاختلاف (وكيف ان فلسفة ارسطوطاليس لا تختلف عن فلسفة معلمه افلاطون في جوهرها) بعد ما بحث اجزاء الفلسفتين ومراتب اجزائهما في كتاب له سماه « فلسفة افلاطون وارسطوطاليس » . والفارابي بين في هذا الكتاب كيف ان افلاطون ركز نظره في الامور الانسانية المدنية وبحث الامور الالاهية والطبيعية في اطار انساني مدني ، وكيف ان ارسطوطاليس – وان بحث في امور المنطق والامور الطبيعية بحثا مستقصى – لم يبلغ الكمال الذي بلغه افلاطون في بحث الامور الانسانية المدنية وفي بحث الامور الالاهية .

ثم لما استقصى البحث في سبب هذا الاختلاف ، تبين له ان الحكيم الالاهي افلاطون وجد ان التفريق بين الفلسفة العملية والفلسفة النظرية لا جدوى منه على تعليم المبتدئين ، وان طريق الفلسفة هو البحث عن الكل العملي – النظري ، وان هذا الطريق طويل لا نهاية له ما دمنا بشرا ولم نبلغ درجة الالوهية ، وان الحكمة النظرية لا تبلغ الكمال الا بكمال الحكمة العملية . وهذا يعني ان الفيلسوف لا يبلغ كمال الحكمة بالنظر في الامور الالاهية فقط ، بل عليه ان يرجع الى الكهف ويزاول الامور الانسانية اما كرئيس للمدينة واما كمصلح لامورها على قدر الامكان . ووجد ان ارسطوطاليس ، وان لم يخالف معلمه افلاطون في هذه الامور ، لم يبحثها كمعلمه بحثا مستقصى .

ثم ان الفارابي لما نظر في ملة الاسلام وجد ان افلاطون الالاهي ، وليس ارسطوطاليس ، هو الذي بين ما معنى الاراء الالاهية ، وذلك في كتابه طيماوس . وبين ما معنى الشريعة الالاهية والمشرع الالاهي وكيف ان الشريعة الالاهية تفضل الشريعة الانسانية والمشرع الالاهي يفضل المشرع الانساني ، وكيف ان السنة الالاهية اقرب الى سنة المدينة الكاملة من السنن الانسانية ، وكيف ان على محب الحكمة ان يصلح شريعة مدينته لكي تصبح اكثر الاهية ، وكيف ان الفلسفة والمدينة الالاهية يجب ان تعيش في صحبة والفة ، وكيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان المتكلمين المرضاء يحاولون تجريم الفلسفة وتضليل العامة ، وكيف ان على الفيلسوف الحق ان يحافظ على الفلسفة والملة باستعمال طريق سقراط مع الخاصة في كتب البرهان ، والخطابة مع العامة ، والجدل مع المتكلمين .

ولكن الفارابي تعلم من افلاطون احسن ما تعلم كيف ان الفلسفة يجب ان تبقى خارج سور الملة ، وكيف ان على الفيلسوف ان يحصل على معرفة الملة الفاضلة ومراتب الملل الموجودة بالفعل بان يفحص عن النبوة والشريعة واراء الملة وافعالها . وهذا ادى الى شيء من الشك وسوء الفهم في ملة الاسلام ، لان بعض المتكلمين ظنوا ان الفلسفة عدوة للملة وان الفلاسفة لا يحترمون اراء الملة وشريعتها . وهذا غلط شائع بينه الامام ابن رشد « فصل المقال » واظهر فساده وخطره على الملة والفلسفة .

وذلك لان كل مدينة وملة ، بسبب سوء معرفتها لطبيعة الفلسفة وغاياتها ، تظن ان الفلسفة صناعة كالصنائع الاخر الموجودة في مدينة او ملة ما ، وانها جزء من تلك المدينة او الملة ، وانها يجب ان تخدم اراء الملة وافعالها وتبرهن على صحتها وعلى انها احسن الاراء والافعال او انها هي افضل الملل والملة الفاضلة على الاطلاق . والفلسفة لما كانت هي الفحص عن جميع الموجودات الالاهية والطبيعية والامور الانسانية ، والبحث عن الحق في طبيعة هذه الموجودات وهذه الامور سواء وافق هذا الحق اراء ملة ما وافعالها او خالفها ، وجب عليها ان تتحرر من جدران دار الملة وسورها والسير خلال ظنون اهل ملتها الى طلب المعرفة الحقة . ولكن اهل الملة ، او المتكلمين الذين يظنون انهم يدافعون عن عقائدها ، يخافون من الفلاسفة ويعتقدون انهم على ضلال في طلبهم للحق بالعقل والنظر في طبائع الاشياء على وجه يظنون انه غير الوجه الشرعي ، وهذا راي غير صائب لان الشرع ذاته يوجب نصا النظر في طبائع الاشياء وطلب الحق بالنظر العقلي .

ولكن الجهلاء والسفسطائيين والمتكلمين من اهل ملتنا ومن اهل ملة اليهود ومن اهل ملة النصارى ، الذين جهلوا طبيعة الشرائع ومعنى الفلسفة ، حاولوا استعمال الفلسفة والنظر العقلي في دفاعهم عن عقائد مللهم ، ثم ظنوا ان هذه هي غاية الفلسفة وسبب وجودها في الملل ، واتهموا الفلاسفة بالكفر والضلال . ومقابل هذه الصناعة الجدلية السفسطائية قام فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن رشد وصححوا عقائد الملة وبينوا فساد اراء المتكلمين ، كما فعل ابن رشد في « تهافت التهافت » . وبسبب هذا الهجوم الضال المضلل على الفلسفة من قبل المتكلمين كانت وما زالت الفلسفة في ملتنا على خطر عظيم كما كانت في اثينا على عهد سقراط . وظاهر ان فلاسفة ملتنا لو ارادوا النجاة من الخطر والحصول على الشرف والاموال لفعلوا ما فعل المتكلمون . ولكنهم راوا ان ذلك يعني نهاية الفلسفة الحقة ونهاية البحث عن الحق ، فصمدوا في وجه المتكلمين والجهلاء وبينوا ضلالهم وجهلهم وحاولوا المحافظة على الفلسفة الحقة على ما كان في ذلك من الخطر على حياتهم ومن ربقة المتكلمين وثورة الدهماء عليهم وظلم الحاكمين لهم وفي صراعهم هذا نجحوا في المحافظة على الفلسفة الحقة في ملة الاسلام قرونا عديدة . ولما انتشر الجهل في الملة ولم تقدر على تحمل الفلسفة فضلوا ان يبقوا فلاسفة اخيارا ويتحملوا ظلم الظالمين من ان يضحوا بالفلسفة ويصبحوا متكلمين . وان كان هذا ادى الى انقراض الفلسفة من اغلب ديار الاسلام ، فالاصلح ان تنقرض الفلسفة في زمان ومكان ما وتنتظر من يحييها في مكان وزمان اخر من ان تحول الى طريق الجدل والسفسطة لتخدم ملة ما خوفا من اهل تلك الملة .

وهكذا بقيت الفلسفة الحقة والمدن والملل الموجودة بالفعل في صراع دائم . فالمدينة او الملة تحاول ان تجعل من الفلسفة آلة مدنية تخدم بها اغراض المدينة وتدافع عن آرائها وافعالها سواء كانت هذه الاراء والافعال حقة او باطلة ، والفلسفة تحاول ان تتحرر من سور المدينة وتبحث عن الحق وتصلح امور المدن والملل بان تقودها في طريق الحق . وهذا هو الذي بينه افلاطون احسن بيان في محاوراته ووسائله ، وتبعه في ذلك الفارابي . وفي هذا الصراع فائدة للملة والفلسفة معا . وذلك لان الملة تتعلم من الفلسفة انها لم تبلغ بعد الكمال وانها ليست الغرض الاقصى من وجود الانسان وان كمال الانسان لا يتحقق فيها الا اذا سارت في طريق الحق الذي تفحص عنه الفلسفة وقربت من المدينة الفاضلة التي بينتها الفلسفة ، والفلسفة ترى انها ليست صناعة مدنية لا غير وترى الخطر الذي يحيط بها اذا تحولت الى صناعة مدنية تدافع عن عقائد المدينة او الملة لا غير . والفلسفة لا تقدر على نفع الملة الا اذا بقيت خارج سورها وتبعت طريق الحق . فالفلسفة الحقة هي التي تبقى في صراع دائم مع الملل الموجودة بالفعل .

اما عند اكثر المحدثين من فلاسفة الغرب فعلاقة الفلسفة بالملة لم تعد هذه العلاقة الصحيحة . وذلك لانهم لم يتبعوا طريق الالاهيين من فلاسفة اليونان بل تبعوا طريق الطبيعيين . ولما نظروا في الامور الانسانية لم يروا فائدة من معرفة المدينة الفاضلة والخير والعدل الالاهيين ، بل حددوا بحثهم في المدن والملل الموجودة بالفعل ، وهذا ادى الى نشوء علوم اجتماعية انكرت فائدة الفلسفة وطريقها ، وفائدة النظر في طبائع الاشياء الانسانية واسبابها ، وركزت البحث على ما هو موجود في ملة ما وفي زمان ما ومكان ما . وهذا أدى الى نكران امكان التحرر من اراء الملة وعقائدها ، اي ان كل علم ومعرفة انسانية لا بد ان تعيش داخل مدينة او ملة ما وتستعمل اراءها وظنونها مبادىء للبحث العلمي . فسارت هذه العلوم داخل اسوار المدن وهي مصفدة بجدران بيوتها ومحاطة بسورها ومدافعة عن ارائها . وبقاؤها ، في اساسها الفلسفي ، داخل الجدران والاسوار ادى الى مرضها

وهذه العلاقة الخاطئة بين الفلسفة والمدينة اوجدها الذين ثاروا على القدماء في القرن السابع عشر وطبعوا الفلسفة بطابع المدينة ، اي جعلوا منها آلة تخدم المدينة ، وغايات الانسان المدنية ، واغراض الانسان الدنيوية عامة ، وتسخير الانسان للطبيعة لاغراضه المدنية خاصة . والقدماء لم يعارضوا في هذا لان فيه مسخا للفلسفة فقط ، بل لانه خطر عظيم على المدن قد يؤدي الى هلاكها .

بغداد — محسن مهدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحية ابها الربيع

مهداة الى شعراء لبنان

أنجديني من الهوى بشفيعِ ... راح يوم اللقا وفاضت دموعي

يصبر القلب للمعاد ولكن ... ما الذي يرتجى لغير رجوعِ

يسكر العطر فالازاهير نشوى ... وأراها ترنحت في الزروع

زار طيف الحبيب احلام عمر ... واثنى مثله بلا توديع

عند برد الضفاف جال خيالي ... يتراءى وغاب في الينبوع

غاب في الماء نرجسي ، وضفافي ... أطلعته في لهفتي وولوعي

نبتة نحن للحياة صبونا ... ونشقنا النسيم فيض ضلوع

ما رعانا الوجود مثل الاحبَّا ... ورعانا الوجود مثل القطيع

لا تعيد السنون ذاتي فروحي ... بلسم ما يزال ملء جذوعي

يسأم الحب تحت اسوار قلب ... ويفك الحصار فك خضوع

انا سبحت للاله على الخضراء ... وازددت لهفة للبديع

وأفاقت في الدوح جوقة تغريد ... تحيي الصباح عند الطلوع

وترامت شمس الضحى للندايا ... تتمنى هبوب كل ضجيع

ترقص الروح كالفراش وتطفو ... بجناح على مهب الربوع

هتف الروض انه موسم الخلد ... ونفح الهوى وعهد الربيع

هو كالخاطر الحنون وديع ... مر في العرق وانتهى في الفروع

خاطر للرياض كان رفيعا ... ألهم الزهر بالكلام الرفيع

دمشق — زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة الطبعة الانجليزية بقلم تانكوك

جيرمينال

مترجمة عن الانجليزية بقلم سليمان موسى

كتب اندريه جيد في مذكراته بتاريخ ١٠ آب ١٩٣٢ يقول « انني اطالع جيرمينال(١) للمرة الثالثة (او الرابعة) وهي تبدو لي اكثر روعة وجمالا مما كانت عليه قبلا » . ولقد اختار اندريه جيد هذه الرواية من بين احسن عشر روايات في اللغة الفرنسية .

ولا بد ان نذكر من جهة اخرى ، ان ملاحظات كثيرة ظهرت عن هذه الرواية (وعن روايات كثيرة اخرى من تاليف زولا) فقيل انها فجة تخلو من العقدة ، مبسطة اكثر من اللازم وبانها بدائية وبعيدة عن الواقع في معالجتها النفسانية ... بل وصفت باوصاف كثيرة اخرى لا تسر . ويقال لنا ان الصورة التي ترسمها الرواية هي بهيمية ومهينة لكرامة الآدميين ، وان عباراتها فظة فاحشة واسلوبها تكراري وتاكيدي . بل ان اولئك المغرمين بالتحليلات النفسانية لم يعجزوا عن العثور بين مادتها الجنسية العنيفة على اصول ترجع الى احوال زولا النفسانية والجسمانية .

ومن المؤسف ان يعمد كثير من النقاد المحترفين الى استنفاد لوذعيتهم في ايضاح الكيفية التي كان يحسن بالفنان انتهاجها كي ينتج عملا اكثر روعة ، وكيف كان بمقدوره ان يتصرف في فنه الادبي على صورة لم يقصدها اصلا . ويبدو ان النقاد من هذا الطراز ينسون ان وظيفة الناقد ليست في ابداء الاقتراحات فيما كان يمكن ان يحدث ، بل هي في المحاولة المدعومة بالصبر وبعد النظر لاكتشاف مقاصد الفنان ، ثم لتقدير مبلغ ما احرز من نجاح في تحقيق قصده . وان توجيه الاتهامات لرواية جيرمينال بانها فظة العبارات فاحشة الموضوع — لهو عمل في غير موضعه المناسب ، كان نلوم مثلا مؤلف رواية «اليس في ارض الاحلام» (٢) لانه تجنب حقائق الحياة القاسية في انجلترا الصناعية خلال القرن التاسع عشر .

ومن حسن الحظ ان مذكرات زولا لم تدع مجالا للشك في حقيقة مقاصده ، اذ قال :

« لاجل الحصول على التاثير اللازم ، يجب ان ارسم الفروق بين جانبي الموضوع بوضوح تام ، بل يجب ان امضي في تحقيق ذلك الى اقصى طاقة ممكنة . وعلى هذا يجب ان ابدا بسرد الويلات والمصائب التي ترهق كواهل عمال المنجم ، ذاكرا الحقائق لا المعاذير العاطفية . يجب ان يظهر العامل مهينا ، جائعا ، ضحية الجهل ، يقاسي مع اطفاله في جهنم دنيوية — ولكن لا يجب ان يبدو مضطهدا ، لان المسؤولين لا ينتقمون منه لغاية الانتقام بالذات — انه بكل بساطة يرزح مغلوبا على امره بسبب النظم الاجتماعية السائدة .. وخلافا لهذا فيجب ان ارسم المسؤولين كجماعة عطوفين ما دامت مصالحهم المباشرة سليمة غير مهددة . ان العامل هو ضحية الحقائق الراهنة — : رأس المال ، المنافسة، الازمات الصناعية ... »

ولا يمكن ان يوجد ايضاح افضل من هذا : التاثيرات العريضة ، ابراز المشكلة الاجتماعية بكل ما فيها من فجاجة . ثم محاولة الحياد القائم على نظرية ان الذنب ليس ذنب احد الطرفين لهذا الوضع اليائس الذي ينبع من صميم الطبع البشري ، وما يتبعه من مأساة الحياة ذاتها . لان جيرمينال فصل من قصة النزاع المفجع بين رأس المال والعمل ، بل هي مأساة باضيق ما في هذا التعبير من معنى . فالدراما تلعب دورها في اطار مغلق لا سبيل للفرار منه فتستعيد بذلك جميع ابطالها تدريجيا . والواقع ان المسؤولية لاتقع على احد بعينه . لان النظام القائم يطغي على اصحاب الاعمال كما يطغي على العمال . ولكن اذا نحن وضعنا جيرمينال في موضعها الطبيعي استطعنا ان نفهم مقاصد المؤلف بصورة افضل .

لقد ظهرت الطبعة الاولى لجيرمينال عام ١٨٨٥، وكانت هي الرواية الثالثة عشر من سلسلة روايات كبرى عددها عشرين . خصص اميل زولا خمسة وعشرين عاما من حياته لانجازها . ولقد بدا يؤلف رواية « حياة روجون » قبل اعلان الحرب الفرنسية البروسية في ١٨٧٠ ، ثم فرغ من تاليف « الدكتور باسكال » في ١٨٩٣ . اما عنوان السلسلة الكامل فهو : روجون — ماكارت . التاريخ الطبيعي والاجتماعي لهذه العائلة في ظلال الامبراطورية الثانية (امبراطورية نابليون الثالث) ومن هذا العنوان نستطيع ان نفهم غرض زولا المزدوج : ان يدرس تاثير الوراثة والمحيط على افراد عائلة من العائلات . واذ كان زولا متحمسا للنظريات العلمية السائدة في عصره ، فانه خالف نهج الادباء السابقين وجعل رواياته تدور حول محور التصميم النفساني ، بدلا من محور الاقدار الالهية او البشرية الذي كانت تدور عليه الاداب القديمة . ومن الان وصاعدا اخذ يخضع مصير الانسان لما يرث من دماء وجهاز عصبي . ويحتمل ان تجري تعديلات على ذلك المحيط بسبب المحيط — مركزه الاجتماعي وعمله اليومي — ولكن لا يمكن ان ينجو من مصيره المحتوم في النهاية . وكان زولا يعلن ان الروائي في العصر الحديث يجب ان يكون علميا كأي انسان اخر ، وذلك بان يلاحظ تقلبات الاحوال بنظرة تجريبية . فالعالم في مختبره يسكب المواد المختلفة في اوعية مناسبة (وهو المحيط) وبعد ذلك لا يلعب دورا شخصيا بل يتراجع ويكتفي بملاحظة التقلبات التي تحدث .. وعلى هذا فان الروائي المثقف ثقافة علمية يتصرف بالطريقة ذاتها ، فهو يأتي بتشكيلات من النماذج البشرية ، فيعرف بتكوينها الوراثي ، ثم يضم تلك التشكيلات في اطار (محيط) مناسب . ثم يسجل ملاحظاته بحياد تام حول ما يجب ان يحدث لاولئك الاشخاص كما تشترط القواعد العلمية . وينتج عن نظرية « الرواية التجريبية » هذه — كما يدعوها زولا — ان الروائي — وهو الملاحظ العلمي للمجتمع الراهن — (لان الرواية التاريخية لا تعد علمية بسبب انها عمل تصويري خيالي) لا يمكن ان يعد مسؤولا من ناحية

(١) هي المقدمة التي كتبها تانكوك لرواية جيرمينال ونشرت ترجمته لها من الفرنسية الى الانجليزية . ولقد ترجمت هذه الرواية لحساب دار النشر والتوزيع بعمان ، وينتظر ان تصدر طبعتها الاولى قريبا . وقد اختارها للترجمة عبد الرحمن الكردي .

(٢) من اشهر القصص الانجليزية . تاليف لويس كارول .

اخلاقية عما يحدث في روايته ، كما لا يمكن ان يعدالكيمائي مسؤولا عما يحدث للمواد التي سكبها في انبوب التجارب. وبالاضافة الى هذا ، فاذا كانت مهمته ان « يلاحظ »كائنات مريضة او فاسدة في مجتمع متعفن ، فواجبه يقتضيه ان يسجل كل ما يلاحظ بامانة ، ولا يمكن في هذه الحال ان يتهم بفساد الذوق ، او بالفشحاء والقذارة اكثر مما يمكن ان نتهم طبيبا عندما يعري جسد انسان ما كي يتفحص بثوره ويشخص علته .

وشرع اميل زولا عام ١٨٦٨ ــ وقد حدد اهدافه ووسائله كما تقدم ــ يزود نفسه بالمعلومات اللازمة ، فاخذ يطالع جميع الكتب الطبية والعلمية التي استطاع العثور عليها ، ثم اخذ يسجل ملاحظاته عن الاحوال المعيشية المختلفة ، اذ يمكن تفحص شؤون المهن الرئيسية والطبقات بين الجماعات من سياسية او دينية او فنية او غيرها ــ اذا جعلنا اعضاء عائلة كبيرة مختلفة الوشائج يبحثون عن وسائل العيش بطرق مختلفة ، فيحقق بعضهم مركزامرموقا في المجتمع بينما يفشل البعض الاخر . ولم يكن هذا المشروع العظيم مقصورا على تتبع التطورات الوراثية . بل انه تعدى ذلك الى اعطاء صورة علمية كاملة بالاسانيد عن المستويات المختلفة للمجتمع في فرنسا خلال الامبراطورية الثانية . فلنتعرف الان على اعضاء هذه العائلة الذين لهم علاقة بالمؤثرات الوراثية والمحيطية التي فعلت فعلها ببطل رواية جيرمينال الملاعو اتيان لانتير .

ان الام الكبرى لهذه العائلة كلهاهي اديلادفوك المعروفة بالعمة دايد . وقد ولدت في القرن الثامن عشر وهي الجدة الكبرى لاتيان . وكانت اديلاد مخلوقة عاطفية هستيرية ، ادت بها طباعها الضعيفة المتحللة في اخر الامر الى النزول في المارستان، حيث قضت ما تبقى لها من اعوام ثم ماتت بعد ان بلغت المئة ، وبعد ان شهدت بعينيها انفعالات وحماقات انسالها الكثيرين . وعاشت اديلاد في بروفنس حيث قضى زولا اعوام طفولته وصباه . وتزوجت روجون وهو مزارع غليظ محب للعمل ، ولكن سرعان ما فقدته بعد مولد ابنهما بيير روجون . ولم تلبث بعد ذلكان منحت نفسها لرجل يدعى ماكارت وهو مهرب سكير فظ الطباع ، ورزقت من هذه العلاقة الغير الشرعية طفلا اسمه انطوان وطفلة اسمها ارسولا . ومن هنا بدا فرعا العائلة : الفرع الشرعي وهو روجون ، والفرع اللقيط وهو ماكارت . وكان جميع افراد العائلة يشتركون في صفة واحدة وهي القابلية العنيفة والشهية الجامحة للتملك والاستمتاع الى اقصى الحدود بما في هذا العالم من متع . ولكن بينما كان ابناء روجون اذكياء يتدفقون بالحيوية ويلاقون النجاح في الحياة بالطرق الشريفة في اغلب الاحيان ــ كان ابناء ماكارت : سكيرين يحبون العنف ، متطرفين ، مجرمين ، معتوهين واحيانا فنانين وعباقرة . وتضطرب قصة العائلة اضطرابا جديدا عندما يتلاقى الفرعان مرة اخرى بالزواج ، وينشأ من هذه الزيجة ثلاثة اطفال .

اما انطوان ما كارت ، الذي ولد من علاقة اديلاد بالمهرب عام ١٧٨٩ ، فقد انتظم اولا في سلك الجندية ثم احترف الاحتيال والخداع ، وعاش حتى بلغ من العمرعتيا في نواحي بلاسان دون ان يؤدي عملا او يبذل مجهودا ، لانه كان يعرف جميع التفاصيل المتعلقة بنجاح اخيه من امه بيير روجون . ذلك النجاح الذي رفعه الى مركز اجتماعي مرموق وجعله ذا ثروة طائلة ونفوذ كبير . وكان هو وزوجته مدمنين على الشراب ادمانا مزمنا . وكانت ابنتهما الثانية جرفاس المولودةعام ١٨٢٨، اشد الافرادفي مجموعة الروايات كلها اثارة للعواطف ، وقد ورثت ضعف والديهما وادمانهما للخمور . وفي الرابعة عشرة من عمرها انجبت طفلا اسمه كلود من علاقتها بشاب مليح يدعى لانتير . ثم انجبت طفلين اخرين جاكيز واتيان (المولود عام ١٨٤٦) . وعندما توفيت والدة لانتير في ١٨٥١ قام هذا باصطحاب جرفاس وولديها كلود واتيان الى باريس . ولكن بعد ان انفق الثروة التي ورثها عن امه، سارع الى هجرانها واولادها وانصرف الى معاشرة امراة اخرى . واحترفت جرفاس مهنة الغسيل . وكان من المحتمل ان تنجح في مهنتها هذه لو لم تتزوج عاملا يدعى كوبو انهمك في تعاطي الخمور بينما كان في دور النقاهة من حادث اصيب فيه . ولم تستطع مقاومة هذا الاغراء بسبب ضعفها الموروث فاغرقت بدورها في تعاطي الخمور وماتت تاعسة بائسة (رواية زولا : المصيدة ــ L'Assommoir وصار كلود ، اخو اتيان ، فنانا عبقريا ثم انتحر في نوبة من نوبات القنوط . ومن المحتمل ان يكون زولا قد صور شخصية كلود على مثال صديق طفولته سيزان (العمل L'Œuvre) . اما الاخ الثالث جاكيز ، الذي بقي في بلاسان ، فقد صار سائق قاطرة ومعتوها سفاكا (الوحش الآدمي La Bête humaine) بينما كانت اختهم (من ابيهم) آنا كوبو ، المدعوة نانا ،والتي نشات في باريس في محيط مضطرب بين الفواحش والشراب ــ قد انصرفت في اول فرصة اتيحت لها ، الى مغادرة منزل ابويها واتخاذ البغاء مهنة لها (نانا Nana). اما بطل هذه الرواية اتيان ، فانه عالم بقوى الوراثة الفظيعة، وهو يحاول دائما ان يتحكم في ارادته ، ويتغلب على رغبته في سفك الدماء .وهو اقل افراد عائلته شذوذا .

هذه خلاصة التاريخ « الطبيعي » لعائلة اتيان لانتير . وهذا التاريخ ليس على قدر عظيم من الاهمية ، اذ لن تفقد جيرمينال قيمتها حتى لو لم يسمع القارىء باسم روجون او ماكارت ، لان اتيان لا يزيد عن كونه صورة ادبية ، ووجهة نظر فريدة . نحن نعلم ان غرض زولا هو دراسة الموضوع كله ، ليس موضوع مناجم الفحم في شمالي فرنسا فحسب ، ولكن موضوع الطبقة العاملة ، والصراع بين راس المال والعمل ، وقيمة الحلول والعلاجات المختلفة التي تعرضها المنظمات العمالية والاحزاب السياسية ، ولذا اقتضت الضرورة عليه ان يخلق شاهد عيان من طبقة العمال بالذات كي يعرض حياة عمال المناجم الداخلية على حقيقتها . ولكن لكي يتيح لهذا الشاهد ان يرى بمنظار جديد حتى يستطيع تقدير الشقاء والظلم بشيء من الاستقلال وبشعور المقارنة والتفضيل ، فانه يجب ان يدخل على هذه الحياة دخولا جديدا وان يملك من الذكاء والثقافة ما يكفيه للاشفاق على زملائه الجهلة ، والفصل في منازعاتهم ثم قيادتهم في النهاية . ومن هنا ينشأ البناء البديع لهذا الكتاب . ان اتيان يصل الى مونتزو مفلسا لا يعرف اي شيء عن اعمال المناجم . ويحصل على عمل بسيط ويبدأ بتعلم هذه المهنة من اول درجات السلم . وينفق زولا احد عشر فصلا ــ ما يعادل ثلث الكتاب ــ في الحديث عن اليوم

الاول الذي يقضيه اتيان في مجتمع عمال المناجم ، وينجح في تعريف القارىء تعريفا جيدا بفتحات المناجم ، واحوال العمل ، والمحيط المعاشي الذي يضطرب فيه عمال المناجم وافراد عائلاتهم ، والعادات الاجتماعية لهذه المنطقة . بينما يستمر خلال ذلك في ادخال عناصر جديدة تمثل النواحي المختلفة لحياةعامل المنجم ، وفي التحدثعن جميع المؤثرات التي تفعل فعلها في حياته .

وليست الصورة جميلة اطلاقا ، فلا يقف الامر عند استغلال جهد العمال وقلة اجورهم ، مما يجعل امراضهم العادية الموضعية تزداد وبالا بسبب سوء التغذية ، ويجعل حياة الزوجات والامهات شقية بالخوف من الديون — بل يشمل ذلك احوال السكن الرديئة وازدحام الافراد في المنازل ، وانعدام اية هواية من هوايات الترفيه مما لايترك مجالا لاولئك التعساء للترفيه عن انفسهم الا في مجالات المعاشرة الجنسية واحتساء الخمور . اما الكنيسة فهي تقف صراحة اما في الجانب الذي يوجد فيه الطعام الدسم والعشرة الانيقة ، فتقابل شقاء الناس بعدم الاكتراث كما كان يفعل الاب جوار — او ان تقف في الجانب الاخر حيث وقف الاب رانفير فتعمل على تسخير ذلك الشقاء لخدمة رغائبها. اما الاحسان فيتجه في معظم الاحوال وجهةخاطئة فانت تجد اناسا طيبين مثل آل جريجوار يوزعون الاطعمة والملابس لا على اكثر الفقراء احتياجا بل على اكثرهم اجادة في التظاهر ، كآل بيرون الذين نجد كثيرا من امثالهم في حياتنا ، بكل ما يظهرون بـه من مظاهـر « الاحترام » و « الاستحقاق » المزيفة .

هل يمكن ان تقبل هذه الشكوى الفظيعة على حالها ؟ هل كان زولا عادلا حقا ؟ الم يتخذ من الاطار الخيالي لقصة روجون — ماكارت ، ذريعة لادماج الموضوع مع مناهـج الفوضوية الضاربة كي يوهم قراءه في ١٨٨٥ ان جيرمينال هي صورة صادقة لصناعة المناجم في ذلك العهد ؟ الم يكن يمثل الخدعة القديمة ، خدعة المخرب السياسي والاجتماعي: التي تتمثل في رسم صورة فظيعة بشعة للمظالم السابقة وفي السكوت عن القول بان تلك المظالم قد اصلحتوسويت ونحن لا نشك انه كان الى حد ما اسير الحدود التي فرضها على نفسه ، ثم ان الاحداث الفعلية لم تكن رحيمة . لقد عزم قبل عام ١٨٧٠ على كتابة سلسلة طويلة من الدراسات للمجتمع الفرنسي في عهد الامبراطوريةالثانية، اي لدراسة المجتمع المعاصر ، وكان زولا مثل الكثيرين من زملائه الادباء معارضا لانانية ذلك العهد الرجعية . ولكن قبل ان ينشر اول اجزاء السلسلة « حياة روجون » فان الحرب الفرنسية البروسية دفعت نابليون الثالث الى المنفى ، وصـارت الامبراطورية الثانية حلقا من احداث التاريخ . وهكذا فان زولا لم يعد يكتب روايات عن الحياة المعاصرة بل روايـات تاريخية ، لا تتحدث عن تنظيم موجود راهن بل تشرح جثة هامدة . وهكذا قضى ثلاثة وعشرين عاما وهو يبحث في احوال مجتمع انتهى — نظريا على الاقل — في عام ١٨٧٠ . ونتج عن هذه المسألة نتائج بالغة الاهمية . ومن الواضحان انهيار فرنسا عام ١٨٧٠ اعطى زولا المشهد الختامي الرائع الذي كانت تتطلبه مقتضيات الفن ونظرياته الاجتماعية ، واغتنم هو الفرصة فكتب رواية من اعظم روايات الحروب العالمية (الانهيار La Débâcle) ١٨٩٢ . ولكن هذا المشهد الختامي جاء في وقت مبكر جدا مما سبب حرجا لزولا ، فاضطر ان يضغط جميع انسال هذه العائلة الكبيرة في حيز زمني قصير لا يزيد عن ثمانية عشر عاما ، وهو الوقت الزمني الذي عاشته الامبراطورية الثانية (١٨٥٢ — ١٨٧٠) ونتج عن هذا ان بعض الازمنة والاعمار في سلسلة الروايات هذه ، كانت صورية الى ابعد الحدود ، ثم انك تجد اعمار بعض ابطاله ممتلئة امتلاء شديدا . فان نانا — على سبيل المثال — تبهر رواد قاعات الموسيقى ، ثم تغدو اكثر غانيات باريس امتلاكا للقلوب ، ثم تكون سببا في افساد وتدمير نصف الطبقة النبيلة ، ثم تتسبب في احاطة العائـلات المالكة بالشبهات ، وهي تسافر اسفارا بعيدة . وتصير من كبار المساهمينفي خيول السبق ، واخيرا تموتمحطمة عليلة في احدى غرف الفنادق في الوقت الذي تبدأ فيه حرب ١٨٧٠ . اما عمرها بحسب شجرة الانساب فهـو ثمانية عشر عاما لا غير !

ولكن معترضا لن يعترض على هذا الاختصار الزمني لولا ان زولا يبالغ الى اقصى الحدود في اتباع طريقتهالعلمية وهناك نتائج اكثر خطورة : فان انهيار الامبراطورية الثانية قضى على خطر الرقابة السياسية والاجراءات القضائيـة بالنسبة للكتاب المناوئين (قضى فكتور هيجو اعـوام الامبراطورية الثانية في المنفى) . وابيحت الحرية لكتاب الجناح اليساري للافصاح عما يدور بخلدهم . فمن يستطيع مقاومة الاغراء في الاخذ ببعض ثاره ، لا يمكن ان يقاوم زولا ذلك الاغراء . فغدت صوره للامبراطورية الثانية صورا اشتراكية في مراميها ، بل هي شكوى رجعية من مجتمع بغيض اكثر مما هي صورة واقعية عادلة . وفضلا عـن هذا فان زولا اكتشف ان موضوعاته الاجتماعية غدت اقل اهمية من انهيار الامبراطورية ، فكان مـن الضروري ان يلقحها بما يثير الاهتمام . ونفذ هذا باضافة مادة غزيرة ذات طبيعة فظة او شهوانية ، حتى اشتهرت رواياته في العالم بانها « قوية » و « جريئة » — هذا من جهة ، اما مـن جهة اخرى ، فقد اخذ يعالج المشاكل والاحوال الحاضرة بمزيد من الصراحة . وهو يجازف بذلك في تجاوز المدى الزمني . فمثلا في روايـة (على شرف السيـدات (Au Bonheur des Dames) ١٨٨٣ ، وموضوعها يدور حول تطوير المتاجر — اخذ يصف وسائل الاعلانات وطرق عرض البضائع بصورة سابقة لاوانها ولما عرف الناس في ذلـك العهد الذي يفترض ان تحدث فيه وقائع الرواية . واذا اردنا ان ننظر الى هذه القضية بعين الصدق والسياسـي والاجتماعي ، فاننا نلاحظ الخطأ في تقديم مزيج من الماضي والحاضر للقارىء السليم النية ، وفي عرض احوال كانت سائدة قبل عشرين عاما ثم انقطعت ، او في شرح نظريـات لم تكن معلومة قبل عشرين عاما .

وهذا ما يحدث في جيرمينال . ان الاحداث تبـدأ في ١٨٦٧ استنادا الى سن اتيان وشجرة النسب . وبناء على هذا فان زولا يصور حياة المناجم صورة قاتمة حافلة بالشقاء الذي تعانيه النساء والاطفال وهم يعملون كالدواب وهو في ذات الوقت يستنكف عن الاشارة الى ان هـذه الاحوال قد تبدلت ، وهو يجعل الازمة الصناعية العامة التي تسيطر على تصرفات مجلس ادارة مونتزو — تعتمد على عوامل عالمية مختلفة ، كالانقلاب الذي حدث في السوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الامريكية مما لم يكن قد تحقق عام ١٨٦٧ . اما الفوضوي الخيالي سوفارين ، الذي تقوم مبادؤه على التدمير الشامل كبداية ضرورية لانشاء مجتمع جديد ، سوفارين الحاقد على الاممية ، بقنابله ومتفجراته ـ فهو شخصية مستمدة من باكونين وكروباتكين ، ومن الاحداث الفوضوية المختلفة التي حدثت في العقدين السابع والثامن من القرن التاسع عشر وبلغت ذروتها في مقتل الكسندر الثاني عام ١٨٨١ . وان الصورة العامة لحوادث مونتزو تشمل مظالم كثيرة صار تعديلها في التطورات الاشتراكية التي لم تكن معروفة في ١٨٦٧ . ان الرواية ملحمة بطولية رائعة للشقاء البشري ولثورة المظلومين ، ولكننا لا نستطيع القول بانها صورة صادقة واقعية لاحداث وقعت في أي زمن .

لو كان هذا كل ما في الامر ، فان جيرمينال تكون نشرة سياسية عادية تحتوي على انصاف الحقائق ، وعلى تهويلات وتبسيطات نشاهد كثيرا مثلها في اعمال الدعاية. انها لا تكون عملا فنيا ، فالعمل الفني يجب ان يحتوي على بعض الحقائق الانسانية الاساسية . فلا يكفي ان يصنع الفنان عددا من الدمى لترقص على لحن سياسي معين . وقد نقول ان جيرمينال مأساة (تراجيديا) وفي المأساة نرى ان لجانبي الصراع قدرا معلوما من التبرير ، بل نرى ان كل جانب منهما يؤمن باحقيته وعدالة قضيته . ان زولا غير مهتم باظهار نظرية له عن اتحادات العمال او الاشتراكية فقط ، بل هو مهتم بالطبيعة البشرية ، بالصراع بين المصالح الشخصية، بالدوافع الغريزيةالتي تهدف للكسب والمحافظة على النفس ـ تلك النوازع التي تكمن وراء تصرفات الناس والتي يتجاهلها كثير من اصحاب النظريات السياسية. وكما قال فاليري « كل سياسة تنحو الى اعتبار الناس اشياء جامدة » . على ان زولا لا يقع في تلك الخطيئة ، وهو لا يترك المجال لاجتهاداته السياسية لتعميه عن الحقائق النفسانية وعن الشعور بالعدالة . ان الصراع في مونتزو ليس فقط ثورة عمال مظلومين والجهاد ضد اصحاب العمل من الظالمين الاشرار ، لان الحياة لا تكون سهلة بسيطة كهذا الا في خطب الخطباء في حديقة هايدبارك . ان جميع هؤلاء الناس يعيشون في ظل نظام لا يستطيعون السيطرة عليه ، ثم ان نوازع الجميع ليست خالية من الغرض الشخصي . وهناك جانبان للسؤال الكامن وراء اضراب شغيلة مونتزو ـ طريقة دفع الاجور عن التدعيم ، فعمال المناجم يصرون على نظام للاجور يقوم على الجهد الفردي ، واسباب اصرارهم واضحة . وهذا يعني ان الوقت الذي ينفقونه في تدعيم الجوانب التي يقتطعون منها الفحم هو اضاعة للنقود التي قد يكسبونها اذا قضوا ذات الوقت في اقتطاع الفحم ، وعلى هذا فهم يتجاهلون القيام بالتدعيم المركز في معظم الاحوال . ومن هنا تحدث الانهيارات المخيفة وفقدان الكثيرين لحياتهم . ومن هنا ايضا نشأت المحاولات الصارمة لايجادنظام للاجوريقسر العمال على التدعيم المركز حفظا لسلامتهم الشخصية . ولكن العمال لا يرغبون في تضحية اوقاتهم على هذه الصورة الخاسرة ، وهكذا يستمر الوضع متأرجحا . ويختلف زولا عن بعض انصار الضعفاء ، فهو يرى ان الكسل وسوء النية والرذيلة ليست وقفا على الاغنياء وعلى اصحاب رؤوس الاموال والاعمال فحسب وهو كذلك يرى ان العمال ليسوا فوق مستوى النقد . ومهما كانت الاوضاع او نوعية الحكم السياسي ، فانه يفترض في اية مجموعة عمالية ان تضم اشخاصا لا ابالين يعيشون في الفسق والرذيلة كعائلة ليفاك ، كما تضم اشخاصا يتظاهرون بالذل بينما يعمرون منازلهم ويحصلون دائما على افضل نصيب كعائلة بيرون . ولا تخلو نفوس المتزعمين الذين يقودون زملاءهم من نوازع مماثلة كان يحاول بعضهم ان يخلب لب احدى الفتيات ، او كان يرغب في الارتقاء فوق وضعه الراهن (أتيان) . او كان تعمر فؤاده الغيرة من متزعمين آخرين اكثر نجاحا مضافا اليها حاجة اغراء الزبائن لورود الملهى (راسينور) . او كان يتخذ المرء منها مهنة مريحة مثل بلوشارت الذي يعيش ـ بصفته مندوبا ـ حياة مرحة ويرتدي ملابس انيقة ويشارك في المؤتمرات وحفلات الغداء والعشاء والرحلات الخطابية دون ان يدفع فلسا واحدا من النفقاتودون ان يؤدي ساعة عمل امينة . ولن تجد واحدا من هؤلاء الناس ـ كما تذكرنا بذلك حكاية صانعي القبعات في مرسيليا ـ لا يبادر اذا ربح قيمة اليانصيب ، الى استثمار امواله دون ابطاء والانضمام الى زمرة الراسماليين . واذ ان العمال ليسوا ملائكة قطعا فكذلك اصحاب الاعمال ليسوا ابالسة . اننا نشاهد رجلا مثل هنبيو تسحق قلبه الهموم الشخصية الفظيعة، ويعتمد في عيشه على تنفيذ سياسة مجلس الادارة . ونرى دنلين يواجه الفقر والاذلال ، لقد انفق كل ما يملك في اعداد منجمه على احدث الطرق ، ونرى عماله يحترمونه ويحبونه ، ولكن ذلك لا يغني عنه شيئا . انهم جميعا ضحايا تلك القوة الرابضة البعيدة ، كما يقول زولا ، كانها آلة خبيث ماكر في هيكل يستحيل اختراقه . ان الاحزان العظيمة ـ مأساة الالم من الحياة ذاتها ـ تقهر كل هؤلاء الناس المساكين الذين يشقون كأن الالهة تعبث بمقدراتهم . ومن الاهمية ان نلاحظ المهندس نجرل ، وهو الشخص اللاابالي الشجاع ، زير النساء ، والذي تصوره لنا فصول الكتاب الاخيرة انسانا غير اناني ـ يكتشف انسانيته ذاتها من خلال عذاب الاخرين . وهنا تجد المغزى الاخلاقي البسيط للكتاب : ان نجرل يبذل اقصى الجهود ليلا نهارا كي ينقذ حياة عدوه اتيان . وعندما ينجح في ذلك نرى ذينك الرجلين يتأبطان بعضهما وتنهمر دموعهما سويا .

الانسانية ، اذا ، هي البطل الحقيقي في جيرمينال . ولقد بلغ زولا قمة النجاح في تلك الصفحات التي صور فيها حياة الجمهور : سواء نرى الناس يستمتعون بعطلة العيد ، او يتجولون في انحاء الريف بحثا عن الخبز ، او ياخذون بثأرهم الفظيع من الالات او الناس الاخرين (فان تصوير انتقام النسوة من ميجرات يعد من اشهر صفحات الادب هولا وفظاعة) . او عندما تراهم يفرون مذعورين امام بنادق الجنود . وكما قال مستر انجوس ولسون «ربما لن تجد في كتاب اخر ما تجد في هذا الكتاب ، حيث رسمت المشاهد الجماعية بحذق ومهارة ، وحيث عرضت عواطف وافكار الناس البسطاء الذين اضطرتهم المعاملة الوحشية الى الاندفاع عن انفسهم بصورة وحشية ايضا . »

الاردن ـ المفرق **سليمان موسى**

الماضي الذي لا ينام

وأظل اذكرُ قريتي والاصدقاءْ
والشيخ يزرعُ صامتا ، حتى المساء
والجارة العرجاءُ ، تحرسها السماء
تسقي زروع الكرم لا تشكو عناء

والحي يغلي بالصغارِ
تواكبوا للتسليه
وشباب ضيعتنا ، مشوا..
يتحادثون بذكر تلك الراعيه
تلك التي هربت
وعافت قومها ، والماشيه ..
حيث المدينة ، والنقود ...

وتكوّم الرجل العتيق ،
ومال نحو الداليه
بسعاله ، قطع الهدوء
ونام فوق الداليه ..
وخطرن في غنج
.. واحداهنّ تعرج حافيه
والساقيه ..
ضحكت لهن وتمتمت :« يا ناريه »
واذِ الشبابُ ...
فحملقوا.. وتبسموا.. وتغامزوا..

وأظل اذكر بيتنا
في المنحنى ..
وبأننا ..
كنا صغارا يوم ذاك

نلهو ، ونركض ضاحكين ..
عبر المزارع ، والحقول ...
وامام بستانِ الدوالْ
والكل كانوا سائرين ...
مالت عليّ رفيقتي
كالحب يأكل قريتي ..
كالنور يملأ غرفتي ..
كالشمس تمسح جبهتي ..
وهمستُ انشد غايتي ..
فتوقفتْ ..
ووقفتُ انظر ..
يا جارتي ليلى ـ فديتكِ
هل سنكبر ؟
ونشب مثل أخي واختكِ
هل سنكبر ؟
فتبسّمت
وجرت ، تداعب وجهها نسم رقيقه
كالطير يقفز فوق اغصان الحديقه
وتقول في همس حقيقه
سوف نكبر ...

واظل اذكر قريتي والاصدقاء
والشيخ يزرع صامتا ، حتى المساء
والجارة العرجاء ـ تحرسها السماء
ورفيقتي ...

اللاذقية — خالد الشريقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تدبير المنزل كمهنة

من الامور الهامة في حياة المجتمع ، العناية بحياة الاسرة ، لانها نواته التي تحمل عناصر نضوجه وتقدمه ، وعليها يتوقف مصير المدنية ذاتها . ففي الاسرة يتخرج المواطن الذي يكون صالحا او غير صالح للنشاط الاجتماعي ، والاسهام في المجهود الحضاري الذي بفضله تحيا الانسانية وتستديم اطراد تقدمها وارتقائها . وتعظم اهمية هذه العناية بالنسبة لشعوب الشرق الاوسط بنوع خاص ، حيث ما برحت هذه الشعوب في المراحل الاولى من تطور النضج الاجتماعي ، وحيث تتضافر مع هذا العامل ظروف مادية واجتماعية اقليمية على تقوية الحاجة الى تثقيف المراة والنهوض بها ، لتكون مصدرا حيويا فعالا للنهضة الاجتماعية . لذا ، كان تعميم التعليم لتدبير المنزل ضرورة من الضرورات القصوى في هذه المنطقة من العالم .

وتدبير المنزل كمهنة مسالة ذات طائفتين من المنافع . فهو فضلا عن فائدته العامة العائدة الى حياة الاسرة ومن ثم المجتمع باكمله ، يؤمن للمراة التي تحترفه العمل الذي تستطيع ان تتقنه اكثر من سواها بحكم كونه ممثلا لرسالتها الطبيعية الاساسية .

اما من الوجهة العامة فالمراة هي خير من يقوم بمهمة تعليم التدبير المنزلي . صحيح ان هناك بين الرجل والمراة وحدة في الجوهر اثبتتها الاديان والشرائع والفلسفات المتعددة ، ولكن هذه الوحدة لا تحول دون اعتبار وجود اختلاف في التكوين يجعل من الرجل والمراة كائنين يكمل احدهما الاخر ، ويقضي بان يوكل امر التربية المنزلية الى المراة بصورة رئيسية . فلقد ثبت من الناحية البيولوجية انه اذا كان ذكاء المراة اضيق مدى واقل انسجاما مع التفكير المجرد الخالص من ذكاء الرجل ، فانه اكثر مرونة ودقة ، واشد قابلية لمهنة التربية والدرس . كما انه لئن كانت الارادة عند المراة اقل عنفا وجراة منها عند الرجل ، غير انها اشد صلابة وثباتا . واما من الناحية العاطفية ، فان الوجدان عند المراة اكثر نماءا ودقة ورقة، واشد تبكيرا في الظهور منه عند الرجل . ولقد عني « اوغست كونت » بتاكيد هذه الظاهرة وابرازها بالادلة . وهذه الظاهرة بالذات تدعونا في الواقع الى اعتبارها ظاهرة تفوق لا نقص ، على شرط ان يكون نموها في النمو الروحي وليس في مجال الانفعالات البدائية المرتبطة بالوظائف الفيزيولوجية ، وان يخضع هذا النمو لثقافة ذهنية رفيعة .

فهذه الصفات تفسر لنا ما اجمع عليه علماء النفس من ان المراة هي « مربية بالفطرة » ، وانها افضل من يتولى اعباء التربية لبنات جنسها بنوع خاص ، بحيث انها حين تحترف مهنة تعليم التدبير المنزلي تستطيع ان تقدم للمجتمع فائدة تفوق الفائدة التي قد يقدمها الرجل في هذا المضمار ، اذ ان هذه المهنة تخصها مباشرة وتشكل الرسالة التي القتها الطبيعة ذاتها على عاتقها .

واما من الوجهة الخاصة ، فتعليم التدبير المنزلي عنصر هام من عناصر الثقافة ، يتمتع بتاثير كبير في التربية العامة . فمن الخطأ الشديد ان نتصور هذا التعليم على انه يتناول فقط الشؤون الفنية في حياة الاسرة ، من غير ان يتجاوزها الى الشؤون الفكرية والاخلاقية . فان غايته الاساسية هي ان يخلق الحب للاسرة ، وان ينشىء في النفس تذوقا للتنظيم الحسن لحياة المنزل . حقا ان هذا التعليم يتضمن تعليم الخياطة والتفصيل الصحيح ورفو الثياب ونحوها من الشؤون الفنية الضرورية ، ولكنه في الواقع لا يقف عند هذه الامور ، بل يرقى منها الى ما هو روحي صميم : انه يهدف في الاساس الى التدريب على التربية السوية للاطفال ، بمراقبة تطورهم الذهني وتوجيهه وبالعمل على تنمية الذوق لديهم والتمرس على حب النظام واحساس الجمال . فاول درس في الاخلاق يتلقاه الطفل عن ابويه ، هو الدرس الذي يقدمانه له عن طريق الاشياء المحيطة به ، فالمنزل اطار من الحياة ينبغي ان يساعد على منح البهجة والسعادة لقاطنيه ، سواء بتربيته ونظامه وزينته ، ام بنوع الاثاث الموجود فيه ، لان هذه الحاجيات هي في الحقيقة بمثابة اصدقاء للاشخاص الذين يعايشونها ثم ان هذا التعليم يرمي كذلك الى تامين التفهم الصحيح للحياة الزوجية ، اذ ان الرجل لا يحتاج فقط الى بيت والى شريكة لحياته جديرة به وقادرة على فهم اعماله ودعم نشاطه ومشاركته اعباءه والانسجام معه في مشاغله العليا ولكنه في حاجة ايضا الى ان تكون زوجته اما قادرة على رعاية شؤون اولادها في طور نضجهم الذهني ومتابعتها حتى دخولهم الى ميدان الحياة .

من هنا نلمس اهمية تعليم التدبير المنزلي للمراة ، ولنذكر ان خير من يتقن مهمة ما ، هو الذي تكون هذه المهمة عائدة لشخصه ولمنفعته هو بالذات . ولذا ، يتسنى لنا القول ان تعليم التدبير المنزلي مهنة اساسية تقوم في مركز التقاء فروع الثقافة العاملة على رقي المجتمع ونهضته .

آمنة عضاضة

صدر حديثا :

غيوم ظامئة

للشاعر وديع ديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة لسومرست موم

النملة والصرار

ترجمة حسن السعران

عندما كنت صبيا صغيرا ، كانوا يلقنوننا عن ظهر قلب بضعة خرافات (امثال) معينة من « لافونتين » . وكانوا يشرحون لنا كذلك بعناية المغزى او العظة التي تهدف اليها . وكان من بين تلك الخرافات التي حفظتها واحدة عنوانها « النملة والصرار » . وهي حكاية يقصد منها ان يعي الصغار الدرس النافع المفيد ، من انه في دنيانا التي لا تخلو من النقائص والعيوب ، للاجتهاد جزاؤه وللتكاسل عقابه . (واعتذر لسرد شيء لعل الجميع يعرفونه بصورة مجملة) . فالنملة في تلك الخرافة تقضي الصيف تجمع في دأب وجد مئونتها وزادها استعدادا للشتاء . على حين يقضي الصرار الصيف لاهيا يتغنى فوق عيدان العشب الاخضر وينعم بالدعة والدفء والشمس . وما يأتي الشتاء حتى تكون النملة راضية النفس مطمئنة بذخيرتها ، بينما الصرار خالي الوفاض ليس في مأواه شيء . فيمضي الى النملة يشكو الجوع ويستجديها بعض الزاد ، فتخيب امله وتجيبه اجابتها الكلاسيكية :

ـ وكيف قضيت ايام الصيف ؟

ـ كنت اشدو واغني هانئا .

ـ ان تكن غنيت طوال الصيف ، فارقص الآن كما تشاء .

وانا شخصيا لم استطع وقتئذ ان ارتضي ذلك الدرس او اقبله . ولست اعزو هذا لضلال او عناد من ناحيتي ، ولكن لعلها الطفولة تعجز عن استيعاب المعاني الخلقية . ولذلك وجدتني اعطف على الصرار ، ولم تكن عيني تقع آنئذ على نملة دون ان ادوسها واسحقها بقدمي . ولست اقصد هنا من وراء هذه العجالة التعبير عن عدم موافقتي لاتخاذ الحيطة والحذر او قلة الاكتراث بالمثل السليمة

هذه هي الخرافة التي مرت بخاطري يوم التقيت بجورج رامزي وهو يتناول غداءه وحده في احد المطاعم . فما رايت قط احدا متجهم الوجه في مثل سحنته الكئيبة الحزينة . كان يزوغ ببصره في الفضاء كأنه يحمل على كتفيه عبء الدنيا كلها . وأسفت لحاله ، واعتقدت ان اخاه الخائب قد جر عليه الهموم والمتاعب مرة اخرى . فاتجهت اليه وصافحته قائلا : كيف حالك ؟

فاجابني : لست راضي النفس .

فسألته : اهو بسبب توم ، ايضا .

فتنهد وقال : نعم انه هو .

فقلت له : ولم لا تتجاهله وتنبذه ، لقد بذلت له غاية ما في وسعك وعليك ان تدرك الان انه ميئوس منه ولا خير فيه .

واظن ان كل عائلة تبتلى احيانا بشاة سوداء . وهذا توم ، كان في العشرين السنة الاخيرة تجربة موجعة مريرة لعائلته . مع انه استهل حياته بصفحة طيبة اذ انخرط في ميدان الاعمال كما تزوج وانجب من زوجته طفلين . وكان آل رامزي من الناس الموقرين ، والدلائل جميعا تشير الى ان حياة توم رامزي ستسير على خير ما يرام وانها ستكون حياة مجدية ، وان عمله سيكون شريفا مرضيا . ولكنه اعلن في ذات يوم على غرة ودون سابق انذار بانه ليس ميالا للعمل وانه غير اهل للزواج او الابوة . وهو انما يتوق للاستمتاع بالحياة . وضرب عرض الحائط بنصح الاهل والاصدقاء . ثم هجر زوجته وترك مكتبه ، وراح يتنقل طوال عامين بالقليل الذي معه من مال بين ربوع اوربا وعواصمها .

وبلغ القيل والقال اهله وافراد عائلته ، وترامت اليهم الاشاعات المشينة عنه وعن آثامه التي كانت تروعهم وتصدمهم . ولا شك انه كان يقضي وقته يترع كئوس المتعة واللذة ، وكان الاهل يتعجبون لحاله ويتساءلون عما عسى يحدث عندما ينفد ماله . وسرعان ما جاءهم الجواب : ذلك انه اخذ يقترض . وكان مستهترا لطيفا . ولست شخصيا اعرف مثله احد يرفض المرء اقراضه او يخيب له املا . وقد استطاع توم ان يحصل من اصدقائه على دخل منتظم ، ومثله يجد الاصدقاء بسهولة ويسر . ومن غريب ما كان يردده على الدوام قوله : ان ما ينفقه المرء من مال على ضروريات الحياة يبعث في النفس السأم ، وعلى النقيض من ذلك يجد المرء لذة ومتعة فيما ينفقه على الكماليات والملذات . ومن هنا كان يعتمد على اخيه جورج ، ولا يبدد لطفه معه عبثا . غير ان جورج من الرجال الجامدين الجادين الذين لا يتأثرون بمعسول الكلام وقد استمع الى وعود توم بضع مرات ، وعوده باصلاح شأنه وحاله . ولهذا اعطاه مبالغ كبيرة لكي يستطيع النهوض من كبوته وبدء حياته من جديد . ولكن توم اشترى بالمال سيارة وقدرا من الحلى البديعة . واخيرا نفض جورج يده من اخيه فقد تبين انه لا سبيل الى اصلاحه ولا رجاء فيه . وانه لن يستقيم له عود او يستقر له قرار . ولم يحجم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توم بعدئذ ـ دون وخز من ضمير ـ عن الايقاع باخيه . ولم يكن مما يسر او يشرف جورج المحامي الموقر ان يرى اخاه يعمل في خدمة رواد النادي الذي يتردد عليه ، يمزج للزوار كئوس الكوكتيل في البار او يسرع الى عتبة النادي يفتح لهم عربات التاكسي . وكان توم يقول لاخيه بان العمل في ناد محترم من الاعمال الشريفة التي لا غبار عليها . ولكنه صونا لكرامة العائلة يستطيع التخلي عن مثل تلك الاعمال اذا جاد عليه بمائتي جنيه . وطبعا نفحه جورج المبلغ الذي يريده .

ومما ازعج جورج ان توم كاد ان يدخل السجن في ذات مرة . والواقع ان توم كثيرا ما تورط في امور مشينة ولكنه لم يهو الى مثل ذلك الدرك السحيق من قبل . وعلى الرغم من كونه متعطلا مستهترا انانيا فانه لم يندفع من قبل الى ارتكاب اية فعلة غير شريفة ، او كما يسميها جورج فعلة غير شرعية يعاقب عليها القانون ويعد مرتكبها مذنبا اذا هو قدم الى المحاكمة . وعلى اية حال لا يسع المرء التخلي عن اخيه الوحيد لكي يزج به في السجن . لقد خدع توم رجلا يدعى كرنشوه ، وهو حقود منتقم صمم على رفع الامر للقضاء مدعيا ان توم سافل عديم الشرف يستحق العقاب . وقد كلفت هذه القضية جورج جهدا مضنيا وشيكا بمبلغ خمسمائة جنيه لتصفيتها وديا مع كرنشوه .

ولم ار جورج غاضبا ساخطا مثلما رايته وقد بلغه فيما بعد ان توم وذلك المدعو كرنشوه سافرا سويا الى مونت كارلو بعد استلام الشيك مباشرة ، حيث امضيا في مرابعها شهرا سعيدا ممتعا !

ان توم ظل عشرين سنة وهو يقامر ويراهن في سباقات الخيل وينازل الغانيات ويراقصهن ، يتردد على افخم المطاعم ويرتدي احسن الثياب ، وبباو دائما نظيفا حسن الطلعة كانه خارج من فاترينة اذا جاز لنا التعبير . ومع انه في السادسة والاربعين من عمره الا ان المرء يحسبه ابن الخامسة والثلاثين . وعلى الرغم من كونه شخصا لا يرتجى منه خير ، فقد كان رفيقا انيسا حلو الحديث ينعم المرء بمجلسه وصحبته . وانه شخصيا لم انقم عليه او اغضب منه بسبب ما كان يقترضه مني في الحين بعد الحين لسد نفقاته الضرورية التي تحفظ عليه وجوده . فما كنت اعطيه شيئا الا واشعر بانني مدين له ولست بدائن . كان توم رالزي يعرف كثيرين ، وكثيرون يعرفونه . ولو ان المرء لا يرضى عن افعاله ، غير انه لا يسعه الا حبه .

مسكين جورج تحسبه في الستين من عمره مع انه لا يكبر اخاه الضال المستهتر بغير عام واحد فقط . فهو لم ينعم باجازة طوال ربع قرن بكامله اللهم الا عطلة اسبوعين فقط . كان يواظب على عمله يوميا ، فيذهب الى مكتبه كل صباح في التاسعة ولا يغادره الا في السادسة مساء . يعمل في جد واجتهاد وفي شرف واستقامة . له زوجة طيبة لم يخنها قط ولم تخطر له خيانتها حتى على بال . وله منها اربع بنات هو لهن مثال الاب البار الرحيم . وقد دبر امور حياته ومعيشته على اساس اقتصاد ثلث دخله بانتظام . وكان يستهدف بذلك اعتزال العمل عند بلوغه الخامسة والخمسين والانتقال الى بيت ريفي صغير يقضي وقته في العناية بحديقته وممارسة رياضة الجولف . وكانت صفحة حياته نقية بيضاء لا غبار عليها . وقد سره ان الزمن يمضي وانه يزداد عمرا وان توم يكبر ايضا . وكثيرا ما كان يردد وهو يفرك يديه قائلا : « كل شيء جميل طالما توم في شبابه واناقة مظهره ، ولكنه لا يصغرني بغير عام واحد . ولن تمضي اربع سنوات حتى يبلغ الخمسين من عمره . ويومئذ لن يجد الحياة سهلة يسيرة . واما انا فسيكون ما ادخرته نحو ثلاثين الف جنيه . خمسة وعشرون سنة وانا اقول ان توم لا بد سيهوي الى الحضيض ، وسنرى كم يسره سوء المصير الذي ارتضاه لنفسه ، سنرى اذا كان العمل يجازى صاحبه حقا ام التكاسل والبطالة .

مسكين جورج ! انني ارثي لحاله ، واراني اتعجب الان وانا اجلس الى جواره بالمطعم ، اي خطب جلل جناه توم ، ذلك ان جورج يبدو جد ساخط مهموم النفس .

سالني جورج : أتعرف ما جرى ؟

وتوقعت ان اسمع منه اعظم مصيبة ، وخطر لي ان توم ربما قد اعتقله البوليس اخيرا ، وتمالك جورج اعصابه في كثير من الجهد ثم اخذ يقول :

اظنك لا تنكر انني واظبت طوال حياتي دون انقطاع على عملي الشريف ولم احد عن طريق الاستقامة ، وانه بوسعي ان اتطلع الى التقاعد بعد حياة من الكد والادخار . وفي الامكان ان اعيش على دخل بسيط حياة مأمونة ولكن بقدر وحساب . وقد قمت على احسن وجه مستطاع بواجباتي في هذه الحياة حيث وضعتني مشيئة المولى وارادته .

فعلقت على قوله بالايجاب .

فاستطرد جورج يقول : واظنك لا تنكر ايضا ان توم كان عاطلا ، ساقطا خسيسا غارقا في ملذاته الى اذنيه . ومن العدالة ان ينتهي به الحال الى مشغل للفقراء :

قلت : صحيح

واحتقن وجه جورج وعلته حمرة بادية :

« ولكن منذ بضعة اسابيع عقدت خطوبته الى عجوز في عمر امه . وقد ماتت اليوم فخلفت له كافة ممتلكاتها : نصف مليون جنيه ، وزورق للنزهة ، وبيت في لندن واخر في الريف . »

وهوى جورج رامزي بقبضة يده على المائدة قائلا :

« أهذه عدالة . أهذه عدالة . لعنة الله على هذه الدنيا ! »

اما انا فلم استطع كتمان ضحكي . فما ان لمحت وجه جورج الحانق المغيظ حتى انفجرت ضاحكا ودرت بمقعدي وكدت ان استلقي على الارض من شدة الضحك . ولم يغفر لي جورج هذا . ولكن توم كثيرا ما يدعوني الى بيته الجميل في « ماي فير » لتناول عشاء فاخر . واحيانا يستدين مني مبلغا تافها لا يذكر وذلك بدافع العادة ، ولكنه على كل حال لا يزيد عن الجنيه الواحد .

حسن السعران

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وداد سكاكيني والابداع الفني

بقلم فاضل السباعي

زارت حلب ، اواخر اذار الماضي ، السيدة وداد سكاكيني بدعوة من دار الكتب الوطنية . ولقد اذكرتني ، وهي تحاضر باسلوبها المشرق بمجموعتها « الستار المرفوع » التي صدرت في سلسلة « الكتاب الذهبي » لشهر مايو ١٩٥٥ بالقاهرة ولا يغرب عن البال ما لاديبتنا من منزلة في عالم القصة ، في سوريا وفي العالم العربي بعامة ، فانها تقف، في الحق ، في الطليعة ان نحن شئنا ان نعدد ادباء القصة الرواد .

وتمتاز اقاصيص السيدة وداد بالحرية في اختيار الموضوع . انها لا تلتزم قيداً يوهن قلمها ويحد من انطلاقة فنها ويجعل ادبها مثقلا بالتكلف مشحونا بالافتعال ، كما تفشى ذلك ، في الزمن الاخير ؛ في ادب المنادين بهذا القيد او ذاك . ولكن بحسبها ان تراود خاطرها الفكرة ، فتعيش تجربتها مستأنية ، ثم تصوغها بما عرف عنها من اسلوب ممتع جذاب .

ولما كانت قد سلخت شطرا من حياتها الادبية في عاصمة العرب والادب ، فقد اوحت اليها البيئة القاهرية السخية باضمومة من اقاصيص انتظمتها «الستار المرفوع» التي نرجو ان يتاح لنا الان وفاؤها بعض حقها من الدرس والعناية . وانا لنحسب ان القارىء الذي يغيب عن علمه سورية الكاتبة ، لظانها ، من خلال قراءته هذه المجموعة، مصرية الجنسية . فالاقاصيص كلها ، خلا اثنتين ، مصرية المستوحى والنجار ، وذلك ، ان كان له ثمة من دلالة ، فعلى ان شعوب العرب في مختلف امصارهم انما يصدرون عن امة واحدة تشدها ، الى جوار آصرة اللغة ، اواصر التقاليد والاحاسيس والتجاوب الوجداني .

ولقد راينا الكاتبة تسمو الى غاية الفن كلما تدانت من بنت جنسها ، حواء ، تستقطب افكارها وتسترصد مشاعرها . وكاننا بالمؤلفة قد فطنت الى ميدانها ، فاذا هي توجه جل طاقتها الى استكناه دخائل بطلاتها . وان عشرا من اقاصيص المجموعة السبع عشرة ، تنفرد بمعالجة مشكلات لها الف وشيجة بحياة المراة والمراة وحدها

انظر الى هذا الحرمان الذي تعاني وطأته بطلة « عاشقة النيل » تلك الصبية العانس التي بدأ يميل شبابها الى زوال : « .. كان النيل سلواها على بلواها ، وهل ابتليت باقسى من فوات الزواج ، وقد سارعت عربته العاجلة التي لم تقف لها ، وكانت تحمل لداتها وصواحبها عرائس بين سنة وسنة ، وهي مرتقبة على مثل النار شاخصة البصر الى وجه النصيب الذي لم يطلع عليها من وراء الغيب ولا من خلف الافاق ، وابن الطارق ؟ و لاطارق .. » . ان الكاتبة ـ كانثى ـ تستطيع بحسها الفطري ، كما لا يستطيع الرجل ، ان تدرس ـ مثلا ـ مشكلة هرب الفتاة من المجتمع وانطوائها على ذاتها ، وكذلك الدوافع النفسية التي قد تدفع الانثى الى ان تغوي الرجال، وحاجة المراة الى الزواج : صبية عزباء او ارملة في سن الكهولة ، ومشكلة خيانة او ازورار الزوجة عن زوجها ، ومسألة الاسعاد الزوجي ... انها مشكلات من صميم حياة المراة معلقة تترقب الدراسات بخاصة ، ولقد طرقت بابها اديبتنا وولجت ساحتها واعطت من الحلول ما واتتها به الفطرة السليمة والموهبة والثقافة .

ولسنا ندري على التحقيق ما اذا كان قليل ام كثير من المغالاة في مثل قولنا : وانه ليعوزها احيانا الصدق في الرواية اذا هي تجاوزت نطاق المراة . فهي ـ مثلا ـ تقول ، في قصة « سيدنا الجنيد » ـ ذلك التونسي الذي آب من حرب فلسطين الى القاهرة ليفتتح دكانا يبيع فيها الكتب ـ : ولما قامت ثورة المغرب « اشتد عزمه على اللحاق باخوانه المجاهدين .. فنادى مبروكا(أجيره). ووهب له دكانه بما فيها ..» فهبة الدكان بما فيها لاجير امر غيرطبيعي في مثل الملابسات التي رسمتها لنا المؤلفة ، وانه ليبدو في الحق غريبا كل هذا الكرم من رجل جهد في ان يفتتح لنفسه دكانا بعد سنتين قضاهما بائعا للكتب يصففها الى جانب الحديقة العامة ، ثم اليس الاولى ان يبيع «الجنيد» محتوى الدكان ويحتمل الثمن الى قومه المجاهدين الذين عزم على اللحاق بهم وهم احوج الى المال في حربهم مع المستعمر الذي لا يعوزه المال ؟ . وكذلك تمضي المؤلفة تصف لنا كناسا في « الدينار الابكم » : « كانوا يسارعون اليه بصفائح الزبالة ، فيكبها وينبشها لعله يجد فيها شيئا ، ثم يلملم منها قوارير فارغة وفتاتا من الخبز الابيض كان يفوت الخدم ، فيقضمه عبد العاطي (الكناس) بلذة وحسرة ، وما كان يذوقه الا من تلك الصفائح اومن الفضلات .. ، فان خبز عبد العاطي كان اسمر يشتريه حينا بائتا وحينا يجود به عليه بعض الكرام ممن يكنس امام بيوتهم » ! نحن نفهم ان يلتقط كناس شيئا من كومة الزبالة ان كان ذا قيمة ، اما ان ينبش الزبالة على هذه الشاكلة ، ويلملم فتات الخبز الابيض ، ويكون خبزه دائما اسمر بائتا ، فتلك صورة تجعلنا بازاء شحاذ لا كناس ، ونعتقد بان هناك ـ اياما كان من ضنك الاثنين ـ فارقا بينهما، وانما الحرص على وصف سوء حال الكناس هو الذي ساق الكاتبة الى ان تبالغ في تصويره فخلعت عليه سحنة الشحاذ .

على الاضطراب ـ في زعمنا ـ قد ساد بعض قصص المجموعة في شطرها الثاني ، ونخص بالذكر : «عين الشيطان » « السوار » و « اللحن المحطوم » . فانها قصص تبدو خالية من عناصر الابداع المبثوثة في سائر قصص المجموعة والتي لا يشق على القارىء ان يتحسس بذائقته جمال معانيها . ف « اللحن المحطوم »، قصة

ذلك الانسان الولهان الذي لا نرى لتولهه ، الذي بلغ حد الموت ، الارهاصات السائغة المقنعة .

ف « ولي الدين » يتعلق بمطربة شامية تنهد الى القاهرة يوما ، وقد كانت تغني بصوتها العذب : « ميلي ما مال الهوا .. » ، ويسترعي انتباهها بهدوئه بين النظارة ، فتستطلبه ، وقد حسبت فيه الفنى ، الاغنيات التي يحب ، فما كان يطلب الا « ميلي ما مال الهوا .. » .. وتعود حسيبة المغنية الى ديارها ، وولي الدين طوال سنتين لا يفتر عن ذكراها ، حتى يصيبه الذهول ، فيقترح عليه اخوه ان يلحق بها الى ديار الشام . فاذا هي قد تزوجت . فيعودان . وبعدها لا يرى للعاشق سوى الزواج منقذا له من الوله والذهول ، ولكنه يقضي ايامه الى جوار الحاكي الذي لا يفتأ يردد على مسمعيه الاغنية الحبيبة وفي يده الكاس المترعة يعب منها من غير حساب . ثم ... « مات ولي الدين بعد مرض وبيل » ارايت الى هذا السيل من الاحداث : اضطراب وغلو وفراغ من المعاني التي عودتنا الكاتبة ان نقع عليها في قصصها الاخرى ! وان « السوار » و « عين الشيطان » تستويان و « اللحن المحطوم » في هذا المضمار . وكم كنا نحب لو خلت المجموعة من مثل هذه القصص التي تفسد على القارىء استمتاعه وتلذذه بما ورد فيها من قصص تتطاول الى ذروة الابداع .

ف « العود المسحور » ، قصة « اسطورية » الفكرة ، « واقعية » الرداء ، مفعمة انسانية . مغنية موهوبة تقتل يوما في بستان ، وتدفن في جذع شجرة .. فاذا الشجرة يسمع لها نغم كلما حفت فيها الاوراق وتيبس بعد اعوام ، فتقتلع ، وتباع في السوق خشبا ، يصنع منه « عود » اذا ضرب عليه فكان « في صداه عزيف الجن » .. ان حس الكاتبة الانساني لم يشأ للمغنية التي اغتيلت ان يضيع بددا دمها الموار الذي كان يحياحب النغم وتتلاشى روحها الهائمة في سماوات الفن ، فخلعت هذه الخصائص الانسانية على ما هو غير انساني .. جسدت الدم الزكي والروح الفنانة في نبات ، في شجرة وارفة .. بل ، لقد لازمت الخصائص الشجرة حتى بعد يباسها ، فاذا هي تنبعث اصداء في العود .. في « العود المسحور » .

و « كؤوس العارفين » ، قصة شعبنا الطيب بذهنيته المستقصية الساذجة احيانا ، قرأت « الحاجة وصفية » في هامش « دلائل الخيرات » عبارة : (كؤوس العارفين) فغاصت تفكر في حل هذا « اللغز » ، فلما اعياها التفكير لاذت بصاحبتها « الشيخة نعمات » تطلب عندها الخبر اليقين ، فما حلته هذه لها ، وانما انشغلت به الاخرى وراحت تستفتي اقاربها من ذوي العلم ، فما اصابت لبغيتها متحققا ، ولما عادت الى صديقتها الحاجة انباتها هذه انها قد وجدت الحل ، ثم قامت تغلي ماء بين يديها في ابريق على موقد صغير وكفتت فيه شيئا اسود ، ثم صبته في كأسين صغيرتين في كل منهما قطعة بيضاء وقدمت احداهما الى الشيخة نعمات وهي تقول بلهجة الغزاة الفاتحين : « اشربي يا شيخة ، اشربي الشاي ، فهو كؤوس العارفين »

و « غمامة تذوب » ، قصة الارملة وقد تزوجت بنتها ، فتتجسد لها الحاجة الى زوج تلوذ هي في حماه ، وتروح تنغص على صهرها هناءته الزوجية وتكون له اشبه بالعدو المترصد ، وتحار البنت بين امها التي ربتها وبين الزوج الذي تريد ان تنشد السعادة والاستقرار بين يديه ، الى ان يقيض الله للصهر عما جاء يقيم معه في الدار ، فتروق له الحماة ، و « دارت كؤوس المرطبات بشراب الورد والليمون ، ونهض المأذون داعيا مباركا الزوجين المجددين .. »

على ان اروع ما ضمته في جوانحها المجموعة قصة « وسواس » . انها درة في تاج . تجعل من العدوى النفسية مرتكزا تنهض عليه عقدة القصة . ف « تهاني » رسامة موهوبة احبت ان تنقل وسواس صديقتها « جمالات » الى لوحة ناطقة . وقد كانت جمالات على ملاحتها منحرفة الحس لا تأكل الا وحدها وتشمئز من القبح والعاهات وتأنف من مصافحة الايادي ولمس اشياء غيرها . ولقد جعلت الرسامة تستزيرها خفية بها لعلها تحس وسواسها احساسا عميقا فتستطيع على طول التداني ان تستغرق في طبعها ، وهي تعدها في ذلك بلوحة رائعة تبدي ما فيها من ملاحة . وثابرت جمالات على الجلوس امامها تراود خاطرها الصورة الموعودة ، فاذا الصورة بعد ذلك تأتي آية في الفن ، ولكن على غير ما تتمنى المرسومة ، فقد نطقت الصورة بالتردد في النظر ، وارتسم الانقباض على الانف ، ولاح في الشفتين طابع التقزز . فلما رأتها جمالات غضبت لكشف الصورة ما لم تكن تعرف من دخيلتها ، ولكنها تجلدت وعزمت على ان تغير ما بنفسها ، فاذا هي تنزع عنها لبوس الوسواس وتغدو سليمة النفس تؤاكل اهلها ، وتقبل على الصغار معانقة ، وترثي لكل عاهة .. اما تهاني فقد ملكت عليها الصورة اعجابها ، وجعلتها « في غرفة نومها تفتح عينيها عليها في الصباح وتغمضها بالليل ، وما راع اهلها الا انطواؤها على نفسها ، وقد دهشوا اذ رأوها تتقزز من صغارهم وتتجافى عن كبارهم ، واذا صافحت يدا سارعت الى الماء ... »

اما فيما يتعلق بالهيكل الفني لاقاصيص المجموعة ، فان بيننا وبين المؤلفة ، فيما نرى ، حسابا عسيرا . ذلك انها لا تولي « البناء » اهتمامها ولا تحفل به اي احتفال . تلج الى موضوعها من المنفذ الذي تصادفه اولا ، وقد يكون وسيعا ، او متعرجا ، او طويلا يبهر النفس ، فذلك ما ليس لديها بذي خطر او شأن . واننا نرى ان على الفنان القاص — والقصة فن — ان يدرس ايا من المنافذ والمداخل يحسن ولوجها لتفضي به الى لب الموضوع ، فاذا غدا في الموضوع : هل ينبغي ان يكون الزمن ، الذي تلعب فيه الاحداث ، ضيقا او متطاولا ؟ عهدنا ان الاقصوصة — ولا بأس ان نعيد هنا ما قلناه يوما — تعنى برصد حادثة رئيسية او ازمة نفسية يعيشها الشخص الاول ، وينبغي ، تبعا لذلك ، ان ينحصر « المجال الزمني » للاقصوصة في اضيق ما يكون من زمان ، وذلك من ابرز مميزات الاقصوصة ، وهو ادعى الى استحواذ القارىء واعداده للمشاركة الوجدانية ، وكلما ضاق الزمن تدانت الاقصوصة من التشويق والامتاع .

وعلى ذلك ، فان المؤلفة ، اذ امسكت بالقلم لتكتب رائعتها « وسواس » ، لم تعن باصطفاء المنفذ المناسب الذي يؤدي بها الى الغرض من غير مسير مضن لا غناء فيه يبعث في النفس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السأم . لقد صاحبت المؤلفة «تهاني» احدى البطلتين ، وهي تأوي « الى مضجعها مثقلة الراس مضطربة الخاطر » ... وطالت مراودة النعاس لجفنيها حتى تغلب عليها ... ثم استيقظت في البكور ، وانطلقت الى رسومها وهي تشعر بانقباض ...ثم جعلت ترسم ، الى ان ضاقت بريشتها فحملت ادواتها في طريقها الى حديقة « الاورمان » ... فعاودتها الحيرة.. ثم احست بالوحي يتنزل على فنها.. ثم جعلت تتامل الطبيعة ، وسارت نحو حوض في الحديقة ، ورأت الى زهر اللوتس فتأملته ... ثم عادت الى البيت ... وهناك ، « وعلى حين غفلة خطرت في بالها صديقتها جمالات ... » « وتراءى لها وسواسها الذي ابتليت به ، فتمنت لو يواتيها الفن لتستطيع ريشتها التعبير عنه » ، وتبدأ القصة .وكذلك استنفد هذا المدخل ثلاثا من الصفحات ونصف الصفحة ، فما جدواه ؟ ان الحادثة الرئيسية في القصة : ابداع الرسامة تصوير وسواس صاحبتها والعدوى التي تصيبها نتيجة لفرط اعجابها بما رسمت ، فما علاقة هذا بذلك المدخل الطويل الذي شغل خمسي صفحات القصة ؟ الا يثقل ذلك القصة ويحرمها من « التواتر » التواتر الروائي الذي يدنيها عادة الى النفس ويثريها بعناصر الجاذبية والامتاع ؟ . اما « الذئبة » فقصة في رسالته ثلثاها لغو ، والحق ان الحادثة الرئيسية فيها تبدو في اول الثلث الاخير ، من : « بعد موت ابيها وامها وجدت في عمتها الحنان .. »

اما «المجال الزمني»، الذي تتراوح فيه احداث القصة ، فممتد متطاول في بعض القصص الى شهور وسنين . ويتجلى ذلك بخاصة في « ذات الوشاحين » ، حيث تكون الزوجة في الثلاثين ، فيموت زوجها لتتزوج بعد سنتين من فتى ، ثم تقضي في حادثة ما . وكذلك في « الروح الشاردة » ، تتزوج البطلة في اول القصة ، لتنتهي وقد اصبح للبطلة بنت صبية في حين شاب هي شعر راسها .

ويغيب عن خاطر المؤلفة احيانا ان تدرس موقفها ـ كمؤلفة ـ من القصة : أراوية هي ، أم شخص من شخوصها ، ويتضح التشويش في ذلك في « السوار » . ففي مستهل القصة نعرف ان المؤلفة شخص من شخوصها « نحن في المحكمة بين يدي القاضي ، وقد جئت مع صديقتي لنشهد معا دعوى ضد قريبتها ... كان الحاكم شيخا وقورا ... » وتمضي في وصف ما تشاهداه في القاعة ، وينادي القاضي على خصمين زوجين في دعوى موضوعها نزاع على ملكية سوار ، يخلص منها القاضي الى ان السوار للزوجة ويحكم لها به . الى هنا وموقف الكاتبة سليم لا غبار عليه من الوجهة الفنية ، لانها شاءت ان تتخذ شخصية المتفرج الذي يرصد ما يقع تحت بصره وسمعه ، وكان ينبغي ان تمضي في هذا الموقف حتى النهاية، الا انها لا تلبث ان تنتقل الى رصد ما لا يقع تحت بصرها ، فتقول : ومضى الزوج و « ليس في قلبه مقدار ذرة من الحنق على الحاكم ، وانما فيه قنطار من الغضب على زوجته المهجورة » ، فكيف تأتى ان تعرف المتفرجة ما في دخيلة الزوج من حنق اوغضب ؟ ثم انها راحت ترصد ذهاب الرجل الى « المقهى القريب الذي تعود (!) ان يغسل فيه همه.. وهناك تلقاه صحبه بتحية خاطفة (!) ...» ، فكيف عرفت خبر ذهابه الى المقهى ، هل تبعته ؟ ولم لم تذكر ذلك فتقول مثلا : « ثم بدا لي ، مع غرابة النزاع ، ان الحق بالرجل استنطقه سر السوار ... » ولقد مضت المؤلفة في هذا السرد المختلط ، فجعلت تحكي لنا حكاية السوار الحقة (!) ثم تتابع السرد بقولها : ان الزوجة المهجورة ، بعد ان حكم لها القاضي بالسوار ، انطلقت الى الصائغ الذي دفع لها فيه الفين من الجنيهات فوعدته بالعودة بعد المشاورة، « وعاد السوار يؤلف بينها وبين زوجها الذي هجرها من سنين ، فباعاه بثلاثة الاف وتصافيا باقتسام الثمن ... » . ولا يخفى ما في هذا السرد من ضعف في التقنية القصصية يهبط بجمالية الموضوع « الشعبي » الذي كان يمكن ان يبلغ الذروة لو بذل في صياغته ما يكفي من عناية واهتمام .

ولقد لاحظنا ان المؤلفة كثيرا ما تعمد الى التدخل ، علي فجاة ، بين شخوص القصة ، مبلغ علمنا انها ترصد القصة كرواية ، فاذا هي تتدخل كأحد شخوصها . ففي « غمامة تذوب » ، تحدثنا الكاتبة حديث راوية عن شخوص القصة وما يكابدون في الحياة ، ولا تلبث ان تنزل الى ساحتهم كشخص منهم وتقول: « وكنت ما زلت افكر في حل لهذه المشكلة المستعصية حتى قهقه القدر الذي لا يستعصي عليه شيء .. » ؛ وكذلك تفعل في « الروح الشاردة » حيث تقول : « ورحت بعد امد افكر في سرها المكنون .. » ، وفي « سر الامومة » ، « ذات الوشاحين»، « العود المسحور »، « الدينار الابكم» « عين الشيطان » ، « فيلسوف الرياح الاربع » .

على ان للمؤلفة اسلوبا مشرقا في مستوى لا يؤتاه الا من ملك ناصية البيان ، وهي تكثر من الصور والتشابيه الماتعة تكتظ بها صفحات المجموعة . تنصت اليها وهي تريد ان تبلغك ان المراة القت سؤالها لتنتظر الجواب متلهفة ، فتقول : « قالت الحاجة « وصيفة » سؤالها بنفس امراة فقيرة خلعت خاتمها الثمين وطرحته بين يدي جارتها لتسالها عن قيمة حجره النادر » ، واستمع الى عاشقة تسر اليك باحاسيسها : « لقد طفت روحي من اعماقي كما يطفو الماء من الينبوع ، اليس للارواح اطوار تكون فيها كالانهار ؟ على ان السيل الذي انصب في صدري واحدث هذا الطوفان كان حبا جارفا » .

والمؤلفة بعد هذا حريصة على ان تورد الحوار بالفصحى دون ما شائبة من عامية هابطة . انظر اليها وهي تجري هذا الحوار بين جمالات وتهاني:

« ـ لماذا تطيلين النظر الى وجهي يا « تهاني » ؟

فتبسمت المصورة وقالت :

ـ ابحث عن سر فيك ..

فعبست «جمالات» وقالت في حدة

ـ الله ، وما هذا السر ؟ هل في وجهي غير ما في وجوه الناس ؟

ـ ربما ... ـ وماذا ترين ؟

ـ غدا تجلين في صورتك ما ارى، على ان لا تغيبي عني هذا الاسبوع .

ـ اريد ان تظهر صورتي رائعة حلوة ..

فاجابت المصورة على غير وعي :

ـ واذا خبت في تصوير سرك فينبغي ان اكسر ريشتي وانحر فني»

ثم استمع الى هذا الحوار بين

رأيت البنفسج

الى بنفسجية الثوب في بيروت

○

لرزوق فرج رزوق

•

العراق ـ البصرة

رايت بعيني البنفسج ..
افق يا صباح
ويا ضوء شمسي تموج
وناد الرياح
لتهزج
وتمرح فوق جناح مؤرج !
ويا موجة في عميق البحور
تصيد الرؤى
هلمي ، تعالي من المنتأى
وضمئي الصخور
اريقي عليها الحبور
وقولي لها : كنز نور
تبلج
وقلب اريج توهج !
ويا حلوتي
ان رمتني النوى
بعيداً ، وطالت بها ليلتي
فاني سأذكر أن الهوى
يتام سعيداً بجفني
وأذكر اني
بعيني رأيت البنفسج !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجنيد واجيره :

« ـ يا مبروك ...

ـ نعم يا سيدنا .

ـ هل تكتم الاسرار ؟

ـ كل الكتمان .

ـ احلف .

ـ وحق سيدنا الحسين والامام الشافعي والسيدة زينب ، اني اكتم السر ولا ابوح به ، وهل عرفتني في طول ما عرفتك اخون او اغدر ؟

ـ اذا كان العصر من هذا النهار اريدك على ان تتبع الست فاطمة اخت صاحبنا الشيخ لترى اين تذهب ، ثم تأتيني بالخبر . وهذا ريال لك ، خذه الان .. افهمت ؟ »

الا يزري هذا الحوار بمدعي اولئك الناقمين على الفصحى الذين ما انفكوا يجارون متشكين من قصور فيها مزعوم عن مجاراة متطلبات الحياة اليومية او اداء خلجات النفس في حوار تنعل فيه عناصر الحركة وزخم الحياة ؟ ان مثل هذا الحوار لدليل على تهافت مدعاهم ، وانما تكون نقطة الانطلاق في تيسير الفصحى ، من حيث ينهض بعبئه المتضلعون منها المالكون زمامها ، من قرناء اديبتنا الفاضلة ، فان هم اخفقوا في رياضتها حق عليها ان توصم بالقصور او العجز او الجمود او ما شيء لها من وصوم ، وهذان النموذجان لدليل على فلاح محاولة التيسير . فليقر الغير عينا . ولتمض كاتبتنا في سبيلها مشكورة محفوفة بالرعاية .

ذلك ما عن لنا ونحن نحاول ان ندرس مجموعة « الستار المرفوع » . ولقد بينا ، جهدنا ، ما ضمت من مميزات ، من محاسن ومآخذ . وانا لنرجو الا يذهبن بالقارىء الظن بان ما في الكتاب من مآخذ قد طغى واستبد بمحاسنه ! فان اية مجموعة مهما علا كعب صاحبها في عالم القصة وكان ذا بال وخطر ، لا تخلو من سلسلة من المآخذ تعدد لدى الدراسة الحرة التي لا يأتيها الازورار من يمين او شمال .

وانا لنذكر في مزيد من الاعتزاز ، ونحن « نرفع » « الستار » عن هذه الدراسة المتواضعة ، يوم كان كاتب السطور يتقدم ، بالقاهرة ، الى السيدة وداد سكاكيني بنماذج من قصصه ، لتسخى عليه بالتوجيه الذي ينير له سبيل الحياة وقد كان بعد في عالم الغيب .

ومن ذلك السخاء راش جناحاه ، فحق له ان يشق بهما الفضاء متطلعا الى البواشق والنسور !

حلب — فاضل السباعي

الشجرة

بقلم منيرة عبد الجواد

استيقظت في الصباح الباكر وفتحت النافذة كعادتها لتهوية الحجرة فطالعتها شجرة النبق الكبيرة ، الضخمة ، ولسبب لا تدريه اطالت وقفتها امام الشجرة تتطلع اليها .. وشرد بها الفكر واذ بها لاول مرة منذ ثلاثين سنة تجد تشابها بين حياتها وحياة هذه الشجرة .. بل وتجد ترابطا بينهما ...

ثلاثون سنة وهي تفتح عينيها يوميا على هذه الشجرة كل صباح وتراها كلما جلست الى المائدة .. او وقفت بجوار نافذة المطبخ ...

ان الشجرة هذه تقع في ارض فضاء واسعة موقوفة يكون المنزل الذي تشغل الطابق الثاني منه ضلعي مربع يسور هذه الارض .. ويشمل الضلعان اربع غرف بينهما صالة استعملت دائما كحجرة للمائدة .. ولذا فقد كانت ترى الشجرة عدة مرات يوميا .

ونقلت حجرة نومها من حجرة الى حجرة ، ولكنها كانت دائما ترى الشجرة كل صباح عندما تفتح نافذة حجرتها.

متى زرعت هذه الشجرة ؟ انها لا تدري فمنذ انتقلت اسرتها الى هذا المسكن وكانت في الخامسة من عمرها وهي تراها .. راتها في اوج نموها وقد امتدت فروعها المحملة بالاوراق الخضراء الجميلة والثمار الوردية اللون الدقيقة الحجم ، في كل اتجاه . لقد وصلت الفروع في بعض الاحيان الى قرب نوافذ مسكنها وكان من يمد يده من النافذة يستطيع قطف ثمار هذه الفروع ...

كم من مرة قلموها وقطعوا بعض فروعها ولكنها كانت دائما تبرعم وتزهر وتنبت فروعا جديدة تمدها بالغذاء والعصارة فتنمو وتكبر .. انها لا تذكر انها رات احدا في يوم من الايام يسقي الشجرة ويرويها بقطرة ماء ولكن العلي الذي اوجدها في ارض وقف وجعلها هدفا لحجارة الاطفال للحصول على ثمارها يرويها بماء المطر الذي كان يتجمع في الحفرة المتسعة حولها .. .

دار بها الفكر الى حياتها هي .. فهي الابنة المتوسطة ولدت بعد بنت وولدين بعدة سنوات ، ثم ولد بعدها بنتان وولد ، وكم تحملت من اذى وضياع حق واهمال بسبب ذلك ، كم خضعت لمن يكبرونها لانهم اكبر منها فتجب طاعتهم وتحمل ما يصدر منهم ، وممن يصغرونها لانها اكبر واعقل وهم صغار . لقد كان الموقف والمنطق دائما ينقلبان بقدرة عجيبة ضدها ..

كبرت وكبرت معها اعباؤها فقد تزوج الكبار وصارت هي شبه مسئولة عمن يصغرونها .. تلبي طلباتهم وتساعدهم في دروسهم وهي لم تتجاوز الخامسة عشرة بعد ..

لم تشعر ابدا بانها مسئولة من احد . انها مثل هذه الشجرة لم يحاول احد ان يرويها بقطرة ماء .. او بقطرة حنان وحب .. حتى والداها صباحنانهما وحبهما وعنايتهما على من يكبرونها من اخوتها ثم انتقل هذا الحب والحنان وهذه العناية الى من يصغرونها .. وهكذا ضاعت في الوسط . وكانت قطرات الري في حياتها قطرات قليلة سريعة من قريب لها ، لم تكد تتذوق عذوبتها وتلتذ بطعمها حتى تحولت ينبوعا عذبا لا ينضب ولكن لشقيقتها التي تصغرها بسنوات فزفت اليه ..

تزوج اخوتها واخواتها جميعا .. وهي باقية في المنزل او « البيت الكبير » كما اصبح اسمه منذ خرج منه كل اخواتها .. ولم تتناقش يوما لماذا لم تتزوج كبقية شقيقاتها ؟ بل تركت الحياة تسير وهي تسير في ركابها ..، واحيل والدها الى المعاش واستقر بالبلدة يدير شئون ارضه ومعه والدتها ، وبقيت هي ومعها خادمة بالقاهرة في « البيت الكبير » تستقبل فيه من بالقاهرة من اخوتها واسرهم كل يوم جمعة كما كانت عادتهم قبل سفر والديها. لم تغير شيئا من نظام حياتها ولا من نظام المعيشة في المنزل ، واصلت تعليمها بعد الجامعة وكلما نالت شهادة حاولت شغل نفسها بالاستعداد لاخرى ربما لا يكون بينها وبين السابقة لها اي ترابط ..

وعادت الى الشجرة تتأملها كانها لم ترها.. ان الشجرة لم تورق هذا العام الا اوراقا قليلة مبعثرة على فروعها المتناثرة التي تشبه عروقا نافرة في يد عجوز اضناها العمل .. والطيور هجرتها ايضا ، لم تعد تبني بها اعشاشها التي كانت تكثر بين فروعها ، ولم يبق منها سوى عشين يبدو انهما مهجوران ..

انها هي الاخرى هجرتها طيورها او تباعدت عنها ، لم تعد ترى صديقاتها كل يوم كما كن فيما مضى.. لقد فرقتهن الحياة في البلاد .. والموجودات منهن في القاهرة شغلتهن اعمالهن واطفالهن عن زيارتها .. الا في فترات متباعدة .

لا بأس فالشجرة ما زالت باقية في مكانها ، بل وهناك حولها شجيرات صغيرة تستقبل الحياة وهي كذلك باقية في « البيت الكبير » ومعها اولاد شقيقيها وشقيقتها الذين خارج القاهرة تسهر على تعليمهم ورعايتهم كما قامت على تعليم من يصغرها من اخوتها .. انها هنا ليظل « البيت الكبير » مفتوحا كما تؤنس هذه الشجرة وما حولها من شجيرات هذه الارض الفضاء وتذهب وحشتها . كم تود ان تعرف متى زرعت هذه الشجرة ؟ لقد زاملتها ثلاثين عاما ، فهل اقل من ان تعرف عمرها ؟ واقبل غلام في الثانية عشرة من عمره تقريبا وقذف بحجر الى فرع بعض الاوراق طامعا في سقوط ثمرة او اثنتين .. فاحست ان الحجر اصابها هي ورات الغلام ينحني ليلتقط حجرا يعيد به الكرة ولما كانت لا تستطيع منع الغلام من رجم الشجرة بالحجارة لم تجد امامها سوى مغادرة النافذة وهي تحس برباط عجيب من الحب والشفقة والالفة يربطها بالشجرة ..

عادت ذات يوم الى منزلها وهي تحس بألم شديد في عظامها انها تشعر كان مطارق تدق عظمها حتى ليخيل اليها انها تسمع صوت الدق بآذانها ، وعندما تمددت في فراشها سمعت صوت دقات متوالية عالية علمت انه صوت فؤوس تعمل في الشجرة لتقطيعها ، والتبس عليها الامر فلم تعد تدري هل صوت الفؤوس ام صوت المطارق التي تدق في عظامها هو الاعلى وايهما تسمع ؟ وكلما رأت قطعة من خشب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

الوهم الذي يموت

بقلم محمد حاج حسين

✶

لا .. يا ليلى .. لا معنى لهذا اليأس .. فجراح القلب سرعان ما تلتئم اذا صادفت تفكيرا نيرا ، وعزيمة صادقة . فما معنى تفكيرك بالموت ، وانت في ريق الشباب ، افاء الله عليك الجمال والرقة ؟ . الانك تتوهمين انك احببت شخصا خطب غيرك تذهبين مع هذه الافكار القاتمة ؟ سأسرد عليك تجربة عبرت بي لتري ان تفكيرك الان سخيف ويجب أن تنأي عنه .

كنت في العشرين من عمري عندما عين ابن خالتي توفيق قاضيا في بلدتنا ومن الطبيعي ان يسكن في بيتنا لانه اعزب ليس لديه من يخدمه . واصارحك ان الايام التي قضاها بيننا شدتني اليه بحب تغلغل في دمي ، واصبحت افكر فيه ليل نهار مأخوذة بشبابه الريان ، وخفة دمه ، فكل شيء فيه كان يجذبني اليه لا سيما ان والدته منذ طفولتنا كانت تزعم انني خطيبته ، فلا عجب ، وقد بلغنا سن الزواج ان اتمثله زوجي فانطلقت عواطفي الحبيسة نحوه دون هوادة فكنت اخدمه بتفان ، اوفر له كل راحة وانتظر تلك الساعة الجميلة التي تعلن فيها خطوبتنا .

كنت لا اتنفس الا لاجله ولا اهتم بشيء اذا كان لا يهتم به ، حتى احتل جوانحي ، واصبح الخفقة التي ترفرف في قلبي، فهواملي ومستقبلي وحياتي ولم اجرؤ ان اتحدث اليه بحبي معللة النفس بأن خطوبتنا امر واقع .

سد علي المنافذ ، حتى لمحت شقيقتي فاطمة هذا الوجد الذي اعانيه فطفقت تستدرجني لاحدثها بوجدي ، بيد انني كتمت عنها طويلا قصة حبي ، حتى شعرت بحاجة لشخص افضي له بمكنون قلبي لانفس عني هذا الكبت الذي يجثم علي .

واخيرا اعترفت لها بحبي لتوفيق وهنأتني على هذا الحب الذي امتاز بالشباب الدافق ، والخصال الحصيفة التي تتجمع فيها كل احلام العذراء .

وفجأة القى ابن خالتي القنبلة .. فقد صارح والدتي ذات يوم انه يرغب في الزواج باختي الصغرى .. فاطمة .. ووقع هذا النبأ على والدتي وقوع الصاعقة ، فقد اكتنهت انني اميل اليه ، سيما انني شبه مخطوبة له منذ طفولتنا .

وقالت امي : انك يا توفيق خطيب الهام منذ طفولتكما .

ـ يا خالتي .. انا احب فاطمة .

ـ ولكن الهام اجمل من فاطمة .

ـ هذا امر يخصني وحدي

ـ اني آسفة ، فنحن لا يمكن ان نوافق على زواج فاطمة قبل الهام

ـ والسبب ؟

ـ الهام هي الكبرى . ويجب ان تتزوج اولا

ـ هذه فكرة عتيقة لا معنى لها .

وسرى الخبر في البيت، فشعرت ان النار تشتعل في كياني . ولاحظت امي الشحوب الذي قنعني ، فاضطربت وسألتني السبب برفق ، فلم اتمالك من الهرب الى غرفتي ، حيث اطلقت لعواطفي السجينة العنان ، ولحقتني امي لتراني في بكاء مذيب ، فراحت تلاطفني ، وصاحت :

سأرفض خطوبته لفاطمة

ـ يجب ان تتم هذه الخطوبة .

ـ كلا . لن تتم .

ـ لن اقف عثرة في سبيل سعاد اختي .

وامن والدي على رأي والدتي ، عندما فاتحه توفيق بشأن خطوبته لفاطمة ، فجن ابن خالتي ، لانه كان يهوى فاطمة ويحبها بوجد مشبوب واخلاص عميق .

في نفس هذا اليوم انتقل ابن خالتي الى فندق ، ولم يحاول احد ان يمنعه

وبعد ايام جاءت والدته الى بيتنا تطلب يد فاطمة .. فكان الجواب الرفض بعناد .. وذهبت خالتي تزفر حنقا . ويبدو ان الحب قد برح بتوفيق ، فجاء الى بيتنا ، ومعه والدته . كان منظره يوحي باليأس.. زائغ العينين ، شاحب الوجه ..وقال لامي : اسمعي يا خالتي .. انت بين امرين : اما ان توافقي على خطوبتي لفاطمة او انتحر ..

وقرات امي في عينيه العزيمة الصادقة ، فاضطربت ، وصاحت امه تتهم اختها ، وسمعت اللغط فدخلت الى الحجرة التي كانوا مجتمعين بها . واسرع الي توفيق يستعين بي على امي ، فقد كان يجهل العاطفة التي احملها له ، وهتف : ارجوك يا الهام ان تساعديني . ان امك ترفض ان تزوجني فاطمة .

وتمتمت : لماذا يا امي لا توافقين ؟

ونظرت الي طويلا ، وقد تجسمت لها بليغ التضحية التي أقوم بها وصاحت : فاطمة صغيرة .

ـ ابدا يا امي . انها في الثامنة عشرة .

ـ ولكن يجب ان تتزوجي اولا .

ـ خطأ يا امي . فحرام ان نقف في طريقها بهذه الحجة السخيفة .

وصاح توفيق : هذا هو المعقول

وفي المساء اعلنت خطوبة توفيق على فاطمة .. وبدوت فرحة ، .. والحقيقة انني كنت اتعس فتاة في

الشجرة او فروعها تسقط احست بمزيد من الضعف والوهن في جسدها ودارت بها الارض ...

تعالت صيحات الاطفال والرجال وهم يشدون الحبال لايقاع اخر قطعة من الجذع على الارض وفي اللحظة التي تهاوت فيها القطعة الاخيرة من الشجرة ارتفعت روحها الى خالقها .. كأنما لتثبت حقيقة الترابط والتشابه بين حياتها وحياة الشجرة ..

القاهرة

منيرة عبد الجواد

الوجود ، فقلبي ينبض بالام حادة ولكن ما حيلتي فيجب ان اضحي لاسعاد شقيقتي .

وعندما انتهى الحفل اويت الى غرفتي لاناجي همومي ، واندب حظي الكريه ، واعمل على خنق عواطفي التي تتململ جريحة معذبة لا تكف عن الصراخ .. فقد تجلى لي ساعتها ان حبي لم يمت ، بل زكت ناره ، وتضرم سعاره ، ونزت بي نقمة هائلة على اختي التي سلبت حقي ، وحرمتني نعمة حبي ، وتمنيت لو انني اقدر ا نا اخنقها لاثأر لكرامتي المهيضة .

وفي الصباح كنت مريضة لا استطيع حراكا .. ولكنني تحاملت على نفسي ، حتى لا يشعر اهلي بفداحة الخطب علي .. وكان عقلي يهب بي بقوة الى التضحية .. فما الفائدة من هذه العاطفة التي تعتلج بي ؟ هل انتزع الخطيب من اختي ، وهو المغرم بها ؟ واستقر رأيي على وجوب اقتلاع هذا الحب من اعماقي .

ولكن ، كيف السبيل ، وهو يحتل كل ذرة في روحي ؟

استطعت ان البس قناعا من البرود ، والجمود بعد جهاد عنيف ، ومردت نفسي على نسيان هذا الحب ، وحاولت ان انزع مني كراهية اختي وما ذنبها حتى اسكب عليها نيران غيظي ؟

وجاءت المصيبة من الجانب الاخر . فقد زرفت الي ذات يوم فاطمة بعد ذهاب خطيبها الى عمله . كانت عابسة وقالت : اني اكرهك يا الهام .

ـ لماذا يا فاطمة ؟

ـ لانك تحبين توفيق .

ـ اؤكد لك انني لا احبه ابدا .

ـ كاذبة .

ـ فاطمة ..

وبكت ، وخرجت من غرفتي ، وهي تلعنني ، وتتمنى لي الموت . ووضح لي ان حبها قد دفعها الى هذه الغيرة المجنونة التي لا اساس لها .. وتبعتها الى حجرتها ، واقسمت لها بكل محرجة من الايمان انني لا احبه ، ولا افكر به .. رغم انني كنت اكذب فلم تصدقني بل واجهتني بتهمة قاسية فقد صرخت بي : انك تعملين على انتزاعه مني .

وشعرت بعظيم المها ، فانسحبت برفق ، لانجذب الى هم جديد .. كانه لم تكفني خيبة حبي حتى تلصق بي هذه التهمة .. وفكرت .. واستقر رأيي على الابتعاد عنه .. فقد كنت اجامله حتى لا يلحظ تأثري من خطبته لفاطمة وابتعدت عنه واصبحت لا اجاذبه الحديث الا قليلا ، فاذا طلب مني ان ارافقه الى السينما مع فاطمة تعللت بزيارة رفيقة لي ، واذا اصر على دعوتي للنزهة في مكان ما .. تعللت بشتى المعاذير .. ولكن اختي ظلت على عقيدتها ، يصور لها خيالها المريض انني احاول انتزاعه منها .

وراحت تتعجل الزواج لتنقذه مني . ورأيت من واجبي ان اخطو خطوة اخرى لاقضي على الشكوك التي تساور اختي ، فعندما كان يأتي الى البيت كنت اغادره بسرعة بحجة زيارة الخياطة او زميلة لي .. ويبدو ان هذه العملية صادفت وقعا شيقا لدى فاطمة فقد جاءت الي ذات مساء وقالت : سامحيني يا الهام .

ـ لقد سامحتك .

ـ ما انبلك يا اختي !

ـ انت انبل !

ـ الان قد استنارت بصيرتي ، فانت اكرم كثيرا مما كنت اظن .

ـ كل ما اريده ان يوفقكما الله .

ـ لا استطيع ان اعبر لك عن ندمي لاتهامي الظالم لك .

ـ انني سعيدة لذهاب هذه الوساوس عنك .

وشعرت بجمال التضحية ، وتطهرت ، ووجدت سعادتي في سعادتهما .

وتم الزواج . وانتقلا الى بيت خاص ، وارتحت لهذه النهاية التي خلصتني من هذا التمثيل ، الذي كنت اقوم به ، وامتنعت عن زيارتهما فقد كان جرحي لم يندمل بعد ..

تضايقت اختي من عدم زيارتي لها ، فكانت تلح علي بوجوب زيارتهما .. فانصعت لرغبتها وكيلا تعود اليها شكوكها الماضية ، كنت احرص على زيارتها عندما يكون في عمله خارج البيت ، حتى لا اتيح لها ان تفسر بسمة بريئة ، او نكتة عابرة تفسير لا يقره العقل ، فتنطلق الغيرة في جوها وتصطلي بنارها ، وانا الحريصة كل الحرص على اسعادها .

وصارحتني فاطمة انها محت كل ظل للشك في صدق عاطفتي نحوها . فتوثبت فرحا لهذه النهاية السارة ، رغم انني كنت لا ازال اعاني من حب توفيق ، ذلك الحرمان الذي ينغص عيشي ويترعه بالهموم

تصوري يا ليلى ذلك الجحيم الذي كنت اعيش فيه .. انني الان حين أتمثل تلك الاهوال التي عبرت بي لا اتمالك من الضحك لسذاجتي ، وتوهمي هذا الحب الذي حرمته ، وبنيت عليه القصور في الهواء ..

واخيرا .. مسح الزمن جراحي . فقد انباني والدي ان طبيبا شابا ، يطلب يدي ، واطرى لي اخلاقه ومستقبله ، وسألني رأيي فاعتصمت بالسكوت . واردف قائلا :

ـ أتودين التعرف به ؟

ـ لا ارى حاجة لهذا .

ـ من رأيي ان تقبليه زوجا لك .

واحمر وجهي وانا اقول : انت ادرى بمصلحتي .

والواقع انني كنت اعيش في يأس مظلم ، من خيبة حبي ، فلم يعنيني من أتزوج .

وتزوجت هذا الطبيب دون ان اشعر بحب له .. غير ان حبه العظيم لي ، واخلاقه السمحة دفعتني الى ان احبه ذلك الحب العظيم الذي لا يعرف السدود ولا الحدود ، ووجدتني مع الزمن اضحك لغفلتي عندما احببت ابن خالتي .. وفكرت مرة بالانتحار لاتخلص من الحياة عندما خطب اختي .

انني الا نامرع في السعادة ، فزوجي الغالي يعبدني ، واذا ما خلوت الى نفسي اشكر الله لانه لم ييسر لي الزواج من ابن خالتي .. لا سيما بعد ان رزقنا بطفل جميل جسد حبنا ببرائته ورقته .

هذه هي التجربة المرة التي مرت بي يا ليلى .. لقد نقلتها اليك بصدق ولم اطلع عليها انسانا سوى زوجي الذي يحلو له ان يتندر على غفلتي وسذاجتي في ذلك الحين .. وانت تدركين اننا نعيش في حب مكبن مع اختي وزوجها .. اهزأي يا ليلى .. بذلك الشخص الذي خطب غيرك .. واحمدي الله كثيرا لانه لا يستحقك .. وعندما تجدين زوجك ، ستضحكين كثيرا على سذاجتك .. وتحمدين الله انه لم يتقدم لخطبتك .

القاهرة — محمد حاج حسنين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سـريـر

لعدنان مردم بك

دمشق

أي نجوى اغرت جفونك بالدمع ... واذكت نار الاسى في الكبود
وأثارت في كل عضو سعيرا ... يتلظى بالنار ذات الوقود
يا لبؤس القلوب من عبث النجوى ... وهمس الاحلام عند الهجود
رب نجوى كأنها لطمة الحرمان ... وقعا على قلوب القيد
تركت قلبك اللجوج مهيض ... الجنح ينزو كالطير اثر القيود
تتلوين من جوى وبعينيك ... بريق الحمى ونار الوعيد
نظرات حيرى تضج من الوجد ... وتشكو من غصة التسهيد
زفرة اثر شهقة مثل حد ... النصل كانت تحز حبل الوريد

يا لنجوى أثيمة ... تتلوى على جوى
بعثت جامح الهوى ... جذوة تأكل الفؤاد

ما لعينيك تنفثان لهيب ... الوجد وهنا كنفثة المصدور
رتشدين من جوى فوق صدر ... عصفت فيه جامحات الشعور
وتشيحين بالنواظر غما ... من مرير الذكرى ووخز الضمير
أي حمى كانت تساور خديك ... وتوري بالنار رخص الصدور
انها الشهوة الخسيسة كانت ... تتلظى من حرقة وفجور
رعدة الشهوة الاثيمة في نهديك ... كانت كرعدة المقرور
او كجنح السفين يخفق من ذعر ... لهبات كل موج هصور
ولهمس السرير عندك وقع ... كان أحلى من سجعة الشحرور
نغم يستثير كل مريد ... من شياطين افقك المسحور

امل لاح نجمه ... في خضم من الدجى
ذاد عن جفنك الكرى ... ونفى لذة الرقاد

وسرير أتيت من بعد لأي ... تحت ستر من الظلام البهيم
ولجنح الظلام في كبد الافق ... ارتعاش كرعشة المحموم
وعذارى الاشباح في كل أفق ... راتعات على جناح النسيم
فكأن السرير حين تلقاك ... رؤوم تضم شمل فطيم
او مشوق يمد كفيه شوقا ... من حنان الى خليل حميم
فشجتك الذكرى ويا رب ذكرى ... كمرير الاحقاد او كالكلوم
وتعريت عن غلائلك البيض ... كرقطاء تعرت عن ثوبها في وجوم
واتخذت الظلام سترا لتخفي ... ما عرا القلب من هوى محموم
والليالي ستر لكل مريب ... وعزاء لكل صب سقيم

انه الليل راكز ... راية الصمت في الورى
فانزعي برقع الحيا ... واكسري مقود الرشاد

اسريرا أتيت أم جئت نعشا ... كان يبدي عن مائل الاشداق
تتجافى عنه الجنوب ويأبى ... جفنك النوم من مرير الفراق
ويكاد الجبين يجمد رعبا ... منك فوق الوساد من اطراق
وحنايا الصدور تخفق ذعرا ... من رسيس الهوى وشحط التلاقي
اشجتك الذكرى فاطرقت غما ... حين غصت بالدمع منك المآقي
من حنين الى ليال عذاب ... باسمات كالفجر في الاشراق
طمست بدرها المنير غيوم ... داجيات الاثواب والاطواق
أم شجاك الصبا يموت كئيبا ... ظامىء العود عاري الاوراق
يا لجسم يذوب فوق سرير ... من جحيم الاهواء والاشواق

كم أمان كانها ... النار او جمرة اللظى
تركت اضلع الفتى ... خافقات من البعاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواليد جديدة في اللغة

بقلم محمود تيمور

عضو المجمع اللغوي بمصر

في هذه الحقبة الجديدة التي اتاحت للبلاد العربية نهضة شاملة في مختلف المرافق العلمية والاقتصادية والاجتماعية ، ثارت مشكلة في اللغة عويصة ، حول المدلولات الجديدة في المعاني والاشياء والادوات ، فدارت المساجلات بين الباحثين والكتاب ممن يتحنثون ومن يترخصون ، بينهم من يقول بالتعريب ويعول عليه ، وبينهم من يأبى الا ان نتخذ من الفصحى مواضعات تقابل الدخيل ، وبينهم من يقف من الخلاف موقفا وسطا ، فيطالب بالمحاولة والمعالجة ويجيز التعريب اذا الحت الضرورة وانقطع الجهد .

ولم تتفق الاراء ، ولم تلتق وجهات النظر ، وبقيت المشكلة تتنازعها اقلام الباحثين والكتاب ، وهي على حالها من التعقد والاستعصاء ...

ولكن ماجريات الحياة لا تقف حتى تجد من الاراء المتعارضة وفاقا ، ومن وجهات النظر المتخالفة تلاقيا ، فقام اختطت لها في علاج تلك المشكلة خطة عملية فعالة ، تفرض نفسها في غير ما جلبة ولا ضجيج .

وما اقدر الزمن في سيره على حل المشكلات !

لقد شهدنا اساتذة العلوم والفنون، وارباب الحرف والصناعات ، يسعون سعيهم الحثيث لتأسيس لغة يتوحد فيها التعبير والاصطلاح ، وهم يستعينون الفصحى ويؤثرونها في اغلب ما يتخذون من تعبيرات وما يقرون من مصطلحات .

في كل مؤتمر علمي يعقده اهل الاختصاص، يبرزموضوع المصطلحات للدرس والبحث ، وينتهي فيه الراي الى الاجماع على اعلاء الكلمة العربية على مقابلها الدخيل

بل نكاد نجد في كل كتاب علمي يؤلف ، مظهرا من العناية بمصطلحاته يتجلى فيه الجنوح الى الافصاح .

وثمة في الميدان الاكبر ، ميدان الحياة العامة ، في غير معاهد العلم واندية الدرس ، يلاحظ الناقد اللغوي ما يستبين من عزوف عن الكلمات الاجنبية ، ومن خلق لكلمات عربية تقوم مقامها في الاداء .

والصحافة خير مرآة لهذا التطور في المستوى اللغوي العام ، فيها يطالع المرء هذا الصراع الناشب بين الالفاظ الدخيلة وما يقترح لها من بديل عربي .

وفي المصالح والمرافق الحكومية ، يانس الناقد اللغوي روحا قويا من الرغبة في تقديم كلمات فصيحة ، لا تلبث ان تلقى الالسن ، وان تشيعها في الاسباب الدائرة بين الناس .

كذلك لا يفوت الناقد اللغوي ان المؤسسات الحرة ، والمتاجر الشعبية، والاسواق العامة ، اصبحت تتلقف المصطلحات الفنية الفصيحة في تسمية ما يتصل بها من الاشياء ، بل لقد اصبحت تطاوع ذلك التطور اللغوي الملحوظ الى ابعد مدى ، وتستجيب لمطالب الذوق الرفيع في التعبير ...

في ميادين « القاهرة » وشوارعها يتطلع المرء الى اللافتات على جبين المتاجر والمحلات ، فيصادف الطريف من التسميات ، والرشيق من العبارات ... فهنا محل « للمانيفاتورا والخردوات » يسمي نفسه ، دار الازياء ، وهناك محل للحلاقة يسمي نفسه بيت الزينة . وهذا محل لادوات « الاسبور» يسمي نفسه : بيت الرياضة ، وذلك محل لبيع الفاكهة يسمي نفسه : جنة الفواكه ، واخر لصنع المفاتيح يسمي نفسه : عالم المفاتيح ... الى غير ذلك من اسماء يتفنن في وضعها واختيارها التجار والعارضون .

ومن اطرف ما يحضرني في هذا الصدد ، مصداقا لشعور الجمهور نحو التعبير الجميل ، والبيان الخلاب، انه قد اذيع في وقت من الاوقات ان « البرسيم » مفيد للصحة ، وان عصارته تحوي من عناصر التغذية ما لا غناء عنه . فزين هذا لبعض محلات العصير ان تقدم كئوسا من عصار « البرسيم » مخلوطة بغيرها من الوان العصارات ، واذا كلمة تنجم للتعبير عن هذا العصير البرسيمي الجديد ، كأنما اريد بها تحليته وتحبيبه الى الناس، واذا الكلمةشعرية فيها جمال وخيال ، تلك هي « شراب الربيع » فقراناها على اللافتات اسما لعصارة « البرسيم » !

ومنذ عهد بعيد ونحن نبحث عن كلمة عربية تقوم مقام كلمة (برافان)، وفي ايام الاستفتاء على الدستور وعلى رياسة الجمهورية ـ هذا العام ـ قرات في الاعلانات المبسوطة للشعب في مراكز الشرطة كلمة « ساتر » وبجانبها رسم (برافان) ، مع بيان الى الناخبين بان يسجلوا رايهم وراء هذا « الساتر » حتى لا يبصرهم احد ... وبذلك اصبحت كلمة « الساتر » في معنى (البرافان) كلمة ديوانية شائعة ...

ولقد ظلت كلمة (الطابور) تؤدي معنى خاصا هو اصطفاف جمع من الناس واحدا خلف واحد ، (فالطابور) هو الصف الراسي ، ولكن لفظه غير عربي ، ولا يكاد الكاتب يجد له مقابلا عربيا شائعا في الكتابة . بيد ان العسكريين قبلوا ما اشار به عليهم اللغويون من تسمية (الطابور) بالقطار ، وقد سمع الموظفون وغيرهم من الجماهير كلمة القطار تدور على السنة المعلمين العسكريين في تدريبات المقاومة الشعبية ، تلك التدريبات الذي نظمت اثناء العدوان على مصر هذا العام ، فكان المعلم من جنود الجيش يقول لطلاب التدريب : نظموا انفسكم صفوفا ، اذا اراد ان يكون وقوفهم واحدا بعد واحد ، قطارا بجانب قطار ، وهكذا احتلت كلمة القطار محل كلمة (الطابور) في لغة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجيش ، ولم يعد لتلك الكلمة الاجنبية في التشكيلات العسكرية وجود .

واذكر اسم (وابور الزلط) الذي ثقل علينا لفظه، فقدشهدته في بعض الطرقات وهو يحمل على جانبه اسما عربيا وضعته له المصلحة الحكومية التابع لها ، وهي « مصلحة الهراسات » واذن فهو « الهراس » ونحن لا ندري .. وكان مجمعنا اللغوي قد اطلق عليه من قبل اسما دقيقا له في قديم اللغة مكان ، ذلك هو : المرداس . والاسمم المعجمي اولى ، لان الردس هو تسوية الارض ودكها، فاماالهرس فهر الكسر والدق ، وهذه الالة مهمتها الكبرى ـ فيما نرى ـ ان تسوي وتدك لا ان تكسر وتدق ولكن المجاز يقبل مثل هذا التوسع ، ومهما يكن من امر ، فقد نهضت كلمة عربية تحل محل (وابور الزلط) فيها ملامح المعنى المقصود ، وان لم تبلغ من الدقة ما راعاه المجمع حين اختار كلمة المرادس .

وفي احدى السيارات العامة « بالقاهرة » لمحت قطعة معدنية تزين صدر العامل الذي يتولى قبض الاجور من الركاب ، وقد حفرت عليها كلمة « محصل » ... فهذه الكلمة قد آثرتها شركة السيارات على الكلمة الاجنبية التي عاشت حقبة من الدهر وهي كلمة (كمساري) ... وقد كنت اقترحت كلمة « التذكري » واستعملتها لتقوم مقامها ، ولكن يبدو ان كلمة « محصل » هي التي ستغلب على كلمة (كمساري) غير مأسوف عليها ، وعلى كلمة «تذكري» ايضا مأسوفا على شبابها الغض !

وفي العهود المواضي كانت كلمة (الموسى) شائعة في تسمية الاداة التي يستعملها الحلاقون المحترفون ، فلما اتخذت الادوات الصغيرة التي يستعملها بانفسهم للحلاقة ، واراد التجار ان يسموا مواسيها في اعلاناتهم التجارية ، لم يطلب لهم ان يستعملوا كلمة (الموسى) حتى لا تلتبس بالموسى المعروفة عند اولئك الحلاقين المحترفين ، ونجمت كلمة حديدة في تسمية هذه الاداة الصغيرة الجديدة ، وهي « شفرة الحلاقة » لتمتاز بها عن موسى الحلاق . وفي اختيار تلك الكلمة ذوق مقبول .

وفي خلال المناقشات السياسية الدولية حول مشكلة القناة ، كتب قارىء الى احدى الصحف اليومية ياخذ عليها انها تردد لفظ (الفيتو) الذي يستخدم احيانا حين اخذ الراي في قرارات مجلس الامن ، وهذا القارىء يعيب على الصحف انها تفرض في قرائها المعرفة بمدلولات الكلمات الاجنبية ، ويرغب اليها في ان تستبدل بها بكلمة عربية مفهومة ... وفي ذلك النقد والمؤاخذة برهان على ان القارىء العربي لم يعد يرضى بغير الكلمات العربية التي تثير في الذهن دلالات من قريب او من بعيد ... ولو اننا اخذنا كلمة « النقض » التي اراها معبرة عن معنى (الفيتو) لاستطاع قارىء العربية ان يفهم منها مدلول الاعتراض او الرفض او الرد او ما يتصل بهذا المعنى ، وهي على اية حال ليست كالكلمة الاجنبية مغلقة المعنى ، طامسة المدلول ، يشيع انغلاقها وانطماسها ضيقا في النفوس وحيرة في الاذهان .

وفي اثناء الاحداث القريبة ، كانت البلاد المختلفة في الشرق والغرب تتخذ من الاجراءات التموينية ما تقتضيه الاحوال ، فقرات ثلاثة تعبيرات لمعنى واحد ، هو نظام التوزيع المحدد لبعض مواد التموين ، وقد سمى في « مصر » : نظام البطاقات ، وسمته احدى الاذاعات الاجنبية : نظام الجرايات واطلقت عليه احدى الصحف العربية : نظام المخصصات ... ويستبين في هذا التخالف في التسمية ما يشبه التقاتل في سبيل تسويد كلمة عربية ملائمة تؤدي هذا المعنى الجديد في ميدان الحياة .

وشبيه بهذا مايجري حول كلمة (الفيزا) او الاذن بالخروج من بلد الى بلد ، ففي « مصر » شاعت لهذا المعنى كلمة (التاشيرة) ، وكنت قد اقترحت له كلمة « الوسمة » منذ فترة غير بعيدة فما راعني وانا في مفوضية الامن العام في « بيروت » الا ان اسمع احد الضباط يردد كلمة « الوسمة » معبرا بها عن « الفيزا » او « التاشيرة » ولم يكن في حسباني انها مستعملة في ذلك البلد العربي ، ولا توقعت ان تستعمل في زمن وشيك .

ومما يتصل بهذا ايضا ان مصريا يحمل لقب (اميرالاي) سافر الى بلد عربي ، فلما ذكر هذا اللقب لمن عند الحدود من الحرس ، لم يفهموا ماذا يعني ، اذ كان غير مرتد حلته الرسمية ، ولم ينج من الموقف الحرج الا حين تطوع احد الناس بالشرح ، فقال : انه عقيد ، فما ان علم الحرس بمعنى اللقب حتى رحبوا بصاحبه ، ويسروا له مهمته ، وزالت بينه وبينهم وحشة كان مردها الى الكلمة الاجنبية « اميرلاي » !

وفي صحف « لبنان » قرات اعلانا يبشر فيه صاحبه بوصول كميات من الزجاجات العازلة ، وقد اوضح معناها بمذكرة كلمة « ترمس » بين قوسين ، فقد عز على هذا التاجر ان يطالع القراء العرب بالكلمة الاجنبية وحدها دون مقابلها العربي ، فعبر عنها بالزجاجات العازلة ، وهو تعبير سهل مستوحى من وظيفة هذه الاداة وهي عزل ما تحتويه عن مؤثرات الجو من الرطوبة والحرارة ، وكان المرحوم الشيخ « السكندوي » قد اقترح « للترمس » كلمة : «الكظيمة» وهي لا تخلو من غرابة ، وكنت قد قدمت كلمة « الزمزمية » لشهرتها وان لم تكن « الزمزمية » مثل « الترمس » في وظيفتها ، وتلك هي كلمة « العازلة » تجيء اليوم لتنافس فيما اراد المرحوم « السكندري » وفيما اردت ، وكل هذه الكلمات تتلاقى في انها قوى تكافح الكلمة الاجنبية ، كي تقصيها عن مجال الاستعمال .

وحدثني صديق ان زائرا مصريا قدم « لبنان » فاذا هو يقرأ فيها لافتة احدى الشركات مكتوبا عليها : « شركة مغفلة » ، ولم تفته الدعابة ، فقراها ضاحكا لمن معه : شركة مغفلة، بفتح العين وتشديد الفاء... والشركة لم تشأ ان تكتب الكلمة الاجنبية « انونيم » اي ذات اسهم غير مسمى حاملوها ، او غير مقصودة على اشخاص معينين ، ولعل الشركة لاحظت ان تلك الكلمة الاجنبية اذا كتبت بحروف عربية نبت عنها العيون ، فترجمت الكلمة بما يقابلها من العربي ، وارادت انها شركة ذات اسهم مغفلة ، بسكون الغين وفتح الفاء . وربما كان من الخير ان يقال : « غفلية » نسبة الى الغفل بضم العين وسكون الفاء ، والشيء الغفل هو الشيء غير المسمى صاحبه او المعروف شأنه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يعد ريب في ان روح الافصاح تخفق في صدر المجتمع العربي خفوقا يحفزه على ايثار الكلمة العربية واباء الكلمة الاجنبية .

وليس هذا مقصورا على العلماء في معاهد الدرس ، او الكاتبين في مجالات البحث ، وانما هو شامل غامر ، يستوعب العاملين في ميادين التجارة والصناعة ، وفي مرافق الحياة العامة ، فالصيغة العربية عليهم غالبة ، وسمو الذوق في التعبير بينهم واضح جلي .

واذا كان مجمعنا اللغوي قد لقى من غمزات المتفكهين ما لقى بحق او بغير حق ، حين رغب في اول عهده ان يقدم للجمهور كلمات فصيحة تقوم مقام الكلمات الدخيلة ، للتعبير عن شئون الحياة العامة ، والاسباب الدائرة بين الناس — فان الجمهور اليوم يشارك المجمع او يباريه في هذه السبيل ، واكاد اقول انه يسبقه في وضع الكلمات الفصحى ، وفي اشاعتها للتعبير عن حاجات الحياة .

وان من حق المجمع ، بل من واجبه ان يتسمع الى هذه الهتافات التي تتردد في جوانب الامة العربية ، وان تكون لها اصداؤها في سعيه واتجاهه لا يلقى بالا الى من يتفكهون بالغمز ، فاولئك هم اللاهون الذين لا ينظرون نظرة جد وتفكير ، واولئك ليسوا من الامر في قليل ولا كثير .

ان من حق المجمع ، بل من واجبه الا يجاري الظواهر السطحية التي تبدو كما يبدو حباب الماء ، ثم لا تلبث ان تخفى كما يخفى حباب الماء ... وانه لواجد في صميم المجتمع العربي نزوعا اصيلا الى ان تكون العربية لسان الحضارة التي تغمره من كل جانب ، فهو يسمو الى ان يعبر عن كل شيء يزاوله وكل معنى يخالجه بلفظ عربي مبين .

وقد كنت دأبت منذ زمن على تدوين ما يقع تحت ناظري اثناء مطالعاتي في الصحف والمجلات من الفاظ جدد وجد المؤلفون حاجة اليها فاجتهدوا في وضع صيغها لاداء مدلولات عصرية .

وفيما سلف ، قدمت مجموعتين من كلمات الحياة العامة ، منها ما تلقطته في بعض القراءات والمطالعات ومنها ما اقترحته ، وعرضت لي الحاجة الى استعماله فيما اكتب .

وهانذا اقدم مجموعة ثالثة ، ارجو ان اتبعها مجموعات اخر ، وما اريد بها ان التزم الكلمات التي وضعها الناس قبلي ، ولا اردت ان الزم الناس بما لي فيها من كلمات مقترحة ، وانما انا ابغى وضعها تحت الانظار ، وعرضها على مدرجة البحث ، وتقريب منالها من الراغبين .

واللفظ كائن حي ، مولود جديد ، علينا ان نلقى به في خضم الحياة ؛ لكي يزاول تجربته في هذا الوجود .

★ ★ ★

وهاكم مواليد جديدة في لغة الحياة العامة ...

النيرسري Nursery حجرة الحضانة

السير Serre بيت النبات

قومسيون طبي : لجنة الفحص الطبي .

كونسولتو : هيئة طبية .

اوتوستراد : طريق السيارات

كورس : جوقة

بيرسبكتيف : المنظور .

جيتر : المسماة . الرابن . غطاء الحذاء .

امبرميابل : ممطر . معطف واق .

معطف مطر .

البالون : المنطاد .

البالو : الفنزج (حفلة راقصة يشترك فيها جميع الحاضرين)

الباليه : الرقص الرمزي (تؤديه جوقة من الفنانين) .

الباليرينا : الراقصة الاولى .

الكلاكسون : آلة التنبيه (استعملها قلم المرور في وزارة الداخلية المصرية)

وابور الزلط : الهراس (استعملتها وزارة الاشغال وفيها مصلحة تسمى : « مصلحة الهراسات ») .

الصندل : الصندلة (نوع من الاحذية ، والكلمة معربة من قديم ، ووردت في معجم : المصباح المنير) .

المكمدات : الكمادات .

التشحيم : تزويد السيارات بالشحم وما يتصل بالتنظيم والاعداد

الجرسيه : المكرش .

سينما فستافيزيون : السينما الغائرة او : المنظر الغائر .

تليكومينيكيشن : الاتصال الكهربي

الترمس : زجاجة عازلة ، او العازلة او : الزمزمية ، او : الكظيمة .

الليكوبلاتس : اللصوق .

السيسبنس Suspense التوتر ، مواقف سينمائية تثير الانتباه والتوقع) .

السيرناد (في الموسيقى) : الغرامية

السمفوني : ملحمة موسيقية

الفيتو : النقض

القايش (للموسى) : المشحذ

المركوب : (يخصص لهذا النوع من الاحذية ذي الطابع القديم واللون الاحمر .)

السيفون (لمرافق المياه) : صندوق الطرد .

فوتوجينيك : ذو وجاهة تصويرية

كتالوج : دفتر المعروضات

المونوتيب : السبك الحرفي — سابكة حرفية . او : الصف الحرفي — صفافة حرفية .

اللينوتيب : السبك السطري — سابكة سطرية . او : الصف السطري — صفافة سطرية .

البستنة : تعليم زراعة البساتين وتنميتها وكل ما يتصل بها .

التمصير : صبغ الاشياء بالصبغة المصرية ، مثل تمصير رواية اجنبية ، او تمصير شركة اجنبية ..

التونسة : جعل الاشياء تونسية ، نسبة الى تونس .

السودنة : جعل الاشياء سودانية ، نسبة الى السودان .

التعصير : جعل الاشياء عصرية :ملائمة للحالة الحديثة الحاضرة ، مثل تعصير رواية من انواع الاتباعي (الكلاسيك) واعدادها وفق مقتضيات العصر الحاضر .

البروتوكول : العرف السياسي .

الردنجوت : حلة المراسم

السموكن : حلة السهرة

البنو : الاطار الخارجي لعجلة السيارة .

الشمبراير : الاطار الداخلي لعجلة السيارة .

جيلى المربى : الهلامية

مرملاد المربى : المهروسة

بابيتري Papeterie : وراقة ، وصاحبها : وراق

ليبريري : مكتبة ، وصاحبها : كتبي .

قلم الحبر : المداد (استعمل حفني ناصف منذ خمسين سنة كلمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثكالى

*

في وحشة الدرب البعيد يسير
يحتضن الظلام ، دون رهبة ،
دون خلجة كالاسير
الى ساحة العدم يدب
مؤمنا في الكفاح في ذات المصير
ومن انغام صلصلة القيود
يرتل الآلام ، في رفق ،
في حنان كالغريد
على اغصان خضراء ، يقفز طربا
في حياة ، في لمس العهود
أي وحشة ، أي ظلمة ، أي نغمة
كلهم ثكالى ... يتعزون
بطاقات السجون ... يتأملون
في ذاك القمر ، أصفر اللون
قد أضناه السهر
ينظرون ... الى تلك الشمس
من نيرانها يستمدون سانحات الفرص

أي حلم ، أي وهم ، أي ألم
كلهم حيارى ... يتقلبون
على فراش الازل .. يحلمون
في ذات النحور ... في وجه الامل
يتحدون القدر
كلهم ثكالى ... كلهم حيارى ...
زهرة هي ، باشواك عابثة
فواحة هي ، تذوب على النسمات
تتلاشى في أبخرة الشمس السائرات
تسير على الدروب على نفس الدروب
الى ذات المصير
كالاسير
ملتحف بالقيود ، مع الوحشة ،
مع الظلمة
مع الآهات
مع عفن التراب

وليد ملحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاقلام المدادة)
المازورة : شريط القياس
الطابور : القطار (استعمله الجيش المصري في التشكيلات العسكرية)
برافان : ساتر (استعملته وزارة الداخلية المصرية)
سويتر : عرقية ، او : سويتر ، (على ان تنطق بصيغة التصغير ، اما باعتبارها تعريبا ، واما باعتبارها مصغر كلمة : ساتر على توهم انها عربية)
نظام البطاقات ، او نظام الجرايات، او نظام المخصصات : توزيع المواد التموينية وغيرها بمقادير معينة لا تتعدى .
الدوريات : المطبوعات التي تظهر في مواعيد دورية ، يومية كانت او اسبوعية او شهرية او حولية ، وهي الصحف والمجلات والنشرات ذات المواقيت .
شركة انونيم : شركة غفلية ، وفي بعض البلاد العربية يقال : مغفلة . وهي شركة ذات اسهم غير مسمى حاملوها .
الرجيم : الحمية .
الشفرة : جزء من اداة الحلاقة الشخصية ، ويسمى باسم خاص للتفرقة بينه وبين الموسى الكبيرة التي يتخذها الحلاق المحترف .
الجرتيير : حمالة الجورب
الكمساري : المحصل (استعملته احدى شركات السيارات)
البلاك أوت : التعتيم او الاظلام .
الفيترينة للمتجر : الوجهة
جعل الادب للدهماء : تدهيم الادب
فن صناعة الفنادق : فن الفندقة
الميزانباج : تنسيق الصفحة
مصباح الفلورسانت : المصباح المشع
اتوجراف : التوقيع ، دفتر التوقيعات .

القاهرة **محمود تيمور**

قصة سورية

المنديل

بقلم علي بدور

كيف لم يحضر احد حفلة زواج حسن الدمام ؟ لقد حضرها جميع من عرف في حياته بالاضافة الى الموظف المختص بتسجيل احكام العقد !

لا يزال يذكر تلك الحفلة ، انه الان يذكرها تماما ، ان قصة هذا المنديل الاحمر تذكره بها بصورة اجبارية . لقد انهمك طيلة النهار في اعداد العدة لذلك اليوم الموعود وقد رآه ، وكحل جفنيه بمرأى الناس وهم يفدون فرادى وجماعات ، يبسمون في وجه العريس المنتظر ، ويتمنون له حياة لها اول سعيد ، ونهاية لا تفصح عن الوانها الجميلة المطرزة كذيل الطاووس .

في خلال النهار ، اعد الحلوى .. والشراب ، وتحدث مع المختار كي يأخذ له الاذن من المخفر ، حيث سترتفع الاصوات .. وستعزف الموسيقا ، وستعلو اصوات الشباب ، اولئك الذين يتبارون في انشاد المواويل ، وكذلك فقد حدث القهواتي ، فأحضر عدته .. وهيأ القهوة المرة ، وكانت الدلائل كلها تشير الى ان حفلة عرس حسن الدمام ، ستوف تكون من انجح حفلات الموسم .

وقد صدق ظن كل من تنبأ بذلك ، حتى حسن الدمام نفسه .. انه لم يخب له ظن ، فقد جلس يستمع الى مواويل الشباب .. وتأمل رقصات الفروسية كما اشترك في الدبكة العربية ، وقعد امام الموظف المختص ، يسأله فيجيب .. والبسوه ثيابه التي اعدها خصيصا لهذه المناسبة ، ومازحه من احب المزاح ، وبينما كان الشباب ، يتبارون في الصراخ والضحكات ، كان الى جانبهم ، في الدار المجاورة ، مئات من السيدات والانسات يشتركن في بهجة زينب بعرسها ، بيوم حياتها الاول والاخير . وكان اجمل ما في زينب ، ذلك البرقع الشفاف من الخجل الذي زاد من احمرار وجنتيها وافاض على فتنتها ، كل ما يخطر على بال المرء حين يتصور ، فتاة تعدنفسها لان تخلو بفتى احلامها ...

لقد تزوج حسن الدمام ، وحلقت السعادة فوق رأسه ورس عروسه والى الان لا يزال يسمع حفيف اجنحتها ولكن الاجنحة بالذات مضت بعيدا . انه افاق على الواقع ، فوجد عروسه من هاتيك النساء اللاتي ينسين كل شيء ويذكرن انفسهن ، لا يسألن عن ازواجهن وكيف يتعذبون ، وكيف يجب ان يتقاسموا العذاب والافراح معا ، وعندما رزق بولده الاول ، حسب انها سوف تؤوب مع وفادته ، فتضع عقلها في راسها ، وقلبها في صدرها فلا تخلط في مناقشة وقائع الحياة ، بكل من هاتين الاداتين وما قدر لهما.

انزاحت امام عينيه مئات من الاقنعة ، وسمع قصصا عديدة عن سلوك والدتها قبل سنوات عديدة من زواجه ، يوم كانت حماته زوجة رجل بسيط ، له ثلاث بنات !! ولكنه وضع هذه القصص التي سمعها ، في سلة المهملات .. اذ ليس من انسان يخلو من قصة قد تشين سيرة حياته ، فاذا محصت تمحيصا ، ظهر باطلها من زيفها . ولكنه لا يزال يذكر الى اليوم كيف نبهه احد اصدقائه المخلصين الذين يثق بمودتهم وصداقتهم ، الى ان الفتاة صورة عن امها .. فاذا كانت الام شريفة ، كانت الفتاة شريفة مثلها ، بل واكثر استقامة اما اذا كانت الام متهاونة ، رات من فتاتها تهاونا اكثر .. في كل شيء !!

ولكن كان عليه ان يتحقق من سلوك الام .. الا انه ارتد خائبا اذ من يستطيع ان يدله في هذه المدينة الكبيرة على الذين مروا بها ، وقضوا معها ساعات لذيذة ليس مثل لذتها ، ومن يستطيع ان يجزم بان زوجها — والد زوجة حسن الدمام — كان رجلا مغفلا ؟! لانه مثلا ، كان يرى الفضيحة من حوله ، فيسكت .. وكان يرى زوجته ترتدي الثياب الجديدة ، وكذلك بناتها ، دون ان يدفع من جيبه قرشا واحدا ! اتمطر السماء ثيابا ؟ لم يحدث ذلك قط ، وليس من المنتظر ان يتم مثل هذا الافتراض الغريب !!

الخلاصة ... انه مضغ سيرة حماته مضغا ، ولو بصعوبة .. كان كمن يتناول طعاما لم يلبث على النار ، كفايته ، وان كانت تلوح عليه امارات النضج ، وتقدم لخطبتها ، لقد لقي الصدود اكثر من مرة ، وكانت حماته في تلك الايام ، امرأة ذات ثلاثة انوف وفي كل يوم تلقاه بأنف مصعد ، فاذا ما تعب انفها من كثرة التصعيد ، استبدلته باخر ، اما والد زينب فكان يبتسم في وجهه ، ويدعه يقرأ على ضوء ابتسامته ، ان الزواج مشكلة لا بد من ان يلقى المرء في خلال عبوره طريقها ، كثيرا من العنت والارهاق فاذا اجتازها بسلام ، شعر بحلاوة النصر ، في الليل الاول ، وقد يمتد هذا الشعور السعيد طيلة العمر

كانت احاديث عمه المرتقب — في حينها — اشبه بالبلسم الذي يخفف من الام الجراح ولكنه كان في كل يوم يزداد جرحا ، الى ان فاز بزينب فتممها الله على خير . ولكن ايامه اخذت تسوء ، وبخاصة بعد ان صار ابنه ، يستطيع ان يميز امه من ابيه ، وفي خلال ذلك ، وبالاضافة الى اكتشافه خلة السوء — ولو بالحدس — في حماته ، اكتشف شيئا اخر في زينب ، انها لا تستطيع ان تقنع بالقليل . هي تريد ان تعيش مثل ما كانت تعيش في بيت ابيها ، انه كان يقبل لو طالبته بمثل ما كان ابوها ينفقه على البيت ، ولكن انى له مواهب امها النابغة ، فيجلب المال من منابعها الدافئة ، مثل ما تجلبه حماته .. وتقول لفتياتها الثلاث كعادتها دائما :

— تمتعن يا بنياتي بالحياة ...

لقد كان يملك سيارة شيفروليه ، انه يشتغل عليها طيلة النهار ، وفي الليل يشتغل عليها احد السائقين بالاجرة ، ان سيارات الاجرة تعطي مردودا لا بأس به ، ولكنه ليس ممتازا انه بالاضافة الى اجرة السائق ، ونفقات البيت .. وزوجته !! عليه ان يدفع القسط الشهري من ثمن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيارة : خمسماية ليرة سورية

وبدات المنازعات ، تعقد لواءهـا فوق سارية بيته الذي يخاله هادئا. ان زينب تريد مالا زائدا عن طاقته. وكذلك لا تستطيع ان تذهب الى بيت ابيها في اوقات معلومة ، وقد ذهبت كل محاولاته عبثا ، لمعرفة الساعات التي يخامره فيها الشك بان اهلها يشتاقون اليها ، ويريدون رؤيتها .

جاء مرة الى البيت، فوجد صبحي ابنه يبكي ، لقد تركته امه .. وذهبت فانكفأ يسأل عنها فلم يجدها في بيت اهلها ، وكذلك حماته فقد كانت غائبة، ولكن زينب عادت بعد ساعة، مضطربة خائفة ، تلوح على محياها امارات الذعر والهلع ، وقد فسر هو من جانبه ذلك كله لانه قد عاد دون ان يراها ، فابتسم اكثر من مرة لدموعها اللؤلؤية وهي تجلو صفحة نفسها الوضيئة ، بعد ان أظهر لها امتعاضه ، وعنفها على تغيبها ، ولعلها قد منحته اذ ذاك من نفسها كامراة اكثر مما كان ينتظر رجل !!

ولكن هذه القصة ــ قصة تغيبها ــ تكررت اكثر من مرة . لم يرها في البيت ، ذات يوم اخر ، فغادره الى بيت اهلها ، وهناك وجد صبحي بين يدي خالته ، ولكن امه وامها، غائبتان لعلهما كما تدعيان ، قد زارتا طبيب الاسنان ، او القابلة، او الخياطة ، او صانع الاحذية ، فعاد بصبحي الى البيت ، هي غائبة مع امها ، هكذا تقولان ، ولكنه لا يستطيع ان يجزم ، واخذ يستعرض كل ما كان قد سمعه عنها ، وعن امها ، وفكر اكثر من مرة ان يصمها بالتهاون في الحفاظ على شرفه ، ولكنه خاف ، ولم يجزم، وهم بان يقذف الشيطان باكثر من حجر . كيف يجرؤ على ان يتهم زوجته زينب ام ولده ، تلك الفتاة التي رآها مرة .. فعلق قلبه بها ، وبذل كل ما ادخره في سني شبابه من اجل ان يجمعها معه تحت سقف واحد ، وفي سرير الزوجية المقدس ؟! يا لها من امراة جميلة ، وتريد ان تحيا حياة عميقة ، انه يسأل الله ان يمده بالرزق الوفير، ليدعها تتذوق لذة الحياة دون ان تهاب يوم فقر ، يطرق عليهما الباب بلا استئذان .

كان كثيرا يسألها ، هو لا يستطيع ان يسألها هكذا بصراحة ، انه يخاف منها .. يخاف جمالها .. يخاف ابتسامتها .. يخاف سحرها وفتونها انه يحيا من اجل ابتسامة تضيء شفتيها ، فتضيء ظلمة حياته .. هو يحبها ، ويصرح بهذا الحب . لا يخجل ولا يأسف لانه رجل .. يحب زوجته تلك التي تدعه يعيش هنيئا سعيدا ، كان ينصحها .. يتعطفها .. يرجوها .. ان تحرص على صبحي . ان صبحي ثمرة حبهما وسعادتهما ، وكل ما لهما في الحياة . وكان اذا قعد يتأملها وهي تعنو بصبحي وتغني له اغنيات قد لا يفهمها الا الاولاد ، ومن كان له قلب مثل قلوبهم .. يتعجب بل ينسى بالمرة .. كل ما كان يخطر على باله من اسباب الشك في سيرتها .. في سلوكها ، وفي زمالتها لحماته المحترمة ، تلك التي كانت دائما تلبس جيدا .. وتاكل لذيذا .. وتنفق عن سعة !!!

اكان رجلا بلا شخصية اذن ؟

اكان من اولئك الذين يفقدون ارادتهم امام اول ابتسامة ، وامام اول قبلة ، فيعودون عاجزين ، لا يستطيعون ان يثوروا وان يقذفوا بمن يستهين بهم وبرجولتهم بما تجمع في ايديهم من ادوات الكرامة والحقد والغضب ؟ ولكنه في اعماقه كان يشعر انه قوي اكثر مما يجب .. ولعله وقد شعر انه جد قوي ، فانه لم يستطع ان يتصرف بجزء مناسب من قوته ، بغية وضع حد اخير ، لما يعانيه من اسقام ، وخواطر سوداء وهواجس قد اخذت تراوده في كل ساعة من ساعات الليل او النهار .

لم يستطع حسن الدمام الا يفي بتعهداته للشركة التي تملك السيارة ، فباع سيارته وسدد ما عليه ، وبقي بين يديه بضعة مئات من الليرات ، وهي لا تكفيه لان يشتري عربة يجرها جواد .. فكيف بها بعربة لها اربعة دواليب يدفعها البترول ؟ ! وبقدر ما كان حسن الدمام يائسا ، قنوطا في تلك الليلة التي عاد فيها الى منزله ، وهو يحدث زوجته زينب عن قصة السيارة ، فقد اخذ القنوط بزينب ايضا من كل جانب ، واختفت وضاءتها وكذلك بسمتها ، وكادت تنهمر دموعها .. ورثت بكلمات بسيطة تلك السيارة ذات اللون الرمادي ، هذه السيارة التي عرفها كل اهل الحي ، نساء ورجالا ، وبخاصة صديقات زينب ولعل شدة الاسى ابقت على بعض الذكريات القديمة .. يوم كانت زينب وامها واخوتها وابوها بالاضافة الى زوجها وابنها صبحي ، يذهبون في نزهة طويلة او قصيرة ، انهم يومذاك كانوا يستطيعون ان يقلدوا الاغنياء دون ان يبدو عليهم ، انهم يتصنعون ، او انهم يتعبون من جراء تقليدهم ، شلة الموسرين في حيهم ، ولكن اليوم ، ان زوجها سوف يعود سائقا بالاجرة ، سوف ينتقل من سيارة قديمة الى اخرى جديدة . ومن سيارة جديدة الى سيارة امضت نصف عمرها . ومن سوداء الى حمراء .. الى صفراء الى كل ما يخطر على بال فورد ، وامثاله من ملوك السيارات ! !

لقد اختل نظام عمله ، بعد ان صار يعمل بالاجرة . كان قبل ان يبيع سيارته او قبل ان تضبطها الشركة اذا اراد الدقة في التعبير .. يعود مساء الى منزله ، ولكنه اليوم ، وبعد ان اصبح سائقا اجيرا ، لم يعد

صدر حديثا عن :

دار صادر ــ دار بيروت

رسائل اخوان الصفا

وخلان الوفاء

يصدر هذا الكتاب في ١٢ جزءا ثمن الجزء ٢٥٠ ق.ل. بالاشتراك و ٣٠٠ ق.ل. عند اكتمال الكتاب

صدر الجزء الاول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يستطيع ان يتصنع الدقة في مواعيده مع زينب . وان كان كعادته السابقة ، قد يمر بالبيت في اوقات غير معلومة وقد يشاهد زوجته او لا يشاهدها . انه اخذ يشتغل طيلة النهار ، وكان يكتفي بان يكون غداؤه ساندويشة ، او صحن حمص او فول . ولكنه عندما يشتغل طيلة الليل كان لا يذهب الى منزله قط لينام فيه . وقد يمر في العاشرة او بعدها او قبلها ، ولكنه كان يرجو حماته ام زينب ان تتلطف مشكورة وتتفضل كي تبات عند ابنتها فتؤنسها وتبدد عنها وحشتها .

وانهمك في العمل الجديد ، وهو وان شعر بالفارق بين العملين دون ان يتحرك عن المقود ، الا انه تذوق طعم السيارة عندما تكون ملكيتها لسائقها وبين ان يكون سائقها اجيرا يتناول خمس ليرات عن عمله طيلة الليل او طيلة النهار ، وكان تعبه هذا لا يمنعه من الاهتمام باخبار زوجته وامها ولكن لا الى حد ، يستطيع ان يصدق فيه انه مضحوك منه ، وان زينب ان كان لها وجه ملاك ، فلها جسد شيطان ، وان حماته قد تخمرت في راسها كل افكار السوء .. وتعتقت كل خمور الصبابات .

يذكر انه عاد في الحادية عشرة ذات ليلة ، وحاول ان يفتح الباب فاستعصى عليه فطرقه طرقات عديدة فلم يجبه احد ، فظن ان زينب — في هذه الليلة — عند حماته فمضى الى بيت اهلها ، وفي الطريق كان يفكر ، باتعابه وبهمومه ، وبحاله التي وصلت الى ما وصلت اليه ، من ذل وانكسار وافلاس ، بينما امراة جميلة تتعذب ولا تلقى زوجها بجانبها في بدء كل ليلة ولا في نهايتها ، وعاود الطرق من جديد على باب بيت اهل زوجته ، فاجابه عمه بالذات ، ابو زينب ، ثم عاد بعد ان افاده ان زينب وامها ، قد خرجتا عصرا .. واوصاه بالصبر ، وعاود مرة ثانية الطرق ، ففتحت الباب زينب بثياب النوم ضاحكة طلقة

— اتذهب بعد طرقة او طرقتين . اننا في هذه الايام يا حسن ننام نوما عميقا ! !

ويذكر ايضا انه في اليوم التاني وبينما كان يهم بمغادرة سيارته الى حيث يجد الطعام الهنيء والوجه الوضيء ويلقى ولده صبحي استرعى انتباهه منديل احمر ذو اطراف بيض في طرف المقعد الخلفي .. فتفاءل خيرا من هذه السيارة التي عمل فيها ليلة البارحة لاول مرة . لقد تشاجر مع مالك السيارة التي كان يقودها .. تلك السيارة البنية ، ولكنه سرعان ما وجد عملا بعد ساعة من مغادرته تلك السيارة البنية ، ولكنه سرعان سوف تضحك كثيرا عندما يعلمها عن سيارته الجديدة هذه ، وعن رقمها وماركتها .. يا لها من مجنونة بهواياتها انها تريد كل التفاصيل وكل سيارة ، يشتغل فيها : رقمها ، لونها، طرازها .

وعاد يقلب المنديل بين يديه ويبتسم لقد تذكر الان ، لعلهما الشابان اللذان اتياه ليلا .. الساعة العاشرة تقريبا ، وسالاه ان يؤجرهما سيارته لساعة ، وبعد ان استوثق من شهادة السوق سلمها المقود . لقد مرا بزملائه السائقين الثلاثة الذين كانوا ينتظرون بسياراتهم خلفه ، متله مناسبة للعمل ، ولكنهم اختلفوا مع الشابين على السعر . اما هو فقد قنع بالاقل لانه اراد ان يقدم لصاحب السيارة في الصباح مبلغا لا بأس به .

خيل اليه انهما يريدان السيارة للنزهة في ضوء القمر ، او ان احدهما يريد ان يقودها في الطرق الخالية ، ليتقن قيادتها باشراف من زميله.. ولم يكن يخطر بباله ان سيدة جميلة سوف تنعم بركوب السيارة.. ورفع المنديل الى انفه ، فشم رائحة مسكرة توحي بان صاحبته امراة فنانة . هي لذة كلها ! !

دس المنديل في جيبه ، ليهديه لزوجته . وهو بعد ليس اول ولا آخر من يجد في سيارة للاجرة مثل هذه الاشياء المهملة .. انه كثيرا ما وجد امثالها . ينساها ركاب عجلون ، وكثيرا ما يفتقدونها . فاذا سألوه اياها اعادها اليهم ولكنهم ان لم يعودوا دخلت في ملكيته من اوسع الابواب .

استقبله في البيت صبحي بصراخ حاد انساه كل ما فكر به طيلة الليل وكذلك المنديل الفريد ، وكذلك رائحته المسكرة . وبينما كان يحتضن ابنه صبحي كانت زينب تحاول ان تعد لزوجها طعام فطوره . فكر حسن ماذا لو ناول ابنه صبحي قطعة سكاكر مما تعمر به حقيبة زوجته زينب ؟ ثم حاول ان يبحث عن قطعة سكاكر من الحقيبة فلم يجد لاول وهلة ؛ فامعن في البحث الى ان اهتدى الى قطعة شوكولاته ، ناولها لصبحي وترك المحفظة دون ان يغلقها ، اذ بزينب تهجم عليه في هيئة جد وتختطف المحفظة من بين يديه ، وتضحك لاخذه قطعة الشوكولاته التي كانت تصبغ نصف وجه صبحي على اقل تقدير ، وبينما كانت زينب تتفقد حقيبتها وحافظة نقودها باحثة عن قطعة اخرى لصبحي ، مطت شفاهها بدلال يغرى بالجريمة وسألت زوجها بشيء من الحمق الظاهر :

— ... والمنديل يا حسن يا حسن ، اين خبأته .. انه لا يصلح للرجال .. اتريد اهداءه لاحدى خليلاتك العديدات ؟ !

فاجابها حسن بدهشة الزوج البرىء :

— اي منديل يا زينب . لا علم لي بشيء . صدقيني لم اخذ من محفظتك سوى قطعة الشوكولاته ؟ !

— المنديل الاحمر ذو الاطراف البيض .. منديلي ! !

حلب — **علي بدور**

صدر حديثا

الامارات السبع

على الساحل الاخضر

عرض جغرافي وتاريخي وسياسي واجتماعي واقتصادي لهذا الجزء المجهول تقريبا من الجزيرة العربية

مع اربعين صورة مختلفة وخارطة كبيرة ملونة

منشورات دار الحكمة ببيروت

محطة رينو — بناية تامر

حبي

*

حُبِّي .. الذي سقيته من دمي ... ومن حياتي ، كأس عطر ونور
هذا الذي وزعت اطيافه ... على التفاتات الصباح النضير
يرش في الدرب اناشيده ... فيرقص الدرب ، ويغفو العبير
وينحني يزرع من روحه ... ورد الاماني في ضفاف الغدير

* * *

حُبِّي هذا ، لم يعد ، مثلما ... كان ، حديثا خافتا في الصدور
يهمس باللقيا ، ويحنو على ... الظلال رخوا كالنسيم الغرير
يرتاع من لفتة اجفانه ... ان اومأت للسرِّ خلف الضمير
ويحذرُ الانجمَ ـ ان شاقه ... طيف من الليل ـ نديُّ الشعور

* * *

حبي : انطلاق النور عند الضحى ... وروعة اليقظة عند البكور
اقوى من الحياة ايمانه ... ومن صمود الدهر فوق الصخور
يسير ، فالدنيا على ضوئه ... انشودة تطغى ووحي يثور
ويلتقي بالشوك في دربه ... فيحطم الشوك ويجني الزهور

* * *

حبي : حياة الحب في موكب ... الشمس وسرُّ الابد المستنير
عاش مع النعمى ، وطارت به ... احلامه في أمنيات النسور
الى ربيع وادع ، لم يدع ... في الارض وحيا، لم تزره العطور
وخلَّد اللذة حتى انثنت ... تمرع بالاحلام وعيَ الدهور

* * *

حبي : يا ليلاي ، يا فرحة ... الاضواء ، يا نبع الحياة الطهور
خلقتِه في خاطري روعةً ... للفن تستلُّ حديث العصور
وكنتِ بالامس اطار الهوى ... وكنتُ لونا باهتا في السطور
ورفرفَ الفجر على خاطري ... وانتفض الحبُّ على كل سور

* * *

وعاد حبي في عروق الضحى ... منطلقا يحيا بقلب كبير
يهفو الى الفجر ، يثير السنا ... الريان في اهداب جفن كسير
ويحضن الوجود ، في روحه ... عاطفة تسمو وفكرا ينير
نيلاه : ما في الكون من فتنة ... غرقى بامواج الصباح النضير

نزيل العراق — محمد حسين فضل الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منازع العالم الحديث : قصة الانسان

بقلم هنري موراي

استاذ السيكولوجية السريرية في جامعة هارفرد

ترجمة يوسف اسعد داغر

يحب الناس شيئا حبهم وضع القصص عن انفسهم وهي قصص طالما جسموها وحيزوها واقعيا في الرقص والغناء والعبادة، او في الحرف او الكلمة مطبوعا او منقوشا في وشي بديع من بديع الزخرف، اومفرغا في هذه النظريات والمذاهب التي طلع بها العلم والفلسفة على تعاقب السنين والاجيال .

ومن الخصائص والمميزات التي يتصف بها هؤلاء المجسمون لاعمالهم ومآتيهم التي يجدر ملاحظتها منذ اللمحة الاولى ، ما فيهم من نزعة قوية لتعطيل عقولهم من اية قوة او قدرة على الخلق والابداع العفوي . فهم يعطلون لها ، بدء ما يعطلون ، عندما يحلو لهم ان يصوروا انفسهم مخلوقات لا طاقة لها على الخلق والابداع ، فيظهرون مظهر دمى لا اكثر اريدت على اقدار ومصائر محتومة ، وفقا لما رسمته لهم قوى جامحة ، او الالهة او الميكانيك ، او الوراثة او البيئة . ثم يعطلون لها مرة ثانية عندما يدعون زاعمين ، بان هذه الصور يصورون بها انفسهم ، ليست من بدع الخيال ، بل اوصافا امينة ، مطابقة للواقع ، او صورا طبق الاصل . او نسخة حية للواقع المحيز .

اما ظهور الانسان وتكوينه ونشأته فدونه حكايات وحكايات قديمة قدم الانسان نفسه ، وهي قصص لا اود ان اتعرض لها بكلمة هنا ، اذ انها تخرج تماما عن الصدد المرسوم لي . فمن واجبي ان ابدأ بقصة حديثة نسبيا ، هذه القصة التي تقول ان الانسان انما انحدر — او بالاحرى — طلع من ادنى الاصول ونسل من احط الاباء ، فهو مزيج صارت اليه ، في نظر القائلين بهذه القصة ، صدفة واتفاقا ، عناصر كيماوية من الجنس الرخيص المبتذل ، تفاعلت وانفعلت ، كالهيدروجين والاوكسجين والكربون والنتروجين . فبدلا من القول بيوم واحد اطلعه ، فقد اطل واستهل بعد ان حبلت به السنون ملايين من الاعوام او ما اليهما من الازمان ، في سلسلة من الاشكال والقوالب تعاقبت عليه دون ما حد ، اصارته في النهاية ، في اخر المطاف ، الى ما نراه عليه اليوم من صورة ومثال. وبدلا من ان يطلع به الوجود كما اطلع آدم مثلا في حالة مثلى هي التي ينشد ، اخذ يدرج من ادنى الى اعلى ، الى الاعلى ، فالاسمى ، مكتسبا في تدرجه وتطوره المتتالي قوى ومناقب ، وملكات وخصالا ، بانتقاله من حال دون الى حال اكرم ، ومن طور الى طور ، دورا بعد دور ، في هذا الحقب الهلكية التي اصارته ما صار فيه واليه .

ان نظرية النشوء والتطور التي دان بها دارون وعلم والتي سار عليها السمك في الماء والزحافات في الخفاء والطير في الهواء وغير ما ذكرنا من لون او صنف وعرق في الحيوان بما فيه الانسان تشدد على عنصرين هامين : اولهما ما طرا على هذه الحيوانات وما اعترى الكائنات الحية من تغييرات طفيفة عارضة لا حد لها ولا حصر ، وثانيهما بقاء واستمرار هذه الاجهزة التي عرفت ان تفيد من هذه التغييرات ، وبالتالي زوال وانقطاع تلك التي طرات التغييرات عليها او وقعت بها فكانت وبالا عليها . وعندما برزت ، في منتصف القرن التاسع عشر ، النظرية القائلة بتدرج الانسان منذ ان برز على الارض بشكله البدائي المتنازع فيه فرأى الناس فيها انتقاصا من محتده وحطة من اصله وفصله . اما القول بتدرجه من شكل نسناس ليفضي به الى قوامه المنتصب الراهن ، فلم يكن ليأتلف قط وجمال هذه النفس الزكية الذي مسخ وزال منذ ان حاد وزاغ عن صورة أب الاباء آدم . والنظرية الجديدة جاءت تصدع من جديد قوة العقل فيه وتصميه اذ تقتطع منه خلتين طالما استمسك بهما واعتصم ، هما : القول بصنيع الله ولبس صورته ، اي القول بوجود يد خفية تحركت فوجهت الحوادث وحتمتها على كيف وكم ، والثانية ، العلة الغائية او القصد الذي قال به ارسطو (١) وعلم ، وهو شيء ، اقرب ما يكون بمقصد الانسان وغايته الاخيرة . وهذه الملايين من التغييرات التي مر بها الانسان في تدرجه الصاعد خلال ملايين السنين التي درج فيها ، يمكن النظر اليها كتغييرات عرضية ، وبالتالي خالية من اي هدف وغرض .

وبالرغم من تشديد دارون على عامل الحادث الطارىء او الصدفة في نظرية النشوء والارتقاء التي طلع على العلم بها فقد رأى بعضهم فيها تشجيعا لاعتقادهم ان جميع

(١) ارسطو او ارسطاطاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) اكبر واشهر واخصب فلاسفة اليونان ومن اضخم واقوى العقول البناءة التي عرفتها الانسانية ، عبر تاريخها الطويل غذت فلسفته اليونان كما غذت ولقحت الاجيال المتعاقبة في القرون الوسطى : في الشرق الاسلامي والعربي والغرب المسيحي فلقب بالمعلم الاول . كانت فلسفته اساسا للفلسفة المدرسية

الظواهر البيولوجية ، بما في ذلك سلوك الانسان ، يمكن اعتبارها مظهرا من مظاهر خصائص المادة الفيزكيمائية . والكلمة التي جاؤوا بها رمزا او تعبيرا عن هذا الاعتقاد هي «الجهاز» اذ ان الطبيعة الانسانية ليست سوى جهاز كهربائي غاية في التعقيد .

وقصة الانسان هذه ، باعتباره جهازا فيزكيمائيا ، هي القصة الثانية بين القصص التي ارويها لك عنه . فهي تنتقص الى اقصى حد من قيمته الذاتية ، وتمعن اكثر من النظرية الداروينية في ايهان رغائبه ، اذ انها تقول بان الانسان انما جاء مفسودا او ساقطا . وبحسب النظرية الالية هذه ليس فينا نحن البشر من القدرات والكفاءات ما يؤهلنا لاية مثوبة ولا لاي عقاب او جزاء . فنحن بحسب النظرية الالية ، آليون ، تلقائيون لا اكثر ولا اقل . وبهذه الصفة ، اي باعتبارنا آليين تلقائيين نصبح ادنى بكثير من هذه الدمى او « الخرضاوات » ، الدقيقة التي يطلع علينا بها العالم اليوم . ومع ان بعضهم استساغ هذه النظرية واستطابها فقد كان ، مع ذلك ، من الصعب على بعض المعد هضمها وتمثلها لعلمهم ان الالة لا تنمو ولا تكبر بعد ان لا تاكل ولا تشرب مما حولها لتجدد نفسها ، ولا تبدي عادة ، اي رد فعل او ارتكاس ، ولا تتضام فتتكاثر وتتناسل او تربي لها صغارا وتقيم منها مجتمعات . وعدم التوفيق في اختيار كلمة « جهاز » للتعبير عن هذه القصة من القصص التي جيء بها لتفسير طبيعة الانسان ، لم يبد واضحا الا حينما بطل الاخذ بالميكانيك الكلاسيكية (او الميكانيك النيوتونية) اساسا لعلوم الفيزياء والكيمياء .

ان الافتراض غلطا بامكان التعبير عن طريق مصطلحات ميكانيكية مجردة عن التغييرات العضوية المتتالية التي تعاقبت على الانسان عبر الاجيال ، امر يجب الا يكون وقع لو لم تكن الاوضاع والمصطلحات التي وضعها داروين تجاهلت تماما واخفت ما في الطبيعة من قوة خلاقة هائلة وهي قوة لا ترد وبالتالي غير ميكانيكية . ان النظرية التي قال بها داروين تفرض كما رأينا حدوث تغييرات في الاشكال . ولكن ما عسى ان يكون تغيير الشكل سوى ظهور العناصر المقومة بشكل اخر ، بقالب وحيد ، احتفظ بشكله وقوامه المعين الى حين . وبهذه الكلمات نفسها تحددت قابلية الخلق وتعينت .

والصورة البدائية لنظرية التطور الخلاق او المبدع — وهي القصة الثالثة من القصص التي نرويها لك عن اصل الانسان ونشأته وتكوينه — هي تلك التي جاء بها برغسون (٢) عندما وضع بين ايدينا نظرية « الاسهام المنوي » Seminal Contribution منذ ظهور النظرية المذكورة ، حاول عدد من كبار المفكرين ، بينهم لويد مورغان ول. هوايت افراغ هذه النظرية باشكال شتى تختلف قليلا او كثيرا من حيث الاصالة . وهذه النظرية تقول بصورة عامة مجملة ان عمل الطبيعة التطوري هو عمل تحولي متصل ، الا انه بطيء يكاد لا يشعر به ، تارة مكمل ، ضام وطورا قاطع ، فاحم ، وان بين هذه التحولات المكملة الضامة ما هو خلق وابداع لا مثيل له ولا نظير في التاريخ من قبل . وقد يجري هذا من الوجهة الكيماوية العملية ، باندماج ذرات ودقائق وبلوريات اكثر تعقيدا وتركيبا من الاولى ، ولربما بعد ذلك بكثير ، باندماج كائنات حية بعد طلوعها بكثير ، كبعض المورثات الجديدة بما اليها من غشاء البروتوبلازما الذي يغلفها ، ثم بعد هذا الطور البيولوجي اللاحق ، المورثات وما آلت اليه من تطورات وتحولت المت بها اثر تفاعلها بالمحيط والبيئة ، في اشكال وقوالب ، وقابليات ، وطاقات ،وادمغة ، ووعي حيواني مما لم يكن له شبيه من قبل . وهذا ينطبق ايضا بنفس القوة على الحقل الاجتماعي وما ظهر فيه من فئات وعلى جملة من الشبكات العصبية الرابطة بين اعضائها المختلفة ، وفي الحقل الفكري والرمزي مما يتعلق بنشأة الكلمات وطلوع الافكار ، وهذه الافكار الجرثومية الاصيلة التي برزت من خلال هذه التعابير التي لا تحصى والتي عبرت عنها هذه الاساطير والاعتقادات والاراء الفنية ، والتصديقات الادبية والقانونية والرسوم الفنية . وفي بروز احداث الحياة ومظاهرها الموصوفة هذه لم تكن العمليات النشوئية البارزة عمليات آلية عكسية بل بناءة غير عكسية بعد وقت طويل ربما تجاوز مليون سنة واكثر .

ونظرية داروين التي تقول بتنازع عنيف في سبيل البقاء وزحام لا رحمة فيه بين الاجناس لبقاء الاصلح ، تلقفتها بعض العقول كأنها صدى من الاصداء المنطلقة من فلسفة هوبس (٣) التي تقول بتنازع الناس الواحد منهم ضد الاخر . وهذه النظرية الموصوفة على هذا الشكل وقعت من نيتشه (٤) موقع النغم الشجي المثير فحفزته واخرجته الى ما وراء حدوده ليطلع على الملأ بابشع قصة من هذه القصص التي تتعلق بتكوين الانسان وطبيعته هي القصة الرابعة من سلسلة الاقاصيص التي نحن في سبيل عرضها الان .

(سكولاستيكية) التي يمثلها خير تمثيل توما الاكويني وبونافنتورا والبير الكبير وغيرهم .

ولد في مدينة ستاجيرا . درس على افلاطون (٣٦٧ — ٣٤٣ ق.م) وعهد اليه الملك فيلبس المقدوني تهذيب الاسكندر الكبير . انشأ في اثينا مدرسة فلسفية تعرف بمدرسة المشائين . péripatéticiens تعاليمه الفلسفية مشوبة في الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها على تلاميذه فتالف منها كتبه المعروفة : المنطق — المتفيزيقا — العلم الطبيعي — علم الاخلاق — علم السياسة — علم الخطابة — علم الشعر . عرفت فلسفته عند العرب ابان ازدهار المدنية الاسلامية في عهد العباسيين شرحا وتفسيرا واقتباسات ، كما نقلت في الاونة الاخيرة بعض كتبه هذه في مصر مثلا الى العربية ، مترجما ترجمات لا يمكن ان يعول على اكثرها بشكل من الاشكال لما فيها من الظنة والاضطراب والبلبلة .

(٢) هنري برغسون (١٨٥٩—١٩٤١) ، فيلسوف فرنسي من كبار الفلاسفة المحدثين ولد في باريس . تولى تدريس الفلسفة في كلية فرنسا ووضع نظرية فلسفية تعرف ب « البرغسونية » اثبتها في كتبه التالية : رسالة في معطيات الوجدان البديهة (١٨٨٩) الذي ترجمه الى العربية الدكتور كمال الحاج — بيروت والمادة والذاكرة (١٨٩٧) — الضحك (١٩٠٠) الذي نقله الى العربية الدكتور سامي الدروبي (١٩٤٧) — والتطور الخلاق الذي ترجمه الى العربية بديع الكسم (١٩٤٩) والديمومة والمواقتة (١٩٢٢) — الاحلام — الذي ترجمه الى العربية الدكتور البير نادر في مجلة الرسالة ، مجلد ١١ و١٢ (١٩٤٢ — ١٩٤٣) . وله كذلك الطاقة الروحية الذي ترجمه الى العربية سامي الدروبي (١٩٤٦) — و منبعا الاخلاق والدين — الذي نقله الى العربية سامي الدروبي وعبدالله عبد الدايم ، في القاهرة ، سنة ١٩٤٥ .

اما الفكرة الرئيسية في قصة الانسان الجديدة هذه يطلع علينا بها نيتشه ، فالتأكيد بان العامل الاساسي في تطور النشوء ليس قط الرغبة في البقاء ، بل الرغبة الملحة في السلطة والتمتع بها ، وفي رغبة الناس للامتلاك والتصرف دونما رحمة ولا شبع، ونهمهم للاخضاع والتحكم وللقتل والابادة ـ اذا ما حملوا على ذلك ـ لما يقع تحت متناولهم او في حيازة البيئة التي عليها يسيطرون ، سيان ان يكون ذلك جمادا او حيوانا او انسانا .

فبعد الذي راينا في حربين عالميتين ضروسين اكولين برز فيهما الانسان أقتل بني جنسه وافتكهم على الاطلاق ، وفرض على العلماء عنده والاختصاصيين شحذ قرائحهم وقدح زناد الفكر ليطلعوا عليه بادهى وسائل التقتيل والافناء بالجملة ، نعم بعد حربين هاصرتين من هذا العيار الثقيل ، ليس في مكنتنا ان ننبذ جانبا ونطرح بين المهملات نظرية نيتشه بهزء وهزة كتف ومد طرف اللسان . ان نظريته يجب ان تفرغ من جديد ويجري تعديلها بنظرية اخرى لتنسجم والنتائج الاساسية الاخيرة التي ادت اليها نظرية دارون حول النشوء والتطور وذلك للوصول الى القرارين التاليين ، الاول : الاخذ بمبدا بقاء الاصلح نهائيا وتطبيقه ليس على الافراد كما اقترح عدد من العلماء النشوئيين ، بل على الجماعات والهيئات المتنافسة المتبارية فيما بينها، كالقبائل والامم والدول . والثاني : التعاطف المتبادل والتعاون المشترك والتآزر بين اعضاء فئة او جماعة واحدة ـ هذه الغرائز او الملكات التي يتجاهلها نيتشه تجاهلا تاما ـ اتامت بالضرورة ، التضامن بين افراد الجماعة الواحدة ووطدت فيهم روح الكفاح النضالي واستثارت رغبتهم في البقاء والاستمرار فيه . وبعبارة اخرى ان تغييرا اساسيا واحدا من هذه التغييرات التي طرات على الانسان منذ عهد سحيق في مصهرة الزمن ، برزت على شكل تآلف قبلي بين عدد من الاسر اكبرها من القبيلة ما لا قبل لفرد واحد بمثله ، وهو نظام اجتماعي تمتع ببعض المرونة وتميز ببعض الفوارق في الوظائف التي يؤديها الافراد ، وله بالتالي قدرة اكبر على مواجهة شتى الاعمال المترتبة عليه وفقا للازمات التي يتربص لها وبها .

فاذا ما اعتمدنا ، منذ الاساس ، العناصر التي ينهض بها الدليل، في نظر السر ارثر كيث(٥) تبين لنا ان الجماعات الفضلى الناجحة يبدو مسلكها ذا وجهين مزدوجين كالالهة جانوس تماما ، وجه قسماته تدعو للخضوع للسلطة ولاحترامها والتعاون معها ، وللولاء لها ، ولحسن الاستعداد نحوها ، وللتضحية في سبيل الجماعة ، والاخر بادي الانقباض والتجهم يهيب بصاحبه للنفرة ويدعو للفتك باعضاء الجماعات الاخرى العدوه غير الموالية . وعلى فرض تساوي الاشياء ، يمكن لنا ان نقول بان الفئات اوالجماعات هي التي دشنت هذا الطور من الصراع الثنائي ونهضت به وحملته الى ابعد حد واورثته تباعا الاجيال المتتالية ، فتوارثته وتناقلته جيلا بعد جيل ، تقويه وتشد منه ، الى ان اصارته على ما نراه عليه من جاش وبطش واستشراء .

ان نظرية التطور القبلي تساعدنا على تفهم الاسباب التي جعلت من الانسان كائنا اجتماعيا اكثر منه كائنا معزولا منزويا كهذه الخلائق التي تكفي نفسها بنفسها ، ولماذا ، باعتباره كائنا اجتماعيا هو ، في وقت واحد ، انسان اليف ووحش كاسر قاس . والدليل على خصائصه الاجتماعية ، هذه الخصائص التي تطبع قصة الانسان الخامسة وتميزها هي الحوادث المعادية التالية كتربية معظم الناس ونشأتهم ضمن مجتمع خاص وعلى امور تؤذي مصلحتهم راضين مع ذلك على ما هم عليه افراد الجماعة من ترابط وتكافل ليمتد مدى الحياة وان معظم المباهج والملذات التي ينعمون بها مردها الى هذا التفاعل المشترك القائم بين اعضائها تسودهم عوامل السلام والوئام بين بعضهم البعض يشتركون بشعور واحد ويأتمون بمثل واحدة وتجيش فيهم منازع واحدة ويختارون حتى في ابعد ما تصل اليه مطامعهم ومراميهم الخفية الامل الذي يبعث فيهم البهجة ، وجل ما يطمعون فيه تحبيذ بني جنسهم لهم والتصفيق لاعمالهم ، وطيب الاحدوثة والذكر الحسن بعد الموت ، « مرض كل نفس ابية كريمة » . وهذه السلوكية المزدوجة الخلق البادية على الجماعات والفئات ، مسؤولة الى حد ما عن الفشل الذي رافق كل المحاولات التي قام بها الانسان لالغاء الحروب والقضاء عليها وما تميزت به هذه المحاولات من عدم اخلاص والتواء في القصد ومن اعتناقها اعتناقا نصفيا . كذلك هي مسؤولة من جهة ثانية ، عما نراه في الانسان من رغبة ملحفة ، بالرغم مما يبدو عليه احيانا من استعداد ، للقضاء على الاسباب التي يخشى منها كثيرا ان تقضي عليه ، فيكافح في سبيل وطنه ومجتمعه الى اقصى حد وببطولة مثيرة

(٣) توماس هوبس ١٥٨٨ـ١٦٧٩ فيلسوف انكليزي درس في اوكسن ونال منها درجة بكالوريوس (١٦٠٦) نفي الى فرنسا لمبادئه السياسية (١٦٤١ـ١٦٥١) ثم عاد الى انكلترا ليقوم بسلسلة من الاسفار والرحلات في اوروبا ، اتيح له ان يجتمع خلالها بـ غاليليو ، وغاسندي ، ومرسين . ربطته اواصر الصداقة بهارفي وبن جنسن وكولي وغيرهم . اهم مؤلفاته : الطبيعة البشرية (١٦٥٠) ولفياثان الذي ضمنه نظرية العقد الاجتماعي من كتبه الاخرى : حول الانسان الذي ظهر عام ١٦٥٨ .

(٤) فريدريك نيتشه ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ فيلسوف وشاعر الماني تخرج من جامعتي بون وليبزيغ حيث انصرف للتعمق في فلسفة شوبنهور . درس الفيلولوجيا الكلاسيكية في مدينة بال (١٨٦٩ ـ ١٨٧٩) حيث تعرف الى وغنر ولازمه وتتلمذ عليه ثم انقلب عليه وعارضه بعنف في كل ما جاء به من نظريات حول الفن والفلسفة كما عارض فلسفة شوبنهور نفسه . انكر الدين وجاء بنظرية : اخلاق المتحكمين وهي نظرية التكمل الانساني عن طريق فرض الذات بالقوة وتمجيد السوبرمان او الانسان الاسمى . وقد كان لتعاليمه وللمبادىء الفلسفية التي قال بها وعلم اثر بارز على موقف ووضع الدولة الالمانية في الحرب العالمية الاولى وفي نظرية الحكم في الربع الثالث .

اما مؤلفاته فعديدة تتقاسمها الفيلولوجيا ، والموسيقى والتاريخ اليوناني ولا سيما الفلسفة

(٥) ـ ارثر كيث ١٨٦٦ ـ عالم بريطاني من مشاهير علماء الانثروبولوجيا في العالم اليوم . ولد في مدينة ابردين في اسكتلندا . وهو من كبار الاختصاصيين في علوم اصل الانسان ونظرية النشوء والارتقاء . له في الحقل العلمي عدد كبير من الكتب والمؤلفات ، منها : « المدخل الى دراسة القرد الانسان » الذي نشر عام ١٨٩٦ ، وعلم الاجنة البشري واشكالها (١٩٠١) نماذج قديمة للانسان (١٩١١) جسم الانسان (١٩١٢) الداروينية ونقادها (١٩٣٥) حول اصل الانسان (١٩٢٧)

للاعجاب ، اذ لا يرى اية غضاضة في ان يقتل ذودا عن هذا الوطن ودفاعا عن حياضه ، المئات بل الالاف من الناس ، بينما يعرض نفسه للهوان وشر العقوبات والذل اذا ما صرم بيده قصدا وعمدا ، احد رفاقه من ابناء جلدته او بلدته او مجتمعه .

ولا بد ان نفرض هنا ان الجماعات الغلابة المنتصرة هي ، على الغالب ، تلك الجماعات والفئات التي عرفت ان تتمثل وتستثمر، الى اقصى حد، ما استقر في روع الانسان من صور البطولة والشجاعة والاستمساك باسباب الحياة والرغبة في الامتلاك وشهوة السلطان والسيطرة وحيازة السلطة في افرادها .

ولكن ما معنى شهوة السلطان ؟ فالسؤدد او السلطان الذي يتهالك الفرد في تحييزه والفوز به والذي يدوخ بخاره الدول والامم اذا ما هب ريحه في منافسها ومشامها هو وسيلة ليس الا ، وسيلة الى غاية وليس غاية في حد ذاته . ولاي امر السؤدد ؟ ، ولاي غرض السلطان ؟ فالقائل بالتطور الخلاق يجيب على هذا السؤال بان السلطان لازم لتكوين وانشاء وحدات اجتماعية اكبر واضخم تكون في مأمن المعاطب والمخاطر تسيطر على مساحات من الارض وتستثمر من الموارد ما هو اوسع واغنى واوقع ، اوبعبارة اخرى ، فالسلطان وقد استشاطت به النفوس وجاشت به الاطماع ، يصرف في سبيل النمو والتوسع والامتداد عن طريق الغزو والفتح وتدويخ الشعوب والبلدان وضم ما ضعف منها واستدق شأنه ، وحينا بصورة ادعى للسلام ، بالتحالف والاتحاد مع وحدات اخرى . وفي التاريخ شواهد كثيرة من هذا النوع كضم الجماعات البدائية : من افخاذ الى بطون ، ومن بطون الى قبائل ومن قبائل الى دويلات ومن دويلات صغيرة تدمج بعضها ببعض الى دول كبرى فاكبر الى ان يتم فيها اكتمال الزمن فتصير الى التفسخ فالانهيار فالزوال . الا اننا لم نر للان ، بشيء من اسف ، اية مطالبة بانشاءسلطة واحدة لتشمل العالم باسره، ولم تتخذ بعد اية خطوة ولم ترتسم اية خطة في النوادي السياسية ، تمهد لقيام حكومة عالمية وان كان خطر لبعض المصلحين ، في ما مضى ، ان يعملوا لهذه الفكرة ويوسعوا لها بين الضلوع والقلوب ، كما انه لم تقم قط في دنيا السياسة اية حركة واسعة لتامين الزمالة الانسانية الشاملة التي دعا الى تحقيقها عدد من كبارجال الدين عبرالاجيال.

ان النظر في طلوع وظهور اقوى الجماعات شكيمة واقواها بطشا وباسا يدعونا بالتالي للنظر في تغيير اوتحول مهم اخر جاء نتيجة بارزة من نتائج نشوء هذه الجماعات والوسائل المثلى التي ادت الى ظهورها . واني انما اريد ان اشير هنا والمح الى لغة الرمز والى القوة العاقلة التي يصدر عنها هذا الرمز وينبعث ، ولا سيما قدرتها على توليد افكار ممزوجة ببعض الوعي والتحسس بما فيها من معنى ومدلول . ولما كانت قدرة الانسان على استيلاد الرموز والتعبير عنها هي الموهبة التي تميز بالاكثر الانسان عن الانواع التي تقدمته ، كانت هذه الملكة والحالة هذه ، موضوع القصة السادسة من قصص الانسان التي نرويها لك.

فعندما اخترع الانسان اللغة ، اخذ الشعور بالهدف او التحسس بالغاية والمقصد يلعب دورا بارزا في التطور وحركة النشوء والارتقاء . فاللغة ، مكنت الناس من اطلاع بعضهم البعض على ما يبدو في ضمائرهم من صور ومرئيات وخاطرات ، وعلى ما يهذون به من رغبات ، وما يضعون ويصممون من منازع وخطى ، واحكام وقواعد ، حتى اذا ما جرى تظهيرها وتبلورت على شكل ما بعد ان يتناولها النقاش والبحث المشترك ، قضت الجماعة بقبولها وتبنيها . فالافكار ، ولا سيما ما تعلق منها بالمعاد والاخرة وغيرها مما يعود للاخلاقية هي بمثابة المورث الطافر في النشوء الفكري والتطور الثقافي .

كم من فكرة كريمة وحلم معسول فعلا في النفس فعل السحر الحرام او ما كان في شبهه من قريب او بعيد، فاقامت الناس واقعدتهم فاندفعوا يلوحون بها عاليا مؤثرين ان يجودوا بسبيلها بانفسهم رخيصة فيعرضون بلدانهم وابدانهم للطعان وللحرب ذودا عنها . فتاريخ البشر يفيض بمثل هذه الشواهد للتدليل على ما قام من صراع عنيف بين الافكار والاحلام والمثل السامية . كم قد رأينا وكم قد لمسنا مجموعة من الافكار واضمامة من النظريات تعمل في الناس عمل القبائل والشعوب في انهاض مطلب وتوسيع رقعة وانبساط فرجة تحت الشمس ، وذلك بعد ان تلقي على غيرها من الافكار والنظريات وشاحا صفيقا من الهزء والازدراء فتحاول طمسها واخضاعها لفلسفتها وتعاليمها او افراغها وصبها في قوالب جديدة . وما احسن من قال ان الحروب الكلامية والايديولوجية او

اكاديمية الرقص الفني الحديث

خاصة : **مدام ومسيو كاربيس**

الحائز على اعلى الشهادات من معهد باريس
وعضو اتحاد معلمي الرقص في الشرق الاوسط

تسهيلا للراغبات دروس خصوصية في البيت

اقصدوا المعهد الذي حاز على ثقة ورضى جميع
الذين تعاملوا معه من العائلات وافراد المجتمع

فن الرقص من مستلزمات المجتمع الحديث

تلفون ٣١٣٩٦ ص.ب ١٤٩٩

بيروت ـ شارع السور ـ امام صيدلية حمادة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدينية كثيرا ما كانت وراء حروب لاهبة اكلت اليابس والاخضر

ثم ، لنلاحظ من جهة ثانية ان الكلمة ، مكتوبة كانت ام محكية ، التي تحمل في طياتها وتحت حروفها : علم ما لا يعلم ، وعلم البيئة التي تحيط بنا وكيف يجب ان نقف منها ، واخبار القبائل التي مرت في سالف الدهر ومآتيها وتقاليدها ، وعلم القوانين والشرائع والعادات والاخلاق ، هذه الكلمة يمكن تناقلها من جيل الى جيل ، مدى الآماد والدهور

ان التراث الثقافي ، باعتباره قوة تطويرية ، قد عمل واثر باسرع مما عمله واثر به التطور البيولوجي ، وان كان بشكل دونه في الاهمية . فالاطفال ، في هذه الفترة ، هؤلاء الاطفال الذين انجبتهم البشرية منذ قبل عشرة الاف سنة مثلا ، لا يختلفون كثيرا ، ان صحت فراسة خبراء الاطفال في تطورهم شكلا وطاقة ، عما هم عليه اطفالنا اليوم . ومما لا مراء فيه ان اطفال هذا الجيل ، بما ينعمون به من تراث ادبي وفني واجتماعي وثقافي يختلفون كثيرا عما كان عليه قرناؤهم في السن من نحو عشرة الاف سنة مضت من الوجهة العاطفية ، والانفعالات الداخلية . وعلى هذا النحو يتباين اليوم في جميع هذه المظاهر وما اليها ، الاقوام الذين تمور بهم اليوم كل من آسيا وافريقيا واوروبا واميركا ، اذ انهم ذراري سلالات مختلفة وتقاليد خضرية متباينة .

هذه الوقائع التي تمدنا بها اختباراتنا الطويلة عن نمو الاطفال وهذه التجارب الدقيقة التي اجريت في الحيوانات على اشكال لا تحد ولا توصف ، تقودني الى قصة الانسان السابعة التي تقول ان الانسان هو صنع يديه وابن نفسه وان ما يأتيه اليوم مقتبس ، تلقنه منذ الصغر ، وان ما اقتبسه تلقينا وعلما ، مرده على الغالب ، الى ما تعاقب عليه من حلو ومر ، وغرم وغنم ، في جهد متصل ، والى ما لقيه ، على ممر السنين والاجيال والحقب من مثوبة وجزاء على يد والديه وذويه وغيرهم من عوامل التحضير والتمدين وعناصر التثقيف . وهذا القول المجمل الذي جاءت التجارب المدهشة التي قام بها بفلوف (٦) في روسيا ، والاختبارات التي قام بها في اميركا كل من وطسون (٧) وثورندايك (٨) وطلمان (٩) ، والاكتشافات الاخرى التي قام بها عدد لا يحصى من علماء الانثروبولوجيا ، كلها مهدت السبيل للنهوض بالمزيد من الابحاث الدقيقة في العقود الاخيرة . ولعل القرار الاساسي لاثبات صحتها جملة وتفصيلا ، جاء من جهة ، ردا على نظرية ماك دوغال حول الغرائز النهائية ، وهي احدى صور القصة الخامسة التي رويناها ، التي اولت من وجهة النظر الاميركية ، عامل الوراثة دورا اكبر بكثير مما يستحق كما بخست المحيط الاجتماعي حقه تماما . الا ان الفكرتين لا تنفي احداهما الاخرى . هنالك الى هذا ، دليل واضح على امكان التوفيق بين الفكرة القائلة بان الاطفال يولدون وفيهم قابليات ممكنة عديدة ، لا كما يحلو لماك دوغال الافتراض عندما يعرض حالة خاصة من الاوضاع ذات العمل المؤثر . فالقدرات الخاصة وطرق السلوك الخاصة يجب ان تكتسب عن طريق الاختبار .

وهذا الفهم او التفهم الذي يحصل عليه ، مما يتصل بتعقد الشخصية الانسانية والذي ينتج عن الاختبارات الجرحية في الطفولة هو قسم ضئيل مما نحن مدينون به للفكر المولد الذي تميز به فرويد . ودیننا نحوه يبدو على أتمه اذا ما قسناه بهذه السلسلة من الاستنتاجات العقلية التي هي من الكثرة بحيث يستحيل علينا ظغطها للخروج منها بنظرية فردية واحدة . فالاشارة هنا الى ثلاثة من هذه الاستنتاجات الاكثر انتشارا وشيوعا عنده ، هي كل ما يسمح لنا الوقت المتروك لنا الوقوف عنده وبحثه بعض الشيء . فالاول منها وقد قام على كثير من الوضوح والبرهان القاطع يؤكد لنا ان الانسان ليس على الشكل الذي رآه سقراط وفلاسفة القرن الثاني عشر ، كائن عقلي كامل الوعي يستطيع ان يشق طريقه الى ما هو حق وعدل ، والاخذ به ، بل الى حد بعيد الخادم الامين لعدد من النزعات اللاواعية غير الارادية التي تظهر في الطفل ثم يجري كبتها وكبحها . اما الثاني ، فالاستنتاج القائل بان بين غرائز النفس ونزعاتها ، الغريزة الجنسية ، مهما كان الشكل او اللبوس التي تلبسها ، هي ابرز هذه الغرائز واشدها على الاطلاق ، وهي التي يجب ان نرد اليها معظم الامراض العصبية ، بالنظر لهذا الحرمان الذي تفرضه التقاليد المرعية في الشرق والغرب . والثالث والاخير هو ان الحرمان في الطفولة ولا سيما ما تعلق منه بالميول الجنسية ، كثيرا ما نشأ عنه احقاد وموجدة دفينة تتجه في الدرجة الاولى ، ليس ضد شخص بغيض من خارج المجتمع او الفئة ، بل ضد اعضاء الفئة انفسهم الذين نحوطهم بالاحترام والتقديس ، كالوالدين او الحكام ، او بصورة موضوعية ، كالحضارة والمدنية في مجموعها ، في بعض الاحيان .

فالاكتشافات التي طلع بها فرويد من هذه الناحية تقدم مادة ضافية اذا ما نظرنا اليها بمنظار القديس اوغسطينس (١٠) على ضوء تعاليمه باصل الشر ونشأته.

(٦) ايفان بفلوف (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) عالم فيزيولوجي روسي تولى منذ عام ١٨٩٠ رئاسة دائرة الفيزيولوجيا في معهد الطب التجريبي كما تولى استاذية الطب الحربي (١٨٩٥ ـ ١٩١٤) في جامعة بطرسبرج . كذلك تولى ادارة المختبرات الفيزيولوجية التابعة لاكاديمية الطب في الروسيا ومعهد الطب التجريبي فيها . قام بابحاث وتجارب مدهشة حول فيزيولوجيا القلب وافراز الغدد ولا سيما الغدد الهضمية ، وقام بتجارب عظيمة للتدليل على استجابة الكلب للفعل العكسي المشروط . نال جائزة نوبل لخدماته المثلى في الطب والفيزيولوجيا .

(٧) ـ جون برودس وطسون عالم نفساني امريكي مشهور من كبار العاملين في فلسفة السلوكية . علم علم النفس في جامعة جونز هوبكنز (١٩٠٨ ـ ١٩٢٠) ثم هجر التعليم وانصرف للاعمال الخاصة . من مؤلفاته : تربية الحيوان (١٩٠٣) السلوك (١٩١٤) السلوكية (١٩٢٥) ؛ طرق السلوكية ١٩٢٨

(٨) ادوارد لي ثورندايك ١٨٧٤ ـ ١٩٤٩ احد مشاهير علماء النفس المعاصرين في اميركا . تولى التعليم في دار المعلمين العليا في جامعة كولمبيا ، منذ عام ١٩٠٤ ، من مؤلفاته : « ذكاء الحيوان ١٩١١ وفلسفة التعلم (١٩١٤) وقياس الذكاء (١٩٢٦)

(٩) ـ رتشردتشاين طلمان ١٨٨١ ـ ١٩٤٨ عالم طبيعي اميركي تولى مدة التعليم كما رأس كلية الخريجين في جامعة كاليفورنيا (١٩٣٥) والمعهد التكنولوجي . عرف بابحاثه الدقيقة في الفرويات ونظرية النسبة ونظرية الكم والميكانيكا الاحصائية وعلم الميكانيكا الحراري .

(١٠) اوغسطينس القديس ٣٥٤ ـ ٤٣٠ للميلاد . فيلسوف ولاهوتي

ومع ذلك فهي تلقي نورا على النظرية المعاكسة التي قال بها روسو (١١) وعلم ، عندما يؤكد ان المذنب الحقيقي والمسؤول الاول ، ليس هو الفرد ، بل النظريات الاجتماعية التي قال بها والمؤسسات التي دعا اليها .

في القصص القليلة الاخيرة التي اوجزتها لك امر هام يدل ببنان يبعث الامل في النسل البشري ، اقل الذراري التي عرفتها الطبيعة تهيؤا للحياة ، واقلها استعدادا لها على الاطلاق ، العاطل من كل قدرة وطاقة ، الا من قدرة الاستغاثة وطلب العون والمعونة . انما ، هنالك في موضع مطبق او مغلق من جسمه هذا ، يقوم بحق ، مرتبطا بهذا الجسم الذي ينتفي الانتفاع به ، عقل ومخيلة فيهما من الامكانيات والطاقات المليئة بالاحتمالات المغرية التي يتوقف تحقيقها على الحين الذي يبلغ فيه نضجه الفكري اتمه ، في ميعة العمر او بعد ذلك بقليل ، على شريطة ان يتوفر للولد في السنوات التي لا يصلح فيها لشيء يذكر ما هو بحاجة اليه من حرارة حنو الام وعطفها وحدبها . فاذا كنت تطمح الى عمل حاسم قريب والحصول على نتائج مرضية سريعة ، سرح النظر واجل الطرف في ما حواليك من ذراري الحيوان اما اذا كنت ترغب في المزيد من الفعالية وكان بامكانك ان تكبح لجاجتك ، امل بناظريك الى الطفل البشري الذي لا يستفاد بعد منه شيء يذكر ، وتمعن بما فيه من امكانية وقدرة ليس على اقتباس ما لا حد له من صنوف العلم وانواع المعرفة والدهاء فحسب ، بل ايضا على وضع النظريات وتطبيقها اعمالا ونشاطات في غاية الفائدة له والخروج منها بمنافع لم يسبق ان انتفع بمثلها من قبل . هنا وهنا فقط تكمن حقيقة عجز هذا العالم العجول المحموم عن ان يتبينها ويهضمها وينتفع منها ، اذ ليس انفع وافضل من نظرية يمكن الاستفادة منها عمليا .

ان اخذ الولد باوليات النطق والتعبير والتفكير والادراك ، يتوقف الى حد بعيد على وجوده قريبا من ام تمد له يدا رفيقة او من شخص اخر يحل محل الام كمرضع او موح يعرف ان يغذي العقل وينبه فيه الوعي والادراك فيكون بمثابة نصير يأخذ بيد فنان او فيلسوف ناشيء لا يزال فنه ان يدرج بعد في القمط . وعلى هذا فان انطلاق العقل وتحرر المخيلة من عقالها وقيودها كثيرا ما يتوقف على تشجيع المربين وغيرهم ممن بيدهم الامر ، في مجتمع رفيق حليم . ومن هنا كنا على شبه اليقين ان الحب الاموي ، اذا ما جرى دعمه تدريجيا وبصورة لبقة ناعمة بعملية التفتح لاقتبال الافكار والاراء ، كان الباعث الاكبر على التطور الثقافي وعلى استحياء الجماعات وبقائها وبعبارة اخرى ، ومع فرض توفر العوامل ذاتها ان النظام الاجتماعي والنظام العائلي اللذين كانا في غاية الرفق والحلم للمخيلات الحرة الغضة هما النظامان اللذان عمل على ترسيخهما والتمكين لهما كل ما مرت به البشرية في تطورها الصاعد ، من وسائل وما عرفته من اجهزة وادوات ، وما طلع عليها من اساطير البطولة وطقوس العبادة ومبادىء خلقية ودينية . فالقول ببقاء ما في امة ما من قوة سامية ان لم نقل بقاء ديمومتها واستمرارها وبقاءها ، مرتبط ابدا ودوما بما للعلماء فيها من قدرة على تحرير الخيال وانطلاق الابداع ، وهو امر يبدو اليوم على اصدقه بشكل يدعو ظاهرا للفكر والنظر .

فالامر ليس من سطحية المظهر بمقدار ما نرى ولان الذيوع والانتشار بالقدر الكافي الذي يدعم القول بان الخيال هو المعين الذي تنطلق منه او تصدر عنه هذه الافكار الخلاقة المبدعة . ليس من الامور المتفق عليها عموما القول ان نظامنا الديمقراطي العزيز ، هذا النظام الذي في سبيل الدفاع عنه والحفاظ عليه جاهد هذا العديد من الناس وجادوا بحياتهم في سبيله ، انبعث من هذه التغييرات التي جالت يوما من الايام في خاطر جون لوك (١٢) وجان جاك روسو .

فاذا ما وضعنا نصب اعيننا امثلة كهذه ، امكننا ان نتنبأ بانه اذا ما كان ثمة من رد فعل خير على هذا التحدي البادي في شحنة الاحقاد التي يتأجج بها هذا العالم المدجج بالسلاح من قمة رأسه الى اخمص قدميه . فالامل معقود بكليته على هذه الافكار والخيالات الحرة التي ستنطلق عفوية من هذه العقول الطليقة التي تتكلم باسم الحكومات الحرة في المؤتمرات الدولية .

تلك هي العقيدة القائمة على العلم وصخرة الرجاء الوطيد التي ادى هذا المطاف الطويل البعيد في ما رويناه من قصة الانسان ، الى الاعتصام والتمسك بها كمرساة خلاص ومنجاة لهذه الانسانية .

يوسف اسعد داغر

من اكبر واشهر واقدر اباء الكنيسة المسيحية في عصورها الاولى ، ولعله من اضخم وابرز العقول التي عرفتها البشرية ومن اخصبها على الاطلاق في كل اين وآن ومكان وزمان . وهو من هؤلاء الفلاسفة الذين سبروا اغوار النفس البشرية فكان من السباقين في ريادة دواخل النفس ومعمياتها . ولد في قرية تاغاست (سوق الاهراس) في نوميديا الشرقية (الجزائر) اليوم . ضل في صباه متبعا مذهب المانوية الذي نادى به مانو وهو مذهب مزيج من المسيحية والزردشية ، ثم ارتد بفضل صلوات امه مونيكا وارشادات امبروسيوس اسقف ميلانو . وهو خطيب وواعظ وكاتب سيم اسقفا لمدينة هيبون . قاوم بدع المانوية والدوناتية والبيلاجية والاريه . وضع من الكتب والابحاث والمواعظ والدروس والتفاسير الدينية واللاهوتية ما حمل اسمه عاليا واثره بعيدا في الكنيسة لا يزال بارزا حتى يومنا هذا . له العديد من المؤلفات اشهرها : « مدينة الله » و « اعترافاته » التي حاول روسو ان يقلدها وينحو نحوها فيما بعد

(١١) ـ جان جاك روسو ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ فيلسوف وكاتب فرنسي كان من ابرز واخطر رجال الفكر في القرن الثامن عشر . كانت تعاليمه وكتاباته عاملا هاما في نشر المبادىء الجديدة فهيأت مع تعاليم غيره من كتاب العصر كديدرو وفولتير ودالمبرغ الاسباب التي مهدت لاندلاع الثورة الفرنسية الكبرى . وهو من ائمة القائلين بالمدرسة الجديدة القائمة على الاختبار والتجربة والمشاهدة العينية . ولد في جنيف وجاب مدة ايطاليا ومقاطعة صافوى ثم جاء باريس وعمل مدة بصحبة ديدرو مساهما بعض الشيء في دائرة المعارف التي كان ينشرها . من مؤلفاته « خطبة حول الفنون والعلوم » (١٧٥٠) و « ايلويز الجديدة » (١٧٦١) ولعل اهم مؤلفاته على الاطلاق « العقد الاجتماعي » (١٧٦٢) ، و « اميل » ١٧٦٢ الذي فيه بسط اراءه ونظرياته في التربية اتصل مدة بهيوم في لندن ثم تشاجر معه وعاد الى باريس حيث اصيب بمس في عقله ، وفيها وضع كتابه « اعترافات » .

(١٢) جون لوك ، ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤ ، فيلسوف انكليزي من كبار فلاسفة اوروبا وانكلترا في القرن السابع عشر . جاء بنظريات جديدة تتصل بالحكم والتربية الحديثة الذي يعد من اركانها في العصر الحديث وقد لقب بعدل بابي الفلسفة التجريبية في انكلترا .

العودة الى الظما

ترى نفترق ؟
وهل نحترق ،
وأمسِ
حلمتِ بثوبٍ لعرسِ
وطفله
تنقل ما بيننا مثل نحله
ورحتِ تلمين كل الزهور
وشيئا من الدفء .. عطرا ونور
لكي تنسجي ـ ألف ثوبٍ صغير ،
لطفله
تنقل ما بيننا مثل نحله
فهل مات أمسِ ،
وما عاد الا ظلالا لرمسِ
ولما يزل ،
رفيف على خاطري ينهمل
وعطر ودفء وثوب لعرسِ
فهل مات أمس ؟
لكي نفترق ،
وقد نحترق
ونحن على الدرب لما نزل
صغارا .. صغارا ،
صغارا كنجم الصباح
يُطلُّ وآونة يختفي ،
كأن على ظله الراجفِ
ترسب كل ارتعاش الصغار
من الليل والمجزره ،
من الريح تصفرُ في مقبره
صغارا .. اذا ما الفؤاد احترق ،
لهونا بنيرانه
وعدنا الى حانهِ
نلملمُ بعض شظايا الكؤوس
ونوقد في كوّةِ الحانِ بعض الشموس
ونطفيء اخرى
ونكشف سرا
ولكن سدى نفتحُ ،
لشمس الربيع سدى نفتح
مصاريع ابوابنا
لكي لا يعود الشتاء
ويسأل عن حبنا
لكي لا يعود ،
يحدق من خلفِ بعض النوافذ في صمتنا
سنوصدها بوجوه الرياح ،
سنوصد كل النوافذ كي لا تجيء الرياح
وتفتح أخرى
وتنسج حول الذي مات امرا
ولكن سدى كل ما نفعل
فهذي رياح الشتاء ،
رياح الثلوج بدت توغل
باعماقنا
تجمد اوصال احلامنا
... ونحصي سدى كل ما نعرف ،
جميع الوجوه التي نعرف
فذاك صديق قديم
وتبعث ذكرى وداد مقيم
فنخجل من صمتنا
ونكتب بعض الرسائل عن حبنا
ونرجع .. نرتاد ما نعرف ،
شوارع ، مقهى ، طريقا قديم
نحيي الوجوه التي نعرف ،
جميع الوجوه التي نعرف

بغداد — عبد المجيد الراضي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة مصرية

ماساة صغيرة

بقلم حسام عزت

كان صنبور الحيات في الحمام ما زال ينز قطرات متتابعة من الحيات من عند الماسورة الصدئة المثبتة على جدار الحمام بحزام من الصفيح المتآكل ، وجدتي تحاول — سدى — ان تغمد الثقب المجهول بخرقة او تنزعها من منديل راسها الذي يضم كل شعرها الاشيب الذي يتساقط دوما بحرية ولامبالاة حيثما تكون ، وغمغمت وهي تمصمص شفتيها علامة التحسر والقرف .

— اعوذ بالله من الماسورة ، الماسورة فسدت ، العامل اصلحها يوم الاثنين !

ولما كانت جدتي تياس سريعا بل ان كل حياتها كانت سلسلة متصلة من التصرفات الاندفاعية اليائسة تزاولها دونما اية تعقل ، او مجرد تقدير للتبريرات والنتائج ، فقد دفعت الصنبور براحتها وكانها تلطمه ، ومضت تجفف الماء على ذراعيها بفوطة الوجه المعلقة على المشجب وتتاهب لصلاة الفجر وكنت ارقبها بنصف عين وهي تتجه نحوي لتربت على ظهري وتطقطق اصابع رجلي .

— قم من اجلي، قم يا حبيبي ، قم من اجل المدرسة .

وهنا يحق لي ان اغضب ، فاقوم نصف قومة لاقول لها زاجرا .

— يا جدتي انا لم اعد في المدرسة لقد صرت في الجامعة ، في الجامعة يا جدتي .

— مدرسة ، جامعة ، كله تعليم ، كله نعمة من عند ربنا .

وعندما كنت اتناول الافطار من يديها كنت احس بتدفق السعادة في شرايين .. وافكر في المخلوقة الحنون التي انشات ابي حتى صار كما هو الان والتي تعتني بي ايضا دون اية جبرية ما — وفي الشهور الستة التي قضيتها اشاركها طعامها وحجرتها ، وفراشها في اخر النهار، وكنت ارجو ان تمتد سنين اخرى حتى اتخرج .. مدرسا .. واقبض راتبا شهريا، كالموظفين يكفيني وجدتي ودائما كنت افكر في الايام الجميلة المقبلة ، وعندما تفيض بي السعادة نقتسمها انا وجدتي ..

كانت الايام العشرة التي قضيتها عند عمتي ، سجلا حافلا بالشقاء ، كان يخيل الي انها تود لو تضربني لولا انها تخشى شيئا ما ، تود لو تطردني لولا انها تستحي ، وعيناها الضيقتان الخبيثتان كانتا دوما تحرقاني باللهيب ، يتبعني حيث سرت ، كانت تقدم لي الغداء القليل وتود لو تاخذ روحي عوضا عنه ، والشاي .. كانت تقدمه لي في فنجان صغير كغطاء المحبرة رائقا .. كماء البصل ولم تعلق به ذرة واحدة من السكر ، وهي تنظر الي نظرة جادة غضوب ، فهمتها انا ،

— لماذا لا تعود الى بيتكم ؟

ولكن كيف ..؟ كان ذلك مستحيلا جد مستحيل ، وفي الحق ، انني اثقلت عليها بضيافتي الطويلة .. وكنت اعرف انها لم تكن ملزمة بالتكفل بمعيشتي ، وحتى هي لم يكن لديها شيء كل النساء في عائلتنا ، وزوجها كان هو الذي ينفق على البيت (بيتهما) لم يكن يحبني هو الاخر .

ويبدو لي انه لم يكن يود ان يكرهني ، كان يعاملني بجفاف وخشونة لا مبرر لهما ويظهر شيئا من الاهتمام المصطنع بي .

— هل اكلت ..؟

— اجل ..

— حسنا

ونادرا ما يزيف احساسه الذي كان دائما جامدا ومتبلدا متكلفا الرثاء من اجل حكايتي مع والدي

— لا تحزن ، لا تحزن ، ربنا معك ، اجتهد ، اجتهد المثل يقول لكل مجتهد نصيب .. وعندما كان يتقدم ليواسيني كان يخيل الي انه سوف يسحقني بجثته الهائلة .. انه سوف يطمسني تماما كبقعة ندية أزيلت ويلفني الشعور بالضآلة والدونية . وبعظم الهوة بين بدني المتداعي الضامر ، وبين جثته الهائلة حينذاك كان يخيل الي اني انتسب لفصيلة حشرية لم تعرف بعد عديمة النفع والضرر ، تقريبا بلا جرم ، ثم لا طنين لها على الاطلاق ، وكان يدق براحته الضخمة عظامي الفقرية كمن يشد ازري .

— لكل مجتهد نصيب

وكان هو الذي ابلغني الخبر .. وانا ما زلت على الدرج ، بطبيعة وبساطة ، ودون ان يتحمل مشقة النظر الى وجهي .

— اسمع . جدتك فقدت النطق !

وكمن لا يعنيه الامر .. كمن يتحدث عن ذبول الطحالب في سيبيريا ، اردف .

— سنذهب اليها الان .. جدتك بلغت النهاية ، الطبيب قال لنا ذلك .

— ماذا قال . ؟

— لا فائدة . من الخير ان تريحوها من العلاج ، باستطاعتكم الحصول على تصريح لها بالخروج من ادارة المستشفى ، ستكون اكثر ارتياحا بينكم .

وكمل العملاق ، وكانما يخشى علي قلة الفهم .

— خير لها ان تموت بين عيالها ، ذلك افضل ، دع هذه الحقيبة جانبا، ثم ناد عمتك

ترى ماذا تصنع هذه المراة ، قل لها ان العجوز تموت .

كان عندي سلفا الاعتقاد انجازم بان المستشفيات الحكومية المجانية ، جبانات مؤقتة ، لانصاف الموتى ، وكنت قد اعددت نفسي لهذا ، غير ان كل ما اعددته تبخر فجأة ولاول وهلة — لدى رؤية كل هذه الاشياء ذات التلوين الدامي ، فعلى المدخل، كان جمهور ثرثار ، متدافع كثير اللغط عن المرض والموت .. والدواء والبراز .. وكل الاشياء التي تجلب التقزز والنفور .. كان الجمهور خليطا عجيبا من النساء الريفيات المهزولات .. والرجال الذين يمتلكون اجساما سقيمة.. والعيال الممروضين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين يضيعون في الزحام .. بين الاقدام ، وفي الداخل كنا نصطدم بوجوه التومرجيات الشرسة تحمل اعينهن النهمة التي تطلب دائما ، النقود .. النقود .. وينشرون روائح مخدر الكلورفورم وصبغة اليود بينما تتصاعد من الارض رائحة الفينك .. ثقيلة وذات نكهة حادة من البركة القذرة التي تنتشر في ساحة ارضية المستشفى وتغرق فيها قطع متكورة من القطن استعملت فيما مضى كضمادات .. وعلى الجدران ، كانت تتناثر بقع الدم السوداء ، لزجة ومتجلطة تشير بان الدماء ليست لها القدسية الاسطورية ، فليست اكثر من صبغة حمراء رخيصة ! من داخل الحجرات كانت تنبعث صرخات ممزقة يائسة ، كانت ستبدو واضحة وقوية اذا اكتسبت الصحة .

ـ آه .. آه .. اموت يا رب .. اموت يا رب ، يا رب ..

صدتني عن ولوج الغرفة وكبلت اقدامي بثقل .. اصوات صبية ونساء ، ورجال غير اني لم اميز بينها صرخات جدتي ، بينما اندفعت عمتي وزوجها ، والاخرون الى الداخل كمن يلج وليمة دسمة . كنت ارى كل هذه المشاهد تدور امامي ، تنتظم وتتفكك بشيء من التمييز والوضوح ، غير اني لم اكن اعيها تماما ، فذهني كان مشغولا باشياء اخرى ، اكثر التصاقا بذاتي ، كفرد ، بحاضري ، وغدي .. اشياء تخصني وحدي .. وليس باستطاعة كائن سواي ان يديم التفكير فيها طويلا .. حتى يتمزق دماغه المرهق

★ ★ ★

كنت افكر في ابي واخوتي ، ليلى ومدحت وتلك المراة التي يقولون عنها ـ امي ـ بينما تتردد في اذني الكلمات التي تحبسها عمتي عند مدخل حلقها .

ـ لماذا لا تعود الى بيتكم ..

تتردد بشكل منتظم الايقاع لتصفع احساسي المتيقظ دائما .. وكنت اود ان اقول لها .. كيف اعود يا عمتي ؟ انت تعرفين .. تعرفين .. ان ذلك مستحيل ، جد مستحيل ، فكيف اعود يا عمتي ، لن استطيع فهم سيطردونني ثانية ، وسيقولون لي نفس الكلام الذي قالته ـ امي ـ عندما طردتني منذ شهور .

ـ انت شرس .. ومشاكس ، سيء التربية ، ولا تستحق ان يحوطك مخلوق بالرعاية لقد ربيناك حتى صرت كبيرا ، وتستطيع ان تعتمد على نفسك ، تستطيع ان تعمل اي شيء نجار ، او حذاء مثلا ، وتكسب عيشك بنفسك .

وستقذف لي جعبة الملابس الملفوفة بملاءة بالية ومهترئة من الشباك وتشيعني باللعنات ، انت تعلمين انها فعلت ذلك ـ يا عمتي ـ وانا لم اكن اقصد ان اقيم معك ، ان اثقل عليك باقامتي ، فانا ذهبت مع ابي حينذاك لبيت جدتي وقال لها مشيرا الي .

ـ لقد اتيت لك به ، انه سيسليك كثيرا في وحدتك .. فهو لا يستطيع ان يعيش بوئام مع ـ امه ـ كلاهما عنيد ذو راس صلب ومزاج حاد .. انا لا اعرف لماذا يتشاجران ، اليست كامه ..!

ثم مدت جدتي يديها النحيلتين لتاخذ جعبة ملابسي .. لتضعها على الخوان ، ثم مدتهما ثانية ليحضنني صدرها الحاني وتغمر وجهي الساخن المرتجف بالقبلات . كنت سعيدا اذ ذاك اذ لم اكن اتصور ان هناك اناسا طيبين ومخلصين مثل جدتي . كنت سعيدا ان يحنو شخص ما .. يحنو الى هذا الحد ، لم اكن اتصور ذلك فقد كانت ـ امي ـ تقول لي دوما .. كل الناس يكرهونك .. يكرهونك .

وكنت بدوري اكره اولئك الذين لم يحبوني ، اكره كل الناس ، وكنت سعيدا ان اقاسم جدتي حياتها الدافئة البسيطة ، وفي الصباح كنت اذهب الى الكلية ، وكثيرا ما كنت اجلب لها معطفها الاسود من على المشجب لنخرج سويا . نتفرج على الشوارع والحدائق والناس وعندما حاول الحمقى ان يعودوا بي الى البيت .. بعد ان هدات سورة غضب ـ امي ـ بصقت في وجهي ، وقذفت بجعبة الملابس ثانية في وجهي وراحت تنادي العساكر ليأخذوني بعيدا عن المنزل منزل ابي ، وكنت اتالم لكل الاهانات التي تلحقها بي ، واحس لها وقع السياط فتتلاطم في مخيلتي ذكريات كل ايام التعاسة ، وينط امامي كثعبان رهيب السؤال الذي يصنع مأساتي لماذا تزوج ابي هذه المراة ، الم يكن يستطيع ان يبقى اعزبا ككل الرجال الذين تموت زوجاتهم .. امهات ابنائهم .. وتذكرت ان وفاءه لامي الراحلة لم يدم اكثر من اربعة اشهر .. وعدت الى البيت ذات ليلة .. لاجد هذه المخلوقة البغيضة ـ تتعشى معه ـ وقال لي ساعتها وقد احس بالحرج يكسو موقفه ، عندما وقفت احدق فيها بوجهي الابله .

ـ انها امك الجديدة ..

وودت ان اقول له لم اعد بحاجة الى ام .. فانا لم اعد بعد طفلا ، غير اني لم اقل شيئا ومددت يدي لاضعها في كفها بالتحية .

ـ مساء الخير

ودفنت وجهها في المائدة تلوك قطعة من لحم حشرتها في فمها دون ان ترد تحيتي المعلقة . وتتابعت ايامي السوداء معها ، وفي البداية كنت اعاملها بهدوء ، وتحفظ واتقبل فظاظتها بعدم اهتمام ، وفي الليل كنت اسمعها تغلق باب حجرة النوم على ابي ، ويتصل بينهما الهمس الذي يوشي في اذني ويتساقط كحبات الرمال الساخنة ، وانجبت طفلها الاول ، ذلك الغلام السمين كالوسادة ، ومن يومها بدات تفرض سلطانها المباشر علي .

ـ لا تخرج ، لا تتاخر عن المساء ، لا اريد ان يأتي اصدقاءك الى بيتي ، واذا جاءوا سأطردهم ، سامع .

واحسست ـ منذ اللحظة ـ اني مارد حبيس داخل زجاجة صغيرة في حجم الاصبع ، ورحت اناقش وارفض وبالتدريج امتدت يدها لتضربني ، وتماسكنا اكثر من مرة ، ثم طردتني من المنزل ليأخذني ابي الى بيت جدتي ، وكنت سعيدا ان ابقى مع جدتي الى جوارها غير انها مرضت تركتني ومرضت ، ولم تجد من يعنى بها ، فعمي كان لاهيا عنها بزوجته رغم دمامتها ، ولم يكن يهمه ان تعيش امه او تموت ، وحملوها الى «القصر العيني» ، فكلهم يريدون ان يقتسموا حاجياتها البسيطة ، كلهم ينتظرون وشيكا ان تموت ، وخلال الايام العشرة التي عانت امتدادها من جدتي في الجبانة الحكومية المجانية مكثت عندك ـ يا عمتي ـ منذ اتى ابي ، اليك وزوجك ، كنتما تعاملاني بجفاف وفظاظة .. هذه المعاملة الشاذة ، حتى ابنتك العجفاء الصفراء كانت تخجل من رؤيتي ومجالستي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتهرب الى فتيان مخلصين ، أتغاضى يا عمتي واسكت ، وانا اعرف راسها الاجوف بالسخافات التي حفظوها من كتب الهوى ، وكنت أتغاضى يا عمتي واسكت ، وانا اعرف ـ يا عمتي ـ انه لا يهمك ان تموت جدتي ، او تعيش بل يهمك ، ان تموت لتقتصبي اوانيها النحاسية وجلابيبها ، ولتأخذ ابنتك الصفراء، الاساور التي حول معصمها ، وانا اعرف كل ذلك يا عمتي ، والمح في عينيك الهم ، لكني اتغابى ، واسكت واراك الان ، وانا بردهة المستشفى . وانت تتبعين زوجك العملاق ، يحمل بدن جدتي كطفل احمق ،يلهو بدميته و (توحوحين) يا لئيمة ، كمن اخذته الذبحة من كثرة النواح .

من خصائص النافذة المغلقة كان ينفذ سيال دقيق من الاشعة الباهتة تصطدم بالجدار المواجه فتتكسر ظلاله موجات متذبذبة تسبح على الحائط المعتم . كأشباح هلايين مذعورة ، وعلى السرير كانت جدتي تتمزق ، تموت ، ومن حولها وقف ابي ، وعمي وعمتي والاخرون يتطلعون باوجه واجمة ، كأنهم ينتظرون حدوث شيء ما ، لا بد ان يحدث ، وكنت لم ازل عند بداية مدخل الغرفة حين سمعت غثاءها ، اه ، اخ ، اخ.

وشممت رائحة الموت ، كان بدنها النحيل القصير الذي يا طالما ملا العالم حيوية وبهجة ينتفض بشدة كمن تحرقه النار ، بينما كانت يداها تعتصران بطنها ، وكأنماتموج بالسعير وعندما راتني كفت عن الشغاء ، وتعلقت عيناها بي ، وخيل الي انها تلاشت ، وذابت في الفراغ ، انها هاتان العينان فحسب ، كنت اعلم انها لا بد ان تقول لي شيئا ، فاقتربت من السرير ، وعند ذاك رفعت نصفها الاعلى ، الى مستواي ، ثم تعلقت يداها بياقة القميص حول رقبتي ، وتطلعت الى وجهها الخالي من التجاعيد ، والذي يحكى حبة الكهرمان الاصيلة ، ورايتها تلفظ المقاطع .. ح .. حو.. دون ان تستطيع اكمال الحديث . وعرفت انها تكلمني ، وراح صدرها يعلو وينخفض ، ورئتاها تمتلان بالحياة ، ثم تلفظانها ، وراحت تردد حو .. حو .. حسام .. وعند ذلك قالت لي اشياء كثيرة ، رايتها مرسومة في عينيها الصافيتين ، وتراخت يداها حول رقبتي ، ثم تهاوت ، وارتد بصرها الى « امي » التي راحت تمضغ شتائمها في ركن قصي .. وتعلقت انظارها بيني وبين « امي » كأنها تختار احدنا ، واوجعتها كثيرا حتى نكست راسها المغرور ثم تجمدت نظرتها نحوي ، وهمدت حركتها ، وتصلب بدنها وسقط راسها الصغير من فوق الوسادة واندفعت عمتي تعوي .

ـ ماتت .. ماتت .. امي ماتت .

واقتحم اللحاد بيتنا الوادع ، بدينا ، ومتورد الخدين ، كمن يلتهم موتاه ، يردد بصوت اجوف خال من الدفء .

ـ كريم ، غفار ، الموت علينا حق ، وحدوه

وصبيانه يحملون النعش الذي لن يجد من يسير خلفه ، وفي غمار الاستعداد للجناز ، كانت عمتي تفتش عن الاواني النحاسية وموقد الغاز ، والملابس المخبوءة ، بينما انتزعت ابنتها الصفراء اساور جدتي لتزين معصميها الاثيمين،وهرب عمي بالكرسيين والمنضدة ينشد اقرب بائع أثاث قديم .

وانسللتعبر البوابة الحديدية الى الخارج ، وقد ضاق بي ذلك العالم الغريب ، المحكم الانغلاق ، افكر في انسان ضائع ، تتناهى خلفه ايامه التعسة ، المجللة بالسواد ، يمضي معها في طريق غائم يسبح في ضباب من الذهول ، يفضي الى مستقبل ليست لديه الرغبة مطلقا في ان يعيشه ، وكانت اقدامي التي حفيت كثيرا في البحث عن عمل يوائم سني الستة عشرة طوال الشهور الماضية تسوخ في ارض الطريق الموحلة وتثير رذاذا يصفع اوجه الرائحين ، بينما كانت عيناي معلقتين بخيوط المساء تمتد من بعيد لتنتظم وتتجمع سحابة كبيرة داكنة ، ثقيلة ، ودسمة ، تكبر ، وتنتشر لتطوي المدينة وتخنق الكون .

القاهرة **حسام عزت**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجوى

لعلي الزيبق

حلب



أين الهوى ؟
يا ليل .. يا حان الهوى
يا ومأة الاحلام ملء دناني
ذوبت في أغواره اجفاني
ونثرت فوق جبينه الحاني
أين الهوى ؟ يا ليل ..
يرسي قاربي في شطه المتفجر الالوان
واحسرتي !
اني تعبت ...
وكل ما حصدته راحي سنبل الدخان

دراسات في النقد الادبي

بين الفكاهة والتهكم

بقلم رونالد نوكس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

لم تعط الفكاهة حقها من البحث والدراسة ، والتحليل، وهذا يعني ان هذه الكلمة لا تزال ظاهرة حديثة نسبيا ، ومن ذلك انها لم تكن موضوعا مهما قمينا بالمعالجة من قبل عبقرية جون ستيوارت مل الصبور . وفي الوقت نفسه هي ـ الى حد الان ـ من الموضوعات العسيرة التناول، والا فما بالنا لا نجد دليلا جديدا يرشدنا اليها ، وبخاصة ويد ارنولد بنيت على قوتها ، وفتوتها ؟ من المؤكد ان هذا الاغضاء والتغافل لا يعودان الى افتقار الفكاهة لاهميتها الجوهرية ، وكيف يكون الامر كذلك وهي نافذة الروح الطليقة ، ومن خلال هذه النافذة لا نرى عالما مختلفا عن عالمنا المعروف ، وانما نرى تجاربنا مشوهة ، كأن احد الاشباح الساحرة قد جعلها كذلك . ان في هذه النافذة الزجاجية قابلية غريبة تحول اصدقاءنا الفانين الكادحين الجديين الى شخوص مازحين هازلين . واذا ما احس بها الانسان فجأة فستكون نورا يحل ببصيرته ، نورا هو من القوة والواقعية بحيث لا يقل في صفائه وبريقه عن ذلك النور الذي يهبط على حين غرة على انسان لم يبصر في الحياة غير وجوهها الداكنة ، المظلمة .

واكثر من هذا فان الفكاهة صديق حميم للانسان يلازمه في غدوه ورواحه ، ولا يترك مجالا للوحدة في أي مكان كان . تراه معه في عربات القطر المكتظة ، وفي اطراف الليل وآناء النهار ، في ساعات سهره ، وفيما هو فيه من شغل شاغل وعمل دائب وفيما يتقلب فيه من شجون وشؤون ، هو ملازمه في الكنيسة ، وفي غرفة الطبيب ، وفي اي محل ينزل به . ولو كان لي من الوقت ما اوفره لحاسة الهزل ، لجعلت اتغنى بها ، ومع هذا ، فهذه الحاسة تصلح من امور الناس وتربكها ، وفيها تكمن الصداقة الصادقة ، والخطر الداهم . ولو كان لي ما يحق قوله في الموسوعة لما تقاعست عن ذكر ما اريده ، ولكنت قد جعلت الطيور المغردة ـ طيورا حمقاء ضاحكة .

ولقد عولجت الفكاهة مرتين في الادب ، وكانت المرة الاولى في مقدمة مريديت لكتابه (الاناني) وكانت الثانية في كتاب تشسترتون The Napoleon of Natting Hill اما معنى الفكاهة فلا يزال سرا من الاسرار . ومن السهولة بمكان تمييزها عن صواحبها وجيرانها في ميزان القيم . ولنضرب لذلك مثلا صلتها بالفطنة ، انها بعيدة عنها كل البعد . لان الفطنة مسالة تعبيراولا وآخرا. واللاتينية، من بين اللغات ، هي احسن وسيلة لعرض الفطنة، واعجزها عن تناول الفكاهة

انك لا تتمكن من تصور فكرة ذات فطنة من غير ان تتصورها في كلمات . ولكن الفكاهة قد تكون عارية عن الكلمات ، فكم من افكار عميقة يتعذر على الضحك نفسه ان يصل اليها . وفي هذه المقالة سأحاول مقارنة الفكاهة بنقيضها ، التهكم . ولكن قبل كل شيء ، دعنا نحدد المعنى الذي نبتغيه ، على طريقة ارسطو . ان نطاق الفكاهة هو الانسان وفعالياته ، على ضوء الاحوال المتناقضة المحيطة به، وهذا التناقض شديد غير متوقع الى حد يجعله يبتز من الانسان كرامته . ومن هنا ، فان المصدر الرئيسي للفكاهة هو الانسان المخبول ، او المدمن على المسكرات او المخدرات، فهذان يشبهان الانسان الاعتيادي في المظهر ، من غير ان يكون لهما طاقة عاقلة ، تحدد مكانة الانسان في معناها العام . وكذلك الغريب فهو في بعض الاحيان ، يستدر الضحك لانه قد يلبس لباسا مغايرا للعرف ، او قد يصدر اصواتا ناشزة . وكذلك الانسان الذي يسقط على قارعة الطريق في يوم من الايام المثلجة ، انه يدعو الى الضحك لانه نبذ المشية الطبيعية الصحيحة ، التي هي مجد الانسان السوي .

هذه الاشياء جميعا مضحكة ، لا لشيء الا لان فيها شيئا من المتعة المنبثقة عن هذه الاوضاع ، وفي كل حالة من هذه الاحوال لا بد من ضحية بشرية . ومن المحتمل في الاسلوب الاسطوري ، تبديل هذه الضحية بحيوان ، ولكن على شرط ان يكون لمثل هذا الحيوان صفات انسانية. فسقوط حصان ، مثلا ، لا يستدعي شيئا من الهزل والمرح. اما العاب القردة والقطط فهي تؤنسنا من اجل سبب واحد الا وهو اننا نضفي صفة التعقل على هذه الحيوانات ، وهذا ما تعودناه منذ طفولتنا . فالانسان وحده له كرامة ، ولذا فهو وحده اهل للفكاهة . ولا ادري ان كانت الفكاهة يصح ان تبقى مواكبة لمصائر البشر ، بغض النظر عن سقوط آدم ، فهذه معضلة كان يمكن معالجتها من قبل القديس الاكويني في لاهوته ولكن ضيق المجال ابعدها عن هذا النطاق .

وهنا تبرز مشكلة جديدة (على حد قول المؤلف السابق ذكره) وهي : هل تعد الفكاهة ـ في اصلها ـ امرا مناقضا للحشمة ؟ والنظرة الاولى ـ في هذا الصدد ـ تشير الى كلمة : نعم . ومن ذلك ان الفيلسوف يقول بان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما يضحك يدل على ما هو معيب ، لانه فرع منه . ولنضرب لذلك مثلا الالهة ، في كتابات هومر ، فهى تضحك على مآزق اريس وافروديت . وهذا ما يبينه الشاعر المغني ديمو دوكس . ولكننا ان انعمنا التفكير في هذا الامر ، وقلبناوجوه النظرثانية لتوضح لنا دس قصيدة ديمودوكس في ثنايا ملاحم هومر ، وهذا ما هو متفق عليه من قبل جمهرة النقاد .

واول ذكر للضحك في الكلاسيكيات (القديمة) جاء خبره بمناسبة ضحك الالهة من رؤية هيفيستوس (١) الاعرج ، وهو يلهث كلما سار جيئة وذهوبا في القاعة . ومن ثم فالاعرج يضحكنا لانه يتمتع بقوى الحركة كسائرنا، ولكنه يستخدم هذه القوى بطريقة مخطئة . فمشي مثل هذا الانسان معدوم الانسجام ، ولذا التذت الالهة بمراقبته طوال هذه القرون ... ومما لا شك فيه ان المحللين النفسانيين لا يزالون يريدون منا الاعتقاد بان جميع الفكاهة تنبع من الخسة ، ولذا نحن كلما ضحكنا فكرنا بشيء خسيس ، ولو بصورة لاشعورية . ولكن الشيء الدنس — في الواقع — لا يدل الا على محاولة غير شرعية من محاولات الفكاهة . فليس في وجود الوظائف الجنسية غرابة ، ولكن الغرابة تكمن في ذكرها . وهنا ليست الكرامة هي التي تخدش في مثل هذه الاحوال ، بل ما ينتهك هو سرية التقاليد البشرية ...

ومع هذا ، فثمة حق في توكيد الفيلسوف على ان الامور المضحكة مرجعها الدناسة ، وفي هذا المعنى ، يمكن عد كل نكتة بمثابة استخفاف باحد الناس ، وهذا ما اقصده بالضحية الانسانية . وهذه الحقيقة قد غلفها الابهام ، بسبب تكرار النكات وازديادها وبخاصة في عصرنا الحديث الذي فيه اخذت النكات تنصب على واضعيها . فالشخص الذي يجعل من نفسه اضحوكة ليبعث السرور في قلب طفل من الاطفال ، انما يجعل من نفسه شخصا احمق . ولذا فكل الادب الفكاهي بما فيه ، (افكار مفرحة) و (مذكرات نوبدي) وكتب (اليزا) وهي تلك الكتب المعروفة جيدا ، اقول : ان كل هذا الادب يعتمد بأسره على حقيقة واحدة ، الا وهي جعل المؤلف نفسه اضحوكة حمقاء.

وفي الفكاهة باسرها تضيع الكرامة في مكان ما ، كما تنسل الفضيلة من بعض الناس . ذلك بان الفكاهة الباطنية لا وجود لها في الاشياء . واذا ما حدثت نكتة من النكات فذلك دليل على وجود الانسان في مظانها ، هذا الانسان الذي هو نصف ملاك ، ونصف وحش . وانا لا اصر على هذه القضية ، لان التحليل غير الدقيق ، قد يحمل احدنا على الظن بان جوهر التهكم ، قد يكون نكتة موجهة الى الاخرين . ولذا فهذا التعريف غير واف بالقصد . اذا اخذنا بنظر الاعتبار تحليلنا الحالي للفكاهة . قلت من وقت قريب ان الفكاهة ظاهرة حديثة. واذا ما ذهبنا هذا المذهب، فان ثبات نظريتنا هذه تقتضي الكثير من الجدل والتقصي. ولكن دعنا نتحدث متواضعين فنكتفي بالقول — في الوقت الحاضر — بان الهزل في الادب ظاهرة جديدة ...

وفي هذا الصدد جاء في (الموسوعة البريطانية) : (ان الفطنة تعبر عما هو منظم ، منسجم ، مرتب ، اصطناعي ، اما الفكاهة فهي اكثر من الفطنة وحشية وانطلاقا ، واسرافا وخيالا ، وهي تلازم الانسان على شكل نوبات لا يقدر على السيطرة عليها ولا التحديد من قوتها ، وهي لا تتفق تمام الاتفاق مع الادب الحق . قد يقال ، ان الفكاهة تبعث على المتعة اكثر من اختها ، الفطنة ، ومع هذا ، فالانسان الفطن اعلى قدرا من الانسان الفكاهي ، شأن الرجل الماجد الفاضل بالقياس الى المهرج ، وايا ما كان الامر ، فان الاخير قد يكون اكثر ايناسا من صاحبه .

ومع ذلك فان دوق بكنهام يجعل الفكاهة كل شيء . « على الرغم من عدم انسجامها بالخلق المؤدب » — وهذا دليل قاطع على ايمان القرن الثامن عشر ، حتى في انحطاطه وتدهوره « بغض النظر عن شذوذ دوق بكنهام (٢) » — وقد يبدو ان عهد (الملك المسرور) (٣) كان يرى الفجر الكاذب في حاسة الهزل . واذا كان الامر كذلك ، فان قرنا من الزمن حطم هذه الآمال وبعثرها بقوة. جاءت الثورة الفرنسية ومضت ، ومع ذلك ، فالفكاهة كانت بالنسبة الى عصر (برك) « غير ملائمة للخلق المؤدب » .

ومما قد يغرى به احدنا هو التوكيد على ان القرن الثامن عشر قد كان يشكل عهدا خاصا في التاريخ الانساني، اذ انه ما ان درج الى غير رجعة ، حتى اتخذت الفكاهة موقفا خاصا في الحياة ، وذلك في بداية القرن التاسع عشر، ولذا ، تبدو لي نغمة دزرائيلي في السياسة ، ولهجة رتشارد هرل فراود في الدين ، غير لائقتين بالقرن الذي سبق مجيئهما الى الحياة . ثم دعنا نحصر همنا في الادب، ونقتصر على الفكاهة كقوة فيه ، ومن هنا يصح القول بان الفكاهة تضاءلت في سبيل الحياة عند جين اوستن ، ولم تكد لتبلغ سن الرشد الا في (كالفيرلي) .

انا اعرف امورا شاذة في هذا الشأن . فهناك فكاهة ارستوفان وبيترونيوس وشكسبير ، ولو ان عند الاخير الشيء القليل منها ، اضف الى هؤلاء ستيرن وشيريدان . ولكنك ان اردت ذكر الاسماء العظيمة في العهود الغابرة ، فانت ستجد جميع هؤلاء من الكتاب التهكميين ، ومن هؤلاء ارستوفان ، في معظم نتاجه ، ولوسيان ، وجوفينال ، ومارشال ، وتوماس مور السعيد، وسرفانتس ، ورابليه ، وبتلر ، وموليير ، ولافونتين ؛ وسوفت — ولكن الفكاهة والتهكم كانا — ما قبل القرن التاسع عشر — تعبيرين متداخلين . اما الفكاهة — في الفن — فقدبدات في القرن الثامن عشر على يدهوغارت ! ومصداق ذلك كله يمكن التثبت منه ، با ن نضع احد كتب باري اوملن بين يدي ادمون برك ليفهمه .

وهذا التطور في الفكاهة يصح تحديده ، في عصرنا الحديث ، بانهيار السذاجة . واذا انت ما شغلت نفسك بمضحكات الكتب الكلاسيكية ، فلا بد لك ان تعرف انها لم تكن مقصودة من قبل المؤلفين . ومن كل الكتاب القدامى ليس من احد يسعه مضاهاة هيرودوتس في ايناسه ولطافته ، ولكن احساسه بالفكاهة ، اقل من غيره . فالموهبة التي يتمتع بها الساذج موهبة ربانية . ومع ذلك ، فهي تصل ذروتها في مطلع القرن التاسع عشر ، ومن هنا يصح ان نضع جيمس بوزويل في المرتبة التي تلي مرتبة هيرودوتس

(١) هو اله النار عند الاغريق ، المترجم

(٢) هو الدوق الذي سخر من صامويل بتلر في كتابه (هوديبراس)

(٣) هو الملك تشارلس الثاني .

ومنذ ذلك العهد لن نجد سوى فكاهة لاشعورية عند بعض الكتاب الارديناء من اضراب ايلا ويلر ولوكس وغيره . ذلك بان الفكاهة تقتل السذاجة : ومن اجل ذلك ، فليس من كاتب عظيم ، في وقتنا الحالي ، في قدرته اقتناص شعور بوزويل الباهي ، ذلك الشعور الغيري البديع .

وبعد هذا التصحيح ، اعتقد بان الادب كان جديا قبل القرن التاسع عشر اذ لم تكن الفكاهة فيه منفصلة عن التهكم . ثم اني انتقل الان الى فكرة قلما تجاسر على ابدائها ، واعني بذلك : ان الفكاهة كوحدة منفصلة هي من ميزات الشعوب الناطقة بالانكليزية ، حتى ان هوستن تشمبرلن لم يجرأ على تهنئة الالمان بحاستهم الفكاهية .. وهنا تتكلم الحقائق بنفسها . ان التهكم لا يزال مزدهرا في (القارة) ، وخير مثل على ذلك آناتول فرانس الذي كان مواطنا جديرا ببلد فولتير . كما ان التهكم هذا موجود بين الشعوب الشمالية ، واذا كان لي ان اعبر عن رأيي الخاص في اعظم المتهكمين في العالم ، فانني لن اتوانى من القول : انه هانز اندرسن . فالرجل الذي كتب (الابرة الرافئة) و (البطة القبيحة) و (ثياب الامبراطور الجديدة) كانت عنده حاسة توصل بها لادراك سر الضحك لدى الانسانية جمعاء ، وبذا فهو يمتاز بهذه الخاصة على سوفت نفسه .

فالسخرية اذن اممية في مجاليها ، وهي موجودة في العصور كلها . ولكن اين نجد الفكاهة المنفصلة عن السخرية في القارة الاوروبية ؟ ومن منا يمكنه العثور على نكات في الصحافة الاوروبية ؟ قد يقال لي ان فرنسا شاذة في هذا ، واذا كان الامر كذلك فالقاعدة لا ينقصها بعض الشواذ . وقد يقصر بعض المتسرعين في التحليل الفكاهة على انكلترا حسب ، ومن السهولة بمكان الدفاع عن مثل هذا الراي ، وذلك بالاشارة الى حقيقة كون الانكليز وحدهم هم الذين يتمتعون بالنكات على حساب جيرانهم . ولذا نحن نسرد القصص دائما عن الاسكوتلنديين واليهود والامريكان ، وهذا ما يبرهن على تحديدي السابق للفكاهة . فالغريب مضحك لا لشيء الا لانه يختلف عنا . وفي هذه الحالة ، قد يتكلم الغريب لغتنا بطلاقة ، ولكن لهجته غير الصحيحة تجعله نشازا بالنسبة الينا ، ومن هنا يتأتى ضحكنا وهزلنا .

والواقع ان مثل هذه الاحكام شوهت تشويها فظيعا ولم يكن سبب التشويه هذا غير الرياء الوطني . فنحن كثيرا ما نعد الشعب الارلندي شعبا مضحكا ، وعلة ذلك ان افراد الشعب هذا ، قد يقولون اشياء نحسبها نحن مضحكة في حين هي عندهم من الامور الاعتيادية . وكذا الامر مع الاسكتلنديين ، الذين يتكلمون الانكليزية بفصاحة ، ويتحكمون بمصائرنا ، ولذا حاولنا خلق النظرية القائلة بان الاسكوج اناس تعوزهم الفكاهة .. ومع كل ما يقال عن الامريكيين في حياتهم الواقعية ، فمن المؤكد ان في ادبهم فكاهة . ولكنهم ، مع ذلك ، لا يفاخرون بهذه الحقيقة . وقد كان ينبغي لمارك توين ان يكون بالنسبة الى الامريكيين ، بمثابة برنز بالقياس على الاسكوج ، بل افضل منه . والظاهرة البارزة في الفكاهة الامريكية هي ادعاؤها الامية . فارتيموس ورد مثلا يتظاهر بعدم قابليته على التهجي ، كما يتظاهر مارك توين بقصوره في هذا الشأن . اما ليكوك فهو يمتعنا



الأديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : Tél. { الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 / المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالسخرية من نفسه والضحك عليها . ثم ان تهكم لويل فيه شيء ثقيل ... ويكفي الان ان نقول بان الامريكيين كالانكليز والسكوجيين يملكون تقاليد ادبية من الفكاهةغير المتهكمة .

وبعد ، فان الادب الضاحك هو حلوى الفترة التي اعقبت الثورة الفرنسية ، وهو حلوى الشعوب التي تتكلم الانكليزية الا اذا فهمت من كلمة فكاهة معنى (التهكم) ، وقد حان الوقت لنحاول وضع تحديد لمعنى (التهكم) والعلامات التي تميزها عن الفكاهة الاعتيادية. ومن الواضح ـ في بدء ما نريد قوله ـ ان الكاتب الذي يضحك على نفسه لا يكتب تهكما ، الا اذا كان متصنعا متكلفا . كما ان (الافكار المفرحة) و (مذكرات نوبودى) و (الشريد في الخارج) و (سيدتي) لا يمكن ان تعد من الكتب التهكمية . ففي كل هذه الامثلة يمتاز المؤلف بالرحمة الجديرة بالقديسين ، واقصد بها تلك الرحمة التي يعرف بها فليب نيري ـ وهي تلك الميزة التي تجعل منه موضعا للضحك بالنسبة الى القراء .

اما التهكم فهو على النقيض من هذا الامر ، اذ ان الكاتب الذي يتناوله ، يحصن نفسه من كل السخافات والاخطاء التي يفضحها . ولنضرب مثلا بارزا على ذلك دكنز ، فهو ليس من الكتاب التهكميين حين يعرفك بالسيد (ونكل) اذ لا دليل هناك يجعلك تشعر بان دكنز يجيد الرماية خيرا من السيد ونكل . ولكنه عندما يعرفك بالسيد بمبل تجده قد اصبح احد التهكميين ، وعلة ذلك انك تحس هنا بتفوق دكنز على السيد بمبل في طبخ الدراج . ومن ثم فالكاتب الهزلي يركض مع الارنب ، على حين ان الكاتب المتهكم يصطاد فرائسه بكلاب الصيد .

والواقع ان في التهكم من الازدراء ما هو اقل من التقريع .. ، ففي كتب افلاطون شيء من التقريع وهذا ما يمكنك العثور عليه في الاناجيل ايضا . اما غالزوردي الكاتب المعروف بتقريعه ، فقليلون يسخرون منه ضاحكين. هذا ، في حين ان التهكم يستعير معداته من الكاتب الفكاهي ، اذ الشخص الذي ينصب عليه التهكم ينبغي له ان يقفز بين فجوات المخاطرات المستحيلة والاحوال الباعثة على الضحك . ومن هنا فالخلاف جد كبير بين (الاناني) و (دون كيشوت) . ومع هذا ، فالضحكة التي يستفزها التهكم فيها خبث وحقد دائما . ومن اجل هذا نسعى جهدنا للتملص من الضحية ، حتى لا ينالنا السوط بضرباته.

وبعد ، فما هي العلاقة بين التهكم والفكاهة ؟ ايهما الاصل وايهما الفرع ؟ ايهما العضو الطبيعي وايهما النمو الخبيث ؟ ولقد قلت من وهلة يسيرة ان التهكم يعتمد على الفكاهة في اسلحته ، وهذا ما لا بد من الاعتراف به . ثم ان انعكاساتنا عن امور الحياة ، منها ما هو هزلي ومنها ما هو جدي ، فالانسان الطيب الطوية يقنع برؤية الجانب اللطيف من الحياة . اما الكاتب الهازل ، فيستخلص من الجانب الجدي اشياء يبني منها عالما خاصا لنفسه ، فيه شخوص غريبة تقوم بمغامرات سعيدة مضحكة . فهنا يتحارب الناس مع اخطائهم ، ويتالمون بسبب الاهانات التي تلحق بهم . وقصة ذلك كله مدعاة للراحة والاستجمام ، وبخاصة عندما يكون ذهنك منهوكا بحقائق الحياة المرة . وهذه ـ على ما نظن ـ هي منطقة (ميوز الهزلية) وليس التهكم الا انتهاكا لحرمة هذه المنطقة .

انا لا اؤكد نظريتي هذه بشواهد قاطعة ، وانما انا اعرضها للمناقشة ، لان اعتبار العلاقات بين الفكاهة والتهكم فيه شيء كثير من تشويه التاريخ . فتصور التهكم كاتجاه خاص من اتجاهات الفكاهة معناه نبذ الحقائق الناصعة التي سبق لنا ذكرها . ان الفكاهة خاصة بعصر معين ، وحضارة معينة ، في حين يشمل التهكم جميع العصور وكل الحضارات والبلدان .

اليس ، اذن ، من المعقول ان نعد التهكم وظيفة طبيعية من وظائف العبقرية الانسانية وان نحسب الفكاهة التي لا صلة لها بالتهكم تشويها لهذه الوظيفة وابتعادا عما هو طبيعي ؟ ذلك بان احساسنا الفكاهي ليس ـ في تطبيقه الاصلي ـ من العاب الاطفال ، بل هو سلاح مميت في تأثيره، عهد الينا لفضح زيف العالم وهتك ريائه . قد يحمي الظالم المتعسف نفسه بالحديد ، ويحيطها بالحرس ، وقد يرسل عيونه وجواسيسه في طول البلاد وعرضها ، حتى يتمكن من القضاء على حرية الكلام ، واسكات الانتقاد . والانكد من ذلك انه ربما يتمكن من تخدير ضمائر رعاياه بالتاريخ المزيف والمنطق السفسطائي ، لكي يجعلهم يعتقدون به كما يريدهم . أي ان يكون نصف اله ، مبعوثا من السماء لانقاذهم . ولكن الشيء الوحيد الذي يخشاه هذا السلطان هو القلق الذي يسيطر عليه عند مواجهة عبيده . انه يخاف شيئا مهما ، ذلك هو الضحك . وهنا يقف الكاتب التهكمي حيث ينبغي له ...

ثم ان التهكم له من المجالات اوسعها ، فهو لم يات الوجود الا لسحق الحماقات التي تراود المخلوق الانساني بصورة مستمرة وبغير انقطاع . وكل انسان من التواضع بحيث يدرك ان التهكم موجه اليه منصب عليه، دون جيرانه ، يستفيد اعظم الفائدة من هذا التهكم لانه يطهر جهازه الروحي . وهكذا ، فعلى كل انسان يقع في هوة الحب ان يقرا (الاناني) كما يجب على كل معلم ـ قبل بداية السنة المدرسية ـ ان يطالع كتاب برادلي (تقاليد لانشستر) ومن هنا ، فالتهكم نظام جيد يضبط المتهكم عليهم ، اما تأثيره في الكاتب التهكمي ، فامر فيه نظر ...

ولما كان الدافع لكتابة التهكم نتيجة الاخفاق . ولما كان الحب غالبا سبب الاخفاق ، فلا نعجب اذن ان يكون معظم المتهكمين من اعداء المراة ، منذ ايام سيمونيدس الامرغوسي ، ذلك الرجل الذي قارن المراة باكثر من ثلاثين نوعا من انواع الحيوانات ، فكانت نتيجة هذه المقارنة خسرانا لها وحطا من قيمتها. ولذا فالبؤس هو الذي يحمل الانسان على الضحك . وهذا السلاح ، على ما اظن ، هو الذي يتوسل به طيبو القلب ، حين تنعدم المشاحنات الدموية ، فيصوبونه الى الهدف الذي يبغون بكل تكاسل وتراخ ، ومن هنا تنبعث الفكاهة .

وبكلمة اخرى ، ان الفكاهة حين تنفصل عن التهكم تفقد مفعولها وتستنفد غرضها . وعلى هذا ، فالضحك من المتفجرات القاتلة ، ولكن الخراطيش التي يتقمصها ، تعرف اتجاه المرمى ، وتدرك معنى الاصابة المميتة ،والوقت الذي يحق فيه التسديد .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

قصة قصيرة

بلا أمل

بقلم سمير تنير

اليوم احد ، والوقت اصيل ، والطقس جميل . السماء الزرقاء تبدو فيها غيمات رفيعة مذهبة كأنها رغوة الخمر .

كنت على وشك مغادرة البيت، في نزهة الى البحر . ولا ادري لم اداوم منذ مدة على الذهاب الى البحر . ربما لانه يداخلني شعور بان الحرية تمتزج في ... باعماقي ، عندما انظر بنهم الى شراع يشق طريقه وسط الموج .

كان الهواء ساكنا لا حركة فيه ، لكنك تحس برودة لذيذة كبرودة الماء المثلج قبل ان تشربه . ومن وقت لاخر تسقط ورقة صفراء من اوراق الشجر .. تتهادى من اين ؟.. من السماء !

شاركني مقعدي « الخاص » على « الكورنيش » عجوزان .. رجل وامراة . الرجل يلبس معطفا شتائيا سميكا ، وقد تعاقدت يداه حول عصا ضخمة . والمراة تحمل صنانير الصوف وامامها حقيبة صغيرة . جلسا صامتين لا ينبسان بحرف . كان هذا شيئا مزعجا بالنسبة لي ، فقد سئمت ترديد افكاري وتخيلاتي الخاصة التي اجتررتها مئات المرات . كنت اتلذذ بسماع ما يقوله الناس . والحقيقة انني اصبحت خبيرا بالثرثرة . كنت التقط خيط الحديث فاذا بامور كثيرة تتكشف لي في لحظة واحدة .

ورمقت العجوزين بطرف عيني . ربما يذهبان سريعا . الم يات الاسبوع الماضي رجل وامراة بمثل عمريهما، صدعا راسي بثرثرتهما . المراة تنطلق بالكلام فاذا حاول الرجل مقاطعتها رفعت من صوتها فيصمت المسكين خوفا وحذرا . وقد حاولت وقتها ان احزر اسم عائلة الرجل، فصرت اراجع ملامح العلائلات القديمة التي اعرفها .. ولكن عبثا .

العجوزان لا يزالان صامتين كتماثيل الشمع ! لا بأس فهناك شيء اخر يستحق المشاهدة والتحديق ، هناك وجوه الطوابير الطويلة العريضة التي تتسكع . والسيارات الجميلة التي تتهادى من الغروب حتى مطلع الشمس . والاضواء اللامعة التي تعكس على وجوه الناس ظلالا فاترة من الفتنة .

هناك الكراسي الكثيرة المتناثرة على الارصفة وفي المقاهي واللافتات المغرية ، والنوافير التي تتفجر خيوطا بارعة من الرذاذ .

هناك مواكب الجميلات الرائحة الغادية ، تسير كأنها في استعراض وجماعات اخرى تتمشى لتثرثر وتحيي او لتشتري كعكا او « بذرا » من الباعة الدائرين كالدبابير . والاطفال يلعبون ويغطون كالفراشات المرحة وهم يلبسون الملون والمزخرف عليه الارانب والاسود والثعالب .. والشبان يمشون بخطوات مترنحة يتوقفون .. يحدقون .. وهم يوزعون التعليقات يمينا ويسارا .

اما بعض الذين جلسوا على المقاعد ، فهم نفسهم الذين يأتون في كل اسبوع ويحتلون المقاعد . وقد لاحظت فيهم شيئا مضحكا فهم لا ينقطعون عن الثرثرة لكن بعضهم يجلس صامتا كالتمثال . اما في نظراتهم فقد قرات معاني الضيق كانهم كانوا محبوسين في غرف سوداء او في صناديق .

الغموض يحلق فوق البحر ! ولعل ذلك هو السبب الذي يجعل الناس يجيئون في طوابير الى البحر ويطيلون النظر الى الماء والموج والمراكب . ان مشهد اللانهاية الزرقاء يجعلك تحس باعماقك انك امام النهاية . على شفا الهاوية . تشعر كانك مقيد لاتستطيع الافلات . ان شعورنا بالقيد يحطم فينا الخيال والعاطفة . ان اقذر شراع يرسو في الميناء ينتشل نفسه بعد يوم او اثنين من الوحل ويبحر مع الموج كروح هائمة وسط نور الغروب الوردي .

الشمس على وشك المغيب . واضواء الافق البعيدة ترصع السماء بنصف دائرة حمراء داكنة . بعد ساعة يخلو المكان ، وتبدو القوارب من بعيد كالنجوم الراقصة على صفحة الماء .. كل مصباح قارب .. وكل شراع ظل !...

واخيرا .. قام العجوزان .. ولم ينبسا بحرف واحد . واحتلت مكانهما بسرعة عائلة صغيرة . اب وزوجته وولداهما الاب نحيل طويل كالريشة يضع على عينيه نظارات سميكة . وهذا ما جعلني اتذكر ذلك العجوز الذي كنت التقي به اربع مرات في الاسبوع لاقرا له الجريدة . كان هو الاخر يضع على عينيه نظارات تنزلق على أرنبة انفه . ان ملامحه لاتزال مستقرة في ذهني الوجه الهش المجعد ، والعيون الغائرة، والفم المنفرج، والانف الرفيع المتشامخ تنزلق عليه النظارات . لقد كنت اقرا له الجريدة وهو مغمض العينين ، فاذا رفع راسه ولمع في عينيه التساؤل قال : « انت ممثل ؟ انت تقرا الجريدة كانك ممثل . »

فاطوي الجريدة كاني اطوي اوراق دوري في الرواية : « نعم .. لقد اشتغلت ممثلا مدة طويلة . » وما كنت اجسر على القول انني عامل مسكين مطرود من مطبعة المعلم « سليم » الكائنة على ملتقى الزواريب في حينا . فالمعلم سليم يبعث في نفسي شعورا غريبا . لا ليس هو الخوف بالضبط فما كنت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخافه قصتي معه لا تسر ... على كل ليس الذنب ذنبي . لقد كنت « اوضب » ورقة النعوة توضيبا مدهشا وهو الذي استفزني بشتائمه التي لا تنقطع ، فاذا بالصفحة تنزلق من يدي ، فتنفرط احرفها كحبات العقد . لا .. لم اكن اخاف شتائم المعلم سليم التي انهالت علي وقتئذ كسيل دوش من الماء الساخن ، لكنني خفت قطعة الحديد التي هجم بها علي فهربت منه ولم اعد حتى الان .

وعادت عيناي الى البحر تسأله وتستلهمه . كانت اضواء القوارب من بعيد تبدو كأضواء المصباح الشاحب على منعطف الزاروب كأن تلك الاضواء اضواء شموع يحملها رهبان يطلعون الى الدير

أين قرات هذا التشبيه الجميل. يا الهي ما اسم ذلك الكتاب ؟..

افقت من تساؤلي على صراخ الطفلة التي كانت تلعب وتنط مع اخيها . وخيل الي والطفلة ترفع يديها انها ترفعهما الى السماء ، وهي تدو لي من خلال النور الباهت

لم اتنبه للحديث الدائر بين الرجل وزوجته فقد انشغلت بتتبع الاكورديون . تعزف موسيقى « جميلة » الحالمة .. والنغمة تعلو وتعلو في اذني حتى ظننت ان الناس كلهم سيجتمعون يغنون ويرقصون اصوات الشبان اللاهين واصوات الصغار .. واصوات الكبار القوية تنضم اليهم . وبعدها .. انا .. ساقوم واشترك معهم !

واحسست بغلالة رقيقة من الدمع في عيني ، وتطلعت مبتسما الى العائلة الصغيرة امامي .

الساعة العاشرة . لم يبق احد . والهواء اصبح اكثر برودة .

قمت اتمشى الى البيت .

في شارع مظلم كان شبح يقف على الجانب الاخر من الطريق منقبض كالمظلة المغلقة .

ومررت به .

كانت في عينيه عاصفة .

دار فجاة وقال :

ـ لقد مررت على قدمي .

ـ عذرا لم انتبه .

ولم يدعني اكمل . بل فاجأني بلكمة قاسية فتراجعت الى الوراء . وعلى الرغم من اني تجاوزت الخمسين فقد هجمت عليه ، فاذا به يتلاشى ويسقط الى الارض ويتمسك بقدمي . واحسست ان كلابة قاسية تعتصرها وحاولت الافلات لكن عبثا . كان يصرخ بكلمات لم اتبينها جيدا خرجت من فمه اشبه بالبكاء .

ـ اترك قدمي يا ...

ولم ادر كيف خرجت من فمي احدث المستوردات من شتائم ولعنات المعلم سليم في سرعة اشبه بولولة العاصفة غير ان هذا لم يفد شيئا فقد بقي ممسكا بقدمي وضاقت انفاسي. واستجمعت قوتي ، ولم اشعر الا وانا آخذ راسه بيدي ادق به الارض وبرجلي اهوي بها على جسده .

وتحسست يدي .. كان عليها خيط من دم يتلوى كافعى ويشع بنور .

وتجمع حولنا الناس . لا ادري من اين اتوا كان الارض انشقت عنهم فالشوارع كانت تبدو خالية منذ قليل

تجمهروا .. كل يعلق ويثرثر .

ـ بسيطة

ـ سوء تفاهم .

وتقدم مني صديق اعرفه يعمل موظفا في الشرطة . وقال :

ـ هات ما معك .. انه سيتغاضى عن الامر ويمشي في طريقه .

وتحسست جيوبي . كان معي ليرتان دفعتهما اليه .

وتقدم صديقي الرجل الملقى على الارض وهمس اليه .

ـ هذه ترضية .. قم هات يدك .. تصافحوا .. اغسلوا القلوب بسيطة .

وقام الرجل فوق عينه جرح صغير يسيل منه الدم

ومد الي يده

كانت في عينيه عاصفة .

ومددت اليه يدي .

وتصافحنا ...

ورايت عينيه تضحكان .

ومد يده الى الجرح ثم اخرج منديلا جفف به الدم .

وبدا الناس يتفرقون وهم يعلقون تعليقات شتى

ـ بسيطة .. بسيطة .

وقال رجل عجوز .

ـ اهل هذا البلد « قبضايات » لكنهم يهدأون بسرعة انهم كالكاروز يفورون ثم يسكنون .

واخذني صديقي وتمشينا .

وقال : « قد تعجب اذا قلت لك ان مهنة هذا الرجل هي المشاكل » .

وقفت مذهولا وقلت :

ـ اتعني انه اثار المشكلة افتعالا لكي يقبض الليرتين

ـ نعم .. انه يثير المشاكل بلا سبب سوى ان يقبض بعد ان يتحمل ما تيسر من الضربات واللكمات قد تسيل دماءه وقد يدق راسه لكنه لا يهتم ، لا يهتم الا بالمال الذي يقدم اليه « ترضية » .. انه بهذا يحصل على ثمن حقنة المورفين التي تطول عذابه .. انه لا يستطيع ان يستغني عنها . انه لا يستطيع ولو وضعته في سجن فسيحطم القضبان ، سيلقي بنفسه من النافذة ... انه لا يستطيع .

وافترق عني صديقي .

ومشيت اقطع الدرب المعتم الى البيت .

كانت مصابيح الشارع تبدو وكانها تكاد تختنق .

وخطواتي تصفع الطريق لتتجاوب مع دقات قلبي ...

ولفح الهواء البارد وجهي .

واحسست ان شيئا في اعماقي يبكي .

سمير تنير

صدرت الطبعة الثانية من :

شلال الاسود

لمحمد الصباغ

نفدت الطبعة الاولى في شهر

صدر هذا الكتاب في تطوان بالمغرب وقد خلد بين صفحاته معركة التحرير المغربية منذ نفي بطلها محمد الخامس الى توحيد التراب المغربي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزورق النائي

○

أيها الزورق .. يا حلم الليالي الغابرات
فيك شوقي وحنيني ، والاماني الضائعات
فيك دمعي وأنيني ، ورفيف الاغنيات
فيك يأسي وجراحي ، وحطام الذكريات
وعلى حضنك تغفو أمسياتي الفانيات

طال مسراك وحيدا بين أهوال البحار
أيها الزورق .. غابت عنك أضواء النهار
والدجى العاتي طوى اعصاره النجم.. فغار
أيها الزورق .. تهنا ، بعدت عنا الديار
ذلك الساحل ناء ، دونه ألف قرار !

كم هفونا ، أيها الزورق ، للشاطي الجميل
للضفاف الخضر نشوى تحت أفياء النخيل
للشراع السابح المرّاح في صمت الاصيل
للزهور الناعسات البيض في الفجر البليل
لغناء الطير ، للانداء ، للظل الظليل

كم هفونا ، أيها الزورق ، للحن الرقيق
من شعاع النجم ينساب سماويا طليق
لصدى أنشودة تسري من الغور السحيق
تتسامى الروح فيها لدرى الصمت العميق
كم هفونا ، أيها الزورق ، للقلب الصديق

كم حلمنا ، أيها الزورق ، في دنيا الخيال
كم .. وكم شدنا قصورا باذخات من رمال
وسكبنا النور فيها ، حالما ، عذب الظلال
أيها المسكين .. أوهام رؤانا وضلال
دونها صخر بليد .. دونها موج المحال !

في العباب الصاخب المجنون .. في الموج الغضوب
أيها الزورق .. تهنا ، سخرت منا الدروب
حطمتنا الصخرة الرعناء في ليل الغيوب
أيها الزورق .. لا شيء سوى القاع الرهيب
يحتوينا في سكون .. ليله الساجي الكئيب

العراق ـ المقدادية — الزهرة البيضاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خوف حر

للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ـ من مجموعة قصص الرحالة والمكتشفين ١٠٢ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر

بين ايدينا مجموعة جديدة تصدرها دار المعارف المصرية باسم (مجموعة قصص الرحالة والمكتشفين)... ظهر منها حتى الان اربعة كتبوهي « خوف حر » لعبد العزيز عبد المجيد ، و « فاسكو دي غاما » و « والتر رالي » لمحمد عبد الغني حسن ، و « عبد اللطيف البغدادي » لعبد السلام العشري .

والغاية من هذه المجموعة تعريف حياة الرحالة والمكتشفين الى الناشئة العربية باسلوب قصصي مشوق .. فيطالع القارىء كتابا في مائة صفحة ، محلى بالرسوم ، فيحصل على معلومات مركزة عن حياة تفنيه عن بذل مجهود كبير في التحقيق والتنقيب .

تستهل هذه السلسلة كتبها بقصة حياة الرحالة الفرعوني «خوف حر » الذي عاش في مصر قبل اربعة الاف وخمسمائة عام .. ويسميه علماء الاثار المصرية « حرخوف » أي المحروس بالاله حور .

ولهذا الرحالة الفرعوني القاب ورثها عن ابيه ، واكتسبها بجده وجرأته ، وهي : سمير الملك الوحيد ، والكاهن المرتل ، وحامل الخاتم الملكي ، ونائب الملك في نخن .

ولد في بلاد الالفنتين (اسوان اليوم) ، وكانت تسمى باللغة المصرية القديمة « تاستي » ، أي ارض الرامي بالقوس .. ودرس الفتى بمعبد الاله العظيم « خنوم » الذي خلق الناس من طين ، وسواهم على عجلة كما تصنع الاواني الفخارية .

ولما بلغ من العمر الرابعة عشرة ارسله ابوه الى عاصمة البلاد « منف » او منفر ، في عهد الملك بيبي الاول ، ملك الوجهين البحري والقبلي ، ليتم تعليمه مع ابناء الامراء ، وليتقن فنون الصيد ،والرماية، والقتال ، ومنازلة الوحوش الضارية .. وليستزيد من المعرفة والحكمة التي يدرسها الكهنة في معبد الاله بتاح العظيم .

وحين بلغ خوف حر منف رأي الناس يحتفون بيوم النيل ، وقد حملوا تمثالا خشبيا يمثل اله النيل ، وهو في شكل مخلوق آدمي رأسه على هيئة رجل ملتح ، وجسمه جسم امراة لها ثديان بارزان ، وبطن مرتفع يشبه بطن المراة الحامل ، رمزا للخصوبة ، وتزين راس هذا التمثال حزمة من نبات اللوتس والبردى ، وهما نباتان يرمزان لاتحاد الوجهين البحري والقبلي .

ويقضي خوف حر خمسة اعوام في منف يموت في اثنائها الملكبيبي الاول ويخلفه على العرش ولده الاكبر فرعون « مرن رع » ، وكان زميلا للرحالة في الدراسة والمبارزة .

ثم يقوم برحلته الاولى في النيل بمفرده ، ويعقبها برحلة ثانية الى منطقة الشلال الاول برفقة والده والملك مرن رع ، وهناك امر فرعون ان تنقش له لوحة تمثله واقفا ومتكئا على عصاه الطويلة ، وامامه رؤساء النوبة ساجدين ، وقد نقشت عليها ايضا هذه العبارة : « وصول جلالة الملك مرن رع الى الاراضي الواقعة بعد الاقليم الصخري لمشاهدة هذا الاقليم ، ولقبول الخضوع والمديح من رؤساء وقبائل المازوي ، والارتت ، والواوات » .

وقام عوف خر برحلته الثالثة الى بلاد يام (اقليم النوبة في السودان اليوم) وعاد الى بلاده ومعه عددا من الفيلة وكميات من الابنوس ، والعاج ، وجلود النمورة .. ولما مات ابوه اصبح هو الرحالة الاول في مصر الفرعونية .

وتوجه الفتى في رحلته الرابعة الى بلاد « ادئت » و « سشو » (أي في منطقة دنقلة اليوم) ، واستمرت رحلته هذه ثمانية اشهر عاد منها وقد حمل حميره بالكثير من المحاصيل .

وذات يوم استدعى الملك مرن رع الرحالة وقال له : « اعلم يا خوف حر ان امامك رحلة اخرى فجهز نفسك لها ، وساعطيك كل ما تطلب من دواب للحمل ، ومعدات ، ومئونة ، واسلحة ، ورجال ..ولتسافر القافلة من العاصمة الجنوب مباشرة قاصدة ما وراء بلاد « يام » ، وانت تعلم ان التوابيت الملكية ، والتماثيل الملكية ، وادوات المنزل والزينة في حاجة الى الذهب ، ورجالنا يعملون في مناجم سينا ، وفي المناجم القريبة من البحر الاحمر .. ولكن ما نحتاج اليه من الذهب يزيد على ما نستخرجه من مناجمنا ، فاجعل همك ان تعود الينا باكثر ما تستطيع من هذا المعدن ، ولا تأخذ من سكان تلك البلاد غصبا ، ولا تفشهم اوتخدعهم او تخنهم بل عاملهم بالحسنى ، واجعل علاقتك التجارية معهم علاقة مبادلة ، يأخذون ما يحتاجون اليهمن البضائع والامتعة التيتحملها معك ، وتأخذ منهم الذهبوحاصلات بلادهم، وستكون مكافاتكفي هذه المرةعظيمة»

ورحل خوف حر الى بلاد النوبة للمرة الخامسة وانقذ زعيمها من هجمات قبائل التمحو الليبية ، وعاد الى منف ومعه مائة حمار محملة بالذهب ، والجلود ، والعاج ، والزيوت ، وخشب الابنوس .

ثم مات فرعون مرن رع وانتقل الى عالم الالهة ، ودخل افقه ، وطارت روحه الى السماء واتحدت مع قرص الشمس ، وامتزج الجزء الالهي فيه بجسم خالقه .. ونودي بالملك بيبي الثاني فرعونا علىمصر.. واقامت الملكة الام حفلة رائعة تخللتها فصول من مصارعة الفتيان ، ورقص الفتيات ، والمغنون والمغنيات يقفون صفوفا بالبستهم الزاهية وهمينشدون:

يوم عيد يوم بشرى وسرور
يملأ القلب هناء ومنى وحبور
ومن الحقل تفوح نسيمات العطور
وعلى الهامات تلوح اكاليل الزهور
متع النفس ، وهلل ، وافرح
واشرب الكاس ، وغن وامرح
والبس من الثوب الجميل والخفيف
ومن الحلى تجمل بالثمين واللطيف
وبالحياة والملاهي والملذات تمتع
هل علمت ان ميتا غادر القبر ليرجع ؟!..

وبعد انتهاء السهرة سالت الملكة الرحالة الفرعوني ان يقوم برحلة جديدة يكتشف فيها مجاهل « ارض الارواح » .. أي السودان ، ويعود بنماذج من خيرات تلك البلاد ، فتوجه الى الصحراء النوبية واجتازها في اسبوع الى ان وصل مناطق الادغال .. يقول الرحالة الفرعوني : « .. واخيرا رأينا ارضا منبسطة امامنا ، وان كانت الادغال ما زالت تحيط بها من جميع الجهات .. وفي هذه الارض المنبسطة رأينا مباني اشبه بالقبور او أعلى منها قليلا ، ونظرنا حولنا فلم نر اي انسان او حيوان ، ولكني لاحظت ان فوق الاشجار حيوانات تشبه القرود ، لها عيون واسعة ولامعة ، وتصرخ وتصيح بكلمات ومقاطع من الاصواتالغريبة. وفجاة انهالت علينا سهام صغيرة من فوق الاشجار ، وسرعان ما تبين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنا انهم اقزام من البشر وان ما رأيناه اشبه بالقبور هي مساكنهم .. فتذكرت على الفور ان الملوك تفرم بهم ، ويشترونهم بائمان غاليـــة ، ويشبهونهم بالاله « بس » رب الضحك والمسرات .

وعاد خوف حر ومعه قزما من قبيلة الاقزام الزنجية التي اكتشفها ، وقبل ان يصل الى منطقة الشلال الاول وجد رسولا من فرعون في انتظاره يحمل له رسالة ملكية ـ وهذه الرسالة منقوشة اليوم على مقبرة خوف حر ـ يقول فيها : « مرسوم ملكي للسمير الوحيد ، والكاهن المرتل ، ومدير القوافل خوف حر .. ولقد ذكرت في خطابك انك احضرت معك المحصولات العظيمة الطيبة ، التي قدمتها « حتحور » سيدة اماو الى حضرة ملك الوجهين القبلي والبحري « نفر كارع » بيبي الثاني الذي يحيا ابدا مخلدا ، وقد ذكرت في هذا الخطاب ايضا انك احضرت معك قزما يرقص رقصا مقدسا في ارض الارواح ، مثل القزم الذي احضره حامل الخاتم المقدس « باوردد » من بلاد « بنت » في عهد الملك « اسيسي » ، حقا انك فعلت ما يحبه سيدك الملك ويأمر به ..وجلالته يرغب في ان يمنحك كثيرا من الشرف العظيم حتى تصبح زينة لاحفادك أبد الدهر » .

استقر الرحالة الفرعوني بعدذلك في مدينة الالفنتين ، وتزوج احدى قريباته ، وبدأ يشرف على املاكه وعلى ادارة مقاطعته .. وبلغ سن الثمانين واصبح له الكثير من البنات والبنين ، ولما كان على فراش الموت استدعى كبير الكتاب وامره ان يسجل وصيته واليكم نصها : « انني سأموت اليوم فادفنوني في مقبرتي باعلى الجبل ، ولتكتبوا عليها قصة رحلاتي ، وان تختموها بهذه العبارة :

« الف رغيف ، وعشرة الاف اناء من الجعة لصاحب هذا القبر ، سيد الرحالة والسمير الملكي الوحيد : خوف حر !... »

نجاتي صدقي

التربية والتعليم بين عرب فلسطين ايام الانتداب

للدكتور عبد اللطيف الطيباوي ـ باللغة الانكليزية دار لوزاك وشركاه المحدودة بلندن

لم يترك المؤرخون والكتاب السياسيون ناحية من نواحي « فلسطين » كموطن ، وبلد مقدس ، وقضية سياسية ـ الا وتطرقوا اليها وتوسعوا في شرحها . وعلى الرغم من كل ما كتب حتى الان في هذا الموضوع ،فقد كانت هنالك ثغرة لا تكمل مكتبة « فلسطين » الا بسدها الا وهي ناحية التربية والتعليم في تلك البلاد ابان الانتداب البريطاني عليها . واذاكان قد تطرق اليها احد فانما كان ذلك عرضا وعن غير اهتمام جدي بهذا الموضوع مع ما له من اهمية بالغة في تعريف الجيل الطالع باوضاع البلاد كاملة وبتاريخها وافيا .

فجاء الدكتور عبد اللطيف الطيباوي بكتابه الجديد « التربية والتعليم بين عرب فلسطين ايام الانتداب » ـ وهو موضوع باللغة الانكليزية ـ ليكون دراسة شاملة جامعة دقيقة وحجة ساطعة في هذا الباب . ولا غرو ان يفي الدكتور الطيباوي هذا الموضوع حقه ، فقد أمضى قسطا كبيرا من سني حياته العملية بعد تخرجه في الجامعة الاميركية في بيروت في حقل التربية والتعليم حتى تاريخ انتهاء الانتداب . وفي هذه الاثناء أحاط بالكثير من تطور سياسة حكومة الانتداب بهذا الشان . فهو حين يتحدث في موضوع كهذا يتحدث حديث خبير مطلع ، مضافا الى ذلك دقته العلمية في تحري الحقائق واثباتها .

والكتاب مقسم الى ثمانية فصول عدا المقدمة والتمهيد والملاحق الثلاثة والرسوم البيانية والخرائط التفصيلية .

وفي التمهيد عرض تاريخي سياسي موجز لقضية فلسطين . وقد اعجبت شخصيا بما حواه الفصل السابع من تحليل واقعي مجرد لسياسة حكومة الانتداب من النواحي التعليمية والدينية والقومية . كما انني وقفت في الكتاب بوجه عام على معلومات واحصاءات رسمية يجد فيها كل من يعالج قضية فلسطين السياسية خير معين له على تفهم الحقائق وربط الوقائع واستخلاص صورة متقنة للوضع في تلك البلاد ايام الانتداب . واغلب الظن انه لولا هذا الكتاب لبقيت هذه المعلومات وهذه الاحصاءات نسيا منسيا في طي الاضبارات على رفوف الاهمال .

وما ان صدر هذا الكتاب حتى اقبل عليه مؤرخو قضية فلسطين من الغربيين اذ رأوا فيه تحفة نفيسة تعينهم على الوفاء لمهمتهم وهي الكتابة بصدق وامانة وانصاف لوجه التاريخ . وسارعت الجامعات العالمية الى اقتنائه وسد الفراغ الذي ظل ماثلا ردحا طويلا من الزمن في زاوية « فلسطين » من مكتباتها .

واني انصح كل من يجيد الانكليزية من ابناء العروبة بمطالعة هذا الكتاب واتمنى على الدكتور عبد اللطيف الطيباوي ان يترجمه الى العربية تعميما للفائدة .

محمود الاكحل

قناديل اشبيلية

للدكتور عبد السلام العجيلي ـ مجموعة قصص ـ ١٤٧ صفحة ـ مطابع دار الكشاف بيروت

لا اريد ان اقدم الدكتور عبد السلام العجيلي الى قراء العربية فهو اكبر من ان يقدم اليهم واعرف من ان يجهلوه . ولكنني اريد ان اقول انه في مقدمة من استطاع تطوير الاقصوصة العربية الحديثة كي تستكمل شروطها الفنية اللازمة ، وخير من عمل على الارتفاع بها الى المجال العالمي حيث الكمال الفني والاسلوب الجميل الرائع واللغة المتينة الطيبة ، الى جانب القدرة على التعبير القوي الاخاذ . كما يظهر ذلك جليا واضحا في مجموعته الاخيرة هذه ، التي تتألف من سبع قصص ، سأحاول عرضها في هذه العجالة .

ولابدأ بالقصة الاولى ـ قناديل اشبيلية ـ وهي القصة الرئيسية في هذه المجموعة . لا أعرف لما هزتني هذه القصة هزا قويا واعجبتني اعجابا كبيرا حينما سمعتها للمرة الاولى ، حيث قرأها علينا المؤلف منذ سنة وبعض السنة في « الجمعية السورية للفنون » ..؟! ولكنني أعرف بانها لم تهزني ذلك الهز كله او تعجبني ذلك الاعجاب كله عندما قرأتها للمرة الثانية .

فانت لا تني تنتقل بين صفحات القصة وتتقدم فيها ، والجو الغامض الساحر يلفك ويأخذ بلبك ويغمرك بغموضه وابهامه وروعته الفائقة ، ولا يني المؤلف يبدع في خلق هذه الاجواء الساحرة المروعة ، وتندمج انت في اجوائه هذه وتعيش بين أطياف القصة وأبطالها العجيبين مثل « هيا سنتا » والمرأة الغامضة صاحبة (مانيانا) وأعجبهم « أليدو ».. حتى تصل او يصل بك المؤلف الى تلك العقدة التي ارادها في القصة ، وهي تجسيد احاسيس بعض العرب الذين يتعلقون بامجادهم الغابرة. فتتراجع او يجعلك المؤلف تتراجع عن تعلقك بتلك الامجاد الماضية السالفة، كما تراجع هو « وفي جهد البائس انتزعت قدمي من موقفهما وانفلتت مسرعا الى باب الزقاق المقفر . وهناك ملأت صدري من الهواء الطلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزفرت زفرة فرجت عني ، ثم انطلقت مسرعا ، كاني أعدو ، الى المدينة وانا احس ان قناديل اشبيلية لا تزال تلقي علي شباك انوارها وتطاردني باشعتها لتجذبني ، كما جذبت قبلي البروفسور السيدو ، او السيد باقلادة ، الى هاوية عالمها المسحور ». ذلك التعلق الذي قاد الكثيرين من افراد امتنا العربية الى الهاوية ، حيث لم يكن تفكير هذه الفئة يتعدى التفاخر بالامجاد الماضية .. التفاخر بها دون التطلع الى واقعنا والصعود به الى الاعلى والسير به الى الامام في ركب الامم المتقدمة الصاعدة دوما الى العلاء .

فالقصة ، من حيث الكمال الفني والسرد الطيب والتسلسل المتزن من اروع ما يمكن من القصص ، لولا ذلك الهروب من شرح اسرار ابطال القصة في ختام القصة . اما من حيث المضمون ، من حيث واقعية حوادث القصة ، فتلتقي في عدم امكانية وقوعها ، حيث يوجد قصر اشبيلية ـ ذو القاعة المثمنة النوافذ والاعمدة المزدوجة في أركانها ـ المماثل لقصر مكناس .. تلتقي مع المؤلف في قصة « سالي » حيث توجد صورة عمه في ذلك البيت في ضواحي استكهولم .

فاذا أتينا الى القصة الثانية ـ الليل في كل مكان ـ نجد انها قصة يتحدث فيها المؤلف عن القلق السائد في القرن العشرين والناتج من تاثير الحرب العالمية الثانية ، هذا التاثير الذي ترك طابعه المفزع في نفس كل انسان تقريبا وفي نفس الاوربي على وجه الخصوص .

ومن خلال رسائل « مارليت » بطلة القصة ، عرض المؤلف مشكلة التمييز العنصري ونظرة الاوروبي ـ او الاوروبية ـ المتعجرفة الى الملونين « اني امرأة حمراء الشعر ، زرقاء العينين ، وردية البشرة ، وكذلك ولداي فريتز وهانس . سنكون في اي موضع نحله ، في اتحاد جنوبي افريقيا في الذروة من الاعتبار ... » ثم عرض للثورات الاجتماعية وقضية فلسطين ، ومع ان عرض الكاتب لهذه القضايا جاء طبيعيا ومحبوكا في سياق القصة ، فقد كان ينقصه العمق والتحليل الدقيق لهذه المشكلات الهامة .

اما قصة « الشباك » فهي من أقوى المجموعة في الحبكة القصصية والكمال الفني والاسلوب الجديد الذي سار عليه المؤلف في عرض القصة ، حيث نرى الى هذه الطفرة الرائعة بين هواجس عارف في اخر ليلة له وبين حديث ابي سليمان في بداية روايته ، من ابدع الاساليب في الانتقال من فكرة الى فكرة او من موضوع الى اخر في الفن القصصي والحبكة القصصية ..! انظر الى « رحمه الله » هذه ما اروعها في تقرير مصير عارف ـ بطل القصة ـ في القصة « ان الخلاف الذي كان بيني وبينه ، رحمه الله ، لم يكن اهلا لان احمل له ضغينة في قلبي ...»

اما الموضوع فلم يعجبني فيه بعض نواحيه لا سيما والمؤلف طبيب ورجل علم

فاذا كانت قصة « الرؤيا » وجدناها من اطيب القصص التي تعالج عقدة اجتماعية مترسبة في اغلب نفوس اهل قرانا العربية ، ألا وهي الايمان بكلام الاولياء وادعيائهم من قريب او بعيد ، باسلوب فكه ممتع لا يمل القاريء من متابعة خطاه وملاحقة اطرافه التي تسير بيسر وطرافة وروعة من اول سطر فيها الى اخر سطر . بالحقيقة لقد عولج هذا الموضوع من قبل اكثر من مرة ، ولكن معالجة الدكتور العجيلي له كانت من اسهل وارسخ المعالجات في الذهن والنفس والقلب . وقد دلل المؤلف على انه قادر متمكن من طرق اي موضوع ومعالجة اية فكرة بنفس القوة والثقة التي يعالج بها قصصه التي اعتاد ان يكتب في نطاقها .

اما « بنادق في لواء الجليل » فقد تحدث المؤلف في قصته ، او قصصه هذه ، عن قضية فلسطين ، تحدث عن فلسطين ببساطة وطبيعية تكاد تقرب من الحديث العادي .. فلا هناك تضخيم او (نفخة) في الحديث عن هذا الجزء من وطننا العربي بل هي احاديث تتواردتلو بعضها بعضا بيسر ودعة تامة . في القصة الاولى يكشف النقاب عن تلك الاصالة الكامنة في نفس « حسون » الصغير ، الاصالة العربية في كل مكان وفي كل فرد صغيرا او كبيرا ، فقيرا او غير فقير . هذه الاصالة التي ما زالت تتجلى في كل مناسبة او كل محنة تمر بها امتنا العربية من قريب و بعيد .

أما في القصة الثانية « بندقية الحقاب » فتظهر فيها تلك الروح الانهزامية التي نراها احيانا كثيرة في بعض الافراد ، ذلك الخنوع الذي يتمثل في حامل البندقية اللامعة الجديدة ، الهارب من مكان المعركة بحجة تنظيف البندقية واصلاح « لا خلل » فيها . انظر هنا ما هذا التفاوت الهائل في الوطنية بين « حسون » في بندقية فراضة الذيجاهد الجهاد كله ليحصل على بندقية فاسدة تنطلق في كفه وتمزقها وهو لا يبالي ، وبين حامل البندقية الحديثة الطيبة الهارب بها وبنفسه من ميدان المعركة .

انه ضرب من الكاريكاتور في التباين المضخم بين بطل البندقية الاولى وجبان البندقية الثانية الذي يقول عنه المؤلف « ما اجملها من بندقية ، وما اضيعها في يد جبان » .

فاذا اتينا الى بندقية الدكتور العجيلي الثالثة رأينا الى تلك الفئة المناضلة ، كيف تحارب الصهاينة والانكليز الى جانبهم الذين يمثلون جيشا ، عديدا في افراده ، قويا في تنظيمه وتدريبه وعدته ، تحاربهم ببنادق عتيقة بالية تنطلق وتدل على اصحابها في انطلاقها فتاتي اليهم بالموت الزؤام . ومع هذا تراهم يقاتلون مفضلين الموت على الانسحاب والهزيمة وبالتالي الهلاك على الجبن والعار ، كما يقول قائدهم الملازم محمد « نعم ، لقد قضيت برصاصة رشاش بعد ان فضحتني رصاصة بندقية في دلاتة . قضيت هنا في فلسطين ودفنت في حفرة ضائعة بعيدا عن قبور الاهل والاصحاب .. ولكن أليس هذا خيرا من ان اعود ، كما عدتم أنتم ، محزونا خاسرا ذليلا ...؟» انها الروح العربية الاصيلة المتفجرة من ينابيع الكرامة والشرف والشجاعة .

اما « بريد معاد » فالحقيقة ان عبد السلام العجيلي يصل في قصته هذه الى القمة في تحريك هذه الاحاسيس المختفية في باطن كل عربي . انه ذلك الاحساس القوي الذي يمور في نفس كل عربي ليقربه من اخيه العربي مهما كان هذا الاخ بعيدا عن قلبه وروحه . فلا العمل ولا المصلحة ولا المال بقادر على الوقوف حاجزا بين العربي واخيه ، انما هي عاطفة قوية جياشة تجمع بين هذا وذاك ، واحاسيس ومشاعر واحدة تختلج في قلب كل واحد ، تربط بين قلوب افراد امتنا العربية ، وتقرب بين نفوسهم ، فيعيشون حياة نضال وبطولة واحدة ، ويحيون في قومية واحدة تحيطهم باطار من العزة والكرامة المصانة على الدوام . لقد جاء المؤلف يحرك تلك الطبقة الجامدة من سطح اعماق النفس ، لتنطلق الروح العربية فوارة جياشة من زوايا القمقم المحصورة فيه ، وتتجلى باطيب مزاياها ، وتستوعب كل فرد من افراد الامة العربية لتنطلق بهم في النهاية نحو مثلهم الاعلى الذي يرغبون فيه ، ثم يدلل على ان الاصالة العربية موجودة دوما ، انما هو لون من الخمول يغمرها احيانا لسبب من الاسباب ، ولكنها تنطلق في النهاية في الاجواء محلقة عالية : « هذه روح قد انطلقت من زوايا المظروف العتيق وراحت تتعاظم امام عينيه كانها مارد منطلق من قمقم ، مذكرة اياه انها كانت في يوم ما المنار الذي يهديه، انها مثله الاعلى . »

انها من اجمل القصص القومية الرائعة التي كتبت في المجال القومي ، لا يعلو عليها في هذا النوع من القصص سوى رائعة المؤلف « كفن حمود » ، هذه القصة التي بلغ فيها ذروة القصص القومي واستحق عليها كل ثناء .

اما حين تقرأ القصة الاخيرة من المجموعة ـ سالي ـ فانت تشعر بذلك الخدر اللذيذ والنشوة العارمة حيث تسير بركب المؤلف ينقلك بين تلك الاجواء الساحرة ، جو القرية العربية قبل خمسين عاما ... حيث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحدث خادم الاسرة « دحام » عن تلك الليالي الصافية وعهد الفروسية الجميلة « ولو نطقت مواطيء حوافر الخيل في هذا السهل الذي تنزله اليوم لحدثتنا عن جولات ذلك الفتى وتلك الفتاة على ظهر فرسيهما في سفوح التلال المعشبة واغوار الوهاد الندية . اما النجوم ، نجوم هذه البادية الفسيحة فكم رأتهما ممددين على ظهريهما يستطلعان اليها في هذه الربعة ، دون ان يتكلما . » جو القرية العربية وجو استكهولم وابسالا و... سالي حيث يتحدث المؤلف عنها جميعا بروية ولذة واسهاب

والقصة رائعة من حيث الاسلوب والسرد الجميل والحوار ، وبديعة من حيث الحبكة القصصية والكمال الفني . اما من حيث الواقعية ، فهناك من حيث الحبكة القصصية والكمال الفني . اما من حيث الواقعية، فهناك نوعان من القصص قصص واقعية موجودة ، وقصص ممكنة الوجود . وسأضيف الى هذين اللونين من القصص لونا ثالثا ادعوه بالقصص النادرة الوجود واصنف « سالي » في هذا اللون الاخير منه . هذا الى انها رفاه ذهني خالص ومتعة عقلية صافية لا اكثر ولا اقل .

أما بعد فهذه المجموعة من القصص تعد بحق من أقوى القصص التي ظهرت في المدة الاخيرة في عالم الادب العربي ، ولم ينقصها شيء من النضج او الكمال الفني او الاسلوب الحسن او اللغة الانيقة الراقية والكلمات الجميلة المنتقاة لولا ذلك الترف الذهني الخالص الذي نجده في بعض اقاصيص المجموعة ، ولولا تلك الحوادث اللاواقعية التي تصدمنا في بعضها الاخر والتي اكتسبها المؤلف او اخذها من رحلاته الكثيرة وحبه للمغامرة في هذه الرحلات على الدوام .

دمشق ـ الجامعة السورية — جورج دولباني

القصة العراقية

لجعفر الخليلي ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة المعارف ببغداد

هو دراسة سريعة للقصة العربية عامة والعراقية خاصة ، بحث فيه الاستاذ جعفر ، اجماليا وبصورة موفقة ، تاريخ القصة العربية منذ خلقها حتى يومنا . ولا شك ان هذه العجالة يمكن ان نعتبرها نواة لدراسات مفصلة عن كل ما يتعلق بالقصة العربية في جميع نواحيها واتجاهاتها .

ومن تتبع تاريخ الادب العربي باخلاص وتجرد رأى ، خلافا لما يظنه البعض ، ان القصة كانت من العناصر التي مثلت دورا هاما في الاتجاهات الادبية العربية المتعاقبة . ولا شك ان من ينعون على الادب العربي خلوه من القصة اما ان يكونوا قد تأثروا باقوال غيرهم ، من اعداء الادب العربي، دون اجهاد انفسهم بالبحث والاستقصاء ، او انهم مغرضون يريدون طمس الحقائق فانتقصوا التراث العربي وجردوه من ناحية هامة في حياته المتعاقبة

أقول هذا دون مبالغة او اندفاع عاطفي ارعن ، فالعرب عاشوا القصة في كل فترة من تاريخهم ، بل في كثير ما تركوا لنا ، القصة الواقعية الصحيحة ، تلك التي بدأ الاتجاه الحديث يعطيها أهمية وقيمة فقط هناك فرق الازمان ، والاتجاهات الفكرية ، وتطور الحضارات التي تضفي على الشكل وجوها عديدة ، دون ان تمس الجوهر في ذاته . شانها في ذلك شأن كل مرافق الحياة ومقوماتها .

فقصة مقتل الحسين ، « لابي مخنف » لا تقل بنظر الباحث المجرد، قيمة عن قصة « الحرب والسلم لتولستوي » تلك القصة العصرية التي هزت مشاعر العالم باجمعه سواء أكان ذلك من الناحية الفنية للقصة ام من ناحية العرض ، وتصوير اهوال الحرب والتضحيات والايثار الانساني وغير ذلك .

واقصوصات الاصمعي والجاحظ وغيرهما لا تقل فنا عن احدث النوادر والاقاصيص المشوقة الفنية ... بل ان الادب الحديث اخذ يسير على هذه الطريق مع شيء من التنويع والتوشية ..

هناك تجديد ، لا شك ، فالزمن ، وتقدم الانسان ، ومجمل التجارب الجماعية ، كلها عوامل تؤثر تأثيرا كبيرا على الافكار والنفوس . اما الجوهر فلم يختلف ...

سردت هذه العجالة القصيرة لاظهر حاجتنا الماسة الى باحث عربي مخلص يقوم ، بكل نزاهة وصدق ، بدراسة ادبنا العربي القديم ، فيستخلص هذه الكنوز ليعرضها على الناس ويطلع العالم على قيمة تراثنا القصصي المليء بشتى فنون القصة الملائمة لكل من عصورها المتعاقبة.

واذا كان الاستاذ الخليلي قد قام بهذه الدراسة السريعة واتحفنا بكتيبه « القصة العراقية » فهو بادرة يشكر عليها ، ويمكن ان نعتبرها خطوة في سبيل دراسة اوسع تتضافر فيها جهوده العارمة ، على ما عهدناه منه . فيتحفنا عما قريب بدراسة شاملة واسعة عن القصة العربية في مختلف مراحل تاريخها .

ورغم ان عنوان الكتاب ، يختص بالقصة العراقية ، الا ان البحث كان أعم واشمل . فقد تطرق الى القصة العربية بصورة عامة ، متحدثا عن أثر العراق في هذا التراث العربي . فهو في معالجته خرج من تلك الاقليمية الضيقة ، لينطلق بنا في اجواء العالم العربي دون حصر ، فجال معنا جميع المواطن التي مر بها تاريخ القصة العربية .

وكتاب الاستاذ جعفر موفق في مجمله ، رغم انه عجالة وحديث عابر، ويمكننا ان نعتبره مقدمة لموسوعة يسرع بها على العالم العربي ليتفهم الناس حقيقة تكاد تكون مجهولة بالنسبة لهم . ويتم للمكتبة العربية بحث جدير بها تحتاج الى الحاح الى امثاله من الدراسات والبحوث .

اما اسلوب الكتاب فهو كاساليب سائر كتب الاستاذ الخليلي، رزين، سلس ومتين ، له شخصيته الخاصة المستقلة عن اي تأثيرات خارجية . وهذا ليس بغريب من اديب كبير كأدبنا العربي العراقي .

سامي دارغوث

أي غد ؟

لقسطنطين زريق ـ ١٩١ صفحة ـ نشر وطبع دار العلم للملايين بيروت

أصدر الاستاذ قسطنطين زريق كتابا جديدا اسماه : « أي غد ؟ دراسات لبعض بواعث نهضتنا المرجوة .» وقسطنطين زريق واحد من ارباب التربية المعروفين في الاوساط العربية . أحب مهنة التعليم ، فانخرط في سلكها يخدمها بحيوية ، واخلاص ، وتفان ، ويبذل كل ما في وسعه لتقدم طاقتها ، وازدهار انظمتها . وكتب ، فكان له ادب رفيع في كتب تلقفناها ، وقرأناها بشوق ،لما فيها من دراسات شيقة مركزة على الافكار الصائبة المستوحاة من عقل ينضب بالذكاء الحاد ، لا هدف له سوى الاتيان بعمليات مفيدة ، من اجل النهوض بعالمنا العربي ، ان من النواحي الادبية ، او الاقتصادية ، او السياسية ...

وكتاب « أي غد ؟ » يحتوي بين طياته على دراسات ست لبعض بواعث نهضة العالم العربي المرجوة ، القاها المؤلف كمحاضرات ، ثم جمعها لتكون نبراسا ، تستضيء به البيئة العربية الحديثة التي تساير الزمن

ففي فصل « المفكر العربي وتبعاته » نقع على دراسة ممتازة للمفكر العربي ، هذا المفكر الذي عليه ان يكون صادقا في سرد اقواله ، وتمثيل ادواره ، آخذا الاحتياطات اللازمة للمهمة الملقاة على عاتقه ... انه حجر الزاوية في المجتمع ، اذا انهار هذا الحجر ، انهارت حيطان البشرية ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتلاشت امانيها الجسام . وبما اننا اليوم نمر في اوقات حرجة قد تودي بعالمنا العربي الى الانحلال ، فالدمار ، اذا نحن تجاهلناها ، يلزم على المفكر ان يكون حذرا من تصرفاته ، وان يحس بالازمة – مهما كان نوعها – ويتمثلها دوما امام ناظريه . وعليه أن يعالج موقفها الخطير بعناية ، وشغل مستمر ، وان يكون واعيا لمتضمناتها ، لا يهتم بالقشور دون اللباب . « ولذا كان على المفكر العربي اليوم ان يقبض بعقله وبصيرته النيرة على اصول الشدة التي تعانيها امته ، لا على ظواهرها الخارجية فحسب ، ليقوم بوظيفته في تشخيص حقيقة الداء واقتراح ناجع الدواء . فان لم يبلغ هذه المرتبة ، كان اي تأثير تحدثه الازمة في نفسه تأثيرا عاطفيا ، غير مبني على الفهم والادراك ، وبالتالي غير مؤد الى الخلق والابداع او فاعل في تخفيف الشدة ومعالجة الحال . » والمفكر الحقيقي عليه ان يتجشم الاسفار ويتحمل المصائب التي تعترض غايته النبيلة لتحد من نشاطه ، وتهدم عقائده الانسانية البناءة . عليه ان يحيا وكل طبقات الشعب ، ليقدر على تفهم اذواقها الادبية والمهنية ...، ومطالبها الصحية والمالية وغيرها . وفي حل مشكلته عليه ان يعتمد على ذاتيته. « فالقضية قضيته ، والصراع في النهاية صراعه .» واذا ربح تلك القضية وانتصر على الصراع هذا – بعد ان تكون الازمة العربية قد انعكست في نفسه – يكتسب أنضج مرتبة في امته والمعها .

وفي « المجتمع التقدمي » يحدثنا الاستاذ زريق عن المجتمع العربي المتحرك حسب الازمنة . وقد اسماه بالمجتمع الديناميكي نظرا لعصر السرعة الذي يعيش فيه ، ونظرا لتمييزه بالقوة الموجودة باتتاجه العقلي والمادي . وعلى العقل ان يلعب دورا اساسيا ومهما في توطيد سلطان المجتمع التقدمي ، في عالمنا الشرقي ، توطيدا قويا من ركائزه الثبات ، والتضحية ، والاستقرار ، والتضامن ، والسؤدد ، والرفاهية ... ولا تقتصر حيوية المجتمع المتطور على اعماله الخارجية ، من بذل المساعدات العسكرية والثقافية والزراعية والصناعية ... ، فحسب ، بل على اعماله الداخلية التي يجب ان تؤمن اولا . فبقدر ما تكون هذي الاعمال صائرة سيرا سليما وامينا ، ولاحقة ركب الحضارات العالمية ، بصح وقتئذ ان ننعت مجتمعنا بالتقدم . ونظرة واحدة على مجتمع اليوم تربنا بجلاء كيف تغلب الانسان على الطبيعة باستخراجه مواردها الدفينة من جوفها ، وكيف انتقل مجتمعنا – اجمالا – من طور الرجعية والركود ، الى طور التقدم والانصهار في بوتقة العمل الجدي الذي يورث ثمارا جيدة . هذا، ويروح المؤلف يقابل في هذا الفصل بين البيئة المتاخرة وما تجر وراءها من ذل وانحطاط ، وبين البيئة التي غذتها ارواح الازدهار والكسب بفضل رجال الفكر القائمين على تأمين مستقبلها تأمينا متينا ، وخصوصا بفضل تغلبها على اهوائها . زد على ذلك ان للمدرسة فضلا واسعا في تكوين المجتمع الصحيح المحترم الحامل على منكبيه رسالة الاصلاح والعمران .. والذي يتساوى فيه المواطنون بالفرص ، « فلا يستأثر فيه فرد بفرد ، او فريق بفريق بحكم ولادة او ارث او جنس او اي فارق عرضي اخر .»

وفي فصل « العرب والثقافة الحديثة » ، يحثنا صاحب الكتاب على ان نحيط بمقومات الثقافة الحديثة اذا اردنا ان ندرك موقفنا منها ، وموقفها منا . « فالمحك الاخير لاية ثقافة من الثقافات هو نظرتها الى الانسان . وفي هذه النظرة تلخص صفاتها الاساسية المنبثة في مظاهر انتاجها المختلفة من علم ، وفن ، وفلسفة ، وسواها .» والثقافة الحديثة ، التي يماشيها العالم اليوم ، لها جذور تمتد الى اقدم العصور . لقد كانت الاكتشافات فيما مضى ظاهرة امام العيان ، لكنها جد ضئيلة بالنسبة لعصرنا هذا . ومرد ذلك عائد الى حدود الثقافة التي كانت تضع امكاناتها امام اشخاص معينين . اما اليوم فاصبحت الثقافة متوفرة في اغلبية البيوتات ، ان لم نقل في كل بيت . وبفضلها تعددت الاكتشافات . فصار الانسان الحديث يقرب اصقاع العالم بعضها من بعض ، ويسود اليابسة ، ويسيطر على البحار والفضاء والبوادي ، وينهض بالحياة الاجتماعية .

واذا اخذنا على بساط البحث ثورات داروين ، ونيوتن ، وديكارت العلمية وما ادت للحياة الاجتماعية الغابرة من خدمات جليلة ، نرى بكل ظهور ووضوح انها ما زالت – جانب الثورات العلمية المتتابعة التي تبصر النور كل يوم في عصرنا الحاضر – مرتعا خصبا لطلاب العلم واصحاب النظريات والاراء القويمة ... فالثقافة الحديثة رغم تطورها المبدع ما فتئت تنظر الى الوراء ، وتغرف من الثقافة القديمة الخالدة ، وان افترقت عن نظمها احيانا وحاربت بعض قوانينها ...

وبعد ان ينتهي المؤلف من تعداد مآثر الثقافة الحديثة ، يشرع بالقاء نظرة على الثقافة العربية الحاضرة التي تأثرت بالثقافة الغربية تأثيرا ملحوظا فثقافة اليوم هي غير ثقافة الامس . لذا يجب علينا ان نرعاها بادراك وانتباه ، ونسارع باعلان شانها لتقودنا الى مصاف العالم الغربي ذي الانتاج الادبي والعلمي الخصب . هذا ويتساءل صاحب « أي غد ؟ » عن « الانتاج العربي العالمي في الرسم والنحت والموسيقى والمسرح، وعن النفس العربية المصقولة بالاحساس الفني ، المطهرة بناره ، المتسامية الى ذلك الابداع الذي به يقترب المخلوق من الخالق ويحاكيه . »

وفي الفصول الباقية ، يتناول المؤلف المدرسة ، ويطلب منها ان لا تحشو عقل التلميذ بالدرس النائي عن الشروح التطبيقية ، ثم يذهب يفسر تأثير اهواء الحكام الحزبية بعقول التلامذة ، ويناشد الاهلين ان يسهروا على ابنائهم ويدعموهم بروح الاعتماد على الذات، ويطالب من الحكومات العمل المفعم حيوية لتعداد المدارس ، ومن المثقفين ان لا يكفوا عن ابحاثهم ان علمية او ادبية او مهنية... ويتناول التربية الحديثة والقديمة فيطلب منا ان نبذل جهودا جبارة لحماية الجهد التربوي ، ولتحرير جماهير المجتمع العربي من الامراض الطاغية عليه كالفقر ، والمرض ، والجهل ، وما يتولد عنها من علل فتاكة اخرى ...

والان، ان القينا نظرات الى افكار المؤلف في « أي غد ؟ » نجد الافكار الثانوية متفقة والفكرة العامة ، جلية الوضوح ، عميقة طريفة . انها – اي الافكار – ناتية عن الغموض ، تنم عن ثقافة رحبة المجال يحتل ربوعها الصدق والبساطة واللحمة هذا من ناحية ، ومن ناحية التوليد والابتكار ، فليس لهما مكان في كتابنا هذا . فرغم ان المؤلف أدى لقراء لغة الضاد خدمة جليلة ، ناصعة ، لفهم اوضاعهم الاجتماعية ، وذلك بتشخيص المرض ووصف العلاج له ، لم يتوصل الى اختراع نصائح خاصة به . لقد غلبه التقليد بحيث لم يك بمقدوره ان يحيد عنه ، بل انه سار في دربه منصاعا لندائه . فالذين تكلموا – قبله – عن المجتمع وانتقدوا علله في مؤلفاتهم لكثيرون ، ولا ننكر عليهم انهم اجادوا في وصف الادوية التربوية وصفا أدى الى مضاعفة الجهود للمنافحة عن الامة العربية ودعمها بعناصر الثقة ... وكأني بالاستاذ زريق ، في حرصه على ترديده بعض الافكار – يتكلم ، مثلا ، في فصل ما عن ضآلة العمل المهني ، ثم يذكره في فصل سابق ، وهكذا دواليك – يريد ان يثبت لقراء العربية انه ما يضمر لهم الا الامنيات الحلوة ، ويدفعهم الى مساندة مجتمعهم المتحرك واضعا نصب اعينهم النصائح الكفيلة بانشاء وطن ابي يفتخر بسيادته ، ويعتز بابنائه ... وعندما يتكلم عن حب الطبيعة وجودها الدائم على الانسان ، نلاحظ انه تأثر باراء اديب فرنسا العبقري روسو .

اما من ناحية الاسلوب ، فقد وفق المؤلف باقصاء الالفاظ والتراكيب المجبولة بالغريب عن كتابه ، وباستخدام الالفاظ المانوسة التي لا يشوبها ابهام . انها الفاظ محكمة ، تجعل القارىء لا يشك من ان مبدعها صاحب نظرية متفاءلة في عالم الادب التربوي ، يحس بضرورة تنسيق الاسطر تنسيقا صريحا وسهلا يتفق وذوق المطلع عليها . ومن ثم ، فقد دأب على ان يخيط جمله ، الطويلة النفس غالبا ، بخيوط الجزالة والمتانة والرزانة شانه في « تاريخ ابن الفرات » و « الوعي القومي » ، و« معنى النكبة ».

ابراهيم عبدو الخوري



جولة الأديب في شهر

كيف ينشأ العلماء

●

ما الذي يدفع بالطالب فتى كان ام فتاة – لان يصبح من رجال العلم وخدامه ؟ ايكفي لذلك ان يدرس الطالب عددا من الموضوعات الموصوفة في منهاج معين ، او ان هنالك وصفة سحرية تنصب للعلم قبابا مرتفعة . مثل هذه الاسئلة وغيرها كثير مما يمت بصلة وثقى للعلم والعلماء والاسس الركينة التي تقوم عليها طرحها الطلاب وجاء الجواب عنها امام الف من طلاب العلوم التفوا حول فئة مختارة من كبار العلماء ومشاهيرهم في الاجتماع السنوي العاشر الذي حرصت على احيائه لمدة اسبوع سنة بعد سنة ، الجمعية العلمية الاميركية لتقدم العلوم .

وقد ارسلت المعاهد المختصة بتخريج طلاب العلم في منطقة نيويورك ، لهذا الاجتماع السنوي ، خير من لديها من نوابغ طلابها وادعاهم استبشارا وفالا ، في المستقبل الطالع . وترك لكل من هؤلاء الطلاب الحرية التامة في توجيه ما يرغب من الاسئلة لفريق من اساتذة العلوم انضم اليهم ثلاثة طلاب جرى انتقاؤهم من بين المتفوقين من طلاب المعاهد العلمية في صفوفها العليا .

فقد عالج الدكتور روبرت برنشتاين المدير المساعد لمختبر الابحاث الكهربية في جامعة كولمبيا الاسباب والعوامل التي تحدوبالشباب الى الاقبال على العلوم وذلك بالاشتراك مع الدكتور مورطن زندر ، الاستاذ المساعد في معهد روكفلر الطبي لعلمي الامراض والميكروبات

ومما قاله الدكتور زندر : « انني مدين في اقبالي على العلوم لابي الذي كان دائما يجيب على الاسئلة الصبيانية التي كنت اوجهها اليه لفهم طبائع الاشياء التي تقع عليها عيناي مع انه كان بامكانه ان يرد علي باجوبة جوفاء عارضة ولكنه لم يفعل » .

وقد خطر لاحد الطلاب ان يسأل احد الاساتذة ما اذا كان من الضروري لطالب العلم ان يدرس اللغات فرد عليه الدكتور برنشتاين قائلا :

« يستحيل ان يصبح الواحد منا عالما وهو قابع في برجه العاجي منزو عن الناس . فالكثير من المعلومات الاساسية التي نحتاج اليها للبناء انما نستمدها من مساهمة الغير ، محيزة في الكتب والجرائد . ان منحة العلم منها ما هو مستمد من ممارسته والقسم الاخر من قوتنا على الملاحظة والتجربة . وهذا يعني انه يترتب على طلاب العلم ان يحسنوا الى ابعد فن الاتصال الذي يمكن له : اللغة والرياضيات .

والصفة المميزة التي تفرق بين العالم وغير العالم هي الفضول العلمي او حب الاطلاع كما يرى الدكتور دون هربرت احد العلماء البارزين الذين يشرفون على مناهج التلفزيون في ثلاث شبكات وطنية للبت لتبسيط قضايا العلم ومشكلاته للجمهور . فالفارق الاساسي بين ذهن الفتى والكبير من الوجهة الفكرية يقوم في ظاهرة الفضول العلمي في الصغير . فالاطفال هم فضوليون بحكم الطبيعة انما يفقدون هذه الملكة كلما تقدموا في السن . وبوصفكم من رجال العلم في المستقبل يجب ان تغذوا فيكم دوما حب الفضول واذا كنتم ترغبون حقا في هتك حجب اسرار الطبيعة لا تاخذوا الظواهر حقائق قائمة ، وامضوا في تساؤلكم وفي تحريكم للحقيقة بانفسكم .

وتكلم الدكتور هوبرت ن. اليا ، احد الخبراء العاملين في مختبر فريك الكيمائي في جامعة برنستون عن : « الحظ والصدفة والذهن المعمد علميا » . وقد جاء من حوادث التاريخ بشواهد عديدة على نظريته . فقد ذكر ان عددا من الاختراعات المهمة في التاريخ تمت صدفة واتفاقا ولولا استعداد المراقب وتهيؤه علميا على تسجيل الظاهرة العارضة والافادة منها لما تمكن قط ان يأخذ يدا من الفرصة الناهزة . ان مشاهدة اسحق نيوتن لتفاحة تسقط مكنه من وضع ناموس الجاذبية اي قانون الجذب وضرب على نظريته امثلة اخرى ذاكرا كيف ان سائلا ما يرغي ويزبد لا يلبث ان يتختر ويتحجر اذا ما مزج بعنصر كيماوي معين .

ثم تكلم الدكتور بول سيرز ، رئيس الجمعية الاميركية لتقدم العلوم فذكر الطلبة بحقيقة كبرى ، قائلا : « مع تسليمنا بكل ما يؤدي اليه العلم من ازدهار مادي وما يفضي اليه من تقدم البشرية وفلاحها فلا ازال ارى ان قيمة العلم الكبرى تقوم في هذه العبرة التي تقدمها لنا ، هو وجوب بقاء بابه حرا مشرعا امام الجميع على السواء . واني لارجو ان تحملوا ابدا معكم في نفوسكم وارواحكم الروح العلمية الصادقة ، اينما نزلتم وانى حللتم ، سواء أطلبتم من العلم خبزكم اليومي ام لم تطلبوا .

وجوابا على سؤال احد الطلبة عن الحد الذي يفصل بين طالب علم وعالم او حتى يستحيل طالب علم الى عالم ، اجاب الدكتور سيرز قائلا : ليس باستطاعة احد ان يعلمكم شيئا . عليكم ان تتعلموا بانفسكم .وستبلغون مرتبة العلماء يوم تستطيعون ان تقوموا بمطلب العلم وتسهموا في رسالته ونقله الى الاخرين بقطع النظر عما يلقيكم الناس به .

ملامح

تصدير لمعرض وزارة التربية والفنون الجميلة

●

للفتوة لطافتها وعذوبتها ، وبها حدة البحث عما جال في الارض وخفة التشوف الى ما حام حول الافق . ومن طرائفها القلق والتردد . وكلما عزمت فاقدمت دفق من بين عطفيها رقائق تترقرق فتملا ايدينا بالعطايا الخفرات .. لا كبرياء ولا ادعاء .

هذا المعرض الخامس للتصوير والنحت عنوانه الفتوة . فتوة متجسدة ، بعد ان جاز لبنان في العصور الخوالي اطوار العمر كله حتى مسه التعب تحت حديد قرون سود . غير ان الحديد ما قدر ان يقتل خفائف الانفاس فظل بريق الرؤى يلمع في صوامع الديارات ومنها انسرب في مسالك الجبل والمدينة : صبابة وهج طالما هجم من كوى ونوافذ ، كان لبنان يبصر منها بنزهة الدنيا وفتنة السماء ، فائبت محساته ولمحاته في روائع الفن .

اهلا بفتوة اليوم تقبل كالقطر النقي يحيي الارض هجرها الخصب زمانا . اقبل فبشر بالزهر الزاهر ووعد الحس انه معطيه افخر العطر ، وبالوعد ينعم الناظر اليقظ .

الواح وبضعة تماثيل ولدت جميعا في محارف لبنانية ، سوتها انامل مشغولة بقيد السوانح ونظم الهواجس . وبعض الانامل للمحترفين وبعضها للمستطرفين . وما نظرت لجنة المعرض على سبيل الفحص والانتقاء الا في اثار المستطرفين ، اذ رسم لها ان تجعل المحترفين مسئولين عما بعثوا به لانهم اهل الصناعة فلهم ان يحسنوا التمييز بين الرهيف والكثيف ... وان شق التمييز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احيانا على من ينقد ولائد قريحته .

وجرت اللجنة في ذلك الفحص وذلك الانتقاء على نسق قوامه البحث عن الاحساس الصادق والاداء الحاذق . على انها تجردت عن الاهواء فتورعت عن مطاوعة الذوق الهين او الذوق المتشيع لنمط من الانماط . ذلك انها تعلم ان الفن اليوم اصبح يسع الوانا من النشاط تجري من طرف الى طرف ، فخرج عن نطاق الاساليب المتوارثة حتى انه ربما نغض الناظر نغضة من ورائها دهشة او نفرة.. ولى العهد الذي فيه كان الفن يتطلب الجمال من كل جهة ، ويعبر عن الكيان الانساني الاتم ، ويعتمد الملموس والمنظور وحدهما ، ويحصر المعالجة في نظام من الطرائق والوسائل مجربة محكمة . ففي المعرض باقة تنوعت اصباغها .

وابت اللجنة ان ترخي بعض الجفن وهي تتصفح الالواح والتماثيل . ما زين لها التهاون ان الفن في لبنان ناشىء ، ولا سوغ عندها التيسير ان بروز لوح او تمثال في معرض وطني ضرب من ضروب التشجيع للمبتدئين والاغراء للمقبلين على الصناعة من باب التسلي او التظرف . فليس الترخص في صعيد الثقافة الرفيعة من اسباب الترقي. وبالشرق العربي اليوم حاجة الى التزام الجهد في جد حتى يخرج الى فسحة اللطف فيصب جدولا من قطران البلور في نهر العرفان يفيض في مروج الدنيا فيسقى من ظمىء فؤاده . وفي ذروة الثقافة الرفيعة مطالب الذوق .

ولن يتلو معرض معرضا في السنوات الاتية حتى يكون الفنان قد زوى بعض مخيلته وطرفا من كفه عن محاكاة المذاهب الافرنجية مهما غلغل اثرها في المحارف واستقر جاهها في الاذهان ، فيخرج من فتوته اذ يلتمس وحي ارضه وسمائه ويتعقب اساليب اجداده فبعرض علينا ما يخاطب الروح على الفور وقد ترف فيها خيالات واشارات اصيلة نظمتها اليوم حفنة من الالواح ولاسيما من التماثيل ترف فيها خيالات واشارات اصيلة نظمتها صنعة صحيحة ، مما ينبىء باشراق ذلك اليوم العظيم . ولبنان حقيق والله به .

بشر فارس

عضو الجمعية الدولية لنقاد الفن

تراث برقة

●

عاد المثال الدانيماركي فيتوس نيلسون الى كوبنهاجن بعد انتهائه من بعثة فنية في ليبيا لحساب منظمة اليونسكو . وقد استطاع هذا الخبير الاخصائي في ترميم التماثيل القديمة ان يعيد الى كنز الحضارة الانسانية تراثا فنيا منسيا مضى عليه اكثر من الفي سنة .

وقد عهدت اليونسكو الى نيلسون الخبير بمتحف كوبنهاجن ، الاشتراك في ترميم التماثيل اليونانية والرومانية في برقة ، وكانت قد نقلت من طرابلس الى الصحراء خلال الحرب العالمية الثانية . وتعتبر هذه التماثيل تراث اغنى مستعمرة يونانية شيدها باتوس في القرن السابع عشر قبل الميلاد .

ويروى المؤرخ هيرودوت ان وحي آلهة دلفي قد امر باتوس ان يقود بعض سكان ليبيا نحو مكان « يقع بين المياه » يشيدون فوقه مدينة . وخيل عندئذ لباتوس ان هناك جزيرة فجعل رجاله يقيمون في جزيرة جرداء عند خليج بومبا . ولما فشل مشروعه هذا استلهم الوحي مرة ثانية فامره ان يعود الى القارة من جديد . وهكذا اتجه اليونان بقيادة الليبيين البرابرة الى مكان زاخر بالموارد ، وهناك ادرك باتوس المكان الذي « يقع بين المياه » ، الذي تحدث عنه الوحي ، فقرر ان يشيد عليه مدينة اطلق عليها اسم عروس البحر « سيرن » ـ برقة ـ ابنة هيبسة وام ابستيه .

وفي عهد برقة الذهبي كان يقطنها حوالي مائة الف نسمة واشتهرت بمجدها الثقافي اذ كانت تضمه من معاهد عليا للطب ولما انجبته من رجال مشهورين من امثال الشاعر كاليماك وكاريناد مؤسس اكاديمية اثينا الجديدة ، واريستيب تلميذ سقراط ورئيس المدرسة الفلسفية المعروفة باسم مدرسة برقة، واراتوستين المؤرخ والشاعر المسيحي سينزيوس .

وفي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد ، اصبحت برقة ـ وقد انتقلت من مملكة الى جمهورية ـ تحت حكم البطالسة . وفي ذلك العهد بدأ سقوطها وان لم تفقد كل عظمتها الا عندما وقعت في ايدي روما في عام ٩٦ قبل الميلاد . وفي القرن الرابع الميلادي كانت برقة مدينة مهجورة ، واصبحت بعد مائة عام اطلالا باهتة . وقد اظهرت الحفائر عن قلاع وحصون منيعة ، ومعابد ومنشئات عامة وتماثيل عدة . ومن اجل هذا التراث التاريخي الباقي اوفدت اليونسكو الخبير نيلسن لمساعدة السلطات الليبية في الكشف عن مجد برقة الغابر .

وقد تحدث الينا نيلسن عند عودته من ليبيا كيف طلب اليه مراقب الاثار في ليبيا ان يبادر بزيادة برقة ليبدأ بجمع القطع والاجزاء التي تغطي ارض المتحف حتى ابوابه.

وظل هذا الخبير الدانيماركي يسعى طوال اربعة شهور لحل مشكلة فنية دقيقة ، فالى جانب قطع التماثيل التي تحطمت خلال الحرب واثناء انسحاب القوات ، كانت الارض مغطاة ايضا باجزاء عديدة اخرى اكتشفتها اجيال من الاثريين البريطانيين والايطاليين . هذا وكانت مهمة الخبير الدولي نيلسن ان يدرب عددا من موظفي المتحف على مبادىء عملية ترميم الاثار الفنية . ويؤكد نيلسن ان هؤلاء الموظفين قد نجحوا اخيرا في تجميع قطع التماثيل التي تحطمت خلال الحرب . كما اجريت اكتشافات عدة ، منها جزء حجري ضخم من تمثال تزوس كان يرتفع قديما على احد تلال المدينة .

ويؤكد نيلسن ـ في تواضع وتحفظ ـ وجود قطع اثرية اخرى لها قيمة فنية كبرى ما تزال بين البقايا المحفوظة في متحف برقة .

وفي غمرة هذه البقايا عاش نيلسون نهاره وليله ، وظل طوال بعثته ينقب عن احجار الحضارة القديمة بين مدينة ومدينة ، دون ان يدركه ارهاق او ملل ، اما نيلسن نفسه فيذكر ايام بعثته في لذة عميقة ، وها هوذا يقول « ان تاريخ النحت ليس مجرد وظيفة لي ، ولكنه ايضا مسرتي ان لم يكن سر وجودي » .

دانيال بهرمان

اللغة والبشر

●

كان يقول الامبراطور شارل كان ـ وقد اشتهر بتعمقه في علوم اللغة ـ « ان المرء يجب ان يتحدث الى حبيبته بالايطالية ، والى الفتيات بالبرتغالية ، والى اصدقائه بالفرنسية ، والى القطيع بالالمانية ، والى الاوز بالانجليزية ، والى الحمام بالسويدية ، والى الحصان بالهنغارية ، والى الشيطان بالتشيكية ... »

وكان يريد الامبراطور بهذا ان يقول ان لكل لغة شأن كل شعب شخصية فريدة اصيلة وخصائص ذاتية يستحيل تقليدها . واذا سألنا سكان بلد عما يجعل منهم شعبا اجابوا بلا شك « ارضنا » التي نعيش معا فوقها ثم « اللغة » التي نتحدثها جميعا . فاللغة تمثل التراث بعينه ، وهي للشعب التي يتحدث بها شأن الوديان والانهار والريف في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اراضيه ، بل شان الهواء الذي يتنفسه .

على اننا نلمس في اللغات المختلفة نفوذا متبادلا بين شعب واخر ، فنعرف مثلا ان الغزو النورماندي ادخل الى انجلترا العمارة وفن الطبخ والعلوم الحربية الفرنسية ، ومن هنا لا نعجب اذا راينا في اللغتين الانجليزية والفرنسية نفس منطوق الكلمات الدالة على لحوم البقر والغنم والجاموس .

واما الامبراطورية العربية وقد نهضت بتعاليم اليونان القديمة ، فقد ادخلت الى اسيا واوروبا الوسطى المفاهيم الرياضية والعلمية التي جاءت منها مثلا كلمات « جبر » و «كحول» وكذلك لاعداد العربيةالتياصبحت اليوم تراثا عالميا . ونرى بالمثل امريكا وقد ادخلت على جميع اللغات كلمة « تمباك » كما ادخلت الصين كلمة « شاي » ، والجزيرة العربية كلمة « قهوة » ، وهناك امثلة شبيهة لا حصر لها .

وهنالك كلمات اخرى كاسماء المدن والجبال تشير الى احداث كبرى في التاريخ العالمي . فالاسكندرية ما تزال تحمل اسم مؤسسها اليوناني ، والفسطاط ـ ومعناها « خيام » ـ وتقع في ضواحي القاهرة تذكرنا بالمكان الاول الذي نصب فيه الفاتحون المسلمون خيامهم . وفي اطراف الفرافرة في مواجهة الصحراء على بعد من وادي النيل عثرت قبل الحرب على قرية صغيرة تسمى « قصر » وتعني معسكر ، شيدها الرومان منذ الفي سنة تقريبا .

ولبعض الكلمات اصول طريفة ، ففي القرن الثامن عشر مثلا كان اللورد ساندويتش شغوفا بالمقامرة ولا يكاد يغادر قاعاتها في لندن ، وبلغ شغفه باللعب الى حد جعله لا يجد وقتا للطعام ، فكان يطلب شريحة من اللحم بين قطعتين من الخبز ، ومن هنا جاءت كلمة « ساندويتش » التي يستخدمها العالم كله .

وهناك تسميات شعبية تكشف لنا عن علاقات اللغات عبرالتاريخ بل تكشف عن ظاهرة ابعد من ذلك واعمق هي ان للغات اصلا مشتركا . فمعظم اللغات الاوروبية التي تستخدمها بلاد تتفاوت في البعد عن بعضها البعض قد خرجت من اصل لغوي واحد ، ونعني به اللغة الهندية والاوروبية . فكلمة اب بالفرنسية Père والالمانية Vater وبالانجليزية Father وباللاتينية Pater وبالفوطية Fadar وبالسنسكريتية Pitr مما يكشف لنا عن اصل واحد اشتقت منه هذه التسميات جميعا . وهناك امثلة شبيهة تعبر عن نفس هذه الظاهرة الانسانية ، نجدها في البحوث اللغوية الافريقية والسامية . وهكذا نقول ان اللغة وان كانت ظاهرة قومية بحتة ، الا انها ايضا تقوم شاهدا حيا على الاصول الانسانية المشتركة بين الشعوب .

برتا جاستر

ماريان اندرسون اشهر مطربات العصر

●

لا مراء في ان ماريان اندرسون هي من اشهر مطربات هذا العصر . الا ان معظم الناس يجهلون الشيء الكثير عن حياتها الخاصة والاعمال التي قامت بها ضمن مهنتها. وقد رفعت مؤخرا الستار عما خفي من امور حياتها في كتاب مشوق نشرته اخيرا مطابع فبكنغ في نيويورك بعنوان : « لله ما اجمله من صباح » .

ليس بغريب قط ان تختار مطربة زنجية لها من قرار الصوت ما لماريان اندرسون عنوانا لكتابها ، آية من آيات الكتاب المقدس ، اذا ما عرفنا ان جميع الحفلات الموسيقية التي احيتها كانت تضم بعض المقاطيع الروحية الى جنب بعض من الاغاني الكلاسيكية الفرنسية والالمانية والايطالية والانكليزية . كذلك ليس بغريب ايضا ان يبدو كتابها هذا متواضع اللهجة بينما يفيض بقصص وحكايات الطفولة والصبا وهي في بيت والدها .. وبالرغم مما اسبغوا عليها من المديح والثناء وما نالته من الاكرام ، فقد ظلت ماريان اندرسون فتاة معتصمة بحبل الحشمة والتواضع يفيض قلبها بالعواطف الدافئة .

عندما رأت ان الوقت قد حان لتكتب سيرة حياتها آثرت ان تستفيض في تبيان الامور والاشياء التي لها من النفس حب ومنزلة . فبدلا من ان تحشو كتابها بالاماديح والمطارحات يفدقها عليها المعجبون بفنها وبصوتها العذب الساحر اخذت تسرد لنا حوادث وعبارات تفيض بعاطفة الشكر والامتنان والاعجاب نحو امها وابيها وزوجها وكل من آزرها وشجعها في مهنتها وكان رفيقا حيالها . ان كثيرين ممن شهدوا حفلاتها الغنائية العديدة التي اقامتها لا بد وانهم فتنوا بعينيها السوداوين النجلاوين اللتين تشعان لطفا وصفاء وهذه الصفات بعينها نراها تبدو في كل صفحة من صفحات كتابها الجديد .

وجدت ذات يوم انها تصلح للغناء . ولكن بين هذا الاستعداد واستصلاح مقدرتها الفنية لندر عليها كسبا حلالا مرحلة شاقة من الجهاد المرير كان عليها ان تقطعها صابرة جاهدة . فهي تقص علينا المراحل التي مرت بها وتعدد الاجواق الغنائية التي اشتركت بها في فيلادلفيا حيث رأت النور . لقد كان لصوتها من المرونة بحيث كانت تغني على السواء في الفرق والاجواق الحديثة والقديمة ، وكثيرا ما كانت تدعى لتحل محل مطربات يتخلفن في اللحظة الاخيرة عن العمل لطارىء ما . وكانت بعض المجتمعات تدعوها للغناء فتكافئها بدولارين او ما اليهما . ولما كانت في المدرسة الثانوية اخذت تتقاضى ٥ دولارات عن اشتراكها بكل حفلة موسيقية وقد قال احد الموسيقيين المعروفين يوما لامها في فيلادلفيا : « سجلي علي ما اقول ، ان هذه الصبية ستربح في المستقبل اكثر من ٥٠ دولار في الليلة الواحدة» فرمته البنت وامها بالغلو . ولكن ماريا اندرسون تكسب اليوم بضعة الاف من الدولارات لقاء حفلة غنائية واحدة .

والطريق التي انتهت بها من ٥ دولارات في الحفلة الواحدة الى عشرة الاف دولار لم تكن قط وردا وريحانا بل كانت طريقا شاقة . فقد استطاعت بفضل مساعدة مالية قدرها ٦٠٠ دولار قدمها لها بعض الاعضاء في احدى الكنائس ان تتلقى دروسا غالية الثمن من احد كبار الاساتذة بالموسيقى . وبمساعدة استاذها والربح الضئيل الذي كان يعود عليها اشتراكها في الحفلات الغنائية قررت ماريان ان تجرب حظها لاول مرة على مسرح تون هول في نيويورك ، وهو من هذه المسارح التي كان النقاد الصحفيون يحرصون على غشيانها ليزودوا جرائدهم بنقداتهم . ولم تكن تعليقاتهم على الغالب تكيل لها المدح والاطراء.

كان لوقف النقد الفني منها ان ثبط منها العزم ففكرت يوما بالانصراف عن الغناء . وقد كانت تشعر على ممر الشهور ان الغناء والموسيقى حلا من قلبها عميقا لترغب عنهما ، وبفضل ما كانت تصادف لدى والدتها من التشجيع راحت تتمرن على الغناء من جديد. ولم يمض عليها القليل حتى اختيرت من بين ٦٠٠ مطربة اشتركن في مباراة موسيقية ووقع عليها الاختيار لتغني في ناد لويستسن في نيويورك مع جوقة نيويورك الفنية . ثم جاءت انكلترا للدرس والتحصيل ، ونالت من مبرة جوليوس روزنوالد منحة مكنتها من الذهاب الى المانيا للتخصص فيها بالغناء على يد كبار الموسيقيين الالمان . ومنذ ذلك الحين انفتحت امامها ابواب دنيا الفن على مصراعيها .

فاذا ما نظرنا الى الوراء من خلال السنوات الثمان والاربعين التي قطعتها ماريان اندرسن في مهنة الغناء كان من الصعب علينا ان نميز اطيب ما نالته هذه المغنية من فنون التمجيد والتكريم والثناء . أهو مثلا الوسام الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلدها اياه ملك السويد ، او وسام ادورد بك الذي اهدته لها مدينة فيلادلفيا وهي المدينة التي رأت فيها النور ، ولهذا الوسام في نفسها وقع ومنزلة عظيمان لما له من دلالة ومعنى . فقد رافق الوسام هبة بمبلغ ١٠ الاف دولار رأت ماريان ان تثقفها على مساعدة مفنيات ناشئات يتوسم لهن مستقبل بسام . او لا يكون يا ترى الشرف المؤثل في دعوة تأتيها عام ١٩٥٤ من جوقة متروبوليتن اوبرا لتنضم الى عضويتها مع انه لم يسبق لها ان عملت في مثل هذه الاجواق . وقد بلغت ذروة النجاح في محاولتها الاولى ، ام ان شهادة ارتورو توسكانيني لها : « ان صوتا كصوتك قد لا نظفر بمثله في مائة سنة » .

ولعل اروع هذه الامجاد كلها ، تلك الهزة العاطفية التي شعرت بها يوم عيد الفصح في سنة ١٩٣٩ ، اذ تلقت ماريان اندرسون دعوة من الحكومة الاميركية لتغني امام الشعب في وشنطن على الدرجات المؤدية الى نصب لنكولن التذكاري وفي انتقاء هذا المكان بالذات روعة وعظمة : ألم يكن لنكولن الرئيس الذي حارب في سبيل الدفاع عن العبيد الارقاء وتحريرهم كان ذلك اليوم يوما مشهودا في العاصمة الاميركية ، وحضر الحفلة بالرغم من البرد القارص ٧٥ الف مستمع ومتفرج بينهم اعضاء المحكمة العليا ورجال الحكومة الاميركية .

وانهت ماريان اندرسون كتابها بفصل خاص عالجت فيه المشكلة التي يواجهها احيانا الزنوج مع البيض واعربت عن عظيم املها بمستقبل الزنوج الاميركيين ومستقبل اميركا كمجموعة واحدة . ولعله من حقها ان تعتز وتفاخر بالمساهمة التي قدمتها في سبيل تقدمهما معا.

سينما متنقلة للارياف

تواجه معظم بلاد العالم مشاكل معقدة مختلفة بسبب تطور النشاط الثقافي ، اذ تحرص هذه البلاد على ان تفيد كل انحائها وجميع سكانها من مزايا الحياة الثقافية وتطورها المضطرد . والنرويج من هذه البلاد التي تشعر ربما اكثر من غيرها بحدة مشاكلها الثقافية ، فهي بلد واسع غني بجبال وغابات تضم بين ثناياها جماعات كبيرة منعزلة فيما بينها ، وتفصلها عن المدن الكبرى آماد بعيدة . وتسعى النرويج منذ الحرب لتزويد سكانها النائين بحقهم في الثقافة القومية ، وانماء ذوقهم الفني والادبي، وايقاظ اهتمامهم بالحياة العامة . وادركت هذا النجاح يرجع الفضل الاول للسينما المتنقلة

وكانت السينما المتنقلة في ارياف النرويج تتسم قبل الحرب بطابع تجاري فلم تكن تعرض الافلام الا في مناطق يمكن فيها تحصيل ايرادات وافرة . ومنذ انشئت (شركة السينما المتنقلة) كانت رسالتها الاساسية عرض احسن الافلام في جميع الانحاء الريفية النائية حتى اقصاها ، مما بعث بين الاف الناس حركة ثقافية حية بعد ان كادت صلتهم تنقطع عن العالم الخارجي نفسه .

وقد انشئت هذه الشركة السينمائية في عام ١٩٥٠ على اسس بسيطة باشتراك الحكومة – فهي المساهم الاساسي في المشروع – وجمعيتين سينمائيتين دوليتين وتسع جمعيات قومية كمنظمات الشباب وجمعيات الامومة والجمعيات التعاونية وغيرها . ومنذ انشاء هذه الشركة والجمعية العمومية النرويجية تدرج لها في ميزانية الدولة اعتمادات كبيرة تسمح لها بالنمو حتى تشمل نشاطها جميع انحاء البلاد . وهكذا اصبح اليوم للشركة اربعون سينما تتنقل بالسيارات ، وست تتنقل بالمراكب البخارية .

ويؤخذ من احصاءات الشركة انها تقدم حوالي ٢٠ الف عرض في ٨٤٠ منطقة ، اعني حوالي ٨٠ عرضا في اليوم في جميع انحاء البلاد ، فضلا عما تعرضه من افلام خاصة في المستشفيات ودور النقاهة .

النرويج في هذ االمجال نجاحا كبيرا . وفي

وتعمل السينما المتنقلة بسياراتها ومراكبها على التوالي ودون توقف ، فتزور كل قرية مرة او مرتين كل شهر وتقدم عرضين كل يوم في اوقات تتفق وظروف كل قرية . ويختلف مكان العرض ايضا فهو احيانا في دار جمعية رياضية او ندوة للشباب ، وهو احيانا اخرى في مدرسة او مصنع او « جراج للسيارات »» ويسبق كل عرض دعاية يقوم بها مندوب الشركة في القرية وهو الذي يتولى ايضا الاجراءات الادارية اللازمة .

واما المهام الاخرى فتقع على عاتق سائق العربة السينمائية ، فهو الى جانب مهمته الاساسية يتولى بيع التذاكر وعرض الافلام، ولذلك يجب ان يكون على علم دقيق بسيارته من ناحية وبآلة العرض من ناحية اخرى ،فعليه وحده تقع مهام التصرف عند الاقتضاء. وكثيرا ما تكون مهمته شاقة ، وعلى الاخص في الاحوال الجغرافية القاسية ، ولكنه في جميع الحالات يجب ان يتصرف بحيث يعرض افلامه في المكان والموعد المحددين ، فلا يقرر الغاء العرض الا في الظروف المستحيلة .

واما المراكب السينمائية فتسير بمحرك وتحمل شخصين او ثلاثة وتزور المناطق والجزر البعيدة التي حرمت جميع سبل المواصلات الاخرى .

وفي عام ١٩٥٥ عقدت صلة تعاون جديد بين شركة السينما المتنقلة وتفتيش المكتبات في النرويج ، واصبحت السينما المتنقلة منذ ذلك التاريخ تنقل صناديق كتب المكتبة الرئيسية في ترونديهيم لتزود بها القراء في القرى النائية . ووضع نظام يكفل الاعارة ورد الكتب المعارة في كل زيارة للعربة السينمائية .وهكذا استطاعت الشركة ان تضاعف من اثرها الثقافي وان تحمل عناصر الادراك والذوق والتقدم الى جميع السكان في انحاء النرويج النائية .

وتقدم السينما المتنقلة افلاما عدة تتفق واذواق الجماهير المختلفة ، ولكنها تتميز جميعها بجودة النوع قبل كل شيء . ولا تقتصر البرامج في الافلام النرويجية ، بل تختار الشركة ايضا افلاما اجنبية مختلفة مع مراعاة حداثتها وطابعها الفني العام .

وافين سمنجسن

مدير شركة السينما المتنقلة بالنرويج

الثقافة الوطنية

للمساهمة في خلق ادب عربي جديد

صدر عدد ١٥ نيسان

اشترك فيه : امجد الطرابلسي وابن خلدون وشوقي بغدادي وعبد الوهاب البياتي واحمدسليمان الاحمد ورضوان الشهال وعبد المطلب الامين ونسيب الاختيار وعادل ابو شنب وصلاح دهني وصميم الشريف وغيرهم

الحركة الفكرية والادبية والفنية والعلمية في البلاد العربية والعالم

دراستان قيمتان عن الفكرة العربية في شعرنا الحديث

اطلبه من جميع المكتبات – ١٠٠ ق.ل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

٢٥ مارس ١٩٥٧ ـ انتهت المحادثات التي جرت في بغداد بين البعثة السودانية برئاسة رئيس الوزراء السيد عبدالله خليل وبين الجانب العراقي برئاسة رئيس الوزراء السيد نوري السعيد وصدر بلاغ مشترك عن عزم البلدين على توطيد اواصر المودة والتعاون

٢٦ ـ صدر بلاغ سعودي لبناني مشترك على اثر انتهاء زيارة الرئيس كميل شمعون للسعودية وهو ينص على تأييد الشعب الجزائري في نضاله ومناصرة السعودية لاستعادة البريمي والوقوف مع مصر في قضية السويس والتعاون على مكافحة الشيوعية في البلدين وتنمية العلاقات بينهما .

ـ تحدث المستر داليس ناظر الخارجية الامريكية عن نتيجة مؤتمر برمودا فاعلن انه لم ينم أي اتفاق بين بريطانيا وامريكا بشان مشاكل الشرق الاوسط .

ـ بعث الماريشال بولفانين بمذكرة الى النروج يحذرها من مغبة الانضمام الى حلف شمال الاطلسي والسماح لامريكا بانشاء القواعد

٢٧ ـ صدر بلاغ ايراني امريكي مشترك عن محادثات المستر ريتشاردس مبعوث الرئيس ايزنهاور وافقت فيه الولايات المتحدة على زيادة المخصصات المالية لايران لمساعدتها

٢٨ ـ اطلقت بريطانيا سراح المطران مكاريوس المعتقل في جزيرة سيشل شرط ان لايعود الى قبرص حاليا .

٢٩ ـ صدر بلاغ اردني سوداني مشترك على اثر زيارة الوفد السوداني برئاسة رئيس الحكومة السودانية للاردن وفيه اتباع سياسة موحدة حرة مع قبول مبدأ المساعدات الاقتصادية الغير مشروطة .

ـ تم الاتفاق بين وزارة المستعمرات البريطانية ووفد سنغفورة الدستوري على اسس الحكم الذاتي للجزيرة

٣٠ ـ بعث كرادلة فرنسا واساقفتها بمذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة الفرنسية يؤنبونها فيها على الفظائع التي ارتكبت في الجزائر ويطالبونها باحترام كرامة الانسان

ـ وقعت تونس ومراكش معاهدة صداقة وتعاون بينهما

ـ صدر بلاغ باكستاني امريكي عن محادثات المستر ريتشاردس مبعوث الرئيس ايزنهاور مع حكومة الباكستان ونجاحها .

اول ابريل ١٩٥٧ ـ اتهمت وزارة الخارجية السوفياتية الرئيس ايزنهاور والمستر ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا باتهما تآمرا اثناء محادثات برمودا على شن حرب ذرية ضد الاتحاد السوفياتي .

ـ صرح المستر ماكميلان في مجلس العموم انه لم يرتبط باية ارتباطات سرية في مؤتمر برمودا

٢ ـ وقع اتفاق بين مراكش والولايات المتحدة تنال بموجبه مراكش مساعدة اقتصادية تبلغ ٢٠ مليون دولار

ـ استقال السيد حسين علاء رئيس وزراء ايران على اثر مقتل ثلاثة من الامريكيين من النقطة الرابعة على يد اشقياء ايرانيين .

٣ ـ اعلن وزير مالية اسرائيل بان فرنسا منحت اسرائيل قرضا بثلاثين مليون دولار

ـ عين شاه ايران الدكتور منوشهر اقبال رئيسا للوزارة الايرانية

ـ قررت الوزارة الاردنية الاعتراف بالاتحاد السوفياتي وتبادل التمثيل الدبلوماسي معه

٤ ـ انتحر سفير كندا في مصر المستر هيربرت نورمان نتيجة حملة تشهير شنها عليه بعض رجال الكونجرس الامريكي واتهامه بانه عميل للشيوعيين .

ـ على اثر محادثات الحكومة الافغانية مع المستر ريتشاردس اذاع السيد محمد داود خان رئيس وزراء افغانستان بيانا رحب فيه بمشروع الرئيس ايزنهاور .

٥ ـ قررت الحكومة الفرنسية تشكيل لجنة دائمة لحماية حقوق الافراد وحرياتهم في الجزائر وذلك ترضية للرأي العام الفرنسي

ـ حذر الاتحاد السوفياتي هولندا من السماح باقامة قواعد عسكرية امريكية فيها .

٦ ـ القى السيد سليمان النابلسي رئيس الوزارة الاردنية خطابا خطيرا جاء فيه ان الحكومة والشعب في مجموعه ليس شيوعيا انه عربي ولن نسمح لغير القومية العربية المتحررة بان تعيش على ارضنا . وقال نحن لسنا مع الشرق الا اذا كان معنا ولسنا مع الغرب لانه لا يمكن ان يكون معنا فهو يريد استعمارنا واستغلالنا .

٧ ـ صرح الدكتور رالف بانش وكيل الامين العام للامم المتحدة لدى عودته من مصر بان الحكومة المصرية ابدت تعاونا تاما في القاهرة وقال ان الموقف في الشرق ما زال خطيرا .

٨ ـ وصلت الى باريس اليزابيت ملكة انجلترا يرافقها قرينها الامير فيليب في زيارة رسمية لفرنسا

ـ اعلنت امريكا عقد اتفاق مع المملكة العربية السعودية يقضي بالسماح للقوات المسلحة الامريكية باستخدام قاعدة الظهران الجوية مدة خمس سنوات اخرى .

٩ ـ صدر بلاغ عراقي امريكي مشترك عن محادثات المستر ريتشاردس وفيه اتفاق البلدين والتعاون بينهما وذكر المساعدات العسكرية والاقتصادية التي ستنالها العراق .

١٠ ـ صرح الرئيس ايزنهاور بان الولايات المتحدة ما تزال تأمل في الوصول الى اتفاق مرض بشأن قناة السويس مع مصر .

ـ قدم السيد سليمان النابلسي رئيس الوزارة الاردنية استقالة حكومته الى الملك حسين بناء على رغبة جلالته .

١١ ـ حذر الاتحاد السوفياتي بعض دول الشرق الاوسط من النتائج البالغة الخطورة التي ستجرها عليها اقامة قواعد عسكرية امريكية على اراضيها .

ـ صدر بلاغ سعودي مشترك عن محادثات المستر ريتشاردس وفيه تأكيد السياسة التي وردت في البيان المشترك الذي اصدره في وشنطن الملك سعود والرئيس ايزنهاور

١٢ ـ ابلغت الولايات المتحدة حلف شمال الاطلسي انها ستزود قوات الحلف قبل نهاية شهر يونيو بثلاثة انواع من القذائف الصاروخية المسيرة .

ـ وقعت في طهران اتفاقية اعادة تخطيط الحدود المشتركة بين ايران والاتحاد السوفياتي

١٣ ـ تأزمت الحالة في الاردن والاخبار متضاربة وانقطعت الاذاعة عن البث وتوقفت المواصلات الجوية ولا يعرف حقيقة ما يحدث

١٥ ـ سيطر الملك حسين على الحالة في الاردن والف الدكتور حسين فخري الخالدي الوزارة وهي تضم سليمان النابلسي الرئيس المستقيل وتولى اللواء علي الحياري رئاسة الاركان

ـ انتهت زيارة المستر ريتشاردس لليمن

ـ وصل الى بيكين الماريشال فورشيلوف في زيارة رسمية للصين

١٧ ـ وقعت معركة بين القوات الحكومية وجماعات من منظمة دار الاسلام في اندونيسيا قتل خلالها ٥٠٠ من الجانبين .

ـ وافقت ايثوبيا على مشروع ايزنهاور بعد مباحثات قام بها الامبراطور هيلاسلاسي والمستر ريتشاردس .

مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلسفة التربية

بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج

الباب الرابع : في اليافع

أصبح وليدنا يافعا ، يتراوح بين السادسة او السابعة والثانية عشرة على وجه التقريب وهو العمر الذي يدخله الى صلب الحياة المدرسية. أي الى المرحلة الاولى التي اطلق عليها اسم التعليم الابتدائي. لا قطيعة مبرمة بين هذه المرحلة والطفولة المبكرة . هناك صلة وثيقة فيما بينهما . لذا يحافظ البعض على تسميتها بالطفولة المتأخرة . ولكن ذلك لا يعني اننا في المناخ ذاته ، لان القضية هي قضية نمو يتكامل . في هذه المرحلة تغييرات مقطوعة من جهة الحسيات ، والانفعاليات ، والعقليات ، والاجتماعيات .

في الحسيات نشاهد تقدما ملحوظا . لقد صار يافعنا يميز تمييزا واضحا الموضوعات الخارجية . مجاله البصري اصبح يمتد في البعيد . انه قادر على مشاهدة ما يتجاوز القريب . الحركات الصغيرة لا تتفلت من شبكة عينه . والحركات الكبيرة لم تعد خافية على ادراكه . ومن هنا استحصاله على مزاولة الاشياء المنظورة ، اكانت مقروءة أم معمولة ، عبر مدة من الزمن اطول . لقد غدا قادرا على الامعان في تلك الاشياء ... على تفحصها مليا ... على ابداء الراي فيها ... على تلمس جوانبها كلها .

ظاهرا ، نعتقد ان البصر يعمل وحده. باطنا ، الحواس كلها تتلاقى في الداخل . وهي تعود جميعا الى واقع فرد ، هو اللطيفة البشرية ، التي تنمو في انسجام بعضها الى بعض . هناك اذن مشاركة ، او تفاعل ، فيما بين الحواس. معناه ان السمع يرافق حاسة البصر . هنا ايضا نرى تقدما ملموسا . لقد رهفت الاذن . لقد رق جهازها ، واحكمت آلاتها ، ودقت مخارجها ومداخلها . نمت في كل الجهات، حتى صارت تلتقط الانغام الموسيقية من بسيطها الى معقدها . ولا يخفى ان تلك الحاسة تتطلب تخريجات كثيرة، وتخريمات ، ليتمكن الانسان من ان يزاولها بالتمام . هي ابعد غورا في الباطن من حاسة البصر ، لانها بنت الزمان لا بنت المكان . وهذا دليل الى ان يافعنا قد خطا في النمو خطوات واسعة ، فصار قادرا على ان يدرك النمنمات الموسيقية بصورة اشمل وانفذ .

يبقى اللمس والحركة العضلية . يجب القول هنا بان هذه الحركة تبرع ، الى حد بعيد ، في تحسس الفروق الدقيقة . وهي عامل ضخم في اتقان المهارات اليدوية ، التي تساعد كثيرا على اكتساب المعرفة . ان اليافع يميل كثيرا الى الاحتكاك بالموضوعات الخارجية ... الى ممارسة الاشياء بيديه ... الى النظر ، والسمع ، والتذوق . لذا نرى التربية الحديثة تشدد على التجربة ، والاختبار ... على لمس الاشياء ، والتحسس بها ، وتحريكها ، ومزاولتها بالحواس كلها . اكتساب المعرفة ، في تلك المرحلة ، يبدأ من الشيء ذاته . المعرفة ليست عملية تجريدية فقط . لذا نرى دروس الاشياء بابا هاما في تربية اليافع. وكل امر لا يدرك عن طريق الممارسة يفضي به الى نتيجة سلبية . ان اكتساب المعرفة يجب ان يحدث بواسطة الحواس ... بواسطة الاعمال . الاستيعاب الغيبي نمط فاشل . وقد سارت عليه التربية القديمة ، فكانت تلقن العلوم غيبا، بدون الالتجاء الى الاختبار . ولذا اعطت ابخس النتائج التربوية.

وعندما نقول الاختبار لا نعني اللمس ، الذي يكون في مرحلة الرياض ، اقوى منه لدى اليافع ... ولدى اليافع اقوى منه لدى الشاب . ان دقة المعرفة اللمسية تتضاءل كثيرا كلما تطور الانسان ، لتترك المجال للحواس الاخرى . هذه الحواس ابعد غورا ، واعقد نسجا . النمو يحصل في اتجاه جاذب الى القلب والراس ... أعني ان الحياة تكون اولا مفلوشة في مجمل الجسم ... تكون عالقة في الاطراف . وليس كاللمس يمثل الطرف الصحيح ، ثم تنسحب الحياة . ترتد نحو الباطن ، فتنقلب عاطفة في القلب ، وعقلا في الدماغ . لا يقصد بهذا الكلام ان الاطراف تفقد الحياة . هي تبقى عاملة في مجموع الحواس البشرية ولكنها تظل على صعيد يكاد يكون بيولوجيا .

ينبغي التنويه ، في هذا المجال ، بالفارق الذي يبين لاول مرة ، من حيث النشاط الحركي ، بين الجنسين البشريين ... أعني الفتاة والفتى . هنا يظهر الخط العريض بينهما . وما يدلنا على بدء ظهوره ، عدا الجنس عينه ، انواع اللعب الذي يميل اليه كل من الجنسين . فنحن نرى كيف تميل الفتاة ، في هذه المرحلة ، الى الالعاب اللينة ، الناعمة ، الطرية ، التي تنسجم مع مزاجها الرخص ... العاب لا تتطلب الا الدقة في الاداء ، والتنظيم في الحركات. أما الفتى فانه بعكس ذلك . هو يميل الى الالعاب التي تستلزم خشونة في العضلات ، مما يتناسب مع مزاجه القاسي. وليس عبثا اطلق على الجنسين اسم اللطيف للاول والخشن للثاني . ويجب ان لا نأخذ هذا القول كدليل ضعف عند المرأة ، وقوة عند الرجل . الخشونة ليست مرادفة للقوة ، واللطف ليس مرادفا للضعف . كل ما هنالك ان المرأة غير الرجل ، والرجل غير المرأة ، في تركيبات الجسم. الامر الذي يقودنا الى التسليم بضرورة التنويع بين تربية الفتى وتربية الفتاة . ذلك لان الفارق في الجسم يسبب فارقا في الحالات النفسية، كما سنأتي على تبيانه فيما بعد.

لننتقل الى العمليات العقلية . كيف يظهر العقل في هذه السن ؟ كيف يعمل ؟ وكيف يتطور ؟ لا شك في ان الاجابة عن هذه الاسئلة لم تعد مستحيلة . لقد كشفت لنا المباحث النفسية النقاب عن الكثير من الاحجيات التربوية.

وذلك بدراسة الطرق التي تتميز بها الملكات البشرية. فكيف يبين لنا العقل في هذه المرحلة التي يعبر بها اليافع ؟ والمقصود بالعقل هنا هي تلك القدرة الفطرية على تجريد الاشياء من شيئيتها ، وتحويلها مفاهيم ذهنية في عالم النفس . وقد اوضحت لنا الاختبارات ان هذا العقل يظل ينمو حتى الثانية عشرة . وبعد هذا تتعثر مشيته في مرحلة المراهقة.

الذاكرة هي الشكل الذي يتخذه العقل في حياة اليافع . نعرف ان اليافع مجموعة ملكات عامرة ما زالت في طور القوة . والقوة زخم صوري بحاجة الى مادة ، ليكتنز ، ويصير بعد ذلك فعلا . القوة وحدها هي كناية عن اناء خاو يجب عليه ان يمتلىء ، ليتمكن بعد هذا من التفريغ . لا تصدير ذكاء قبل ان يكون العقل قد استورد المواد الاولية اللازمة . معنى ذلك ان اليافع لا يستطيع ان يظهر من الذكاء الخلاق (وهو فعل مادي) قبل ان يكون قد اعطى القوة الصورية الغذاء الواجب . هذا التلقيم لا يحصل الا عن طريق الذاكرة .

الذاكرة هي الملكة النفسية ، التي يجب الاعتناء بها . في المرحلة الابتدائية . هي الملكة التي يملأ بها فراغ القوى العقلية . هي عملية تعبئة ... عملية تجهيز ... عملية صب المواد الاولية في الخواء النفسي . ولذا نرى اليافع شديد الميل نحو الحفظ الآلي . هو لا يستطيع بعد ان يدرك الاشياء والامور عن طريق فهم عللها ومعلولاتها . ولكنه يدركها عن طريق السرد ، أي عن طريق حفظها غيبا ... عن طريق الاستذكار . ومن هنا نرى كيف انه يسرع الى حفظ الارقام ، والاشعار ، والحوادث دون ان يعرف الاسباب ويدرك العلاقات القائمة فيما بين القضايا . هو بحاجة الى تمكين ذاته من المواد اللازمة ... من المبادىء ... من الاوليات التي بدونها لا يستطيع ان ينتقل من الذاكرة الى الذكاء . الانسان يحفظ الابجدية ، يادىء بدء ، ومن ثم يعمل ذكاءه في التاليف . حينئذ يعقل عن طريق فهم العلل والمعلولات .

ولكن من الخطأ جدا الاسراف في طريق السرد ... أي الحفظ الآلي ... لان الذاكرة لا تكون وحدها ، بالمعنى التام ، بل يواكبها شيء من الذكاء الذي يميل الى الفهم والادراك . اليافع يريد ان يفهم . من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، ان نفصل قطعا بين الذاكرة والذكاء. من الصعب ان لم يكن من المستحيل ، ان نقول اين تبتدىء الذاكرة ، واين تنتهي . اين يبتدىء الذكاء ، واين ينتهي . الا انه بامكاننا القول ان قوى الذاكرة اشد من قوى الذكاء في المرحلة الابتدائية . ولا عجب فاناء النفس فارغ ، وهو بحاجة الى الامتلاء آليا ، ولا شيء يملأه غير عملية الذاكرة ، التي هي عملية صب .

ومع ذلك فاننا نعود الى التنويه بخطأ الاسراف في الحفظ الآلي . وهذا بسبب التداخل فيما بين الذاكرة والذكاء . لا ذاكرة مطلقة بدون ذكاء . ان ذاكرة كهذه لا يمكن العثور عليها الا عند الحيوانات . ذاكرة اليافع مجبولة بشيء من الذكاء الصاعد. والحق ان الذكاء يساعد الذاكرة. ان فهم الشيء ، وادراكه ، يعين اليافع على حفظه . ولهذا كانت التربية الحديثة تميز بين مرحلتين في التعليم الابتدائي . الاولى تنتهي بسن التاسعة ، وهي تدور على الحفظ الآلي فقط . الثانية تنتهي بالثانية عشرة حيث يغير اليافع طريقته ، اذ يميل الى الحفظ عن طريق الادراك ... اي انه يميل الى التذكرة عن طريق الفهم . ولا شك في ان اليافع ، كلما سار به الزمان نحو الشباب ، ضعفت عنده الذاكرة ليحل محلها الذكاء .

ولكن الاعتناء فقط بالناحية العقلية هو غلط فادح . فقد رأينا سابقا خطورة الميل . رأينا ان ما يميز التربية الحديثة من التربية القديمة اخذها الميل بعين الاعتبار .على قاعدة الميل يبنى العمل التربوي . واذا جاز تحوير الميل في المراحل التالية ، بدفع من الارادة ، فهو غير جائز في حياة اليافع . نحن هنا في مرحلة كلها ميول تفور . هذه الميول لم تعد لاواعية ، كما كانت في سني الحضانة والرياض ، وكما كانت في حياة الوليد . لقد وعت الميول ، عند الانسان ، واصبحت دفقانا جارفا الى الخارج . أصبح يافعنا استحرارا يهدف الى الاشياء البرانية ، والاشخاص المحيطين به . لم يعد مركزا على نفسه ، وحول نفسه ، ولنفسه . يافعنا في سبيل الموضوعات الخارجية ، والاشخاص المنفصلين عنه . وهو نهج معاكس لما عرفناه في الطفولة المبكرة . يافعنا شغوف باستطلاع المواجيد المادية . هو يحب استعمال الالات . هو انسان واقعي . ومن هنا واجب استخدام هذه الغريزة. ان التربية الحديثة تميل الى القول بتزويد المعاهد ، في التعليم الابتدائي ، مختبرات او مصانع لتدريب الطلاب على ما يميلون اليه . ان اعطاء الفرص لليافع ، كي يزاول الالات ، يقدح غرائزه . وهذا يساعد كثيرا على اظهارها بوضوح ، وتوجيهها بصورة صحيحة . غالبا ما تعقد حياة الانسان ، في كبره ، لان ميوله تكبت فلا تعطى فرصة الغذاء . على المعلم اذن ان يفسح المجال ، امام اليافع ، للتعبير عن ميوله بتنشيط جميع الاعمال . هناك اللعب ، والرسم ، والقراءة ، والخطابة والرقص ، والتمثيل ، والمباراة ، والرحلات ، وغيرها من الطرق التي تحرر الطالب من الكبت والاستنقاع .

الحق ان اليافع يميل كثيرا الى تركيب الاشياء . وهذا يتطلب قوة عضلية مصقولة بعض الصقل . فهو يستعمل القدوم ، والمنشار ، والمبراة ، والمخرز ، والمسامير ، وغيرها من الآلات الصغيرة . والبنات يستعملن الابرة ، والخيط ، والكشتبان ، والمكواة ، وغيرها من الالات الصغيرة. هو يميل الى عمل الصناعة . يميل الى التركيب والتفكيك . يميل الى الخلق . يحس بانه فاعل صانع . ولذا نراه مولعا بكل ما يثير البصر ، ويستنفر اليد ، ويتحرش بالرجل . ومن هنا استمساكه بالرياضة .

ونراه مولعا ، في الوقت نفسه ، بتقليد الراشدين .. مولعا بالالعاب التي تضم عددا كبيرا من اقرانه ... مولعا باقوال الاخرين ، وافعالهم ، وطرق حياتهم ... مولعا بالسير في خطاهم . لقد انفتح يافعنا للعالم ، أعني للطبيعة والبيئة . ها هي صهاريجه تدفق بغزارة ... في اللعب ، والاكل ، والنوم . انه يعب عبا من الحياة . انه يغرف بكلتي يديه من ينابيع الوجود . فعلينا ان نحترم هذا السيلان العارم . ويجب القول هنا بان اليافع لم يعد كالوليد غامض الميول . في تلك المرحلة تبدأ الميول بالتخصص ، لتصبح اكثر وضوحا . لقد صارت موضوعية ، تسترعي انتباه

الكبار . وهو الامر الذي يساعد المربين كثيرا على ادراكها ، وتسديد خطوات اليافع نحوها . على المعلم ان يعطي اليافع الفرص المتكافئة كي يزاول ميله . ولا شك في ان الكثير من الميول ، التي تظهر في المرحلة الابتدائية ، والتي يفسح لها مجال النمو في مناخ ملائم ، هذه الميول تكبر وتعطي الثمر الطيب في المراحل التالية . اما اذا كبتت ، وحرمت المناخ الصافي لها ، والتعبير عن ذاتها بقوة وصدق ، فانها تخبو وتموت وتخلق العديد من المركبات النقصية التي قد تسبب مشاكل سلوكية عويصة .

يبقى ان نقول كلمة في الناحية الاجتماعية . وهي الناحية التي تظهر الانسان مرتبطا بغيره من الناس . لقد اصبح اليافع يشعر بملكيته وبملكية سواه . اصبح يعي ان له حقا وان عليه واجبا وهذا كاف ليجعله يدرك انه ليس بالوحيد في العالم . هو عائش بين ظهراني ادميين يحيطون به ... اي في علاقات تربطه بسواه من البشر . ولا شك في ان اليافع يميل الى معاشرة اليافع . ولكنه يتتبع بفهم ما يجري مع الكبار ، لانه يرغب في التشبه بهم . هو يريد ان يصبح كبيرا . هو يعد نفسه بالرشد او الرجولة . وما لنا الا ان نستمع الى احاديث بعضهم ، فيما بينهم ـ سيما خلل القسم الثاني من المرحلة الابتدائية ـ ليبين لنا الى اي حد هم شغوفون بالتحدث عن غيرهم ... عن ابطال سياسيين ، مثلا ، او ابطال رياضيين ، او حربجيين .

ومن ابرز ما نشهد في هذه السن ، ميل اليافع للادلاء باراء خاصة . اجل انه على استعداد لتقبل الاراء ممن يحيطون به ... خصوصا اذا كانوا اقرباء له ، كوالده ، او اخوته ... غير انه كثير الجنوح ايضا الى المناقشة كشخص كبير يثق بنفسه . فاذا سألت اليافع عن رايه في القائد الفلاني ، لا يتورع عن اعطائه ، مع تعليقات خاصة تنم عن وجود فردية لديه ، اصبحت ناضجة في سبيل التعبير عن ذاتها . والذي يحدث عند الفتى ، يحدث ايضا عند الفتاة ، اذ نراها تميل بدورها الى التحدث عما يتجاوب مع رغباتها النفسية ، كأمور المنزل وانتقاء اجمل الازياء ، وما الى ذلك من القضايا النسائية . ويجب القول ههنا ، ان الغريزة الجنسية لا تعطي امارات ظهور ... اي ان الفتيان ، في هذه السن ، لا يودون الاختلاط بالفتيان قد يكون في هذا بعض تهيئة للمرحلة التالية التي هي مرحلة مراهقة .

ذلك النزوع الفردي الى المسائل الاجتماعية ، يجب تقديره عند اليافع . ينبغي تنشيطه الى حد بعيد ، لانه اول الدلالات في ظهور شخصيته . من الخطأ ، بل من الجريمة التربوية ، ان نصد هذا النزوع . من الخطأ ، بل من الجريمة ، ان نهمله . على المدرسين والمربين ، والاهلين ، الاستعانة به بغية تفتيح شبابيك نفس اليافع ، والاطلال منها على مروجه . قد يفسر البعض هذه الظاهرة كتطفل ، وهو تفسير حق . الا ان التطفل واجب في سبيل نقل اليافع الى العمل الجدي . ويحسن القول ، ههنا ، ان ذلك التطفل مزعوم . اعني انه تطفل في اعتبارنا نحن الكبار الراشدين ، ولكنه من جهة اليافع ليس تطفلا . مثله مثل اهتمام العالم بمشكلة يريد حلها . مثله مثل كل راغب في المعرفة الكبرى .

كثيرا ما يهمل الاستاذ بعض الاولاد الذين يتحرشون به عن طريق اسئلة مزعجة . وهو اهمال لا تقره التربية الحديثة ، لانه يخرب النفس البشرية من الاساس ، اذ يخلق عند اليافع عقد تصاغر ، قد يصعب عليه جدا التحرر منها فيما بعد . من الاصوب ان يوجه مثل هذا التحرش ، وان يستنفر عند الاولاد الذين حرموه . ليس كالمناقشة طريقة ناجحة لكي يتفتق الذهن عن امكاناته . وقد تنبهت الطبيعية الى فائدة هذا النزوع الفردي ، فاوجدته لدى اليافع ، قاصدة بذلك دفعه الى العب من خضم الحياة عن طريق الاحتكاك بالاخرين . ولعل اكثر الوالدين والوالدات يجهلون هذه الناحية ايضا . ولذا قلما يساعدون على انماء شعور اليافع بفرديته ... على احساسه بملكيته ... على فسح المجال واسعا له كي يعبر عن ارائه ، ومعتقداته ، وخيالاته ، واهوائه ، وان كانت في نظر الراشد بدون قيمة ايجابية . المهم ان يعطى اليافع بعض المسؤوليات ، فكرا وعملا ، لكي يتولى هو ذاته تنظيم شؤونه الخاصة . ولذا كانت رسالة التربية ان تتيح للاولاد الفرص المتكافئة كي يكتسبوا اكبر عدد ممكن من المهارات ، التي يميلون اليها ، ويمارسونها في الحياة الاجتماعية . وذلك اولا في سبيل انماء احترام اليافع لنفسه ، وثقته بها ، الامر الذي يهيئه لمقابلة المراهقة بخطى اكيدة وهدوء ثابت . وذلك ثانيا للقضاء على رجالات يعانون مركبات نقصية ، ويكونون حجر عثرة في سبيل مجتمع كامل متعاف .

الباب الخامس : في الشباب

اصبح يافعنا شابا . لقد ختم التعليم الابتدائي ـ في مرحلتيه الاولى والثانية ـ واطل على سن الشباب ، حيث يقوم الانسان بتجربة المراهقة ، التي يمكن اعتبارها اخطر التجارب بين الطفولة والرجولة . لا عجب ، والحالة هذه ، اذا رأينا بعض العلماء النفسيين يشددون كثيرا على خطورة تلك التجربة . فقد ذهب جلهم الى القول بان الولد ، عندما يراهق ، يولد ولادة ثانية . ان عالما جديدا ينفتح امامه ، اذ يعتريه تغيير في مجمل حواسه ، ومشاعره ، وافكاره ، فلا يعود مطلقا ذلك الذي كان . ولذا وجبت مساعدته ، في هذه التجربة ، لئلا ينحرف عن السوي الحق . ان اهمال تدريب المراهق يدفعه ، غالبا ، الى ان يختط لنفسه دروبا مرضية ، تعطل عليه صفاء اطلاله على جوهر الحياة .

لنقل كلمة في النمو المعرفي ، على ان نعود بعد ذلك الى التربية الجنسية . فقد قلنا ، سابقا ، بان التعليم الابتدائي يدور جله على الذاكرة ، اكثر مما يدور على الذكاء . ذلك لان النفس تكون خالية ، باديء بدء ، الا من القوة . والقوة وحدها لا تكفي ، لتنتقل الى فعل خلاق ؛ بل عليها ان تزود موادا اولية . هذا التزويد لا يكون الا عن طريق املاء فراغ النفس ، اي عن طريق الذاكرة الحافظة . وقد ألمحنا الى خطأ المبالغة بالذاكرة ، لئلا تصبح التربية عملا آليا . ذلك لان الانسان ، في مرحلة التعليم الابتدائي ، لا يكون ذاكرة فقط . ان فيه مقدار ذكاء يحدوه على اظهار فردية بارزة .

اما في مرحلة التعليم الثاني ، فالذكاء هو الذي يطفو

على سطح الوجدان ، ويقول كلمة الفصل . ولكن من الخطأ، هنا ايضا ، ان نبالغ باهمية الذكاء على حساب الذاكرة . اذا كان مقدار الذكاء يتغلب ، لدى الشاب ، على مقدار الذاكرة فهذا لا يعني مطلقا ان الذاكرة لم تعد تلعب دورا هاما . ما زالت القاعدة ، الا انها بطلت ان تكون الزخم الاوحد . لقد زودت النفس المواد الاولية اللازمة . ما هي خاوية كل الخواء . تسلحت . امتلأت رفوفها ، وكنزت شفافتها .

والمقصود بالذكاء فهم الامور ، وادراك الاشياء ، على اساس ان تربط اللاحقات بالسابقات ربطا عليا ... اي ربطا سببيا . جلي ان هذا الاساس يعين كثيرا على الخلق . يساعد على التجريد . القضية هنا ليست قضية ذاكرة تعيد ما حفظته . نحن في مرحلة ينبغي للشاب ضمنها ان يدرك ويفهم على ضوء الاستنباط الشخصي لمعالم الحقيقة . ولذا كان من واجب المربين ان لا يرهقوا طلابهم بالحفظ غيبا . لقد اجتاز شابنا هذه المرحلة ، واصبح من حقه ان يقتنع قبل ان يسلم بالامور . وهي الخطوة الاولى نحو الشخصية الانسانية . اجل من الخطأ ان نطرح على الشاب، في المرحلة الثانوية ، اسئلة لا تتحرش الا بالذاكرة. الذاكرة لا تنمي الشخصية التي تقوم على الوضوح، والجرأة، وسرعة الخاطر ، والنظر بصواب للاشياء . لا جرأة في الذاكرة ، ولا وضوح ، ولا سرعة خاطر . هي معلومات يحفظها الانسان ، ويعيدها كما حفظها ، دون ابداء الراي ، اما الذكاء فهو امتشاق عنيف من قرارة النفس . هي النفس ذاتها حيال مشكلة . تنظر الى العقدة ، وتتجمع بعضها على بعض من اطرافها البعيدة ، وتتهيأ للقدح ثم تشرقط . فاذا بالنور ينبلج منها ، ويحيط بالظلام . ان جميع القضايا التي يدركها العقل في بدء من الذكاء ، لا يجتاحها النسيان ، لانها تصبح من صميم الفؤاد . اكثر من ذلك ... انها الفؤاد عينه ، وقد غمرها بفيضه .

وهنا لا بد من سؤال . اليس من حد لنمو الذكاء ؟ متى يصل الذكاء الى حده الاقصى ؟ لا شك في ان الذكاء لا ينمو باطراد الى ما شاء الله . فهو يظل ناميا الى السادسة عشرة عند العاديين من الناس ، والرابعة عشرة عند الاغبياء، والثانية عشرة عند النابهين . هذا النمو يتعقد بعض الشيء في المراهقة ، نظرا للانفعالات التي تطرأ على مجموع كيان الانسان ، في جسمه ونفسه . ومتى اجتاز شابنا المراهقة، عاد خطر النمو الى حالته الطبيعية الصاعدة ، وانتهى حوالي السادسة عشرة او الثانية عشرة . ومن ثم يتساوى جميع الناس في القدرة الذكائية ، ولا يتفاوتون الا في قوة السبق . ولهذا نرى الكثيرين من الطلاب يفوقون اساتذتهم فيما بعد . اجل هناك حد لنمو الذكاء ، لا يمكن للانسان دونه الا ان يخضع لمنطق العمر . ولكن متى تجووز هذا الحد لم يعد للسن من عبرة . كم من صغير فاق الكبير ذكاء .

واذا كنا نريد ان نتثبت من حقيقة هذا العامل ، فما لنا الا ان نقابل بين تلميذ ابتدائي وتلميذ ثانوي . الاول ذو قدرة كبيرة على التذكر ، ولكن بصورة آلية . فهو يسرد بدقة الامور والاشياء دون ادراك صحيح لعناصر الموضوع الذي يتذكر . نظرة الى الاولاد ، وهم يسردون تفاصيل رحلة من الرحلات ، التي يقومون بها . فانهم يخبرون ادق الحوادث بشغف كبير ، ولا يتركون شاردة واحدة تفوتهم ، الا انهم لا يفهمون فهما تاما ما يسردون . ليس بامكانهم ان يستخلصون الامثولات والمغازي . هم يتذكرون عن طريق السرد فقط . اما الثاني ـ اي تلميذ المرحلة الثانوية ـ فالذاكرة عنده لا تبنى على اساس الاخبار الآلي . عملية التذكر لديه ، تقوم على الفهم التام . لقد اصبح قادرا على ان يستأصل الروابط الجديدة الكائنة بين الموضوعات المتذكرة . ومعلوم ان الروابط لا تكون بين الاشياء والامور بصورة واقعية . هي نظرة مثالية من الانسان . هي استنتاج ذهني ، الامر الذي يتطلب ادراكا قويا ، وملكة تجريد واعية . هذا الزخم غير موجود عند تلميذ التعليم الابتدائي ، لانه ما زال اناء فارغا ، بحاجة الى ان يتزود موادا اولية . ومن هنا كون التلميذ الثانوي اشد ميلا الى الفهم الشخصي . هو ينفر من السرد الآلي . لقد برزت معالم شخصيته ، واصبح قادرا على ابداء الراي . واذا كان لا بد من التذكر ، فهو يعمل بموجب تذكر منطقي ، لا تذكر آلي .

يجب القول هنا بان الذاكرة لا تضعف ، عند الشاب ، ولا تخور . ان كلامنا السابق لا يعني اطلاقا ان الذاكرة تفقد زخمها ، الذي عرفت به عند الوليد واليافع . بالعكس . لقد دلت جميع البحوث النفسية ، ان الشاب ذو قدرة على التذكر تفوق تلك التي يتحلى بها الوليد . وذلك عائد بالذات الى نمو الذكاء فيه . كلما قوي الذكاء قويت ملكة الالتقاط ، لان الفهم يعين كثيرا على ترسيخ الامور في الحافظة ، من الصعب ان نعثر على طفل ، في الثالثة ، يستطيع ان يكرر ستة ارقام ، اذا سمعها مرة واحدة . في حين ان مثل هذا التكرار ممكن عند الشاب . والذي يجعلنا نعتقد ان الذاكرة تضعف عند الكبير كونه يتجه في مسلك واحد ، لا غير ، هو مسلك تخصصه . ان الشاب لا يحفظ شيئا غير مرغوب فيه . وهذا يعني ان ميول الشاب قد اصبحت بارزة الخيوط . اصبحت من صلب شخصيته الخلاقة . فهو شديد الذاكرة ، ولكن ضمن المسلك الذي يكون قد اختاره . ما عداه ، لا يأتلف مع ميوله ، ولا يتجاوب مع ملكاته الذهنية . لذا لا تعمل الذاكرة فيه اطلاقا . اما اليافع ، في المرحلة الابتدائية ، فهو قادر على ان يحفظ كل شيء . السبب في ذلك ان ميوله لم تكتمل بعد ، لتفرض عليه مسلكا خاصا ، تعمل الذاكرة ضمن فلكه . اما عند الشاب فهي تنشط في اتجاه واحد .

ومن هنا نستنتج ضرورة التخصص في المرحلة الثانوية . لقد برزت الميول ، ولم يعد بامكان الشاب ان يتجه الا في دروبها . من الخطأ اعتباره اناء فارغا ، بعد ، نصب فيه ما نشاء . الحق ان هذا الاناء قد امتلأ موادا اولية ما عليه الان الا ان يتخذ شكلا خاصا يقوم على الانتاج الشخصي المنبثق من الفهم التام والادراك الصحيح . ان وضع الذاكرة في الجهة التي تتناسب مع الميل يساعد كثيرا على الاستيعاب . ويساعد الذكاء ايضا على الالتقاط ، والاستئصال ، وربط اللاحقات بالسابقات . وهو الشرط الوحيد ، والاكبر ، للوصول الى نتيجة ايجابية ...

اي لادراك الخلق .

آية كل هذا ما قلناه ، سابقا ، ان الشاب يميل الى الاستدلال والتفكير . فعلى مناهج التعليم الثانوي ان لا تضعف هذا الميل . عليها ان تنميه بافساح المجال للتلميذ كي يقوم بتجارب شخصية . وذلك ليدرك بنفسه الرباطات الكائنة بين الاشياء والامور . هذه الرباطات فيه . اجل انها رباطات بين الاشياء والامور ، ولكنها انعكاس ايضا لما هو كائن في الذهن البشري . والذاكرة الآلية لا تخرج تلك الرباطات من غياهب الظلام الى وضح النور . هي معطيات بديهية يدركها العقل عن طريق الفهم التام والادراك الصحيح . هذا هو الذكاء . فمن الخطأ تركيز المناهج ، في المرحلة الثانوية ، على اساس الحافظة الآلية .

يبقى علينا ان نتحدث عن الناحية الانفعالية عند الشاب . هذه الناحية تستوعب كل نشاطاته ، نظرا للاهمية التي يتمتع بها الدافع الجنسي ، في مرحلة المراهقة . ولا يخفى على احد ما كان يحيط بالجنس من غموض ، وصمت وخوف ، نتيجة التقديس والاحترام ، ثم جاءت المباحث العلمية ، النفسية ، فاماطت اللثام عن حقيقة هذا الدافع الجنسي بشكل ايجابي قائم على الصراحة والجرأة . ويعود الفضل الاكبر في اجلاء عقد المراهقة الى سيجمند فرويد ، الذي اخذ على عاتقه ان لا يترك هذا الدافع الجنسي مسربلا بالالغاز . والحق ان فرويد قد القى من الاضواء الكاشفة على المراهقة ما انزلها من عالم المثل الى حضيض الواقعية الصريحة .

يجب القول اولا ان ثمة فارقا في الجنس بين الرجل والمرأة . هذا امر لا شك فيه اطلاقا . هذا الفارق في الجسم يولد فارقا في الحالات النفسية . اذ من الصعب ان نفصل بين الجسم والنفس . بناء عليه نجد الرجل انزع في ذوقه الى الكلاسيات (هنا العقليات) ونجد المرأة انزع في ذوقها الى الرومانسيات (هنا العاطفيات) . العقل يعمم ، ولا تعميم الا في عالم التجريد . العاطفة تخصص ، ولا تخصيص الا في عالم الواقع . ومن هنا ميل الشاب الى العلوم التجريدية ، وميل الشابة الى العلوم الموضوعية . وهذا يعني ان الانشعاب واضح في نفسيهما . الاول يعقل ، والثانية تشعر . هذا الانشعاب يظهر في الانسان ، بادىء بدء ، عندما تتحرك العاطفة الجنسية ... أقصد في سن المراهقة .

قبل المراهقة ، أي قبل الثانية عشرة ، لا يتمايز الرجل والمرأة تمايزا شديدا ثم تاتي المراهقة ، فتبرز الخطوط الفاصلة ، ويتضح الميل الجنسي . ان هذا التمييز يفرض علينا ان نتبنى خطة خاصة في تربية الشاب ، وخطة خاصة في تربية الشابة . وليس في ذلك حط من كرامة المرأة ، ولا اعتراف بانها اضعف من الرجل . هناك حقيقة واحدة لا هي ذكر ولا هي انثى . هذا في عالم الجوهر . اما في عالم الوجود فان الخط الفاصل بينهما واضح للغاية . اذا صح القول بان الحقيقة واحدة للرجل والمرأة (من حيث التفكير بها) فهي تختلف (من حيث الشعور بها) بين الرجل والمرأة . اذن يجب علينا ان نراعي التركيب المزاجي ، عند المرأة ، كما اننا نراعيه عند الرجل ذاته .

لا يتنكب المربون من ان يوجهوا فلانا الى الهندسة ، وفلانا الى الطب ، وفلانا الى الزراعة ، وفلانا الى الحقوق .. الخ . وهكذا يتوجه الشاب ، في مسالك الحياة ، حسب ميله . الا ينبغي لنا ان نقتاس بهذا المبدأ ، ايضا ، فنوجه الفتيات وفق ميولهن ؟ ان التسليم بهذا القول يفرض علينا ان نهيء للشابات برامج خاصة بهن ، تختلف بعض الاختلاف عن البرامج الخاصة بالشبان . نعلم ان بعضهن يملن الى الرياضيات ، وهن قلة ، فليتبعن ميلهن . ولكن لا يجوز فرض هذا المنهج على الشابات اللواتي لا يرغبن فيه . ان في مثل هذا الفرض جريمة تربوية . وأين الحط من كرامة المرأة ، اذا كانت لا تميل الى الرياضيات ؟ وهل نكون قد احترمنا كرامتها ، اذا انخناها لتعلم اشياء لا تميل اليها ؟

اقول هذا لان الكثيرين (ولا سيما الكثيرات) يهاجمون ذلك التمييز ، مستندين الى ان ايجاد شهادة خاصة في التعليم النسائي يعني الحط من كرامة المرأة ، التي تعتقد ان فيها كل الكفاءات ، لتخوض ميادين العلم جنبا الى جنب مع الرجل . لا تريد المرأة ان يسجل عليها مثل هذا التراجع ... ومستندين ايضا الى ان التخلي عن العلوم ـ ولا سيما الرياضيات ـ يضعف ثقافة المرأة ، الى حد بعيد لان الرياضيات هي ارقى العلوم التي وصلت اليها الانسانية ، والتي تزودنا التفكير المنطقي .

قد يكون الرجل ذاته مسؤولا عن رفض المرأة هذا التمييز في المناهج التربوية . فقد بالغ في اعتبار نفسه المقياس الاكمل ، الذي يجب على المرأة ان تتخذه معيارا لها . أجل ان الطبيعة فرقت بين الرجل والمرأة . ولكنها لم تفاضل . مثل هذا كمثل تفريقها ـ من حيث الوظيفة ـ بين العين والاذن بدون ان تقول هذه افضل من تلك . الا ان الرجل لم يقنع بذلك . فقد راح يقيم هذا الفارق ، كما يرتأيه ، ويقيم نفسه حكما على المرأة فوق كل لوم وانتقاد . فاضل بينه وبين المرأة ، وجنح في المفاضلة ، حتى جعل من نفسه حقوقا ومن نفسها واجبات . هنا وقعت المشكلة ، وقام الصراع فيما بينهما لان افضلية الرجل على المرأة هي اعتبار لا علم . ولا شك عندي في ان نضالها يجري من الادنى الى الاعلى ، اي انها تسير نحو استقلالها المعنوي والمادي .

ولكنني اخاف من ان يطيش سهم المرأة عن الغرض . لم تكد تتفلت من قيودها ، حتى جمحت ، وراحت تعتقد انها مساوية بالرجل (كما وكيفا) وانها قادرة على منازلته في جميع ميادين الفكر . ليس المهم عندي ان تتساوى مع الرجل (كما وكيفا) كأن الرجل هو المقياس الاكمل الذي يجب عليها ان تقتدي به . ولا المهم ان يتساوى الرجل مع المرأة (كما وكيفا) في كل ما تفعله . المهم ان يلعب كل منهما الدور الذي اعطي له في الحياة . المرأة تجلي كامرأة . والرجل يجلي كرجل . يختلفان في الوجود ، يتفقان في الجوهر . رسالة المرأة يجب ان تكون رسالة ابداع لا اتباع . وهي لا تبدع الا اذا سايرت ميولها ، وتقيدت بمنطق الطبيعة . القصبة لا تقهر السنديانة ، اذا تكابرت على قصبيتها . ولكنها تتساوى مع السنديانة ، جوهرا ، يوم تنحني امام دستورها الضمني . رحم الله سقراط الفيلسوف يوم قال راس الحكمة ان يعرف الانسان ذاته .

كمال يوسف الحاج

عـــودة

لثريـا ملحـس

يدي أعدٌ فيها الاصبع
قلبي يدقٌ مثل المبدع
وعيني كأنّها لا ترفع .
لبنةً من عزّنا الاغبر
يا هناة .. يا عزّنا
كأنّك ما كنتَ وما كنّا
●
نمزّق أعوامنا
نرقص على الرماد
تحرقنا رمضاء
من صحارى الشمس
لفنا الغياب
أعمى منّا القلوب .. منّا العقول
دعونا على العقود
على أمرنا
لمَ كنّا في هذي الارض ؟
لمَ كنّا من بشر ؟
نكدٌ ونشقى
نتعب ليبقى
غيرنا ليبقى
وأعود الى غرفتي السوداء
معي قلبي وعيني والشقاء
.....
.....
تخافني حتى الحياة
والموت
أمام المرآة أحدّق بالمرآة
أضع خدّي على خدّي
عيني على عيني
ـ يا هناة . بالامس يا نفسي

أين كنتِ ؟
ـ كنتُ هنا في الزاوية
ـ وأنا .. سألتُ عنك الدنى
سألتُ النجوم
ـ ما غادرتُ الزاوية
سريرك .. كتبك
ـ حتى الضياء ؟
ـ والضياء ...
ـ والبرادي السوداء ؟

ـ والبرادي السوداء ...
ـ كنتُ في حقل بعيد عن بيتنا
كنتُ في أقصى الشمال
اقفز على التلال
ـ يا هناة .. هل سمعتِ ؟
ـ سمعتُ أنين الحيارى في الجبال
سمعت صفير الاشجار
والصدى مع شمس الزمان
ـ والبئر ... ؟
ـ ماذا عرفتِ ؟
ـ البئر كان للجيران
احمل دلوي
يحنو عليّ البئر
ـ والرعيان ؟
ـ والرعيان ...
زلّت قدمي .. أنا شوهاء
ـ أنتِ ؟ أنت كما كنتِ
جبلتك الالهة
من خلود النيران
.....
.....
ـ والنغم ؟
ـ كما كان .. جميل حلو
ـ والوتر ؟
ـ كما كان كما كان
من زمان ما انقطع من زمان
ـ وآلتي ؟
ـ كانت عزاءً لنا
صلاة للدنى البلهاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عـــــودة

لفـؤاد الخشـــن

مـن اسرة الجبـل اللـهم

غدا في الصيف ، في ايلول
شهر الحب والفتن
سيحملني جناح الشوق
رفّافاً
الى وطني ...
الى شتى الجمالاتِ
بصحراء « الشويفات »
الى الضيعة والريف
وانغام الشواديف
وتغمرني
ظلال الصمت والوجدِ
لزيتون ذوى بعدي !
واسمع سحبة « الاوفِ »
لفلاّح من « الشوفِ »
ونقرات المناقيرِ
على الثمر ..

*

ستحضنني غدا امي
وتنسى زمن الغمّ
وتنتفض الزغاليل
وتنبعث التهاليل
بدنيانا ...
ستعرفني دروب الكرم
والوادي
وذاك الحاصد الغادي
مع الفجر
وراعينا الذي ينهل
بالالحان مزماره
وتنساق الى النهر
على الانغام ابقارُه !
سيعرف ريفنا الهادي
ربيبا عاش مفتون النهى فيه
يغنّيه
ويستوحي سواقيه

•

وأنجام دواليه ...
صبيّا كان مذ درجا
صديق الزارع الطربِ
وفلاح القرى التعب
وذاك البيدر المملوء
اكواماً من الذهب
والحانا...
دويك الجبل الفتّان
يعرفه ويهواهُ
وزهر الدفل لولاهُ
لما فاحا
ووزّال الربى الغافي
اذا لاحا
تفتّح ينشر الارجا
ورفّ انامل صفراء
تغمره ... وتلقاه
واجفانا مريضات
من السهر ...
ووادي « التبر » هل يسلوه
جدولُه وينساهُ ؟
أينسى الجدول الصافي
خيال صديقه الاسمرْ
أليف الشمس والمطرِ
وصيّادَ العصافير
ومن يعدو
وراء جنادب الحقلِ
واطفال الفراشات
ومن يحلو
له الغفو
على الزهر ...

*

غدا في الصيف
في ايلول
شهر الحب والاملِ
سيرجع ضائع غابا
وخلّف بعده اهلا واحبابا
وريفاً جوّه طابا ...
وسوف يعيد ماضيه
وانغامَ لياليه
وينسى هجره المرّا
وحقل الفحم والبترول والحرّا
ويحيا في شعاب الريف
في خضر مجاليه

فنزويلا
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

الطـــراد

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

جاء حمود العلي في صبيحة يوم العيد متأخرا عن موعدنا . فقد كنا على ان يأتي هو من القرية واقدم أنا من البلدة منذ الفجر فنلتقي عند الباب القديم بالقرب من المزار عند بزوغ الشمس وقبل ان يصل المتسابقون الى الحلبة وتملأ الطريق وفود الزائرات قبر الولي في الجبانة. وحسبت اول الامر ان صاحبي قد تعمد التأخر ليكون في مجيئه في زينة العيد وعلى صهوة فرسه الشعيفية قبلة انظار الفرسان الذين تجمعوا في رأس الحلبة والفتيات اللواتي انتثرن على مرتفع السور القديم يتطلعن الى الفرسان مظللات على اعينهن المثقلة الاجفان بالكحل بأكفهن المصبوغة بالحناء . ولكن حمود بيّن لي انه لم يتأخر الا خشية عمه الشيخ عبد الهادي الذي كان يكره ان يخرج ابن اخيه على الشعيفية في موسم يحتشد فيه الناس وتتبارى فيه الفرسان كموسم الطراد في صباح كل عيد .

لماذا كان الشيخ عبد الهادي يكره ظهور حمود العلي في المواسم المزدحمة على فرسه الشعيفية ؟... ذلك لان الشيخ عبد الهادي كان يرى في الشعيفية ما لا نراه نحن في هذه الفرس الاصيل . كنا نحن نحمد حمود العلي على الشعيفية : شقراء في لون النحاس المطروق او لون الغمام الذي يظلل الشمس على الافق وقت الغروب ، دقيقة الراس والاذنين ذكية العينين ، تسيل معارفها متوهجة على عنقها ويكاد شليلها ، ذيلها ، يمس الارض من فرط طوله . وكان حمود العلي فارسها الذي خلق لها ، يحبها وتحبه وتعجز كل من يمتطي ظهرها غيره . فكنا اذا خرجنا في رفقة الى البادية او اذا تطاردنا في الربيع من مضارب اهلنا الى النهر اعطت الشعيفية كل ما عندها في يسر اذا كان حمود العلي فارسها، بينما تتخلف في الطراد وتبدو كفرس من اوساط الخيل اذا كان فارسها نجم او بشير او غيرهما من اهلها واهل حمود العلي . كنا نرى من الشعيفية جمال خطوها اذا مشت وحسن امتلاء فروجها اذا ركضت وانسحاب ذلك الشليل الطويل ، ذيلها وراءها في عدوها كانها في ذاك تسبح سباحة وليست تركض ركضا . ولكن الشيخ عبد الهادي رغم ذلك كان يقول انها فرس مشؤومة ، لان خطا من الشعر ممتدا من اسفل منبت الراس على العنق حتى الفرجة بين القائمتين الاماميتين كان واضحا بارزا على صدر الشعيفية . خطا من الشعر الاسود القاتم شعراته حائلة اللون حذاء منبتها على الاهاب الاشقر . كان الشيخ عبد الهادي يقول ان هذه الفرس بها شق زيق ، شق في قميصها ، يمثله خط الشعر هذا ، وانه علامة مشؤومة في الفرس تقتل به فارسها ...

لم نكن نحن ، لدات حمود العلي ، نأخذ جدا ما كان يقوله الشيخ عبد الهادي عن شق زيق الشعيفية بل كنا نعتقد انه كان يخشى على ابن اخيه لا شؤم الشعيفية بل اعين الحساد حين يرون حمود العلي في عنفوان شبابه وحسن زينته على فرس جميلة كشعيفيته الاصيلة . والحق ان طلعة حمود العلي على فرسه في صبيحة يوم العيد هذا كانت مما يخشى عليه من الاعين المصيبة . وقد تحلقنا حوله منذ وصوله الى راس الميدان حيث باب السور القديم لاننا في الحقيقة كنا ننتظر مجيئه كي نبدأ طرادنا . ولذا فمنذ وقفت الشعيفية على راس الميدان خرجت الخيول الهجينة من الحلبة وآب الذين كانوا يتعادون على مهارهم دون سباق الى مجمع المتسابقين وتهيأ كل فارس الى ان يأخذ دوره في الطراد .

بدانا على ان ينطرد ثلاثة من الفرسان الثلاثة ، انا وآخران ، للشعيفية وفارسها حمود العلي . وكان ذلك مما يرضي حمود العلي ولا شك . فعلى تلعة من تلاع السور القديم كانت افواج من الفتيات يتطلعن الى الخيول وفرسانها وينتظرن الطراد ، وكان من بينهن خود واختها الطاردلا المطرود. ولذا فان حمود العلي يازي ، وجميل ان يبدأ الطراد بشوط يكون فيه حمود العلي امام عيني يازي بدأ بعد ان مسح بكفه غرة الشعيفية وربت على معارفها ، بان اعتلى متنها على تلك المعرقة ، وهي السرج الذي كان قد اجتلبه لها من حمدان السراج والذي تسيل من حواشيه ذوائب من الصوف المبروم وشراشب ملونة بمختلف الالوان ، ثم انطلق في جولتين قصيرتين في راس الميدان لوحده ليجس الشعيفية بحوافرها ارض الحلبة ولتعرف مرمى ايديها عليها . ثم عاد الينا ينتظر انطلاقنا نحن مطروديه الثلاثة ليلحقنا وليحاول ، اذا استطاع محاذاتنا ، ان يصيب بمطرقه الخيزران متون خيلنا ، ثم ليسبقنا اذا امكناه وامكنته خيولنا من ذلك .

كانت فرسي ، حمدانيتنا الزرقاء ، اجود الخيول الثلاثة التي ستنطرد للشعيفية واجدرها بان تقف في صف واحد مع الشعيفية بل ان تظل سابقة لها اذا تأخرت الشعيفية في الانطلاق فحرصت على الا اكون اول منطرد لحمود العلي وان اتيح له بسهولة ان يضرب متني الفرسين الاخريين بخيزرانته ... ألم تكن يازي على التلعة تنظر الى حمود العلي ؟!... فصففت نفسي اول الثلاثة الى اليمين بحيث يكون الاخران على يساري ، ولما كانت خيزرانة حمود العلي في يمناه فانهما ، حين يطردنا ، هما اللذان يصبحان طريدته لا انا . وما اسهل على الشعيفية ان تلحقهما

وعلى حمود العلي ان يقرع بخيزرانته متني فرسيهما حينذاك . وعلى ذلك انطلقنا وحمود العلي واقف مكانه في يسراه عنان الشعيفية وفي يمناه خيزرانته الدقيقة المخضب راسها بالحناء . ولعل جهد رفيقي كان في ان يهمزا بطن دابتيهما ويرخيا لهما العنانين منحنيين على عنقيهما ليفوتا الشعيفية باطول مدى قبل ان تنطلق وراءهما . اما انا فقد كنت ، والحمدانية تنهب الارض ، ملقيا اذني الى الصوت الذي سينطلق ورائي ، صوت حوافر الشعيفية ، مستعجلا اياها ان تندفع وان تدرك رفيقي ، فان في فوز حمود العلي فوزا لي انا خدنه وعشيره . وامضني اني احسست بان حمود العلي قد تأخر في الانطلاق وراءنا زمنا اطول مما يجب ان يفعل ، فلولا ان كانت لي انا ايضا فتاة على تلعة السور القديم لادرت راسي الى الوراء استبطاء للشعيفية وفارسها ... واخيرا سمعت الارض تدب ورائي فهدأ تربصي وانحنيت بدوري على عنق الحمدانية اعطيها عنانها وامس بعقبي جانبيها المس الرفيق الذي تعهده مني وتعرف ما الذي اريده به منها .

الزمن في ميدان الطراد ، اذا كنت فارسا في الحلبة ، لا يقاس بالدقائق والثواني من تلك التي تسجلها الساعات التي يحملها الناس بل يقاس بوقع الحوافر على الارض وحفيف الهواء حذاء الاذنين وارتفاع الغبار حول الفرسان وصياح الناس وهمهمتهم وبتردد انفاس فتاتك التي تضع واحدة من يديها على صدرها واخرى على شفتيها تمسك بها لسانها ان يهتف باسمك وهي ترمق عدو فرسك بك . وقد انقضى قدر كبير من هذا الزمن الذي اصفه لك قبل ان اسمع حوافر الشعيفية قريبا مني وهو آت ، وعجيب ذلك ، عن يميني لا عن يساري . كانت الحمدانية فرسي ، قد فاتت رفيقي بمقدار وتركتهما لخيزرانة حمود العلي تلهب ظهريهما ، ولكن سماع وقع حوافر الشعيفية عن يميني يعني ان حمود العلي قد آثر ان يهمل ذينك الفارسين ويطردني انا مع اني تعمدت ان لااكون غريمه وان لا اعرضه الى طراد الحمدانية . ثار الدم فائرا الى راسي حين ادركت ذلك وملأت صدري نقمة على حمود العلي اذ اراد اذلالي حين اردت له الفوز سائغا هينا . وزادمن نقمتي عليه انني لم ادرك ذاك الا حين تبين لي ، من سماع صوت حوافر فرسه ، انه قد لحق بي او اوشك . وتوهمت اني اسمع حفيف الخيزرانة في يمني حمود العلي وهو يتهيأ ان يهوي علي بها فانفجر الغيظ في صدري وحملني على ما لم افعله من قبل ... فما كفاني ان لكزت بطن فرسي بعقبي لكزا شديدا كانها حصان من خيل السواري بل ادرت خيزرانتي الى ورائي فضربت بها كفل الحمدانية ضربا شديدا متلاحقا اريد ان تعرف به ان عليها ان تطير لا ان تعدو فحسب ... الم اقل لك انه كانت لي انا ايضا فتاة على السور ؟ لقد فهمت الحمدانية مني فطارت ، ورغم ذلك كان حريا بي ان اندم على فعلتي بها من هذا الضرب المتلاحق وان يشغل ذلك بالي في ليال عديدة لولا ان ما حدث بعد تلك اللحظات قد غطى على ذاك وانسانيه وبدل من ضيقي ارتياعا ومن غيظي الما ومن نقمتي بكاء . فان وقع الحوافر الذي كان موشكا على ان يحاذيني انقطع فجاة او لفه صوت اصم رج الارض ورائي وعلت له همهمة تلتها ضجة في الجموع المصطفة على تلاع السور وانطلق لها الفرسان البعيدون يركضون الينا . فلما ادرت راس الحمدانية بعد ان جذبت عنانها الي رايت الشعيفية قد توقفت عن الطراد عارية الظهر ، فقد كانت تجول حول بقعة كان الغبار يتصاعد منها دقيقا فاترا وفي وسطه كان حمود العلي مكبوبا على وجهه ، لا حراك به .

هذا ما حدث في صبيحة يوم العيد كبت الشعيفية بان زلت يمناها فانكبت لوجهها ، ثم انقلبت وهي في شدوة العدو ، ثم قامت من كبوتها في مثل لمح البصر ... ولكنها بين هذا وذاك كانت قد القت فارسها بعيدا . كان حمود العلي مقذوفا على الارض ليس به من الحياة الا انين خافت ومسيل خيط من الدم عند ملتقى الشفتين . ماجرى بعد ذلك لم يبق منه في خاطري الا غمامة من الغبار والضجيج واجسام الناس كانت تلف جسد اخي وعشيري حمود العلي في مطرحه ، والا راس الشعيفية التي كانت تتشمم جسد الطريح وتجيل مشفرها على وجهه بينما كانت معرقتها مائلة على واحد من جنبيها وعنانها سائلا ملقى طرفه على الارض الغبرة كانه جسد حية قتيل .

اذن فقد صدق قول الشيخ عبد الهادي في شؤم شق زيق الشعيفية فقتلت فارسها . ما كان تطيرا اصبح امرا واقعا . الا ان الشيخ عبدالهادي لم يتخل مع ذلك عن الشعيفية على كثرة طلابها منه ، فظلت في مربطه بين خيول غيرها . اتراه انف ان يبيعها بثمن بخس ، وقد ابخست ثمنها شهرة شؤمها ، ام انه احتفظ بها لامر آخر ؟ كل الذي اعرفه انها ظلت ترعى وترتع بين خيول الشيخ عبد الهادي ، لا يحب ان تمتطى لما تمتطى له الخيول الاصيلة في الطراد والاسفار ولا يسمح بان تستخدم كما تستخدم الخيول الهجينية في الحمل والاثقال . حتى لقد ضاق احد رجال الشيخ عبد الهادي بها ، يوما من ايام الربيع في مضرب الشيخ في البادية ، اذ اقتحمت الربعة واخذت تتشمم الضيوف حتى دنت من دلال القهوة فأجالت راسها حولها ... هنالك كان مجلس حمود العلي فارسها حين كان حيا ... حينذاك ضرب خادم الشيخ عبد الهادي صفحة راسها بمحماس القهوة وهو يصيح بها : يا مشؤومة ! فصدقت الشعيفية مرة اخرى شهرة شؤمها وتناولت بفكيها كتف الرجل فلم تتركه الا على شفا الموت ...

كل هذا حدث منذ خمس سنوات او تزيد . وقد وقفت صبيحة اليوم ، صبيحة اول ايام العيد هذا على راس تلعة في اول ميدان الطراد ، لا مطاردا ولكن واحدا بين المتفرجين على الذين اصبحوا يملأون الميدان بعدنا ، انا وحمود العلي واقراننا ، ويتسابقون فيه في كل موسم . تطلعت من موقفي على التلعة الى المنخفض جنوبي

الـــــزورق

لرزوق فرج رزوق

البصـــرة

ان عاد يوما زورقي
من أبحر الظلمات ، من أسفاره الزرق العميقه
ان عاد يسري وحده ، ويشق في رفق طريقه
وروى لكم من قصتي
نبأ الجزائر والمدائن والفنارات الغريقه
فترفقوا بجراحه الخضراء •• يرجع زورقي
لينام ، في صمت ، على كف الرمال ••
بالامس كان لنا على سمر الرمال•
أرض ، وكان لنا مدينه
مصبوغة بالشمس ، تعمرها الظلال•
والحلم ، والحب الملألىء في سكينه
فيها بنينا قصرنا العالي ، وأسوارا حصينه ••
ثم انطلقنا خلف أغنية الصباح•
كالطائر البحري ، كالموج المرفرف ، كالرياح•
نحو الجزائر والمدائن والفنارات •• الامينه !
ان عاد يوماً زورقي المضنى فاني لن أعود•
لانام ، كالموتى ، مع الذكرى الحزينه
من ينطلق في رحلة الاحلام لا يطوِ الجناح•
أو يخذل الصوت الودود•
قلبي كقلبك ، يولسيس•
ما زال ماضيه يغنّيه ، من الشط البعيد•
وجدي كوجدك ، يولسيس•
في أبحر الظلمات ، في اسفارك الزرق القصيه••
لكنما ماتت بنيلوب الوفيه !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الميدان فرايت هناك الشعيفية ترعى العشب في المنخفض وترفع راسها في كسل الى المتبارين كلما علت لهم ضجة او قرعت حوافر خيولهم الارض في جلبة اخر الشوط . منذ خمسة اعوام ، منذ مصرع حمود العلي ، والشعيفية التي اصبح عنانها ملقى لها على عنقها في مربط خيول الشيخ عبد الهادي تقف في هذا المنخفض كلما اجتمع الفرسان على جيادهم في ميدان الطراد لعيد او عرس او موسم ، ترعى فيه وتتأمل في المتطاردين . ما الذي وراء العينين الذكيتين في الراس الدقيق الذي يعلو شق الزيق في صدر الشعيفية. أتراها تذكر حمود لرؤية اقرانه وخلفاءه في ميدانه الاثير عليه ؟ ام تراها تبكيه وتبكي حظها ان ولدت وفي صدرها شق زيق لم تحدثه هي في اهابها ؟ ام تراها تتبرأ من شؤم لحقها ظلما : فلكل جواد كبوة ، واي جواد كالشعيفية التي ما قصرت يوما تحت فارسها ولا خيبت في يوم له ظنا ما دام ظنه في مكنتها وفي طوقها ...

الرقة ـ سورية عبد السلام العجيلي

ادب الرسائل

بقلم الدكتور زكي المحاسني

*

ليس في ادب الامم ما يشبه ادب الرسائل في تراث لغتنا العربية ، فان تلك الاداب التي بلغت من الحضارة حدا واسعا ليس فيها ما يشبه رسالة الغفران التي كتبها صاحبها لصديق له فجاءت في كتاب ، ولئن كسبنا من ابي العلاء هذه الرسالة ، فانما يعود الفضل في بعث همته في املائها الى علي بن منصور بن القارح الكاتب الحلبي ، الذي بعث الى ابي العلاء برسالة يطرح له فيها مسائل وقضايا تتعلق بالادب والتاريخ والنقد ، واحوال رجال العصر ، في الاخلاق والسلوك ، وفي الحكم والعقيدة فأجابه المعري بتلك الرسالة الضافية التي كانت مبعثا للحياة الثانية في الحياة الاولى .

وكان منهج ابن القارح في رسالته الى حكيم المعرة التي بلغت بضع عشرة صفحة ، هو طرح الافكار والصور منذ قال له في استهلالتها : (كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ...) ويقول : (وكتبت هذه الرسالة أشكو أموري وما لقيت في سفري من قوم يدعون العلم والادب، والادب ادب النفس ، لا ادب الدرس) الى ان يقول له : (وهذه صفة معرة النعمان به ، ادام الله تأييده لا خلت منه ومن النعمة عليه) . ويختتمها بقوله : (تمت الرسالة والحمد لله ذي الافضال ، وقد طرزتها بذكره .

وكان ابن القارح ، كالقادح لنار المعري ، يطلب الاجابة على رسالته في قوله : (واذا جاء جواب هذه الرسالة سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله وبه الثقة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم) .

فيجيبه ابو العلاء مستفتحا برسالة الغفران بعد المقدمة :

(وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور ، ومن قراها فلا شك مأجور) . ثم ينهض شيخ المعرة بصاحبه الى عالم الجنان فيطوف به من مقاصيرها ويقول (وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل، ان شاء الله بذلك الثناء شجر في الجنة لذيذ اجتناء) ، ويذكر اسمه فيها ، فاذا حان ختامها وقد زادت على مئتي صفحة ، قال : (وانا أعتذر الى مولاي الشيخ الجليل ، من تأخير الاجابة ، فان عوائق الزمن منعت من املاء السوداء ، وانا مستطيع بغيري، فاذا غاب الكاتب فلا املاء) . ويعتذر اليه من الاطالة في الجواب حيث يقول : (ولا ينكر الاطالة علي ، فابن الخالص من النضار العين ، طالما اشتري باضعاف من اللجين) .

ولابي العلاء رسائل كثيرة جاءت في كتب وكراريس، كرسالة الملائكة التي أملاها جوابا لمسائل في التصريف القاها اليه بعض الدارسين ، وقد اتخذت شكلا علميا ، ومعها الرسالة السندية بعث بها الى سند الدولة والي حلب في عهده . اما رسائله التي عني بنشرها نشرا علميا الدكتور مارغوليوث اواخر القرن التاسع عشر ، فانها ابداع ينقطع نظيره في ادبنا ، وخرج ابو العلاء باشهر رسائله الى الكتب التي تؤلف لغرض من الاغراض ، وهذه ظاهرة من ادب الرسائل في وحدة الموضوع عند المعري .

لكن المعري تعرض لمحنة واحراج للرد على رسالة وجهها اليه المؤيد بالدين داعي الدعاة الفاطمي ببغداد ، وكان قد طرح عليه فيها مسائل تتعلق بالعقيدة الدينية، والمذهب الفلسفي ، فكان المعري يحاول التخلص من شباك الفاطمي ويسبغ عليه الاماديح مثل قوله (اطال الله بقاءه وادام علاه) ولا يعلم تاريخنا الادبي علما يقينيا كيف انتهى امر التراسل بينهما ، لكن الملحوظ ان ابا العلاء مارس شدة من داعي الدعاة وايقن انه يريد به المعاطب ، على الرغم من طلاوة الاداء الذي ادي به اليه رسالته ، وقد كان ما املاه ابو العلاء رسالتين جوابيتين على رسالتي الداعي ، وحين وردت من الداعي الفاطمي رسالته الثالثة كان ابو العلاء قد سبقت اليه المنية ، فلم يمل الجواب الثالث . وقد دارت في هذه الرسائل مشاكل ومعاضل كان يطرحها الفاطمي على المعري فيجيب عليها ، ثم يعاود الفاطمي المناقشة والطرح ، فكان ذلك اخر ما أملى ، عليه رحمة الله ...

اما الكاتب العربي الذي تمرس بكتابة الرسائل،وجعلها له ديدنا ، فهو ابو بكر الخوارزمي الذي عاش ومات في القرن الرابع للهجرة ، حتى ترك في تراثنا الادبي مجموعة رسائل طبعت طبعة قديمة سنة ١٢٩٧ للهجرة بمطبعة الجوائب في القسطنطينية . وقد بلغت مئة وخمسين رسالة بين مطولة وقصيرة ، تناول فيها شؤون الادب والمجتمع والسياسة ، وفيها اخوانيات كثيرة .

وقد وقع الخوارزمي ، ايضا ، في محنة من جراء رسائله ، كما وقع ابو العلاء ، وكان فيها انتهاء الحياة! كما كان الامر لدى ابي العلاء . فقد ابتلي الخوارزمي بعداوة ند له ، صلب العود ، مكين اللغة والبيان ، هو بديع الزمان الهمزاني كاتب المقامات المبنية على التكلف اللفظي ، والتلاعب المعنوي . وكان لكل منهما طائفة تثير حقده على خصمه . وكانت كل طائفة تجد لذة في قراءة الاجابات ، ومشاهدة المناظرات ، وهي لذة ، وان كانت محمولة على الادب ، فلا أجدها تختلف عما يجده الاسبان والبرازيليون حين يمارسون مشاهدة الصراع مع الثيران ، او ما كان يجده الرومانيون القدامى من اللذة عند مشاهدة الاسرى ، في حفلات البطشة الكبرى .

وكان مقام الخوارزمي اواخر عمره بمدينة يشابور الفارسية ، فكثر فيها خصومه من الولاة والاقطاعيين فأهاجوا عليه بديع الزمان اهاجة شديدة في الكتابة والمناظرة حتى انخذل الخوارزمي انخذالا جسيما ، واصابه كدر نفسي قضى عليه ، فمات قهرا ، خلال ذلك العام الذي اشتدت عليه فيه المناظرة مع بديع الزمان .

وقد اتخذ فن الترسل عند الخوارزمي شكل المساجلة والمطارحة . اما اسلوبه في رسائله فكان جاريا على طريقة السجع . وهو من طائفة الكتاب الصناعيين الذين جروا في القرن الرابع للهجرة على غرار ابن العميد والصاحب بن عباد، وقد عرفهما الخوارزمي ، ولقيهما في حياته كثيرا ، وكان من اقرب رفاق الصاحب اليه . اما اسلوب ابي العلاء في ترسله فقد كان ضربا من أدائه الفني الخاص به ، الذي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مزجه بالسجع المقفى المتواتر ...

وقد عرف أدبنا المعاصر طرازا من الرسائل المتبادلة بين كبار الكتاب . منها ما كتبه جبران خليل جبران من الرسائل الى صديقه ميخائيل نعيمة ، وقد إستعان (نعيمة) بهذه الرسائل على الحكم في أدب صاحبه وسيرته ولا سيما كتابه عنه ، اذ وجد بين يديه وسائل من تلك النصوص الخاصة ، لصنع كتاب في حقيقة جبران ، لكنه كان ناقدا عنيفا فيما يكشف عن مساويء في صديقه ، متخذا من حوادثه في الحب والفن موضوعا للكتاب .

وكان بين طه حسين وصديقه هيكل رسائل متداولة في شؤون النقد والادب . وفي كتابه « مرآة الزمن الحديث » الوان جديدة من رسائل مبتدعة لم ترسل الى أحد ، جعلها وسيلة لنقد المجتمع والحكام والادباء .

ولقد عرفت آداب الامم في قديمها وحديثها أدب الرسائل ، وابدع نموذج لهذا الادب هو ما كتبه (اندره جيد) من رسائله منذ اواخر القرن الغابر حتى عام ١٩٣٨ . وبادله هذه الرسائل كاتب من الفحول هو (فرنسيس جيمس) . وقد جمعت هذه الرسائل ونشرت عام ١٩٤٨ ، كما مارس آندره جيد ترسلا اخر مع الشاعر الكاتب (بول كلوديل) . وقد كان بين فرانسيس جيمس والكاتبة المشهورة (كوليت) مراسلات ادبية ايضا .

وقد اصبح اسم الرسائل عنوانا للكتب الجامعية ، ودليلا على مجلات في الغرب والشرق . وأقدم هذه المجلات تلك التي انشأها معلم الثورة (ديدرو) فدام صدورها حتى أواخر القرن الثامن عشر ، وقامت بعدها مجلة المراسل Le Correspondant

إما في عالمنا الادبي فقد كانت مجلة الرسالة المصرية دارة اقلام ، ومعرض ادب وثقافة عاشت سنين متطاولة وكان لها اثر بعيد في ظهور الكتاب والشعراء المجددين ، وصدرت بعدها بمصر مجلة (الرسالة الجديدة) ، وفي لبنان مجلة ادبية تسمى (الرسالة) ، وكلتاهما تعنى بالادب الحديث .

وبعد فاني اجد رسائل الادباء أصدق صور الادب ، يعكسها اصحابها من نفوسهم على الورق ، ولان لها جوا خاصا يكتبها فيه الاديب ، وهو يغمس قلمه في مداد روحه وعقله ، على سجيته وحريته .

دمشق **ذكي المحاسني**

عذاب

○

قلقٌ أخضرُ يظلّل قلبي
نغمةٌ فجّةٌ تلوّن دربي
والفراغ الفنّان مبدعُ ايامي اليتامى ، ومبدعُ آلهاتي

*

ريشةُ الصمتِ لا تفجّرُ فكري
معزفُ الريحِ لا ينضّر فجري
والضبابُ الورديُّ يمتصُّ أجفاني، ويمتصُّ أغنيات حياتي

*

آه يا ليل !• يا ضريح دموعي
يا أراجيح زفرتي وشموعي
آه يا ليل!• في بساتينك السوداء قصّتْ جناحَها يقظاتي !

حلب **علي الزبق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العامية في ادبنا الحديث

بقلم السيدة وداد سكاكيني

○○○

يتبادر الى ذهن القاريء ووعيه من عنوان مقالي انني اريد ان اتناول بالكلام اللهجة العامية او التعبير المضطرب المبتذل فيما يكتب ويقال من احاديث وصور فنية وفكرية ، غير اني عنيت به السطحية في الثقافة والشعور، والركاكة والتكلف في الموضوع والاسلوب ، والظاهر ان الصلة التي تربط ادبنا الجديد بقديمنا الجيد تتعرض في هذه الظروف لمحنة وضجة ، فكما يستطيع المؤرخون وعلماء الاجتماع ان ينظروا الى بوادر الانحراف والتهويش والتهاون ليبينوا عواقب هذا في حياة الامة وثقافتها سواء في الغابر او الحاضر ، كذلك يستطيع الناظر الى مظاهر ادبنا الراهن في صحفه والوانه ان يتبين فيها اطواره المختلفة وما طرأ عليه من تجديد وانطلاق ودراسة منهجية وانتفاضات قومية.

واول هذه المظاهر واكثرها شيوعا ورواجا في ايامنا هو فن القصة، والقصة لا تشبه غيرها من فنون ادبنا القديم، لان الاوائل لم يعرفوها على شكلها الفني الحديث فقد ظهرت لديهم على طراز المقامات والرحلات ، والتصورات الفلسفية والحكايات الحربية والاجتماعية، فكان ادب الغرب في هذا اللون المستحب قدوة الموهوبين في القصة العربية، مارسها منهم فوج بعد فوج حفيظا على فنها وادائها ، متتبعا اسباب تطورها في مذهبها وعالمها وتجاوبها مع الحياة والزمن والثقافة ، وقد اقبل الناس في مصر والبلادالعربية على هذا اللون الممتع في حياتهم الفكرية والفنية متذوقين طعما جديدا في القصة والرواية لم يعرفوه من قبل حتى اذا انتهت الحرب العالمية الثانية أبت الا ان تصنع ما صنعت الحروب في اذواق الشعوب وتراثها ومقومات حياتها ، فاخرجت المطابع العربية الى جانب القليل الممتاز في القصص الفني ضربا من الاقاصيص والروايات موسوما بالعامية والسطحية والاناقة الشكلية ، فلا الموضوع فيه متعمق النظرة والفكرة ، كاشف عن ومضة ابداعية او هزة جمالية وروحية وقد تجاوبت في كلماته واسلوبه صدى من حياة صاحبه اومن ملابسة غيره، ولا الاداء خال من الاضطراب والتكلف

ويبدو ان نزعة المحاكاة والاقتباس قد هونت على كثير من المتأدبين والغواة فن القصة فزاولوها متعجلين مستكثرين ، دون ان يتلقوا توجيها او تبصيرا من النقاد يتعهد الموهوبين ويحول المغالطين والعابثين الى وجهة تلائم استعدادهم وخصائصهم فرأيناهذه التجارب المرتجلة المستعجلة تقتحم ادبنا الحديث منذ دمرت عليه مذاهب في السياسة والفلسفة متعددة الاشكال والالوان ، فأثرت في الاتجاه القصصي دون ان تؤثر في روح الفن وجوهره .

ومر الشعر العربي المعاصر خلال الحربين بعهود مختلفة شهدت تطوره البطيء في صياغته وصوره وموضوعه اذ كان فيها محافظا على عموده لدى الشعراء الذين ظهروا بعد شوقي وتفاوتوا في الثقافة والتفكير والمنازع التي تأثرت بروح المحاكات او التجديد ، حتى جاءت التيارات الفكرية الحديثة مع هبوب الانبعاث القومي والتحرر من كل ما يعوق الوعي العام والاحتكاك الذي يشع منه ضوء الثورة على النظم البالية والاحكام الغاشمة ، فكان الشعر في هذه الهبات والطمحات معبرا عن اسبابها ومعانيها ، متبرما ببنائه المعهود ، حتى جاء وقت وجيل يستخف بما يتطلب هذا الفن الرفيع من ثقافة وموهبة وتمرس باللغة والحياة ، فبرزت لدنيا الادب منظومات ومقطوعات لا هي بالشعر ولا هي بالنثر تستعرضها فتجدها مفككة الوزن متداعية الصور سطحية المعنى ، وكأن رصف كلماتها المتكررة وحشد الفاظ محتومة فيها يعيطها رونقا مخدوعا وقد شاع هذا الضرب من الشعر المزعوم بين بعض النظامين والهائمين في الشعر الجديد ، فاذا كانت القافية المحيرة منذ القديم يروضها الشاعر الموهوب فان قصور المتشاعرين قد آل الى هذا الضرب من الكلام ، اذ اشتدت فيهم نزعة المحاكاة والتقليد كما اشتدت بالحائمين حول القصة ، وكأن حتما لزاما على كل متعلم او متشبه باهل الفن ان يكون قاصا او شاعرا ، وقد نشفع احيانا لهذا التركيب الزخرفي نكن هذه الشفاعة لا تدوم ويكون حكمها كمن يكفها عمن يعاود الخطأ والمخاتلة .

كان الادب بشعره ونثره على وجوم عهده وحركته وقلة محصوله في الابداع صور القلق والالتباس الذي عانيناه ابان الانبعاث والتحرر والنضال ، غير ان الزمام الذي كان يشد هذا الادب الى اصوله ويشير الى حاجته من التجدد قد افلت وانطلق على غير هدى ، فان موجات من الاداب العالمية والمذاهب الفنية اخذت تتجاذب ثقافة الجيل وتغري الادباء والمتأدبين بصورها واخبارها ، وفي الوقت نفسه كانت الثورة الفكرية على التعسف والاستغلال تتغلغل في النفوس الواعية ، وكان الادب يؤدي رسالته على حيطة وتقية احيانا وحينا ينقلها سافرة مدوية حسب الظروف والملابسات ، فلما استطاعت الانتفاضات القومية ان تشق طريق الحرية عبر عنها الادباء والشعراء مرددين صداها مؤكدين مرماها وهب الجيل الصاعد للمعركة الطافرة ، باقلام مرهفة شبيهة بالسلاح ، وكانت لهم موضوعات في النشيد الحماسي والاغنية الملهوفة والقصص الذي وسموه بالواقعية والالتزامية وقد حشدوا فيه اخبار المعركة وحوادث البغي وصور الفدائيين ، فكان يعوزها الفن والنضج والاتقان ، لان الحوافز الفورية التي استملت كتابها شعرا ونثرا غلب عليها التكرار والسرعة والسطحية في التصوير والتعبير ، ولم يفت اصحابها وهم في معركة الحياة والتحرر ان يتنادوا لتبادل الراي في شؤون النقد والفكر ، والتعبير عن سخطهم على ادب الشيوخ واستخفافهم بما يدعو له المحافظون من اعتصام بمواريث اللغة واصول البيان ، فاعلن الناقمون في مصر ثورتهم على القديم واهله من اقطاب الادب دون تفريق او تمييز بين الجيد والرديء من آثارهم وما كان لهم من فضل على الحياة الفكرية والثقافية، ولم تبدر مثل هذه الحدة والخصومة المزعومة في بقية البلاد العربية الا لماما وترديدا لما وصل اليها وتجاوب معها ، وقد احتدمت المعارك القلمية في الصحف والمجلات بين الناقمين المختصمين الذين سموا ادب الكبار رجعيا زخرفيا مصدره الكتب والمقاصير والبروج وهم يريدون الادب خفيفا مستجيبا للجمهور في تعبيره وصوره ، نابعا من الروح

انا اهوى

○

أنا أهوى النجوم ناضبة النور ... ليُملا فراغُها من ضيائي
يا غنيٌّ الجمالِ في القلب زهدٌ ... عنك ان كنت زاهداً في عطائي
أنا أهوى الجمال جوعانَ يسعى ... لخواني ويغتذي من غذائي
وبه عاريا شغفت لاضفي ... من خيالي عليه وهج الرواء
فأحبُّ الشفاه عندي شفاهٌ ... لبست قبلتي وجرَّت ثنائي
والعيون التي أحبُّ عيونٌ ... نظرت نظرتي الى الاشياء
وأعزُّ الوجوه عندي وجهٌ ... فيه من لمحتي ومن سيمائي
أنا مذ كنتُ بي حنينٌ لنفسي ... لاراها تلوحُ لي في المرائي
عفتُ في هيكلي عبادة ذاتي ... طائفا في هياكلِ الغرباء
فكأن الحياة ، اذ وزعتني ... بعثتني مُلملما أجزائي
لستُ فيها ، كما وهمتُ ، غريبا ... موطني الكونُ والورى أقربائي
أنتِ مني فلا يلفَّك عني ... غائمٌ من تنفسِ الاهواء
اخلعي عنكِ برقعاً من ضباب ... واغمريني باللفحة الحمراء
واتركي لي في النفس منكِ فراغا ... تتنادى في جوه أصدائي

*

لكِ عتَّقتُ صبوتي فاعصريها ... واسكبي لي من خمرتي في انائي
بي ظماء هيهات أرويه الا ... من جنى لهفتي ونبع رجائي
كيف اشكو الظما وقلبيَ دنٌّ ... فجَّر الريَّ للنفوسِ الظماء ؟!
غرسة الحب من رمادبراكيني تغذت ... فأورقتْ في سمائي !

راس المتن ـ لبنان — **فارس سعد**

الشعبية والواقعية ، كأن هذه الواقعية جديدة طارئة او مستوردة عابرة ، وهي في أكثر فنون الادب القديم والوانه وما نبعت الا من صميم الحياة وشؤون المجتمع على اختلاف وجوهها وخفاياها .

انهم يريدونها انفلاتا من كل شرط في الكتابة وهبوطا بالاسلوب ليتقبلها الجمهور على هينته وهواه ، فلما ظهرت آثار هؤلاء الثائرين وعليها بوادر الاستهانة بجوهر الادب ومقومات الاديب من موهبة وثقافة وتجاوب مع الشعور والحاجة ، وقد سفهوا البناء بوسيلة الطلاء مكررين الفكرة الطافية على سطح الكلام ، لم تلق هذه الاثار رضى المحافظين والمتمكنين الذين ضاقوا بهذا الانطلاق على حساب اللغة ، وحجتهم ان مكانة كل امة لا تتوطد وتبقى الا بلغتها وبيانها، فاذا سايروا الثائرين بالتغاضي عن استخفافهم بحقيقة الادب ورسالته فكأنهم فرطوا في حق العروبة والوطن ،وكم ضاعت امة بضياع لغتها ومقومات تفكيرها .

اما الدعوة الى العامية في الاداء والتعبير فانها مشار الخطر وبخاصة في فورة الوعي القومي والتمازج الروحي بين الشعوب العربية كلها ، واما العامية في الثقافة والتفكير والسطحية في التاليف والكتابة فمردها الى اضطراب التعليم والصحافة ، وغلبة الفكرة المادية وفقدان النقد والتوجيه ، والتبعة في هذا كله على المسؤولين المختصين الذين انصرفوا الى السياسة والمصالح الخاصة ، والادباء انفسهم هم الذين ناموا عن الادب وتركوا مرتعه الخصيب تمور فيه الرياح ويلهو بمفاتنه العابثون .

دمشق — **وداد سكاكيني**

تمثيلية لبيير ديديه

ولـــــدي

ترجمة احمـد عويـدات

المشهـد الثـاني

مارسيال : ــ أيزعجك حضوري ؟
برناي : (مواصلا) ــ ابدا ... كم ساعتك يا عزيزي ؟
مارسيال : (يسحب ساعته مـــن جيبه) ــ في هذه العتمة ... لا يمكن رؤية شيء ..!
برناي : هه ... انر اذن .. انر
مارسيال : (يدير الزر فيغمر النـور المكان) ــ اوه ! هذا النور يعمي !
برناي : لـكم احب الضوء الخـافت اثناء العمل ..
مارسيال : وانا ايضا من عشاقه .. الساعة .. الساعة السادسـة وخمس دقائق
برناي : .. الوقت يمضي بشـكل عجيب . انتهيت (يطبق ملـف الرسائل ويحمله الى الخزانة في جهة اليسار . في طريقه يضغط يد مارسيال ثم يضغط علـى زر ويعود الى مقعده) (في هـذه الاثناء يخلـع مارسيال معطفـه وقبعته ويضعهما على كرسي في الزاوية ثم يجلس على مقعـد الوسط دون كلفة)
برناي : نعم يا صديقي فرانسوا .. ما وراءك من الاخبار ؟
مارسيال : لا شيء يستحق الذكر يا صاحبي .. حياة رتيبة تمر فـي اعقاب بعض (يتناول لفافة مـن على المكتب ويقدم واحدة الـى برناي)
برناي : لا شكرا .. (يخاطب علـى التلفون) يا آنسة وضعت لـك الرسائل في الملف الكبير اريد ان اتحدث الى مورو من فضلك .. هه ! غير موجود ؟.. اخبريه ان يتلفن لي فور رجوعه . واذا لـم يحضر قبل ذهابك اتركي له كلمة صغيرة ... شكرا (الى مارسيال)

باسكال برناي : مهندس عمره ستون عاما ، وخط الشيب رأسه ، قامة ممتلئة ، ذو هيبة، حائز على وسام جوقة الشرف من رتبة فارس.

فرانسوا مارسيال : صحافي ، ٥٥ سنة اقل شيبا من برناي واكثر وهنا . يلذع في نكاته دون ان يضحك لها . مغموم ولكنه عطوف

فيليب برناي : ابـن برناي ، ٢٥ سنـــة ، ممشوق القد وممتلىء حيوية .

المكـان

« مكتب المهندس. الباب في اقصى الوسط. الى اليسار المكتبة والستائر المسدلة عـلى الابواب . الى اليمين الطاولة : ملفات ، كتب ، دفتر مواعيد ، تلفون ذو سماعتين . امـــام الطاولة بالقرب من وسط المسرح مقعد مريح. على الجدران مخططات ورسوم او تصاويـر فوتوغرافية لعمارات كبرى . الاثاث متـين وجيد بالاجمال . عند رفع الستار تكون الغرفة معتمة لولا مصباح (اباجور) يعكس النـور على الطاولة » .

المشهـد الاول

برناي : (على التلفون) ــ نعم ! ... حاضر يا معالي الوزير... بامكانك ان تعتمد ... الفترة قصيرة دون شك ... نعم تعودنا لمثل هـ... بطبيعة الحال في التدشـــين سأستخـدم ... نعم ، يوجـد الفوج الليلي . كن مطمئنا يا معالي الوزير . كل شيء ... نعم اذكر، اوه .. معالي الوزير انت حقا ... ومعاوني .. اقصد وكيني مورو. نعم بيير مورو . اثناء مرضي ... نعم هو الذي .. حاضر . لااعرف كيف اعبر لك عن شـ ... نعم .. نعم . حاضر يا معالي الوزيـــر (يقفل التلفون) ما افظع هـذا الرجل ! علي الان بهذه الرسائـل المكدسة !
(يطرق الباب دون ان يتوقـف عن التوقيع) ادخل !

أتعرف يا صاحبي ! انا الان في حيص بيص ...
مارسيال : (رابط الجأش) هه ... ايمكنني ان اعينك ؟
برناي : بامكانك ان تؤدي لي خدمة .
مارسيال : هات . ولا تتردد !
برناي : ... خـاطبني الوزير الان بالتلفون !
مارسيال : (متظاهرا بالاسف) اوه ! انت ايضا تغامر بسمعتك في هذا الوسط !!
برناي : ماذا تقول ؟ ... قـلت لـك الوزير ..
مارسيال : (باسما) لا ، لن تفهـم موضع السخرية !
برناي : يا لك من مغفل ! انه يصر على ان يكون التدشين في السـادس والعشرين ..
مارسيال : هذا خبر صحفي طـازج (يسجل عـلى دفتره بعـض الملاحظات)
برناي : على كل .. سيبعث بمذكرة الى الجرائد ..
مارسيال : لانه سيبعث بمذكرة الى الجرائد ساكون اول من يعلن الخبر نهار غد وهذا سيلفت الانظـار الي واكون موضع الحظوة ..
برناي : ليس بين زملائك على ماأظن.
مارسيال : الفوز بالخبر الطازج هـو المهم عندنا نحن الصحفيين ..
برناي : مهما يكن من امر ، فخمسـة عشر يوما لا تـكفـي للاحتفـال بالتدشين
مارسيال : احسنت .. وساضفـر العمل مثنى وثلاث !
برناي : كن رصينا .. وحـذار ان
مارسيال : احسنت .. وساضفـر لك اكليلا في التعمير المرتجل !
برناي : كن رصينا .. وحـذار ان تكون سببا فـي حرماني مـن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الترفيع ..
مارسيال : آه ... لقد قيل لي انك لا تزال في المرحلة الاولى ...
برناي : الوزير مدين لي كثيرا
مارسيال : من الان اذن اقدم لك أحر التهـ ...
برناي : (مقاطعا) لا تتعب نفسك ..
مارسيال : ولا تنس العشاء والشمبانيا
برناي : ... هذا التدشين يأخذ كل وقتي فعلي من الان ان اهيء .
مارسيال : نعم ! المصلحة ... المصلحة اولا ..
يرناي : ضع نفسك في مكاني
مارسيال : ولم لا تضع نفسك انت في مكاني ؟ لي حديث معك !
برناي : (يراجع دفتر المواعيد) أتريد ان يكون نهار غد ؟
مارسيال : لا ، اريد هذا المساء
برناي : أليس بامكانك ان تنتظر الى غد ؟
مارسيال : ليس بامكاني ان انتظر الى غد . القضية عاجلة .. فاهم .. عاجلة !... جدا
برناي : انت تخيفني (يرن التلفون) نعم . انتبه جيدا يا مورو . يريد الوزيران يكون التدشين في ٢٦ .. لقد صعقت مثلك .. انت تعرف الوزير .. ولا مناص لنا .. ليس لديك ما يشغلك هذا المساء ؟ اذن عد بعد العشاء .. فيجب اعادة النظر في خطة العمل .. آه .. لي حديث معك ايضا في قضية تخصك .. نعم ، عليك ان تهيء بعض الاوراق . فالوزير يقدر جدا كفاءتك وسيقلدك وسام الاستحقاق .. حسن .. سنتحدث في الامر ، الى اللقاء (يقفل التلفون)
مارسيال : مورو انسان مدهش !
برناي : انه نشيط .
مارسيال : ولا تنس انك خير من يرأس هذه المصلحة
برناي : (متذكرا) ـ والان .. ما هو الامر الهام الذي تريد ان تحدثني به ؟
مارسيال : الامر يتناول ولدك فيليب
برناي : فيليب ! ماذا دهاه ؟ هل هو مريض ؟
مارسيال : لا ، اطمئن .. فهو في عافية يحسد عليها .
برناي : اذن ... هل هو بحاجة الي ؟
مارسيال : يا صاحبي .. اذا كان فيليب بحاجة الى امر ما فلن آتي انا لاحدثك عنه ..
برناي : طبعا .. لانك تفضل ان تلبي حاجته بنفسك
مارسيال : اف .. ! انك تأخذ علي دوما الخدمات التي رفضت انت ان تقوم بها من اجله !
برناي : تريد ان تقول اشفاقك عليه !
مارسيال : لم يكن لدي اي سبب لامنع عنه مساعدتي ..
برناي : ما اضعف عودك يا فرانسوا!
مارسيال : لو لم يكن هذا الصبي الا انه يدعوني « بعمي » وكنت « عرابه » لاحنو عليه واراف به .
برناي : بالتأكيد .
مارسيال : وسيكون وريثي الوحيد .
برناي : فليهنأ !
مارسيال : واخيرا يا برناي .. لن تمضي حياتك كلها وانت حردان؟
برناي : بالله عليك ! من المخطىء منا ؟
مارسيال : لم ار مثل عنادكما انتما الاثنان !
برناي : مع ذلك .. الا تعتقد ان الحق بجانبي ؟
مارسيال : أيكون هذا سببا للخلاف مدى الحياة بينك وبين ابنك ؟
برناي : لن تستطيع ان تدرك المعنى الصحيح لموقفي .
مارسيال : اعرف .. اعرف .. انت انسان مسكين .. غير مفهوم البتة ! يا حرام !
برناي : كفى يا فرنسوا ... لا تجادل في مسألة لا تدرك خطورتها ..
مارسيال : هل لك ان تذكرني باسباب الخلاف دون ان تحمر وجنتاك من الخجل ؟
برناي : انت تعرف الاسباب اكثر مني . اول الامر فسخ فيليب خطبته بحمق ليتزوج من فتاة عادية تعمل على الالة الكاتبة ، وليست من وسط تحسد عليه .
مارسيال : فتاة عادية !.. ليس هذا رايي ابدا .. فلها كثير من المزايا.
برناي : وليس معها فلس واحد. آه حين كنت امني النفس بزواج فخم لولدي .. وما اكثر ما شقيت في ذلك ..
مارسيال : اظن ان لويس الحادي عشر هو الذي يقول في مهزلة «غرنفوار» « لو احب الناس ان ينعموا بالسعادة على يد الاخرين لكانوا اشبه بالاسماك التي ترغب ان تقشر حية » !
برناي : وبعد هذا .. رفض قبول المهنة التي كنت اعده لها .
مارسيال : يا الله ! ... الا تقبل اذن ان يختار شاب في العشرين المهنة التي تحلو له بمطلق حريته ؟
برناي : اذا قدر للاب وقاد ابنه في طريق معبد بعد خبرة من التجارب فيجب ان يكون هذا الاب موضع ثقة
مارسيال : واذا لم تكن طريقه هذه الطريق التي عبدتها له ؟
برناي : يمكن الوصول الى كل شيء بالعمل والكد .
مارسيال : كان ديدرو يقول : « يجب ان يكون المرء متحمسا لمهنته حتى يبرز فيها ولو اقتصرت المهنة على صنع الدبابيس فقط . »
برناي : ولكن ليس لدى فيليب مهنة بالمعنى الصحيح !
مارسيال : هذا هو الخطأ .. كل الخطأ ! لقد الف فيليب روايات عديدة .. وكثير منها يلاقي الاقبال والرواج .. وهو الان يحرر في الجرائد اليومية والمجلات . واسمه يتردد على كل شفة ولسان . ماذا تريد منه اكثر من هذا ؟ انه يحب عمله ويكسب منه بشرف . فهو في نجوى من العوز ..
برناي : لقد صانعه الحظ !
مارسيال : دون شك ، والايمان ايضا. هل سبق لك ان فكرت اوتخيلت ما معنى ان يكون للانسان رسالة في هذه الحياة ؟
برناي : ليس هذا هو الموضوع .
مارسيال : بلى ، نحن في صلب الموضوع ، الرسالة نداء ، حاجة لا تقاوم ، تهرق الحياة في سبيلها لتحقيق حلم يسيطر عليك فتسلط افكارك وتحشد جهودك نحو هدف معين . الرسالة هي قوة عليا يتضاءل دونها كل شيء : المصلحة والعقل والمحنة والحب نفسه .
برناي : اعرف ... بعضهم ينشأون على حب التجارة والكسب وآخرون ...
مارسيال : حسنا . اتقبل هذا المبدأ؟
برناي : اقبله في حالة واحدة وهي الرسالة الدينية لان الله اقوى من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطبيعة الانسانية ..
مارسيال : الرسالة الدينية .. نعم ، حين تفهم فهما جيدا . واذا كان التعبير يخيفك فلنقل ببساطة ان فيليب شعر بالحاجة الى الكتابة .. وانه موهوب وصاحب رسالة .
برناي : او بالاحرى قل انه يعيش بالاحلام كما كنا نحن في العشرين .
مارسيال : لا يا باسكال .. ان هذه موهبة حقا . والا لما كنت شجعته . المهنة شاقة لا ترحم .
برناي : هه .. ابن المهندس برناي لم يعد بوهيميا !
مارسيال : في رأيك اذن ان الفن لا يتفق مع الحياة ؟
برناي : الفن يغذي الروح طبعا . ولكن العمل وحده هو الذي يضمن العيش
مارسيال : حقا انك بورجوازي من الطراز العتيق .. الا تعلم ان مهمة الاديب او الصحفي هي غالبا اشق من اية مهنة اخرى ؟
برناي : اعرف .. ولكن لا ضمان لها ولا سند .. لندع هذا الان . لم يحاول فيليب ابدا ان يفهمني لقد انتهى الامر . كل وشأنه في تدبير امور حياته .
مارسيال : ما تقوله لا معنى له :
برناي : اسمع ! اقسمت بعد المرض المفاجيء الذي حرمني زوجتي المسكينة «ايرين» وبعد ان شعرت اني وحيد بالقرب من هذا المخلوق الصغير بعد ولادته باسابيع اقسمت ان اكن له الحنو مضاعفا . ولقد رعيته يوما فيوما وهو طفل صغير . عنيت بصحته وتربيته وتكوين شخصيته . ولم يكن حناني باقل منه حين بلغ سن الرشد . كم انتظرت حتى بلغ فيليب الثامنة عشرة . ضحيت وصبرت على امل ان ارى في ولدي نعم الصديق ، ارى فيه دمي ولحمي يتجددان مع الشباب فيليب بقواه الجديدة وآماله وانا بتجاربي .. نحن الاثنان يكمل احدنا الاخر .. يا له من انسجام فريد !... اتفهم كل هذا ؟ ...
مارسيال : نعم .. ولكن يبدو انك تنشد سعادتك الشخصية لا اكثر ولا اقل ..
برناي : انا ؟
مارسيال : نعم انت .. وهذا شيء طبيعي وانساني ، فالسعادة الكبرى كالمحنة الكبرى تنطوي على شيء من الانانية !
برناي : كان حلما جميلا لم يتحقق كما ترى . ومرت السنون . ورحت انتظر البادرة الاولى .. الفرصة التي تجعله يمد الي يده ... وذات يوم .. حمي وطيس النقاش بيننا فايقنت ان ارادة كل منا تصطدم بالاخرى منذ زمن وان خلافا لا يمكن تحديده يباعد بيننا ... شعرت بوطأة ثقيلة .. لم اكن لولدي اكثر من اي فردعادي اخر ..
مارسيال : كفى ، كفى ...
برناي : وشعرت اني دونه !
مارسيال : هذا غير صحيح ..
برناي : صحيح يا فرنسوا .. ادركت اني لن ابلغه ـ يا للسخرية ـ يوم ان تغلب علي للمرة الاولى في لعبة التنس .
مارسيال : هه .. وكيف كان ذلك ؟
برناي : منذ زمن وانا اداريه بمرونة وذكاء لنتقارب ونربط صلات وثيقة . وقد اصبت مهارة في هذه اللعبة ، لعبة التنس . لم اعلق اول الامر اهمية على هذا الفشل الذي منيت به ولكن منذ ذلك الحين وفيليب يتغلب علي بصورة منتظمة على الرغم من حرصي ورغبتي في الفوز عليه .
مارسيال : علاك الصدأ يا باسكال .. هذا كل ما في الامر .
برناي : ربما ... ففي فترة من العمر يحرز الاطفال تقدما لا سبيل الى نكرانه على آبائهم .
مارسيال : هذا شيء منطقي ..
برناي : كنت في الخامسة والثلاثين عندما ابصر فيليب النور . وحين تخرج من « الليسه » كنت احبو الى الشيخوخة فكان من العبث ان اجد فيه رفيقا لي .
مارسيال : اي نعم يا صاحبي باسكال علينا ان نحترس الجيل الطالع . فليس بالامكان ان نجاريه .. ثم اعلم ان هذا الفتى اراد ان يوجه حياته حسب رغبته .
برناي : كان بامكانه ان يدافع عن وجهة نظره دون ان يثور في وجهي .
مارسيال : وهل كنت تتبع دوما رأي والدك انت ؟
برناي : ليس في جميع الحالات . ولكن في ايامي كان لسلطة الاب احترام مهيب وانت تعرف ذلك اكثر مني .
مارسيال : اليوم نعيش في عصر الكهرباء يا صاحبي .. والعواطف تجاري التقدم ..
برناي : ولكن من العواطف ما ! يمكن ابدا كهربتها ... (فترة صمت) خلاصة الامر ، ماذا يبغي مني فيليب ؟
مارسيال : يريد ان يحدثك في امرهام
برناي : ولكن ما هو هذا الامر الهام ؟
مارسيال : سيقوله لك بنفسه .. اتريد ان تستقبله ؟
برناي : هنا ؟
مارسيال : ولم لا ؟
برناي : ومتى ؟
مارسيال : الان ! ... انه في المشرب على خطوات منا . وينتظر ان اتلفن له ليأتي .
برناي : انت تتصرف كرجال الشرطة يا لك من مداور ثقيل .
مارسيال : ستشكرني فيما بعد (يتناول التلفون)
برناي : (معترضا) انتظر ، لا ، نسيت ان مورو سيعود الان . ولبس لدي من الوقت ما يسمح لي باكثر من تناول العشاء .
مارسيال : هل افهم من هذا بانك لا تفكر الا في بطنك ؟ ما شاء الله !
برناي : لا ، ليس هذا المساء . ساكون مع مورو مدة ساعة على اقل تقدير .
مارسيال : لن يأخذ فيليب من وقتك طويلا ..
برناي : ولم لا يكون الاجتماع غدا ؟
مارسيال : ستعرف ذلك من فيليب . واني حين الح فمعنى ذلك ان الامر جدي صدقني .
برناي : (يتأمله لحظة ثم يناوله السماعة) ـ اذا خدعتني فلن اتعرف عليك وساتبرأ منك
مارسيال : (بعد ان راجع دفتره يؤلف النمرة) ـ المشرب ، مشرب التقدم ؟ اريد ان اكلم السيد برناي من فضلك ... هذا انت يا فيليب ... انا الان مع والدك .. نعم ، تعال ، نحن بانتظارك (يعيد السماعة) خلصنا !
(كان برناي الاب يستمع الى الحديث على السماعة الثانية . يبقى في حالة تفكير . يتناول مارسيال

لفافة ويقدم واحدة الى برناي يرفضها الاخير مشيحا بيده)

برناي : (واقفا ومتجها الى اليسار) لم اره منذ ثلاث سنين !

مارسيال : نعم ... فيليب هو نفسه ... لم يتغير ... ربما ضمر قليلا بعد زواجه .

برناي : سيراتي وقد وخط الشيب راسي !

مارسيال : رآك مؤخرا ..

برناي : اين ؟

مارسيال : في حفلة زواج ابن ديمولن

برناي : هه .. ! لم يقع نظري عليه . كان في الحفلة حشد كبير .

(صمت . مارسيال يضرب حافة الطاولة مدندنا . يسمع الجرس ، ووقع خطى ثم يطرق الباب)

ادخل !

المشهد الثالث

(يظهر فيليب ويبقى عند مدخل الباب . برناي ومارسيال يتبادلان النظرات)

برناي : ادخل .. واجلس (يشير الى المقعد في الوسط) .. نعم ! ماذا تريد مني ؟

فيليب : ولكن ... الم يشرح لك العم مارسيال ! ...

برناي : عرابك اخبرني بانك ستتكلم بنفسك

فيليب : (ينظر الى مارسيال وهو بدوره يتفحص لوحة في اقصى المكتب) آه .. حسنا .. سأتكلم اذن . على اثر النقاش الاخير الذي احتدم بيني وبينك .. واصلت الكتابة كما تعلم .. هذا شيء اقوى من طاقتي ... لا استطيع ان اقاوم الكتابة ... انها في دمي

برناي : بالطبع ليس هذا هو حالي .. الكتابة لا في دمي ولا في شحمي!

فيليب : .. وقطعت عني المصروف . كان بامكاني لوحدي ان اسد حاجتي ولكني احببت سولانج وتزوجنا . لم تنقطع عن عملها في الوزارة كضاربة على الالة الكاتبة . وانا بالاضافة الى المهمة التي آليت على نفسي تحقيقها كنت اقوم بتصريف البضاعة لدى كبار التجار . قاسيت المصاعب والاهوال .

برناي : ربما اقتنعت بان اسطورتك لا تدر الرزق !

فيليب : في البداية تعذبت وكافحت !

مارسيال : هذا ضروري . كان يقول صديقي دورجوليس : « البداية عبارة عن افراح صغرى تضخم ودموع غزيرة تذرف »

فيليب : انما ... اسفت على امر واحد .. فزوجتي اقتسمت معي هذا الحرمان . اما الان يا لها من ثمرة اتت اكلها ! واني لا اتردد ابدا لو قدر لي ان اعيد الكرة من جديد فافراحي لا حد لها بعد ان تغلبت على العقبات وحققت رسالتي .

برناي : (ساخرا) انت موهوب . عندك رسالة ... اليس كذلك ؟

فيليب : بلى ..

برناي : يا صغيري ... انت مخلص في رغبتك ولكن العبقرية لاترتجل يا بني ..!

مارسيال : ما تقوله صحيح . العبقرية موهبة .

برناي : ربما ...

مارسيال : (يتقدم الى الوسط فيلمس مؤخر المقعد الذي يجلس عليه فيليب) ـ ولماذا ، ايها السيد ، ترفض ان تعترف لابنك بالمقدرة التي تعجب بها لدى الاخرين ؟

برناي : لانه ولدي ولا اراه يحمل الفكرة التي لقنتني اياها والدي وجعلتها شعاري في الحياة !

مارسيال : انت في عنادك الاعمى كالدجاجة التي تحتضن بيضة النسر (برناي يهز كتفيه) . كان موليير ، المؤلف المسرحي الفذ ، ابن عامل سجاد وكان باستور ، العالم النابغة ، ابن دباغ بسيط . عندما يخلق المرء للمهام الكبرى وخدمة الفن يـ...

برناي : (مقاطعا) ... طبعا .. هذا احسن حل للعيش في احضان البؤس والشقاء !

مارسيال : انت بافكارك لا تختلف عن البقال في شيء !

برناي : الهندسة المعمارية فن ولكنه مبني على اسس من العمل والكد لا الافكار الخرافية ..

مارسيال : نعم ، احجار البناء تأخذ مكان الاحلام والتخيلات .. ولكن الا ترى ان الاكروبول في اثينا خربة من الخرائب اما الالياذة فانها دوما وابدا تدهش الناس اجمعين ؟

برناي : يجب ان تكسب خبزك بعرق جبينك . فالاحلام غير الاعمال .. واذا ما اتفق وكسبت خبزا بتخيلاتك يكون هذا من قبيل المصادفة .

مارسيال : ولكن يا هذا ... استطيع ان اؤكد لك باني تعبت وتفصد العرق من جبيني وانا اكتب بعض المقالات .. كما لو كسرت الحجارة على الطرقات .. او كما لو حملت اكياس القمح على ظهري . بامكانك ان تعتقد باني قمت باعمال شاقة يا رجل ...

فيليب : هل سبق لك يا والدي وفكرت فيما يتطلبه كسب الرغيف في حياة الانسان ؟ اكثر من ثلث وجوده .. اضف الى هذا الثلث النوم ، والغذاء وهموم الحياة اليومية . ماذا يبقى ؟ على اكثر تقدير ثلاث او اربع ساعات من اصل الاربع والعشرين تكرس لحياة الفكر والروح . فلم لا نحمع بين الضرورات اليومية والمطامح الفكرية ؟

برناي : التفكير وارهاف الروح شيء جميل . اما الكد فيقع على كاهل الانسان الذي يؤمن بواجبه ويقوم به خير قيام .

فيليب : (يقف ويتجه نحو ابيه) ولكن ... يا ابي اذا كان انتاج ملكة فكرية معادلا لانتاج عمل يدوي الا تعد الانتاج الفكري مهنة تسد الحاجة كباقي المهن ؟ ... اني افكر غالبا بحياة كثير من الافراد يكدون كل يوم آليا ليقوموا باعمال مضنية غير مفسحين اية رغبة او متعة للروح . ان القوى الفكرية تضمحل شيئا فشيئا ، والمستوى الروحي في الشعب ينحط تدريجيا . الا تظن ان هذه السيطرة الآلية على الروح هي احد الاسباب العميقة الجذور لقلقنا وفوضانا الحديثة ؟

برناي : (بسخرية) كان بوسعك ان تعمل خطيبا مصقعا ! (يقف ويحاذي مكتبه) لا اريد ان ادخل معك في جدال حول الفوضى في هذا العصر . ولكني لا اعتقد اني احل المعضلة اذا اكدت لك بان وجهة نظرك لم تكن سهلة التحقق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في شبابي . أليس كذلك يـــا فرانسوا ؟
مارسيال : كنت من رأيه وانا في عمره!
برناي : والان ؟
مارسيال : « لا شيء يجذبنا اكثـــر فاكثر من السعي وراء الوهـــم الخائب » هكذا يقول تيـــودور دوبانفيل
برناي : لم يكن لي الا ان اعتمد عليك لاقناعه وهدايته الى التفكير القويم (الى فيليب) يجب صرف التفكير اول الامر الى العمل . تكســـب قليلا وتحسن تقدير المـــال ... حين بدأت كعامل بسيط في دائرة المساحة كنا نسكن ــ انت تذكر يا فرنسوا ــ بيتا متواضعا جدا في الطابق الخامس شارع سان دني. وكان دخلي زهيدا جدا . كنـــت اضع في ذلـــك الوقت في درج طاولة صغيرة اربع علب تحمل كل واحدة عنوانا : الايجار ، الغذاء ، مصروف الجيب ، المرض . وكنت اوزع راتبي كل شهر في هـــذه العلب . وثق جيدا ان واحـــدة من هذه العلب لم تكن تحوي مبلغا ضخما . ومع ذلك عشنا هـكذا امك المسكينة وانا طوال سنـــوات سعيدين لا هم ولا احزان .. الا ترى في هذا مغزى لك ؟
فيليب : نحن لا نتفاهم بسهولة. فانت من جيل يختلف عن جيلي .
برناي : كل هذا لا يفسر لي الحاحك في مقابلتي هذا المساء !
فيليب : الواقع .. انه منذ زمن وانا افكر في ظروف هـــذا الخلاف والتباعد الى ان ادركت بغتـــة الحماقة في موقفنا . ويعـــود الفضل في ذلك الى حدث هام .
برناي : ما هو هذا الحدث الشيطاني الذي جعلك من العاقلين ؟
فيليب : (بعد تردد) ... صار لي طفل !
برناي : رزقت ولدا ؟
فيليب : نعم !
برناي : منذ متى ؟
فيليب : ثلاثة اسابيع
برناي : (الى مارسيال) ــ منذ ثلاثة اسابيع وانت تعلم هذا ..؟
مارسيال : (على المكتب ووجهه في كتاب) يا عين ..!
برناي : واستطعت ان تضبط لسانك!
مارسيال : اوه ! غالبته مرارا وكـاد يفلت مني !
برناي : لم اخفيت عني النبأ ؟
مارسيال : ولو ! فيليب هو الـذي ينبئك
برنا : احمق !
مارسيال : كنت واثقا بانـك ستسر وتنبسط اسارير وجهك !
فيليب : (يري اباه صورة) انظر !
برناي : ما اجمله !
مارسيال : (يقترب من الصورة ويلبس النظارات) هه ..! انه صغير جدا بحيث لا نرى له الان جاذبيـــة خاصة
برناي : (ببشر الى مارسيال) الاتراه جميـلا ؟
مارسيال : ... بلى ، بلى .. لـــو خفف من موائه واكتسى راســـه بالشعر ...
برناي : انت تجهل هذه الامور ..
مارسيال : هه ... واحـد اخر اذا عرف ان يتدلل قد يطلب القمر ..
برناي : (الـى فيليـب) مـاذا .. اطلقتما عليه ؟
فيليب : باسكال
برناي : باسكال ! كاسمي؟ هذا لطيف!
فيليب : .. ولما كان هذا اليوم هـو عيدكما انتما الاثنان ، قلت ربمـا تكون مناسبة تدخل السرور الى نفسك وتتناول العشاء معنا .
برناي : (يفتح ذراعيه فيرتمي فيليب في حضنه) بالتأكيد يا حمـاري الكبير !
مارسيال : الكلمة الحنون تعيد الامل والثقة .
فيليب : اتفقنـا ؟
برناي : نعم ، اتفقنا !
مارسيال : مهـلا !
برناي : ماذا دهاك ؟
مارسيال : (بين الاثنين) وموروا ؟
برناي : صحيح .. نسيت .. اسمع يا بني ...!
فيليب : لا ، لا ، وعدتني يا ابي ...
برناي : ليس هذا المساء.. بالفعل . انا و...
مارسيال : لو اجلت عملك مع موروا الى الغد !
برناي : قلت لك هذا مستحيل .
مارسيال : انا مقتنع تماما .. ولكن. هل يقتنع حفيدك باسكال ؟
فيليب : آه لو كان هـــذا المساء .. يا ابي !
مارسيال : المسألة بسيطة . اخـــر الاجتماع . ابعث اليه خبرا لينهي عشاءه على مهل !
برناي : قد يتشكك في عـذري .. ترى هل يدرك موقفي ؟
مارسيال : طبعا .. اليس له اولاد ؟
برناي : بلى ولكنه اب فقط .. اما انا فاني جد !
مارسيال : هلا اقللت من المبالغـــة والاعتزاز ؟
فيليب : ماذا ؟ .. هل قررت يا ابي ؟ الساعة الان .. اوه . انها واقفة ! كم ساعتك ؟
برناي : (ينظر الى ساعته) السابعـة والربع .
مارسيال : وساعتي تقول السابعة الا دقيقتين !
برناي : ساعتك تتأخر دائما .. (الى فيليب) هذه السلسلة جميلة !
فيليب : اهدتني اياها سولانج بمناسبة ظهور روايتي الاولى . (نظـرات برناي لا تحيد عنه) اتراها جميلة؟
برناي : نعم .. واتذكر الساعة التي كنت احملها وانا في عمرك. هذه هي (يسحب ساعته من جيبـه ويضعها في راحة يده) لم نـكن نعرف السلاسل . لقد قدمها لي والدي حين بلغـــت العشرين . ساعتك براقة.. انها جميلة ولكنها تتعطل . ساعتي بسيطة مـــن الفولاذ وتعمل دائما . صـــورة مصغرة عن جيلنا . (فترة صمت)
مارسيال : يا عزيزي باسكال يبـدو لي ان كلامك في منتهى الاصـالة والقوة والجودة ولكن اخـاف ان ينفذ صبر حفيدك باسكال .
برناي : صحيح ..

المشهـد الرابـع

مارسيال : (يفرك اذن فيليب) هه.. يا شيطان .. اصطلح كـل شيء وتم على ما يرام !
فيليب : الفضل لك يا عماه !
مارسيال : لم أقم بشيء يذكر !
فيليب : انا اعرف ما انا مدين لك به !
مارسيال : كأس شامبانيا بعد العشاء ولكن اذكر هذه الكلمة التي قالهـا

في ارضي

الضيقة

○

لجيـرا ابراهيـم جبرا

●

بغـداد

في ارضي الضيقة حفرت
أساسا لارحب مبنى ،
وفي ركن منها زرعت
بذرة واحدة
مستجلبا لها الماء الشحيح
عبر القفار والبراري
في ظل ما زرعت وما بنيت
لم أبغ مجدا باطلا
ولا كلاما التأم
على فراغ .
ان سقط الرصاص من كل صوب
على رقعتي الصغيرة ،
سأصدّه بيديّ عنها :
انها قلب الانسان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برنشتين : « يجب ان ينشد الانسان السعادة .. وان يكون شريفا ... والا دفع مغبة ذلك حتى يومه الاخير » !

المشهد الخامس

برناي : فلنذهب اذن !
فيليب : هيا !
مارسيال : (بعد ان تناول معطفه ووقف بينهما) لحظة !
برناي : ماذا ايضا ؟تريد ان تلقي خطابا او موعظة ؟
مارسيال : لا يا سادة ولكني اود ان امهر هذا الوفاق السعيد بكلمة..
برناي : الا تظن انك قلت مافيه الكفاية من الحكم والاقوال في هذا اليوم؟
مارسيال : (الى فيليب) استمع جيدا:
« لا يفهم المرء شعور اهله الا في اليوم الذي يشعر بنفس الشعور نحو اولاده »
برناي : اصبت ! لمن هذه الفكرة ؟
مارسيال : قالها شاعر واديب ولكنه مغمور بكل اسف ، لم يقدر بعد حق قدره ! فيليب : ومن هو ؟
مارسيال : (ينظر اليهما وقد بدا عليه شبه ارتباك من السؤال) هذا الاديب هو انا يا صديقي ، وستدور روايتي المقبلة حول هذه الفكرة .
فيليب : وما هو الاسم الذي ستطلقه على الرواية ؟
مارسيال : « ولدي » ! وهكذا ... يصبح لكل واحد منا ولد (يتأبط ذراعيهما) .

احمد عويدات

ظمـاء

○

يضـج بنفسي ظماء الدهور ...
لكل جميـل ، وحـق ، ونـور !
فهذي البحـار ، وتلك الجبـال ،
وكل نفيس ، عظيم ، خطـير ...
وذاك المعـين ، تـراث بـلادي ،
ولب الحضـارة ، روح العصور !
وسحر البيـان ، وحسن الغواني ،
وطيب الشفاه ، ودفء النحـور ،
ودفـق الوفاء بقلب الصديـق ،
ولمع البروق ، وشدو الطيـور ...
وسائر هذي الروائـع ، تعـرى
لتلهب فينـا حميـا الصدور ...
وتذكي ظمـاء النفوس الـكبـار
لـكل جميل ، وحـق ، ونـور !

* * *

ونور الحقيقة ... ظـل الالـه
يرف سطـورا وراء سطـور ...
فحينـا يقـين بروح المحبـة ،
يحيي الضمير وراء الضمير ...

وطورا اخـاء يعـم الانـام ،
فليس فقـير ، وليس حقير ...!!
وتلك العقـول تشع سماحـا ،
وتـذرو الذكاء ، حياة تمور ...
فليس كهـذي الحقيقـة ضـوء
يمـد الفؤاد بوعـي النـور !
ويلهـب فيـه ظماء الدهـور
لـكل جميل ، وحـق ، ونـور !

* * *

الهي سألتـك بعض جمـال ،
يضيء هناك ظـلام المصـير !
سألتـك حقا ، جعلـت الحيـاة
سبيلا اليـه ، طـوال العصور !
ونورا يضمخ هـذي البرايـا ،
بطيب السلام ، ويمحو الغرور ...
ويلهـب فيهـا ظمـاء الـدهـور
لـكل جميل ، وحـق ، ونـور !

رشـاد دارغـوث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشـرق والغـرب

بقلم حسين علي الداقوقي

مفتش معارف كركوك بالعراق

مـا الشرق ؟ ومـا الغرب ؟

منـذ حوالي قرن من الزمان يدور الحديث عن اصحاب التغرب ومناصري الحضارة الغربية والاتجاه الغربي. وتقف ازاء هؤلاء فئة يتعلق افرادها بالشرقيات والحضارة الشرقية .

ماذا يفهم من كلمتي الشرق والغرب ؟ تفيد هاتـان الكلمتان قبل كل شيء مدلولين جغرافيين : بينما القـول باختلاف الشرق والغرب بالمعنى الجغرافي لا محل له لان تركيا مثلا بالنسبة لليونان شرق . كذلك ايران بالنسبـة لتركيا ، والصين بالنسبة لايران . وحتى امريكا بالنسبـة للصين شرق . واذا ما اتخذت خريطة بطليموس كأسـاس فتتضح حدود هذين الاقليمين اكثر اتضاحا . وفي هذه الحالة ايضا يصعب القطع في حدود الفصل بين الشرق والغرب

وفي غمار هذا الالتباس جرت منذ القديم عادة الفصل بين الشرق الادنى والاوسط والاقصى . وقد يخلص المتتبع في نهاية الامر الى ان اقليم الشرق يستعمل مقابل قـارة آسيا وهنا يتبادر الى الذهن : هل الحضارة الشرقية معناها حضارة اسيا او الحضارات التي تولدت في آسيا ؟ حينئذ تتجسم امام الانسان صعوبة الحكم على الحضارات الكائنة في آسيا كلها تحمل خصائص معينـة . فقـد تقدمـت الامبراطورية الصينية والحكم في اليابان في بيئتين تختلف ظروفهما اختلافا بيناوقد انتجتا بالتالي حضارتين مختلفتين كما ان قارة اوربا المعروفة بالغرب كانت حضارتها القديمة من حيث البيئة الاجتماعية تختلف اختلافا تاما عما هـي عليه الان . فان حضارات الشمال والجنوب ايضا عـلى الشاكلة نفسها تحمل سمات متباينة ، فلم تكتسب اوربـا طابع الوحدة الحضارية الا بعد عصر النهضة (الرينسانس) فقط بل يحدو بنا التتبع الى القول ان بعض ممالك اوربا لا تدخل ضمن هذه الوحدة الحضارية . وهذه الحالة تكشف لنا بان ليس هناك نوع من الحضـارة الشرقية او الحضارات الشرقية كذلك لا يمكن البحث عن حضارة واحدة موجودة في كل الازمان تعرف بالحضـارة الاوربية .

ان البحث عن الحضارات الشرقية والغربية كـان مقصدا لعديد من العلماء في الشرق والغرب . وكان اعتماد المحدثين من علماء الاسلام (١) في هذا الصدد على ما دبجه يراع ارنست رينان ودرابر ولورد كرومر ودوزي . وقد اتجه اعتمادهم في الايام الاخيرة نحو ما كتبه اخرون من الاوربيين امثال هنري ماس وبول فاليري وكيسرلنـج وغوستاف لوبون واوردالد شبنجلر وارنولد توينبي وول دورانت (٢) .

ان مسالة الشرق والغرب والمتعلقة عن كثب باقـوام حوض البحر الابيض المتوسط ينبغي الا تؤخذ بهذا التباعد الكبير ، فان جذور هذه المسالة تبدأ بانقسام الامبراطورية الرومانية الى قسمين شرقي وغربي . فالانقسام الـذي حصل في ٣٩٥ م. لم يكن انقساما اداريا ودينيا بحتا انما كان فرقة هامة ظهرت على اثرها الامبراطورية الشرقية او البيزنطية للعيان كوحدة سياسية واجتماعية . وعندمـا غدت المسيحية الديانة المشتركة لحضارة البحر المتوسط ، اخذت الكنيستان الارثوذكسية والكاثوليكية تمثلان الشرق والغرب . ولما تأسست الحضارة الاسلامية في القـرن الثامن ، بدا الشرق والغرب يعنيان الحضارتين الاسلاميـة والمسيحية . وكلما اكتسبت الدولة البيزنطية او رومـا الشرقية خصائص جديدة تحت تاثير ايران والاناضول ؛ وكلما بدات تظهر في روما الغربية النظم البلدية، والتنظيمات الجديدة المقاطعات ، وبوادر النظام الاقطاعي بعد غـزو القبائل الجرمانية ، اخذت شقة الفوارق بين الامبراطوريتين تتسع شيئا فشيئا وبدا التغاير في الاتجاهات الفكريـة تتبلور له خصائص معينـة الى حـد مـا ، في كل مـن العالمين . وبالرغم من كل ما اوردنا ، فمن الخطأ اعتبـار جانبي حضارة البحر المتوسط عالمين منفصلين تمـام

(١) محمد فريد وجدي : الاسلام في عصر العلم . القاهرة ١٩٠٥
احمد امين : الشرق والغرب ١٩٥٥
ومن الاتراك : حلمي ضياء : ملت وتاريخ شعوري ١٩٤٨
ومن الايرانيين : سيد احمد كسروي تبريزي : آيين . طهران ١٩٣٣
ومن الهند : اقبال علي خان : Islam and Europe. London. 1933.

وله ايضا : The truth about Islamic Decline. London 1934.
خدابخش : Contribution to the History of Islamic Civilization, Calcutta 1905.
Essay, Indian and Islamic, 1912.

(٢) راجع مؤلف البروفسور Z. V. Togan المشهور « اصـول

الانفصال ، لان بيزنطة ظلت تحافظ على علاقاتها مع الغرب خاصة وكانت تتبعها بلاد البلقان واحيانا قسم من ايطاليا . بينما كانت روما الغربية في اول امرها قد ادخلت ايطاليا واسبانيا من اوربا الجنوبية في حوزتها ، ثم شرعت تسيطر شيئا فشيئا على اوربا الوسطى والشمالية وبجانب ذلك كان بين العالمين تناظر وتماثل في الفنون الصناعية ووسائل الانتاج والاتجاهات العلمية . وجدير بالذكر ايضا ان الاديان الكبيرة الثلاثة ـ اليهودية والمسيحية والاسلام ـ قد نشأت بين الاقوام السامية وأرست قواعدها في ارجاء العالم . وهي مشتركة في جذورها وترتبط فيما بينها بروابط وعلائق واضحة في النتائج الفكرية التي اسلمت اليها .

اما الحروب الصليبية فانها كانت اصطداما بين العالمين : الاسلامي والمسيحي وقد اضفت هذه الحروب على تغيير في الشرق والغرب شكلا فظيعيا اكثر من ذي قبل ، الا ان هذا التعارض الحاصل من اصطدام العقيدتين لم يكن يعكس تضادا حقيقيا بين الشرق والغرب لان حضارة العصور الوسطى ـ بالرغم من الحروب الدينية ـ كانت تبرز خصائص معينة واسهم فيها كلا العالمين عالم الشرق وعالم الغرب. فكان يجمعهما مثلا نظامان في ادارة الاراضي يقرب الواحد من الاخر . ويربط بينهما طراز واحد من الصناعة وقواعد البناء ، وذوق واحد وشكل واحد من اشكال الحياة المعنوية المعروفة بذهنية (الامة) ، بدلا من التفريق بينهما . بل نستطيع ان نقول ان خصائص العالم الشرقي حتى عصر النهضة الاوربية لم تكن تختلف عما كان عليه خصائص العالم الغربي بفوارق كبيرة وسمات بارزة انما زاد التباين كثيرا وبدا الفصل النهائي واضحا بعد عصر النهضة الاوربية فقط (٣) .

اراء اربعة من علماء الغرب

نشر البروفسور كارل جاسبرز الالماني الاصل واحد اساتذة جامعة بال في سويسرة عام ١٩٤٩ مؤلفا بعنوان (منشأ التاريخ وهدفه) استعرض فيه اقليم حوض البحر الابيض المتوسط واعتبره من جملة بلاد الغرب . وقد اورد اراء وافكارا في صدد الفروق بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية نوجزها فيما يلي :

١ ـ تعرض بلاد الغرب تنوعا كبيرا في خصائصها الجغرافية بالنسبة لممالك الصين والهند البرية المسدودة . ففي انحاء بلاد الغرب اشكال جغرافية عديدة وظواهر متنوعة كاشباه الجزر والصحاري والواحات واقليم البحر الابيض وبلاد جبال الالب الشمالية وما الى ذلك . وتبعا لسواحلها الطويلة المترامية الانحاء يوجد تنوع في الاقوام واللغات . وبجانب كل هذه الاختلافات فثمة وحدة حضارية تظهر بكل جلاء ووضوح .

٢ ـ يألف الغرب فكرة الحرية السياسية التي لا تعرفها بلاد الصين والهند بهذا المعنى السياسي ، لان هذه الحرية المولودة في بلاد الاغريق لم تظهر الى العيان في البلاد الاخرى من العالم ولو بعض الوقت . فلا عهد للشرق بها .

٣ ـ وبتعابير مختصرة توجد في الغرب الحرية ، والادعاء بالشخصية ، والشعور الوضاح . اما الشرق فيوجد فيه شكل الاستبداد المخيم على الوجود . ولايتوفر فيه التاريخ ، ولا تيسرت في ارجائه وجهة نظر صريحة بينه نظير وجهة الاقطاعيين في اوربا العصور الوسطى او كوجهة نظر الثوار اثناء الثورة الفرنسية .

وثمة آراء لاربعة من علماء الغرب تعرب عن وجهة نظر فريق من مفكري الغرب حول خصائص الشرق والغرب والعلاقات الحضارية بينهما . فقد صدرت محاضرتان في ١٩٣٥ للمستشرقين المعروفين: السير دينسن روس الانكليزي وهـ. شيدر الالماني حول موضوع (نحن والشرق) . وكذلك ذاعت في عام ١٩٤٧ كتابات الفيلسوف الفرنسي المعاصر L. Brunsebvieg والمفكر الالماني السالف الذكر كارل جاسبرز حول موضوع (الذهنية الاوربية) . فرأوا ان الذهنية الاوربية بدأت بالقواعد التي عرضتها علوم اليونان الرياضية والطبيعية وبكتابات اكستيفون النقدية حول العقائد ، وبعد ان تراوحت هذه الذهنية عصورا طوالا تجددت بحركة النهضة الاوربية الحديثة . وقد كان مبعثها ومبعث الروح الغربية الذكاء اليوناني الغالب والحياة الاجتماعية والحقوقية الرومانيتين .

تتضارب في العالم الغربي العقائد والافكار وانواع الاراء . وفي هذا العالم ايضا مجال فسيح وترحيب صحيح للانتقادات المرة الوجيعة . وبهذه الامور يظهر في ربوعه البعث وتدب في ارجائه الحياة .

لاتعرف الروح الغربية سكونا او قرارا ، وقد دأبت في كل تغيراتها وتحولاتها على تصحيح النظريات في مختلف الميادين العلمية ، فتركت الرديئة من هذه النظريات ، واحتفظت بالجيدة فقط . ومما يستوقف النظر ويسترعي الانتباه ان الغرب يحبذ ان يفهم كل شيء مباشرة من غير واسطة ، مستندا في ذلك الى العقل ، وعلى هذه الشاكلة يجري وراء الاكتشافات . ان الايمان بقوة الخلق والابداع هو صفة الغرب الرئيسية ، وها هو الغرب اليوم قد عرف الحضارة المتخذة كيانا عالميا شاملا ، وادرك اهدافها ، وما برح بجانب كل ذلك يخلق ويبتكر، ويكمل بكل ما يخلقه حديثا ما قد خلقه آنفا . ولما كان مستيقنا انه حاكم العالم وخالق الحضارة العالمية ، اخذ بوضع العالم تحت اشرافه المتواصل، وازجائهم تحت مراقبته الدائمة ببحوثه ومطبوعاته .

قام السر دنيسون دوس برحلة في انحاء الشرق الادنى

البحث في التاريخ) (٢) الاستاذ H. Z. Ulken

ـ الفكر الاسلامي (المقدمة)

ـ الشعب والشعور التاريخي ص ١١ ـ ١٦

(٤) (اصول البحث في التاريخ) ص XII وما بعدها للاستاذ Z. V. Togan

(٥) رسالة (الشرق والغرب) للاستاذ Ulken

(٦) نشر الاستاذ Ulken نص محاضرته في مجلة علم الاجتماع (العدد السابع) تحت عنوان : L'Orient et l'Occident 5-22.

(٧) W. C. Smith ; Modern turkey, Islamic Reformation. P. 41

(٨) راجع : (فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي يتجدد) ص ١٦٥ من منشورات الجامعة الامريكية ببيروت و (الوعي التربوي في الشرق العربي) للدكتور جورج شهلا وزملائه ص ٢٤ . ومقالات الدكتور نبيه امين فارس في مجلة العلوم لسنة ٩٥٦ و٩٥٧ وكتابه (هذا العالم العربي). وكتاب الاستاذ احمد امين (الشرق والغرب) ١٩٥٥ . وتوجد معلومات

عام ١٩٢٩ وعرض مشاهداته وانطباعاته حول تقدم الغرب على الشرق في ميدان الفكر . وزعم ان هذا التفوق قد بلغ مراقي عظيمة ، وغدا امرا ابديا . ثم استرسل قائلا (يتعلم الشرق منا الفنون الصناعية (التكنيك) ومنهج البحث العلمي ، وسيبقى الغرب دوما المهيمن على توجيه كل المحاولات التي سيبديها المشرق ، وسيتولى الغرب هو الاخر بتخطيط خرائط بلاد الشرق وبوضع الوانها ، وبتحديد قيمة الحياة التي يحياها الشرقيون في الوقت الحاضر ، وبتحديد مساعيهم ايضا . اضف الى ما ذكر ان الشرقيين اخذوا بالالفباء اللاتيني ويعني ذلك ان الشرق سيظل رهن دلالة الغرب في ميدان المعنويات ايضا ، فضلا عن الفنون الصناعية . ان ذهنية اوربا ومنهج بحثها من خصائص الاوربيين فاذا ما ادعى عدد من الشرقيين ان هذه الامور قسما او كليا لهم فذلك امر لا يغير من بينات الوضع كما يدعون .

نقاط الضعف في هذه الاراء :

لا شك ان اكثر ما في هذه الاراء لا يرتضيه المنطق الحديث لان من اعمل النظر فيها تبين له اثار المبالغة بكل جلاء . وثمة كثير من الكتاب توسعوا في هذه الناحية ما شاءت قرائحهم واهواؤهم في التعلق بما لديهم وفي التملق للبعض من المتعصبين الاوربيين .

فالتفوق الاوربي كما يقول الاستاذ توجان يفسر بعوامل عديدة كالعامل الجغرافي وكثافة النفوس والاستكشافات الجغرافية وما اليها . كل هذه العوامل لعبت دورها وتركت اثارها في هذا الشأن .

اما استعمال الحروف اللاتينية فلا يعتبر من ظواهر الاسار الفكري الذي ذكره روس ، انما كان ذريعة للحاق باوربا والسير معها كتفا بكتف . هذا وقد اغفل هؤلاء الباحثون اثار الحضارة الاسلامية والبيزنطية ومدى اسهامها في النهضة الاوربية الحديثة .

ان تفوق الغرب على الشرق ، على كل حال ، ليس بمسألة ثلاثة الاف سنة ، انما كان وليد عوامل فعالة ظهرت في العصور الخمسة الاخيرة واستتبعت ذهنية الخلق Esprit de Création وتمكين فكرة الاصالة Originalité في الانتاج والدقة في العمل .

اما الشرق فقد تنور بالنظريات الحديثة بعدما اصابه تخلف حضاري وانتشر فيه الشعور بالنقص امدا طويلا . فقد ذاعت في انحائه المؤلفات الاوربية والامريكية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها وكلها تدعو الى خلاف نظرية التفوق العنصري . فأدرك ان في العالم الشرقي اجناسا آرية كالهنود والايرانيين وغيرهم نظائر الاوربيين من حيث الجنس ، وفي الجانب الاخر توجد في اوربا اقوام كالمجريين والفنلنديين والاستونيين وكلهم من جماعات اورال ـ الطاي . وبدا الشرق يأخذ باسباب الحضارة ويغترفها من ارقى مناهلها . وعلى الشرق اليوم ان يتذرع بالتربية المنظمة القائمة على تصميم علمي دقيق تعمل على بث الذهنية الخلاقة والدقة والعناية في العمل ، وفكرة الاصالة في الانتاج ، وتعمل ايضا على مكافحة روح التدني والشعور بالنقص وعدم الدقة في اداء العمل . وبهذه الوسائل تزول فروق حضارة غربية وشرقية وستكون اليابان بالنسبة لامريكا غربا وتكون فرنسا بالنسبة لاسبانيا شرقا (٤)

احدث ما قيل عن الشرق والغرب

انعقد مؤتمر دولي في نيودلهي شتاء ١٩٥١ تناول في جلساته ومحاضراته موضوع دراسة توفيقية دولية في مسائل النظم التربوية التي يمكن التوسل بها في التقريب بين وجهات الايديال الانساني في الشرق والغرب. وقد القيت في المؤتمر عدة محاضرات تعرض اصحابها الى المثل الانسانية والخصائص البارزة في العالمين . نستخلص منها ما نراه مناسبا وموضوع مقالنا بغية الاضافة والافادة .

طرح الاستاذ ا. بكان على بساط البحث الاسس الرئيسية لقضايا الشرق والغرب . وابان بان الحضارات لا تسير على غرار واحد لان اختلاف الازمنة يسلم الى اختلاف العبقريات الحضارية . اما فيما يتعلق بالازمات الاجتماعية المستحكمة الان فانها شائعة في الشرق والغرب ، كما ان هناك ازمات مادية واخلاقية وفكرية متقابلة موجودة في العالمين كليهما ، وحدثت مثيلاتها في جميع ادوار التاريخ . غير ان الناحية المهمة هي قضية زيادة السكان التي افضت الى عدم تكافؤ هذه الاحوال وتعادلها ، والى الزيادة منها او النقصان عنها . واكد المحاضر اخيرا على ضرورة اهتمام التربية بشؤون الانسان الداخلية لان الانسان وقع اسير الارقام واضاع صوابه وارادته .

وكان من جملة المحاضرين في المؤتمر ا. روسو وذهب الى ان القضية الاساسية هي التقريب بين الشرق والغرب فكلما تزداد الوقائع شدة ويتفاقم امرها تمس الحاجة الى

صدر حديثا :

الامارات السبع

على الساحل الاخضر

عرض جغرافي وتاريخي وسياسي واجتماعي واقتصادي لهذا الجزء المجهول تقريبا من الجزيرة العربية

مع اربعين صورة مختلفة وخارطة كبيرة ملونة

منشورات دار الحكمة بيروت

محطة رينو ـ بناية تامر

وفيرة حول موقف الفكر العربي تجاه الحضارة الحديثة في المؤلفين التاليين : من منشورات جامعة برستن
Near Estern Culture and Society
وقد نقل معظم بحوثه الى العربية الدكتور محمد خلف الله تحت عنوان (الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة)
(الفصل الاخير منه) G. E. Von Grunebaum ; Islam. 1954

تلافيها والهيمنة عليها . بل وتزداد هذه الحاجة وضوحا وجلاء . فقد برر الغرب سيطرته على الشرق معتبرا نفسه استاذ الحضارة التي في حوزته وممثلها . ويقوم هو الاخر بتشييد بنيانها ورفع اركانها في كل قطر يدخل فيه . الا ان هذه الادعاءات والحجج الواهية لاجل السيطرة غلظت على الشرق فاستشاط غضبا ، واستغل الظروف المواتية له والعوامل الميسرة لنهضته . فنهض فعلا من سباته وجد في تحرره ، ولم يكن تحرره واستقلاله حائلا دون اقتباسه عناصر الحضارة الغربية ، انما وجد فيها دعائم حضارته المستقبلة وعناصر مهمة في انشائها . اما الغرب فقد بدأ يفقد قواعد حضارته الروحية اثناء ثورته الصناعية فما حصل من ظواهر التقدم في الجوانب المعنوية لم يكن يعادل التقدم العظيم الذي احرزه في الجانب المادي وانتاجه الميكانيكي . وحصلت الطامة الكبرى حين اعتبر الغرب الفنون الصناعية مقياس الحضارة ، ولقن غيره بهذا الاعتبار واندفع وراء علومه المادية والعقلية دون الناحية الروحية ، الى ان تكشفت الحالة عن حاجات اخرى اساسية ونواقص حيوية مهمة مما دفع الغرب الى انماء المعنويات ، وليس ذاك كما يظهر ، بالامر السهل اليسير لانه يقتضي احداث انقلاب كبير لتفادي نواقص عظيمة في مجال المعنويات ويحرز التقدم المنشود في هذا الشأن .

واورد الدكتور هـ. فون كلازناب (توبنجن) بان اربع حضارات تتوزع وجه البسيطة في الوقت الحاضر ، وهي : حضارة الشرق الاقصى وحضارة الهند وحضارة الاسلام والحضارة الغربية ولكل واحدة منها فلسفة راقية (٥) كذلك كان البروفسور هـ.ز. اوكلن احد المحاضرين في المؤتمر فالقى محاضرة ضافية تناول فيها الموضوع باوفى بيان واهم شرح اشار فيها الى ان الذهنية الانطوائية ابعدت الشرق عن الواقعية ، ومضت عصور على الشرق والغرب وهي تحمل اختلافا بين الاثنين حتى العصور الحديثة حين بدت رغبة التوفيق تستجلس لدى العالمين . فالشرقي يريد ان يتقرب ويتسم بالعقلية العلمية الغربية ، كما يحاول الغربي ان يحل الازمة المعنوية التي يعانيها ويتقرى عواملها . لا نعني بهذا القول ان هناك انفصالا تاما بين العالمين في دور معين من ادوار التاريخ ، فقد ضربت حضارة اليونان والاسلام مثلا في اجتياز عقبة التعارض بين العالمين . فوفق الاسلام بين النظرة اليونانية الفائقة وبين النظرة السامية المبدعة الخالقة كذلك خطت اليابان اخيرا خطواتها الجريئة الواسعة حين ارادت تقريب الروح الشرقية بشكل اخر من الغرب .

ومما يستلزم التنويه به في هذا الصدد وجود احكام سابقة تشكل اسبابا لعدم التفاهم بين الشرق والغرب ، اخصها اولا : الاعتقاد بفكرة الثقافة المغلقة وعدم امكانية النفوذ الى هذه الدائرة المغلقة من جهة غريبة عنها . وثانيا: اصطدام الوطنيات والاعتقاد بانحطاط الاقوام القديمة بينما الحقيقة في هذا المجال واضحة نيرة تكشف ان الثقافات ليست بمناطق مغلقة انما هي ثمرة التأثيرات المتبادلة بين المجتمعات الانسانية ، فتبحث كل منطقة ثقافية عن مخارج لمحاصيلها المعنوية والمادية وتقفو البلاد المستوردة اثار البلاد المصدرة فتتحول من التلمذة الى مرحلة الاستاذية ، وتتغير بالتالي مراكز الثقل الثقافي .

اما الحركة الوطنية في الحضار الحديثة ، فانها تسند الثقافة وتدعمها ، بل وتستحثها ولا تقف ابدا عقبة كؤود في سبيل انتشارها . ولعل مرد هذه الاحكام والاراء يرجع الى عدم حصول التمازج التام بين الشرق والغرب من غير تنافر . اذ لا زالت اثار الانطواء على النفس او الشعور بالنقص ، والفقر في الفنون الصناعية والمعارف الاخرى الكثيرة ماثلة للعيان في انحاء الشرق دون ان تمحى . ولا زال الغرب يهدم نفسه بنفسه ويسيء الى مزايا كثيرة يتحلى بها من دون ترو وتؤدة . الا ان ما يدعو الى البشر والاغتباط هو امنية الوصول الى الاتفاق في المستقبل القريب (٦).

ويستدل من كل ما اسلفنا ان اقليم الحضارة الغربية ليست له حدود قطعية في الوقت الحاضر . فلا يمكن والحالة هذه قصر الحضارة الغربية على ممالك معينة وعلى قارة معينة . وليس بخاف ان ايطاليا واسبانيا كانتا مهد الحضارة الغربية ومصدر اشعاعها ايام عصر النهضة (الرينسانس) ، غير انهما اخذتا تفقدان تقدمها المضطرد بعد القرن السابع عشر . فتقدمتهما دول جديدة انطلقت نحو المحيط الاطلسي كانكلترا وهولندة ، كما احرزت دول اخرى قصب السبق في هذا الميدان امثال الولايات المتحدة ودول اوربا الوسطى والشمالية . كذلك انتهجت اليابان(٧) نهج هذه الدول وسلكت طريق النجاح . وعلى ذلك يكون التشدق بـ « نحن الشرقيين » و « الشرق لا يتغير ابدا » ضربا من فضول القول وعثرة من عثرات الكلام . وكذا الامعان في (التغرب) واقتباس كل ما هو اوربي ، بغض النظر عن كل العيوب ، اتجاه اعواره ظاهرة وخطله بين ؛ انما الصحيح ان نقتبس ما هو صالح لنا . والرقي في الفن مثلا معناه الوصول الى مقياس نظرة عالمية وذوق الحضارة العالمية ويراد به ايضا نفس المعنى في العلم والفنون الصناعية (التكنيك) بل في جميع ما تعارفنا عليه من نظم وعادات وتقاليد من طرائق في الاكل والوانه والزيارات وربط العلاقات الاجتماعية واللغة والتفكير اي في جميع مظاهر الحياة : وكما تنورت اوربا زمنا باشعة انبثقت من الشرق الادنى ، كذلك من الضروري الاستنارة بكل ما هو صالح لنا وراق . ويكاد ان يتفق مفكرو الشرق العربي على القول (اذا اراد المجتمع المتحضر ان يكتب له البقاء والاستمرار فلا بد له من الاحتفاظ بتراثه الثقافي وصيانته من الضياع والاندثار . ويكاد الراي في الوسط الفكري نحو القول من الخير ان لا ننسى اصولنا ونحتفظ بطابعنا شريطة ان نعزز تراثنا الثقافي . فاذا وقف عند حد المحافظة على هذا التراث ولم يسع لتجديده مجاراة لروح العصر كان مجتمعنا رجعيا وكان مثله مثل بركة الماء التي اذا لم تجدد مياهها من حين الى اخر اصبحت فاسدة موبوءة فطريق التقدم لنا واضحة نيرة وهي الاقبال على العلم الحديث واغتراف من مناهله دون تردد وتأجيل والمبادرة الى استخراج العبر والافادة من العلاقات بالدول والشعوب الاخرى على ان نعير اهتماما الى الناحية التطبيقية دون ان نخوض في المسائل الغيبية ولاسيما ولنا تراثنا الزاخر الكثير الوافي من الحكمة والالهام والقيم والمقاييس نستمد منها الاهداف القصوى والمثل العليا التي من شأنها ان توجه حياتنا (٧) .

العراق ـ كركوك **حسين علي الداقوقي**

شـــهـــوة

لعدنان مردم بك

دمشق

انتِ افعمت بالاسى كأس عمري ... وحجبت اليقين عن مقلتيا
ورسمت الضلال والغي طهرا ... وجلال العفاف جدبا زريا
واثرت اللذات من مكمن الصدر ... جحيما يشع في ناظريا
تتلوين في دمي كلديغ ... هدهدته الادواء نشرا وطيا
وتثورين في عروقي كالانواء ... حتى تنوء بي قدميا
سكرات اللذات تفعم صدري ... وشواظ الجحيم في شفتيا
ازفر ازفرة الكئيبة حتى ... لاخال الممات في زفرتيا
واعض البنان من حرق الشوق ... وشوقي في اضلعي كان حيا
يقظ الحس للوثوب كأفعى ... شحذت للوثوب نابا قويا
شعل النار جاثمات بعيني ... وفحيح البغاء في اذنيا
انا في قبضة الغواية عبد ... واسير الاهواء كان شقيا

حمم طي اضلعي ... تلفظ النار والشرر
سعرتها لذائذ ... وزكا لهبها النظر

اترعي الكأس يا بغي دهاقا ... ودعيني اغب من كاساتي
عل هذي الكؤوس تروي غليلي ... من جحيم الاهواء والشهوات
فأفاعي اللذات في الصدر ظمأى ... لاتيم العناق والقبلات
واذا ما المدام شلت يميني ... عن تعاطي الكؤوس والحركات
فاسقنيها من كفك البض صرفا ... واتبعيها بالتسع والعشرات
طبعت اكؤس الطلا فوق ثغري ... قبلات اثيمة دنسات
لثمة الكأس ثلمة فوق ثغري ... هي كالنار جمة اللذعات
لم تكن هذه الكؤوس لتطفي ... من فؤادي لواعج الزفرات
يشرب المرء في الحياة ليحيا ... بالاماني ونشوة الذكريات
وكرعت المدام صرفا لانسى ... ما ذوى امس من نضير حياتي
ينشد المرء في الحياة خلودا ... وخلودي نشدته بمماتي

قربي الكأس والوتر ... فهما غاية الوطر
خفضي عنك واصبري ... فاخو الحزم من صبر

ما لجفني مهد وفؤادي ... يتلظى من جمرة الاشواق
اتراه ناقوس حزن بصدري ... فله الدهر زفرة المشتاق
ينفث الشهقة الكئيبة حمراء ... تشب النيران بين التراقي
فأخال الفؤاد جذوة جمر ... فاصر الضلوع من اشفاقي
ويح قلبي كم ذا من العيش لاقى ... من غضون الاسى وكم سيلاقي
ما لقلبي والذكريات فاني ... قد هجرت الحبيب هجر الفراق
اترعي الكأس يا بغي وصبي ... ما تبقى من سؤرة في الزقاق
لا تقولي غد فان لنا اليوم ... واما غد فللخلاق
ما الذي تسكبين في اكؤسي الحمر ... من الداء والاسى والنفاق
نطف تبعث الندامة في القلب ... وتجري الدموع من آماقي
كنت فيها كمطفىء النار بالنار ... ومغري اللهيب بالاحراق

اتعس الناس عاقل ... امعن الرأي في البشر
سعد الغافل الذي ... حرم القلب والبصر

رجل المبادئ، احمد زكي ابو شادي

بقلم وديع فلسطين

نعمت سنوات خلت بمودة صافية موحية ملهمة هي مودة الشاعر الحي احمد زكي ابو شادي(١) شاعر حر من هامة الراس الى اقمص القدم ، ناى بنفسه عن الدنايا ، ودان بجمهرة من المبادىء السامية المتسامية ، وآمن بالكلمة رسول خير بين الناس ، وهام بالشعر هيام متفان متعبد متنسك ، وتخذ الفن متعة للنفس وجلوة للروح ورسالة في الحياة ؛ وعاش حياة مادية اربت على ثلاث وستين سنة ، اما حياته الادبية وفلسفته الشافية للنفس ، ومثله المتطاولة المترفعة ... اما هذه جميعا فخالدات كملاحم الاغريق ، تستمد منها مواكب الاجيال ثقة متجددة بغلبة الفضيلة اخر الامر وان طال زمان فوز الرذيلة واستطال .

احمد زكي ابو شادي رجل من فولاذ حين يختصم على امر من امور المباديء والاخلاق ، فهو عصي عنيد صلب العود لا يلين ولا ينثني . ولكنه يصبح كالطفل في رقة القلب حين يصادف موقفا انسانيا او حين تعرض عاطفة نبيلة صادقة من عواطف البشر السنية . فهو شاعر المبدأ الذي يذود عنه ولا يحيد ، وهو شاعر الحب المتيم يعيش بحسه ويعيش بعاطفته ولا يكتم في صدره عشقا متأججا . وشعره كحياته ، غضبات على الاساءة لا هوادة فيها ، ورقة ازاء الاحسان والحنان والعطف لا منتهى لها . فحياته من عقيدته ، وعمره وقف على مبادئه ، وفي هذا يقول :

انا ابن عقيدتي وسليل فكري ... ولست بنيت ارض او سماء

ويقول كذلك :

اني امرؤ احيا لان عقيدتي ... تحيا ، ولست بمن يدنس مرقمي

ويخاطب نفسه قائلا :

اياك اياك يا نفسي مهادنة ... للظلم ، او فاقبعي في سجن ظلام

وينتصر للحق فيقول :

هيهات ارضى ان اساوم مرة ... في الحق او ارضى به مدحورا

ويوجز رسالته الادبية قائلا :

لابذلن الذي اغليت من ادبي ... نارا تصب على رجس الشياطين

ويردد ايضا :

اقول الحق مغتبطا ... ولو ادى الى الغرم
وقول الحق قديصمي ... ونشر الحق قد يدمي

فابو شادي لا يدنس مرقمه ، ولا يهادن الظلم ، ولا يساوم في الحق مرة ، ولا يرضى بالحق مدحورا . وهو يصب جام غضبه وادبه على رجس الشياطين اغتباطا منه بقول الحق ، ولو ادى الى الغرم او ادمى منه الفؤاد . وهو في اعتناقه لمبادئه يجلجل بصوت الحق ولا يبالي ، كانه قائد في عراك ناشب حام ، او جلاد يؤدب بسياطه المارقين

ولكن هذا الوجه المتجهم المحتقن الفظ سرعان ما يبين عن ابتسامات متوهجة الاشراق حين يذكر امامه لفظ الحب او يجيء في محضره حديث الجمال . فابو شادي سريع الاستجابة للفضائل جميعا ، وقد عاش حياته كلها يدعو الى الحب ويشيد بالجمال ويرنم اعذب قصيد في التغني بمباهج الحياة ، حتى اذا ما

قالوا : « حسدنا فيك روحا دائما ... غضا ، فما فت الشباب الثاني ! »

رد عليهم بقوله :

لم لا ، وما عرف الوجود تشاؤمي ... الا وصار تفاؤلي المتفاني ؟
لم لا ، وما بددت عمري عابثا ... بل صنته لمواهب الفنان ؟
لم لا ، وقد شرب الجمال تعففي ... وسما الى ملكوته احساني ؟
لم لا ، وتلك عواطفي مشبوبة ... كتوهج الازهار في نيسان ؟
لم لا ، وقد ابدعت الحان الصبا ... من مهجتي ، فتالقت الحاني ؟
لم لا ، وكلي بسمة وتودد ... للكون والاحياء والانسان ؟
لم لا ، وعمري فوق اعمار الهوى ... بتصوفي وتبتلي وحناني ؟
لم لا ، وما دنست روحي مرة ... بتذبذب ، وحفظت طهر كياني ؟
.....
ابكي واضحك ، والدموع تبسمي ... وانين ، والانات من غفراني

فان قيل له : من انت ؟ كان جوابه :

(١) ذكرى انقضاء عامين على وفاته في ١٢ ابريل ١٩٥٥ .

انا معنى من السلام ، من النور ، من الحق والعلى ، لا التدني

وان سئل : ما موطنك ؟ قال :

كل ارض انبتت لي منبرا هي ارضي ، وهي شمس وظلال

وان يساوه لمسلكه تعليلا ، قال :

ذاك صدري : هو السماحة والرحمة للعالمين رغم التجني

فابو شادي شاعر ذو مبدأ وعقيدة ، وشعره جميعا ، وان ملأ بضعة وعشرين ديوانا ، يدور حول مبادئه التي لا انحراف له عنها ولا تفريط في شيء منها . وبسبب هذه المباديء ، هجر بلاده والحسرة تأكل صدره ، و « قلبه ذائب حرقا » ، وبسبب صلابته وعناده في الترويج لفلسفته التي قوامها الحب التسامح والرافة والتعاون ونبذ الاحقاد قصد العالم الجديد نشدانا لحياة افضل . ولم يكد يبلغ الشاطيء الامريكي حتى عاوده الحنين الى مراتع صباه ومصادر الهامه ومهوى فؤاده ، فترنم بمصر التي ارادها ، بمصر التي قال فيها :

اقبل تربك المعبود برا والثم راية لك لا تبيد

وتغنى بمصر التي تمناها « ملجأ الاحرار دوما » ، مصر التي له في ثراها « دمع نائح ودم اذيب من مهجته اللهفى ونيرانه » (١) مصر التي «عادت تقتفي مجدها الاسمى» وكان في كل ما نظم عن موطنه الاول الناصح الامين والموجه الحكيم الذي يشفق على بلاده من ان تتنازعها الخطوب وتحل بها المحن الضاريات ، فتمنى لها ان تتجنب مواطن الزلل ، وان تهيء للانسان كرامة هي مصدر الهناءة ومبعث الحمية الدافقة

وقد يدعين مدع ان ابا شادي كان من دعاة الهزيمة ففر الى حيث ينشد سكينة النفس ورغد العيش بعيدا عن الارض التي انبتته ورعت شاعريته وعاصرت ما احرزه من مجد ادبي سامق . ولكن هذا الادعاء ظاهر التحامل ، اذ رضي ابو شادي ان يترك كل هذا المجد وراءه ، وان يبدا من نقطة الصفر في بلاد جديدة عليه وبين قوم لا ينطقون بضاد ، راضيا بهذا الكفاح قانعا ، فهو في عرفه خير من راحة ينتجعها بين ارباب المصانعة والملق . وهناك ، اقام ابو شادي على الكفاح الذي بداه بين الاهل والآل ،واستأنفه عبر المحيط ، وصار يبعث النداء تلو النداء والتحذير بعد التحذير بصوت مدو كعهده ، يرى الامور بمنظار لا تغشاه غاشية من منفعة ولا يشوبه ظل من هوى ، فنظم الخواند الشامخات « الكركدن » (٢) و « جنون البستاني » (٣) و « الاخطبوط » (٤) و « كافور الابيض » (٥) وكلها حملة على الانحلال ودعوة الى الارعواء ، ونداء الى تبديل المقاييس الاجتماعية والادبية تبديلا جذريا بعد ان عرا الموازين خلل مستطير . فلم يكن ابو شادي انهزاميا ، ولا كان ممن يؤثرون السلامة والعيش الهين ، بل كان رجل مباديء ، ان عز ان يعلنها في الوطن ، فليعلنها في المهجر ، وصوت المهاجر يخرق اذني من له للسمع اذنان .

وشعر ابي شادي مرآة نفسه ومرآة عقائده ، ومعرض لمشاعره على توالي مراحل الحياة . ولكن هذا الشعر لا يتنابذ في موضوع المباديء ، بل يتسم بالتجانس المتصل ، لان المباديء لا تتلون ان كان صاحبها حارسا عليها مؤمنا بها اصدق الايمان ، وهي مباديء ان استخلصناها من شعر ابي شادي تمثلت في معاني الحب والجمال والحرية والانسانية والعدالة . وايا كان الموضوع الذي يعالجه ابو شادي شعرا ، فلا بد ان يفرغ فيه هذه المعاني مجتمعة او غير مجتمعة ، فالشعر عنده سبيل الى تمجيد الفضيلة ، ولم يعرف ابو شادي الشعر ابدا على انه سبيل الى استدرار المنافع عاجلة كانت او آجلة .

فلئن مات رجل المباديء بجسمه الفاني ، فهو بيننا حي بآيات فنه وبدائع تغريداته .

القاهرة — وديع فلسطين

(١) اودع الشاعر جثمان زوجته ارض مصر قبيل رحيله الى الولايات المتحدة الامريكية عقب الحرب الاخيرة .

(٢) نشرت هذه القصيدة في الطبعة الاولى من كتاب « رائد الشعر الحديث » للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي .

(٣) الاديب ، سبتمبر ١٩٥٠

(٤) الجزء ٢ من الطبعة الثانية من كتاب « رائد الشعر الحديث » للخفاجي ، ص ٣٣٢

(٥) الجزء ٢ من الطبعة الثانية من كتاب « رائد الشعر الحديث » ٣٤٩ — ٣٥٠

صدرت الطبعة الثانية من :

شلال الاسود

لمحمد الصباغ

نفدت الطبعة الاولى في شهر

صدر هذا الكتاب في تطوان بالمغرب وقد خلد بين صفحاته معركة التحرير المغربية منذ نفي بطلها محمد الخامس الى توحيد التراب المغربي .

قصة سورية

طفل ... بلا أم

بقلم فاضل السباعي

كانت الحافلة تصعد «جادةالخندق» وقت الضحى لاهثة تنساب على شريطين من الحديد كالحيةهاجها الحر الشديد ... وكان في مقصورة النساء قرب النافذة صبية متبرقعة تتزيا بالملاءة الزم ، تتسلى بالنظر من خلف نقابها الى الطريق .. في حين جلست الى يسارها امرأة في مثل زيها ، في حجرها طفل رضيع في قماط ازرق اللون حائل ، وقد تسلط الكرى على جفنيه فهو لم يسمع له حس منذ صعدت امه الى الحافلة في « باب الفرج » من موقفين .. والى النافذة اليسرى انفردت بالجلوس سيدة مليحة ترتدي حلة حريرية قشيبة ، على راسها « اشارب » مزهر هفهاف تتموج اطرافه وفق نسمات الهواء تهب الى النافذة في مسير الحافلة .

ووصلت الحافلة الى منتهى جادة الخندق ، واستوت تسير متمهلة الى ان سكتت نأمتها على « المقص » في موقف « باب النصر » .. وكان عليها ان تنتظر بعض الوقت ريثما تقبل الحافلة القادمة من « باب الحديد » لتستانف مسيرها من جديد .

واقتحمت المقصورة اصوات الباعة على الرصيف .. بائع الصحف ينادي على ما لم يسمع به الناس من اخبار .. وبائع اللعب يأسى على الاباء الذين يفوتون على صغارهم فرحة تبل القلوب .. بينما وقف سواس كهل على الرصيف يناول العطاش كأسا مترعة أثر اخرى ويهرع الى طاساته النحاسية اللامعة يرقصها بأناملة الخفيفة الماهرة فيصدر عنها رنين يغري الاسماع والانظار ويسيل له ـ على البعد ـ اللعاب في الحلوق .

وتململت في موضعها المراة ذات الطفل . وتلفتت يمينها صوب الصبية ثم قامت الى النافذة واطلت تستطلع خبر الحافلة المنتظرة فما عثرت لها في طول الشارع امامها على اثر . فارتدت الى موضعها والقت الى الطفل نظرا كليلا .. ولكنها لم تلبث ان التفتت الى الصبية وقالت بلهجة ادنى الى الاستعطاف :

ـ بنتي .. الله يرضى عليك .. خلي هذا الطفل في حضنك دقيقتين .. ساخطف رجلي في وصلة قصيرة لهنا ريثما تمشي الحافلة ! ..

ولم تدع للصبية فرصة للتفكير ، وانما هي دفعت اليها على الفوربالطفل في قماطه الازرق ، فتلقته هذه في حيرة وذهول دون ان تنبس بكلمة . وانسلت المراة من الحافلة بخفة لا تلوي على شيء .

واخذت الصبية تمعن في الطفل بين يديها .. انه حديث الولادة فيما يبدو ، فوجهه دقيق محمر لم تكتمل بعد قسماته .. انها لا تشعر نحوه بأي احساس حنان ، بل لعلها تحس بالنفور منه وعدم الارتياح .. ترى ، أكانت تشعر بمثل ذلك لو كان الطفل لها ؟ انها لم تذق احساس الامومة بعد ، ولكنهن يقلن بان الوليد يلد ومعه ولع امه به .

وصعدت نسوة احتللن المقاعد الخالية في مقصورة النساء .. واقبلت الحافلة من باب الحديد يلعلع الجرس تحت قدم سائقها كانه نذير شؤم .. وزمر « الجابي » مؤذنا للسائق بالمسير ، والمراة صاحبة الطفل لم تبن بعد .. ولما تحركت الحافلة تبغي ان تغذ في مسيرها ، هبت الصبية من موضعها والطفل بين يديها ، وصاحت بالجابي بصوت حيي راعش :

ـ « وقف » عمو .. وقف .. الله يخليك ..

فبدا الضيق على وجه الجابي وقد حسب انها من اولئك الذين لا يفطنون للنزول الا والحافلة تسير : وزمر للسائق تزميرة الوقوف ، وقال نافذ الصبر :

ـ شرفي انزلي ، يا ستي ! ..

فقالت مستجمعة شتات نفسها :

ـ هالولد .. تركته امه ونزلت هنا ! ..

فاشرابت اليها اعناق النسوة في المقصورة متطلعات متشوفات .. في حين ارتسمت دلائل الاهتمام على محيا الجابي ، وقال يستفحصها :

ـ يعني ؟

ـ قالت لي .. ستصل وصلة وتعود !..

وعلا صوت السائق يهيب بالجابي ان يزمر ، بينما كانت طاسات السواس لا ينقطع لها رنين .. وتدخلت السيدة ذات الاشارب تشهد على صحة ما تقول الصبية .. واطل الجابي من النافذة يستطلع خبر الام ...

وقالت الصبية متأففة :

ـ اف .. العمى على هالشغلة ! .

وهمت بان ترقد الطفل في موضعها وتمضي .. لولا ان صاح بها الجابي جادا :

ـ خذي الولد ، يا حرمة .. انا وظيفتي جابي وليس مسكت اطفال!.

وعلت قهقهات رجال من خلف .. ونفخ الجابي في زمارته ، فسارت الحافلة تتهادى . وعادت الصبية الى موضعها من المقصورة وعيناها تتنقلان بين وجوه الراجلين على الرصيف ..

وقالت امراة بدينة من اللائي صعدن الى الحافلة في الموقف ، في لهجة الوثوق :

ـ هذا الولد « بندوق » (١) ..

(١) البندوق ، في عامي اهل الشام اللقيط .

الله اعلم ! .

فردت عليها موافقة عجوز عجفاء كانت قد صعدت معها :

ـ نساء اليوم ، يا عيني عليهن ، يعملن « العمايل » .. ويلقين بالرزية الى غيرهن ..

ورفرف الطفل بجفنيه ، ثم انطلق من فمه الدقيق فحيح خافت اتصل حتى غدا عويلا .. فرفعته الصبية بين يديها وجعلت تهزه الى يمين وشمال ، فاستدرت بذلك عطف السيدة ذات الاشارب ، فقالت لها ناصحة :

ـ اذهبي به الى المخفر ..

فاجفلت الصبية من النصيحة .. اتذهب به الى المخفر ؟ ! لو رآها الناس هناك لظنوا بها الظنون ! وابوها ان عرف خبرها ، لما سلمت من يده ولسانه ؛ سيقول لها : « يا بنت الكلب .. كيف تقبلين بندوقا تتخلص منه امه ؟ .. نحن ملجأ ؟ نحن جامع ؟ .. الناس يفحشون وعلينا تصريف الرزايا ؟ ! » .. وربما ضربها ، ومنعها من ان تزور ـ وحدها ـ خالتها « ام علي » في مرة قادمة .. وتمنت لو تعثر ـ الآن ـ على المراة الام، اذن لكشفت لها عن راسها غطاءها امام الناس وشدت شعرها وبصقت في وجهها وصرخت: « خذي بندوقك صرفيه لغيري، نحن جماعة اشراف»! .. ولكن اين هي ؟ ! واحست برغبة بالبكاء ، ولكنها تمالكت نفسها من خلف الحجاب .. وخطر في بالها خاطر .. ستمضي به الى اول جامع تلقاه في منتهى الخط ، وتلقي الطفل على بابه ، وليفعل به الله ما يشاء..

* * *

ولما سكنت الحافلة في منتهى الخط ، كانت النسوة قد نزلن في مواقف متتابعة وخلفن الصبية وحدها في مقصورة النساء . فحملت الطفل في قماطه الازرق ، وانسلت من الباب الخلفي في غفلة من العيون . وجعلت تغذ السير على غير هدى لا تلتفت الى جانب او وراء ، وهي تحس برهبة واضطراب يهزان اوصالها ويهدان عزائمها .. من اين دفع الله اليها بهذه البلية ! ولكنها على كل حال عازمة على ان تودعها في اول باب جامع تصادفه .

وبعد مسير دقائق ، رات مئذنة تمتد في فضاء قريب ، فاتجهت صوبها متشوقة الى ان تتخلص في اعتابها من رزئها الكبير . وغدت على مقربة خطوات من باب الجامع ، فحمدت الله على ان الطفل ساكت لا يبكي ، والا للفت اليها الانظار .. ستضعه على الباب دون ان يدري بها احد .. ولسوف يقيض له الله انسانا رؤوما يلقاه ويرعاه .

ولم يعد يفصلها عن باب الجامع فاصل .

كان الوقت ضحى ، وليس في الجامع أي من المصلين . فتدانت من طرف الباب ، ووسدت الطفل على ما يشبه المصطبة تقوم في جانبه .. واحست بان الحمل الثقيل الذي انقض ظهرها قد تهاوى اللحظة عن كاهلها او كاد .. ثم ارتدت الى الوراء تروم الى ان تروغ بخفة من قبل ان يعرف خبرها احد !

وما خطت سوى خطوتين حتى سمعت قرقعة قبقاب تطبطب على الارض وصوتا كنعيب البوم يزعق خلفها من الجامع :

ـ « وقفي » ، يا ملعونة يا شيطانة .. وقفي ..

فلم تجرؤ على الالتفات ، ولا جسرت على الوقوف .. وظلت تحث خطاها مسرعة قبل ان يصادفها احد من المارين .. فاذا الصوت من خلفها يعلو متوعدا تصحبه طبطبة القبقاب :

ـ وقفي .. يا خنزيرة يا عائبة .. وقفي .. غيري يبزر وانا التزم ! . هذا ثالث ولد ، يا ظالمة .. امسكوها يا ناس ..

واحست عند هذا الحد بقوة تشدها الى موضعها اشبه بقيود من حديد ، وقد بصرت في فم الزقاق بامرأة وولد ورجلين .. فادركها صاحب الصوت ، وامسك بها في حزم من ساعدها ، وقادها بحرص الى باب الجامع ، حيث رفع صوته بها من جديد كأنما يريد ان يصب عليها هموما قد تراكمت في حياته منذ جيل :

ـ هذا ثالث ولد تلقينه هنا ، يا ظالمة .. لا اول ولد ولا ثاني ولد .. كل مرة اقول : خذه يا شيخ واحسبه ابنك واجرك على الله .. صحيح زوجتي لا تلد ، ولكنني رجل درويش على باب الله ، اريد ان اتفرغ لخدمة الجامع واتعبد ربي .. من اين تاتين بكل هؤلاء الاولاد ، يا منحوسة ؟ . ثلاثة اطفال وانت جنية بطول الشبر! اليس لك اهل يسالون عنك ويعرفون اين تروحين ومن اين تجيئين ؟

فقالت الصبية تؤنبه :

ـ عيب تحكي هالحكي ، يا شيخي .. انا حرمة شريفة ! .

فصاح الشيخ مستنكرا :

ـ شريفة ؟ ! الله يلعن شرف الشيطان الرجيم .. وهذا الولد : من حملت به والقته هنا ؟ . لعلك تقولين ليس لك علم ! رايتك بعيني هذه التي ستاكلها الدود .. حرام عليك حرام .. هذا ثالث ولد ، يا ظالمة ..

والتم المارة على باب الجامع . وعلا صوت الطفل يشكو ضنيع امه . فاحتملته امراة متبرقعة من الواقفات وجعلت تهدهده بحنان ، وهي تقول : « اللهم استر علينا » .. في حين رمقته من تحت حجابها امرأة اخرى قصيرة ثخينة وتمتمت : « يا عيب الشوم ! » .. واقترح رجل عجوز يلبس بذلة بيضاء حريرية ان تحمل الصبية طفلها وتمضي ؛ ولكن الشيخ ابى الاقتراح باصرار وازداد تشبثا بذراع الصبية ، وهو يقول بلوعة :

ـ هذا ثالث ولد ، يا جماعة .. والله لا اتركها الا في المخفر .. الحكومة هي التي تفصل بيني وبينها!.

* * *

ولاح بعد قليل شرطي في اول الزقاق ـ وكان المارة في ذلك الوقت قد تزايد عديدهم وعلا بينهم اللغط ولم ينقطع لحظة بكاء الطفل ـ فجلجل صوت الشيخ كالرعد يقصف في فضاء الزقاق ينادي :

ـ يا افندي .. يا ابن الحكومة..

فاقبل الشرطي الى باب الجامع يتهادى في زيه ذي الازرار النحاسية اللامعة . وجعل الشيخ يحكي حكايته والصبية تقاطعه بين اللحظة والاخرى بصوت واهن مرتجف :

ـ والله ، يا سيدي ، انا بريئة.. الولد ما هو ولدي .. تركته امه معي في الترام وهربت ..

فيزجرها الشيخ بقسوة :

من فدائي

الى ابنتي

✳

لـكمال نشـات

من رابطـة النهـر الخـالـد

ء

القـاهـرة

اليك يا بنيتي أكتب من بعيد
أسطر اشتياقي الـكبير
وحولي الرفاق .. والسلاح .. والاباء
وفوقي السماء
وصفوها كقلبك الصغير
وما رغبت مرة فراقك الاليم
لـكنه الوطن
ودعوة الاوطان يا صغيرتي تجاب
لتفتدى بأنفس الشباب
فيدحر الغزاة
وتضحك الحيـاة
وتسلم البيوت والاحباب
وأنت يا حبيبتي يا زهرة الصباح
لعمرك النضير
لجيلك الصغير
ليبتنا .. لشعبنا
لكل ما نحبه في أرضنا الخضراء
خرجت في صباح
وسرت يا صغيرتي لاحمل السلاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ يا كذابة يا منافقة .. هذا ثالث ولد ! .

ومضى ـ بعد قليل من الجدال ـ الشرطي والشيخ والصبية تحمـل الطفل ، في طريقهم الى المخفـر القريب .. وخلفهم رهط من رجال ونساء وصبيان جعل يتزايد عـدده كلما اوغلوا في المسير ، تدور فـي خواطرهم مختلف الظنون يترجمونها الى حقائق تجري باستحقاق عـلى السنة كالسنان المسموم .. بينمـا كان الشيخ لا يفتأ يردد في قهر وهو ينفذ السير بقبقابه العالي غير متعثر :

ـ هذا ثالث ولد ، يا ناس .. لا هو الاول ولا الثاني ! ..

ووصلوا الى المخفر . فابى الشيخ ان يطأ عتبته قبل الصبية . ثم جعل يقص على الرئيس حكايـة الاولاد الثلاثة ... كل سنة يلقى على بـاب جامعه واحدا ، فيحمله الى بيتـه يرعاه ، وهو يقول الاجر والثواب على الله .. رعى الاول ، ورعى الثاني .. امرأته لا تنجب اولادا فاعتبرهمـا ولديه .. ولكن هذه المرأة لا تستحيي .. كل سنة مثل هذه الايام تلقي له بولد على باب الجامع .. انه يريـد ان يتفرغ لعبادة الله ، لا ان يربـي « بناديق » الناس .. وتمنى لو يقبض على الجانية الاثيمة .. سنتين وهـو يترصد لها ، حتى رآها منذ ساعة بعينيه هاتين تلقي بهذا الطفل عـلى باب الجامع وتلوذ بالفرار .. انه يريد ان يعرف : أليس لهذه المخلوقة اهل يسألون عنها ! ...

وقطع الشيخ حديثه عنـدما رن جرس الهاتف على المكتب .. فتناول الرئيس السماعة ، وانصت لها لحظة .. ثم قال للشيخ والصبية كليهما :

ـ أم .. تسأل عن طفل .. فـي قماط ازرق .. فقدته في ترام ! .

حـلب **فاضـل السبـاعي**

منازع العالم الحديث : خامات الارض

بقلم جان مونيه

رئيس السلطة العليا لوحدة اوروبا الغربية في الفحم والفولاذ

ترجمة يوسف اسعد داغر

o
o o

من مائتي سنة كما من القرن قبلها غيرت ، لم يفطن سوى قلة من الناس الى ما يثيره استخدام موارد الارض والانتفاع بخيراتها وطاقاتها من مشاكل عويصة معقدة . ان مستوى العيش بين الناس بقي ، او كاد يبقى ، هو نفسه في هذا القسم من العالم المتمدن ، بضعة الاف من السنين ، مستقرا على وضع واحد لا تبدل فيه ولا تحول . فقد عانت البشرية ، ولا شك بذلك الدهر وخبرت في تطورها الصعود والهبوط فكثيرا ما حلت الحروب وسيطر الجدب والخراب والدمار محل السلام والخصب والازدهار فعاشت قلة من الناس ، في مختلف اطوار الحياة على الارض ، عيشا ملؤه الرغد والرفاه ، الا ان السواد الاعظم من الشعب بقي عرضه لصروف الدهر وتضاريه تنقض عليه وتحل به وهو لا طاقة له على دفعها او ردها ، ولا قدرة له على تبديلها او تحويلها.

ففي هذه الاطوار التي كانت الارض فيها مسرحا لتطورات سياسية وعسكرية عظيمة ، لم يكن من السهل قط ادخال أي تحسين ملموس على الاوضاع المادية التي كانت تلابس الجماهير ، اذ ان الطاقة التي كان من شأنها ان تستثمر خامات الارض ومواردها لم تكن تهيأت اسبابها بعد .

فلم يكن الا في القرنين الاخيرين حتى اتاحت اوضاع الحياة وظروفها ، في العالم الغربي على الاقل ، للحضارة القائمة فيه ، استخدام الطاقة الميكانيكية ، مسيرة بالبخار او الكهرباء ، على نطاق واسع في عالم الصناعة ، فمهدت القوة المحركة الجديدة من البخار الى الكهرباء ، الى محركات ديزل ، السبيل امام اكبر ثورة طرأت على البشرية من حيث الانتاج الصناعي والزراعي ، ومن حيث تطوير وسائل العيش ورفع مستوى الحياة . ولا تزال هذه الثورة التي انطلقت عارمة مستمرة في اضطرامها وتأججها تزداد ضراما واحتداما يوما بعد يوم . وها نحن نرى انفسنا مسوقين الى الامام بفضل هذه الحركة الدوامة لهذا الانتاج الضخم الذي عرفنا ان نؤمنه . فالمظاهر الجديدة التي تتفتح عنها حياة العصر الحديث تبعث فينا منازع جديدة ومطالب جديدة . وكل اختراع جديد يطل علينا من ضمير الغيب ، كالراديو مثلا ، يدعو لاختراع جديد اخر كالرادار ويفضي تباعا كما هي الحال في الصناعات الالكترونية ، الى وجوه جديدة في التطور الصناعي .

اما اليوم ، ان ازدهارا يعم اطراف العالم ، لم يعد مجرد حلم معسول يراود الخاطر ويداعب الخيال . فهو نتيجة طبيعية ، منطقية ، لطريقة الانتاج الضخم الذي اغرق الاسواق التجارية واغصها . وهذا الامتلاء وهذا الوفر المتمثل على اشده في توفر الخامات والمواد الاولية ، قد اثار في الناس حاجات ومطالب جديدة وبعث فيهم رغائب جديدة . فالناس ، حتى من قام منهم في ابهم بقاع الارض واجدبها ، يعللون النفس بالاستفادة منه الى اقصى حدود الاستفادة . فقد الف هذا الفريق من الناس ان يرى ، في ما يتسكع به من بؤس ويتضور فيه من شقاء وتعاسة امرا قسمت لهم به الاقدار على هذا النحو وقضت به السماء على هذا الشكل . اما اليوم ، فقد جاشت نفوسهم بالامال وراود الحلم المعسول منهم الخيال ، وزينت لهم النفس ان هذا التطور المادي العظيم الذي ترفل بنعماه اقدار من البشر ، لا بد ان يسبغ فيضه الغامر ليعم من كانت قسمتهم من نعيم الدنياضئزى ، فيرفع من مستوى عيشهم الشظف فتفيء عليهم الخيرات والبركات بعد الذي عانوا طويلا من عسر الدهر وتجهم الاقدار في وجوههم اليابسة .

ومثل هذا المنزع تتململ به اغوار النفس وتمور ، منزع طبعي مشروع ، لا بد منه ولا حيدة عنه . فعلينا ان نشبعه وان نروي منه الغليل . فالجماعات الناجحة هي التي عرفت او تعرف اشباع مطالبها الحقة . يترتب على النظم الاقتصادية التي ستطلع على هذه الاقوام ان توفر لها الرفاه الى اقصى حد وان تضمن اتساع فوائده العميمة الى اقصى حد . اما الجماعات التي لا تعرف كيف تشبع في افرادها هذه النزعات المشروعة فأمرها لا محالة الى الزوال .

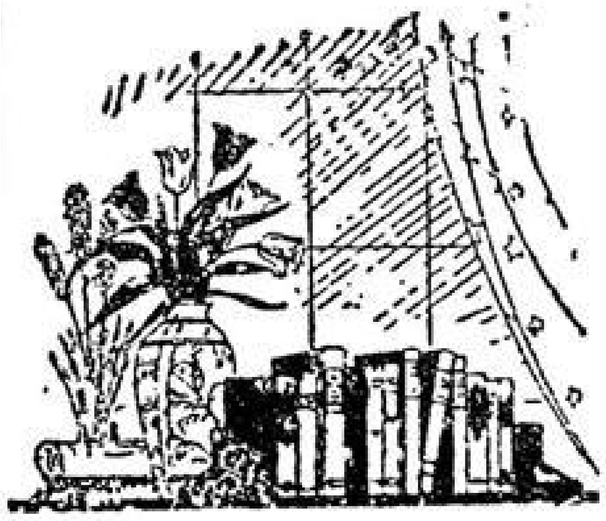
واليوم ، اكثر من أي وقت مضى ان العلاقات التي تشد الدول بعضها ببعض هي رهن ، الى حد بعيد ، بالطريقة التي ننظم بها مواردنا الطبيعية . فاذا نحن لم نحسن تنظيم وسائل الانتفاع بخامات الارض تنظيما شاملا ذهبت قوى الامم والشعوب حتى اكثرها طاقة للخلق والابداع ، هباء منثورا وتوزع نشاطهم بددا . اما الذين يحسنون منهم تنظيم مرافقهم الاقتصادية وفقا لحاجات العصر ومقتضيات التطور ، عاد عليهم هذا التنظيم ليس

فقط بالخير الحميم ، كما تتوقع كل قيادة رشيدة حكيمة بل ايضا هيأ لهم لتنظيمهم هذا ، فرصة لم يسنح لهم مثلها من قبل ، تتجلى في هذا التسامي والتعالي فوق عوامل التفرقة والانقسامات التي طالما مزقت اوصال هذه الشعوب والدول منذ عهد بعيد ، واقامتها بعضا على بعض في منازعات دامية ومنافسات مميتة . فاذا لم يفض تنظيم مواردنا الاقتصادية الا الى مثل هذه النتيجة لكفى به عاملا من اكبر العوامل التي تساعد على تطوير الاوضاع القائمة في العالم اليوم وتحسين الظروف المادية المحيقة به.

ان وضع اوروبا ، من هذه الناحية ، يدعونا بشدة والحاف الى انتهاز الفرصة السانحة للافادة منها الى اقصى حد . فبعد ان تناحرت شعوبها وتحاربت فيما بينها اجيالا طوالا ، فقد وجدت في وطأة ما تعاني من ثقل الظروف المادية القاسية التي تعيش فيها اليوم استجابة لداعي التوحيد والاتحاد معا . فقد سبق لشعوب اوروبا ودولها ان عاشت حتى الان ، متباعدة متنابذة بعضها مع بعض ، تسعى متنافسة الى حتفها بظلها . فقد رات انه اذا كانت تود صادقة اجتناب المصير القاتم الذي يهدد كيانها بالزوال لا بد لها ان تمضي في تنظيم الخامات والمواد الاولية الواقعة تحت تصرفها ، ووضع اهداف واحداة مشتركة لها ، تنشدها مجتمعة للحفاظ منها على مستوى العيش الذي ادركته والعمل على تحسينه والنهوض به ما أمكن . فقد سارت دول اوروبا في هذه المرحلة من تاريخها ، في طليعة دول العالم من حيث العمل الموحد المشترك . فلها من اتساع الرقعة ، وبساطة المساحة ، وضخامة السكان ، ما يؤهلها على انتاج ما ترغب في انتاجه بحرية ، والتمتع به من خامات اولية ، وفقا لما يسمح به ما لديها من وسائل الانتاج التكنية .

هنالك فوارق عديدة ومفارقات نوعية كثيرة بين هذا العديد من الدول الاوروبية الغربية التي عرفت كيف تتوحد في كتلة اقتصادية واحدة . ومع ذلك ، وبالرغم من ذلك فقد عرفت ان تسير معا ، يدا بيد ، وركب التقدم والرقي. فالنظم العامة المسيطرة عليها تفي تماما بحاجاتها واغراضها بحيث لا تشعر بأي ضغط او حاجة يحملانها على استبدالها بنظم اخرى. ووحدة هذه الدول في كتلة إقتصادية واحدة تم كله اليوم . فقد وسعت هذه الدول من مدى اسواقها التجارية ، لتعم روسيا والولايات المتحدة الاميركية . ان سوقا كالسوق الاميركية مثلا ــ تستطيع ولا شك ، ان تستوعب على احسن وجه ، طاقة الصناعة الاوروبية الانتاجية ، وتتحمل بنجاح المزاحمة والمنافسة التجارية الدولية كما انها تستطيع الاعتماد على اكفأ الوسائل التجارية للنقل الحديث واصلحها وافعلها على الاطلاق .

ان التقنية التي يقتضيها الانتاج بالجملة في هذا العصر جاءت نتيجة محتومة لهذه الامكانيات الطائلة التي تكمن في السوق الاميركية . فالاوروبي ، اذا ما نظرنا اليه من خلال النهج الاميركي في الصناعة والانتاج ، كان يعمل في حدود ضيقة ونطاق محدود ، فيأتي انتاجه الصناعي ، والحالة هذه ، ضيقا ضيق الاسواق التي كان يعول عليها في الداخل . فلم يكن امام الاوربيين أي مجال لتوسيع نطاق اعمالهم ومشاريعهم الانشائية ، فبقي انتاجهم ، من هذا القبيل ، ضيقا محدودا ، وبقيت بالتالي اسعار



الاديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٢٨١٩ Direc : 23819 Tél.

المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاجيات عالية لا ترام . ولم يكن في مقدور الدول الاوروبية الغربية ، بالنظر لضعف انتاجها وضيق اسواقها ، ان تنحو نحو اميركا التي لها من ضخامة الطاقة ما يمكنها من تخصيص مبالغ طائلة تنفقها على الابحاث والتجارب العلمية او على الاستثمار والتشغيل ، كما كانت تداب على ذلك بالفعل ، الشركات الصناعية والبيوتات التجارية في اميركا ، وما لها من قدرات على توفير وتأمين ما يلزم من رأس مال ضخم لهذا الغرض بالذات .

ففي اوروبا مجزأة ، دويلات وامم ، كما هي حالها ، لم يكن للطاقات الكامنة فيها فرصة سانحة للبروز والتجلي على اتمها . لنضرب مثلا على ذلك . كلنا يعرف جيدا ان اول قنبلة ذرية عرفها العالم ، تم صنعها في اميركا . ثم ان عددا كبيرا من العلماء الذين ساهموا في صنع القنبلة الذرية وامنوا تركيبها التكني والفني معظمهم علماء اوروبيون . فقد كانوا ، في اوروبا ، وهم على ما هم عليه من قوة الخلق والابداع والابتكار ، في شبه عزلة بعضهم عن بعض ، وربما متنابذين متقاطعين . فقد عرفت اميركا ان تؤمن تعاونهم معا ، بعد ان جمعت بينهم على صعيد واحد وارض واحدة ، ووفرت لهم وسائل العمل المشترك ، الذي افضى ، لخير البشرية ام لشرها ، لا ندري ، الى ابتكار هذه القوة الجديدة الهائلة التي لا حد لها .

ان توفير أقصى ما يمكن توفيره من عوامل الازدهار والارتقاء في شعب ما ، وبعث الثقة التامة بنفسه والاعتماد على الذات ، أمر يقتضي له طاقات جبارة. ومثل هذا البعث لا يتم الا في ظل نظام اقتصادي رحب المجال ، وفي ظل نظام سياسي واحد ينبسط فوق قارة واحدة ، او بلد له سعة القارة في امداده الشاسعة . ان تحس الاوروبيين بمثل هذا الوعي وتيقنهم ان مستقبلا من الحياة العارمة النشاط لا يمكن ان يقوم عندهم الا على مثل ما ذكرنا من اسس ومبادىء كل ذلك حدا بهم ودفعهم دفعا لا يرد الى الاتحاد والوحدة . وشعورهم بهذا كله وبجدوى الوحدة يشتد ويمكن عندما ينظرون من خلال ذكرياتهم التاريخية ، الى تلك المنافسات الدامية التي طالما اقامتهم واقعدتهم بعضا ضد بعض وجعلت مصيرهم القاتم على قاب قوسين وادنى ليفضوا معه الى الهلكة والبوار فالدمار في حربين ضروسين سامتا الغالب والمغلوب على السواء الخسف والذل والضعة . وهذه المنافسات والانقسامات التي جاشت بها دول اوروبا ودويلاتها وقسمتها الى معسكرين بل معسكرات تتنمر بعضها لبعض محاولة الواحدة منها الايقاع بالاخرى ، قضت نصف القرن العشرين الاول تعد العدة لحربين ضروسين اكولين وتضميد الجراح الفاغرة التي اثخنتها وانهكت جسمها وخلخلت نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بينما انصرفت دول اخرى لشق طريقها صعدا نحو الازدهار والرفاه بسرعة لم تكن في الحسبان قط .

فكان على دول اوروبا وشعوبها ان تسعى مخلصة للاتحاد وتنشد بحرارة ، تحقيقه وشد اواصره وثيقا ، والتمكين لاسباب التوحيد ، اذا ما شاءت صادقة ان تتجنب هذا التفسخ وهذه المنافسة الدامية التي باعدت فيما بينها واودت بها الى شفا جرف هار في حربين عالميتين عركتاها بثفالها وقادتها الى الخراب المحتوم . وبعد ان حتمت الاقدار على دول غربي اوروبا توسيع آفاق الاسواق التجارية امام منتوجاتها وقتلت فيها شهوة الحرب ونهمة الفتح والتوسع ، وبعد ان تبدت لها بوضوح فوائد الوحدة والتعاون فيما بينها ، سارعت هذه الدول الى انشاء الوحدة الاوروبية لانتاج الفحم والفولاذ . فعمدت ست دول من دول اوروبا الغربية ، هي : بلجيكه وفرنسا ، والمانيا الغربية وايطاليا ، واللكسمبورغ وهولاندا ، الى تأليف الاتحاد الاوروبي للفحم والفولاذ ، وابتدأ العمل بهذا الاتحاد في شهر آب (اغسطس) ١٩٥٠ .

وبعد مرور ١٨ شهرا على الاخذ بهذا النظام الاقتصادي الجديد ، انشأ الاتحاد سوقا مشتركة لاهم المنتوجات التي تنتجها صناعتها الحديثة . وكان من نتائج هذا الاتحاد الاقتصادي ان اطاح بالحواجز الجمركية التي كانت تحد من الحركة التجارية فيما بينها بما تفرضه على دخول البضائع اليها من رسوم ومكوس وتعريفات وتقييدات ، كما كانت تعيق دخول الفحم والفولاذ بحرية وتنقلهما بين البلدان الستة . ومنذ ذلك الحين ازدادت كمية الفولاذ ومقادير الفحم التي عبرت الحدود المشتركة . ولاول مرة في تاريخ اوروبا تؤلف الدول الست المذكورة سوقا تجارية واحدة مشتركة فيما بينها ، تعد ١٦٠ مليون نسمة يستهلكون ما يحتاجون اليه من فحم وفولاذ ، وفي هذه السوق التجارية الموحدة من الامكانيات والطاقات ما للسوق الاميركية نفسها وللاخذ بهذا التغيير الذي يعد بحق اول خطوة حاسمة في توحيد اوروبا ، كان من اللازم على كل دولة من الدول التي يتألف منها هذا الاتحاد ، ان تخضع لقوانين واحدة ، وهي قوانين لا تتم لها صفة الالزام الا اذا صدرت عن هيآت موحدة ، لها القدرة والصلاحية على وضع الخطط اللازمة وسن الاجراءات الملزمة لتنفيذها باسم اوروبا مجتمعة . وهكذا ، فالهيأة العليا التي أتشرف بتولي رئاستها هي السلطة التنفيذية التي تعمل باسم هذه الوحدة . وهذه السلطة التنفيذية هي مسؤولة ليس امام السلطات الوطنية القائمة في كل من البلدان التي يتألف منها الاتحاد ، بل امام مجلس مشترك يتألف اعضاؤه الثمانية والسبعون من ممثلي الهيآت التشريعية القائمة في كل بلد من هذه البلدان . ولهذا المجلس المشترك وحده ، الحق بنزع الثقة من السلطة التنفيذية او ايلائها اياها .

وهذا المجلس التنفيذي لم يلبث ان قضى بسرعة على الحواجز الجمركية فازالها بعد ان كانت حاجزا يحد من حركة التبادل التجاري بين هذه البلدان في كل مايتعلق بالفحم والفولاذ ، مع ان المحاولات التي تمت من قبل في هذا الصدد عن طريق المفاوضات والاتفاقات الدولية باءت كلها بالفشل الذريع . وكل اعتراض على أي تشريع تصدره السلطات العليا يتقدم به الافراد او الهيآت او الحكومات المعنية ، يجب احالته لمجلس العدل الاعلى الذي له وحده الصلاحية التامة للنظر في مثل هذه الاعتراضات . والاحكام التي تصدر عن مجلس العدل الاعلى هي احكام ملزمة ليس للحكومات المعنية فحسب ، بل ايضا للهيآت والمنظمات التجارية والصناعية نفسها العاملة ضمن دول الاتحاد . وقد تقدمت للان ثلاثة بلدان بدعوى اعتراض امام مجلس العدل الاعلى مطالبة نقض القرارات الصادرة عن الهيأة التنفيذية

العليا ، وفي هذا ما فيه من دلائل الخير واليمن والتقدم . وهذا انما يعني انه في الحين الذي كانت فيه الدول المعنية تستقل منفردة عن سواها في انتهاج ما ترغب فيانتهاجه من وسائل وذرائع واساليب ولو جاءت مضادة او منافية لما تنتهجه في هذا الحقل دولة اخرى ، فهي ترضخ اليوم لسلطة واحدة موحدة لها ملء الصلاحيات ومطلق التصرف في ادارة المنظمة على الوجه الذي ترتئيه .

ولما كان علينا ان نواجه تأمين انطلاق ما في اوروبا من طاقات وقدرات هائلة على الانتاج ، استطعنا منذ البدء تأمين وحدة العمل والتعاون المشترك بين شعوب اوروبا ودولها . والنهج المتبع اليوم في اوروبا ، هو ذاته النهج الذي يوحي به مصير الحضارة نفسها مقتضيات تطورها . ومن مقتضيات الحضارة اليوم ان يخضع الانسان لقوانين جديدة ونظم جديدة يفرض الاخذ بها الحاجات العارضة الغالبة في الزمان والمكان . وهذه القوانين لا تبدل من طبيعة الامور بشيء . فعندما يخضع الناس جميعا ، في رقعة معينة من الارض ، لقوانين وانظمة واحدة ، تغير حتما ، تبعا لذلك موقف الواحد منهم تجاه الاخر . فاذا ما جروا على ذلك مرة بعد مرة ، امكنهم ان يخلقوا فيما بينهم ، ليس قوة جديدة فحسب ، بل ايضا ان يثيروا الاهتمام بالمصلحة المشتركة فيما بينهم ، فتخف ، ان لم تنقطع من بينهم ، اسباب الاحتكاك ونوازع الاثرة التي طالما اقامتهم واقعدتهم بعضا على بعض في الاجيال المتعاقبة ، بحيث برزت هذه الانقسامات التي طالما تبلورت عن حروب داميات ، امراضا عضالة استعصي ان لم يكن استحال حلها المرام .

ان عملية توحيد اوروبا قطعت مرحلتها الاولى الان . وعملية التوحيد هذه والطريقة التي اتبعناها لها ـ وهما حصر موارد اوروبا وطاقاتها في منظمة مشتركة واحدة ـ ايقتصر العمل فيها على دول اوروبا وحدها ؟ انا لا ارى ذلك. فالانتاج ، في عصرنا هذا يوجه العالم نحو الوحدة . ليصعب علينا الان ان نفقه الامر وندركه تماما من جميع وجوهه ، اذ اننا في عهد لا نزال معه عرضة ، بشكل لا قبل لنا بمثله من قبل ، لانقسامات وضغط مرزحة . وازمة التوتر التي تستحكم برقاب الدول اليوم ، مردها تلك المطامع السياسية الاشعبية التي تجيش في قلب كل من هذه الدول . والمناهج التي تسير عليها هذه الدول في تحقيق هذه الاطماع ، والنظم السياسية التي تسير عليها تتصادم في ما بينها بعنف مرير كلما انطلقت نحو التحييز والتحقيق . والعالم يستهدف اليوم لاخطار الفناء والزوال نفسها التي تعرضت لها دول اوروبا من جراء انقساماتها في الماضي ، بعضا على بعض .

وقد طلع على عالمنا الحديث اليوم ، الاستعداد نفسه الذي لمسناه من قبل في اوروبا ولا نزال ، لاشاعة السلام والتمكين لاسبابه ، ونشر الطمانينة والامان والترسيخ لهما في الافكار والعقول والقلوب ، وذلك بالتسامي فوق هذه الانقساماتوالتعالي فوقالاهواء والحزازات ، والترفع عن الاثارة والنكايات . وهذا الازدهار التكني الذي ينهض على اسس ركينة والذي تأخذ قوته بالنمو المطرد ، من شأنه ولا شك ، ان يحمل دولا اخرى ، على الانضمام الى هذه الوحدة فينعم الجميع بمنافع الانتاج العصري .

ليس من الصدف قط ان يكون القرن العشرين شهد اولى المحاولات التي رمت الى توحيد العالم في قيام منظمتي عصبة الامم والامم المتحدة . وكلا المحاولتين، جاءتا مخيبتين للآمال . وسبب ذلك هو ان وفود الحكومات الاعضاء في المنظمتين المذكورتين ، كانت تعمل دوما بوحي مصلحتها الوطنية الخاصة وحوافزها الاثيرة فغشي عليها تقديم الحلول المرجوة في معالجة المشكلات التي تعرض لها وتتربص الامر بحلها . ان بوسع المنظمات العالمية ان تخفف من حدة المشكلات الدولية لا ان تحلها . اني لعلى يقين بان الحل المرتجى يفرض نفسه عندما يحمل التقدم الفني من نفسه الناس على جعل مواردهم الطبيعية مشتركة فيما بينهم ويضعوا لتسهيل التصرف بها والانتفاع منها ، قواعد عامة وقوانين مشتركة تنفذها هيآت مسؤولة ، لها ملء السلطة ومطلق الصلاحيات لتعمل باسم المصلحة في ما يؤمن تحقيق الاهداف المنشودة .

ان تجربة اوروبا الغربية الاخيرة التي تبلورت عن وحدة موارد الفحم والفولاذ التي تملكها شعوبها ، هذه الشعوب التي توزعت ، اجيالا طوالا ، دولا وممالك متباينة متناحرة ، انما انطلقت حركتها من حاجتها الملحة الىاطلاق التصرف بمواردها الطائلة ، بقصد تأمين ازدهارها . والان على ضوء تجاربنا واختباراتنا اليومية في الكتلة الاوروبية للفحم والفولاذ ، نحن واثقون الوثوق كله أن هيآت مشتركة من الممكن جدا لها ، ان تطلع علينا وتعمل معا لتوجيه الازدهار البشري وتقويته بعد ان اسقط في يد المؤسسات الوطنية تحقيق مثل هذا الامر من قبل والاخذ باسبابه .

ونمو هذه الكتلة ونجاحها ، انما هو دليل ساطع على ان المنظمات الاتحادية ، تستطيع ان توحد الى ابعد حد ، بين دول القرن العشرين الاكثر تطورا والابعد غورا في هذا التطور وتحافظ على فعاليتها . واني لعلى امل وطيد بان هذه التجربة التي اخذنا بناصيتها في اوروبا ، تستطيع ان تقدم للعالم ، اذا ما نجحت في آخر المطاف ، شاهدا قاطعا على ان في مكنة المجتمع الانساني ، اذا ما احسن الاستفادة المشتركة من موارد الارض وخاماتها التي لا تنضب ، ان ينظر بعين قريرة الى طلوع مستقبل بسام ترفل فيه البشرية بالرخاء والازدهار والسلام .

يوسف اسعد داغر

صدر حديثا :

غيوم ظامئة

للشاعر وديع ديب

مولد شعر

•

اني أحسّه في دمي
ضجـاً واعصاراً
يهب ويرتمي
يدوي
فيصطك السكون
من الدويّ المظلمِ
يهـوي
فتسودّ الضلوع
من الهويّ المفعمِ
بالهول ، بالصخب الجموح المضرمِ
بالهول ، يا هول الظلام المبهمِ
ويهزني هزاً ويعصف اعظمي !
وكمارد في قمقم
تتواثب الكلمات في صدري
وترقص في فمي !
وتحشرج الدنيا
زوابـع لا تني •
لا ! لا تنثني
هيا اطلعي !
لا استطيع
فزوبعي !
ـ هذي ِهيا هذي ِهيا !
اني اراها في فمي
الـكون زغرد في فمي !

سـامي مـكارم

الغرباء

الى اخي شـاكر حسن سعيـد

•

تلك النوافذ سوف توقد بعد حين
وتعود تختلج الظلال على الطريق
وعلى جباه العابرين
في هدأة الليل الطليق
ويعود ينتفض الربيع ••
ومن جديد
ستمر اقدام الصغار العاشقين ••
وتستعيد
أعماقهم دفء الوعود
وشذى ورود
ندّت رؤى الامس البعيد
أما أنا •••
فلكم ستعبر بيتي المهجور اقدام السنين
وتظل في قلبي الدموع
قلبي الحزين
ويلف نافذتي الظلام ولن تفيق
يومـا ••
لينبعث ظلها عبر الطريق
عبر الطريق
وعلى جباه العابرين
في هدأة الليل الطليق •

لنـدن **سعـدون فاضـل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

●

اعقاب السجاير

بقلم عادل الاعور

●

مهداة الى مارون عبود

○
○ ○

ذلك الوجه ينطوي على مأساة عميقة بعيدة ، لا تنتهي ام ان المأساة تنطوي في ذلك الموجه ؟

واعود الى سيجارتي اداعب منها الدخان . اذ استعجلتها بالاحتضار لاسحقها بسبابتي ،منتقما في المنفضة .

ليس ذنبي هذا ، هو ذنب علبتي العامرة التي اشتريتها في طريقي الى المقهى .

واعود الى افكاري ، او هي تعود الي ، فابعثرها مع غيوم الدخان ام هي تبعثرني ؟

واغرق في صمتي . في لجة سحيقة منه . دون ان اجروء على رفع عيني ، عن الطاولة ، الى الشارع الطويل الملتوي امامي .

اني لاحياكل دقيقة من دقائق امسي . بل كل لحظة من لحظات جريمتي .

من نفسي ... يا خجلي . وليس من الناس هؤلاء .

ويتقدم مني بهيكله الهزيل المتداعي وبنبرة مبحوحة سائلة يهتف بي بانكسار :

ـ « تشكلس ، علكة »

واتحامل على نفسي ، فلا اطلق صوتي متهددا متوعدا هذه المرة .الا يتركني وشأني ؟

ويتسمر . كان شيئا في منظري المتجهم وقيافتي الفوضوية ، يفري.

لعل اطماره الممزقة تفار من ثوبي الجديد ، الذي لم ادفع كامل ثمنه بعد ، فيود ان يتمتع ، ولو بالنظر ، بياقة قميصي المنشاة ، وربطة عنقي الزاهية ، التي احسها حبلا يلتف ويلتف ليخنقني .

واسحب نفسا آخر من سيجارتي. اني لاتلذذ بان اراها تموت بين اصابعي . وتنتهي كأيامي الى فراغ، الى سلة المهملات ، او لست «شيئا» مهملا في هذا المجتمع ؟

لقد نلت البكالوريا بتفوق منذ عام. وما زلت حتى الساعة ابحث عن عمل يقيني شر الحاجة والعودة الى البيت في كل مساء بجبين كاديتجعد من شدة التقطيب، فالعبوس لا يفارقه.

امي لم تبخل علي حتى بمصاغها . والدملج اليتيمة الباقية ، في معصمها تنظر الي بشزر لحظة اقبل يد من ارادتني ، حين عرفت بي ، امكانية فاعلة تنتصر وتتفوق .

وصدري الفتي أكاد احس ان اضلعي تنطبق ، تنسحق ، ففي صدري ضيق وانقباض ، وفي انفاسي تلاحق وهبوط .

واسترجع قراءة عبارة لفتت نظري في الجريدة المنبسطة على الطاولة امامي .

وابعدها عني بلؤم . واستعيدها لاكنسها بعيني المترجرجتين . لست وحدي في المقهى . فالحاج ابو امين، وهو كل المقهى في هذه الساعة المبكرة من الصباح ، سبقني مع كرشه الى طاولته اياها في الطرف الاخر .

بيد اني احس بان الدنيا ، على رحابتها ، تضيق بي فهي أضيق من الزاروب الذي يسكنه هذا الذي ينادي :

ـ « كرابيج حلب »

ويستبد بي احساس غريب ؛ احساس باني انسان لا يملك ان يحيا ، وان يعمل ، وان يعطي ، وان يفوز . انا الذي كنت الى الامس القريب كبير الامال .

أمن المعقول ان يرفض طلبي مع اني نجحت في امتحان اجرته احدى الشركات ؟

واشعر باني في حاجة الى خلوة ، الى الابتعاد عن ضجيج الشارع وصخبه ، ولكن .

او ليست هي المرة الثالثة التي اختلف فيها الى هذا المقهى اليوم ؟ حتى بت استحيي من ان استسلم الى هذا الضيق فيحملني الى خارج مرة اخرى .

واستيقظ على هتاف هذا الصغير المشرد ، كأنه عقرب الساعة المنبهة التي كنت اربطها ، قرب سريري لتوقظني باكرا ايام دراستي :

ـ « تشكلس »

وتطفو على شفتي شتيمة تعتمل في اعماقي ، واستعد لان اطلقها قذيفة في وجهه الذي بلون الغروب لو لم يمر بقربي ، في هذه اللحظة بالذات ، صديق يرفع يده بالتحية .

واركز ناظري ، وقد ومض فيهما بريق مرعب ، في عينيه ، واحملق به بوقاحة لعل نظري يزيحه عن مجرى انفاسي .

او يدري اني احاول قراءة المأساة، مأساتنا المشتركة ، في جبينه المتغضن وعينيه الذابلتين ، ام تراه انس الي في هذه الحال المستسلمة المتحفزة ؟

ويتناهى الي صوته كحشرجة الاستغاثة مع ان فيه شيئا من صلابة السؤال : ـ « علكة ... تشكلس ».

« تشكلس » ... اقسم انها على خفوتها ، اخترقت اذني وانطبعت بازميل من عذاب في ذاتي

واغالب دمعة تداعب جفني . فانا بحاجة الى ان ... ابكي .

عودته ان اشتري منه ، يوم التحقت بعمل بقيت فيه شهور ثلاثة، ونفحته مرارا بعض القروش وقد

انفتحت امامي ، يومها ، دروب كان علي ان اسلك احدها .

انا بحاجة لان ابكي لانني اشعر بحقارتي وتافه شأني ازاء صغير يطلب مني المعونة ، بشرف ، فلا املك الا يدا مغلولة لا اقدر على مدها اليه.

ويستبد بي قلق مستوفز يثقل كاهلي ، ويجذبني بقوة الى ناحية ما الى مجهول .

وينثني الصغير امامي وقد ظننته كف عن مضايقتي

ولكن سرعان ما اكتشفت انه لحق بحسناء متبرجة لم يدعها الا حين نفحته بضع قروش من طرف اناملها المتضمخة .

ويتقدم مني بائع اخر صغير، يظهر انه جديد في الكار ، اذ انصرف لحظة سددت اليه نظرة اكول .

ويعود هو . كأن ضرورة من ضروريات وجوده انا . ام ترانسي نقطة الارتكاز والانطلاق بالنسبةاليه؟

وتختلط اصوات الباعة بضجيج شجارنشب بين باعةالصحف فيهرول الصغير الى المكان . شكرت الظروف التي أتاحت لي هذه الخلوة الصاخبة ولو على حسابغيري لدقائق، لثوان.

وان هي الا دقائق حتى عاد .

عاد من دون علبة العلك ، ممزق الاطمار ، ممرغ الاطراف بالتراب ، مصبوغ الوجه بالدماء .

عاد ليرتمي على قيد خطوة مني وراح في نشيج متقطع اختلطت فيه الدموع بالدماء

كدت اعيره ، حين ضايقني ،بسمعة اخته المشردة وقد اثارت عليه عاصفة من نقمة . جريا على عادة زملائه ، الكبار خاصة ، هؤلاء الذين يتفننون بالتشفي ، ويتبارون بالنيل من كرامته ببذيء الكلام .

وبعصبية ظاهرة امسحق سيجارتي الرابعة او الخامسة في المنفضة ، واحس لاول مرة اليوم بانشاطا بدأ يدب في اطرافي ، وان نشوةانتصار خاطفة تغمرني .

لا . لست ضئيل الشأن كما اتوهم.ان في زندي قوة لو فعلت.. لسحقت سيجارة .

واشد بيدي على الليرات العشر اليتيمة المستقرة في قعر جيبي وقد تشبث نظري به ، ذلك الصغير المشرد فما ينزاح .

وتلمع في رأسي فكرة ، سارعت لتنفيذها في الحال .

لا ادري ما هو الدافع . لكن الذي ادريه هو انني صرفت نظري عن غدي الفارغ كجيبي .

حتى الدواء الذي كنت سأشتريه لاختي المريضة التي بعمر البائع قد نسيت او تناسيت .

وبيد فيها من العزم الان بقدر ما كان فيها من شلل منذ دقائق، اليد التي بخلت « بالفرنك » منذ الصباح امسكت بيد الصغير المرتجف وقد علتوجهه مسحةمنذبول واصفرار.

وبدا انه في أول اطوار غيبوبة ، قد لا تنتهي .

وهتفت بسائق سيارة : ان قف .

وانطلقت السيارة مجنونة معربدة ولم تهدء من روعها الا امام بابعيادة طبيب له في دنيا الناس شهرةطنانة.

نقدت السائق العشر ليرات ليحسم اجرته ، ثم انتحيت جانبا لامر ،وقد دفعت الغلام امامي نسأل عن الطبيب فتلقى الحاجب الصغير ، وقد سبقني ، بشتيمة طاردة :

ـ يا الله يا ابن الكلب . اخرج .

ظنه سائلا يستدر صدقة ، وقد تعامى نظره امام الاطمار عن جروح تستدعي معالجة سريعة .

وعلى راس الدرج الذي بدات اتسلقه رايته ينزل متعثرا ببكائه وبدمه . فرحت اقفز الدرج اثنتين اثنتين

لم الق بالا الى الحاجب الذي وقف الى الباب ، قطعة من الباب ، بل اندفعت الى غرفة الطبيب . فاذا به الى جوار سيدة حسناء يجلس متحدثا .

ويلقي نظرة عجلى علينا ، نحن الاثنين ، كأنه يتساءل عن الرابط بيننا ويقول بتبرم :

ـ خمس دقائق . فأجيب :

ـ ولكن يا سيدي

فيقاطعني بخشونة :

ـ من فضلك . انتظر .

ولا اعرف كيف القيت نظرة الى الساعة فاذا هي الخامسة الا عشر دقائق .

اذن لم يبق امامي الا دقائق الى الخامسة ، وهو موعد اجراء امتحان لوظائف شاغرة ، في احدىالوزارات.

واهتف بالطبيب الذي تابع حديثه مع الحسناء دون ان يلبي رجائي .

ـ طيب يا دكتور ... الطفل ينتظرك . كم تريد من الاجر ؟

وعندما سمع بالمال رضي ان ينقطع عن الحديث لحظات

واضرب بيدي على جيبي ابحث عن نقود ، فصعقت . ودرت حول نفسي لحظات ولحظات .

رأى الطبيب البغتة مرتسمة على وجهي وفي يدي فظنني ممثلا يجيد التمثيل ، وتناهى الي صوته وصوت الحسناء ، مقهقها يعربد :

ـ تشحذ الشفقة من الناس ، وما تصبر عليهم ؟

اغرب من وجهي يا نصاب ، يا نصاب . لص . انا ؟

ان السائق الكريم نسي ، له المعذرة ان يرد لي .

وادور حول نفسي مرة اخرى .

وما وعيتمن دواريالا في الشارع على صوت الصغير ... يبكي .

* * *

ذلك الوجه ينطوي على مأساة عميقة لا تنتهي .

هي مأساة واحد من الوف ، بل ملايين ، ضائعة في بلادي .

اني لاحيا كل دقيقة من دقائق امسي ، بل كل لحظة من لحظات جريمتي .

من نفسي ... يا خجلي . وليس من الناس هؤلاء .

نصاب ، لص . انا ؟ قد أكون .

ولكني اتساءل : كيف صبرتعلى وقاحة الاتهام ؟ ولم اثر معربدا في وجه من تتلوث يداه بدماء جريمة يحاول الصاقها بي .

لماذا لم اناقش الطبيب الحساب لاثبت له من اللص ، وانا المعروف بين اصدقائي ببراعة المناقشة وقوة الحجة ؟ هذا ما يعذبني .

ولو ... ليحسبه عقب سيجارة يستأثر بثوان ذهبية من انامله الكريمة ، لحظة يسحقه في المنفضة

ان اعقاب السجاير قد تنتظر من يلتقطها في الطريق . انما هو ، ذلك المنبوذ ، فمن يرقب ليحمله الى مدرسة ، ليجنده في معسكر ؟

معسكرلا تستفزه الشفقة الطارئة، بل يستنفره الى عمل خطير يساوي اكثر من عقب سيجارة ، يساوي وجوده .

عادل الاعور

جامعة القديس يوسف بيروت ـ كلية الاداب

كلمات عزاء للقلب

لمجاهد عبد المنعم مجاهد

•

القاهرة

○

كالبحر المالح :
لا شط له .. ليس له اخر
وعميق ..
ودعها رغم أساك المر ..
فانا اعرف انك تهوى لو ودعت الشمس
قبل ذهابك ..،
وانا اعرف انك تهوى ان تلقى آخر نظرة
نحو الفردوس
قبل غيابك ..
اعصب جرحك مرة ..
فانا اعلم ان بقلبك امنية مرة ..
اعصب جرحك ساعة
واكتم اوجاعه ..
ودع جنتك المخضرة
فلاخر مرة
أنت تراها ..
وسيقطفها من بعدك غيرك
وستعطيه الشعر الذهبي
وسيعمله ارجوحة حب ..
وستبكي يا قلبي !
وستعطيه عصير التفاح
أتريد تدير المفتاح
في باب الماضي دون وداع
لن ينفذ بعد الان شعاع
لينير الدرب ..
ودعها قبل فراقك منزلها ..
شباكك كان قبالتها
كانت تشدو نغمتها
وتحط الاقمار على شباكك في الليل
وتزيد الميل ..

ودعها قبل ذهابك
او حقا تتركها من غير وداع
ولقد كانت مثل الشمس لها الف شعاع
كانت تشرق في شباكك
كانت مدفأة بحروف كتابك
كانت اكرة بابك
كانت دفء شبابك
كانت تحيا في جلبابك
وتشيع الدفء .. فودعها
قبل ذهابك ..
ودع شمسك يا قلبي
قل كلمة ..
ان لم تقدر تذكرها فاذكرها بعيونك
وحديث الاعين لا يعرف معنى لخداع
ودعها .. او حقا تتركها من غير وداع
حقا كانت تهواك
ويشيع الحب باعينها ان سمعت وقع
خطاك
فاذا سمعت انك عدت لقلب الدار تراها
ترفع صوتا بغناء
وتمد الآهة
وتزيح ستارتها الخضراء
وتطل عليك بوجه الهه
وعيون زيتونية
وترى نشوتها في الاغنية
تزداد بهاء ..
واصابعها المجنونة
تلتف على خيط ستارتها المجنونة
وترى في اعينها المفتونة
لبلاب هوى يمتد
فيفتح في اضلعك الوجد ..
فتصوغ من الشوق اللبلاب
وتمد الافرع فوق الباب ..
فاذا قلبك مفتوح ...
من اجل الماضي ودعها قبل ذهابك
وانس ان فؤادك مجروح ..
انس تنكرها لهواك
فلقد كانت طفلة
خدعت بحديث زواج
وبحزمة آمال
وبريق المال
فمضت لسواك ..
ودعها قبل فراقك منزلها ..
هي حقا ما زالت طفلة ..
لم تعرف ان هواك

وتمط الآهة
ولانت تركت البيت لها
وسيسكن شباكك غيرك ..
ولسوف تغطى الشباك ستارتها ..
لكن ... وستبدو من خلف الستر
اشعتها
وسيأكلها بعيونه ...
وسيهوسها بجنونه ..
وسيلمح في الكف الحناء
وسيلمح اعينها الزيتونية
وسيحيا الفا في الاغنية
وسيدعو الله يزيح ستارتها الخضراء
وسيبصرها حتى بظنونه
ان لم يبصرها بعيونه ..
ودعها .. من اجل الماضي ودعها
فلقد كنت تعيش باضلعها ..
ودعها .. هي لن تعطي قلبك تذكارا
وسترفض تعطيك المنديل
او صورتها
صافحها قبل ذهابك ..
فلرب ارتعشت في يدك اصابعها
ولرب اضطربت عيناها ..
ولرب رايت الآهة
تكتمها في الصدر
ودعها .. فلاخر مرة
في العمر
أنت تراها ..
وسيكفيك عزاء
من قلب السمراء
رعشات اصابعها ..
ولهاث في ادمعها القلبية ..
وعيون اسى وندامة
مرميه
تحت حذائك
في خجل .. في استغفار ..!
ولسوف تروح وفيك النار
ولسوف تحدث في الليل الليل ،
وتحدث حتى الظل :
ما زالت تهواك
ولئن خطبت لسواك ..
فامش اليها واكتم جرحا واكتم آهة
وتناول يدها ..
فلاخر مرة
أنت تراها
قرصا من شمس
في شباكك !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة القمر

لمير بصري

بغداد

هل ذهبتم الى القمر ؟ حدثونا عن الخبر
كيف مضيتم ماذا رايتم
اين هبطتم كيف اتيتم
قد طوينا ذرى الفضاء نمتطي سرعة الضياء
وخرجنا عن الهواء نجتلي طلعة السماء
قد ترامت مدى البصر
تلك الخليقة لاحت طليقه
حين جلاها نور الحقيقه
يا رؤى ذلك السنى يغمر الفكر والدنى
اشرق النور موهنا فغزا الكون معلنا
مولد الدهر في السحر

ركب الاثير عند المسير
يجري كنجم خاف صغير

قد امتد بنا الكون كما امتد بنا الفكر
تناهى القرب والبون وزال الحد والحصر
وقد ضاق بنا الدهر : فعام الارض في يوم
وليس الوقت والعمر سوى جزء من الدوم
واين الجذب والدفع وثقل الجسم والركس
ومسرى الصوت والرجع وشع الضوء والعكس
خلت كل المقاييس وضاع الاصل والفرع
واحكام النواميس عراها الزيغ والصدع

وجرم خامد خاوي نزلنا منه في قفر
اديم اجعد ذاوي كموج جف في البحر
هواء ؟ لا ولا ماء ولا غيث ولا نبت
فما للافق سيماء وادهار ولا وقت
وهاد لفها الليل وسهل اجرد صلد
وانوار ـ ولا ظل ـ على الاكام تمتد
وبرد اخرس قاس وحر ثم لهاب
فلا تركن لاحساس : لعل الحس كذاب

قد رحلنا الى القمر اسمعوا هاكم الخبر :
قد نزلنا رحابه ثم عدنا على الاثر
وجلونا رموزه وافدنا من العبر
سوف نغزو كواكبا فاقت الارض في الكبر
وندانى عوالما تملأ الكون كالاكر
نحن جزء من الدنى في اتساع وفي صغر
قد وغلنا ولم نزل للعلى نرفع البصر
قد تعبنا من الرؤى هل هنا ما عدا الصور
كلما زاد علمنا ايقن العقل بالخور
كل طرف نجيله يبعد الافق للنظر
يا نجوما نرومها كيف نرقى ذرى الفكر
يا طموحا يثيرنا اين منا مدى الوطر
انما نحن ذرة في محيط بلا قدر
قد طلبنا بعلمنا غاية تعجز البشر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

عيوب النثر الانكليزي

بقلم ا. كلتن بروك

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة



لا يسعني مطالعة مجموعة بيرسال سمث في النثر الانكليزي من غير التفكير بمجموعتي التي انوي ترتيبها ، وفي الوقت نفسه اعجب من التفاوت بين ماصنعه هذا الكاتب وماأريد عمله . فلماذا، مثلا حذف شافتسبري من الكتاب القدامى، واقتصر على فقرة واحدة من جونس ، في حين انه سجل الكثير من كتابات سير توماس براون ؟ ولماذا لم يذكر لنا فطنة كبن ، ولا ذلك المقطع العظيم الذي تحدث فيه عن جوليان المرتد وجنازته ؟ ولماذا لم يطلع علينا الا بالجمل القصيرة المركزة من كارليل تليها نبذة واحدة فقط من نيومان ؟ وكيف حلا للكاتب الاقتصار على مقطع (جيوكندا) لباتر ، على حين يعد هذا المقطع مزيفا ؟ واخيرا لم يذكر دكنز مطلقا ، كما لم يأت بخبر عن وليم موريس ولا عن هوسن ؟ والاجابة عن هذه الاسئلة تكمن في توكيد بيرسال سمث على ناحية تخالف الوجهة التي اقصدها . فهو يذهب الى ان نثرنا يعظم شأنه ، ويسمو قدره كلما تقرب الى الشعر ؛ ولذا فهو مستظل بظلال شعرنا ، بل قل هو احد اقاربه الضعاف الفقراء .

ومن هنا ، قد يقول احد الفرنسيين حين يقرأ هذه المجموعة : (كل هذا رائع بديع) الا انه لا يكاد يعد نثرا . هذا ادب شعب قادر على التغني والقاء المواعظ ، ولكنه عاجز عن المحادثة والمناقشة . انا اصغي لكل هؤلاء الانبياء بذهول ولكني لا اعني بمكالمتهم ، لسبب واحد هو ان هؤلاء ليسوا من الناس المتمدنين وهذا واقع اذا قلت الحق انهم لا يبدون كأناس يشبهونني ، بل هم اوسع مني باعا ، واقوى صولة ، ذلك بانهم رؤساء قبائل واعيانها ، وهذا ما يجعلهم يمارسون الفصاحة التي يمتاز بها البرابرة .

ومع هذا ، فثمة جانب من النثر الانكليزي ، يكاد بيرسال سمث يتجاهله ؛ وربما يعود السبب في ذلك الى ان الكاتب يرتب مجموعة ، لا يستطاع فيها تمثيل الجانب الاخر وعرضه في مقتطفات بسهولة وعلة ذلك ان النثر — في طبيعته الاصلية — اطول نفسا من الشعر ، وفضائله الخاصة به لا تظهر نفسها الا بصورة تدريجية . فاذا كانت فضيلة الشعر الرئيسة هي الحب ، ففضيلة النثر هي العدالة؛ فبينا يحملك الحب على العمل والتكلم، عفو اللحظة ، بسرعة وبغير تمهل ، تحتاج العدالة الى البحث والتقصي والاناة ، حتى وضبط انبل العواطف والاهواء . ولكن النثر الانكليزي الذي يقدمه الينا بيرسال سمث واقع تحت رحمة عواطفه ، ولا يعرف للعدل معنى الا في الاحوال الطارئة .

ولا اعني بالعدل هنا ما له صلة بشعب معين او افكار مقصودة . وانما اعني عادة العدل في جميع عمليات الفكر ، وفي الاسلوب الهادىء ، بما فيه من محتوى وشكل. وطبيعي ان استاذ النثر لا ينبغي ان يكون بارد الطبع ، ثقيل الظل ، ولكنه لن يبيح لاي صورة او كلمة مهما كانت بحرية الهابه بحرارة غير ذات موضوع بالنسبة الى غرضه او بالحري هدفه ، الذي يسعى اليه ببطء ، وتؤدة ، وبشيء من القلق ، مخضعا جميع ثروات ذهنه له ، رافضا كل الجمال الذي لا علاقة له به ، جاعلا جماله غاية انجاز قصده على ان يكون على مبعدة من النتاج كله، وشؤونه ، ولذا عليك درك الهدف نفسه قبل ان تعرف قدر جماله. ومع ذلك ، فجزاؤه مضمون ، لانه موضع ثقة ، وهو قادر على اقناعنا في حين ان الواقعين تحت رحمة البلاغة ، لن يولوا كتابهم ثقتهم ، ثم ان كتاب الفئة الاولى — يعرضون علينا المسرات بكثرة دون ان نلحظها .

ففي احسن النثر ، سواء اكان سردا او مناقشة ، نحن مساقون بمطالعتنا ، بحيث يعسر علينا التوقف من اجل كيل الثناء للمؤلف، او عرض الاسئلة عليه. ولكننا نتوقف حتما للتساؤل او للاطراء بخصوص الجملة التالية التي اتحفنا بها بيرسال سمث بعد ان اقتطفها من كارليل : « كولومبوس ، يا بطلي ، يا ربان البحر الشجاع ، يا ملك البحر الشمالي ، يا مليك الكل ، يا ذا الصولجان ! ان البيئة المحيطة بك ليست صديقة لك ، فهي تتمثل في المياه العميقة الموحشة ! تحدق بك ارواح جبانة ثائرة ، في حين تخلفك المهانة والخراب ، لتستقبل امامك حجاب الليل الذي لا ينخرق ؟ »

ومن هنا ، يصح القول بان الكاتب الذي يتشبث طويلا بهذا الاسلوب ، لا بد له من ارهاقنا واتعابنا ، فهو يشبه رجلا يجهر بأعلى صوته ، واذا هو انقطع عن الاستمرار على هذه الوثيرة ، اربكنا المقطع بتشويشه ، كأنه صرخة فجائية وهنا كارليل ، كما هو غالبا يخضع لعادة الاثارة كأن من حقه الاغراق فيها . ومن اجل ذلك فهو يماثل رجلا يلقي الخطب

على الناس، ليريهم قوة معتقداته . هذه هي اساليب الانانية التي هي من اسوأ جميع الاغلاط في النثر .

ذلك بان النثر هو ثمرة المدنية ، ونتاج الناس الذين تعلموا كيف يتناقشون من غير اللجوء الى الضربات والشتائم الذين يدركون ان الوصول الى الحق من الصعوبة بمكان ، بحيث يكون جديرا بالبحث والتقصي ، وهؤلاء الناس لا يبدأون جدلهم مع خصومهم ، باتهامهم بالخبث وسوء الطوية ، انما يجادلونهم بالحسنى عن طريق الصبر واستخلاص الاسباب والنتائج . ولذا انت عاجز ان تقول بالشعر ، ما يقوله احسن النثر . قد لا تتفوق المدنية على مجتمع بدائي ، في ذرى حماسته وبطولته ، ولكن المدنية ، اذا اريد له معناها الدقيق ، هي خير لحياتنا اليومية ، في رأفتها وتعقلها وجهودها المضنية ، وهذه صفات يعبر عنها النثر ، في صفوة الكتب ، ويشجعها كل التشجيع .

وقد فهم الفرنسيون هذا الامر مدة طويلة ، لانهم يدركون قيمة المدنية ويتمتعون بها . كتب باسكال (الرسائل الاقليمية) في سنة ١٦٥٦ ، ولقد تناول فيها موضوعا ساده الابهام من جراء ترسبات القرون الوسطى وعاداتها ، وشوهته العواطف الحزبية واهواؤها ، ومع هذا ، تمتاز هذه (الرسائل) بخلقها الجم ، وصفائها التام ، الى حد ان كاتبها لا يتكلف ولا يتظاهر ، كما هو شأن كبن ، في مباهاته الزاهية ، انما هو رجل متمدن يتحدث الى غيره من المتمدنين ، ومن اجل هذا يصر على التمادي في المناقشة الى ابعد حدودها . ولكن الخرافات والسخافات هي التي يسعى الى قتلها ، من غير ان يوجه سهمه الى من يتعلق بها . ذلك بانه يعرف ان فن المناقشة لا يبدأ بالقدح والذم ، ولكنه يشرع في عمله بعرض المسألة التي تهمك باسلوب يجعل الذين يحبون الشتائم ، لا يتورعون عن صبها على خصمك .

وهكذا نقرأ مناقشة ملتون ، لما فيها من حوادث معجبة ، غير اننا نطالع كتب باسكال لسبب واحد هو لذة المناقشة ذاتها . صحيح انه لا يرتدي درعا براقا ، ولكنه يحارب من اجل ابناء النور ، مدى العصور ، من غير التظاهر بالبروشة ، او الملائكية ، ولكن بالتطلع الى العقل الخالد ، الذي منه يتلقى العون والايد . وبالرغم من وجود فقرات رائعة واسماء عظيمة في كتاب بيرسال سمث هذا نحن نلحظ ابتذال الكتاب الجدد ، وبخاصة حين يحاولون التحليق في اجواء الخيال ، كانهم بذلك يستوجبون على انفسهم التظاهر بانهم من سلالة العرق الجبار انصامد امام الطوفان ، وكل ذلك كي نقر بعظمتهم الخاصة .

ولنضرب لذلك امثلة قول امرسون : « ان صداقاتنا تسرع الى نهايات قصيرة مسكينة . ذلك باننا جعلناها نسيجا من الخمور والاحلام ، دون ان تكون من وعاء القلب الانساني وجدارة النابضين » وقول رسكن في كتابه (براتيريتا) حين نظر ، اول وهلة الى جبال (الالب) : « لقد تجاوز الامر كل ما فكرنا فيه ، وحلمنا به ـ فاسوار (عدن) الضائعة ليست اشد جمالا مما نرى ؛ وليست جدران الموت المقدس المحيطة بالسماء باكثر مهابة وهولا منها » . (اي من الجبال) .

ويبدأ باتر فقرة بقوله : « لقد لحظت في عملية البناء الفكري التي نتمرس بها ، كيف يتم هذا البناء ، كأن دار الفكر الذي نعيش فيه هو الذي يجمع اجزاءه ويلائم بينها ، فهو في هذا الشأن يشبه عش طائر ، تضافرت على ايجاده الحشائش اليابسة واعواد القش ، ومن ثم يصح الاعتراف بانسجامه بالرغم من الحوادث التافهة التي اثرت فيه » .

ثم ان ستيفنسون يمضي في التحدث عن مثل هذه الاشياء المألوفة ، فيقول ، في رسالة له : « يبدو لي انك سألتني بصراحة هل كنت سعيدا . نعم كنت سعيدا مرة واحدة وذلك في (هيريس) ولكن تلك الفترة ذهبت من غير عودة ، واسباب ذلك عديدة مختلفة ، فمنها انهيار الصحة ، وتبديل المكان ، وازدياد الثروة ، والشيخوخة بارجلها المتلصصة . ومنذ ذلك الحين ، وقبل ذلك الوقت لا اعرف ما تعني السعادة . » .

وفي كل من هذه الاقوال شيء من الجمال، ولكنه لم يذكر بصورة طبيعية . ويبدو من هذا جميعه ان كل كاتب وضع له نموذجا لا يتفق مع مادة البحث ، او المناسبة ، ولذا فهذا نموذج يجعلنا نفكر فيه ، في حين اننا كان ينبغي لنا التفكير فيما قبل ذلك . ولكن النثر الذي يهمنا هو الذي يقنعنا بصورة لا شعورية كي نمضي في قراءته . وهذا الاقناع لا يتكامل الا بالانسجام بين الموضوع المطروق والمناسبة ، وهو ـ في هذا الصدد ـ يماثل الاحاديث الودية بين اصدقاء حميمين . وهذه الالفة التي يقودنا اليها الكاتب ، لا ينجزها الا باسلوبه الموجه الينا ، ويتجلى ذلك في عدم رغبته في ايهامنا وادهاشنا ، واذا ما حدث شيء من ذلك ؛ اي اذا اراد ان يحدثنا بشيء جديد ، فنحن سنصغي اليه بدافع واحد هو اهليته لاصغائنا .

وهذا النثر قليل في ادبنا ، وهو اقل مما نريده ونتمناه ، ولكنه اكثر مما نستطيع اقتطافه من مجموعة بيرسال سمث . لقد شرع في الكتابة بمثل هذا النمط من النثر حوالى عهد الاعادة Restauration على ايدي كاولي وهاليفاكس ودرايدن وغيرهم . الا ان بيرسال سمث لا يقدم الينا سوى مقطع قصير من كاولي وقطعة من هاليفاكس اما درايدن فلا يذكر له شيئا . فلعله يظن (الكاتب) ان احسن نثر لدرايدن موجود في شعره . ومع هذا فان ابرع استاذ في هذا الفن هو شافتسبري ، وبخاصة في مقالته (رسالة حول الحماسة) .

وهنا تتضح المسألة وتبرز بكل جلاء ، ذلك بان حديثه يتناول الدين بتعمق وجدة . ثم يسعى جهد طاقته لادخال الفكاهة الطيبة في نطاق الجدل ، وفي هذه الرسالة يضرب لنا مثلا على ذلك . ولذا نراه يبدأ موضوعه بلطف ، ثم يقودنا الى الجد بفنه الطبيعي الرقيق . اسمعه يتحدث : « سيدي ، هذا ضماننا حيال الخرافة : ان نتذكر انه ما من صفة في الله غير الهية ، فهو اما غير موجود قطعا ، واما هو الخير كله حقا وصدقا . ولكننا حين نخشى من استخدام عقولنا بحرية ، حتى في هذا السؤال نفسه (أهو موجود

(١) المقصود بذلك اعادة الملكية بعد انهيار جمهورية كرمويل حوالي سنة ١٦٨٠ ـ المترجم .

ام لا ؟) انما نحسبه شريرا ، وبذا نناقض صفة الخير وميزة العظمة ، وبذا نكتشف سوء ظننا بطبيعته ، ونتخوف من غضبه ، ونفرته ، وكل هذا يحدث في حالة حرية البحث هذه » .

ومع عدالة هذا المنطق وجدته وطراوته ، فهو يفتقر الى الموسيقى والصور ، الامرين اللذين نجدهما عندجيريمي تايلور ، او ملتون ، كما انهما غائبان عن نثر جونسون وكل كتاب القرن الثامن عشر . ومن اجل هذا السبب مقت الرومانسيون حتى فضائل النثر ، اذ اصبح هذا النثر بالنسبة اليهم من اقارب الشعر الضعفاء ، والا فعلى الكتاب ان يكونوا خطباء يخطبون حشود الناس المطالبين بحقوقهم، بصوت شديد النبرة ، وبكلمات ذوات صور مثيرة .

ومن هنا فهازلت اقرب الى الفصاحة منه الى التعقل وهو يبدو وكأنه لا ينفرد بك حين قراءتك كتاباته ، او بالحري هو يتكلم من اجل اقتناص الاصوات الانتخابية ، حتى اذا ما تناول احسن الكتاب والرسامين ؛ اما ماكولي ، الذي تجاهله بيرسال سمث ، فهو اسوأ من صاحبه ؛ ذلك بان اسلوبه فيه معايب امة سياسية اكثر منها اجتماعية ، وهذا ما يجعله غير قادر على التأمل او حتى التحدث ، بل كل ما هنالك هو استطاعته القاء المحاضرات ؛ هذا ؛ اما (برك) فهو يكتب عن كل ما هو سام وجميل ، ولكن باسلوب الخطيب .

ولذا فثمة منطقة كاملة من الذهن الانكليزي مقتطعة من نثرنا ، وهذا ما يحسه القليلون من الكتاب الخجولين ، غير المعترف بهم ، في مجالي الشهرة والشرف . وعلة ذلك اننا متمكنون من التأمل والاحاديث الودية ، ونحن اوغل قدما في المدنية مما نحن عليه بالقياس الى عاداتنا وتقاليدنا او اسلوبنا . ولنضرب مثلا على الكتاب الخجولين هدسن فهو يتأمل شيئا او يتذكر حادثة دائما ، والكتابة بالنسبة اليه هي وسيلة من وسائل القول الذي لا يريد الجهر به عاليا . وبهذه الطريقة يجعل القارىء اعز اصدقائه ، وكيف لا يفعل ذلك وهو يضع فيه ثقته التامة ؟

اما مارم رزرفورد، فمع اختلافه عن (هدسن) في موضوعات بحثه فهو لا يعوزه الانسجام بصاحبه ، في حياته وايمانه السوداوي ، وهما ما هما عليه من بعث الثقة في نفوسنا . قلما يتحدث هذان الكاتبان كثيرا في الجملة الواحدة ، او حتى الفقرة الواحدة ، ولكن لهما من القوة المتراكمة ما لا يمكننا البرهنة عليه بالاستشهاد ، كأن تلك القوة موسيقى متجولة تصدح حين تشاء ، وسبب ذلك ان هذا الطراز من الكتاب لا يفرض وحيه على الناس فرضا ، ولا يتحدث بشيء لا يملك عنانه . ذلك بان ميزة هؤلاء هي العدالة ؛ فهم يصفون ما يريدون وصفه من غير تكلف ولا عناء ، ودون استعمال كلمات زاهية ، وكيف يفعلون ذلك وهم يصفون ما يرون وما يشعرون . انهم لا يستغلون ما يحبون او ما يكرهون .

ومن العجيب حقا ، ان يتذكر احدنا ما قيل ـ في هذا الشأن ـ بصورة جيدة ، مع ما في هذا الامر من توكيد يسير وبراعة غير ظاهرة في استعمال الكلمات . وبالرغم من هذا الشأن ـ بصور جيدة ، مع ما في هذا الامر من توكيد تحتاج الى النطق بها ، والبوح بمكنونها ، وعلة ذلك انها تغرق في الذهن عميقا ، مبتعدة عن اللغة ، كتجربة واقعية، واذا ما قرأت كتب هؤلاء بعناية لتغيرت اشد التغير ، ولحسبت حادثة طارئة المت بك فبدلت شانك .

ومن المحتمل ان يظل هؤلاء الكتاب قلة ، لانهم لا يلقون الا ايسر التشجيع . ذلك باننا لما نزل جمهورا من القراء غير المتمدنين ، بحيث يحق لنا المطالبة بارفع فضائل النثر . اذ نحن نفضل (الضجيج السامي) والعبارات التي تنشد منا ملاحظتها ، وكيف لا ونحن لا يحثنا على مطالعة الكتاب الا اذا وقعنا تحت ضربات سوط الكاتب ؟

ومع هذا ، فلا يزال كل منا يحلم بالنثر الذي لم يكتب بعد باللغة الانكليزية ، ولو ان هذه اللغة جديرة بمثل هذا النثر ، والاذهان متمكنة منه ؛ وسبب ذلك اننا بحاجة الى نثر يعالج الامور العظيمة بهدوء وصدق ، كما يفعل الناس في تأملاتهم السرية ، قد تكون هذه الافكار متجولة في الظاهر ، الا انها تسير على وفق المنطق الفكري غير المتقطع ؛ من غير ان تخرج على الحماسة في فن الاكتشاف والجمال الطبيعي في الذهن الديني ...

واخيرا لي ان اقول بان كتابنا ، الاحياء والاموات ، ليسوا متمدنين كفاية ، او انهم يحبون اشياء اخرى ، او انهم ليسوا قادرين على كتابة النثر الذي نحلم به ، ذلك بان (افلاطون) الانكليزية لم يولد بعد .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

اقصدوا :

البروفسور توفيق سكر

خريج الكونسرفاتوار الوطني بباريس والفائز بجائزته

دروس في السولفيج والارموني والتاليف والموسيقى وغيرها مما يمكنك من التضلع في فن الموسيقى

العنوان : بيروت ـ شارع مدرسة الحقوق رقم ٤

تلفون ٢٠٠٨٨

Prof. Toufic Succar

Lauréat du Conservatoire de Paris

Leçons de Solfège, Harmonie, Composition, etc.

Adresse : 4 Rue Ecole de Droit Beyrouth

Téléph. 20088

اغنيـة المـوت

اذا أنا ، تأوهت يا صديقي ،
أو زفرت ، كالمنفاخ الغاضب
فلانك بعيد عني ،
واذا خاطبت الاشجار ،
بلغة الحيوانات المفترسة ،
أو بصقت في التيار الهادر ••
فانما ابصق الحقد والكراهية •
ويوم يحتل النجوم ••
قوم ، كالافاعي الصغيرة ••
ويرقد في أعلى السنديانة
شبح الموت الاحمر ، المخيف ،
فتعال ، أقبل يديك ،
واحدق في عيونك الساهمة •
ويوم يمر مركب العرس ••
من حنايا القبور •• والافات
وتنشج العجائز ••
من الضحك ، والبكاء
فتعال ، أملأ جيبك

بالدموع الساخنة المنفعلة •
في القسم الشرقي ، من الغابات
الهائمة على وجه المياه
ترقد قبرة حمراء صغيرة
بمنقارها المدبب الصغير
كحليمة نهد مقطوع
لا تزعج المارة ••
لكنهم يحسبون ذلك ـ !
يوم يكف الناس عن ازعاجها
ويخرج الموتى ، من قبورهم الشمعية
ليلثموا التراب المعفر ••
تعال ، أقبل جبينك الناصع
ويوم تكف العصافير عن القصورة
في الايام المطيرة •• الخانقة
والعاصفة •• الموحشة
تعال •• أقبل شفتيك الدافئتين
ولسانك المقطوع •• الاحمر •
ترقد قبرة حمراء صغيرة

العـراق ـ هيـت

طـراد كبيسـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة اروز ماري تمبرلي

حلم يتحقق ...

ترجمة احمد عثمان البسام

في غرفة حارة ، جوها مفعم بدخان السيكاير ، جلس « توم الشيخ » متصنعا الهدوء منتظرا دوره للكلام .. كان يحدق الى خوان المائدة الي جلس اليها ، والناظر اليه يدرك ان الافكار تزدحم في راسه الكبير ذي الشعر الكث الذي غزاه المشيب ، وذلك من نظرته الثابتة العميقة المنبعثة من عينيه السوداوين والابتسامة تتراقص على شفتيه ! ورغم اجهاده الشديد وهو في السبعين من عمره ، الا انه اليوم يشعر بالسعادة والنشاط!

انه يذكر كيف وصل الى عمله هذا الصباح ، وكيف عانى الامرين وهو يشق طريقه خلال الثلوج المتراكمة ، وانفاسه تتلاحق في الريح الباردة .. كان يشك في انه مستطيع حضور الحفلة التوديعية التي يقيمها له زملاؤه الليلة .. ليلة عيد الميلاد .. بسبب ما يحس به من تعب ، ولكن يظهر ان انهماكه في العمل انساه ما اصابه ، وان العشاء اللذيذ بعث الدفء في اوصاله ، والشراب الجيد جعله يشعر بالجراة والحيوية .. انه سوف يعود الى بيته بعد ان تنتهي هذه الحفلة ، وسينتهي معها كل شيء ، وفي البيت يمكنه ان يمضي يوم العيد هادئا مع زوجه ، وسيصبح من الان ملك نفسه ، وسيجد امامه مستقبلا من الراحة ، وتكون ايامه المقبلة كلها اجازة .. لقد سعد بحياته وهو يعمل ، ولقد آن له ان يتمتع ويسعد بالسنوات القليلة الباقية من عمره !. التقاعد ! ! بعض الناس يخشونه ، اما هو فسعيد به ، سيصبح لديه وقت يقضيه برفقة زوجه الطيبة .. وقت يمكنه فيه الانصراف الى هوايته المفضلة : النجارة .. وقت .. ولكن صوت المتكلم قطع عليه مجرى افكاره وهو يقول :

« .. والان .. وكاخر دليل لامتناننا للسيد « جيرارد » وكذكرى لسني عمله المدهش معنا ، وبرهانا للود الدائم الذي نكنه له ، يسرني ان اقدم اليه هذا التذكار الصغير تعبيرا لاحترامنا .. » ووسط الهتاف والتصفيق قام « توم » فاقترب منه مدير العمل نفسه ووضع بين يديه علبة صغيرة مغلفة بورق السعيد الزاهي ! .

ان « توم » يعرف ما تحتويه العلبة .. فقد سئل من قبل عما يفضله هدية بمناسبة تقاعده ، ومع ذلك فقد فتحها بفرح يشبه فرح الطفل بهدية العيد ! . ثم نظر الى رفاقه ذوي الوجوه المستبشرة الودودة وقال :

« ايها السادة .. لن احدثكم طويلا ـ فالشيوخ ثرثارون ـ ولكن في الوقت الذي اشكركم فيه على هذه الهدية العظيمة ، اود ان اخبركم لماذا اخترتها هي بالذات ! . كما لا يخفى على اكثركم انني بدات العمل هنا منذ ست وخمسين سنة ، عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري ، ولم اكن وحدي انذاك ، بل كان معي زميل في مثل سني ويدعى « جيم والاس» ولكنا اطلقنا عليه لقب « المقاتل » ، لانه كان دائما على اهبة الاستعداد للعراك مع اي انسان ، وكان لكل منا حينذاك امنية غالية هي ان يحصل على ساعة حقيقية تصبح ملكه وحده ساعة جيب ذات سلسلة كهذه التي اعطيتمونيها اليوم ، ولكن لا «المقاتل» ولا انا استطاع الظفر بالامنية ، غير اني واثق من انه لو علم انني حصلت عليها الان فسيكون سعيدا، لان الحلم تحقق اخيرا لواحد منا على الاقل . فمن النادر ان يحقق انسان حلمه وهو في السبعين ! اشكركم ..

وعيدا سعيدا لكم جميعا ! . »

وما ان انهى كلمته حتى شعر بالزهو ، فقد كانت رائعة ، والا لما هتف له الجميع !

وبعد ذلك ، وفيما هو في طريقه الى بيته سأله رفيقه « بل » ؛ مجرد « شاب » في السادسة والخمسين من عمره :

ـ ولكن ماذا جرى لصاحبك « المقاتل » هذا ، أتراه نزح من هنا ؟!

ـ مات ! . قالها « توم » بهدوء، ثم استطرد وكأنه يحلم :

ـ يا له من شيطان صغير مسكين ! كان صبيا نحيفا ضئيل الجسم كالقزم ، تكسو راسه خصلات من شعر احمر تبهر العين ، اعتقد ان احساسه بضآلة حجمه كان السبب في « شقاوته » الزائدة عن اللزوم ، ذات ليلة اصطدم مع فريق من « الاشقياء » الصغار ، وجدهم يؤذون ولدا صغيرا ، فانتصر له ، فكان بينه وبينهم عراك مرير ، انتهى بان طرحوه ارضا ، فارتطم راسه بالارض ثم نقل الى المستشفى فمات فيها ! .

لقد قامت ضجة حول الحادث ، ولكن عند التحقيق ، كان الموت قضاء وقدرا » هو القرار الوحيد الذي في الامكان ! . وهكذا ، فان « المقاتل » لم تسنح له الفرصة لكي يفوز بساعة جيب ! !

قال « بل » :

ـ لا شك ان في نيتك ان تريها لزوجتك !

ـ هذا ما سافعله ! . قالها وهو يدس الساعة في جيب معطفه ، وانطلق نحو البيت ! .

وفيما كان يسير بحذر في الثلوج، سحب قفازيه من جيبه ، ودس فيهما اصابعه المتجمدة ، ثم اسرع قليلا ، واخيرا راى بيته والنور ينبعث من احدى نوافذه ، واستطاع ان يرى ايضا ظل زوجته ، ثم دخل بلهفة وكأنه عاشق ، وجاءت زوجته فقبلته وقالت :

ـ كلمتك كانت رائعة ! . اليس كذلك ؟ !

ـ جدا .. جدا .. انظري الى الساعة التي اهدوها لي ،

غير ان يده خرجت من جيبه فارغة .. وامتقع وجهه ! .

الانانيـــــة

○

اذا كان الانسان اجتماعيا بالطبع فهو اناني بالطبع ايضا .

واذا كان ميل الانسان الى الاجتماع بغيره طبعا في الانسان فالانانية فيه غريزة اصيلة مستحكمة . وهي ـ اي الانانية ـ غريزة بغيضة تنفر منها النفوس المستنيرة المهذبة بل هي سبة توجه الى الشخص فتهدم ركنا من شخصيته وتثلب اعتباره بين الناس . فاذا اردنا ان ننعت انسانا نعتا يحط من مكانته ويجعله مكروها قلنا عنه انه اناني . ولو تغلغلنا الى اعماق مفهوم الانانية لوجدنا جراثيم الانانية كامنة في كل نفس انسانية فنحن والحالة هذه انانيون نسعى لخير انفسنا ونتهالك في سبيل الحصول على ما يرضينا ويجلب لنا اسباب الرفاه والسعادة على وجه الارض . ولكن لا ينكر ان هناك تفاوتا بين المساعي البشرية في مضمار حب الذات وتطمين رغبات الـ (انا) فقد يسعى البعض الى تطمين ذاته عن طريق امين فلا يزاحم غيره ولا يبطش بسواه وانما يسير خلف الذين تقدموه او يسبقهم من غير ضوضاء او ايذاء ولا يبذل جهدا في ازاحة هؤلاء عن طريقه ولا يتصرف هذا التصرف الحكيم الا الانسان الامثل الذي ينطبق عليه قول الشاعر .

ولا تسابقت في المفاخر بل سرت الهوينا ففزت بالسبق

ولكن الثاني لا يحالف الاكثرية الساحقة من الناس لهذا نراهم يتسابقون نحو مآربهم بسرعة جنونية ويتراكضون نحو ملذاتهم ونفوسهم تئن تحت سياط رغباتهم التي لا تنام وهؤلاء هم الذين اعتدنا ان ننعتهم بالانانيين الذين يهتفون بصوت واحد في كل يوم ـ اذا مت ظمانا فلا نزل القطر ـ وشر هؤلاء على المجتمعات الانسانية مستطير .

قلت ان الانسان اناني بالطبع واضيف الى ذلك ان انانيته كانت في العصور المظلمة وفي ادغال الغاب مجنونة لا تهدأ ثائرة لا تطمئن فوضوية غير مهذبة ولما انضوى الانسان تحت لواء المجتمع البدائي هذب نوعا من انانيته واحل بصورة محدودة التعاون محل التنابذ . فكانت مهمة المجتمع ولم تزل تهذيب غريزة الانانية عند الانسان الا ان الانانية لم تنعدم الى يوم الناس هذا . وما تزال غريزة بغيضة تفتقر الى التهذيب واصبح مقياس تقدم اي مجتمع من المجتمعات الانسانية انما هو في مقدار عزوفه عن الانانية وميله الى التعاون والمحبة والاخاء .

ان تبادل المصالح بين الافراد في المجتمع لا يعدو ان يكون في حقيقته انانية مهذبة اما الذين يسدون الخدمات الى الغير ولا يرجون مقابلا لخدماتهم ورصيدا لاحسانهم حتى ولو كان المقابل ينطوي على المعنويات فلا وجود لهم الا في مخيلة الشاعر وذهن المصلح . وقد يوجدون ولكن وجودهم يكون في الغالب اندر من الكبريت الاحمر .

ان حياة الانسان على وجه الارض تتخللها سلسلة طويلة من المقايضات حتى اصبحت الهدايا بين الناس ضربا من ضروب المقايضة فالذي يهدي هدية الى غيره ولا يهديه الغير شيئا فانه يمتنع عن الاهداء حالا وقد يقطع حبل الصداقة بينه وبين المهدى اليه وحتى المتصدق على الفقراء يرجو مقابلا من الله وهو الثواب المرتجى . . . قال جبران .

والناس لولا عقاب البعث ما عبدوا ربا ولولا الثواب المرتجى كفروا

بغداد حارث طه الراوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ماذا جرى؟! اتراك نسيتها هناك؟!

ـ فقدتها ! . فقدتها ! .

واحس تماما بانه مريض .. وان القشعريرة تسري في اوصاله ، ثم تذكر جذبه لقفازيه من جيبه فقال :

ـ هي الان وسط الثلوج ، في الطريق من هنا حتى المعمل .. انا ذاهب للبحث عنها !

ولكن زوجه اعترضته قائلة :

ـ لن تقدر على الخروج في مثل هذا الطقس .. سوف يقضي عليك !

وفي هذه اللحظة دخلت « الن » ابنته المتزوجة ، عائدة من السوق ، فأخبرتها امها عن الساعة الضائعة ، فاسرعت خارجة للبحث عنها ..

قال « توم » :

ـ لن تجديها .. ابرة وسط كومة من الدريس ! .. يا الله ما اسخفني حتى اعيرها كل هذه الاهمية .. ولكن .. وهنا شرق بدموعه !

قالت زوجته :

ـ سوف احضر لك شيئا من الشاي !

وبعد نصف ساعة ، وفيما هما يحتسيان الشاي في صمت حزين، دخلت « الن » وكانت وجنتاها موردتين وعيناها متألقتين .. ورفعت يدها بالساعة وهي تقول :

ـ كانت في المجرى تحت الثلوج .. تكاد تكون مدفونة ! . ها هي يا ابي !

فصاح في غمرة من الفرح والسعادة :

ـ ساعتي ! .

حقا ان الشيوخ كالاطفال ! . قالت « الن » ذلك في نفسها .. انها ليست سوى ساعة .. ولكنها قالت :

ـ انني في غاية السرور يا ابي . حقا .. انها بديعة ! !

ـ كم انت «شاطرة» يا ابنتي لانك وجدتها ! .

فردت عليه ابنته قائلة :

ـ حسنا .. الحقيقة انني لست التي وجدتها .. بل صبي صغير .. صبي مضحك .. نحيف ذو خصلات كثيفة من الشعر لم تر عيني اشد احمرارا منها ! ! فسألتها امها :

ـ وهل هو من هذه البلدة ؟ او لم تساليه عن اسمه ؟ !

ـ بلى .. سألته ! . قالت ذلك وضحكت ! . ثم اردفت ! .

ـ لقد كان يسحبني من ساقي .. يقول انه يدعى « المقاتل » ! ! !

العراق ـ البصرة احمد عثمان البسام

جراح الايام

الى صديقي « س »

*

أسلوتَ أيامي الغرّ وحناني العذب الابرّ
وتركتني في وحدة صمّاء ، تنطقُ بالضجر
يتثاءب الماضي البعيد بها ، وتلتفتُ الذكر
وتحوم في ابعادها الزرقاء ، أطياف الكدر
ماذا جرى؟ بيني وبينك، في الهوى ، صنو القمر
لاظل بعدك حائراً أطوي الليالي بالسهر
أقتات آلامي ، وارشف مدمعي عند السحر
قد كنتَ روضتي التي عبقت بأنفاس الزهر
وسماء أحلامي التي قد كنت كوكبها الاغر
وطلاقة الامل المجنّح في دجي يأسي الاشر
ورشاقة النغم الطليق يرف من شفة الوتر
ورفيف أخيلة النسيم الحر في ظلل الشجر
يا لون أوطاري وأشواقي وأحلامي الغرر
يا لون أيامي الحزينة وانسراحاتي الاخر
يا دورق العطر المطعم باللآلىء والدرر
يا باقة من زنبقٍ عصرت بأضواء القمر
يا صمت وحدتي الغريبة في دجى ليلي الامر
يا فجر بلور تألق في المدى ثم استتر
أنسيت أياماً لنا قد كنّ في لون الزهر
ألله ! ما اقسى الحياة اذا خلت منها الذكر
تقضى ؛ ولكن بالفراغ وبالكآبة والضجر

بغداد ـ اعظمية — احمد امين

مكتبة الاديب



التعبير الموسيقي

للدكتور فؤاد زكريا ـ ١٠١ صفحة ـ سلسلة الثقافة السيكولوجية ـ دار مصر للطباعة بالقاهرة

الموسيقي من الصق الفنون بالذات الانسانية ، هذا ما يؤكده التاريخ وينطق به تراث الانسان .. ومن هنا تبرز اهمية دراسة التعبير الموسيقي ، دراسة تجريبية واقعية تعين القارىء والمتخصص على فهم مشكلات وقضايا هذا الفن .

ولا ريب ـ كما يرى مؤلف الكتاب ـ ان قضايا الفن وبخاصة في مصر ، تتبلور في مسارين متعارضين ، وتتخذ شكل مذهبين متصارعين ، هما نظرية الفن الهادف ونظرية الفن من اجل الفن .. ففي هذين التيارين يضطرب اهل الفن على نمط يدعو الى النقد والتامل .. حتى لقد اصبح لمشكلة الفن الهادف والفن للفن معنى باطل عند الكثيرين ممن يعالجونها . فانصار فكرة الفن للفن ، يصفقون كثيرا للتلقائية التي يتمتع بها الفنان حين لا يفرض عليه هدف خارجي فيعبر بحرية كاملة ، ولو كان انتاجه هادما لمقومات الانسانية ، وباعثا على التخاذل والانحلال ، في حين ان اصحاب الفن الهادف يبالغون في التزام الفكرة الخارجية على حساب تلقائية الفنان وحريته .

وهنا ، وفي هذا الفهم العشوائي للقضية ، تكمن نقاط الضعف عند اصحاب هاتين النظريتين . لذا فان الدكتور فؤاد زكريا ـ وهو من المهتمين بدراسة الموسيقى والفلسفة ـ يرى ان الوضع السليم ، هو ان يكون الفن تلقائيا حرا وفي نفس الوقت يكون عاملا من عوامل النهوض بالمجتمع نحو مستقبل مشرق مضيء .. اي ان يجمع الميزات الطيبة لكل من المذهبين ، ويستبعد من الموقفين ما يشوبهما من تفسيرات باطلة. وعلى هذا الاساس ينطلق المؤلف في وضع تطبيق مفصل يعالج في ضوئه مشكلة التعبير الموسيقى ، مسترشدا بهذه النظرة العقلانية لقضايا الفن . يطالعنا المؤلف في كتابه بآراء متزنة رصينة ، تتجسد في فصلين ممتعين هما : « خصائص الفن الموسيقي وعناصره » « والتعبير في الموسيقى الشرقية » ، وينضوي تحت لواء هذين الفصلين فصول عديدة تتصل بمجرى البحث وتدل على وضع الحلول الناجعة . فيدرس الفصل الاول ـ طبيعة الفن الموسيقي ، واللغة الموسيقية ، والمعنى في الموسيقى ، والتطور الموسيقي .

والملاحظ في هذا البحث ان المؤلف يظهر اهتماماته البالغة في دراسة النواحي السيكولوجية والموسيقية من وجهة التعبير الموسيقي ، مع مقارنة هذا الفن بالفنون الجميلة الاخرى ، مما تصلح لان تكون نواة صالحة لدراسة مقارنة ، باعثة على تبسيط بواطن المشكلة التعبيرية في الموسيقى . فنحن نستشف من كلامه ، ان الموسيقى بطبيعتها اكثر الفنون استقلالا ، فهي ليست فنا تشكيليا لموضوعات يمكن الاشارة اليها ، كما لا يمكن ان تفهم عن طريق ترجمتها الى وسيلة اخرى من وسائل التعبير . فهي بعيدة عن المحاكاة ، لانها تجري على نمط فني مستقل بذاته . وتستمد مادتها الفنية بوسائلها الخاصة بالتعبير « من الات وغناءمدرب » ولا تستخلصها من اي مصدر اخر . ومن اجل هذه الصفات الفريدة كان للموسيقى مكانة خاصة لدى الفلاسفة والمفكرين .. ولا بدع اذا فسر الفيثاغوريون الكون كله ، بانه عدد ونغم .. ففي هذا المعنى الرمزي ، يبين لنا مدى اتساع مدلول الانغام عندهم وارتباطها بالطبيعة . اما اللغة الموسيقية فلها وجهان تركيبي وتحليلي ، وتبنى اصولها على عناصر وتنحصر هذه العناصر في الايقاع Rhythm واللحن Melody تفردت بها الموسيقى الغربية ، وافتقرت الى بعضها موسيقانا الشرقية .. والتوافق الصوتي Harmony والقالب Form وهذان العنصران الاخيران لا تعرفهما الموسيقى الشرقية ، وفقدانهما هو علة تاخر موسيقانا وضعفها ..

ومن هنا فالبحث في عناصر اللغة الموسيقية يقود بالتالي الى الطريقة التي تتداول بها هذه اللغة . فالعمل الفني في الفنون الاخرى ينقل من خالقه الى متلقيه مباشرة ، اما في الموسيقى فالعلاقة ثلاثية يتوسط فيها القائم بالاداة بين المؤلف وبين المستمع . لذلك يحمل المؤلف المستمع عبئا كبيرا في عملية هضم الموسيقى .. فالاستماع ، كما يرى ، فن قائم بذاته يقتضي تدريبا وممارسة ، وهذا ما يفسر لنا عجز الغالبية من الشرقيين عن فهم الموسيقى الغربية ، ذلك لانها تمتاز بالتوثب والحرارة والعمق ، الذي لم يالفه الكثيرون ، ممن انطبعت آذانهم على سماع اللحون الشرقية البطيئة . واما المعنى الموسيقى ، فان الموسيقى ، بشكل معين ، هي ذات موضوع ، ما دامت تحمل في اعماقها انتاجا فنيا صادقا .ولكن غموضها وانفلاق معانيها ، ناتج عن انها لا تعنى بالجزئيات ، بل تتجاوزها الى الكليات ، فهي اذن موسيقى مجردة بحكم بعدها عن التفسيرات الجزئية .. وحين يعالج المؤلف خط التطور الموسيقى ـ وهنا بالطبع يدور الكلام حول الموسيقى الغربية ـ فانه يتابع تطورها الوظائفي واتساعها بعد ان تعدت قطاعات المحلية الى العالمية . مستشهدا بذلك باساطين الموسيقى الغربيين الذين حققوا اكتشافات جديدة في عالم الموسيقى ، وفقا لمقتضيات المجتمع الحديث ، ومعطيات الاحساسات الانسانية المشرقة.

اما الفصل الثاني ، وهو الذي يعالج مشكلة التعبير في الموسيقى الشرقية ، فيسجل دراسة المشكلة بوجه عام ، ومشكلة الموسيقى في مصر بوجه خاص ، ومن ثم ارساء الحلول لترقيتها وتهذيبها .. ولعل هذا الفصل ، ادعى الى الوقوف والتامل ، لانه يوضح لنا ، وبشكل هادف ، مدى فهم المؤلف لحقيقة موسيقانا الشرقية .. فهو يعالجها باسلوب مقارن يبين مدى تخلف الموسيقى الشرقية عن الغربية ، ولذلك اسباب منها : افتقارها الى الهارموني ، ولحركة ايقاعها البطيء الذي يبعث على الخمول ولا يثير البهجة والاندفاع . ومعلوم ان الايقاع في موسيقانا من اوضح العناصر ، مما يقربها الى البدائية بعكس الموسيقى الغربية ، التي يسير فيها الايقاع نحو الادماج ولا يظهر في مسار اللحن الا لماما . والحق ان المؤلف يحمل الموسيقى الشرقية ما لا طاقة لها بحمله .. فهو يقارنها (بوضعيتها التي تنشد النمو والتطور) ، بالنماذج الاوربية الخالدة (الكلاسيكيات) ، وفي هذه المقارنة قسوة لا مبرر لها .

ونحن نعرف ، بداهة ، ان اغناء التراث الموسيقي بالاساليب الاوروبية يفضل بكثير العمل لهدم التراث والغائه ، بهذه المقارنات القاسية .. والا فما راي الكاتب لو عقدنا مقارنة بين موسيقى الجاز والمامبو (ويحلو لي ان اسميها موسيقى الطيش والبدائية) وبين التراث السمفوني الجليل ؟! وكيف هي الحال اذن بين الموسيقى العربية والكلاسيكية الغربية ، مع ما فيهما من فروق في النوع والسمات ؟! الواقع ان الموسيقى الشرقية لا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

زالت تحبو وتنهج نحو التطرد ، ولقد قامت محاولات تجديدية في هـذا المضمار ، اثبت بعضها لونا من النجاح ، واخفق البعض الاخر اخفاقـا مخجلا . ولعل عملية (التهجين) هذه سوف تدفع بالموسيقى العربية نحو الانطلاق والاثراء ، فضلا عن استغلال امكانيات التخت الشرقي الى ابعد حد

يضاف الى كل ما تقدم ، ان موضوعات الموسيقى اصبحت ترتوي من (الفولكلور) الشعبي واللوحات الشعبية ، مما يبشر بحركة انبعـاث موسيقية تتجاوب والحس القومي . ولكن المؤلف الفاضل ، تغمره روح تفاؤلية حين يضع الاسس اللازمة لتحرير الموسيقى في الشرق من افقها الضيق ، لكي تستوعب الخامات الانسانية الرقيقة وتنحو تجاه العالمية وتتلخص هذه الاهداف ، في العناية بهذا الفن ودراسته على قواعـد علمية صحيحة ، وتأسيس معاهد موسيقية راقية لاعداد المؤلفين والعازفين والمغنين ، ومن ثم فان هذا الفن يرتبط بالمجتمع ، الذي يجهد لانهاض مستوياته الحضارية في الادب والفنون والاقتصاد ونحو ذلك .. فارتقاء الموسيقى رهن بارتقاء المجتمع واتساع آفاقه الثقافية .

وقصارى القول ، ان كتاب « التعبير الموسيقى » غني في مادته ، واضح الهدف والمنهج ، برغم ما فيه من قسوة تفرضها طبيعة هذا المنهج التطبيقي ، لذلك ، فنحن بدورنا ، نوصي بمطالعته ، لان في مطالعته فائدة لا تخلو من طرافة وامتاع .

بصره ـ العراق **عبـد الرحمن عـاي**

دمى واطفال وقصص اخرى

لسافرة جميل حافظ ـ ٧٤ صفحة ـ مطبعة المعارف بغداد

صدرت هذه المجموعة وعددها تسع قصص منذ مدة . اننا عندما نحكم على عمل ادبي معين فانما يجب ان نضع نصب اعيننا مسألتين هامتين هما : مسألة كفاءة العمل الادبي من الناحية الفنية . أي مقدار اجادة الكاتب ـ او الكاتبة ـ في التمسك بمقاييس الفن القصصـي والمسألة الثانية مسألة اختيار الموضوع القصصي . والحقيقة فـان الامرين يمتزجان امتزاجا عضويا ليخلقا العمل الادبي الناجح .

وقصص المجموعة هذه تتميز مواضيعها جميعها بانها مواضيـع حية : معلمة مرهقة تحس رتابة عملها المرهق (قصة دمى واطفال) وطفل شريد يكدح نهاره دون ان يستطيع الحصول على ما يسد عيشه (قصة حصته الكلب) . وبائع دوندرمة اضنته الحياة واشقاه الدهر (قصة بائع الدوندرمة) . (امرأة وفلاح هارب) و (قصته لكي يعيش) .. الخ . انها مواضيع تعبر عن تعاسة الناس في المجتمع ، وما اكثر هـذه المواضيع في حياتنا اليومية . بقي علينا ان نبرز ناحية هامة وهي مقدار الاجادة الفنية في بناء هذه القصص . والقصة بناء كامل ، فنحن لا نستطيع ان نضحي بالفن القصصي في سبيل الموضوع . واحـداث القصة هي بمثابة لمسات الفرشاة للرسام ، وكلما كان القصصي مجيدا لفنه ، كلما كانت لمساته معبرة وموحية تبعث في النفس الاحاسيس التي تعتمل في نفوس ابطالها ، وبذلك نستطيع ان نحيا تجربتهم في الحياة.

فاذا اخذنا قصص المجموعة على ضوء ما تقدم جابهتنا اولى القصص وهي قصة (دمى واطفال) وهي في الحقيقة قصة حية تنبض بالاحساس، وينبع منها شعور بالالم المكبوت . انها لمسات رقيقة وموحيـة في آن واحد ، مونولوج داخلي يتردد في نفس تحس القيود ، ورتابة الحياة ، فيها روح تمرد ولكنها لا تظهر الا في نهاية القصة ، ان تعرف البطلـة الاخير ، على بساطته ، يدل على قدرة المؤلفة في لفت الانتباه الى هذا الكبت الذي تعانيه المعلمة . واما قصة (حصته الكلب) فقد عشنا فيها لحظات مع الصغير (حسن) وكنا نحس معه كل لفتة يلتفتها ، وكل مـا يستشعره من خواء وجوع وهو يواجه بائع اللبن ومحل الفواكه . لقد اوحت لنا المؤلفة في هذه القصة بروح انسانية طيبة . ولكـن قصـة (بائع الدوندورمة) اقل ايحاء من اختيها ولو ان النهاية تدل على براعة قصصية انها تعبير عن شعور الرجل بالاثم الذي اقترفه بحق ابنه وادى الى وفاته . ولكن علي ان اسأل سؤالا : كيف يمكن ان نتصور ابا يقذف بابنه بقوة الى الارض لمجرد ان الابن (كان يشاغب ويصيح دون انقطاع بينما كان هو يقرأ (القرآن) فكان يقطع عليه في كل مرة قراءته) ص ٢٦ مما يسبب للولد الاما تؤدي بحياته . اعتقد ان هذا مما لا يمكن استساغته وهو مجال للضعف في تسلسل احداث القصة المنطقي ، كما اننا لا نتقبله من اب يحب بناته بدرجة تجعله يؤمن بان (له مكانا في الجنة ، فهـو يحفظ حديثا للرسول يقول : من اطعم بنتا فله عند الله اجر اي اجر) ص (٢٥) .

اما قصص (اولاد المساحي ، وثمن الجنين ، ولكي يعيش ، ومـا هو ماء) ، فهي اجمالا قصص متهافتة ، تعوزها الحبكة القصصية والتركيز وينقصها الاحساس بالمأساة ، كما ان العمق في تحليل المشاعر يكاد يكون باهتا لدى الجميع وبناء القصة لا يتكامل الا بكل هذه الاشياء وقصة (السنوات الاولى) هي الاخرى متهافتة . فنحن نبقى غير ملمين بموضوعها اهي تريد التعبير عن مشاعر الفتاة نحو صديقتها التي نجهل امرها ، ام تريد التعبير عن موضوع التمثيلية التي قدمتها لمدرستها وهي ايضـا نجهل موضوعها ومناسبتها .

ان القصة بناء فني متكامل وهي لا تتكامل الا اذا انكشفت احداثها عن ابطالها ومشاعرهم ، خلال لمسات موحية ، ومعبرة ، وبشكل تلقائي ، حتى نستطيع ان نرسم لهم خطا بيانيا واضحا يميزهم عـن غيرهـم ، فقصة (وما هو بماء) مثلا تحوم حول الموضوع دون ان نستطيع فتـح منفذ لنا نطل منه على جوهره . لقد كانت الكاتبة ـ على الاجمال ـ في القصص السبع الاخيرة تقذف بشخصيات القصص دون ان تعطي التركيز الكافي لدورهم في الحياة . مما يجعل ذهن القارىء يظل في بلبلة مـن امرهم . لقد كانوا كالاشباح لا نستطيع ان نميز لهم ميزة فارقة .

بقي ان اقول ان خمس قصص من المجموعة هي دمـى واطفـال والسنوات الاولى ، وثمن الجنين ، ولكي يعيش ، وقبل الفجر تدور حوادثها حول نساء ، والباقي ابطالها رجال او اطفال ولهذا الامر دلالته ، فقـد تعودنا من بعض القصصيات الاهتمام الكلي بالمرأة . ولكن مع كل هـذا فاننا لم نجد في النساء ، بطلات القصص امرأة تتميز بروح التمرد من القيود التي تحد من حرية المرأة في مجتمعنا ، مما تصلح ان تكـون نموذجا للمرأة المتطلعة الى المستقبل باستثناء قصة (دمى واطفال) وهي لا تقدم نموذجا كاملا لذلك . والقصص على العموم تخلو من العقدة ، سهلة بسيطة ، ولكنها كما قلت تفتقر الى الحبكة ودقة التحلـيل ، والتصوير فيها باهت ، لا يعطيك دلالة تأكيدية للموضوع. وان كانـت الصبغة الاجتماعية تطغي على الجميع .

هناك خطأ في حوار قصة (السنوات الاولى) في قول الكاتبة على لسان سلوى ص (٤١) السطر ما قبل الاخير : لماذا لا نكون صريحين ، في حين كان الصحيح القول لماذا لا نكون صريحات ، لان المخاطبات نساء . كما انه في قصة لكي يعيش سردت القصة بلسان المتكلمة ، ولكنها بعـد ذلك تحولت دون تقديم الى لسان الغائب وهذا خطأ .

وختاما ، فان من تكتب قصة كقصة (دمى واطفال وقصة حصتـه الكلب) لها مستقبل زاهر في ميدان القصة ، ان هي ثابرت على جدها ، ودأبها في الاطلاع على روائع القصص ، والاستفادة من خبرات الاخرين في هذا المجال .

بغـداد **موسـى جعفـر**

الحضـــارة العربيـــة

تأليف ي.هل ـ ترجمـة الدكـتور ابراهيـم العدوي ـ ١٤٨ صفحة ـ مطبعة الانجلو المصرية بالقاهرة

ترجم لنا هذا الكتاب الدكتور ابراهيم احمد العدوي استاذ التاريخ بجامعة القاهرة وراجعه الدكتور حسين مؤنس استاذ التاريـخ الاسلامي بنفس الجامعة وهو من تأليف المؤرخ الالماني : ي. هل .

وقد قسم المؤلف الكتاب الى ستة فصول هي : بلاد العرب قبـل الاسلام ، محمد ، عصر الفتوح ، الامويون ، بغداد ، المغرب والاندلس كل هذا في مئة وثمان واربعين صفحة من القطع المتوسط ! ومن الاخطاء التي حرت في تعليلها هو تخبط المؤلف والمترجم في اسم القائد الروماني الذي قاد الحملة الرومانية لغزو بلاد العرب في عام ٢٤ ق.م. فالمترجم يسميه (جايوس جالوس) والمؤلف يسميه (ايلوس جالوس) ولست ادري هل هذه اخطاء مطبعية ام متعمدة ولكن الذي ادريه ان جميع المؤرخـين قد سموا هذا القائد بـ (اليوس غاليوس) (١) ، قسم يعلل سبب فشل هذه الحملة ويرجعه الى قوة الدولة السبائية في ذلك الحين ويبدو انـه قد نسي امرين الاول هو صعوبة مسالك جزيرة العرب التي لم يتعـــود الرومان الحضري المسكن على التجول في اغوارها والثاني هـو خيانـة الدليل النبطي (سيلاوس) الذي عز عليه ان يكون دليلا لجيش سيقتل الالاف من اخوانه العرب فسار بالجيش في طرق ومسالك وعرة حتـى اكتشفوا امره واعدموه في روما بعد رجوعهم (٢)

ويقول المؤلف في الصفحة الخامسة من كتابه ان (نظام الملاحـة الذي ادخله البطالسة في البحر الاحمر لم يؤثر الا قليلا في مصـالـح السبئيين التجارية في الشمال ، حيث ظلوا يمدون جميع المعابد المصرية الكبيرة بالبخور كما كان شانهم من قبل) ان أي مبتدا في دراسة التاريخ يستطيع ان يرد هذا الراي فيقول العكس ويثبته بالبراهين والادلة وفي الوقت الذي احيل فيه القارىء الى الكتب والمراجع التاريخية ادون له ما ذكره المرحوم جرجي زيدان (٣) الذي يتـكلم عن اسباب سقـــوط الدولة السبائية ومن جملة ما كتبه « وما زالوا في عز وثروة حتىاخذت طرق التجارة تتحول من البر الى البحر فاخذوا في الضعف »

وفي الصفحتين ١٢ و١٣ يتجنى المؤلف فيقول (غدا جوف بـلاد العرب في اوائل القرن السابع الميلادي لا ينتظم في دولة موحدة حتـى من الناحية الشكلية ولكن مما يستوقف النظر بصورة خاصة ان ذلـك القسم الذي لم يتاثر البتة بالحضارات المجاورة له صار مركز انطـلاق الحركة الاسلامية الكبرى ، والمعروف ان الدافع الحقيقي لهذه الحركة لم يكن دينيا وانما اقتصاديا ، وان كانت تفاصيل ذلك لا تزال غامضـــة غير معروفة) وقد احسن المترجم في الرد على هذا الراي المجحـــف الضعيف . ولعلي استطيع ـ كذلك ـ تفنيد هذا الرأي بهذه الكلمات : اما قول المؤلف ان جزيرة العرب التي خرج منها النور المحمدي لم تتاثر بحضارات الامم المجاورة فقول مردود ، وخير دليل على ذلك رحـــلات قريش من مكة في الشتاء والصيف الى الشام واليمن واحتكاكهم بالروم والبطالسة والاحباش ـ بعد ذلك ـ . واما ان دافع الانطلاق الحركـي الاسلامي لم يكن دينيا بل اقتصاديا فهو اختلاق لانه لو كان كذلك لانطلق العرب غازين فاتحين قبل ظهور الاسلام بزمن طويل ما دامت حالتهـــم الاقتصادية متردية .. كلنا يعرف ان الاسلام قد وحد صفوفهمواعطاهم الايمان الذي كان مشعل النور امامهم .. دين المحبة والاخاء والقوة والمنعة

ويسوق المؤلف رأيا في الصفحة التاسعة عشر عن الشعر العربـــي يقول فيه انه لا يشتمل الا على الغزل ووصف للجمل والحصان ورحلات الصيد وجلسات الشراب ويتهم الشعر العربي الجاهلي بعدم الواقعية.. اني لاعجب من هذا الكلام : الا يعرف المؤلف اهمية الجمل والحصان عند العرب وهو المؤرخ الكبير ؟ .. الم يقرأ شعرا لعنترة عن الحرب والحب الم يقرأ شعر بن ابي سلمى ذا الطابع السلمي الاخاني الم يقرأ شعـرا لامروء القيس يصور الحياة العربية بوجهها الواقعي في ذلك الحين ؟.. ان الواقع الذي يستمد منه الشاعر العربي في ذلك الزمان ... الحصان والجمل والحب والحرب والكرم والوفاء ... الذي لا يخلو منه المجتمع العربي في ذلك الحين .

وفي الفصل الثاني الذي يتكلم فيه المؤلف عن شخصية الرسـول عليه السلام نرى ان المترجم قد كفانا مناقشة المؤلف والرد عليـه فهـو يصرح « اقتضى هذا الفصل تعديلا في الاسلوب ولا سيما بعض الفقرات التي عالج فيها المؤلف شخصية الرسول ودعوته الى الاسلام ، اذ يحمل تجنيا يكشف عن تعصب المؤلف ووقوعه في الخطأ الذي تردى فيه كثير من غلاة المستشرقين الضيقي الافق »

وبعد هذه الكلمة القصيرة للمترجم اتوقف عند هذا الحد بعـد ان اعطيت القارىء فكرة عن الكتاب ومؤلفه والهدف من وضعه ، وختاما اقول اني قد اشتريت هذا الكتاب باعتباره مرجعا ومصدرا تاريخيا يعينني فاذا به مجموعة من الحوادث التاريخية المشوهة مؤلفه ـ عفى الله عنه ـ مفرض في تحليله للحوادث ولا يعتمد ـ في رأيي ـ مطلقا على ارائه .

بغـداد — باسم عبـد الحميد حمـودي

صـــدر حديثـــا :

الهلال

مجموعـة شعريـــة لشـاعـر الهنـــــد

رابنـدرانـات طـاغـــور

ترجمـــة

الـدكتـور بـديـع حقـي

(١) راجع مثلا : فيليب حتي : العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٥٨

(٢) انظر سترابون

(٣) انظر ص ١٢٠ ج ١ : العرب قبل الاسلام طبعة ثانية ١٩٢٢

النمـــل الاســـود

لجورج شامي ـ مجموعة قصص ـ ١٢٢ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

جورج شامي ـ احد القصصيين اللبنانيين الشباب ـ ومجموعتـــه القصصية الاولى « النمل الاسود » تبشر بمستقبل زاهر في دنيا القصة ، والمؤلف عرفناه عاقد مقال ، وكاتب قصة أمينا لرسالـــة القلم ومجده ، يعطي روحه من عطـــاء مبارك تشرق منـه الصراحـة ، واللباقة ، ويطوي في باطنه الالم والسخرية والشكوى والانين ...

وكتابه « النمل الاسود » الذي قدم له الاستاذ فؤاد حداد يتضمن عشر قصص مسلية ، طريفة ، عاشها ويعيشها كثيرون من افراد الشعب ، ففي قصته « النمل الاسود » نقع على وصف مشبع بروح الدقة لشخص ابصر النور في الشارع . فترعرع في القاذورات يخدم الناس ليحصل على ما يسد به رمقه . ودفعته الايام الى التفريط في الاعمال المشينة ، والانغماس في الشهوات القتالة . فانهدرت كرامته ، وفقد عزة نفســه « وتأصلت المفاسد في اخلاقه مع السنين » . خدم في دكان ... فـي قرن ... وتنقل من خدمة فلان الى خدمة فلان ، على امل ان يؤمن لحياته عيشا ممزوجا سعادة وطمأنينة . لكن الدهر عاكسه ، فحطم احلامه... مضت عليه سنوات وهو يتكالب على الدرهم واللقمة ، الى ان قيض له ان يفلت من ايدي الناس ويحصل على باب رزق . فاشغل زاوية فـي مكتب جريدة « البلاد » لبيع القهوة والمرطبات . وانتبه لعمله الجديد . فكان يلبي حاجات زبائنه بوجه ضحوك عندما يظفر منهم بكبير عطاء ، وبوجه عابس حينما يكسفونه .

ولم تطرأ على خاطره فكرة الزواج وكان قد قفز اربعينه ـ الا عندما اصابه مرض في احدى الليالي ، حمل له وجعا لا يحتمل . وحاول عبثا ان يتعرف الى مصدر الوجع . وطلع عليه الصباح دون ان يغمض لـه جفن ، ودون ان تحمل له الدموع التي اطلقها من مقلتيه ، والانين الذي رافقه طيلة الليل ، اية رافة . لم يتقرب منه احد ، في نهاره ، ليساعده على التخلص من المه ... فيا له من رجل بائس واخيرا فطن المحررون اليه ، عندما اشتد توقهم الى القهوة والمنعشات . فدقوا له الجرس مرات ومرات . وحين عرفوا مصيبته ، حن قلبهم عليه . فنقدوه اجرة الطبيب وثمن الدواء . وعندما وضع الطبيب سماعته على بطنه يفحصه ، داخله شعور قوي الى امراة تدفئه بجسدها ، بروحها ساعة يهاجمه البرد ، امراة يقضي واياها بقية عمره بوئام ومحبة ، بعيدا عن المسكرات والرهان في السباق ، امراة تنجب له اولادا تقر بهم عيناه .

وشفي من مرضه . فراح ، يبحث عن حواء هينة العيش ، سليمـة العقل تفهمه ويفهمها . والتقى بها بعد طواف متعسر . فكانت ارملـــة عقيمة ارتضت ان تعيش بجواره . فعاشا سوية اكثر من عام . واتى يوم تركته فيه زوجه . فحز الم شديد في نفسه ، وتستر بالسخرية ، وطفق يقول : « غدا اموت ... ليرموا جثتي الى الكلاب ... صرفت في حياتي الوفا من الليرات ... وكنت مرتاح البال ، لا افكر بامراة ولا ببيت ولا باولاد ... ولما حاولت ان يكون لي بيت وامرأة واولاد هركتني امراتي ... هجم النمل الاسود الكبير يريد ان ياكلني في بيتي . » ثم يتابع قوله : « ساعود اشرب العرق ... اراهن في السباق ... احشش ... عند نينا ... عند زينه ... عند فايده ... هكذا افضل ، كـل ليلة في حضن غريب . » هذا ومات ابشع ميتة ، بعد ان فرض الدود والنمل الاسود نصف جسمه .

اما « حرباء » فهي قصة انسانية حية ... تعرف كامل الى فتاة يوم كانت على مقاعد الدراسة ، وقبل ان يطرق الحب قلبه . ثم عرفها برفقة شاب نفر منها بعدها اغدق عليها طيب امانيه . وعرفها برفقة ثان نثر في دربها الورود والزنابق ، ووعدها بالزواج ، لكنه تخلى عنها . احبها كامل حبا صادقا ، غافرا لها ذنوب الماضي . « وقرر ان يمد يـده الى شعرها الصغير المجعد يداعبها ويداعبه » ، « يسقيها عرقـا على الغداء ينتظر دخولها الى عندهم ليشد عليها ، فتطيل المكوث ويغنـــم مناسبة . » وكانت كاتيا ـ وهذا اسمها ـ تعيش معه بخوف الفتـــاة الحرون ، « تدفعها غريزة وتكبحها تجارب قاسية عانتها ، وتمزق فؤادها منها بالشفر الكلامي المخدر .. كانت تخاف تجربتها الثالثة . »

وفاتحها برغبة الزواج ، وفاتحته برغبتها في ارتداء ثوب للاكليل يرجع ثمنه الى الف ليرة ، وطلبت ان تسكن حارة ايجارها السنوي الفا ليرة . كانت ترافقه في نزهاته . وذات يوم « سكرت بين يديه ، داخت بها الدنيا عن الناس ، عن الماضي ، واحتضن هو سكرها بسكره.. عبر لها عن بداية ، وعاشا في دوامة العرق سكرانين ، يخفيان سكرهما عن الناس بالتحايل على المظاهر . ولكن رائحة علاقاتهما فاحت في اذان الجيران. فباتوا يترصدونهما، وطفت على عيونهم، فباتوا يلحظونهما معا».

وافهمته ـ لما طلب يدها ـ انها تود معاونة اهلها . فرضخ لامرها ، مع تساؤله عن اسباب خوفها ، وعدم ثقتها به بعد اختبار طويل ... وكانت والدته تكره الفتاة لانها مفككة الارادة ، نحيلة البنية ، جاحظة العينين ، شاحبة اللون ، ولانها من غير طائفته ...

وكانت اقاويل السوء عن فتاته تطـرق مسامعـــه فلـم يعبـا بها . كان مقتنعا انها من معدن طيب ، وان باستطاعته ان يسير بها الى حظيرة الاعمال الطيبة الشريفة ، « فلا تصدر عنها هنات ، تزيد فـي حقارتها » ، بل تقبع بعيشه في النهاية ، فتشاركه اتراحه وافراحه ، وتعتني بامورها البيتية ، اذ انها ترغب في ان يكون لها عش زوجية تهيمن عليه الهناءة ، وترفع لواءه السعادة ، وترفرف فوقه طيور النعمى ... لقد ادرك ناحية ضعف كاتيا ، وناحية قوتها . كانت ارادتها ضعيفة الى درجة تشير بالانهيار التام . لذا حاول جاهدا الا تمر عليها فرصة اجتماعه بها دون ان تحمل لها درسا في قوة الارادة .

ترك عمله الذي لم يكن يدر عليه ربحا كافيا . تركه ليشتغل اعمالا خطط احرفها الضنك ، ويزيد في ربحه ، وفي قيمة وجوده . فيؤثث منزلا يليق بهما ، ويكون له عرس يدعو اليه كرام الناس ... كان لا ينـي يفكر بالغد . يفكر بالطموح ، ليريها انه من الرجال الامناء... كان يشتغل ويتمم عمله بمهارة وحذق واخلاص ، ويسهر عليه اذا دعا الداعي .

لا تمر دقيقة دون ان يتخيلها بالقرب منه . وفي يوم انتظرها فـي دارته . طال به الانتظار ، وهو يتلهف شوقا لاطلتها . « وينهار الى مقعد وثير كحجر ثقيل ، ثم ينتفض كمن وخزه شيء ، كمن جلس الى مسامير ، ويتلفت يمنة ويسرة ... يسوي في وضع لوحة في الحائط ! يدير زر الراديو دورات مجنونة ، ولا يلبث ان يعيده الى ما كان عليه ، ينزل يده في جيبه ، يذهب الى سترته ياتـي بلفافـــة ... يمشي مشيـة عسكرية ... يدخل الحمام يشد بخزان المرحاض ... »

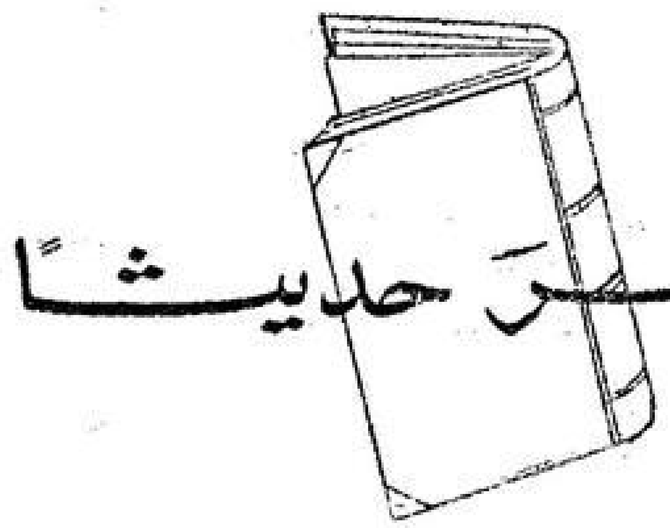
واخيرا يأوي في فراشه ، يدفن فيه حبه الصغير الفاشل .

واذ نقلب بقيمة صفحات الكتاب ، نعثر على قصص مثيرة موفقة . على انه وان وفق صاحب القصص ، في تشخيص اوبئة المجتمع في قالب سخري ، دامع ، يتخبط بالشكوى والقنوط والمحسوبية ، لـــم يذكر اية علاجات كفيلة برد السموم عن اشخاصه ، سموم الفقر ، والحقد والرذيلة ... واذ يتكلم عن الجنس ، يتكلم بصورة خاصة به .

اما من ناحية المبنى ، فقد وفق جورج شامي في اختيار اسلوب سلس سلط اضواءه على كل صفحات الكتاب .

وهذه المجموعة القصصية تستحق كل اعجاب وتهنئة ، وتعد مـن اقوى القصص التي ظهرت في الاونة الاخيرة . وان كان لنا امنية مـن جورج شامي ، هي ان يطل علينا في قصتيه « الخازوق الازرق ، وقنديل الكاز » اللتين في قيد الاعداد ، بما يفيد ويلذ .

ابراهيـم عبدو الخـوري



ظهر حديثاً

● محاضرات الموسم الثقافي الثاني ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م ـ منشورات معارف حكومة الكويت ـ ٣٢٥ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع دار المعارف بمصر . ويضم الكتاب المحاضرات التي القاها الاستاذ عبد الرحمن البزاز والدكاترة سعيد عبده وسليمان حزين ومحمد محمود الصياد واسحق موسى الحسيني وامجد الطرابلسي ونقولا زيادة وحسين فوزي وقسطنطين زريق

● مقدمة لدراسة اقدم ادب عرفه الانسان ـ القسم الاول في العراق ـ تأليف كاظم الجنابي ـ مع تصدير بقلم ابراهيم الونداوي ـ ٩٧ صفحة ـ مزين بالصور الاثرية ـ لوحة الغلاف تمثل « جلجامش » يصارع الاسد بريشة الفنان طارق مظلوم ـ مطبعة دار التمدن ببغداد .

● غيوم ظامئة ـ مجموعة شعرية ـ لوديع ديب ـ ٨٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● نظرية الاسلام الخلقية ـ الكتاب الخامس من سلسلة ذخائر الفكر الاسلامي ـ تأليف ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان ـ ترجمه عن الاردية محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الاسلامية في لاهور باكستان ـ ٧٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الشباب المسلم بدمشق ـ المطبعة التعاونية بدمشق

● مسألة كشمير ١٩٤٧ ـ ١٩٥٦ ـ صدر عن مكتب النشر والاستعلامات بسفارة الهند في القاهرة ـ ٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة [لم يذكر اسم المطبعة]

● صقر قريش ـ مسرحية عربية ـ تأليف محمود تيمور ـ ٢٠٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الاداب ومطبعتها بالقاهرة ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة

● حياة الامام علي بن الحسين « زين العابدين » ـ تأليف كاظم جواد الساعدي ـ مع مقدمة بقلم الشيخ محمد الجواد آل الشيخ احمد الجزائري ـ ٤٤٠ صفحة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق

● عطف ام وقصص اخرى ـ تأليف عبد الحميد الانشاصي ـ ٩٤ صفحة ـ ملتزم الطبع والنشر دار سعد مصر بالقاهرة .

● الاسس الاخلاقية للحركة الاسلامية ـ الكتاب السادس من سلسلة ذخائر الفكر الاسلامي ـ تأليف ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان ـ ترجمه عن الاردية محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية في لاهور باكستان ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبة الشباب المسلم بدمشق ـ المطبعة التعاونية بدمشق .

● قصر الشوف ـ رواية ـ تأليف نجيب محفوظ ـ ٤٠٤ صفحة ـ منشورات مكتبة مصر بالقاهرة ـ دار مصر للطباعة بالقاهرة .

● رسالة الى ولدي ـ مطولة شعرية ـ لعصام حماد ـ ١٩ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات المكتبة العلمية البيرة رام الله بالاردن ـ مطبعة كرم بالقدس .

● عدوان الاطفال ـ الكتاب ١٩ من سلسلة دراسات سيكولوجية . كيف نفهم الاطفال ـ تأليف سيبيل اسكالونا ـ ترجمة الدكتور عبد المنعم المليجي مدرس علم النفس بجامعة عين شمس بالقاهرة ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ١٠٢ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● من وحي بور سعيد ـ مجموعة شعرية ـ لليوزباشي حسن فتح الباب ـ مع مقدمة بقلم محمود امين العالم ـ وتعريف بقلم محمد مفيد الشوباشي ـ ١٢٠ صفحة ـ مزين بالرسوم بريشة : عبد الحليم وايزاك ـ منشورات دار المنتدى الثقافي بالقاهرة ـ مطبعة مخيمر بالقاهرة

● سمرنار ـ مجموعة مقطوعات ادبية ـ تأليف سليمان عواد ـ ١٦٠ صفحة ـ مزين بالرسوم بريشة عبد القادر ارناؤوط ـ مطبعة الجمهورية بدمشق

● كنت في الصين ـ تأليف عبد الرحمن ابو قوس ـ ٢٦٨ صفحة ـ مطبعة المعارف نجيب كنيدر في حلب سورية .

● صراع مع الظلام ـ مسرحية اجتماعية في اربعة فصول ـ تأليف محمد منير آل ياسين ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات الرسالة الجديدة ببغداد ـ مطبعة الجامعة ببغداد .

● كلمات الحياة العامة ـ يقدمها محمود تيمور عضو مجمع اللغة العربية ـ مستخرجة من كتاب للمؤلف بعنوان : سلطان اللغة العربية ـ ٣٢ صفحة ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

● اغاني المعركة ـ مجموعة شعرية ـ لابراهيم شعراوي ـ مع مقدمة بقلم محمد مكي ـ ٣٢ صفحة ـ منشورات دار الثقافة العربية بالقاهرة ـ دار العالم العربي للطباعة بالقاهرة

● غرر الاخبار في رد تصحيح الاختيار ـ تأليف كاظم الشيخ جواد الساعدي ـ مع تقديم بقلم آية الله الشيخ اغا بزرك الطهراني ـ ٤٨ صفحة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● حروف محرقة ـ تأليف ميشال كمال ـ مع مقدمة بقلم الدكتور كمال يوسف الحاج ـ ٣٢٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مكتبة الكمال بيروت ـ مطابع لبنان بيروت .

● واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ـ الكتاب السابع من سلسلة ذخائر الفكر الاسلامي ـ تأليف ابو الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان ـ ترجمه عن الاردية محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية في لاهور باكستان ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات مكتبة الشباب المسلم بدمشق ـ المطبعة التعاونية بدمشق .

● الحصان الاخضر وقصص عراقية اخرى ـ تأليف ناجي جابر وعبدالله جواد وعبدالله حسن ومنير امير ـ ٧٤ صفحة ـ مزين بالرسوم بريشة منير امير ـ مطبعة الامة ببغداد .

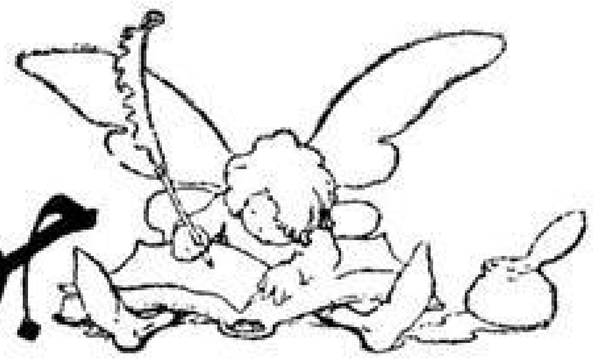
● الامارات السبع على الساحل الاخضر ـ تأليف احمد قاسم البوريني ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار الحكمة ببيروت ـ مطابع الوفاء ببيروت .

● وزارة التربية والتعليم الاردنية ـ التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ ـ منشورات وزارة التربية الاردنية ـ ٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الطباعة والنشر بعمان الاردن .

● صوت من الماضي ـ تأليف جون ماركوان ـ ترجمة اميل خليل بيدس ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● حكومة الكويت ادارة المعارف ـ التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ـ منشورات معارف الكويت ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع حكومة الكويت بالكويت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

قصة الحرية تحت كل سماء في رواية « جذور السماء » لرومان غاري

خرجت بعد قراءتي ـ هذا الاسبوع ـ رواية « جذور السماء » الفائزة بجائزة غونكور لعام ١٩٥٦ ، لمؤلفها رومان غاري ، وانا اشد ايمانا من اي وقت مضى ، بان الرواية هي الفن الادبي الامثل ، لمعالجة الافكار التي تصطرع حولها الانسانية في كل عصر وزمان ، وهي اقرب الاثار الثقافية الى قلوب الخاصة والعامة على السواء ، واقواها تأثيرا في النفوس ، وارحبها مجالا للتعبير عن مشاعر الناس ، وتصوير ادق خلجات الحياة ، وكشف مكنونات الطبيعة البشرية ، وتحليل ما يعتمل في العقول من افكار وآراء وبحث عن الحقيقة والخير والجمال .

والرواية التي انا بصددها الان « جذور السماء » ، يصح اعتبارها انها من بين الروايات الفكرية العميقة .

وقد يكون اسم رومان غاري مغمورا في دنيا الادب المحلي او العالمي ، وقد لا يكون ، ولكن جائزة غونكور اعتادت ان تمنح احيانا لمغمورين ، ما يلبثون ان يصبحوا اعلاما .

ان مسرح الحوادث في « جذور السماء » قد يكون متناقضا ، لا تربطه لحمة ، ولا منطق فليس فيها ما يسمى بوحدة الزمان ، ولا بوحدة المكان . فبينما تجري الحوادث في افريقيا المتوحشة ، ترانا ننتقل الى اوروبا ، ولكن لنأخذ عنها صورة اكثر توحشا .

انها قصة « المقاومة » الوطنية ومعسكرات الاعتقال النازية في ايام الحرب الاخيرة .

كما انها قصة حياة الادغال والافيال الافريقية بما فيها من فوضى وتوحش ، وعنف وبدائيات ...

أرأيت كيف يمثل المؤلف فوق مسرحين مختلفين كل الاختلاف ، ولكن سنرى كيف ان العلاقة بينهما متينة قوية ، واللحمة وثيقة العرى . وهنا تبرز بنظري براعة المؤلف . لان قصته هي قصة الحرية في كل مكان ، ان في اوروبا او افريقيا ، او في واق الواق .

وملخص الرواية انه : « منذ زمن غير قليل ، اصبح لا حديث لفورلامي ـ عاصمة بلاد تشاد في افريقيا ـ الا حديث الهجمات الغريبة التي يتعرض لها صيادو الافيال هناك . انهم وحدهم الضحايا المقصودون بهذه الهجمات . وهؤلاء الصيادون ، هم بضعة اشخاص ، كانوا بدوافع الرياضة ، او بحجة انقاذ المزارع المعرضة لخطر هذه الحيوانات الضخمة ، يقتلون منها كل سنة ثلاثين الفا . ولكن الصيادين المعاقبين لم يتعرضوا مطلقا للاغتيال ، بل كانوا يجرحون احيانا ، او يجلدون او يعطون درسا في التعذيب .

وتجاه ضعف السلطات ، كان هناك شخص يدعى موريل ، يبرر هذه الاعمال ضد الصيادين ، بتبنيه الدفاع عن قضية الافيال ، وهو احد الذين عانوا في حياتهم مرارة السجن في معسكرات الاعتقال النازية ايام الحرب ، وكان الناس يعتبرون موريل مجنونا او عميلا للمكتب الثاني ، او عدوا للبشرية ، او متشائما او صاحب مزاج سادي .

ولكن موريل يضطر الى التوقف عن قيادة هجماته ضد صيادي الافيال ازاء تفاقم السخرية والكراهية ضده ، وازاء تخلي رفاقه الذين كانوا يساعدونه في هذا العمل عنه ، واخيرا بعد استغلال بعض اصحاب الاغراض السياسية عمله او الحملة عليه .

وكان يقول : ان الناس يشعرون احيانا انهم وحيدون ، ولذلك هم بحاجة الى رفقة ما . بحاجة الى شيء اكبر منهم او اضخم يستطيعون ان يتكئوا عليه ، الى دعامة تسندهم وهكذا فان الكلاب لا تكفي ، الناس بحاجة الى افيال ! ... ولكني لا اريد ان يمس احد هذه الافيال بسوء » .

لقد جعل موريل من الفيل رمزا للحرية الشخصية ، والتسامح ، وحقوق الانسان . لان الخطر الذي يتعرض له الفيل ، يتعرض له الانسان ، صحيح ان هذا الحيوان ضخم ومقلق ، ولكن الانسانية تجد نفسها الان انها بحاجة الى « هامش » من هذا الحجم ، لان الحرية ايضا هي ضخمة ومقلقة .

وفي النهاية يصبح موريل ، قديسا ، لانه غدا متجردا كثيرا ، بحيث لم يعد يجذب تاييد الرعاع ، وصار يشق بكل انسان ، بحيث لم يقه ذلك الوقوع في العثرات ، وبات غير مهادن بحيث لم يعد يتمكن من ايجاد غاية يقبل عليها كل الناس .

هذا هو موضوع « جذور السماء » الذي يعالج الصراع في سبيل الحرية ، وليس المهم هنا ، كما يلاحظ القارىء ، قصة الافيال ولا حياة معسكرات الاعتقال التي افرد المؤلف صفحات عدة ممتعة في وصفها بل المهم والاساسي بطبيعة الحال ، هو النضال المستمر في سبيل الحرية ، حتى تغدو اسطورة يتغنى بها تاريخ البشرية ، ويغنى من اجلها العظماء والقديسون .

اما كيف نشأ لدى بطل « جذور السماء » الهامه نحو الحرية ، ونحو الافيال بصورة خاصة ، فان رومان غاري ، لا يجد افضل من وصف جماعة من المعتقلين في احد المعسكرات النازية ايام الحرب ، كانوا احيانا يخلقون لانفسهم اوهاما وخيالات تلهيهم عن حياتهم التي تحولت الى شبه عدم ، ومن لم يسجن في حياته لا يعرف قساوة المعسكرات .

لقد كان بين هذه الجماعة معتقل يدعى روبير ، قوي ، جبار ، عنيد ، انوف ، يتزعم الجماعة ، وفي ذات يوم يدخل المعسكر وبرفقته امرأة وهمية . ويطلب الى رفاقه ان يكفوا عن النحيب والنشيج والشكوى ، والتبرم ، والقلق ، وان عليهم ان يتصرفوا كما لو كانوا بحضور امرأة ، اي عليهم ان يبذلوا جهدا في النظافة وتحسين القيافة ، وتبادل الاحترام وتقديس هذه المرأة « غير الموجودة » .

ومنذ ذلك الحين يحدث بين الجماعة شيء غريب ، اذ ترتفع معنويات افرادها فجأة . ويتخذون من هذه المرأة التي تعيش بينهم رمزا للحرية ، فيفردون لها مكانا واقعيا بينهم ، ويتصرفون دائما كما لو كانت موجودة، مما اثار الشبهة لدى رجال الغستابو ، فيقومون بتحقيق واسع ، يعاقبون روبير على اثره بوضعه مدة شهر في زنزانة منفردة .. وحين يخرج روبير من الزنزانة الضيقة ، يقص على رفاقه ما قاساه من عذاب والام وسوء معاملة ويقول : ولكني لم ايأس ولم استسلم بل كنت اتصور دائما قطيعا من الافيال تسرح وتمرح بحرية خلال ادغال افريقيا ، مئات ومئات من الافيال لا يقف بوجهها شيء لا جدار ولا حاجز ولا اسلاك شائكة ، تحطم كل شيء ما دامت تتمتع بحريتها . ولذلك عندما تعانون عذاب الباطون المسلح ، والاسلاك الشائكة والجدران العالية ، والمادية الجامدة ، تخيلوا قطيع الافيال وتعلقوا بها .

وبالفعل تاثرت الجماعة بهذه الفكرة وتبناها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجميع وبينهم موريل الى ان تغلبوا على البأس القاتل وذل الخنوع .

وقد يتصور البعض ان ما يدعو اليه الكاتب هو الحرية الفوضوية ، ولكن على العكس ، فان روماڤ غاري يحدد هذه الحرية في مكان اخر ، اذ يصفها بانها مستمدة من الطبيعة لان الحرية جزء لا يتجزأ من الطبيعة. كما ان الافيال جزء لا يتجزأ من ادغال افريقيا.

ثم يروي بعد ذلك كيف خرج موريل من المعتقل والحرب على وشك الانتهاء ويصف كيف كان الالوف من الناس الذين فقدوا بيوتهم واوطانهم يهيمون على وجوههم في القرى والطرقات والحقول ، كما تهيم الكلاب وهنا يصادف البطل موريل ـ بعد ان تاه منه كلبه الذي اتخذه رفيقا بعد خروجه من المعتقل ـ حظيرة تجمع فيها الكلاب الضائعة او الهائمة على وجهها ، ويعلمه حارس الحظيرة ان هذه الكلاب تظل هنا ثمانية ايام اذا لم يطلبها اصحابها وبعد ذلك تحرق ويستخرج من عظامها الصابون والجيلاتين . فتثور ثائرة موريل ويتامر مع بعض رفاقه على الانتقام لهذه الكلاب المحكوم عليها بالاعدام، والاقتصاص من الحارس ، فيهجمون على الحارس ويوسعونه ضربا ثم يسرحون الكلاب ، ويحرقون الحظيرة ومن هنا نشأت الرغبة في الانتقام لدى موريل عندما سافر الى افريقيا ، من صيادي الافيال ويقول غاري ، على لسان موريل :

وهكذا وجدت نفسي مندفعا في هذه الطريق وكنت متأكدا من انني ارتكز الى سند قوي ، ولم يكن امامي سوى ان استمر في ذلك ، اذ لا يصح ان ندافع عن هؤلاء او اولئك ، كل على حدة : الناس والكلاب . فلا بد من خوض المعركة في صميمها . في سبيل حماية

ويتابع الكاتب قائلا : قد يقول البعض ان الافيال هي حيوانات ضخمة جدا ، ومقلقة جدا . وانها تقلب امامها اعمدة التلغراف ، وتفسد زراعات المستعمرين المستوطنين . ولكن الشيء نفسه سيقال عن الحرية .

وهكذا بدأ موريل .

اجل هكذا بدأ موريل وانتهى ، كما نعلم ، قديما . ولكن المشكلة ما زالت قائمة ، وقد تظل قائمة دون حل ، الى ان ينتهي الصراع في سبيل الحرية الى نصر ، لان الحرية شيء قوي ضخم يحطم كل شيء امامه ...

بهذه النتيجة يخرج قارىء « جذور السماء» ... وبهذه الطريقة تعالج روايات اليوم مشاكل الانسانية المعاصرة . وهي طريقة مثلى كما رأينا ، تعطينا فكرة عن تطور الادب الحاضر ، وعن المشاكل التي يعالجها وهي مشاكل تعصف بالناس في كل مكان .

أديب مروة

لمن يكتبون ؟

●

أن يرصف الكلام اولئك الشعراء الذين تحللوا من الموازين والقوافي ليأتوا بشيء جديد مبتكر . ليتسع المجال امام خيالهم وتنطلق افكارهم كالضياء في الفضاء لاتصدها عقبة ولا يقف في طريقها عائق . ولكنهم حتى الساعة لم يأتوا بشيء جديد مبتكر غير التحلل من الاوزان والتمرد على القوافي . فان اكثر كلامهم اقرب الى وسوسة الشياطين او ثرثرة العرافين . طلاسم والغاز تحاول بكل ما فيك من الفهم ان تفك رموزها فترجع عنها تعبا مضنوكا يعض الحزن روحك بانيابه الحادة وملء صدرك الاسف على الوقت الذي اضاعوه في ابتداع هذا الادب الذي باعد بينهم وبين الناس ولم يقترب منهم قيراطا من الالهة .

واذا انت لم تحزن عليهم فانك بلا شك تشك في فهمك وذكائك وتحزن على نفسك لانك عجزت عن فهم ما كتبوا . حتى كانما كنت وانت تطالعه تقرأ شعرا فارسيا او تركيا. حروفه عربية ولكنه ليس عربيا . فقد حاولوا كما قلنا لك ان يخلقوا نمطا جديدا من كلام . وحقا انهم نجحوا في محاولتهم فكانت حصيلتها نمطا غريبا شاذا بعيدا عن ان يكون كلاما مفهوما من الناس في محيطهم لانهم جاءوا بهذه الطريقة من محيط غريب غير محيطهم فما سدت فراغا ولا قضت حاجة بل اضافت كمية كبيرة الى ما في اللغة العربية من موميات .

على انه لا بد من الاعتراف بان السبب في هذا الاتجاه الشاذ هو ما في كثير من الشعر العربي من تفاهة قيم ورتابة وعفونة في المعاني والقوافي . واصحاب الطرائق الجديدة على حق في ان لا يتابعوا احدا من النظامين الذين يقلدون الشعراء ولا يحسنون حتى التقليد . ولكنهم ليسوا على حق في ان يتابعوا شعراء في الغرب لهم احاسيس خاصة يعثر ويفتضح مقلدوها فضلا عن ان للشعوب التي خرج منها اولئك الشعراء خصائص اجتماعية وعنصرية وتاريخية تختلف عن خصائص سواها من الشعوب . وعندها من الثروات الفكرية ما يجعلها تنظر الى هذه الانواع المستحدثة من الادب نظرها الى حركات بهلوانية .

جاءني مرة اديب من هؤلاء ثائر على كل ما في العربية من اوضاع وعرض علي منظومة له يمجد فيها الدعارة والفجور ويبالغ في تركيب تعابير هي في منتهى الاغراب وبعضها مضحك مثل تشبيهه قامة المرأة بالبيلسان ! فقلت له لماذا « البيلسان » وفي اللغة « الخيزران » وتأملت في وجهه فرأيت علائم الاستياء بادية فيه من ملاحظتي . فلم اكترث لاستيائه بل استرسلت في الكلام فقلت له ـ انا لا ارى وجها للمقابلة بين قامة المرأة « والبيلسان » فهو اكثر ما يكون اعوج وليس الاعوجاج من الجمال في قامة المرأة . وهو فاقد الليونة . واحسن ما توصف به قامة المرأة هو اللين والانسجام .

ومضيت في هذا الشرح لعلي اقنعه بسماجة ذلك التشبيه ولكنه لم يقتنع . وكانت الحجة التي يرتكز اليها ويتمسك بها هي ان الشعراء الاقدمين شبهوا القد بالخيزان وهو لا يريد ان يتابعهم !

قلت له ـ اذن لا يجب ان تحب لانهم احبوا . ولا ان تتشوق لانهم تشوقوا . ولا ان تنظم الشعر لانهم نظموا . ولا ان تشرب الحليب وتقول انه ابيض اللون لانهم شربوا الحليب وقالوا عنه انه ابيض اللون .

وثم قلت له ـ تستطيع ان تشبه القامة المترنحة باغنية مرقصة تمشي على قدمين . او ان تقول انها سحر من لحم ودم فتخالف الشعراء الاقدمين اما ان تشبه القامة « بالبيلسان » مخالفة لهم لانهم شبهوها بالخيزران فانك ترتكب سخفا .

وهذا كله هين عند اولئك الذين يركبون متن الاغراب فلا يفهمهم الناس مع ان الانسان لم يلجأ الى اللغة الا ليبلغ ما يجيش في نفسه الى انسان اخر . الى جماعة من الناس . ولذلك يجب ان يحسن التعبير وان يكون كلامه جليا واضحا . اما اذا تعمد التورية والتعمية فانه يفسد الامر على نفسه .

فهل للادباء الطالعين ان يتذكروا انهم يكتبون للناس . وانهم اذا كانت لديهم فكرة او صورة او خاطرة تجيش في ارواحهم فلا تعيش الا اذا خرجت من قلوبهم الى قلوب الناس . وعليهم ان يحسنوا تأديتها اذا كانوا لا يريدون ان تختنق في صدورهم .

[السمير] **ايليا ابو ماضي**

متحف البريد في لاهاي

●

يستطيع زائر هولندا ، اذا كان راغبا في تفقد متاحفها ، ان يلاحظ مبلغ العناية المخصصة لعمارات هذه المتاحف من الداخل . فتنظيم المعروضات في صالات المتاحف واروقتها ، وتوزيعها وطريقة عرضها ، يراعى فيها قبل كل شيء ، توفير جو دراسي للزائر ، ثم اتاحة فرصة التأمل له ، وتزويده بالمتعة الذهنية التي ينشدها . ومتحف البريد في لاهاي مثل ناطق على ذلك . انشيء هذا المتحف في السنوات القليلة الاخيرة ، وروعي في نوافذ بنيانه ان تكون كثيرة العدد ،

ومرتفعة ومتلاصقة ، لـكي يدخل الى القاعات اكبر قسط من النور ، ولـكي يلقي هـــذا النور المندفع الى الاجزاء العلوية من القاعات، ظلالا رقيقة على المعروضات . وقد روعي ايضا تزويد الجدران من الداخل ، باوفر عدد مـن التجاويف ، وهذه تحتوي على لمبات من النور متفاوتة في اللون وفي القوة ، وتعكس بدورها ظلالا ملونة على الحيطان .

ويمكن ان يقال ، ان اهم المعروضات في هذا المتحف ، هي نماذج آلات التلفون والتلغراف والراديو والاجهزة الكهربائية التي استعملت في الماضي في دوائر البريد لتسهيل العمل . فهناك مثلا ، نموذج لاول جهاز ارسال اذاعـي في اوروبا . وقد اخترع هذا الجهاز في سنة ١٩١٩على يد الهولنديسترنجا اتسردا . والى جانبذلك ، يحتفظهذا المتحف بكلالاختراعات الحديثة التي تفتقت عنها اذهان المخترعـــين لهذا الغرض .

وبالاضافة الى ذلك ، فان المتحف يعطـي الزائر فكرة جلية عن نظام العمل السائد الان في دوائر البريد في هولندا . كيف تجمـع الرسائل وكيف تصنف بواسطة الالات . ثـم كيف تعد للتوزيـع وكيف يحملهـا السعـاة والسيارات الى اصحابها بنظام دقيق وكيف تعمل انظمة التوفير المالي وكيف تخدم المواطن ، وهي الانظمة التي يقبل عليها الهولنديـــون اقبالهم على البنوك ، وربما اكثر .

وفي المتحف ايضا ، نماذج لا حصر لها مـن مغلفات الرسائل البريدية منذ القرن السادس عشر الى اليوم . وفيه نماذج زيتية مكبرة لكل انواع واشكال الطوابع البريدية التي وضعت منذ عرف طابع البريد في منتصف القـرن الماضي . وفيه نماذج للالات التي استعملت في رسم الطابع وفي حفر الكليشيهات ، وما كان يلزم ذلك ، وخاصة في الماضي ، من جهود فنية دقيقة .

وجدير بالذكر ايضا ، ان المتحف لا يحتفظ فقط بنماذج الطوابع الهولندية ، وانما ايضا بمجموعات لا يستهان بها من نماذج الطوابـع التي صدرت عن اقطار اخرى كثيرة . كلهذه المجموعات محفوظة في اطارات زجاجية جميلة معلقة على الحيطان ، ينعكس النور عليها مـن حوافي الاطارات نفسها . ولا بد ان يلفت نظر الزائر بشكل خاص ، مجموعات الاحـــداث والشبان من طلبة المدارس الذين يتجولون في المتحف ويشاهدون معروضاته جماعات جماعات في رحلات دراسية يصحبهم فيها خبـــراء المتحف ، ويطلعونهم خلالها على تفاصيـــل المحتويات ودقائقها ، فيخرجون من المتحف بزاد وفير من المعلومات التاريخية والعلميـة

هولنـدا عقيـل هاشم

مؤاساة العميان بعضهم لبعض

●

من حكم الشرق ان اعمى يقود اعمى مصيرهما السقوط معا في حفرة واحدة . ولـكن قصة لوسي كوديفان تدحض هذا الزعم وتاتي بالدليل على ان الاعمى يمكن ان يقود قرينـه الاعمى ويستمد منه العون وينتفع بتوجيهاته دون ان يخشى على سلامته قط . ومـــع ان لوسي عمياء منذ الصغر وقد انطفا كل نور في عينيها ، فقد استطاعت ان تنفق في سبيـــل مؤاساة من يقاسمنها المصير الواحد المشؤوم زهرة عمرها وسني كهولتها ، معلمة ومرشدة وموجهة لـكثير من كفيفـــات البصر مثلها . وتقول لوسي :

« يقيني انني استطيع القيام بخدمة نصوحة للعميان بحيث لا يوجسون أي شر ولا يتوقعون أي اذى من واحد منهم » . هذا ما تقوله امرأة عمياء ملءبردتيها الحماسوالنشاط والاستعداد لخدمة المكفوفين من امثالها . ولعل الشـــيء الوحيد الذي تتساهل عاهتها بالانتفاع منـــه هو ان تسير بصحبة احد المالكين لحاسة النظر في تنقلاتها في المدينة . اما وهي في منزلها ، فهي تعتمد كل الاعتماد على نفسها لقضاء جميع حاجاتها والقيام بمهام منزلها لوحدها .

ولـكي تتمكن من الحصول على مهنة تكسب فيها خبزها اليومي بعرق جبينها اخذت فـي معهد العميان التابع لجامعة كولمبيا دروســا خاصة بتعليم العميان ساعدتها فيما بعد على ايجاد عمل لها منتج في الجمعية الاميركيـــة للمكفرفين ، ثم في مكتب الخدماتالاجتماعيـة وجمعية الرفق بالاولاد . وهي تعمل اليـــوم في مركز تبادل العميان في مدينة بروكلين حيث توزع ساعات نهارها في خدمة من كان منهم رهين المحبسين او من كان قادرا بينهـم على القيام ببعض وجوه النشاط وفقا للمناهج الموضوعة للعميان في المراكز الخاصة بهم .

فنهارها العادي ينقضي بقيامها بثـــلاث او اربع زيارات للعميان في منازلهم تلقنهـــم اصول تدبير المنزل وتعلمهم طريقة برايـــل الموصوفة في تعليم المكفوفين ، او تلقنهـــم اصول مهنة او هواية تدر عليهم بعض الكسب.

ويرسم برنامج عملها اليوم القيام بزيـارة لمركز انثونيان وهو مركز لإ طائفي للعميان تتولى ادارته الجمعية النسائية الكاثوليكية يضم نحو ٤٠ من مكفوفات النظر يتعلمن اعمال النسيج والحياكة واعمال المطبخ بمجرد اللمس وتعطي بعض دروس في القراءة والكتابة على طريقـة برايل ، كما تعلم بعض الفتيات اصول الضرب على الالة الكاتبة على الطريقة العلمية ممـــا يؤهلهن لكسب معاشهن فاينما حلت او هبطت شاع السرور حولها واستبشر الجو بهجـــة وحبورا اذ كثيرا ما تعزف على البيانو الانغام الشجية او تقود حلقات الراقصين وغير ذلـك من انواع النشاط .

وتنهي الانسة لوسي نهارهـا بزيارة الـى مركز تبادل العميان في بروكلين الذي يحرص على تلقين العميان من العلوم والفنون والصنائع المفيدة ما يساعدهم على كسب اسباب العيش بشرف وعزة نفس . وكثيرا ما نراها تضـــع للترفيه عن العميان واشاعة السرور بـــــين صفوفهم برامج متنوعة خاصة من تلقين اصول القراءة والكتابة على طريقة برايل ، وتعليمهم العزف على البيانو وتنظيم العاب ونشاطـات مختلفة تسري عنهم وتغذي فيهم روح الاعتماد على النفس .

اعارة الحيوانات بدلا من الكتب

●

في لوس انجلس كبرى مدن ولاية كاليفورنيا على الاطلاق ، مكتبة مـــن نوع خاص ، يرتادها بكثرة وحماس طلاب المدارسالابتدائية وهذه المكتبة تضم عوضا عن الكتب والمؤلفات عددا من الحيوانات الاليفة : كالدجاج والبط والاوز والارانب والفئران البيض والماعز والغنم والعجول وغير ذلك وكلها معد للاعارة الـــى مدارس الحضانة والمدارس الابتدائية .

وعندما ترغب مدرسة من هـــذه المدارس الصغيرة التي يبلغ عددها ٢٤ مدرسة فـــي لوس انجلس ، ترسل طلبا رسميا لدائرة مكتبة الحيوان هـذه تحدد فيه نـوع وكميـــــة الحيوانات التي ترغب في استعارتها للدرس التطبيقي في علم الحيوان ، وترسلها المكتبـة للمدرسة الطالبة بواسطة سيارات خاصـــة للنقل. وتحتفظ المدرسة بهذه الحيواناتطوال الوقت اللازم او حتى الفراغ من المنهاج المعين

وفي المدرسة المعنية شخص مسؤول يعني بامر هذه الحيوانات الموضوعة تحت تصرف الادارة ، فيحفظها في زريبة خاصة ويؤمـن لها العلف اللازم ، فيأتي اولاد الصف للزريبة حيث يلقي عليهم المعلم درسا مستفيضا فـــي كل ما يتعلق بهذه الحيوانات وعاداتها ،وتربيتها والمواد التي تقتات عليها وطريقة تكاثرها ونموها وغير ذلك من المعلومات . والطلبة الصغـــار يعتنون بهذه الحيوانات المعارة لهم ، تحت اشراف اساتذتهم ومربيهم . فلا عجب ان يجد التلاميذ في مثل هذه الدروس لذة وفائـــدة ومعظمهم يجهل الكثير عن هـذه الحيوانات ولم يسبق له ان رآها من قبل .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

١٨ ابريل ١٩٥٧ ـ اعلنت الولايات المتحدة ان الاتحاد السوفياتي فجر سلاحا نوويا جديدا يعتبر من اكبر الاسلحة التي فجرها السوفيات

١٩ ـ بعث الاتحاد السوفياتي بمذكرة جديدة الى الدول الغربية يرد فيها على اجوبة تلك الدول بشأن مشروع شبيلوف الخاص بالشرق الاوسط .

٢٠ ـ سافر اللواء علي الحياري رئيس الاركان الجديد للجيش الاردني الى دمشق في مهمة فقرر البقاء فيها .

ـ عين اللواء حابس المجالي رئيسا للاركان الاردنية .

٢٢ ـ اعلن الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس الوزارة الاردنية والسيد سليمان النابلسي وزير الخارجية ان الاردن ليس معاديا لبريطانيا وانه سيرحب بالبعثة الامريكية لشرح مبدأ ايزنهاور .

٢٣ ـ صدر بيان امريكي سوداني جاء فيه ان الحكومة السودانية قد استمعت باهتمام الى الايضاحات التي جرت اثناء المحادثات مع المستر ريتشاردس وقد اتفق الجانبان على استكمال الدراسة .

٢٤ ـ اضربت عمان وقامت مظاهرات ووقعت بعض الاشتباكات وتطورت الحوادث بسرعة. وقرر الملك حسين تشكيل وزارة جديدة وقدم الدكتور الخالدي استقالته .

٢٥ ـ وصل الى القاهرة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية يرافقه وفد رسمي لاجراء مباحثات مع الحكومة المصرية بشأن الاردن .

ـ الف السيد ابراهيم هاشم الوزارة الاردنية وقد اعلنت الحكومة الاحكام العرفية في البلاد وحلت جميع الاحزاب .

ـ امرت الحكومة الامريكية اسطولها السادس العامل في البحر المتوسط ان يبحر على عجل الى شرقي البحر المتوسط . وقد علقت الانباء العالمية ان لقرار الحكومة الامريكية علاقة بما يجري في الاردن .

٢٦ ـ وصل الى الرياض الوفد السوري برئاسة السيد شكري القوتلي ترافقهم بعثة مصرية وقد استقبلهم الملك سعود

ـ انعقد مجلس الامن الدولي اجابة لطلب امريكا للنظر في مشكلة قناة السويس في ضوء المشروع المصري الجديد وقد اعلنت امريكا موافقتها على قبول المشروع على اساس مؤقت الى ان تثبت كفاءته فعلا .

٢٧ ـ صرح وزير الدفاع البريطاني ان بريطانيا لم تعد تعتبر جزيرة مالطه حصنا ضروريا لها في البحر الابيض نظرا لتغيير المفاهيم الستراتيجية .

٢٨ ـ وصل الملك حسين الى الرياض واجتمع بالملك سعود وصدر بلاغ مشترك جاء فيه انه تم الاتفاق على ان ما حدث في الاردن اخيرا هو من شؤون الاردن الداخلية

٢٩ ـ اعلنت الحكومة الامريكية استعدادها لتقديم عشرة ملايين من الدولارات مساعدة اقتصادية للاردن

ـ حذرت روسيا الدول الغربية من التدخل بشؤون الاردن

٣٠ ـ صرح قائد الاسطول الامريكي السادس بان مهمة الاسطول في البحر الابيض المتوسط ان يكون مستعدا للحرب ايا كان نوعها ، ولكن مهمته الاولى هي صيانة السلام .

اول مايو ١٩٥٧ ـ صدر بلاغ اميركي يوناني مشترك قبلت فيه اليونان بمشروع الرئيس ايزنهاور .

ـ صرح اللورد هوم باسم الحكومة البريطانية ان الاتحاد السوفياتي قد استمر في ارسال الفنيين والمستشارين الى سوريا لتدريب القوات المسلحة

ـ انعقد مجلس حلف الاطلسي في بون وفي خطاب للمستر دالس قال ان هناك ترتيبات لبناء ناقلات زيت كبيرة وانشاء خطوط انابيب جديدة ولن تتكل اوروبا بعد الان على شريان واحد اوتتحكم فيه حكومة واحدة من جانب واحد

٢ ـ طلب الرئيس ايزنهاور الى مبعوثه الخاص الى الشرق الاوسط جيمس ريتشاردس بانهاء رحلته والعودة دون زيارة مصر او سوريا او الاردن .

٤ ـ وصل المستر داليس وزير الخارجية الامريكية الى باريس بعد اجراء محادثات في بون مع مستشار المانية اديناور اصطبغت بالصبغة العسكرية .

٦ ـ انتخب الدكتور ادولف شايرف رئيسا لجمهورية النمسا

ـ وصل الى القاهرة اللواء علي ابو نوار واللواء علي الحياري رئيسا اركان الجيش الاردني السابقان

ـ وصل الى انقرة الدكتور تيودور هيس رئيس جمهورية المانيا الغربية في زيارة رسمية

ـ وصل الماريشال فوروشيلوف رئيس مجلس السوفيات الاعلى الى اندونيسيا في زيارة رسمية بعد انتهاء زيارته للصين الشعبية

ـ اصدرت الحكومة التونسية بيانا على اثر المحادثات التي جرت مع جيمس ريتشاردس ذكرت فيه تاييدها لمشروع الرئيس ايزنهاور .

٧ ـ وصل الى بون المستر هارولد مكميلان رئيس الحكومة البريطانية في زيارة رسمية لالمانيا الغربية

٨ ـ اصدرت الحكومة المغربية بلاغا جاء فيه ان السياسة المغربية لم تتبدل بعد زيارة المستر جيمس ريتشاردس .

٩ ـ وصل المسيو رينيه كوتي رئيس الجمهورية الفرنسية الى روما في زيارة رسمية لايطاليا

ـ قررت جمعية الدول المنتفعة بالقناة السماح لاعضائها باتخاذ الموقف الذي يناسبها ويقول البيان ان هذه الدول تحتفظ بالحقوق القانونية وان عودة السفن الى استخدام القناة لا يعني القبول بالمشروع المصري

ـ صرح جيمس ريتشاردس لدى عودته الى وشنطن قائلا : لم ترفض اية دولة من الدول الخمس عشرة التي زرناها مقترحات المساعدة الامريكية ضمن اطار مشروع ايزنهاور وان بعض تلك الدول يرغب في التشاور ايضا بشأن الشروط الواضحة لتعاونا .

ـ وصل الى اسرائيل المستر داغ همرشولد الامين العام للامم المتحدة لاجراء محادثات مع الحكومة الاسرائيلية .

١٠ ـ دعا مجلس السوفيات الاعلى مجلس الكونغرس الامريكي والبرلمان البريطاني الى العمل من اجل انهاء تجربة الاسلحة النووية حالا . وطالب بانشاء لجنة برلمانية مؤلفة من الدول الثلاث لتبادل الاراء ومحاولة تحديد الطرق الافضل لتحقيق هذا الهدف .

١١ ـ وصل الملك سعود الى بغداد في زيارة رسمية للعراق وقد استقبلته بغداد استقبالا حافلا .

ـ سلم الجنرال غوستافو روخاس بينيلا رئيس جمهورية كولومبيا سلطاته الى مجلس عسكري بعد اضطرابات دامية استمرت اسابيع وعطل المجلس العسكري الجمعية التأسيسية.

١٢ ـ صرح وزير خارجية المانيا الغربية هنريخ فون برنتانو بان المانيا يجب ان تتخلى عن اية فكرة في ان تصبح دولة عظمى مرة اخرى . فان حياتنا ووجودنا قائمان على اسس قيام العالم الحر متحدا ولا يمكن ان يتم توحيد المانيا الا عن طريق الدول الغربية .

مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية

الـقيم البـاقيـة

في عصرنا ، الذي نعيش فيه ، وكأننا على فوهة بركان ، لا مناص من الرجوع الى الحقائـق الاساسية والقيم الباقية •

ومنها ما كرّسته الاديان ، وقامت عليه الحضارة ، فليس الى تجاهله سبيـل ، فـي شرقنـا العريق •

اوصت الاديان جميعها ، مثلا ، بصنع الخير ، بالاحسان ، لا على انه تفضل المكثر عـلى المقل ، او الكبير على الصغير ، بل اوصت به على اعتباره حقا للسائل ، وزادا للمحروم ، وواجبا على الانسان نحـو اخيه الانسان ، ونظاما للمجتمع البشري يصلح به حاله

ثم جاء العلم ــ بمعناه العام ــ فتبنى تلك النظرة الاخلاقية ــ والدين اخلاق كما هو معامـلات ــ فأنشئت للاحسان ، في مختلف البلاد المتقدمة ، صروح من المياتم والملاجىء ، والمستشفيات ، يقوم على خدمتها جيوش من المتطوعين والمتطوعات • فطبع هذاالصنيع الخلقي بطابع تنظيمي ، أخرجه من صعيـد الحق الفردي ، الى صعيد الموجب الجمعي •

وقديما جعل اريسطو الاخلاق قوام العلم ، أي اساس المعرفة ، وبالتالي مرتكز العقل الاخير •

ثم جاء الفقه الاسلامي فقال : « لا دين لمن لاعقل له » ، فتم الارتباط بين العلم وبين الشرع ، على اتم ما يكون الارتباط بين الاصل والفرع •

فمتى ندرك في هذا الشرق ، مهبط الوحي ومهدالعلم ، ان تلك القيم والحقائق رباط عام ، يشمـل الانسانية كافة ، رباط يشد الفرد الى الجمع ، ويشدالجمع الى الافراد ، في حياتـهم الخاصة والعـامة ، فتتلازم القوى وتتـعاون الامكانات ، لخـير الجماعة ، وصلاح الواحد ؟

ولعل القائل ، في « الحديث » المأثور « اتقشر من احسنت اليه » ••• انما اراد ان ينبه الى مغبة الصنيع الفردي ، ولو كان احسانا ! فان هذا الصنيع، على ما فيه من خير ، انما يذكي نزعة الغرور في نفس المحسن ، كما يلهب روح الحسد في قلب المحسن اليه•

وتلك كانت شيمة الانسان منذ كان : يشرأبالى الحق والخير والجمال • فاذا بلغ امنيته ، داس الحق بقدم القوة ، ودنس الخـير بشهوات النفس ،وامتهن الجمال بيد الرجس •

وعلى هذا يصح القولبان اموال الناسواولادهم هم اعداء لهم ••• ذلك بانهم يتخذون تلك الاموال اربابا « يعبدونها » ، ويستأثر اولئـك الاولاد بقلوبهم فيمتهنونها • والعبادة مثل المحبة : مظهر من نزوع الانسان الى الحق والخير والجمال ــ وهذهوحدهاهيعناوين للقيم الباقية ، وقرائن على الحقائق الاساسية•

اننا اذا تدبرنا امر تلك الحقائق والقيـم بالتربية ، بحيث تنساب الى النفوس مع اشعـة المعرفة ، وتستقر في الوعي مع رواسب الثقافة ، وتصاحب الارادة مع نمو الملكات ، اذا فعلنا ذلك صار الدين عندنا معاملة حقا ، لا كلاما تتشدق به الافواه • وصارت الاخلاق مرتكز العقل صدقا ، لا بضاعة معروضة لخداع الابصار •

وكان لنا في ذلك خير حل للازمة التي بدأتتعصف بالنفوس ، وتثقل على الضمائر بل ان في ذلك اجهاضا للازمة قبل ان تزلزل تلك النفوس ، فتفقدها حتى نعمة الايمان • والايمان هو ما صلح به اسلافنا فاصلحوا به الدنيا ، وكان لهم صديق العمر وسلاحالجهاد ، منذ عرفوا السبيل الى الحياة • بل كان لنا الايمان زميلا ••• منذ بدأنا ، في فجر الحياة ، عملناالحضاري البنّاء ، في سبيل الحق والخير والجمال ، أي في سبيل الله •

والله ، كان ولم يزل ، هو الخير المحض ، والحقالاسمى ، والجمال المطلق •

رشـاد دارغوث

تطـور مفهوم الشخصيـة

بقلم اميـل توفيق

كان اليونانيون اول من حاول محاولات جادة لاعطاء فكرة عن الشخصية الانسانية ، ولم تكن محاولاتهم دراسات نفسية مستقلة، تدخل تحت علم نفس مستقل ، بل كانت نظراتهم تنضوي تحت عناوين السياسة والاخلاق والمنطق . كان معنى الشخصية ، في عصر المدن الاغريقية .. أي الوقت الذي عرفت فيه دولة المدينة منحصرا في الاساليب التي بها يصبح الفرد مدنيا ، والتي تصب فيها الفردية في قوالب مدنية بعينها ، ويسلك الفرد بمقتضاها . فقد تكونت المدن الاغريقيةبفضل نمو التجارةوالاتصال بين مختلفالمجتمعات مما أدى الى ان تحل العلاقة المدنية محل العلاقات والاواصر العائلية . فالمدينة هي النادي الكبير ، والسوق المترامي الاطراف ، والمسرح المنصوب في الخلاء ، ونواحي النشاط المختلفة في الرياضة والفنون . ومن مجتمع القرية العائلي، نما مجتمع متحرر خلاق بفنونه وخطبه ومسرحياته وشعره

وقد اعلن بيريكليس في اثينا ان المدينة قد وفقت بين فوضى التلقائية والنظام ــ وصالحت بين الحريةوالقانون وبالطبع تكونت المدينة بفضل احلال الديموقراطية محل الطغيان ، على ان صراع المدن الاغريقية للتنافس على سمو المركز وعلو المكانة ، والتهاب الشعور القومي في كل مدينة، قد ولد الكراهية بين تلك المدن ، وهذا بالتالي قد سبب نشوب الحروب في اوقات متتالية ، كما ان المجتمع الاغريقي كان يقوم على العبودية ، واحتقار النساء ، والمهن اليدوية والصناع . وكل هذه الاسباب مجتمعة قد قضت على المدن وعلى مدنياتها ودولها ، ثم مهدت لقيام المجتمع الاقطاعي .

ويذكر برتراند رسل في كتابه A History of West Phily. عن خلق الاغريق القدامى فيقول: ان اغلبهم ذوو اهواءتعساء، في حرب دائمة بعضهم مع البعض ــ ينقادون في طريق العقل حينا ، وفي طريق العاطفة والشهوات حينا اخر ، ولديهم قاعدة بديهية وهي « لا شيء يزيد عن الحد » ، وهم مع ذلك مفرطون في كل شيء . في الفكر الحر . في الشعر . في الدين . وفي الاثم . ونفس الاغريقي مزيج من الشهوة والفكر passion and intellect وحتى ان وصفوا بالرصانة والهدوء ، فلدى الاغريق ميلان متعارضان مجتمعان : الاول الميل للعاطفة والدين والصوفية ، والثاني ميل دنيوي يتمثل في الفكر والمرح ، والمعرفة المؤسسة على الخبرة او التجريب empiricism ، ومن هنا جاء الاعتقاد في احدى دياناتهم القديمة بان النفس الانسانية مزيج من عنصر ينتمي الى الارض ، وعنصر ينتمي الى السماء

ولقد احتفظ الاغريق وفلاسفتهم بادراك الشخصية الانسانية مقترنة بهذا التضاد او هذا التناقض . ففي دولة المدينة كان مفهوم الشخصية يتمثل في التضاد بين العقل والاهواء ، وبسقوط هذه الدولة ظهر مفهوم اخر يتمثل في الصراع بين الطبيعة البشرية والتقاليد conventions

* * *

لقد كتب افلاطون جمهوريته او المدينة الفاضلةليدافع عن الشخصية التي ارتآها . كان يرى النفس منقسمة الى جزء علوي (العقل) وجزء اوسط مركزه القلب ، وتتمثل فيه العاطفة وحب الشرف والطموح وكل ما هو نبيل . والجزء الادنى ومركزه البطن ويتعلق بالشهوات البهيمية . وعنده ان السعادة هي غاية الغايات (وهي ليست في اللذة الفردية كما ارتآها السوفسطائيون ــ ولا في اللذة الجماعية كما ارتآها ميل) بل هي في الفضيلة . وفضيلة التفكير (العقل) هي الحكمة . وفضيلة القلب هي الشجاعة ــ وفضيلة الجزء الادنى هي العفة وضبط النفس ــ واذا ادى كل قسم عمله على الوجه الاكمل نشأ من اكتمال هذه القوى وتعاونها الفضيلة الرابعة وهي العدل ــ وقد عكس افلاطون هذه الافكار على تكوين المجتمع .

اما ارسطو ــ فوفقا لنظريته في الارتقاء او الترقي المنطقي ــ راى ان النفس واحدة ، ولكن لها مظاهر . فالاول للتغذية ، والثاني للنسل ، والثالث للحس ، والرابع للعقل. فللنبات المظهران الاولان ، وللحيوان الثلاثة الاولى ، أما الانسان فهو الذي تحتوي نفسه على الاربعة مظاهر جميعها أي تتضمن العقل . وللنفس وظائف او ملكات ، أحط دركاتها الادراك بالحواس ، ويليها الحس المشترك وفائدته جمع الادراكات الحسية ومقارنتها ومقابلتها ــ ويليها رقيا قوة الخيال ــ ويليها الحافظة ــ ثم الذاكرة . وتلي تلك قوة العقل وهو نوعان : عقل قابل وعقل فاعل وهو ارقى دركات النفس ، ومجموع هذه القوى هي النفس . والنفس وظيفة البدن . ويذكر ارسطو ان جميع ملكات النفس تفني بفناء الجسم ما عدا العقل الفاعل فانه ازلي أبدي ــ وقد جاء من عند الله ويعود اليه بالموت . والاخلاقية عنده هي في الحياة العقلية .

واذا كان سقراط يرى السعادة في المعرفة فحسب ، فان ارسطو يراها في الفضيلة . وعنده ان الفضيلة هي في حكم العقل للشهوة . ولا بد من وجود شهوة ومن وجود عقل . والفضيلة هي الجمع بينهما ــ لا ان تفنى الشهوة ولا ان ينعدم العقل . ومن هنا جاءت نظريته عن

الاوساط ، وهي ان الفضيلة وسط بين رذيلتين .

هذان مثالان لما ارتآه فيلسوفان عن الشخصية الانسانية ، وقد جعلا العقل فوق العاطفة ، بل جعلاالعقل هو المقياس لكل شخصية مثالية .

★ ★ ★

اما الاتجاه الثاني فيكفي ان نمثله براي كل من الفلسفتين الرواقية والكلبية .

اما الكلبيون Cynics فقد احتقروا التقاليد الاجتماعية ـ الجاه والمال والثروة والسلطان . وعاش زعيمهم أنستنيس زاهدا مزدريا للمادة فراى الفضيلة في الزهد والتقشف . ونادوا بالاستغناء والانسحاب من المجتمع . كما تمثل ايضا في فيلسوفهم ديوجين الذي قيل ان سكناه كانت بكوخ صغير ـ ولما كانوا مقتفين لاثر سقراط (القائل بان العلم هو معرفة الفضيلة) فقد رغبوا عن العلوم والفنون ـ وانتشر تلاميذ هذه المدرسة ليحملوا الناس على الزهد ـ وعرفوا في الاسكندرية . فلا الضياع ولا المتاع ولا التمتع بالملكية او بالجاه بل ولا الحياة نفسها من وسائل الخير . بل الخير هو الفضيلة نفسها حتى اجاز الكلبيون الانتحار ، ولعلنا نسمي هذه الشخصية التي ارتأوها بالشخصية المنسحبة من المجتمع ، فهي تدعو الى عدم المقاومة والى الضعف وان كانت تتضمن جانبا قويا هو الاستغناء الذي يدعو للفضيلة .

اما الرواقيون Stoics فكانوا يرون ان طبيعة الانسان الاساسية طبيعة عاقلة . وجعلوا شعارهم مبدأ هو (عش على وفاق مع الطبيعة) ـ وذلك بمعنيين الاول وفق قوانين الطبيعة التي تحكم العالم ـ والثاني وفق اهم جزء في النفس وهو العقل ، وعلى ذلك كانوا يرون ان الحكيم هو الذي يخضع حياته للعقل ولقوانين العالم ـ والرواقيون زادوا على ارسطو بان جعلوا الشخصية المثالية تفني الشهوات والاهواء وتخضعها لسلطان العقل . لقد عدوها شرا محضا يجب ان يبيد وصوروا الحياة حربا بين العقل والشهوات ، يجب ان ينتصر فيها العقل وتنعدم فيها الشهوات .

★ ★ ★

ان مجتمع المدينة الصغير ـ مجتمع مغلق ، الشخصية فيه رتيبة والغايات محصورة ، والمطامح محدودة .. ولكن عند سقوط دولة المدينة وقيام مجتمع الامبراطورية الكبير انفسح المجال للفردية والطموح .. ومن هنا يمكن تفسير نشأة المفهومين عن الشخصية .. المفهوم الاول (كما رآه افلاطون وارسطو) حيث ينبغي تغليب العقل على العاطفة (وهو ما يتفق مع طبيعة المجتمع المغلق في المدينة) ـ والثاني كما عند الرواقيين والكلبيين ، يتمثل في تحرير الفرد من التقاليد الاجتماعية (وهو ما يتفق مع طبيعة المجال الفسيح في المجتمع الامبراطوري الكبير) .

★ ★ ★

وعند ظهور المسيحية ، نمت الشخصية في طريق الفردية ، ولكن في اطار جديد ، ليس هو التفاخر او التشامخ بالنفس الفردية .. ولكن هو الخضوع لذات الله. ولم يكن التاريخ الزمني عند الاغريق مدركا بشكل واضح ، فقد كا ن اعتقاد بعضهم بتناسخ الارواح يتمشى مع اعتقاد البعض بدورة الحياة Cyclic process أما في المسيحية فقدب تحدد زمن الانسان في مفهومات اليوم الاخر او يوم الدينونة ، والفردوس والنار والابدية ، وتحددت قيمة الشخصية في مفهومات الخطيئة والفداء والخلاص والتكريس والتقديس . ومن اكبر الامثلة الادبية الدينية كتاب اعترافات اوغسطين وكتابه مدينة الله .

وقد قام كثير من فلاسفة المسيحية بالتوفيق بين المفهومات المسيحية ، ومفهومات كثير من الفلاسفة الآخرين ومنهم سانت توما الاكويني الذي وفق بين الآراء المسيحية ونظرية ارسطو الذي قال بخلود الجزء العاقل من النفس .

ونستطيع ان نقول ان الديانات السماوية جميعها قد شكلت مفهوم الشخصية في نفس الاطارات الزمنية والعقائدية العامة ، وجعلت قيمة الشخصية مقترنة بالخير والتقى والصلاح والفضيلة ، وجعلت مشيئة الله سبحانه هي المقدمة على المشيئة البشرية . وقال النبي عليه السلام : لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى . وقد عملت الاديان على تشكيل معنى الشخصية في اطار يجمع بين المثالية والواقعية ، وان تفاوتت درجت كل منهما باختلاف المذاهب ومن امثلة الغلو في المثالية ، نمو الاعتقاد في العزلة عن الحياة الواقعية في بعض المذاهب المسيحية ابان العصور الوسطى . تلك العزلة التي تدعو الى الرهبنة وتكريس الحياة للنسك والتصوف والتعبد ، سعيا وراء خلاص النفس . وكل هذه الدعوات ، في اطارها الديني ، قد خطت بالفردية ورفعت من قيمة النفس ، والهمت الكتاب لان يعبروا عن قيمة النفس وعن شخصية الانسان الفرد .

هذا في حين دعت الحياة الواقعية الى نمو معنى الشخصية داخل المجتمع . فأتاحت للمجتمع ان يلعب الافراد فيه ادوارا مختلفة وان يتقلدوا مناصب متباينة ، قد ادى كل ذلك الى ظهور معنى للشخصية مقترن بالمركز اي شخصية المركز الاجتماعي او الوظيفة الاجتماعية ـ ومن امثلة ذلك مقدمة قصص كنتربري المسماة Canterbury Tales فقد كتب فيها التعريف بالشخصيات على اساس المراكز الاجتماعية بغير ما حاجة في بعض الاحيان الى اقترانها بالاسماء ، كأن تصف شخصية التاجر ، وشخصية العامل ، وشخصية رجل القانون وهكذا .

نظر المجتمع في العصور الوسطى الى الشخصية الفردية في اطارين : الاول العزلة عن المجتمع سعيا وراء خلاص النفس ، كما ذكرنا ـ والثاني في الاطار العاطفي فقد نما الاعتقاد بان هناك ميلا سماويا يجذب فتى بعينه الى فتاة بعينها .. اي ان كل انسان هو نصف ، لا يكمله الا نصفه الاخر الذي عينته العناية السماوية . وكانت هذه الفكرة تراود بعض الكتاب القدامى في تاملاتهم ـ وكان للفكرة صداها في اوروبة الغربية منذ القرن الحادي عشر . وقد انبثق منها المعنى الذي يجعل لكل فرد صفات مميزة عن غيره يكمن فيها اساس وجوده. وهوالمعنىالذي اشاع الحب الرومانسي . ولم يكن هذا الحب يرمي الى الزواج . وكل قصص الحب في تلك العصور انما كانت تدور حول سيدات متزوجات احببن . والزواج لم يكن يبنى على الحب وفي حين نرى الزوجة تطيع رجلها ، وتتكفل براحة ابنائها وخدمة اسرتها ، نرى فارس الاحلام رجلا يطيع محبوبته

طاعة عمياء . كانت الفكرة في الحب انه شيء خارج نطاق الحياة الزوجية ، وظلت كذلك عقيدة ذلك الوقت في فرنسا . اما في انجلترة فقد حاول احد الكتاب وهو ادموند سبنسر في الجزء الخامس من كتابه Faérie Queene ان يوفق بين الحب والزواج .

كان الحب الرومانسي اذن اول مقوم للشخصية الفردية ، ولكن الفردية لقيت عاملا جديدا ابان النهضة الايطالية وهذا العامل هو تقدير المواهب الانسانية فقد اخذ المجتمع الايطالي يحطم القيود التي كان يفرضها نظام الطوائف Guilds من الاقتصاد والانتاج والاحكام الاخلاقية، ومن ثم اخذت القيم تتجه نحو ابراز المواهب ووضع الكفايات الفردية مواضعها الصحيحة. وكان قد برز اسم مكيافلي في اوروبة خلال القرن السادس عشر كنموذج للقوة والدهاء واعتقد الناس في البطولات الممثلة للقوة والف كتاب المسرحية في عصر النهضة المسرحيات التراجيدية التي تدور حول الخوف من الغرائز ، فقد كان المعتقد ان الغرائز او الدوافع الغريزية لا يمكن الوقوف امامها او اعتراض سبيلها وهي من فرط سطوتها قد تقود الى مصير بائس محزن كما في رواية مكبث او في انطونيو وكيلوباطرة

ومن هذا الاتجاه نحو ابراز القيم والمواهب ، جاءت نظرة الكتاب في عصر النهضة مؤكدة بان الشخصية الانسانية كيان مستقل لتحقيق الذاتية self-realization بل هي قيمة مقصودة لذاتها . ومن هنا عمد شيكسبير مثلا الى ان يصل الى وصف هذا الكيان المستقل لبعض الشخصيات في تمثيليات فجعل تلك الشخصيات منعزلة عن مجتمعها ، وعن رقابة المجتمع : جعلها تفر من قيود المجتمع لتتحدث الحديث المرسل المطلق الذي يخلو من الخوف او الضغط الاجتماعي .. اعني انه اراد ان يجعل الشخصية بلا زيف وبلا قناع ، ويمكن ان نلمح ذلك في رواية هاملت في كثير من المواقف عندما يتحدث بمفرده بعيدا عن الرقباء .

ومن ثم لم يكن الاتجاه العام لرجال ذلك العهد ان ينظروا الى اصول الشخصية لكي يفسروها ، او ان يربطوا بينها وبين البيئة او المجتمع كما انهم لم يروا ان الشخصية كيان ديناميكي قابل للتعديل في المجالات المختلفة . ففي رواية هاملت ايضا لم يذكر شيكسبير لماذا كانت كورديليا طيبة القلب ، وكان جونرل شريرا . فلم يكن رجال النهضة يهمهم في كثير او قليل اسباب الشخصية ، وانما كانت تهمهم الحقائق عنها . ذلك ان طربهم بعهد الحرية كان من مظاهره الاعتراف بحرية الارادة ، وتفسير الشخصية ينطوي على معنى التدخل في الحرية والضغط على الارادة .

يكتب الكاتب بيكودللا رسالة تصورها موجهة من الله سبحانه وتعالى يخاطب فيها سيدنا آدم . قال : لقد خلقناك بلا حدود ، وبلا قوانين . لم يكتب لك الخلود ، ولم يكتب لك الفناء . انك سيد نفسك ، ذلك ان تصور نفسك حسبما تشاء ؛ يمكنك ان تنخفض الى درك الوحش الكاسر ، او ان ترقى الى رتبة الملائكة . ومن ذلك نتبين ان العقيدة في حرية الارادة لم تكن تشجع البحث في اصول الشخصية والخلق. ويحدثنا برناردنوتكت في كتابه The Psych. of pers. ان في بعض مسرحيات ذلك العهد ، نجد الشخصيات المختارة في التمثيل تخرج عن الاوضاع التي رسمت لها عند حبكة الرواية ، وذلك لان الحبكة تمثل الديناميكية الانسانية .

على ان الحرية التي امتاز بها ذلك العصر ولد رغبة في دراسة الشخصية والخلق ، وانعكست تلك الرغبة في القصص وفي المقالات التي ظهرت كما في كتابات برونيير في فرنسا ـ وعند كتاب القصة في انجلترة . ان انسياق الناس وراء ملاحظة الخلق ودراسة الشخصية جاء جنبا الى جنب مع محاولة العلماء ان يدرسوا قوانين الطبيعة مثلما فعل ديكارت وجاليلو ـ فكما ان هناك للطبيعة قوانين فلا بد ان تكون للنفس الانسانية قوانين مماثلة . وفي هذا المجال انبثق مبدأ اللذة والالم الذي ارتكزت عليه فلسفة اللذة والالم كما عند هوبز وكوندياك وبيثام . وقد وجد رجال السياسة والاقتصاد في مذهب المنفعة Utilitarian theory الرجل المثالي وهو الرجل الاناني العاقل الذي يشتري بالثمن البخس ويبيع في السوق الغالية. وقد تشكلت نظرة علم النفس بهذه الفكرة ـ اللذة والالم ـ فكانت فلسفة الـ hedonism

غير ان فلسفة سبينوزا في وحدة الانسان والطبيعة كان من نتائجها النظر الى ان هناك ضرورة لان يسلك الانسان وفق قوانين الطبيعة ، وفق العقل والمعرفة ، وان حرية الانسان تتحد بادراكه لهذه الضرورة وان اية حرية خارجة عن نطاق الضرورة خداع ووهم . فالضرورة تحتم علينا ان نكبح جماح اهوائنا وعواطفنا وان نتبع قوانين العقل بالمعرفة .

على ان فكرة الضرورة قد لقيت ما يضادها عند مذهب الالهام intuitionism ، فاصحاب هذا المذهب مثل هتشسون وهيوم قد جعلوا الرغبات والعواطف هي التعبيرات الصادقة للشخصية . وفي حين ان مبدأ اللذة والالم كان يرى في البشر طبيعة موحدة ، اذا بالالهاميين يفرقون الناس من حيث الدوافع واتجاهاتهم . وقد امدت هذه المدرسة الاتجاهات الاولى للمدرسة الغائية او الغرضية السلوك المعروفة باسم Hormic theory لزعيمها العالم مكدوجل وبعد ان كان الناس يشيرون بالبنان الى الرجل الاقتصادي او المحاسب الذي لا يهتم بغير نفسه ، والذي تتحكم ذاتيته على دوافعه ... اخذوا يرون الشخصية المثالية هي التي تلتهب عاطفة ، بل اخذوا ينحازون للجانب الانساني ، وحلت الرومانسية محل الواقعية المادية ، وهنا عادت مرة اخرى فكرة الاغريق الخاصة بمقاومة الطبيعة البشرية للتقاليد ، اي مقاومة الآلية الصناعية التي فرضت على المجتمع .

ومن ثم تولدت فكرة جديدة هي النظر الى الفرد من وجهة تأثره بالحضارة السائدة . وبدأ العلماء والاجتماعيون يلفتون الابصار الى دراسة الطفولة ومراحل النمو ـ واخذوا يدركون ان الشخصية تنمو ، وان الطفل هو ابو الرجل ، ومن هنا وجدنا الادب يمتص هذه الفكرة ويعكسها ، ففي روايات شارلوت برونتي واميلي برونتي وجورج اليوت

مراجع البحث

(١) The Psychology of Personality : B. Notcutt

(٢) **قصة الفلسفة اليونانية : احمد امين، زكي نجيب محمود**

(٣) **علم النفس التربوي : احمد زكي صالح**

(٤) Social Psychology : Sprott

الايصال والفنان

بقلم ريتشاردز

ترجمة صالح جواد الطعمه

هذه بداية محاولة لنشر فصول مترجمة من كتاب« قواعد النقد الادبي » للناقد الانكليزي آي. أ. ريتشاردز ؛ وقد تتبعها محاولة اخرى لعرض اراء الناقد المذكور في اللغة والشعر والنقد كما وردت في كتبه العديدة المطبوعة بين عام ١٩٢١ و١٩٥٥ ، ولكن يحسن ان يعرف القارىء الان شيئا عن المؤلف قبل البدء بقراءة الفصل عن « الايصال والفنان » .

ليس من العسير على المتتبع النظريات اللغوية والجمالية والادبية في انكلترا وامريكا ادراك ما للناقد « ريتشاردز » من دور بارز وتأثير عظيم في تطوراتها . وكتابه « قواعد النقد الادبي » يعتبر بحق بداية تبلور حركة جديدة في النقد تحاول الافادة من علم النفس في تفسير الاعمال الفنية وخاصة الشعر من الناحيتين الابداعية او الخلقية والتأثيرية ، ولقد عد من الكتب التي غيرت التفكير الامريكي في القرن العشرين . اما البروفسور « بيت » ، استاذ النقد في جامعة هارفرد ، فانه يرى ان ريتشاردز ينافس ت.س. اليوت كأعظم تأثير معاصر في النقد الانكليزي الحديث ـ والنقد الامريكي خاصة ـ للشعر ويحدثنا ناقد اخر ان استاذا جامعيا قد تطرف في الثناء على ريتشاردز باعتباره ما قدمه من خدمة لعلم الجمال اعظم خدمة بعد ارسطو . وان ريتشاردز ، كما لغيره من المفكرين ، من يخالفه مخالفة شديدة ، ويحاول دحض كثير من ارائه في اللغة والنقد والشعر وعلم الجمال ، ولك ان تقرأ هوسبرز في كتابه « المعنى والحقيقة في الفنون » او هويل رايب في «الينبوع المحترق» لتستشهد بمثلين حديثين من معارضيه لتكون فكرة عما يراه نقاده في الموضوع . ومع ذلك كله فان احدا لا ينكر تأثيره المتواصل منذ عام ١٩٢١ في المجالات الادبية واللغوية والجمال واخيرا التربوية التي برز فيها بطريقته المشهورة في تعلم اللغات وتعليمها بواسطة الصور

ولقد بدأ ريتشاردز حياته في عالم التأليف بكتاب كتبه مع مؤلفين آخرين عن « اسس علم الجمال » عام١٩٢١ تبعه الكتاب المشهور « معنى المعنى » الذي اشترك مع Ogden في كتابته . واعماله الاخرى تشمل « النقد العلمي» و « العلم والشعر » و « فلسفة البلاغة » و « التفسير في

شخصيات نامية ، ولدينا روايتا مرتفعات وذرنج، وجين آر من الامثلة النابهة .

وحتى انتهاء القرن التاسع عشر كانت فكرة النمو تتمشى مع فكرة التطور ـ ونظر الى الفرد على انه يمثل جزءا من تاريخ الجنس او السلالة . واخذ في تطبيق اساليب العلم في ميادين علم النفس ، جاء ادلر وقال للناس: كلهم انانيون . وجاء فرويد وقال : كلكم جنسيون . وعرفت مفاهيم اللاشعور والشعور والكبت والرقيب وعقدة اوديب وعقدة الكترا ، وتطورات الحياة الطفلية الجنسية وذلك عند مدرسة التحليل النفسي لفرويد . وجاءت مدرسة مكدوجل وجعلت العواطف في مستوى اعلى من الغرائز ، وجعلت فوق العواطف كلها عاطفة رئيسية هي عاطفة اعتبار الذات ، وجعلت مدى تماسك الغرائز في عواطف ، ومدى تماسك العواطف بقيادة عاطفة اعتبار الذات هو المقياس لحرية الارادة . ثم جاءت من بعدهما مدرسة العامليين Factor Analysts واستنتاجاتهم الاحصائية فرسمت صورة التنظيم النفسي في تنظيمين رئيسيين : المعرفي Cognitive والمزاجي temperamental

اما التكوين المعرفي فيتضمن قدرة فطرية عامة . وقد رأت عقلية خاصة ، بجانب ما اكتسبه المرء من ثقافة عامة . اما التكوين المزاجي فيتضمن انفعالية عامة ؛ وانفعالات خاصة بجانب ما يكتسبه الفرد من اتجاه خلقي عام ، وبالاضافة الى ما قد يكتسبه من عواطف او دوافع لا شعورية مثل العقد النفسية اما دراسة الشخصية الفردية فتأتي من دراسة تفاعل الفرد في المجالات والمواقف المختلفة في ضوء هذا التكوين . وهي دراسة مقارنة بالنسبة لتفاعلات الافراد في المواقف والبيئات المختلفة ومنها يأتي علم النفس الفارق .

هذه اشارة خاطفة لهذه المدارس النفسية الهامة ، قصدت بها وضعها في السياق التطوري ؛ ويمكن درسها بتوسع في المراجع النفسية . وبعد يقول برنارد نوتكت اذا كان علم النفس لا شأن له بالقيم والماهيات ، فان علينا ان نفكر مستقبلا تفكيرا جديا في العلاقة بين الحقيقة والقيمة ـ فتلك هي البداية الحقيقية لدراسة الشخصية.

وهو يعني بذلك ان الشيء المهم هو تقييم ما تسفر عنه الدراسة النفسية من حقائق عن الشخصية ، لان تقييم الشخصية في المراتب الانسانية هو البداية التي تدفع الناس للسعي وراء القيم الانسانية .

القاهرة — اميل توفيق

التعليم » و « كيف تقرأ صفحة » و « حقد اكيليس » .. و « جمهورية افلاطون » وآلات تأملية او للتأمل ومجموعة كتب اخرى تخص تعليم اللغة الانكليزية والانكليزية الاساسية وسلسلة كتب تعلم عددا من اللغات بواسطة الصور .

واليك الان ترجمة الفصل الرابع من كتابه « قواعد النقد الادبي » عن « الايصال والفنان » .

ان مسألتي القيم والايصال عماداِن ينبغي ان تقوم عليهما اية نظرية في النقد . نحن لا ندرك على وجه كاف كمية التجارب التي تتخذ الشكل الذي تتخذه ، لكوننا كائنات اجتماعية وقد الفنا الايصال منذ الطفولة . إما اننا نقتني كثيرا من طرق تفكيرنا وشعورنا من الاباء والناس الاخرين فذلك امر واضح . الا ان تأثيرات الايصال تذهب الى أعمق من هذا ، فتراكيب عقولنا نفسها مجددة ، الى مدى بعيد ، ببقاء الانسان قائما بالايصال مئات الالاف من السنين خلال مرحلة تطوره الانساني او حتى قبل ذلك . وانه لمن الممكن ان يعزى جزء كبير من ملامح العقل المتميزة الى كون العقل نفسه آلة للايصال . ومما لا شك فيه ان اية تجربة يجب ان تكون قبل ان توصل الى شخص اخر ، ولكنها تأخذ الشكل الذي تأخذه غالبا لاحتمال وجوب ايصالها الى طرف اخر . انه لتأكيد غامر ذلك الذي وضعه الاختيار الطبيعي على القدرة الايصالية !

هنالك مشكلات نفسية كثيرة يحاول مواجهة بعضها انصار لنظرية كشتالت gestalt واخرى تحير المحللين النفسيين ، قد تستطيع هذه الناحية المهملة من العقل (اي الناحية الايصالية) ان تقدم لها حلا ، ولكن اهميتها القصوى تتجلى اكثر في ما يتعلق بالفنون لان الفنون ما هي الا الصورة السامية لعملية الايصال . ان معظم الامور الصعبة او الغامضة ــ كما سنرى ــ حول تراكيب الفنون كأسبقية العناصر التركيبية على الفحوى مثلا ، او اللاشخصية والتجرد ، الناحيتين للتين يؤكد كثيرا عليهما الجماليون تصبح واضحة مفهومة حالما ننظر اليها من هذه الزاوية . ولكن علينا ان نحاول تجنب سوء فهم ممكن وقوعه ، اذ ليس من الصواب ــ برغم الفائدة القصوى التي تنتج عن اعتبار الفنان موصلا communicator ان نذهب الى ان الفنان نفسه ينظر الى نفسه خلال هذا المنظار ، فهو كقاعدة ليس منهمكا في مرحلة عمله ــ بوعي وتعمد ــ في محاولة ايصالية ، ومن المتوقع ان يقول ، عندما يسأل ، بان الايصال موضوع غير متعلق بعمله او انه على الاكثر موضوع ثانوي. وان ما يحاول خلقه شيء جميل بنفسه ، او شيء يرضيه شخصيا . او انه معبر على نحو مبهم عن مشاعره او نفسي .. اما ان اخرين سوف يدرسونه او ينهلون منه تجارب فذلك قد يبدو له حالة عرضية او غير مهم ، وقد يقول متواضعا انه يقصد تسلية نفسه فقط اثناء عمله .

اما ان الفنان لا يهتم اهتماما واعيا بالايصال بل بالحصول على عمله ــ قصيدة كان ام مسرحية او تمثالا او لوحة او اي شيء اخر ــ بوجه صحيح وبغض النظر ظاهريا عن فاعليته الايصالية فذلك امر يمكن شرحه بسهولة . ان ما يشغل باله بالدرجة الاولى هو الحرص على ان يجعل عمله متضمنا التجربة الدقيقة التي ترتكز قيمته عليها ، ومتفقا معها ، وممثلا لها . وان تشتيت انتباهه الذي قد يتسبب ، ان اعتبر الفنان ناحية الايصال موضوعا منفصلا، مميت في اي عمل جدي . انه لا يستطيع ان يقف ليتساءل كيف ان الناس او اصحاب المؤهلات منهم ينظرون الى عمله ، او يستجيبون له ، ولذلك فانه من الحكمة ان يحفظ كل هذه الاعتبارات في مأى عن تفكيره . وان اولئك الفنانين والشعراء الذين يظن انهم اهتموا اهتماما خاصا بناحية الايصال يميلون الى السقوط في مرتبة ثانوية (هنالك من يشذ عن هذا ، كشكسبير مثلا) .

ولكن هذا الاهمال الواعي للايصال لا يقلل من شأن الناحية الايصالية ، وهو قد يستهين بها لو كنا مستعدين للايمان بان كل ما يهمنا هو فعالياتنا الواعية فقط . ان لعملية الظفر بالعمل الفني صحيحا ، ما دام الفنان سويا normal نتائج ايصالية واسعة ، وللعمل الفني ، باستثناء بعض الحالات الخاصة ، عندما يكون صحيحا قوة ايصالية اعظم بكثير مما لو كان بحوزته في حالة كونه عملا غير صحيح . وان في المدى الذي يوافق فيه العمل تجارب الفنان المناسبة قياسا للدرجة التي يثير فيها العمل تجارب مماثلة في نفوس الاخرين .

وليس اعراض الفنان عن اعتبار الايصال هدفا من اهدافه الرئيسية ، وانكاره تأثره في عمله بأية رغبة في التأثير في اشخاص اخرين دليلا على ان الايصال لا يكون في الواقع موضوعه الرئيسي . وهما قد يكونان دليلا على ذلك ، حسب راي نفسي بسيط يغفل الدوافع غير الواعية ولكن لا على اساس رأي سديد عن السلوك الانساني Human behavior ونحن عندما نرى الفنان يجاهد باستمرار لتحقيق اللاشخصية ، نحو تركيب لعمله يمنع غرائزه الشخصية ، الشاذة ، الوقتية مستعملا دائما اساسا له تلك العناصر التي هي اكثر اتساقا في تأثيرها في الحوادث الذهنية impulses (١) او عندما نجد ان الاعمال الفنية الشخصية التي ترضي الفنان ، ولكنها غير مفهومة لاي شخص اخر نادرة جدا ، وعندما نجد ان شهرة العمل مرتبطة باستمرار بجاذبيته الى الفنان نفسه آنذاك يبدو لنا ان من الصعب الاعتقاد بان الفاعلية الايصالية ليست جزءا اساسيا للصدق الذي قد يفترضه الفنان شيئا مختلفا تماما

اما الى اي مدى تكون الرغبة الحقيقة عن الايصال متميزة من الرغبة في انتاج شيء ذي فاعلية ايصالية (تحت اي اسم كانت) دافعا غير واع في الفنان فانه سؤال لا نحتاج ان نخاطر له بجواب . ومن لا ريب فيه ان الفنانين كأفراد ، يختلفون اختلافا كبيرا ، فيبدو لقسم منهم الاغراء بالخلود ، بالشهرة والمكانة الدائمتين في المؤثرات التي تحكم العقل البشري قويا جدا ، ويبدو هذا الاغراء لاخرين غير ذي قيمة وتختلف الدرجة التي تقر فيها مثل هذه التصورات اختلافا يعتمد على الطراز الفكري والاجتماعي المتداول . ويبدو ان الاغراء باستمالة ابناء المستقبل « الذرية » عديم الخطوة . ومن المحتمل ان يثير معاصر سؤالا كهذا « كيف نعرف كيف ستكون الاجيال الوارثة ؟ قد تكون بشعة ! » وبهذا يلتبس عليه الامر ، اذ ان هذا الاغراء لا يكون مرتبطا بالذرية كقوم يعيشون في

(١) يفسر الاستاذ ريتشاردز كلمة impulse في مكان اخر من كتابه، بانها الحادثة الذهنية او العقلية التي تبدأ بمنبه stimulus وتنتهي بعمل act

تاريخ معين فحسب بل كقوم لهم كفاءة خاصة للحكم ، وهي كفاءة كان يفتقرها معظم الاجيال الوارثة .

ان ما يهم النقد ليس الدوافع التي يقر بها الفنان او التي يتجنب التصريح عنها ، مهما كانت مشوقة لعلم النفس، بل الحقيقة التي تشير الى ان تصرفه في معظم الحالات يجعل فاعلية عمله الايصالية موافقة لرضاه الشخصي والشعور بصدقه وصحته . وهذا قد يكون نتيجة لمجرد حالته الطبيعية او قد يعزى الى دوافع لم يجهر بها . والامر الاول أجدر بالقبول . وانه من المؤكد ـ باية حال ـ ان مجرد دراسة دقيقة للامكانيات الايصالية الى جانب اية رغبة في الايصال مهما كانت قوية ، لا تكفي ابدا ، من غير توفر مطابقة طبيعية متقاربة بين الحوادث الذهنية للشاعر والحوادث الذهنية الممكنة في قارئه . ان الايصال الناجح بتفوق يعتمد على هذه المطابقة ، ولا تستطيع خطة ان تأخذ مكانها ، لا ولا المحاولة الواعية المتعمدة الموجهة نحو الايصال تستطيع ان تحقق نجاح الطريقة اللاواعية ، غير المباشرة .

وهكذا يكون الفنان معذورا كليا في اهماله الظاهري لغرض عمله الاساسي ، ولما كنا قد لمحنا الى دوافع الشاعر اللاواعية فانه من المستحسن في هذه المرحلة ان نضيف ملاحظات اخرى . ان العمليات الذهنية للشاعر ، مهما كان ما يجزم به المحللون النفسيون ، ليست حقلا ذا فائدة كبيرة للاستقصاء . انها تتيح مجالا واسعا لتكهن غير مقيد. ان كثيرا مما يحدث لانتاج قصيدة يقع ، بطبيعة الحال ، في مجال اللاوعي . ومن المرجح ان تكون العمليات اللاواعية اكثر شأنا من العمليات الواعية ، ولكن المحاولة ـ حتى لو كنا نعرف اكثر بكثير مما نعرف الان عن تصرف العقل ـ لعرض التصرف او السلوك الداخلي لعقل الفنان بوساطة تبينه عمله فقط يجب ان تكون معرضة لاشد الاخطار. واذا اتخذنا عمل فرويد المطبوع عن ليوناردو دافنسي او عمل يونج عن جوته مثلا لحكمنا لرأينا ان المحللين النفسيين يميلون الى ان يكونوا غير اكفاء كنقاد . والصعوبة ناتجة عن كون التحقق من جميع التأملات تقريبا عما يدور في عقل الفنان غير ممكن . وهي اقل قابلية للتحقق من التأملات المماثلة حول عقل الحالم .

ان المدى الذي أساء فيه النقاد والاخلاقيون والمربون وعلماء الجمال فهم الفنون ومكانها في النظام الشامل للشؤون الانسانية يصعب نسبيا شرحه . غالبا ما كان اولئك الذين هم اكثر اساءة في فهمهم متقنين في ذوقهم ومقدرتهم على الاستجابة كرسكين مثلا . ولقد كان اولئك الذين عرفوا ما يجب عمله مع عمل فني وفهموا ما يعملون ، في معظم الاحيان ، فنانين قليلي الميل الى مهمة الشرح الخاصة ، وقليلي القدرة على ذلك . واعل العمل الفني كان يبدو لهم اوضح من ان يحتاج شرحا . اما اولئك الذين حاولوا الشرح فقد خانتهم اللغة . اذ ان الصعوبة التي عرقلت دائما شرح الفنون والتمتع بها (لنستعمل كلمة غير وافية بالغرض لعدم تيسر كلمة اخرى وافية) هي اللغة . « طوبى لمن يستطيع ان يراضي هذه العدوة الفاضلة للانسان ! » ومن الجائز القول بانه لم يكن ضروريا جدا ، كما هو الان ، ان نعرف لماذا تكون الفنون مهمة ، وان نتجنب اجوبة غير مناسبة .

ان الفنون مستودعنا للقيم المسجلة ، هي تنبع من ساعات في حياة افراد عظام ، وتخلدها ، عندما تكون قيادتهم لتجاربهم وسيطرتهم عليها في دارهما ، ساعات عندما تكون امكانيات الوجود المتباينة مدركة بكل وضوح ، والعمليات المختلفة التي قد تنتج منسجمة باعظم روعة ، ساعات عندما يحل محل التعصب المالوف للمصالح ، او الحيرة المرتبكة رباطة جاش متقنة . ان في كل من تكوين العمل الفني ـ في اللحظة الخلاقة ـ وفي وظيفته كآلة للايصال اسبابا تمنح الفنون مكانة سامية جدا في نظرية القيم . انها تسجل أهم الاحكام التي نملكها حول قيم التجربة . انها تكون مادة برهان تركت غير ملموسة من قبل طلاب القيمة بسبب الافتقار الى علم نفس تستطاع الافادة منه في تفسيرها ، وبسبب تأثير مجدب لعلم الاخلاق . وان التغاضي عنها لامر يثير الاستغراب اذ اننا بغير مساعدة الفنون نستطيع ان نقارن شيئا قليلا من تجاربنا ، ونادرا ما نستطيع ، بغير مثل هذه المقارنة ـ ان نامل الاتفاق على ما يصح تفضيله ـ ان تجارب بسيطة جدا ـ كحمام بارد في صفيح مطلي ، او جري نحو قطار ـ يمكن ان تقارن الى حد ما من غير آلات متقنة . وقد يستطيع اصدقاء يعرف احدهم الاخر جيدا ـ بعض المقارنات التقريبية في حديث عادي . ولكن تجارب معقدة او مبهمة تكون غير ممكنة الايصال او الوصف لمعظم الناس ، بالرغم من ان التقاليد الاجتماعية او رعب الوحدة قد تجعلنا نتظاهر بالنقيض . اننا نجد في الفنون الشكل الوحيد للسجل الذي يمكن فيه تسجيل هذه الاشياء عن التجارب التي بدت ، لاكثر الناس احساسا وتمييزا ، شيئا يحسن ان يمتلك . وقد اعتبر الشاعر خلال الادراك الغامض لهذه الحقيقة نبيا والفنان كاهنا

تمدنا الفنون ، ان اقبلنا عليها بطريقة سليمة ، بافضل المعلومات المتاحة للحكم على قيم التجارب والتمييز بينها . ان عبارة الشرط السالفة الذكر مهمة جدا ، ونحن لحسن الحظ ، لا نعاني نقصا في امثلة واضحة تذكرنا بصعوبة الاقبال على الفنون بوجه سليم .

جامعة هارفرد — صالح جواد الطعمة

صدر حديثا :

الرمال

مجموعة شعرية لشاعر الهند

رابندرانات طاغور

ترجمة

الدكتور بديع حقي

الفـراغ الحـلو

ما بيننا ، حبّةُ رملٍ هـوتْ ... في شاطيءٍ ضلّ عليه الهدى
يلفّها النسيان ، مـا خاطـر" ؟ ... مر ببال الوهم أعمـى المـدى
كأنهـا من عـدمٍ اسـودٍ ... او نسمة" في الليل مرت ُسدى
« أين » تلاشت والسؤل اتكفا ... ولم تعد تعطي « متى » موعدا

★ ★ ★

ما بيننا مر كأن لـم يكـن ... سرابهُ ينساب فيـه الـردى
دمعةُ شحـاذٍ غريب الثرى ... في قفرةٍ لا تُلهم المقصـدا
في خطوه الامسُ على نَسْيه ... ارهاصـة انلا يُلاقي غـدا
كلمحةٍ في لجـةٍ أعتمـتْ ... لا تستبين العـين فيها يـدا

★ ★ ★

ما بيننا النسيان ، أي كـرىً ... بُحَّتْ رؤى فيه ومات الصدى
لمتُ شِلْوي ، وصرفت الهوى ... قلبي غدا من سـأمٍ موصـدا
مَدّ الفراغ الحلو في داخـلي ... براعمـاً بيضاً وبرد نـدى
يخضوضر الصمت ويشدو هَنا ... ما اروع الصمت اذا أنشـدا
قد يُضحك البلبل امـا شـدا ... ويثلهـم الليـلُ اذا غـردا

كفريا ـ لبنـان — **عـلي شلـق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مختارات من الشعر الاسباني

●

ترجمة محسن جمـال الدين

●

فدريكو غرسيا لوركا

●

ولد في قرية من اعمال (غرناطة) في ٥ حزيران سنة ١٨٩٩ . درس البكالوريا والحقوق والاداب في جامعة غرناطة ، ثم انتقل الى مدريـد . وانضم الى الحلقات الادبية ، واحتل مكانة محترمة في عالم الشعر الاسباني .وخاصة ما كان فيه ذا طابع شعبي . وقد ساهم في احياء الروح الرومانسية في ادبه وشعره وتمثيلياته . وصوره وموسيقاه . ثم مال الى الادب الواقعي.واكثر من وصف حياة « الفجر » الذين عايشهم ، وجالسهم ، واختلط بهم ، لوجودهم بكثرة في الاندلس وفي غرناطة خاصة بمحلة « البانسين » .

تجول في بلاده وسافر الى فرنسا ، وانكلترا ، والولايات المتحـدة ،واميركا الجنوبية . وكان موسيقيا بارعا ، وضع عدة الحان شعبية . كما انه رسم بريشته مجموعة من الصور المكعبة على طريقة « بيكاسو » وقـدنشر عدة دواوين ومسرحيات ومن مؤلفاته المشهورة : اشعار ١٩٢١ ، اغاني ١٩٢٧ ، حكايات الفجـر ١٩٢٨ ، بونس آيرس ١٩٣٤ ، ومن مسرحياتـه« عرائس الدم » .

نشرت ترجمةحياته ١٨٩٩ـ١٩٣٦ «دائرة المعارف الاسبانية» وقدنشرت مجموعة اشعاره وبعض صوره وموسيقاه في مؤلف عام ١٩٥٥ يضم ١٨٢٤ صفحة . هذا هو الشاعر الذي نقدمه اليوم ، كزهرة من زهور رياض اسبانيا الاندلس الشعرية الذي ينقلنا الى اجواء المحبة ، وعالم الحياة المرحة .

○

ذكـريـــات

ما احلاك يا شجر الحور
ما احلاك
المتوشح بالذهب
أمس كنت اخضرا
أخضر مجنونا
الطيور تمجدك ،
واليوم ناحل ضعيف
تحت سماء آب
مثلما أنا تحت السماء
روحي حمراء قانية
!ي اسير الشذى العطري
لساقك الجميل
من اجله سأبيع قلبي التقي
ما احلاك يا شجر الحور
ما احلاك !!
أنت شيخ الجنينة
كلانا نلبس وشائح الذهب

انشـودة الفـارس

قرطبة !!
بعيدة ••• ومفردة

حصاني الاسود
وقمري الـكبير
والزيتون في حقيبتي
سوف لا اصل ابدا ••• الى قرطبة
لاني لا أعرف الطرق
للحقل الواسع
وللريح العاصف
حصاني الاسود
وقمري الاحمر
الموت يراني من قلاع قرطبة
وآسفاه !
الطريق طويلة
حصاني شجاع صنديد
وآسفاه !!
الموت ينتظرني
قبل ان أصل الى •• قرطبة
قرطبه !!
بعيدة ••• ومفردة

اغنيـــة

يحيا الموت !!
الحب في احشائي

عبثا انتظر رسائلك
أحسب الازهار ذابلة
لانها لا تعيش بدوني ••
الهواء خالد ••
والصخر جامد
يتجنبه الظل
وقلبي في داخلي
لا حاجة للعسل البارد
والقمر المتحول
أحزنتك
لانك مزقتِ عروقي
كالنمرَة والحَمامة !!
فوق خصرك
صراع يلتهم السوسن
فيضان كلماتك ،
جعلني أحمق
أتركيني •• أعش هادئا
وليلة حبي
تظل دائما مظلمة

تراتيـم متنقـلة

أمس •••

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة مصرية

البخت

بقلم منيرة عبد الجواد

ما ان وجدت انه ليس لدي ما يشغلني طوال فترة المساء حتى انتويت الذهاب الى منزل اخي، فليس احب لدي من الوقت الذي اقضيه معه ، وبين زوجته واولاده ، وبينما انا استعد لذلك اذ بابنة اخي الكبرى تخبرني تليفونيا انها نجحت في امتحان الشهادة الاعدادية .

سارعت اليهم احمل لها هدية النجاح وهناك وجدت زوجة اخي وابنته هذه واربعا من صديقاتها ، فرحات مبتهجات بالنتيجة ...

كن فتيات تتراوح اعمارهن بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة في تلك السن التي تتفتح فيها نضارة الفتيات ويغدق عليهن الشباب حيوية ونشاطا فيجعلهن متفتحات كالزهر ، باسمات للحياة يملأن الدنيا حولهن ضجيجا وصخبا مستحبين ويشعن السرور في كل ما يحيط بهن ..

انتحيت وزوجة اخي ركنا من الحجرة وتركنا الفتيات الخمس يمرحن ويرقصن على انغام الموسيقى التي تنبعث من « الجرامفون » فلما تعبن من الرقص جلسن يتسلين باوراق اللعب ، يلعبن بها لعبة « الشايب » ويرغمننا بين وقت واخر على مشاركتهن الضحك عندما يستقر الشايب عند احداهن ويصدر عليها الحكم بالقيام بعمل مضحك او ما شابه ذلك ، وكان بين الفتيات فتاة تجيد بعض العاب التسلية التي تعتمد على خفة حركة اليد وسرعتها مع سرعة البديهة وقوة الملاحظة فطلبت منا الانضمام اليهن للمشاركة في بعض هذه الالعاب .. استمر اللعب بين ضحك وضجيج حتى اقترحت واحدة منهن ان تقرأ للباقيات الطالع من اوراق اللعب ففرح الجميع وكل تريد ان تكون اول من يقرأ لها الطالع .. وكانت المفاجأة فاذا زوجة اخي لاتسمح لهن بقراءة الطالع وجمعت اوراق اللعب رغم الحاح الجميع عليها بترك الاوراق واحتجاجهن على عدم السماح لهن بقراءة الطالع ثم راين ان يقرأ لهن الطالع من فناجين القهوة فرفضت زوجة اخي ذلك ايضا فاقترحت واحدة اخرى ان تقرأ لهن الطالع من الكف .. وهنا رايت زوجة اخي توشك ان تفقد اعصابها واتزانها المعروف عنها وتخبرهن ان ذلك لا يليق بفتيات متعلمات مثلهن لانه «كذب المنجمون ولو صدقوا» وان « الطالع غيب لا يعلمه الا الله » وما على الانسان الا ان يسعى لتحقيق ما يريد ويترك الباقي على الله وانه « لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » .. وما اشبه ذلك .

وعبثا حاولت الفتيات اقناعها بانهن يعلمن كل ذلك وانهن يردن التسلية فقط ، ولكنها لم تقتنع بل حاولت ان تأخذ منهن وعدا الا يحاولن مرة اخرى قراءة الطالع ولو من قبيل التسلية ...

تعجبت كثيرا من موقف زوجة اخي هذا ، فانا اعرف انها انشأت اولادها على قسط كبير من الحرية ، والاستقلال الذاتي فتعاملهم معاملة الصديق اكثر من معاملة الوالدة وخصوصا ابنتها هذه فقد رزقت بها بعد زواجها بعام واحد وكانت في عامها الثامن عشر فاتخذت منها صديقة صغيرة لها وشجعتها على ان تكون موضع سرها وتعرفت بكل صديقاتها واتصلت بأسرهن في منازلهن لتطمئن على الجو الذي توجد فيه ابنتها في الوقت الذي لا تكون فيه معها .

لم استطع تفسير موقفها هذا ... وحز في نفسي ما لمحته على وجوه الفتيات من ضيق والم وضايقني ان ينقلب مرحهن وسرورهن بمثل هذه السرعة الى ضيق وكآبة ، فطلبت من زوجة اخي ان تغادر الحجرة آملة ان يخف توتر الجو شيئا ما ، ويعاود الفتيات بعض مرحهن وان اعرف منها سر موقفها ، فلا بد ان لديها تفسيرا، مقنعا ، وقد صدق ظني فما ان انتقلنا الى حجرة اخرى حتى بادرتني قائلة:

اعرف انك في غاية العجب من تصرفي ولا سيما والفتيات في ساعة

نجوم زرقاء ...
غدا ...
نجوم بيضاء
اليوم ...
ينام الزهر الحالم
بين طيات ملابسك
أمس ...
نجوم نارية ...
غدا
نجوم بنفسجية
اليوم
يا الهي ...
هذا القلب المتوثب ... قلبي
أمس ...
ذكريات النجوم
غدا
نجوم غاربة
اليوم ...
تتهادى في زورق الحب
آه !!
ولكن السدود
تقف في مجرى ... مياهنا

محسن جمال الدين
جامعة برشلونة ـ اسبانيا

مرح وبهجة فافسدت عليهن ذلك ، ولكن عذري الوحيد اني انما اقوم بواجب الامومة نحوهن واحاول جهد طاقتي ان اجنبهن خطرا من اليسير وقوعهن فيه خصوصا في هذه السن المبكرة .. لو اني افلحت في أخذ وعد منهن بعدم تكرار المحاولة لشعرت بالاطمئنان والسرور .. ولكن ما باليد حيلة ...

لا . لا تظني اني مبالغة في الامر ولكن اسمعي هذه الحادثة واحكمي بعد ذلك على مسلكي :

كان ذلك منذ سبعة عشر عاما تقريبا او يزيد وكنا يومها في السنة الرابعة الثانوية ، ايام كانت الدراسة الثانوية للبنات ست سنوات وخمسا للبنين ، وكان اليوم يوم الخميس على وجه التحديد ، ويوم الخميس كما لا يخفى عليك اجمل ايام الاسبوع عند الطلبة والطالبات على السواء ، وبالطبع كان يوم الخميس محببا لطالبات فصلنا .. كنا ننتظره بشغف وشوق وكأنه لا يأتي اسبوعيا بل كل شهر او قولي كل سنة وان كانت اسباب انتظاره تختلف من واحدة لاخرى كانت منا من تنتظره لانه اليوم الذي يسبق الراحة الاسبوعية ومنا من تلقى فيه فتاها ، ومنا من تنتظره لانه اليوم الذي يزورهم فيه الاقارب ومن بينهم من تميل اليه ، ومنا من كان يوم نزهتها وخروجها لزيارة الاقارب ولكن السبب الجماعي الذي كان يوحد بيننا في حب يوم الخميس فهو ان شاءت الظروف والصدف ان يكون يوم راحة لنا تقريبا في جدولنا ، فالثلاث حصص الاولى انشاء عربي ثم انجليزي ثم فرنسي والثلاث حصص الباقية تدبير منزلي ، وهذه الحصص كانت تعتبر وقت ترفيه ، ففي حصة او حصة ونصف حصة كنا ننتهي من طهو ما هو مقرر ونقضي الوقت الباقي متفرقات في جماعات في حجرة التدريب الواسعة مجموعة تستمع لقصة فيلم شاهدته احدى الجالسات ومجموعة اخرى تستمع لغناء واحدة منها وثالثة تتبادل الحديث عن خصوصياتها همسا فيما بينهما ، وهكذا ينتهي الوقت ونودع المدرسة الى يوم السبت ونحن راضيات عن يوم الخميس .

كان هذا شعورنا نحو يوم الخميس في تلك السنة الا انه كان له مكانة خاصة عند صديقتنا وزميلتنا رجاء فانه كان يوم مواضيع الانشاء كما ذكرت لك ولم يكن في المدرسة كلها من يجيد الكتابة في اللغات الثلاث مثلها طوال مكثها بالمدرسة . كل موضوع تكتبه يقرأه علينا مدرس الفصل وعلى كل فصل يدخله ، وفي الايام التي يكون فيها الموضوع شفهيا لم يكن هناك داع لان يتكلم فيه واحدة غير رجاء . اما في حصص التدبير فقد كانت دائما تأتي وهي مستعدة لها بكتاب او قصة في حقيبة كتبها ، وما ان تفرغ من الطهو حتى تنحني جانبا للكتاب او القصة .

لم تكن هذه عادتها في حصص التدبير فقط بل في جميع الدروس ، ما ان تشعر بعدم ميل للدرس حتى تخرج كتابا وتأخذ في القراءة متخذة من مجلسها في اخر الفصل ستارا يحميها من المدرس او المدرسة والعجيب انها كانت متفوقة علينا جميعا وكانت الاولى دائما . كان حبها للقراءة والادب والاطلاع واتقان اللغات لا يضارعه الا حبها للكتابة التي كان يتنبأ لها كل استاذ بمستقبل باهر فيها ، ورغم قلة ما كانت تعرفه كانت محبوبة منا جميعا لهدوئها وطيبة خلقها ورقة احساسها .. تكاد تكون منطوية على نفسها لسبب لا ندريه ولا تعلم به حتى وثيقات الصلة بها .

ظل هذا حالنا كل يوم خميس حتى قبل اخر السنة بحوالي شهرين اذ حضرت احدى المتمرنات عندنا وفي فصلنا بالذات ، وانت تعلمين طبعا ما تلاقيه المتمرنات من الطالبات من مشاكسة وعدم انتباه واشاعة الفوضى خلال الدرس ، ولكن ما ان بدأنا نحدث شغبنا حتى طلبت منا المتمرنة بكل هدوء ان ننتظم في الدرس لننهي بسرعة كي تقرأ لنا جميعا الكف الذي اقسمت انها تجيد قراءته وبالطبع كان هذا كافيا جدا لننتظم ونهدأ ونحاول الانتهاء من الطهو باسرع وقت ممكن واخيرا انتهينا والتففنا حلقة حول المتمرنة ، نتسابق في بسط اكفنا لها لتقرأ لنا الطالع الا رجاء فانها كعادتها اخذت مقعدا وانتحت جانبا بعيدا عنا لتفرغ لقصة كانت قد احضرتها حسب عادتها وكان تصرفها هذا مثيرا لفضول المتمرنة فسألتها :

ـ الا تودين معرفة حظك

فردت عليها بهدوء وبساطة :

ـ عرفته وظاهر من اوله والحمد لله

وعادت الى قصتها ولكننا بكل اسف الححنا عليها ان تنضم الينا ، اقول بكل اسف لاننا لو كنا نعرف ما سيترتب على ذلك لكنا تركناها وحيدة في ركنها .

اخذت المتمرنة تقرأ لكل منا كفها مبتدئة بخط الزواج والحظ كما تقول ثم ببعض حوادث مرت وسمعت رجاء ما قالته لنا جميعا . قالت المتمرنة لاحدانا ستتزوجين مرتين ولاخرى ستعقد خطبتك قريبا وتفسخ الخطبة وهذه حظها سعيد وتلك ستلاقي بعض المتاعب وقالت لي ستتزوجين في سن السابعة عشرة وتكونين سعيدة وحظك ممتاز ...

انتهت منا جميعا ولم يبق الا رجاء

يصدر في مطلع هذا الشهر :

لوركا

قيثارة غرناطة

مسرحية لشاعر اسبانيا الشهيد فارسيا لوركا مع مختارات من اشعار ديوانه رومانسيرو جيتانو ونماذج من رسومه وتحليل لاهم آثاره للكاتب س.م.بورا والرسام الاسباني كريكوديو ومقدمة

ترجمة :

كاظم جواد وسلافه حجاوي

منشورات

شركة بغداد للطباعة والنشر

التي لم تحاول ان تمد لها كفهافطلبت هي من رجاء ان تسمح لها بقراءة كفها ، ودفعنا حب الاستطلاع الى حث رجاء لاستطلاع حظها فامتثلت لنا .

ولا ادري اي شيطان دفعها لان تعي كل كلمة قالتها لها المتمرنة ، لقد قالت لها ان خط الحظ في كفك متقلب يدفعك الى الامام تارة ويتخلى عنك تارة اخرى وعلى العموم فهو منوسط او اقل من المتوسط اما اصابعك فتقول ان لديك موهبة فنية قوية ستنالين شهرة كبيرة بسببها. وسيكون مركزك الادبي افضل من مركزك المادي وستتم خطبتك على شخص تعرفينه وليس بقريبك ولن يتم الزواج ولكنك ستتزوجين ثانية في السابعة والعشرين وسيكون الزواج لمركزك لا عن حب وسيحدث لك صدمة قد تؤثر في حياتك تأثيرا كبيرا واثرها يتوقف على قوةاعصابك وقدرة تحملك .. واشياء اخرى ..

وانتهى يوم الخميس وخرجنا من المدرسة واعتقدنا ان معظمنا ما لم نكن جميعا قد نسي ما قيل له او على الاقل لم يعره اهمية الا رجاء فانها قد وعت تماما كل كلمة قيلت لها .

ومرت الايام ونسينا تماما كل شيء ثم فوجئنا بعد الامتحان مباشرة بخطبة الزميلة التي قالت لها المتمرنة انها ستخطب قريبا وفي اوائل العام الدراسي التالي فسخت الخطوبة ولم ينتبه احد لذلك سوى رجاء التي اشارت الى نبوءة المتمرنة ثم كان زواجي في سن السابعة عشرة كما تعلمين وما لقيته من سعادة عائلية فزاد اقتناع رجاء رغم ذكائها وثقافتها بصدق المتمرنة وبدات اعصابها تتلف كل حادثة صغيرة تقع لها من الكارثة اء الصدمة التي اخبرتها بها المتمرنة ، رفض دار من دور الصحف لقصة او موضوع لها صدمة ، وفاة قريب ولو من بعيد صدمة ، مرض اي فرد من اسرتها يصبح لا امل في شفائة في نظرها او تعتبره صدمة ..

وانتهت دراستها الجامعية دون حادث يستحق ان يسمى صدمة وكادت تقتنع بان ما قالته لها المتمرنة مجرد كلام واخذت تشق طريقها في عالم الادب ، وفي ظرف ثلاث سنوات كان اسمها معروفا لدى كثير من قراء الادب ، وفي هذه الاثناء خطبت لاحد اصدقاء اخيها وكانت سعيدة جدا بهذه الخطبة واصبحت رجاء غير ما كانت مرحة ، بشوشة متفائلة مقبلة على الحياة تتحدث الى الناس وتصادقهم بعد انطوائها وتقضي معنا كثيرا من الاوقات تضع نظام منزلها الجديد واثاثه وتتجادل في طريقة ترتيبه وفي اي الاحياء يكون ونوع الاثاث والتحف واحيانا تتمادى في التفكير والاحلام وتتجادل هل تنجب اطفالا ام تؤخر ذلك بعض الوقت ، ثم هل تأتي لهم بمربية مصرية او تقوم هي بذلك وتعودفترى ان ذلك سيؤثر على انتاجها فتقرر ان تقوم على تربيتهم مربية وتضع الشروط الواجب توافرها بالمربية وتصمم على ان تكون المربية اجنبية وما الى ذلك من احلام ..

وكانت المفاجأة فبينما الاستعدادات قائمة على قدم وساق لاتمام الزواج اصيب خطيبها في حادث توفي على اثره في الحال ... وهنا انهارت رجاء تماما ، فمرضت ولازمت الفراش مدة طويلة ثم اصبحتانسانةمضطربة الاعصاب قلقة ، متعبة ، وعدت الحادث الصدمة التي تنبأت بها المتمرنة ، واصبحت حياتها تعسة لبس لديها رغبة في الحياة ولا دافع ولا امل او هدف واضطرب انتاجها الادبي تبعا لذلك وتزعزع مركزها الذي كونته لنفسها ثم تلاشى تماما ونسيها القراء واصحاب الصحف ولم تجد عنايتها نحن صديقاتها او عناية اسرتها بها شيئا ، ذهبت الى كثير من الاطباء والاخصائيين النفسيين ولكن جهودهم جميعا باءت بالفشل فقد كان ينقص العلاج اهم شيء وهو العمل من جانبها على انجاح العلاج والرغبة في الحياة وظلت على هذه الحال مدة عامين ...

كنت احب رجاء هذه خاصة وقد توطدت علاقتي بها بعد زواجي وشق على نفسي ان اراها تتلاشى وتضيع منا بهذا الشكل وخطرت لي فكرة صممت على تنفيذها دون ان اخبر بها احدا ، فاتصلت بسيدة أثق بها ولا تعرفها رجاء واخبرتها بالقصة كلها واخبرتها اني سأحضر لها رجاء لتقرأ لها الكف وعليها ان تتصرف على ضوء ما قصصته عليها ... وذهبت لزيارة رجاء وجلست اتحدث معها حديثا عاديا ثم اخبرتها ان هناك سيدة يقال انها تجيد قراءة الطالع واني لدي مشكلة تشغلني واريد ان اعرف ماذا سيتم فيها وسألتها ان كانت تحب ان ترافقني ام لا فلم تمانع ...

ولاتقان الدور استأذنتها ان تتصل بالسيدة تليفونيا لتحدد لنا موعدا وكانت السيدة لبقة فادعت ان مواعيدها محجوزة لمدة ايام ولكن ما دمنا في عجلة من امرنا فانها تحدد لنا موعدا في مساء الغد...

وذهبنا اليها فقرات لرجاء الطالع واخبرتها عن الماضي وافاضت في وصف ما عانته رجاء من صعاب ونكبات ولكنها اكدت انها ترى ان كل ذلك لا يعد شيئا بالنسبة لما ينتظرها من سعادة وهناء وراحة بال فقد بدا خط الحظ يعمق ويتضح في يدها وانها ستصيب من المجد اضعاف اضعاف ما فقدته وخاصة انها ترى لديها النية في ذلك وفي معاودة الكفاح وشق الطريق من اوله وكأي قارئة كف محترمة لم تنس ان تشدد عليها الا تنساها ولا بد ان تحضر لها نصيبها من الحلاوة عندما تنال ما تريد...

وقد تحقق املي من خطوتي باقرب مما اتصور فقد ظلت رجاء مستغرقة في تفكير عميق اغلب الطريق ثم كأنما احست بوجودي معها فابتسمت ربما لاول مرة منذ وفاة خطيبها وقالت آمل ان تكون هذه السيدة صادقة في نبوءتها على كل حال ارى انه لا فائدة ترجى مني بهذه الحالة . سأحاول ان انتج مرة اخرى وان يكون لي امل وهدف في الحياة وعلى الله التوفيق ـ سأحاول اليوم كتابة قصة يدور موضوعها في راسي الان ومن يدري . ربما كنت لم انته بعد .

واخذت رجاء تشق طريقها من جديد وتكافح حتى وصلت الىمكانتها التي تعرفينها وتزوجت وهي تعيش الان حياة مستقرة هادئة يسودهما حب متزن عاقل واحترام متبادل .

القاهرة **منيرة عبد الجواد**

مهمة الفلسفة والمناطقة الوضعيون

بقلم نجم الدين بزركان

° ○ °

يرى المناطقة الوضعيون ان الفلسفة ما هي الا تحليل صرف ، لا تقول من عندها شيئا بل تترك للعلماء حق الحديث عن العالم بما لهم من ادوات الملاحظة والتجارب العلمية، وعلى الفيلسوف واجب واحد،هو ان يحلل العبارات اللغوية التي يستخدمها هؤلاء العلماء تحليلا يقوم على منطق اللغة ذاتها وبذلك يفرقون بين ما يجوز وما لا يجوز (١) .

واعلام هذه الفلسفة وبخاصة المتأخرين منهم يقفون من التاريخ موقف اللامبالاة ويزعمون انهم رواد منهج هو وحده الصحيح وهو وحده الحديث في تاريخ الفكر الفلسفي، وهم يرفضون بصراحة الهدف الكلاسيكي للفلسفة والذي هو اعطاء صورة عن العالم والانسان ، وفي هذا يقول برتراند رسل ، احد المؤسسين لهذا المذهب ، بان الفلسفة لا تقيم ولا تستطيع ان تقيم او تكشف حقائق جديدة او تعيينات جديدة فيما يتعلق بالعالم ، وانما يقع كل ذلك على عاتق العلم ولا يمكن ان يتم الا على اسس من الدلائل العلمية والمنهج العلمي .

والحقيقة انهم يرفضون الفلسفة لانهم يفصلونها عن العلم وعن الحياة . وهم يبدأون بالقول بان كل ما نستطيع ان نعرفه عن العالم وعن المجتمع البشري هو ما تعبر عنه قضايا العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية . وان الفلسفة لا دخل لها مع هذه او تلك ، انها تهتم بتحليل المنطق ، وهو دراسة خاصة متخصصة . ومن تحليل اللغة هذا ينتقلون الى القول بان العلوم لا تستطيع ان تكشف شيئا عن العالم الموضوعي . وعن قوانين الحركة الموضوعية وتبادل العلاقة بين الطبيعة والمجتمع. بل ان العلوم تهتم بالعلاقات القائمة بين المعطيات القابلة للملاحظة. وهكذا فان رفضهم للفلسفة بالمفهوم الكلاسيكي هو رفض للمعرفة العلمية بنفس الوقت ، لان رفضهم للفلسفة على انها بيان عن الطبيعة وعن العالم وعن المجتمع البشري ـ يتضمن بصورة مباشرة رفضهم للعلم ايضا

ان الفلسفة هي محاولة تفهم طبيعة العالم ومكانتنا ومصيرنا فيه ، لقد كانت مهمة الفلسفة دوما تغنية هذا التفهم وتعميم نتائجه ، وهو ما حاول القيام به الفلاسفة القدماء العظام . وكان مقياس عظمتهم في كل الازمان ، درجة توفيقهم في التعبير عن جماع الخبرة الاجتماعية والاكتشاف العلمي المتيسر في زمنهم ، وذلك خلال تصميماتهم الفلسفية .

ان هذا يفسر لنا سبب صعوبة او استحالة تقيم او نقد اراء هؤلاء الفلاسفة الا على اساس من اعتبار الظروف التاريخية التي حددت طريقة عرضهم لمسائلهم والطريق التي وصفوها كحل لهذه المسائل .

ومن الضروري جدا ، للوقوف بوجه الوضعية المنطقية، اعادة وضع الهدف الكلاسيكي للفلسفة ، ولكن ليس بمفهوم اختراع مذاهب فلسفية جديدة: فلقد انقضى عهدها ، فليست ثمة فلسفة تستطيع ان تقف فوق العلوم وتدعى انها اساس لنظام عام للعالم قائم على اسس تختلف عن الاسس المتبعة في البحوث العلمية التجريبية .

ان ما يطلب من الفلسفة هو ان ترسم وتستخلص مبادءها ونتائجها من العلوم نفسها ، عليها ان تكون تعميما للعلوم ، قائمة على العلوم ، وتعتني باستمرار بتقدم العلوم. وعليها في الوقت نفسه ان تصبح سلاحا بيد العلم ، يعني منهجا ينفذ الى العلوم ويقود البحث العلمي وعملية صياغة النظرية العلمية . وخلافا للمذاهب القديمة التي كان هدفها ينحصر في تفسير العالم فإن على مثل هذه الفلسفة ان تستهدف توضيح : كيف يستطيع الانسان ، بطريقة فعالة، ان يغير العالم .

ولكن المناطقة الوضعيين يتهربون من هذه المهمة فيقول رسل مثلا في كتابه (معرفتنا عن العالم الخارجي) « ... ان الفلسفة العلمية الاصيلة ... لا تقدم او لا تحاول ان تقدم حلا لمشكلة المصير الانساني ... او مشكلة مصير العالم ... »

ولقد اعلن رسل من بعد ذلك منهجا فلسفيا يمكن تلخيصه بالنقاط التالية :

ـ ان الحقائق والتعميمات التي تدور حول العالم ، وبكلمة اخرى ان العلم الوضعي ينبغي الوصول اليه تجريبيا من خلال الادراك الحسي المألوف ـ من جهة ـ وبواسطة تكنيك دقيق للعلم من جهة اخرى . ان الحقائق والتعميمات المجهولة فيما يتعلق بالعالم لا يمكن ان تكتشف بواسطة التفكير القبلي à priori

ـ ان مهمة الفلسفة هي اخضاع القضايا التي نتوصل اليها بالادراك الحسي وبالعلم ، الى التحليل المنطقي

ان هذا التحليل المنطقي لا يستطيع ان يقيم حقائق جديدة .

ـ ولكن تحليل وتوضيح الشكل المنطقي للحقائق المعروفة ، يضيف الى العلم الوضعي وضوحا جديدا ، ونستطيع بهذا التحليل ان نتغلب على الخلط والحيرة العقلية التي تنشأ من عدم وضوح الشكل المنطقي نفسه .

قد يبدو هذا المنهج ، للنظرة الاولى ، معقولا وتقدميا، وكيف لا يكون وهو الذي ينص بان معرفتنا للعالم مشتقة من ادراكنا الحسي ، وان مهمة الفلسفة هي تهيأة وتوضيح مثل هذه المعرفة الموضوعية ؟

ولكن نظرة ابعد تكشف عن زيف هذا المنهج « الحديث » وتبين انه صنو للمنهج الفلسفي الموغل في القدم والذي جاء به « بركلي » ومن تبعه من بعده . فلقد قالوا اننا « نتقبل » ما يتوصل اليه العلم ولكننا نقدم له تفسيرا خاصا . واليوم يأتي رسل وجماعة الوضعية ليقولوا نحن « نتقبل » ما يتوصل اليه العلم ولكننا نخضعه « لتحليل منطقي »

ان الطريقة العلمية في البحث ، في مجرى تطورها الهائل في العصر الحديث ، امتدت لتشمل مجالا بعد اخر، بحيث لم تترك جزء او جانبا من الطبيعة او المجتمع البشري يقف مغلوقا امام البحث العلمي . ونتيجة للانجازات العظيمة التي تمت في التحليل العلمي ، من تحليل المركبات الى

(١) زكي نجيب محمود في (حياة الفكر في العالم الجديد).

انصار

مع الصخب المر فوق الدروب
دروب المدينه
وفي زحمة الناس عند الغروب
مشيت الى اين ..؟ كيف المسير
فما كنت ادري طريقي
ولا ما يكون المصير
فقط كنت اذكي حريقي
واعبر دنيا الذنوب
وعالم موت ونهر اصفرار شحوب
هناك ولما عبرت الطريق
واصبحت وحدي
تململق موتي وغاب الطريق
بغيمة حفـد
الا اين صوتي .. واين الغناء
ورف الحنان وموج الضياء
الا ايها الـكون اين طيوري
وموسم حبي .. وعطر زهوري
اضاعت شموع الصباح
امـات صباحي ..؟
ومشعل عمري وريش جناحي
انا لا اطير لماذا ؟
تهيض جنحي وجنح الاماني
لماذا وكيف تضاءل دربي
اذا مت يا رب من يضرم الافق بعدي

ومن يغزل الحب هل مات قلبي
الهي أيبقى بقلبي الجمود أيبقى
وهذا الركام على صدري الطفل
يخفق حبي ..
وسقسقة الخفقان
فينفر دمعي وعيني تشقى

هناك على تلة في ضفاف السماء
وخارج دنيا المدينه
على الافق والشمس سكرى
تذوب ضياء

وانهر تبر وايماءة راعشة
تراءى لي الله والخلق والعابرون
وعاد يرفرف طيري
وعادت يميني تجمع سلة زهر
وحب وفجر ..
وناي خفوق حنون
يغني بحبي ويزهر صدري

وبعد المغيب رجعت
بعزم جديد
لاعبر درب المدينه والنار والحديد

مرمريتا ـ سوريا — **الياس خرفان مسوح**

اجزائها ، والعمليات التي تجري على نطاق واسع الـــى عمليات صغيرة ، ونيتجة لتطور العلم برز التعميم بان لاالعالم باعتباره كلا ولا اجزاؤه ، يمكن اعتباره شيئا ثابتا وساكنا ، كما كان الراي في القرنين السابع عشر والثامن عشر . بلان العالم كله وكل ما يحويه خاضع لقوانين التغير وله دوره في التصير التاريخي للتطور . ومن المفهوم السكوني للطبيعـــة باعتبارها تكرارا متتابعا لانواع لا تتغير من التصيرات ، تقدم العلم الى المفاهيم التطورية والتي غزت المجالات تلو المجالات، مثل اصل وتطور المجموعة الشمسية والنجوم والمجرات ، في علم الفلك ، وتقصي تاريخ تطور الارض في الجيولوجي وجدول منديلف الدورى للعناصر في الكيمياء ونظريةتطور الانواع العضوية في البايولوجي وفي المفاهيم الاخرى فـي التطور التدرجي للمجتمع البشري ..

من هذا كله نستطيع ان نتبين المهمة الرئيسيـــة للفلسفة والتي هي استنباط تعميمات ومفاهيم التطـــور والتغير من العلم ذاته ومن ثم تهيأة الادارة النظرية للعـلم اي المنهج الذي يسير عليه ولغرض الصياغة النظريةلقوانين الحركة . ويعني هذا بان المسالة الفلسفية في تعميـــم قوانين التغير والتطور اصبحت مسالة تفهم القوى العاملة في العملية التي نكون نحن جزءا منها .

ان مسالة ايجاد كيف نفسر العالم اصبحت مسالـة ايجاد كيف نغير هذا العالم .

اما الوضعية المنطقية فانها كذلك كل هـذه الجوانب وتستبعد من الفلسفة كل اعتبار لطبيعة العالم الموضوعي ، وكل اعتبار لعمليات الفكر التي نشيد من خللها معرفتنـا للعالم الموضوعي . ولقد اصابها النجاح في مجال واحـد وهو انها جعلت الفلسفة تحليلا للغة ... ولكنه تحليـــل تجريدي بشكل عقيم .

بغـداد — **نجم الديـن بزركـان**

قصة للروائي المجري كولمان ميكزاث

الذبابة الخضراء

ترجمة حسن السمران

اشتدت وطأة المرض على الفلاح العجوز ، اغنى رجل في القرية ، وبات قاب قوسين او ادنى من الموت . وكأنما يد الله قد حكمت عليه بهذا المصاب عبرة للاخرين .

« هذا هو جون جال ، انظروا اليه، ماذا تتصورون انفسكم ايها الخلق ؟ لا شيء !... لم يفترسه ذئب جائع ولم تسقط على ام راسه شجرة ضخمة فتسحقه . وانما اصابته العلة من ذبابة ضئيلة ، فاصبح مرضه حديث اهل القرية جميعا وراح قاضي المقاطعة يعوده بين الحين والحين ، والكونتيسة تتردد عليه من وقت الى اخر . »

آه كل ما حدث ، هو ان ذبابة لدغته في ذراعه وبعدها تورم الذراع واخذ يشتد اسودادا واحمرارا .

والح عليه القسيس والكونتيسة بضرورة ارسال برقية لاستدعاء اختصاصي من العاصمة بودابست . وكان الطبيب المختار هو البروفسور بيرلي . وزيارة واحدة منه معناها دفع ثلاثمائة فلورين . وهو مبلغ كبير لا يستهان به .

وقد رفض الفلاح اول الامر قائلا ان تلك الذبابة الضئيلة لا يعقل ان تسبب علة تساوي ثلاثمائة فلورين !

وعرضت الكونتيسة ان تتحمل هي نفقات الطبيب ، لكي يرضخ الفلاح ونجحت حيلتها فان جون جال فلاح يشمخ بكبريائه ! وارسلت البرقية.. ولم يلبث ان وصل الى محطة القرية شاب نحيل تعلو عينيه نظارة انيقة ، ولكن لا تبدو عليه سيماء الشخصية المهيبة . ونقلته العربة التي اعدت لاستقباله الى بيت المريض .

وكانت زوجة الفلاح العجوز الشابة هي اول من استقبله عند الباب . فسألته : هل انت طبيب بودابست الشهير ؟ عليك ان تعجل برؤية زوجي . انه يثير ضجة هائلة حول لدغة ذبابة بذراعه وكانما قد لدغه فيل

والحق ان ذلك لم يكن صحيحا ، فزوجها لم يفه قط بكلمة شكوى واحدة . وما كان يشير الى حكاية اللدغة الا اذا سأله سائل ، وحتى في هذه الحالة كان يذكر ذلك بايجاز شديد . وقد كان يرقد على فراشه بقلة اكتراث ، يريح راسه على وسادة من صوف الغنم ويدخن غليونه في هدوء .

وسأله الطبيب : ماذا تشكو ايها الشيخ ؟ يقولون ان ذبابة لدغتك .

فأجابه الفلاح من بين اسنانه : هو كذلك .

وعاد يسأله : وما نوع تلك الذبابة ؟

فأجابه الفلاح باختصار : ذبابة خضراء .

وقطعت الزوجة حديثهما بقولها : افحصه يا دكتور ، اما انا فسأذهب لمباشرة اعمالي . ان لدي تسعة ارغفة في الفرن .

فقال الطبيب وهو شارد الذهن : حسنا يا اماه .

فدارت المرأة على الفور كأنما لسعتها الكلمة ووضعت يديها حول خصرها ، وقالت بلهجة تنم عن الاستياء ولكن بشيء من الغزل : عجيب ؟ أنت في عمر ابي ، يبدوانك لا تحسن انظر بهذه انظارات .

وعندما همت بالخروج ، سمع لطيات ثربها المنشاة صفير كصفير الريح .. وابتعدت عن الغرفة في خطا سريعة وبقامة معتدلة كلها شباب وفتوة وفتنة .

وشيعها الطبيب ببصره . كانت على جانب عظيم من الانوثة الحلوة ، واصغر سنا من الطبيب . واصغر بكثير من زوجها طبعا . وود لو يعتذر لها ، الا انها كانت قد غادرت الغرفة قبل ان ينبس هو ببنت شفة

واستأنف حديثه مع المريض قائلا : هات ذراعك . هل توجعك كثيرا ؟

فرد عليه العجوز قائلا : جدا .

وفحص الطبيب الذراع المتورمة ثم قال وقد ارتسمت على وجهه مسحة جادة : انها سيئة للغاية ، ولا بد انها لدغة حشرة سامة .

فقال جون جال دون ان يبدو عليه التأثر : ربما ، اغلب الظن انها لم تكن عادية .

ـ لقد حطت عليك من جثة ميتة.

ولم يكن رد المريض على هذه المعلومات سوى لعنة خافتة .

ـ من حسن الحظ انني وصلت في الوقت المناسب ، وفي وسعنا الان ان نفعل شيئا .

ولو اننا تأخرنا الى الغد لانتهى كل شيء ، واصبحت في عداد الموتى

فقال الفلاح وهو يسوي باصبعه تبغ غليونه : هذا غريب .

ـ ان تسمم الدم يسري سريعا . وليس لدينا من الوقت ما نضيعه . عليك ان تتمالك نفسك ، اذ لا بد من بتر الذراع .

فتساءل الفلاح بدهشة : ذراعي ؟

ـ نعم ، لا بد من ذلك .

ولم يفه جون جال بكلمة واحدة ، وانما هز راسه واستمر يدخن غليونه

وراح الطبيب يغمغم في لهجة مغربية : لن تؤلمك العملية ، ستتم وانت مخدر تماما، وعندما تفيق تكون قد نجوت . والا فغدا في مثل هذه الساعة يكون قد انتهى اجلك ،وتصبح كفأر ميت .

وشاح الفلاح بوجهه صوب الحائط ، واغمض عينيه كأنما ضاق ذرعا بكثرة الكلام ، وقال : اواه ، دعني وحدي .

ولم يكن الطبيب ينتظر منه مثل هذا العناد، فغادر الغرفة لكي يتحدث الى الزوجة

فسألته المراة متظاهرة بعدم الاكتراث قدر الطاقة ، ومستمرة في عملها في ذات الوقت : كيف حال زوجي ؟

ـ سيء للغاية . وقد جئتك طالبا عو نك لاغرائه بالموافقة على بترذراعه

فصاحت متعجبة ، وقد ابيض وجهها : يا لله ! اضروري هذا ؟

ـ اذا لم يقطع ذراعه ، مات خلال

اربع وعشرين ساعة .
وبعد لحظة مسكت بيد الطبيب وجرته الى غرفة المريض ، حيث وقفت امام زوجها ، وقد وضعت يديها حول خصرها . وقالت : اتراني امرأة يرضيها ان تكون زوجة رجل مقعد ؟ انني قد اموت خزيا . انظر اليه !

ونظر العجوز اليها نظرة حبيبة وطمأنها قائلا : اطمئني يا كريسكا ، لن يذبحني الطبيب ، فليس في نيتي ان اموت مقطعا .

وعبثا حاول الطبيب ان يثني الفلاح عن قراره ، بالحديث عن برودة الموت وظلام القبر ، وجمال الدنيا ونعمة الحياة . ولم يجد معه فتيلا استدعاء الكونتيسة من قصرها ، او القسيس او رجال القرية المشهود لهم بقوة الحجة والاقناع ، لكي ينصحوا العجوز بضرورة بتر الذراع .

فقد اصر جون جال على عناده ، ورفض قطع ذراعه .

وكان عدم اكتراث العجوز بمفارقة الحياة غير نادم ولا باك ، باديا على قسمات وجهه الهادئة . واضحا من نبرة صوته العادية . فالموت لم يخدعه او يخيفه اطلاقا ، بل كان يتأهب له ـ وقد حانت منيته ـ تماما كما فعل ابوه وجده من قبل .

ولم تعد هناك ثمة جدوى من الالحاح والتوسل . واخيرا بدا قلبه يرق لا لحاله وانما لشدة اهتمام الطبيب وغيرته الظاهرة . وآلمه ان يحزن الطبيب الى هذا الحد . فراح يطيب خاطره بمزيج من السخرية والعطف .

وعلى حين فجأة تذكر الطبيب ان مسألة المال لها عادة وقعها واثرها بالنسبة لاهل القرى ، فقال : سواء اجريت العملية ام لا ، يتحتم عليك ان تدفع الثلاثمائة فلورين . وانه لمضيعة للمال اذا لم تجر العملية . انها لن تستغرق اكثر من خمس دقائق .

فقال العجوز في هدوء وكأنه يساوم على شراء زوج من الاحذية : حسنا ، بوسعك ان تصف لي دهانا ، وبذلك يحل لك الاجر .

ورأى الطبيب ان هذه الحيلة لم تجد معه نفعا فتركه مستاء مشمئزا ، وخرج لكي يروح عن نفسه بالمشي . ولعله يجد وسيلة اخرى بالتشاور مع نفر من دهاة اهل القرية . ولكنه لم يلق منهم شيئا جديدا . وضاعت جهوده سدى وخاب مسعاه هذه المرة ايضا . وكانت الزوجة الشابة تقف له دائما ابدا بالمرصاد ، وتعارض اية فكرة يتفتق عنها ذهنه . وكانت تلقي بكلمة هنا واخرى هناك لكي تزيد من موقف زوجها الصلب الذي لا يلين . وكان الطبيب يرمقها بنظرة خبيثة مرة بعد اخرى ، كما صاح في وجهها قائلا : احبسي لسانك هذا عندما يتشاور الرجال !

فثنت قوامها وغمغمت قائلة : للدجاجة شأنها مع الديك .

واسرع جون جال ليحول دون التمادي في المشاجرة فقال : **لا تكثري** من الضجيج يا كريسكا ، ومن الخير ان تأتي بزجاجة نبيذ للزوار .

فسألته : من اي برميل ؟

فرد عليها قائلا : من البرميل الصغير . ولكن في حفل جنازتي يحسن ان تقدمي للضيوف نبيذ البرميل الكبير فقد بدا يحمض .

كان يتحدث عن الموت بلا مبالاة . وتناول الزوار النبيذ ثم تركوه لينعم بالراحة والسلام قبل ملاقاة ربه .

وفي فناء الدار ، التقى الدكتور بيرلي بعامل المزرعة الذي يقوم بمعظم شئونها ، وهو شاب قوي البنية موفور الصحة ، فقال له : اعد لي العربة فسأرحل خلال نصف ساعة ، واخبر السيدة انني لن امكث للعشاء

وتوقف خارج الباب ، شأن من لا يدري ماذا يفعل . ولمح من خلال فتحة الباب ، العامل وهو يتجه الى مسز جال ، ورأى نظرة الدلال التي ارتسمت على محياها ، وسيماء الاعتزاز بالنفس التي علت وجه العامل وهو يدنو منها . وكان من الواضح



انهما يلعبان بالنار وان بينهما تفاهما ما . ان كل ما ينبغي عليه الان هو معرفة المزيد من امر علاقتهما . لابد من وجود عرافة عجوز بالقرية تعرف الكثير من خبايا الحب بين اهلها ، وتزودهم بالوصفات اللازمة . ولا بد من ان كاتب عدل القرية يعرف مقرها وصح حدسه فالرجل يعرف فعلا مكانها ، اذ قال له : العرافة العجوز بيكا ، تقيم على مقربة من آل جال ، انها على مسافة بابين فقط من دراهم

وناولها الطبيب قطعتين فضيتين وقال لها : لقد وقعت في شراك امرأة، واريد شيئا يجعلها تحبني .

فقالت : ليس هذا في الامكان يا بني، انك تبدو كخيال المقاتة، والنسوة لا يملن عادة الى من هم على شاكلتك،

ـ صحيح يا اماه . ولكني استطيع ان اعطيها كل ما تشتهيه من حرير ومال .

ـ ومن تكون هذه المرأة ؟

ـ مسز جون جال .

ـ ان في وسعك قطف كل زهرة ، الا الزهور المقطوفة .

وكان هذا هو كل ما يريد الطبيب معرفته ، فسألها : ومن يكون الرجل الاخر ؟

فأجابته : بول ناجي ، العامل الاجير . انها تهيم به ، وكثيرا ما تزورني لاعطيها ما تشعل به نار حبه. وقد اعطيتها غبار عليق عمره ثلاث سنوات لكي تضعه في نبيذه .

فسألها : وهل يرتاب زوجها في شيء ؟

فقالت : انه على قدر براءته ، تغلبه الانوثة بافانينها كل مرة .

وعاد الطبيب الى دار جال ووجد العاشقين لا يزالان يتجاذبان معا اطراف الحديث .. وكان العامل الاجير في ذات الوقت يمسح بخرقة ظهور جياد العربة المعدة لنقل الطبيب الى المحطة . فأومأت الزوجة للطبيب لكي يدنو منها ، وعندما اقترب منها دست يديها في صدرها ثم قدمت اليه اوراقا مالية قيمتها ثلاثمائة فلورين ، وقالت : من اجل اتعابك يا دكتور .

فقال الطبيب : ولكن ربما يثقل عليك ايتها الشابة الحسناء كوني لا استحق بعد هذا المال .

ـ انني راضية على اية حال، فلا تحمل هذا الهم .

ـ حسنا ، ارجو فقط وضع حقيبتي في العربة ، بينما اودع زوجك .

وكان جون جال راقدا في فراشه على حالته السابقة ، مغمض العينين كأنه في سنة من النوم . وغليونه غير مشتعل .

وعندما انفتح الباب نظر الى الداخل من ركن عينه .

فقال الطبيب : لقد جئت فقط لاودعك يا مستر جال .

فسأله في غير مبالاة : وهل انت راحل ؟

ـ ليس لي ما افعله هنا .

ـ وهل اعطتك المرأة المال ؟

ـ نعم . ان لك زوجة فاتنة يا مستر جال . لله ما اجملها !

وفتح المريض عينيه ، ولما مد ذراعه السليمة ليودع الطبيب تمتم قائلا : اليس كذلك ؟

ـ شفتاها في حلاوة الكرز .

فقال المريض وعلى وجهه شبه ابتسامة هانئة : انهما كذلك .

ـ اكبر ظني ان هذا الشاب الاجير بول ، سينعم معها ، بوقت طيب .

وبدا الفلاح العجوز يرتعش ثم تطلع الى الطبيب قائلا : ماذا تقول يا دكتور ؟

وزم الطبيب على شفتيه كأنما صرح بشيء ما كان يود قوله ، وغمغم لا شيء ، لا شان لي بهذا . ان للمرء عينا وراسا وهو يرى ويفهم ما حوله من امور . لقد خامرني الشك منذ اللحظة التي رفضت فيها السماح لي ببتر ذراعك . الم تشك انت في شيء ؟ انني افهم الان ، طبعا ، طبعا.

وراح جون جال يهز قبضتيه ناسيا تلك اللحظة ان احداهما متورمة ، فتأوه من الالم .

ـ آه ذراعي ، ذراعي ! لا تفه بكلمة اخرى يا دكتور . فقال الاخر : ولا كلمة اخرى .

ولفظ المريض من صدره انة عميقة وامسك بيده اليمنى ذراع الطبيب وقال : اي بول يا دكتور ؟ اي بول تعني ؟ من هو ؟

ـ او تعني حقا انك لا تدري ؟ بول ناجي ، عاملك الاجير .

وامتقع وجه الفلاح العجوز ، وارتعشت شفتاه ، وتدفق الدم الى قلبه ، ولم يعد يشعر بوجع ذراعه ، وخبط جبهته بيده وتطلع الى الطبيب قائلا : كم كنت غبيا ، كان علي ان الاحظ هذا منذ زمن طويل.. يا لهذه المرأة من حية لعينة !

ـ لا فائدة من سب المرأة يا مستر جال . ان لها شبابها ، وهي تفيض صحة وحياة . هذه هي المسألة. ومع ذلك فما يدرينا لعلها تكون بريئة . والمهم انها لا بد ستتزوج بعد وفاتك وانت ميت لا محالة .

وتحرك الفلاح بشيء من الجهد ومال الى الطبيب الذي استمر يحدثه قائلا : انك لن تخسر شيئا اذا تزوجت شابا وسيما بعد وفاتك . فلن تعرف من الامر شيئا بعد ان يلفك ظلام القبر . ومع ذلك فلعله يسرك انه سيكون لها زوج وسيم ، شاب مليح ، بول !

واخذ العجوز يضم فكيه في غيظ وسمع صوت نابيه كأنما يصطك احدهما بالاخر .

ـ لا تكن جشعا يا مستر جال . فمن الحسرة ان تدع جسدها الجميل هذا يذوي فلا يضمه احد . وبول ليس غبيا ، فهو لن يترك امرأة مثلها دون ان ينال منها قضمة ! وفوق هذا كله فانها سترث المزرعة وجميع امواله . وهي تريد ولا شك ان تهنأ بالحياة . والغبي الوحيد بين ثلاثتكم هو انت يا مستر جال .

وتأوه الفلاح العجوز آهة اخرى ، وغطى العرق جبينه . واحتقن قلبه بمرارة عارمة تكاد تتفجر .

ـ من الافضل يا مستر جال ان تضمها بذراع واحد فذلك خير من لا شيء .

وكان هذا اكثر مما تحتمله طاقة العجوز . فهب من فراشه ومد ذراعه المتورمة الى الطبيب وصاح قائلا : هات سكينك يا دكتور واقطع فورا .

حسن السمران

صوت

لسليمان نصر

●

الشويفات ـ لبنان

أي صوت رن كالقبلة في سمع التلال ؟
ساحر النغمة كالناي ، طريا كالظلال
علقت منه حكايات شهيات باهداب الدوالي

انه الخمرة في عنقودها
وغوى النشوة في أملودها
والتماعات ثريات الندى في جيدها

حلمت روحي به قبل عيوني
وخيالي قبل تلويح الظنون
كان انسي وافترقنا من قرون وقرون

وتلاقينا ! اما نحن قديما توأمان
في فم الغيب وهدبيه وارحام الزمان
يوم قال الله للطين : الها كن : فكان

يا عروس الصيف يا حلم الليالي الغاربات
يا التفات الفتن الغرقى بدمع الذكريات
شطنا الارض، ومرسانا الموانى الخالدات

كم تعمدنا لدى البحث اقتحام الفلسفه
ورمينا الناس بالجهل ، انحن المعرفه؟
ضل من يغترف البحر بهدب الصدفه

كم تحدثنا عن العقل وعن اسراره
ونعيم العيش للسابح في انواره
كل فن عبقري الحسن من اغواره

ابغير العقل يسمو المرء نفسا ويسود؟
لو توارى الفكر لف الكون قحط وجمود
وتساوى العدم القاتل فيه والوجود

يا عروس الشعر! ان الشعر فن وجمال
وتسابيح صلاة ، وترانيم ابتهال
وسعير يوقظ الوعي باشبال النضال
ولقاء للحبيبين اذا عز الوصال

كم ملأنا منه اعباب السمر
وعيون الزهر في الاحواش تستغوي القمر
ونصبنا منه للشمس عروشا من درر

كم سهرنا ليلة بين النجوم
وعبثنا بعناقيد الكروم
ليتما العهد الذي فات على الدهر يدوم

لا تقولي : سوف ينساني صديقي
طيفك الساحر في اليقظة والحلم رفيقي
دربك المفروش بالورد وبالشوك طريقي

بي من البعد حنين لا يطاق
واشتياق دونه كل اشتياق
من يكن في القلب ، هل يقصيه عن ريحانة القلب فراق
لا وعينيك وما في الهدب من سحر مراق !

في غد يقسو على الارض الشتاء
ويلف الكون داج تمحي فيه السماء
لا تخافي ينتصر فينا الرجاء
ويعود الصيف ينسينا الشقاء

بهنيهات التداني وسويعات اللقاء

وتعودين الى الكرم وفي الجيب كتاب
تلتقي فيه الاضاليل بانوار الصواب
والرماد الخافت الصوت بنيران الشباب
وتقولين: اما في زحمة الحرف جواب؟
لعطاش الروح ، للباحث عن سر التراب
لا تحاري ، كل ما فيها ضباب في ضباب
بعد ان تفنى الاحاسيس ويطويها الحجاب

ولتكن ايامنا في الارض زرعا وحصاد
وطموحا واعتدادا ، وسخاء وامتداد
وبدا تخنق في الناس جراثيم الفساد

وهنيهات أغاريد ونجوى ودعاب
وهم القائل : ان الحب ، لا غير ، شفاه ورضاب
هو شوق الروح للروح وتقطير الهنيهات العذاب
كل مجد كان لولاه سرابا في سراب

مرة يرسمنا الله على لوح الوجود
بعضنا شوكا واجراما ، وبعضا نفحات وورود
واذا ما شاء فالاشواك والطيب اليه ستعود

انما في الجبلة الثانية المنتظرة
ينزع الشوك من الورد ويمحو اثره
ويزف الطيب للطيب شفاها بره

لا تملي دورة الشمس فللوقت جناح
ينشر الايام كالاحلام في مسرى الرياح
ويزيح الستر بعد الستر من درب الصباح

يا عروس الشعر يا صوت الربيع المشتهى
يا مهاة حسدتها غيرة عين المها
من له البدء له بالصبر غار المنتهى

اعذب الاصوات ما يترك في الدنيا رنين
ودويا مستطابا في محطات السنين
واساطير عذارى في سجل الخالدين !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورة

الشمعة

بقلم علي بدور

✳

انه شمعة بشرية . انسان طويل ، مثل شمعة طويلة ، ذو وجه مضيء كأنه شمعة طويلة مضاءة ، وهدوء اشبه بهدوء الشموع وصمتها وخطى منتظمة ، تميل بجسده ميلان ذبالة الشمعة اذا نقلت من مكان الى مكان ، وقلب يحترق شيئا فشيئا ، ونفس حساسة **تفقد هذا الاحساس** يوما بعد يوم ، وعينان صافيتان تبصران يوم الخلاص ، فتلمعان رضى وطمأنينة . . كأن الموت بشرى جميلة، وكأن النوم الى الابد ، في قبر بارد ، اشبه بالاستلقاء على سرير مريح ، مريح ، بعد ساعات عمل منهك ، لا حصر لها ! !

انه يفكر بالخير دائما، ولعله اذاراد ان ينتقم من اعدائه ، تمنى لهم الخير علهم يرتقون به عن الارض ، ولو قليلا ويفهم الحياة فهما ساذجا بسيطا ، ولكنه فهم عميق ايضا : الدنيا هذه مرحلة لا بد من اجتيازها ، اذ نولد وليس لنا راي في ولادتنا ، ونعيش السنين الكثيرة او القليلة ، دون ان نهم في انتقاء مباهجها ولا شرورها ، ثم نموت في يوم لا نعلم عنه شيئا . . الا اننا برغم ذلك كله برغم هذا التسليم المطلق وبرغم التعميمات الضاربة حولنا سدوفها ، فاننا مرغمون على ان نحيا بعمق . . ونعيش بحرارة ونعمل ما في وسعنا ، دون ان نحسب حسابا للغد سواء اكان سعيدا ام شقيا .

ولكنه بزغم ذلك كله ، برغم هذه المثل الرفيعة التي تلهب كيانه ، كان ذا شخصيات متناقضة فهو في واقعة ، يائس من كل شيء ، يائس من نفسه ، من حاضره ، من مستقبله ، وحتى من ماضيه الذي لا يستطيع ان يغير فيه شيئا فهو يسعى الى رزقه بفتور ، والى عمله في تكاسل ، والى اصدقائه ، ان كان ثمة اصدقاء ـ في احساس بارد ، لا حرارة فيه ، وهو بالاضافة الى هذه الشخصية الكسول اتكالي ، يريد من الناس ان يقدروا مواهبه ، ان يرفعوه الى الذروة ، ان يمنحوه ودهم ورضاهم ومساعداتهم المادية دون ان يكون لهم الحق في ان يطلبوا منه اداء اشياء بسيطة تجاههم او ان يسعى لرد الجميل اليهم في مناسبات متقطعة قلما ترد في حياته جملة . ولكنه اذا ما خلا الى نفسه واخرج بعض افكاره المحنطة في الورق ، وتفحص بعض مشاريعه انتعشت نفسه وتنشط ، واخذ يثب ونبا ، وفاضت عيناه بدمع حار ، دون حرارته ، شواظ الرصاص المتلهب. وفي ختام كل جلسة من هاته الجلسات يدركه الفتور ، والقصور ، وخيبة الرجاء ، فيدرك انه تافه . . حقير . . اتكالي ، وان مشاريعه هذه لن تبعث حية في يوم ما ، لان يوم البعث بعيد ، بعيد ، ولعله لن يأتي ذات يوم ولو طال .

انه يشكو دوما . . ويكاد يحقد على الناس جميعا ، وقد يتفحصهم عن قرب ، فلا يجد فيهم ، ما وجد هو في نفسه ، ولكنه اذا وضع حظوظهم بقرب حظه اعمته المقارنة ، وردته حزينا يكاد يسقط فلا يقوم . انه يملك قلبا ذهبيا ، ولكن قلبه هذا خال من بلبل صداح فيه ، فيلهمه وحي الفن العميق ، بدائع الاثارالكبرى ويملك نفسا صافية رقيقة ، مثل قطع الغيم في ليالي الصيف ، ولكنه لا يستطيع ان يستعين بهذا الصفاء النفسي ، ليزيل شوائب الفكرة العميقة والاشارة الموحية ، او اسلوبا من العمل لم يهتد اليه احد بعد ، وتظل نفسه هذه اشبه برمال الشاطىء الذهبية التي لا يستفيد منها شاربو الماء الكدر ، في تصفية بسيطة تسقيهم ماء كالزلال ، وكذلك يملك جيوبا كثيرة ، فلسترته ثمانية جيوب وليس فيها الجيب المملوء كفاية ، انه يضحك من نفسه . . ومن ثيابه . . ومن الخياط الذي يتبع اسلوب فنه بدقة ، ليجعل له ثمانية جيوب في سترته دون ان يدرك بفطنته ان هذه الجيوب لن تستعمل كلها . . ولا نصفها . . حتى ولا ربعها . . ويتساءل دوما لم جعله القدر اشبه بجيب كبير دون ان ييسر له ، ولو بعض ما من اجله يتصارع الاحياء ؟ !

لا يزال الامل بالغنى يراوده . لعله بذلك يأمن سخريات الناس ، وبأمن احتقاراتهم اياه ، في كل مناسبة يدعو فيها لان يساعدوه ، لان يدفعوه الى الامام ولو خطوة واحدة. انه بالمال الكثير يحلم بان يكون له بيت . زوجة تملأ هذا البيت ، بالموسيقى ، والحب ، واللطف الذي ما بلغ الوصف حده . ولكن قلبه متقلب . انه لا يؤمن ان المال علته الوحيدة . انه قد يكون غنيا ، ولكن من يضمن انه سوف يكون سعيدا . . البيت قد لا يرضيه ، الزوجة قد لا يستطيع تحمل واجب ملاطفتها دوما وتحمل ملاحظاتها وانتقاداتها ، ورغباتها ، الاولاد . . اف من صراخهم وزعيقهم . . من جنتهم الحافلة بالشوك والحصى . . وبكل ما يدمي الفؤاد . . انه يخشى حتى الصداقة . . صداقة الزميلات . . والزملاء . . يخشى ان تتوطد الصداقة فلا يفصم عراها الدهر . . بل تزداد وثوقا بعقد زواج . . وقد يتحدث مع زملائه ولكنه رغم كلامه صامت . . نفسه هي الصامتة ، قلبه الذي لا يبصر طريقه ، عيناه . لا تزالان تبحثان عن شيء مجهول . . لعله السراب . وحقيقته هذه المتكلمة تبدو صامتة ، وصوته يطن طنين النحل على وردة اصطناعية لا رحيق فيها ، فيكره لذلك كله ، كل ما تقع عليه العين ، وقد لا يرى شيئا فيكره نفسه ويكره حياته ، ويكره تلك الساعة التي ولد فيها بخاصة . . ثم سرعان ما تنقشع هذه الغيوم السود عن ربيع مشرق جميل : ثغر ضاحك ، ووجه بشوش ونفس خيرة مجوادة ، ورأي سديد ، والهام دقيق يتنزل من السموات ، وكل ما يغرى ، في الشباب السعيد.

في الليل عندما ترقد المخلوقات ،

يتمدد في سريره البارد ، ويبدأ بالتقلب ، من جنب الى جنب انه نومه صعب ، وساعات قلقه تطول .. وتطول ، حتى ينبلج الصبح عن نور الله . انه في الليل يفكر ، يحاسب نفسه ، يناقش قلبه ، يغلت عنان عواطفه فتسرح ولو في سرير حقير . ويبتسم في الظلمة ، فتشع بسماته كواكب ونجوما ، ويأسو لهذه الجوارح المسكينة ، كيف تجف وتذبل ، ويعبث بها البرد والظلمة والوحشة القاتلة . عيناه تريدان وجها جميلا تستريحان فيه ، قلبه يريد قلبا اخر يسع حبه .. يسع آماله . حياته بحاجة الى تجديد عميق .. فاذا ما زاده الظلام ابغالا في خضم هذه الافكار والتصورات والامال ، تمنى لو يفقد بصره اذا كان سوف يبقى بعيدا عن الوجه المنير . ولكنه ماذا يستطيع ان يفعل اذا اصبح اعمى .. انه ضائع .. مجهول ضعيف ببصره النفاذ فكيف به اذا فقد عينيه .. اذا فقد نور الامل واليقين ! ايهتم الناس بامره ؟ ايولونه عنايتهم اذا راوه على حالته الشقية هذه ؟ ام انه يتمنى لو يفقد كل شيء يثير انتباههم ، ويوقظ قلوبهم ، فيستدر رحمتهم ، ويرهم .. ولو الى حين ؟ ولكنه في الطريق يمر دائما بمقعدين ، بعميان ، بضعفاء تهزهم الريح ويقف يتاملهم في صمت رهيب ، انه يحاول ان يعيش مأساتهم ويحاول ان ينظر الى الناس وكيف يعالجون الماسي على طريقتهم .. لا احد يهتم بهم ، لا احد يمد يده بقروش قليلة ، لا احد يلقي معطفه على جسد اضناه البرد .. لا احد يمسح بيد لينة عيونا فقدت بصرها الى الابد كلهم قساة ، عتاة ، ظالمون . ويعود في ليلة اخرى ليمسح خيالات الامس ويغرس امالا جديدة ، في صحة جيدة ، وحواس سليمة وعمر مديد ، ينقضاه في المحبة والسرور ، واغناء النفس مباهج الحياة .

انه شاب ، خال من اي طموح .. من اي طمع ، ان الشباب الذين حوله يطمحون بالمناصب الرفيعة ويريدون أن يبرزوا وان يلمعوا وان يشيعوا على الاخرين كالشموس ، ان العظمة في اعتقاده احساس كاذب وان الشعور بالتعالي على الاخرين ، مرض بحت ، انه درس حياة كثيرين ، اولئك الذين يسمون عظماء وقادة فوجدهم عاديين مثل سائر الناس ، افكارهم عادية ، نفوسهم مثل كل النفوس الاخرى في محتواها . انهم بشر ، يعيبون ويخطئون ، ولكن هناك دائما من يبرز جوانب السمو في نفوسهم ، ويطمس جوانب الضعة والانحطاط فيها ، وكان اكثر ما يضحكه اولئك الذين يريدون ان يكون اسمهم على كل شفة ولسان . انه يشعر بالسعادة القصوى عندما يكون اسمه على شفته ولسانه .. اما على شفاه الاخرين والسنتهم ، فما يجديه ذلك ، وماذا يفيده ؟ انه يرى الابصار شاخصة باعلى منصب في البلاد ، ويعجب للصغار الطامعين والكبار الطامحين ، ويتسلى بمثل هذه الافكار والمناظر المسلية حقا ، المبهجة حقا ، فهو لو حيروه ولو اجبروه على الاختيار ، لما رجح في ميزانه ، الا العمل الذي يكون حافلا بالهدوء والبهجة ورضاء النفس وراحة الضمير ، ترين عليه البساطة العميقة ، والعمق البسيط .

كثيرا ما كان يعاود حساب سني حياته وكم بلغت . انه تمنى العمر المديد ولكنه يخشى ان يموت مبكرا . كان يعيش ثلاثين او اربعين سنة لا غير . فاذا ما مر امامه طفل تشيع البهجة في كيانه كله صاح من اعماق قلبه ، ودون ان يسمعه احد ، سواه:

ما ضرني لو ولدت اليوم .. لو ولدت بعد عشرين سنة .

انه يريد أن يدرك اشياء اكثر ، يريد لو اجل يوم مولده ، مئة سنة على الاقل لعرف اشياء اكثر ، فماضي البشرية كلها ماثل في يوم يحياه اي انسان . انه يعرف الماضي من حاضر الانسانية الذي بلغته ، فاذا ولد بعد مئة سنة ، عرف هذه السنوات المئة ، وعرف ما قد يعيشه من اعوام . ان الذين عاصروا نشأة الخليقة وتمثلوها بحياتهم ، كانوا جد بسيطين ، وجد فقراء بالافكار ، وآدم نفسه هو المخلوق الوحيد الذي عاش عمره الحقيقي . ولكنه حين يموت ، لايكون قد عمر السنين التي مضت عليه منذ يوم مولده . انه يكون قد عمر كل هذه الاوف .. هذه الملايين من السنين التي مضت على قيام الخليقة لتسمى . كان يريد ان يعرف الماضي كله ، والمستقبل كله ، بينما الناس من حوله يطمحون في صورة واحدة لحياتهم ، صورة جميلة ذات انسجام تستريح عليها الابصار ، وتهفوا اليها البصائر ، ولكنه يريد ان يرى جميع الصور الماضية منها ، والاتية على الطريق .. ولو طال !!

كان هذا العذاب الفكري يشقيه . انه قلق ، ولكن قلقه هذا غير منتج ، ماذا يستطيع ان يستوحي من هذه الخواطر المتباينة التي تملأ صدره ، وتعمي بصره ، وتغلق اذنيه ، فلا يستطيع ان يسمع في حياته ذلك النداء ، الذي يهيب به ان يعود .. ليعيش بشرا مثل الاخرين ، يفرح فرحهم ويحزن حزنهم ، ما دام قد ولد كما ولدوا ، وما دام سوف يموت كما يموتون ، ولكن انى له ان يسمع مثل هذا القول هو يعلم ان حياته ، حياة شاذة ، وان شذوذها هذا عريض عميق ، وان افكاره صعبة الفهم ، حتى هو لا يفهمها في بعض الاحيان ، ولا يفهم بعضها في اكثر الاحيان ، قد يشعر بضيق في صدره فيتمنى لو يفتح لهذا الضيق نافذة في صدره ، وقد يخاف من المقص ، ومن شفرات الحلاقة ، ومن كل الحبال الرفيعة التي يخشى ان يشنق نفسه بها ، وكذلك تطيره من كل سيارة يراها ولو كانت واقفة ، انها سوف تدهسه لو تحركت ، سترسله الى القبر في غير اوانه . انه يفكر في الموت دائما في كل يوم يستعرض صورته عشر مرات .. عشرين .. ثلاثين ، وفي الليل قد يتفاءل ، ولكنه كثيرا ما يتشاءم . انه لا يقنع ان الناس كلهم يموتون على هذه الشاكلة ، منهم من يموت في سيارة ، او ابان النوم ، او كان يكون عليلا ، والجميع يتركون اولادا ، واجنة في البطون ومشاريع عظيمة بدات تنتظر من يتمها ، لتعطي الخير والرفاه لبني الانسان كافة . الا انه يعتقد ان الموت المفاجيء يصيب الشباب اولئك الذين يتحركون اكثر اما الذين ولت بهم الاعمار ، فقلما تميتهم الا على فراش مريح ، ودوما يعاود هذا الشريط الذي تمدد الموت عليه ، دورانه بعنف منهك للاعصاب ، مبيد للحساسية . نفس الخوف يعود .. نفس التصورات تعود ، نفس الذكريات السابقة تطل برأسها ، وهو بين هذا العذاب المقيم ، وذاك

العذاب الراحل ، يمضي مسرعا الى الى عمله اذا كان يعمل والى نزهته اذا كان عاطلا والى مشاريعه وآماله واحلامه ورغباته فيفقدها كلها ، وبدعها تنتعش او تخبو ، بحسب حالته النفسية التي هو عليها ، وبحسب الاتجاهات التي اخذ يسعى في بداياتها وبحسب تفاؤله في حياة تعذبه ، ودنيا تشقيه ، ووسط اناس يضحكون منه ، ويسخرون به ، وبمشاريعه ، وتأملاته التي تبدو مريضة ، وخطواته التي يرين عليها الاضطراب والخلل .

في كل يوم ، يقول في نفسه : هذا اخر يوم من ايام الشقاء ، والمستقبل يبدا توا !! فهو لا يعيش حاضره قط ، انه يعلم علم اليقين ان ايامه هاته التي يعيشها ليست محسوبة عليه . انها ايام تافهة ، ينفقها في التذلل الى بعض الناس ، وفي اجترار الحياة ، اجترار عقيما ، وفي الصمت الطويل الذي يخيل اليه انه لن ينتهي . انه ينتظر مستقبله ولا يزال ، ينتظر يومه الذي لا بد من أن ياتي ينتظر تحرره من قيود الذل . . والخضوع ، والاتكال ، ينتظر ان يبدا بداءة حسنة ، فينفذ مشاريعه ويطبق خططه ، ويسطع نجمه ، فيرسل شعاعه على العالمين . انه لا يريد ذلك لمجرد انه يريده . انه يعتقد انه مسوق لهذا جبرا عنه . انه يؤمن ان هذا الحاضر الذي يعيشه لم يكن له خيار فيه . انه مدفوع اليه ، وحياته كلها برهان على هذا الجبر والقسر . لم تدن فرصة الا وقد استغلها ، وكل الفرص انسانحة لم تستطع ان تغيير من طريقه ، ولو انعطافا ما ، وهو على الرغم من واقعه المريض ، استطاع ان يتأمل ، وان يضع المشاريع ، وان ينتظر يومه الموعود : يومه الذي سينتظره . . وسيبقى على هذا الانتظار حتى يدركه الموت !!

ولكن ماذا اعد لهذا اليوم المنتظر ؟ ان المستقبل بعيد ، والغد سيد اليوم وكما ان اليوم سيد الامس . انه يعرف ذلك ، والحياة سلسلة حلقاتها الايام ، وهو ما دام يمضي في الطريق الذي رسمته الحياة له ، سوف يكون هذا الطريق مثل بدايته . البدايات السيئة دائما تنتهي بنهايات سيئة مثلها ، هذه قاعدة مضطردة ، وطريقة سيكون مثل بدايته لا محالة : عجزا . . واتكالا وقصورا ، وكذبا على النفس باحلام تسطع مثل النجوم ، في الليلة الظلماء ثم تخبو اذا حجبتها الغيوم ، وبآمال هي سراب او اشبه بالسراب ، ومشاريع ، أين منها مشاريع الناس الذين يعيشون الواقع بدقائقه كلها وبثوانيه كلها .

كثيرون الذين يتهربون من الحقيقة انه منهم ، يسعده العيش على وهم كاذب بانه رجل عظيم . . بشهادة نفسه فحسب . ولكن اين شهادة الناس بهذه العظمة ؟ قد يقتنع بذلك قليلا ، ولكن اني له ان يقتنع طويلا . هو يريد ان يكون عظيما بحسب اسلوبه ، الذي يفهم به العظمة ، واما الناس واما اسلوبهم ، فليس لهم عنده اي اعتبار ، ولكن اليس هو بشرا مثلهم ، فلماذا لا تكون محتويات بدنه البشري مثل محتويات ابدانهم : الافكار التي تملأ الرؤوس ، العواطف التي تعمر القلوب ، الحنان الذي يغمر الصدور هذه كلها متقاربة ، متفقة عند الجميع . . ومن هنا يبدو تقدم الانسانية مفيدا للاجيال القادمة قد يحصل بعض الاختلاف ، ولكنه ليس جذريا ، انه شكلي . اما هو ، فافكاره وعواطفه ، وصفاته لعلها مكتسبات من طينة غير بشرية ، طينة مجبولة بدمع وعذاب ، وشقاء ليس لهوله حدود . انه متميز منهم . مجرد حيوان غريب ، من هذه الحيوانات الاجتماعية الجميلة التي تعمر الحياة جيلا بعد جيل ، وماذا يفيد الناس من موت حيوان ، انهم لا يستفيدون منه شيئا . ان موتة الحيوان قد تؤثر في الحيوانات ، قد تحزنهم ، او تفرح بعضهم ، وكذلك البشر . ان الجميع يموتون بشرا ، ولكنهم يختلفون منذ اللحظة التي يطرحون فيها مكتسباتهم من هذه الحياة للحياة المستقرة في اللاحقين بهم . وعندها فان الانسان الحي الذي لايموت ، هو من يترك كشفا او فكرة او اثرا ماديا يساعد على تقدم الحضارة الانسانية وتطورها . فمن هو وما قيمته بين الناس حسب هذا الترتيب ؟ أيترك لبني جنسه شيئا ذا بال اذا مات ؟ ام انه يترك لهم جسده يدفنونه في حفرة مناسبة ، عدا عن مشاريع كاذبة بحاجة الى تنفيذ ؟ نعم . . ان في راسه افكارا عظيمة ، وفي قلبه عواطف نبيلة ، وفي صدره زخما من الاحساس والشعور ، ولكنها كلها مادة خام ، مواد اولية ، تحتاج الى ما يلهبها . . الى ما يصهرها ، ليجعلها نضارا يسيل وحياة تسري في العروق . . وكل ما يعمره الدم الحار ، ولكنه ينتظر ايام السكينة ، ليغمض عينيه على حلم بهيج ، يوم تستقبله الساعات الصامتة ، وتدعوه للعمل الصامت فيستفيد من خطرات الفكر العميق والخيال المجنح ، والحماسة التي تحيله الى نار لايخمد سعيرها قط . . انه يأمل من السنوات القادمة هدوءا واستعدادا للتفكير المثمر ، فيطلق نفسه من عنانها ، ويستفيد من ارادة خارقة وعزم لا يفل .

وتظل هذه الشمعة البشرية ، ساعية كما يسعى الناس ، ويلقى هذا الانسان اخوانه واخواته ويجلس اليهم ، مرة صامتا ، ومرة متحدثا ، ولكنه في الحالين ، صامت انه يحيا في غده . . يحيا في الغد البعيد . . وما هذه الايام التي يعيشها سوى جسر المرور

انه يذوى على مهل ، مثل الشمعة تماما ، ويحترق دون ان يشعر احد باحتراقه . انه ينكمش شيئا فشيئا على نفسه مثل قطعة الثلج ، ويذوب ليل نهار ، شعر راسه يبيض . قلبه يتفحم . صدره يكاد يختنق باحلامه وآماله . جسده يذبل مثل وردة عطشى ادركتها شمس تموز ، وتعود الشمعة البشرية ، لاستقبال كل مساء بكآبة عميقة ، ويلف الليل الثقيل ، حولها وشاحا من ظلمته الموحشة ، فتحاول الشمعة ان تصد عنها ، اقدام الفناء الزاحفة ، بما تطلقه من سهامها المضيئة ، ولكن هيهات . . هيهات ان تنتصر الشمعة بنورها على الليل وظلامه . . ذلك الذي يعود دائما ليطفىء الشمعة الى الأبد : هذا الانسان الطويل الذي يشبه شمعة طويلة ، بوجهه المضيء الذي يشبه شمعة مضاءة ، بحياته التي تشبه حياة الشموع .

حلب **علي بدور**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجوى

راحاب

ذكرت الاساطير ان راحاب امراة هلوك ، وقالت الحكماء انها رمز للغريزة

*

عدنان مردم بك

●

دمشق

*

تغنى بالحلال رجال مكر ... بهم ظما الى قنص الحرام
وراحوا يطبقون على ظلام ... عيونا اشربت حب الظلام
ثناهم عجزهم عن نيل جزل ... وجبن عاق عن هز الحسام
اشادوا بالقناعة حين كلت ... خطاهم عن مسير في الزحام
ولولا العجز ما عفت يمين ... وصدت عن معاقرة المدام
وقفت على الهوى جسدا وقلبا ... ولم اقبض يدا قبض اللئام
على قدر الصبابة كنت تلقى ... جزيل العرف في القوم الكرام
الن أحببت كان هواي اثما ... الام عليه في عرف الانام
وما ذنبي اذا اسلست طوعا ... لمن يهواه قلبي بالزمام

★ ★ ★

أرى للشمس الوية تعالت ... على الآكام تنشر كالغمام
والمح للصباح وشاح تبر ... تعلق بالخمائل كالوسام
تفيض يد الصباح بعبقري ... من الالوان والمنن الجسام
ويغشى نوره قصرا منيفا ... وكوخا في الرثاثة كالرجام
ويحتضن الربى بعميق شوق ... ويبسط للقفار يد الكرام
وما قبضت له إبدا يمين ... نوالا عن عفاة في مقام
لنا في منحة الفجر المفدى ... مثال جل عن نقد الطغام
يريد الحب ان نحيا كراما ... ونسلس للغرام يد الغرام
وما ذنبي اذا اسلست طوعا ... لمن يهواه قلبي بالزمام

★ ★ ★

يعج السيل هدارا ويهوي ... ولا يرتد جبنا عن صدام
تهاوى ماخرا بجناح نسر ... يصفق في فضاء من أوام
ويقتلع الخمائل ما ترامى ... ويجرف ما تناثر من حطام
ولا يثنيه عن قصد عياء ... ولا يعييه جهد عن مرام
يبث الرعب الوانا فتغضي ... له الابصار من حذر الحمام
وتصطفق القلوب له ارتياعا ... كما اصطفق الجناح لسهم رام
أكان الحب غير السيل يجري ... ويعصف في فؤاد المستهام
ويرمي كل مرتفع بصدع ... ويجرف ما تطاول من سنام
وما ذنبي اذا اسلست طوعا ... لمن يهواه قلبي بالزمام

★ ★ ★

امن اعطى العفاة لكسب حمد ... كمن اعطى فؤادا للغرام
وبذل القلب غاية كل جود ... تقاصر دونه بذل الحطام
الن اعطيت للذات قلبا ... أتيت جريرة دون الانام
وجئت ببدعة دون البرايا ... لها يندى الجبين من السقام
وعندي للفراشة كل يوم ... دليل قام عن نبل المرام
تراها للردى لما دعاها ... ملح الشوق تسلس باللجام
وترقص للردى بعميق شوق ... وملء جناحها لهب الضرام
الن احببت كان هواي اثما ... الام عليه في عرف الانام
وما ذنبي اذا اسلست طوعا ... لمن يهواه قلبي بالزمام

قصة تمثيلية

التمثال الحي

بقلم اديب مروة

بعد ان صنع الفنان بيغماليون ، تمثالا لفتاة رائعة الجمال ، كلف بها اشد الكلف ثم رأى التمثال يصبح حيا ، ويتحول الى امرأة حقيقية ! [اسطورة يونانية]

الزمان ـ القرن السادس قبل الميلاد .
المكان ـ قرية في جزيرة قبرص .
المشهد ـ في محترف المثال بيغماليون حيث تنتشر قطع من الرخام والاحجار والتماثيل غير المكتملة دون انتظام ، وقد برز في وسطها تمثال فارع لفتاة باهرة الحسن رائعة التكوين ... يرفع الستار عن بيغماليون وقد امسك بازميله ومطرقته ، وهو يحاول ان يضع اخر « رتوش » في التمثال ... في فمه غليون يدخنه دون اكتراث ... يدخل صديقه زيروس .

زيروس ـ (مبهوتا) دائما هذا التمثال دائما هذا التمثال ؟ الا تتحول عنه قليلا ؟

بيغماليون ـ (دون ان يلتفت) اجل.. دائما هذا التمثال ... كيف اتحول عنه وقد غدا الان جزءا من حياتي ؟

زيروس ـ لا . لا .. هذا لا يجوز.. انت تجهد نفسك كثيرا .

بيغماليون ـ انا اعلم ذلك ... ولكن هذا التمثال هو ثمرة جهدي ، ومجد عمري ، فكيف يتسنى لي ان اتخلى عنه ؟

زيروس ـ بيد ان لكل شيء نهاية.. وقد مضت عليك ثلاث سنوات وانت تعمل فيه ليل نهار ... انك بلغت فيه اقصى حدود الاجادة والابداع حتى لم يبق بحاجة الى المزيد .

بيغماليون ـ لقد بدأت ولكن لااعرف كيف انتهي .

زيروس ـ انك ستصبح مجنونا لو دأبت على هذه الحالة .

بيغماليون ـ ان حياتي اصبحت موصولة به يا زيروس ... لقد اعتدت عليه بحيث لم يعد يهنأ لي عيش كل يوم الا بالوقوف عنده ولو برعشة ازميل او مسحة مبرد، او نظرة تأمل ...

زيروس ـ انك تبالغ حقا

بيغماليون ـ قل عني ما تشاء ... اني لا ارى اجمل منها في الوجود. ولا اعرف امرأة صيغت بهذا الحسن والبهاء ... انها ثورة في الجاذبية والفتنة ...

زيروس ـ (ساهما) عمن تتكلم ؟

بيغماليون ـ اني أتكلم عن الفتاة التي نحتها ... عن التمثال ...

زيروس ـ صحيح انها رائعة ... انها تكاد تنطق ... ولكن لا تخرج عن كونها مجرد تمثال كغيره من التماثيل ..

بيغماليون ـ ومع ذلك فاني اعبدها يا زيروس ... اسمعت اني أعبدها ...

زيروس ـ ولكن هذه المرأة لا يوجد لها نموذج مماثل على وجه البسيطة

بيغماليون ـ يكفي انها توجد هنا في محترفي ... انها تمثل غاية احلامي ... واقصى مطامحي ..

زيروس ـ ولكنها قدت من حجر صلد

بيغماليون ـ كلا ... انها ليست من حجر ...

زيروس ـ بل من ماذا ؟..

بيغماليون ـ انها من العاج ...

زيروس ـ (بدهشة) من العاج ؟ يا سلام !

بيغماليون ـ اجل من العاج الخالص.

زيروس ـ ولكن كيف استطعت العثور على قطعة كبرى من العاج بهذا الشكل ؟...

بيغماليون ـ لقد وجدتها لدى فيل عملاق في حديقة حيوانات قبرص

زيروس ـ ولكن هذا لا يبدل الحقيقة ان فتاتك من جماد .

بيغماليون ـ ولذلك فان جمالها خالد لا يفنى ...

زيروس ـ حقا انها اثر فني ممتاز.. انها نتاج عبقري و لاشك .. ولكن يجب ألا تتعلق بها... بهذا الشكل.

بيغماليون ـ تأملها يا زيروس ...الا يخيل اليك حين تمعن النظر فيها بانها تكاد تمور بالحياة ... وهي حياة مستمدة ولا ريب من الفيل الذي اقتطعت منه مادة التمثال..

زيروس ـ أرى انك اخذت تهذي !

بيغماليون ـ لا . لا ... انني واع تماما مما اقول ... ان هذا التمثال هو عصارة قلبي ومهجة روحي ... لا اعتقد ان بامكان احد ان يأتي بمثله ، لا في اثينا ولا في سبارطة ولا في طيبة او منفيس ... انه معجزة ... انه عمل الهي .

زيروس ـ لا اظن ان في الوجود اعمالا الهية ...

بيغماليون ـ لماذا ؟ الا تؤمن بالالهة ؟

زيروس ـ في الواقع اني لا اؤمن ولا اكفر ... وانت ؟

بيغماليون ـ اذا كنت تريد ان تسميني كافرا ، لاني ارفض الاعتراف بهذه التماثيل التي يسمونها الهة ، فانا هو ذلك الكافر ...

زيروس ـ الا تؤمن بزيس وجوبتير وهيرقيل ونبتون .

بيغماليون ـ انهم بالنسبة لي مجرد تماثيل .

زيروس ـ وابولون ؟

بيغماليون ـ هذا اجل ... اني اؤمن به ، لانه اله الفن ، وشفيع الفنانين ، انا اؤمن بالجمال فقط. الجمال الكامل بكل معنى الكلمة.. انا انشد الكمال كما انشد الجمال، لان الجمال يقود الى كل شيء .. وهو الباب الواسع الذي يفضي الى طريق المعرفة .

زيروس ـ دعني اقول لك انك غريب الاطوار يا بيغماليون !

بيغماليون ـ لماذا ؟

زيروس ـ لان فنانا ملهما مثلك ، يقدس الجمال ويؤمن بالمعرفة ..

يجب ان تكون حياته مفعمة بالحب والجمال الحي ... والجميلات من كل نوع ... ولكنك انت تعيش كما ارى حياة جدية جامدة مجدبة تعشق تمثالك فقط ...

بيغماليون ـ اني اعيش لفني ، واطبع الجمال في آثاري ... إما الحب فهو بذرة سامة تقضي على موهبة الخلق والابداع ونشدان الجمال .

زيروس ـ انت تناقض نفسك يا بيغماليون .

بيغماليون ـ على العكس ... انني مؤمن برأيي هذا !

زيروس ـ كيف تؤمن بالجمال ولا تؤمن بالحب ؟ ... ثم كيف تدعي ان الحب بذرة سامة وانت تحب فتاتك التي صنعتها بيديك ... وتكاد تجن بها مع انها من جماد .

بيغماليون ـ ان هذا امر اخر ...

زيروس ـ قل لي مثلا ... لماذا لا تتزوج يا بيغماليون ؟ ... وانت ذاك الشاب الجميل المشهور الذي تصبو اليه احلى الفتيات ؟

بيغماليون ـ (يضحك بسخرية) هه ... ان ابولون وفينوس لا يمكن ان يؤلفا زوجين صالحين !

زيروس ـ بطبيعة الحال انهما شقيقان ... ثم دعك من الالهة .. انت بشر مثلنا ...

بيغماليون ـ الفنان قريب من الاله .

زيروس ـ ولكن الاله لا يعشق تمثالا

بيغماليون ـ بل يحب مخلوقاته و..

زيروس ـ ومخلوقاته تبادله هذا الحب ... فهل يستطيع تمثالك ان يبادلك حبا بحب .

بيغماليون ـ حسبي ان ابذل الحب من جانبي .

زيروس ـ على فكرة ... هل اطلقت عليه اسما ؟

بيغماليون ـ كلا . بعد ... ان قضية الاسم مسألة بسيطة ... يكفي ان اختار اسم أية الهة كانت ... ما رأيك بفينوس مثلا ؟

زيروس ـ اسم جميل ... وهو يطابق المسمى فعلا .. لان حسناءك تمثل الحب والجمال كفينوس تماما

بيغماليون ـ اذن ساحفر اسم فينوس حالا على قاعدتها . (يبدأ الحفر)

زيروس ـ وانا سأتركك الان ... عم مساء يا عزيزي . (يخرج)

[يخفت النور شيئا فشيئا على المسرح ، حتى تعم الظلمة تماما يختفي الناه هابيغماليون، ثم يعود النور وقد استبدل لونه بالازرق وما هي لحظة حتى تنبعث في الوسط موجة من دخان وبخار ، تخرج فجأة من بينها فينوس الحقيقية ، امراة ساحرة الجمال ترتدي غلالة رقيقة .]

فينوس ـ (تتفحص التمثال بدقة) اذن هذه الفتاة هي انا ؟ ولكنها .. (تزم شفتيها) لا تشبهني كثيرا .. انني لست بهذه النحافة ... ثم كيف خطر له ان ينحت تمثالا من عظم ... يا له من جنون ... انه فنان غريب الاطوار ... انما ... لدي فكرة ... اني ارى ماذا يجب عمله ... (تصرخ) ابولون.

ابولون ... اين انت يا ابولون ..

ابولون ـ (يهبط من الاعالي) ها انذا يا اختاه ... لقد كنت في الاولمب ... ماذا تريدين ؟

فينوس ـ اريد ان اعرف رايك بهذا التمثال ...

ابوون ـ (يتامله بامعان واعجاب) حقا انه رائع ... انه عمل فني ممتاز ... انه خارق ...

فينوس ـ انت واثق مما تقول ؟

ابولون ـ طبعا ... طبعا ... ان صانعه فنان اصيل ذو عبقرية والهام ... انه مرهف الحس يتمتع بملكة فنية نادرة .

فينوس ـ قد تكون على حق ... لانك على كل حال ادرى مني بهذه الشؤون ... اذ من يستطيع غيرك ان يحكم على الفنون كما تحكم انت ؟ ولكن يجب ان نفعل شيئا من اجله ...

ابولون ـ (ساهما) من اجل من ؟

فينوس ـ انت دائما سارح الافكار .. انك تضايقني بشرودك .. اقصد هذا الشاب ... اقصد بيغماليون طبعا .

ابولون ـ آه ... بيغماليون ... وماذا تريدين ان تفعلي من اجله ؟

فينوس ـ (تضحك بخبث) انا افهم مشاعر هؤلاء الفنانين : بيغماليون واقع في حب تمثاله ...

ابولون ـ هذا شيء طبيعي ... وماذا في ذلك ؟

فينوس ـ كلا ليس هذا شيئا طبيعيا كيف يمكن ان يحب الانسان حجرا اقصد عظما ؟

ابولون ـ ولكن حبه ليس كما تظنين.

فينوس ـ انت تعيش دوما في الخيال ولا غرو فانك فنان ... انت لا تعلم بهذه الامور ... سترى ... اني سأحول تمثاله الى امراة حية ..

ابولون ـ ماذا تقولين ؟

فينوس ـ انها هكذا تستطيع على الاقل ان تؤدي له خدمة ما !

ابولون ـ يا لك من ماكرة ... انت دائما تخالفينني بآرائك الجهنمية.

فينوس ـ الحب دائما اقوى من الفن!

[يطفأ النور فجأة على المسرح ، فيختفي ابولون وفينوس ، ويزول التمثال عن قاعدته ، وحين تضاء الانوار من جديد ، تبدو في احدى الزوايا فتاة التمثال حية وقد ارتدت ثوبا اخضر خفيفا . وهي تدندن اغنية غرامية شائعة .] الفتاة :

الحب روح الحياة
ومهد كل جمال
الحب رمز الوجود
وغاية للكمال

بيغماليون ـ (يدخل فجأة) ما شاء الله ... ما شاء الله ... ماذا اسمع ؟.. صوت جميل .. ولكن (ينظر ناحية التمثال فلا يعثر عليه) ... التمثال ؟.. اين التمثال ؟ لقد سرقت .. (يصرخ) سرقوا التمثال ... سرقوني يا جماعة سرقوني ...

الفتاة ـ (مرتعبة) سرقوك ؟ من هم ؟

بيغماليون ـ لقد سرقوا التمثال .. اللصوص .. الاشرار .. سرقوني في غيابي .. سرقوا اعز ما املك سرقوا حياتي وآمالي ..

الفتاة ـ اي تمثال تعني ؟

بيغماليون ـ لا تجعلي نفسك متغابية انت ... كل قبرص تعرف انني صنعت اعظم تمثال في الوجود .

الفتاة ـ انا لا افهم ... حقا اني عاجزة عن الفهم .

بيغماليون ـ ولكن من انت ؟ من تكونين ؟..

الفتاة ـ انا ؟ ... (تصمت لحظة)

بيغماليون ـ آه ... فهمت ... انت شريكة اللصوص ولا شك ... خلفوك هنا وراءهم لكي تجمعي ما يمكن جمعه من الاشياء الثمينة ثم تلحقين بهم ... اليس كذلك ؟

الفتاة ـ ؟...

بيغماليون ـ اعترفي ... قولي الحقيقة ... انني لن ادعك تفلتين ... سأسلمك للشرطة ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأقبض عليك .
الفتاة ـ (بهدوء) افعل بي ما تشاء. انا لا اعرف احدا ولم أر الا هـذا المـكان .
بيغماليون ـ لا تحاولي اصطنـاع الغباوة ... هذا لا يفيد ... قولي أين التمثال ؟
الفتاة ـ التمثال ؟..
بيغماليون ـ اجل ... التمثال الذي اضعت في صنعه زهرة عمري .. التمثال الذي صنعته من عصارة ذهني وقلبي ... وافنيت فيـه نفسي وجهدي ...
الفتاة ـ (تضحك بغنج) كوكو ...
بيغماليون ـ ماذا تقولين ... انـت تسخرين بي ؟
الفتاة ـ كلا على العكس ... بل انظر الي جيدا .
بيغماليون ـ (يتأملها) انت جميـلة حقا ... ولـكن لا تحـاولي ان تستعملي وسائل الاغراء معي .. قولي اين التمثال ؟
الفتاة ـ ألا اعجبك ؟
بيغماليون ـ تعجبيني ؟... هـذا كثير ... لا بد انك تعجبين كـل انسان ... انت رائعة الحسن .. كدت أقول انك تشبهين تمثالي.. ولكن .. لنعد الى موضوع الحديث أين التمثال ؟
الفتاة ـ وهل كان تمثالك جميلا جدا؟
بيغماليون ـ انه اجمل ما في الوجود عندي .. لقد كان يمثل فتـاة تعتبر ثورة في الجاذبية والفتنة .
الفتاة ـ هل تعتقد انها كانت اجمل منـي ؟
بيغماليون ـ لست الان في موضـع مقارنـة .
الفتاة ـ بل يجب ان تقارن ...
بيغماليون ـ لقد قلت لك انك تكادين تشبهين تمثالي ...
الفتاة ـ واذا قلت لك اني انا التمثال ذاتـه ؟
بيغماليون ـ دعي المزاح جانبا .
الفتاة ـ اني لا امزح .
بيغماليون ـ انت غيورة ولا شك .. انت تغيرين من تمثالي ولذلـك تريدين ان تكوني هذا التمثال .. حقا ان طبائع النساء واحدة لا تتغير
الفتاة ـ اني اؤكد لك باني انا تمثالك انا فتاة التمثال بعينها ... ولست فتاة اخرى ...

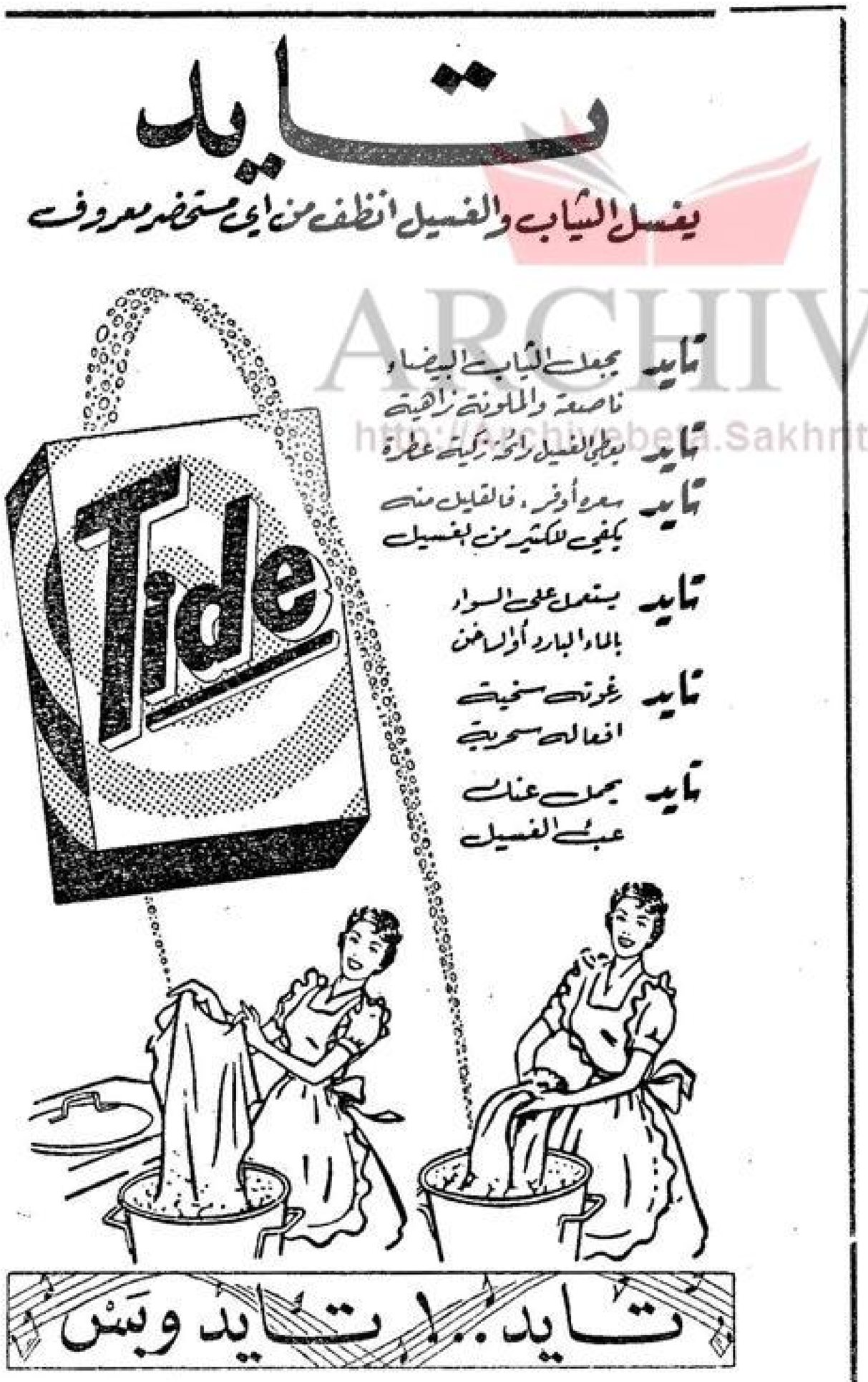
بيغماليون ـ (بسخرية) تؤكديـن لي ... وكيف ؟
الفتاة ـ ارجوك ... لا تسخر بي.. بل صدقني ...
بيغماليون ـ وانا ارجوك ايضـا يـا آنستي ... ليس لدي وقـت للدخول معك في نقاش لا فائـدة منه ... انت مدسوسة علي دون ريب ... لقـد امـرك اسيـادك بالهائي عن سرقة التمثال لكيـلا الحق بهم ... ولكني لست مغفلا سأحصل على تمثالي اينما كان ..
الفتاة ـ انا اعلم بان من الصعـب اقناعك ... باني انا تمثالك ... ولكن تأملني ...
بيغماليون ـ (يتأملها) وماذا في ذلك؟
الفتاة ـ الا تجد في وجهي آثـار الملامح التي حفرتها بازميلك ؟
بيغماليون ـ هناك مجرد شبه ليس الا
الفتاة ـ ليس في الامر مجرد شبه.. بل حقيقة اكيدة .
بيغماليون ـ ويخلق من الشبه اربعين .
الفتاة ـ تعال اقترب مني ...
بيغماليون ـ لا فائدة من اقترابي .. لاني حتى ولو رأيت انك نسخـة طبق الاصل عن تمثالي ... فاني لا استطيع ان اقتنع بان تمثـالي العاجي الجامد قد تحول الـى امراة حية عابثة مثلك !
الفتاة ـ ولكن هذا ما حصل ...
بيغماليـون ـ لا . لا ... تمثـالي شيء ... وانت شيء اخر ..
الفتاة ـ لا شك بأنك تعرف تمثالـك جيدا... وتعرف دقائقه وخفاياه
بيغماليون ـ طبعا ... طبعا ...
الفتاة ـ (تقف وتدور امامه بجسمها) اليس هذا الجسم هو من صنـع يديك ؟
بيغماليون ـ ... انت تغالين ...
الفتاة ـ انظر الى يدي ... انظـر الى ساقي ... ان آثار ازميلك ما تزال بادية عليها .. (تريه) انظر
بيغماليون ـ (يتمعن النظر فـي اطرافها) آه ...؟
الفتاة ـ ماباللك مصعوقا هكذا؟ تكلم ؟
بيغماليون ـ هذا لا يصدق ... ان فيك اشياء ليست غريبة ابـدا عني ... ان جسمك هو جسـم التمثال تماما ...
الفتاة ـ وحتى كعب رجلي هذا ... انظر ... اظن انك لم تكمله بعـد ما زال فيه بعض النفور .. الا تذكر ذلك ؟
بيغماليون ـ هذا صحيح ... ارنـي (يتأمل كعب رجلها) حقا ان هذه علامة فارقة لا تخطىء ... حقا هذه اعجوبة !
الفتاة ـ ارايت ؟...
بيغماليون ـ ولكن كيف حدث هذا ؟ ما معنى هذا ؟
الفتاة ـ لست ادري .
بيغمانيون ـ يا للخسارة... (بصوت حزين) لقد ضاع كل تعبي سدى.
الفتاة ـ هل تسمي ذلك خسارة ...
بيغماليون ـ اجل ... انها اعظـم خسارة تلحق بي ... فيا لخيبة املي ... لقد فقدت تمثالي الخالد الى الابد .. لقد خسرت اعز أمـل لي في الوجود ... لقد ضـاع مجدي وفني ... لقد فقدت كل شيء (يبكي)
الفتاة ـ ولكنك ربحت حياتي .
بيغماليون ـ (وهو يجهش بالبكاء) وماذا تريدين ان اصنع بحياتك ؟. لا.. لا.. لماذا فعلت ذلك ؟...
(يبكي بصوت مرتفع) .
الفتاة ـ ولكنك انت دفعتني الى ذلك
بيغماليون ـ لقد نحتك لتكوني تمثالا اعبده ... لا امراة حية عابثة .
الفتاة ـ اني لست عابثة .
بيغماليون ـ لم تخرجي عن كونك امراة
الفتاة ـ ولكني من صنع يديك ...
بيغمايون ـ وهذا هو المؤلم في الامر أجل ان هذا ما يؤلمني ... (يعاود البكاء) يا للخسارة ... يا للخيبة انا ضعت .. انا انتهيت .
الفتاة ـ خفف عنك ... ان ماحصل قد حصل الان .. هل بوسعي ان ارفه عنك ؟
بيغماليون ـ (وقد انهار واضعـا راسه بين كفيه وهو ينهنه شاكيا باكيا) .. لا ... لا ... هـذا مستحيل ..

[تدخل في الاثناء فينوس مرتدية وشاحا احمر وهي تسير رويدا رويدا حتى تقترب من بيغماليون فتضع يدها على كتفه] .

فينوس ـ انا فينوس
بيغماليون ـ (يرفع رأسه وقد بدت عيناه محمرتين) فينوس ؟
فينوس ـ انا ربة الحب والجمال .
بيغماليون ـ تشرفنا ... ومـاذا تريدين حضرتك ايضا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فينوس ـ (مبتسمة) الست مسرورا؟
بيغماليون ـ (باقتضاب) كلا ..
فينوس ـ انا لا افهم موقفك ... لقد حولت تمثالك من جماد الى حياة لكي ادخل السرور على نفسك ... اهكذا تشكرني ؟ ... انه تمثالك تماما ... لم يتبدل فيه شيء ... وقد كنت تذوب في هواه .. وعندما يكون الانسان مغرما بشيء ، فانه يرغب في امتلاكه اليس كذلك ؟
بيغماليون ـ ولكن هذا التمثال هو ولدي ولم اكن اشتهيه كماتظنين.
فينوس ـ اسكت ... اسكت . انت تبحث عن نجوم السماء عند الظهر ... لقد كنت عاشقا تمثالك وانا حولته لك.. انظر اليهاانها لك انها جميلة كما صنعتها انت .
بيغماليون ـ (بحركة لامبالاة) اف .
فينوس ـ يمكنك ان تتزوج منها اذا شئت ... وعلى كل حال فاني ازوجكما حالا : انتما متحدان للابد
بيغماليون ـ (يقف هائجا والشرر يتطاير من عينيه) ماذا تقولين ؟.. هذا مستحيل ... لا ... لا.. هذا لا يمكن ان يتم .. لقد كنت على حق بالا اؤمن بك . ما انت الا غبية حمقاء ... ثم من دعاك لكي تدسي انفك في شؤوني الخاصة؟ ها ان حياتي الان اصبحت عبثا ... فهل يرضيك هذا ؟ كل ذلك بسببك انت ... الفن يا سيدتي الفن ! هل سمعت به قبلا ؟ لقد امضيت ثلاث سنوات من حياتي الثمينة باذلا من نفسي وفكري كل شيء لخلق انسجام في هذا العمل الجبار ، فاذا بآلهة رعناء مثلك تحطم لي كل ما فعلته بدقيقة ... انظري ، انظري .. الى هذه البجعة. هذا كل ما صار اليه تمثالي العظيم ... مجرد بجعة تقاقي ... يا للفظاعة ...
فينوس ـ ولكن الفن هو الحياة ... والحياة هي الفن ...
بيغماليون ـ لا يا سيدتي ... الفن ليس هو الحياة ... يجب الا اعلمك ما هو الفن ... انا لست الا مثالا شريفا لا اطلب شيئا من احد قمت بصنع اثر جميل حري بالازدهار والخلود . لقد كان تمثالي جامدا ولكنه خالد . كان بوسعه ان يعيش على مر العصور والمدنيات ... ولكن حضرتك جئت تحولينه الى امراة !!... (بسخرية) امراة فانية تتحرك وتموت .. فلا خلود ، ولا ابداع ، ولا فن ... وقد ضاع كل شيء سدى ... حركة واحدة من ذراعها المصنوع من العاج ، واذا باسم بيغماليون يمحي من اذهان الناس ، (يجهش بالبكاء ثم يستعيد رباطة جاشه) وماذا سيحدث الان ؟ اتريدين ان تعرفي ماذا سيحدث ؟ ساعيش هكذا وراء رداء زوجتي ، وستقول الف حماقة كل يوم ، لانها تستمد تفكيرها من تفكيرك انت ... وساصبح نهبا موزعا بين القرف والرغبة في ملاطفتها .. (يصرخ) انها ستمنعني من العمل افهمت ؟ انها ستحول بيني وبين عملي ... وبعد ذلك ستخلف لي قطيعا من القطط علي ان اغذيه ... ثم ستشيخ وتهرم ... وبعدخمسين سنة ... ستصبح عجوزاشمطاء، ثرثارة دائما غبية، وما هي خمسين سنة بالنسبة لرجل لا يفكر الا بالخلود ؟ آه ... من النساء .. آه منكن ... اني اكاد أجن ...
فينوس ـ (وقد استبد بها الغضب) ما انت الا مغرور .. وقح لا تستحق النعمة ... انك جاحد ، مجرم ... عديم الشعور ...
[يدخل هنا فجاة ابولون فيقاطعها]
ابولون ـ كفى ... كفى ... ماذا اسمع.. هذا كلام يخدش الاذان؟
بيغماليون ـ ابولون .. آه .. لقد



جئت في وقتك يا ابولون ...
انقذني (يرتمي على رجليه)
انقذني بربك ...
ابولون ـ اخرجي يا اختاه ..اخرجي
خير لك ان تدعينا وحدنا ...
(تخرج فينوس) .
بيغماليون ـ (وهو ينظر الى ابولون
باعجاب) ما اجملك يا ابولون ...
ابولون ـ (يربت على خد بيغماليون)
اسمع يا ابني ... لقد افسدت
اختي لك عملك ... اليس كذلك ؟
الفتاة ـ (تتدخل هنا) انكما على كل
حال لا تريدان ان تعيداني تمثالا ؟
ابولون ـ (لا يلتفت اليها) اليك يا
بني بعض الاسباب التي قدتعزيك
عما فقدت ...
اولا : لقد لامست خدك ، وهذا
تقدير لا امنحه لاي فنان .
ثانيا : انك ما زلت شابا ، وبامكانك
ان تنتج اثارا فنية خالدة اخرى.
ثالثا : هناك طريقة لكي تخرج من
هذه الورطة .
بيغماليون ـ وما هي ؟
[يختفي هنا ابولون فجاة وسط ضجيج
من الاجراس والموسيقى وضرب السياط
وصفق الصنوج] .
الفتاة ـ (بعد لحظة تبتسم محاولة
ملاطفة بيغماليون) هلانت متعب؟
بيغماليون ـ (باقتضاب) اجل ...
الفتاة ـ (تقترب نحوه) قبلني ...
بيغماليون ـ (بضجر) اوه ... بدانا؟
الفتاة ـ لقد كنت تفعل ذلك عندما
كنت من عاج جامد ... لماذا
تحجم الان ؟
بيغماليون ـ لقد قلتلكاني متعب..
هل تريدين ان تدعيني وشاني ؟
الفتاة ـ يجبان افعل شيئامن اجلك.
بيغماليون ـ لست بحاجة الى شيء.
الفتاة ـ هل عندك جوارب بحاجة
الى الرتق ؟... البسة بحاجة
الى الغسيل ؟
بيغماليون ـ يا للقرف ... قلت لك
لست بحاجة الى شيء ... ما
هذه المصيبة ؟.. ، ما هذه الداهية
النكراء ؟
الفتاة ـ هون عليك ... من واجبي
ان ارفه عنك ... ان اخفف
متاعبك وازيل همومك ... ان
اقاسمك الامك وافراحك .
بيغماليون ـ هذا لا يهمني ... لقد
اصبح الامر عندي سيان... لقد
اصبحت كمحكوم بالاعدام .
الفتاة ـ على كل حال يجب ان افعل
شيئا ... انني لا استطيع ان
ابقى هكذا جامدة بدون حركة ..
انني لست تمثالا .
بيغماليون ـ (وقد نفذ صبره)
تريدين ان تفعلي شيئا ؟ حسنا..
اذهبي واشتري لي علبة ثقاب
لدى العطار القريب من هنا ..
اريد ان اشعل غليوني .
[تخرج الفتاة ثم يدخل بعد قليل زيروس]
زيروس ـ بيغماليون ... انتتخفي
عني اشياء كثيرة ... من تكون
هذه الحسناء التي رايتها الان
خارجة من غرفتك ..؟
بيغماليون ـ اسكت ... لقد جئت
في وقتك يا زيروس .
زيروس ـ ما الحكاية ؟ ... ارى ان
كل شيء قد تبدل لديك لقد
اصبحت مهموما كئيبا ... تبدو
كانك كبرت عشر سنوات .. ثم
اين التمثال ؟ اني لا اجد له اثرا .
بيغماليون ـ لقد حلت عليه اللعنة !
زيروس ـ اني لا افهم ... هلبعته؟
بيغماليون ـ ليتني فعلت ذلك ...
ولكنه تحول الى مصيبة .
زيروس ـ مصيبة ؟ ... هذا
مستحيل ... تمثالك العظيم هو
نعمة خالدة ...
بيغماليون ـ اجل لقد تحول الى
مصيبة يا زيروس ... لقد اصبح
امراة حقيقية .
زيروس ـ انت تهذي ... هل هذا
يصدق ؟
بيغماليون ـ نعم ... هذه هي
الحقيقية التي تكاد تذهب بعقلي ..
زيروس ـ اذن ... المراة التي
رايتها خارجة...هي فتاةالتمثال
بيغماليون ـ تماما ...
زيروس ـ انني لم انتبه اليهاجيدا..
ولكني لاحظت انها رائعة الجمال.
بيغماليون ـ اذن لقد اعجبتك ..
زيروس ـ لا اريد ان اقول ذلك ..
انا اعلم بانك مولع بحبها ...ونحن
اصدقاء ...
بيغماليون ـ اطمئن انني لا اغار ...
بل يهمني ان اعرف رايك بها ...
زيروس ـ انت تعرف رايي بهاعندما
كانت تمثالا ، فقد كانت خارقة
فتانة مدهشة .. اما الانفارجوك
لا تحرجني ... لان الموضوعتغير!
بيغماليون ـ ولكنها هي لم تتغير ..
لقد تحولت الى فتاة حية كما
نحتها بالضبط .
زيروس ـ ياسلام... يجبان تكون
اسعد رجل الان على وجه الارض
بيغماليون ـ على العكس ... لقد
ضاع كل جهدي سدى ...اجل،
جهدي الذي افنيت فيه ثلاث
سنوات من عمري ... لقد تبخر
في لحظة واحدة ... وفقدت
الخلودوالشهرة والمجد وكلشيء.
زيروس ـ ولكنك ربحت اجمل
امراة في الدنيا ...
بيغماليون ـ انها لن تعوض مقدار
ذرة مما فقدت انني كمؤلف خسر
اعظم كتاب الفه في حياته ...
سل اي مؤلف اذا كان يقبل ان
يستبدل كتابه بامراة...النساء ؟
تستطيع ان تعثر عليهن دون تعب
في كل مكان ... اما الكتبالقيمة
فهيهات ...
زيروس ـ ... انها فتاة جذابة ..
يشتهيها كل الرجال .
بيغماليون ـ ولكنني لا اريدها ... ،
انني امقتها لانني ازدريها
زيروس ـ انت مجنون ؟
بيغماليون ـ انني لم اخلق لذلك ..
انني .. صاحب رسالة .. وفي
راسي مطامح كثيرة .. وقدفكرت
زيروس ـ فكرت بماذا ؟
بيغماليون ـ بانك تستطيعان تاخذها
بنفسك ... تستطيع ان تتزوجها
انك بذلك تؤدي لي اعظم خدمة.
زيروس ـ لا .. لا ... صه انها
قادمة ...
[يسمع وقع اقدام الفتاة ثم تدخل]
الفتاة ـ هذه هي الكبريتة .
[تحاول ان تولع لبيغماليون غليونه]
بيغماليون ـ اقدم لك صديقي
زيروس ...
الفتاة ـ تشرفنا ...
زيروس ـ (يتاملها وهو مصعوق)
حقا ان هذا لا يصدق ... انني
اعيش حلما ... انها هي فتاة
التمثال بالضبط ...
بيغماليون ـ وما رايك بصديقي !
الفتاة ـ على الاقلانهليستمثالامثلك
زيروس ـ لا ادري ايكما هو التمثال
بيغماليون ـ اذن بورك لاحدكمابالاخر
والان سابدأ من جديد !

اديب مروة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما يكذب الدمع

لن تكوني ، أنتِ ،
يا طفليَّةَ النهدين حسي
لن تكوني ،
كل افكاري ، وما يجتاح نفسي
لستِ شيئاً ،
قد دفنتُ اليوم احلامي وامسي

وتقولينَ
ـ أولّى حبنا الطّفل الرضيع
والليالي البكرُ ،
والاشواقُ ،
والحلمُ البديعْ
والاغاني تملأ الدربَ ،
وازهار الربيعْ
كلها ماتتْ ؟
ـ بلى وانهدَّ ماضيها ، صريعْ

لا تلومي فرحة اللقيا ، واخبارالبريد
عشتُها سهرانَ أبني ،
حُبنا الطّفلَ المَريدْ
وأمني غد نا الاخضَلَ ،
بالبيتِ السعيدْ
وبأطفالٍ ،
نما في دربهمْ عمر مديدْ
ركضوا ،
اغنيةٌ ،
ضجَّ لها الطّير الغَريدْ

انما كذبتِ احلامي ،
ومزّقتِ نَشيـدي
واشترى حبكِ ،
غيري ،
فتناسيتِ وجودي
وزعمتِ اللحظةَ الشهّاء
في حبٍ جديد
فاحتوتكِ النارَ ،
يا نار اهنئي في ذا الوقودِ

ورجعتِ ، الدمعُ لن يغفر ذنبا ،
فاسمعيني
نَـدَماً ،
كذابَ ، لا أرضى ،
فروحي ...
ودعيني ..
وردة ، شمّك غيري ،
أنا لا ادنيكِ مني
لن تكوني ، حبيَ الفواحُ ،
لا ،
لا ،
لن تكوني
فابحثي ما شئتِ عن حبٍ جديد
واتركيني ..

لن تكونت ، أنتِ
يا طفليَّةَ النهدين ، حسي
لن تكوني ،
كل افكاري ،
وما يجتاح نفسي
لستِ شيئا ،
قد دفنتُ اليوم احلامي ، وأمسي

اللاذقيـة — خالـد الشريقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القلق عند الانسان الحديث

بقلم فوزي فريج

تجتاح الانسانية في هذه الحقبة الزمنية من العصر الحاضر موجة كاسحة من القلق واليأس تنذر بتقويض القيم الحضارية في الانسان وبتفكيك اواصر الحق والخير والجمال في اصالته الخيرة البناءة .

ولقد تأزمت هذه الامراض المستشرية في الانسان المعاصر ، وازدادت جذورها تعمقا ورسوخا بعد هذه الحروب العالمية الصاعقة التي كادت تطفىء شعلة الحب والامل في الانسان بعد ان خبت وقدتها الوضاءة زمانا طويلا . والحقيقة ان هذا المرض لا يحمل طابع الجدة ، لان الشكوى الدائمة ميزة انسانية . والانسان هو الحيوان الوحيد القلق لانه بعكس جميع الكائنات يحاول دائما ان يفوق ذاته . وما شكواه غير دليل على تطلعه الدائم الى ما فوقه ، او على الاقل الى انسان اخر جديد !

غير ان هذه الازمة المرضية قد بلغت في عصرنا الحالي من العمق والاتساع والشمول درجة سامقة ترتفع بها الى مرتبة المأساة ! لقد مر بالانسانية كثير من الازمات دون شك ولكنها كانت تصيب القطيع البشري ككتلة ، لا الانسان الفرد الشاعر بذاته ، كانسان اليوم. وقد اوجدت الحضارات السالفة فكرة العالم الاخر فاستطاعت ايجاد شيء كثير او قليل من التوازن مع مساوىء هذا العالم ، وتركت كوى الامل مفتوحة للناس ، ولكن الانسان الحديث يعيش الى حد كبير دون امل . لا ثقة له بعالم افضل ينتظره انه في قدره اليائس أشبه بابطال المآسي اليونانية ، اشبه بأوديب او هرقل او ديدال يعرف مصيره ويراه . فمن هو المسؤول يا ترى عن هذا التقهقر الانهزامي المؤنس ؟؟

ان المسؤول في نظري هي القيم الفكرية الحضارية الفاشلة ... اجل ، لقد فشل العلم والفلسفة في اجتثاث جذور القلق الكينوني في الانسان او الخروج به الى عالم النور والمعرفة الكاملة . ولا بد لنا في هذه العجالة من تبيان اسباب الفشل .

الدين

كان المرتكز الاساسي للدين ، اي دين ، في اقناع البشر وادخالهم الى حظيرته ، هو الايمان . وكان هذا في البدء كافيا لبعث الرضى والقناعة والحبور في النفوس المطمئنة

ولكن العقل لم يستطع الوقوف على الحياد انه يريد ان يستنطق ويعلل ويمنطق لكي يدنو له الاقناع ، فكان ما لا بد من وقوعه ، لقد اصطدم العقل بالايمان ، والشك بالاستسلام ، والثورة بالخضوع ، والواقعي بالغيبي . وهكذا انتقل الانسان من الايمان بالله الى التثبت من وجود الله .

وفي الواقع لا يكفي ان نثبت وجود الله بالعقل وحده، بل يجب ان نعيش هذا الوجود . فرغبة الانسان ، في الله هي ان يعرف شيئا من طبيعته ، وان يتغذى به كهدف اعلى للمعرفة . ولكن الله لا يعرف ولا يسبر غوره ، وهو الذي لا يسمى والقابل لان تطلق عليه جميع الاسماء وهو المنعزل الاكبر. فهو موجود ونحن غير موجودين، ولا وجود لنا الا بالنسبة لوجوده . هو موجود وجودا بسيطا كاملا في آن واحد ، هو موجود وكل كلماتنا تسقط عاجزة كقشور جافة . بل واكثر من ذلك فهو ان كان يمكن ان يعرف لسقط الى مستوى المخلوق .

الا انه يجب ان ندرك ان امتناع فهم الله ليس مصدره الله نفسه بل نحن ، فان كانت فيه اسرار فانها ليست منه ، وهو في طبيعته ابسط واكثر جلاء من ضوء عقلنا نفسه . ومصدر سره انما يأتي من حدودنا التي تفرض حوله منطقة ظلام . شأنه في ذلك شأن قصر بلوري شفاف لا يتجلى لنا اذا نظرنا فيه من ثقب مفتاح . ولكن بمقدار ما يتخلى العقل الانساني عن سننه التي هي حدوده ، بهذا المقدار يسعه ان ينفذ الى السر ، فيشف الحجاب بين الله والعقل في ضوء المعرفة الباهر .

ولكن اذا كان الله لا نهائيا والانسان نهائيا فان هناك مثل هوة تفصل بينهما ، يعجز الانسان عن تخطيها ، وليس له الا وسيلة واحدة للوصول الى الله وكنهه . ولما كان الانسان عاجزا عن مد جسر بينه وبين الله ، فانه يبقى لله ان يمد الجسر بينه وبين الانسان ، وهذا هو ما نعرفه بالوحي . ان الوحي نجوى من الله الى الانسان لتصبح في نفس هذا الانسان خميرة نمو . ولكن هذا الوحي لم يبق له أثر في العصر الحاضر ، وذلك مما ادى الى اصابة النزعة الدينية في الصميم .

لقد بدانا نرى الايمان يفقد كل صلة بالعقل فيجد نفسه وحيدا لا وسيلة له للدفاع ، امام النقد الفلسفي والنجاح العلمي . ولا اظن احدا يتجاهل المأساة التي يعيشها الشباب اليوم .

وان رواج الفلسفات الغربية ـ وهو رواج خادع اذ ليس مرده عندنا حالات النفس التي ساعدت على ولادة هذه الحركات في الغرب ـ ان هذا الرواج اذن ، قد استفاد من انعدام اللاهوتيين اكثر مما استفاد من الاسباب الجوهرية التي تميز هذه الفلسفات . وليس ما يثير دهشتنا ايضا ان نرى الحركات الاكثر صلة بالدين تتيه عن اهدافها الدينية سعيا وراء أهداف سياسية ، غير مميزة بين الروحية والزمنية . ولهذا فالعالم مقبل على

ازمة الحاد لا مثيل لها في التاريخ ، مما ستؤدي الى ما لا تحمد عقباه .

الفلسفة

قد يتبادر الى الذهن سؤال عن مجال الفلسفة في هذا المضمار ! واجيب بايجاز : انه وضع الانسان فيموضعه من الكون بالنسبة الى الفكر والله ، واظهار المسلك الانساني ازاء كل هذه القيم ، وابراز صلات الانسان بالجماعات . ولقد فشلت الفلسفة في انتشال الانسان الحديث من اوقيانوسات قلقه المزبدة ، لان تلك المفاهيم المبسطة التي نظم على اساسها المعرفة منذ « كانت » « وهيغل » اضحت اليوم مقولات جامدة ثقيلة ، هراها العث . فلا العقل موزع بقسط ثابت بين الناس ولا هووجد منذ وجد ، بشكله القائم دون تطور . عدا ان جزءا كبيرا من مقولاته قد نقض ، وقفز الناس وراءها .

وليست الغلطة في النتائج التي وصل اليها فحسب ولكنها في الطريقة ايضا . انها غلطة « غاليله » الذي فرق بين الكمي والكيفي . وتلاه « بيكون » فجاء بتجريبيته وباستقرائه المبسط ، ثم وضع « ديكارت » الخط النهائي في ذلك الاتجاه بتلك الثنوية التي فصل فيها بين الفكر والجسد ، بين ما هو روح وما هو مادة !.. وتم النصر اخيرا لما وجد العلم الالة : معجزة الرفاه المادي عند الناس.

لكن تناسي المشكلة لا يكفي لتلاشيها ، وتعقدها ليس عذرا لحذفها . وهذه الغلطة في الطريقة التي قادت العلم اول الامر الى المجد ، دفعت هي نفسها الانسان الى التلاشي والضياع ثم عادت فقتلت العلم الذي اوجدته . .

وهل بامكان احد ان يؤمن ان الانسان هو فقط هذا الهيكل العضوي المتحرك ؟ اذا لم اكن انا غير هذه الامصال الدموية والاعصاب الفيزيولوجية ، وذلك التوازن الفيزياكيماوي في الخلايا والبروتوبلازما ، فاين اذن قلقي وفرحي واين حبي وارادتي واين اندفاعي في المصير ؟ . واذا كانت اشعة المغيب هي فقط موجات كهرطيسية ، فمن اين هبط اذن ذلك الجمال الذي يراه الفنان في الوان المغيب ؟؟ وان كانت الحان الوتر موجات تنداح كما تنداح الدوائرعلى صفحة الماء، فلم تهتز انت واهتز انا لالحانالوتر؟

لقد تلفت الانسان اليوم فاذا بكل الذي بناه حطام وعليه انيعاود البناء من جديد! وهو اذ يحاول رفعالمداميك وبناء الصرح لبنة لبنة ، لا يجد ما يرفده الا الشكوالتردد والقلق المريع .

تضع الفلسفة الوجودية المعاصرة الانسان وحيدا امام الموت وامام الطبيعة وازاء الاخرين . انه هو المسؤول اولا واخيرا ، وليس ثمة اية قوة تعضد ضعفه وتخفف من احزانه وتضمد كلومه وجراحاته .

انه اخطر منحدر تطأه قدم الانسان منذ ان وجد الانسان. ولا تكتفي هذه الفلسفة بتوريط الانسان في منزلق واحد، بل تثير عدة امور اخرى كالحرية والارادة البشرية .

لقد كانت الارادة البشرية ، عند ديكارت ، مساوية للارادة الالهية . هذه الارادة المنبثقة من الله ، لا تكون الا حرة كل الحرية ــ من حيث الجوهر ــ كالمصدر الذي انحدرت منه . فعندما يختبرها الانسان ، اي عندما يعيشها بالواقع ، لا يستطيع ان يعيشها مقيدة . ومن هنا قول ديكارت في « التأمل الرابع » : « لا أجد شيئا كبيرا للغاية الا الارادة وحدها ــ التي اختبرها في نفسي ــ بحيث لا اتصور غيرها اوسع منها وارحب . »

اما سارتر فينتصب مناقشا ديكارت بقوله : «للحرية عند ديكارت ، لونان . الاول سلبي ، وهو يقوم على امكان رفضنا للباطل . الثاني ايجابي ، وهو يقوم على ضرورة قبولنا للحق . في هذه الضرورة لقبول الحق تفقد الارادة كل حرية ، لانها منقادة ــ رغم انفها ــ الى التسليمبالحق» . هذه الحرية الايكارتية ، في نظر سارتر ، لا تشعر الانسان بها الا حيال الشر . اما الخير ، فهو مقيد به ، والا انحرف عن جادة الصواب ، فضل واضل .

ويقول ايضا : « منح الولد حريته ، لا يقوم على ان نضعه في كرسي ، وان نهدده قائلين : انت حر ، ولكن بحق الله ــ اذا فعلت عملا ما ، كالنزول عن الكرسي مثلا ، لتأخذ شيئا من الاشياء ، صفعت على خديك . ان حرية كهذه لا تجدي نفعا . هي ليست حرية » . انالحر ، في نظر سارتر ، هو الذي يعيش بين احرار . الحر لا يستطيع ان يعيش الا في عالم يسكنه احرار ، والا كانعبدا في قرارة ذاته ، وان با نلنا ــ من الخارج ــ انه يحكم غيره او يتحكم بغيره .

ان فلسفة كهذه لا تبتعد عن الهدي والارشاد فحسب بل تأطر جميع الازمات في سياق واحد يجوس ابعاده الانسان فينقلب من سيء الى اسوأ .

العلم

العلم هو الركن الاول في هذه الحضارة ، ومع ذلك فقد فشل في هذا المجال . انه لم يستطع ازالة ما يعتور الانسان من قلق ، ان لم يكن زاده . ولقد منحنا العلم في القرن الماضي تفاؤلا حسب الناس معه ان النجوم في قبضة اكفهم ، وسيلعب بها الاطفال في المستقبل . ولكن سرعان ما هدم العلم نفسه بنفسه منذ حاول ان يفهم ويفسربدل ان يربط ويقنن !

فلا العقل الذي يعتمد عليه بالالة التي لا تخطىء ، ولا المنطق الارسطاطاليسي الذي يعتمده ، بالمنطق الوحيد ، ولا الزمان والمكان اللذان يقيسهما بأمرين واقعيين، ولاالحوادث التي يقتطعها من الحياة بخالية من الاصطناع. ثم ان الاراء الحديثة في بنية المادة قد اكدت بعد نظرياتنا عن الواقع . ذلك ان كل قياس دقيق للظواهر الاولية الذرية قد اصبح مستحيلا استحالة نهائية . بمعنى ان مبدأ التقيد العلمي يجب ان يستبدل به مبدأ عدم التقيد ! ولا يبدو اصلد القوانين العلمية اليوم اكثر من مجرد احتمال .

لقد وضعت الانسانية الحاضرة ثقتها في العلم ، واعتقدت ان الالة ستنبت لها السماء من الارض ، فاذا بها تحصد الخراب . امنت العلم على بيتها ، فارتجعته دمارا. حينئذ رجعت تبحث عن صراط مستقيم، غير صراط المادة. ولكنها ما زالت تحمل في قرارة نفسها شرعة العلم . ما زالت ملقحة بروح مراسيمه . لهذا نراها لا ترغب في العلم لان المادة اعادت لها البيت مخربا . ولا ترغب ايضا في الايمان ، لانها ذاقت مرارات حربين عالميتين ، دون انتتوفر لديها السعادة عن طريق القيم الروحية . لقد خانتها الارض وتركتها السماء . لم يبق لها ، والحالة هذه ، غير الانسان في بدء من الانسان .

خلود

○

أحق ••• وراء الحياه
قلوب نشاوى
وخفض جباه •••
وسقم يداوى
ليحظى بنور الاله •••
وبلسم جرح عميـــق
أضاع الطريق
تنظى بوهج السعير
ولا يستنير !••

*

أحق ••• بزوغ الهناء
ونشر السنا
مليئا بفيض العطاء
وأحلى المنى •••
يطيب اتحاد نبيل
بذاك اللقاء
ويروى الغليل
ويبقى الضياء
حليف الدهور
ألبف الخلود

فسقيا لفجر يعود
جناحاه : طيب ونور

*

هنالك بدء الازل
فاما نعيم
واما جحيم
وبئس الامل •••

*

تغور السواقي ويبقى الخرير
وتفنى الرياض ويحيا العبير
اذا غاب عنا
هزار تغنى
بسر الوجود
ومعنى الخلود •••
ترد الحياه
الينا صداه
فنطرب عند ارتجاع النغم
ونحرز نصرا بوجه العدم !

لبنان ـ جديدة المتن — **فيليب البستـــاني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثمة قيم فكرية اخرى كالادب وعلم النفس والاخلاق غير انها ايضا لا تجدي فتيلا . فالادب لا يزيد عن التصوير والتعبير . انه صدى ، الاحساس ومرآة العواطف . ولهذا فهو لا يخرج عن كونه مسبَّبا لا سببا واثرا لا مؤثرا . أما علم النفس فانه يعالج الانسان بعد ان يمرض ، أي انه يكتشف الدواء من الداء ويدل على الاعراض والاسباب بعد ان يجري اختباراته على العلة نفسها . ولهذا فهو لا يمكن ان يحل محل الدين . انه لا يقدر على وقاية الانسان من العثرات والكبوات ، فهذا فوق طاقته .

اما الاخلاق فان مبادءها ليست مستلهمة من مثل عليا لا تتزحزح ، ولكنها وقائع نفسية او تاريخية او اجتماعية متطورة متقلبة ، ثم ان قيمها نسبية ، نسبية حتى لترف رفيف جناح الطائر لكل ريح .

ان قلق الانسان الحديث هو تعبير عن مشاكله المتضخمة ، ومشاكله هذه تنبعث من طفراته الاعتباطية الجريئة التي تسير به خطوات إلى الامام وفراسخ الى الوراء .

طرابلس — **فوزي فريج**

جولة وفن وحارس قديم

بقلم خالص عزمي

لم يكن مضى على وجودي في لندن اكثر من اسبوع واحد ، ومع ذلك فقد استطعت ان اشاهد كثيرا من معالمها المشهورة كمتحف مدام تيسو والمعرض الدائم المسمى ناشينال كلري ومسرح اولد فك حيث استمتعت بمشاهدة مسرحية تاجر البندقية لشكسبير من قبل كبار ممثلي المسرح الانكليزي وفاستفل هول حيث تمتعت بالاستماع الى لندن فلهارمونيك اوركسترا وهي تعزف اروع السمفونيات البرليوز ومندلسن وشوبرت . ولكن شيئا واحدا كنت اتمناه دوما هو ان اجول في ذلك العالم الاخضر المسمى هايد بارك ، وكان صباح احدي الاول في لندن مشمسا يغمره الدفء وتطوف ارجاءه نسمات رقاق تبعث في الجسم حيوية ونشاطا .

ومن غرفتي المتواضعة في كولنكهام كاردن اخذت طريقي الى محطة كلود ستر رود حيث اوصلني خط بيكادلي الى تلك البوابة الفخمة التي تفتح ذراعيها لاستقبال زائري هايد بارك ، وعند تلك البوابة استوقفتني عربة قديمة كتلك العربات التي يستعملها الفجر في ترحالهم ، يتصدرها رجل عجوز مقعد يقدم اقداح الشاي الى ذلك الطابور المتسلسل الذي يمر من امام عربته كما لو كان مرقد احد الاولياء الصالحين تلتمس فيه البركات . وكأي غريب حاولت التشبه بهم ووقفت لاتناول قدحي واتطلع الى هذه الجموع التي تفد على هذا البارك الواسع . كان الرجل المقعد يردد على مسمع الحاضرين جملة لم يحاول حتى التغير من منطوقها :

« اليس هذا اليوم جميلا جدا ، ان هايد بارك لم يشهد سماء صافية الاديم كهذه منذ اسابيع » كان يردد قوله ذاك فرحا مستبشرا فلعله لم يبع شايا منذ امد ، اما الحاضرون فكانوا يهزون رؤوسهم « حقا انه يوم جميل » وما كدت افرغ من شرب الشاي حتى تركت الجمع ، ومن ذلك الباب الواسع المتوج بشتى التماثيل الفنية الضخمة دخلت هايد بارك ، كان حديقة غناء واسعة الارجاء ، مد البصر ، تشققها طرق ملونة تلتوي كالافاعي ، مارة على زهور فواحة باريج عبق تارة ، اوعلى بساط اخضر تنتصب على جوانبه اشجار باسقة ورؤوسها تتطلع الى السماء شاكرة النعم .

كان الناس فرحين بهذا اليوم يجرون هنا وهناك ، بعضهم يدفع عربات الاطفال وبعضهم قد استلقى وغمر وجهه بضياء الشمس التي افتقدها من زمن ، ومنهم من تأبط ذراع زوجته او خطيبته او حبيبته ، انه عيد تبرز فيه الطبيعة اروع زينتها وابهاها . وفي تطوافي هذا عبرت جسرا صغيرا ينحني ليرعى تلك البحيرة الصغيرة التي صنعوها لتضفي على البارك جوا شاعريا ينعم به كل من يتعشق الجمال والهدوء . والى بركة دائرية اخرى حملتني ساقاي كانت تختلف عن السابقة بحسن التنظيم ففيها تظهر اليد المنسقة اكثر وضوحا ، كانت مرتبة الحواشي تغفو على اقدامها ذرات الحصى الناعم الاحمر ، والماء فيها كالمرآة الصقيلة تناغي وجهها اجنحة البط الصغير او انزلاقات زوارق الاطفال ذات الاشرعة البيض . وتذكرت وانا اطوف على هذه البركة الصناعية الرائعة قول البحتري في وصف بركة المتوكل :

تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كانما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجري في مجاريها

وعند مربل آرج وقفت مع الاف الناس نستمع الى اولئك الخطباء الذين يزعقون يريدون ان يجلبوا انتباه السامع بهذا الصراخ الحاد ، وضجرت بعد حين من هذه الضوضاء وانتقلت من ركن ذي زهر اصفر الى هلال ذي ورد احمر ... حتى اتصلت بكنزكتين كاردن وهي على امتداد لا يفرق مع هايد بارك ، وعند التمثال البالغ حد الضخامة للامير البرت الذي نصبته له بعد وفاته زوجه الوفية الملكة فكتوريا جلست على احدى عتباته وقد أعياني التعب وانهكتني منعرجات التطواف ، وبعين زئبقية درت حول لوحات ابرز شخصيات العالم وهي تحيط قاعدة التمثال وعند لوحة الموسيقيين وقعت عيناي على بيتهوفن وفغرت فاي للفن الدقيق الذي ابرز الطاقة الهائلة عند هذا الفنان ، ولم احس الا ونظرات رجل عجوز تكاد تغور الى اعماقي لتستكشف سر التطلع المشدوه ، وفجأة تكلم الرجل العجوز ، كانت اذني معه وفكري يجول في غضون وجهه ... ، عينان زرقاوان تظمان اسرارا لا شك ... شعر ابيض يكلل الراس حاجبان كثيفان يكاد يعانق احدهما الاخر ... كل هذه ... لم تجلب نظري .. بقدر تلك الغضون التي ترسم خطوطا بارزة لعمر الزمن والاحداث التي مر بها .

ـ عيناك تجولان هنا وهناك ... هل هذه مرتك الاولى التي تشاهد فيها هذا التمثال

ـ نعم ... فانا غريب من بلد بعيد ... وانا من الذين يتعشقون الفن على اية صورة يظهر للعالم الخارجي ... لقد جلب انتباهي من كل هذا التمثال الضخم .. تلك اللوحة المتواضعة لبتهوفن .. ،

وكنت اتوقع انه لا شك سائلني عن البلد الذي قدمت منه ولكن شيئا من هذا لم يحدث بل بقي سارحا وبصره يخترق الافق ... اما انا فكنت أتأمل ما وراء هذا السكون ، حتى قال :

ـ اما انا فلست غريبا على هذا التمثال فقد عشت معه اتطلع اليه ثلاثين عاما استشف من خلاله اعمال العباقرة العظام الذين سجلوا لنا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحات مشرقات فكان لهم الخلود. فمن خلال حركات تلك الازاميل التي قدمت لنا هذه الاعمال الفنيةالضخمة ادركت مع الزمن مدى المهمة السامية التي يقوم بها الفنانون لخلق وعي فني شامل لنا وللاجيال القادمة .. وبهذه الاعمال تكمن الفكرة التقديرية لاناس خدموا الانسانية ... وانيوما ما سيحل ليقوم اخرون بتخليد من سبقهم وهكذا تسير عجلة الزمن يوم تكون انت فيه المخلد ويوم تكون فيه انت المخلد .

وصمت الرجل العجوز ونظرت اليه طويلا وساءلت نفسي أهو فيلسوف متشرد .. أم فنان يهيم على وجهه ليدرك كنه الحياة فكرة وتطلعا ... وبقيت مع دوامة من علامات الاستفهام حتى انطلقت منها حين سالته : هل استطيع ان اسالك من تكون .

فقال مبتسما : ان اسمي رونالد كرين ... باق مدة طويلة ؟

فقلت : ـ نعم ـ فقال : اذا ستلتقي بي كثيرا ما دمت تعشق الفن الى هذا الحد... والان اتسمح لي بالانصراف فان موعد عملي قد حان .

وعندما خطا الى الشارع ليعبره ادركت كم هو عمر هذا الرجل وكيف ان الزمن قد اخذ من قوته ... ، وبقيت اتابعه حتى غاب في بناءضخم للغاية يتسم بطابع تاريخي . وقلت لنفسي لعله فنان قديم اقعده الزمن.

مر شهر على هذا الحادث تماما وكدت ان اطويه في مفكرة النسيان حينما برز وجه مستر كرين مرة اخرى اكثر وضوحا لي ... وعرفت في هذه المرة اشياء كثيرة ترسم خطوط حياته ذلك حين التقيت به صدفت مرتديا بزته الرسمية ...

كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف تماما حينما وفدت مع تلك الالاف الى قاعة البرت هول ذلك البناء الدائري الفخم الذي يطل على شارع كنزكتن وحديقته الواسعة ، لنستمع الى العازف العالمي الشهير موناهين اعظم عازف على الكمان في يومنا هذا ليقدم الينا على الكمان الساحر كونسرتو مع لندن فلهارمونيك اوركسترا تحت قيادة الكوندكتر العالمي السر أدرين بويلت . لقد كان المنهج مغريا للغاية فقد احتوى على موسيقى من شوبرت ومندلسن وموزارات وبيتهوفن فكان الخاتمة الرائعة . كانت هذه زيارتي الاولى لالبرت هول ولذا فقد بكرتلاستطيع التطلع الى كل ما في هذه القاعة الهائلة من نقوش والوان واثاث يتسم بالطابع الفكتوري . كانتالقاعة دائرية من الداخل ايضا تدور حولها الكراسي بشكل حلقات حتى تصعد الى الطابق الخامس وهناك تختفي الكراسي لان الرواد هنا من الذين لا يدفعون في اعلى القاعة غير شلنين ونصف الشلن واغلبهم من طلبة الجامعات والعمال والفنانين الصغار. وعند السابعة والنصف تماما امتلأت الصالة بالجمهور وكمل عدد العازفين ثم دخل المسرح الكوندكتر السربويلت فارتفعت الاكف له بالتصفيق وان هي الا لحظات حتى تبعه مناهين فاشتد التصفيق لمدة دقائق وعزف الفنان العظيم فارتفع بالنفوس الى عوالم ينسى الانسان عندها نفسه ويضيع مع الفن الخالد في متاهات فيها السحر والخيال .

عندما وصل الى موزارت وختمه بدات فترة الاستراحة . وخرجتالى مكان البوفيه لاتناول قدحا من الشاي تاركا القاعة تدوي بالتصفيق الحاد . وعند الباب الرئيسي للخروج تقع صالة البوفيه وهناك التقيت بالمستر رونالد وفوجئت وانا اراه ببزته الرسمية.. الخاصة بحراس قاعة البرت هول . كان يقف شامخابقامته المديدة ، ووجهه الحليق الذييذكرني بمتحف الشمع ، ونظراته الحادة التي تذكرني بالصقر ... وعندما اقتربت منه ابتسم وقال : الم اقل لك اننا سنلتقي كثيرا .

فابتسمت ، وقلت : لك ذاكرة عجيبة ايضا ، كنت مصيبا في كل ما قلت .. هل تشرب الشاي معي ان استطعت ان تترك المكان لغيرك على هذه الباب الرئيسة .

فقال : شكرا ، ولا حاجة لانااتركه لغيري فليس هناك من يدخل القاعة من دون بطاقة ونحن كل مهمتنا ارشاد الناس الى اماكنهم فقط والحفلةتأتي على نهايتها كما تعلم .

وعلى كرسيين صغيرين عاليين جلسنا نشرب الشاي ونتحدث عن هذا الفن العظيم الذي ما زلنا نجهل قيمته في الشرق وهو ثروة وكنز خالد ، وجرنا الحديث الى البرت هول وقصته التاريخية حتى سالته: ولكنك لم تقل لي انك تعمل في البرت هول .

فقال : الم اقل لك انني عشت مع تمثال البرت ثلاثين عاما وانتتعرف الان ، بانه يقابل هذا البناء الفخم الذي سمي به .

ثم سالته : هل لك ان تذكر ليكم مضى عليك في هذا العمل ؟

وهنا اعتدل في جلسته وقال ، اراك لا تنفك من طرح الاسئلةلنختصر الطريق ... واليك القصة كاملةقصة رهبانيتي للفن . انا لم ادرستاريخ الموسيقى في المدارس ولم اتعشقها بالتعلم بل انغمرت في بحرها منذ طفولتي المبكرة ومع اني لم اكن غنيا الا انني كنت اشتري بعض الكتب القيمة التي تبحث في الموسيقىوالتي تتحدث عن عباقرتها الذين ارتفعوا بها الى القمة . كنت اشتغل من الصباح الباكر حتى مغيب الشمس في حقلنا المتواضع في انفيرناس مع اخوتي الخمسة ، الذين وصلوا اليوم الى مراتب مهمة في الطب والهندسة المدنية والمحاماة والكهرباء ، وكنت اذا ما انتهيت من عملي ذهبت الى البيت لاجلس على كرسي مريحاطالع الصحف ثم اغيب بعده مع كتب الموسيقى تجول بي في عوالمهاالرفيعة اما هم فكانوا يذهبون الى المدارس المسائية العالية . ولازمتني هواية الموسيقي حتى بعد زواجي فيا طالما حدث شجار بيني وبين مسز كرين لانني كنت اصر على قراءة كتب الموسيقى في الفراش حتى ساعة متاخرة !! وذات يوم قرات في الصحف خبرا لم اصدقه بادىء الامر هو ان كرايزلر اعظم عازف موسيقي على الكمان في عصرنا هذا سيقدم كونسرتوفيالبرت هول في العاشر من مارس عام ١٩٢٧ واذا لم يبق على الحفلة سوى خمسة ايام واذا كل البطاقات مبيعة حتما » .. ورحت ادور في الغرفة ابحث عن مخرج للسفر الى لندن باية وسيلة . كانت أمنيتي الوحيدة ان اشهد كرايزلروها هو كرايزلر في لندن الان ، وصممت على السفر ، وعند الفجر كان القطار يقلني الى لندن ، وبعد سفر داماربعة

وعشرين ساعة وصلت المدينة الفخمة التي لم ارها من قبل . ومن محطة القطار توجهت راسا الى البرت هول وهناك صدق حدسي فقد قرات على مكتب التذاكر « لا توجد بطاقات بأي سعر » وكدت ابكي من الخيبة والتعب والجوع . ولاني لا اعرف اين اذهب وخوفا من ضياع الفرصة التي احلم بتحقيقها بأي ثمن بقيت ملازما لشباك التذاكر لعل هناك من يغير فكره فيرجع البطاقة ...

وبقيت ادور مع الخيال لا بد هناك شخص يريد السفر ... اليس من المحتمل ان يكون هناك شخص قد ضجر من الحضور الى البرت هول دوما ... انني لست شريرا ولكن قد يكون أحدهم قد مرض او اصابه مكروه .. لنكن واقعيين .. وهكذا بقيت ارتفع تارة الى الفرحة اواهبط مع الخيبة ولكن كل ذلك لم يمنع اصراري على البقاء ملازما لشباك التذاكر .. ، وعند الواحدة بعد الظهر انفرج الشباك ، عن وجه ظامر عجوز ثم بدأ قوله بـ (نعم) وبينت له ما أريد بعد ان شرحت له كل الظروف والملابسات ، ولكن هزة الراس الكئيبة التي تنثر الخيبة يمينا ويسرا لم تفتأ تثبط عزيمتي مرة بعد مرة ، وبحركة عصبية من يد ملوحة، ولسان يرتجف وبصوت حانق خداع يصم الاذان فيه الكثير من حشرجة الانهزام البائس قلت لذلك الرجل الصبور : اريد ان احصل على بطاقة بأي شكل ... اريد الحضور بأي شكل .. بأي شكل .

هناك طريقة واحدة لا شك انك غير موافق عليها مقدما ، اذ ليس من المعقول قبولك وظيفة حارس في البرت هول ، فنحن محتاجون الى حراس بوابين .

وقاطعته من دون ان افكر وبحماس الشباب وحب الفن قلت له : اقبل الان اوقع العقد .. اوقع اي شيء . وكانلي ذلك واستمعت الى كرايزلر وسحرني بموسيقاه وانساني بيتي وزراعتي وزوجتي وصممت على البقاء لاستمع الى الموسيقى كل يوم واشاهد الفرق العظيمة والمهرجانات الكبرى . وارسلت على زوجتي وكان هذا اخر عهدي مع انفيرناس المدينة

لقد مرت علي عهود زاهرة تمتعت فيها بالاستماع الى الموسيقيين العظام وبمشاهدة راقصي الباليه ومغني الاوبرا وممثلي المسرحيات الكبرى وابطال الرياضة وخطباء الفن والشعر والادب والسياسة ... انها حياة مليئة بالاحداث .. وقد سيرتها كيفما احببت ، فبلغت شيئا من السعادة التي ابتغيها ...

وهنا رن جرس القاعة يعلن للقسم الثاني من الكونسرت الفني الرائع وعنده قام مستر كرين يودعني فشددت على يديه وانا اقول : حقا انك فنان .. فاجابني : انه وسام رفيع القدر تعلقه على صدري يا سيدي اين انا من الفن هو في السماء وانا في الارض ولكني ـ مع ذلك ـ احسه في القلب وترا يدق ابدا ... والان الوداع فعليك ان تصل الى كرسيك اذ البداية لا تعوض اما نحن فسنلتقي هنا كثيرا ...

لندن **خالص عزمي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لجة سوداء

آه من شعرها فكم في دجاه ضل قلبي في عاصفات هواه
يا لهذا السواد كالحندس الفا حم والليل مائج في نداه
شعرها ليلي الرهيب لدى الهجر تغور النجوم خوف لقاه
غبت في جوفه مهيض الاماني فطواني كسرة اذ طواه
غبت في جوفه مهيض الاماني في سبات ما ان يحد مداه
يا ليالي الشتاء والعصف والظلمة أين الفؤاد ضاعت مناه
ألسواد الحزين يوقظ فيه شاحبات الاحلام من ذكراه
شعرها وحشتي لدى البحر يغفو مرعبا في الدجى وطال كراه
في الليالي المولولات الحزانى وفؤادي كالطير ضل خباه
غمغم البحر والاواذي نشوى بحديث لم أدر ما فحواه
والنسيمات تستثير حفيفا في لفيف الغابات يخشى صداه
سرت أبغي لقاء طيفك لكن غشيته الاشباح كي لا أراه
شعرها المعترض المخيف دعاني أعشق الهول رغبة في رضاه
ليته لجة لاغرق فيها عل قلبي يخف بعض لظاه

جدة **علي دمر**

دراسات في النقد الادبي

الفن الجميل المذهل

بقلم هـ. جاكسـون

ترجمـة يوسف عبد المسيح ثروة

o
o o

ان الحركة التزويقية التي ظهرت في العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، اعقبت فنا لطيفا لصيقابها، اذهل الطبقة المتوسطة، لما احتوى عليه من بحث عن الواقع باساليب تستند الى المزاح والاحساس، في اشكالها المغرقة في السفسطة ، ففي هذه الفترة اخذت الدماء التي تجري في عروق الشبان تنبض مناوئة طبقة البرجوازيين ، كما يقول فلوبير ، وبالتجربة والمران انبثق ضرب جديد من الفن بما فيه من اثارة واستفزاز . وبمعنى اخر ان الضرورة فرضت نفسها على الشباب ، فجعلتهم ينحون منحى خاصا ، لانهم ــ في تطلعهم الى ينابيع الحياة الثرة ــ حملوا على مواجهة مقاومة (ضارية) قليلة الحظ من الخيال ، تلك المقاومة التي ابدتها (اوتوقراطية) الرجعيين المجلببين برداء الوقار والحشمة . كانت هذه الانتفاضة في الواقع معركة بين عبث الحيوية وبين حيوية العبث . فاذا كان الناس المتسلطون على الرقاب يشكون في بعض الاحيان باهميتهم المادية ، فهم لا يعرفون للشك معنى في تقدير فضائلهم وصلاحهم وتفاهم . ان هؤلاء لم يصادفوا احدا يعارضهم ويناقشهم في حقهم الذي يدعوهم الى الالتزام بارائهم التي تؤيدها التقاليد جمعاء بحملها الثقيل

ومن هنا نكاد لا ندهش اذا هم القوا نظرة الاتهام والريبة على قلق جيل الشباب ، لان مثل هذا الاضطراب ليس نتيجة من نتائج البذور التقليدية ، المعترف بها منذ أقدم الازمنة على انها صمام الامان الذي يقي الشباب شرور الانتفاض . فمن المعقول ترك البخار يتسرب من الصمام ، لينطلق الى مناحي الحياة ، فيخف تاثيره ، ويقل ضغطه ، فهذا امر مفهوم لدى الشيوخ الاجلاء الموقرين ، الذين مارسوا هذه العمليات كثيرا ، اما ترك الحالة كما هي من غير ضبط واحتراس فجنون ما بعده من جنون ، وبخاصة عندما تدعم هذه الحالة بادلة وحجج ، وعندها تصبح المسالة قضية اخلاقية تنذر بالشر والثبور ، وتغدو سلوكا معيبا ، باعثا على النفور والاشمئزاز . وقد ارتبك هؤلاء الشيوخ حين واجهوا هذه المعضلة وراحوا يضربون اخماسا باسداس .

وفي الوقت نفسه اخذ انجيل هذه الحركة يجد بحثا عن التعبير عن الحياة باستخدام الفن كمدافع عنه ، قبل ان يكون حقيقة واقعة من حقائق هذه الحياة . صحيح ان هذه الدعوة كان لها عدد لا بأس به من المدافعين الفعليين ، ولكنهم قصروا نشاطهم على المحافل الادبية والفنية ، ولذا فان عامة الناس عدوهم جزءا من اسطورة القرن ، في اخر عقد فيه . فانتشرت الشائعات عن خبائث غريبة ، في مختلف المجالات . وذكرت اسماء بعض الفنانين والشعراء، المحدثين ، بعد ان لطخت سمعتهم بما عزيت اليهم من صلات مزعومة بالرذيلة . وقد جرت العادة ان يتناول الفنانون المخدرات في محافلهم ، وان يتناقشوا في الاجواء التي تنبعث من هذه المخدرات . وبذا كانت هذه البيئة تضفي على من يحبها من ابناء الخطيئة طابعا من الرومانسية لعدة سنوات . ومن هذه المخدرات كانت الحشيشة والافيون ، هذا بالاضافة الى المنبهات كالمشروبات الروحية، والعطور المختلفة والبخور والمطيبات . وقد استخدمت هذه الاشياء جميعا من اجل توسيع افق الوعي الاعتيادي ،وذلك بمساعدة بعض التمرينات والالعاب الرياضية .

ومن الطبيعي ان يكون للسن دخل في الاثارة الجنسية، واشعال نزوتها . ومن هنا نوقش هذا الموضوع بصراحة جديدة وباهتمام بالغ ، فطفق الكتاب يحبرون المقالات ، والقصص والمسرحيات ، ولذا اجتذبت هذه القضية العديد من الناس المتطلعين الى الثمرة المحرمة . وعلى هذه الشاكلة اخذت البحوث الجنسية توقظ الانفعالات الهاجعة في بعض الناس ، وتوحي بها الى الاخرين ، وبسبب هذا كله ، حدثت افعال خلقية شنيعة لتلائم هذه الحركة المتقدمة» .

ثم ان هذه النظرة الجديدة الى الحياة في الادب والفن، حملت معها كل جاذبية الجدة والجسارة ، والاثارة التي الهبتها هذه الامور بين مختلف صنوف الشعب ، تلك الصنوف التي اعتادت ان تعيش مدى سنين متاثرة بالانطباع القائل ان الاخلاق والاراء اشياء ثابتة بعض الثبات . ولكن روح العصر نفسه عارض مثل هذا الرضا والقناعة .

ثم بلغ السيل الربى ، فاخذ سماسرة الاخلاق يتجولون بحرية ، ويلقون الملاحظات الهدامة لتحطيم المبادىء المعترف بها ، والعادات المعروفة . وعلى ذلك ، شرع الشباب في التفكه بتمزيق الاثار التي ورثوها عن ابائهم واجدادهم . ومن هنا فان الجيل الذي تربى على ايدي تنيسون وبراوننغ، هو نفسه الذي حسب ماثيو ارنولد (الناقد) جسورا مقداما ، وكاد ينفر من سونبرن وروزيتي بسبب ما فعله روبرت بوشانان حين هاجم (مدرسة الشعر الجسدي) ، ولذا فمن حق هذا الجيل ان يصيبه الرعب من ظهور ابسن ونتشه . فراح بعضهم يهز راسه بحزن واسى ، لاذا بـ (لوكسلي هول) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ايها المؤلفون ـ الملحدون والقاصون والواقعيون وكتاب المقالات والناظمون العبوا ادواركم واصبغوا غار الطبيعة الفانية ، بالوان الفن الحية . وانكاوا مخازياخوانكم وعروا عواطفكم الوحشية ، فليسقط التحرز والحذر ، وليسقط الوقار والحشمة ـ الى الامام عراة ، كما خلقتم ، ليحدق الناس فيكم . »

اما المؤثرات التي تعاورت على امداد هذا الفن بالحياة، فلم تكن فرنسية باسرها ، ولو ان المنحلين الفرنسيين لعبوا دورهم المعروف في هذا الشأن . وفي خلال هذه الفترة اهتم الناشرون الانكليز باصدار روائع المترجمات من امهات الكتب الاوربية ، وبهذه الوسيلة ، اصبح بامكان الفكر الحديث ـ في هذا البلد ـ ان يتعرف على كتاب من اضراب تولستوي وابسن وزولا ونتشه ودانانزيو . والى ما قبل هذا الوقت كان جدار اللغة يجعل مثل هؤلاء الكتاب ملكا خاصا بالطبقات المثقفة . كما كانت الحالة مع الانحلاليين الفرنسيين الذين لم يمثلوا تمثيلا صحيحا ـ حتى الان ـ باللغة الانكليزية .

وتقديم هؤلاء الى جمهورنا ، يشبه فتح بلد جديد ، ليكون موطنا للمستعمرين المتلهفين عليه . ومن هنا ، فقد استساغ القراء اراءهم بحماسة ، حتى انهم استخدموها بكل عنف في نقد الحياة . واكبر ظني ان اول تاثير اجنبي في هذه الفترة ، كان تاثير هنريك ابسن ، الذي امتاز باسلوبه اللاذع في نقد الاخلاق التقليدية ، من طريق استخدام الدراما ، مما كان له ابلغ النتائج بالنسبة الى المفكرين من الناس ، والدراماتيكيين . ولم يكن نتشه معروفا الا عند قلة من القراء الذين يعرفون اللغة الالمانية ، وذلك في بداية هذا العقد ، ولكن قبل انتهاء القرن الماضي نقلت دار هنري للنشر جزءا من مؤلفات فريدريك نتشه ، الا انها توقفت عن ذلك ، فترة من الزمن ، ثم تم هذا العمل في سنة ١٨٩٦ . وفي هذه الاثناء انتشرت افكار نتشه بين الجمهور ، وفي السنة التي انجز فيها هذا العمل ، قدم هافلوك اليس دراسة عن هذا الفيلسوف الالماني الى مجلة The Savoy وفي الوقت نفسه ظهرت ملاحظات ونقدات في الصحف المعروفة يومئذ .

واول اشارة الى نتشه يمكن العثور عليها فيما كتبه جورج ايكرتون ١٨٩٢ . وفي سنة ١٨٩٣ كرس جورج دافيدسون صفحات في كتابه (جمل وفقرات) لفلسفة نتشه ، وفي هذه الصفحات يبدو الكاتب على اطلاع واف بهذه الفلسفة ، وخضوع تام لسحرها الاخاذ . واول مجلة بريطانية آزرت (الفلسفة الانانية) اصدرت بعنوان (النسر والافعى) وذلك في سنة ١٨٩٨ . وكانت تحمل تحت العنوان هذه الكلمات من زرادشت : (لقد اتفق اعظم الكواسر خيلاء تحت الشمس ، مع اوسع الحيوانات حكمة ودراية تحت الشمس ، ليستطلعا مناطق العدو ، ثم تستطرد الافتتاحية فتقول : (ان هذه المجلة مكرسة لفلسفة الحياة التي نطق بها نتشه وسترنر وثورو وغوته ، فـ(النسر والافعى) تعمل من اجل الاعتراف بالمثل الجديدة في السياسة وعلم الاجتماع ، وفي الاخلاق والفن والادب ، مدعمة قولها بما تحدث عنه نتشه حين قال (ان العنصر الذي يحب غيره هو بالضرورة عنصر من العبيد ، اما الاحرار فهم انانيون حتما ، فالعظماء ليسوا عظماء الا لاننا نركع امامهم . دعنا اذن نقف على اقدامنا ، كانت هذه الصحيفة الغريبة الطابع ، تصدر في كل شهرين مرة واحدة ، ثم اخذت تصدر بانتظام حتى ظهر اخر عدد من اعدادها في سنة ١٩٠٢ .

اما التاثير الخارجي الوحيد الذي كان همه الصراحة في التعبير فهو التاثير الذي بعثه اميل زولا ، ذلك الرجل الذي انتشرت كتبه المترجمة انتشارا واسعا ، بعد ان طهرت من (ادرانها) . فبيعت الالوف منها وطالعها الناس، وبذا تمهد السبيل للواقعيين (البريطانيين) من اضراب جورج مور ، الذي عرف بقصته (مياه ايستر) وهو ذلك الكتاب الذي احدث اكبر الهزات ، وارثر موريسون المشهور بقصتيه (حكايات من الشوارع القذرة) و (طفل تاغو) وسومرست موم المعروف بقصته (ليزا من لامبيث) .

وبهذه الوسائل جميعا تمشى الفن المذهل متبخترا مرحا وادعى لنفسه العديد من الاتباع والموالي . وهؤلاء يقسمون الى طبقتين : الفردية والاجتماعية . ويكون الطبقة الاولى رجال الحركة الادبية التي واكبت العقد الاخير من القرن الماضي ، وقد اذهلوا الناس بما عرفوا من ادمان فطري على النزوات والشطحات ، وحب للتجربة ، او بما اشتهر به عامتهم من تعلق بالدعارة والفحش . والشواهد على هذا الفن تذكرنا بقصة الرجل ، الذي راى والد الشعر الانحلالي فنبه صديقه بقوله : « ذلك الرجل الماشي هو بودلير ، أنا اراهنك انه سينام تحت السرير هذه الليلة ،بدلا من ان ينام عليه ، لا لشيء الا من اجل ان يدهش السرير . »

ومن نتائج هذه الطبقة تناقضات اوسكار وايلد الظاهرية ، ورسوم اوبري بيردزلي ، وبواكير قصائد ارثر سيمونز ، وكتابات ماكس بيربوم التهكمية . ولكن بعض الكتاب الذين اذهلوا الطبقة المتوسطة ، بما اصطنعوه من هزات فنية ، وضعوا ميزات اخرى في فنهم ، وملأوا حياتهم بحوادث مثيرة . وفي نظرنا الى اواخر القرن المنصرم نلحظ شيئا بارزا مؤداه ان الموت اجتذب معظم شخصيات هذه الفترة محتضنا اياهم . ذلك بان كلا منهم (عاش حياته الخاصة) وحين استدعاه القدر او النزوة ، لبى الدعوة سريعا ، وتحمل النتائج بنفسه . ومن هنا يصح القول بان معظم هؤلاء الكتاب ماتوا شبابا ، وبعضهم درج الى حتفه دون بلوغ ريعان الشباب ، كما ان غيرهم قصموا حياتهم بسبب قلة مبالاتهم ، وعدم التفاتهم ، وبعضهم اما قضوا نحبهم من علة خبيثة ، واما انهم حملوا مرض الروح والقلق، فعبروا تخوم الحياة باختيارهم تخلصا من الاعباء التي ناءت اكتافهم بحملها الثقيل .

يبدو ان هذه الشخوص البرمة بحياتها ، الشجية باحوالها ، كانت ظامئة الى الوفرة من الحياة ، وبخاصة حياة الساعة التي عاشتها ، ومن اجل ذلك كله تناولت الكأس مرة واحدة وجرعت ما فيها جرعة واحدة .

اما الفئة الثانية التي ارعبت الطبقة المتوسطة واذهلتها فتتألف من الثوريين والمصلحين الذين اثارهم الوضع الذي كانوا فيه فراحوا يعبرون عن الوعي الاجتماعي المتيقظ حديثا ، ذلك الوعي الذي طالب بالتغير في شؤون الدولة وبتوسيع آفاق الحرية الشخصية ، واستتمام الاحوال الحسنة بالنسبة الى الحياة ، والراحة للجميع . ويأتي في مقدمة هؤلاء برنارد شو الذي ادخل الجسارة

الذاتية الجديدة في نطاق المنطق والجدل الاجتماعي، وكان قصده من ذلك كله تحريك الوعي الاجتماعي لدى البرجوازية والزامها بالاخلاق العملية ، والغيرة الاقتصادية . وقد دبج غيرانت ألن قصته (المرأة التي فعلت . .) بالروح نفسها ، اعني انه اراد لفت الانتباه الى المصاعب التي تلازم عادات الزيجة عندنا .

اما الشخص الذي الهب التأثير المباشر في هذه الجماعة ، فلم يكن غير ابسن بالذات ، ولو انه لم يمد هذه الجماعة بكل افكارها . ومن هنا ، فان الفيلسوف النرويجي الدرامي ، هو الذي حدد موقف الثورة الاخلاقية . فهو نفسه ، وليس نتشه الذي علم الانكليز ، رجالا ونساء ، على تقييم قيمهم ، وعلى اختبار مدنيتهم بالنظرة الثاقبة الفاحصة الناقدة ، وهو الذي بين لهم مواضع ضعفهم . ونتيجة لذلك اهتزت الطبقة المتوسطة من جراء هذا الهجوم واصابها الرعب ، والهلع في الصميم ، في طول هذه الفترة من الزمن، اللهم الا باستثناء انهيار اوسكار وايلد وافول نجمه

ومع اختلاف هاتين الفئتين من الفنانين في اسلوبيهما ، وفي طريقة العرض ، فقد اتفق الذين انضووا تحت لوائيهما على المطاليب ذاتها ، اعني السعي من اجل الاستزادة من الحرية ، والتجربة ، والاحساس ، والحياة . وما حدث في انكلترا في ذلك الوقت لم يكن غير صدى ما كان يحدث في اوربا الغربية مدى عقدين من الزمن . وفكرة التوكيد على الوجود الذاتي وتحقيقه هي التي تكون جذور الموقف الحديث ، وهي الفكرة التي سبقت عصر امرسون في نفسه . وقد فسرها تورجنيف في مجاليها الواسعة في كتابه (آباء وبنون) الذي نشر في روسيا سنة ١٨٦٢ . اما عدمية بازاروف وهو البطل الذي ابدعه تورجنيف ، هذه العدمية لم تكن السناد الذي اعتمدت عليه الثورة الانكليزية ، الا في رغبتها العامة في الحرية . كما ان الرجال الذين عاشوا في اواخر القرن الماضي ، لم يغرقوا انفسهم في التجارب الحسية كل الاغراق ، ذلك بان كل غلو في المسائل الجنسية ، كان متفقا مع الرغبة الروحية .

ومن هنا فان الروح كانت تجرب السير على طريق الجسد بيأس قتال . وعلة ذلك ان العديد من السنين التي لازمت البيوريتانية والعقلية ، اثبتت سخف الخلاص بالاستناد الى الاخلاق ، وعبث النجاة عن طريق العقل ، ومن اجل ذلك فان روح العصر اليائسة الظامئة لم تر بدا من البحث عن الخلاص بالاخلاد الى الخطيئة . ولذا فالاعتراف بالخطيئة هو بداية الانتفاض على الاتجاه العقلي ، والشروع في احياء الصوفية . والظاهرة الاخيرة ابانت عن مكنونها في الحركة (الثيوسوفية (١)) وفي شهرة موريس مترلنك المفاجئة ، وفي العدد الكثير من حركات اعتناق الكاثوليكية ، والتوجه الى روما ، التي هي اول معقل من معاقل الصوفية المسيحية وآخر معقل لها .

ولا شك في ان الانحلال الخلقي هو شكل من اشكال مرض الروح ، والعلاج الوحيد لهذا الداء هو الصوفية . ثم هنالك بالاضافة الى هذا الشكل ضرب آخر من القلق الروحي ، وقد تأتى هذا من الحيوية الطافحة التي حاولت الاحاطت بالتقاليد . ذلك بان هذا القلق انبعث في عصر لم يعد ليلائم التطور الذي وصل اليه . ومن اجل ذلك ظهرت مفاهيم جديدة في الحياة ، والاخلاق وفي معنى الانسانية ، وهي متطلبات كان لا بد منها

لقد تعودت اجيال الناس على الثقة بالايمان القائل انه ليس من افكار اسمى من تلك التي تتعلق بالله والانسان . وكثيرون من هؤلاء كانوا يصرون على الايمان الدمقراطي الذي يذهب الى ان صوت الشعب هو صوت الله . ولكن ماكس سترنر وهنريك ابسن كانا يدخلان في روع الناس فكرة مؤداها ان ارفع ما توصلت اليه الانسانية هي (الذات) في معناها الفردي ، وبهذه الطريقة مهدا السبيل لنتشه ، الذي تنبأ باستبدال الانسان الاعتيادي بالانسان المتفوق ، ومن ذلك قوله : (ان الانسان جسر يصل بين الحيوان والانسان الكامل ــ وهو ذلك الجسر الذي يقع على الهاوية) ولكن راي نتشه هذا لم يعبر الى هذا البلد إلا في خاتمة القرن الغابر ؛ اما ابسن فكان هو المحرض الاجتماعي على الثورة . فقد قرئت مسرحياته ومثلت ؛ وكذلك فكرة الشخصية المتمركزة في الذات ، فهي ايضا قوبلت باستحسان بين (المثقفين) . يقول ابسن ــ في هذا الشان ــ في رسالة له الى جورسون (ان تحقيق الوجود الشخصي وكيفية تسيير حياة الانسان بنفسه ، هما ارفع ما انجزه المخلوق الانساني) وفي رسالة الى جورج برناديس يقول ابسن : (ان الشيء العظيم هو الا تبيح لنفسك التخوف من احترام الانظمة والقوانين . فالدولة نفسها لها جذورها في الزمن ، وهي بذاتها ستختم حياتها في الزمن . وستنهار اشياء اعظم منها ؛ وليس مفاهيم الاخلاق والفن خالدة بدورها ، وهل يحق لنا ان نضع ثقتنا في الايمان ؟ ومن يدري لعل خمسة تعدل مجموع اثنين واثنين في كوكب المشتري ؟) كتبت هذه الكلمات في سنة ١٨٧١ ، ولكن مسرحيات ابسن مثلت عشرين سنة حتى استطاعت افهام هذا المنطق للناس افهاما كاملا . . .

وفي الوقت نفسه ، فان معظم الناس اقتنعوا ببعض البديهيات ، ولكنهم اصروا على البرهنة عليها بانفسهم ، الا ان البراهين المعروفة ، المتفق عليها ، كانت كافية لاثارة الشكوك المريبة ، الى حد ان سيسل غراهام قال ــ في هذا الشان ــ (كلما رأيت الناس يؤيدوني فيما ذهبت اليه ، شعرت باخطائي دائما) (٢) وبذا يعبر الكاتب عن نزوة خاصة.

وطبيعي ان يكون هذا الموقف المترفع ، بعيدا عن مواقف جماهير الناس . وربما يعود سبب ذلك الى معرفتهم الضئيلة للمغامرات الفكرية والشعورية التي شغلت بال الطبقة المثقفة الرافهة . ومن هنا ، فان فن اذهال الطبقة المتوسطة ، لم يكن ليبعث الى الوجود لولا عون اعضاء تلك الطبقة بالذات .

كانت هذه ثورة داخلية ، وهذا ما جعل آرثر سيمونز يقول : (ان الرذيلة اشد اقليمية من الفضيلة التقليدية والرغبة في ارباك الطبقة المتوسطة هي ذاتها من هذه الطبقة ؛ وهذا حق لا مواربة فيه ولا ريب ،ولكن لا ينبغي التقليل من اهمية هذا الاتجاه . ومن هنا ، يصح لنا القول: ان البرجوازية اثبتت قدرتها على خلق نقاد يتناولون شؤونها بالنقد والتجريح، مع انهم كانوا ممقوتين مكروهين . واوائل هؤلاء النقاد انبثقوا من هذه الطبقة ، ولو انهم

(١) ومعناها الدقيق (محبة الله) ــ المترجم .

(٢) انظر في ذلك قصته (مروحة السيد وندرمير)

صديقي المجهول

اسائل عنك دروب الاقاحي
وورد الجنان
واسأل عنك بكل صباحٍ
وكل مساءٍ ... وكل اوانٍ
واشعر انكَ مني
لجسمي ... وروحي ... وفني
وانك كل ارتياحي
وكل التمني
واحلم اني اراكْ
بدغدغ روحيَ لفح هواك
تطوق خصري النحيل يداك
واصحو انا من خضم السرابِ
فابكي عذابي
وابكي هواكْ
واسأل عنك بكل مكانٍ
وكل صباحٍ وكل اوانٍ ْ
وحين اسير على الضفةِ
اراك تشاركني نزهتي
وتمشي معي
اشدك حينا الى اضلعي
اغني لقاك ... وتشدو معي
وحين يتوق الكرى ناظراكْ
هناك
هناك تنام على ركبتي
فانسى الزمان لدى فرحتي
وانسى عذابي ... وانسى جراحي
كأن جراحي ليست جراحي
واصحو انا من خضم السراب
فابكي عذابي
وابكي هواك
واسأل عنك بكل مكانٍ
وكل صباحٍ وكل اوانٍ
وفي المكتبه
اراك هناك على مقربه
تقلب بين يديك الكتاب
وتشرح لي من زوايا الكتاب
امورا عجاب
احملق فيك وفي ناظريك
والمح حتفيَ في شفتيك
واصحو انا من سرابي
على نغمات عذابي
وابحث عنك بكل مكان
وكل صباحٍ وكل اوانٍ
اسائل عنك دروب الاقاحي
وورد الجنانِ

الجامعة الامريكية بيروت — عصمت حمارنة

اتخذوا لانفسهم الاشتراكية مذهبا . وهذا واضح في فرديناند لاسال وك. ماركس، وفي وليم موريس وهايندمان وبرنار شو . اما اوسكار وايلد ، ذلك العبقري المذهل ، فلم يؤخذ اعتناقه الاشتراكية بشيء من الجد ، من وجهة النظر الاشتراكية ذاتها . اما مقالته (روح البشر تحت الاشتراكية) فقد عدت اعترافا مثيرا مدبرا ، اذ ينبغي لنا الا ننسى ان تلك المقالة كانت محاولة جريئة ، لان اعلان الاشتراكية على ملأ من الناس ، لم يكن ليقل في الجراة عن خروج احدى الفتيات وحيدة من بيتها من غير حام يرعاها .

ثم جر الادب الى خط النار يومئذ . ولم تغد القصص والمسرحيات اكثر صراحة حسب ، بل اصبحت الجمل نفسها لاذعة والافكار متناقضة ظاهريا ايضا . فلم يكن الناس قادرين على التنبؤ بخاتمة اي جملة ، لان الكلمة الاخيرة فيها قد تكون قطعة من المتفجرات . كما ان الناس لم يكونوا بمستطيعين على التكهن بما تنتهي بهم افكارهم المحببة اليهم ، في تجسدها الاخير . ومن هنا عشعشت المفاجآت في المحافل الادبية ، وبهذا كانت تعبر عن العصر الذي تخلخلت فيه العادات والتقاليد . وكما ان الادب الحديث نال ما نال من بريق ولمعان وروعة عن طريق التجربة والممارسة ، كذلك المغامرة فقد عودتنا على الحاجة للتنوع في الشخصية ، في حدود الحرية الواسعة ، وفي حق التعبير عنها .

العراق ـ بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروة

قصة سورية

انها تحتاج الطبيب ...

بقلم محمد حاج حسين

استقرت على مقعد بالقرب من الاستاذ زهير المحامي ، وحاولت ان تسكت طفلتها التي كانت تبكي . وظهر الحرج على الام المسكينة وسألها الاستاذ : لماذا تبكي هذه الطفلة ؟

ـ انها مريضة ، ولا اجد لها ثمن الدواء .

واخرج من جيبه عشر ليرات سورية وقال : ارجو ان يساعدك هذا المبلغ الزهيد . ولم تمد المرأة المحزونة يدها لتناولها . واستطرد المحامي قائلا : خذيها .

ـ سيدي لم اجيء اليك لاخذ صدقة منك . انا مظلومة ، ولقد طفت بجميع المحامين ليساعدوني في رفع ظلامتي ، فلم اجد منهم قبولا حتى اعتزمت الانتحار ، لولا ان ارشدني بعض ابناء الحلال اليك .

ومسحت دمعة ترقرقت في مآقيها . وابتسم المحامي الشاب مشجعا ، وقال : سأساعدك بكل امكانياتي .

ـ كل المحامين الذين قابلتهم ، قالوا انهم سيساعدوني ، حتى اذا عرفوا اسم خصمي صرفوني .

ـ من خصمك ؟

ـ كمال بك ..

وغلفلت نظراتها فيه ، لترى تأثير هذه الكلمة السحرية عليه ، فألفته يصغي اليها ، لم تتغير ملامحه ، فتشجعت وقالت : هل تستطيع ان ترفع عليه دعوى في المحكمة ؟

ـ نعم .

وتطلقت اساريرها وتمتمت : الدنيا بخير ما دام فيها امثالك .

ـ ما علاقتك بكمال بك ؟

ـ هذه الطفلة المريضة ابنته .

واتسعت عينا المحامي دهشة . امن المعقول ان تكون هذه الطفلة ابنته ، وهو ذلك الغني الكبير الذي يملك الضياع ، والاموال المكنوزة في البنوك ، التي جعلته مرهوب الجانب ، مسموع الكلمة عند الحكومة والناس لا يجرؤ انسان على معارضته .

وتأمل المرأة ، فوجدها تتمتع بجمال ساحر ، رغم الحزن الذي يغضن ملامحها . وقال اخيرا : تأكدي انني لن اتراجع امام الحق . ولكن ما علاقتك معه ؟

وكانت الطفلة قد كفت عن العويل فقالت المرأة : اشكرك يا سيدي . والله سيكافئك لانقاذ مظلومة .

وسكتت هنيهة ، ثم تابعت : كنت مخطوبة لابن عمي ، الذي كان يعمل في مصنع للاحذية ، عندما رآني كمال بك صدفة ، واعجب بجمالي ، فقد كنت في تلك الفترة على جانب كبير من الجمال رغم الفقر الذي نعانيه . وبعد ثلاثة ايام جاءت خادمهم الى بيتنا ، واخبرت والدتي ان ام كمال تريد ان تراني . ووافقت والدتي فرحة ، وطلبت الي ان اذهب فورا الى القصر لاحظى برضاها ، غير ان خطيبي مانع ، فصرخت به امي ، فسكت على مضض ، وذهبت الى ام كمال ، فاستقبلتني مرحبة ، وقدمت لي حلوى ، وفاكهة . ثم قالت لي : سمعت الكثير عن اخلاقك الطيبة ، لذلك قررت ان اساعدك .

ـ شكرا يا سيدتي .

ـ ستعيشين معنا في قصرنا .

ـ لا استطيع .

ـ لماذا ؟

ـ انني مخطوبة لابن عمي ، وساتزوج عما قريب .

ـ مجنونة . هل تتزوجين ، وانت في هذه السن الصغيرة ؟

ـ ما المانع ؟

ـ ماذا يشتغل خطيبك ؟

ـ في مصنع الاحذية .

ـ انه لا يستطيع ان يوفر لك طعامك ..

ـ نصيبي يا سيدتي .

ـ كلام فارغ . ستعيشين معنا وسنرسلك إلى المدرسة ، وستلبسين اجمل الثياب .

وشعرت بلذة لسماع هذا الكلام الجميل ، وتخيلت نفسي اسكن القصر العظيم ، والبس اجمل الثياب ، متلذذة بالاكل الشهي ، فكدت اوافق بيد انني خفت من والدتي ، فقلت : اشكرك يا سيدتي . ولكنني لا استحق كل هذا ...

فقاطعتني ضاحكة : تستحقين اكثر من هذا لانك جميلة وطيبة .

ـ اتريدينني أن اكون خادما عندكم ؟

ـ كلا يا عائدة . الخدم عندنا كثيرون . ساجعلك مثل ابنتي . اريد ان اربيك ، واعلمك ، لانني احب الفقيرات الطيبات .

ـ ولكن امي قد ترفض .

ـ اذهبي وارسليها الي لاتفاهم معها .

ورجعت الى البيت سعيدة . واستقبلتني امي بلهفة ، تطل من عينيها الاسئلة عن اجتماعي بام كمال وعانقتها وانا اقول : هنئيني يا امي .

ـ ماذا حدث يا عائدة ؟

ـ كنز فتح لي .

ـ اخبريني بالتفصيل عما حدث لك مع ام كمال بك .

وحدثتها عن كل شيء فاطرقت امي تفكر ، ثم قالت : يجب ان نرفض يا عائدة .

ـ لماذا يا امي .

ـ قلبي يحدثني بشر .

ـ ان ام كمال تحب الفقراء .

وفي هذه اللحظة دخل ابن عمي ، ولما عرف القصة ثار ، ولعن ام كمال بك ، وهددني بالذبح ، اذا استجبت لرغبتها . وصرخت فيه ، ورميت خاتم الخطوبة في وجهه ، وزعقت : اتريدني ان اتزوجك لابقى فقيرة كل حياتي ؟

وصفعني على خدي ، وتدخلت امي ، ففصلت بيننا .

ولم تذهب والدتي الى القصر في اليوم التالي ، ولكن في المساء جاء رسول ، اخذها معه ، وعادت بعد ساعة يعبر وجهها عن فرحة عظيمة ، وامرتني ان استعد للذهاب معها الى القصر .

وعشت في القصر انعم بالاكل الشهي ، والبس الفساتين الحريرية فازددت جمالا حتى اصبحت كبنات الاغنياء ، وكثيرا ما كنت اجتمع برفيقاتي ، فلا يعرفنني لاول وهلة ، ثم يحسدنني على هذا النعيم الذي اعيش فيه . اما ابن عمي ، فقد تركته غير اسفة عليه ، فقد استمتعت حقا بكل مباهج الحياة ، فكمال يدللني ، ويجلب لي اجمل الفساتين ، وعندما اشكره كان يقول لي : انك تستحقين اكثر من هذا .

ومضت ثلاثة اشهر نعمت في خلالها بهذه الحياة الناعمة .

وذات ليلة اويت الى غرفتي ، وكدت استسلم للنوم عندما سمعت حركة ، فكدت اصرخ لولا ان انيرت الغرفة ، ووجدت امامي كمال ، ففمت من سريري ، وانا اشعر بخوف شديد ... وطوقني بذراعيه وقبلني ، فكدت اصرخ ، ولكنه اغلق فمي بيده ، وقال : هل تخافين مني يا عائدة ؟

وتركني ، وجلس على كرسي .

والم بي الخوف ، وكدت اختنق ، فقد رأيت الشر في عينيه ، وقلت : ارجوك يا سيدي ان تخرج .

وضحك وقال : هل اخيفك الى هذا الحد ؟

وسكت قليلا ، ثم قال : لقد احببتك منذ ان رأيتك لاول مرة ، وطلبت من والدتي ان تأتي بك الى قصرنا ، لانقذك من الفقر . الست سعيدة معنا ؟

ـ اشكرك يا سيدي . ان الله سيكافئكم على معروفكم معي .

ـ اني احبك يا عائدة .

ـ اشكرك يا سيدي .

ـ يجب ان تكافئيني على حبي .

ـ بماذا ؟

وضحك وهتف : الا تعرفين ؟

ووثب الي ، وحملني بين ذراعيه ، والقاني على السرير ، وقبلني ، فسرت النار في جسدي ، ودفعته عني ، وبكيت ، وتمتمت : ارحمني يا سيدي .

ـ لا تخافي يا عائدة . سأتزوجك

ـ ولكنك متزوج يا سيدي .

ـ ستكونين زوجتي الثانية .

ـ ارجوك يا سيدي .. انا خادم عندكم .

ـ انك اجمل من زوجتي ، وسأتزوجك .

ولا اكتمك يا سيدي انني شعرت بلذة عظيمة .. انا الفقيرة يتاح لي ان اتزوج كمال بك ، واغمضت عيني مستسلمة لهذا الحلم الجميل وقلت : اصحيح انك تريد ان تتزوجني ؟

ـ بشرفي ، ستكونين زوجتي الثانية منذ هذه الدقيقة .

وضمني الى صدره ، فاستسلمت له هذه المرة مرتاحة النفس . اليس هو زوجي ؟

وتركني عند الفجر ، ثم اخذ يتردد علي كل ليلة . وكنت استعجله في عقد قراننا ، فكان يعدني بتحقيق هذه الامنية في اقرب وقت ، حتى استشعرت الخوف ، واحسست انه يخدعني . وتمثلت لي الهوة التي انحدرت اليها ، واظلمت الدنيا امامي وكتمت سري عن الجميع ، حتى انني لم اجرؤ ان احدث والدتي عنه .

وكبر بطني .. واستدعتني ام كمال الى غرفتها وعبست بوجهي ، وصاحت ، ما هذا الذي في بطنك ؟

وانفجرت باكية ، فلطمتني بعنف وصرخت : اهذا جزاء الاحسان . لقد اويتك في بيتي لتفضحيني . من المجرم الذي سبب لك هذا ؟

ـ سيدي كمال .

ـ كاذبة . ان ابني اكبر من هذا .

ـ اساليه .. وقد وعدني ان يتزوجني .

ـ يتزوجك يا حقيرة .. لقد افسدتيه . انك تستحقين الموت . اخرجي .

واسرعت الى غرفتي ابكي ، وتمنيت الموت .

وعند الظهر ، جاءت خادم ، وامرتني ان اغادر غرفتي الى مقر الخدم ..

وحاولوا اجهاضي ، فرفضت بعناد ، .. فما ذنب هذه الروح البريئة التي تتحرك في بطني ؟ لقد هددوني بالموت ، فوافقت على الموت ، ولكنني ابيت ان اقتل الجنين الذي يعيش في احشائي .. ووضعت اخيرا طفلتي المسكينة . ورفض ابوها ان يلقي نظرة عليها ، ووافقت على العيش مع الخدم ، لاحفظ حياة طفلتي البريئة ، .. الى ان استدعتني امراة كمال بعد ان سرى الهمس عن مأساتي ، وضربتني بغلظة ، وقسوة ، حتى سال الدم مني ، وانا استرحمها فلا ترق لي ، ثم نادت الخدم ، وامرتهم بالقائي خارج القصر مع طفلتي .

وخرجت منبوذة من الجميع ، وذهبت الى بيتنا ، فاستقبلتني امي باكية وهي تقول : هذا ما كنت انتظره

ومرضت امي ، وتعطلت عن عملها ، فقد كانت تذهب الى البيوت الغنية ، تكنس وتغسل ، لتحمل معها لقمة طعام تأكلها ، ومضت علينا ايام لم نجد في اثنائها سوى القليل من الخبز الذي يجود به علينا جيراننا .

ومرضت طفلتي ، فخشيت عليها الموت ، واخذتها الى المستشفى الحكومي ، فاخبروني انها بحاجة الى الحليب ، وليس لدي ثمنه ، وبحثت جاهدة عن عمل ، فلم يرض احد ان يقبلني خادما بعد ان انتشرت فضيحتي .

وسكتت المراة ، ومسحت دموعها ، ثم قالت : رفض الجميع مساعدتي لرفع هذا الظلم عني . انني لا استحق الحياة ، لانني مجرمة شريرة .. ولكن ما ذنب هذه الطفلة البريئة ؟ انا يا سيدي المحامي ، لا اريد شيئا من والد هذه الطفلة ، وكل ما اريده ، ان يخصص لها قليلا من المال لادفع عنها الجوع ، والمرض .

كان الاستاذ زهير يحترق الما ، وهو يصغي لهذه المأساة . وسحب نفسا طويلا من سيجارته وقال : انك مظلومة . والمجرم هو كمال . وسأنتزع حقك منه ، ولن اخشاه .

القاهرة — محمد حاج حسين

صدر حديثا

النمل الاسود

مجموعة قصص طريفة

لجورج شامي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امنية

*

أتمنى لو عرفت الحب مرة
وجرى في صدري الظامىء ينبوع مسرة
أتمنى لو دخلت الروض كي اقطف زهرة
للحبيب العذب اهديها
اذا امتدت بنا في الليل سهرة
في فؤادي من احاديث الهوى نبع معطر
من، ترى، يسمع اشعاري اذا الفيض تفجر
ما على الحلوة لو اصغت الى البوح المعنبر
ما عليها ، لو ملأنا القلب افراحا
ورفت في الضحى الحان مزهر ؟
مرة في العمر يأتينا الصبا
يا قلوب الناس، كيف العمر يمضي مجدبا؟
ليت لي في الامسيات السمر موعد
ارتدي من اجله كل جديد من ثيابي ومورد
واذا اقبلت يا محبوبتي الخجلى وسرنا
نملأ الشارع بسمات ،
وماذا غير هذا أتمنى ؟
يسأل الاصحاب : عشاق ؟
متى صاروا ، واينا ؟
وانا يحلو لي المشوار والهمس المعنى
حينما ينضب في قلبي الشباب
ويموت النور في عينيّ محروما ،
ويسودُ السراب
ارسل الطرف ورائي ، عبر ايامي الفتية
أتراني في زوايا الامس
استجلي ابتسامات بنية
وحكايات غرام ، ومواعيد صبية
أم تراني اطفىء المصباح
في ليلي الاخير لملاقاة مصيري .

الجامعة السورية بدمشق — ابراهيم الشعيب

الابراج

*

تركضين ـ تتركين النجوم ورائعاتنا ..
والافق هنا وهناك :
اشرعة من نور ، وراءنا .
يقرع بدوي جرس قديم : أنغامنا ..
تحكي لك عن حكايات « الحبال » وعن
أساطير « الابراج » ودفقات احاسيسنا
ترسم ظلالا من اغنياتنا الدافئة عن ..
رقصتنا التي لم نمارسها بعد، وعن لقاء :
لقاء عيوني مع انفعالات العيون في قمة
هرم شامخ كأبراجك ، هو رأسك الجميل
توقد فيك ـ بل فينا معا ـ فوانيس
أيامنا : الماضية ـ القادمة .
تعمل معنا في مرح وصمت
بلا ضجيج من كلام
تطلق انفاسنا وتسقي ميولنا المشتركة :
الانسانية ـ الراقية كالفكر البشري .
تريد من الحبال المتداعية حول عنقك :
الراسخ كالبرج ـ ان تفتشي عن الراعي ـ
أنت أيتها الفتاة : لتتصهرا معا
في بوتقة الخير والراحة
من اجل العمل والسعادة والابداع .
أيتها الحبال اللاهية كامواج
أو اشرعة في بحر
دعينا ننطلق ـ في دروبنا ـ نحمل حبالك
الى بحرنا :
الى وجودنا ـ الى حيث الشمس :
لا تزال تشرق .
دعينا نشرب سوية أنخابنا ، ونقطف
زهرة جهلت أنت في السابق اسمها .

حلب — عصام الزعيم

منازع العلم الحديث : الطاقة البشرية

بقلم ايـلي جنزبرج

استاذ علم الاقتصاد في القسم العالي لتخريج الادارة في جامعة كولومبيا

ترجمـة يوسف اسعد داغـر

كانت « كلية الملك » (جامعـة كولمبيا اليوم) لتشب عن الطوق بعد حين قام آدم سمث (١) ينشر في لندن ، عام ١٧٧٦ ، كتابه العظيم : « مصدر ثروة الامم » الذي يعتبر الحجـر الاساسي وقطب الدائرة في علم الاقتصاد السياسي . فهو يرى ان ثروة امة من الامم او شعب من الشعوب ، انما تقوم قبل كل شيء ، على نسبة ما يتوفر لمختلف طبقات الاهلين فيها ، من مهارات وكفاءات محيزة في الخبراء الاثبـات والفنيين وذوي الاختصاص. وقد تجاهل علماء الاقتصاد الذين جاؤوا بعده، نظريته هذه وتناسوا المبادىء الاساسية التي ترتكز اليها ، فاولوا الاولية في الاهمية ، للمال والآلة ، بينما الانسان او الطاقة البشرية تأتي عندهم في المرتبـة الثانية . وقد شددوا ملاحظين ، ان القوة الميكانيكية تعمل جديا على توفير الوقت وعلى الاقتصاد منـه ، وتساعـد ، بالتالي ، على اجراء تخفيض محسوس في نفقات الصناعة والعمل . فباعتماد الانسان على الالة يستطيع ان ينجـز في ساعة واحدة او بنصف ساعة ، ما كان يقتضيه صنعـه من قبل يوما واحدا او اكثر .

وقد شدد علماء الاقتصاد على ما للوفر او التوفـير من شان وخطورة في التطور الاقتصادي . صحيح ان الآلة تطلع علينا وتبرز للاستعمال اذا ما توفر المال اللازم لسد نفقات صنعها وثمن الخامات الاولى التي تدخل في تركيبها والتوفير المتصل يحققه الفرد يؤدي حتما الى تكوين راس المال . الا ان الوفر وحده ، مهما يكن من شانه ، ما كان ليستطيع يوما ان يحقق شيئا ، ولا ان يلحق أي تحسـين بأي شيء . فالافراد الذين تم لهم الاخذ بافكار ونظريـات جديدة ، مثمرة ، مبدعة ، خلاقة ، هم وحدهم يستطيعون ان يستثمروا او يشغلوا بالمشاريع الانشائية ، هذه المبالغ الموفرة المذخورة لديهم او الموضوعة تحت تصرفهم . وهذه الآلات التي طلع بها ، على اساس هذه الافكار والنظريـات الجديدة ، العلماء والمهندسون الذين استنبطوها ، ستبقـى ابدا شاهدا فيهم على قوة الخلق والابداع الممثلة في هذه الفئة القليلة المختارة ، اذا لم يتوفر في الكثرة ، في الطبقة العاملة الكادحة ، المهارة والتمرس اللازمان للانتفاع مـن خدمات الاجهزة الميكانيكية التي يطلع بها العلم يوما بعد يوم.

قبل طلوع الثورة الصناعية الحديثة قلما رأينـا الفرص والمناسبات تسنح امام الناس بمثل ما سنحت لهم بعد حدوثها لاظهار ما ركز فيهم من طاقات وتحييز ما اوتوا من كفاءات ومقدرات ولا سيما من وجهة كسب العيش . فقد كان سواد الناس في الحقب السابقة يحترفون الزراعة ويطلبون رزقهم من خبايا الارض ، من تربة ممساكة قلمـا جادت باسبابه مطواعة ، في عهد كان العلم لا يزال يرسف بالقمط ولم تكن القوة الآلية قد طلعت عـلى الناس بعد . ففي مثل هذا الوضع الموصوف ، لم يكن بغريب قط ، ان يعنى اشياع آدم سمث واتباعه والقائلون بمقالته ، برأس المال وندرته اكثر منه بندرة الاكفاء من رجال الاختصاص وذوي الصنعة واهل المراس . وفي هـذه الغضون برز اللاهوتي الانكليزي توماس ملتوس (٢) الذي عرف بنظريته الصارمة الشديدة التي جاء بها للحد مـن تناسـل البشر ونموهم الخطر واستطاع ان يضع حدا لهذا الاستبشار وهذا اليمن الذي هيأت اسبابه في القلوب والنفوس، تعاليم رجال الثورة الفرنسية الكبرى الذين نادوا عاليا وبشروا على رؤوس الاشهاد ان باستطاعة الانسان ان يبني مجتمعا

(١) آدم سمث (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) ، عالم اقتصادي اسكتلنـدي المولد والاصل ، كان السباق الى وضع علم الاقتصاد السياسي الحديث. اتصل بفريق محترم من كبار رجال العصر من الانكليز ، في جامعـة ايدنبره ، بينهم دافيد هيوم ، وجون هوم ، والدكتور هيو بلاير ،واللورد هايلز . تولى تدريس المنطق في جامعة غلاسكو (١٧٥١) والفلسفـة الادبية فيها (١٧٥٢ ـ ١٧٦٢) مصرفا اوقات فراغه في القاء المحاضرات : في اللاهوت ، والاخلاق ، والفقه ، والنظم السياسية . له في الفلسفة نظرية المشاعر الادبية التي طارت شهرتها في الاوساط العلمية (١٧٥٩) ربطته ورجال الفكر في فرنسا ، في عهد لويس الخامس عشر (١٧١٥ ـ ١٧٧٤) روابط متينة من الصلات فناظر طورغو وغيره من علماءالاقتصاد والتقى بفولتير في جنيف . انقطع للبحث والدرس مدة ٩ سنـوات كاملة في كيركا لدى مسقط راسه ، وخرج من عزلته بكتاب جديد هـو سبب شهرته ، ظهر مطبوعا عام ١٧٧٦ بعنوان : « بحث حول طبيعـة واسباب ثروة الامم » الذي يعد الحجر الاساسي ونقطة الدائرة في علم الاقتصاد السياسي الحديث ، حيث أتى بنظرياته الجديدة حول مصادر الثروة في الشعوب وتوزيع العمل ، والنقد والاسعار ، والاجور ، وتوزيع الثروة بين الطبقات وحرية الاتجار .

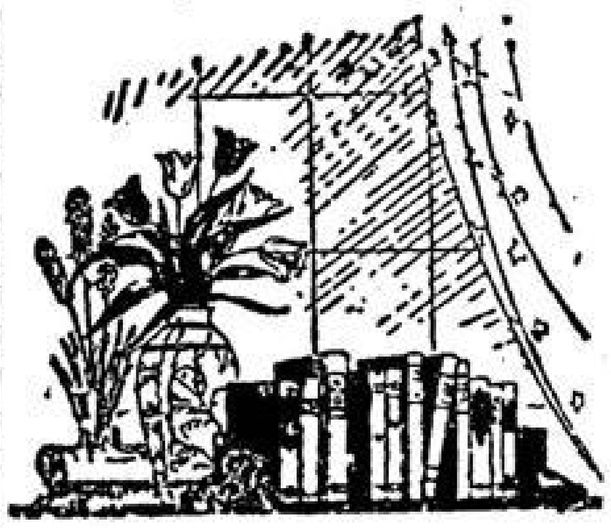
امثل ، فاذا بملتوس يصدم في النفوس هذا الامل المعسول، اذ اخذ ينذر الناس ويتوعدهم بشر مستطير من جراء ما يتكاثر عددهم وتضاعفه بحيث تعجز موارد الارض عن تامين ما يحتاجون اليه من رزق حلال فيختل بذلك، التوازن القائم وتضطرب الموازين والبروامیز ما لم يقم قسطاس عدل يضع الحدود ويقيم السدود ، والا تولت وضعها عنهم الحروب والمجاعات والاوبئة الجارفة التي يتعرض لها بنو البشر الحين بعد الاخر .

ففي السنوات المائة والخمسين التي انقضت منذ ظهور آدم سمث حدثت امور كثيرة ايدت الرجل في النظرية التي قال بها وعلم ، حول ما للطاقة البشرية من اثر بارز في تطوير اسباب التقدم والازدهار . ومع ذلك فقد داب علماء الاقتصاد النظريون ، على احلال المال والتكنولوجيا في المرتبة الاولى من الاهمية قبل العامل البشري . وقد جاء اسقاطهم الغريب للعنصر الانساني او للعامل البشري ، مدعاة للعجب ، اذ لم يكن ليعوزهم الدليل على ان استخدام العقل استخداما منهجيا في توسيع آفاق العلم وترحيب مجالاته وتطبيق هذا التقدم على التكنولوجيا ، كل ذلك يؤلف اللغز المطبق الذي يرتكز اليه الازدهار الاقتصادي . وحركة التصنيع السريعة التي يسر الاخذ بها ما رأيناه من تقدم العلوم والفنون والتكنولوجيا ، فتحت الباب على مصراعيه ، امام عدد كبير من الحرف والمهن والصناعات التي لم يكن للانسان عهد بها من قبل ، في ما استقرت عليه اسس الاقتصاد السياسي في شتى مرافقه ، ولا سيما في الزراعة والحياة المهنية . ولاول مرة في تاريخ البشرية برزت الحاجة لليد العاملة ملحاحة ملحفة . وقد كان من بعض نتائج النظام الاقتصادي الذي قام على اسس ركينة من العلم والالية والتقنية ان بلغ الانتاج القومي ، في الغرب اقله مستوى كافيا ، وفر معه المال ، وكثر بالتالي ، الوفر بين الناس والمال المذخور وهو مال يدر عليهم المزيد من الربح الحلال والدخل الزلال ، اذا ما استقامت امامهم وسائل استعماله وتفنن الدهاء باشكال استثماره .

وقد اقبلت بلدان شتى من بلاد الله الواسعة على الافادة من هذا التطور وعلى تشغيل الرساميل المذخورة لديها ، على نسبة مقدورة وانصاب متباينة من السرعة والتمهل ، والمبادرة والتباطوء. والمهم هنا ان كل دول اوروبا الغربية بما فيها الولايات المتحدة الاميركية استجابت لهذه الحركة وسارت ومطلبها العدل فاتجهت جهودها الاولى ،

(٢) توماس ملتون (١٧٦٦ ـ ١٨٣٤) لاهوتي انكليزي من السابقين في علمي الاجتماع والاقتصاد السياسي . نشر كتابه : « نظرة في مبدا السكان » طبع مرتين في عهد المؤلف نفسه الاولى عام ١٧٨٨ والثانية ، مزيدة منقحة عام ١٨٠٣ ، فاثار ظهوره عاصفة من الجدل والنقاش الحاد ، اذ قال بضرورة وضع حد لنمو سكان الارض وذلك بالحد من قدرتهم على التناسل والتوالد والا عجزت الارض وقصرت مواردها وطاقاتها عن ان تفي بسكانها المتزايدي العدد . فاذا لم يوضع حد لنموهم تولى الامر عنهم ما تستهدف له البشرية من اوبئة ووافدات تفتك بهم دوريا : كالامراض والحروب والمجاعات والفقر والفساد .

وله غير ذلك كتب اخرى منها : مبادىء الاقتصاد السياسي الذي ظهر عام ١٨٢٠ .



الأديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة يبدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 Tél.

المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

اول ما اتجهت اليه ، الى تحسين اوضاع البلاد والمواطنين فيها من الوجهة الصحية وتوفير اسباب التربية لجميع افراد الشعب ولا سيما الطبقات الكادحة منها . وما عتمت ان اصدرت تلك البلدان التشريعات والقوانين اللازمة لحماية الضعيف من جشع القوي وتكالب المستثمرين الاستغلاليين، فحددت حالات العمل وانواعه وظروفه وصروفه ومداه وساعاته ، كما حددت الحد الادنى لاجور العمال . كل ذلك تحت نظر القانون ومراقبته . وما ان آذنت شمس القرن التاسع عشر بالغروب حتى اتخذت تلك البلدان ، الجديد المستحدث من التدابير الاجتماعية للتسييج حول راحة الشعب كالتأمين الاجتماعي على العمال وحمايتهم من كل ما يستهدفون له بازدياد من كواره الالة العمياء التي تخبط خبط عشواء مما طلعت به رأسمالية ناشطة عارمة .

فقد حلا لانصار هذه الاجراءات المتخذة للاصلاح الاجتماعي ان يروا صلة وثيقة مباشرة بين هذه التدابير الاجتماعية الباهظة الثمن التي اتخذتها الرأسمالية في الغرب للتحسين من اسباب عيش الطبقة العاملة وبين الرقي المدهش والازدهار العظيم الذي حققه النظام الاقتصادي السائد . فلم تلق نظريتهم هذه قبولا واسعا بين الناس ، فاهمل امرها وصرف النظر عنها كوسيلة من وسائل الدعاية الفارغة والاعلان الاجوف .

ان عجز عدد كبير من اهل الحجى ورجال الفكر والعلم انفسهم عن تبين العلاقة التي تربط بين هذه الاموال المبذولة لانماء المهارات الصناعية والحرفية والاختصاص بين طبقات الشعب من جهة وبين الفوائد التي تعود على الانتاجية الاقتصادية من جهة اخرى ، يبدو واضحا عندما يتبين الواحد انه منذ القرن التاسع عشر حتى السنوات الاخيرة، القرن العشرين ، كانت تحت تصرف الرأسمالية المستثمرة من اليد العاملة اكثر مما تحتاج اليه ، مع انه امر يجب التسليم به اذا ما نظرنا الى المسألة من وجهة الكم او العدد . اما من وجهة النوع او الكيف ، فقد كان الامر على عكس ذلك تماما . فلم نر قط ان بلدا من بلدان العالم عانت من تخمة مما فيها من رجال الاختصاص فشكت مثلا من كثرة العلماء الاعلام البارزين ، والمهندسين المهرة المبدعين ، والاداريين اللامعين ، والسياسيين البعيدي النظر ، ونطس الاطباء والثقاة من الخبراء والعمال البارعين .

ان العلوم التي تمركزت حول دراسة الانسان اتت بحصيلتين هامتين للغاية وان بدت نتائجها في الظاهر متناقضة متعاندة ، في كل ما يتصل منها بمدى الطاقة البشرية وامر تطويرها والافادة منها . فمن جهة اولى هنالك ادلة تشير بصورة قاطعة واضحة ، على ان لافراد البشر من الوجهة الوراثية ، قابلية او قدرة محدودة يستحيل معها عليهم جميعا تحقيق اسمى المآتي واسناها على السواء . ففي كل جيل يطلع قلة ضئيلة جدا هيأتها الطبيعة واعدتها للقيادة والريادة والتوجيه في العلوم والفنون والادارة والحكم . وهذه الطاقة او القدرة على التجلي والتسامي واتيان العظائم الخوالد ، هي مقسطة على اقدار وانصبة ، لم يعط ملؤها سوى قلة مختارة مصطفاة في كل جيل . وهذه اولية لا يمكن ردها او دحضها على الاطلاق .

والحصيلة الثانية لها من البداهة ما للاولى ، وبالتالي لا تقل عنها وضوحا ورسوخا في الاذهان . ان هذه القدرات والطاقات الكامنة في بعض افراد الجيل مما يساعدهم على التجلي والتسامي ، ليست على الاطلاق ، وقفا على عرق واحد ، او جنس معين ، او طبقة محددة ، من عروق البشرية واجناسها وطبقاتها العديدة . فقد تأتي هذه الفلتات مَن المواهب والقدرات في أي منها دونما استثناء يؤتيها ربك من يشاء وانى شاء . الا ان بروز هذه القدرات لتؤتي اكلها وتعطي طلعها المرجى ، وابقاءها مكبوتة ، يتوقف قبل كل شيء ، على الفرص والمناسبات والظروف المؤاتية التي تنهز لهذا الفريق الضئيل من حملتها واصحابها ، في عهدي الطفولة والحداثة واليفع .

من الخطل في الراي وقصر النظر في الامور ان نظن او نذهب للظن ان ما تتمتع به الولايات المتحدة الاميركية اليوم من ازدهار واشراق في اقتصادها ومرافقها ، وماتنعم به في العالم من صدارة انما هبط عليها ، بردا وسلاما ، من السماك الاعلى ، وافاءت به عليها السماء من فوق ، دفاقا جزافا ، بحيث جاءت هذه الدولة عفوا في مقدمة دول الارض واممها ، امة تضم خير ما يرفل به العالم اليوم من ثروات طائلات ، وموارد سابغات ومستوى عيش رفيع . الا انه من الخرق في الراي ايضا ان ننكر او نحاول ان ننكر من جهة اخرى ، ان مستوى الازدهار الذي حققته اميركا وحيزته ليوم ، كان يمكن ان يأتي دون ما هو عليه من اشراق وسناء ، وقدرة وبناء لو لم تتوفر لنوابغ الاميركيين المغمورين استواء الفرص والمناسبات السانحة لغيرهم ممن هم اوسع بسطة ونعمة ورخاء ، فاتاحت لهم النواهز الطالعة ، ابراز ما فيهم من طاقات وكفاءات واظهارها على احسن وجه . كذلك ليس من الوهم والغرور بشيء ان ندعي هنا ، بان هذا الازدهار والرفاه ومستوى العيش الرفيع تسجله نهضة الولايات المتحدة لكان تجاوز ابعد ما هو عليه وبلغ في تحليقه الى ما هو اعلى بكثير ، لو اتيح لجميع ذوي المواهب المغمورين من الاميركيين ، الفرص المساعدة على ابراز ما فيهم من قابليات وطاقات على التحلق والتجلي والابداع .

ولذا ، فالطاقة البشرية هي في الوقت الواحد قسمة الانسانية الضئزى ، والنفحة المقدورة المباركة التي انعمت بها الاقدار على الانسان . ان العلامة والرتبة او الدرجة يسجلها تطويرنا الاقتصادي وزخم الازدهار في حضارة ما من الحضارات البشرية ، مرتبطة الى حد بعيد ، بمقدار الافادة مما فينا من طاقات وامكانيات الى اقصى حد . وعلى هذه القدرة في استثار الطاقة يتوقف اكثر من هذا بكثير . ويطيب لنا ان نؤكد هنا ايماننا الوطيد بان الرجال الاحرار المتمتعين بالحرية وحدهم يستطيعون استخدام مواهبهم الى اقصى حد . فعلينا والحالة هذه ، ان نبذل المستحيل ونضحي بالغالي والعزيز لنكون منطقيين مع انفسنا . فالديموقراطية الصحيحة لا يمكن ان ترمى بالعجز والتقصير اذا ما عرفت ان تبقى امينة لنفسها ، مستجيبة لصوت الحق فيها ، خليقة لرسالتها .

يوسف اسعد داغر

قصة عراقية

الموقف

بقلم منير امير

سيذهب هو .. وابقى انا في انتظار سيارة اخرى عند الموقف المقابل على الرصيف الاخر من هذا الشارع ، لتأخذني في جهة معاكسة لاتجاه السيارة التي سيمضي بها صديقي . ان ندما ينتابني الان . انه يتضاعف .. انه يمزقني . ما الذي جعلني اوافق على التوغل معه الى هذه المنطقة .. هذه المنطقة التي اصبحت لي فجأة الان موحشة مكروهة رغم نقاوة هوائها ونظافتها . اما كان بامكاني ان اعتذر من البداية .. اعتذار بسيط كان يكفي فاعود الى بيتي بسهولة . اريح انا نفسي واتركه هو يدفع الثمن . لا . لا .. لم يكن ذلك من طباعي . اعماقي اللعينة تلك التي تصر على ان تجعلني طيبا . رغبتي الاكيدة في ان اكون محبوبا في هذه الدنيا . وكراهيتي الشديدة لرؤية الوجوه عابسة او فزعة ، ومشاهدة انطباع الكراهية او الالم والانزعاج فيها .

لم يولد الانسان ليكون سخيفا هي حياة واحدة .. ويجب ان لا تكون سخيفة . وصديقي هنا .. واقفا قربي .. بعيدا بنفسه عني . كل همه وتركيزه الفكري .. ان تأتي سيارة تقله الى بيته . انه اناني . وغريب عني . في هذه اللحظات ليس هناك اي ماض يربط بيننا ولا اية علاقة ولا اي شعور متبادل متقارب .. وجاءت احدى سيارات المصلحة . اشار الي مودعا .. وقفز فيها . انه لم يرني تماما . واشارته بالوداع ليست كاملة واضحة ..

وبقيت وحيدا . وهكذا دائما . اوصل اصدقائي الى بيوتهم واعود انا وحيدا . اني نادم هذه المرة . اشعر باني اعطيته من نفسي كثيرا .. ولم يستحق هو ذلك . ان المرارة تملأ نفسي وتسمم طيبتي .. فانا اود ذلك الصديق .. اوده حقا .. ودا عميقا مؤثرا . ذلك الصديق الصامت الهادىء ، كم كان صوته جميل الوقع طوال الطريق وهو يسرد لي كل ما قراه في مجلات انكليزية واميركية تبحث في الفن المسرحي .. ولقد طاب له ان يمضي في حديثه وقد وجد مني اذنا صاغية وفهما سريعا .

كان صوته بالنسبة لي كموسيقى تصويرية تسند كلماته التي تتحول في ذهني الى صور صامتة ملونة . صور لوجوه الممثلين المسرحيين والممثلات ، التي ابدعتها يد (الماكير) حسب الدور الرائع المطلوب . وصور (للديكور) . والانارة العامة المناسبة لكل مسرحية . الالوان الفاتحة المبهجة للمسرحيات الخفيفة المرحة ، والقاتمة للقاتمة : كما يقول صديقي ويعيد .. وكأنيه يجهلكم انا ادري اولاادري .

قد يكون الوقت تجاوز الحادية عشرة ليلا . فالظلام اسود عميق والشوارع الجانبية اصبحت خالية الا من كلب او كلبين يأتي صوتهما خافتا من بعيد . اما الشارع الرئيسي فلم يكن هناك ما يحرك صمته المستمر غير تاكسي واحد او اكثر . اشعر بمرورها الخافت السريع .. بما تلقيه اضواؤها على جسمينا حيث تتكون ظلالنا على الرصيف والجدار المقابل . كان صديقي يتكلم باستمرار وبشيء من الحدة التي تسببها له حماسته للفنون الجميلة بصورة عامة والفن المسرحي بالاخص . وكان هناك اشياء تقفز الى ذهني بسرعة خاطفة فلا تستغرق مني زمنا ولا تعيق استمراري في الاصغاء الى كلام صديقي او قطعه : في ذلك المنزل رأيت مرة امرأة طرية الجسد مرحة ترضع طفلها في فيء الشرفة .

وهناك في ذلك البيت الذي مررنا به قبل لحظات ، حديقة صغيرة طويلة وضيقة تبدو معتمة عند المساء عادة وتوحي لي بان فيها ازهارا بيضاء . كان ينبغي ان توجد فيها ازهار بيضاء تثير في الرغبة في رسم لوحة زيتية.

لكنها الان ونحن نمر بها . مظلمة سوداء ميتة . وفي رواق ذلك الدار ذي الباب الخشبي ـ المغلق الان ـ والذي اراه مرات مفتوحا عند العصر حيث يجلس رجلان عجوزان يتباريان في الشطرنج . الباب مقفل الان والعجوزان نائمان . وفي نافذة ما ، طفلة جميلة صغيرة سمراء غامقة . كما وان هناك كلب ضخم . مزعج للناس بقدر ما هو مدلل من قبل اصحابه . لا ادري لماذا اشعر بوجود مثل هذه الاشياء عندما امر بهذا الشارع ليلا . نعم كانت تنبثق في ذهني ايضا بضعة اسئلة واعتراضات مفيدة اهم بان اقولها .. اطلقها على صديقي .. لكنه لم يترك لي مجالا .. لم يترك لي مجالا قط

كنت في مثل هذه اللحظات انتبه بشكل عفوي الى اني في شارع وليس في قاعة ولا على خشبة مسرح ولا في غرفة ماكياج . وانتبه الى ان الوقت يمضي والليل يطوينا ، وهناك عملي الذي اعيش براتبه ينتظرني صباحا في الدائرة . وكان مرور سيارة المصلحة ، كأنها غرفة طويلة مضاءة توحي بالدفء والاستسلام للجلوس ، تذكرني باني احمل هوية الركوب المجانية . لم يكن في نيتي ان اقاطع صديقي واقول له : اني قد ابتعدت كثيرا عن المحلة التي اسكنها . وسوف اضطر الى ركوب سيارتي (مصلحة) تقطع ـ كل منهما ـ بي مسافة طويلة كاملة حتى اصل الى البيت . لكن صديقي وقف فجأة . قرب احدى الاشجار النابتة في مربع صغير في الرصيف . لم افهم سبب وقوفه في هذا المكان بالذات ، ولم اكلف نفسي مشقة سؤاله عن السبب طالما كان ماضيا في التحدث عن المسرح والتمثيل اللذين لا انكر ابدا شغفي الشديد بهما . كان المكان جميلا . شجرة خضراء داكنة تبدو فيها بقعة صفراء بتأثير مصباح مجاور . وامامنا عبر الشارع الرئيسي قصر .. تصميمه

الهندسي حديث وصحي . وعلى حين فجاة خطر ببالي ان اسأل صديقي :

ـ الا يزال بيتكم بعيدا عن هنا ..

ـ مسافة طويلة .. اني بانتظار سيارة .

ها لقد فهمت سبب وقوفه . وادرت عيني باحثا عن قطعة تشير الى ان هذا المكان هو موقف سيارات فوجدتها . اذن سينتظر صاحبي سيارة تقله الى بيته . ذلك البيت الذي اراني اياه مرة قبل ان يتم بناؤه : في منطقة منعزلة يكثر فيها النخيل ، والكلاب التي تحرس اكواخ البسطاء . ولم يكن هناك في تلك المنطقة قصور قريبة . هناك آثار تدل ان هذه المنطقة ستزدهر في المستقبل وتمتلىء بالقصور العالية التي ستزدري هذه الاكواخ الواطئة البسيطة التي تطيح بها رياح ليست سريعة جدا.. اذا ذهبت بعنف والآن وقد تم البناء سكنه صديقي مع عائلته . انهم كانوا يبحثون عن مكان هادىء وصحي . ويظهر انهم وجدوا ضالتهم هناك . وتلك المناطق تتشابه بالنسبة الي . حتى اني قد اضل الطريق اذا ذهبت بمفردي يوما ما لزيارته .. في داره الجديدة .

في هذا العصر لا يتاح للصديق ان يلتقي بصديقه الا نادرا . كلانامشغول بنفسه وبعائلته ومطالعاته . انه يقول لي دائما انه يرغب في صحبتي . وبوده لو يزورني في البيت لنقضي وقتا طيبا لكني بالكاد ابقى في البيت بعد مجيئي من الدائرة ، فلا نلتقي اذا ما جاء . وهذا اللقاء ـ الليلة ـ لم يكن مفروضا . كان مصادفة .. كان اليوم الجمعة ورأيته ورآني في احد الشوارع القريبة من (ابي نؤاس) ولم يكن لدينا كثير وقت . وكان على كل منا ان يقص شعره عند الحلاق فليس لدينا وقت اخر نخصصه لمثل هذه الاشياء . ومن ثم ـ بعد إنتهائنا من الحلاقة ـ مضينا نسير حتى هذا الوقت . وكان هو كالعادة يفضل المشي الذي يقودنا باتجاه بيته .. كي يقرب الطريق بالنسبة اليه . فانا في نظره احمل هوية مجانية ولا يهم مهما بعدت بي المسافة طالما هناك سيارات مصلحة نقل الركاب . كان صديقي ينظر باتجاه السيارة القادمة. كنت قد شعرت حينئذ انه نسيني . واستيقظ شعوري بالوحدة . ثم ذهب هو اخيرا وتركني وحيدا ...

لقد ابتلع الظلام السيارة التي ركبها صديقي . ولم يبق امامي الا ان اعبر الشارع الى موقف السيارات المقابل . كان الشارع نظيفا هادئا . والعتمة تظلل الموقف ، على ذلك الرصيف .. وقد نبتت فيه شجرة ضخمة .. اسندت ظهري اليها . وانطلقت مشاعري تنساب . تثير في ذكريات كثيرة حزينة . دائما كنت المخلص ـ الفظيع في الاخلاص ـ للاصدقاء . طيبتي تزعجني احيانا . اوصلهم الى بيوتهم واعود انا وحيدا.

ما اكثر هذا في حياتي . تمنيت ان اصبح انانيا . على شيء من الانانية على الاقل . والا فاني ساكره اصدقائي بعد الان . ولا ادري لماذا وصلت بي ذكرياتي الى تلك الايام الماضية التي كانت تسيطر علي فيها قوة مؤلمة ساحقة فظيعة تحثني على الانتحار . العالم صعب وغير انساني واحيانا غير طيب . وانا ماذا افعل في هذه الدنيا .. وحيدا .. رغم ان لي اصدقاء كثيرين . حتى هنا في هذا الموقف .. انا وحيد . اين سيارات المصلحة الان لتنقذني . التاكسيات الانيقة تمر سريعة خفيفة تقترب مني ثم تبتعد في لحظة . وحجمها يصغر ويصغر .. وصوتها يخفت ويخفت . انها لا ترحمني قط ولا يكلف اصحابها انفسهم .. بأن يقفوا عند هذا الموقف ويسألوني هل ارغب في العودة سريعا ؟ كلها تمر دون توقف .. كأن هذا الانسان الواقف غير موجود في العالم . وتحسست جيبي . اخرجت الهوية. وقد اعتدت ان اضع في غلافها بعض ورق النقود . وفي ضوء المصباح لاحظت ان ربع دينار موجود فيها . فاذا ساءت الامور .. وتأخر الليل بي جدا . فاني اعود باحدى التاكسيات

لم تكن معي ساعة اذ لم اكن قد اشتريت واحدة بعد . قد يكون مضى على منتصف الليل كثير .. من يدري . ولن يكون هناك سيارات المصلحة بعد . شعرت بأسى عميق يغمرني ويجعلني اشعر بالضعف الشبيه بضعف الطفل البريء امام الكبار الاقوياء الذين بيدهم مصيره . واشتقت الى التدخين . لست مدخنا ولكني الان بودي لو املك سيكارة.. لادخنها في هذا الليل الموحش الساكن .. اقاسي ، لماذا لم اسأل صديقي عن الوقت . انه يحمل ساعة في جيبه . ولماذا .. آه . لشد ما اكره الندم . اين سيارات المصلحة بحق السماء . لو ان الوقت يقاس بافكار الانسان ومشاعره لكان قد مضى علي بضع سنين .. لكن . قد يكون كل انتظاري هذا لا يعادل اربعة دقائق . آه كم في الزمن وقياسه من عدم انسانية .. وانتبهت الى صوت اقدام خفيفة تنتقل على الرصيف . كان في العتمة هناك شاب وشابة يتحادثان بصوت خافت هادىء .. ثم يقتربان . ويقفان قريبا مني ، في الانتظار ..

وزالت وحشتي . هنا من يشاركني ولم احس بالوقت بعد ذلك فقد غمرني شعور لذيذ مريح . واصبحت اشعر بطعم الهواء الطلق الذي يتهيم في هذه المناطق والمختلف تماما عن هواء المناطق المليئة بالازقة الضيقة القذرة التي اسكنها انا . حيث الهواء خامد ميت . كان الليل يتقدم ولا شك .. لكني لم اجد في نفسي رغبة في سؤال الشاب عن الوقت. لم اكن راغبا في تكدير صفاء غيري . انه كان ماضيا في حديث خافت مع الفتاة . انها خطيبته : هذا ما استنتجته من اتزانها وطريقة كلامها الواثقة الصريحة مع الشاب .. وحينئذ طرق سمعي صوت ماكنة السيارة . انها سيارة المصلحة . اني اجزم بهذا قبل ان اراها .. والتفت اليها . انها تقترب منا . وتقترب .. مخفضة السرعة .. الى الرصيف . انها تقف لنا . وذلك هو السايق جالسا بهدوء وشعور بالمسؤولية ، بدا لي نبيلا جدا ... ومحبوب . انه اعز من اخي نفسه .

لقد فتح لنا الباب .. وانتظر صعودنا .. ثم اغلقه .. وانطلق يشق الشارع الى الامام .. وغصت في المقعد بارتياح . لقد غمرني سرور عظيم . لقد انتابني احساس جديد بالحياة .. عنيف ومؤثر . ان في هذا العالم طيبة وانسانية وانتظام .. وانا لست وحيدا كما اعتقد .. لا .. لست وحيدا ...

بغداد — منير أمير

الزنبق الذي مات

لمـدوح السـكاف

○

حمص ـ سوريـا

●

مرة تعلقت باهداب السماء
وجدفت
حتى جرحت صدر السكون
وطويت الغبار الاشهب
على جرحي ..
وكان همي الاوحد
ان اصل اليكِ ..
واصلي من اجلكِ ..
ولكنني ـ واأسفاه
لم استطع
لان في جرحي
شظية من نسيانك ..
ولان وجهك المرهف
قد أغضى ..؟!

★

كانت الاشجار حولي سامقة
وكل شيء
يوحي بالموت والانفعال
حين مزقت الصمت الاعمى
بنظراتي الجائعة الهلكى
وبحثت عنك طويلا
طويلا ، تحت الانقاض
وتحت الظل الملون ..
وفي الفراغ والوهم ..
وفي حنايا القوقعة ..
ولكنني لم أجدك
فحزنت ...
وأصابتني رعشة
من بكاء كسول ..
وحيرة وطول التواء
واستويت على المقعد كهرم
في خريف العمر ..
ورحت انشج
بصوت متعب مبحوح
وشهقات غبراء

★

حتى الجدار الجامد الاخرس
اهتز وتحرك وفتح فمه وتكلم
لهفة للقاء !!
حتى الارض الملساء الناعمة
استقبلتني بفرحة سمراء
حتى الصور المتناثرة
هنا .. وهناك ..
هتفت محيية بشوقها الوحشي
حتى الزهور الذابلة المريضة
ضحكت وصفقت حين رأتني
وعاد اليها الربيع
يبث فيها الحياة
الا أنت
كنت الوحيدة
التي احتفظت بصمتها
وها قد بلل الدمع نجاواتي
ولم اسمع منك همسة او حرف

★

سأسرق ـ غدا
كل الامل والرواء
من صدرك
وسأحرق ريشتي
ولوحاتي ودفاتري
وسأحطم الكأس
الذي لامسته شفتاك
وسأكسر المنضدة
التي اتكأت عليها
وسأدمر كل ذكرياتي
كل شيء يجعلني أتصورك
أو يعيد كلماتك الخجلى
على مسامعي
فأنا أحيا للزنبق
والزنبق قد مات ودفن
ونبت الشوك
على قبره الاجرد

★

آه .. أشعر ان الصقيع
قد دب في أعراقي
وانني انهار ..
رويدا .. رويدا
ولكنني ان مت
فسأكون مستريحا
لان الزنبق قد ذبل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عيناك

لحسين رشيد خريس

جامعة الدول العربية

القاهرة

أعيناك أم زهرتا نرجس ... ترفان فوق حنايا الغدير
تفاديهما نفحات النسيم ... وتسقيهما طيبات العبير
يشعان مثل نثير الضياء ... تساقط من فوق طل عطير
أرى فيهما ومضات الحنين ... وأسرار قلب صفي كبير
واحلام روح شقي غدا ... يجوب الزمان ويطوي الدهور
يطوف بين أماني الورى ... ويبحث عما تكن الصدور
ففي كل ثغر له بسمة ... وفي كل قلب دماء تثور
ومن خلف هام السحاب القلي ... تطل شموس وترنو بدور
ومن عالم الخالدين البعيد ... نداءات أرواحهم تستجير
وكان التقائي به صدفة ... على مقلتيك جناحا يطير
له ريشتان بلون السماء ... نسيجهما من خيوط الزهور
تذودان عن مقلتيك العيون ... وتحميهما من هجير الصدور
وأرنو وقلبي على ناظري ... يذوب رجاء كطفل غرير
فأغمض طرفي عسى ان يكف ... ويكتم في الصدر سري الخطير
ولكن قلبي كما تعلمين ... تمادى وأمسى عصيا نفور

* * *

أعيناك واحسرتا منهما ... ويا لهفتا ان أطل المساء
وساد الظلام وراح الانام ... تعاودهم ذكريات الشتاء
وظل الخليون فوق الدروب ... سكارى يعبون هذا الفضاء
عدا انني في احتضار الغروب ... وفي مصرع الشمس تحت السماء
وفي رعشة الافق اما غدت ... طيور الحقول تذب الهواء
ترف حنينا وقد هالها ... اصطباغ الغيوم بلون الدماء
أحس انتفاضات قلبي الكئيب ... تخضب بالحزن وجه المساء
فأوي وحيدا الى حيث أبقى ... أعلل نفسي بذاك الرجاء
عسى ومضة من رؤى مقلتيك ... تبدد عني غبار الشقاء
وتؤنسني في ظلام الحياة ... وبين دروب الضنى والعناء
فيغدو فؤادي وقد فجرت ... به مقلتاك معاني الصفاء
هزارا يغني على أيكة ... لاجلك والحب لحن الوفاء
واغدو مع السائرين الذين ... يغادون أفراحهم والهناء

* * *

أعيناك يا لهفة في القلوب ... ويا دفقة من سناء حبيب
ويا بسمة في ائتلاق الصباح ... ويا فرحة للحزين الكئيب
ويا مهبط الحب ، سر الخيال ... ومجلى الجمال ووحي الاديب
ومطمح كل شقي مضت ... به ذكريات وناءت دروب
أعيناك يا سر هذا الوجود ... ويا افقا من خيال رحيب
فيا قدرة الله كيف التقت ... على مقلتيك أماني القلوب
فللشاعرين الشداة أغان ... تقدس هذا الجمال الغريب
وللوالهين الحيارى منى ... اذا ما احتواهم ظلام الغروب
وللزارعين بآمالهم ... رجاء يعايش تلك الحبوب
وللحالمين على مقلتيك ... مراح وحب ولحن طروب
تسامت اليك قلوب العباد ... فمنها بعيد ومنها قريب
ومنها يحلق بين الجفون ... ويهتف تحيا عيون الحبيب
واخرى على الذكريات المواضي ... تنزى دماء وتصبو لهيب
فمن مقلتيك دنى العالمين ... تبدى بثوب جميل قشيب
ومن مقلتيك الهنا والرضا ... وهذي الدموع وتلك الكروب

في درب الحياة

*

آنا أمضي ، وكل شيء توارى
خلف نفسي ، خلف الدجى ..عبر صمتي
أنا امضي .. وذكرياتي تهاوت
نى ضباب .. في موجة من غباء
آنا امضي ، وفي ضميري شعاع
يتلظى على شموع الرجاء
أنا أمضي ، فيا صحارى اطمئني
سوف اسقيك من سواكب فني
وأمامي : عزيمتي ، يا صحارى
أي رمل ، وأي تل جديب
لم يتوج ببرعم من غنائي
أنا أمضي ، وكل شيء ضباب
وصحارى رملية الانحاء
كلما هبت الرياح اضمحلت
خلف خطوي آثار سيري ورائي
« أنت انسان » رن صوت اله
في صميمي ... « بدربك اللانهائي »
أنا انسان ؟! حزمة من شظايا
توري الليل .. شعلة من عطاء
فاحملي يا رياح مني التحايا
للصحارى .. لكل كهف نائي
لجحور الجرذان .. للدود للعشب
المندّى لهذه الاشذاء !!
نعيون الصغار .. رفرافة الاهداب ،
تهفو الى انطلاق الضياء
للشفاه الظماء تحلم بالري
وتغفو على لظى الحصباء
جرعيها ، فلست املك الا
ما بصدري ، فجرعيها دمائي !

بغداد — تركي الحميري

الباب المغلق

*

البابُ المغلقُ ،
والوحدةُ ..
تطبقُ ..
والليلُ الصامتُ ..
وزوايا أربَعْ ..

*

وهواجسُ تُحرقُ ،
والعقدةُ ..
تخنقُ ..
والاملُ الباهتُ ..
وكيان موَجعْ

*

صارتْ دنياي َ .. قذفتُ بها .
كالطائرِ ، يقذفُ في أتونِ .

*

في الظلمةِ أبحثُ ..
لا أتعبْ ..
أتحسّس بيدي أقداري ...
ونفاياتي .
ملأت أرضي ..!
وسأبقى أبحث ..
لا ألغبْ ..
أتلمسُ عتمةَ أغواري ..
دنيا ذاتي ..
لا آلو أتحرى عن بعضي
بعضي المفقودْ .
أتحرّى ... وفؤادي مصباحي ..
ودِماهُ وَقودْ .
عن مفقودي ..؟
عن مفتاحِ ..؟
عمّا يَفتحُ .. بابي المغلقْ .

بغداد — كامل علاوي

مكتبة الأديب



القضية الفلسطينية

لاكرم زعيتر ـ ٣١٩ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر

فارس

ولا كالفرسان ، وشهاب ولا كالشهبان ، ولحن حميس ولا كالالحان وعبق زاك من ريح الجنان .

بلى ، ويأخذك فيه ، ادب عبقري باذخ ، وخلق عبهري شامخ . وزئير جحدري صارخ . ولواء يعربي راسخ . الى صليل عنيد نذير ، وايمان سديد بشير . وكتاب رشيد جهير . تلألأت صفحاتـــه بجـراح فلسطين . وتضمخت كلماته بانفاس المجاهدين . وزكت آياتم بالحـق العربي المبين ، وبالبعث القومي انشودة الملهمين . فكان لنا منه ذلـك الزعيتر اكرم . مزمار العروبة الانغم . وداعيتها للبعث الاعظم ، ومبشرها بيومها الاشم الاوسم .

ما ذكرت موقف الخطيب والسياسي الروماني شيشرون امام قرطاجا عاصمة فينيقيا الافريقية ، الا تبادر الى ذهني موقف اكرم زعيتر ، بينهما تشابه في الصلابة والتحذير من الاخطار . وتقارب في الدعوة الى الاستفسار . وتجانس في بث العقائد والافكار ...

فقد اشتد ساعد قرطاجا ، وغلظت الواحها وتوثقت آرابها ، واصبحت ثقيلة الوطأة على رومه سيدة العالم ، تنذر الرومانيين بشر مستطير ، وحساب عسير .

وكانت رومه آنئذ تفترش المجد وتلتحف السؤدد على سرير من البلهنية والكبرياء . والبذخ والنعماء . منتشية بسلافة السلطان . هازئة بصروف الزمان ـ كما هزئنا ونمنا ... ـ مستسلمة الى حاضر نشوان . وماض ريان ، دوخ البلدان ، ودحرج التيجان ـ كما دوخنـا واستسلمنا ... ـ فاي كبير تتقي وأي شر تلتقي ؟

وكانت قرطاجا ترنو الى العالم بعين ملؤها الهيام ، وقلب تزاحمت فيه الاحلام . وعزيمة يشحذها الاقدام ، والضرام والغرام ...

وعندئذ انبرى شيشرون خطيب رومه العظيم ، يهز الرومانيين محذرا وهو ينادي : افيقي يا رومه . اذا لم تقض على قرطاجا اليوم ، فستقضي عليك غدا . افيقي يا رومه واستيقظي ، فها هي بوارق ضرتك المنافسة تلتمع في الافق ، فاذا لم تثبي عليها وثبت عليك ...

وظل شيشرون يحذر الرومانيين ويث في صدورهم احقد الحقد على الفينيقيين ويدعوهم الى القتال ، قبل ان يستفحل الداء ، ويهيب بهم منددا مؤنبا ، مؤججا في قلوبهم نيران البغضاء والعداء ، مثيرا مـا يجري في عروقهم مع الدماء ، من شمم وعزة وخيلاء . مذكرا بماضـي رومه المجيد الظافر . وحاضرها العابث الساخر . ثم لا يلبث ان ينظر متشائما الى غدها الاسود الغربيب ، ومستقبلها الخانع الرهيب ، فيهدر ثائرا ويمضي زاجرا زافرا ، حتى أفض مضاجع الرومانيين ، وحرك همم المترددين ونبه الغافلين ، وما برح دائبا على الحث والتحريض حتى رددت رومه بصوت واحد : الى قرطاجا ... الى قرطاجا ...

وكان بعدئذ لرومه يومها الابيض الظافر ، ولقرطاجا يومها الاسـود العاثر . فانطوى لواؤها ، ولكنه انطوى كريما غير ذليل ، واذا كان قـد رافقه النحيب والعويل ، فقد شيعه الاكبار والتهليل ...

ولا ازعم ان اكرم زعيتر انفرد في التحذير من مطامع الصهيونية ، او سبق سواه فـي التنبيه على غوائلها ودواهيها ، فالخطر الصهيوني برز على المسرح السياسي منظما مرسوما ، قبل ان يولد . وعندما شب عن الطوق ، كان هذا الخطـر عميـق الجذور ، ترعاه السياسـة الاستعمارية العليا بكل ما أوتيت من مكر ولؤم وتضليل ، واستبداد واعتداد وتنكيل .

ولا ازعم ايضا انـه تولى القيادة السياسيـة ، ووضع الخطط الاستحكامية في مكافحة الصهيونية ، فهذه القيادة بخطوطها العريضـة والدقيقة ، والسطحية والعميقة ، تولاها بحكم الاوضاع السائدة زعمـاء متحمسون مثلوا الشعب الفلسطيني نوابا ومفاوضين ومنفذين .

ولكني اعلن واثقا انه اذا سكتت كل الاصوات ، واذا بحت كـل الحناجر ، ونضبت كل الاقلام ، فان صوت اكرم زعيتر كصوت شيشرون لا يخرس ، وحنجرته لا تبح وقلمه لا ينضب ...

واجاهر واعترف ايضا بانه فتح لفلسطين « جبهة نضالية » سديدة الخطوات والحركات . بليغة الاهداف والغايات . بعيدة المرامي والوثبات . واسعة الافاق والساحات . فتح جبهة منيعة عزيزة . معاركها ظافـرة هجوما ودفاعا . ونزالا وقراعا ، بسلاح هو الحق يصلصل آيات بينات ، ويجري حججا لاهبة تشق الظلمات . وتصرع الافتراءات ، وتجلو للعيون كل ما غاب وفات .

فتح هذه الجبهة القومية في العالم الجـديد ، حيث بسطـت الصهيونية المضللة نفوذها ونشرت ظلها ، فكان صوتها اعلى الاصوات . وكانت آفتنا بها شر الافات . ولكن اكرم زعيتر كان ذلك الحاوي الساحر الذي قهر الحيات ، وسحق رؤوسها بسياط متسعرات ، وكشف عـن خبائثها وما انطوت عليه دخائلها من ضلالات وسفاهات . فكان لقضيـة فلسطين ـ وقتئذ ـ فوزها الرائع ، وللباطل الصهيوني خزيه السافع . سمعته اميركة اللاتينية يوم زارها ١٩٤٧ حاملا اليها والى الجوالي العربية رسالة فلسطين المتمردة . وصوت فلسطين المجاهدة . وقـلب فلسطين الابية الانوف . وجراح فلسطين المتألقة الهتوف . فسمعـت في صوتها ، ورأت في قسماته قسماتها . وقرأت في غضبته غضبتها ، ولمحت في انتفاضته انتفاضتها ...

كان على المنبر ذلك الخطيب الذي جال عملاقا . وانبسط لواء خفاقا . وتسامى مجليا سباقا . مجودا براقا ...

وكان في بيانه سحرا . وفي ندائه خمرا . وفي يمينه سيفـا ونصرا . بل ، كان في ليل فلسطين الدامس فجرا ، وفي مأساتها المروعة خيرا وبشرا ...

كان ينطق بجنانه لا بلسانه ، ويزخر بايمانه قبل تبيانه ، ويأتـم مستهديا بعرفانه ووجدانه . قبل تدبيج آيات عقيانه . كان صادقـا مؤمنا غيورا ، وبامته العربية معتزا فخورا . ولربه العربي حامدا شكورا . ولا غرو فالرسالة التي تتلظى بها الجوانح . ليست كالوظيفة التي تأتي بها السوانح . وشتان بين رسالة تهبط من السماء . وتجري في العروق مع الدماء . واخرى تهبط من مجلس الوزراء ، مرسوما هـو اشبـه باليانصيب ، والحظ الخصيب ، لهناءة الجوف الرغيب ... بل ايـن الدخيل من السليل . والوكيل من الاصيل ...

وكانت باكورة « الجبهة النضالية » تلك الخطبة الرنانة التي انطلقت من حنجرته نارا ونورا ، فارتجت لها جدران النادي الحمصي (سـان باولو برازيل) وترنحت الجوارح ، وصفقت القلوب النوافح ، قبل الاكف الجوامح . وكان لي آنئذ بصفتي خطيبا للنادي الحمصي ، حظ تقديمـه مع رفيقيه اللامعين الاستاذين نصري معلوف وتوفيق اليازجي ، الـى الجماهير التي احتشدت في دار العروبة في المهجر ، لتسمع كلمة فلسطين ،

ونداء فلسطين وزمجرة فلسطين ، عندما كانت السياسة الاستعمارية حليفة الصهيونية ، تتآمر على الحق وعلى الانسانية ، وعلى الضمير البشري ، وقل بالتالي على المسيحية التي يدين بها هذا الاستعمار . عندما كانت تهيء اكبر جريمة باسم اكبر مؤسسة دولية ، في اكبر عصر من عصور التاريخ ، على اكبر مهبط للوحي الالهي ...

واصغينا ، وكلنا كاهن في هيكل القومية العربية ، وجندي في ميدان النضال والتبشير ، اصغينا الى اكرم زعيتر شيشرون فلسطين ، مستطربين مستمتعين ، متفائلين متحمسين معتزين ، وكاننا نجثو امام فلسطين ونلثم جراحها ونغسلها بدموعنا . وكاننا نناغي السماء ونطاولها اعجابا ببطولة فلسطين وجهادها وتضحيتها . وكاننا نناجي في الجو العربي بوارق السؤدد والمجد .. ولا بدع ، فالرسول الاصيل مرهف الحس . عميق الحدس . نغوم الجرس . مصلصل الهمس . متلالىء النفس . يتراوح البيان بين اصغريه . ويلتمع الايمان في عينيه . ويتهاوى الباطل بين يديه ..

هذا كله لمسناه في اكرم زعيتر عندما القى محاضرته الاولى في سان باولو ، ثم عقبها بسواها وسواها وسواها وكثيرا ما كان ينضد في اليوم الواحد ، عقدا من الخطب الكريمة الى جانب الاحاديث المتدفقة التي يفضي بها الى الصحف البرازيلية ، تنويرا للرأي العام ودفاعا عن عروبة فلسطين وتفنيدا لاضاليل الصهيونيين ، فتقع احاديثه نارا وحمما على رؤوس الاستعماريين ، وبردا وسلاما في صدور العربيين .

والتفت حوله الجالية وقد تآلفت القلوب وتوحدت الصفوف ، وكان قضية فلسطين سلسلة من ذهب ، شدت اديبا الى وجيه ، وغنيا الى فقير ، وصناعيا الى عامل ، وكبيرا الى صغير . فاذا اللجان تتآلف وتمضي بهمة قعساء في تنفيذ اغراضها ، واذا التبرعات تنهال على اللجان ، واذا دم حار قوي يجري في جسم الجالية العربية ، لا فرق بين سوريها ولبنانيها وفلسطينيها ...

وكان اكرم زعيتر جادا ، وكنا كلنا جادين ، وربما كانت بعض الدول العربية جادة ايضا ...

ولكن الدهر كان هازلا اشد الهزل . غازلا اسوأ الغزل . ذلك ان قضية فلسطين انتقلت من ايدي ابنائها اصحاب الحق الصريح في امرها ومصيرها ، الى قبضة الدول الاستعمارية ، ومنها الى بساط المناقشات الروائية المرتبة في هيئة الامم المتحدة ...

وما كانت مهمة اكرم زعيتر في اميركا اللاتينية سفارية رسمية ، ولكنه استطاع بما اوتي من كياسة وسياسة ، وبما تسنمت النزالات العربية من مكانة مادية واجتماعية مرموقة ، وبما ازدانت من مزايا محببة مرموقة ، ان يقابل الزعماء والوزراء والرؤساء ، ويشرح لهم قضية شعب صغير عريق يأبى الاستعمار الا ان يسلبه وطنه الاصيل ، ويشرده هائما على وجهه تنهشه نيوب الفاقة والعقابيل ، وتمزقه براثن اسرائيل . بما تلفقه من اباطيل وضاليل .

وافلح في هذه المهمة الخطيرة الدقيقة ، في مكان . واخفق في مكان آخر . ذلك ان «عين» الاستعمار التي لا تغفو ، كانت قد سبقته ورتبت ما شاءت ان ترتب . وعقبت ما شاءت ان تعقب . بينما كنا نغط في نوم عميق هنيء ... معتمدين على عدالة قضيتنا ، وعلى الوجدان العالمي ، وعلى ان « السياسة الدولية » تميز بين الخير والشر... بلى ، ومعتمدين ايضا على فوهات بنادق خرساء ، وحناجر رنانة فوهاء . وتصريحات بلهاء هوجاء . فتبلهنا الطريق ، واضعنا الضالة ، ورضينا من الغنيمة بايواء الهاربين (اللاجئين) ...

وانا ما كنت لاتطرق الى الحديث عن « سفارة » اكرم زعيتر في بلدان اميركه اللاتينية ، وما كنت لابسط للقراء شيئا من نضاله القومي في العالم الجديد واثره البليغ في الجوالي العربية والدوائر السياسية والصحافية ، لولا اني رأيته وهو يخط كتابه « مهمة في قارة » يحرص اشد الحرص على طرح اكاليل غاره مكانا قصيا عن قلمه وقرطاسه ، ويكتفي تقريبا بسرد وجيز انيق رقيق لمذكراته التي دونها لدى زيارته للجوالي العربية في اميركة اللاتينية ، متناسيا اثر « البطل » في حركته القومية المباركة . وكأن اكرم زعيتر المؤلف او مدون المذكرات ، لا يهمه شيء من بطولة اكرم زعيتر ، رسول فلسطين ، وانما يعنى بقضية فلسطين واليقظة القومية بين الجوالي العربية واثر الدعوة الفلسطينية في الدوائر الاجنبية . وكأنه بهذا « النكران الذاتي » الصوفي ، رصع اكاليل غاره بأثمن الحجارة الكريمة .

ثم شاءت الهمة الشماء ، والغيرة القومية القعساء . لاكرم زعيتر ، ان يضيف يدا جديدة الى اياديه السالفة ، وان يذكر العالم العربي بما كان وبما يجب ان يكون ، فاصدر مؤخرا كتابه الفريد « القضية الفلسطينية » وهو ابن بجدتها وفارس ساحتها ، وقد عالج فيه بحزم واصالة قضية الوطن المسلوب على اضواء التاريخ والعلم والتفكير المتحرر والقومية العربية .

وبديهي ان يوحي الينا هذا المؤلف النفيس الذي طالما نشدته المكتبة العربية ، بكتابة تلك التوطئة التي وصلت الماضي بالحاضر ، وان يدفعنا الى نشر ما طواه ، لندل القراء على ان اكرم زعيتر ، هو دائما ذلك الاكرم الصوفي الذي نذر كل قواه ، ليرعى قضية فلسطين وما هي الا الالف والياء في قضية العرب ، غير متوسل بهذه المجهودات ، الى مصلحة ، سوى مصلحة الوطن العربي . وغير فارع ، بهذا الكدح الفكري ، بابا لغنم ، سوى غنم الوطن العربي . وغير راغب ، وقد حمل رسالة فلسطين ، في اجر ، سوى اجر الوطن العربي . وما اشبهه بذلك المتصوف المتسامي الذي احب ربه صادقا ، وعبده نقيا منزها ، لا رهبة من نيرانه . ولاطمعا في جنانه ، بل عبده لانه أحبه وفاض حبه في قلبه وذهنه ووجدانه .

وكتاب « القضية الفلسطينية » يتناول تاريخ فلسطين منذ وطئتها اقدام كنعان ، فقيام الدولة اليهودية في عهد داود وسليمان ، فانهيار المملكة امام غزوات اشور وبابل والفرس والرومان . فالفتح الاسلامي العربي . وما تلاه من الاحتلال اللاتيني الصليبي . فجلاء الصليبيين في عهد صلاح الدين ، فاستيلاء العثمانيين على فلسطين فسقوطها في قبضة الانكليز المستعمرين . واعلان وعد بلفور الذي انتهك اقدس حقوق الشعوب ، وصاغ « للصوصية » تاجا من العز والفخار ...

وهنا ينتقل المؤلف من العرض التاريخي الموجز السريع ، الى العرض السياسي المسهب البطيء ، فقيد الاوابد وجمع الشوارد . ورد الروافد الى الموارد . هنا تبتدىء مأساة العرب في عقر دارهم . وهي أدهى نكبة منيت بها العروبة وافدح كارثة اصابتها في الصميم ، بل ان الخطب بضياع الاندلس ليهون امام فاجعة فلسطين وهي البقعة العربية العريقة التي تصل اسيا العربية بافريقيا العربية ، بل هي العمود الفقري الذي يرتكز عليه الجسم العربي والكيان العربي .

وكان اكرم زعيتر في كل ما سرد من طغيان الانتداب البريطاني وتعصبه على العرب وتنكره لحقوقهم الطبيعية ، وفي كل ما روى من اخبار الاضرابات والاحتجاجات والانتفاضات والثورات العربية ، وفي كل ما محص وسجل من مقررات سياسية للجامعة العربية . كان في كل ما حقق ودقق وعلق ، وفي كل ما تدبره من اسباب الخلاص واسترداد فلسطين ، ذلك المؤلف السوي الصراط ، الغزير المعرفة ، الرزين التفكير ، العلمي النهج ، السري الاسلوب والهدف ، البليغ التعبير .

وانت اذا طالعت الكتاب ، فانك لا تصطدم بذلك الجو القاصف الراعد ، المهدد الموعد . ولا تلقى ذلك البحر المرغي المزبد ، المتجهم المتلبد . ولا تلك العواصف الهدارة المزمجرة ، ولا تلك الصرخات المدوية المصعره ، او تلك الغضبات والنقمات واللعنات المهدوره ، او تلك « النحنيات (١) » الحماسية المضللة المقررة . او تلك المضغات الشعارية التي لاكتها الالسن هزيلة متهافتة مكررة . انك لا تلقى شيئا من هذا ،

ولـكنك تلقى المـــؤرخ والعالم والسياسي والمحقق الهادىء المتبصر . والدارس المفكر . والمرشد المتدبر ، والنذير المبشر .

وآية المؤلف انه لا يصب بقلمه جامات اللعنة على الاستعمـــــار والمستعمرين والمأجورين ، ولكنه يحمل القارىء ، كل قارىء ، على ان يتولى بلسانه وقلبه وروحه صب هذه اللعنات ... وناهيك به بعد هذا من مؤلف عميق الفور ، بارع الاسلوب ، يعرف كيف يستنفر ويثـــير الكرامة القومية ، والكرامة البشرية في الصدور . كما يعرف كيف يستل اللعنات ويؤرث النقمات ، سهاما ثائرة ماضية . وحمما زافرة عاتيـة . يرمي بها دولة ماكرة باغية . وهذه ميزة للكتاب ترفعه عن المستـــوى المألوف ، الى ذروة من الابداع في التاليف .

واذا كان المؤلف قد اوجز القسم التاريخي ايجازا لا يضيع عـــلى القارىء اللبيب شيئا من الجوهر ، فهو قد اسهب كل الاسهاب في سرد وقائع الحقبة الانتدابية ، بما اقترفته السلطـــة الاجنبية من جرائـــم وجنايات ، وبما تألق في صدر فلسطين من جراحات وبطولات . فتلقى الى جانب السياسة الانتدابية الماكرة ، والاساليب الغادرة ، شعبا ابيا حيا ، مضرجا بدم الحرية نقيا زكيا ، منافحا عن عرينه سخيا سريا . رضيا وفيا.

وكان له ان ينتصر في معركة الحرية والاستقلال ، ولكن من نكد الدنيا على الحر ، في هذا العصر الهر ، ان تنتصر المؤامرات والنذالات ، عـــلى المروءات والبطولات ...

ثم اذا كان اكرم زعيتر قد هدف في القسم التاريخي الى اثبـات عروبة فلسطين منذ أطل عليها فجر الانسان ، الى ان سجد للعجل الذهبي ترومان ، وامتهن الحق والوجدان ، واعترف مبتهجا بوليد الاثم والطغيان. نقول اذا كان هدف المؤلف في القسم التاريخي تقرير هذه العروبة ، فان هدفه في سرد تاريخ الانتداب ووقائعه ، مع ما يرافق هذا السرد من تؤدة ويسر ورصانة ، تعبئة قلب القارىء باخصب الحقد على الاستعمـــــار والمستعمرين ، وباشرس النقمة على الشيطان الاخرس الساكت عن الحق. فابدع فكرا وبيانا واسلوبا .

ثم يدرس المؤلف اسباب الكارثة الفلسطينية ، فيفصح مرة ويجـلو السيئات . ويشير حينا اشارات فيها التباسات وغبشات ، ويمضي في تبيان الاسباب المباشرة (من الناحية العسكرية) دون ان يوزع التبعـات ويحددها ، ويرى في الاسباب البعيدة ، او الجذور العميقة (ضعف بنية الامة العربية يرجع الى ما اعتور اخلاقها القومية من وهن) وكأنه فـي دراسة الاسباب البعيدة والمباشرة ، دون ان يصرح ويخصص ، احـــال القارىء الى قراءة ما بين السطور ، وما تضمنه من شؤون وشجون ، هي ابلغ من الحرف المسطور والحكم المزبور ، والرأي المأثور ...

غير ان المؤلف اصاب كل الاصابة عندما قال :

١) بانه لم تتح للشعوب العربية في حرب فلسطين ، ان تشارك في المجهود الحربي المشاركة التي تقتضيها خطورة المعركة .

٢) بان اليهود اخذوا المعركة ماخذ الجد اكثر مما فعل العـــــرب واعتبروها معركة حياة او موت لهم .

٣) بان القيادة العسكرية الموحدة كانت مفقودة . فظل كـل جيش (عربي) مستقلا في خططـه وعملياته استقلالا حرم المعركة مزية الانسجام بين جيوش متعددة لدول متعددة الخ (ص : ٢٨٥)

ونحن اذا اعملنا الفكرة وتدبرنا هذه الاسباب الثلاثة وهي خطـيرة كل الخطورة رأينا ان الذنب محصور في اولئك الذين تولوا قيادة العرب في معركة فلسطين . هم الذين يحملون وحدهم تبعات الكارثة من الناحيتين العسكرية والسياسية وهم المسؤولون امام الامة العربية والتاريخ ، عما اقترفوه من اخطاء .

ولكن المؤلف يصر على ان « تتحمل الامة العربية ذاتها » تبعةالاسباب المباشرة لكارثة فلسطين .

وما ذنب الامة العربية ، وقد كانت مقودة لا قائدة ، ومأمورة لا آمرة ومنهية لا ناهية ، ومنفذة اوامر وخطط وحركات ، لا واضعة ولا شارعة ولا مانعة .. .

فاذا كانت القيادة العسكرية الموحدة مفقودة ـ باعتـــراف المؤلف نفسه ـ فهذا يعني فقدان كل عوامل النصر ، يعني الفوضى والتخبط . يعني التنافر في الاتجاهات ، كما يعني التخاذل بين قادة العرب . فمـا هو ذنب الامة العربية التي دعاها قادتها للاشتراك في حرب فلسطين ، فلبت النداء بحماسة وتضحية ، ولكنهم ابوا عليها الا ان تشترك بمقدار لا تجاوزه وان تحارب بمعيار ، لا تعارزه ...

هذه واحدة واخرى ، من هو الذي فرض الهدنة الاولى على الجيوش العربية الظافرة ، ومن هو الذي حرمها ان تجني ثمار النصر ، حتىانعكست الاية بعدئذ ؟ أليس قادة العرب في معركة فلسطين ؟

لقد كان الاولى ان نقول بان الامة العربية وبالاحرى فلسطين ذهبت ضحية الذين تولوا قيادتها ، فما اخلصوا ، او انخدعوا او غلبوا عـلى امرهم .

ولكن كاتبنا العربي الكبير يستدرك في مستهل مؤلفه ويعدنا بنشر « كتاب مفصل » بعد هذا « الموجز » يجيء سجلا وافيا لقضية فلسطين كلها ، باحداثها ووثائقها واسرارها وتبعاتها ، ونحن نعلل النفس منـذ الان بالوقوف على ما انحجب من المداورات والاسرار التي أدت الـــى كارثة فلسطين . وهذا ما يجب ان يماط عنه اللثام،وانيعلن صريحا للرأي العام ، جلاء للحقائق التي مزقتها الغايات والدعاوات وبعدئذ لكل نفس ما جنت من حسنات او سيئات ، وليس كاكرم زعيتر وهو الكاتب العربي الاصيل ، من يؤرخ لفلسطين بقلم نضرت اوراقه ، وانطـاد انطلاقـه ، وتلألأت آفاقه ، وزخرت اعلاقه .

وعسك الختام في هذا المؤلف الطريف ، فصل جليل موضوعـه (سبيل الخلاص) وقد لخص فيه (الوجوبيات) الناجعة فـي انقـاذ فلسطين ، فدل على تفكير عميق واصالة في التحقيق ، وتجاوب طليق .

والمؤلف ، ككل قومي عربي مؤمن برسالة امته وحيويتها وحقوقهـا ومستقبلها ، يرى متفائلا مصيبا (ان المعركة التي خسرها العرب ليست نهائية فاصلة . ومن قرأ تاريخ فلسطين ادرك انها مرت بمثل هذه المحنة ثم نجت منها . وفي قيام الدولة اللاتينية (وهو يعنـــي الصليبيـــة الاستعمارية) وزوالها شاهد على ذلك) .

وهذا التفاؤل الايجابي مقرون بواجبات واصلاحات جذريةوتنظيمات علمية وفنية وسياسية ، وبخلق عقلية قومية اجتماعية جديدة تحرر الامة العربية من اعدائها الداخليين او امراضها المزمنة الموروثة ، كما تحررها من عدوها الخارجي الالد ، الذي مزق هذه الامة وقطعها الى دويلات ، وحال بسياسته العسكرية والاقتصادية والثقافية ، واساليبه الميكافيلية ، دون الوحدة العربية ، واذا شئت فقل ، حال دون التضامـن العربـي . او التفاهم العربي على الاقل ...

ونحن نردد ايضا مع المؤلف الحاذق والقومي الصادق ونرسلهـــا صرخة ملؤها الحزم والعزم وننادي : (لا يأس) ولا يجوز ان يتطرق الى قلوبنا ادنى شعور بالعجز واليأس ، والا كنا انهزاميين متهافتين ، لا حق لنا بوطن وكيان ، وغير جديرين بعزة وسلطان .

واذا كان العدو الاسخريوطي قد ربح الجولة الاولى بتآمر الاستعمار علينا ، فلا تزال امامه وامامنا جولات وأي جولات . انه يطلب منا المزيد ، ونحن نطالبه بتسديد الرصيد . وهب اننا ذهبنا ـ وقتيا ـ مذهـــب ايزنهور وقلنا معه : « ان قيام اسرائيل حقيقة تاريخية » فعلينا ان نذكر دائما ان الحقيقة التاريخية الكبرى هي : ان حقيقتنا العظمى ، ستبتلع حقيقتهم الدنيا ، طال الزمان او قصر ، ورضي الاستعمار او غضب ، ذلك بانه يستحيل علينا نحن البشر ، عمالقة ما كنا وجبابـرة ما شئنـا ،

(١) نسبة الى نحن ونحن في باب الادعاء والتبجح .

وصيارفة ما اردنا ، ان نخدع النواميس الطبيعية ، او ان نحتال عليها . وشر الخداع ، خداع البصر ..

وبعد هذا كتاب جدير برعاية الحكومات العربية ، وجدير كل الجدارة بالتدريس في المعاهد . انه يحمل للطلبة اصدق صورة لقضية فلسطين والنشء الذين تنطبع في صدورهم مثل هذه الصورة الحية المتفقة ، ينشأون اصلب ايمانا واقوى مراسا وارهف احساسا ، وابعد وثبة ، فتحيا في اعماق نفوسهم قضية فلسطين المسلوبة . وتجيش في جوانحهم نيران الثار .

والله ما وقعت عيني على ما نسميه سياسيا « لاجئا فلسطينيا » الا نكست الراس واطرقت خجلا ، وكيف لا انكس الراس امام هذا الاخ الشريد وانا ارى في وجهه الملفوح ، جراحات امتي جراحاتها المنقرحة ومهانتها وفاقتها .. وانكى الانكى ، انك تسمعهم على منابر الوعظ ، وفي محافل العبادة ، ومجامع الثقافة والعلم والنور ، يتحدثون عن الحرية ، وعن العدالة ، وعن الانسانية وعن الدين ، وعن الله ... فاي الله هذا يعمي عيونهم عن اللاجئين الفلسطينيين ، ويعميها عن جنايتهم التاريخية التي جردتهم من كل شعور ديني وانساني ؟

وحسب الكتاب فضلا ان مؤلفه مؤمن بكل كلمة يخطها . لايتكلف ولا يتصنع ، ولا يتباكى ولا يتقنع . وانما يكتب ما يعتقده ، وما رسخ في عقدته . فظاهره وباطنه سيان ، لا تناقض فيهما او امت . وانت لا تستطيع ان تؤمن بكتاب ما ، اذا لم تؤمن بان مؤلفه صادق وفي ، وحساس عليم .

فيا اخي اكرم : اما وقد انعم الله عليك بما انعم ، وكرمك بفضله كما كرم . وقدم لك ما قدم ، فقد تمنيت على الرغم مني ، لو توليت رئاسة الوزارة ، في اية دولة عربية ، ساعة وخمس دقائق لا غيرها ...

اما الدقائق الخمس ، فتكفيني لاصدار مرسوم بتسميتك « سفيرا جوالة » في العالم ، للدفاع عن القضايا العربية عامة والفلسطينية خاصة

واما الساعة ، فلعلها تكفيني لاقناعك بقبول هذه « المهمة الرسمية » الخطيرة التي تجندت لها وتوفرت على خدمتها ـ دون مرسوم حكومي ـ فبذلت ما يفوق الطاقة ، كرمى لمجد امتك .

هذا هو تقديري لك ولنضالك ، ولادبك ووفائك .

حمص — نظير زيتون

سمرنار

لسليمان عواد ـ مقطوعات وجدانية ـ ١٥٩ صفحة ـ
مطبعة الجمهورية بدمشق

الفن هو المادة الاولى للانسان في تعبيره عن الاشياء ، وهو القيثارة الخالدة التي تنشد عليها الروح ، اغانيها ، هذه الاغاني التي تسمو بالنفس الشاعرة ، لتعبر عن اسرارها وخلجاتها وفي الفن ، تفتيق للذات الانسانية الشاعرة التي تمس الحدس الرائع لصيرورة المشاعر والاحاسيس ، وفيه تقوم التجربة الذاتية .

الى الولايات المتحدة سافروا براحة وانشراح
على طائرات
سوبر-جت
الغذاء في بيروت
العشاء في فرانكفورت
الترويقة في نيويورك

فرانكفورت
بيروت
نيويورك
لوفت هنزا
الخطوط الجوية الألمانية
شارع رياض الصلح - تلفون: ٤٠٠١٥ - ١٧ أو وكيلك للسفر المعتمد

والفنان الشاعر ، الذي يحمل روحا انسانية ، اقوى على الاداء الوجداني ، اذ ان الخيال الذي يرويه هذا الفنان الشاعر ، بخلجات روحه ، واحاسيسها ، اقرب بكثير الى حقيقة التجربة التي نعانيها في كثير من الاحيان .

وكتابنا الفنانون المعاصرون ، يحاولون في كثير من التجارب الشعورية ، ان يوجدوا آثارا لمشاعرهم في شتى مرافق الحياة .. ومنهم الكثيرون الذين تستهويهم المدارس ـ أيا كانت ـ المتطرفة منها وغير المتطرفة .. فميزجون ما تقلدوه من هذه المدارس في اطار تجاربهم الخاصة ، فاذا ببعضهم يقبع او يضيع بين مفارق هذه المدارس ، واذا ببعضهم يلاقي دربه المشرق ...

وسليمان عواد ـ في رأيي ـ من هذا القسم الثاني ، الذي يحاول التعبير عن روح الاشياء والمعاني في اثر جيد ، لا يسبب الاشمئزاز ، ولا يفر في الاداء الفني . فالتجربة التي عاناها الكاتب في مجموعته الوجدانية العاطفية « سمرنار » كانت نابعة ، عن الفن الذاتي ، الذي يقوم على دعائم الخيال العميق ، والاسلوب الشيق ، والانفعالات الصادقة ..

لقد حلت عندي هذه المقطوعات الوجدانية العاطفية ، حلول الربيع ، بومضاته الجميلة ، ونغماته العذبة .. فما وجدت فيها ، الا انطلاقا ذاتيا حرا ، ترك الشاعر على غاربها ، تتقفى احداث الخيال الفني ، الى عوالم جد مفرحة ... وان كان الالم فيها على شيء من المكانة ... الا انه كثيرا ما يخلق في النفس ، شعور الابداع الملهم ... !

ترى هل سليمان في « سمرناره » قد استطاع ان يجعلنا نعيش معه احلامه ، وآماله وامانيه ؟ .. وهل ان التجربة الذاتية ، وذلك الدفء ، واللفظ المنشد المثير ، والموسيقى الشفافة ، الاسلوب الموحي للتعبير .. يخلقه احساس موهوب .. هل هي متوفرة في المجموعة .

ان ذلك ما سنجده في مقطوعات « سمرنار » المشرقة حينا ، والعاتية المزمجرة حينا اخر .. فهذا الازدواج لا اخال يسيء في مفهوم التجربة .. ان سليمان عواد ، لا يقف عند أي حدود من « سمرناره » هذه الالهة الصغيرة ، فهو معها في جمالها ، وهو معها في حزنها ، وهو معها في عواطفها وهيامها وحنينها والمها ..

« ما اشبه سمرنار ، وردتي النورانية الساطعة .. بالهة فاتنة من آلهات الاغريق القدامى .. لا بل هي اكثر جاذبية ورقة ونعومة .. واشد من براءة وطهارة ، وقدسيه .. من ديانا الهة القمر ، معبودة اليونان .. »

« وعلى سيماء وجه زنبقي الالهية سمرنار .. تتفتح بروعة اخاذة ازهار حزن شاحب شرود ... »

« ولعواطف حوريتي البيضاء سمرنار .. عمق آسر غريب .. عمق مياه الخلجان الحارة في شواطىء المحيطات الكبرى .. عمق الزرقة الصاحية في السماوات المحنية .. »

ان هذا التخاطب في حوار متسائل بشوق ، لا يرسو عند أي شاطىء من شواطىء الذات .. جميل ان يصف الانسان معشوقته في تشابيه مختلفة ، وان يظل يهمس بالشجو المفرح ، والشجو الحزني ، وهو في دوامة الحب ، ولكن عليه ان ينقي لذلك ما يضفي التفاؤل والاشراق والامل ..

انني آخذ على سليمان في ذلك ترداد الصور في بعض المقطوعات

« ايها العشاق .. تعالوا جميعا .. وكرسوا جهودكم ، لاقامة معبد من زهر الياسمين لحبيبتي سمرنار ... »

« ان سمرنار ... اغنية سماوية فليصغ باخلاص الى معانيها المتعبدون » .

الا ان التوزيع في سبك الاسلوب للتعبير عن اعجابه بجمال سمرنار .. هو الذي يجعلنا نعتبر بان الكاتب لديه قدرة كافية بعض الشيء على خلق جو الصورة المتعدد الالوان :

وكذلك الامر في التعبير عن روح الكاتب :

« ايتها النافذة السحرية المقدسة .. بواستطك احس الكون ينزلق على امواج قلبي .. بواستطك تغوص الحياة ، وتتدفق الحيوية .. في وهج ونور .. »

« ترى ما قيمة الكون والحياة ، اذا خلا الانسان من هذه النافذة .. هباء ، كل الدني ، فراغ كل الوجود ، موت بطيء عمر الانسان .. موت ... موت ... »

ولكن الكاتب يصدمنا في هذه الكلمات (.. موت .. موت) فاذا به ينتزع البشاشة عن الجبين الوضاح الضحوك ، الذي استقبلنا به هذه النافذة السحرية في غمرة حب شائقة .. وهذا ما آخذه على سليمان ، لان التجربة هنا ، كانت على حساب العدم .. وهذا ما لا اقره في الفن .. الخلاق ...

لا بأس ان ييأس المرء ، لكن الاجمل به ان يظل دائما في امل الدخول في المأساة بقوى لا تموت ، لان الالم في المأساة ـ اي مأساة ـ اراه السبيل الى الفرح العميق .

انني ـ مع اعجابي ـ بتلك الاشراقات والمناجات الرخيمة التي تضمنتها المجموعة لا اريد للكاتب ان يزج بتجاربه الاخرى ، نفسا مرهقة مبهورة ، واغراقا في التوهم .

« أي آمال خبيثة قد زرعت الاسلاك الشائكة ، وبذرت الالغام في طريقي .. »

« انك ميت ، ميت ، لو كانت الحياة تنبض في اغوارك .. انت حي في قائمة الاموات ، ميت في سجل الاحياء ...»

« كنت مندفعا في جحيمي ، اندفاع قذيفة على وشك الانفجار ... كنت لا ادري ، أي شيطان لعين ، ينهش جسدي ... ضيق النفس دائما ... كنت اشتعل كالبركان ، وانطفىء حتى اصبح رمادا .. »

فهل يجمل بالفنان الشاعر ان يكون متحجر القلب والدماغ ، يتمنى الانفجار ، يتمنى الاشتعال كالبركان . هل يجمل به ان يضر من ذاته الفنانة المبدعة ، مهما كان السبب وعرا مظلما .. هل يجمل به ان يكون في هرب من المجهول ، بدلا من ان يقيد او ابده .؟

وهناك بعد ذلك ، بعض النشاز في اكثر من مقطوعتين ، في اجترار المعنى الواحد او المتعدد ، فقد زج الكاتب معنى واحدا بين كثير من الصور التي استمدها من الطبيعة ، والورد ، والقمر ، والنجوم ، والمراعي والجراح ، والبراعم ، والكآبة ، والهدوء ... الخ..

أقول ذلك ، لانني اعتبر بان من مقومات الكتابة الوجدانية العاطفية ، الايحاء بالنغم ، والايحاء بالكلمة ، واذا اتت في طواعيه .. حيث يتسق التعبير ، ويستقيم المعنى في المقطوعة الواحدة ..

واخيرا .. فان في المجموعة الكثير من الشعور الملهوف ، والتشوق المطلق ، والحدس المفرد المثير ،والنفحات الندية ... لو شذبها الكاتب في تفاءل مشرق ، لاجاد كل الاجادة ، على غيره من الذين ينهجون نهجه ، في الادب بين شبابنا الطالع ..

فعندما يرسل الكاتب الفنان نفسه على هنية واسماح ، يعطينا كلاما صافيا اثيريا له في الذهن ترجيع ورنين ، مع تأمل وحنين ، لكن سليمان ـ احيانا ـ ينبو بنا ، فيغرق في الضباب ، ويرهق في شعور عائم من نزوع رمزي متكبر ، فتصدمنا الفالات به جامحة ، من رواسب اليأس والقنوط ، والعقل المزور ، في عنف مرير ...

دمشق — اسماعيل عامود



ظهر حديثاً

● شعراء العراق المعاصرون ـ تأليف غازي عبد الحميد الكنين ـ الجزء الاول ـ ٢٢٤ صفحة ـ مطبعة الشباب بغداد .

● تنمية القدرة على التعلم عند الاطفال ـ الكتاب ٢٠ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تأليف هاري ريفلين ـ ترجمة الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل مدرس علم النفس بجامعة عين شمس بالقاهرة ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ١٠٢ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● مصر في المعركة ـ تأليف نعمات احمد فؤاد ـ ١٧٦ صفحة ـ الغلاف بريشة عبد السلام الشريف ـ اللوحات الداخلية بريشة عبد المجيد وافي ـ طبع الغلاف بمطابع دار الهنا [؟] وطبع الكتاب بمطبعة السنة المحمدية [؟]

● محمد ـ ملحمة شعرية ـ للدكتور علي شلق ـ ٧٧ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة [؟] ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● سلة شعر ـ لنقولا قربان ـ ٦٠ صفحة ـ الرسوم بريشة بيار صادق ـ الخطوط بريشة كامل البابا ـ منشورات دار فينوس ببيروت ـ مطبعة الجهاد ببيروت .

● سورية في الادب المصري القديم ـ تأليف انيس صايغ ـ ١٨٤ صفحة ـ مطابع لبنان ببيروت .

● تجديد في الفلسفة ـ تأليف جون ديوي ـ ترجمة امين مرسي قنديل ـ مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود ـ ٣٤٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● مع القافلة الشعرية ـ تأليف نهاد رضا ـ الجزء الثاني ـ مجموعة شعرية مع صفحات نثرية ـ مطبعة الشرق بحلب .

● الشابي وجبران ـ تأليف خليفة محمد التليسي ـ ١٧٦ صفحة ـ الغلاف بريشة فؤاد الكعبازي ـ الخطوط بريشة محمد الخوجة وعبد اللطيف الشويرف ـ منشورات مكتبة الفرجاني بطرابلس الغرب ـ المطبعة الحكومية لولاية طرابلس الغرب ليبيا .

● في سعير المعركة ـ شعر ـ لنذير الحسامي ـ ١٨٣ صفحة ـ مطابع الفجر الحديث بحمص سوريا .

● كيف يلعب الاطفال ... للمتعة والتعلم ـ الكتاب ٢١ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تأليف جان شك جروسمان وايدا ليشان ـ ترجمة محمد عبد الحميد ابو العزم المفتش الاول بوزارة التربية والتعليم بمصر ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ٩٩ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● احاسيس ثائرة ـ شعر ـ لسالم علوان الحلبي ـ ١٦٦ صفحة ـ مطبعة الاديب بالبصرة العراق .

● صورة دوريان جراي ـ تأليف اوسكار وايلد ـ ترجمة بشير الشريقي ـ ٢٦٠ صفحة ـ مزينة بالرسوم ـ منشورات دار النشر والتوزيع والتعهدات بعمان ـ مطابع شركة الطباعة الحديثة بعمان الاردن.

● اصداء النيل ـ شعر ـ لعبدالله الطيب ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ لوحة الغلاف بريشة مسز جرزلدة والخط بريشة عثمان عبدالله وقيع الله ـ مطبعة مصر بالخرطوم السودان .

● قرارة الموجة ـ شعر ـ لنازك الملائكة ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم صغير ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت.

● من الادب المعاصر ـ تأليف سامي الكيالي ـ صاحب مجلة الحديث ـ ٢٨٤ صفحة ـ مطابع الحديث بحلب سورية .

● الشمس والآلة ـ تأليف هرمان ونينا شنايدر ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم المدرس بكلية التربية بجامعة عين شمس بالقاهرة ـ ١٢٠ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ في سلسلة مكتبة العلوم للجميع ... نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● قصة الكتاب ـ الكتاب ٨ من سلسلة أمس واليوم : قراءات تاريخية ثقافية ـ تأليف جورج شهلا احد اساتذة التربية في الجامعة الامريكية ببيروت وشفيق جحا احد اساتذة التاريخ بالكلية الثانوية العامة في الجامعة الامريكية ببيروت ـ ١٢٨ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● سقط المتاع ـ الجزء الاول ـ من ديوان المرحوم الشيخ عبد الحسين الصادق ـ مع مقدمة بقلم حسن صادق ـ ٢٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العصرية بصيدا لبنان .

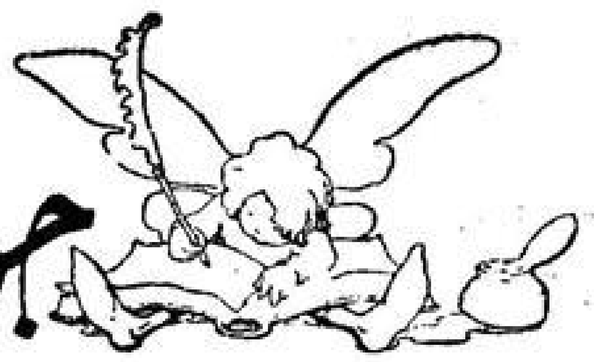
● جوائز « المغرب » و « مرويكوس » للاداب ١٩٥٥ ـ القسم العربي ٧٧ صفحة ـ حجم كبير ـ وفيه : « فتيان القرية ـ شعر لمحمد الطنجاوي» و « رواد المجهول ـ قصة لاحمد البقالي » ـ القسم الاسباني ٢٧ صفحة ـ وفيه : « انشودة غابة باب شيكار ـ شعر لميكل فرناندت » و « الفلة الاولى ـ قصة لميكل فرناندت » منشورات معهد مولاي الحسن بتطوان ـ مطبعة كريمادس بتطوان بالمغرب .

● Les Néo-Classiques — par Raymond Schaltin — Poèmes sur un rythme neuf — 36 pages — Editions de la Revue Moderne, Paris — Imprimerie Dierville, Eure, France.

● Les Nuits d'Ugnalé — poèmes — par Robert Belghanem — 28 pages — Collection Caractères dirigée par Bruno Durocher — Imprimerie Caractères, Paris.

● signes — poèmes — par Henri Chopin — 44 pages — éditions caractères, club international de poésie — Imprimerie Caractères, Paris.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

النهضة التعليمية في العراق

●

من اهم اهداف العراق في نهضته الحديثة توسيع نطاق التعليم بحيث يشمل اكبر نسبة من السكان ، وبذلك يرتفع مستوى معيشتهم . وسينتفع الصغار والكبار على السواء بسياسة التعليم الموسع الجديدة التي اخذت وزارة المعارف العراقية بتطبيقها بكل جد ونشاط .

ولتنفيذ هذا البرنامج تركز وزارة المعارف اهتمامها على خمسة امور رئيسية هي توسيع نطاق التعليم الابتدائي بحيث يشمل الجميع بما في ذلك البالغين ، وزيادة فرص التدريب المهني ، وتحسين نوع التعليم ، والاستمرار في برنامج البعثات الثقافية ، وتنشيط التعليم العالي .

وقد كان من اسس سياسة وزارة المعارف تشديد الاهتمام بالتعليم الابتدائي وتدريب معلمي المدارس الابتدائية . وتخضع المدارس نفسها للالوية المحلية بينما تقوم وزارةالمعارف بتزويدها بالاساتذة واعداد البرامج التعليمية لها .

وقد ادى انشاء ٨٤ مدرسة ابتدائية جديدة في العام الماضي وحوالي ١٠٠ مدرسة في العام الدراسي الحالي (وبذا يصبح عدد المدارس بما في ذلك المدارس الاجنبية والخاصة حوالي ٢٠٠٠ مدرسة) الى زيادة الحاجة الى المعلمين . ولمواجهة هذا الطلب المتزايد ، وسعت ادارة تدريب المعلمين برنامجين وثيقي الارتباط ببعضهما البعض بحيث اصبح من المنتظر ان يتخرج هذا العام ١٤٥٩ معلما ابتدائيا جديدا .

واول هذين البرنامجين هو مشروع تدريب معلمي المدارس الابتدائية . وقد انشئت ٢٤ مدرسة لهذا الغرض ، ٢١ منها انشىء هذا العام ، في شتى انحاء العراق . وهذه المدارس مفتوحة لخريجي المدارس المتوسطة ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ، ومجموع عدد طلابها هذا العام ٣٦١٢ طالبا . وينتظر ان يتخرج من مدارستدريب المعلمين الابتدائيين هذا العام ٤٠٧ مدرسين ، اما الباقون وعددهم ١٠٥٢ مدرسا جديدا فسيكونون من خريجي المدارس الثانوية بعد اتمامهم دورات خاصة مدتها عام واحد في ١٢ مركزا . وفي هذه الدورات يتلقى الطلبة تدريبا مركزا في طرق التعليم والتربية .

وفي كل من الوية العراق الاربعة عشر مدرسة واحدة من هذه المدارس على الاقل ، ومجموع عددها ٢٤ مدرسة منها ١٠ خاصة بالبنات ، وهذا مما يدل على اهتمام الوزارة الشديد بتعليم المراة العراقية . وبموجب برنامج التدريب تتوقع الوزارة ان تعين ٢٠٠٠ معلم من معلمي المدارس الابتدائية سنويا خلال السنوات العشر القادمة .

وتسير حملة الوزارة الرامية الى محو الامية بين البالغين باقامة مراكز للتعليم الاساسي في انحاء القطر جنبا الى جنب مع حملة الوزارة لتيسير التعليم الابتدائي واتاحته للنشء .

وهذه المراكز ، وعددها ستة في الوقت الحاضر ، تقدم صفوفا تعليمية لمكافحة الامية ، والارشاد الزراعي ، والصحة البدنية ، والترفيه ، بالاضافة الى فصول دراسية اخرى ، كما تقدم للنساء دروسا في العناية بالاطفال والتدبير المنزلي .

ويجري توسيع الدراسة الثانوية وتحسينها ايضا باضافة صفوف السنتين الرابعةوالخامسة الى المدارس المتوسطة التي يقتصر فيها التعليم حاليا على ثلاث سنوات ثانوية . وقد افتتحت خمس مدارس ثانوية جديدة هذا العام فاصبح مجموع عددها ١٦١ مدرسة .

وقد كانت سياسة الوزارة فيما يتعلق بالتعليم الثانوي العناية بصورةخاصةبالتدريب المهني ، فانشات العدد المتزايد من المدارس التي تهتم بتلقين طلبتها العلوم الفنية والزراعية والتجارية والتدبير المنزلي والتمريض بما يعد طلبة هذه المدارس لحياتهم العملية .

ويتضح بصورة خاصة توسع الوزارة في برنامج التعليم الفني . فقد زيد عدد معلمي المدارس الفنية من ٩٧ الى ١٢١ مدرسا وزاد عدد تلاميذها من ٨٢٤ الى ١٢٣٩ . اما المدارس نفسها فقد ضوعف عددها الى ثماني ، اربع منها تقدم برامج دراسية كاملة مدتها خمس سنوات .

وفي بغداد فريق من خبراء جامعة برادلي عددهم سبعة يقدمون العون والارشاد لوزارة المعارف العراقية حول التعليم الفني وخاصة فيما يتعلق بمعهد الهندسة الصناعية ببغداد . وهذا المعهد الذي سيتم انشاؤه في العام القادم ، سيقدم برنامجا دراسيا مدته ثلاث سنوات في الحرف الفنية ، وسيحتوي على احدث الاجهزة والمختبرات كما ستدرس فيه احدث الكتب . والمزمع انشاء مدارس مماثلة في جميع انحاء العراق .

وتهتم الوزارة كذلك بالتعليم المهني الزراعي . فقد افتتحت ثلاث مدارس جديدة لطلبة المهن الزراعية في كل من نينوى وبعقوبه والرمادي . ويتعاون مع الحكومة العراقية في هذا المجال مستشار من النقطة الرابعة ، كما يبحث الان مشروع لزيادة عدد السنوات الدراسية في هذه المدارس الى خمس ، وانشاء سبع مدارس اخرى على مستوى ثانوي .

هذا ولم تهمل الحكومة العراقية امر التعليم العالي ، فاصدرت قانونا بانشاء جامعة بغداد ، وسيضم اليها كثير من الكليات القائمة حاليا . اما في حقل التعليم الخاص ، فان جامعة اليسوعيين التي افتتحت اخيرا في الزعفرانية تقدم برامج دراسية يمنح الطالب في نهايتها درجة البكالوريوس في العلوم التجارية والطبيعيات والهندسة .

وتعكف وزارة المعارف العراقية على مراجعة برامج الدراسة وتحسينها في جميع فروع التعليم ومراحله ، كما تدرب المزيد من المعلمين وتحسن طريقة التعليم وتطبيق الاساليب الحديثة في الادارة والتعليم بجميع مراحله . وقد انشا فريق جامعة برادلي مركزا للسمعيات والبصريات ، سيدرب فيه المعلمون العراقيون على استخدام الوسائل التعليمية الحديثة كالافلام والصور واعلانات الحائط والتلفزيون.

متحف بوسطن للفنون الجميلة ومجاميعه الشرقية

●

كشفت اعمال التنقيب في وادي الهندوس التي اشتركت في القيام بهـا المدرسة الاميركية للدراسات الهنديةوالايرانية ومتحف الفنون الجميلة في بوسطن ، عام ١٩٣٥–١٩٣٦ عن اثار رائعة تعود الى مدنيات وحضارات قديمة ازدهرت في وادي الهندوس قبل المسيح بثلاثة الاف سنة فخلفت لنا صورة رائعة عما بلغته حضارة الهند في تلك الحقب التاريخية الموغلة في القدم .

وقد نظم متحف بوسطن للفنون في الاونة الاخيرة معرضا فنيا رائعا عرضت فيه بعض الاثار الهندية التي عثر عليها المنقبون ، وهي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثار ان دلت على شيء فعلى المستوى الرفيع الذي بلغه اصحاب تلك المدنيات في حقول الفنون والصنائع والاشغال اليدوية التي يجب ان تعد من اعظم الاثار التي تكشفت عنها اعمال التنقيب في القرن العشرين .

ومعظم هذه الاثار المكتشفة يعود الى الحضارات الهندية القديمة في عهد هادابا وموهنجودارو وكلها تمثل خير تمثيل ما بلغه الفن الجمالي عند الاقوام التي قامت بهذه الحضارات .

وقد خصص المتحف في المعرض العام جناحا خاصا باثار الهند القديمة بينها مصنوعات ومجوهرات وحلى من الذهب الخالص والفضة وبين هذه المعروضات مجموعة من الخزفيات الدقيقة الصنع والرسم وتماثيل من الشبهان والفخار تعطي صورة دقيقة عما بلغت اليه سيدات ذلك العصر من فن ظاهر وبهرجة في اللبس وعقص الشعور وتصفيفها . وبين هذه العاديات رقى وطلاسم واختام من العاج او الحجر او مصنوعة من القاشاني الاسمنجوني او الابيض عليها رسوم حيوانات مفتولة العضل .

ومن الاثار الحرية بالتنويه مجموعة من الفخار المزرشة بالالوان من احمر قان الى الاسود الحالك الى الاشهب الفاقع ، وغيرها جرى صقلها باليد ورسمت عليها تصاوير ورسوم ومقطعات هندسية رائعة . وبين المعروضات انواع شتى من جرار الفخار بينها حق وشعي الشكل مصنوع من البرونز يستعمل لمساحيق التجميل والزينة .

وتضم المجموعة ايضا ادوات شتى من النحاس والشبهان منها فؤوس ورؤوس حراب ونبال وازاميل شتى ومقاطع حديدية يستدل منها ان مدينة شنهود ارو كانت مركزا صناعيا هاما من مراكز التعدين وشغل الحديد وغيره من معادن العصر .

والمجموعة الفنية المعروضة تضم كذلك عددا من الدمى والالعاب او العجلات مصنوع معظمها من الفخار تجرها ثيران مكدونة اليها او تمثل خرفان من الفخار ، وكرات للعب من الفخار والحجارة او صفارات بيضاوية الشكل او بشكل دجاج وجلاجل مزركشة .

كل هذا يدلنا على غنى متحف بوسطن للفنون الجميلة الذي يأتي بحق ليس فقط في طليعة متاحف اميركا بل من اهم متاحف العالم الفنية . انشىء المتحف المذكور عام ١٨٧٠ بجهد مشترك ساهمت به منظمات المدينة على اختلافها من علمية وثقافية وفنية التي كانت تسعى جاهدة لاقامة مثل هذا الصرح للفنون محافظة منها على ما في المدينة من مجاميع فنية ورغبة منها بتنمية الذوق الفني بين الاهلين . ويتهض بالنفقات اللازمة لتأمين ادارة المتحف وقوفات ومساعدات يتبرع بها بسخاء الاعضاء المشتركون .

والمتحف يستقبل سنويا اكثر من ٥٠٠ الف زائر فيطوفون في جميع ارجائه ويمتعون النظر بمجاميعه الفنية وهي مجاميع تتصل اتصالا وثيقا بتاريخ مصر واليونان وروما والشرق واوروبا واسيا واميركا ، وغير ذلك من الاثار الرائعة التي تعد من بواكير الطباعة ونماذج الحياكة والانسجة .

ويعلو مبنى المتحف قبة فرش سقفها من الداخل بالتصاوير والرسوم الفنية الرائعة ساهم برسمها فنانون مشهود لهم بالقدرة الفنية منهم جون سرجنت ، منها صورة تمثل « رفع النقاب عن الحق والعلم » والاله اطلاس . وبين المجموعة الفنية المصرية وعاء من الحجر له غطاء من الذهب الخالص يعود لعهد الملك خاسخموتي ، من سلالة ابيدوس الثانية .

وقسم الفنون الكلاسيكية غني بالاثار اليونانية والرومانية بينها قطع من الرخام الناصع البياض ونقوش على البرونز وحجارة كريمة مطعمة ، وحلى بديعة ونقود قديمة ودمى مصنوعة من الفخار ، وغير ذلك . ومن ابرز ما في المجموعة الاثرية اليونانية بين ٣٠٠-١٠٠ قبل الميلاد المعروضة للنظارة « رأس هوميروس » .

وقد نمت مجموعة الرسوم والصور الزيتية العائدة للعصور الحديثة سواء في اميركا او اوربا نموا عظيما ، وتحل فيها اثار الرسامين الفرسيين في القرن التاسع عشر محلا بارزا وللمصورين الانطباعيين فيها محل مرموق ايضا .

والاثار الاسلامية الفنية تمثل بعدد من نماذج الخطوط العربية الرائعة وللمخطوطات المزوقة ، وصناعة التجليد والتسفير والنقوش في الجص والحجر ، والخزفيات ، والزجاجيات وصناعة المعادن والحياكة فترى معروضا للنظارة نسخا من القرآن الكريم بخطوط منسوبة وافلام مشاهير الخطاطين محلاة بالرسوم والتزاويق الرائعة البديعة الصنع .

وفنون التحلية والتزيين التي ظهرت في اوربا واميركا تتمثل بعدد من صنائع الفرش والتاثيث ، والزجاج الملون ، والالات الموسيقية المصوتة ، ودمى مصنوعة من القاشاني والفضة اما قسم المنسوجات فيملك نماذج من الانسجة المطرزة والدانتيلا ومحبوكات مصورة وسجاجيد وطنافس ، بعضها مستورد من بلدان الشرق الادنى واسيا .

وفي المتحف ايضا قسم خاص يعنى بامور الثقافة العامة للكبار والصغار وينظم في هذا السبيل محاضرات الحين بعد الاخر ، ورحلات يطوف المشتركون بها في انحاء البلدة التاريخية للتعرف الى معالمها ، او ينظم حفلات موسيقية عامة للترفيه عن الجمهور ويهيء لايام الاحاد برامج خاصة تشتمل على احاديث للصغار ومقابلات اذاعية وتلفزيونية ويتبع المتحف مدرسة للفنون الجميلة انشئت عام ١٨٧٦ تعطي دروسا نظرية وتطبيقية في الفروع التالية : الخزفيات والرسم التجاري ، والرسم الفني وغير ذلك من الفنون التصويرية وتاريخ الفن في صناعة الحلى والمجوهرات والصياغة والرسم والنقش والحفر .

وبالاضافة الى هذا كله تجد في المتحف مكتبة خاصة غنية بالاصول والمراجع الخاصة بالفنون على انواعها تضم ١٠٥٠٥٠٠ كتاب ومجموعة تتألف من ٣٠ الف صورة كما تضم مجموعة رسوم مختلفة تضم ٩٥٠٠٠٠ قطعة مختلفة .

قالوا في « الاديب »

●

تلطفت الزميلات في البلاد العربية وفي المهاجر باستقبال عدد الاديب الممتاز في اول العام ودخول الاديب في سنتها الجديدة بعاطفة كريمة فياضة غامرة ، ننقل بعض ما كتب بهذا الموضوع كما ننقل ايضا بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرين عطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديب دائما عند حسن ظنهم بها !

★ ★ ★

قالت مجلة الاذاعة الغراء التي تصدر في بيروت :

حين يقوم تاريخ صحيح للحركات الادبية في لبنان وفي البلدان العربية ، سيتجلى بوضوح ان التيار الادبي الذي اوجدته مجلة « الاديب » الراقية ، هو الذي قامت عليه مداميك كثيرة من نهضتنا الطالعة .

ومن الطبيعي ان يكون للاستاذ الكبير البير اديب ، ذاك الفضل ، فضل السباق في تاسيس مجلة كبرى ، يمكن القول بكل ارتياح انها تجمع بين الاقطار العربية كلها ، من شاطىء افريقيا الشمالية الى بلدان الخليج الفارسي ، على اساس فكري سليم سيكون ولا ريب من اهم العوامل التي ستؤدي في المستقبل الى ايجاد الاتحاد الصحيح بين العرب .

فمنذ ستة عشر عاما ، والاستاذ البير اديب هذا المنتج الخلاق ، العامل بصمت ، والباني بمحبة ينقب ويجمع ويشجع ويبعث كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حركة داخل انطلافه حتى بات من الواجب القول ، ان « الاديب » قد اوجدت نهضة على الرغم من تجاهل الدولة لها ، وعدم تقدير رجالاتها حيالها .

واذا كان من الصحيح ان البير اديب ، تمكن من الاستمرار ، بغنى عن مساعدات الدولة ، وسيظل بامكانه ان يستغنى عنها ، فاننا نتساءل اذا كان يجوز لهذه الدولة ان تمضي في سياستها الحالية ، تجاه الادب والادباء ، فتنفق الكثير حيث لا يجدي الانفاق ، وتبخل على اصحاب المواهب والكفايات والفضل ـ والبير اديب و « اديبه » اوفى مثال لذلك ـ بما هو من اوجب واجباتها ...

●

وقالت الجريدة السورية اللبنانية الغراء التي تصدر في بونس ايرس بالارجنتين :

تختتم الزميلة الراقية مجلة « الاديب » عامها الخامس عشر بفخر وزهو ، فقد اثبتت انها رسولة الادب العربي ، وفي طليعة المجلات . حيث حملت رسالتها بامانةواخلاص وخدمت الادب والثقافة بنزاهة وقد بلغت اندرجة التي تصبو اليها من كمال ورفعة ونبوءمكانة مرموقةفي عالم الصحافة بطريقتها المستحدثة ، وادبها الرفيع وابتكارها الجديد ... فبرهنت على كفاءتها ومقدرتها في معالجة المواضيع الادبية بوعي ويقظة . وكان هدفها دوما خدمة لغة الضاد والاخلاق تحت اجنحة الانسانية الحرة الطليقة .

اننا نتمنى للزميلة المعتبرة مجلة « الاديب » الاستمرار في طريقتها الرائعة والازدهار في خطوتها المباركة ، والسير الى الامام دائما ! .. كما نرجو للزميل الصديق الاديب الفاضل والمناضل الابي الشهم الاستاذ الكبير البير اديب ، ان يتابع كفاحه ويستمر برسالته الشاقة في سبيل احياء الادب العربي ، واننا لنغتنمها فرصة طيبة لنقدم للاستاذ الصديق تهنئتنا الحارة بهذا العدد الممتاز الذي جاء صورة حية صادقة لما احب واراد حضرة الاستاذ الاديب . مادة غزيرة ، واسلوب جديد مفعم بالبحوث المتنوعة القيمة وليست هي المرة الاولى التي تتحلى بها مجلة « الاديب » بهذه الميزة الممتازة ، لقد تحسنا هذه المقدرة منها منذ فجر ولادتها حتى عامها الحالي . انها قوة فعالة وسراج لطلاب الادب والثقافة .

تهنئتنا اليوم هي تهنئة فخر واعجاب ومحبة بهذا العام الجديد التي تلجه « الاديب » مع اضعافها للصديق املين له الفوز في نضاله المثمر والنجاح والعمر الطويل في كفاحه .

دار الاوبرا في بغداد

●

كان مجلس الاعمار العراقي قد استدعى المهندس المعماري العالمي المسترفرانكلويد رايت كمهندس استشاري لمشروع تاسيس دار الاوبرا في بغداد وقد قدم المستر رايت الى وزير الاعمار المقترحات التالية التي وضعها للمشروع بصورة مبدايةَ .

ـ يتعهد المهندس المعماري رايت القيام بتشييد دار اوبرا باستيعاب النحو التالي من الاشخاص

٢٥٠٠ شخص لاغراض الحفلات المقامة من قبل الفرق الموسيقية الرسمية

٣٧٠٠ شخص لاغراض الاوبرا نفسها

١٢٠٠ شخص مخصصة للمستمعين .

ـ ويدخل ضمن ذلك مكتبة للمسرحيات على جهة ومكتبة موسيقية على جهة اخرى ويضاف اني ذلك ايضا مكان معد لاجهزة والات المسرح وقاعات للتمرين كذلك محلات للسيارات

ـ تشيد الدار بصورة مستقلة وتحاط بحديقة مناسبة . وتكون بنايات الدار مجاورة ايضا لبحيرة صغيرة اصطناعية وسوف تكون هندسة الحديقة بصورة تسمح لاقامة حفلات موسيقية في الهواء الطلق وقابلة لاستيعاب عشرة الاف شخص

ـ ستكون حديقة دار الاوبرا متصلة بممشى بشكل جسر عريض على ضفاف نهر دجلة ومؤدي الى حدود الجامعة بصورة فنية

ـ تشمل التنظيما تالهندسية ايضا قاعة فنية صغيرة مندمجة مع حديقة الاوبرا العامة

ـ اما المساحات التابعة للجامعة وبناياتها فسيقوم باعداد تصاميمها اما المهندس المعماري رايت او من يساعده للغرض نفسه

ـ اما ما يخص البناية والتشجير والتاثيث انعام فانها جميعا ستوضع تحت باب واحد

ـ سيقدم المهندس المعماري التقارير التمهيدية باقرب وقت ممكن الى مجلسالاعمار

ـ ان جميع الاعمال الانشائية والتصميمية نجميع ما ذكر اعلاه ستقدم الى المجلس بهيئة عروض للحصول على اتفاق ومصادقة من قبله

ـ بالاضافة الى ما سبق يعتقد المستر رايت بان هناك حاجة شديدة لتاسيس مركز ثقافي جامع لكافة المعلومات الخاصة بحضارة الشرق والغرب بصورة حديثة ومفيدة وبروح متجددة ويجب ان لا يزيد تكليف مثل هذا المركز المليون دولار

يرجو المهندس ايضا استشاراته فيما يتعلق بسن قانون جديد للسيطرة على تنسيق المباني والتي لها اثرها في الفضاء على مشاكل مرور وايقاف وسائل النقل تلك التي لا عفر من اعداد خطط لها الان .

ويكاد المهندس العالمي المستر رايت الذي يناهز الثمانين من العمر ان يكون فنانا اكثر من كونه مهندسا معماريا لا يفهم الا لغة المقاييس والخرائط بل ان صفته الشاعرية التذوقية وحساسيته المرهفة كفنان تطغى عليه .

وقد انتهزت جمعية الفنانين العراقيين فرصة وجوده ببغداد في الشهر المنصرم فمنحته عضو الشرف بالجمعية .

المهندس فرانك لويد رايت هو صاحب المؤسسة العالمية المشهورة باسمه ، ويعتبر احد خمسة مهندسين معماريين في العالم ، اذ يتمتع بمؤهلات فذة . ويقوم المستر رايت الان بتشييد عمارة ارتفاعها ميل واحد في شيكاغو وتتالف من ٥٨٠ طابقا ، وتستخدم فيها المصاعد التي تسير بواسطة الذرة . وكان قد قام بتشييد اوتيل « اميريل » المضاد للزلازل في طوكيو ، ومنحه امبراطور اليابان وساما رفيع الشان لهذا العمل الفريد . وقد قام بتشييد ٧٦٨ عمارة في شتى انحاء العالم لم يسبقه الى مثلها احد . واذ يعتبر اينشتاين استاذ الرياضيين في العالم فان فرانك رايت استاذ المهندسين المعماريين وهو مشهور بطريقة خاصة في عرض اجوره وتقاضيها . فهو يطلب عادة نسبة مئوية من كلفة العمل الذي يكلف به ويختلف عن غيره من المهندسين الاستشاريين بانه يفسح المجال لعملائه ان يجروا اي تعديل يرونه على التصاميم والكشوف حتى قبيل مباشرته ولذلك فان التعاقد معه يعتبر فوزا للعمل .

وقد بعث المهندس المذكور الى وزارة الاعمار حين فوتح بالمشروع بكتاب قال فيه :

« كان مفاجاة سارة لي ان انضم الى العراق في احدث مشاريعه للقرن العشرين . وهذا الامر ليسعدني بصورة خاصة لان بناء دور الاوبرا كان احد اعمال تدربي الاول . وفي الوقت الحاضر اقوم ببناء مسرح جديد في دالس في ولاية تكساس . »

ومن المتوقع ان يعود المستر رايت الى بغداد في الخريف القادم ليعرض التصميم النهائي لدار الاوبرا العراقية التي ستكون احدى المفاخر الفنية التي تخطو بمدينة بغداد خطوة اخرى نحو مسايرة الركب الاجتماعي العالمي الحديث بعدما كانت اول عاصمة في الشرق الاوسط تنعم بالتلفزة . وقد وقع الاختيار على قطعة ارض تقع في شارع المنصور في الكرخ قرب جسر الملكة عالية تبلغ مساحتها عشرة الاف متر مربع لتحقيق مشروع دار الاوبرا التي ستجارى احدث ما وصل اليه التجديد في الفن المسرحي والفنائي .

أنباء العالم في شهر

١٣ مايو ١٩٥٧ ـ قتل الامير ماكونن دوق هارار الابن الثاني لهيلاسلاسي امبراطور ايتوبيا في حادث سيارة قرب اديس ابابا .

ـ اجتمعت في لندن سبع عشرة شركة من شركات البترول الامريكية والاوروبية لتدرس امكان مد خط انابيب طوله ١٥٠٠ ميل من الخليج الفارسي الى البحر المتوسط عبر تركيا.

ـ استقال ثمانية من كتلة المحافظين البرلمانية في بريطانية احتجاجا على سماح الحكومة للسفن البريطانية بعبور قناة السويس .

١٤ ـ اعتذر الملك حسين عن السفر الى بغداد بدعوة من الملك فيصل والملك سعود للاجتماع بهما بسبب الظروف الحاضرة في الاردن

١٥ ـ فجرت بريطانيا اول قنبلة هيدروجينية على ارتفاع عال في اواسط المحيط الهادي

ـ قدم المسيو جي موليه رئيس وزراء فرنسا استقالته احتجاجا على الطريقة التي تعالج بها الان قضية قناة السويس وقد رفض المسيو كوتي رئيس الجمهورية الاستقالة .

١٦ ـ افرج عن فالتر فونك وزير اقتصاد هتلر من سجن شباندو المخصص لمجرمي الحرب وذلك بسبب حالته الصحية وهو محكوم بالسجن مدى الحياة .

١٧ ـ اعلن السيد عبد القادر حاتم مدير الاستعلامات المصرية الى ان مصر ستمنع بالقوة مرور السفينة الاسرائيلية التي تعتزم اسرائيل ارسالها الى قناة السويس .

١٨ ـ عاد الملك سعود الى الرياض بعد زيارته للعراق .

ـ اذيع بلاغ عراقي سعودي مشترك عن المحادثات التي جرت في بغداد بين الملكين سعود وفيصل .

وقد نص على توحيد سياسة البلدين والعمل لتصفية العلاقات العربية والتعاون من اجل حل قضية فلسطين ومحاربة التدخل الاجنبي ومعارضة المبادىء الهدامة وتدخل دولة عربية بشؤون دولة اخرى وتعزيز الجامعة .

٢٠ ـ اجتمع مجلس الامن الدولي بناء على طلب فرنسا لمناقشة مسالة قناة السويس .

ـ اذاع راديو موسكو رسالة الماريشال بولغانين الى المسيو جي موليه وقد دعا بولغانين فرنسا الى اجراء مفاوضات ثنائية تهدف الى انقاذ اوروبا من خطر الدمار والموت كما اقترح معاهدة عدم اعتداء بين حلفي الاطلسي وفرصوفيا واشار الى قضية الجزائر وايجاد حل سلمي ديمقراطي لها وان لا داعي الى عرض مسالة القناة على مجلس الامن لان التصريحات المصرية في ٢٤ ابريل تشكل اساسيا طيبا لتسوية المشكلة .

ـ غادر شاه ايران والامبراطورة ثريا طهران الى اسبانيا في زيارة رسمية .

٢١ ـ اعلنت مصر رفع جميع القيود المفروضة على السفن البريطانية والفرنسية التي ستمر في القناة .

ـ اذاعت الحكومة الاسرائيلية بيانا بقبول التعاون مع مبدأ ايزنهاور للشرق الاوسط .

ـ وصلت الى كوبنهاجن الملكة اليزابيت وقرينها الامير فيليب في زيارة رسمية للدانيمرك .

٢٢ ـ خذلت الجمعية الوطنية الفرنسية حكومة جي موليه الذي قدم استقالته .

ـ اتخذ مجلس الوزراء الاردني قرارا يطلب فيه الى الحكومة السورية سحب قواتها المسلحة المرابطة في الاردن .

ـ بعد ان خطب اعضاء مجلس الامن الدولي حول المذكرة المصرية عن قناة السويس وعما اذا كانت تؤلف ضمانا لحرية الملاحة او لا فقد رفع مجلس الامن جلساته الى اجل غير مسمى دون ان يتخذ اي قرار او توصية .

٢٣ ـ استقال المسيو كارل اوغست رئيس الحكومة الفنلندية الائتلافية .

ـ استقال المسيو منديس فرانس من رئاسة الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي

ـ بدات في روما محادثات بين مصر وبريطانية لمحاولة تصفية المشاكل القائمة بينهما منذ الاعتداء الثلاثي على مصر .

٢٤ ـ اعلن السيد حبيب بو رقيبة انهاء الاتفاق المالي والجمركي المعقود بين تونس وفرنسا منذ عامين . وكان هذا العمل ردا على قرار فرنسا بقطع مساعدتها المالية عن تونس لمدها المجاهدين الجزائريين بالاسلحة .

ـ بدأ سحب القوات السورية من الاردن .

ـ هاجمت الجماهير في عاصمة فورموزا السفارة الامريكية وحطمتها احتجاجا على تبرئة جندي امريكي قتل صينيا . وقد اعلنت الاحكام العرفية في المدينة .

٢٥ ـ قدم السيد مصطفى بن حليم رئيس الحكومة الليبية استقالته

٢٦ ـ الف السيد عبد الحميد قوبر الوزارة الليبية الجديدة .

ـ استقبل الرئيس ايزنهاور المستشار كونراد اديناور رئيس الحكومة الالمانية .

٢٧ ـ اجتمع مجلس الامن للنظر في الشكوى السورية ضد اسرائيل بانها بنت جسرا مع استعدادات عسكرية في منطقة بحيرة الحولة

٢٨ ـ فجرت الولايات المتحدة اختراعا ذريا مضيئا مفتتحة بذلك سلسلة الاختبارات الذرية الصيفية في صحراء نيفادا .

ـ عين الرئيس كيكونن المستر سوكيلين زعيم المزارعين الفنلديين رئيسا للوزارة .

٢٩ ـ اصدر الرئيس جمال عبد الناصر مرسوما بتشكيل اتحاد وطني يعمل على تحقيق اهداف الثورة وصيانة الوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وسيكون الاتحاد برئاسته .

ـ رفع مجلس الامن جلساته مدة شهر يستانف بعدها اجتماعاته لمناقشة الشكوى السورية ضد اسرائيل .

٣٠ ـ اشتبكت القوات الفرنسية مع الحرس التونسي في الاراضي التونسية ووقع عدد من القتلى والجرحى .

٣١ ـ تسلم الاردن قاعدة المفرق الجوية من القوات البريطانية في احتفال رسمي .

ـ اعلنت الحكومة البريطانية تخفيف قيود التبادل التجاري مع الصين الشعبية على ان يبقى الحظر مفروضا على الموادالاستراتيجية.

ـ فجرت بريطانيا قنبلة هيدروجينية في المحيط الهادي تقدر قوتها بخمسة ملايين طن من المتفجرات الشديدة وهي اقوى واضخم قنبلة فجرت في العالم .

اول يونيو ١٩٥٧ ـ اعلن الرئيس ابو رقيبة ان جميع القوات الفرنسية في تونس محظورة الا بامر من الحكومة التونسية وطالب فرنسا بفتح المفاوضات لجلاء قواتها عن البلاد .

٣ ـ عقد في كراتشي مجلس وزراء حلف بغداد وقد اعلن رئيس الوفد الامريكي المراقب بان حكومته قبلت الانضمام الى لجنة الحلف العسكرية .

ـ بعد مظاهرات واضرابات قامت بها المعارضة في لبنان ووقوع بعض القتلى والعديد من الجرحى بينهم الرئيس السابق صائب سلام للمطالبة بحكومة حيادية تشرف على الانتخابات النيابية ، صدر مرسوم بتعيين الدكتور يوسف حتي والسيد محمد علي بيهم كوزيري دولة في وزارة الاستاذ سامي الصلح القائمة .

بيروت ـ الحازمية
مطبعة الشراع

العطف والانانية

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي في علم النفس

اذا نظرنا الى العلاقات الانسانية وجدناها تنقسم الى ثلاثة اقسام: اولا التعلق العاطفي ، ثانيا اللامبالاة، ثالثا النفور — وكل حالة من هذه الحالات النفسية توحي بسلوك معين وتخلق اتجاها في الحياة. يبدأ الطفل حياته ضعيفا لا يدرك الحقائق التي تربطه بالاشياء، ولا يمكنه ان يقوى على مواجهة المشكلات المتعددة التي تهدد كيانه في كل لحظة من اعوامه الاولى . ويثير ضعفه هذا ميلا عند الكبير المدرك لحمايته ومساعدته . ويختلف الناس في هذا الشعور الذي نسميه الحنو او الحنان اذ تتغلب الانانية على البعض وتعوقهم عن التمتع بنعمة حماية الصغار رغم ما تكلفه من صعوبات مرهقة ومسؤوليات متجددة . ويبدأ من هذا الصراع بين العطف والانانية صراع يمكننا ان نجد اثاره في كل مظهر من مظاهر الحياة .

اذا تأملت سلوك شخص في حياته تجده دائما مدفوعا نحو اعمال تحميه وتحمي من يحب . واذا تحققت له هذه الرغبة فانه يحاول ان يوفر لنفسه ولاولاده الرفاهية التي تغدق عليه لذات الحياة . ولاحظنا بتأمل اعمال الكثيرين ان اخطاء شائعة عرضت الكثير من بني البشر الى الام وخسارة لا تعوض . فالعطف والانانية قطبان طبيعيان يساعدان الفرد على التبادل مع الاخرين لكي يساعد ويتعاون والفرد جزء من الحياة وعليه ان يحمى الحياة ومن حقه ان يطلب المساعدة من الاحياء .

ولكن الصدفة وحدها لا يمكنها ان تحقق المطلوب بصفة مضمونة مؤكدة . فلا بد من ان نلقي نظرة شاملة على التيارات النفسية المتصلة بقطبي العطف والانانية ، لكي نفهم الاتجاهات الطبيعية التي تتم بالصدفة وتؤدي الى كثير من الاخطاء الشائعة ويمكننا على ضوء الربط بين الفوضى في السلوك العاطفي وبين الاخطاء الجسام ، رسم خطة جديدة للحياة العاطفية تحقق الهدف وتضمن السعادة وتؤدي الى النعمة المنشودة — ان النظام في كل ميدان يقضي على المفاجأة المؤلمة . كما ان الشخص الذي يسير في الحياة على بصيرة يتفادى الوقوع في الصدمات المهلكة والتعقدات المربكة .

انظر الى الشباب الذين خرجوا من المدرسة ليتزوجوا فتاة عشقوها لجمالها ، او خضعوا لامراة سيطرت عليهم بعطفها او باي اسلوب من اساليبها ، فان هؤلاء يندفعون في الحياة يعملون ويشقون لكي يكسبوا ما لا يحققون به رغبات من يحبون . ويخلق هذا الاندفاع لذة عند المحبوب الذي يتمادى في الطلب ويتخذ التضحية دليل حب وعطف ان معظم الناس يكافحون كفاحا مرا وهدفهم الحصول على عطف او المحافظة عليه . وتكون اكبر صدمة يواجهونها في الحياة عندما يدركون ان ليس هناك عطف او ان العطف ليس كل شيء في الحياة .

والاندفاع نحو العطف بشدة ، حالة مرضية خفية لا تنجلي علاماتها الا بعد ما يقطع الشخص شوطا كبيرا في الحياة ، ويلاحظ انه حصر نشاطه في اتجاه واحد وان هذا الحصر ادى به الى اهمال الوان اخرى من المتعة ونعيم الحياة . واغلب الاشخاص الذين يندفعون نحو العطف ويجعلونه هدفا رئيسيا في حياتهم هم الذين حرموا في طفولتهم من عطف الابوين او عطف احدهما . ويكفي ان ننبه الشخص العاقل لهذا الاتجاه ولاساسه لنجعله يحذر التورط في علاقات تربطه مدى الحياة وتجعله يخطيء الهدف ويحرم نفسه من الوصول الى النضج والاستقلال والحرية ليمنح عطفه على اساس التبادل لا على اساس الخضوع والذل والاستعباد .

والشخص الذي يحب فتاة جميلة هو شخص يريد ان يأخذ منها لذة ويريد ان تعطيه عطفا تخصه به دون الاخرين . واحدث هذا الاتجاه مشكلات نفسية عدة وجعل الشعراء يتجهون باشعارهم للتعبير عن هذه الازمة النفسية المنتشرة بين الناس . ولو اننا وجهنا توجيها نفسيا صحيحا لتغيرت هذه المواقف ولوفرنا على نفسنا مجهودات جبارة بذلت في هذا الميدان . والمهم في كل هذا هو ان الشخص الراغب في عطف امراة جميلة لا يشبع ، ولا يقنع ، ولا يكتفي ، بل يظل دائما متجها الى هذه الرغبة المعلقة . وتظل انظاره دائما تحوم حول الجمال الانساني وتحاول احيانا حل هذا الضعف بالزواج ، ولكن الواقع هو ان الشخص يتعرض لصراع نفسي مستمر يحدث امراضا جسيمة او اضطرابات اجتماعية . ومن هنا جاءت فكرة العقد في الزواج ، وجاءت ظاهرة الزواج التي تعني تقسيم الحريم كما هو الشأن في الاراضي حتى لا يعتدى شخص على حق شخص اخر في امراة اختارها ليملكها الى الابد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والغريب في ان العلاقة بين العطف والملكية لم تكن دائما منحصرة في ظاهرة الحب الجنسي؛ فاننا نجد في اغلب الاحوال نزعة الملكية موجودة في كل حب حتى في حب الام لاولادها او الاب لابنائه ، او الاخ لاخته ونسمي ذلك غيرة تارة وسيطرة تارة اخرى . لهذا وجدنا الاباء في اغلب العصور يسيطرون سيطرة تامة على ابنائهم ويخضعونهم الى افكارهم وعلى الولد ان يطيع والده في كل كبيرة وصغيرة .

كل هذا راجع الى الاندفاع والحصر وعدم الرجوع الى العقل الذي يزن الامور ويكيف الافعال ويوجه الشخص توجيها ثابتا يفيده في شتى مراحل الحياة . وكثيرا ما يكون العقل موجودا ولكن التيارات الطفلية ونقص التربية يجعلانه معطلا غير قادر على تسيير السلوك العام . ويقع الانسان احيانا في حيرة تجعله يثور على بعض افعاله التي اوحتها العاطفة الطفلية اذ يشعر بعقله بعد وقوعه في المازق العاطفي المعقد انه اخطأ الطريق . ولا يمكن للقارىء ان يفهم قيمة هذه الملاحظات العلمية الا اذا كان قد مر ببعض التجارب الواقعية التي جعلته يربط شخصه بشخص اخر قضى على ميوله واستعداداته وجعله يتحول عن سيره الطبيعي في الحياة . وقد يتعرض علينا قوم بحجة ان هذا التحذير مضر للحياة الاجتماعية بتعطيله الزواج ، ولكن الرد الصحيح لهذا الاعتراض يؤيد ان هذا التحذير يقضي على الزواج الفاسد الذي يخلق الاسرة المريضة التي تنجب اطفالا معقدين مصابين بعقد نفسية تظهر في شكل اسراف من العطف او اسراف في اللامبالاة ، او ميل الى النفور من الناس عامة والانطواء على النفس بشكل مرضي .

واما الزواج السليم القائم على العطف الناضج فانه يخلق الاسرة الثابتة المترابطة الاعضاء ترابطا مستقرا . وهكذا ترى ان موضوع العطف والانانية وما يؤديان اليه من تعلق شاذ او لامبالاة ، او نفور غير طبيعي موضوع خطير في الحياة الاجتماعية ويحتاج الى دراسة علمية وتنظيم تدريجي والدراسة العلمية تستند الى ما هو واقع بالفعل وتعطي اهمية للاضطرابات النفسية والاجتماعية الناشئة عن العطف .

وهناك العطف القوي الذي هو ناشىء عن الخوف والذي يدفع الشخص نحو التعلق الشديد . ان للخوف اثرا كبيرا في ظاهرة الحب ـ وكثيرا ما نشاهد اطفالا يعذبهم اهلهم عذابا شديدا ومع ذلك نجدهم متعلقين بهم . فالتحليل النفسي يثبت ان هذا التعلق قائم على الخوف من الحياة وعلى عجز حقيقي . وقد يكون الخوف حالة نفسية مبهمة لا تقوم على سبب معين ـ وهكذا نجد الكثيرين من السيدات المصابات بالخوف المرضي يتعلقن برجال لا يبادلونهن اي عطف ويشرح لنا هذا التحليل استغلال بعض الازواج هذا الضعف عند ازواجهم والوصول الى الاسراف في التعذيب والاهانة . وقد تتبعت حالات نفسية لكثير من السيدات اللاتي كن خاضعات خضوعا مطلقا للزوج رغم ظلمه وقسوته . وان مجرد شفائهن من الخوف الوهمي جعلهن يثرن على الزوج ويطالبن بحقهن في الاحترام والعدل في المعاملة ورأيت البعض يواجهن الصعاب ليتخلصن من العذاب الذي كن خاضعات له تحت تأثير الخوف . والغريب انهن قبل التحليل كن يشعرن بتعلق يشبه العطف . ولو سألتهن عن شعورهن وجدتهن حائرات في الجملة ومتعلقات بالشخص . وهذه الحالة المؤلمة نجدها عند عدد كبير من الاطفال السيئي الحظ الذين اعطتهم الطبيعة ابوين جاهلين وقاسيين او مريضين معقدين ..

كل هذه الاضطرابات الاجتماعية التي تحرم الشخص من عطف الناس نحوه تؤدي الى ما يسمى بالخلط العاطفي اي فقدان الشعور بالعطف بحيث ان الشخص لا يقدر على الشعور بالعطف نحو الاخرين . ولهذا يصبح من الواضح فهم الاشخاص الذين يشكون من عدم شعورهم بالحب نحو الاخرين ، ولا يجدون في انفسهم ميلا نحو ما يثير الحب والعطف عند امثالهم في سنهم وفي ظروفهم . وكانت حالة الجفاف العاطفي هذه سببا في كثير من المواقف الاجرامية التي تاتي كانتقام ضد مجهول . وبناء على هذا السلوك العنيف القائم على دوافع اجتماعية دفينة يقوم المجتمع بعاقب ويسجن هؤلاء الاشخاص الذين يستمرون في نفورهم من الناس ، وفي العجز عن الوصول لاي عطف ونعتبرهم خطرين على الامن العام .

وليس حال المندفعين نحو حب الناس كلهم بلا تمييز احسن من موقف العاجزين عن العطف . هناك اشخاص تراهم خاضعين خضوعا مطلقا للعطف والحب ، وتراهم مسالمين مسالمة تامة ، وتقول عن هؤلاء انهم بلينهم الزائد ضعاف الشخصية ـ ومحاولة ارضاء الاخرين قد تكون ناتجة عن الخوف من الناس او عن محاولة الوصول الى العطف . وتؤدي هذه الحالة النفسية ببعض السيدات الى سلوك شاذ ، اذ يصل بهن الامر الى صلات جنسية تقضي على سمعتهن ومكانتهن الاجتماعية . ومع هذه الطائفة من الانسانية استعمل المجتمع قسوة ادت الى تعقدات تطورت تطورا خطيرا وخلقت فئة من الناس منبوذة

اننا في حاجة الى مراجعة موضوع العطف والانانية مراجعة علمية لنرشد المسؤولين على التربية ليوجهوا الناس توجيها صحيحا يقضي على المشكلات النفسية والازمات التعويضية . وقد ادرك بعض الموجهين السياسيين قيمة هذا الموضوع واستعملوه في الاساليب السياسية الاستعمارية بدلا من الضغط المباشر السافر الذي يكره وينفر ان بعض الدول تحاول ان تحافظ على الود بينها وبين بعض الشعوب وتخشى الكره والنفور ، ولذلك فانها تخلق مواقف سياسية محرجة توقع فيها شباب الشعوب ليصبح في حالة خوف تدفعه الى التعلق بالدولة الكبرى . وهذا هو التعلق القائم على الخوف الذي اشرنا اليه . فهذا الفهم وهذا الاسلوب يجعلان الانسانية مسؤولة على الثورات والخلافات التي تنشر الرعب والخوف وتؤدي الى الخلط العاطفي والاضطراب النفسي .

الى متى سيظل حب الانسان للانسان مثلا اعلى لا يمكن تحقيقه في حياتنا اليومية في البيت وفي المدينة وفي الوطن وفي العالم .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليام بتلر ياتس - حياته وشعره

بقلم مرسي سعد الدين

○ ○ ○

عندما وجد ويليام بتلر ياتس ان الشبان من الشعراء قد بدأوا يقلدون اسلوبه الشعري كتب قطعة شعرية اسماها « المعطف » يقول فيها :

صفت من اغاني معطفا
وحليته بالزخارف
صفته من الاساطير القديمة
ليغطيني من الكعب الى الرقبة
ولكن جاء الاغبياء واخذوه
ولبسوه امام اعين العالم
كما لو كانوا صنعوه بايديهم
أيتها الاغنية ، دعيهم يأخذونه
فهناك شجاعة وقوة
من ان يسير الانسان عاريا

في هذه القطعة القصيرة استطاع ياتس ان يعبر عن تطور شعره ، فهو قد بدأ شاعرا زخرفيا ، أشعاره مرصعة مستمدة من الاساطير الايرلندية ، ومبنية على اعتقاد مشترك مع مجموعة من المفكرين والكتاب بان الايرلندي يجب ان يبدأ من جذور الفولكلور . ويقول ياتس في هذا :

« لدينا في ايرلنده قصص خيالية ، تعرفها الطبقات غير المتعلمة ، بل وتغنيها . فلم لا ننشر هذه القصص بين الطبقات المتعلمة ونعيد اكتشاف « فن الادب التطبيقي » واعني الاتصال بين الادب والموسيقى والحديث والرقص . واخيرا لعل في قبول افراد الشعب جميعا ، الفنان منهم والشاعر والعامل ، خدمة لهدف واحد وهو تقوية الشعور السياسي » .

ان ياتس يضع اساس النهضة الادبية في ايرلنده ، تلك النهضة التي بدونها لم تكن ثورة ١٩١٦ لتتحقق . لقد قاد الثورة شعراء وكتاب ، قادوا شباب ايرلندة الى الموت لكي تحيا بلادهم . ظهر ياتس في عصر كانت ايرلنده تمر فيه باخطر فترات تاريخها السياسي والقومي ، كانت مرحلة من مراحل الاستعمار التي استطاع فيها ان يجد في داخل صفوف الايرلنديين عناصر متعاونة . وكانت النتيجة ان اختلط الامر على الايرلنديين انفسهم ، لم يعرفوا من معهم ومن عليهم ، من الايرلندي الحق ومن المتعاون .

ظهر ياتس في هذه الفترة ومعه جماعة من الشعراء والكتاب وقرروا ان يقوموا بمجهود موحد لاحياء الثقافة الايرلندية ، ففي احيائها طريق الخلاص والحرية لتلك « الجزيرة الخضراء الصغيرة » . قامت هذه الجماعة فكتبت المسرحيات ونشرت الاشعار وبنت مسرحا قوميا ، فعلت كل هذا تحت قيادة ويليم بتلر ياتس ، الشاعر الذي بدأ ارستقراطيا ثم نزل الى تيار المعركة ، يكتب للشعب بلغته ولكن بدون ان يرخص من اسلوبه او يحقر من افكاره . ان ما فعله هو وجماعته هو رفع المستوى الثقافي للشعب حتى جعلوه يستسيغ ما هو رفيع من الوان الثقافة .

وعلى الرغم من جماعية ياتس ، تلك الجماعية التي جعلته يؤلف بعض المسرحيات بالاشتراك مع كتاب اخرين ، على الرغم من هذا فانه يمتاز بفردية قاسية ، جاءت نتيجة لثقافته الخاصة وفلسفته . كان ياتس يكتب الشعر بدافع من نفسه دون النظر الى اية عوامل خارجية . وعلى الرغم من ان ياتس لم ينفصل عن التيار الوطني في ايرلنده — بل انه كان من العاملين على راس ذلك التيار — فانه لم يجعل تلك العوامل الخارجية تؤثر في شعره . وبينما نجد ان عددا كبيرا من الشعراء والكتاب في ذلك العصر تركوا انفسهم كلية في التيار القومي وانتجوا شعرا من الدرجة الثانية ارضاء للنزوات — نرى ان ياتس احتفظ بنوع شعره ولم ينزل به .

كان ياتس يدين بايمان قوي للشعر ، وكان هذا الايمان هو الذي أعطاه تلك المكانة الرفيعة في عالم الشعر ، وجعل منه مؤثرا قويا على الشبان من الشعراء الذين بدأوا الكتابة خلال الثلاثين سنة الماضية، سواء في انجلترا او ايرلنده .

وقد تطور شعر ياتس في مراحل مختلفة بدات بمجموعته « مفترق الطرق » ويعتقد النقاد ان بداية ياتس كانت رائعة لدرجة انه لو كان قد اكتفى باول مجموعتين شعريتين لصارت شهرته الى ما هي عليه الان .

بدأ ياتس شعره باستعمال عالم الخيال الايرلندي ، عالم الاساطير والجنيات . ولما بدأ الشعراء في تقليده احسوا بخيبة امل حين توقف ياتس عن الكتابة بهذه الطريقة ، ولم يعد يستعمل تلك الزخارف التي عثر عليها بين الاساطير الايرلندية القديمة ، واعاد تكوينها بطريقته الخاصة ، وفضل ان « يسير عاريا » . وهذا السير العاري يعتبر معجزة فعلا ، معجزة جاءت نتيجة للحرب الاولى ، ونتيجة لنزول ياتس لميدان النضال القومي . كانت الحرب الاولى صدمة لايرلندة وشبابها فقد اضطرتهم انجلترا لخوض غمارها ، بينما هم بعيدون عنها . انهم أعداء انجلترا تلك الدولة التي استعمرتهم الافا من السنين ، فكيف يحاربون في جانبها . وقد عبر ياتس عن هذا الشعور المختلط في قصيدة طيار ايرلندي سيتنبأ بمصيره .

اني اعرف اني سأواجه حتفي
في مكان ما فوق السحاب
ومن اقاتلهم لا احس لهم بالكراهية
ومن أحرسهم لا اشعر نحوهم بالحب
ان بلادي هي كلنارتون كروس
واهلي هم فقراء كلنارتون
وليس هناك الان ما يفقدونه
او يجعلهم اكثر سعادة مما كانوا

بدأ ياتس في نشر افكار عديدة ، سواء في ناحية الشعر او المسرح كان يرى ان الادباء الايرلنديين يجب ان يكتبوا في لغة تختلف عن اللغة التي ينشرها المستعمر . كان يرى ان اللغة الانجليزية التي يتحدثها الايرلنديون والمستعمرون هي لغة اضرت بها الصحافة ، لغة غير نقية مليئة بالشوائب ، فذهب الى فلاحي غرب ايرلندة ، وانصت الى لغتهم وعاش بينهم ، ثم نقل تلك اللغة الى مسرحياته واشعاره وساعدته في هذه المهمة صديقته لادي جريجوري التي قامت معه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باحياء الادب الايرلندي .

لقد بدأ ياتس شعره من برج عاجي ، هاربا من العالم كان يشعر بالعداء الموجود بين عالمين مختلفين ، عالم الخيال من ناحية وعالم الصناعة والسياسة والعلوم من جهة اخرى. لقد بدأ في العالم الاول ثم نزل الى غمار العالم الثاني . كتب اول ما كتب عن عالم الجنيات ، بعيدا عن الاحزان والمشاكل:

تعال معي أيها الطفل الادمي
تعال معي حيث المياه والبراري
خذ بيد الجنية ، فالعالم مليء بالبكاء
اكثر مما تستطيع ان تدركه .

اتخذ ياتس البرج العاجي رمزا عاطفيا في شعره :

اني اعلن ان هذا البرج هو الرمز
الرمز الذي اخترته ، واعلن ايضا
ان السلم الحلزوني هو سلم اجدادي
السلم الذي صعده جولد سمث وبركلي وبرك

وعندما دق الناقوس وبدات الحركة القومية ، وجد ياتس نفسه في غمارها . نزل ياتس الى الشعب وعاش بينه وكتب له المسرحيات والملاحم ، واصطبغ شعر ياتس بالطابع الملحمي مما أعطى انتاجه صبغة شعبية . كان ياتس يجوب البلاد لينصت الى الشعراء الشعبيين وهم يتغنون بالملاحم الطويلة ، كان يقيم في القرى ويتحدث الى الفلاحين ليملأ نفسه بلغتهم وعاداتهم . وهو يعتقد ان الشاعر الحق يجب ان يعرف وطنه ويعرف اهل وطنه ، وينصح من يريد كتابة الشعر فيقول :

« يجب ان تعرف انك الان تواجه ايرلندة وجها لوجه انك تواجه مأساتها وفقرها ، واذا اردت ان تكتب حقا عن ايرلندة ، فيجب ان تكون عارفا بكل احوالها . انك ان وصلت الى هذا ستصير شاعرا ومفكرا قويا . انك تواجه وجها لوجه وحدة قوية وامتحان قدرة الشاعر في مقدرته على امتصاص واستيعاب هذه الوحدة . استوعب ايرلندة ومأساتها ، وستصبح اذ ذاك شاعر البعث الجديد » .

قال ياتس هذا وكانه يتحدث عن نفسه ، فهذا هو ما فعله . وعندما بدأت الحركة القومية في ايرلندة ، وقع التباس على الكثيرين من الايرلنديين لتعدد الجماعات السياسية والقومية . وكان عام ١٩١٦ هو عام فصل للتردد بين الايرلنديين . ففي هذا العام جمع الانجليز ١٦ قائدا ثوريا واعدموهم ، فكانت النتيجة ان اتحد الايرلنديون على اختلاف نزعاتهم . وكتب ياتس عن الثورة كغيره من الشعراء كتب الاشعار وكتب المسرحيات القوية التي كانت تعرض على مسرح الآبي الصغير . كان الجمهور يشاهد المسرحية ويخرج في صورة مظاهرة تهتف ضد الاستعمار . كتب ياتس يشرح ما حدث :

لقد تغير كل شيء ، تغير كل شيء تماما
وولد جمال رائع
قلوب ذات غرض واحد ، صيفا وشتاء
تبدو وكانها سحرت الى احجار
ان التضحية التي تطول تجعل من القلب صخرا

وقد بلغ تأثر الشعب بكتابات ياتس حدا كبيرا حتى انه كتب في اخريات ايامه يتساءل عن مدى مسئوليته عن موت الشبان الايرلنديين :

الان وقد هرمت ومرضت
فان كل ما قلت وكل ما فعلت
سيتركز في سؤال واحد فقط
يقلقني ليلة بعد الاخرى
دون ان اجد له جوابا
هل كانت مسرحيتي هي السبب
في ان هؤلاء الشبان
أصابهم رصاص الانجليز ؟
هل كانت كلماتي هي السبب
في الاعمال القاسية التي قام بها النساء ؟
هل استطاعت كلماتي ان تعلم الشعب
أن هناك بيتا فريدا في نوعه قد انهار ؟

كان ياتس يحس بمسئوليته في خلق الحركة من بدايتها ، بدأ الشعور القومي ثم جاء يرى نتيجة عمله :

لاني ساعدت على ملء هذه الساعة
فقد إجئت لاسمع دقاتها .

وسمع ياتس دقات الساعة ، سمعها في ثورة ١٩١٦ وفي سنوات الحرب التي استمرت سبع سنوات في ايرلندة . سمعها حين اختير عضوا في اول مجلس شيوخ ايرلندي ، سمعها حين نزل الى غمار الحياة العامة . لقد بدأت اشعار ياتس تصطبغ باحداث العصر وبشئون ايرلندة ولكنه استطاع ان يضفي على هذه الاحداث والشئون العادية ـ موضوعات كل يوم ـ صفة العظمة والاحترام . كان يعتقد ان الشاعر ينبغي الا يكتب الا ما هو جميل ، ويجب الا يتحيز لطبقة دون اخرى . ان الشعب ليس الفلاح فقط ، بل هو الموظف والعامل والجندي :

يا شعراء ايرلنده ، تعلموا صنعتكم
ولا تتغنوا الا بكل ما هو جيد الصنعة
لا تأبهوا بتلك الاشكال الجديدة
التي تنمو بدون شكل من أسفل الى أعلى
انها صناعات واطئة من اسر واطئة
غنوا للفلاح ثم غنوا للسيد
غنوا عن تدين القديس وعن عربدة السكير
غنوا عن اللوردات وزوجاتهم
لتجعلوا منهم جميعا ايرلندة متحدة

كان ياتس يغني لهؤلاء جميعا ، وكان يختار شخصياته وابطاله من بين المكافحين في كل الطبقات ، الفلاح المجاهد ، والجندي المقاتل ، والصياد المغامر :

اني لا اختار الا الرجال الواقفين الصامدين
الذين يتسلقون الجبال التي توصل الى المنبع
حتى يصلوا الى الينبوع . وهناك فقط
يلقون متاعهم بجوار الصخرة المنبثقة
اني سأرث كبرياء هذا الشعب المكافح
شعب لم يربطه نفع او دولة
شعب لم يرتبط بالعبد الذي يبصق عليه
ولا بالظالم الذي يبصق
انه شعب برك وجرانان
اللذين خلقا الكبرياء ، كبرياء شعب لا يلين !!

القاهرة — مرسي سعد الدين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر الجديد في محنة

بقلم الدكتور محمد زغلول سلام

○

الشعر الجديد، او الاتجاهات الجديدة (١) في الشعر العربي ، تعاني هذه الايام محنة قاسية ، وهي محنة ظهرت اعراضها على الشعر نفسه منذ بدانا نطالعه في ذلك السيل من الدواوين والقصائد التي تطلع علينا من المطابع وعلى صفحات الصحف يومية واسبوعية وشهرية . وهي اعراض لازمت الشعر الحديث منذ مولده ، وتنبأ النقاد العارفون له منذ ظهورها فيه بانها تسيء اليه وتضعفه ، وحاولوا علاجه منها ، ولكن المؤمنين بهذا اللون الجديد من الشعر دافعوا عن اتجاهه غير مبالين .

والان يبدا الشعر يجتاز محنة قاسية ظهرت علاماتها هذه الايام ولا تزال تقوى وتشتد ، ولعل اوضح تلك العلامات ما طالعتنا به لجنة الشعر في هيئة عليا موقرة بمصر في تقرير لها عما قدم اليها من شعر يجمع بين الاتجاهين المعتدل الذي يأخذ من التجديد بقدر ، والجديد الذي يجري على ما يجري عليه جمهرة شبابنا الشعراء هذه الايام . وقد ناصر التقرير الاتجاه الاول واهمل الاتجاه الثاني، وفي هذا تقدير للاتجاه الاول وتهوين من الاتجاه الثاني

وهذا الحكم والتقدير قد يبدو متعسفا عند شعرائنا المجددين ، ولكن الحقيقة انه لم يكن سوى كشف لظاهرة باتت تشغل الادباء في العالم العربي ، وهي ما يلقاه الشعر الجديد من نفور واعراض من القراء والمتذوقين للشعر . بل ان ذلك الاعراض والنفور قد تحول شيئا فشيئا الى موجات من السخط والتذمر والثورة احيانا .

واورد امثلة لموجة السخط تلك مما حفلت به صفحات الجرائد والمجلات في الاونة الاخيرة وترددت به كذلك موجات الاثير في اذاعة مصر وغيرها من الاذاعات العربية . ففي احدى المجلات الاسبوعية طالعنا كاتب اديب بمقال يأخذ فيه على ذلك الاستخفاف الذي طرأ على حياتنا الادبية وخاصة ما يتصل منها بالشعر ونقده ، وتقديمه للقارىء ، ويجعل عنوانه « الادب في المزاد » يقول فيه « والقارىء الذي يهتم بتتبع ما يكتب من تعليقات ونقد او تقريظ « مودرن » ويحاول مقارنته بما يكتب عنه لا يملك الا ان يعجب بقدرة المعلق او الناقد او المقرظ « المودرن » على جعل الحبة قبة وبراعته وسعة خياله اذ ينسب الى القصاص او الشاعر او المؤلف ما لم يخطر لاحد منهم على بال » يقولون مثلا : « ... هذا شعر جديد يعبر عن مفاهيم جديدة وقيم جديدة ، ويهدف في عمق الى فلسفة جديدة « الشاطر اللي يفهمها » ولن يفهمها اي شاطر ، ولا تعلم ايهما المفقود الشاطر ام الفلسفة الجديدة » .

ويتناول كاتب اخر بعض اولئك النقاد الذين شجعوا التيارات الجديدة في الشعر على ان تطغى ، وتحمل معها الغثاء ، فوجه اليهم اللوم لمغالاتهم في تقدير قيم من قدموا من الشعراء يقول عن احد اولئك النقاد « .. وكان يخشى لو قال للشاب الوطني المثقف انه ليس فنانا حقا ، او انه فاشل فنيا ، ان يهجر هذا الشاب مبادئه ومعتقداته ، ويفر من ميدان المعركة كجندي محارب . هذا خطأ لا شك فيه ... خطأ كان له ضرر كبير ، وقد تبين ضرر تشجيع هؤلاء الفنانين الفاشلين لمجرد انهم وطنيون مخلصون ، وضرر مدح كل من امسك بالقلم ليكتب قصة فيها دماء وشهداء وصراع وكفاح واستعمار وصعود وصمود وبعث وملايين وجموع وزحف ومؤامرة وخيانة وانتصار ... الخ » .

ويقول ثالث في مجلة اسبوعية اخرى « وبين ظهرانينا هذه الايام تقدم المطابع الوانا من الشعر والقصص التافه هي من ضحايا نقادنا السياسيين . في مجموعة اشعار عنوانها « اغاني الزاحفين » يقول الشاعر عبد المنعم عواد : في قصيدته (رسالة الى ايزنهاور)

تقول يا رئيس
بأن في بلادنا فراغا
فاين ذلك الفراغ
وهل لانه لم يعد هناك غاصبون
يكون ذلك الفراغ
يا سيدي الرئيس
حكاية الفراغ هذه حكاية طريفة
معجزة جديدة
وانتم هناك تصنعون معجزات
طرائفا تجدد الحياة
ليصبح الوجود يستساغ
يا ملىء الفراغ

هل هذا شعر ؟ انه جمل سياسية ، ولكنه ليس شعرا ، وليس ادبا ، وليس فنا . وفي الكتاب نفسه يقول الشاعر كمال عمار في قصيدة عنوانها « عد يا نيكسون » وهي قصيدة وزنها يشبه وزن « الله . . الله ... يا بدوي جاب اليسرى » ... وهو يقول فيها :

سبحانك
سبحان المعطي
يا خالق حلف الاطلنطي
ليجرب فينا اسلحته
اي مروءة
بل اية اخلاق حرة
معذرة
انا كرماء
لكنا لسنا بلهاء
والمؤمن لا يلدغ ابدا
من حجر اكثر من مرة
وانا مؤمن
عد يا نيكسون

ويورد امثلة اخرى لهذا الشعر يعلق عليها بقوله « ونصيحتي الى الادباء ان يعوا جيدا ان تصفيق النقاد لهم لن يجديهم شيئا ... ان الزمن هو الناقد الحقيقي الذي يجب ان يحسب حسابه الاديب ... هذه هي الحقيقة » .

(١) كما سبق ان اعلنت الاديب مرارا ما ينشر في الاديب يعبر عن وجهة نظر الكاتب وليس من المفروض ان يعبر عن رأي المجلة .

وقال رابع في مجلة ادبية شهرية « .. طفح واقعنا بنوع من الشعر اقل ما يقال فيه انه مرفوض ، فموقف القراء من شعرنا يتردد بين الرفض التام والقبول النظري » ثم تعرض هذا الكاتب لبيان مدى الهوة التي تردى فيها الشعر الجديد بسبب [..] النقاد ، متخذا لذلك نموذجا للنقاد [....] ، وللشعراء [.....] . وبين في تحليله للمقدمة التي قدم بها الناقد للشاعر مدى التغطية التي افتعلها ، ومدى اخفاق المقاييس التي وضعها لذلك اللون من الشعر ، وانتهى الى ان الخط البياني الذي يمثل التطور الفني للشاعر ينحدر بسرعة الى اسفل بينما صوره الناقد متجها في صعود .

واتبع هؤلاء نقاد ومتحدثون تكلموا في الاذاعة المصرية ببرنامجها الثاني عن ازمة الشعر ، وقال احدهم ان الشعر المعاصر قد فشل او توقف ، ونحن في انتظار شعر جديد .

وعجيب في هذا كله انه ليس بين اولئك الثائرين طه حسين او العقاد او غيرهما ممن يرى اصحاب الاتجاه الجديد انهم متحاملون او رجعيون يريدون ان يقفوا بعجلة الادب ، وان لا يسمحوا لغيرهم من الشباب الصاعد ان يأخذ مكانه بينهم . بل يكاد الثائرون جميعا ان يكونوا بين طبقة المجددين بل ان منهم من دعا لهذا الشعر وشجعه

اذا فما هو السر في هذا السخط ، وفي هذا التبرم الشامل الذي يكاد يعصف بالشعر الجديد ويقتلعه اقتلاعا من تراثنا الادبي ؟

واقول ان السر في ذلك عناصر تجمعت وتكاثرت حتى دفعته الى هذه المحنة وساقته سوقا الى هذه الهوة . وهي عناصر شتى متداخلة ، بعضها راجع لحملة [.....] التي قادها جماعة من النقاد ، وساقوا في طريقهم جماعة من الشعراء [.....] تلقفوا [.. ..] الصماء التي تنادى بها اولئك النقاد ورددوها دون [...] تدبر .

ولا اريد التعرض لموقف اولئك النقاد ، ولا الى آرائهم التي [.. ..] ، فقد سبقني الى ذلك اساتذة كبار وعلى راسهم طه حسين والعقاد ، ولا زالت اصداء المعركة بين طه حسين وبينهم تطن في الاذان ، وقد تناول الكلام القول في معاني الفن والجمال ، والاسلوب والموضوع وصلة الادب بالمجتمع والحياة ... وما الى ذلك . وجمعت تلك المقالات في كتب نشرت على الناس .

ولم يستجب الشباب الصاعد لاساتذة الادب ، بل استجابوا للخارجين المتحررين الذين طمسوا لهم معالم الادب القديم ، وزينوا طرائق ادبهم الجديد بالورود والرياحين . وسهلوا لهم الامر وهونوه ، فقام من يعرف الشعر ومن لا يعرفه ، والقادر عليه وغير القادر ينظم في سطور متفاوتة بين الطول والقصر ، لا وزن فيها ولا نغم ، ومعانيها مكررة باردة جامدة .

انا لست من اعداء التجديد في الشعر انما التجديد عندي احياء لا هدم ، وتلك النماذج التي قدمها الشعر الجديد نماذج هدامة ، والمحاولات التي اقدم عليها شعراء الشباب تجمعت فيها عناصر النقص لما نعرف من الشعر العربي بصوره واساليبه ، وتجمعت فيها عناصر الانفصال عن احاسيسنا ووجداناتنا . وقد سبق لي ان وجهت على صفحات هذه المجلة الغراء كلمة الى الشعراء ادعوهم فيها الى التمهل وعدم الاندفاع في التهجم على الشعر العربي باعتبار انه قديم لا يستحق منهم عناية او تقديرا ، وباعتبار ان اساليبه لا توافق العصر . وقد قلت اننا لا نستطيع ان نلغي وجداناتنا ببساطة المتحررين ولا ان ننقطع عن تراثنا الادبي الطويل لمجرد الادعاء بان لغته اصبحت غير ملائمة

وقد حمل الشعر الجديد في طياته ضروبا من القيم الهابطة ــ لا الصاعدة ــ لانه تناول الجوانب المظلمة من الحياة بحجة الواقعية ، وكان الواقعية لا تعني الا البؤس والشقاء ، والشر والجنس ، والانفعالات الدنيئة ، والزوايا المظلمة التي تفرخ فيها الرذيلة ، وكان الواقعية لا تعني الجمال والنجاح والحب والخير والجوانب المشرقة من الحياة . حقا ان الحياة خير وشر وجمال وقبح ، ولكنها تنتخب وتتخير وتسمو دائما للكمال ، وكذلك الفنان في فنه يختار ويتمثل الصدق ، صدق الاحساس الذي يدفعه لا شك الى السمو لا الهبوط ، والى الاعتدال لا الانحراف ما دام فنانا واعيا لا منحرفا .

هذا من ناحية موضوعاته ، اما اداؤه وطرق تعبيره ، فكان خليطا مضطربا من الضعف في الصور والاساليب واللغة وتعجب ان تسمع لقولهم ان الشعر الجديد قائم على الصورة الشعرية بخلاف الشعر القديم الذي كان الاسلوب فيه واللفظ عمودي التعبير ، وكان الشعر القديم عجز عن التصوير وكان صور البحتري وابن الرومي والمتنبي ليست صورا انما هي عبث لا طائل وراءه عندهم .

وليتهم اجادوا الصور وابدعوها ، حتى تثبت حجتهم وتقوى ، وحتى يشتد متن شعرهم ويعجب القارئين ، بل انهم على العكس من ذلك عمدوا الى الغموض والاضطراب والتهويم في غير طائل . ويمكن مراجعة قصائد الشعر الجديد ، والوقوف على ذلك الخليط المتراكم من الصور التي لا يربطها بعضها ببعض معنى قريب او بعيد .

وقد لاحظ هذه الملاحظة غير واحد من النقاد ، واذكر نقدا وجهه الاستاذ كاظم جواد للشاعرة سلمى الخضراء قال فيه يذكر قصيدة لها « .. ففي قصيدة السيدة سلمى كما في اغلب القصائد الحديثة تشيع روح النظم في بعض الابيات بحيث تبتعد عن سياق الجو الشعري السائد ، ومن ذلك قول الشاعرة :

ذئاب تعربد في ارضنا وارسو على الشاطىء الاخرس

وانا لا ادري ما العلاقة بين الذئاب المعربدة والرسو على الشاطىء الاخرس . الحق ان المعنى الذي قصدت اليه الشاعرة لم يتحقق ابدا لان الكلمات لم تتخذ مكانها الطبيعي الموحى المتآزر » وقد بدت المفارقة واضحة بين الصورتين الاولى في صدر البيت والثانية في عجزه .

اما الاساليب واللغة فقد ساد فيها الضعف والركاكة والعامية ، وكان حجتهم ذلك انهم واقعيون ، وانهم يعبرون عن الشعب والجماهير ، وان لغة الجماهير هي تلك اللغة او قريبة منها ، وغاب عنهم ان الواقعية لا تعني محاكاة الاسلوب والكلمات بالقدر الذي تعني فيه محاكاة الانفعالات والسلوك . لان محاكاة اللغة امر هين قادر عليه كل انسان وليس كل انسان فنانا او شاعرا ، انما فضل الفنان والشاعر انهما يسموان في التعبير ، وعنصره الاساسي في الشعر الاسلوب واللغة . وليست حجة التقرب من الجماهير بحجة انما هي مغالطة بينة ، لان الشاعر لا ينزل للغة الناس انما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرفع الناس اليه ، والاتجاه الاشتراكي الجديد في الحياة لا يعني سيادة مظاهر الانحطاط التي خيمت على الشعوب في عصور الاقطاع ، انما يعني على العكس انتفاع الشعوب بالقيم التي اكتسبتها الطبقات الارستقراطية في تلك العهود ، اي رفع الشعوب الى المستويات التي كان يحياها السادة . وقد مر الادب بعصور مختلفة واقطار متعددة ، وعاصرته فنون من الاداب الشعبية ، ولم يقل احد ان الادب الفصيح ينبغي ان ينزل الى مستوى الادب الشعبي او ان يستعمل لغته واساليبه او يقترب منها ، بل كان لكل منهما مجاله وقيمه .

والوزن من العناصر التي ادت بالشعر الجديد الى هذه المأساة ، فقد عمد الشعراء الى التحرر من الوزن ، وحسبوا انهم قادرون على الخروج عن نطاق البحورالعربية ببساطة وحاولوا ، وتحرروا من القافية ، ثم من نظام البيت المعروف ذي الشطرين المتساويين ، ثم من البحر الموحد من القصيدة الواحدة ، فاستخدموا تفعيلات مختلفة من بحور مختلفة حسبما يعن لهم ويحلو في القصيدة . ولم يصلوا من هذا كله الى نتيجة مرضية حاسمة . بل كانت النتيجة اضطرابا وخللا يشيع في سائر اجزاء القصيدة الحديثة ، ولا تعبر التغيرات النغمية عن تغيرات انفعالية كما يدعون بل تستطيع ان تتبين في وضوح ان تلك التغيرات تتم حسبما يريد الشاعر لها طولا وقصرا وهكذا وجدنا الشعر الجديد مجموعة غريبة من الاسطر المتتابعة تتردد فيها الكلمات والنقط في صور اقرب الى التطريز الشكلي — على الورق — منها الى الترابط النغمي مع المعاني .

والواقع ان المجددين قد غالوا في اعتبار الاوزان التقليدية للشعر العربي قيودا تحدد تصرفهم في التعبير ، ذلك لان الاوزان العربية سمحت لضروب واسعة متباينة من التعبير ، ولم تعجز عن البلوغ بها درجة فنية رفيعة خلدتها في سجل الادب العالمي . وهذه الاوزان صور موسيقية التزمها الشعر العربي بعد تجارب طويلة حتى استقرت على ما هي عليه ، وهي نتيجة للملاءمة الصوتية بين مقاطع الالفاظ في اللغة العربية ، كما انها كذلك موافقة لطبيعة الشعر العربي .

والبحر العربي قالب موسيقي عام ، لا يحرم الشاعر من التنويع النغمي في ابيات القصيدة، فالبحر بمثابةالوحدة الموسيقية اذا ، وهي وحدة مطلوبة في القصيدة الواحدة التي تدور حول موضوع واحد ، وتستطيع الموسيقى الداخلية ان تقوم باداء الالوان الاخرى التي تقتضيها المعاني الجزئية . وفي الشعر العربي نماذج جيدة من محاولات الشعراء الافادة من الموسيقى الداخلية مع المحافظة على البحر . ولعل شعراء الدولة العباسية ، كابي تمام والبحتري ومسلم بن الوليد والمتنبي ، وشعراء الاندلس كابن هانيء وابن زيدون ممن وفقوا الى تقديم نماذج قيمة من هذا النوع .

ولم يقف الشعراء مع ذلك في قديم الزمن امام القوالب التقليدية في البحور مقيدين بل حاول كثير منهم التحرر والتجديد ، وكان ذلك التجديد شاملا القافية ، فنرى بعض الشعر يروى في قافية حرة منذ اقدم العصور وقد روى ابن سلام وابن رشيق امثلة لذلك . كما راينا بعض الشعر ينظم في قافية متغيرة ، ومن امثلته القديمة الرجز ، والقصائد الطويلة التي تنظم في موضوعات تاريخية او اجتماعية ، ومنها ارجوزة ابن المعتز في المشرق ، وحازم القرطاجني في المغرب بعده بزمن طويل .

وتمثل الموشحات ، والدوبيت ، وغيرها من صنوف النظم محاولات مختلفة من الخروج على نظام القصيدة العربية . ولكن كل تلك المحاولات لم تستقر — ولا اقول لم تنجح — بل ظلت فترة ثم عاد الشعر الى نظام القصيدة العربية في شكلها التقليدي .

وعندما قامت حركة البعث الاخيرة في الشعر العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم يجد شعراء الحركة غير السير على نهج القصيدة العباسية ، لانها تمثل عندهم القمة التي بلغها الشعر من حيث الاسلوب والصنعة الشعرية عامة .

وهكذا نجد ان الشعر العربي القديم لم يكن في ذاته جامدا ، ولا غير قابل للتجديد في صوره واساليبه ، وانما كان يسمح بهذا التجديد في حدود معقولة ، وفي خطوات هادئة رزينة ، لا في قفزات هوجاء تنقطع به عن ماضيه كما فعل الشعر الجديد . فانه احدث ما احدث من تجديد في الاوزان ، ونزوع بالاسلوب الى البساطة المخلة ، بل الى العامية ، فكانت النتيجة مسخا مشوها لا صلة بينه وبين الشعر من عناصر ثقافتنا ووجداننا الادبي .

وبعد فاننا نتساءل الان ما هو المخرج من تلك المحنة الشعرية ؟ والجواب عن ذلك عسير ، شاق ، وكل مانستطيع قوله هو النصح بالرجوع الى تراثنا ، والعودة الى النماذج الجيدة من شعرنا القديم والحديث على السواء ويستطيع شعراؤنا ان يقرأوا ذلك الشعر ، وان يحفظوا ما راق لهم منه ، الى جانب ما ينبغي عليهم عمله من التزود بالمعرفة العميقة الواعية ، وعدم الاكتفاء بالفقاعات التي تطفو على السطح فانها توهم الغر وتعجبه ولكنها لا تحوي شيئا غير الهواء

وارغب الى شعرائنا ان يتمثلوا في صدق احاسيسنا ومشاعرنا مصريين وعربا ، وان يترجموا في صدق كذلك عن تلك الاحاسيس والمشاعر ، وان يتجنبوا ما استطاعوا كل ما يورد لهم من معان واحاسيس وتيارات وانماط مجتلبة غربية وشرقية ، قد تكون نافقة ناجحة في غير بلادنا ، ولكنها لا تتلاءم معنا ومع قيمنا وتراثنا وتقاليدنا ، فتكون النتيجة الانفصال بين الشعر الذي يترجم عن الافكار المجتلبة ويصاغ في انماط غريبة وبين القراء الذين يعيشون في قيمهم وتقاليدهم وتراثهم ولا يمكنهم التخلي عنها في طفرة .

وارغب لشعرائنا كذلك ان يبذلوا الجهد ، وان يكفلوا لانفسهم المران الشاق الدقيق وان يتخلى بعضهم عما ثبت في وهمه من ان الاتجاه الادبي الجديد ينحو نحو البساطة فهذه دعوى خادعة مضللة ، روجها البسطاء الذين ارادوا ان يكسبوا كل شيء بلا شيء . وهي دعوى تحمل في طياتها بذور الانحلال لادبنا الذي نريده حيا قويا يعبر عن واقعنا الحي القوي .

الاسكندرية **محمد زغلول سلام**

قصة قصيرة

بقلم علي بدور

قبرها الذي مات معها

○○○

كانت مقبرة « العرابي » ساكنة قريرة ، حتى بدت القبور حزينة رغم ما اشتملت عليه من ورود وازهار ، واغصان مختلفة من شجر البرتقال والليمون والزيتون ، وكان النحيب الذي يتصاعد في الجو يصل اذان المارة في الطريق المحاذية للمقبرة اشبه بتراتيل بسيطة ، صاغها الحنين ، ورجع الحانها الشوق لاحباء قد ماتوا ، ولم يتركوا الا ذكراهم تتلاشى شيئا فشيئا ، مثل شمعة تضيء ظلمة ليل حزين موغل في الحزن ، وكانت القبور قد نثرت هنا وهناك في غير انتظام ، شأنها في ذلك شأن الحياة الانسانية قاطبة .. وكان احجار القبور المنتصبة اشبه بسنابل سمقت سوقها طويلا وظلت رؤوسها فارغة من الحب ، حتى لكأنها تعبر عن الموت الذي لا يخلف بعده شيئا عدا التفاهة والزوال . اذ الاحياء ينسون الاموات بسرعة في زحمة الحياة . والاموات تحت الثرى ، تتوزعهم الديدان وجبات غداء عديدة ... حتى تبقى العظام .. و.. الجمجمة ، وامزة الى ان المصير البشري عظمات وجمجمة فارغة الجوف ، خالية من الفكر الدقيقة ، والخواطر الرقيقة ، والحماسة اذا بلغت اشدها في رؤوس القادة ! !

لعلها المرة العاشرة ةالتي ازور فيها ، مقبرة « العرابي » . انني اعلم علم اليقين ان اختي جليلة قد دفنت في الزاوية الغربية من المقبرة . ولكنني بعد ان اتعب من البحث عن قبرها في المكان المعهود ، اذهب باحثا على غير هدى في المقبرة كلها باحثا عن قبرها بين القبور باسطا كفي لتربتها ، متحسسا الاعشاب التي تغطي القبور غير المستترة بصفائح الحجارة ، لعل في هذه الاعشاب شيئا من براءتها ، من طفولتها اليانعة ، من انسها الرقيق من بشرها الذي كان يفيض فلا يغيض انني الى اليوم ، احاول ان اطمئن الى مصيرها ، والى اليوم ما زلت غير متفهم ، هذه الاسرار التي تحيط حياتنا ، اذ ما الفائدة من حياة فتاة صغيرة لم تتجاوز الثلاثة بعد . وهل اذا كان مقدرا لها ان تولد ، فلماذا يقدر لها ان تموت ، وهي بعد طفلة بريئة ؟

كانت جليلة الصغيرة بالغة الحلاوة عينان سوداوان ، وانف رقيق ، وسمرة محببة الى القلب ، وذكاء اكثر من المعتاد في امثالها .. وفم يضحك ويضحك ، حتى لترتسم من خلل الدموع على شفتيها ، ضحكة خفيفة ، بريئة براءة الطفولة ، وكانت اسرتنا تعيش على بهجة هذه البراءة العميقة اذ ليس ابهج من اسرة تضم فتاة الى عداد افرادها الذكور — فيستطاع حينذاك التعرف على حقيقة البراءة التي تمثلها المرأة ، ولو كانت بعد صغيرة ، وكذلك يستطاع تلمس الحنان والعاطفة الخالصة والرقة ، وليس اتعس من عائلة ضمت الذكور ، ولم تسعد بانثى واحدة . ولقد كنا نعلم ذلك كله ، ونعلم ان الام مهما كانت وفية لاولادها وزوجها ، بالغة الرقة والعطف ، فاننا الذكور ، لم نكن نستطيع تلمس ذلك الا مشوبا بعاطفة الامومة ، تلك العاطفة التي تحجب عن أعيننا كل ما كانت تشعر به امنا ، عندما كانت عذراء ، وكل ما كان يفيض عن نفسها وقلبها . وهي لم تزل صغيرة طرية العود .. وكنا ما نفتأ انا واخي في كل صباح ، نطلب الى امنا في الحاح ساذج ان تأتينا ببنت . اننا مللنا رتابة العيش ، والتكرار في اسلوب الحياة اننا نريد اختا تملأ البيت صراخا رقيقا ، ونريدها ان تحبو ، وان تنهض ، وان تذهب معنا الى المدرسة ، ونريد عدا ذلك كله ان نطعم شجرة العائلة بفتاة ، لعل هذه الشجرة تستطيع التمدد والانبساط بما سوف تكسبه من مرونة وبما ستحوز عليه من قابلية للتزايد .. في الاوراق والازهار والثمار !! وكان ابي يضحك وتلمع عيناه بجذل هادىء ويربت على كتفينا وهو يتصنع بلاهة الاطفال :

— انها اتية على الطريق .. ولا تلبث البضاعة ان تصل !!

وبالفعل ، فقد كانت جليلة اتية .. وكانت بضاعة بشرية من نوع ممتاز ولكن كان لها من الطباع ما يقطع انها لن تعيش . كانت لا تعرف البكاء . انها صامتة دائما ، اشبه براهبة تتحدث صمتا ، وكانت طيعة وديعة مثل حمامة رات حولها الطبيعة سعيدة ، فبدت سعيدة مثلها ولكن في وقار صاف وهدوء تخاله سير النسيم في اماسي الصيف . ولم يكن في وجهها من التعابير ابرز من هذه الرقة .. هذه الصياغة الالهية البارعة .. هذه الامثولة الحية التي تريد ان تشيع الهدوء والسكينة في وجود صاخب قد ملأه الضجيج وكان في وجهها عدا ذلك كله ابتسامة موحية لا تبرحها ، كروح التبسم عندما يتجسد في وجه ملاك صغير . وكانت جليلة تعبر اكثر ما تعبر بعينيها عن مشاعرها البريئة واحساسها البكر وعاطفتها السمحة .. وكنا نفهم ، انها تحب او تكره ، تسر او تحزن ، تريد او ترفض ، من عينيها الصافيتين اللتين كانتا ولا شك ، تعكسان لنا صورة حية ، عن قلب صاف لم تعكره اكدار الحياة بعد .

والفناها .. بكل جوارحنا . كانت بهجة البيت الصامتة . من بسمتها نضيء لياليا ، وعلى هدى صخطاتها نتمتع بالسعادة ، وفي حركاتها ، صورة صادقة عن نشاطنا الدائب الذي لا يفتر . وكانت تبدو جميلة بل واكثر واقعا من حال الجمال ، عندما كانت تحبو ، لتحضر لابيها مسبحته او لتتناول الطاسة من النافذة او تلعب بدفتر اخي ، وقد اوشك ان يتفتت بين اصابعها العابثة به .

في الصباح الباكر ، وبينما تكون خيوط الفجر يجتمع بعضها على بعض لتشكل غلالة زاهية للصباح الجميل ، تكون جليلة ، قد تحركت عن فراشها ، ومرت بامها وابيها معجلة ، تريد ان تدركنا قبل ان نصحو .. وتندس تحت اللحاف مثل هرة ذات جلد املس نظيف ، وتبدأ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العبث باقدامنا ، فنفرح ضاحكين ، وتكاد تنفجر ضاحكة مسرورة . انها تعيد ذلك في كل يوم ، وننتظره نحن في كل يوم منها ، رغم انها الان موسدة وحدها ، في قبرها الصغير ، ولعلها لا تستطيع ان تتحرك ولا تستطيع ايضا ان تعبث باقدامنا لنصحو .. ولعلها ايضا لا تشعر ان بجانبها يرقد دفتر صغير كانت قد اعتادت ان تعبث به . انه ولا شك سليم الصفحات ، فيا ليته يتمزق من جديد ، ويا ليتها تكون اليوم حاضرة لتوقظنا رغم اننا كبرنا ، وصرنا شبانا .. وتحررنا من جملة عادات تألفها الطفولة وتتركها للحياة الناشئة ، فلا تنتقل الى مختلف مراحل العمر . ولعل في ذلك سر شقاء الانسان . انه ينسى البراءة والطهر والمرح ، وتغلب عليه روح الحقد والكره والبغض ، وينتهي شيطانا بعد ان يبدأ حياته ملاكا طيبا رحيما .

ما زلت اذكر الى اليوم ، اخر نهار لها ! استيقظت كعادتها فايقظتنا . وكان يوم جمعة . وبعد ان انصرف والدي وذهبت والدتي الى المطبخ لتغسل ثيابنا ، جاءت جليلة وتمددت بيني وبين اخي . كانت مسرورة اكثر من الاعتياد . وكانت تضحك بشدة حتى خيل الي انها سوف تموت من الضحك ، وقامت نصف قومة تريد النافذة لتشرب ، ثم رجعت لترتمي بيننا ، وكأن شيئا قد مسها توا فاصابتها رعشة برد وعلا وجهها اصفرار مفاجيء وتحول قدماها الى ثلج ولكنه لا يذوب ، انه يزداد برودة باستمرار ، ولم يبق في وجهها سوى بريق عينيها المعبر عن خوف لا حد له .. وادركنا بغريزة الطفولة ان اختنا العزيزة تجتاز يوما خطرا . وان كنا بعد لم نتصور انها مائتة لا محالة ولما عادت امي من المطبخ تريد تنظيف الغرفة ، رمقت جليلة بعين الام التي تفهم كثيرا ، فلاح على محياها انكسار وهمود ، وضمت جليلة الى صدرها واخذت تبكي .

كانت جليلة تشكو مرضا بسيطا لعله من الامراض التي تنتاب الاطفال عادة في مستهل اعمارهم وكانت عنايتنا بها محدودة ، بحيث اذا تفرغت امي من عملها الدائم ، اخذتها الى الطبيب في اوقات عمله المجاني التي كان يحبسها للفقراء وعادت بوصفة بسيطة ، لعلها كانت توقف المرض عن الزيادة وان كانت لا تقضي عليه . وكان اصل العلة ، بردا نالها في حفلة عرس دون ان تحتاط امي لذلك بالاغطية الكافية . فكانت القاضية .

والى اليوم لست ادري كيف ماتت جليلة ظهرا . كل الذي اعلمه ان امي خالفت حرصها لاول مرة ، فلم تمنع عنها قطعة صغيرة من الكبة التي كانت تعدها للغداء . ولعل امي قد يئست من شفائها ووثقت ان هذا اليوم ، انما هو يومها الاخير .. فماذا يجديها ان تردها عن قطعة كبة لن تميتها وحدها ما دامت اذرع الموت توشك ان تحتويها بسرعة لا حد لها . فلما عدنا من السوق راينا امنا تبكي وجليلة ممدة في سريرها وعلى وجهها ملاءة بيضاء ومن سريرها تعبق رائحة طيبة ، كان شجرة ياسمين قد مدت جذورها في جسد جليلة ، والتفت اغصانها الرقيقة على اطراف السرير الحديدية الصدئة

لم ابك ، وكذلك فعل اخي ، وان كان ابي قد تأملها كثيرا ولاحت على وجهه امارات الحزن الا انه بدا طبيعيا كان جليلة لم تمت وكأنها لم تولد ، فلم نحزن كفاية لموتها . وعندما حملوها في الليل كان الظلام يلف منزلنا شيئا فشيئا . وكأنه يريد ان يخفي لوعتنا اليائسة الصامتة في فضائه العميق الكثيف ، حتى اذا اشرقت شمس الصباح بدت الدنيا سعيدة ، وتابعت الانسانية سيرها ، وهي وان كانت تفقد بعض ابنائها في الطريق ، الا انها لا تكف عن المسير .

شعرنا بوحشة قاتلة في الاشهر الاولى لفراقها الابدي ، ولكن في الانسان هذه الطبيعة المحببة ، المقدرة على النسيان ، والاندماج في المشاكل الجديدة وممارسة الصعوبات المتتالية التي تدفع المرء لان ينسى الماضي وكل ما فيه اكان حافلا بالمسرات ام طافحا بالفواجع والالام ولقد اصبحت جليلة في نفوسنا ، ذكرى من الذكريات العابرة . هي لم تعمر اكثر من ثلاث سنين وماتت دون ان تترك اثرا ذا ضجة . لقد كان صمتها كثيرا وكان ضحكها قليلا ، ولم نعد نذكر سوى يومين من حياتها يوم ولدت ويوم ماتت ، حتى قبرها الذي ضمها الى الابد ، اصبح ذكرى ايضا ، اننا اليوم قلما نهتدي اليه ، وقلما نزوره في المناسبات العامة كايام الاعياد مثلا ولكنني برغم ذلك كله ، عندما اقف وحدي في هذه الدنيا الواسعة واشعر انني بحاجة الى انس المراة لاعمر به قلبي ، فلا اجده ، يعز علي ان لا اجد الاخت الطيبة كذلك . وتنتابني خيالات مريضة ، مخيفة ، فاتمنى ان تواصل جليلة حياتها الصامتة وهي في قبرها ، فتكبر وتكبر وتخرج في ليلة داجية اشبه بحورية ساحرة ، تعرف ان لها اخا لا يزال ينتظرها ، ولا يزال يعيش على هذا الامل ما وسعه العيش .

ابي اليوم في عداد الاموات . وامي تضع رجلا في المقبرة ورجلا على بابها وبيتنا لا تملأه البهجة ولا يعمره الانس . والايام لم تعد تسمح ، كي نطلب بسذاجة الاطفال من امنا ان تاتينا ببنت حلوة نعيش واياها بحنان وحب . ولم يبق لنا اب طيب يمازحنا ويطلق نكاته عن البضاعة الطيبة التي قطعت اكثر مراحل الطريق ، وانى التفتنا وجدنا النجوم بعيدة ، وقلوب الفتيات تفيض بالود للاخوة والاحبة ، وليس هناك من قلب يشاركنا شعورنا بان الحرمان من زاد العاطفة الانسانية اشبه بالحرمان من الماء والهواء والطعام . ان جليلة الصغيرة قد ماتت ، ولكنها لا تزال تنمو الى اليوم في قلبي وتكبر معه . فهي اليوم في حدود العشرين من عمرها ، تبسم للحياة في جذل وتطلب انس قلبها بهدوء ، ما دامت تريده مقيما لا عابرا .

ان هذه الاحلام العذبة والاوهام التي يبهرجها الخيال ، اشبه بالسراب الذي يخفي الحقيقة المرة الناطقة بان جليلة قد ماتت ولها من العمر ثلاث سنوات . وان قبرها قد درس بالتاكيد ما دمنا قد اكتفينا بتلة تراب صغيرة ، قد مهدتها اقدام السابلة على ممر السنين ، وافراد العائلة قلما يزورونها ولو في العام مرة ، وجليلة لن تكبر في قبرها ولو مقدارا ضئيلا .. ولعلها اليوم قد امحت بتاتا ، حتى جمجمتها وعظامها يمكن ان تكون قد ذابت . فعظام الاطفال نوع من السنابل سرعان ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعرها

○

شعرك مسكوبُ الشَّفق ... شلاله العطر اندلقْ
خيوطه شالُ الغيوم ... والربيع الحلوُ رَق
مجدولةٌ منسولةٌ ... من العشايا والغسق
كأنها مغروسة ... في كل نجمٍ يستبق
جذورها من الاعالي ... وزعت كما اتفق
اشارة الى مداها ... في البعيد المنطلق

★ ★ ★

لينةٌ من موجةٍ ... ممدودةٌ من الأفق
فروعها تسقي السَّنا ... لخصلٍ من العبق
غمسَّتها بصوته ... حسَّون غصنٍ مذ عشق
رفَّه منها ريشه ... فرف حلمٌ وأنعتق
في قلبه لهيبه ... لم يا ترى الريش احترق

★ ★ ★

لها الغيومُ والنجوم ... لها القلوب والحدَق
لها السنا، لها المدى ... والحلم في جرح الارق

★ ★ ★

ان جدلت فعنبرٌ ... هل للشذى الحلو نسق
او أرسلت فجدول ... يجري بمسكوب الشفق

كفريا ـ لبنان — **علي شلق**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمحي بتأثير الطبيعة وقسوة الحياة.

انها ولدت .. ثم ماتت . لم تات ذنبا، ولم تغضب أحدا . فتركت في حلوقنا غصة ما امرها اذ لا استطيع ان انسى هذه الوردة التي تفتحت على شمس نيسان، ثم فاجأها الصقيع فايبسها من جذورها وترك في الجو انساما عطرة من شذاها، فساقتها ريح الجنوب في اتجاه مقبرة « العرابي » لتوزع اريجها على كل القبور الماثلة، عساها تصيب قبر جليلة الضائع .. قبرها الذي مات معها ...

... وايان ذهبت وحيثما توجهت فان عيني تمتلآن بدمع سخين كلما تمثلتها وهي تحاول ان تندس تحت اللحاف مثل هرة جميلة ذات جلد ابيض نظيف، تمازحنا وتلاطفنا وتنتزع الضحكات من افواهنا انتزاعا وكلما تذكرتها ... وتذكرت قبرها الضائع بين القبور، وشاقني الحنين الى اخت ودودة، تساءلت بين مصدق ومكذب :

ـ ترى اتعود جليلة مرة اخرى، ام انها مضت ولن تعود ؟

حلب — **علي بدور**

اضواء على الادب الشعبي في العراق

بقلم باسم عبد الحميد حمودي

✳

لو وقفت – ايها القارىء الكريم – بقرب احدى مكتبات سوق السراي ببغداد الكثيرة لمر عليك في مدى ساعة رجل يرتدي العقال والكوفية مسبل الازار وسأل صاحب المكتبة « عندك قصة سيف بن ذي يزن ؟ » فان اجابه بالنفي سأله « وقصة عنتر ؟ » فان كرر نفيه ذهب الاعرابي الى مكتبة اخرى وسأل عن بغيته او اضاف اليها اسئلة عن كتب المياسة والمقداد والحمال والسبع بنات وقصة قمر الزمان والف ليلة وليلة وقد لا يرضى من الاخيرة بالطبعة المزينة المنقحة التي اخرجتها – على اجزاء – دار النشر العربية ببيروت منذ سنوات ويتهلل وجهه فرحا اذا ما وجد الف ليلة وليلة باجزائها السميكة ذات الورق الاصفر وان سألته عن السبب لاجابك بانها ابطء – من الاجزاء الصغيرة – في قتل الوقت ولا شيء غير ذلك، وبما انها اسمك فانها لا تكلفه عناء المجيء دائما من قريته الزراعية الى المدينة لشراء الاجزاء الباقية . وان سألته « اتعرف القراءة والكتابة » لاجابك « كلا وانما الذي يقرأ هو ابني بعد ان يأتي من مدرسة القرية ونفرغ من اعمال يومنا فنتحلق حول موقد النار والشاي وحول الكتاب الذي يمسكه ابني ويقرأ فيه ونحن صامتون طورا ومستفسرون اطوارا معجبون ابدا » . ان هذا الرجل الامي ما هو الا واحد من الاف من امثاله يقصدون سوق السراي – اكبر سوق للكتب في بغداد والعراق – لشراء هذه الكتب من الادب الشعبي في العراق .

ومنذ اكثر من عشر سنوات صدرت طباعات منقحة – بعض الشيء – خالية من الاطناب والاسفاف لبعض هذه الكتب قام بنشرها رجل نصف امي هو نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية وكان همه – رحمه الله – المال ولا شيء غيره ولكن هم الاديب الذي اشرف على طبعها وتنقيحها وتزيينها برسومه الرائعة هو تهذيب الادب الشعبي واخراجه للناس بشكل جديد ملائم لكافة الطبقات المتعلمة منها ونصف الامية ، وهذا الرجل هو الاديب والفنان المنسي الاستاذ امير عباس .

ولو تصفحنا كتب الادب الشعبي لوجدناها تمجد البطولة (المياسة والمقداد وعنترة) وتنادي بالحب العنيف (مجنون ليلى) ، وان لم يخل بعضها من الفحش والفجور (الحمال والسبع بنات) .

ان الدافع البطولي الموجود في معظم هذه القصص الشعبية ليحبب لهؤلاء الفلاحين وانصاف المثقفين من الشباب المراهق على وجه الخصوص شراء هذه الكتب والاستمتاع بها ، والدافع الذي يدفع الفئة الاولى هو ذكرى ايام اجدادهم الغابرة عندما كانوا عشائر جوالة ديدنها الغزو وعدم الاستقرار ولوجود مشكلة الثار المستعصية بينهم وما يتبعها من سفك الدماء والمتمثلة في بعض هذه القصص كقصة المهلهل مثلا .

واما الفئة الثانية فكلنا يعرف نفسية الفتى المراهق التي تجعله عبدا للقوة والسطوة محبا لها فيجد في هذه القصص الشعبية الساذجة تنفيسا لرغباته ومزيدا من احلام اليقظة التي يجترها بعد اطلاعه على ما احتوت من حروب ومغامرات عاطفية كما يجد بغيته الان في افلام (الكاوبويز) الامريكية ولست اريد ان احصر متذوقي الادب الشعبي بهاتين الفئتين من الناس او بهذه الكتب القليلة وانما سقتهما كأمثلة ملموسة حية في متناول ايدينا .

ولو تجولنا في جنوب العراق لوجدنا « الحسية » وهي لون من الوان الغناء الريفي تظهر فيه عبقرية ادباء الريف المغمورين وتلاعبهم بالكلمات التي تعطي معاني كثيرة وحبكها بطريقة جذابة لطيفة اقرب الى التورية منها الى اي شيء ومن امثلتها هذه الابيات الجميلة :

حاير شكتب بخطي وشملي
صرت ريحانتي انت وشملي
عشية ينجمع شملك وشملي
نطبك عيشنا ونكعد سوية .

تفسيرها انني في حيرة ، ماذا اكتب بيدي ؟ وماذا املي على الكاتب ؟ لقد اصبحت انت – يا حبيبي – ريحانتي وانت وحدك شملي وعشية ينجمع شملك وشملي تجتمع اسباب معيشتك مع اسباب معيشتي – اي نتزوج ثم نجلس سوية .

ولو نظرنا الى المدن العراقية الكبيرة عامة وبغداد خاصة لوجدنا المقام العراقي ، ولست اريد ان ابحث في المقام العراقي بالتفصيل والضجة التي اثيرت حوله منذ اكثر من عام في مجلة المجتمع العراقية (١) واثيرت ضجة ومناقشة اخرى في جرائد بغداد – جريدة الشعب على الاخص – حول تطويره – كما يقول البعض – او هدمه – كما يقول البعض الاخر .

وانما اريد ان اقول : ان المقام العراقي كان في وقت من الاوقات من دعائم الفولكلور في العراق ولا تزال

بعض اثاره موجودة حتى الان في الحفلات الغنائيةالاذاعية والموالد النبوية والافراح والاحزان .

واذا استمعنا الى حفلة مقامات عراقية من الاذاعة وصرفنا النظر عن موسيقاها المضطربة المتنافرة وجئنا الى اقوال المغني لوجدناها تبدأ بقصيدة بالعربية الفصحى ثم تنتهي بـ « تضمين » للقصيدة ولكن باللهجة العامية ، وهي اشبه بالمعارضة الشعرية منها الى تشطير وتخميس القصائد واشهر « المضمنين » هو السيد جبوري النجار الذي يعتمد عليه اغلب قراء (٢) المقامات ثم يتبعه الاستاذ محمد القبانجي ، واليك مثلا للتضمين ، يغني المطرب قول الشاعر هكذا :

بلادي وان جارت علي عزيزة
وقومي وان شحوا علي كرام

ثم يضمن البيت ابيات من اللهجة العامية اقرب الى الازجال المصرية فيقول :

الك يا لعذبت روحي بلاداي (٣)
سعيد اللي قضى عمره بلاداي (٤)
الغريب اصبح يزاحمني بلاداي (٥)
وعايش دون خلق الله بلاداي (٦)

ويسمي هذا التضمين : « ابوذية » ايضا ، ولا تختلف الابوذية في المدن عن ابوذية الريف الا في الكلمات العامية المختلفة من بيئة الى اخرى واللوازم اللغوية التي تميز منطقة عن اخرى .

ويكون الشعر الشعبي جزءا مهما من الادب الشعبي وكل العراقيين يذكرون قصيدة (المجرشة) التي نظمها المرحوم الملاعبود الكرخي عميد الشعر الشعبي وعارضها بقصيدة رائعة بنفس العنوان ابن اخته المرحوم عبد الامير الناهض رئيس تحرير جريدة الكرخ المحتجبة ، ثم انتشرت هذه القصيدة الشعبية التي تصف احوال البلد الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت باسلوب ساخر .. انتشرت محرفة بين ارياف العراق ومدنه ثم نشرت على الوجه الصحيح في الجزء الاول من ديوان الكرخي الذي صدر منذ اشهر .

وما دام بين العراقيين من يتذوق هذا الشعر ويعتبره اقرب الى نفسه من الشعر الفصيح واكثر تعبيرا عن الامه وآماله منه فهو باق كعمود من أعمدة الادب الشعبي العراقي .

وتشكل الموالد الحسينية التي تقام في اوقات معينة من السنة الهجرية كل عام واصفة قصيدة حياة الامام الحسين بن علي ابي طالب (رضى) واستشهاده في سبيل مبداه .. جزءا يعتد به من الادب الشعبي لانها تشغل كثيرا من الناس فترة لا بأس بها من كل عام .

واذا تأملنا مليا الاساطير التي قامت حول هذه المأساة والاشعار الشعبية والمراثي التي قيلت وتقال حول هذه القضية لوجدناهاشيئا كبيرا وجديرا بالاهمية والبحث وقد خصصت بعض القصص التي سارت على نفس المستوى اللغوي والفني لقصتي المياسة ومجنون ليلى مثل قصة (المختار واخذ الثار) لشرح هذه المأساة .

واذا اردنا ان نوجز العوامل النفسية ـ بغض النظر عن المسائل الدينية ـ التي تجذب بعض الناس نحو هذه المأساة والحفلات الشعبية التي تقام في الشوارع في تلك المناسبات لوجدنا ان طابع الالم الموجود في كل مرثية هو الدافع الاشد من غيره لهذا البعض ولعل دموعهم التي يفرغونها اثناء كل حفلة من هذه الحفلات السنوية التأبينية . أقول ان دموع هذا البعض التي يفرغونها ـ ظاهرا ـ لوعة والما على الحسين عليه السلام واهله ما هي الا لوعة على مستقبلهم المظلم وكروبهم وآلامهم وضائقتهم المعاشية وسائر الام الحياة ، وما الحسين (رضى) وآله الا ذريعة او حافز للندب والبكاء ، وقد يكون فقدانهم لاحبائهم واقربائهم سببا في ذلك .

وتشكل الامثال العامية جزءا ممتازا من الادب الشعبي فمثلا المثل القائل :

« لا حظت برجيلها ولا خذت سيد علي (٧) »

معناه ان هناك امراة معينة لم تبق على ودها ووفاقها مع زوجها وبعد ان طلقت منه لم يتزوجها السيد علي الحبيب المرموق ويقال هذا المثل في كل من يترك عمله الذي يرتزق منه الى اخر يظن فيه تقدما اكثر فيخفق في الاثنين ويرادفه ـ تقريبا ـ المثل الشعبي القائل « ضيعت المشيتين » (والمشيتين) هنا تعني العملين او الطريقتين .

واذا اردنا ايراد امثلة كثيرة على هذا الجانب المهم من الادب الشعبي في العراق لاقتضى ذلك صفحات اكثر ولكننا لا نريد في عجالتنا هذه الا التنبيه على هذا البحث الطريف المهم ووضع الاسس التي نعتقد ان الادب الشعبي العراقي يقوم عليها وقد نرجع ـ ان ساعدتنا الظروف ـ الى بحث كل دعامة من دعامات الادب على حدة وباستطراد .

وفي الختام اود ان اوضح للقراء الكرام ان الاستشهادات التي ذكرتها والامثلة التي سقتها ما هي الا على سبيل التمثيل لا الحصر واكرر بان البحث جديد ولكل جديد اخطاؤه ومزالقه ، واني لاحث الادباء العراقيين المحترمين على طرقه والتوسع فيه واشكر صاحب «الاديب» الاغر لافساحه صدر مجلته لي ونشره هذا البحث الطريف الملذ في حياة كل شعب في العالم واختم مقالي بان في الادب العربي الشعبي كنوزا لم نكتشفها واثمارا يانعة لم نقطفها ونتذوقها حتى الان .

بغداد — باسم عبد الحميد حمودي

(١) راجع مقالات باسم حمودي ووحيد الدين حسني وعصام الجبوري في الاعداد ٢٦ و٢٨ و٢٩ من المجتمع .

(٢) نحن في العراق نقول « يقرا زين » أي ان غناء هذا المطرب ممتاز ولعل كلمة القراءة مأخوذة من قراءة القرآن الكريم

نشرح هنا كلمة بلاداي في الابيات الاربعة :

(٣) بلا داء (٤) بلا داء (٥) في بلادي (٦) بلا داء

(٧) لاحظت : لم تحظ برجيلها : تصغير رجلها أي زوجها ـ لا خذت : أي لم تاخذ ومعناه لم تتزوج .

للناقد الانكليزي ريتشاردز

نظرية للايصال

ترجمة صالح جواد الطعمة

°○°

هنالك اسرار مبهمة(١) مصطنعة تسود رايا عن الايصال ينقصه التمعن فيه او حتى ان كان له من التفكير نصيب كبير ، كما سود غيره من الموضوعات .

لدينا اولا من يعرف الايصال بانه نقل التجارب الفعلي ، بادق ما يحتمل من معان للنقل ، ـ كنقل الفلس من جيب الى جيب اخر ـ واصحاب هذا التعريف يدفعون الى تقديم اغرب الفرضيات الوهمية . ويبدو ان الشاعر بليك Blake قد ذهب حينا الى ان حالة عقل ما ، متصورة كوجوداو قوة ، تستطيع ان تشغل آنا عقلاواحدا، وآنا عقلا اخر او عقولا كثيرة في آن واحد . وقد لجأ مفكرون اخرون الى اعتبارات لا تقل تساميا كضرورات في تفسير الايصال . فيدعى ان علينا الافتراض بان العقول البشرية اكثر سعة مما نؤمن به عادة ، وان اجزاء من عقل واحد قد تتجاوز حدودها وتصبح اجزاء لعقل آخر ، وان العقول تتداخل وتمتزج بعضها مع البعض الاخر وان العقول المنفردة ما هي الا مظهر وهمي ، وانها في الواقع عقل ذو وجوه ونواح كثيرة .

انه من اليسير ان ندخل التيه بهذه الطريقة ، ولعل بعض التجوال فيه امر لا مناص منه لجميع الاشخاص المفكرين في مرحلة ما من مراحل تطورهم العقلي ، الا ان المهرب لوحيد منه يتهيأ لنا عن طريق مدخله الاصلي .

اذ ان الايصال معرفا بانه نقل دقيق لتجارب متطابقة او اشتراك فيها لا يحدث ، وليس في قولنا هذا اية خاتمة مفاجئة . ان اية نظرية عامة عن طبيعة التجارب او ظروفها لا تستطيع، في واقع الامر ، ان تؤثر في قيمتها، لان القيمة تسبق جميع التاويلات ، ولو ان نقلا واشتراكا فعليين حدثا لكان من الطبيعي علينا ان نقبل نظرية التسامي ، ولكنهما لا يحدثان ، والمناقشات التي تفترض حدوثهما لا تملك اقل مقدار من الوزن .

ان كل ما يحدث هو ان عقولامختلفة في ظروف معينة تملك تجارب متماثلة ، واولئك الذين لا يستطيعون قبول هذا الراي يرفضونه لا على اساس برهان او الطرائق التي بها يؤثر العالم فيهم ، بل على اساس رغبة ، نتيجة لتأثير راي مغاير في وجهات نظرهم نحو اقرانهم . وقد يود ، في لحظات خاصة ، اي انسان ان يكون ذلك شيئا مغايرا . ونحن ، عندما نكون في لحظات سوء تكيف ، نشعر بان عزلتنا الجوهرية آفة ونقص ، وقبول الحقائق وتحقيق تكيف جديد افضل معتمد عليها يبدوان احيانا امرا صعبا لجميع الاشخاص ذوي الاحساس المرهف .

ولكن العقيدة الحقة لا تحرم ـ وقد لا تكون هنالك عقيدة حقة قادرة على ان تحرم ـ في الواقع ، اي شخص ايا من القيم . ومما لا شك فيه ان هنالك حالات مؤسفة لتنظيمات سيئة ، لا يتهيأ لها تكيف جديد ، وقد تصبح عقيدة مصطنعة حالة ضرورية لاهم فعاليات الافراد الذين يؤولون ، من غيرها ، الى اضطراب كما هي الحال مع عقائد دينية كثيرة ، ولكننا في مذهبنا الى ان ازالة مثل هذه العقائد لا تسبب اية خسارة بل قد تسبب كسبا عظيما في القيم ، لا نقول بعدم وجود بعض اشخاص نهدم قيمتهم في مثل هذه العملية . ان كل ما نقوله هو ان الافراد ذوي القابلية التكييفية قادرون على الاحتفاظ بمعظم قيمهم بعد عملية التخلص من مزلاتهم ، وانه من المستطاع التعويض عما يخسرون والحصول على ما يساويه ، وان مجموعة كاملة جديدة من القيم تصبح لهم سهلة المنال خلال تكيفهم الافضل لعالمهم الذي يعيشون فيه .

هذا هو ما يبرر الراي القائل بان المعرفة افضل سلعة تقتنى لان المعرفة ـ وها نحن نكتشف ذلك ببطء ـ شرط اساسي للحصول على اوسع القيم واكثرها استقرارا واهمية

نحن ، اذن ، نبدأ من العزلة الطبيعية والانفصال للعقول وتجاربها ، على الاكثر ، في افضل الظروف ، لا تتعدى كونها تجارب متماثلة . والايصال ، كما سنقول ، يحدث عندما يؤثر عقل معين في بيئته بطريقة يتأثر بها عقل اخر ، وتحدث فيه تجربة تشابه تجربة العقل الاول ، وتتسبب جزئيا بها . فالايصال ، على ما يظهر بوضوح ، امر معقد ذو مراحل على لاقل من ناحيتين . فقد تكون التجربتان متشابهتين تقريبا او قد تكون التجربة الثانية معتمدة تقريبا على الاولى .

ويحتاج ، بصورة عامة ، معرفة طويلة ومتباينة والفة قريبة وحيوات ذات حالات متجاوبة ـ او بايجاز راسمال من التجربة المشتركة ـ ان كان للناس في غياب مواهب ايصالية خاصة ، فعالة وحساسة ، ان يقوموا بعملية الايصال . وحتى عند توفر هذه المواهب يعتمد نجاح الايصال في حالات صعبة على المدى الذي يستخدم فيها تماثل في تجارب حدثت في الماضي. والايصال من غير هذا التماثل امر مستحيل . اما الحالات الصعبة فهي التي تلزم المتكلم نفسه ان يزود جزءا كبيرا من مسببات تجربة السامع وان يسيطر عليه ، حالات تفرض على المستمع تجنب تدخل عناصر غير ذات علاقة، من تجاربه الماضية

والامر يكون سهلا احيانا عندما يشير شخص الى شيء واخر يمعن فيه ، ولكن معاملة موضوع معقد ، كمنظر طبيعي حيث تحتمل منتخبات كثيرة مختلفة ، لتأكيدات رغبات متباينة ـ بمثل هذه الطريقة السهلة ، امر عسير ، اما في حالات قليلة التعقيد ، عندما يكون العامل المثير للرغبة بارزا ، كوجود رجل نائم في الكنيسة ، فيمكن التعبير عنها

(١) هذا فصل اخر من كتاب قواعد النقد الادبي ، وقد نشر فصل عن « الايصال والفنان » في عدد يوليو الماضي من مجلة الاديب .

(٢) قد يكون من الضروري ان نوضح هذه العبارة بالاشارة الى رأي الاستاذ ريتشاردز في تنوع استعمالات اللغة . فهنالك استعمال مدلولي referential او علمي واخر انفعالي emotional . ويتجلى الاستعمال الاول في العلوم الرياضية والطبيعية بينما يطغى الاستعمال الثاني في الادب والعلوم الاجتماعية . ولعل فصولا اخرى مترجمة من كتاب قواعد النقد الادبي ـ ستنشر في الاديب قريبا ـ تستطيع ان تزيل الابهام في هذا الموضع او مواضع اخرى من هذا الفصل .

قمة

اليها .. مزقت اهابي
وسرت
عليها .. زرعت شبابي
وفيها ، وراء الحصى والتراب
غدي ومصيري بذرت
اليها .. انتف نفسي
وامشي
عليها لاصنع مهدي
ونعشي
واحفر رمسي
لادفن امسي
وابقى بلا ريشة حرة
تسلح جلدي

*

على سفحها الجائع من جبهتي
بقايا ..
تقص لروادها قصتي :
رماد دم وحنايا .
هنالك في شدق واد سحيق
على جانبيها ، يشب حريق
لديه عظامي وقود
لديه وجودي وجود
تذوب الحكايات في ضفتيه
وتفنى
ويثمر بين يديه
الشقاء ويجنى

*

كاني احس عليها كياني
كاني أراه :
فريغ المعاني
بغير لهيب .. بدون حياه
كانه ما لفني ما احتواني
كاني ما كنت فيه اله
أراه هناك بعيدا .. غريب
كصندوق وهم عجيب
عجيب كجدرانه الخائفه
كبوق المصيبة
ينبح ضمن شبابي الكئيب
فينهار في لحظة خاطفه

*

أيا قمة كنت اسعى اليها
بكل تعطش قلبي بكل اشتياقي
بكل انعتاقي
بكل احتراقي .. لفجر جديد
أبعد ارتمائي عليك
ابعد احتفال مصيري لديك
تذوبين ..
يا قمة من جليد

كمال خيري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعبيرا له من الثقة بالايصال نصيب اكبر ، مع العلم بانه يحتمل هنا ايضا ان يحس شخص بغيظ ، واخر بتسلية عند رؤية المشهد .

يتحتم على وسيلة الايصال ، في الحالات الصعبة ، ان تكون بالضرورة معقدة . ان تاثير الكلمة يختلف باختلاف الكلمات الاخرى التي وضعت بينها ، وما قد يكون مبهما جدا ، عندما يكون قائما بنفسه ، يصبح واضحا في سياق مناسب . ويعتمد تاثير كل عنصر على العناصر الاخرى الموجودة معه . وهذه القاعدة تنطبق على ايصال سهل ضحل ، كالذي يخص مجرد فهم الحروف في كتابة يدوية كما تنطبق على اعمق صور الايصال . والى هذا تعزى افضلية الشعر على النثر في اصعب حالات الايصال واعمقها لكون الشعر وسيلة اكثر تعقيدا. ومثل اخر على ذلك يتجلى في ازدياد غموض صورة ثانوية ذات لون واحد للوحة زيتية اصلية .

لقد اخذنا بنظر الاعتبار ما تعتمد عليه صعوبة الايصال ، ولكن هذه الصعوبة يجب الا تختلط مع صعوبة الموضوع الموصل بالرغم من ان الشيئين مرتبطان غالبا ، فبعض عمليات الاحصاء الصعبة ممكن ايصالها بسهولة ، كما ان عمق الايصال ليس مرتبطا حتما بالصعوبة ، انه اسم لمدى التكامل في رد الفعل المطلوب . وحالات الايصال التي تخص وجهات النظر هي اعمق من تلك التي تعنى فيها المدلولات(٢) references فقط . وان نجاح نثر تجريدي او تحليلي يعتمد ، في الحقيقة ، على قلة الجدب فيه ، وعليه ان يتجنب اية اثارة للانفعالات حتى لا تصبح ملامحه الضرورية مبهمة .

نيويورك **صالح جواد الطعمة**

موم احد العمالقة المخلدين

○

في وسعنا ان نتفهم شخصية « سومرست موم » بمطالعة كتابه المعروف « الخلاصة » ذلك انه يكاد يكون سيرة لحياته الادبية وميوله الفنية . ولعله ليس افضل من ان ننقل هنا سطورا من بعض صفحاته فيحدثك موم عن نفسه بنفسه :

... انتاج العمل الفني لا يتأتى بمعجزة ، وانما هو كتربة الارض لا يمنع كونها غنية خصبة حاجتها للتهيئة والري والغذاء ، ومن هنا نتبين انه لا غنى للفنان بالمثل من اعمال الفكر وبذل الجهد حتى يوفق في عرض شخصياته في شيء من التعمق والتوسع والتنوع .

... لست والحمد لله ممن يفتقرون الى موضوع قصة فراسي عامر دائما ابدا بفيض من القصص ، وربما لا اجد فسحة من الوقت لصياغتها جميعا . فانا قلما اقضي ساعة بصحبة انسان الا وتتوفر لي مادة لا بأس بها. وكثيرا ما احتفظ ببعض القصص تختمر في ذهني ويداعبها خيالي على مر الايام . وكم تعرضت لشخصيات عرفتها وعشت واياها ، فابتكرت لها صنوفا من المواقف الاليمة او السارة .. والحق ان اكثر ما رسمت من شخصيات انما صورته في اناة وصبر على حامل الرسم ـ كما يقول اهل الفن ـ فلم ارسمه خطفا سريعا على الجدار .

... ولقد طالعت في صدر شبابي اكثر كتابات موباسان . وليس موباسان في هذه الآونة في نفس درجة الشهرة التي بلغها آنئذ . ولكن المرء لا يسعه على الرغم من هذا غير الاعتراف بفضله وبراعته فهو يكتب في سهولة ويسر وبطريقة مباشرة . وله كذلك في بناء القصة ذوق مرهف يعينه على تصوير جانبها النابض بحرارة الحياة .

... والواقع انني درست كتاب القصص الفرنسي اكثر مما درست الكتاب الانجليز وما فرغت من موباسان حتى اقدمت على ستندال وبلزاك وجونكور وفلوبير واناتول فرانس .. وغالبا كنت انتهي من مطالعة كتاب لابدأ بالتهام اخر . وهكذا طالعت كل ما وقع بين يدي .

... ومن المآخذ التي تؤخذ علي قولهم انني متهكم ساخر ، اصور الناس بصورة ابشع من الواقع. ولا احسبني فعلت ذلك ، فكل ما قمت به لا يتعدى ملاحظة نقاط ومعالم يغفلها اكثر الكتاب او يمرون بها مر الكرام فلا يحاولون عرضها على الملأ ..

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان سومرست موم كاتب واسع الافق له في الحياة نظرات اصيلة وتجارب مثيرة ، فطالما امتحن جوانب من الحياة حلوة ومرة ، سعيا وراء ينبوع يمده بتجارب انسانية حية .

ولا عجب فهو يميل بطبعه للنفس البشرية وخفاياها . ويؤمن بان معرفة الناس تزيد من اشفاقنا عليهم وتسامحنا معهم ونجده يستعين بتجاربه الشخصية في اكثر كتاباته. يستعين بذكريات طفولته ، وبحياته كطالب طب في لندن ، وخبرته بمجتمع الريفييرا ، وبكل من التقى بهم من البحارة والنساء في المحيط الهادي وجزر الملايو والصين . جميع ذلك وجد سبيله الى قصصه ورواياته ومسرحياته .

والقصاص ـ في نظره ـ كالصحفي الى حد كبير ، لا بد له عند سرد اخباره من نقطة يبدأ منها ، كما يتحتم عليه اشاعة الحركة والحياة في عباراته والفاظه . وهذا طبعا الى جانب البراعة الادبية التي تمكنه من صياغتها في قالب ممتع .

وهذا الاديب الانجليزي الذائع الصيت ، يقف بين جيلين من الكتاب : كتاب القرن التاسع عشر ، وكتاب هذا القرن . ذلك انه ولد في عام ١٨٧٤ فعاصر هـ.ج. ويلز ، وارنولد بنيت ، وجون جالزورثي . وهو اليوم من اعلام الكتاب المعاصرين .

وموم من ناحية الصنعة بسيط واضح . تروع المرء بساطته المتألقة ووضوحه الاخاذ . واسلوبه يشع بالحياة حتى لكأن القلم لا يضطرب او يتردد في يده. وهذه قصصه القصيرة ورواياته الطويلة ومسرحياته العظيمة تعرض آيات نبوغه وعبقريته ، كما تزخر بآفاق رحبة من العوالم المتعددة والتجارب الانسانية والنماذج البشرية. تتسم كتاباته بأحكام متزنة اشبه بالثمار الشهية الناضجة .

وشخصياته ـ على العموم ـ وعلى اختلاف الوانها وطبقاتها ومنازلها واضحة القسمات كاملة الاستدارة والحيوية الى حد بعيد ، يلفها سيل من التهكم اللاذع المر والسخرية الوحشية القاسية ـ ولكن في ثوب من التسامح ـ مما يجعله يقف جنبا الى جنب سويفت عميد السخرية والهجاء الانجليزي ، حتى لتجد نظراته الاجتماعية لا تمس الاشياء مسا رقيقا ، وانما تعريها وتفعل بها فعل الاحماض في المعادن .

ولعله يحق لنا ايضا ان نذكر ما كتبه الناقد الانجليزي ايفور براون في مقاله « دفاع عن الوضوح » الذي يشيد فيه بالاديبين « شو » ، « موم » ويحمل فيه حملة شعواء على اسلوب الكاتب الشاعر ت.س.اليوت ومن لف لفه من الكتاب الغامضين ، قال الناقد :

« في اعتقادي ان اكبر كتاب النثر في الآونة الاخيرة هما برنارد شو وسومرست موم . وهل كتب احدهما شيئا غامضا خفيا ؟ ربما يعيب المرء على شو معالجته بعض الشئون التافهة ، ولكنه لا يملك غير الاعجاب ببراعة اسلوبه ووضوحه . وقد يعيب المرء على موم احكامه ووزنه للامور بميزانه الخاص ، ولكنه يستطيع على كل حال تبين هذه الاحكام في جلاء ووضوح . »

وقد كتب الشاعر الناقد ويستان هيو أودن (صاحب ديوان « عصر القلق » الحائز على جائزة بليتز للشعر عام ١٩٤٨) في مقال له بمناسبة نشر كتاب « مذكرات موم » يقول :

ان حياة موم الادبية الحافلة بالانتاج والتوفيق الادبي تحشر موم في زمرة « العمالقة المخلدين » على حد قول جان كوكتو . ولهذا عندما ينشر كتاب لسومرست موم ، لا يحق للناقد ان يمر به كما يمر بكتاب كاتب اخر . فليس موم مجرد قصاص ولكنه « شخصية » في عالم القصة .

حسن السمـران

الانســـان

✳

لخـالـد الشريـقي

●

اللاذقيـــة

✳

عندما توسدت الشمس حضنَ الافق ،
صمت الناي
وراح الراعي يؤوب بخرفانه
والراعي يغني
وهذه كأنها تشاركه ،
كانت تثغو •••

*

مرة قالت لي امي :
الدنيا جزيرة حشيشية
والناس كالخرفان
والانسان يستطيع ان يكون الراعي
وصمتتْ امي •••

*

اردتُ ان اسأل الراعي كيف أصبح راعيا
وهل في مقدور أي كان ان يصبح راعياً ؟
لكن الظلام لفّهُ قبل ان ادركه

*

وفي اليوم الثاني
جاء الراعي وخرفانه
فذهبتُ اليه وسألتُه ••

فقال انه لا يعرف
انما وعدني ان يسأل امه

*

وفي اليوم الثالث ••
لم يأت الراعي •••

*

وذهبتُ الى شيخ عجوز
رأيته يأكل العشب
فسألتُهُ :
هل اصبحتَ راعياً في يوم من الايام ؟
فابتسم العجوز وقال هازاً رأسه :
اجل ان نفسي هي خرفاني
وذهب العجوز ••

*

لم يمهلني لاسأله مرة اخرى
فسرت ممسكا بعصا رأيتها في طريقي
وراء الشيخ
وبدأتُ أغني ••
وكأني سمعتُ مشاركة لي ••
فابتسمتُ وتابعتُ الطريق •••

*

وفي اليوم الثاني
اشتريتُ نايا
وذهبتُ به الى مرعى صغير
وابدا كنتُ لا أؤوب منه
الا عندما تتوسد الشمس حضنَ الافق ••

*

وفي يوم جاءني احدهم
وسألني :
كيف اصبحتَ راعياً ؟
فلم أجبه •• انما ابتسمتُ •••
وأعطيته نايي
وتركتـــه ••
لاذهب وآكل العشب •••

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الـندم

أغضت على شجن تتمتم والاسى ... أرخى على الاهداب حلة راهبِ
واليأس راح يشق غير مهادن ... في الوجنتين بمنسر ومخالب
فكأن وجنتها وما رقم الاسى ... مسودة نُقشت بمرقم كاتب
وبصدرها مثل الغمام غمائم ... للحزن تعصف عن ضرام لاهب
وجرى اللسان بما تجن ضلوعها ... عن رجع حشرجة وأنة ناحب
قصر الخلي على الخبال وجومها ... وعراه من خطل لقلب واجب
وهل التندم غير رجع هواجس ... شحنت بغصات الفؤاد الخائب

* * *

ترنو الى الجوزاء وهي كئيبة ... وتدير ساهمة لواحظ عاتب
والافق مرآة على جنباته ... عكست سمادير الخيال الكاذب
صور كما شاء الخيال تكشفت ... عريانة وتزاحمت بمناكب
تفتر باسمة بثغر مجامل ... وتصدُّ عابسة بعين معاتب
راح الغمام محلقا بجناحه ... كالنسر حلّق في فسيح جوانب
وأطلت الاشباح تومىء خلفه ... في شملة محفوفة بعجائب
هل كانت الاشباح غير هواجس ... عصفت بليل كالخضم الصاخب

* * *

نظرت الى الافق البعيد بحسرة ... مكتومة نُفضت بزفرة نادب
ومضت تحدق في الظلام كتائه ... في القفر ضلَّ عن الانيس الصاحب
والريح تزفر كالشجي أمضه ... من لاعج الذكرى خيال الغائب
أصغت الى همس الرياح وصدرها ... كجناح قمري مهيض لاغب
حسبت هبوب الريح من أوهامها ... آنات مكتئب وصرخة ناعب
لم تدر والاشجان ملء ضلوعها ... عصفت معربدة بزفرة واجب
هل كانت الارياح صوت ضميرها ... أم رنة القدر المحيق الغالب

* * *

تهوي بنا الآثام في مستنقع ... للشر ينفح بالصديد اللازب
ونعاف منزلق الحضيض ونبتغي ... سبباً يبلغنا مدار كواكب
نبغي العروج الى السماء ودون ما ... نبغي سماء من مرير متاعب
فكأن غصات الكآبة والاسى ... حبل يجوز به الغريق لقارب
طهرت بنيران الدموع نفوسنا ... وتخلصت عن خسة وشوائب
فتباركت تلك الدموع على الثرى ... منهلة تجري كنوء سحائب
واذا الضمير تفتحت أجفانه ... جاد الفؤاد بدمعه المتساكب

دمشق — عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة سورية

مواطن امام القضاء

بقلم فاضل السباعي

(١)

لساني عاجز عن شكرك ، يا استاذ ... الله يقدرني على مكافاتك ! ... (١)

واستدار الى وراء ، ومضى يشق طريقه في زحمة البهو اللاجبة . وعندما جعل يهبط درج قصر العدل كان لسانه يلهج بآيات الشكر والرضى والامتنان ، ويقول بينه وبين نفسه : « الناس اجناس .. لا يعرف معدنهم الا على المحك ! .. » وعاد يشكر للظروف ان اتاحت له صديقا طيبا كالحاج « عيدو الخضري » يدله على محام شريف كالاستاذ « صلاح الدين ابو الشامات » ؛ والا ، اتراه كان يستطيع ان ينجو من براثن رجل كـ « علي الشاطر » ؟ !

ثم جعل يستغفر ان اساء الظن بالاستاذ ابو الشامات اذ خسر ، من قريب ، دعوى التخلية في مواجهة غريمته الست « عائشة الماوردي » ؛ كيف سمح لنفسه ان ينساق مع اوهامه في ذلك اليوم الاغبر ، ويرى في الطيب النزيه آراء لا تنهض على غير الظلم والاعتباط ؟ وانه ما توانى يومها عن ان يعالنه متهما اياه بالتواطؤ مع غريمته ! يا سواد الوجه ! . على ان الاستاذ ابو الشامات ، بعد كل هذا ، كان مثالا للمسامح الكريم الذي غفر وتناسى الاساءة ومضى في مجابهة غريمه الجديد علي الشاطر امام القضاء غير ضنين بالجهد يبذله في سخاء !

(٢)

انه الان ، وقد وضع حدا لمنازعاته مع علي الشاطر ، ليذكر يوم عاد الى دكانه في « باب جنين » يجر قدميه خزيا وحزنا . كان علي الشاطر قد قارف في حقه اثما اذا . هذا الفتى ، قد اثبتت له الايام بالدليل القاطع سفالته ورذالته ! قاتله الله من وضيع ! .. يعتدي ، فيلتمس الصفح ذليلا متطامنا ، ثم يتشكى بالباطل متظلما متوجعا ! .. اي جنس من الناس هذا ؟ كيف خفي عنه معدنه طوال السنين التي عرفه فيها كعميل يشتري الخضار والفاكهة ليبيعها « بالمفرق » في دكانه في « سوق السقطية » ؟

قصارى ما كان ، ان كاتبه « حمادة » ذهب كعادته يطوف على العملاء محصلا اثمان ما استوردوه من بضاعة . ولقد مر ، وهو في السقطية ، بعلي الشاطر يطالبه بثمن الخمسين كيلو فستقا التي احتملها الى دكانه قبل اربعة ايام على وجه التحديد . فاذا علي الشاطر يبدي عزمه على رد الشرية ، بدعوى .. ان لبوب الفستق مغلقة غير مشقوقة ! !

ولقد عاد حمادة الى باب جنين ليحكي له عن نية الشاطر في رد الشرية بعد تلك الايام . فتألم من ذلك ، وجعل يتفكر في هذا الزبون ؛ انه مثال للملعنة والروغان .. لا يشتري البضاعة الا بعد طويل تمحيص وامعان .. فاذا اشتراها ، لا يدفع الثمن الا بعد عشر مطالبات يستقبلها بالمطل والتسويف .. وذلك اذا لم يحاول رد البضاعة ، بحجة انها لا تتوفر فيها المواصفات التي تروق للزبائن المشترين ! ..

وانه في تفكره ذاك .. رأى حمالا على بغلة عالية بين ذراعيه عدل ، يقف في باب الدكان ويسأل عن « المعلم حسين النعسان » ؟ .. فيجيبه :

— أمر .. ماذا تريد ؟

— حملني علي الشاطر امانة لك هذا العدل ..

ثم يرمي به الى الرصيف ، ويستدير ببغلته ، ويمضي لا يلوي على شيء .

والحق ، انه احس — وقتها — بدمه يفور من هذا الصنيع ! هذه ليست معاملة !

معلوم في عرف اهل السوق ان البضاعة متى خرجت من المحل لا ترد .. هذه حقيقة شائعة يدركها الشاطر والعملاء جميعا . ولكن هذا الفتى جعل من دياثته تجاوز كل حق والازراء بكل عرف ! انه انسان لا يستحيي !..

وما راى الا وهو منقاد الى السقطية يروم معاتبة هذا الفتى الشاطر الذي لا يفتأ يتفتق ذهنه عن الوان من « الشطارة » يريد ان يلعب بها على ذقون الناس . ولقد لقيه في دكانه يزن خيارا لبدوي — انه لا ينسى — بينما كان رجل في بذلة انيقة بيضاء ينتظر ان يزن له ما اصطفى في القفة في يده من مشمشات ذوات خدود صفراء وحمراء .. ورآه الشاطر في ذلك ، فغض في الحال الطرف عنه متصنعا عدم الانتباه اليه . فامتعض من هذا الاسلوب ، ولكنه ليس جديدا على الشاطر على كل حال ، ثم لم يجد بدا من الالتفات اليه بعد ان فرغ من الوزن ، وقال مرحبا على مضض :

— اهلا بالمعلم حسين ..

كان الشاطر فتى امرد ، قصير القامة ، نحيلا ، على رأسه كوفية بيضاء (٢) ، ذا عينين ضيقتين تبرقان

(١) فصل ثان من قصة مطولة ، نشر فصلها الاول بعنوان « الناس » في عدد ديسمبر الماضي من « الاديب » . وكل فصل فيها قائم بذاته مستقل عن سائرها ، لا يجمعه معها غير وحدة الشخوص .

(٢) « الكوفية » : منديل ابيض يسبغ على الرأس من دون عقال ، على عادة ابناء البلد في حلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكرا ، لا يخلو حديثه من نعومة ومداهنة .. ولقد جعل يعاتبه على رده الفستقات مما لا يتفق مع ابسط اصول المعاملة !.. فاذا الشاطر يسترضيه بخبث :

ـ يا عمي حسين .. خذنا ببحر حلمك .. نحن مثل اولادك ، يا شيخ صل على النبي .. المسالة بسيطة .. سايرنا ، الدنيا مسايرة ..

وعجب من هذا الاسلوب الصبياني يلجأ اليه الشاطر قصد الضحك على ذقنه . انه ياما راى ناسا من جميع الاصناف والالوان ، الا انه ما رأى انسانا كعلي الشاطر !..

ـ يا علي .. تكلم مثل الرجال .. كيف يجوز ان ترد البضاعة بعد اربعة ايام ؟!..

فقال الشاطر بلهجة ادنى الى الجد:

ـ الحقيقة .. ان الفستق طلع ما هو مليح .. لبوبه مقفلة ، وقد حسبتها ساعة الشراء مفتوحة .. وهذا يباع باقل مما اشتريت !

ـ يا ولد ، يا علي .. خلك رجلا .. هذا الحكي لا يقوله الرجال ! اما كانت لك عينان ساعة الشراء ؟

فاحمرت عينا الشاطر، وقال :

ـ من جهة ان لي عينين ، فهذا حق .. ولكن شطارتك ، يا عمي حسين ، تعمي العيون احيانا !..

فغضب من هذه القحة يتقيؤها في وجهه هذا الفتى الامرد ، وانه ليذكر جيدا يوم اقبل اليه الشاطر من ايام ، فكم سبب له من عناء اذ جعل ينتقي هذه الخمسين كيلو من بين عشرات العدول المكدسة في فم الدكان وقلبها .. حتى اذا وقع في خاتمة المطاف على بغيته ، جاء ينشر اباطيله على هذه الصورة الرقيعة . وقد قال له مؤنبا :

ـ انت ارجعت البضاعة ، يا ولد .. وبعدها تطول لسانك على كرام الناس؟!

فما كان من الشاطر الا ان صاح في حدة :

ـ كفاك تبجحا .. بلا كرام ، بلا بطيخ مبسمر .. في باب جنين ناس يعرفون جيدا من انت !..

فساله ان يقول ما يعرفه ناس باب جنين من خبره ؟ فاجاب الشاطر:

ـ رح اسالهم تسمع العجب !.. نصاب ، غشاش .. خلصنا ..

فلم يجد بدا من ان يزجره :

ـ حقا ، انت قليل حياء ..

ـ قليل الحياء انت وابوك ..

ـ خسئت ، يا ابن الـ ...

ثم ما احس الا وكفا ترن على صفحة خده . لقد صفعه علي الشاطر، ذلك الوغد الرذيل . صفعه امام اهل السقطية الذين كانوا قد التموا حوله يتفرجون .. يا للفضيحة ! لقد ضاع بعد الصفعة صوابه ، فما يعرف كم من الشتائم جرت ساعتها على لسانه. مبلغ علمه انه سعى الى الشاطر يعاتبه فاذا الشاطر يهينه ويضربه .. ثم ما راى الا وهو في المخفر ، « مخفر المجيدية » ، يحكي للشرطي الحادثة والدمعة في عينه . ولقد رق له الشرطي ، ونظم ضبطا بما حدث ، ووعده بان يساق المعتدي بمذكرة الى القضاء لينال جزاءه على جرم الضرب والذم والتحقير كاقصى ما يكون الجزاء !

(٣)

وقد ملك عليه الغم ، في عودته الى باب جنين، نفسه وفكره جميعا. واسف على سنيه الخمسين ان يناله معها الاذى من سفهاء الناس. والحق، انه حتى تلك الساعة ، ما فكر بالاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ولا خطر له على بال ، ولكن ذكراه وثبت الى ذهنه عندما اطل عليه ، بعيد قليل ، جاره الحاج عيدو الخضري . فقد اقبل اليه يمضي في دكانه بعض الوقت في الحكي ومجاذبة الحديث ، على مالوف عادته في اوقات الفراغ . فراع الحاج عيدو ما يبدو عليه من هم واسى . ان الحاج ، اذا قيل الحق ، رجل نبيل ابن كرام . ساله عن سر اساه ؟ فصمت لاول وهلة لا يقدر على الكلام . فلما الحف بالسؤال ، اشار له باصبعه صامتا الى موضع الصفعة على خده . فاتسعت عينا الحاج عيدو تعجبا وانبهارا ، واستفصحه عن اليد الآثمة المتجنية ؟! فجعل يقص عليه حكاية علي الشاطر ، من يوم شرائه عدل الفستق الى نهايتها في مخفر المجيدية ... وقد بدا على الحاج اذاك الغضب ، وثار لكرامة صديقه وجاره في السوق تهدر على يدوغد سافل ، واشار عليه ان يلاحق دعواه امام القضاء ، وان يوكل فيها الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات !

وطفرت الى ذهنه بالفور حكاية الست عائشة الماوردي ، لقد اخزته امام القضاء يوم أوكل في مواجهتها الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات !.. افيوكله اليوم في مواجهة علي الشاطر؟ فان اخزاه هذا ايضا ؟!..

الا ان وميض التردد سرعان ما انطفأ تحت سياط الاسى التي كانت توهي عزمه، على حين كان الحاج عيدو يمتدح بالاستاذ ويسبغ عليه افضل الصفات، ويقول :

ـ ومكتبه ، يا حسين ، تعرفه .. هناك ، فوق ، في « قسطل الحجارين » الاستاذ ابو الشامات رجل طيب ابن حلال ، مثل احسانك ، يخدمك بعيونه .. قم اليه ، وسوف يري صاحبك الشاطر كيف تؤتاه «الشطارة»

وكذلك ، فقد عاد اليه في دكانه ، في ذلك المساء، الحاج عيدو الخضري مبديا تمام استعداده لاصطحابه الى مكتب الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات فمشى معه متوكلا على الله . وصعدا الطريق حتى اخرها في قسطل الحجارين ، والنقمة تنفث في نفسه دخان الاسى . وقد قابله الاستاذ وصديقه الحاج عيدو . وصافحه بيده تلك السمينة المسترخية ، لينكب من جديد على الاوراق بين يديه . فجعل يتامله .. انه هو هو ، ذلك البدين الذي يطفح محياه بسيماء الطيبة والوداعة .. ترى ، الم يسيء به الظن في المرة الماضية ؟ ايعقل ان يقوم هذا الطيب الوديع بخيانة اوغدر او تواطوء ؟..

وقطع عليه تفكيره ان رفع اليهما المحامي راسه ، وجعل يقول مرحبا :

ـ اهلا وسهلا بالشباب .

فرد على ترحيبه بصوت اقرب الى الهمس ، بينما علا صوت صاحبه :

ـ الله يسلمك ، استاذ .. كيف الحال ؟

ـ الحمد لله .. خيرا ، ما الحكاية؟

فقال الحاج عياد :

ـ الاخ حسين النعسان ، وقعت له اليوم مشكلة .. (ثم ملتفتا اليه :) تكلم ، يا حسين .. اشرح ما جرى لك

فجعل يقول بصوت راعش ملتاع :

ـ الحكاية ، يا سيدي : اني بعت ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اربعة ايام ، خمسين كيلو فستقا لصاحب دكان في السقطية ، اسمه علي الشاطر .. فقام حضرته ، بعد كل هذه المدة ، يعيد الي الفستقات ، بحجة انها شربة ما هي مليحة ، مع انه اشتراها رؤية عينه .. ولما ذهبت اليه هذا الصباح اعاتبه على هذا العمل غير الاصولي ، شتمني وصفعني

فاضاف الحاج عيدو في حماسة :

ـ أرايت ، يا استاذ ، الى هذه الرذالة !..

ثم جعل الاستاذ يستوضحه :

ـ تقول ، يا حسين ، انه شتمك وضربك . فهل قابلته بالمثل ؟

ـ لا ، يا استاذ .. انا ما ضربته ، والله على ما اقول شهيد .. لكن ، يمكن شتمته كم شتيمة ..

ـ وهل ضربك قدام الناس ؟

ـ يا سيدي ، قدام اهل السقطية كلهم .. هو من جيل ابني .. ضرب شيبتي قدام الناس ..

ـ هل تستطيع تسمية شهود الحادثة ؟

ـ استطيع ..

ـ وهل ادعيت عليه في المخفر ؟

ـ نعم ، استاذ ..

ـ سينال ، ان شاء الله ، جزاءه على ما قارفت يده .

فانطلق يجأر بالدعاء له :

ـ الله يكثر خيرك ، ويطول عمرك ، وينصرك على مبغضيك ...

ـ شكرا ، هذا واجبنا .. (ثم ، كمن استذكر شيئا :) والست عائشة الماوردي ، ما صنع الله بها ، يا حسين ؟ اما زالت في دارك في « العزيزية » ؟

ـ اي والله ، يا استاذ .. ما طلعت منها بعد .

فتبسم الاستاذ وهو يقول بلهجة العتاب :

ـ أتذكر يوم اتهمتني بالتواطؤ معها ، يا حسين ؟

فاطرق من خجل ، وقال كالمعتذر :

ـ ابن آدم رياب ، يا استاذ .

فتدخل الحاج عيدو :

ـ الاخ حسين ما تعامل مع محامين على كل ، الذي راح راح . والان : الاتعاب ، يا استاذ .. كيف سيكون حسابها ؟

فقال الاستاذ :

ـ لن أتقاضى هذه المرة اتعابا ... (ثم ملتفتا اليه :) سأنهض بالدفاع عنك بدون مقابل ، يا حسين لانه لم يتح لي ان اقدم لك في الدعوى الماضية نفعا .. ايرضيك هذا ؟

(٤)

والحق انه لاقى من كرم الاستاذ وحسن استقباله ما خفف من الالم الذي كان يتأرث في وجدانه. وايقن ان غريمه هذه المرة سيأكلها بهمة الاستاذ قياما وقعودا وعلى جنوبهم . يستحق . رجل لئيم ، وغد ، سافل !.. ما احلى ان يعلق من قدميه ، في ساحة « باب الفرج »، امام الناس .. ويهوى بعصا معقدة على ما يوجع وما لا يوجع !.. ولكن، آه .. كم هو طيب وغبي وبهيم !

لقد أبدى الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات كل اهتمام بالدعوى ، كأنما هو نفسه المعتدى عليه وليس بالوكيل . وانه ليذكر يوم اقبل علي الشاطر الى المحكمة في اول جلسة . كان هو في القاعة ، على مقعد بين النظارة ، يتطلع في اطمئنان الى محاميه يترافع في دعوى سرقة . كم كان رائعا وبليغا ! كان يرفع صوته حينا ، ويجعله في حين اخر خفيضا راعشا مؤثرا . كان يتكلم ـ ساعتها ـ في الامراض .. الامراض الاجتماعية، والفقر ، والرغيف ، والجوع .. اشياء من هذا القبيل . ثم ما سمع الا والقاضي يطلب من الحاجب ان ينادي اسما لم يتبينه . فاذا الحاجب يشرئب صوب البهو ويصيح :

ـ علي الشـ...ـاطر .. للمحاكمة

وما هو الا ان دلف غريمه الى القاعة يكاد يتعثر بقدميه لفرط اضطرابه . ووقف لصق الحائط لا يدري في اي مكان يستقر ، فزجره الحاجب ضيقا به وجره من ساعده الى امام المنصة ، حيث وقف قبالة القاضي كالقملة المفروكة لا حول له ولا « شطارة » ! وقد قام بدوره من صفوف النظارة ، واتخذ مكانه بجوار الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات نصيره وحاميه . بينما انشغل القاضي عنهم جميعا بتقليب الاضبارة ، ثم ما لبث ان رفع راسه سائلا :

ـ ايكما علي الشاطر ؟

فانفرجت شفتا غريمه عن صوت خفيض :

ـ محسوبك ، سيدي !

ـ انت مدعى عليك ، يا علي الشاطر ، بجرم ضرب وتحقير حسين النعسان .. (ثم ملتفتا اليه :) كيف جرى الحادث ، يا نعسان؟ احك لنرى

فجعل يحكي حكاية شراء الشاطر الفستقات وردها اليه مخالفا العادة المتبعة في السوق .. وقد ذهب اليه في دكانه يعاتبه ، فطول عليه الشاطر لسانه .. سبه وصفعه امام اهل السقطية .. لم يوقر سنه ولم يحترم شيباته !..

وكادت الدمعة ، وهو يحكي ، تطفر من عينيه لو لم يتدخل الاستاذ ابو الشامات مرافعا :

ـ للمحكمة الموقرة ان تتصور موكلي وهو يحاول ان يلفت ، بمنتهى اللطف ، نظر المدعى عليه الى ان مسألة رد البضاعة بعد شرائها امر لا يقره العرف الجاري ولا يسيغه المنطق ولا القوانين .. فماذا فعل المدعى عليه؟. ما كان منه ، يا سيدي القاضي ، الا ان جعل يكيل الشتائم للموكل ، لا يردعه عن ذلك خلق ولا ضمير .. بل، انه تمادى في عدوانه ، بان رفع يده الآثمة واهوى بها في صفعة ظالمة على وجه موكلي !.. لكم ان تتصوروا، يا سيدي ، كم ذا خلقي ورائع : فتى يضرب ، وعلى مشهد من جمهور غفير في سوق ، كهلا وقورا في سن ابيه!

وشعر في هذا الدفاع بكرامته ترد اليه . حقا ، ان الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات لمحام بارع ، يدافع بحرارة قل نظيرها متى آن وقت القول والدفاع ... ثم سمع القاضي يسأل علي الشاطر :

ـ لماذا ضربت المدعي ، يا شاطر ؟

فسارع هذا ينفي الحقيقة بالكذب الباطل :

ـ انا ما ضربته ، سيدي ...

فتابع القاضي سؤاله :

ـ لماذا ضربته ، يا شاطر ؟ كيف تضرب احد عملائك ؟..

ـ سيدي .. هو الذي شتمني اولا

ـ اين ضربته ؟..

ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ على وجهه ؟
ـ سيدي
ـ واين أيضا ؟ قل ..
ـ
ـ كم كفا ضربته ؟..
ـ كفا واحدة ... سيدي !

فأحس، وهو يتنصت الى الاعتراف بالفرح الغامر يهز عطفيه . كان بود علي الشاطر ان ينكر . ولكن القاضي بحدقه سل الاعتراف من بين شدقيه سلا . قال لم يضربه سوى كف واحدة .. هذا يكفي ! وكذلك فقد انكفأ اليه القاضي يوبخه :

ـ كيف تسمح لك نفسك ان تضرب عميلا في دكانك .. رجلا في سن ابيك ؟ اما تخجل ؟

ورأى الى علي الشاطر يستقبل التقريع خزيان مطرقا وقد انحسرت كوفيته عن رأسه فبانت اذناه محمرتين خجلا . فرق له قلبه ، وقد كبر عليه ان يراه ـ على اساءته له ـ في موضع المقرع الذي لا يملك الرد او الدفاع . ولكن ، يا ليته ما رق ولا احس بخالجة عطف !.. الناس اباليس متخبئون في ارديتهم . هذا الذي تبدى في المحكمة مغلوبا على امره .. قد ارتد فيما بعد ابليسا من جديد ، وقد قال له القاضي في تانيبه :

ـ اذهب من وجهي ، يا علي الشاطر .. لا تخلني اصدر حكمي عليك ، فقد يكون شديدا .. اطلب الصفح من حسين النعسان .. فان غفر خطيئتك ، فذلك خير لك واجدى

الصفح والمغفرة ، لم ينفر منهما سمعه . كانت نقمته على علي الشاطر قد خف اوارها في وقفته الذليلة تلك امام القاضي ، وكادت تستوي عطفا خالصا . وكذلك ، فقد سأل محاميه ، وهما خارجان من تلك الجلسة ، عما اذا كان يحسن الصفح وقد لاقى الغريم من الهوان ما لاقى ؟ فاذا الاستاذ يقول باصرار :

ـ اياك ان تصفح .. دع المسيء ينال عقابه غير منقوص لئلا يكرر الاساءة .. هذا الذي تراه الساعة مغلوبا ، كان غالبا وسيعود .. فاصح لا تبرم شيئا من قبل ان تعود الي .. انت لا تدرك حيل المتقاضين !..

(٥)

وجاءه الى دكانه ، في ذلك المساء ، رجل من علي الشاطر يعرض عليه الصلح . فابى واصر على ابائه . لينل المسيء عقابه ، فذلك ادعى لئلا يكرر الاساءة . ذلك ما قاله ـ بحق ـ الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . انه محام ، يعيش في جو من المشاحنات والمكائد بين الناس ويدرك الاعيبهم جيدا . لينل علي الشاطر قصاصه ، لينم بضع ليال في الحبس جزاء ، فكرامته التي مست يقف لحمايتها القانون بالمرصاد .

كان ذلك رأيه اول الامر . وعندما وقف ، في انصراف الرسول ، يتطلع الى الاجراء يكرون باب دكانه في موعد الاياب ، جعل يتفكر بعميله القديم ـ علي الشاطر ... لم تبدر منه في الحق بادرة سوء مثل هذه طوال تعاملهما في السنوات الاربع او الخمس الماضيات . نعم ، انه يتمتع بعين مفتحة ولسان طويل . وكم كان يسبب له من متاعب كلما اقبل اليه في الصباح يتسوق الخضار والفاكهة ، فيشك في القباني والكاتب والاجراء جميعا . الا انه ليس اسوأ من غيره بكثير . وما بدر منه بالامس من اعتداء فانما مرده الحمق والتسرع لا غير . اليس كثيرا ـ اذن ـ ان ينام وراء القضبان بضع ايام ؟!..

واقبل اليه ، في يوم اخر ، علي الشاطر نفسه في صحبة الشيخ « محمد الاخضر » ، وهو صديق كريم ذو فضل وعلم يكن له كل احترام . وجلس علي الشاطر ، يومها ، صامتا تبدو على محياه آيات التضرع والاعتذار . بينما كان الشيخ كثير الكلام لا يفتأ يذكر بالتسامح والعفو عند المقدرة .. وان الخلاف ما بينه وبين عميله الشاطر ، أيا ما كان ، ينبغي الا يبلغ حد النزول الى القضاء .

ـ ابن ابن آدم ، يا حسين ، خطاء تواب .. والخطأ مردود على صاحبه مطلوب منه الاعتذار .. فتعود القلوب صافية كماء البركة الهادئة .. اليس كذلك ، يا حسين ؟

وقال ايضا :

ـ يا حسين ، يا خيو (٣) .. الله يرضى عليك .. هذه القضية اريدها ان تحل صلحا .. فالصلح سيد الاحكام ، والمسامح كريم .. لا تخيب رجائي ، الله يربحك ويطول عمرك .. علي الشاطر ، على كل حال ، ولد ابن حلال .. ساعة جنون طلعت معه فعل فيها ما فعل .. انا دخلت في المسالة ، ولازم ما تخجل ذقني ...

وكذلك ، فقد مضى الشيخ محمد الاخضر يسترضيه ويهون عليه الامر . وعلي الشاطر مطرق تحت كوفيته لا ينبس ، وقد كان يرفع اليه راسه في الفينة والاخرى ليقرأ ما قد يرتسم على وجهه من رضى او اباء ، وكانت تبدو عليه سيماء الذلة والضراعة .. ولكن ، اتراه كان يضمر من يومئذ غير ما يصطنع ؟.. قاتل الله الطيبة والغفلة والبلاهة !

لقد أوصاه الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات الا يصفح او يبرم امرا من قبل ان يعود اليه ، فعقد الصلح من غير ما عودة واستئناس برأيه السديد ! لا يدري كيف دخل فيه الشيخ محمد الاخضر هذه الدخلة ؟ نعم ، الشيخ رجل طيب ما شابت تدخله علم الله شائبة من غش مضمر ولكن ، الا يكون علي الشاطر قد خدع الشيخ نفسه اذ عرض عليه ان يقوم بدور الوسيط المصلح ؟ قصارى القول : ان الشيخ نفذ الى طيبته ووداعته ، فرق قلبه ، وقال للشاطر بلهجة الامر :

ـ قم ، يا علي ، قبل شوارب عمك حسين النعسان .. واطلب منه الصفح حتى يرضى عنك !

والحق ، انه قد احس وقتها بانه يسير في ما لا يرضى عنه الاستاذ ابو الشامات . وكذلك فقد قال للشيخ :

ـ يا شيخ محمد .. اذا كان بودك الصلح ، فارجع الى الاستاذ ، وتفاهم معه ، وانا اقبل بما يقول .

فاذا الشيخ يقول مستنكرا :

ـ ما شاء الله ، يا حسين !... هل الامر لك ام للمحامي ؟ ومتى كان الصلح يرضي المحامين ؟ هذا يعني انقطاع ارزاقهم !.. هم يريدون الخصومات ان تستشري فتنفتح لهم ابواب الرزق !

فرد عليه :

ـ ولكن ، يا شيخ محمد .. الاستاذ

(٣) « خيو » (بتشديد الياء) : تصحيف « اخي » (بضم ففتح فتشديد) المصفرة عن « اخ » . وهي من محكي حلب المشهور عنهم ، وقد طالما كانت موضع تعليق وتندر من اهل الشام غير الحلبيين .

ما اخذ مني في هذه القضية ولا باره (٤)

ـ وما في ذلك ؟ لسوف تدفع ما عليك بعد صدور الحكم !

ـ ابدا . امسك لي الدعوى استحبابا ...

فقال الشيخ بلهجة الامر المفروغ منه :

ـ طيب . اذن اتفقنا . محاميك سيرضيه الصلح .. (ثم ملتفتا الى الشاطر :) قم ، يا علي يا ولدي ، قبل يد عمك ، قم ...

وما احس كيف تم الامر : قام علي الشاطر ، واخذ يده فقبلها ... بينما كان الشيخ يردد في سعادة :

ـ ما في احسن من الصلح .. الصلح سيد الاحكام .. المسامح كريم ...

(٦)

وبكر يوم المحاكمة ، في التوجه الى قصر العدل مشتت البال مضيع الخاطر . ما كان يريد ان يصالح ويعطي وعدا باسقاط الدعوى من غير مشورة الاستاذ . ولكن .. لا يدري كيف تورط ؟.. لم يعد باستطاعته النكوص ، بعد ان قبلت يده مرات ثلاثا ووضعت على الراس ثلاثا . وكذلك ، فقد جعل يتوارى ما استطاع في ابهاء القصر عن عيني الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات في انتظار علي الشاطر والشيخ محمدا الاخضر . انه يريدهما ان يقبلا مبكرين من قبل ان يأتي الاستاذ ليحضر الجلسة ، والا فانه سينظر اليه بعين الملامة ، تماما كما نظر هو اليه يوما اذ أخمدت انفاس دعواه في مواجهة الست عائشة الماوردي.

واقبل علي الشاطر بعد حين ، وصبح بالخير ، ووقف الى جانبه صامتا ينتظر بدوره الشيخ الوسيط. فلما اقبل هذا بعد لأي دلف الجميع الى المحكمة . ولم يكن القاضي قد حضر بعد ، وليس في القاعة سوى بعض الحضور . وظلوا في الانتظار. وهو في هلع وخوف من ان يراه محاميه فيسأله عما تم معه ؟ فبم يجيب ؟ الا ان الله سلم ، فلم يبن الاستاذ ، ويا ليته كان حضر !.. الى ان اقبل القاضي بطلعته المهيبة ، فقام لدخوله الكاتب والحضور جميعا .

ولقد همس ـ حينها ـ في اذنه الشيخ محمد الاخضر ان يقوم الى القاضي ، وقد استقر على قوسه ، يطلب منه انهاء الدعوى ليعود الثلاثة الى اشغالهم ، فتهيب القومة والاقدام صوب القاضي . الا ان الشيخ حثه على القيام بالحال من قبل ان تزدحم القاعة بالناس ..

وتقدم الى القاضي ليقول بصوت هامس :

ـ سيدي .. لي عندكم دعوى ..

فهل له القاضي وقد عرفه :

ـ انت حسين النعسان اليس كذلك؟

ـ نعم ، سيدي .

ـ بودك الصفح عن خصمك ، ام تمضي بالدعوى فأقتص لك منه ؟

وهنا احس بالشيخ محمد الاخضر وعلي الشاطر وقد اصبحا بجواره . وما سمع الا والشيخ يقول :

ـ يا سيدي.. الحق ان الخصمين صديقان من زمان .. وساعة شيطان فرقت بينهما .. لكن القلوب صافية والحمد لله .. والاخ حسين عازم على الصلح ...

فساله القاضي مستغربا :

ـ أانت المدعى عليه ؟

ـ لا ، يا سيدي .. أنا واسطة

ـ ولكنا ، يا سيدي الشيخ، لانقبل وسطاء عدا المحامين .. تفضل اجلس مع النظارة .

ورأى الى صديقه الشيخ يتراجع كاسفا ويتوارى بين الناس . فتألم له غاية الالم . ما الذي يدعو رجلا فاضلا مثله ان يضع نفسه في هذا الموضع ويشتري التعب والحرج . انتهى ، انه عازم على الصفح ـ أهناك أكثر من هذا ؟ ـ لانه تورط ووعد ،



(٤) « الباره » عملة كانت متداولة في سورية زمن العثمانيين

فما بال الشيخ آكلا هم علي الشاطر يلاحقه من اجله في الدكان والمحكمة؟

قال القاضي :

ـ ماذا ، يا حسين النعسان ؟ علام عزمت ؟..

فارتج عليه لحظات ، الى ان قيض له فقال :

ـ يا سيدي .. اسقطت حقي ، والامر لله .

ولقد راى اذاك الى علي الشاطر ، هذا اللئيم ، وقد تهللت اساريره بعد انقباض . على حين مال القاضي الى الكتب عن يساره ، وجعل يملي عليه بعد طويل كلام : « وقد قرر المدعي اسقاط حقوقه الشخصية . »

وانه ليعترف الان انه اسقط حقه مكرها!.. ما كان علي الشاطر بمستحق الصفح ، فقد كان يضمر من يومها الشر والسوء . من اين واتى هذا الانسان كل هذا الخبث واللؤم والنذالة؟ لم يكن يعرف انه كذلك من قبل !حقا الناس اجناس ، لا يعرف معدانهم الا على المحك . علي الشاطر هذا ، مكر به وغدر وطعنه في وداعته وتسامحه ولكن ، أما كان يستحق ؟.. لماذا صفح في غيبة محاميه ؟ الا يعد ذلك افتئاتا وغفلة ؟ لقد امسك له الاستاذ الدعوى بدون مقابل ، هكذا استجابا ما ضر لو عاد اليه قبيل الصفح يسأله رأيه ؟ لكان على الاقل نظم له امره حتى يأمن كل مكر وخديعة !

ولقد مر به بعد ذلك الحاج عيدو الخضري مهاتبا . كان الحاج قد قابل الاستاذ ابو الشامات ، فانهى اليه هذا ما عرف من خبر الصلح من غير المشورة ، وكذلك فقد جاء يبلغه معتبة الاستاذ .. وقد قال :

ـ لعلك كنت تخشى الاستاذ ان انت عدت اليه تشاوره ؟

فاجابه في مزيد من الحرج :

ـ لا .. وانما الصلح .. صار فجاة .. فلم اشأ ان اصدع خاطره.

ـ اي تصدايع ؟ هذه شغلته ، يا حسين .. يستقبل الناس صباح مساء يستشيرونه في امور وامور.. وانت لست عنه بالغريب .. الرجل يخدمك بعيونه ..

ـ الحكاية : ان الشيخ محمد الاخضر هبط علي عصرا مع علي الشاطر .. ولم ادرك ، حتى الساعة، كيف طبقني !..

ـ طيب ، يا اخي ، مليح .. صالح خصمك ، ما عليه .. لكن فقط استمهل ريثما تعود الى محاميك .. المحامي يأخذ على خاطره ان يبرم موكله امورا من غير مشورته .. هذه هي العادة .. تخطف رجلك اليه في مكتبه ، فوق ، في قسطل الحجارين، في خمس دقائق لا اكثر .. لئلا تتيح لخصمك فرصة المكر بك .. الناس اجناس ، يا حسين ..

انه يتساءل الان متعجبا ان صدقت نبوءة الحاج عيدو الخضري ؟ أهو ولي من اولياء الله ، أم كان يضرب في الرمل ؟

(٧)

كان في ذلك الصباح ، منهمكا في البيع .. عندما وقف في باب دكانه المحضر يسأل الاجراء عن : حسين النعسان . والحق، انه توجس من ذلك شرا .. الا انه لم يدر في خاطره ان يكون علي الشاطر قد ادعى عليه

ساله المحضر العجوز :

ـ حضرتك حسين النعسان ؟

ـ لماذا ؟ خير ان شاء الله ؟

ـ اسالك : حضرتك حسين النعسان ؟

ـ انت قلت اولا .. ماذا في الامر ؟

انه يريد ان يمكر ، بعد فوات الاوان . كان يحسن التنبه الى مكر الشاطر يوم مكر مكره الكبير .

ـ يا سيدي .. المطلوب تبليغ حسين النعسان .

ـ تبليغه بماذا ؟

ـ بدعوى مرفوعة عليه ..

ـ ما الدعوى ؟

ـ ذم وقدح ...

ـ ومن المدعي ؟

ـ المدعي .. علي الشاطر ...

فطار عقله وشك في سلامة سمعه، واحس بدمه يفور . علي الشاطر يدعي عليه ؟ أترى ذلك يصدق ؟ يصبح المدعي مدعى عليه ، بينما ينقلب هذا مدعيا يصيح بملء فيه امام القاضي طالبا القصاص ! الم يقبل اليه الخنزير ملتمسا الصفح مقبلا اليد والقدم ؟ !

وحمل ورقة التبليغ وطار بها الى الحاج عيدو في دكانه . ليس له الاه . انه يستحي والله ان يقابل ـ بعد هذا ـ الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ، وقد ازور عن نصائحه فحل به ما كان يريد ان يدراه عنه. وعندما رآه الحاج عيدو في ذلك الاضطراب سأله هلوعا عن الخبر ؟ فاجاب باستسلام :

ـ ارأيت الى علي الشاطر ؟

ـ ما به ؟ خيرا ...

ـ رفع الملعون علي دعوى ... قال انا شتمته وحقرته ، قال ..

فصمت الحاج ، وقد بدت عليه دلائل التفكير العميق..ثم هز راسه الى اليمين والشمال آسفا ، وهو يقول :

ـ عندما ننصح باتباع راي المحامين تظن بنا الظنون .

ان للحاج ان يقرعه ما شاء له التقريع ؛ ولكنه كان يتوق الى سماع حل لتصريف المصيبة الوافدة . ما تعود ان يقف امام القاضي في موضع المدعى عليه ، وهو الذي ما نزل عمره الى المحاكم سوى مرتين كان فيهما مدعيا سيدا للموقف : اما ان يربح الدعوى او لا يربحها فلا يخسر من ماله وكرامته ما يأسى عليه ! ولكنه ، المرة ، سيتغير موضعه .. وربما حكم عليه بالحبس ان زور الشاطر وموه وضلل ، وانه افاعل ذلك كله بالتاكيد غير مقصر . الا ان الحاج عيدو بث في نفسه مزيدا من الطمانينة .. وقال له بان الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات كفيل بان يحبط بمهارته مكر الشاطر..ووعده بان يصحبه الى مكتبه اذا جاء المساء !

على انه ما احب ان يضيع الوقت بددا . فقد انطلق بالتو الى الشيخ محمد الاخضر في مقهاه حيث تعود الى ان يمضي ساعات الضحى من كل يوم . ولقد الفاه وحيدا يشرب النركيلة ملتذا فيما بدا له من اغماضة عينيه . ورحب به الشيخ وهش وصفق يطلب النادل في فنجان قهوة لصفيه حسين النعسان . وقد فاتحه بعد الترحيب والسؤال عن الصحة :

ـ ما رأيك يا شيخ ، في رجل يعفو عند المقدرة ؟

فرد الشيخ في طمانينة وادعة :

ـ احبب به من رجل كريم !

ـ وما رأيك في رجل يرفع يده ليهوي بها على وجه الذي صفح عنه وعفا ؟ !

فاتسعت عينا الشيخ وتطلعتا اليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اهتمام :

ماذا تعني ، يا حسين ؟

فاستوى في جلسته، وراح يفيض .

ـ صاحبك علي الشاطر ، ما غيره .. هذا الانسان الذي توسطت بيني وبينه وارقت له ماء وجهك امام القاضي ..

ـ ماذا فعل ؟

ـ رفع علي دعوى ..

ـ اف !!!

ـ صاحبك ، يا سيدي ، طلع ابن حرام .. خطف الصفح من هنا ، ورده الي ادعاء على قدر المقام .. اشتكى علي ، يا سيدي .. قال انا سببته وآذيته ؟ ..

ـ العمى يضرب عينيه !

ـ ايرضيك هذا ؟

ـ يخزيني ، اخزاه الله .

وصمت الشيخ قليلا . ثم جعل يردد في غيظ :

ـ خدعني الخنزير ، الله يخيبه !

ـ لولا تدخلك ، يا شيخ ، لكنت طرحته في الحبس شهرا على الاقل .

فتمتم الشيخ :

ـ ليتك ما صفحت . الله يخزيه .

لقد بدا لعينيه التأثر جليا في محيا الشيخ . كان مخدوعا يوم جاء اليه يسأله الصفح ، فخدعه بدوره ودخل فيه كما تدخل السوسة لب الخشب . وترك الشيخ في مقهاه بعد ان اعتزم ان يسعى لتوه الى علي الشاطر يعنفه على ختله كاشد ما يكون التعنيف .

(٨)

ومر به في دكانه مساء صديقه الحاج عيدو الخضري ليصطحبه الى مكتب الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . والحق ، انه كان يشعر بالخجل من نفسه . كيف سيلقى محاميه بعد ان ازور عن نصائحه فحاق به البلاء فاذا هو يسعى اليه ينشد بين يديه الخلاص ؟ الا ان الحاج عيدو هون عليه المصاب ، فكم وقع في هذا المحذور موكلون !

وقد استقبلهما الاستاذ هاشا كعادته دائما . فتجسدت له اذاك مدى الاساءة التي قارفتها يداه اذ صفح في غيبة من هذا الانسان الفاضل . انه غفل ؛ صحيح هو في عقده الخامس واب لسبعة من البنين والبنات، ولكن عقله .. عقل جحش صغير

ورفع الاستاذ راسه عن مكتبه وجعل يرحب بهما في دماثة :

ـ اهلا وسهلا بالشباب ..

وقال بعد قليل يوجه اليه العتاب الرقيق ، غير عارف جلية الامر :

ـ اكذلك ، يا حسين ، تصالح من غير ان تعود الي ؟..

وكان المعنى الذي يدور في خاطره قد استبد به وملك عقله :

ـ يا استاذ .. الحقيقة .. اناجحش.

فبهت الاستاذ لهذه القولة :

ـ حاشاك ، يا حسين .. ولكن لو جئتني ، يا ابن الحلال ، تقول : يا استاذ ... شهادتي في علي الشاطر انه ولد لا يضيع به المعروف ؛ وانا ارجو ان اتخذ منه صديقا لا عدوا ؛ او اي كلام من هذا القبيل .. اتراني كنت اقف في سبيل رغبتك ؟ كنت نظمت لك الصفح والاسقاط على الاقل .

وبدات الحقيقة تهتك استارها امام عينيه .

ـ انت لا تعرف حيل الناس ، يا حسين .. ربما لعب عليك خصمك . قد اقرك على انه ولد لا يضيع به الصفح ، بيد اني لا استطيع ان اجزم بذلك . وخير لنا الا ننام بين القبور فنحلم الرؤى المرعبة . الدنيا قضاؤها بلاؤها . حضوري معك في الجلسة مدعاة للاطمئنان . فلو كان سها عنك تعليق صفحك على اسقاط خصمك حقه بالتقابل ، اذن لربما لحقك من ذلك مضرة في مقبل الايام

فهز راسه هزة الاسوان ، واعلن :

ـ لقد سها عني ذلك فعلا، يا استاذ

فاردف الاستاذ :

ـ في هذه الحال ، قد يسول لخصمك ان يسيء اليك برفع دعوى يحدوه في ذلك كيد وضغينة .

وهنا تداخل الحاج عيدو ليجلو ما صار اليه الموضوع :

ـ الحقيقة ، يا استاذ ، ان حسين مقتنع بكل ما تفضلت به .. وهو شاعر الان بمدى خطئه .. ونحن ما جئنا اليك اليوم لمجرد الاعتذار ولكن لنقول لك ان صاحبنا علي الشاطر عملها ...

فزوى الاستاذ ما بين عينيه ، وتساءل غير مصدق ؟ فاضاف الحاج عيدو :

ـ جاء المحضر اليوم الى السوق .. وبلغ حسين موعد المحاكمة في دعوى رفعها علي الشاطر ! ..

وران عليهم صمت ابلغ من الكلام؛ في حين كان هو غارقا في بحران من الندم والخجل . جسم وسن من غير عقل . الم يقل انه جحش ؟ ذلك حق كله ! .. لفت نظره الاستاذ فما التفت ، بل اعطى الوعود بالصفح ! ماذا ؟ الف وعد بخيط . اجميل اذن ان يجرره غدا علي الشاطر في المحاكم ويجعله عرضة لتانيب القاضي ؟.

وجعل يتطلع بلهفة الى الاستاذ ، الى شفتيه عساهما تنفرجان عن كلمة ترد الى نفسه شتيت طمانينتها ولقد جعل الاستاذ يلومه في هينة ورفق ، بينما كان يهز له راسه هزة الموافق ، ويقول باسى :

ـ يا سيدي .. الحق معك .. انا الغلطان .. استحق ..

فيقول الاستاذ :

ـ انا لا اقصد الى لومك ، يا حسين .. ولكني اريد ان اجلو لك الظنون التي تلعب في خاطر بعض الموكلين .. انهم يرون في المحامي خصما لهم يخشى باسه ، وليس الصديق الذي يطمأن اليه ! ..

فيقاطعه قائلا :

ـ معاذ الله ، يا استاذ .. المحامون والله ، اطهر من لحية ابي ..

لم يكن لديه كلام يقال، وكلام الاستاذ حق لا يعلو عليه حق ؛ ولقد مضى في لومه الهين ذاك ، وما كف عنه الا عندما تدخل الحاج عيدو منهيا اليه فحوى ما كان قاله له في الصباح .. ثم جعل يقترب الى صميم الموضوع ، المرافعة في هذه الدعوى .. فاذا الاستاذ يعلن :

ـ هذه دعوى جديدة امرها يختلف فايقن عندئذ انه بسبيل ان يدفع اتعابها غير منقوصة .

ـ قمت بالامس بواجب المرافعة على ما يرام ، فاساء حسين التصرف .. الامر يختلف .

ولقد حاول الحاج عيدو ان يقول كلمتين ناعمتين تطرئان الموقف ، الا ان الاستاذ اصر على ان يتقاضى اتعابا وكذلك ، فقد القى ببنفسجية (٥) بين يديه ، وغادر المكتب .

(٥) « البنفسجية » ذات المائة الليرة السورية

ولما عاد الى بيته في ذلك اليوم كان يعمر قلبه الرضا والاطمئنان . الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ابوها وامها ، يعرف من اين يؤتي المحق بالنصر وكيف يخذل الظالم . ان له في الامور لبصرا نافذا . قال انه سيرد كيد الشاطر الى نحره .

(٩)

وبكر ـ هذا الصباح ـ في الذهاب الى المحكمة ، يخالط طمأنينته غير قليل من الاضطراب . كان في المرات الماضية اقل خشية ، لانه كان مدعيا ؛ وانه اليوم لمدعى عليه .. وكذلك ، فقد التوى سمعه من الضجيج المتصاعد ، ورأى في ابهاء قصر العدل معنى الرهبة كما لم يفطن له من قبل ! .. اف للمحاكم ، وتبا لعلي الشاطر ! كان خوفه ، وهو في البهو ، يتزايد على توالي اللحظات .. وباب المحكمة مغلق كأنه يأبى ان يتفتح حرصا على سر فيه دفين .. ولاستاذ صلاح الدين ابو الشامات لم يبن بعد .

وظل على حاله موزع النفس من خشية ورهبة . الى ان اقبل علي الشاطر يتطاول في مشيته في الزحام رافع الرأس مشرع الهامة .. يحق له ، انه مدع ! . وخطر له ان يدنو اليه يذكره بتقبيل اليد ثلاثا الذي كان بحضور الشيخ محمد الاخضر ، ولكنه سرعان ما ارتد الى عقله ، فماذا ينفع تذكير من نضب في وجهه الحياء ؟ !

وانه في وقفته ، اذا بالشيخ محمد الاخضر يهل بلحيته البيضاء وعمامته الاغباني . انه رجل طيب خدع عن حقيقة الامر فجرفه في طريقه . ولقد تراءى له انه يبتسم ، فعقد على رؤياه املا باسما ، سرعان ما انطفأ عندما قال له الشيخ في تضاعيف حديثه كاسفا :

ـ لعنة الله عليه .. هذا الشيطان الرجيم ! ..

وقد كان ذلك كافيا لان يدرك كل شيء . ولكن ، لا بأس . لقد وعده الاستاذ ان يرد كيد خصمه في المحكمة ، وانه لا ريب واصل الى غايته هذه الجلسة .

ثم ما لبث باب المحكمة ان انفرج يتلقف المجتمعين حوله ويطلب المزيد فشعر اذاك ان الساعة قد دنت . فدق قلبه شديدا ، وجعل يتساءل بينه وبين نفسه عن الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ؟ لم تأخر هذا التأخير ؟ .. وقد كان بجواره في البهو الشيخ محمد الاخضر يحوقل حينا ويتعوذ بالله احيانا من «الشاطر» الرجيم ..

وهو كذلك ، حائر مضطرب ، ما سمع الا والحاجب ينادي بصوته ذاك المطوط :

ـ علي الشاطر .. حسين النعسان ... للمحاكمة .

فخف صوبه وهو يشرئب في مسيره لهيف النظر عله ان يقع على محاميه . ودلف الى القاعة ، ومن خلفه الشيخ ، فرأى الشاطر وقد سبقه في المثول امام المحكمة .

وجعل يتطلع الى القاضي يقلب الاضبارة بادي الاهتمام ، والكاتب الى يساره يثني وريقات بيضاء آنا ويكتب في هوامشها آنا اخر . ثم استدار في هينة الى خلف يحدق في النظارة ، فرآهم مطبقي الشفاه ممسكين بأذيال الصمت يتطلعون اليه . فأحس بقشعريرة الرهبة تسري في بدنه : اين الاستاذ ؟ كيف يتركه وحده بين يدي علي الشاطر ؟ ماذا سيجيب القاضي ان هو باشر في اسئلته الممسك بعضها برقاب بعض ؟ ..

ورفع القاضي عينيه عن الاضبارة وانكفأ ينقل بصره بينه وبين علي الشاطر . ثم قال موجها الخطاب له وللشاطر معا :

ـ اما جئتما الي قبل اليوم ؟

فسكت الشاطر لا ينبس ، بينما اجاب هو بالايجاب . فأضاف القاضي:

ـ الن ينتهي نزاعكما ؟ لماذا عدت ، يا حسين النعسان ، الى المدعي في دكانه وسببته بامه وابيه ، كما يذكر في استدعائه ؟ اما تصافيتما في الدعوى الماضية ، وانحسم الخلاف ؟

فارتج عليه ، مع هذه الفريسة يصمه بها خصمه ، لا يدري بم يجيب وظل صامتا للحظات ، والقاضي ينتظر جوابا . ثم ما كان الا ان دلف الى القاعة الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات يتلقط انفاسه اعياء .. عندئذ ، شعر بنفسه ترتد اليه ، ومن ثم عاد الى بعض طمأنينته السابقة .

وانه ـ اذ يستعيد في خاطره الان ما ابلاه الاستاذ ابو الشامات منذ قليل في دفاعه امام المحكمة ـ ليستغفر ان اساء به الظن في دعواه تلك الاولى في مواجهة الست عائشة الماوردي ، وليشعر بعد ذلك بمزيد من الاغتباط ان هيأت له الظروف صديقا كالحاج عيدو الخضري يدله على محام فذ كالاستاذ صلاح الدين ابو الشامات .. انه سيد من رافع في ميدان القضاء . لقد قال فيما قال مدافعا :

ـ « يا سيدي القاضي .. ان هذا الانسان الذي ترونه امامكم الان مرتديا مسوح المسكنة والدروشة ، ان هو الا انسان خداع لا يؤمن له جانب .. انه ممن ينطبق عليهم المثل الدارج : ضرب وبكى ، وسبق واشتكى ..

« يا سيدي القاضي ..

« ان لهذه القضية ـ التي يقف فيها اليوم موكلي مدعى عليه ـ شقين اثنين ؛ عرض عليكم منذ اسابيع شقها الاول .. ويعرض عليكم الثاني الان ..

« لقد رد ، مدعي اليوم بضاعة كان قد اشتراها من موكلي . فسعى اليه الموكل في دكانه يذكره بعدم شرعية تصرفه . فاذا هو يكيل لموكلي الشتائم من غير حساب .. ويهجم على الكهل الطيب ويصفعه امام اهل السوق جميعا .. فماذا كان من موكلي ؟ توجه بالتو الى المخفر ، وشكاه لرجال الشرطة ، حيث سيق بعدئذ الى محكمتكم الموقرة ليلاقي جزاء ما اثمت يداه ..

« ولقد رايتم اليه وهو يعترف منذ اسابيع بجرمه على مسامعكم الكريمة وقد كنتم عازمين على الاقتصاص منه حينها .. الا ان ما يتسم به قضاؤنا من عدل ورافة ورفق جعلكم تطلبون اليه ان يستغفر من موكلي ويسترضيه عله يصفح ، فينجو من العقاب الصارم الذي يترصده بحق ..

« وجعل مدعي اليوم يلوذ بالطيبين من الناس يوسطهم للصلح تعقد رايته بينه وبين موكلي . ومن سمات موكلي السماحة والنبالة . ويأتيه الى دكانه

بعد ذلك علي الشاطر برفقة شيخ طيب هو هذا النادم على وساطته الجالس بين النظارة (ويشير الى الشيخ محمد الاخضر) يعرض الصلح ويذكر بالتسامح والعفو عند المقدرة. ولما كان موكلي سمحا طيبا ، فقد صفح بعد ما قام اليه هذا (واشار الى علي الشاطر) يقبل يده امام الشيخ مرات ثلاثا ويبدي آيات التوبة والاستغفار ..

« وكذلك ، فقد اقبل موكلي الى المحكمة في غيبتي واسقط حقوقه الشخصية دون ان يفطن الى ضرورة تعليق ذلك على اسقاط المدعى عليه حقوقه الشخصية بالتقابل ..

« فاذا مضت ايام ، جاء المحضر الى موكلي يبلغه خبر دعوى رفعت عليه .. اثمة ما هو اشد غرابة وعجبا ! يعفو المعتدى عليه ولا يعفو المعتدي ! لقد استغل هذا الفتى سماحة موكلي الى ابعد حدود الاستغلال . انتزع منه الصفح بالحيلة ، ليرده اليه دعوى اساسها الكيد والحقد والاعتساف ! اي صنف من الناس هذا ؟ لو ضمت نفسه في جوانحها حشاشات المروءة والوفاء لما اقدم على هذا الصنيع !

« ولو قد تصورتم سذاجة موكلي الذي يعفو من غير شرط ، ودون الرجوع الى محاميه ظنا منه اني قد احول بينه وبين اتمام الصلح ؛ اذن لثبت لكم بالدليل القاطع مدى استحالة ان يباشر ادنى اعتداء على اي انسان . ثم ، لو كان قد اعتدى على هذا المخلوق بالقذف والتحقير كما يدعي اليوم ، فلم لم يذكر ذلك بالامس .. حيث وقف امامكم مشلول اللسان الا من اقرار بانه قد شتم الموكل ، وانه لم يصفعه غير صفعة واحدة ! !.. ... »

واخرج الاستاذ ابو الشامات منديله ، والتقط به قطرات انعقدت على جبينه ، وتابع :

ـ ان هذه الدعوى ، يا سيدي القاضي ، كيدية لامراء .. وما اراد منها مدعيها سوى التشفي من موكلي وجره الى المحكمة ، مستجيبا في ذلك لنزعة الانتقام المتأصلة في نفوس امثاله . ولئن كنا الساعة ناسى على شيء ، فعلى اننا لا نملك ان نطلب انزال العقاب به ، بعد ان تجردنا من حقنا هذا يوم عفونا عنه متناسين الاساءة متطلعين الى عهد مودة وصفاء . على ان لنا ان نطالب في كل حال ، برد هذه الدعوى المبنية على محض الكيد والتشفي ؛ والحكم على المدعي بتعويض لا يقل عن الف ليرة سورية لما سببه من جرح لكرامة موكلي ؛ وتكبيده الرسوم والمصاريف واتعاب المحاماة ...

ليحي العدل ، وليسلم فم الاستاذ. كم كان مدهشا وهو يدافع وينافح ! ولقد بدا الاقتناع جليا على محيا القاضي الذي جعل يوجه الى علي الشاطر الاسئلة في الصميم متلاحقة كالسهام ، وهذا يداور ويراوغ ، فلا يلبث حبل المراوغة ان يضل به فيعترف بالحق .

وقد قال له القاضي في الاخير مؤنبا :

ـ كيف تبيح لك مروءتك ، يا علي الشاطر ، ان تدامي اليد التي امتدت اليك بالبر تصفح وتصافح ؟ الم تعترف امام المحكمة بواقعة ضربك لخصمك؟ .. فاذا انت امنت يد القانون ان تطالك ، اقبلت الينا ملفقا تهما باطلة لا يسيغها الوفاء والكرامة والعرفان بالجميل ! ..

وكذلك ، فقد انصت الى القاضي وهو يعلن رد دعوى الخصم لانها كيدية ؛ وبتكبيده الرسوم والمصاريف وبخمسين ليرة اتعاب محاماة ! .

ولقد سأل محاميه في خروجه من المحكمة عما منع القاضي من الحكم على خصمه بالتعويض المطلوب ؟ فتبسم الاستاذ قائلا بانه ليس كل ما يطلب يجاب اليه ، وقد طالما ادعى المتقاضون على خصومهم باشياء واشياء ، وانما هو اسلوب تخويف يلجأ اليه في مواجهة امثال علي الشاطر .

واحس ، وهو يسير الهوينا سعيدا بجوار محاميه في البهو ، بيد تتحسس كتفه . كانت يد الشيخ محمد الاخضر الذي انهال عليه تقبيلا والدمعة في مقلته وهو يحمد الله ان كتب له النصر المرجى .

ولقد الح عليه الاستاذ ، بعد ان مضى الشيخ لحال سبيله ، ان يرافقه الى النقابة يحتسي فنجان قهوة على شرف الفوز . ولكم كان الاستاذ لطيفا وهو يجاذبه حديث الوثوق متناسيا كل شائبة مكدرة . وقد هناه بما نال من ظفر .. ثم همس باذنه وهو يودعه في باب النقابة :

ـ كل ما ارجو ، يا حسين ، ان تطمئن منذ اليوم الى اخوانك المحامين فانما هم في الحقيقة رسل خير ياخذون بيد المظلوم ليجلوا حقوقه المغفرة بالتراب فيتاح للقاضي ان يعطي ذي الحق حقه ..

فتمتم بكلمات اعتذار مبهمة ، ثم جعل يقول شاكرا

ـ لساني عاجز عن شكرك ، يا استاذ .. الله يقدرني على مكافاتك!.

(١٠)

كان في نزوله من قصر العدل ، قد جاز شارع القلعة ، ثم هبط الى شارع الجامع الاموي ، وهو يستعيد فصول الحكاية جميعا . وما وعى الا وهو في قسطل الحجارين . فرفع بصره الى شباك محاميه . وطفرت من جديد الى خاطره صورة الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات بسيمائه التي تفيض رقة ووداعة . لله در الانسان ما اقبح ريبه ! لقد ظن بالاستاذ يوما الغدر والتواطؤ ، فافصحت له الايام عن خطل تقديره ولقد توسم بعلي الشاطر الضراعة والاستغفار يوم قبل يده في الدكان ثلاثا ، فاذا هو شر خلق الله غدرا وختلا .

حقا : الناس اجناس .. لا يعرف معدنهم الا على المحك !

ومر ، اذ غدا في سوق باب جنين، بدكان جاره وصفيه الحاج عبدو الخضري . فاستقبله هذا متسائلا في شوق عما تم بالمحاكمة ؟ فانهى اليه وابتسامة الفوز في شفتيه :

ـ لا يضيع حق دونه الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ...

وقعد يحكي ، في اسهاب واطناب كيف ضفر له الاستاذ اكليل غار ، وكيف وصم غريمه وصمة الخزي والعار ! .

حلب فاضل السباعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة الى ادونيس

○

صديقي ..
غريب .. أنا يا صديق.
غريب .. بي الكون يضنى ، يضيق. ..
فلا أفق يمشي ، ولا يحتويني رفيق
مع الكون وحدي..
أقرمط هدبي ، وألهب في كلّ ضلع حريقه.
فتشهق فيّ الحقيقه
وتمسك بي كالغريقه
صديقي ..
وتلتف عندي الدروب.
كأنّ الدروب أفاعي
وانهر موت وساح ذنوب
وتصغر .. يا حيفها الامنيات.
تذوب على صخرة الافتئات

صديقي أمس تحدّث عنّي الجمال.
وغنّى مع العندليب بحبّي ..
وغنّى حكايا التلال
ولملم من جفنيَ الحلم وردا .. ظلال
لمَ الان ينفتُ قلبي .. ؟
وينذرُ عبر الليالي رماد
أنا يبس الحبّ فيّا
وماتت خلاياي .. صارت جماد
أنا أكره الناس والشمس .. أكره حتى الحياة.
وأبغض نفسي ...
.
فقير وحسّي صار فقير
وبالفقر ضيّعت عمري
وبلّد فيّ الضمير ..
وصرت ، ومن أين لي ان احس ،
بلا شرفات أطلّ على الكون منها
لامنحه الحبّ والزخم والانطلاقا
وأحضنه لهفة واشتياقا
صديقي لو قيل للفقر أين تغيب ؟
لقال سريعا .. أنا لي حبيب .. !
أتتّف منه عروقه.
أمصّ رؤاه .. وامتصّ ريقه
أنا لي حبيب يموت بدربي ..
.. يموت بحبّي ..

صديقي
وأحببت .. أحببت حتّى العباده.
وحتّى انخطفت الى عالم لازوردي
الى عالم فيه تصحو السعاده
تصير حقيقة. ..
تصير خليقة ..
وزند اله بلحظة خلقٍ ..
وضيّع حبّي ..
وصار ، صديقي ، يلاقيني الدهر حمراء عينه ،
يلاقيني الدهر كفّا يسيل وعيدا
وشدقا يرقّصه الحقد لهفا
ليلتمّ منّي الوريدا
كوحشيّة الموج لمّا يقابله الشطّ ،
يرغي ويزبد ..
ويُرمى على الصخر كاليأس .. يقتل نفسه.
يقابلني الكون .. يصفع وجهي ..
فيختلط الشيء بالشيء .. يُذكى حريقي
وتغدو الدنى بحر نار ..
وأغرق يا صديقي
صديقي ..
سألتك زنديك .. ما زال فيّ حنين عريق.
الى الفوق ، لله ، للشفق المستفيق.
.
.
أظنك بالامس حدّثتني عن غريق ..

مرمريتا ـ سوريا — الياس مسوح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في النقد الادبي

توماس مان والغموض

بقلم فيليب توينبي

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

عادة جريدة (التايمس) ان تقدم الينا احكاما شبه رسمية عن الكتاب الذين قضوا نحبهم من مدة قريبة ، وطبيعي ان يكون العالم الادبي الانكليزي على شيء من الاتصال بهؤلاء الكتاب منذ عدة سنوات . وعلى هذا ، فان وفاة توماس مان (١) جعلت المعقب في الجريدة الآنفة الذكر ، يلخص سيرة هذا القاص على وفق النظرة السائدة عنه في انكلترا . لقد اكتشف اخيرا ان مان كاتب صاخب ، محب للتكرار والاعادة، بارد الاسلوب ، وهو يستدعي الرثاء اكثر من غيره من الالمان . وقد شبهه بعضهم بالكاتب الانكليزي (غالزورذي) فنال هذا التشبيه الكثير من الاستحسان والقبول ، وعلة ذلك ان الانطباع العام عن هذا الكاتب يذهب الى انه كان يوما ما ذا اهمية خاصة ، اما الان فهو غير مستساغ .

وهذا الانطباع يعبر ـ بطريقته الخاصة ـ عن حقيقة مؤداها ان مان لم يكن من الكتاب الذين كان لهم من الشأن ما يحببهم الى الجمهور في بلدنا . صحيح ان القائمة التي تضم اسماء جيد وبراوست ، وجويس ، وكافكا ، وفوكنر وفرجينيا وولف ولورنس وسارتر ومورياك ، فيها الكثير من التنافر والتباين ، ولكن هذه الجوقة فيها من السحر والتأثير ما يجعل الناس مأخوذين ، متهيبين حين يحلو لهم لفظ اسم من اسماء اعضائها . ومن الطبيعي ان نعد هؤلاء اعظم القاصين في القرن العشرين ، غير ان اضافة اسم مان الى هذه القائمة فيه شيء ولو يسير من التجني والتحدي .

وهذا لا يعني ان توماس مان قد نبذ في حياته ، ولم يكن موضعا للالتفات ، ففي امريكا والمانيا تناوله الكتاب بالدراسة والتحليل بصورة مستفيضة عميقة ، تجاوزت ما حظي به اي قاص اخر في ايامنا هذه . اما المعجبون به في انكلترا وفرنسا منهم طائفة صغيرة متناثرة في المجتمع يعوزها الكلام . ومن هنا فان نظرة معقب التايمس هي السائدة .

ويبدو لي ان خير تفسير لهذه الظاهرة يكمن في سببين واضحين . واولهما ان مان كاتب الماني ، ولما كان الالمان لا يحسنون كتابة القصص ، فمن المعقول الا يحسن مان هذه الحرفة ـ نعم ان هؤلاء يجيدون كتابة السمفونيات ، وقد ينظمون الشعر احيانا ، ولكنهم لا يستطيعون الاجادة في الفن القصصي . والسبب الثاني ـ يتعلق بحياة مان العامة ، تلك الحياة التي كانت رديئة بالقياس الى شهرته الادبية، في الوقت الذي كان فيه فلوبير بطل الثقافة بالنسبة الى الادباء الانكليز وعامة القراء .

صحيح ان جيد وسارتر ومورياك كانت لهم اساليبهم المعينة في حياتهم ، غير ان هذه الاساليب كانت مقبولة عند الجمهور . ومع ان جيد وسارتر كانا من اليساريين الثائرين في حين لم يتخط مورياك نطاق الرجعية المثيرة ، اقول مع ذلك ، لم يثر هؤلاء ضغائن الناس . اما توماس مان ، ذلك الرجل الحر ، الاممي ، الانساني ، بل بالحري النبي المفكر، والسياسي العفيف ، فهو لم يسحرنا الا قليلا ، بدوره الذي قام به في الحياة . ذلك بانه كان يشبه آباءنا واجدادنا . والسبب في هذه المشابهة يعود الى انه اصبح في اواخر ايامه رفيقا من رفقاء السفر ، فبعد ان اثنى ثناء عطرا على امريكا ، عاد فثلم سمعتها وثار عليها ، ولم يطعن في النظام السائد في المانيا الشرقية . اما تصريحاته العلنية ، التي تؤلف عددا من المجلدات ، فهي توضح لنا موقفه اذ تجعله بعيدا عن قافلتنا في سيرها ومرحها وصخبها .

لغيري ان يناقش قيمة نظرات مان السياسية . اما انا فسأقتصر على ما اريد قوله ، ذلك باني اعد توماس مان ، اعظم قاص في هذا القرن ، من حيث خصب نتاجه ، وقدرته على نقل الحيوية الى الاخرين . وليس من اللائق الان ولا من المعقول ان نقارنه بانداده من امثال براوست اوجويس اوكافكا . وكل ما اقصد اليه ، هو ان مان لا يزال يمدني بالحياة الثرة والفعالية الخصبة ، وهذا الشعور المتنامي ابدا المتدفق دائما ، هو الذي يبعث في الغبطة والحبور اذا ما تفضل سواي من الكتاب مشاركتي فيهما .

وساكون مسرورا كل السرور لو تمكنت من اقناع زملائي واصدقائي الاحياء بشيء اعتز به اشد الاعتزاز وهو ان اجعل توماس مان موضوعا للقراءة ، اذ ليس يكفي احدنا ان يكون قد طالع (الجبل السحري) او تحدث عن (الموت في البندقية) و (تونيو كروكر) بشيء من الحسرة والاسى. ثم دعني امضي فيما انا فيه بسرعة واستعجال ، لاني اذ القي هذه الموعظة ، انما افعل ذلك ، وانا لما ازل حديث الايمان ، جديد العقيدة والايقان ، ومن هنا يمكنك ان تشعر بحماستي ويقيني بسداد رأيي . لقد قرات قصة (يوسف) منذ سنة فقط ، فاذا كان الحق ان اتناولها بحديثي ، فهذا الحق هو ما نلته من امد يسير جدا .

(١) ولد هذا القاص في سنة ١٨٧٥ وتوفي سنة ١٩٥٥ ومن مؤلفاته (بودن بروس) و (الموت في البندقية) وغيرهما .

انا لا انصح اترابي القدامى في ماضي جهالتنا ان يبداوا مطالعتهم الجديدة بقراءة المجلد الاول من قصة (فيلكس كرول) لان مان كتب هذه (المهزلة) المفعمة بمغامرات الافاقين ، في سنوات حياته الاخيرة ، ولذا فهي تحمل آثار كاتب عجوز ، على ما في بعض هذه الاثار والعلامات من سرور ومرح وانشراح .

لقد ملك مان عنان موضوعه في قصصه ورواياته حتى في (بودنبروك) وهي قصة شبابه ، فانت تجد فيها الخطة الواضحة التي يتعذر احتذاؤها ، والسير على منوالها. (فهل هذا سبب اخر من اسباب شكنا في مان ، وبخاصة لانه يقص منذ ذلك الوقت حكايات اسر وضيعة ؟)

اما في (فيلكس كرول) فان سيطرة مان مطلقة غير محدودة . ومن ذلك اني لم اجد في هذا المجلد ما يمكن ان اعده خطأ ، او عثرة ، او زلة من زلات العين او الاعصاب. غير ان هذه السيطرة المغالية في دقتها ، وهذا المقصد المدروس مقدما والمتبع حرفا بعد حرف ، وهذه المهارة المتجمعة بعد طول اناة وصبر ، كل هذه الامور اراها مطبقة بصورة آلية شديدة . وفي هذا الكتاب الذي يقرا بسهولة ويسر ، اشياء كثيرة مثيرة رائعة ساحرة ولطيفة ، غير اني شعرت — حين بدات مطالعتي له بشيء من التعب والنصب ، ورايت نفسي محملا على مراجعة ما اثارني سابقا بعد ان اتممت استعدادي لذلك .

وطبيعي ان نقول بان توماس مان يكرر موضوعاته دائما ، وهو يشبه — في هذا الشان — العديد من عظماء القاصين ، من اضراب هنري جيمس وجين اوستن ودوستويفسكي — ذلك بانه كان رجلا يحتضن بعض الحقائق العميقة ، فجعل شغل حياته ان يعبر عنها بعبقريته بمختلف الوسائل والطرق ، في مجالي عرضه المتنوعة .

وربما تبدو (فيلكس كرول) ممثلة لانطلاق جديد في اجواء الفكاهة ، على الرغم مما تمتاز به كتبه الاخرى في هذا الصدد ، وعلة ذلك ان الكاتب خصص قصته هذه باكملها من اجل الفكاهة وحدها . ومع ذلك ، فانا اميل — بعد ان قرات القسم الاول من الكتاب — الى التفكير بان (فيلكس كرول) لا تساعدنا كثيرا على فهم عالم مان وافكاره كما تفعل كتبه المبكرة . اما مصادر هذا الكتاب فهي (مول فلاندرز) و (جل بلاس) و (مذكرات كازانوفا) و (فيلهلم مايستر) و (المذكرات) هي اقربها — في الروح — الى هذه القصة .

وهنا نجد انفسنا امام شاب الماني هو ابن بائع مشروبات ، محني الظهر ، محدودب القامة ، كان يعيش في (راين لاند) وقد اندفع هذا منذ ريعانه في الظلمة فاصبح آفاقا وغدا (بعد سنوات من تاسيس الامبراطورية الالمانية المجيدة) وفي خاتمة هذا المجلد يصبح فيلكس خادما ناجحا جدا في باريس ، وذلك على اثر تنكره باسم نبيل لوكسمبركي ، الامر الذي ساعده — قبل ذلك — ان يعيش في رغد وخفض في لشبونه . وفي الخاتمة ايضا يظهر (البطل) وكانه يريد الاقلاع الى الارجنتين ، ومن هنا ربما يحق لنا ان نعد هذه المغامرة المتخيلة بداية مغامرات عالمية . يسرد فيلكس قصته بصيغة المتكلم ، وهذه وسيلة تجعل مبدع هذه الشخصية متمكنا من اضفاء الشك على كل شيء يحدثنا عنه البطل . ومع هذا يصح لنا وضع



الاديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Tél. Direc : 23819

المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقة في فيلكس حين يتبجح بجماله الباهر ، ومكره الشديد وسحره الاخاذ ، واتزانه الموقر . والواقع ، انه يشبه كازانوفا الشاب كل الشبه ، اما الشك الذي يلازم مغامراته، فهو يماثل بعض المماثلة ذلك الشك الواقعي الذي نشعر به حين نقرأ حصيلة مغامرات كازانوفا .

ومن هنا فان « الغموض » الذي تعلق به مان ، هو الشعار الذي اتخذه لنفسه . فحقائقه لم تكن ساذجة قط، وفي هذا الكتاب ، بما امتاز به من اللجوء الى الضمير المتكلم، نجده مكتشفا لاسلوب جديد في مجالي التأملات التي تتناول طبيعة الحق الغامضة ، ولهذا الاسلوب تأثيره الخاص في اذهان القراء . عجبا ، فهل ما يقوله فليكس يمثل ما فعله او تحدث به مع الاخرين ، او هو يعبر عن واقع حياته؟ حسنا ان هذا الامر يبدو له كما هو وهو كذلك بالنسبة الى الاخرين ، والا فهل يمكن ان تجري الامور في واقعها الحي وفي فنائها واندثارها الا كما جرت ؟

وطبيعي ان نقول ان (البطل) لم يكن يوما مركيزا ، غير انه نجح في تمثيل هذا الدور في معظم الكتاب . ولكنه الم يصبح مركيزا ، باجادته لهذا الدور الهزلي ؟ ثم يصبح هذا الاعتقاد من الانتشار بحيث يحسبه كل من يلقاه مركيزا ، حتى انه ينسى نفسه في معظم الاحوال ، فيظن الامر لا يتعدى تعريفا غير اعتيادي . فمن هذا البطل ، في الواقع ؟ اذ من الجلي اننا لا يمكن ان نقول بانه ابن بائع النبيذ الاعرج ، او هو ممثل هزلي ، او هو بالذات شخص مشوه احدب . اما مسألة الماهية فهي لا تزال — حتى بالنسبة الى الفلاسفة — لغزا من الالغاز المحيرة . كما انها تربكنا كلما القينا عليها نظرة عصبية . ومن هنا فان مان عازم كل العزم على جعلنا نتأمل هذه الاحجية بعمق واستطراد على حسب مقدرتنا وقابليتنا .

والغاية الاخرى التي يحاول مان عرضها من طريق ابطاله (فليكس) او ارمان الخادم ، او المركيز لاوو ، تتلخص بالصلة الوثيقة التي تربط بين الفن والشخص المشوه او الانسان المريض . ولقد حدثنا عن الصلة من قبل ، ولكنه ربما كان في الطليعة من القاصين ، في هذا الشأن ، بأسلوبه الممتاز وسرده المعجب . وفي باكورة هذا الكتاب الجديد ، يتمارض الصبي فليكس بصورة تكاد تكون مقنعة ، حتى انه يتمكن من فرض العوارض المرضية التي يحتاجها على جسمه . الى حد انه قال : « لقد انتجت هذه العوارض بصورة مؤثرة ، كأني لم اكن قد تصنعت في ايجادها واظهارها . لقد حسنت الطبيعة وحققت الحلم ، وليس من احد يشعر بهذا غير انسان نجح في ابداع واقع مؤثر اخاذ من لا شيء ، بالاعتماد على المعرفة الباطنية والتأمل الداخلي فهذا الانسان وحده حسب هو الذي يفهم الرضا الغريب الشبيه بالحلم ، ذلك الرضا الذي استخلصته من نتاجي الخلاق » .

وهذا الموضوع يذكرنا بسرور (يوسف) الماكر ، وانانية غوته المغالية ظاهريا في كتابه (لوث في فايمر) وميثاق (ليفركون) الشيطاني ومرض (كاستورب) الاحتيالي ، وفي وفاة الساحر الذي اصابت رصاصة ماريو منه مقتلا .

واخر الموضوعات الثلاثة العظيمة التي ابدعها مان لا ينفصل عما سبق في شان صلة الفنان بالمجرمين والمرضى ، واعنى بذلك الغموض المتعمد الذي جعل مان يجهد نفسه لتفسيره دائما ، وهذا الغموض يبدو — في ظاهر الامر — مناقضا للنظرات الاخلاقية الساذجة التي امتدحها مان واثنى عليها في دوره الاخر .

وطبيعي ان يحدث هذا لان غموض مان لم يتخذ قط الشكل السطحي المتحذلق ، الذي قدر في فرنسا كل التقدير ذلك بان فلسفته الاخلاقية لم تكن تجريبية غايتها بعث السرور المجنون والتناقض الظاهر ، الامر الذي اباح لجين جينيه ان يعد كاتبا جديا .

اما غموض مان فلم يكن ليرتبط باي نوع من الشكوك ، فالخير عنده هو الخير ، وكذلك الشر ،ولذا لم يكن نقيض ذلك ليؤنسه ويفرحه . ولكنه في هذا الامر ، شأنه في الامور الاخرى ، تلميذ غوته الصادق المدرك للخير والشر ، ولو ان التمييز بينهما قلما يشعر به ، الا ان الصلة المعقدة بينهما تبدو واضحة الاثر بحيث يعترف بها عامة الناس . وكبليك ويونغ ، لم يشك مان قط بوجود الخير الملازم للشر ، اما النزاع بينهما ، وهو ذلك النزاع الذي لا يمكن تسويته ولا حله ، فهو اصيل الارومة ، مستحكم قوي ، وكل محاولة للنيل من الشر بهجوم جبهوي ، يؤدي الى نتائج مضادة غير متوقعة .

هذه كلمات تقال بحق كتاب هزلي الاتجاهات والنيات ومع هذا ، فطريقة مان لا تسمح بالسذاجة والسهولة في تناول الموضوعات . لقد كان فكها جدا في مأساة (الجبل السحري) ولكنه لم يبح لنفسه ان تطرد الملهاة الهازلة المأساة الجادة ولا ان يكون الامر على العكس من ذلك . وفي بداية (فليكس كرول) نتعرف على البطل الذي هو شقيق كازانوفا — في الروح — فنجده ينهي حياته في حالة سوداوية تلازم الانهيار السابق لاوانه . ولنا ان نتأكد ان هذه العقوبة لم تكن جزاء وفاقا لاخطائه الهينة ، بل هي ربما لا تخرج عن كونها تحذيرا لنا بان ما يبدو سرورا ظاهريا يواكب سيرة افاق ، لا يجب ان يؤخذ بشيء كثير من اليسر والسهولة .

لقد ظننت ، استنادا الى الشواهد غير الوافية ، بان هذا المجلد لا يعد احسن كتب مان المهمة . ولمن يريد ان يتتلمذ على يدي مان البارعتين ، ثمة اصداء واهنة تشير الى موضوعاته المبكرة ، غير ان هذه الاصداء لا تساهم الا قليلا في ايضاح طريقته في العرض والتقديم والشرح والابانة .

ذلك باننا نجد في مدرب الاسود ظلا لماريو الساحر، ونحن لا نعثر لدى ديانا الممزقة لذاتها ، المهلكة لنفسها ، العابثة باخلاقها ، اقول لا نعثر عندها الا على ظل زوجة بوتيفار . وكذلك الامر لدى اللوردستراثبوجي، فهو لا يمثل الا نسخة ثانية من رؤيا اشنباخ القوي المكين ، اما البطل نفسه فهو مزيج من كاستورب ويوسف ، وكل من لم يألف اسلوب هذا الكاتب العظيم ، في مزاجه الجاد الهزلي ، يسعه ان يتعرف عليه ويتمتع به ، اذا هو لفت نظره الى مشهد متحف لشبونه ...

ومع وجود المخاطر المعروفة في الترجمة عن الالمانية ، فقد تمكن المترجم الجديد تجنبها وتخطيها ، وفي هذا ما فيه من صعوبة في الجهد ، وانهاك في العمل .

العراق — بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

انت قاسي

○

غير اني اعشق القسوة في قلب الرجال
انها توقف من حدّ غروري وضلالي
انها أبعد شيء أنا أخشى منك يوما
وهي مغناطيس حبّي ان سئمتُ الحب دوما
وهي احساس لذيذ حالم يغري خيالي

أنتَ لي ! مهما تناسيت لياليَنا الغوالي
رغم هذا الزهو والخيلاء .. لي .. رغم التعالي
كن كما شئت وأسرفْ في التنائي مستبدا
وامض في صمتك ، في هجرك حرًّا ... وتحدَّى
أنت لي ! والكل يمضي سائرا نحو الزوال

تتحداني أنا .. ؟ وى ! كيف يا قلب احتمالي
أين دمعي وانيني وأفانين دلالي
تتحداني ؟ وما قيمة ضعفي ان هزمتُ
وهو لي كل سلاحي ، وبه صلتُ وجلتُ
وهو درعي وجيوشي ومعدّات قتالي

انه يا وحشيَ الكاسر موسيقى الجمال
روّضتْ قلبك . فاسترخيتَ في حضن الليالي
انه كلمة سرّ . كلما ناديت : « سمسمْ »
فتح الكنز .. فأمضي ، من هوى قلبك ، أغنم
وبه شيّدتُ ذاتي وتخطيتُ محالي ...

سوف تأتي .. ! هودج الخيبة مشدود الرحال
وعلى يمناه ضعفي ، وبيسراه هزالي
سوف تأتي ! أنت قربان صلاتي وخشوعي
أنت لي زورق حبّ ينثني عبر دموعي
نحو شطّ من حنان وعبير ... وظلال

القاهرة — جليلة رضا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة لجيمس فاريل

ترجمة عبدالله نيازي

يوم في حديقة الحيوانات

كانت « ايرين » تقعد على مصطبة في مكان ما من منتزه «لنكولن» بانتظار «اليكس» وحينما لمحته قادما من بعيد اشرق وجهها الجميل المتعب ولكنه ما كاد يقترب وتنظر الى خطواته الثقيلة البطيئة حتى خمنت انه مهموم، وادركت انه فشل ثانية ، وانتظرته بحزن .. ولقد تعانقا وقبلها بحرارة

وقالت ايرين وهي تربت يده :

ـ انني آسفة ، ولكني واثقة يا عزيزي ، واثقة من انك ستحصل على شيء قريبا ..

ـ طلب الي رجل في دائرة الحجز ان اعود خلال اسبوعين ، لقد قال انه لا يستطيع ان يعد بشيء ـ الا ان طريقة حديثه جعلتني اطمئن الى اني سأحصل على عمل هناك .

وسارا ببطء ـ ويدها تبحث بخجل عن يده ، ولقد كان الجو دافئا ورطبا ، واثناء ما كانا يسيران كانت الشمس تختفي وراء الغيوم ثم تظهر وباختفائها وظهورها ، كانت الاشياء تبدو في حالة تغيير مستمر .. فكانت الحشائش واوراق الاشجار تتألق لمدة دقيقة .

وقال اليكس :

ـ لقد فهمت من طريقة حديث الرجل في دائرة الحجز انني سأحصل على شيء هناك خلال الاسبوعين القادمين ..

فهمست وهي تعصر يده بانفعال :

ـ عزيزي ..

واختفت الشمس وراء غيوم داكنة ، وتلفع المنتزه ثانية بفلالة شديدة الاخضرار ، حتى انه كان يبدو اكثر سوادا بالنسبة الى ضوء النهار ولقد راحا ، وهما يسيران ، يملان الدقائق الفارغة بكلمات عاطفية تافهة، وبالامل ..

وبعد ان سارا مسافة ، جلسا على مصطبة وظلا صامتين . ثم راحا ينظران بسهوم الى اطر الاشجار والى السماء المتجهمة ، وقالت :

ـ انني احب هذا المكان ..

ثم همست بانفعال :

ـ انا لا اهتم حتى في حالة عدم حصولك على عمل .. انني سعيدة .

فقال وقسمات وجهه مقطبة بعض الشيء ..

ـ يحدث احيانا ان يحصل الناس على لحظات مشابهة لهذه .. يحسون بالسعادة رغم انه لم يكن هناك اي سبب معقول يدفعهم اليها ..

وقبل احدهما الاخر ، ثم راحا ينصتان الى زقزقات العصافير والى الطيور وهي تغني خلفهم في قمم الاشجار .. ومرق طير ازرق من تحتهما واختفى بين الحشائش في الجانب الاخر من الممر ..

وقالت بشوق :

ـ وددت لو اننا نستطيع ان نمضي بعيدا فلا نقلق من اجل عمل ، او ان نكون فقط في نيويورك ، او في اي مكان اخر .

وود ذلك هو ايضا ، ود لو انه يستطيع الحصول على عمل ، وحانت منه التفاتة الى حذائه ، كان قديما باليا ـ تآكل نعله ولم يعد لائقا به .. وقالت :

ـ ولكني لا آبه .. اني احبك ، وسعيدة بك ، واني واثقة من ان شيئا ما سيحدث ..

وبزغت الشمس من خلال الغيوم ثانية ، فازالت ظلال الاشجار التي كانت تتراقص على وجهيهما .. وقالت :

ـ كم هو رائع لو كنا نملك قليلا من الدراهم .. اذن لذهبنا بعيدا دون ان يضايقنا شيء ، او احد ..

فاجاب :

ـ ولكنا لم نتغلب بعد على مصدر ما يضايقنا ..

ـ ومع ذلك ، فانا لست ابالي .. انا لا اعير اهتماما لما قد يحدث .. وسوف لا اقلق اذا جاءني المخاض اثنا ذلك ووضعت طفلك

ـ ربما ستغيرين رايك ...

فقالت بحماس :

ـ كلا ..

وسألته عن الاسم الذي يريده للطفل ، ولكنه لم يبد اهتماما بذلك ، فعبست ..

وكان حمام يتهادى على الحصى والحشيش على نحو اشبه بالزوجات البدينات ، ثم لا يلبث حتى يخفق اجنحته ويطير لمسافة قصيرة.. ومن بعيد كانا يسمعان اصداء مرحة لاطفال يلعبون .. واجتازهما زوجان لهما شكل غريب .. كانت المرأة تبدو انها حامل ، ذات وجه كبير فظ .. وكان الرجل قصيرا مهلهل الملابس ، وكانت تفاهة شخصيته تبدو واضحة في شاربه الصغير .. لقد كانا في خصام، وكان الرجل يقول لها ان ما تحتاجه هو قرصة في انفها ، فتجيبه بصوت مرتفع ، انها فقط تتمنى لو انها تمسكه باصبعها الصغير ، اذن لارته الشيء الكثير مما تود ان تفعل به .. وفي رده عليها ، كان يلوح انه يريد ان يضع تعبيره الكامل لسمو خلقه في كلمة واحدة ، « نعم ! » .. واجتازاهما ..

ـ اننا سوف لا نتنافر مثلهما .. البس كذلك ؟

ـ كلا يا عزيزي ..

ـ واذا حدث وتخاصمنا ، فسوف لا يكون لاستمرارنا معا اي معنى ..

واطرق براسه ثم اشعل سيجارة وجعلت تبكي ..

ـ انا لا اريد ان انتفخ واغدو قبيحة مثلها .. لا اريد ان انتفخ على ذلك النحو واحرم من عنايتك بي ..

فربت على يدها .. وابتسمت .. وقالت :

ـ انا لا آبه لذلك . اني سعيدة وفخورة لاني سانجب طفلك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاجاب ووجهه مقطب بعض الشيء ان حظه سيتغير ، وانه واثق من الحصول على عمل ، وحينذاك سيكون كل شي رائعا ، وسيمضيان معا يعتنيان بنفسيهما وبطفلهما ..

وكانت هناك امراة مسنة تزن ثمانين او تسعين باونا تتسكع ، ذات جلد متجعد وترتدي ثوبا ازرق رثا ، وقبعة قديمة يتدلى منها ورد اصطناعي بال .. وقالت :

ـ انني سوف لا اكبر واصبح عجوزا مثلها ..

فاجاب :

ـ الناس كلهم يكبرون ويغدون عجائز ..

وقالت باصرار :

ـ ولكني سوف لا اكبر .. اننا سوف لا نهرم بهذه السرعة .. وبعد ان اضع طفلك ستعود الي رشاقتي ثانية .. وستكون انت قد حصلت على عمل ، وسيكون بامكانك ان تشتري لي بعض الثياب الجميلة ..

ومال نحوها وقبلها ..

وكان يتسكع بالقرب منهما رجل ذو شعر اشيب ، وشارب رمادي وفوق عينه اليمنى لطخة ، دون ان يبدو عليه انه يقصد مكانا معينا ..

واقترب منهما بخجل سنجاب وحين لم يحصل على شيء من الطعام ، قفز عائدا وارتقى شجرة بلوط ..

وقالت بصوت هو مزيج من الالم والقسوة :

ـ احبك ..

وقال :

ـ اني احس احساسا صادقا من اني سأحصل على شيء احسن وجيد في القريب العاجل .. لقد حاولت اليوم ، ولكنه كان يوما رديئا ولا يمكن ان تكون الايام كلها رديئة .. وحتى لو كان الوقت صعبا فاني ساحصل على شيء .. اجل سأحصل ، ولم يكن عدلا من ذلك العجوز « سمول » ان يطردني ، فقد عملت دائما لاجله .. ولكن ، من يدري ، ربما قد احسن الي بطرده اياي . ذلك لان العمل في دائرة الحجز افضل بكثير من اي عمل اديته « لسمول » ولربما كنت ابلى هناك .

ـ اعرف ذلك يا عزيزي ..

ونفضت دمعة كانت تترقرق في عينها وراحت تغني اغنية شائعة .. ومن بعيد كان يتناهى اليهما ضجيج السيارات وحركة دواليبها .. فبدت الاصوات هذه أشبه بخيالات تاتي من عالم اخر .. عالم يجاهد فيه الناس من اجل الحياة ، فيتقاتلون ، ويجوعون ثم يموتون .. ولكنهما كانا يشعران في تلك اللحظة انهما بعيدان عن ذلك العالم ، فابتسم احدهما للاخر .. وسمعا ازيز فرامل صدئة لسيارة بعيدة ، فشعرت بقشعريرة تدب في جسمها ، ثم اختفت الاصوات كلها ولم يعد يسمع غير هسيس ريح الصيف ... وقالت :

ـ اننا لم نتمتع يا عزيزي ابدا بشهر العسل ، فحبذا لو ذهبنا الى مكان ما وحققنا هذه الرغبة .. الى اي مكان بعيدين عن كل شيء ..

ـ حسنا ، اذا استطعت ان احصل على العمل في دائرة الحجز هذه ، واستطعنا ان نوفر شيئا من مصروفنا فلربما سيكون بامكاننا ، في العام القادم ، حين احصل على عطلتي ، ان نرحل الى مكان ما لبضعة ايام ..

ـ ولكني اريد ان نذهب قبل ذلك ، ولفردنا ، وقبل ان يجيء طفلنا اذ لا اكون سعيدة معك فقط .

فقال :

ـ ان ذلك سيكون مضحكا ، ولكن حسنا ، اننا سنرحل في يوم ما .. فانا لست ابكم ، وان احدهم سيمكنني من الحصول على عمل . ولا يمكن ان يستمر هذا النحس الى النهاية ..

ـ وسوف لا نقلق لشيء ، ذلك لاننا سنكون سعداء .. اليس كذلك؟

واقتربت منهما مربية تجر وراءها طفلا يبكي .. وتبعتهما الام وولدها الى جانبها يصف العم « جو » بالبلاهة ، فلطمت الام الصبي فجعل يصرخ .. وقالت بفزع

ـ سوف لا نربي طفلنا على ذلك النحو ..

فأجاب بايجاز

ـ اجل ..

ـ وفي ايام الاحاد سنأخذه الى حيث نذهب ، وستكون لدينا عربة تقودها انت ..

وأطرق ..

ـ وسيكون الطفل قطعة منا ، وسنحرص على ان نكون لطيفين معه .. وستضع انت القاعدة التي يتناول بموجبها الحليب في كل الاوقات ..

ولم يجب بشيء . وظل ينظر الى الناس وهم يمرون في حين ظلت هي تثرثر .. ومر بعض الاولاد وهم يحملون فروع اشجار يتدلى منها السمك ، واعقبهم صبيات لطاف يسرن الى جانب امهاتهن .. وكان هناك بعض العجائز يتناقشون بامور سياسية تافهة دون ان يعيرهم احد اهتماما .. لقد كانوا يتكلمون بصوت مرتفع ويأتون باشارات غريبة ..

واستمرا في جلوسهما . وقد بدا يحسان بالضيق ، والقلق وجعلت تبكي ثانية .. وراح ينظر ساهما واصابع يده تنثني وتنبسط ، وشفتاه ترتجفان ويهمس في اعماقه بصمت « أيها المسيح .. أيها المسيح .. ينبغي ان يحدث شيء .. »

واقترحت عليه :

ـ دعنا نتمشى ..

وراحا يتسكعان في انحاء « حديقة حيوانات لنكولن » .. واجتازهما شاب خشن يرتدي ثوبا مفتوح الياقة وتتبعه فتاة ذات رونق وبهاء وهي تمضغ شيئا .. وفيما هما يمران كانت الفتاة تقول « انه وغد ، وغد تماما ، لقد اخذني معه الى الكيت كات وانك تعلم يا عزيزي ان الابله انفق علي الشيء الثير .. انه وغد ، ومن ثم ارادني ان اذهب معه الى البيت ، لقد ظن انه اصبح في وضع يؤهله لان يتمتع بي وهكذا ازحت يده عني بعيدا وقلت له بغضب « اسمع ، أتحسب اني من اولئك الساقطات . ها » واخبرته ان يحتفظ بيديه في المكان اللائق بهما فلا يدعهما تقودانه الى الاذى .. ذلك لاني ، يا عزيزي ، مخلصة لك ..

وسارا ببطء ـ ومرا بامراة قوية البنية خلقة الثياب تناغي الحمام وتطعمه الفول السوداني .. وباقترابهما من الحيوانات فقد اخذ الهواء ينقل اليهما روائحها ووسخها .. ولقد كان الطاووس اول ما وقعت عليه اعينهما .. كان ابيض ذا ذيل طويل زاه ، يرقد في احدى زوايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر عن دار المعارف بيروت

○

سلاسل قراءة حديثة

مرحلة الروضة

حدائق القراءة – الروضة الاولى
حدائق القراءة – الروضة الثانية

مرحلة التعليم الابتدائي

حدائق القراءة	–	الحديقة الاولى	– الصف ١١
حدائق القراءة	–	الحديقة الثانية	– الصف ١٠
حدائق القراءة	–	الحديقة الثالثة	– الصف ٩
حدائق القراءة	–	الحديقة الرابعة	– الصف ٨
حدائق القراءة	–	الحديقة الخامسة	– الصف ٧

مرحلة التعليم الثانوي

حدائق الادب	–	الجزء الاول	– الصف ٦
حدائق الادب	–	الجزء الثاني	– الصف ٥
حدائق الادب	–	الجزء الثالث	– الصف ٤
حدائق الادب	–	الجزء الرابع	– الصف ٣

سلسلة في تاريخ لبنان

تاريخ	بلادي	الجزء	الاول
تاريخ	بلادي	الجزء	الثاني
تاريخ	بلادي	الجزء	الثالث
تاريخ	بلادي	الجزء	الرابع

سلسلة في الحساب

دفتر الحساب المصور جزآن

سلسلة في الخط (الرقعي)

الخط الواضح خمسة اجزاء

دار المعارف بيروت

بناية العسيلي السور – ص.ب ٢٦٧٦ – تليفون ٢٣٥٧٤

قفص مفروش بالرمل ومحاط بثلاثة اقفاص اخرى .. وكان صبي يطعم ديكا روميا ، يرقد بكبرياء في القفص ويأكل بانفة :

وقالت ، وقد كانا ما يزالان يتسكعان ..

– سنجيء بطفلنا ، حين يكبر كفاية ، ويرى الطاووس ..

– نعم ، وانك لتعلمين انني كنت افكر بامكانية الصورة لرؤية «سمول» فلربما يستطيع ان يعيدني في الخريف اذا كان العمل قد انتهى الان .. وكانت هناك امراة بدينة يبدو عليها التعب ، تسير وامامها ابنها يجرها وهو اشبه ما يكون بالجرو المدلل .. لقد كان يحثها بصوت مرتفع ان تسرع قليلا لكي يتمكن من رؤية الفيل .. وقالت :

– ان طفلنا سوف لا يكون على شاكلة هذا الصبي ..

فأجاب دون أن تكون لديه رغبة في الكلام !

– كلا ..

– ان طفلنا سيشب رائعا يختلف عن الاخرين

وقال :

– بعض الناس لا يعتنون كثيرا بتربية اولادهم ..

وراحا يرقبان الدببة التي كانت في اقفاص مكشوفة الجوانب ، جهاتها الاربع محكمة بالقضبان الحديدية لتمنع الدبب من الانطلاق خارجا .. ولقد وقفا ينظران من خلال القضبان ، وعلى بعد منهما كان جماعة من الناس يرقبون بضعة اولاد يعاكسون دبا رماديا بما يبدون من اشارات توحي الى انهم يرمون اليه الفول السوداني .. وكان الدب ينتصب واقفا على وركه ويدور حول نفسه محركا مخالبه ببطء . ثم يقف قليلا لبيدأ من جديد .. وما ان ذهب الاولاد عنه اخيرا حتى اخذ الدب الرمادي يدور في القفص ببطء ولكن بخطوات ثابتة . وحين اخذ بعضهم يرمي اليه الفول السوداني جعل يعيد اللعبة ثانية ، يدور حول نفسه ويشير بمخالبه ..

وبما ان الهواء كان يهب بصورة مستمرة من بحيرة قريبة ، فقد تضاءلت رائحة الحيوانات حتى لم يعد يحس بها ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسارت «ايرين» وتبعها «اليكس» وراحا يجتازان الاقفاص واحدا واحدا حتى انتهيا الى قفص فيه بعض الدببة القطبية .. كان القفص يرش بماء يتدفق من انبوب على علو سبعة امتار .. ولقد وجدا هناك دبا قطبيا يسبح.. كان يسير الى الخلف باتجاه رشاش الماء ، يهزكتفيه ويضع مخالبه في الارض الصخرية ، ثم لا يلبث حتى يتجه الى الامام بنفس الحركات ليعيد تقهقره الى الخلف باتجاه رشاش الماء .. ولقد كانت رفيقته تجلس القرفصاء وترقب الناس من عل ، وتحرك مخلبهاالايمن في اللحظة التي تحس فيها ان هناك من يهم بالقاء الفول السوداني ..

وقالت :

ـ دعنا نطعمها شيئا من الفول

ـ الاحسن الا نبعثر ما معنا من دراهم .. ان ما نملكه لا يزيد على الثمانية دولارات ، وينبغي ان نجعلها تكفينا حتى احصل على عمل ..

ـ ولكنها قاسية ، الطريقة التي تستجدي فيها الفول ..

ـ لديها منه الكفاية ..

ـ انه سوف لا يكلفنا غير قطعة صغيرة ، وانا متاكدة من انك ستحصل على عمل غدا ..

واسرعا الى بائع قريب ، ثم رجعا وراحا يطعمانها في حين استمر الاخر في تقهقره الى الخلف باتجاه رشاش الماء .. وسئما هذا النسق المطرد فغادرا المكان ..

وما كادا يسيران حتى واجهتهما رائحة مختلفة لحيوان اخر ، فابصرا بعض الثعالب الحمر وقد كانت نائمة، وذئبا رماديا رشيقا يدور بخفة على شكل دائرة ، ثم انتهيا الى مكان ظليل فيه حوض ماؤه اخضر داكن ترقد فيه بكسل التماسيح الامريكية . وفي وسطه كومة من الحجر الرطب .. وكان عدد من الاولاد يرقبونها بشوق ويتراهنون بحماس حول أي من التماسيح هذه يتحرك اولا .. ولكنهما لم يتوقفا بل ظلا سائرين لتتاح لهما فرصة يتفرجان فيها على الفيل .. ولقد كان مكانا رحبا مسيجا بالقضبان والحجر ، تنبعث منه روائح قوية هي مزيج من العليق والطعام والفضلات .. وكان الفيل ينتصب في احدى الزوايا ، يرمي بالعليق على ظهره ويارجح خرطومه على نحو متساو ، واقتربا من السياج على مهل ، ورميا اليه بالفول السوداني . فجمعه في خرطومه وجعل يلقي كل ثلاث حبات مرة واحدة في فمه ، وحين رميا اليه القشور الفارغة ، ابعدها عنه ورجع بتثاقل الى الخلف حيث اخذ يعيد رمي العليق على ظهره ..

وغاداراه . وكانت الشمس قد عادت الى الظهور ثانية ، ومشيا الى جانب بناء احمر ترقد فيه الاسود ، وكانا قد سمعا زئيرها القوي المتواصل قبل ان يصلا اليها ، وفي الجهة المقابلة لهذه البناية ، كان عجل بحري وحيد يقف على بعض الصخور المرتفعة ويصرخ برتابة مطردة فشعرا بالرعب يجتاحهما ..

وعبرا ساقية صغيرة ثم وقفا يتناقشان فيما اذا كان ينبغي اولا ينبغي لهما ان ينفقا مبلغا يشتريان فيه شيئا ياكلانه .. واقترحت عليه الا يفعلا ، ولكنه كان في تلك اللحظة تحت تاثير نشوة طارئة تدفعه باستمرار الى الاعتقاد من انه سيحصل على عمل جيد خلال هذه الايام .. فدخلا مطعما صغيرا وانتحيا مكانا بالقرب من النافذة وقالت :

ـ ما اجمل هذا المكان

واطرق ثم اشعل سيجارتين ..

ـ ولكننا سنهرم في يوم ما ونفدو كاولئك الذين رايناهم في المنتزه ، ثم لا نلبث ان نموت ..

ـ اجل ..

ـ وسنوضع في الصناديق ، ولسوف يكون باردا تحت التراب ..

ـ احسب ان الامر سيكون حسنا في الخريف ، واذا لم احصل على شيء في دائرة الحجز تلك ، فان باستطاعة « سمول » ان يعيدني الى العمل ومع ذلك ، فاني احس احساسا صادقا من اني ساحصل عليه او على شيء افضل خلال هذين الاسبوعين .. واني لاحس ذلك في عظامي ، ولقد كان اليوم فقط رديئا ..

ـ عزيزي ـ اذا مت وانا اضع طفلك ، فهل ستعتني به بعدي وتمنحه حبك وتجلب له اللعب ؟

ـ حبيبتي .. ارجوك ..

وقالت باصرار

ـ ولكنك ستفعل ، قل لي انك ستفعل ..

واطرق قليلا، ثم راح ينظر من خلال النافذة ، وحين استدار جعل يرقب رجلا عجوزا يحمل في يده المرتعشة قدحا مليئا باكوكاكولا .. وقال :

ـ انا واثق من اني ساحصل على شيء .

وحينما فرغا من الطعام ، ونهضا وضع على المنضدة ثمن طعامهما وهو يأسف على الدراهم التي ضاعت دونما جدوى .. ثم تابط ذراعها وراحا يعبران الساقية الصغيرة وهما في طريقهما الى الباب الخارجي للمنتزه ..

ـ ساحصل على شيء ولسوف اريك كيف يكون ذلك ، اجل ، ساحصل على شيء مناسب ، وسيغدو كل شيء رائعا . .

فقالت وهي تدير وجهها لتخفي عنه دمعة كانت تتحير في موقها :

ـ انا اعلم انك ستفعل ، ولي فيك ايمان لا يتزعزع..

وغادرا المنتزه ، واستقلا سيارة عامة لتعود بهما الى غرفتيهما في شقة متواضعة .. وبينما هما في السيارة راح يفكر في الحيوانات التي شاهدها في الحديقة .. واحس انه سجين مثلها تماما ، ولربما من الاوفق له ان يضع نفسه هو ايضا في قفص .. وصر على اسنانه بقوة ، وراح يهمس الى نفسه .. سواء استمر هذا النحس ام لم يستمر فانه سيمضي يكافح ولسوف يحصل على عمل ويشتغل بقسوة لاجله ولاجل « ايرين » ولاجل ولدهما الذي سيرى النور بعد امد محدود .. لقد اقنع نفسه ان ذلك ما يفعله الرجل اذا لم يكن حيوانا محبوسا في قفص .. انه سوف لا يتخلى عن السعي ابدا ، اما اذا تقاعس ، فان العالم كله يصبح اشبه ما يكون بحديقة حيوانات كبيرة ..

وضغط على يدها بقوة ، فاقتربت منه حتى التصقت به .. اجل ، لتحل عليه اللعنة اذا هو تخلى عن السعي والجاد وسيغدو رجلا وليس مجرد حيوان في قفص ..

واحتضن يدها .. بالم ولكن بعزيمة باردة ..

العراق ـ كركوك عبدالله نيازي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحـــــدي

الزهـرة البيضـاء

العراق ـ المقدادية

وحدي .. أنا والليلُ والصمت العميقْ
وحدي .. وفي عينيَّ يحتضر البريقْ
والقلبُ يتلو للدجى أسطورة الحلم الغريقْ
وعلى الجفون المطبقات مواكب الماضي السحيق

وعلى الجبين الشاحب المكدود ترقد قصّة الالم الدفينْ
فيموت في أعماقها لحنٌ يمزّقه الانينْ
وبذوب همسٌ باهت الاصداء ، مذبوح الرنين
لم يبق الا الصمت واليأس المعذّب والحنين
والوهم والشوق المكفّن في قرارات السنين

المارد الجبّار يهدر في الظلامْ
والليل حقدٌ لا ينام
ورؤى الظلام
الموت والصمت المروّع والظلام
والنغمة الخرساء تغفو فوق اشلاء الحطام
وحدي أنا يا قلبُ أصرخ في الظلام :
« لا شيء يمنحني السلام »

الزورق المسكين أضناه الصراعْ
الموج يصفعه ، ويعبث بالشراع
والظلمة الهوجاء تلتهم الشعاع
فيفرّ في ذعرٍ ويأس وارتياع
والزورق المسكين أضناه الصراع
سيموت في قاعٍ رهيب الصمت مجنون السباع
وتموت في شفتيه الحان الوداع

يأسي .. وأحلام الغروب المرهق الباكي الحزينْ
صمتي .. وملحمة النضال المرّ والشوق السجين
أمسي .. غدي .. أمسي القريبْ
عدمٌ ينام على خيالات اللهيب
وأنا .. شعاعٌ واهن الاضواء ، مرتعدٌ ، كئيب
وأنا .. نشيدٌ خافت الانغام ، مخنوق الوجيب

وحدي .. أنا والليلُ والصمت العميقْ
وحدي .. ولا املٌ يغنّي ، لا رفيق
وحدي .. ولا نجمٌ يضيء الليل للساري ، ولا ظل صديق
وحدي .. خطاي المتعباتُ تذوب في سمع الطريق

لا شيء غير الصمت والوهم المقنّع والخداعْ !
لا شيء غير الليل واليأس المروّع والصراع !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منازع العلم الحديث : الترفيه عن الصحة العامة

بقلم بروك شيزهولم

المدير العام لمنظمة الصحة العالمية

ترجمة يوسف اسعد داغر

عهد باكر من تاريخ التطوير الصحي لحالة المجتمع الانساني ، عنت السلطات الحاكمة نفسها بتحقيق الترفيه عن الشعوب التابعة لها ، وذلك باتخاذها التدابير التي تساعد على النهوض بهذا الامر وتأمين اسبابه. فقد عمدت المجتمعات البشرية الاولى ، حتى في تلك العهود التي كان فيها تحرر الانسان من الامراض يعتبر شاهدا على حسن العلاقات التي كانت تشد الارض الى السماء والناس بالآلهة ، او اقله ، على اغضاء الارواح عن البشر واهمالها شؤونهم وعدم الاكتراث بامورهم ، فتتخذ راضية مرضية ما تراه من التدابير خليقا ، ومن الاجراءات قمينا بتأمين المحافظة على اسباب الصحة بينهم .

ان وسائل الوقاية والطبابة والعلاج التي تذرع الانسان بها للبقاء بمعزل عن الامراض التي تترصده او الخلوص من عقابيلها ونتائجها الوخيمة اذا ما وقع يوما فريسة لها ، كثيرا ما ارتدت لبوسا شتى من السحر والتعزيم ، وصنوفا من التعبد والتهجع والاضاحي الغالية ، والنذور السخية ، وغير ذلك من وسائل الاستعطاف والتخشع والامالة ومراسيم التعاويذ والطلسمة يأتيها الافراد والجماعات في اكثر الاحايين . وبعض هذه المناسك الدينية كان يشترك بها جانب كبير من افراد الشعب كالصلوات العلنية العامة والرقص الديني ، بين مظاهر التكبير والتهليل ، في جو عابق بزفير النار ورائحة الاضاحي ، وصلصلة السيوف ، وجلجلة المهللين ، ودق الطبول ، وتلاوة الصلوات وعربدة الكهان وزعيق الزمور ، طردا للارواح الخبيثة ، وابعادا للشياطين والارواح الشريرة التي تجر وراءها الامراض والمجاعات ، او استجلابا للصالح الخير منها .

كثير ما لجأ الناس قديما ، الى مثل هذه الطرائق الغريبة واساليب التعزيم العجيبة ليطردوا عنهم هول الاوبئة الجارفة والامراض الوافدة تهددهم بالويل والثبور وتمعن فيهم جرفا وتقتيلا . فقد حرص الانسان حقبا متعاقبة على ان يضفي على التدابير التي يأتيها للترفيه عن نفسه صحيا ، سواء أكانت هذه التدابير : صالحة يستسيغها العقل ، او طالحة يمجها فيطرحها جانبا ، تأييد السلطات الدينية لها ورضى الارواح عنها ، فيصرفها تصريفا دينيا على شكل ترضى عنه الجهات والاطراف المعنية . وهكذا نرى مثلا ، ان كثيرا من النواحي والتواصي الصحية ، التي قال بها الدستور الموسوي ، تقية او اتقاء دفعا او جذبا يبدو بعضها معقولا مرضيا بينما يبدو الجانب الاخر منها سخيفا يدعو للهزء والسخرية .

وهكذا على ممر الاجيال وكر السنين وبالرغم من الخزعبلات والاساطير والخرافات التي لا تزال تستبد بافكار الناس ونفوسهم ، استطاع الانسان أن يصل تدريجيا ، الى ما ينعم به اليوم من سيطرة ، أنى لها ان تكون تامة ، على الامراض والتحكم بها بعض الشيء ، وذلك باعتماده وسائل وذرائع ثبت نفعها ، عن طريق الاختبار الطويل والتجربة الصادقة ، فخففت الى حد بعيد ، من سوء العادات والمراسيم النافلة البالية ، واستعاضت عنها ما هو اجدى ، واكثر انتظاما ، واوفر نفعا ، وبالتالي اجزل عطاءا ومردودا .

ومع ان الانسان بقي حتى عهد قريب يجهل الاسباب الحقيقية للمرض ، فقد اخذت السلطات المعنية كلما وجدت نفسها حرة طليقة من ربقة المؤثرات الدينية التي طالما ارزحتها وابهظتها ، تعتمد على مر الاجيال ، ما يجنبها الخطر المداهم في الوافدات المرضية الوافدة . من ذلك مثلا ان القوانين التي اصدرها الامبراطور شارلمان (١)، عام ٧٨٦ ضد مرض الجذام والبرص المصابين به ، قد اوجبت عزل البرص عن الاحياء المأهولة ، كما اوجبت عليهم ارتداء ملابس سود والنفخ ببوق يحملونه اينما اتجهوا ، تنفيرا للناس من الطريق التي يسلكون ، هربا منهم من شر العدوى التي يتعرضون لها .

وكان هم المجتمعات البشرية في اوروبا ، في غضون الاجيال الوسطى عهد الاوبئة الفتاكة التي كانت تحل بها دورا فدورا ، كالطاعون والهيضة الصفراء ، والتيفوس ، والجدري والبرداء (الملاريا) التي اودت معا بالملايين من الضحايا ، ان تضرب حولها نطاقا يعزل من انتقلت اليه عدوى هذه الامراض . فكثيرا ما كان الافراد والمجتمعات تحاول الفرار والهروب لتنفر بنفسها الى امكنة سليمة ، ولو استهدفت في محاولاتها هذه لخطر الموت والقتل قطعا فيها لدابر العدوى .

ولما نزل الطاعون بمدينة لندن ، عام ١٦٢٥ ، انتقلت الاسرة المالكة فيها الى قصر وندسور . ولكي يقي البلاط نفسه من شر العدوى ، نصب على جادة الطريق بين القصر المذكور ولندن ، مشنقة يشنق عليها من تحدثه نفسه من سكان لندن ، بالالتحاق بقصر وندسور . وعندما فشا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطاعون في مرسيليا ، عام ١٧٢٠ حاولت السلطات المسؤولة فيها عزل المصابين ، في حي واحد من احياء المدينة وعهدت بامر منعهم عن تجاوز النطاق الحجري المضروب حولهم ، الى فريق من فظاظ الحراس مع تخويلهم الحق باعادة كل من يحاول الفرار من الموبوئين الى المحلة حيث يحطم راسه على الاشهاد من ابناء المحلة عظة لهم وعبرة . وكل طبيب او جراح يحاول الهرب والنجاة بنفسه من الموت الذي يترصده يلقى القبض عليه ليلقى المصير المشؤوم ذاته .

كان من الطبيعي جدا ان تعجز اي من هذه الطرائق او الذرائع المتخذة عن تأمين السيطرة على الاوفدة المستبدة ، دونما رحمة او شفقة ، بالملايين من هذه الدهماء المتعرضة لها والقضاء بالتالي على ما فيها من خطر مداهم يسمر الخوف في النفوس ، بالرغم مما كانت تتسم به بعض التدابير المتخذة ، من فعالية جذرية . ففي عام ١٦٦٥ ، فشا وباء الطاعون في قرية « ايام » من قرى انكلترا . فاخذ رئيس البلدية فيها يحاول اقناع السكان البقاء حيث هم ، لئلا يعرضوا سكان البلاد لخطر العدوى فابقيت القرية معزولة عن انحاء البلاد الاخرى ثلاثة عشر شهرا ، فقدت فيها ٢٥٩ شخصا من اصل ٣٥٠ وهو مجموع سكانها اذ ذاك ، اي ما يوازي ٧٤ في المائة من المجموع . وقد كان من جراء هذه العزلة التي فرضت على القرية المذكورة ان حالت دون تسرب جرثومة الداء وانتشار المرض في انحاء البلاد الاخرى . فكانت الضحايا المعدودة فدى لاضاح لا حد لها ولا حصر . وطبيعي ان الناس اذ ذاك كانوا يجهلون تماما ان جراثيم الطاعون انما تتصل بالناس بواسطة البراغيث التي تحملها الجرذان .

وفي العصور الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، عرفت اوروبا نظام الحجر الصحي الذي كان يقضي بعزل الافراد والبضائع المشبوهة المصدر ، مدة من الزمن ، حتى اذا ما ثبتت سلامتهم ونظافتها تركت لها ولهم حرية التنقل وكانت مدينة البندقية ومالطا وجنوى ومرسيليا من هذه المدن التي اخذت باسباب الحجر الصحي كتدابير وقائي ، سارت عليه فيما بعد ، اسكتلندا وانكلترا وفرنسا . وما طلع القرن التاسع عشر حتى كانت كل البلدان المتمدينة تسير على اساليب معينة مرسومة في ما تفرض وتسن لها من تدابير الحجر الصحي كاجراء وقائي اولي ، مع ان العلم لم يكن عرف بعد شيئا عن ماهية طبيعة الجراثيم والميكروبات ولا فطن للدور الذي تلعبه هذه النسيمات في نشر العدوى عن طريق الفار والجرذان والبراغيث والقمل ، والماء والمواد الغذائية الملوثة .

وكان من جراء الخوف الذي شمل اوروبا واميركا على اثر فشيان وافدة الطاعون في الهند عام ١٨٢٨ ، وانتقاله الى اوروبا عام ١٨٣١ ، واتصاله باميركا وكندا عام ١٨٣٢ بالرغم من التدابير والاجراءات الصحية المتخذة للحؤول دون انتقال عدواه وانتشارها في البلدان الاخرى ، ان شل الحركة التجارية في تلك البلدان واوقع فيها البلبلة والارتباك الامر الذي حمل بعض الدول على عقد اول مؤتمر دولي للنظر على اساس دولي ، في تدابير الوقاية المتخذة ولا سيما الحجر الصحي . فتقدمت فرنسا بالدعوة للمؤتمر المذكور عام ١٨٣٤ ، ولبثت الامور حيث هي ، الى عام ١٨٥١ تاريخ اول مؤتمر دولي للحجر الصحي عقد في باريس وحضره ممثلو ١٢ دولة مختلفة . وقد حرصت كل دولة ان تضم الى وفدها الرسمي طبيبا .

والدول التي اشتركت بالمؤتمر المذكور ضمت النمسا وبريطانيا واليونان والدولة البابوية ، والبرتغال وروسيا ، وسردينيا وصقلية ، واسبانيا وتركيا وتسكانا . والمؤتمر المذكور الذي كان الحلقة الاولى في سلسلة من المؤتمرات الدولية عقدت في ما بعد ، ضل في متاهات من النظريات التي لا طائل تحتها لخلوها من اساس منطقي ، ومع ذلك فقد خرج المؤتمرون باتفاق يتألف من ١١ مادة وبعدد من التوصيات والاقتراحات بلغت ١٣٧ توصية يتعلق معظمها بالتجارة الدولية .

وهذا الاتفاق الذي توصل مؤتمر باريس الى عقده بقي مع ذلك حبرا على ورق ولم تدخل احكامه يوما في حيز التنفيذ اذ لم يصادق عليه من الدول التي اشتركت فيه غير فرنسا والبرتغال وسردينيا ، وبعد وقت وجيز الغت الاخيرتان موافقتها عليه ومسحتا امضاءهما فماتت الاتفاقية والفيت . ومع ذلك فالحجر الاساسي قد وضع في حقل العمل الدولي من هذه الناحية ، اذ اعترفت جميع الدول بضرورة مراقبة الامراض الوبائية والوقاية منها قدر المستطاع والتحكم بها . كذلك برزت للعيان ، من جهة ثانية ضرورة العمل الدولي المشترك . ومواد الاتفاقية الدولية الاولى التي عقدت في باريس عام ١٨٥١ ، دخلت فيما بعد ، في صلب عدد من الاتفاقات والمعاهدات الدولية التي عقدت تباعا لدرس قضايا الحجر الصحي على اساس دولي ولا يزال العمل ببعضها جاريا الى يومنا هذا .

وقد عقدت مؤتمرات دولية اخرى للنظر على التوالي بهذه الامور ، منها المؤتمر الذي عقد في باريس عام ١٨٥٩ ، ومؤتمر القسطنطينية ، المعقود عام ١٨٦٦ الذي تمثلت فيه ١٦ دولة ، ومؤتمر فيينا المعقود عام ١٨٧٤ حضره ٢١ دولة . وقد هدفت هذه المؤتمرات الدولية الى امرين خطيرين : اتخاذ اجراءات دولية موحدة في ما يتصل بالحجر الصحي ضد الطاعون ، وانشاء لجنة دولية دائمة للنظر معا والتعاون على التدابير التي يجب اتخاذها ضد الامراض الوافدة ، فكانت هذه الجهود اول محاولة صادقة تبذل بجد واهتمام

(١) شارلمان (٧٤٢ ـ ٨١٤) او كارلوس الكبير ، هو ملك الفرنجة (٧٦٨ ـ ٨١٤) وامبراطور الغرب (٨٠٠ ـ ٨١٤) واشهر ملوك الدولة الكارولنجية (٧٦١ ـ ٩٨٧) التي ابتدات مع بيبن القصير وانتهت بوفاة لويس الخامس . وقد جاءت الدولة الكارولنجية تستصفي ارث الدولة الميروفنجية في فرنسا (٤٢٨ ـ ٧٦١) . عرف شارلمان بسلسلة الحروب الدامية التي شنها تباعا ضد قبائل السكسون (٧٧٢ ـ ٧٨٥) واللمبارديين (٧٧٣ ـ ٧٧٤) والعرب في الاندلس . نودي به امبراطورا للغرب . في روما حيث تم تتويجه بيد البابا نفسه . مكن عهده لانتشار المسيحية في الغرب وترسيخ اصولها بين القبائل الجرمانية . ناصر الاداب والفنون فازدهرت في عصره بعد ان كادت جذوة الحضارة تنطفي في اوروبا الغربية تحت وطاة غزوات البرابرة المتوالية . من مشاهير مستشاري دولته « الكوني » . ربطته وهرون الرشيد علاقات طيبة ومعاهدة صداقة نال بموجبها بعض الامتيازات الخاصة ، منها حماية المسيحيين في الشرق .

لانشاء منظمة دولية تعنى خصيصا بهذه الشؤون . ومع ان هذه المؤتمرات لم تتبلور عمليا عن اي شيء محسوس فهي شهود عدل على مبلغ اهتمام الدول بهذه الناحية التي تتعلق بالصحة العالمية .

وبعد ذلك بثلاث وثلاثين سنة ، اي في عام ١٩٠٧ ، انشيء المكتب الدولي للصحة العامة قام على المبادىء والقرارات المتخذة في مؤتمر عام ١٨٧٤ . اما اميركا فقد رأيناها تقف بمعزل من هذه الجهود الدولية التي استعرضنا لنشاطاتها هنا ، وذلك لركونها الى عزلتها مع انها تعرضت في مناسبات عديدة بين ١٨٣٢ — ١٨٧٨ لاخطار الطاعون مرارا ، الامر الذي حمل الولايات المتحدة الاميركية على الدخول عضوا في المنظمة الدولية للحجر الصحي ، وعلى تولي الدعوة للمؤتمر الصحي العالمي الخامس الذي انعقد في واشنطون ، عام ١٨٨١ .

اعقبت هذه المساعي الحميدة مؤتمرات دولية اخرى عقدت تباعا في روما ودرسد وباريس وفيينا كما عقد بعضها في جمهوريات اميركا اللاتينية كمكسيكو مثلا حيث عقد المؤتمر الصحي العالمي الثاني عام ١٩٠٢ ، هذا المؤتمر الذي اسفر عقده عن انشاء المكتب الصحي المشترك لجميع اميركا ، وهو مكتب اخذ على عاتقه طيلة خمسين سنة ، تزويد الاميركيين بالمعلومات الوثيقة عن فشو الامراض الوافدة وسيرها وانتشارها والاخطار التي تهدد بها . وللمكتب المذكور نشاطه الخاص وميزانيته المشتركة الخاصة فهو المكتب الاقليمي للاميركيين التابع لمنظمة الصحة العالمية .

وقد عقد في باريس ، عام ١٩٠٣ ، المؤتمر الصحي الدولي الحادي عشر الذي اقر كثيرا من التوصيات التي طلعت بها المؤتمرات السابقة ، ووضع اتفاقية دولية جديدة تتعلق باحكام الصحة العالمية وقعتها ٢٠ دولة اشتركت فيه . بينها ١٦ دولة كانت حضرت المؤتمر السابق الذي عقد في روما ووقعت الاتفاقية التي وضعت فيه . وفي عام ١٩١٢ ، عقد مؤتمر اخر تمثلت فيه ٤١ دولة . ثم عقد عام ١٩٢٦ المؤتمر الدولي الثالث عشر الذي حضره ممثلو ٦٥ دولة توصلت الى عقد اتفاقية جديدة بقيت احكامها سائرة المفعول حتى حلت محلها منظمة الصحة العالمية التي اخذت على نفسها وضع معظم القوانين الصحية الدولية ، المعمول بها اليوم .

وفي عام ١٩٢٠ ، طلعت علينا عصبة الامم وهي اكبر هيأة دولية عرفها التاريخ اذ ذاك خولها الميثاق الموضوع لها صلاحيات واسعة في الامور التي تتعلق بمراقبة الامراض والوقاية منها . ومع ان ميثاق عصبة الامم لم ينل تأييد الولايات المتحدة الاميركية ولا مساهمتها في مختلف نشاطاتها ، فقد كان باستطاعة دوائرها الصحية العامة ان تعتمد على معاونة عدد من الاخصائيين الاميركيين في حقل الصحة . كذلك وبالرغم من محدودية نشاط العصبة في العمل الصحي فقد استطاعت دوائرها المعنية ، مع ذلك ان تقوم بعمل مجيد وتحقق مآتي وصنائع باهرة . ولما قضي عليها في مطلع الحرب العالمية الثانية ، انتقلت برامجها كما انتقل الموظفون العاملون في المكتب الدولي للصحة العامة ، الى منظمة الصحة العالمية . ومع ان موازنة هذه المصلحة كانت متواضعة للغاية ، فالانجازات التي حققتها لا يزال العمل بها جاريا الى اليوم وسيبقى العمل بها لخير الملايين من البشر .

فقد قام المكتب الدولي للصحة العامة باعمال باهرة في كل ما يتصل بمكافحة الحمى البرداء (الملاريا) وتعميم الوسائل البيولوجية الصحية ، وتفهم طبيعة الامراض الوافدة ، ووضع لاحصائيات البيولوجية من مواليد ووفيات والعناية بامور التغذية وغير ذلك من التدابير الاصيلة والاجراءات الحكيمة التي تتعلق بالصحة العامة في العالم كله والتسييج حولها . كل هذا ، والمجهودات التي بذلها المكتب المنوه اليه ، كلفت اقل مما تكلفه معركة حربية واحدة في العصر الحديث . ان استمرار المكتب الدولي للصحة العامة على نشاطه العارم ، طيلة هذه المدة ، بالرغم من المنازعات والمشاكسات التي كان يتئمها توزع الاعمال وتعارض الصلاحيات مع المكتب الصحي الاميركي لامريدعو الى الاعجاب ويثير التقدير العالي . وقد حاولت هاتان المنظمتان التنسيق بين نشاطهما على اساس من التعاون النزيه . ومع انهما توصلا مرارا الى تحقيق مثل هذا الامر ، فقد نجم من جراء ذلك مصاعب عديدة واضاعة الكثير من الجهد والمال والوقت ، كما عاد عليهما معا بالفشل التام في بعض الاحيان .

ومن الخطى الحاسمة في تنظيم الترفيه الدولي للصحة العالمية انشاء وكالة الامم المتحدة للغوث وتشغيل اللاجئين (الاونرا) . وتعود المحاولات الاولى لانشاء الوكالة المذكورة الى غرة عام ١٩٤١ ، وذلك تجنبا للمصاعب ذاتها التي نزلت بالعالم عقب الحرب العالمية الاولى ، وتفاديا للمتاعب نفسها التي لحقت به . وفي عام ١٩٤٣ ، وقعت ٤٣ دولة من الدول الحليفة اتفاقا مشتركا نص على انشاء الوكالة المذكورة كما نص عن انشاء هيأة دولية جديدة ، على اسس جديدة وبلغت النفقات الخاصة بامور الصحة وحدها في سنة ١٩٤٦ ما يربي على ٨٢ مليون دولار .

ودائرة الامور الصحية في الوكالة المذكورة لم تكن سوى جانب ضئيل بالنسبة لمجموع النشاط الذي كانت الهيأة المذكورة تقوم به ، فيتناول الوقاية من الامراض الوافدة ، والمساعدة الفنية الصادقة لاعادة دوائر الصحة الى سابق عهدها ، ومراكز الصحة الاهلية ، وتقديم الخبراء والمشاورين الفنيين ، وتعديل نصوص الاتفاقات الدولية المتعلقة بالصحة العالمية ، وتأمين الخدمات الطبية والصحية للاجئين ، وتأمين التدريب الفني والتكني اللازمين ، عن سبيل المنح التعليمية والرحلات العلمية ، وتقديم ما يلزم من المعلمين والمربين عن طريق التبادل المشترك . فقد قامت الوكالة بعمل عظيم يدعو للفخر والمباهاة .

وعندما جرى تصفية الوكالة بصورة نهائية ، تم تحويل مبالغ هامة كانت تحت تصرفها ، فراحت تغذي صندوق منظمة الصحة العالمية وصندوق وكالة التغذية والزراعة التابعة لمنظمة الامم المتحدة ، وصندوق الطوارىء الدولي لاغاثة الاطفال وقد نهضت وكالة الغوث الدولية على أمثل وجه بالقسم الاكبر من العمل الدولي في حقل الصحة العالمية ، وامنت استمراره على احسن وجه .

وهنالك ايضاء بازاء هذه المؤسسات والهيئات الدولية هيآت دولية تنشط هي الاخرى للعمل المجدي في حقل الترفيه الصحي على مستوى عالمي ، بينها مثلا مكتب العمل الدولي الذي نشأ عام ١٩١٩ وهو اليوم من هذه المؤسسات ذات الاختصاص التابعة للامم المتحدة وهو يعنى على الاخص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بامور الصحة في المصانع والمعامل ودور الصناعة على اختلافها والوقاية من الحوادث المؤسفة العارضة في تلك المصانع . ومنظمة الامم المتحدة نفسها تعنى ، الى حد بعيد ، بالتطوير الاقتصادي وادخال ما امكن من التحسينات كما تعني ايضا بتأهيل المعاقين بدنيا وبغير ذلك من الحقول الاجتماعية . ووكالة التغذية والزراعة هي الاخرى من هذه الوكالات الدولية ، ذات الاختصاص التابعة بدورها للامم المتحدة ، ومن موضوع عنايتها الخاصة مرافق الزراعة على انواعها والتموين ، وامور التغذية . فهي تمد من يرغب من حكومات العالم بمن ترى نفسها بحاجة الى خدماته واختصاصه من الخبراء الثقاة بهذا الموضوع .

أنشيء صندوق الطوارىء الدولي لاغاثة الاطفال عام ١٩٤٦ بقرار اتخذته الجمعية العمومية للامم المتحدة . فبذلت الوكالة المذكورة من ذلك الحين نشاطا ملموسا في عدد كبير من البلدان لتأمين اقصى ما يمكن تأمينه لها من اسباب تحسين مرافق الصحة العامة بين الاطفال . فقد رات النور اساسا بمثابة وكالة تموين وعملت على نطاق واسع من التعاون الصادق مع وكالة التغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية التابعتين ، هما ايضا للامم المتحدة.

ولما نشطت في اعقاب سنة ١٩٣٠ حركة السياحة والنقل الجوية وضعت ، عام ١٩٣٣ ، الاتفاقية الدولية الاولى للصحة العالمية في الملاحة الدولية بلغ عدد الدول التي وقعتها ، عندما دخلت في طور التنفيذ عشر دول . وقد ترعرع تحت جناح الامم المتحدة وكالة دولية اخرى هي الوكالة الدولية للطيران المدني احدى الهيآت الدولية ذات الاختصاص ، التي تعنى بتأمين اسباب الراحة الصحية في الاسفار والرحلات والتنقلات الجوية ، واتخاذ ما يجب اتخاذه من تدابير الوقاية ضد الامراض والاوبئة الوافدة التي تعرقل المواصلات الجوية .

وهي تتعاون تعاونا وثيقا مع منظمة الصحة العالمية في كل ما يتصل باجراءات ومعاملات الحجر الصحي .

ومن الوكالات الدولية التي انشأتها الامم المتحدة ،عام ١٩٤٨ ، الوكالة الدولية للاجئين التي الغيت فيما بعد ، وهي وكالة كان الغرض منها الترفيه ما امكن عن اللاجئين والذين يرغمون على الجلاء عن اوطانهم ، وتأمين اسباب العناية الطبية والمستشفيات اللازمة ، ووسائل التغذية ، والملابس والسكن والملاجيء وغير ذلك من الوان المساعدة التي ترفه عن اللاجئين . وقد تحولت اعمال هذه الوكالة ونشاطها عام ١٩٥١ ، الى المفوض السامي لامور اللاجئين التابع للامم المتحدة .

كذلك ساهمت وكالات دولية اخرى ، غير حكومية ، باعمال الصحة العالمية على اساس وطيد من التعاون الدولي، منها مثلا الصليب الاحمر والهلال الاحمر ومؤسسة روكفلر وغير ذلك من الهيآت التي تعمل في الحقل الانساني كالبعثات الدينية التبشيرية التي تعنى بهذه النواحي الانسانية على اساس دولي .

وفي عام ١٩٤٦ ، انشئت الوكالة الدولية للصحة العالمية وعملت مدة سنتين كلجنة مؤقتة ثم عملت سنتين تاليتين كاحدى الوكالات ذات الاختصاص . وما لبثت الوكالة المذكورة ان حلت في نشاطها محل المكتب الدولي للصحة العامة الذي كان مركزه باريس والذي كان يقوم ضمن عصبة الامم بمثابة الوكالة الصحية وبعمل الوكالة الدولية للغوث اليوم . ولاول مرة في تاريخ العالم تطلع علينا وكالة دولية للصحة العامة معتمدة لدى معظم دول الارض تقريبا ، تمتعت بمسؤوليات كبيرة وصلاحيات بعيدة مع الاعتراف لها بحق توجيه العمل الصحي الدولي في العالم وتنسيقه ، بقطع النظر عن شخصية المضطلع بهذا العمل . ولا اود هنا ان ابين الخدمات الجلى التي وفرتها هذه الوكالة للصحة العالمية . فالناس في جميع اطراف العالم ينعمون اليوم بوجه من الوجوه ، بالفوائد والخدمات السابقة التي تؤمنها الوسائل والاجراءات التي تعتمدها او اعتمدتها في الماضي الوكالة المذكورة للترفيه عن صحة البلاد والعباد .

وفي السنوات الثلاث الاخيرة طلع علينا برنامج جديد للمساعدة الفنية وعلى الاخص في المجال الصحي على اساس دولي ، هو برنامج النقطة الرابعة الذي اخذت به الولايات المتحدة الاميركية ، على مبدأ اتفاق ثنائي تعقده بينها وبين الدولة المعنية في الخارج ، وبرنامج مشروع كولمبو التابع للكمنولث البريطاني وغير ذلك من البرامج الشبيهة التي وضعت في كل من فرنسا والدول السكندينافية .

أوضحنا في ما قدمنا اهم وجوه الجهود التي بذلت على نطاق دولي لتحسين مرافق الصحة العالمية ، وتأمين اقصى ما يمكن تأمينه من اسباب الترفيه الصحي في المجالات الدولية والحكومية . ومن هذا العرض السريع يتضح ان ليس من دولة واحدة من دول العالم تستطيع ان تؤمن لوحدها جميع الذرائع والوسائل التي تجنبها مساوىء الاوبئة الوافدة فتبقى بمعزل تام منها الا على اساس من العمل الدولي المنسق والتعاون الصادق الى ابعد حدود التعاون المتبادل . ومثل هذه الحقيقة لا تجهلها بعد اليوم، دولة من دول الارض الاخذة باسباب التطور . ومع ذلك يتلكأ بعضها في دفع ما يترتب عليه دفعه من اقساط مساهمته المالية لصندوق الوكالة .

وقبل ادخال اي تطوير ذي شأن على وسائل الترفيه الصحية ، على نطاق دولي عينت الدول الخاصة باتخاذ ما يلزم من التدابير والاجراءات الادارية ، للتسييج حول صحة المواطنين فيها . وهذا الاهتمام بقضايا الصحة الوطنية تقاسمته على اقدار متفاوتة الدوائر المسؤولة فيها ، محلية كانت ام اقليمية او حكومية . وقد كان من المتعذر جدا ، ان لم نقل من المستحيل تقريبا ، على هذه الحكومة ،المضي في مراقبتها المدنية للحالة الصحية في البلاد الخاضعة لها لو لم تتخذ لهذه الغاية الترتيبات الاولية ، التي تفرضها العناية بالصحة العامة . والذرائع التي تتسلح بها الحكومات الاهلية وما اليها من سلطات محلية او اقليمية في الدول المتطورة لتأمين اقصى ما يمكن تأمينه من اسباب الرفاه الصحي للاهلين فيها ، هي في مجموعها ذرائع واجراءات وتدابير غاية في التعقيد والمراكبة والتعاظل تربك وتحير لما فيها من تشابك .

ولو اردنا ان نحصي هنا المصالح ونحدد النشاطات التي تعتبر ضرورية لتأمين سير الصحة العامة لتعذر علينا الامر ولاقتضانا التعداد وقتا طويلا ، وهي اعمال ومصالح

يستكمل بعضها الاخر ويأخذ بعضها برقاب البعض . ومثل هذه المسؤوليات التي تقع على الحكومة المركزية او على الادارة الاقليمية او المحلية ، قد يشترك بتحملها جميع الجهات المشار اليها كل في ما يعنيه منها ، مع ان بعض الدول تعهد بها الى مصلحة مركزية تضطلع القيام بالامر كله . فالدول الحديثة تعني اكثر فاكثر ، بالتشريعات الصحية والاحصاءات العلمية الدقيقة مما يمت بصلة للصحة العامة في البلاد ، وهي احصاءات يعول عليها الى حد بعيد .

والتدابير التي تقتضيها امور الحجر الصحي تدابير واسعة متشعبة ، ولا سيما في تلك البلدان التي تكثر فيها الثغور المفتوحة ومرافىء الدخول والخروج والاستيراد والتوريد فتزداد بالتالي المسؤوليات المترتبة على مأموري الصحة العامة او القائمين بامر الحجر الصحي . كذلك تشتد مراقبة المواد الغذائية والطبية في تنقلها بين الولايات والاقضية الداخلية ، او لدى اجتيازها الحدود بين بلد واخر ، مع ما تستلزم اعمال المراقبة الشديدة من عدة ومقاييس لاجراء التجارب المخبرية اللازمة . وهو نشاط ضخم يقتضي جهدا كبيرا .

من ذلك ايضا مراقبة المخدرات ، واعمال التسجيل في مخافر الحدود ، واجراءات الامن العام والملاحقات القانونية التي تستلزمها المخالفات المسجلة . والامور الصحية نفسها التي تستدعيها حركة الهجرة في بعض البلدان ، تستدعي هي الاخرى عددا وافرا من الموظفين للتدقيق بشؤون المهاجرين وحالاتهم الصحية والمالية في تنقلهم من بلد الى اخر . كذلك مصالح الجيش التي تعنى بدورها بصحة المحاربين القدماء والترفيه عنهم وتأمين وسائل الترفيه الصحي عن اسرهم وذويهم ، كما تعنى بما يشيع الثقافة الصحية والطبية ، وغير ذلك مما يتعلق بعلم الامراض والاوبئة الوافدة ، والهندسة الصحية والتمريض وغير ذلك من النشاطات المهنية التي تقع عادة على كاهل الحكومات .

اما المسؤوليات والواجبات التي تقع على عاتق السلطات المحلية فتتناول بدورها وجوها عديدة من وجوه النشاطات الصحية التي لا مجال لتعدادها في هذه العجالة ، نذكر منها ، على سبيل المثال : الاعمال الضرورية التي تتعلق بفحص المواد الغذائية ومراقبتها ، كالحليب ومشتقاته واللحوم ومياه الشفة او الشرب وما يترتب على جمع هذه المياه ، وجمعها وخزنها ، وجرها وتنقيتها ، وتطهيرها وكلورتها من اعمال فنية مما هو ضروري ، لا ندحة عنه ، لصيانة الصحة العامة ، وتأمين شبكة المجاري الصحية ، واطراح النفايات ومراقبة حركة السير والسهر على حوادث المصانع والوقاية من الامراض عن طريق التلقيح والتطعيم ، ومراقبة حوادث التسمم والسهر على صحة البيئة ، وسن ما يلزم من القوانين واتخاذ التدابير والاجراءات الادارية التي تصون الصحة العامة في المنطقة .

وانشاء المدارس والكليات الطبية الخاصة بالصحة العامة او بطب الاسنان ، والطب البيطري ، ووجبات الاكل في المدارس ، واعداد العقاقير ، ومراقبة المخدرات والمواد السامة والمستشفيات والعيادات ، والاخطار التي تنجم عن حالات الطوارىء ، وخدمات التوليد والتمريض ، وتسجيل حوادث الولادة والوفيات وعقود الزواج والطلاق ، والاحصاءات التي تدل على سير الحياة في البلاد ، ومراقبة الامراض السارية والتبليغ عنها ، والتأمين الصحي للافراد والجماعات . كل هذا غيض من فيض او برض من عد مما يترتب على السلطات العامة : محلية كانت او اقليمية ، محافظة منها على الصحة العامة .

كل هذه التدابير والاجراءات التي تتخذها السلطات المعنية في البلدان المتطورة والدول الراقية ، يكاد لا يوجد منها شيء يذكر في كثير من البلدان التي لا تزال متخلفة عن ركب الحضارة ، حيث نرى مئات الملايين من الناس يرسفون تحت وطأة الامراض والاسقام والاوبئة الوخيمة ، ويتمنون لو اسعفوا بما يخفف عنهم شيئا مما يعانون من اوصاب واسقام تذيقهم الامرين .

علينا ان نواجه حل مشكلات مستعصية ، بينها ما يلبس صفة الاستعجال . وعلينا ان نولي في الحال ، اهتماما خاصا ظاهرة نمو السكان في العالم ، هذا النمو المخيف . هنالك اليوم ، ملايين من الناس ، لم يعودوا ليرضوا صاغرين ، قريرين ، مواجهة الموت الزؤام يفتك بهم فيذهبون ضحية المجاعة لافتقارهم الى المواد الغذائية ، مع العلم ان سكان العالم يزداد عددهم اليوم بنسبة يتراوح معدلها بين ٦٠ الف و٨٠ الف في اليوم الواحد ، هذا مع العلم ان لا المواد الغذائية ولا الفراغ اللازم لاسكان وايواء هذا العدد الضخم يتوفران لهم بالسرعة ذاتها والنسبة نفسها ثم ان كمية المياه اللازمة للشرب تتناقص وتخف مقاديرها تباعا في بلدان عديدة من بلدان العالم .

كل هذا يحدو بنا ويفرض علينا ، استنباط ما لا بد من استنباطه من الذرائع والوسائل الفنية التي تساعدنا على صيانة المياه الصالحة للشرب والابقاء عليها ، واستعمال ما يفيض منها على حاجة السكان للسقاية والري ، كما يتحتم علينا تطهير او تعقيم ما يلزم للشرب من مياه الانهار والبحار . ولعل من اعقد هذه المشكلات طرا ومن اشدها صعوبة على الاطلاق ، الوصول الى وسائل تمكن من استخدام موارد الرزق من خبايا الارض التي امسكت للان وبخلت عن الجود بها ، وايصال ما يفيض عن حاجة المستهلكين في الاقطار المعطاءة ، الى المعوزين منهم في البلدان الممساكة والدخل الفردي في بعض هذه الاقطار هو من الضعف والتدني ، والمظنون انه سيبقى على مثل هذا ، سنين عديدة ، بحيث لا امل يرتجى للفرد في مثل هذه الاقطار بالوصول قريبا ، او في المستقبل الطالع ، للحصول على كفافه من المواد الغذائية .

فعلى الدول الغنية او تلك التي تنعم بالازدهار الاقتصادي او الزراعي ان تستنبط ، باسرع ما يمكن ، وسيلة تمد باسرع ما يمكن ، وبصورة فعلية يدا رفيقة لهذه البلدان الرازحة تحت وطأة الاوبئة والمجاعة ، بحيث تؤمن لها القسط اللازم من الرفاه .

هذه هي حقيقة القضية الكبرى التي تواجه الجيل الطالع التي على حلها او عدمه ، يتوقف الى حد بعيد ، مسير العالم ومصيره المقدور .

يوسف اسعد داغر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقظة الغول

لاحمد رجائي المحامي



حلب

أأنا الذي تهوين ؟ ! .. واعجبي .. ألم تجدي سوايا ؟ !..
يا زهرة .. جاد الربيع بها .. فكانت منه آيا ..
يا فتنة .. ترنو الى الاوحال .. تحسبها .. مرايا
لا لا .. أظنك تسخرين .. وتعلمين بمستوايا ..
أنا تاعس" قذف الزمان به .. بأحضان الخطايا
فنسيتُ ما معنى الهوى العذريِّ في قلب الصبايا
أنا يافع" .. كهلُ الشعور .. أدق ابواب المنايا
لم تُبقِ من كبدي سمومُ الخمر .. ومضا من ضيايا
وتفحمت رئتاي تدخينا .. وفُخِّرت الحنايا
لم يَبقَ مني .. غير ما يكفي .. لارقَب منتهايا

* * *

أنا .. من زبانيةٍ .. ترود الحان في عتمِ العشايا
أحيا .. بها تيك الجحيم .. مبعثرا فيها صبايا
حيث الخمور .. تدار .. للسكرى .. وانصاف العرايا
حيث الدخان يعجُّ .. يستر ما يُمثَّل في الزوايا
وترنُّ ضحكاتُ الخلاعة والفجور .. من البغايا
هنَّ الضحايا في الحياة .. وكم لهنَّ من الضحايا ...

* * *

هذي حياتي .. أين منها أنت .. يا ذكرى رؤايا
قلبي المزق لم يعد يهفو .. وجفَّت مقلتايا
حبي .. كحبك كان .. وضاحاً .. فأعتم في دجايا
قلبي .. كقلبك كان .. ثم مضت تحطمه يدايا
ودفنتُ عمري .. في حياة الليل كي أنسى أسايا ..
.. ونسيته .. ولربما تمحى الرزايا .. بالرزايا

* * *

سيري بدربك .. ليس بي ما تحسبين .. من .. المزايا
ولربما رجسي يُزيِّنُ لي .. فأنشد مبتغايا
ويكون لي اهدار عفتك .. انتقاماً من شقايا
لكنْ ... تبقَّت فيَّ .. من طهري .. ثمالات" خفايا
بقيت بقايا نخوةٍ .. وتكاد لا تدعى بقايا
لكنها .. تكفي لصدك عن سعاري واشتهايا

* * *

أو لمْ تزالي هاهنا ؟ ! تتوسلين الى هوايا ؟ ! ..
أخشى مقاومتي تني وتسوء في قلبي النوايا
امضي .. وحثي في الطريق خطاك .. واستبقي خطايا
.. قد كاد أن يستيقظ الغول المخدر .. في دمايا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة اردنية

الحب الاول

بقلم احمد عبدالله عبد العزيز

والدي فؤاد :

تكتب الي يا بني عن عزمك على الانتحار والتخلص من الحياة لان تلك التي طالما منيت نفسك بالزواج منها وشغفت بها حبا قد هجرتك الى غيرك ، وتقول ايضا في رسالتك ان الحياة اتفه من ان نحياها ولكن لم كل هذا التشاؤم ؟ اكان هجران فتاة لك له كل هذا الاثر في نفسك حتى تفكر في وضع حد لحياتك وانت لا زلت في عمر الزهور ؟؟ ان الحياة ليست تافهة كما تتصور ولكنها اثمن من ان تضحي بها رخيصة في سبيل حب ضائع او هوى زائل . ولكن .. ما بالي اقسو عليك بهذا الشكل والبس لك مسوح الواعظين الناصحين وانا نفسي قد فكرت مثل تفكيرك في الانتحار حين فشلت في حب ! ! لقد كدت انسى تلك القصة تماما ولم يحركها من مكانها في اللاشعور الا رسالتك الاخيرة واني لسارد عليك قصة ذلك الحب الاول عسى ان يكون لك فيها عبرة .

لقد احببت حين كنت شابا في مثل عمرك ، وكان هوى جارفا عنيفا لم تكن تزيده الايام الا اشتعالا ولكن جذوته خبت في النهاية واصبح نسيا منسيا . كانت تلك التي احببتها فتاة مثل عمري — آنذاك — تقطن الى جوارنا اذ لم يكن يفصل بيتها عن بيتنا الا شارع ضيق ، وكنت اقضي نهاري كله او معظمه واقفا في شرفة بيتي ارقب طلعتها لعلي اظفر منها بنظرة فاكون اسعد الناس . ولم تكن تمر بي لحظة من لحظات يومي او ليلي الا وهي تحتل كل تفكيري وتملك علي كل حواسي . وكم من ليلة قضيتها مسهدا ارقا تنتابني الوساوس ان مر بي يوم لم ارها فيه او ان مرت بي ولم تلق الي نظرة تنم عن حب .

ولعلي نسيت ان اخبرك ان ظرفينا كانا متشابهين الى ابعد من ذلك فلقد كانت تلك معلمة في احدى القرى القريبة من بلدنا كما ان فتاتك معلمة ولذا فقد كانت اشق ساعات النهار على نفسي تلك التي كانت تفرقنا : هي الى مدرستها وانا الى عملي .

ومرت الايام — يا بني — وكل يوم يمر كان يحمل لي المزيد من الشوق والحب الذي كنت اعتقد انها تبادلني اياه ولا اجسر على مفاتحتها به ، وقضيت اشهرا كنت استعذب فيها ما القاه من عذاب وما من عذاب يهون الا عذاب الحب اذ ليس احب الى نفس المرء منه .

ولكن الرياح تجري بغير ما يشتهي الربان ، ففي ذات يوم وبعد اعوام ثلاثة جمعت فيها قدرا كافيا من المال ليكون مهرا لها ولاسعد واياها في عش الزوجية الهادىء السعيد .

سارعت اليها ازف اليها نبأ عقدي العزم على خطبتها لتتم لنا السعادة المرجوة . وما ان فاتحتها بما انتويه حتى اجابتني :

— انني لن اتزوجك

— وهل لديك ما يحول دون ذلك؟

— اجل .. انني لست احبك

وكانت صدمة عنيفة ولم اصدق انها هي التي تتكلم ، ولم اجد بدا من الانسحاب فتركتها وانا احس جراح قلبي تنزف ؛ لم يكن هناك انسان اكثر مني شقاء وبؤسا . وخلوت الى نفسي افكر في ذلك الذي حدث وفي صرح سعادتي الذي اضحى حطاما . وضاقت بي الارض بما رحبت وتملكني اليأس . ماذا افعل وقد سمعت منها ما سمعت ؟؟ وما قيمة حياتي ان خلت منها ؟ لقد كانت هي التي تزين لي الحياة وتجعلها حبيبة الى نفسي وطالما ان قلبها ملك لانسان غيري فلم أعيش ؟؟ وصممت — يا بني آنذاك — كما انت مصمم الان — على ان انتحر واضع حدا لتلك الحياة التافهة . واست ادري كيف ابعدت عن نفسي فكرة الانتحار ولكن الذي ادريه هو انني اخذت اشعر بآلام متزايدة ولم تعد بي شهوة الى الطعام او الشراب واعتزلت دنيا الناس حتى سقمت واصابني الضعف والهزال . ومما كان يزيد في المي انها وقعت في غرام جديد وكان ذلك الذي احبته معلما في قريتها كان رفيقا لها في اسفارها في الصباح والمساء ؛ وعلى الرغم من انه كان متزوجا وابا لطفلين الا انها كانت تبادله هوى بهوى وغراما بغرام بل اكثر من ذلك فانها رضيت بأن تكون زوجة ثانية له .

وفي اليوم المحدد لزواجهما كان اليأس قد استبد بي وجاوز مداه ولم اعد استطيع البقاء لحظة واحدة في بلدة تجمعني واياها وكيف احتمل ان اراها تروح وتجيء وبصحبتها رجل كنت اظنه اخر من تفكر فيه زوجا ان فكرت في الزواج من غيري ! !

في ذلك اليوم ودعت والدتي التي بكتني بدموع غزيرة والقيت عصا التسيار في لبنان . ولم يكن في نيتي ان اذهب الى لبنان بالذات بل الى اي بلد بعيد عن بلدي لعلي انسى ذلك الحب ولعلي ادفن تلك الالام ، ولكن المقادير كانت رحيمة بي اذ قادتني الى لبنان البلد الذي له اكبر مكانة في نفسي الان .

وهناك اشتغلت معلما في احدى المدارس الابتدائية براتب غير مغر لم اكن اوفر منه الا ما ارسله الى والدتي العجوز الوحيدة التي كانت تبكيني في وحدتها وتتمنى لو اعود اليها ، وكانت حياتي تسير على وتيرة واحدة : فمن البيت الى المدرسة في الصباح ومن المدرسة الى البيت في المساء لا اغادره الا الى احدى دور السينما مرة كل اسبوعين او كل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شهر وبدون صحبة احد . وعبثا كان يحاول زملائي الاساتذة ان يغروني بان اخرج من قوقعة وحدتي الى دنيا الناس ولكن محاولاتهم لم تكن تزيدني الا انطواء على نفسي وابتعادا عن المجتمع .

ولطفت بي المقادير ثانية في لبنان ، يا بني ، اذ انها قيضت لي السعادة من حيث لا اشعر فلقد استأجرت منزلا كانت تقطنه ام عجوز وابنتها كثيرا ما كانتا تجيئان الى غرفتي لخدمتي وقضاء حوائجي . وفي اثناء ذلك كانت تسالانني عن امي الوحيدة وعن سبب هجراني لها ولبلدي فلا املك ان اختلق شتى المعاذير والمبررات لذلك ، تلك المعاذير التي لم تكونا لتقنعا بها خاصة وان الحزن كان قد خلف آثارا في صفحة وجهي ولم اجد بدا ذات يوم — وحين الحتا علي في السؤال — من ان ابوح لهما بكل شيء وكنت وانا احدث كمن يلقي عن عاتقه عبئا ثقيلا طالما اثقل كاهلي ، وليس احب الى نفس المرء من ان يبوح باسراره لصديق يثق به .

ووجدت من الام وابنتها الرثاء لحالتي والعطف علي . وبمرور الايام اخذت اشعر ان هناك حبا قد اخذ ينمو بيني وبين تلك الفتاة اللبنانية التي كانت بلسما لآلامي والتي انستني فتاتي الاولى . وحين فاتحتها يوما بحبي لها وجدت عندها مثل الذي عندي وحددنا موعدا للزواج . ولم تبد والدتها اية معارضة في زواجي منها بل انها باركت ذلك الحب الشريف الطاهر الذي ربط بين قلبينا . وتم زواجنا في حفل سعيد لم يحضره الا والدتها ووالدتي — جدتك — والماذون

وقضينا اياما كلها سعادة لم يعكر صفونا فيها شيء الا وفاة جدتك بعد شهرين من ولادتك ، وذرفنا عليها دموعا سخية وبعد ان وارياها في ثرى لبنان لم اجد بدا من العودة الى بلدنا الاصلية . وعدت بتلك العائلة الصغيرة الى بلدتنا حيث لا نزال نعيش اسعد ما نكون بالحياة التي حسبتها يوما تافهة والتي زين لي الشيطان يوما ان اضع حدا لها .

والآن يا بني ، وعلى الرغم من انني ارى صباح مساء تلك التي كانت منتهى املي في يوم من الايام ، حين اراها تقف وحيدة في شرفة منزلها تنظر الى الافق البعيد تستطلع في صفحته ما يخبئه لها القدر بعد ان طلقها زوجها الاول ، الآن لم تعد تلك تثير في تلك العاطفة المشبوبة التي يسمونها الحب ولكنها تثير في عاطفة اخرى هي عاطفة الرثاء لما آلت عليه والاشفاق عليها ، وابحث في فؤادي عن ذرة من ذلك الهوى القديم فلا اجد!!

وكلما فكرت في تلك الايام التي كنت اقضي فيها الساعات الطوال اقف في شرفتي انظر الى نافذتها لاحظى بنظرة فيها سعادتي وكلما فكرت في انني صممت يوما على الانتحار من اجلها وفي سبيلها اسخر من نفسي واعجب لنزق الشباب ذاك الذي دفعني لذلك التفكير .

تلك هي قصة حبي الاول — يا بني — وقصة زواجي من امك التي اعيش واياها الآن ترفرف فوق رؤوسنا السعادة . وما كنت لاحدثك بقصة ذلك الحب المر الحلو لا لشيء الا لانني نسيت تلك القصة ولم تعد ذات بال بالنسبة الي ولولا رسالتك ما كنت تذكرتها .

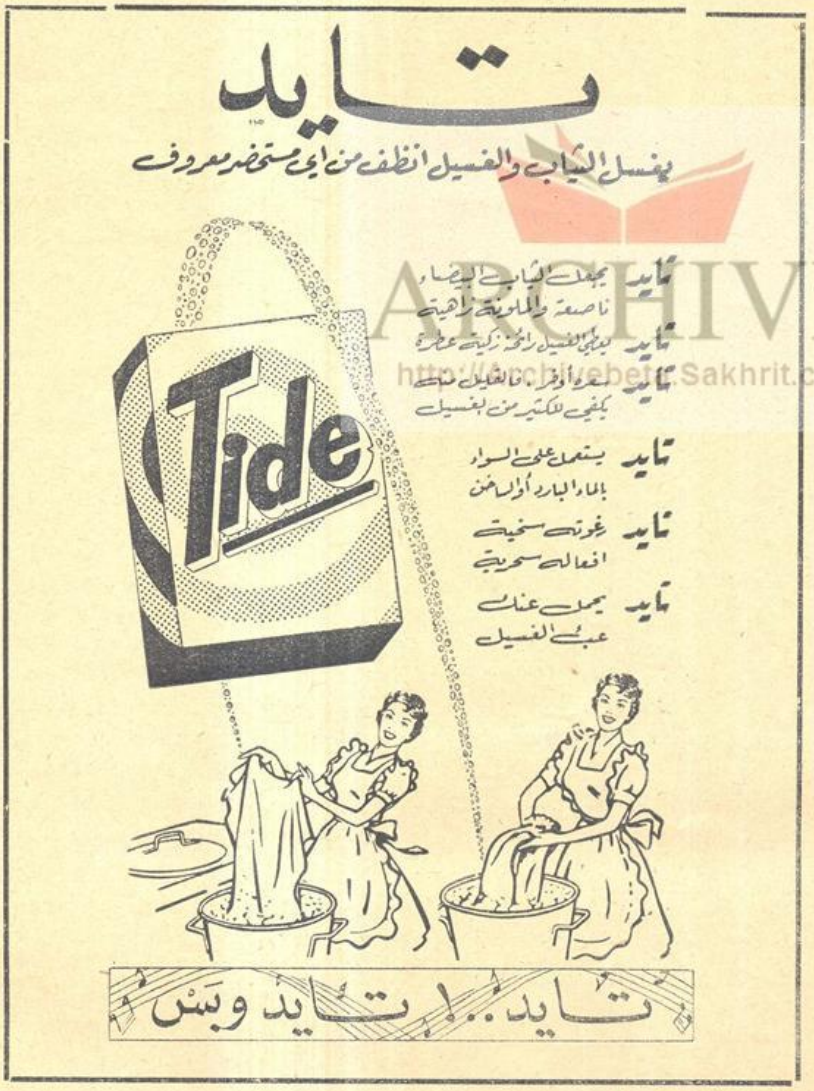
ومن يدري ماذا كان يمكن ان تكون حياتنا لو تزوجت من تلك الفتاة ! ! وانت يا بني من يدري ما يخفي لك القدر ! ! لعلها السعادة والهناء في فشلك في هذا الحب !!

وفي الختام لك تحياتي وقبلاتي ،

المخلص : والدك

الاردن — جنين

احمد عبدالله عبد العزيز



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر العراقي السيد حيدر الحلي

بقلم علي الحسيني

في القرن التاسع عشر الميلادي أثمرت نهضة ادبية واسعة النطاق في الفرات الاوسط من العراق ، وكانت هذه النهضة دينية ادبية . وكان من نتائج هذه النهضة ظهور عدد كبير من الشعراء والادباء وعلماء الدين . ويتناول حديثنا هذا شاعرا من اعظم شعراء تلك الفترة الواقعة في الفترة المظلمة من التقسيم الكلاسيكي للادب العربي ، وهذا الشاعر هو المرحوم السيد حيدر الحسيني الحلي الذي عرف في عصره وبعده بـ « أمير المراثي » .

ومن المؤسف جدا عدم ظهور اية دراسة او ترجمة جديرة بالذكر لهذا الشاعر الخالد ، الذي تجد اسمه حتى الان ، على كل شفة ولسان في الفرات الاوسط ، وفي اوساط الادب العراقي . وكل ما قدم من وفاء لذكره واخلاص لتاريخ الادب العربي هو طبع الجزء الاول من ديوانه ، طبعة اقل ما يقال فيها انها ليست كاملة . وبالرغم من ان هذا الموضوع يصلح موضوعا للدراسة الادبية اكثر مما يصلح له اي موضوع اخر ، فاننا لم نسمع الى الان ان اديبا او شاعرا قرر او فكر بالقيام بهذا البحث .

ونحن هنا اذ نقدم هذه الدراسة المختصرة ، انما نريد ان نفي بحق الشاعر وبحق الادب العربي ، ولو بصورة جزئية .

حياته

ولد السيد حيدر في منتصف شعبان من عام ١٢٤٦ هجـ ـ ١٨٤٧ م ـ في قرية بيرمانة من لواء الحلة . وقد مات والده السيد سليمان الصغير ـ وهو شاعر معروف ـ وهو لا يزال يحبو في طفولته ، فاعتنى بتربيته عمه السيد داود ـ وهو شاعر معروف ايضا وصاحب مدرسة ادبية في تلك الفترة .

وقد تلقن في ايام شبابه الاولى عن السيد مهدي وبعض الادباء الاخرين ، علوم اللغة العربية ، كما انه درس العلوم الدينية والفقهية والمنطقية . وقد ظهرت عليه علامات النبوغ منذ ان كان شابا يافعا ، قوي البنية ، رزينا ، محترما بين اصدقائه واقربائه وبين اصدقاء عمه السيد مهدي

وفي هذه المدة بدأ بنظم الشعر ، وكان اكثره في رثاء ومدح آل البيت ، وقليله في الغزل والاخوانيات والاغراض التقليدية الاخرى .

وكان لبيئة الشاعر الادبية التي نشأ فيها وترعرع ، أثر كبير في تكوين شاعريته ، وتطورها فيما بعد . فبينما نجد ان والده السيد سليمان وعمه السيد مهدي شاعران معروفان ، نجد ايضا ان جده الاكبر « السيد سليمان الكبير » ، وابنه « الحسين » وابن عمه « عبد المطلب الحلي » هم شعراء ايضا . اضف الى هذا بوادر النهضة الادبية الدينية التي نشأت في الفرات الاوسط ، والتي كانت قائمة على قدم وساق ، والمجتمع الحلي الذي كان يذخر بالشعراء والادباء ، وعلى حد قول احد الادباء : » انى تلفت ، سمعت صادحا ، وراقصا ونائحا ، ومعاتبا ، ومادحا » .

وكان السيد مهدي على علاقة وثيقة بآل كبة ، فاتصل السيد حيدر بواسطة عمه بهذه الاسرة التي كانت تخصص الاموال الكثيرة للادب والادباء ، وتشجعهم على القيام بالاعمال الادبية ، ومقابل هذا اغرق الشعراء رجال هذه الاسرة واعلامها بالمدح والتهاني والرثاء . وكان السيد حيدر من اكثر الشعراء مراسلة وصداقة لآل كبة . ولهذا نرى في ديوانه الكثير من المدائح والمراثي والتهاني لاعلام هذه الاسرة وكان شاعرنا ايضا على صلة باسرة آل القزويني التي سكنت الحلة ـ ولا زالت فيها ـ منذ امد بعيد . وينطبق الكلام الذي قلناه عن آل كبة ، على آل القزويني ، مع شيء قليل من الاختلاف .

وقد توفي السيد حيدر في ١٩ ربيع الثاني من سنة ١٣٠٤ هجـ ـ ١٩٠٥ م ـ فكانت لوفاته رنة اسف بعيدة المدى . ومما يذكر عنه انه كان عالي الهمة ، ابي النفس ، لم ينظم مدحا او تهنئة او رثاء من اجل المال ، ولذا جاءت رثائياته ـ وخاصة في آل البيت ـ من ابدع المراثي في الشعر العربي . وكان ايضا متعبدا ، كريم النفس والاخلاق ، قليل المال ، متواضعا وحسن الخلق .

شعره

وشعر السيد حيدر لم يخرج عن كونه شعرا كلاسيكيا في الاغراض الشائعة آنذاك ، وهي المدح والتهنئة والرثاء والغزل والاخوانيات والخ ... ولكن القارىء يشعر باختلاف كبير ، عند مقارنته بشعر غيره من شعراء عصره . يشعر بحلاوة الالفاظ ، بتمازجها وتكوينها نغما واحدا ، بتماسك القصيدة ، على عكس ما نراه في الشعر التقليدي من اعتماد على وحدة البيت فقط . ويشعر بعد ذلك بمتانة المعاني ، ورقتها ، وملائمتها للموضوع المطروق .

وهناك ملاحظة اخرى هي افتتان الشاعر بالبديع الى درجة كبيرة . ومعلوم ان جميل البديع يأتي عفو الخاطر ، دون ان يتعمده الشاعر ، وهو يكون بقلة . الا اننا نجد ان شاعرنا يكثر من البديع ويتعمده في بعض الاحيان . وبالرغم من ان البديع يقلل الى درجة ما من اهمية الشعر ، اذ يجعل الشاعر لفظيا لا موضوعيا ، فان هذه القاعدة لا تنطبق على شعر السيد حيدر .

فمن قصيدة تهنئة في ذكرى مولد الامام الثاني عشر:

فهنيئا فتح الخير بمن ختم الرحمن فيه الانبياءا

ومن قصيدة مدح :

هو جعفر الفضل الذي اهل النهى يردون منه ويصدرون رواءا

ومنها ايضا :

لا راعها بك ما يروع ولا رات بعد الذي بك سرها ، ما ساءا

ومن قصيدة تقريض لديوان عبد الباقي العمري :

نشرت طيء الفصاحة ، لكن طويت في انتشاراها الفصحاء
الفات مثل الفصون تلتها فلكل من همزة ورقاء

وقد نوهنا سابقا ان شعره تناول مختلف الاغراض التقليدية ، ومما قرأته من روائع مراثية ، هذه الابيات من قصيدة طويلة في رثاء الامام :الحسين :

يا دار جائلة الوشاح حيتك نافحة الرياح
يلقى الكتيبة مفردا فتفر دامية الجراح
وبهامها اعتصمت مخافة بأسه بيض الصفاح
وتسترت منه حياءا في الحشا سمر الرماح

وروي ان احد طلاب البعثة العراقية اجتمع بالمرحوم « احمد شوقي » ، وهو في طريقه الى « السوربون » ، فطلب منه شوقي ان يقرأ شعرا فراتيا ، فقرأ له من شعر الشعراء المعاصرين ، فقال له : « لا... اقرأ :

عثر الدهر ويرجو ان يقالا تربت كفك من راج محالا

واتم القصيدة له . وهذه القصيدة من اروع مراثي السيد حيدر ، ومنها :

وقفوا والموت في قارعة لو بها ارسي نهلان لمالا
فابوا الا اتصالا بالضبا وعن الضيم من الروح انفصالا
ارخصوها للمعالي مهجا قد شراها منهم الله فغالى

ومن مراثيه هذه القصيدة المبدعة ، ونقتطف منها :

عجبا للعيون لم تغد بيضا لمصاب تحمر فيه الدموع
وأسى شابت الليالي عليه وهو للحشر في القلوب رضيع
أين ما طارت النفوس شعاعا فلطير الردى عليه وقوع
فأبى ان يعيش الا عزيزا أو تجلى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموع فردا ، ولكن كل عضو في الروع منه جموع
زوج السيف بالنفوس ولكن مهرها الموت والخضاب النجيع

واحسب ان القارىء يفطن الى ما في البيت الاخير من تشبيه رفيع للموت ، يدخل فيه عنصر الخيال حتى ليحلق بنا الى القمة . ومن شعره الحماسي :

وراءك اليوم عن لهوي وعن طربي فان قلبي أمسى كعبة النوب
لا تطمعي في وصالي ، ان لي كبدا تهوى وصال العلى لا الخرد العرب
أبعد حفظي لاسباب العلى زمنا اضيعها لك بين اللهو واللعب
ما ضرني بين قوم خفض منزلتي ومنزلي فوق هام السبعة الشهب
وحسب نفسي وان اصبحت ذاعدم من ثروة ، انني مثر من الادب

ويطول الحديث عن شعره ، حتى ليستغرق كتابا كبيرا

آثاره الادبية ونشره

وقد خلف السيد حيدر بالاضافة الى الثروة الشعرية القيمة ، والتي جمعت بعد ذلك في ديوان واحد طبع في الهند مرتين على الحجر ، ثلاثة كتب ادبية ، هي :

ـ العقد المفصل ، وهو كتاب ادبي ثمين ، يشبه في طريقة تأليفه ومواضيعه ، كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي . ويحتوي الكتاب على مقدمة ، وثمانية وعشرين فصلا . وبدأ كل فصل بقطعة شعرية قصيرة من نظمه . وهذا الكتاب قدمه هدية لآل كبة ، وطبع من قبل بعض الادباء ، في بغداد سنة ١٣٣١ هي ، في جزئين الاول في ٢٨٨ صفحة والثاني في ٢٣٢ صفحة من القطع الكبير .

ـ دمية القصر في شعراء العصر ، قدمه هدية لآل كبة ايضا ، وترجم فيه لعدد كبير من الشعراء والادباء الذين عاصروه . وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا .

ـ الاشجان في مراثي خير انسان ، والفه لآل القزويني، وجمع به مراثي المرحوم العلامة الميرزا جعفر القزويني ، وكتب لكل قصيدة مقدمة ، وللكتاب مقدمة بليغة من روائع نثره . ويقع الكتاب في ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط .

أما نثر السيد حيدر ، فهو بحق ثروة ادبية ، وان كان قد كتب على الطريقة القديمة ، ومن نثره هذه القطعة من رسالة له الى احد اصدقائه :

« سلام فتقت نور زهره صبا الحب ، واعربت انفاس نشره عن طي سريرة الصب ، ورقت الفاظه حتى سرق النسيم طبعه من رقتها ، ونفحت بريا الاخلاص فقراته حتى استعار العبير المحض طيبه من نفحتها ، وما هي فقرات في الطروس قد وسمت ، بل روح محب اذابها الشوق وفي قالب الالفاظ قد تجسمت ، فلو نشق ارواح عرفها من غشيته سكرات الموت لصحا ، ولو سرح النظر في لؤلؤ الفاظها ذو الطبع السليم لسحرت عقله وماس منها مرحا . »

هذا قليل من كثير مما نود ان نقوله عن السيد حيدر ، امير المراثي ، وكبير شعراء عصره . ونرجو ان نستطيع اصدار كتاب مفصل عن هذا الشاعر الخالد في المستقبل القريب لنؤدي بعض ما يجب ان نؤديه في خدمة ادبنا العربي

الحلة ـ العراق **علي الحسيني**

قريبا جدا :

منشورات عويدات

نحو ثقافة انسانية

ادب ـ فن فلسفة ـ اجتماع
سياسة ـ تربية ـ تاريخ ...

بيروت ـ ص.ب ٦٢٨

قصة لارسكين كالدويل

الغرفة الفارغة

ترجمة انور محمود سامي

كانت سنة واحدة قد مضت على زواجهما حين رايتها لاول مرة. انتهت مراسيم الدفن ، وغادرنا المعزون واصبحنا وحدنا في الدار . لم اكن اعرف ماذا اقول لها ، ولا هي تكلمت منذ الصباح ، لم تقض هي مع « فنلي » سوى سنة وبعض الوقت ، وهي لم تبلغ العشرين من عمرها بعد . كان جسدها يطفح بانوثة الصبا واليفاعة، لكنها ما كانت غير طفلة

كانت جالسة بجانب النافذة ، تحدق في العتمة التي تتجمع مع هبوط المساء ، اقبل الليل . ولم اكن قد اطفأت المصابيح بعد ، ولم تتحرك هي من مقعدها منذ ساعات طويلة . ومن المحل الذي وقفت فيه ، كنت ارى صفحة وجهها الساكن الذي يبدو في المساء الرمادي كصدفة ابنوسية. وعند ذاك عرفت ان الجمال يكمن حتى في الحزن .

كان « فنلي » اخي الوحيد ، وقبل ان يموت كان القريب الوحيد الذي بقي لي في هذا العالم ، وها هي الان قد غدت ارملته .

كان اسمها « توماسين » ، لكنني ما ناديتها باسمها حتى الان . لم اتعود على لفظه بعد ، وهناك شيء ما يحرس الاسم الغير المألوف من تطفل الغريب . وحين آن الاوان لاناديها باسمها احسست كأنني اتكلم بصوت هو صوتها .

كنت غريبا في الدار ، لم نكن قد تكلمنا بعد . كان « فنلي » زوجها ، واخي ايضا ، ولم اكن ادرك الان مبلغ علاقتنا نحن الاثنين . مع ذلك ، كنت ادرك ، اننا لن نستطيع البقاء في البيت لوحدنا دون ان يتضح مركزي ومركزها في علاقتنا .

كان المساء باردا ، والغرفة تبدو كفراغ متسع كبير يتراجع ويتحدد بين الجدران . وصفحة وجهها تبدو ناعمة بينما العتمة الرمادية تتلاشى في الليل الغامض . وبدت الحيطان كانها قد تقهقرت فاصبحت الغرفة بلا جدران . كانت الغرفة متسعة وجانب وجهها يبدو في العتمة الرمادية وكأنه يذوب في الظلام الذي يراكم في البيت .

وبينما كانت تجلس في الغرفة لم تكن قد ادركت بعد وحدتها تماما ، وكانت انحناءة راسها وتقوس كتفيها يتلاشيان في الظلال المتراكمة ، لكنها لم تكن تفكر حتى في وجودها في الغرفة . فقد مات « فنلي » في مدة قصيرة جدا .

حين نهضت لتمضي . نهضت واقفا ايضا ، وتقدمت اليها حتى اصبحت على بعد مدة ذراع منها ، غير ان البعد بيننا ما كان ليقاس الا بحدود الفضاء اللانهائي للغرفة . تملكتني رغبة في ان الف ذراعي حولها وادعها تستريح بينهما كما يتوجب علي ان افعله مع من احب ، لكنها كانت ارملة « فنلي » ، والغرفة بحيطانها جعلت البعد بيننا لا يقاس .

والغرفة التي كنا نقف فيها جوفاء واسعة ، تسبح في ظلامها المتسع ، لحد ان ومضة من حجري صوان كانت تكفي لتصيبنا بالعمى لفرط اشعاعها هنا ، وربما احالتنا شعلة الومضة الى رماد .

قبل قدومي الى الدار لم تكن عندي فكرة واضحة عن فتاة اسمها «توماسين» ولكن ها هي الان ، ارملة اخي .

كانت هناك باقة من الزهور ، وبعض اوراق تيجانها قد سقطت على ارض الغرفة .

فجأة همست ، متجهة وجهها نحوي في الظلام : ـ هل اطعمت ارانب «فنلي» هذه الليلة ؟ فقلت لها:

ـ نعم اطعمتها ، قدمت لها كل ما تستطيع اكله ، وكل ما تحتاج اليه هذه الليلة .

كان شعرها ملقى على كتفيها . يتماوج كثيفا حول راسها ، لونه في لون الليمون ، ولكن الغريب ان لونه كان يتوافق وظلام الغرفة وسواد ملابسها . الامر الذي اضفى شيئا من القسوة على حزنها ، كان راسها محنيا في الظلام العميق في الغرفة الهائلة الاتساع .

وحين كنت احدق في الحيطان المظلمة كالحبر الاسود ، كنت ارى بشكل ما تماوج شعرها الليموني المضغوط على صدر اخي وهو يلثم نعومة وجهها ويلاطف اطرافها البضة وبدا الجمال والغنى اللذان امتلأت بهما تلك السنة التي قضياها معا ، كأنهما يستسلمان ويذعنان لهذا الظلام الذي يغلف المكان ، وفي ظلام الغرفة الفارغة كان باستطاعتي ان ادرك حقيقة الموت واشعر بالحزن الذي يفعم قلبها . ان المحبين لا يقدرون ان يدركوا حقيقة كالموت في سنة واحدة، وكانت هي واحدة منهم .

ورغبت في ان اقول لها ما اعرفه عن هذا الامر ، ولكن كلماتي ما كانت لتعبر الا عن التافه السخيف مما احس . ما كان من الواجب ان يصطدم حبها بالموت ، ولم تكن هي تريد ان تفهم شيئا .

الان ، كانت الليلة تبدأ فعلا .

لم ارها وهي تسير ، غير انني احسست انها قد تركت كرسيها عند النافذة . سرت خلفها ، متلمسا الاثاث الذي لم آلفه ، واقود نفسي خلال الغرفة لحظة بعد اخرى على هدى من عبير شعرها الليموني الاصفر .

ثم وقفت ، وادركت انني في غرفة النوم . ووجدت انني اقف عند الباب لا اعرف سوى اتجاهها واحدا ينبعث منه شذى شعرها الذكي . وحين كانت تتنقل من زاوية لاخرى ، كنت اقف منتظرا ان تتفوه بشيء ، بكلمة تبعثني الى الخارج حتى الصباح . او تخبرني ان هناك شيء تطلبه اولا شيء البتة ، لكنها لم تخبرني بشيء.

ان مشيتها وحيدة منفردة من زاوية لاخرى ، وبرودة سريرها التي لا تزول ، كان لهما صدى في الغرفة الجوفاء ، وكنت اسمعها وهي تقطع ارض الغرفة لتصل الى السرير وتلمسه باصابعها ، ثم تعود لترجع وهي تخطو على البساط الذي فرشت به الارض لتقصد النافذة .

وقفت عند النافذة ومدت نظرها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى اللاشيء في الظلام ، اللاشيء الاسود ، بينما كنت أترقب ان تقول لي ان اغلق الباب وادعها في وحدتها. ورغم انها كانت في الغرفة ، وكنت انا عند مدخلها ، والارانب خارج النافذة الا ان الفراغ هبط على الدار وخيم كما تخيم ليلة بلا نجوم او قمر . وحين مددت ذراعي اصطدمتا باماكن مجهولة ، وحين حاولت ان ارى شيئا بدا لي ان عيني تبحثان عن الضوء في ارجاء سماوات معتمة .

كانت تعرف اني اقف عند مدخل الغرفة انتظر كلمة منها، لكنها كانت يائسة وحيدة . وعرفت ايضا انها لن تطيق الانفراد في غرفة لا ترى حيطانها من بعد كبير . وان وحدتها لن تتبدد بكلمة تطلق في الظلام الاجوف، وهي نفسها لن تقوى وحدها على الانطلاق من البيت الشاسع الابعاد .

لقد كتب لي اخي قبلا عنها وابلغني اسفه لانني لم احب بعد انسانة مثلها لقد قضى معها سنة كاملة يقاسمها هذا البيت وهذا السرير . في كل ليلة كانا يدخلان الغرفة وهما يسيران جنبا الى جنب الى حيث تجلس هي الان وحيدة . كان بمقدوري ان اتحسس وحدتها هذه الليلة ، لقد اخذ منها ، بينما انا ، انا الذي ما عرفت مثل هذا الحب ، ما كان بامكانها ان تتعزى عنه بوجودي .

ومرة اخرى مضت الى السرير ولمسته . الغرفة مظلمة والسرير مستقر جامد. عرفت الان انها بسبيل ان تغدو وحيدة . بدأت تبكي بخفوت ، كما تفعل فتاة صغيرة .

سقط خفاها من قدميها ، فكان لهما صدى كصدى القاء زوج احذية رجالية من ذوات المهامز الحديدية على الارض .

وحين لمست مشطا كان على المنضدة وقع على الارض في الظلام ، كيد رجل اخرق يتلمس ويحطم مرايا في العتمة او ينقلها من مواضعها لمست ركبتاها كرسيا، ولكن صوت الصدمة كان كصوت رجل يتلمس طريقه كالاعمى في غرفة مظلمة ، متعثرا بالاثاث قاذفا باللعنات بصوته المبحوح من بين انفاسه .

اما الملابس التي خلعتها فقد القتها فوق صندوق عند اقدام السرير لكن ما فعلته بدا وكأن رجلا رمى معطفه المطاطي الثقيل وسترته وسرواله عبر الغرفة فوق كرسي ما .

ودون ان تحدث صوتا رفعت غطاء النافذة ، لكن ذلك بدا وكأن رجلا رفعه بشدة كمن اصابه ملل من الانتظار .

جلست على طرف السرير ، والقت بنفسها عليه ، فكان ذلك كرجل يقذف بنفسه على الفراش ويسحب الغطاء فوقه .

وفي هدوء تام تقلبت من جانب الى اخر ومدت ذراعيها على الوسادة في الجانب الاخر ، فكان لذلك صوت في الغرفة الجوفاء كصوت رجل يلكم الوسائد بقبضة يده .

بدأ جسدها يرتعش مع كل تنهيدة منها ويهز بخفوت اسلاك السرير الحلزونية والفراش ، فكان ذلك كرجل يعمل بلا هوادة مدفوعا بقوته العسيرة الانقياد .

لست ادري كم مضى من الزمن وانا اقف اترقب كلمتها . فلقد مضى الوقت بسرعة اول الامر في البيت ذر الظلام الاسود كالقار والفراغ المظلم ، ثم ابطأ بعدئذ ، ربما مضت على ساعة ، وربما خمس ساعات .

انفرجت شفتاي وخاطبتها. بدت اصداء اصوات كلماتي كأنها بلا نهاية، قلت وانا ارتعش :

ـ ليلة سعيدة ، توماسين ،

فصرخت في خوف والم ، كان انسانا ما قطع قلبها بسكين ، ولو صح هذا لما امكنها ان تصرخ افظع من هذه الصرخة .

ثم تقلبت على الفراش واستقرت على الجانب الاخر .

ـ يا الهي ! يا الهي ! يا الهي !

سقطت الوسادة التي كانت تقبض عليها من الجهة القصية من السرير على الارض ، محطمة الظلام كشجرة تسقط في اعماق غابة .

خيم المساء ، وبدأ الليل في الغرفة الفارغة .

انور محمود سامي

العراق ـ كركوك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سؤال

سرت نسمات الليل تعبق بالند ... فهيجت الذكرى وارقني وجدي

تذكرت أياماً لنا قد تناثرت ... بروض الهوى بين الينابيع والورد

ولم ار طيفاً يستثير هواجسي ... كطيف به تختال ميّاسة القد

اذا خطرت في البرد تستقبل الضحى ... تضوع منها العطر من عفة البرد

رعيت لها عهد الهوى وذمامه ... واني مقيم لا أزال على العهد

هل الذكريات السالفات تثيرها ... وهل عندها من لوعة الشوق ماعندي

جامعة برشلونة **باقر سماكه**

من اوراقي

○

بستاننا

•

بستاننا مطرز باشجار التفاح قرب جبلنا الاخضر ، المعلق بين الارض والسماء .

دربه متعرجة بين الغدير والساقية ، في قلب وادينا الجميل ، تحرسها اشجار الحور الباسقة ، كأنها المردة تتامل بوقار وهيبة ، ظلها الممتد تحتها على الارض .

حدود بستاننا على مد النظر ، وفي الاعالي سماء يعانق نجومها اللامعة ، في ليالي الصيف المؤنسة ، على سحبات القصب اللاهبة .

كم نجمة دخلت بستاننا ، تلثم اشجاره اليانعة ، وتسبح في بركتنا الرابضة على كتفه الجميل ، وكم شال نتف الغيم على زمرد تفاحه وياقوت اشجاره ، وكم لبست هذه الاشجار الضباب عباءة في امسيات الصيف المرحة .

والشمس كم قبلت اشجاره وحضنتها برفق وحنان وكم حضن هو مواويل الرعاة من بعيد ،وحبس تأوهات العشاق بعد ان تأمل تنقلات العذارى الحالمة .

* * *

وفي ايلول ، في كل يوم تدندن اشجاره فرحة بثقل الثمار ، وتقبل من بعيد انغام جدلى تطفو على النسيم الدافىء .

وفي ارجائه ،تتمتم الطبيعة اغاني الوجود ، على ترنيمة الاطيار وترتيل البلابل .

تفاحه لؤلؤ ، كم اتيت الثمه بالقبل ، وانقل طرفي على ياقوته ومرجانه .

ايه بستاننا ، يا اخي ، انا اغنيك الحياة من فمي ، من اعماق قلبي الاخضر .

ينام حبك في قلبي ، ويضج في ضربات الالم الصاخبة يريد ان يبريء جراحي ويغسل ردائي الاغبر .

النور خافت في طريقي ، يرتعش ارتعاشة المحتضر في مطاوي الظلمة الحالكة .

لا .. لن يكون ذلك .

ثورة ايها البستان ، تطعن قلب الليل الحالك

ثورة تسدل نقابا على الليالي العارية ، فتبدد الظلمة في كل مكان .

انني اتامل بكاء الليالي المظلمة ، وارى فرحة مواكب النور الدافقة على معبد الحرية الدائم .

فرحة الثورة في حبها لا ترحم .

لقد ازفت الساعة ايها البستان ، لكي يرفع الحجاب عن النور .. وستراه ..

* * *

وذات مساء غرق بستاننا في افواه الطيب ، فتطلعت اشجاره مليا في جوانبه الحائرة ، فرات ضوءا قد رف في عباب ارجائه .

عايرة ... يا لها ، في حبها لا ترحم ، اقبلت دون ضجة ، وفرشت بساط العرس في قلبي الاخضر كي تأخذ مجلسها فيه وحدها .

ويا لجمالها ، نشوى بخمر صباها ، فمن كوة عينيها تلفت الاشراق ، وفي خصل شعرها نام الليل على انامل القادر المبدع .

ويا لنسيم بستاننا ، حمل اليها نفحة من طيبه ، قبلت خدها ، فقبلها طيبه ، وتغلغلت في صدرها النافر ، كما تغلغل نور القمر في شعرها الفاحم ، وحبها في قلبي الاخضر .

آه .. كم حرست فتنتها جوانب بستاننا بسهام عينيها الحائرة ، فاصابت صدري وتركت فيه كنزا دفينا يتموغ في جراح القلب الدامية .

شكوتها لله ، كم امرت سهامها الثائرة ان تسقي الاشجار معي دم العناقيد ، فتاقت نفسي لمعاصر الطائف ، ودنان يثرب القديمة .. انها الان تعربد في كياني ، كما تعربد في كياني المحموم .

بنيت حياتي عند اقدام اشجاره على سر حبها الذي غلف قلبي بالنظرات والدموع ، هنا ، في بستاننا الحبيب ، اعطيتها من نفسي ، وسقيتها من قلبي الحنون .

كم مرة حضنت طيفها بظل اشجارنا الباسقة ، وقبلت وجناتها في تفاحنا المورد ، وكم التقينا في احضانه المرحة .

* * *

يا لبستاننا زاره ايلول فسال الحب في دم تفاحه ، فتضرجت خدوده بحمرة قانية ، وسفح موسمه على كل درب .

ويا لايامنا الحلوة ، ذاعت على شفتيها اسرار كثيرة ، هي من حياتي التي مزقتها الايام ، وذرت رمادها في بستاننا الجميل .

غدا تنسانا الضيعة ياحلوتي،ونهجع في تربتنا العتيقة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شك

✶

أحقا تحبين ، اني اشكُّ ... ولكنْ يداك هما الشاهدان
كتابي ، رسمت عليه حروفاً ... ترى تدركين خفيَّ المعاني
أنا اطلب الحب في مقلتيك ... فلمْ لا اصدقُ ما تطلبان
وكم جئتُ ، بالامس ، في مقلتيَّ ... حديث لحلم ، ولليأس ثان
لاخلقَ من صمتي اسطورة ... تلظى بنيرانها عاشقان
وأنتِ تحبين .. ! ماذا تحبُّ ؟ ... وزادي مع الليل بضع أغان

★ ★ ★

نوافذُ حبي على صمتها ... تحدِّثُ عن جرح قلب مهان
... وفي ليلة من ليالي الربيع ... أطلَّت مع الفجر عصفورتان
وثرثرتا عن هواي الجريح ... وفي الصمت ما زالتا تسألان
فيرتعش القلب ، اني أشكُّ ... وان اومضت بالهوى مقلتان

★ ★ ★

أتدرين ، اني أخاف الهوى ... ففي القلب ما زال جرح يعاني
اسائل نفسي ، علام الحنين ... أما طلع الصبح دون الحنان
أما خلَّف الحب شيئا يغلُّ ... خطانا الى ارض دنيا الهوان
فعدنا بقصتنا متعبين ... اذا الفجر اشرق لا يبسمان
وتلك النجوم التي اوقدت ... بعينين عادت بلون الدخان

بغداد — عبد المجيد الراضي

ايها القمر ، تعال نسبح معا في بركتنا الحلوة ، ونقبل الحبيب النائم تحت ضوئك الحالم ، في ظل اشجارنا الحالمة .

تعال ندمي له شفتيه ، ونجرح قميصه فوق صدره لنرى موسمه الناضج كموسم تفاحنا ، تفاحنا الاحمر .

تعال نمرغ شفاهنا بشفتيه ، انها تشبه دم العناقيد الاحمر ، علنا نسكر بقبلتها المحرقة ، ونذوب بانفاسه الملتهبة .

آه انا لها وهي لي منذ بدء الخليقة ، وتفاحنا يشهد حبنا ويغار عليها حتى من القمر الذي كان يلامس جسمها البض ... رأيناه معا يسبح في بركتنا التي كانت تغسل اطراف البستان .

ويا لبستاننا .. عبدته لاجلها ...

جبع ـ لبنان — اديب الحر



سيكولوجية المرأة

للدكتور زكريا ابراهيم ـ سلسلة الثقافة السيكولوجية ـ ١٧١ صفحة ـ دار مصر للطباعة

●

لم يكتب في المرأة ، وفي سيكولوجيتها خصوصا ، منذ امد طويل ، وباللغة العربية ، كتاب علمي مركز كهذا الكتاب الذي نقدم .ولعل سر ذلك يكمن في شيوع النظرة اللاعلمية واللاموضوعية تجاه المرأة.وهذا لا يعني ان الشرق العربي قد اختص باحتقار المرأة وتمييزها بانها ثانوية الدرجة والمكانة والعقلية والفعالية والمستقبل . فالحق ان سائر المجتمعات الاستغلالية تجهز مددا لا حد له باحتقار المرأة وقتل ما فيها من حيوية وتفاعل مع المجموع ومع الارض التي تسير عليها وتعيش فيها . وما يتبقى في الفرق بين احتقار الشرق للمرأة واحتقار الغرب هو فرق درجة وليس فرق نوعية . الشرقي يقيد المرأة في داره ، ويجبرها ان تحيا حياة النعاج ـ وهذا الكلام نقوله تجاوزا ، فالحق ان اقساما كبيرة من المجتمعات الشرقية انطلقت في تحريرها التدريجي والسريع للمرأة ـ بينما الغربي يطلق سراح المرأة ، ويساويها به ، ولكنه يستغلها ايشع الاستغلال ، فهو لا يمنحها الاجور كل الاجور ، وهو لا يعطيها الحرية كل الحرية للعمل ، وهو ، اخيرا وليس اخرا ، يقترض فيها انها لعبة ودمية يلهو بها ، ويرفه بها عن نفسه ، فهي اذن ، في عميق التمحيص وفي محصلة الجدال ، هي هي في الشرق والغرب . والفرق ، كما قلنا ، فرق درجة ليس الا .

كتابنا هذا يبحث مثل هذه المواضيع الحساسة التي لا غنى لكل مثقف ومثقفة ان يفهمها وان يناقشها وان يقول رأيه فيها . وهو لا يقتصر على هذا فحسب ، بل انه يقدم مقدمة غنية بعطاء مدروس ناضج كل النضج ، ليعبر الى دراسة عاجلة ـ لا يشوبها الا التسرع والارتباك في بعض مناحيها ـ عن المرأة طفلة ، ومراهقة ، وزوجة ، واما ، وشيخة . وهكذا فاننا سندرس هذه الفصول ، بجد ، قابسين ما يلزم لاسنادمانقول

فاما فصله الاول « الفروق البيولوجية بين الجسمين » فقد كان ، في رأيي ، خير مدخل علمي سلس البيان ، رشيق الاسلوب ، لمثل هذه الدراسة الجدية التي نفتقد . ولذلك فاني انصح القارىء الاخ انيتأمله مليا ، لا لانه تجسيم لما يقوله العلم ، العلم الحق ، في هذا الحقل ، بل لانه تأكيد للمنهجية العلمية الموضوعية التي يحاول ، موفقا في اكثر الاحايين ، مؤلفنا التزامها .

وللفصل الثاني والثالث قيمة كبرى في عموم تطور الكتاب ، فهما يبحثان المرأة طفلة ومراهقة ، وهل آكد من هاتين الفترتين ـ الطفولة والمراهقة ـ اهمية وتأثيرا على كامل نشاط المرأة وحياتها . يقول الاستاذ سلامه موسى ان الخمس سنين الاولى من حياة الطفل هامة جدا ، فانها تعكس باستجاباتها الشعورية واللاشعورية وبخبرتها ورصيدها الذهني والمعرفي ، ظلها على عموم حياة المرء . وهنا ، فان دراسة مدققةللفصلين تلزمنا لبيان التوفيق الذي عاشه المؤلفه او جانبه احيانا .

يبدأ المؤلف الفصل الثاني بتحليل النظرة العدائية لولادة البنت ، والودية لمجيء الولد فيبين ان الولد يخلد العائلة ، كما انه قادرعلى الاحتراف في مجتمعنا الصغير ، وهو بذلك قادر على اعالة الاسرة وتبييض وجهها امام الملا ، وهكذا فهو محور الاحترام والمحبة بل والعبادة . ويصاحب المؤلف طفلته فيظروف واحوال مختلفة حتى يصل بها الغطام . ثم ينتقل الى مناقشة فرويد مناقشة جدية تعطينا كثيرا من الموضوعية التي نريد (١) . وهنا نرجو القراء ان يشاركونا متعة مناقشة زكريا الموضوعية ولنستمع : « والظاهر ان فرويد حينما ذهب الى القول بان حرمان البنت من القضيب يولد لديها الكثير من الاضطرابات النفسية ، فانه ينسى ان عقلية الطفل ليست منطقية بالقدر الذي يتصوره . وليس ادل على ذلك من ان الطفلة الصغيرة قد ترى عضو التناسل لدى اخيها فتبادر الى القول بانها ايضا كانت تملك شيئا كهذا ، وانه سيكون لديها مثله ، او انها تملك بالفعل شيئا كهذا ، مما يدلنا على ان الوجود والعدم عند الطفل ليسا بصنوين ! وحسبنا ان نلقي نظرة على رسوم الاطفال حتى نتحقق من انهم لا يرون بالفعل ما هو واقعي ، وانما هم يصدرون في اعمالهم عن « نماذج » سابقة قد اختلقوها اختلاقا » (٢) ويخلص الى القول « ان » القضيب لا يرتبط في ذهن الطفلة بأي معنى جنسي ، وانما الملاحظ ان اهتمام البنت بعضو الذكر لا يكاد يتجاوز وظيفته البولية (٣)

ويعالج المؤلف ، ببعض التفصيل المدقق امورا هامة لدى الطفلة كعلاقتها الذهنية والسيكولوجية بالدمية ، وكالنرجسية لديها ، والتمردات الانثوية المبكرة ضد الام والعائلة ، والمثل الاعلى للطفل ، والاسرار ، والصداقة . وهو يقول في الصداقة قولا يجبرنا على التأمل : « ولا يفوتنا ان نشير الى اهمية « الصداقة » في هذا الدور . فان علاقات « ما قبل البلوغ » حينما تتخذ صورة ـ علاقة سادية ـ مازوشية، فانها قد تترك آثارا سيئة في الحياة النفسية للفتاة « المازوشية » على وجه الخصوص . وقد لوحظ ان عجز بعض الفتيات عن مواصلة الدراسة او متابعة نشاطهن العادي ، قد يرجع احيانا الى انشغال الفتاة بعلاقة من هذا القبيل مع فتاة « سادية » . ومثل هذه العلاقات التي تجيء عادة معبوادر «البلوغ» هي التي ستحدد مصيرالفتاة فيمرحلة المراهقة(٤)

على اننا لا نستطيع ان نتفهم المؤلف ، قصدا واستشرافا ، حين يختم فصله الثاني هكذا : « ولعل هذا هو السبب في ان الفتاة قد تكون طيعة محبوبة في المدرسة ، بينما هي قد تكون ثائرة متمردة في المنزل ! وربما كانت كل ثورة البنت على امها انما هي وليدة شعورها الضمنيبان الام هي اقوى رابطة يمكن ان تربطها بالماضي ! » هنا يجانب المؤلف علميته ويروح يتدحرج ـ اجل يتدحرج ـ مع مهوشي علم النفس اللاعلمي واللااجتماعي ، فيفترض الافتراض الخطأ ليستنتج الاستنتاج الخطأ ، مع الاسف . هل الطفلة ـ على ابواب المراهقة ـ تفكر حقا ، هذا التفكير تجاه امها ؟ وهل يحدث هذا في عالم الواقع بالضبط ؟ وما معنى الماضي تجاه طفلة ، كل رصيد عاقلتها انها مدللة وانها محمية وانها محبوبة ؟!

ودراسة المؤلف لموضوع المرأة ـ مراهقة ، دراسة طيبة جدا ، ان قيست بمجموع ما رأينا ودرسنا حتى الان ، بالعربية ، من دراسات في هذا الموضوع . المؤلف موفق هنا جدا حيث يدرس الزينة لدى المراهقة،

١) لدي دراسة ومناقشة لنظرية فرويد في الجنس ، لعلي استطيع ان اقدمها ، مستقلة ، الى مجلة «الاديب» الغراء .

٢) انظر ص ٣٨ـ٣٩ ٣) انظر ص ٤٢

والذاتية ، والانوثة ، والحب . وهو في الحب والتربية الجنسية ينصح بضرورة المصارحة لان « تجربة الحب » هي مما قد تعجز عن صوغه الكلمات ، لاننا هنا ـ كما تقول سيمون دي بوفوار ـ بصدد تجربة حية لا يفهمها الا من يعيشها !» (٥) ويأتي الى الصداقة بين المراهقات، فالتمرد لدى المراهقة حيث يحلل بعلمية تستحق الاحترام اسباب ذلك فيقول : « حقا ان الفتاة في هذه المرحلة تنزع الى الاستقلال ، ولكن هذه الرغبة كثيرا ما تكون مقترنة بالشعور بالجزع وعدم الاطمئنان ... وربما كانت الخاصية الرئيسية التي تميز مرحلة المراهقة المبكرة هي القابلية الشديدة للتهيج النفسي ، مع الرغبة الحادة في التصريف الحركي ، ولو ان الحوافز الجنسية في بادىء الامر قد لا تكون واضحة صريحة .» (٦)

وحين يصل المؤلف الى قضية التقليد لدى المراهقات ، يشبعها بحثا ليتوصل بعد ذلك الى مناقشة ثانية مركزة «للموقف الاوديبي» كما رآه فرويد .

ويركز بتدقيق موضوعي على قضية « الحيض » وما يولده من صراع نفسي وقلق . ثم ينتقل الى الظواهر الرئيسية في عالم المراهقات وهي « التقمص » و « النرجسية » و « الانفصامية » وما تبعث من احلام روما نتيكية واستجابات وتمثلات « للانا » .

لكنه يمر سريعا على ظواهر اخرى كالمثل العليا للمراهقة واسباب نشاطاتها البناءة او الهدامة في هذه الاونة ، وكاللجوء الى الدموع ، والمبالغة في الخجل والتستر ، والحب الانثوي المتبادل . وهذا ما نسجله عليه لاهميته وتعلقه العضوي بكامل الدراسة وبالفعل ذاته .

اما معالجته ـ للمرأة الانثى ـ والايديولوجية المتطورة المحيكة حولها من انها « لغز » وان « الزواج هو المستقبل الاعظم للمرأة » ، فانها موفقة حقا . اسمعه يقول « وليس الزواج بالنسبة الى الفتاة مجرد حياة آمنة تحلم فيها بالطمانينة في ظل الرجل ، وانما هو ايضا السبيل الوحيد الذي يمكن عن طريقه ان تصل الى تحقيق كرامتها الاجتماعية باعتبارها زوجا واما » (٧) . أليس في هذا القول اكبر القدر من الصحة والصواب ؟ وهل تغيرت مثل المرأة الانثى لدينا او حادت عن هذا التحديد ذاته ؟!

على انه يتقمص الحقيقة العلمية الموضوعية حين يقرر بعد مناقشة طويلة : « واذا كانت نقطة البدء بالنسبة الى الشاب ليست من الصعوبة بمكان ، فذلك لانه ليس ثمة تعارض بين رسالته باعتباره انسانا وبين واجبه باعتباره رجلا . واما بالنسبة الى الفتاة ، فان الامر على خلاف ذلك ، لان ثمة هوة عميقة غير معبورة بين موقفها باعتبارها كائنا بشريا ، وبين رسالتها باعتبارها « امرأة » . وليس هذا التعارض وليد واقعة بيولوجية او تكوين طبيعي ، بل هو وليد تحكم صناعي اريد به للمرأة ان تكون كائنا ثانويا لا يعترف له بالحرية او الاستقلال او الفاعلية(٨) ويتابع فيقول ، والواقع ان المجتمع لا يفرض على الفتاة ان تتجمل ، وتتزين فحسب ، بل هو يضطرها ايضا الى ان تحد من تلقائيتها ، وان تستعيض عن ارجاعها الطبيعية برشاقة مصطنعة وجاذبية متكلفة، تلقنها للفتاة شرذمة من النساء اللائي يقمن بتربيتها وتوجيهها (٩) الحق ان المؤلف هنا يتفق مع الحقيقة التي بدأنا بها دراستنا النقدية هذه ، ويؤكد ـ تأكيد العلم المتطور المتفاعل مع الحقائق الظاهرة والباطنة ـ ان المرأة في المجتمع الاستقلالي لم تتحرر حقا ولم تتطور الا في الدرجة (١٠)

٤) ص ٦٠ ٥) ص ٦٨ ٦) ص ٧١

٧) ص ٩٢ ٨) ص ٩٤ ٩) ص ٩٤

١٠) في دراستنا المخطوطة : « المرأة بين الانثوية والانسانية » تفصيل شاف لهذا الموضوع ..

الى هنا ونحن قد قدمنا للقراء خمسا وتسعين صفحة ـ هي ثلاثة فصول من كتابنا هذا ـ وما دام الكتاب سخيا بمعطيات دفاقة من الحقائق العلمية والتوجيهات الضرورية ، فاننا لا نستطيع الا ان نختم تقديمنا ، هنا ، مع العهد اننا سنتابع الدراسة ، هذه ، في جزء « الاديب » القادم .

بغداد — جليل كمال الدين

نفوس جديدة

لشاكر السعيد ـ مجموعة قصص ـ ١٤٠ صفحة ـ مطبعة الشباب ببغداد

●

من الساعات التي لا انساها في حياتي يوم جاءني شاكر ـ ونحن بعد شبان صغار في الصف الثالث الثانوي ـ يسالني الرأي في ان يقدم بعض انتاجه الى المطبعة . فقلت له ان يتريث فليس الامر بهذه السهولة . وقد يكون ما قلته في ذلك الحين ناشىء عن حسد وغيرة ولكنه يمثل جزءا من الواقع ، والظاهر ان شاكر قد قبل النصيحة وانزوى في قوقعته الادبية حتى خرج علينا بعد سنوات ثلاث بانتاج قصصي متدفق

ثم جاء يوم اصبح شاكر فيه ـ بالاضافة الى دراسته الجامعية ـ محررا في جريدة الحرية ، وجاء يوم اخر فاذا به يجلس على منبر الوعظ ليعظني ويدلني على اخطائي في قصصي . ثم جاء يوم اخر فاذا به يسالني ان انقد كتابه الذي اخرجه حديثا .. « نفوس جديدة »

كتب المقدمة والد المؤلف الاستاذ محمد حسين السعيد وكان موفقا في تقديم نجله الى القراء يلوح عليه السرور بما انتجه ولده الاديب وان كان مصحوبا بالنصح والارشاد والاشفاق .

ويروعني في اهدائه ان اجده يقول « وفي كتابي هذا احاول ان احقق امرا ضروريا ، احاول ان ارضي جميع الميول ، وقد لا يغيب عن بالنا ان مجتمعنا غاص بالناس من جميع الطبقات وجميع الاشكال وكل فئة لها ذوقها الخاص » .

ما يعنيك من الناس يا اخي شاكر .. هل انت بائع بضاعة عادية رديئة بالتسجيل .. تراها انت اولا ثم يراها الناس بعد ذلك . تحاول ارضاء الجميع ؟ لا ينبغي ان تكتب الا اذا واتتك فكرة ما تراها

والقصة الاولى من المجموعة واسمها « التامل الحزين » تشرح لنا باسهاب « الحب » ولكن من زاوية خاصة زاوية الشاب الفنان الذي احب فتاة صادفها طويلا على النهر وبادلته هي الوجد ايضا ولكن ببأس لاصابتها بالسل الملعون ... وقد احسن شاكر عندما اخفى الحقيقة عن القارىء الى اخر القصة عندما يعود البطل من الخارج بعد اكماله دراسته فينتظرها على الشاطىء ويصادف اخاها الصغير الذي يعطيه رسالة منها كتبتها قبل ان تموت ولكنه يصدمنا بالحقيقة فجاة . الحقيقة التي يستقيها البطل « صلاح » من لسان احد النوتية في النهر .. لقد قال له هذا انها ماتت ... فمن اين علم بذلك .. لا ندري !!

اما قصة « فكرة » فيقول المؤلف انه قد صاغها بـ « تكنيك » جديد وقد تعب فيها كثيرا فاقول له ان كان يعني بالتكنيك انه قد اسهب طويلا وراح وجاء في فكرة مطروقة كثيرا . فكرة الصراف الذي يسرق اموال شركته لخسارته في لعب الميسر فقد اصاب في ذلك ... وعلى اية

حال فلا يسعني ان انكر بان المؤلف قد جعلنا نحبس انفاسنا عندما وجدنا الصراف يقع – في نهاية القصة – بيد حسن حارس الشركة بعد اتمامه جريمته وهو بهذا يحقق الايجابية في قصته فلا بد للمجرم من عقاب مهما كانت ظروف جريمته واسبابها ...

وفي قصة « مظاهر كذابة » نجد السلبية في اجلى مظاهرها.. حسون عامل مطرود من الشركة بسبب همسة قالها لاحد العمال بان عليهم ان يسعوا لرفع اجورهم .. لقد صور لنا الاخ شاكر عمالنا بحالة نفسية منحطة واستنتجنا بصورة غير مباشرة بان هذا العامل قد ذهب ليخبر مدير الشركة الاجنبي بان حسون مشاغب فكانت النتيجة الطرد والجوع ثم اخيرا السجن بعد ان لفق له المدير تهمة الاعتداء عليه ، على كل فقد تخلل القصة وصف صادق لحالة حسون من جوع وافلاس وما نتج عنهما من مشاكل مضافا اليها الشعور بالظلم .. لقد ابدع شاكر في قصته هذه .

اما « صوت من مراكش » فقد ادى فيها المؤلف ما يؤديه كل اديب حر يشعر بشعور اخوانه في العروبة ويحس بأحاسيسهم وكفاحهم لاجل حريتهم السليبة وكم يعجبني ان اردد مع بطل القصة وهو في ساحة الموت « كلما قتلتم وكلما ظلمتم فان الحق لا بد ان ينتصر وان الاستقلال لا بد وان يعلن في هذه البلاد » .. شيء واحد فقط اعيبه على شاكر في قصته هذه ... موقف ام البطل الثائر وهي تبكي عندما عذبوه ... لا ينبغي ان نصور امهات ابطالنا في المغرب العربي على هذا الشكل المزري الضعيف المتخاذل .

اما قصة « حلم قصير » فيبدو ان شاكر اراد ان يرضي بها طائفة المراهقين .. كتبها المؤلف في اربع عشرة صفحة واستطيع ان الخصها في اقل من اربع عشرة كلمة « يحبها وتحبه ويتعاهدان على الوفاء ثم تخون وتتزوج غيره » ولكنها قصة واقعية تحدث في كل مكان من مجتمعنا الشرقي فان الفتاة لا تستطيع الانتظار او ان اهلها لا يدعونها تنتظر او تختار بنفسها شريك حياتها والسبب هو جو الانفصال الفكري الذي يعيشه شبابنا عن والديهم وعدم وجود الحرية والجراة الكافيتين فلو ان بطل القصة قد اخبر والده انه يحب ليلى ولو ان ليلى رفضت الزواج بمن زوجوها به .. واخيرا لو كان ليلى وفتاها يعلمان بان والديهما سيتسع صدراهما لما ترددا . ولكن كلمة « لو » هنا لا محل لها فلا بد ان يقع ما وقع ولا بد ان تنتهي القصة على هذه الصورة .

اما قصة « خزعل » فوصف جميل لاحاسيس حارس ليلى هرم وتحليل لمشاعره فهو صادق عندما يمر به الناس على اختلاف طبقاتهم واعمارهم . غير ان شاكر ينهيها نهاية مستغربة ، فبعد ان يقوم خزعل بمطاردة احد اللصوص ثم يقتله – ولا ارى هنا مبررا للقتل – يحس بان عمل الحراسة عمل قذر ... قد نعذر خزعل لحالته النفسانية المضطربة بعد قتله احد الناس ولكننا لا نعذر المؤلف لجريه على طريقة يوسف وهبي بقتله اللص ثم وضع تلك الجملة التمثيلية على لسان خزعل « الحراسة عمل قذر » .. ليست الحراسة عملا قذرا يا اخي شاكر فلولا الحارس الموجود قرب بيتكم ليلا لما نمت قرير العين ناعمها .

اما القصة الاخيرة « لقاء في لونابارك » فهي قصة شخص آمن بالحب في فترة من فترات حياته .. فترة المراهقة التي يصر المؤلف ان يكون فيها كل شيء ثم كفر بالحب عندما صدمته الحياة وام الحبيبة

لقد غابت عنه الفتاة خمسة اعوام .. هكذا فجاة .. ثم وجدها فجاة .. اعتقد بان شاكر قد كتب هذه القصة .. فجاة بعد ان ملاها بهذه المفاجئات .

واخيرا قد اكون قسوت على اخي وصديقي شاكر في نقدي لمجموعته ولكني اعتقد انه نقد في سبيل البناء لا الهدم . فانا اعتز بشاكر وانتظر منه اروع مما قدمه فان له القابلية على ذلك وله القدرة على التحليل والوصف .. ومرة اخرى .. سالتقي مع شاكر في مجموعته الجديدة التي ستصدر قريبا ان شاء الله وساجده قد قدم للمعجبين به – وانا منهم – شيئا اروع من « نفوسه الجديدة » التي قضيت معها سويعات لطيفة .. مع كيوبيد ومكائده .. مع العامل والثائر والفنان.. مع الانسان .

بغداد — باسم عبد الحميد حمودي

يا ليل !

لخير الدين الاسدي – ١٤٠ صفحة – [طبع ؟]

●

نحن الان امام كتاب جديد ، عنوانه « يا ليل ... »

ولا نظن ان بين الناطقين بالضاد ، حتى وبين غير الناطقين بالضاد من لم يسمع لفظة « يا ليل » ومرادفها « يا عين » فهي تكاد تكون من الغناء العربي بمثابة الروح من الجسد .

فما هو تاريخ هذه الكلمة ؟ وما هو مصدرها ؟ ثم ما هي التطورات التي طرات عليها ؟ واخيرا ما هي اجتهادات بعضهم وتعليقات بعضهم الاخر عليها ؟

فمن قائل انها من الليل ، ومن قائل اخر انها مناجاة لعالم الليل .

ومن قائل انها من « يا ليلى » وهو نداء اسم علم انثوي .

ومن قائل ان تاريخها يعود الى عصر الاندلس ، حيث يوجد « وادي الليل » وهو لكثافة اشجاره يكاد يتساوى فيه الليل والنهار . وبما انه كان مجمع السمار ، راح المغنون – بعد تقلص الحكم العربي في الاندلس – يرددون اسمه اي : « يا ليل » تخليدا لذكرى ايامه .

ومن قائل انها من « هللويه » العبرية ، وهي بمعنى « سبحوا الله »

ومن قائل انها من اصل تركي ، وان اول من رددها هو عبد القادر المراغي نديم السلطان في احدى موشحاته .

ومن قائل انها اسم لصنم عند العرب يرمز الى اله الحب والجمال ، جريا على عادة آلهة اليونان وغيرهم .

الى غير ذلك من المزاعم والاقاويل الكثيرة ، التي يزعمها ويؤولها الناس وفق اهوائهم ، وحسب ما توحيه اليهم مخيلاتهم وافكارهم ...

ولكن هل تظل محكمة التحقيق العلمي المجرد ، تتقاذفها امواج هذه المزاعم والاقاويل ؟ والى متى ؟...

لا بد لها من دحض كل ما لا يستند الى حقائق علمية صحيحة ، ولا بد لها من ان تظهر اصل عبارة « يا ليل » ومنشؤها وتاريخها وكل ما يتعلق بها .

وهنا يلج المعركة ابن هذا الميدان البار ، الاستاذ خير الدين الاسدي، الذي ما عرف التحقيق العلمي ، عندنا ، أطول منه نفسا ، ولا أداب سعيا، ولا أعمق تحقيقا ، وراح يشد الرحال الى مختلف انحاء ارض الله الواسعة، يسأل كل عالم ، ويحقق مع كل موسيقي ومطرب ، ويناقش كل مؤرخ وكاتب ، من كل طبقة ومن كل طائفة .

ولم يكتف بمئات الناس الذين اتصل بهم وسالهم عن « يا ليل »، بل ظل مثابرا على البحث والتنقيب عنها في بطون الكتب والمخطوطات والمجلات العلمية والادبية واللغوية ، بما في ذلك العربية والاجنبية ،حتى بلغ عدد مصادر البحث عن « يا ليل » اكثر من ٩٠ مصدرا .

ولا اعتقد ان هناك من يقوم بما قام به محققنا الاستاذ الاسدي ، فقد ظل يحقق من اجل هذا البحث مدة عشرين عاما حتى ظفر بمبتغاه ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحقق لعاشق الليل مناه ، وقدم لقراء العربية عامة ، ولمن ما فتئوا ينادون الليل خاصة ، جهد تلك الاعوام الطوال ، وكفاهم مؤونة البحث والسؤال عن « يا ليل » وبذلك قضى على تكهنات المتكهنين ، ووضع رأيا جديدا سديدا امام جمهرة الباحثين والمدققين .

وهكذا يشعر القارىء ـ وهو يطالع الـ ١٤٠ صفحة من كتاب « يا ليل » بورقه الجيد الممتاز وبطباعته الانيقة النظيفة ـ انه امام بحث يجمع الى تحقيق العلم طرافة البحث ولذة الموضوع الذي ينقلك من مذهب الى مذهب ، ومن حكاية الى حكاية عن يا ليل ، فيطيب لك الاستمرار فتستمر وتستمر ، حتى تصل اخيرا الى مذهب محققنا الاستاذ الاسدي فتشعر انك امام محكمة عادلة اصدرت حكمها العادل على هذا « الليل » المسكين .

فقالت ـ نقلا عن أقدم واوثق وثيقة مكتوبة في مخطوط « تاريخ الموسيقى العربية » لهنري فارمر ـ : تحدثنا نقوش أشور بانيبال « في القرن السابع قبل الميلاد » ان اسرى العرب كانوا يمضون ساعاتهم في اغاني « الياي Alili » ويتلهون بموسيقى نينجوتي ، فيدهش الاشوريون ويطلبون الزيادة منها .

اما معنى « أليلي » فيقول الاستاذ الاسدي انها لا تعدو احد أمرين :

ـ اما آشورية لانها جاءت في مصدر اشوري ـ وقالوها وان كانوا عربا ـ جروا في اطلاقها على لغة اشور .

ـ واما عربية لان قائليها عرب .

ثم يناقش الاستاذ الاسدي كلمة « اليلي »وتأويلاتها في كلا الاشورية والعربية ، واخيرا يقول : انها سامية وهي تحريف كلمة « الي » أي « الهي » والال معناها : الله . وفي حديث ابي بكر الصديق ـ لما تلي عليه سجع مسيلمة : ان هذا لشيء ما جاء من ال ولابر .

وقال المعري : واعبد الك ودع ما سواه . أي : اعبد ربك .

وذكر ابن جني في المحتسب : الال بالنبطية اسم الله .

وعلى هذا ـ كما يقول محققنا ـ فالتغني بالله ، او قل رفع الصوت بنغم في مناداة القوة القاهرة في شتى ظروف الحياة امر طبيعي ومعهود .

ثم استفاضت كلمة « أليلي » وتقلبت وتبدلت وظلت تطوي الدهور والعصور حتى يومنا هذا ، بعد ان ابدلت قبعتها الاشورية بالعقال العربي ، فكانت « يا ليلي » . وعلى هذا تكون « يا ليلي » سامية الاصل عربية المنبت يعود تاريخها الى ٢٧ قرنا خلت .

هذا غيض من فيض مما استطاع صديقنا العلامة المحقق الاستاذ الاسدي ان يصل اليه عن « يا ليل » فنحن نبثه جزيل الشكر والامتنان لما قدمه الى قراء العربية من حقائق مدعومة بامتن البراهين العلمية والتاريخية .

حلب — عبد القادر النجار

اللحن الثائر

لجليلة رضا ـ شعر ـ ١٤٦ صفحة ـ الغلاف والرسوم الداخلية بريشة طلعت المصري ـ منشورات الشركة العربية بالقاهرة ـ طبع دار مصر للطباعة

●

يمثل ديوان جليلة رضا « اللحن الثائر » صورا فنية رفيعة ، نابضة بالحياة والقوة والجمال ويمثل مع ذلك جوانب من حياة الشاعرة المتعددة الالوان خير تمثيل . يمثل قصة حيرتها ، وقصة حياتها ، وعواطفها الوطنية ، وجانب الحرمان في حياتها ، ابلغ تصوير .

لقد عشت مع « اللحن الثائر » اوقاتا طويلة ، لكنها جميلة ، اوقاتا لم أشعر فيها بالسأم ، كنت اصاحب فيها الشاعرة ، استشف ما وراء شعرها الحالم الجميل ، واستعيد صدى ذكرياتها الحلوة في نفسي ، هذا الصدى الذي هو ولا شك دوي حياة عاصفة حافلة بالالم والوحدة والحنين ، ومن منا يمل قراءة جليلة في قصائدها الموشاة بعاطفة حرة متقدة طليقة ، تكره القيود والسدود ، وتندفع كالنهر المنطلق ، وكاللحن الثائر ، وكالطير المحوم في السماء ، وكالروح الهائمة في الفضاء ؟

ومن منا لم يعش في العامين الماضيين مع الشاعرة في احلامها المتوهجة ، منذ ظهر ديوانها الاول « اللحن الباكي » ثم ديوانها الثاني « اللحن الثائر » لحظات تطول او تقصر ، يقرأ حيرة الشاعرة ، وقصتها الغامضة ، قصة اليأس المض ، والقلب الدامي ، والاهات الدفينة ، ومجاعات الروح الحزينة ، التي تقصها الشاعرة في قصيدتها « مع الريح » ، قصة الشك والقلق والحيرة التي يعقبها التمرد والثورة ، مما تصوره الشاعرة في قصيدتها « اللحن الثائر » التي تقول في مطلعها :

يا رب اني سرت في امسي على درب عسير
وتلفتت عيناي بين الناس في قلق مثير
وعلى الطريق تسمرت قدماي من تعب المسير
فلقت ضللت ، ضللت واختلطت على عقلي الامور

وتما تصوره كذلك في قصيدتها « ثورة قلب » حين تقول في ساعة الهدوء الذي يسبق العاصفة :

علام الشك يا قلبي علام الخوف والوجل
وهذي الزفرة الحرى وهذا الضيق والملل
وتلك القصة الكبرى واسطورة الامك
الا تطوى ، الا تنسى وتمحو طيف اوهامك

قصة الحرمان الذي ينطق به كثير من قصائد الديوان ، ويتمثل في العديد من الصور الوجدانية ، الغنية بالالوان والمشاعر الغنية الجميلة ، مما نراه في قصيدة « لذة الخطر » التي تقول الشاعرة في مطلعها :

اود ان اكون بحارا على سفينة

وتسترسل في تأملاتها واحلامها الى ان تقول :

لكنني في خلوتي بالموجة المرتعدة
سيمصف الجوع بروحي بعد هذا الشبع
ساحضن المجهول في رياحه المعربدة
واعبر الاهوال في اقصى مداها والفزع

ومما نلمسه في قصيدتها « مع الريح » حين تقول في مناجاتها للريح :

سوف تلقينني وليلي وصمتي ومجاعات روحي المحزونة

وشعر الحرمان يتلاقى مع الفن الغنائي الوجداني في الديوان ، هذا الذي تمثله قصيدة « أيام تمر » تمثيلا قويا واضحا .

وتنتهي الحيرة والقلق والثورة والحرمان بالشاعرة الى فلسفة الجمع بين التشاؤم والتفاؤل ، بين الموت والحياة ، بين الحزن والامل مما تصوره الشاعرة في قصيدتها « هواجس » فتقول :

اني اريد ان اموت كي ارى وجه الفناء
لكي اغير الوجوه والدروب والضياء
لكي اضم في يدي سوى هذا الهواء
اريد ان اضحك حتى اذ بقلبي ينفجر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اريد ان ابكي فتستغني الربى عن المطر
ان اسأل الاله ما جدوى السماء للنظر
اريد ان احس ، ان اعيش ، ان اصير .. ان
اريد يوما واحدا يحوي الوجود والزمن

وهكذا تريد الموت ، لكنها تريد الحياة ، وهذه الفلسفة الحائرة المترددة هي نفسها التي تظهر لنا في قصيدة « الرحيل » التي تقول فيها الشاعرة :

عندما ارحل عن هذا الوجود فتعالوا
واملاوا قبري ضجيجا ورعودا لا تبالوا
وانفضوا اللهفة عنكم والهوان لفراقي
ربما اصحو اذا ذقت الحنان يا رفاقي
لا تقولوا انها كانت وكانت كالرواية
ها انا مت ، وها روحي استكانت في النهاية

فاذا تركنا هذه القصة اللذيذة الغامضة الحائرة التي تجمع بين فلسفة الضحك والدموع كما يصورها الديوان ، وجدنا حياة الشاعرة كذلك مصورة تصويرا رائعا جميلا فتانا في قصائد اخرى ، هي ذوب شاعريتها ، وحنين مهجتها ، وانسكاب دموعها ، وجدنا قصة حياتها الانسانية ، التي تبدأ من ميلادها الى الساعة التي هي فيها ، واضحة كل الوضوح في شعرها التأثري الجميل ، السابح مع الاحلام والرؤى والاطياف والاماني البعيدة .

ففي قصيدتها « أمي » تسجل الشاعرة حياتها البعيدة قبل ان تولد، قبل ان ترى عينها الحياة ، وتقص القصة من بدئها لختامها فتقول :

لفظة ضاعت على ثغري ومن سمعي صداها
وخيالات نعيم أين من عيني رؤاها
كيف أنسى طيفها الحلو على مر السنين
كيف انسى وهي افراح حياتي وشجوني

وتروي ذكريات امها الجميلة ، ثم تمضي في حكايتها والهامها فتقول : آه أمي :

ها هو الموكب يمضي في صراع ونضال
غير اني لست انساك على مر الليالي
انت لي عهد تولى لم أكن احمل فخره
فاذا ما صرت اما رحت استوفيه قدره

وفي قصيدتها « ساعة مولدي » نجد صورا انيقة ، تصف بها الشاعرة لحظات ميلادها وفرح امها بها ، وحزن والدها ، الذي وهبه القدر بنتا ، ولم يهبه ولدا :

بنت الهي وما ارجو سوى ولد
يا وصمة في دمي ، يا ذلة العار

وتقول الشاعرة في نهايتها :

في معصمي قيود البؤس خالدة
والطوق في عنقي أشدو باشعاري

وفي قصيدتها « امي حواء » نقرأ صورة للشاعرة في طفولتها تعبر اجمل تعبير عن جوانب من حياتها الاولى. وقصيدة «ذكريات الطفولة» تمثل الشاعرة في ذكرياتها ، وفي شاعريتها ، أبدع تمثيل ، وتحكي مرح طفولتها في « الغشن » ، في صور انيقة ساحرة ، وفي نهايتها تقول الشاعرة :

لماذا نقبر الذكرى ونخفي سر ماضينا
هما غامان يا اختي سعدنا فيهما حينا
هما عمر لنا ولى به ولت امانينا

وهناك قصيدتان اخريان تكادان ان تكونا اهم حدث ادبي في حياة الشاعرة الفنية :

اولاها قصيدتها « معجزات القرآن » التي استمدتها من وحي ابنها المريض ، والتي تحكي لنا تجربة شعورية قاسية جياشة ، صورتها الشاعرة أرفع تصوير ، وتكاد القصيدة تكون من ابلغ ما نظمته الشاعرة ، وفي مطلعها تقول :

هي ليلة مرت علي كأنها عام وعام
الكون فيها كان أخلد للسكون وللظلام
والبرد ، البرد المفزع ، كان يمتص العظام
لكنما نام الجميع ، ولم ازل انا والغلام
يقظين لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام

واترك صور باقي هذه القصيدة ، ليقرأها من يحب ان يطلع على ملحمة فنية رفيعة ، تعد من ابلغ الصور في شعرنا المعاصر .

والقصيدة الاخرى ، « ثورة على الشعراء » التي تستهلها الشاعرة بقولها :

يا معشر الشعراء أنختم فؤادي بالجراح

ثم تقول :

فلسوف أمضي ، سوف اوغل ، سوف أعبر ذكرياتي
ولسوف أتركها لكم عبر السنين الآتيات
وهناك في كهف السنين ، وفي سراديب الحياة
سأضم أجنحتي التي سأرتوي من نبع ذاتي
هيهات ارجع من جديد للاماني الكاذبات

هاتان القصيدتان معرض فني كامل ، ولوحتان من خير ما رسمه مصور شاعر .

وبجانب هذه الالوان من شعر الشاعرة جليلة رضا ، نجد شعر الكفاح الوطني ، يصوره الديوان خير تصوير في قصائد متحررة طليقة قوية ثائرة ، من مثل : وطني ، وبورسعيد ، وشعب مصر ، وذكريات عيد الجلاء ، وعادت القناة ، و « من القلب » التي تتحدث فيها عن فلسطين الوطن العربي الجريح ، وهي مهداة من مصر الى شقيقتها فلسطين .

ويمثل هذا الجانب من شعر الديوان قصيدة « عادت القناة » التي تقول الشاعرة فيها في موسيقى رائعة :

أمنـاها أمنـاها رغم التهديدات المرة
بدمي ، بدماك حفرناها هي جزء من مصر الحرة
سندافع عنها لن نألو بالدم حتى اخر قطرة

هذا كله الى جانب قصيدتها : دعونا ، وافخري يا مصر ، اللتان تمثلان الفتاة المصرية والعربية وقد انطلقت متحررة ، الى الكفاح والسلاح.

والى جانب شعرها الوجداني الثري بالالوان والصور والتجارب الشعرية ، والتي تعبر عنه كما قلنا قصيدة « ايام تمر » تعبيرا قويا من الجانب الفني .

وفي ضجة الحياة والعواطف والصور والالوان تعود الشاعرة الى البحث عن نفسها في قصيدتها « أين هي ؟ » . والى البحث عن الطمأنينة في قصيدة لها بهذا الاسم وتقول منها :

واحيرتي بالشعور آونة وشقوتي بازدحام تفكيري

هذه هي الجوانب العديدة لشعر الشاعرة المصرية الموهوبة الاصيلة « جليلة رضا » في ديوانها « اللحن الثائر » هذا الديوان الجميل الذي يعد من اجمل الدواوين التي ظهرت في مصر ابان الاحداث الماضية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واظهر خصائص شاعرية جليلة رضا في هذا الديوان : صدق العاطفة ، وقوة التجربة الشعرية ، ومصرية البوح ، وذاتية التعبير .

ويمتاز شعرها بهذه الرمزية الشفافة التي تلف صور الشاعرة في وشي مصنوع لا يعوزه في بعض الاحيان جمال الطبع وروحه . وجليلة من مدرسة الرومانسيين التي تختط في الشعر المصري صورا وأخيلة ومعاني وموسيقى ، فيها الوان من الطرافة احيانا ، واحيانا اخرى تخونهم قوة الروح وسمو الشاعرية ، وجمال التصوير التعبيري .

وقد تاثرت الشاعرة « بناجي » في صوره الشعرية الاصيلة ، كما تاثرت بعض التاثر « برامي » الذي ينتظم الديوان قصيدة نظمتها الشاعرة تمجيدا لفنه .

ويكاد شعر جليلة ان يكون مصريا خالص السمات في مصريته ، مستقل الشخصية ، ذاتي التعبير . تقول الشاعرة في اخر قصيدة من قصائد الديوان ، عنوانها « شعري » ، التي وصفت فيها ديوانها الجديد « اللحن الثائر » تقول :

انه شعري من عامين فوق الدرب يمضي
يعبر الظلمة والنور وآفاقي وارضي
جائعا يقتات من فكري ويروي من شعوري
حاملا معطف بردي ومظلات هجيري

ثم تقول مكملة لصورة رسمتها لشعرها ، هي صورة تلميذ يطوي الدرب حرا يوم عطلة ، تقول :

لا تلوموه اذا اخطأ في السير وضلا
فهو لم يمش على رجع صدى ، بل مستقلا

وبعد ، فنحن امام شاعرة مصرية موهوبة ، تخط في سفر جهاد المراة العربية الثقافي والادبي والفني صفحات جليلة سوف تخلد بقيمتها الانسانية والفكرية ، وبجمالها التعبيري الفني ، وسوف ترويها الاجيال مع الصفحات التي خطتها عائشة التيمورية ، وملك حفني ناصف ومي ، والتي تخطها جميلة العلايلي ، وصفية ابو شادي ، وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وسواهن من شاعرات العالم العربي الموهوبات ، ومن اديباتنا المكافحات من امثال : بنت الشاطىء ، وسهير القلماوي وامينة السعيد ، وسلوى الحوماني ووداد سكاكيني ودعد الكيالي .

ان جليلة رضا رجع صدى مصر الشاعرة وهي لحن جديد جميل احب الناس سماعه من فوق منبر « رابطة الادب الحديث » وسيسمعونه دائما فياضا بالقوة والجمال والحنان وسمو التعبير ، لانه من صوت مصر في عهد تمردها وانطلاقتها وطموح شعبها الى المجد ، الى القوة ، الى الحرية والكفاح .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي



في كلمات ...

● وضع مجلس الابحاث الطبية البريطاني تقريرا جاء فيه ان التدخين ـ وخصوصا تدخين السجاير ـ يبدو انه السبب الرئيسي في سرطان الرئة . ويشير التقرير الى الزيادة الكبيرة في معدل الوفاة من سرطان الرئة في بريطانيا والبلدان العالمية الاخرى في الاعوام الاخيرة . وذكر انه بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٥ قد تضاعف معدل الوفيات .

● قررت الحكومة البريطانية شن حملة دعاية في بريطانيا ، لتحذير الناس من اخطار السرطان بالتدخين . وهذه هي اول مرة تتبنى فيها حكومة محترمة مثل هذه الحملة ، على اساس علمي لذلك أحدث النبأ ضجة في العالم

وقد استندت الحكومة البريطانية في قرارها الى تقرير وضعته « مجلة الاستقصاء الطبي » بعد دراسات استغرقت عدة سنوات ، وفي ما يلي بعض الحقائق التي اذاعها المجلس :

ـ سرطان الرئة يضرب واحدا بين كل ثمانية مدخنين ، في حين لا يصيب الا واحدا من ٢٠٠ من غير المدخنين .

ـ سرطان الرئة مسؤول عن ٦ بالمئة من جميع الوفيات ، أي بمعدل ١ من ١٨ . ولكن بين الرجال الذين تتراوح اعمارهم بين ٤٥ و٦٤ سنة ، تتصاعد النسبة الى ١ من ٩

ـ في سنة ١٩٥٥ بلغ عدد الرجال الذين ماتوا بسرطان الرئة في انكلترا بين سن الـ ٤٥ و٦٤ سنة ٨٢٣٢ شخصا، وعدد النساء ١٠٨٥

ـ في العام ١٩٥٦ بلغ العدد ذاته ١٥٦١٥ رجلا و٢٥٧٠ امرأة .

ـ اكثر الذين ماتوا بسرطان الرئة كانوا من المدخنين .

ـ ان المجلس يلاحظ هذا التزاوج بين التدخين وتضخم ارقام الوفيات ، ولا يستطيع الا ان يلفت الانظار اليه ، والبحث العلمي لم يكشف أي مبرر له حتى الان الا التدخين ذاته

وقد تولى وكيل وزارة الداخلية البريطانية المستر جون فوغان مورغان تلاوة التقرير امام ممثلي الصحافة واضاف اليه البيان التالي :

« ان الحكومة تشعر ان واجبها هو اطلاع الرأي العام على اخر رأي مهني محترم في الموضوع ، لكي يعرف كل مواطن الاخطار التي يتعرض اليها عن طريق التدخين . وبعد ذلك فالمواطن حر في تقدير هذه الاخطار ، وتقرير مسلكه كما يراه مناسبا له » .

● صرح متحدث بلسان صناعة التبغ الاميركية بان التقرير الوارد من لندن والقائل ان التبغ ولا سيما اللفائف ، يسبب سرطان الرئة يحتاج الى دراسة مطولة . واضاف المتحدث بلسان لجنة الابحاث التابعة لصناعة التبغ يقول ان النتائج التي توصل اليها مجلس الابحاث الطبية البريطاني تمثل الاراء المتعلقة بنظرية السبب والنتيجة والتي لم تؤكدها التجارب العلمية والتي ما تزال لغزا علميا

● ظهرت الصحف اللندنية مليئة بالنصائح الموجهة الى البريطانيين بالكف عن التدخين . ومن وسائل العلاج التي عرضتها الصحف ، مضغ النبات المعروف بكبش القرنفل واكل الزنجبيل ، او مسح اللسان بقضيب يحتوي نترات الفضة بعد تناول الطعام .

وقد حدث هبوط في مبيعات التبغ اذ بادر الكثيرون الى شراء العلكة او الحلويات لصد اللهفة الى التدخين . وذكر الكيماويون ان تجارة المواد المضادة للتدخين قد نشطت ، بيد ان بائعي التبغ قالوا بعد حين ان مبيعاتهم عادت الى الارتفاع .

● يقول البروفسور ويندل ستانلي، العالم الاميركي الفائز بجائزة نوبل ، ان هناك انواعا معينة من الجراثيم سيتم عزلها لاستخدامها في مكافحة مرض السرطان .

ويضيف البروفسور ستانلي قائلا ان انواعا معينة من الجراثيم تهاجم الخلايا السرطانية وتدمرها ، ولهذا فان الخطوة الحاسمة التالية هي عزل الجرثومة التي تقضي على الخلايا الخبيثة دون ان تؤثر على الخلايا السليمة .

وقد كشف البروفسور ويندل امر هذا الاكتشاف العظيم في اجتماع عقد في النداو بالمانيا الغربية وحضره عدد من الفائزين بجائزة نوبل

● ذكرت الصحف البريطانية والفرنسية ووكالات الانباء العالمية ان رجلا يدعى جون داي وله من العمر ٤٨ عاما كان قد حكم عليه بالموت في خلال عام واحد لاصابته بالسرطان الخبيث في معدته . وقبل ان تنتهي المدة المحددة لموته ذهب الى مدينة لورد الفرنسية حيث دعا مريم العذراء لتخليصه من دائه الوبيل القاتل . وحدثت الاعجوبة وشفي الرجل من السرطان وعاد الى لندن اخيرا ليستانف عمله كالمعتاد . ولم يستطع الاطباء البريطانيون اعطاء أي تفسير علمي لهذا الشفاء العجيب ..

● نجحت لاول مرة في مصر تجربة علاج

عدد من السفن العاملة بمحركات ذرية .

ولاميركا اليوم ثلاث غواصات تسير بمفعول الذرة وتوضع التصاميم الان لبناء ١٢ غواصة ذرية اخرى كما انتهى من اعداد التصاميم الهندسية لبناء حاملة طائرات ضخمة حمولتها ٨٥ الف طن، وبذلك تكون اكبر واضخم سفينة من نوعها في العالم مزودة بثمانية محركات ذرية.

ويرى الخبراء المعنيون بامور الملاحة ان الاسطول التجاري الذري المقبل سيشتمل ايضا على سفن لصيد الاسماك تكون في نفس الوقت مصانع عائمة لتوضيب السمك وتعليبه بعد صيده في الحال وشحنه الى الاسواق التجارية رأسا من سفينة الصيد . كذلك من المتوقع ايضا ان يشتمل اسطول الغد على سفن خاصة للتنقيب عن البترول في اعماق البحار وعلى سفن ذرية للغطس عندما تسوء الاحوال الجوية . وهنالك اسباب عديدة تدعو شركات صنع السفن الى الاهتمام جديدا باعتماد المحركات الذرية في البواخر الجديدة التي تصنعها اليوم . منها توليد طاقة محركة جبارة من كمية صغيرة الحجم من الوقود الذري كاورانيوم عيار ٢٣٥ ، اذ من الثابت ان رطلا واحدا من هذا النوع من الاورانيوم (٤٥٣ غراما) فيه من الحرارة ما يوازي حرارة ٧٠٠ طن من وقود الزيت .

ثم ان السفن ذات المحركات الذرية تستطيع ان تنقل كميات اكبر من تلك التي تنقلها السفن العادية اليوم وستوفر لها المزيد من السرعة والوقت بالاضافة الى الاقتصاد في النفقات اذ سيكون في مقدورها قطع مسافات طويلة دون حاجة للتوقف في المحطات للتزود وقد راجت دار صناعة السفن في نيويورك وغيرها من الدور الصناعية الاخرى الخاصة بهندسة السفن وصناعتها تشدد على الخصائص التي تميز السفن التي تعمل بمفعول الطاقة الذرية فاوجزتها كما يلي :

ـ ان صغر حجم الوقود الذري المستخدم في السفن يوفر لها فراغا اكبر وحجما يمكن استخدامهما في استيعاب المزيد من المشحونات

ـ ان صغر حجم الوقود الذري يجعله ارخص بالنسبة للوحدة الحرارية من وقود الزيت .

ـ ان صغر حجم المواد الذرية المحركة يمكن السفن الناقلة للركاب من زيادة منافس الهواء. وبالتالي نقل المزيد من الركاب . والمعروف ان عملية تحطيم الذرة ليست عملية احتراق فهي لا تحتاج بالتالي الى الخزين من الهواء ولا الى جهاز العادم .

والفارق العظيم بين سفينة تعمل بالذرة وسفينة عادية اخرى هو ان الاولى تعمل بواسطة فرن ذري بدلا من الزيت والفحم . فالحرارة التي يولدها الفرن المذكور هي التي تستعمل في تأمين البخار الذي يعمل بدوره على تحريك طوربينات السفينة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الالتهاب السحائي بالاكرومايسين فقد جاء في تقرير مستشفى الحميات بالعباسية في القاهرة عن اعمال المستشفى خلال العام الماضي انه لاول مرة في العالم تمكن المستشفى من علاج حالات الالتهاب السحائي بالاكرومايسين ونجح العلاج كما ان علاج الحمى المالطية اصبح مقطوعا بفضل استعمال الاستربتومايسين مع الاكرومايسين والترامايسين لمدة ٢١ يوما .

● نشرت صحيفتان تصدران في نيويورك نبأ مفاده ان « اقراصا لتحديد النسل » ستباع في جميع انحاء الولايات المتحدة بعد اشهر قليلة بناء على وصفة الاطباء . وقالت الصحيفتان ان هذه الاقراص تباع فعلا في كاليفورنيا بموافقة ادارة الطعام والصحة الاميركية ولكن لاغراض اراحة النساء من الامراض النسائية الاخرى فقط .

● اكدت شركة سيناميد الاميركية : الانباء القائلة ان ست شركات اميركية للعقاقير الطبية قد انتجت لقاحا جديدا بسيط التكاليف لمكافحة وباء الانفلونزا الذي تفشى في اسيا . وقد ذكر ان المصل سيكون متوفرا للاستعمال العام هذه السنة .

● ينعقد في نيوكاسل الاجتماع السنوي لرابطة الطب البريطانية وستبحث فيه طريقة معالجة الحروق التي بدىء بتطبيقها مؤخرا في بغداد اذ كان الدكتور واردل استاذ الجراحة في كلية بغداد الملكية والدكتور خالد ناجي مساعده والاطباء الاخرون يستخدمون هذه الطريقة التي تتلخص بتعريض الاجزاء المحروقة الى الهواء وهو جاف وحار بصورة خاصة في بغداد وهذا مما يؤدي الى الشفاء السريع دون الم كبير بالاضافة الى انه لا يسبب الالتهاب والتعفن ولا يبقي اي اثر لهذه الحروق . ولقد وجهت دعوة الى الدكتور خالد ناجي الذي هو عضو في فرع رابطة لطب البريطانية في الشرق الاوسط لكي يلقي محاضرة في الاجتماع المذكور . ويعقب المحاضرة نقاش يرجو الدكتور ناجي ان يؤدي الى اعتراف دولي رسمي بهذه الطريقة العلاجية المتبعة في بغداد .

● لن يطول الوقت قبل ان يتمكن الذين يضطرون الى خلع اسنانهم الطبيعية من ان يستعيضوا عنها باسنان اصطناعية (وجبات) من نوع جديد تدوم طيلة العمر وذلك بعد اجراء عمليتين جراحيتين في افواههم . ففي العملية الاولى يأخذ الجراح طبعة (قالب) لعظمي الفكين وفي العملية الثانية التي تجري بعد مضي اسبوعين يوضع على كل من العظمين قطعة من معدن خاص يغرس تحت اللثة . وعلى هاتين القطعتين المعدنيتين مسامير مخروطية الشكل تثبت عليها الاسنان الاصطناعية وقد قام مؤخرا رئيس الجمعية البريطانية للاسنان المغروسة بعرض شريط سينمائي على عدد من اطباء الاسنان بين فيه تفاصيل هذه الطريقة الحديثة والعمليتين المشار اليهما .

● أعلنت مختبرات ارمر في شيكاغو انها اكتشفت عقارا من شأنه ان يخفض كميات الكوليستيرول او الزيت الغريب الموجود في الدم . ويدعى العقار الجديد اروفاك وهو يستخرج من نبات العصفوران الذي ينمو في افريقيا الشمالية والهند والشرق الاوسط . وتقول مختبرات ارمر ان الاشخاص الذين يعانون من امراض القلب والسكري وغيرها لديهم كميات من الكوليستيرول اكثر من تلك التي تحتوي عليها دماء الاشخاص الذين يتمتعون بصحة جيدة .

● توصلت وزارة الصحة الاميركية الى ابتكار طبي جديد قد يكون فيه القضاء التام على الملاريا في جميع انحاء العالم . وهذا الابتكار عبارة عن ملح طعام عادي ممزوج بعقارين من اشد العقاقير المجربة فتكا في مكافحة الملاريا. وقد ثبت فعالية هذا الملح الطبي الجديد بعد تجارب اجرتها الوزارة على نطاق واسع .

والعقاران المضافان الى الملح العادي هما « دار اپريم » و« كلورو كوين » ، وقد اثبتت التجارب فعاليتهما في مكافحة الملاريا والقضاء عليها ماتة بالمائة . وتناول هذين العقارين بصورة مستديمة يقي عادة من الاصابة بهذا المرض .

اما كمية الملح الطبي التي يحتاجها الانسان لوقايته من الملاريا فلا تزيد عن كمية الملح التي يستعملها عادة في اعداد طعامه اليومي . ولذا يمكن لسكان المناطق الموبوءة بالملاريا احلاله محل الملح العادي دون حاجة لزيادة المقدار او تناول جرعات خاصة منه . وقد اثبتت التجارب ان تناول الملح الطبي بهذه الصورة يقي من الاصابة بالملاريا مهما كان عدد المرات التي اصيب بها الشخص في السابق ، او مهما تعرض للسع بعوض الملاريا بعد ذلك !

● توضع الخطط الان لنقل احد الاطباء على ارتفاع ١٠٥ الاف قدم فوق سطح الارض هذا الصيف في عملية دراسية يقوم بها سلاح الطيران الاميركي لاختبار تأثير رحلة الفضاء على المخلوقات البشرية . وسينقل الطبيب في احد البالونات ويظل محلقا في الجو مدة ٢٤ ساعة وهي اطول مدة ظل فيها الانسان محلقا على هذا الارتفاع .

● أعلنت وكالة تاس ان السيدة ليقوف بوجاك المولودة عام ١٨٠٣ احتفلت بعيد مولدها الـ ١٥٤ وقد صرحت للصحفيين بانها تجهل اسباب طول عمرها . ولكنها اوضحت انها لم تأكل اللحم في حياتها وانها تنام عند منتصف الليل وتستيقظ الساعة السادسة صباحا . وان عمرها لا يحول دون انصرافها الى مشاغلها العديدة وانجاز اعمالها بنفسها وهي تتمتع بذاكرة مدهشة ولا يزال الشاعر بوشكين والكتاب تولستوي وتشيخوف ونكراسوف ماثلين في ذهنها . ولها شقيقان الاول عمره ١٢٨ سنة والثاني ١٢٢ سنة وشقيقة عمرها ١١٢ سنة .

● ادت الجهود المشتركة التي يقوم بها علماء من المملكة المتحدة واسوج والولايات المتحدة الى اكتشاف عنصر جديد يلاحظ لاول مرة وهو العنصر ١٠٢ وليس لم من اسم لحد الان . وقد اعلن عن هذا الاكتشاف في لندن بواسطة لجنة الطاقة الذرية . اما العلماء البريطانيون الذين ساهموا في هذا الاكتشاف فهم جون ميلستد الكيمائي والن بيدل الاختصاصي في علم الكيمياء ايضا . وقال ناطق بلسان لجنة الطاقة الذرية ان الاكتشاف الجديد يشكل قسما اساسيا لمعرفة تركيب الذرة كما انه يثبت العديد من النظريات حول هذا الموضوع .

● يستخدم علماء الولايات المتحدة الكوبالت المشع في ابحاثهم التي يجرونها على القطن .

ففي السنوات القلائل الاخيرة تمكن الباحثون الزراعيون من زيادة استعمالات القطن والحاجة اليه بتعديل تركيب مادته السليولوزية كيماويا وطبيعيا . ويعتقد العلماء الان ان الكوبالت المشع المعروف بالكوبالت ٦٠ سيمكنهم من معرفة ماهية تأثير هذه التعديلات على الخواص الطبيعية للقطن .

● صرح الدكتور وارن ، المندوب الاميركي

منشورات عويدات

بحاجة الى مراسلين ووكلاء ، في كافة الاقطار العربية والمهاجر

تلفون ٤٢٦٦٠

ص.ب ٦٢٨ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اللجنة العلمية لدراسة اثر الاشعاعات الذرية التابعة للامم المتحدة ، امام لجنةمشتركة في مجلس الشيوخ الاميركي تبحث في اثر الغبار الذري المتساقط ، ان استمرار هذه الابحاث سيؤدي خلال بضع سنوات الى « معلومات قاطعة » حول اثر هذه الاشعاعات.

وقد اوصى وارن الولايات المتحدة بانتستمر في تجاربها للاسلحة الذرية على « نطاق معقول » ريثما تنجلي الدراسات العلمية لاثر الاشعاعات عن نتيجة حاسمة . وقال ان الولايات المتحدة لا عذر لها في تعريضسلامتها وسلامة العالم الحر للخطر بتوقفها عن تجربة اسلحتها النووية .

● ابلغ علماء الذرة الاميركيون الرئيس ايزنهاور ان في استطاعة الولايات المتحدة انتاج « اسلحة ذرية نظيفة » تكاد تكون خالية من الغبار الذري .

واكد العلماء ان اخطار الغبار الذري الناجم عن تجارب الاسلحة النووية الاميركية اصبحت الان بسيطة « لا تكاد تذكر » . وقد رافق العلماء الذين اجتمعوا بالرئيس ايزنهاور الاميرال لويس ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميركية الذي صرح في مؤتمر صحفي عقب الاجتماع انه امكن احراز تقدم كبير منذ الخامس من يونيو عندما اعلن الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة خفضت كمية الغبار الذري الناجم عن تجارب القنابل الذرية الى حوالي تسعة اعشار المقدار الذي كانت عليه فيتجارب الاسلحة النووية السابقة وان تخفيض كميات الغبار الذري تجاوز الان تلك النسبة .

وقال العلماء انهم اطلعوا الرئيس ايزنهاور على التقدم الذي احرزوه في اعمالهم وعن خططهم فيما يتعلق بالاعمال المقبلة .

● انفجر في ٥ يوليو الماضي اقوى سلاح ذري فجرته الولايات المتحدة وكانت كتيبة من رجال البحرية الامريكية مختبئين في مراكزهم على مسافة ٥٧٠٠ ياردة من مكان الانفجار .

وكانت قوة السلاح الذري قد قدرتبصورة غير رسمية بانها تتراوح بين ثلاثة اضعاف واربعة اضعاف قوة القنبلتين الذريتين اللتين دمرتا هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين في الحرب العالمية الثانية .

وحالما وقع الانفجار هبت موجة من الهواء الساخن جدا شعر بها على بعد ١٣ ميلا . وقد تلت ذلك سلسلة من الاهتزازات والدوي المفزع الذي تردد صداه عبر صحارى نيفادا الجنوبية .

وكان الانفجار اعنف ما اجرته الولايات المتحدة في تاريخ انفجاراتها التجريبية الاحدى والخمسين . وكانت الكرة النارية التي انبعثت من الانفجار ذات لون اخضر يميل الى الحمرة عندما انطلقت من خلال الغيوم السوداءالداكنة التي تصاعدت الى الاجواء بسرعة متزايدة .

وقد وقعت بعض الانهيارات في خنادق الدخان حول جذع الفطر وبلغ من امتداد الانفجار ان التهمت النار الاعشاب الكائنة على بعد بضعة اميال . وقد تصاعد في الجو بعد الانفجار عامود ضخم من الدخان علىشكل الفطر وكان اسود اللون عند قاعدته ومائلا الى اللونين الرمادي والبني عند الرأس . وقد ظل عامود الدخان قائما في الفضاء لعدة دقائق ثم اخذ يتلاشى تدريجيا عندما راحت اضواء الفجر تبدد ظلمة السماء .

وقد وقعت بعض الانهيارات في خنادق الجنود من شدة الاهتزاز المتولد عن الانفجار الا انه لم يكن خطيرا . وقد كان من جرائه ان دفن احد الجنود بين الاتربة واستغرق انتشاله مدة ١٥ دقيقة ولم يكن مصابا باذى. وقالت لجنة الطاقة الذرية الاميركية انالغبار الذري المتولد عن الانفجار سيكون ضئيلا .

● أعلن الاتحاد السوفياتي ان لديه المعرفة والمقدرة الفنيتين على انتاج كهرباء ذرية بالنفقات ذاتها لانتاج الكهرباء من المصانع العاملة بالفحم . وقد ذكر ذلك في صحيفة « مساء موسكو » التي قالت انه يجري بناء عدد من محطات الكهرباء الذرية في روسيا ، في مناطق سترانيجية لا يمكن الحصول فيها على الوقود العادي الا بصعوبة او تكاليف باهظة.

ولم يذكر المقال عدد المحطات التي تبنى لانتاج الكهرباء الذرية ولكنه تباهى بان العلماء السوفياتيين صمموا اجهزة تستطيع ان تعطي روسيا كهرباء ذرية بتكاليف توازي تكاليف المصانع ، العاملة بالفحم . وكان واحد من كبار العلماء الذريين السوفياتيين السيد كورشاتوف ، قد تنبأ في العام الماضي بان اول محطة كهرباء ذرية كبيرة في روسيا ستبدأ العمل في اواخر سنة ١٩٥٨ .

● انتهت في روما اعمال المؤتمر العالمي الرابع للفيزياء النووية والالكترون واغلق المعرض العالمي للمنجزات في ميدانااستخدام الطاقة الذرية لاغراض سلمية . وتشهدالصحف الايطالية بالنجاح الكبير الذي احرزه المؤتمر الذي اشترك فيه علماء من مختلف بلدان العالم وقد نوه السناتور البروفسور فركاسيو رئيس اللجنة الوطنية للابحاث النووية ، نوه على وجه الخصوص باسهام العلماءالسوفياتيين في اعمال المؤتمر . وقد اعلن ان اشتراك الاتحاد السوفياتي في المؤتمر والمعرض كان له اهمية خاصة .

● تناول العالم الاميركي وليم شيروود الاخصائي في ابحاث السرطان ، كمية كبيرة من السم انتحر بها تجنبا للمثول امام لجنة مجلس النواب الخاصة بالنشاط المعادي لاميركا . وكان العالم وليم شيروود في الواحدةوالاربعين من العمر وهو اب لاربعة اولاد ، وملحقابجامعة ستنفورد حيث كان يقوم بابحاث بفضل معونة خاصة من جمعية مكافحة السرطان الاميركية . وكان زملاؤه يعتبرونه بحاثة لامعا وكان يعتقد انه اكتشف علاقة بين مرض السرطان وبعض امراض القلب .

وقد أثار حادث انتحار الدكتور شيروود استياء الرأي العام الامريكي واستنكاره . وقال زملاء العالم ان العالم حرم من ثمار الاكتشاف العظيم في مكافحة السرطان .

● توفي في اكسفورد اللورد تشيرويل عالم الذرةالاول في بريطانيا عن واحد وسبعينعاما. وقد تولى اللورد تشيرويل في الحرب العالمية الثانية منصب المساعد الشخصي للسير ونستون تشرشل وكان يسدي النصائح حول الكثير من المسائل العلمية . وقد داهمه عارض في غرفته بكلية كرايست تشيرش وتوفي بعد ذلك بوقت قصير .

● حدث في اول شهر يوليو وهو موعد بداية السنة الجغرافية الطبيعية انفجار في الشمس وكان من مظاهره بزوغ فجر قطبي هائل واضطرابات جوية شديدة شوشت على الاتصالات اللاسلكية في جميع انحاء العالم .

فقد انطلقت من صفحة قرص الشمس كتلة ضخمة من اللهب مكونة من ذرات شمسية مشعة فاذا بالمراصد التي كانت على اهبة الاستعداد لافتتاح السنة الجغرافية-الطبيعية تدير كل ما لديها من اجهزة للتحقق منكتلة اللهب الشمسية هذه التي سببتالاضطرابات الجوية .

وكان اول من شاهد كتلة اللهب الشمسية العلماء السوفيات . ومن موسكو نقل نبأ كتلة اللهب بسرعة البرق الى ٢٠٠٠ محطة من المحطات المشتركة في السنة الجغرافية الطبيعية من القطب الشمالي حتى القطب الجنوبي .

● بدأ اسطول الولايات المتحدة اطلاق اول سلسلة له من الصواريخ في الفضاء الخارجي قصد دراسة الانفجارات الهيدروجينية في الشمس ، كان ذلك ايذانا ببدء السنة الجغرافية الطبيعية الدولية ، التي ستدوم ١٨ شهرا ويشترك فيها علماء ٦٢ دولة للكشف عن اسرار الارض والجو والبحار . وهذه الصواريخ المجهزة بكاشفات ذات اشعة ما فوق البنفسجية واشعة سينية ، ستقيس كثافة الاشعاعات الصادرة عن اللهب الشمسية وانفجارات الطاقة الشمسية الهائلة التي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشوش على الموجات القصيرة ومحطات الراديو كمانها تنقل التسجيلات البعيدة المدى الى الارض

● شوهد انفجار هائل اخر وقع في الشمس الاربعاء ٣ يوليو . وقد وصف العلماء هذا الانفجار بانه « من اعنف الانفجارات التي شوهدت حتى الان .» وقد لاحظ وقوع الانفجار احد المراصد السويدية في جزيرة كابري ، فسارع بنقل الخبر الى المركز الاوروبي للسنة الجغرافية الطبيعية الدولية في هولندا . وذكر الموظفون هناك ان اشعاعات الشمس تلهب الارض بعواصف مغناطيسية وكهربائية محدثة فيها تشويشا كبيرا على الاتصالات اللاسلكية .

وقد نقل نبأ الانفجار عبر المحيط الاطلسي الى مقر رئاسة السنة الجغرافية الطبيعية الدولية في الولايات المتحدة على مقربة من واشنطن .

● اعلن مرصد اثينا انه سجل انفجارا ثالثا هائلا على الطرف الجنوبي الغربي من سطح الشمس عند الساعة الثامنة صباح يوم الجمعة ٥ يوليو .

● ارتفع صاروخ علمي جبار الى علوقياسي بلغ ١٦٠ ميلا – ٢٥٦ كيلو مترا عندما باشرت الولايات المتحدة تجاربها في مانيتوبا في كندا المتعلقة بالسنة الجغرافية الطبيعية الدولية . ويبلغ طول الصاروخ سبعة امتار وهو يحمل الات صنعت من اجل احصاء التبدلات في الجو وتنقل المعلومات الى الارض بصورة الية بواسطة اللاسلكي .

● تحطم الصاروخ الثاني من سلسلة الصواريخ التي تطلقها الولايات المتحدة كجزء من برنامج السنة الجغرافية الطبيعية . فقد اطلق الصاروخ من برج مغلق بمعدن الالومنيوم يبلغ ارتفاعه ١٢٥ قدما في قاعدة فورت تشرشل العسكرية الواقعة على شواطىء خليج هدسن . وصرح الكولونيل سمت الضابط المسؤول عن اطلاق الصاروخ بقوله : « لم يكن طيران الصاروخ ناجحا » . وقد بدا واضحا ان النار شبت في الصاروخ بعد اطلاقه بحوالي ٢٥ ثانية فقط وقال سمث ان التحقيق يجري الان لمعرفة سبب الحادث .

● صرح الدكتور جورج هاغن ، مدير مشروع الكوكب الصناعي الاميركي ، بان الكوكب الصناعي الاول الذي ستطلقه الولايات المتحدة خلال السنة الجيوفيزية الدولية ، ربما ظل محلقا في الفضاء اسبوعين . واوضح الدكتور هاغن ان الكوكب الصناعي ، وهو كرة مصنوعة من المعدن الرقيق ولا يزيد قطرها عن ٢٠ بوصة ويبلغ وزنها عشرة كيلوغرامات تقريبا سيكون من الصغر بحيث يتطلب الامر استعمال المنظار

وقال الدكتور هاغن انه لن يكون بالامكان المكبر لرؤية جزء بسيط فقط منه .

رؤية الجسم الصغير الطائر بسهولة الا عند الفسق او قبل الفجر بوقت قصير . ومضى يقول ان الكرة الطائرة ستجتاز اثناء تحليقها في الفضاء باتجاه فلكها الواقع على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠ و ١٥٠٠ ميل ، اجواء تنخفض فيها درجة الحرارة الى ٨٤ سنتغراد تحت الصفر ، ثم ترتفع الى ما فوق حرارة الغرفة وتنخفض ثانية الى ما تحت الصفر واخيرا تحلق الى حوالي ١٤٣٧١ درجة سنتغراد . واضاف قائلا ان الاجزاء الثلاثة من الصاروخ الذي سيدفع بالكوكب الصناعي الى الفضاء هي الان على وشك الاكتمال .

● لعل الشاب لاثروب دنسلو هو اول طالب بنجاح في نيل شهادة الهندسة الميكانيكية بخبزه بسكوتا . ودنسلو طالب بمعهد بروكلن بوليتكنيك في نيويورك . وقد خبز البسكوت على فرن شمسي من اختراعه وصنعه ليثبت عملية اختراعه ومطابقته للنظريات العلمية . ومما يذكر ان معهد بروكلن يشترط على طلبته تقديم مشروعات تطبق ما تعلموه نظريا بدلا من الامتحانات النهائية المعتادة .

● جاء من ميونيخ في المانيا الغربية ان مهندسا المانيا يسعى الان لاختراع نظارات تلفزيونية مثلثة الاتجاهات . وقال مسئول في الشركة ان هذه النظارات يمكن بيعها بسعر يتراوح بين ٣٥ و ٤٠ ماركا اي بما يعادل ٣ جنيهات ونصف . وستمكن هذه النظارات حاملها من مشاهدة صور التلفزيون طولا وعرضا وعمقا .

● يسر السيدات اللواتي يتقن حياكة الكنزات الصوفية سماع خبر اكتشاف نوع جديد من الغزل بطيء التلف ، ناعم اللمس ، سهل الغسل ولا يتغير شكل ما يحاك منه وحجمه بعد الغسل . والسر في ذلك ان الصوف المستعمل مخلوط بخيطان من مادة الترلين بنسبة الثلث . والجدير بالذكر ان وجود الترلين لا يؤثر في ميزة الصوف من حيث الدفء بل يساعد على ابعاد العث عنه.

● اضيئت اخيرا في مختبر شركة جنرال الكتريك للابحاث في شنكتادي بولاية نيويورك لمبة كهربائية اختبارية يتوقع ان تعمر مائة سنة على الاقل قبل ان تحترق وهذه اللمبة – باستثناء انواع المواد الجديدة المصنوعة منها – هي صورة طبق الاصل من اول لمبة ظلت تضيء مدة ٤٠ ساعة في عام ١٨٧٩ عملية لتوماس اديسون في عهد الكهرباء الحديث وهناك مصدر خاص للطاقة الكهربائية في المختبر يؤمن دوام اضاءة هذه اللمبة طيلة المدة المتوقعة لها وهي مائة سنة ، على ان الخبراء لا ينصحون بعرضها في الاسواق للاستعمال العام لانها تحتاج الى كمية كبيرة من الطاقة الكهربائية لتصبح من النوع التجاري

● ان من احدث الاجهزة الالكترونية المستعملة في المكاتب آلة من صنع بريطانيا تستطيع ان « تقرأ » في الثانية الواحدة ما يزيد على ٥٠٠ حرف او رقم مطبوع ومن ثم تنقل المعلومات التي تقرأها الى جهاز ثان يقوم بتنسيقها وتسجيلها حسب مواضيع معينة وتجمع الارقام الواردة تحت كل موضوع كل ذلك بمدة ثوان قليلة .

صدر حديثا عن :

دار صادر – دار بيروت

رسائل اخوان الصفاء

الاجزاء ١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥

سعر الجزء ٢٥٠ ق.ل.

الطبقات الكبرى

لابن سعد

الاجزاء ١ – ٢ – ٣ – ٤ – ٥

سعر الجزء ٢٠٠ ق.ل.

لسان العرب

النسخة الكاملة – الطبعة الممتازة

٦٥ جزء سعر الجزء ٣٠٠ ق.ل.

معجم البلدان

النسخة الكاملة – الطبعة الممتازة

٢٠ جزء سعر الجزء ٤٠٠ ق.ل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● اعلن السلاح الجوي الاميركي عن تقدم علماء السلاح في ابتكار طائرة للابحاث تسير بقوة الصواريخ وتستطيع الطيران بسرعة اكبر وعلى ارتفاع اعلى مما تستطيعه اية طائرة اخرى يقودها انسان . وقد شرع في بناء الطائرة المسماة « اكس ١٥ » في مصنع شركة نورث اميركان للطيران بلوس انجلس . وتقول مصادر غير رسمية ان سرعة الطائرة الجديدة قد تصل الى ٤٠٠٠ ميل في الساعة على ارتفاع ٣٨ ميلا .

● اوصت شركة تجارية المانية مؤخرا احد معامل بريطانيا على ١٧٠٠٠ آلة من نوع جديد لغسل الصحون تستطيع غسل جميع الاواني المستعملة لتحضير وجبة طعام لعائلة كبيرة وتنشيفها خلال اربع دقائق اي بمعدل ٦٠٠ صحن في الساعة الواحدة .

● عرض ديزني لاند في كاليفورنيا منزلا مصنوعا كله من البلاستيك وكلف مليون دولار من حيث التجارب والبناء . وربما اصبح هذا المنزل بيت المستقبل فقد اثار اعجاب واهتمام الشباب وصناعة البناء .

وقد وضعت هندسة البيت شركة مونسانتو الكيماوية كجزء من عملية تحسينية تهدف الى اظهار الاشياء التي يمكن عملها بواسطة البلاستيك . والبيت مصنوع من اجزاء مصهورة من البلاستيك المعزز بالالياف الزجاجية وتقدر شركة مونسانتو ان هذا البيت يمكن صنعه بكميات كبيرة بأثمان تتراوح بين ١٥ الف و ٣٠ الف دولار .

● اعلنت الحكومة البريطانية انها تعيد النظر في بناء سفنها حتى تتسع لاسطول ناقلات البترول الضخمة الذي يقترح انشاؤه لنقل البترول من الشرق الاوسط دون استخدام قناة السويس . وتستطيع الناقلات الضخمة ، التي تتسع لمائة الف طن القيام بالرحلة حول رأس الرجاء الصالح بتكاليف لا تزيد عن تكاليف الناقلات العادية التي تعبر قناة السويس .

● لا شك في ان طهي الطعام بالطرق المعتادة يفقده الكثير من الفيتامينات والمواد المغذية الاخرى لذلك اخترعت شركة بريطانية نوعا جديدا من المواقد والافران تستخدم الاشعة دون الحمراء بدلا من الغاز او البترول او « الدفايات » الكهربائية . وبما ان الاشعة هذه لا تنتج الحرارة الا اذا اخترقت جسما ما فعليه يتم طبخ الطعام من الداخل الى الخارج على عكس ما يجري عادة حيث تتمركز الحرارة على السطح الخارجي فقط . وعلاوة على المحافظة على المواد المغذية في الطعام فان هذه المواقد والافران تختصر الوقت المطلوب للطهي بحيث يستغرق طبخ اللحم مثلا دقيقة واحدة او دقيقتين فقط ولا يستوجب استعمال الدهن .

● تمكنت مختبرات الاسطول الاميركي من استحداث بطارية صغيرة الحجم يمكن تعبئتها بحيث تستطيع العمل لعدة سنوات . ويمكن تعبئة هذه البطارية مرات غير معدودة . ومن مزاياها الاخرى انه يمكن خزنها لفترة طويلة وهي غير مشحونة . وسيستفاد من هذه البطارية في اجهزة تحسين السمع وفي الراديوات واجهزة الاتصال اللاسلكية في المنزل او المكتب .

● لعل القليلين من سكان الاقطار العربية يعلمون ان تونس هي ثاني بلد في العالم في انتاج الفوسفات ، وان في تونس ٣٠مليون شجرة زيتون ، وان انتاجها من القمح يربو عن خمسة ملايين هكتار ، وانها ثالث قطر في العالم في زراعة النخيل أي بعد العراق والجزائر ، وانها خامس بلد في العالم في انتاج الاسماك المحفوظة ، وثامن بلد في العالم في انتاج العنب ومشتقاته .

● حلت هولندة مشكلة النقليات في مدينة امستردام باستعمال سيارات ركاب كبيرة جديدة من صنع بريطانيا تتسع لـ ١٥٠ راكبا. وتتألف كل من هذه السيارات من عربتين متصلتين احداهما بالاخرى بممر كما تتصل عربات القطار حيث يتمكن الراكب من الصعود الى العربة الاولى والنزول من الثانية مارا من نقطة الاتصال . وبهذا تمكنت بلدية امستردام من الاستعاضة عن كل سيارتين عاديتين بسيارة واحدة مما ادى الى التوفير من عدد السواقين ونفقات الوقود .

● لا يختلف اثنان على ان الكهرباء هي أهم اكتشاف اتى به الانسان واكثرها فائدة للجنس البشري . ولولا الكهرباء لما تم هذا التقدم الهائل في جميع ميادين العلم والصناعة ولحرمنا من معظم الادوات المستعملة في بيوتنا اليوم كالبرادات والمراوح والراديو الخ . ولا ينحصر استعمال الكهرباء في الصناعة فقط بل نرى العلماء دوما يكتشفون فوائد جديدة لها لم تكن بالبال . ومن احدث هذه الاكتشافات طريقة ابتكرها عالم انكليزي تساعد علماء الاثار على التأكد مما اذا كانت هنالك آثار تاريخية تحت الارض في محل ما دون اللجوء الى اجراء الحفريات . فبقياس مقاومة التربة لتيار كهربائي يتمكن العلماء الان ليس فقط من التأكد من وجود الاثار بل من معرفة عمقها تحت سطح الارض ايضا .

● انتخب اخيرا دكتور د.ن واديا العالم الجيولوجي الهندي الكبير الذي كانت حكومة الهند قد اعارته للحكومة المصرية ، انتخب زميلا بالجمعية الملكية وهي اكبر هيئة علمية بريطانية .

وقد اشترك اخيرا دكتور واديا ، الذي يبلغ من العمر ٧٣ عاما ، في الكشف عن المعادن المشعة في الهند التي يعتقد انها اكبر كميات من نوعها في العالم . وهو مؤلف لعدة كتب في الجيولوجيا ـ علم طبقات الارض ـ واجرى ابحاثا قيمة عن تكوين جبال الهيمالايا .

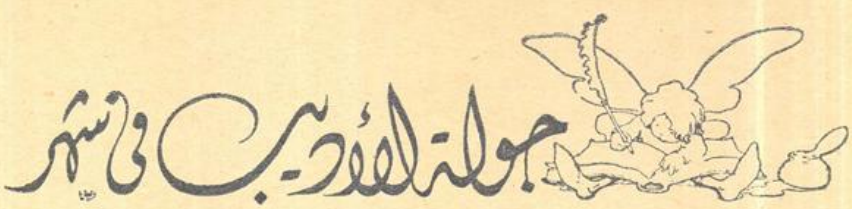
● اذاعت وكالة « تاس » السوفياتية ان سلطات الاثار اكتشفت مقبرة « اللافادين » التي انشئت في عهد المغول . وقد اكتشفت بها كتابات عربية وفارسية ترجع الى القرن الرابع عشر ووجد في جامع جوما ٢٠٠ عمود صنعها فنانون مهرة ويرجع تاريخها الى القرن الثاني عشر .

● جرى في مؤتمر فريد عقد في اريزونا تبادل في الاراء بين العلماء البيولوجيين والعلماء الفلكيين حول امكانية توفر الاسباب المقومة للحياة في الكواكب كما هو الحال على الارض . وقد عرض العلماء الفلكيون امثال الدكتور ادوان بولفوس من مرصد ميدون الواقع على مقربة من باريس صورا فوتوغرافية لكوكب المريخ تظهر ان الكوكب يمر كالارض في دوره من الربيع والصيف والخريف والشتاء كل عام . ويحاول العلماء اكتشاف طبيعة المناطق المظلمة التي تظهر في الربيع والصيف. وقد روى كثير من العلماء استنتاجاتهم حول احتمال وجود المخلوقات الصغيرة في المريخ .

● اكتشف هرم جديد في دهشور بمصر يبلغ طول ضلع قاعدته الباقية ٥٠ مترا وفي داخله سرداب منحدر عمقه ١٥ مترا يؤدي الى ٣ حجرات لم تعرف بعد محتوياتها وحجرة كبيرة للدفن بها تابوت ضخم وهو منحوت في الصخر وطوله ثلاثة امتار ولم يرفع غطاؤه عنه ولكن به ثقبا جانبيا قديما امكن بواسطته معرفة ما فيه وهو بعض الاواني المخصصة لحفظ الاحشاء . وقد وجد منقوشا اسم باني الهرم اميني عامو ملك الوجه القبلي وهو من ملوك الهكسوس في الاسرة الثالثة عشرة .

● يحرك اليعسوب جناحيه ١٦٠٠ مرة في الدقيقة اثناء طيرانه . اما الدبور فيحرك جناحيه اكثر من ٦ الاف مرة في الدقيقة . بينما تربو حركة جناحي ذبابة المنزل على ٢٠ الف مرة في الدقيقة . وقد حسب العلماء هذه الارقام بمقارنة درجة طنين الحشرة بواسطة « الشوكات الرنانة » ذات الاهتزازات المعلومة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اسكندر شلفون كما عرفته

●

عالم من اعلامنا الخالدين ، فمهما كتبنا عنه او تحدثنا ، لصعب علينا ان نفيه حقه ونظهر مقامه الادبي والثقافي والموسيقي. على انني سأتحدث عما اعرفه عنه وما قرأته ، وما حدثني به هو شخصيا ، كل ما ركن الى جانبي للراحة من اعماله ، وهي احب الساعات اليه ، كما أكد لي ذلك واقسم ، بل ان الكثيرين من اصدقائنا كانوا يعرفون هذه الحقيقة ، لانه احبني ...

احبني كأي رجل له قلب يشعر بانه في حاجة الى انسان يريد ان يركن او يتحدث اليه او يحبه ، احبني كما احب موسيقاه ، واشعاره ، وسعادته ، وكتبه، والليل والنهار والشمس والاقمار ، احبني حب فنان لفنانة ، حب الاديب لكتابه ، والشاعر لاشعاره ولذا فما اكتبه عنه هو الصدق الكامل والحقيقة الصرف .

ولد اسكندر شلفون سنة ١٨٨٦ م وقد كان والده بطرس الشلفون من كبار رجال الموسيقى ، وكان اسكندر في الخامسة من عمره عندما آنس والده فيه المواهب الموسيقية، فعلمه اصولها وقواعدها ، فنشأ موسيقيا بالفطرة والتربية ، وكان تلميذا ناجحا في كلية الفرير(بالخرنفش بمصر) ومن سن التاسعة بدأ يربح الجوائز الموسيقية على عزفه الممتاز على الكمان ، وقد اهداه فريد باشا بابازغلى كمانجه ثمينة دليلا على تفوقه وتقديرا لهذا الفنان الصغير .

وكان الكاتب الكبير الاستاذ جورج طنوس صاحب « المنبر » سابقا قد انشأ في سنة ١٩٠١ جمعية للتمثيل باسم (مجتمع التمثيل العصري) فارتبط واسكندر وهو في السابعة عشرة من عمره ، واخذه ملحنا للروايات فيها ومعلما لتلاميذها ، وفي ذاك الوقت فبدأ يدون الحان الشيخ سلامه حجازي ، بالعلامات الموسيقية (النوته) وعندئذ تدرج شيئا في العلوم الموسيقية وفهم قواعدها واسرارها ، ففتح لنفسه مدرسة اسماها (روضة البلابل) فخلقت له طائفة من الحساد تحاربه حربا لا هوادة فيها ، وهو صامد لا يلين . وقد قدم بواسطة روضة البلابل لمصر وللعالم العربي خدمة كبرى في قواعد الموسيقى وانظمتها ، وله فيها مباحث علمية فنية هامة ، ولا تزال مجلته تشهد على صحة قولنا وعلى جهاده في سبيل الفن الذي حمل لواء مشعله يستضيء به كل فنان موسيقي ، وعلى تلك الاراء والابحاث التي تحدونا الى الاقرار له بسعة الاطلاع ، والمعرفة، وتبين كيف خدم الفن بكل ما اوتي من علم واخلاص وتضحية .

فقد كان اديبا كبيرا وشاعرا مجيدا ، له في الادب والشعر مؤلفات كثيرة ، منها الرواية التمثيلية الكبرى (السبايا) التي الفها شعرا ولحنها ورتب فصولها ومشاهدها بمهارة ودقة وجمال ، وقد نقل الى العربية الكثير من القصص الاجنبية المفيدة .

اما منظوماته الشعرية وتلاحينه الموسيقية فاكثر من ان تحصى . وقد نشر الكثير منها في مجلته (روضة البلابل) التي عاشت ما يزيد على الثماني سنوات ، ادخر فيها من العلوم الموسيقية والقواعد والانظمة الفنية ما عبر عن شعوره الاكيد الاخلاص لفنه ،وترجم حياة كبار الموسيقيين في ابحاث تاريخية موسيقية لم يسبق لاحد ان نشرها او بحثها سواه ، فان دلت تآليفه الموسيقية والادبية على شيء،فعلى انه حجة تفهم الاصول والقواعد، ومرجع لمعرفة اسرارها وحل رموزها . فستظل تعاليمه ينبوعا يغرف منها الموسيقيون فيستقون من موردها الصافي ، ويختلس السارقون فيأخذون منها المعلومات ويدعونها من ابتكارهم وتآليفهم كما حدث في مجلة (المعهد الملكي في مصر) اذ بعث حضرة خليل افندي رئيس جمعية انصار الموسيقى العربية بالاسكندرية بمقال لتلك المجلة عنوانه (السلم الموسيقي العربي) وهو بحث قيم لعلامتنا اسكندر شلفون . مع ذلك فقد وقعه خليل افندي المصري بامضائه دون حياء او خوف ، فلم تلبث المجلة بعد ١٧ يوما ان اكتشفت ان هذا المقال منقول بنصه عن عدد من مجلة مصر الحديثة المصورة الصادر في ١٨ابريل سنة ١٩٢١ بعنوان (عظمة الموسيقى العربية باسرارها الجميلة) فردت عليه المجلة بعد ان تبين لها ذلك بكلمة انحت فيها باللائمة على السارق وامتدحت صاحب المقال الاصيل .

ومما قالته في ردها : لقد ابتليت الموسيقى باحد هؤلاء الادعياء المتفقهين ان سطا على مقال قيم للموسيقار الكبير المرحوم اسكندر شلفون ، منشور بالعدد العاشر من السنة الثانية من مجلة مصر الحديثة ...

الى ان قالت : ومن عجيب امر هذا المغير على تراث الموتى من علماء الفن واساطينهم ان يمهر ذلك المقال المسروق بهذا التوقيع (خليل المصري رئيس جمعية انصار الموسيقى العربية)

ومن مآثر المرحوم اسكندر شلفون انه ابتكر طريقة جديدة لتدوين العلامات الموسيقية في الاحرف الابجدية العربية لم يسبقه اليها احد ، ونشرها في مجلته وهي طريقة ممتازة في البساطة والسهولة ، وصالحة للاستعمال، والتعميم في اقطار العالم العربي .

وكان مديرا فنيا لشركة كولومبيا ، فسجل اسطوانات كثيرة باسم اسكندر الكمنجاتي ، ولحن مقطوعات كثيرة باسماء مستعارة منها (صاحب الروضتين) و (كردانس)، وغيرها .

وكان عازفا ماهرا على العود ، والقانون ، والكمانجه ، والبيانو ، وقد ترجم دائرة المعارف الموسيقية الافرنسية للاستاذ (جول دورانيت) الى العربية وعلق عليها الحواشي والهوامش، واصلح ونقح ما زاد ومانقص ، وبعث بتصحيحها الى المعهد الافرنسي ، فوافق عليها الاستاذ (البير لافينيال) عضو المجلس العالي للتعليم في المعهد الموسيقي الافرنسي .

وكان رحمه الله كثير البحث والمطالعة ، فتوصل الى ما لم يصل اليه احد من الموسيقيين العرب . فدرس جميع ما قيل ونشر في الموسيقى قديما وحديثا . وطالع الكثير من كتبها وتواريخها . وجمع كل ما كتبه المستشرقون الباحثون في الموسيقى العربية او الشرقية بوجه عام امثال فيتيس وجيفارت ودانيال ودي كورداري وكيزويتر وكوزجارتن وسواهم من العلماء المستشرقين ومن تونس البارون ديرلانجيه ، فقد ساعده في ترجمة كتاب الفارابي القسم المختص منه بالموسيقى ، ومن العرب ابن سينا والاغاني وغيرهم ، ووضع سنة ١٩٢٢ تقريرا في الموسيقى المصرية ورفعه الى معالي وزير المعارف مصطفى ماهر لادماجه في نظام التعليم في المدارس فوافق الوزير عليه وبعث اليه بكلمة يشكر له فيها هديته النفيسة .

ونظم ولحن اناشيد كثيرة ، منها نشيد للمقتطف مطلعه : (في الكون شمس واريه والعلم شمس ثانيه) وانشده في حفلة العيد الخمسيني للمقتطف في دار الاوبرا الملكية في ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٦ واللجنة المختصة بالدعوة ، دعت جميع ادباء مصر وعلمائها ولم تدع غيره من الموسيقيين على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثرة عددهم .

وفاز بكل مباراة موسيقية كانت تقام في مصر ، منها النشيد الملكي : يا مصر ، وعاش الملك ، وتوشيح : ايها الساقي اليك المشتكى ، وطلع البدر علينا ، اناشيد لا يعرفها حقا ويقدر على انشادها حاليا الا تلميذته كاتبة هذه السطور ، التي فضلها على جميع من علم ووجه .

هذا ، وان النادي الموسيقي في مصر (المعهد الملكي) انتخبه عضوا في اللجنة الفنية سنة ١٩١٤ لعلم ثقته بعلمه ومقدرته الفنية . ثم اختاره مدرسا اول ثم عضوا في مجلس الادارة ثم عاد فجدد انتخابه في ٢٧ اذار سنة ١٩١٥ الى ان اسس مجلته روضة البلابل في اول تشرين الاول سنة ١٩٢١ وقدم للعالم العربي مرجعا موسيقيا . وظل هكذا سنة ١٩٣١ وفيها تعرف الى تلميذته المطربة سوسن مفرج وكانت قد تعاقدت وشركة الاسطوانات (هيز ماستر فويس) . فو جد فيها الكفاية والمقدرة ، لان تحقق املا عاش يحلم به حلم كل فنان عبقري فاصطفاها ، وعلمها ووجهها التوجيه الصحيح لما تمتاز به من علم وثقافة ادبية وفنية معا . ووجد فيها ما يرجو من اماني فتعلق بها ونفخ من روحه لحنا شجيا سمعه العالم فطرب له ، احبها واخلص لها فاحبته واخلصت في حبها. وركن اليها ركون الطفل الى الصدر الحنون ، فاغنته حنانا ، لحن ففنت واطربت . وشاركته في النظم فشجعها ولحن مما نظمته . وقال فيها الكثير من اشعاره التي عرفها ، مثل طلع النهار ، وانا صاحي ، والورد يعطف عالياسمين والغل بيحب السوسن ، واداوي فؤادي وبفضل جريح ، ويللي رميتني بنظره واحده . غنت له السيدة سكينه حسن الكثير من المواويل والقصائد : (عندموتي) مسجلة في شركة كولولبيا . وعلم المرحومة اسمهان (اين الليالي) وغنت وسجلت له عزيزة حلمي وغيرهن من المطربات اللواتي تتلمذن عليه .

اخيرا جاء لبنان برفقة المطربة سوسن مفرج وزارا دمشق بدعوة من نادي الفنون الجميلة . فلقيا كل حفاوة وترحيب .

وما غنته من الحانه سوسن ، سجلته شركة سودوا الوطنية في حلب . منه دور (لما سقيت قلبي نواك) وقصيدة (لا تصدق ماذا تقول الغواني) ، ورثاء الملك فيصل الاول ملك العراق ، ثم (الورد يعطف عالياسمين) و (خليك بقى ع اللي انت عليه) وغيرها من مقطوعات راقصة صاخبة .

وبعد ان اقاما الحفلات الناجحة في النوادي والملاهي السورية الكبيرة ، عادا الى لبنان حيث توفي في حادث كوكب الشرق في بيروت تحت الردم ، فانهار ركن من اركان الموسيقى الشرقية ونكس علم من اعلامها سنة ١٩٣٤ .

فبكى الجميع النابغة الكبير ، ورثاه الادب والشعر ، والكل ردد بصوت مخنوق : مات اسكندر شلفون .

[السنابل : لبنان] سوسن مفرج

قضية الشعر

●

قرأت اخيرا مساجلة بين الدكتور طه حسين وبعض ادباء تونس في ندوة ادبية عقدها الادباء التونسيون لضيفهم الكبير، وكانت قضية الشعر بعامة والشعر العربي بخاصة محور هذه المساجلة .

والقضية ، كما اثارها اخواننا التونسيون ، تضرب بجذورها الى الرأي القائل بان الشعر - بوجه عام - يميل في عصر الحضارة العقلية الحاضرة الى الخمود ، ان لم يكن يميل الى الانقراض .. وحجة هذا الرأي ، كما يصورها الدكتور طه حسين من جديد ، هي ان هذا العصر قد غلب فيه العلم والانتاج العقلي كل شيء ، وغلبت فيه الحياة الواقعية العلمية التي تشغل الناس ، بما تثير في نفوسهم من الامور والافكار والخواطر والاراء وليس غريبا ان تكون هذه الحياة مناقضة لطبيعة الشعر..

ويتساءل الاديب التونسي محمود السعدي، في حيرة هل يمكن للشعر ان يحيا ويخصب في عالمنا الحاضر هذا ؟.. أليست الثقافة العصرية قد طغت فيها عناصر الفكر الى حد ان الشعر ، بمعناه المحدود ، أصبح غير كاف ان يكون تعبيرا عن الحياة الفكرية الشاملة ؟

لقد برزت قضية الشعر على هذه الصورة منذ ما بعد الحرب العالمية الاولى ، بل على التحديد : منذ اخذت الكشوف العلمية الطبيعية والاجتماعية تؤثر اثرها الحسي في تطوير العلاقات الانسانية ولا سيما علاقات الانتاج الصناعي بالنسبة لتطور الادوات الانتاجية والقوى البشرية المنتجة معا ، ثم منذ ظهرت آثار هذا التطور كله في نشوء الحركات الوطنية الاستقلالية في العديد من البلدان والشعوب ثم نشوء دول جديدة مستقلة ، وممارسة شعوب هذه الدول انواع النشاط العقلي العالمي ، ومشاركتها في الحياة الدولية على صعيد السياسة والاقتصاد والعلم والتنظيم الاجتماعي .

في خلال هذه التطورات الكبرى في حياة الانسان ، في حياة الشعوب كافة ، على اختلاف درجات التطور بين شعب وشعب ، وفي خلال الانتقالات السريعة باوضاع الجماعات وعلاقات بعضها ببعض ، نشأت للحياة الانسانية وللعلاقات والاوضاع الاجتماعية اشكال جديدة تختلف اختلافا كبيرا جدا عن تلك الاشكال القديمة التي تركتها قافلة التطور .

ومفهوم ان كل تغيير في شكل الحياة يستدعي تغييرا في شكل العبارة عنه ، اي في شكل التعبير الفكري والادبي والفني واللغوي جميعا . ولكن تغيير الادوات التعبيرية هذا لا يأتي بسهولة وسرعة ، ولا يحدث بطريقة عفوية ، « اوتوماتيكية » تلقائية ، بل لا بد من عامل الزمن اولا ، ولا بد ان يلقى التغيير المطلوب مقاومة من الاشكال القديمة المستقرة ومن العقليات المحافظة التي تستفيد فائدة ما من الاشكال القديمة او التي اقامت امتيازاتها على امجاد تلك الاشكال .

وحقيقة اخرى نعود الى التذكير بها ، وهي ان الانقلابات الحادثة كانت من التلاحق السريع بحيث لا يمكن ان تلحق بها وسائل التعبير الادبي والفني الا بعد زمن تتم فيه اسباب التجاوب وتتغلب فيه عناصر التجديد على عناصر المحافظة .

من هنا تبرز قضية الشعر على واقعها الانساني التاريخي .

* * *

صحيح ان الشعر تعبير من أسمى وسائل التعبير الفني الجمالي عن الانفعالات الوجدانية العاطفية ، بل عن اعمق هذه الانفعالات واعنفها، وليس هو تعبيرا مباشرا عن قضايا العقل ، او شؤون الحياة العقلية والعلمية ، ولكن .. ما حقيقة الوجدان والعاطفة في الانسان ، من اين ينبع الوجدان وتنبع العاطفة ، وما ذاك الذي يحرك وجدان الانسان وعاطفته ، ومن اين ينفعلان .. من اين تصدر تلك الانفعالات الوجدانية والعاطفية ؟

ليس في كيان الانسان شيء منفصل عن شيء . أي ليس الوجدان والعاطفة في الانسان منقطع الصلة عن العقل ، عن شؤون الحياة العقلية ، عن ينابيع المعرفة التي يستمدها العقل من الحياة ومن التجربة والخبرة ومن الكشف العلمي المستمر ، ومن نتائج الحركة الدائمة في قوانين التطور الاجتماعي .

بمقدار ما يغتني العقل بالخبرة والمعرفة ، يغتني الوجدان وتغتني العاطفة بالانفعالات الرفيعة . وكلما اكتسب العقل جديدا من الافكار والمفاهيم والقيم الكونية والانسانية ، اكتسب الوجدان والعاطفة رصيدا من الاحاسيس ارقى واعمق وانبل . وبهذا تكون الاحاسيس الساذجة عند ذوي العقول الساذجة ، وتكون الانفعالات السطحية والالهامات العادية عند ذوي المدارك البسيطة او ذوي الجهل والغباء .

ذلك يعني ان العصر الذي يغلب فيه العلم وتغلب فيه الحياة الواقعية العلمية ، ليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من شانه ان يخمد جذوة الوجدان والعاطفة، وليس من شانه ان يشغل العقل وحده ويعطل عمل الوجدان والعاطفة ، بل الامر على العكس، أي ان العصر الذي ترقى به معارف الانسان ويغلب فيه شان العلم ، هو عصر يرقى فيه الوجدان الانساني وتسمو العاطفة وتعمق الانفعالات الوجدانية وتصبح اعظم واروع منها في عصر يكون العلم فيه اقل شانا واثرا في حياة الناس .

ومتى كان الامر كذلك ، فان الوجدان والعاطفة يحتاجان دائما الى تعبير فني جمالي عن انفعالاتهما العظيمة ، فهما - اذن - يحتاجان الى الشعر دائما ، في كل عصر ، بل هما في عصر العلم اكثر حاجة اليه منهما في عصر اخر ، ما دام الشعر - كما قلنا - من اسمى وسائل التعبير الفني الجمالي عن وجدان الانسان واحاسيسه وما دامت الحاجة الى هذه الوسائل التعبيرية حاجة انسانية خالدة .

ولكن الشعر ، وهو بهذه المنزلة من حاجة الانسان اليه ، ومن صلته الوثيقة بخبرات العقل وثرائه بالمعرفة ، لا يستجيب الى التعبير الكامل عن وجدان العصر واحاسيسه الا بعد ان يستكمل الوجدان نفسه كل عناصر التجاوب بينه وبين احداث العصر العلمية وتطوراته العقلية ، ولا سيما ان هذه الاحداث في عصرنا تجيء - كما قلنا - متلاحقة سريعة مفاجئة .

ومن اجل هذا الواقع الانساني التاريخي نرى الشعر في عصرنا ، والشعر العربي بخاصة كانما هو في ازمة ، وهذه حقيقة الازمة ، ولا شيء غيرها .. وليست هي - واقعا - غير ازمة عارضة يستعد الشعر في خلالها لان يبدل باشكاله القديمة اشكالا جديدة تلائم اشكال الحياة التي خلقتها هذه التطورات والانقلابات الاجتماعية الكبرى .

وشعرنا العربي بالاخص يعاني الان تجربة تاريخية وانسانية ضخمة ، هي تجربة الانتقال الى اشكاله الجديدة التي تفرضها طبيعة العصر بل طبيعة هذه المرحلة العربية الكبرى بالذات.

هذه خلاصة القضية اوجزتها بقدر ما تسمح هذه الزاوية .

* * *

قلت ، اخيرا ، ان الشعر العربي يعاني الان تجربة الانتقال الى اشكاله الجديدة التي تقتضيها طبيعة هذا التطور السريع الضخم في حياتنا العربية الحاضرة . وينبغي ان نسأل بعد هذا : أين وصل الشعر العربي في شوطه من التجربة ؟

وقبل ان نجيب عن السؤال ، نحاول ان نشير باجمال الى الخاصة المميزة لما نسميه ب « الشعر الجديد » .

تقوم الاشكال التقليدية القديمة للشعر العربي على خاصتين رئيسيتين : اولا ، انه يقيم القصيدة على نظام الابيات المستقلة مع وحدة الروي والقافية والوزن بتفاعيله الكاملة المقررة . ثانيا ، انه على رغم التزامه هذه الوحدة في الروي والوزن والقافية ، لا يلتزم وحدة القصيدة من حيث البناء الشعري بتفاصيل اجزائه وعناصره الشعورية والفكرية والبنائية . بل لقد تشتمل القصيدة الواحدة في شعرنا التقليدي على تجربات شعرية وجدانية متعددة ، وقد تنعدم الصلة تماما بين تجربة واخرى ، وقد يتفق ان يكون كل بيت تجربة منفردة عن اخواتها في سائر الابيات ، مع كونها جميعا ضمن اطار لغوي موسيقي مشترك .

ومن هنا تنهض الخاصة الشكلية والبنائية في « الشعر الجديد » . فهو يأخذ بالاوزان العربية التقليدية الموروثة ذاتها ، ولا يبتكر اوزانا جديدة ، ولا يخرج على موسيقى الوزن التراثي ، ولكنه لا يأخذ بتفاعيل الوزن الواحد بكاملها ، بحيث يجعلها اساسا للتقسيم « البيتي » في القصيدة ، اي انه لا يجعل هذه التفاعيل هي الاساس في تقسيم القصيدة ابياتا ، كل بيت له تفاعيله الكاملة ، وله كيانه الشعري المستقل ، وله تجربته الوجدانية المنفردة بذاتها ، بل هو - اي الشعر الجديد - يوزع هذه التفاعيل على اجزاء القصيدة وفق تصميمها البنائي الذي تقتضيه وحدة التجربة ، ووحدة الانفعال الوجداني ، ووحدة البناء التعبيري عن هذه التجربة وهذا الانفعال .

القصيدة ، في « الشعر الجديد » ، هي النماسك الوجداني والموسيقى واللغوي معا في بناء واحد يأخذ كل جزء منه مكانه الذي لا يمكن ان يكون له في القصيدة مكان غيره ، فاذا انتزعته من هذا المكان اختل نظام القصيدة ، وانهار بناؤها ، ثم كان هذا الجزء الذي انتزعته وحده غير ذي دلالة على شيء ، لان دلالته الفنية قائمة في وجوده بهذا المكان الخاص من القصيدة .

ونعتقد ان ظاهرة الانقلاب هذه في شعرنا العربي ، وفي اتجاهه الى هذا النحو من الوحدة البنائية الفنية ، ترجع باسبابها الى تطور حياتنا العقلية واندماج هذه الحياة بتطور الاشكال الاساسية من حياتنا الاجتماعية والقومية ، فان ذلك قد خلق في شعرائنا ينابيع جديدة للالهام الشعري ، وخلق فيهم - مع ذلك - ارتباطا وجدانيا بوحدة هذه الاشكال الجديدة التي ولدتها ظروف قومية وانسانية لها طابعها الموضوعي ، لا العفوي .

ويجب ان نرجع الان الى السؤال : أين وصل « الشعر الجديد » في شوطه من التجربة ؟ - يمكن القول ان هذا الشعر قد جاوز حتى الان مرحلة التجربة الاولية ، وثبت لاول امتحان ، ولكن الصراع بينه وبين الشعر التقليدي باشكاله البنائية القديمة ، ما يزال محتدما ، وان كان قد ظهر ان «الشعر الجديد» ليس ظاهرة عفوية طارئة تعبر عن انحرافات فردية ، بل ثبت انه نتاج حاجة تطورية انبثقت من واقع حياتنا القومية والانسانية في هذه المرحلة بعينها . يدل على ذلك ان هذا الشعر لم يتقهقر ، ولم ينكمش بعد ظهوره ، بل هو ينمو الان نموا مطردا ، وتمتد جذوره في تربة الشعر العربي المعاصر امتدادا سريعا ، ويتطور الى النضج والتكامل في اقطار عربية عدة ، حتى الاقطار الاقل من اشقائها تطورا اجتماعيا، ونتاج هذا الشعر يبدو انه يزداد كثرة وخصبا كما انه يزداد عناية بتدارك الكثير من نواقصه التي يأخذها عليه اصحاب المدرسة الشعرية التقليدية وانصارها . وهذا يكفي دلالة على حيوية « الشعر الجديد » .

[الحياة] **حسين مروة**

من وصية ومذكرات اغا خان

●

توفي في الشهر الماضي الزعيم الديني الاسماعيلي اغاخان ، وقد ذكرت الاخبار العالمية نص الوصية التي سمي فيها الاغاخان حفيده ، الامير عبد الكريم ابن الامير علي ، خلفا له في زعامة الطائفة الاسماعيلية ، ومما استرعى الانتباه الاسباب التي اوردها مستندا اليها ، في تعيين خليفته فانها تدل على عقل متأثر بمعطيات العلم . وبالرجوع الى مذكرات الاغاخان التي اصدرها في العام ١٩٥٤ ، تبرز هذه الناحية العقلية واضحة في مقدمة المذكرات ، وفي هذا الجزء منها بالذات ، الذي ننقله عن جريدة «الحياة» لفائدة القراء ، وقد وصف فيه الاغاخان وضعه الخاص حيال التطورات العالمية . كما ننشر نص الوصية التي اشرنا اليها :

جاء في الوصية ما يلي :

« نظرا لتحسن الاساسي في اوضاع العالم في السنوات الماضية بسبب التغييرات الكبرى بما فيها اكتشاف العلم الذري. ارى نفسي مقتنعا بان خير الطائفة الاسماعيلية الشيعية لي ان اسمي خلفا لي شابا ترعرع في العصر الحديث سيكون لديه نظرة جديدة الى مركزه كامام . »

* * *

وجاء في مقدمات المذكرات :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خير وابقى من الخرافة او الاسطورة او الزمن هي الحقيقة مهما كانت عن رجل او قطر او مؤسسة .

ولعله من حقي ان اردد مثل هذا القول . فقد نسجت حولي شبكة من الاساطير طوال حياتي بشكل يذهب بعيدا في جموح الخيال وشططه وهي بحاجة الى تصحيح ، خاصة تلك التي تدور حول ثروتي وثروة عائلتي . فلقد تناهت الي تقديرات عن دخلي ورأسمالي ليست فاحشة المبالغة فحسب ، بل انما هي ايضا بحاجة الى تعديل او تقويم يمحو عقدين من ارقامها على الاقل :

لقد كانت حياتي في كثير من السبل جسرا عبر عصور وسيعة التباين واذ اتطلع اليها اللحظة من وجهة النظر الغربية اجد نفسي قد اخذت قسطا تاما من الحياة في العهد الفيكتوري كما اعايش اليوم قسطا تاما من الحياة في العهد الاليزابيتي الحالي .

في شبابي كان المحرك لا يزال في مرحلته التجريبية وكانت اولى السيارات موضع الهزء والسخرية . اما اليوم فنحن نتحدث جميعا عن الطائرات التي تخترق بسرعتها جدار الصوت ، كما لو كانت امرا مفروغا منه ، كما اننا نبحث احتمال السفر بين الكواكب السيارة بجد اكبر من ذاك الذي كنا نتحدث عنه !

ولم اكن في حياتي مجرد متفرج على احداث الحياة ، انما شاركت في بعضها مشاركة فعالة . واذا كان الوقت لم يحن بعد لقياس مدى الثورة التي عايشتها وشهدتها فاننا نستطيع ان نرى الكثير في اوجهها ومظاهرها متبلورة في عدة افاق من حياة التجربة الانسانية !

لقد تعرض منهاج الحياة في العالم الغربي بمجموعه الى تغييرات اساسية بعيدة المدى لعل اعظمها ازدياد الاعمار زهاء عشرين عاما فالشيخوخة تبدأ الان عند الرجال والنساء في الغرب متأخرة عشر او عشرين سنة عن السنين التي كانت تبدأ فيها عندما كنت في ريعان شبابي.

وزالت القيم الاخلاقية والاجتماعية فبينما كان الناس ينظرون الى شذوذ الحب بين افراد الجنس الواحد نظرتهم الى الجذام ، فاننا نجد في اكثر اقطار اوروبا اشفاقا واسعا على المصابين بذلك الشذوذ ، يستقي مبرراته من نظريات « فرويد » في السلوك الجنسي وعوامل انحرافه النفسية او اننا نجد المعاذير لذلك الشذوذ بل قد نجد تبريرا مكشوفا له ان لم يكن تمجيدا يعقده ويسوقه رجال من ائمة الفكر والادب كاندريه جيد !

لقد رأيت ثورة اسيا المديدة ضد الحكم الاوروبي وكانت هذه الثورة في القرن الماضي غيمة لم تكن اكبر حجما من قبضة اليد !

اجل كانت ثورة لا تتعدى املا صغيرا في الوصول الى بعض المناصب القليلة ، وفي قلة من القاب الشرف . اما اليوم فان الثورة في اسيا اصبحت حقيقة واسعة وضعت في كل مكان ، واقعيا واسميا ، حدا للحكم الاوروبي في الشرقين الادنى والاوسط .

ولقد عشت ما يكفي لرؤية الحدث ذاته يبدأ اليوم في افريقيا ، ولكن لحسن الحظ تعلمت الطبقات الغربية الحاكمة درسا من اسيا فحفظت عبرته .

وكذلك كان لي نصيب في هذه التبديلات ويهمني ان اذكر بانه مهما يكن الدور الذي لعبته في الشؤون العامة وفي التطورات السياسية في الهند ، فانه لم يكن من ضمن واجبي ومهمتي ان اقوم به .

فمنذ طفولتي ونعومة اظفاري كان همي الرئيسي ومسؤوليتي الاساسية تحمل العبء الاثقل الذي ورثته كامام للطائفة الاسماعيلية في المذهب الشيعي الاسلامي . واستطيع ان اذكر هنا ان اعباء الامامة هذه كانت دائما شغلي الشاغل الاول في جميع الاوجه خاصة في ميدان الحفاظ على ما لا يحصى من الروابط الشخصية وروابط الولاء الديني التي احتلت مقاما كبيرا في حياتي كل يوم ، وهكذا كان كل شيء اخر فعلته او جهدت لفعله او تمتعت به او تألمت منه كان ثانويا في اهميته !

لقد حاولت في جميع السنوات التي امضيتها في الحياة العامة ان افعل خير ما في وسعي .

وليس بامكاني ان احكم بنجاح او اخفاق ما حاولت ان افعله فالحكم النهائي على ذلك ليس في يدي .

ولكن قد شهدت حركة التطور الجماعي في جميع اوجه الحياة كالثورة الفنية الالية في عصرنا الراهن ، وكسيادة الانسان المتزايدة على قوى الطبيعة ، وكالاقرار باهمية العقل الباطني ، وكالزيادة الكبرى في مستويات وقيم اخلاقية مشفوعة بتغيرات عميقة في الاجتهادات والمفاهيم الانسانية منسجمة مع تلك القيم والمستويات واخيرا كالتطورات السياسية الكبرى التي كانت مستعصية حتى على الخيال في شبابي !

قالوا في « الاديب »

●

نواصل فيما يلي نشر بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرين عطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديب دائما عند حسن ظنهم بها .

* * *

قالت مجلة المنهل الغراء التي تصدر في مكة المكرمة :

أصدرت مجلة « الاديب » اللبنانية الزاهرة عددا ممتازا ضخما حافلا بمناسبة دخولها سنتها الجديدة من عمرها المديد ..

ومجلة الاديب الغراء غنية عن التعريف ، لانها مجلة العرب التي تحمل الى قرائهم في شتى اقطار العروبة كل ما لذ وطاب ، من اداب قيمة ، وتفكير رائع ، واحياء منشود ، وانماء لموارد ومصادر العقلية العربية المتفتحة الوعي والادراك .

والحق يقال ان استمرار الاديب في الصدور والذيوع لقد برهن لنا على ان الادب العربي ما يزال بخير ، وان الاختلال والاعتلال ان صحا فانما هما في القادة والرادة .. فاذا كان القادة والرادة من نوع الاستاذ البير اديب منشىء مجلة الاديب فان شجرة الاديب لتبدو ناضرة باسقة تزداد كل يوم نموا الى نمو ونضرة الى نضرة ..

حيا الله الاديب وامد في عمرها دهورا طوالا مملوءة بالتجديد والاشراق .

●

وقالت مجلة « المواهب » الغراء التي تصدر في بونس ايرس بالارجنتين :

اصدرت مجلة « الاديب » البيروتية الغراء لصاحبها الاديب الفاضل والمجاهد العربي الحر ، الاستاذ البير اديب ، عددا ممتازا بمناسبة ولوج صحيفته المزدهرة عامها الجديد ، وهي ما تزال ، بحمد الله ، موفورة النشاط كبيرة الجهاد كثيرة النفع ، فاتى هذا العدد الممتاز كما اراد له حضرة الزميل الكريم من براعة وجمال ، غزير المادة ، طافحا بالمباحث القيمة والادب العالي والفن المستحدث الطريف ، وليس هذا بمستغرب في مجلة « الاديب » وهي التي تسير على هذا النهج منذ ان صدر عددها الاول ولا تزال حتى اصبحت بعد جهاد خمسة عشر عاما دعامة قوية في بناء الادب العربي يشار اليها بالبنان ومسرحا لاقلام اعلام الادب الحرة ، كما انها تعد في الطليعة من المجلات العربية الراقية .

فللزميل المجاهد الكريم الاستاذ البير اديب خالص التهنئة وخالص الاعجاب والتقدير ، ومد الله بعمر « الاديب » ونفح الامة بجهودها المثمرة والوطن العربي بدفاعها المجيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

٥ يونيو ١٩٥٧ ـ وجهت الحكومة السعودية الى الامم المتحدة ومجلس الامن شكوى تتهم فيها البوارج الاسرائيلية بضرب خليج العقبة

٦ ـ توفي السيد صالح جبر رئيس وزراء العراق سابقا واحد رجال الدولة البارزين

ـ وصل السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى القاهرة في زيارة مفاجئة .

٧ ـ وصل الملك سعود الى عمان في زيارة رسمية للاردن .

ـ وقعت الولايات المتحدة وبولونيا اتفاقا اقتصاديا تعهدت فيه امريكا بتقديم مساعدات مالية لبولونيا قدرها ٩٥ مليون دولار .

٨ ـ قدم السيد نوري السعيد رئيس الوازرة العراقية استقالة حكومته .

ـ وصل فرانشيسكو كرافيرو لوبيز رئيس الجمهورية البرتغالية الى ريو دي جانيرو في زيارة رسمية للبرازيل .

ـ على اثر زيارة المارشال بولغانين والسيد خروتشيف لهلسنكي صدر بلاغ سوفياتي فنلندي مشترك جاء فيه ان الاتحاد السوفياتي يعترف بان فنلندا تبذل جهدها للبقاء خارج النزاعات الناشبة بين الدول الكبرى . وان المحادثات عقدت في جو من الصراحة والمودة.

٩ ـ وصل حسين سهروردي الى كابول لاجراء محادثات مع المسؤولين الافغانيين .

١٠ ـ قدم السنيور ادوني زولي رئيس الوازرة الايطالية استقالته ولم يمض على تشكيل حكومة زولي اكثر من ٢٣ يوما .

ـ اعلنت الحكومة الاردنية انها بعد ان اخرجت الملحق العسكري المصري في عمان من اراضيها قد اخرجت ايضا قنصل مصر في القدس وذلك لاسباب تتعلق بالامن .

ـ طلبت الحكومة المصرية من الحكومة الاردنية سحب سفيرها من مصر خلال ٢٤ ساعة . اما السفير المصري في عمان فموجود في القاهرة منذ مدة .

١١ ـ سحبت مصر ممثلها لدى القيادة المشتركة في عمان .

ـ بعد أزمة وزارية طويلة الف موريس بورجيس مونوري الوزارة الفرنسيةالجديدة .

١٣ ـ صدر بلاغ سعودي اردني مشترك على اثر انتهاء زيارة الملك سعود الرسمية للاردن يعلن الاتفاق التام بين وجهات نظر الملكين والتعاون العسكري والتمسك بجميع المواثيق

١٤ ـ زار البنديت نهرو دمشق زيارة رسمية وهو في طريق سفره الى لندنلحضور مؤتمر الكومنولث .

ـ سمحت الحكومة الفرنسية للسفن الفرنسية بعبور قناة السويس .

ـ قدمت تونس مذكرة جديدة لفرنساتحتج فيها على الحوادث الخطيرة والاعتداءات التي يقوم فيها الجيش الفرنسي في جنوب تونس

١٦ ـ سافر رئيس وزراء اليابان نيوسوكي كيشي قاصدا الولايات المتحدة وقد صرح بانه سيبلغ الرئيس ايزنهاور حقيقة ما يريده الشعب الياباني وهو يأمل قيام عهد جديد من العلاقات بين الدولتين .

١٧ ـ اغلقت الحكومة الاردنية سفارتها في القاهرة .

١٨ ـ الف السيد علي جودت الايوبي الوزارة العراقية الجديدة .

ـ كلف السنيور امنتوري فانفاني السكرتير العام للحزب الديمقراطي المسيحي بتاليف الوزارة الايطالية الجديدة .

١٩ ـ اعلن ان ثلاث غواصات سوفياتية اشترتها الحكومة المصرية قد انضمت الى الاسطول المصري .

٢٠ ـ صرح الرئيس حبيب بو رقيبة ان توتر العلاقات بين فرنسا وتونس اخذ يخف بسبب تبديل الجيش الفرنسي تصرفاته .

ـ وصل السيد حسين شهيد سهراوردي رئيس الحكومة الباكستانية الى بيروت في زيارة رسمية .

٢٢ ـ وصل الملك حسين يرافقه وفد اردني الى بغداد في زيارة رسمية للعراق .

٢٣ ـ صدر بلاغ مشترك بالمحادثات اليابانية الامريكية التي اجراها السيد كيشي رئيس الوزارة اليابانية مع الرئيس ايزنهاور وتحدث البلاغ عن اتفاق وجهات النظر والعمل المشترك في مختلف الامور .

٢٤ ـ صدر بيان اردني عراقي عن نتيجة محادثات الملك حسين والملك فيصل في بغداد يعلن السعي لضم الصفوف العربية والتعاون لمقاومة المبادىء الهدامة وعدم تدخل أية دولة عربية في شؤون دولة اخرى مع التمسك بميثاق الجامعة العربية .

ـ قدمت الحكومة اللبنانية مذكرة الى الحكومة السوفياتية ترد فيها على مذكرة سوفياتية قدمت اخيرا وقد استنكرتالحكومة اللبنانية تدخل موسكو في شؤون لبنان الخاصة .

ـ توقفت العلاقات بين سوريا والسعودية وغادر السفير السعودي دمشق حتى اشعار اخر احتجاجا على تصريحات السيد خالد العظم وزير الدفاع السوري والحملةالصحافية على السعودية .

٢٦ ـ توترت الحالة على الحدود السورية الاسرائيلية واذاعت الانباء عن وصول امدادات عسكرية سورية واسرائيلية الى الحدود وجرى تبادل اطلاق النار مدة نصف ساعة .

ـ صرح الرئيس ايزنهاور ان احدا لن يخرج منتصرا من حرب عالمية جديدة وانه من قبيل التشاؤم الظن بان الحرب لا مفر منها .

٢٧ ـ اكتشف في نانكنغ منظمة هدفها قلب الحكومة الصينية الشعبية والقضاء علىالحزب الشيوعي .

ـ انذر الاتحاد السوفياتي المانيا الغربية بانها اذا تعاونت مع الغرب في التسلح النووي فيمكنها ان تطلق كل امل باعادة توحيد المانيا.

٢٨ ـ دعا الوزير الفرنسي المقيم في الجزائر روبير لاكوست الى ايجاد ضمان محدود للحكم الذاتي في الجزائر تشرف عليه فرنسا اشرافا شاملا .

٢٩ ـ رفضت الولايات المتحدة طلبا تقدمت به ١١ حكومة عربية بان تتوقف امريكا عن ارسال المساعدات العسكرية الى فرنسا ونصحت العرب بالتفاوض لحل مشكلة الجزائر

اول يوليو ١٩٥٧ ـ صرح الرئيس جمال عبد الناصر بان السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ستجعل من القوميين العربشيوعيين

ـ وصل الامير فيصل آل سعود ولي عهد المملكة السعودية الى نيويورك للمعالجة الطبية

٢ ـ اذاعت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكندا بيانا مشتركا رحبت فيه بقبول الاتحاد السوفياتي لمتطلبات مراكز المراقبة الذرية بالطرق العلمية وان قبول السوفيات قد اخرج الى حيز الوجود امكان تعليق التجارب الذرية .

٣ ـ انتخبت مصر مجلسها النيابي الاول منذ الثورة وقد ساهمت المرأة لاول مرة بحقها كناخبة ومنتخبة .

ـ صدر بلاغ عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي يعلن اخراج جورجي مالنكوف ولازار كاغانوفيتش وف. مولوتوف من مجلس رئاسة الحزب « البريزيديوم »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وطردهم من الحزب واقالة شبيلوف من منصبه في امانة الحزب مع ابقائه عضوا في هيئة الرئاسة .

٤ ـ اعلن الحزب الشيوعي الروماني الذي يتولى زمام الحكم انه طرد من مكتبه السياسي جوزف شيزينفشي الذي طرد ايضا من منصبه كسكرتير للجنة الحزب المركزية وميرون كوستانتينسكو .

ـ اعفي الزعماء السوفيات مالنكوف وكاغانوفيتش ومولوتوف من مناصبهم الحكومية

ـ وصل اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المصرية المسلحة الى الرياض لمقابلة الملك سعود .

٥ ـ اختتم رؤساء وزراء دول الكومنولث مؤتمرهم في لندن واصدروا بلاغا دعوا فيه لحل النزاع العربي الاسرائيلي وتحسين اوضاع اللاجئين العرب وتسوية جميع المشاكل المعلقة المتصلة بالنزاع حول قناة السويس .

٦ ـ اذاع راديو موسكو بيانا اكد فيه ان سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية القائمة على حب السلام والاستقرار لن تتغير وكذلك مبدأ التعايش السلمي مع جميع الدول وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة باعتبار ان السلم العالمي مرهون بذلك وقال البيان ان الثلاثة المعزولين كانوا يعملون ضد هذا السلم .

٧ ـ عين السيد احمد الشقيري الامين العام المساعد للجامعة العربية وزير دولة سعوديا لشؤون الامم المتحدة وقد صرح بانه سيمثل المملكة العربية السعودية في دورة الامم المتحدة .

٩ ـ صادقت الجمعية الوطنية الفرنسية على مشروع يمنح الجزر الفرنسية في جنوب المحيط الهادىء وهي كاليدونيا الجديدة الغربية وجزيرة تاهيتي الاستقلال الذاتي وكذلك ايضا الصومال الفرنسي على الساحل الشرقي لافريقيا .

ـ وقع اعتداء اسرائيلي نظامي على احد المخافر السورية ادى الى اصابة اربعة من العرب وتدخلت هيئة الرقابة الدولية لوقف اطلاق النار .

ـ وصل الى براغ الرفيقان نيكيتا خروشوف ونيقولاي بولغانين في زيارة رسمية لتشيكوسلوفاكيا وقد جرت لهما استقبالات حافلة .

١٠ ـ الف نوبوسوكي كيشي رئيس الحكومة اليابانية وزارته الجديدة بعد ان طلب من وزرائه السابقين الاستقالة .

ـ وصل السيد حسين سهروردي رئيس الوزارة الباكستانية الى وشنطن لزيارة الرئيس ايزنهاور واجراء محادثات هامة .

ـ وصل الى القاهرة شري جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند قادما من انجلترا وسيجري مباحثات هامة مع الرئيس جمال عبد الناصر

١١ ـ اذاع راديو موسكو ان الرفاق مالنكوف ومولوتوف وكاغانوفتش قد عينوا في مناصب جديدة . واعلن ان جورجي مالنكوف عين مديرا لمركز توليد الطاقة الهيدرو ـ كهربائية في شرقي كازختان في اسيا الوسطى .

ـ توفي في جنيف آغا خان زعيم الطائفة الاسماعيلية .

١٢ ـ فتحت وصية اغا خان واتضح انه قد سمى حفيده الامير عبد الكريم ابن الامير علي خان خلفا له في زعامة الطائفة .

ـ سافر شري جواهر لال نهرو الى الخرطوم في زيارة ودية رسمية للسودان .

ـ اجريت في نيويورك عملية جراحية للامير فيصل آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية .

١٣ ـ اجري تعديل على الحكومة الاردنية شمال ادخال خمسة وزراء جدد في وزارة السيد ابراهيم هاشم .

ـ وصل بول ملك اليونان والملكة فريدركا الى بلغراد في زيارة للماريشال تيتو .

ـ تم في جنيف تنصيب الامير عبد الكريم خان زعيما للطائفة الاسماعيلية ويبلغ عدد الطائفة ٢٠ مليونا .

١٥ ـ كان حسين شهيد سهروردي رئيس حكومة باكستان صرح في وشنطن بانه راغب في التوسط بين العرب واسرائيل لعقد صلح بينهم وايجاد تسوية لمشكلة فلسطين وقد صرح صبري العسلي رئيس الوزارة السورية بان الدول العربية لن تعترف بوجود اسرائيل والعرب مصممون على عدم التساهل بحقوقهم في فلسطين وسنستعيد هذه الحقوق مهما كان الثمن . واعلنت اسرائيل عدم قبول الوساطة لاعتقادها بان المفاوضات المباشرة وحدها لها حظ النجاح في النزاع العربي الاسرائيلي .

١٦ ـ اقتدت اليابان ببريطانيا والمانيا الغربية وغيرهما من الدول الاوربية التي الغت قيود عديدة كانت مفروضة على التجارة مع الصين الشعبية .

١٧ ـ وصل الى القاهرة كريشنا مينون وزير الدفاع الهندي وسيبحث مع الرئيس عبد الناصر طائفة من المسائل الهامة مكملا بذلك المباحثات التي بدأ بها جواهر لال نهرو حول إستئناف العلاقات بين مصر وبريطانيا .

ـ وصل الى موسكو محمد ظاهر شاه ملك افغانستان لاجراء محادثات مع الزعماء السوفيات .

ـ استقبل خروتشوف مع بولغانين استقبالا حافلا في موسكو بعد عودتهما من براج واعتبر هذا الاستقبال بمثابة استفتاء شعبي للتدابير التي اتخذت ضد الزعماء السوفيات المفصولين .

ـ كذبت الحكومة الباكستانية خبر عرض وساطة حسين سهروردي لعقد صلح بين العرب واسرائيل .

١٨ ـ اذاع راديو صوفيا نبأ طرد ثلاثة من كبار زعماء الحزب الشيوعي في المجر . وهي ثالث دولة بعد رومانيا والصين الشعبية التي تقوم بحركة تطهير في الحزب .

ـ وصل هو تشي منه رئيس جمهورية فيتنام الشمالية الى براج في زيارة رسمية لتشيكوسلوفاكية .

ـ قدمت ٢١ دولة افريقية اسيوية طلبا رسميا لمناقشة القضية الجزائرية في الدورة القادمة للجمعية العامة للامم المتحدة .

١٩ ـ وصل السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى زوريخ للمعالجة والاستشفاء .

ـ اقر مجلس العموم البريطاني نهائيا مشروع قانون بمنح اتحاد الملايو الاستقلال ضمن نطاق الكومنولث في الشهر القادم .

ـ اعلن ناطق رسمي بريطاني في البحرين ان ثورة قبلية في مسقط وعمان قد احرزت بعض النجاح وان سلطان مسقط اخذ يستخدم جيشه الذي يضم ضباطا بريطانيين للقضاء على الثورة .

ـ اعلن البيت الابيض ان الرئيس ايزنهاور والملك سعود قد تبادلا الرسائل حول موضوع استخدام السفن الاسرائيلية لخليج العقبة .

ـ وصل الملك سعود الى ايثوبيا في زيارة للامبراطور هيلاسلاسي .

ـ اعلن في مصر اكتشاف مؤامرة في شهر ابريل الماضي لاغتيال الرئيس عبد الناصر وجميع الوزراء ويبلغ عدد المتهمين الموقوفين ١٤ منهم ٩ ضباط وبين المدنيين الدكتور محمد صلاح الدين الوزير السابق والمرشح لرئاسة الوزارة في حالة نجاح المؤامرة وعرفت الحركة باسم « حركة انصار الحق » .

٢٠ ـ صرح رئيس الحكومة البريطانية هارولد ماكميلان ان التضخم المالي هو مشكلة الساعة في بريطانيا ولا يوجد حل لهذه المشكلة سوى زيادة الانتاج .

مطبعة « الشراع »
بيروت ـ الحازمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللـه

○ ○ ○

لم تتفق الانسانية ، عبر تاريخها القديم والحديث ،على قضية خطيرة كما اتفقت على معضلة الله ، من حيث الجوهر لا من حيث الوجود . ان الذي يتصفح الاجيال الماضية ، منذ بداية الزمن الادمي ، لا يرى غبرة واحدة عطلت الايمان بالعلة الاولى . لقد سلمت البشرية ، حالما ادركت لب كيانها ، بحتمية واجب الوجود . هذا الواجب ان يكون على رأس الخليقة ،مصدرا لها وغاية في الوقت نفسه ، هو بالواقع منبع كل الحضارات ، لدى الافراد والشعوب . هو ملتقى دروب الفكر الانساني كله . منذ اندفقت جميع مظاهر المدنيات في تاريخ الامم ، واليه ترد جميع مظاهرها الوجدانية .

اما التباينات التي حصلت وما زالت ، بصدد معضلة الله ، فهي من جهة وجود هذا الواجب الوجود ، اي من جهة كيفية المراسيم التي يتمظهر بها . منهم من جعله شخصا معينا كالانسان ، يتصل بالكون لدى بعضهم ، ويترفع عنه لدى بعضهم الاخر . ومنهم من اذابه في الكائنات ، فاذا به قوة غامضة مفلوشة ، قد اندمجت بكل شيء .. هو الكائنات ذاتها ، والكائنات هو ذاته ، ومنهم من الحد ، والالحاد على انواع . واحد ينكر وجوده في بدء من البحث عنه . وثان ينكر وجوده الفوقي ليحل محله وجودا تحتي . وثالث يعاند وجوده الروحي ذهابا من وجوده الروحي عينه . حول هذه المراسيم في تحديد كيفيات وجوده ، تناحرت العقائد ، وتلونت ، فكانت الاديان المتنوعة بشكل طوائف ...وكان الالحاد ايضا ، الذي هو ايمان به ؛ ولكن على طريقته الخاصة .. اي بصورة مقلوبة ، معكوسة .

الحق ان البشرية لا تستطيع ان تعيش بدونه . لكل دين اله ، وليس من شعب في التاريخ الا وله دين خاص به ، ولكل الحاد اله ، اذ الالحاد ايمان مبعوج . ان الله جوهرا كائن في اساس مطلق الحاد . وهذا يعني ان الالحاد نسبي . الالحاد التام ما كان ولن يكون . لم تعرفه الانسانية في الماضي ، ولن تعرفه في المستقبل . ذلك لانه يتناول الغاء شرشها الاول ، فتنتحر انتحارا جامعا ،وهذا مبطل لذاته اساسا . وما لنا الا ان نعود الى حياة الامم ، التي مرت على مسرح الوجود ، لنرى كيف استطاعت ـ في الكثير من الحقب ـ ان تتخلى عن الفلسفة ، او الفن ، او العلم ، او الصناعة ، ولكنها لم تستطع مرة ان تتخلى عن الايمان بالعلة الاولى . قدتكون هذه العلة المادة ذاتها . قد تكون بهذا الشكل الوجودي ،او بذاك ، او بذلك ... المهم انها كائنة من حيث الجوهر، ولا كيان لشيء الا بكيانها .

من الخطأ الكبير الاعتقاد اذن اننا نعيش في عصر المادية ، أي في عصر الالحاد والعلوم الايجابية . هذا الاعتقاد وهم فادح . ان العلوم ، حتى في اوج كمالها ،لا يمكنها ان تعالج معضلة الله . ونحن نؤكد ان العلم لم يستطع ، في يوم من الايام ، ان يثبت غياب العلة الاولى . ونؤكد ايضا ان الانسانية لم تجابه في عصر من العصور معضلة الله ، دون ان تدري ، بالزخم نفسه الذي تجابهها عن طريقه في جيلنا الحالي . مساكين هم الذين يحددون هذا الجيل بجيل المادية . انه الجيل الاكثر استمرارا بالعقائد . والعقيدة حافة من حفافي الوجدان الانساني . العقيدة فوق العلم ... فوق موميائية ارقامه واشكاله ... فوق جفاف براهينه المحاسبة .

العقيدة رؤية مباشرة ، هي ضرب من المشاهدة الواضحة ، المتميزة ، التي لا يحتاج صاحبها الى ما او من يبرهن له انه في مجابهة صريحة . هي وجه لوجه تواً. ولذا كانت ايمانا لا تدليلا او استنتاجا . كانت فوق اسانيد الكم ، ومنطيق التحليل والتركيب . ومن هنا التماسها القوة في سبيل الذود عنها . العقيدة لا تدرك بهدوء . لا تنال بالجدل المسوس . العقيدة بنت العنف والقسر . بنت الاستشهاد ذهابا من الدم الطاهر . وهل حاربت الانسانية ، في يوم من الايام ، من اجل منطق ؟من اجل عملية حسابية ؟ من اجل علم ايجابي ؟ اي من اجل ما يمكن الوصول اليه بالاستناد الى الارقام ؟ وهل انتشرت عقيدة الا عن طريق الصراع ؟ وكلما ازدادت العقائد ازداد الصراع . الارقام لا تتطلب عقيدة، أي ايمانا بها . الارقام هادئة ، ساكنة ، لانها من عند الجماد . العقيدة ما ورائية المصدر والغاية . العقيدة تقميش نجمي . والعقيدة سلم قيم غيبية . ادناها متصل جدا بأعلاها . واعلى العقائد هي الله . وهل الاجماع جوهرا حول الله الا الدليل الاكبر الى ان الشعوب تقوم اساسا على قاعدة واحدة ، أي الى انها تنبض بانسانية هي هي ،من حيث العين والذات والنفس ، في كل زمان ومكان ؟

كمال يوسف الحاج

نشأة الاطار الفكري لعلم الاجتماع الحديث

بقلم الدكتور محسن مهدي

*

يقال ان مبشرا اجتمع بعيد الحرب الاخيرة مع زعيم قبيلة من آكلي لحوم البشر في مجاهل افريقيا . ولما كان المبشر لم يكن قد ذاق طعم اللحم البشري ، لم يتمكن من اثبات بشاعة اكله على اساس التجربة الشخصية ، فحاول ذم قتل الانسان لاخيه الانسان بوصف اهوال الحرب التي انتهى منها بنو وطنه منذ عهد قريب .

ولما وصل الى ذكر ان ثمانية عشر مليونا من البشر قتلوا خلال هذه الحرب ، لم يتمالك الزعيم ، الذي كان يتابع الحديث بشوق ، عن مقاطعة المبشر بسؤال شغل باله : وكيف تمكنتم من اكلهم جميعا ؟ ولم يثر فيه جواب المبشر ، الذي اعترض ان بني قومه لا يأكلون لحوم بني جنسهم ، الا التعجب والاستغراب والحيرة، فتساءل : لم قتلتموهم اذن؟

وان كان المبشر والزعيم قد افترقا وفي كل منهما نقمة على عمل مجتمع الاخر غير الانساني ومتهما اياه بقلة العقل او الدين او الادب ، فعالم الاجتماع الحديث لا يرى في شيء من هذا داعيا اما للاستغراب او للذم ، بل يرى ان الاستغراب من افكار مجتمع اخر سببه الجهل ، وذمه سببه التعصب الاعمى وعدم الاستنارة باخر الاكتشافات العلمية . واذا ما تساءل احد عن هذه الاكتشافات اجابه عالم الاجتماع انه قد « ثبت علميا » ان لكل مجتمع افكاره الخاصة به في الكون والعدالة والحق ، وان هذه الافكار توجد ضمن اطار اجتماعي تولده خصائص المجتمع الذي توجد فيه ، وهذا كل ما في الامر ــ اي ان المجتمع هو الذي يولد هذه الافكار ، ولا معنى لها الا بعلاقتها بالمجتمع الذي ولدها ، وكل محاولة لفهمها على اساس اخر ، اي على اساس انها صالحة او طالحة او صحيحة او خاطئة او مفيدة او مضرة ، ستؤدي بالانسان الى فرض مقاييس اخلاقية او دينية او فلسفية « مطلقة » ،وقد برهن علم الاجتماع انه لا مقاييس مطلقة وان كل مقياس هو في الواقع وليد مجتمع خاص وظروف اجتماعية معينة . فكل ما يعمله الانسان عند حكمه على افكار مجتمع غير مجتمعه هو انه يحكم عليه على اساس افكار مجتمعه هو ، اي ان كل حكم من هذا النوع مبني على وهم اساسي فضحه علم الاجتماع ، ويجب ان يتحرر منه النظر العلمي الموضوعي.

وعلم الاجتماع ليس وحده الذي يعتقد بهذه النظرة الى الامور ، بل سبقته وتعاصره علوم اجتماعية عدة ، بنى كل منها للفكر اطارا حبسه فيه ، ولم ير للفكر معنى الا ضمن هذا الاطار ، واعتقد ان الفكر ليس بقادر ابدا على التحرر منه . فالتاريخ يتحدث عن الاطار التاريخي للفكر ، والاقتصاد يتحدث عن الاطار الاقتصادي للفكر ، وعلم النفس يتحدث عن الاطار النفسي للفكر ، وهكذا .

ويعم اليوم الاعتقاد ان هذه النظرة الى الفكر الانساني غنية عن البيان ، ولا تحتاج الى برهان ، وانه ليس على الانسان الا ان يلقي نظرة موضوعية على الواقع الاجتماعي ليراها ظاهرة واضحة . ولكن هذا الاعتقاد في واقع الامر وهم باطل . وذلك لان هذه النظرة ذاتها تفرض اطارا فكريا يستوجب بدوره افتراض نظرة الى الوجود وافتراض عدد كبير من المبادىء التي لا هي جلية بينة، ولا هي في غنى عن البرهان ــ وهذه المبادىء لا يعرفها عادة كثير من الذين يعتنقون هذه النظرة ، ولذلك ينقصهم الوضوح في طبيعتها ومغزاها الحقيقي . ولمعرفة هذا الاطار وتلك المبادىء علينا ان نرجع الى اصلها التاريخي ، او الى كبار المفكرين الذين اوجدوها في القرن السابع عشر ، مثل ماكيافللي وهوبز وديكارت وسبينوزا ، ونفهم طبيعة ومغزى ثورتهم على الفكر القديم التي كان لها ابعد الاثر في تكوين الفكر الغربي الحديث عامة والفكر الاجتماعي خاصة .

البحث عن اطار الفكر معناه البحث عن حد الفكر وحدوده ، ولما كان الفكر هو ميزة الانسان ، فالبحث عن حدود الفكر يعني البحث عن حدود الانسان او حدود الانسانية ، وحدود الانسان او حدود الانسانية لا يمكن ان توضع دون معرفة ما هو فوق الانسان ، اي ما يقع وراء هذه الحدود وما يضع هذه الحدود . لذلك فكل بحث في اطار الفكر عامة ، او في الاطار الفكري لاي علم من العلوم ــ او ما يسمى بمنهج ذلك العلم ــ يؤدي بالناظر ضرورة الى مشكلة طبيعة الفكر وطبيعة الكون وصلة الفكر بالكون . وصفة كل علم تتوقف في النهاية على قبول او افتراض حل ما لهذه المشكلة وبناء منهجه وبحثه، ثم التوصل الى نتائجه ، على اساس هذا الحل . ولكن العلوم المختصة وان كان عليها ضرورة قبول حل ما لهذه المشكلة ، لا تقدر بذاتها حل هذه المشكلة ، اي البرهنة على ان الحل الذي تقبلته هو الحل الصحيح . وذلك لان موضوع كل علم مختص محدود بطبيعته ، وحل هذه المشكلة يعني اصدار الحكم البرهاني على الكل ، اي على موضوع اوسع من موضوع كل من العلوم المختصة .

لذلك نجد القدماء لما نظروا في هذا الامر وجدوا ان فهم طبيعة الكل هو غاية العلم باسمى معانيه او الفلسفة ، وان هذا العلم الاول هو الذي يبحث ويقترح الحلول لمشكلة طبيعة الفكر وطبيعة الكون وصلة الفكر بالكون . وان العلوم

الجزئية بدورها تأخذ نتائج هذا البحث مبادىء للبحث في مواضيعها الخاصة . وهكذا تكون العلوم الجزئية اقل رتبة من العلم الاول وتعتمد عليه لبرهنة مبادئها . وطبيعة الفكر ومنهج البحث العلمي من اختصاص العلم الاول الذي يعطي مبادئها ثم من اختصاص المنطق الذي يحدد منهج الفكر في البحث عامة ويقرر الطرق التي عليه التمسك بها ليتجنب الخطأ في احكامه . ولذلك سمي المنطق آلة العلوم . ثم انه لما كانت لكل علم امور تخص موضوعه ومسائله ، كان من الضروري لكل علم ان يختار من بين قوانين المنطق العامة لكل العلوم ما يتلاءم وموضوعه ، وان يستنبط من هذه القوانين العامة القواعد التي يحتاج اليها في البحث عن موضوعه الخاص

هذا ولم يتحدث القدماء عادة عن اطار الفكر وانما عن طريق الفكر او آلة الفكر . وذلك لانهم كانوا يميلون الى الاعتقاد ، على قول ارسطو في كتاب النفس ، بأن « النفس هي جميع الاشياء » (٤٣١ ب ٢١) ، اي ان الانسان بقواه النفسية من حس وعقل قادر مبدئيا على تصور جميع الاشياء المحسوسة والمعقولة ، او انه لا يوجد شيء لا يقدر العقل بطبيعته ان يعرف كنهه : ان موضوع العقل هو الكون باسره او كل ما هو موجود . فالمشكلة عندهم لم تكن اذن البحث عن اطار الفكر او حدوده ، اذ ان اطار الفكر هو اطار الكون وكل ما هو موجود ، او انه لا اطار يحدد الفكر بما هو فكر . ولذلك فمشكلة الفكر هي بالاحرى مشكلة الطرق التي يجب ان يتبعها في بحثه عن ماهية الموجودات ، والقوانين التي يجب اتباعها في هذا البحث والتي تفرضها طبيعة الموجودات وطبيعة عملية التفكير التي تبغي الوصول الى احكام عن طبيعة الموجودات تطابق ما عليه الموجودات ذاتها .

وهذا يعني ان العالم الطبيعي وعالم الانسان معقول في جوهره ، وان توجه العقل الانساني نحو معرفة العالم كما هو ليس جريا وراء حلم جميل ورغبة غير مشروعة ، بل جزءا جوهريا من تركيبه وطبيعته ، وان محاولة العقل معرفة طبيعة الاشياء واسبابها اساسه ان للاشياء طبائع واسبابا ــ اي ان هناك توافقا بين العقل الانساني والعالم الخارجي . فاذا لزم مع هذا التحدث عن اطار الفكر عند القدماء ، فيجب القول ان للعقل عند القدماء اطارا طبيعيا يعمل ضمنه

اما عند المحدثين فنجد عددا من العلوم الجزئية ، وخاصة العلوم الاجتماعية ، تقوم ببحث اطار الفكر وتحاول هي ذاتها حل مشكلة طبيعة الفكر والبرهنة على صحة حلها . فالتاريخ يحل المشكلة بالتوكيد بان الفكر الانساني بأجمعه محدد باطار تاريخي يجري التفكير ضمنه ، ويحاول البرهنة على ذلك بالاشارة الى تبدل الافكار من عصر لاخر . والاقتصاد اكد في مرحلة من مراحله بان الفكر الانساني باجمعه يجري ضمن اطار اقتصادي ، وحاول البرهنة على ذلك بالاشارة الى اثر المصالح الطبقية في تكوين الافكار . وعلم الاجتماع يؤكد اليوم ان الفكر الانساني باجمعه يجري ضمن اطار اجتماعي ، ويحاول البرهنة على هذا بالاشارة الى اختلاف الافكار من مجتمع الى اخر ومن طبقة اجتماعية الى اخرى ، وهكذا .

ولا يمكن فهم مغزى مثل هذه التوكيدات قبل فهم الاسس التي بنيت عليها . واحسن طريق لفهم هذه الاسس هو مقارنتها بالاسس التي بنى عليها القدماء نظرتهم الى هذا الموضوع . فالعلوم الجزئية لم تكن عند القدماء بقادرة على البحث في اطار الفكر لان موضوعها جزئي وموضوع اطار الفكر كلي ، اما المحدثون فقد تغلبوا على هذه الصعوبة بتحويل موضوع العلم الجزئي في كل من العلوم الاجتماعية المذكورة الى موضوع ذي صفة كلية . فالتاريخ لم يعد ذلك البحث ذا الموضوع المحدود وهو اعمال الانسان الماضية عامة ، واعماله السياسية خاصة (فالتاريخ كان حتى العصر الحديث هو التاريخ السياسي) ، وغايته لم تعد معرفة الحوادث الماضية كما وقعت ! مما دعى ارسطو الى القول ان التاريخ اقل حظا من الفلسفة حتى من الشعر) ، بل اصبح موضوعه يشمل كل شيء انساني من سياسة واقتصاد وحضارة وعلوم وفلسفة ، واصبح يعتقد ان كل شيء هو في النهاية تاريخي ، اي يتبدل ويتقلب ، وان هذه التاريخية هي صفته الجوهرية ، وان غاية المعرفة الانسانية هي معرفة تاريخية كل شيء . والاقتصاد لم يعد ذلك الفن الوضيع الذي ينظر في تدبير المنزل ويخدم علم السياسة في تدبير الدولة ، بل اصبح كل شيء : فقيل ان الحياة الاقتصادية هي التي تؤدي الى تكوين الحياة السياسية والفنية والعلمية والفلسفية ونظرة الانسان الى الكون والمجتمع ــ ولما كانت كل هذه الاشياء ترجع في جوهرها الى التركيب الاقتصادي للمجتمع ، فغاية المعرفة الانسانية هي ان تعرف هذا الجوهر بارجاع هذه الاشياء الى اسسها الاقتصادية . وعلم الاجتماع لم يعد ذلك العلم العملي الذي كان يعرف بعلم السياسة وموضوعه حياة الانسان الاجتماعية وغايته مساعدة السياسي في تدبير المجتمع وتحسينه ، بل اصبح علما نظريا يؤكد ان الحياة الاجتماعية منها تنبع الحياة الاقتصادية والفنية والعلمية والفلسفية ونظرة الانسان الى الكون ، وان هذه ترجع في جوهرها الى تركيب المجتمع الذي تقع فيه (فهو يتحدث عن « اجتماعية المعرفة » مثلا) وان غاية المعرفة الانسانية هي ان تعرف هذا الجوهر بارجاع كل هذه الاشياء الى المجتمع الذي تقع فيه . كما ان ما يؤكده التاريخ والاقتصاد والاجتماع ليس فقط ان للفكر ارتباطا بالزمان او الحياة الاقتصادية او الحياة الاجتماعية ، فهذا شيء تافه عرفه كل من بلغ سن الرشد منذ بدء الخليقة ، بل ان العصر التاريخي او الحياة الاقتصادية او الحياة الاجتماعية تكون الاطار الذي يحد الفكر باجمعه ، وبذلك يكون الحد الذي يجبر الفكر على التفكير ضمنه ولا يتمكن ان يتعداه ــ انه مربوط دائما ضمن النطاق الذي تقرره له . هذا هو التوكيد الذي يعطي العلوم الاجتماعية الحديثة صفتها الخاصة ويفرقها عن الفكر الاجتماعي الذي سبقها باجمعه .

والعلوم الاجتماعية الحديثة ما كانت بقادرة على هذا القول لو انها لم تسلم بان رأي القدماء في ان العقل قادر مبدئيا على معرفة كل شيء هراء باطل . والعلوم الاجتماعية لم توجد هذه الثورة على الفكر القديم ، بل اوجدها التفكير الفلسفي في القرن السابع عشر . والتفكير الفلسفي في القرن السابع عشر بدأ حيث تبدأ كل فلسفة ، اي بدأ بالشك . ولكن بينما الفلسفة القديمة وجدت ان مذهب الشك يناقض نفسه وان المعرفة تعني التغلب التدريجي على الجهل ، وان الشك آلة مفيدة في الوصول الى المعرفة ، وقفت الفلسفة الحديثة عند مذهب الشك واعتقدت ان عدم وصول المفكرين طوال هذه العصور الى

اتفاق نهائي بخصوص مبادىء الكون ومبادىء الحياة الاجتماعية دليل قاطع على ان هذه المشاكل بطبيعتها لا تقبل ولن تقبل حلا نهائيا ، وان كل بحث عن هذه الحلول عبث باطل ، اي ان الفلسفة بمعناها الاصلي والقديم عبث

ولكن الثورة على الفكر القديم لم تكن غايتها اعتماد الشك كمذهب نهائي ، بل كانت مقدمة للوصول الى مذهب فلسفي جديد ينجح حيث فشلت الفلسفة القديمة . فقد قيل ان الفلسفة هي حب الحكمة والبحث عنها . ولكن الى متى سنبقى نحب الحكمة دون الوصول اليها ، ونبحث عنها دون ان نجدها ؟ واذا كانت ثلاثة الاف سنة لم تكف لنجاح هذا البحث ، فالظاهر اننا لن ننجح فيه منفردين او مجتمعين ، لا خلال فترة حياتنا ولا خلال حياة امتنا . ان هذا الحب ميئوس منه ، وهذا البحث لا طائل من ورائه ، وطريق القدماء لا فائدة منه . فما هو الطريق الذي سيؤدي حتما الى النجاح في ايجاد الحكمة وتحقيقها ، وما هو الطريق الذي سيقودنا اليها بالتأكيد ؟

الطريق هو ان نبدأ من اساس موثوق كليا ، اي من مبادىء لا يتطرق اليها الشك الذي منع حب الحكمة قديما من النجاح . ولكي نصل الى هذا الاساس ، علينا ان لا نقمع الشك او نبعده ، بل ان نتركه يلتهم كل ما يقدر عليه . وما سيتبقى بعد ذلك ، ما لم يقدر الشك عليه ، سيكون الاساس الذي سنبني عليه طريق تحقيق الحكمة .

والقرن السابع عشر وجد ان المعرفة التي صمدت حقا تجاه الشك ، وكانت انجح العلوم المعروفة ، هي الرياضيات . لذلك نجد كبار مفكري القرن يوغلون في ولعهم بها واحترامهم لها . ولكن الرياضيات لم تتمكن من الصمود تجاه الشك والحصول على نجاحها الذي اثار اعجاب الناس دون ان تمر بتحول اساسي تركت خلاله معناها واصولها القديمة وبدات بتفسير جديد لمعناها واصولها ادى اليه اكتشاف الجبر الحديث . فالاصل في الرياضيات لم يعد المطابقة بين الاعداد والخطوط والسطوح وما هو في الخارج بل وضع التعاريف ثم تركيب النتائج عليها ، اي ان عملية التفكير الرياضي اصبحت كلها خلقا ، وتركيبا نخلقه باختيارنا المطلق ، ومصدرها فكرنا وليست الاشياء الخارجية وغايتها ليست معرفة طبيعة الاشياء بل نجاح استخلاص النتائج بصورة برهانية من المقدمات التي وضعناها ـ فالغاية ليست في الاشياء بل في المعرفة ذاتها . وعلى هذا يمكن القول ان مفكري القرن السابع عشر استبدلوا الاطار الطبيعي للفكر باطار مصطنع هو من خلق الانسان ، وانهم وجدوا في هذا الاطار المصطنع الطريق الذي يضمن تحقيق الحكمة . وهذا التحول من الاطار الطبيعي للفكر الى الاطار المصطنع هو اساس الفلسفة الحديثة او العلم الحديث

واعتقد مفكرو القرن السابع عشر ان نجاح الرياضيات في عصرهم كان بسبب هذا التحول في اتجاهها ، وان نجاح باقي العلوم يتطلب تحويلها في هذا الاتجاه . وهكذا ستبنى الفلسفة الجديدة على نسق الرياضيات . وهذا الطريق سيؤدي حتما الى تحقيق الحكمة . ان الفلسفة القديمة ضلت لانها اعتقدت ان الفكر قادر على معرفة العالم الخارجي ، اما الفلسفة الجديدة فقد وجدت ان الانسان لا يعرف حقا الا ما يضعه فكره ويركبه عقليا ، وما يعمله بصورة شاعرة حرة . الانسان يعرف حقا ما يخلقه ، ما هو سببه الاول والاخير ، ما هو ليس بخارج عنه ، وما هو خاضع لارادته . او ان العقل لا يعقل العالم بل يعقل نفسه وما يضعه هو لا غير . هذه هي المعرفة التي ستقف امام الشك ، والتي هي الحكمة الموثوقة . وكل معرفة لشيء طبيعي او خارج عن العقل هي بالضرورة ناقصة . فالفيزياء مثلا ، يقينية الى الحد الذي هي فيه فيزياء رياضية ، وغير يقينية ، او كما يقول هوبز « افتراضية » ، الى الحد الذي تتحدث فيه عن شيء موضوعي .

ما معنى هذا التحول في النظر الى طبيعة العلم وما هي نتائجه؟ انه يعني ان العالم الخارجي غير معقول، او على الاقل ان الاشياء الطبيعية غامضة وخفية عن العقل الانساني وان العقل الانساني لا يتمكن ان يعرف شيئا يقينيا عن العالم الخارجي وبالتالي عن موضوع ما اذا كان معقولا او غير معقول ، وانه لا اساس للاعتقاد بمعقولية العالم . والمعرفة اذن لا علاقة لها بطبيعة الاشياء ذاتها ، انها ليست شيئا طبيعيا ، ولا يوجد اي انسجام بين العقل والعالم الخارجي . وكل معرفة ادعت انها تمثل العالم الخارجي مشكوك في امرها . والمعرفة اليقينية معرفة مصطنعة ، يصنعها فكر الانسان . الانسان لا يعقل العالم او الطبيعة ، انه غريب عن الكون ، والعقل غريب عن الكون ـ ولكن هذا لا يقف حائلا امام تحقيق الحكمة ، بل بالعكس هو الذي سيؤدي الى تحقيق الحكمة . سنحقق الحكمة الان لاننا نعرف انها ليست اكثر من التركيب العقلي الاختياري الحر. والانسان الذي كان حب الحكمة يذكره دائما بصغره وقلة اهميته ، سيصبح ملكا خلى كل ما يعرف ، لان صنيعته ومخلوقه ، بل انه مجبر على ان يصبح ملكا لانه يملك ما يصنع ولا يشاركه فيه اخر . والانسان الذي عذبته الطبيعة التي حاول معرفة كنهها ، سيقهر الطبيعة وسيتسلط عليها ويستخدمها لاغراضه ، بالعلم الذي سيخلقه هو ولما كان هذا العلم الذي سيخلقه حرا لا حد له فلن يكون هناك حد لتسلطه على الطبيعة ولتسخيره لها . وبعد البحث غير المثمر عن الغاية في الطبيعة والكون ، عرف الان ان الغاية ليست في الطبيعة ولا في الكون ، بل في الانسان وفي المعرفة الانسانية . ومنشأ هذه الغاية حاجات الانسان ورغباته ـ وهذه هي المبدأ الاول والاخير ، انها المبدأ الاعلى الذي يؤدي الى كل ما يعمله الانسان ويعلمه ولذلك فالعلم الاول ليس علم مبادىء الاشياء الطبيعية ، بل علم الانسان ـ ان علم الاجتماع اكثر انواع العلوم اهمية والفلسفة الاجتماعية هي اهم اقسام الفلسفة على الاطلاق . وهكذا تم قلب نظام الكون ، واصبح المخلوق الضعيف ملكا وانتقل مركز الثقل من دراسة مبادىء الطبيعة الى دراسة الانسان .

لذلك اصبح لعلم الانسان والسياسة والمجتمع مركز عظيم الاهمية في تفكير القرن السابع عشر . ولكنه كان علما من طراز جديد وذا اطار جديد . فهو يشترك مع العلم النظري الجديد بانه اتخذ الرياضيات مثله الاعلى وحاول تطبيقها في علم المجتمع . ومعروف ان الذي دل هوبز على فلسفته السياسية الجديدة كان اكتشافه لاقليدس وتأثره بغاليليو ، كما ان محاولة سبينوزا لتركيب علم الاخلاق على شاكلة الرياضيات والهندسة معروفة من كتابه « الاخلاق » ولكن مقابل تحول اطار العلم النظري من الاطار الطبيعي الى الاطار المصطنع ، لم يخلق مفكرو القرن السابع عشر اطارا جديدا لعلم الاجتماع بل اخذوا اطار المفكرين القدماء وقلصوه

باهمال جزء اساسي منه . وسبب هذا التقليص يوازي السبب الذي دعاهم الى تحويل اطار الفكر النظري . فكما انهم هناك بحثوا عن الاطار الفكري الذي يضمن تحقيق الحكمة ، كذلك بحثوا هنا عن المعرفة العلمية اليقينية عن المجتمع الصحيح الذي يمكن تحقيقه بصورة اكيدة وبطرق علمية مؤكدة المفعول . وهذا دعاهم الى تركيز بحثهم في الانسان والمجتمع الانساني على ما هو عليه ـ كيف يعيش الانسان في الواقع ، وما هي الدوافع الواقعية التي تدفعه ، وما هي الاهداف الواقعية التي تصبو الى تحقيقها هذه الدوافع . ودعاهم الى البحث عن الاهداف « الواقعية » ، اي الاهداف الموجودة فعلا او التي يمكن تحقيقها بسهولة . وادى بهم الى اعتبار كل محاولة لمعرفة كمال الانسان ، وكل الميول الانسانية نحو معرفة حياة افضل من الحياة التي يعيشها عامة الناس عادة ، وتحقيق اهداف اسمى من اهدافهم « الواقعية » ، وكل محاولة لمعرفة غرض للحياة الانسانية ابعد من الاغراض الزائلة التي يحققها الانسان في هذه الدنيا ، على انها حلم جميل ولكنه جري وراء سراب . وذلك لانها تفرض غايات خارجية واهدافا طبيعية اسمى من الانسان والها وروحا ، وسندا كونيا لحياة الانسان ، بينما برهن العلم النظري اننا لا نعرف شيئا عن هذه الامور . فيحسن بعلم الاجتماع اذن ان يهمل كل هذه الامور وان يركز على دراسة المجتمع كما هو في الواقع لا غير . ولكي يتوصل الى نتائج تنطبق على جميع الافراد والمجتمعات ، عليه ان لا يهتم بالاحسن او بما تقدر عليه جماعات قليلة او متقدمة فقط ، او ما يقدر عليه خيار الناس ، بل ان يركز على ما يصح على الجميع بلا استثناء ، اي عليه ان يتوصل الى القاسم المشترك لجميع الناس . ولكن هذا القاسم المشترك هو بالضرورة ادنى ما في الانسان وليس اعلى ما فيه : وهكذا قرر ان الذي يدفع حياة الانسان ليست الغاية بل الاصل والسبب الفاعل ، ليس العقل بل الانفعالات والعواطف ، ليس حب تحقيق الفضائل الانسانية بل الخوف من الموت وحب البقاء واشباع الغرائز والشهوات .

وغاية المجتمع لم تعد كما كانت عند القدماء هي توفير الفرصة للانسان لتحقيق ما يمكن تحقيقه من الكمال الانساني ، بل اصبحت المحافظة على سلامة الافراد من الموت قسرا بيد الاخرين ، اي المسالمة ، ثم الوفاء بشروط العقود واهمها العقد الاجتماعي ، ثم فسح المجال للافراد للسير الحثيث نحو اشباع شهواتهم . والمجتمع الصحيح لم يعد المجتمع الذي تحقق فيه اعلى الغايات الانسانية بالاضافة الى غاياته الدنيا والضرورية ، بل الذي تحقق فيه الشهوات والحياة المريحة لا غير . فالحياة المريحة لم تعد واسطة لخدمة المعرفة مثلا . بل بالعكس اصبحت المعرفة واسطة في خدمة الحياة المريحة وفي خدمة شهوات الانسان . ولم يعد علم الاجتماع يهتم بمحاولة معرفة احسن انظمة الحكم او السياسة الفاضلة ، ولا بكيفية تحسين المتجمع للاقتراب من نظام الحكم هذا ، ولا بفن السياسة الذي يحتاج اليه الحاكم الناجح ، بل لم يعد يفرق بين نظم الحكم الحسنة والسيئة . وجرى وراء الهندسة الاجتماعية او محاولة خلق مجتمع جديد بطرق علمية مضمونة ، وتنظيمه بشكل تحل فيه جميع مشاكل الانسان . وهكذا اصبح علم الاجتماع ينظر الى الانسان كمادة يمكن درس خواصها بفهم انفعالاته وعواطفه ، وينظر الى نفسه بانه قادر على قهر طبيعة الانسان بحسن استعمال وتدبير هذه الانفعالات والعواطف . واصبح عالم الاجتماع كالمهندس الذي يريد اصلاح ماكنة توقفت عن العمل ، فيستخدم طريقة « التفريق والجمع » ، كما سماها هوبز ، وذلك بحل اقسامها وتنظيفها وابعاد الشوائب التي تمنعها عن العمل ثم اعادة تركيبها من جديد لتقوم بعملها .

فعلم الاجتماع الجديد اعتقد اذن ان الذي يدفع الانسان ليس العقل بل الانفعالات والعواطف والشهوات . العقل عاجز امام الانفعالات ، انه شيء ثانوي ، والافكار اشياء ثانوية ضعيفة ، عاجزة . انها جميعها مشتقات ثانوية . اما الاشياء القوية الاولية الغالبة فهي الانفعالات والعواطف والشهوات ، انها هي التي تخلق الفكر وتدفع الفكر وتستخدم الفكر ـ انها الاطار الحقيقي للفكر . وقد فشل الفكر حتى الان لانه حاول ان يقف في وجه الانفعالات والعواطف والشهوات ، حاول ان يتسامى عليها ، حاول ان يكبتها ، حاول ان يقلل من اهميتها ، وحاول ان يستخدمها كآلات لتحقيق الفضائل . ولكن علم الاجتماع الجديد اراد ان ينجح حيث فشل الفكر في الماضي . ورأى الطريق المضمون لنجاحه في التعاون مع الانفعالات والعواطف والشهوات ، لا بل في خدمتها ـ في ان يصبح الة لها : هذا هو الاطار الفكري الصحيح لعلم الاجتماع . ولكي يكون نجاحه تاما ، عليه ان يتفنن في الخدمة وعليه ان يصرف النظر عن كل ما يمنعه او يحيد به عن شهوات الانسان ـ ان عليه ان يحرر نفسه من جميع الافكار التي تعارض الشهوات . وسيتحرر منها عندما يعرفها على حقيقتها ، اي عندما يفضح امرها ويبين انها زور وبهتان . وهكذا يتوصل علم الاجتماع الى ان كل تفكير يدعي انه يريد الخير للانسان بالحد من شهواته لتحقيق فضائله التي تفوق تحقيق شهواته مرتبة ، هو في النهاية من خلق هذه الشهوات ، وان الحديث عن الفضائل الانسانية ليس اكثر من طريق ملتوية لتحقيق هذه الشهوات . هذه هي حالة الانسان الحقيقية . وعلينا ان نقابلها بشجاعة . واذا كانت الشهوات هي التي تولد الافكار وتكون اطارها ، فلنقبل بهذه الحقيقة الواقعة ولنخضع لها طائعين بدل ان نقسر على ذلك

ولكن علم الاجتماع اكتشف بعد ذلك ان من العبث التحدث عن حالة الانسان كانسان ، وان حالة الانسان تتبدل من عصر لعصر ومن امة لامة ومن طبقة لطبقة ومن فرد لفرد ، وان ما يتبدل بتبدل حالة الانسان هو القوة النسبية للانفعالات والعواطف والشهوات والمثل والافكار والقيم ، وان هذا التبدل هو نتيجة تبدل الاطار التاريخي ـ الاجتماعي ـ الاقتصادي . ولما كان على علم الاجتماع ان يكون الة مطيعة في خدمة تلك الناحية التي هي اقوى في الانسان تحت ظروف معينة ، فغاية علم الاجتماع ، والسيد الذي يخدمه ، وطريقته في الخدمة ، كلها ستتبدل من ظرف الى اخر . وبتعبير اخر ان الاطار الفكري لعلم الاجتماع سيتغير من ظرف الى اخر . انه متقلب متغير من عصر لعصر ومن امة لامة ومن طبقة لطبقة ومن فرد لفرد .

وعلم الاجتماع الحديث اعتقد ايضا انه توصل الى التخلص من الوهم الذي كان سبب فشل الدراسات الاجتماعية السابقة ، اي انه توصل الى فهم ان الفكر مرتبط باطار

اجتماعي ـ تاريخي ـ اقتصادي . ولكن علام يستند هذا الاعتقاد ؟ اذا صح ما يقوله علم الاجتماع ، يجب ان يكون هذا الاعتقاد نتيجة لحالتنا الاجتماعيـه ـ التاريخيـة ـ الاقتصادية . ولكن هذا شيء لا يمكن البرهنة عليه اولا ، ثم ان حالتنا الاجتماعية هذه ستتبدل وتحل محلها حالـة اخرى تنتج اطارا اخر للفكر الاجتماعي . فنحن لا نعرف حقا فيما اذا كان اطارنا الفكري احسن من الاطاراتالسابقة ولا من الاطارات اللاحقة ، انه الاطار الذي فرضته علينـا حالتنا الاجتماعية. ان اعتقادنا بافضليته ليس مستندا على معرفة عقلية جلية ، ان حالتنا الاجتماعية هي التي تفرض علينا هذا الاعتقاد ، ان هذا الاعتقاد ايمان اعمى وقسري يفرضه علينا القضاء على الرغم مما ندعيه ، بل هو اساس ما ندعيه ، من افضليته وعقلانيته ووضوحه وعدم حاجته الى البرهان . ولا يمكننا التخلص من هذا المأزق بالمزيد من الابحاث المنهجية وتكرار اصطلاحات كالمنهج العلمي والموضوعية وغيرها ، لانه ظهر ان هذه ليست الا محاولة لتغطية الفراغ الاساسي الذي يستقر عليه علم الاجتماع .

والطريق الصحيح للخروج من هذا المأزق هو اعـادة النظر في المبادىء الاولية لهذا العلم من الاساس ، اي اعادة النظر فيما اذا كانت ثورة مفكري القرن السابع عشر عـلى الاطار الطبيعي عند القدماء محقه ام لا . وهذا يتطلب فهم الفكر القديم فهما موضوعيا . ولكن علم الاجتماع الحديث غير قادر على الوصول الى مثل هذا الفهم لانه يفرض مقدما ان ذلك الفكر مبني على وهم لا اساس له ، ولذلك فهـو لا يملك الدافع الصحيح لفهمه بصورة جدية . والواقع ان كل ما يقوله علم الاجتماع الحديث عن الفكر القديم تافه لا قيمة له . وعندما يصل علم الى مرحلة لم يعد فيها واثقا من صحة اسسه ولا يقدر على اعادة النظر فيها ، يتحتم على الـذي يريد حتى فهم هذا العلم ذاته ، الخروج من اطاره الفكري والتحرر منه والتعالي عليه للتمكن من الحكم عليه. ولا ينفع في هذا المأزق الالتجاء الى علم جزئي اخر لحل مشاكل علم الاجتماع . وكل محاولة لانتشال علم الاجتماع اليوم باللجوء الى الفيزياء او علم الحياة او الرياضيات او علم النفس او التاريخ ستبوء بالفشل لا محالة .

وقد بدا العلم الوحيد الذي يقدر على هذا العمـل ، وهو العلم الاول او الفلسفة ، يبحث هذه المشكلة فعلا ، وبلغ حدا كبيرا من الوضوح فيها ، وخاصة في المانيا فـي العقود الاخيرة . وهذا البحث بدا ينتشر حتى في الولايات المتحدة على ما عليه اكثر علماء الاجتماع هناك من الانشغال عنه بالابحاث التجريبية .

ونحن نبدأ اليوم تقليدا جديدا في دراسة المشاكـل الاجتماعية أتينا به من الغرب . وامامنا طريقان : اما ان نبقى نقلة ومبشرين ملوءنا الثقة بصحة علم لم يعد في موطنه الاصلي يتمتع بهذه الثقة ، اذ اتضح من الدراسات التاريخية والفلسفية انه يعتمد على تفضيل اعتباطي لمباديء مشكوك في امرها ، واما ان نشارك في محاولة اعادة النظر فـي اسس هذا العلم لنكن عـلى بينـة من امرنا في ماهيتـه . والطريق الاول هو طريق التقليد الاعمى . والطريق الثاني هو الطريق الوحيد لوضع اساس مكين لهذا العلم .

بغـداد **محسـن مهـدي**

فراغ

•

لا العطر يخصب خاطري ، لا الضوء ، لا الوترُ
وأصيدُ ••• ماذا ؟ كل صيدي المرتجى صور
دكناء •• ساخرة •• بقحـط الظـنِّ تنفجـر
اجترُّهـا طلسـم عمـرٍ ملَّـه الضجـر

*

لي موعد •• يا ليل •• عـبر الآه •• ينتظر !

الى شقراء

•

تعبرين النسيان والجوع والخوف ووقع الندى وغمر الضياء
أي حلم امرعت في افقي النائي فأيقظت من جراح ابائي
احدجي فيَّ لن تري في محياي ظلالا من بسمة خضراء
كل عمري نثرته لاهيا بالظن فالظن اغنـيات رجائـي

نداء

•

زندنا أخضرُ
كدرب الاساطير ، كنيسان ، كالصباح الصبي
نحن جذع المجهول ينشق احلاما يتامى نحن ابتهال النبي
فتخطوا بنا الحدود الغبيات تخطوا موج الظلام الغبي
كعينٍ من الشمس ، كنبع ـ في ارضنا ـ طيِّبِ
وعدنا الخيِّرُ

حلـب • **عـلي الزبـق**

صـورتي

o

مع الجنادب أثني
في وحدتي أسمع لحناً
كان بالامس ثروتي
مع الغروب لوّن وحشتي
أحبُّ وحدتي أحبُّ وحشتي
والصورة على الحائط
ماذا تقول صورتي ؟
في الثانية كنت في الثانية
بنيت أنا وحدتي
بريشة وحشتي زهزهت جدرانها
قبّلت صورتي وأنا في الثانية
قبّلتها .. قبّلت منها العينين والجبين
رحت ألثم رمشاً برمشين
جفّت قبلتي
كأنّ شفة أمي وأبي
ما قبّلتني يوم كنت
يوم كنت في الثانية
وهاتان العينان ماذا تقولان ؟
والذراعان الذابلان
رحت أخلع من صورتي اليدين

أغمرهما بين جانحيّ
أشدُّ .. أشدُّ
أروي الصغيرة
أغسل وجه صورتي بالدموع
سرُّ عينيّ وأنا في الثانية
عرفته .. عرفت غدي
عرفت أحلامي القاسية
يد أمي تهزُّ السرير
وحول السرير
صوتها المرير :
لو قطعت أوتار السرير !
.
.
صورتي وما بقي
ومن غدي
صورتي الصغيرة
وعينان كالينبوع
تغسلان سواد الليالي
وندم الثانية

ثريـا ملـحس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اراجون : شاعر المقاومة الشعبية

بقلم مرسي سعد الدين

o O o

ان وطني كالسفينة الشاردة
التي هجرها بحارتها
وانا في ذلك كالملك اذ خانه الحظ
فهجره الاصدقاء والخلان
ولكنه بقي ملكا على احزانه

هكذا بدأ اراجون احدى قطعه الشعرية التي كتبها اثناء الحرب العالمية الثانية كان هذا الشاعر الفرنسي يعرف تماما ان بلاده قد نخر فيها الفساد ، الفساد في اداة الحكم والفساد في الجيش والفساد بين افراد الشعب . وقد بدأ اراجون يتحقق من هذا قبل قيام الحرب بمدة طويلة حين كان يعمل رئيسا لتحرير جريدة « سي سوار » فكتب المقالات التي يعالج فيها ذلك الفساد الذي عم البلاد وكان من جراء ذلك انه اعتقل وسجن وعطلت جريدته واوعز الى الناشرين بعدم قبول كتبه .

ونشبت الحرب العالمية الثانية وظهر معها شعراؤها وكتابها كما يحدث دائما في الحروب وفي حركات النضال والمقاومة ، فما من حركة قومية ظهرت او حرب نشبت الا وتغنى بها وعنها الشعراء ونشرت حولها الكتب ولدينا الامثلة في الحرب العالمية الاولى والحرب الاسبانية والثورات العالمية ، وامامنا مثل حي في حربنا .

ويعد لويس اراجون بحق شاعر الحرب العالمية الثانية وشاعر المقاومة الشعبية في فرنسا . وتختلف اشعار اراجون عن اشعار غيره في انه استطاع ان ينسى نفسه في خضم المعركة ، فبينما نجد ان شعراء الحروب السابقة انما يكتبون عن تلك الحروب في علاقاتها بانفسهم فان اشعار اراجون تعد سجلا للعواطف الجماعية التي جاشت في صدور الشعوب المحتلة وممثلة في الشعب الفرنسي ان مهمة اراجون لم تنصب على كتابة الشعر فحسب بل تعدتها الى خلق مقاومة فكرية . وحقيقة انه اشترك اشتراكا فعليا في المقاومة المسلحة ولكن الدور الهام الذي قام به كان في تأييد الاقلام والافكار بين من تبقى من الفرنسيين الاحرار ، وفي مقاومة الدعاية النازية التي تشيعها حكومة فيشي الخائنة . وكانت مهمة تلك الدعاية القضاء على روح المقاومة بين الفرنسيين وعلى الثقافة الفرنسية . وقد عبأوا لها جميع وسائل الدعاية مثل الراديو والصحافة والكتب والمسرح والسينما . ولكي يفعل اراجون ذلك قام بتنظيم تام لحركة طباعة سرية في جميع انحاء فرنسا فانتشرت المطابع تنشر الجرائد والمجلات الادبية والنشرات والكتب .

وكان دور الشعراء في هذه المعركة اهم من اي دور اخر ، وحقيقة انه ظهرت مجموعة من الكتيبات والكتب والمسرحيات ولكن لا شك في ان حركة المقاومة كانت مبنية على الشعر والشعراء وانتجت حركة احياء شعرية واسعة النطاق . وسبب هذا هو ان الشاعر يستطيع في شعره ان يعبر عن عواطف واحاسيس لا يقدر الناثر ان يكتبها دون ان يتعرض للاخطاء كما ان قطع الشعر القصيرة يمكن سهولة تداولها من يد الى يد ويمكن ترديدها على الجماعات وبمعنى اصح يمكن للشعر ان يقوم بالدور الذي قام به في العصور الوسطى ، دور البطولة والفروسية . ونشر اراجون اشعاره وصارت تحفظ وتتغزل وتلحن وتنشد . وبدأ الكتاب يعرفون ان في استطاعتهم التعبير عما يحسون به في اشعار دون ان تمنع هذه الاشعار ، بدأوا يعرفون ان الشعب يقرأ الشعر ويحفظه عن ظهر قلب ويردده في كل مناسبة وتحول الناثرون الى كتابة الشعر وصار كتاب المسرح والقصة يقرضون الشعر حدثت نهضة شعرية ذات طابع سياسي وطني ويصف اراجون هذا الشعر فيقول « ان الشعر الجديد هو في الواقع حركة تآمر بين الكتاب والشعراء للتعبير عن الاراء الوطنية وترديد الاشياء التي لا يريدنا الاسياد ان نرددها » .

احس اراجون منذ بدء الحرب ثم بعد سقوط فرنسا ان روح الفساد قد تغلغلت في صميم الحياة الفرنسية احس ان فرنسا قد اهينت واذلت .

فرنسا تحت الاقدام كالسجادة البالية
فقد تضاءلت وانكمشت تحت وقع الاحذية

ولم يعد يشعر بأن هنالك ما يربطه بمن حوله سواء اكانوا من الالمان المعتدين او الفرنسيين المتعاونيين . وجاءت حكومة فيشي وحاولت ان تقنع الفرنسيين انها حكومة وطنية وانها سلمت وقامت بما قامت لصالح فرنسا ولكن اراجون وغيره من المفكرين الاحرار كانوا يعرفون عكس هذا وكتب اراجون يخلي نفسه من اية علاقة مع كلا الطرفين ، انه ليس منهم انه لا يزال بشر يحن الى الرغبات البشرية ويحس بالحب والحنين والرغبة كغيره من الادميين .

انصتي ، ضربات قلبي تناديك في سكون الليل
وعندما اتحسس سريري بحثا عنك تزول كل احزاني
فلا قيمة للحياة بدونك . انا لست واحد منهم
لست ملكا لهم لان جسدي ليس عجينا يقطع بالسكي
لست ملكا لهم لان النهر لا بد له من بحر يصب فيه
ولان حياتي في حاجة الى حياة صنوة لها
لست واحدا منهم ما دامت الظلال تظلل الاحباء
وما دام ضوء الشمس يغمر الاشجار
وما دامت الرياح تحمل البذور من شجرة الى اخرى
اني ملك لك انت فقط ـ اني ملك لك انت فقط

كان اراجون يكتب بكل بساطة وسهولة عن الاحساسات التي يحس بها الجنود والفرنسيون المفكرون الذين يرون فرنسا تنهار حربيا ومعنويا وخلقيا يرون الفساد يعبث فيها والعدو وقد قضى على روحها المعنوية . يرونها وقد هجرها قادتها وساستها وتركوها تتخبط من يد الى يد وكتب اراجون احدى قطعه عن هذه الناحية وقد استمدها من

مسرحية ريتشارد الثاني ومن احدى فقراتها التي تقول (قد تأخذون مجدي ودولتي ولكن لن تأخذوا احزاني فلا زلت ملكا على هذه الاحزان) :

الحياة الان مكر وخداع والرياح لن تجفف دموعي
والان يجب ان اكره ما كنت اعبد واعطي ما ليس ملكي
ولكني ما زلت ملكا على احزاني .
ان قلبي اوشك على التوقف ودمي اوشك على الجفاف
وانقلبت الاوضاع وتهاوت المعايير وسقطت الاقلام .
ولكني ما زلت ملكا على احزاني .
والسماء لا لون لها سواء عند الفجر او عند الغروب
والربيع وقد مات في حوانيت الزهور والوداع يا باريس
ولكني ما زلت ملكا على احزاني .

وقام اراجون بتكوين اللجنة القومية للكتاب وكان الفرض منها اشراك الكتاب والمفكرين في المعركة واصدرت اللجنة عن طريق مطابعها السرية نداءات موجهة الى الكتاب والمفكرين ومن امثلة هذه النداءات :

« في هذه الساعة الحاسمة لا يجب ان يبقى المفكرون بعيدا عن الصورة لما يحدث في بلادهم . فهل من الممكن انه في خلال هذه الاسابيع الحاسمة لا نسمع صوتا واحدا من المفكرين الفرنسيين ؟ ان الصمت يخيم على الجرائد والمجلات والراديو وهذا من شأنه ان يجعل شعبنا جاهلا فيما يقع من حوله من احداث . لقد اخفى العدو عنا اعمال الشجاعة التي قام بها اخوتنا كما اخفى الالام التي يقاسيها ابناؤنا . ان هذا السكوت هو جزء من خطة هتلر للقضاء على فرنسا والشعب الفرنسي ومهمتنا الان هي قطع هذا السكون بجميع الوسائل الممكنة اننا نستطيع ان نقول الحقيقة وبذلك نقضي على الدعاية النازية التي تنشرها حكومة فيشي القائمة . ان هذه هي مهمة كل من يعيش بفكره ، مهمة العلماء والفنانين والمشتغلين في المعامل والفنيين والاطباء والمحامين والمدرسين والفلاسفة مهمة كل هؤلاء الذين يستعملون عقولهم ايها المفكرون عبئوا هذه العقول لخدمة فرنسا . ان نشر ما يريد العدو اخفاءه يعد عملا حربيا وخلق الاداة التي يمكن بها التعبير عن ارائنا لا يقل اهمية عن احضار اسلحة لفرنسا . »

ونتيجة لهذه النداءات بدأت حركة نشر واسعة النطاق سواء في داخل فرنسا في طريقة سرية او في خارجها في طريقة علنية وكانت مهمة اراجون هي في توصيل الطعام الى الناشرين سواء في الداخل او في الخارج فظهرت في سويسرا مجلة (كراسات الرون) وفي فرنسا بدأت مجلة الشعر في نشر اشعار رجال المقاومة. وحاول اراجون ان يعطي للكتاب الاخرين المثال الذي يحتذونه في الكتابة ضد الالمان وضد حكومة فيشي دون ان يتعرضوا للحبس والاعتقال . وجاءت تلك الاشعار بسيطة سلسة يستطيع الشعب حفظها عن ظهر قلب . وقد ساعدت الحركة اراجون وغيره من الكتاب على استعادة العالم الحر الذي كان يعرفه ولو في الخيال وبدأت الكلمات تأخذ معاني حقيقية ملموسة . كان اراجون كالمسافر الذي يعود الى قريته بعد رحلة طويلة ليرى عالمه قد تغير كل شيء فيه وان كان لا يزال كما هو . وهذا هو ما حدث مع الكتاب نتيجة للحرب التي خاضت مصر غمارها فقديما كانوا يتغنون بالوطنية والشجاعة دون ان يعرفوا معنى هاتين الكلمتين الا عن طريق الخيال كانوا ينددون بالمستعمر والعدو دون ان يعرفوه عن قرب اما الان بعد ان مرت مصر في تجربة حقيقية فان كلماتهم اتخذت معاني جديدة محسوسة . ولذلك نجد ان اراجون استطاع ان يضع اكثر ارائه تعقيدا في اشعار سهلة في سهولة الاغاني بل انه كتب فعلا بعض الاغاني التي كان رجال المقاومة الشعبية يرددونها طول الوقت .

وكانت اشعار اراجون وغيره من شعراء المقاومة تنشر في هيئة نشرات توزع منها الاف من النسخ او كانت تطبع على بطاقات صغيرة تتداولها الايدي في الخفاء او كانت تشغل على طروف المفارش والاغطية كما تشغل الرسوم والزخارف .

ان قصة اراجون اثناء احتلال الالمان لفرنسا هي قصة المقاومة عن طريق تجارب فرد من الافراد وقد كتبها اراجون بالشعر فردد ما احس به الشعب المحتل وما يحس به أي شعب يقع تحت نير الظلم ومن ابدع القطع التي كتبها قطعة اسمها بعد عشرين عاما :

اننا نسير خلال البيوت التي اخليت دون سلاسل ودون تأوهات
اننا اشباح تظهر عند الظهيرة اشباح من حياة كان الحب فيها معروفا فقد جئنا الان لنستعيد عاداتنا من حجرة النسيان بعد ان تركناها عشرين عاما
نحن الالف من المساجين نقوم بنفس الحركات ونعيش في زنزانات لا نحس فيها بالبرد او بالحر . هنا يتحدث الرجال بطريقة ميكانيكية لا حياة فيها ويتركون جانبا اغانيهم التي رددوها وكبريائهم الذي فقدوه عشرون عاما مضت ولكننا صرنا في منتصف الحياة ندفع ما تاخر علينا ونراقب المجندين الذين كانوا اطفالا منذ عشرين عاما . بعد عشرين عاما نعود الى الاحلام لنقابل شبح تلك التي احببناها هناك حب واحد وعاطفة واحدة وامل واحد وحزن واحد لا تزال تشرق من بين ضباب شهر اكتوبر . واني لا زلت انتظر خطابا منها واعد الايام يا زوجتي العزيزة لقد نلت الحياة الجزء المؤلم منها والسنوات التي امتلات بالتفكير . والان قد ذهب هذا الجزء اختفى كحرف مكتوب في الرمال اختفى كعلامة على الحائط ازالتها الامطار . ان الرجل يتغير كما تتغير السحب في السماء .
ومررت بيديك على عيني وعلى جبهتي وحاولت ان تزيلي غضونها بلمسة سحرية ولكن اصابعك توقفت عند شعري الابيض ولم تستطع حراكا . اتعرفين الان ما اقصد يا حبيبتي لم يعد لي الاك والان في هذه الساعة الحزينة من افولي عندما افقد الخيط الذي يربطني بما اكتب وبالحياة نفسها وبالارادة للكلام فاني اريد ان اقول اني احبك ولكن الكلمات المني النطق بها بدون وجودك .

القاهرة **مرسي سعد الدين**

زنابق من الاحلام

○

وحدَكِ ؟ وحدكِ ؟...
يا لعتمةَ الدروب ! يا لوعورة المسالك ؟
الى أين ؟ الى أين ؟
هنا مدارجُ طفولتك ...
هنا ملاعبُ صباكِ ...
هنا مطاوي شبابكَ ...

الى أين ؟
تخدّشُ روَحكِ الظنون !
وتدمّي فؤادَكِ الضمائر
وتهدُّ أيماَنكِ الزعازع ؟

الى أين ؟
وللصخور تكشيرةُ الانياب ؟
وللافاعي سمومُ القحيح ؟
وللاوكار دبيبُ التماسيح ؟...
الى أين ؟
وفي صدري أسرارُ الليل !
وفي قلبي ألغازُ الوجود !
وزهزهةُ الفجرِ كلُّها في عينيَّ !...

... زندي ولن تضعفي
... يمينَكِ ولن تضلّي
ولنطوِ الدروب : دربآ دربآ
فالعتمةُ أقوى من الوحدة
... يمينَكِ
وملاعبُنا قبابٌ من المجد
نقطفُ النجوم ... حبّة حبة ...
نرشُها على الدُنيا ... زنابق من الاحلام ...

موسى سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مقبرة جنوه

وقفت تزهو فوق احدى التلال ، وحيدة كالحكماء ، منطوية النفس في رفعة وجلال واطلت فوق «جنوه» تنظر الى مينائها الرحب وابنيتها الفاخرة، الى مصارفها وفنادقها .. وتميزت بمقابرها الحزينة عن البيوت الرائعة على طول الساحل وانقذت ذاتها من النشاط المنتظم ومن جميع مظاهر الثراء متجنبة هرج الاقوياء والسعداء .. ثم ظلت موسرة ثرية بما فيها من مساواة وطهارة ونقاء .. فسلطة الموت تنكر كل الوان العبودية وثراء التراب يجهل التمرد والكبرياء ، لان اصالة الحياة تبدو ازاء الفناء صريحة خالية من كل زيف . فقد عانق الصفاء انحاء ارضها الهادئة الصارمة وارتوى ثراها من عصارات القلوب المندثرة، ولكثرة ما مرت عليه مهج محترقة ، امسى متسامحا حانيا يكرم وفادة ساكنه بالعطف والترحاب .

فالموتى مخلدون هناك بتماثيل تحيي العين بحركات أجسادها واشارات ايديها وايماءات رؤوسها وطيات ثيابها، وهي متزنة الخطوط كان تركيبها لحن عذب يأسر القلب والعين معا ، وهي تصطف حول القبور بهيئاتها الضخمة المتناسقة لتشيد عالما قائما على اركان النحت وحده .

فليس من يذكر بان وراء كل قبر نفسا عاشت قصتها على هذه الارض ، وبانها انشأت كونا صغيرا جديدا يختلف عن عوالم النفوس الاخرى ، وبان آلاف الادمغة والعيون والارواح تثوي بعيدا في اعماق الارض وقد انصهرت جميعها في قالب مهيب خادمة بذلك روح الفن والجمال .

فان التماثيل الناهضة على جانب الاروقة الخمسة عشر هي وحدها التي تحيا دون ان تدرك من السكون غير هدوء التأمل، حتى كان الالم لم يعد يسكن الضلوع الذاوية، ولم يبق الا الخلود ماثلا في هيكل الفن الكبير .

عاجزة حتى ردهات الوعظ عن ان تثير في القلب ما يثيره ذلك الرواق الصامت من يقظة ، وفي برهة تلخص تماثيله بمادتها وروحهامعا ذات الانسان التائه الضال وتشرق في جنانه خشوعا ومهابة وشعورا روحيا عميقا .

فقد دفن موزعا في انحائها الزارع الذي كان يخرج الى الحقول ليسقي الاثمار ، والتاجر الذي كان يجلس الى مكتبه وروحه خاضعة الى ما كدس من مال ، والشاعر الذي كان يرى العالم سحابة من جمال ، ورقد القسيس والمخترع والميكانيكي والبحار ، ومن انفق السنين في تبصر العلوم ، ومن بدأ الحياة على الشاطىء تسطع فوقه نجوم الالهة ، ومن انقلب عاملا كادحا ومات نفورا ، وجميعهم اصبحوا كامنين خلف قانون الموت الذي مسح عن جباههم شهيق الانفاس وزفيرها ، فجللها الفن العظيم بالرفعة والحياة ، فلم يعد الفرد فيهم وحدة ولم يعد شخصا خالقا يبدع ثمرات الحياة ، انما يحسب بين الالاف التي هيمن عليها الفن عاصبا هاماتها باكاليل البهجة والظفر ، دافعا عنها ذلك الركود الذي تتأثر به جميع المقابر الخالية من يد الفن الحاذقة .

فليست هذه المقبرة بذائقة طعم الموت ما دام قلب الفن يتشرب روح الله دائما ويدفع القلب البشري بكل انسجامه الى تلمس الفردوس مؤكدا ان اصل الانسان في السماء . ان بين اولئك الراقدين من ضحك وبكى ، من احب وتألم ومن حرث وزرع وتكلم وقرأ الكتب ، ومن آلمه راسه ونبض قلبه ، لكنه مع هذا لم يترك وراءه أثرا يشير بانه عاش يوما ، وذلك لانه لم يرسم خطا واحدا في سجل الحقيقة المطلقة المتبلورة في قلب الفن وحده .

كيف ينتقش الظلام في تلك المقبرة الشاسعة ؟ ايقوم مهرجان التماثيل مشيعا في الفضاء آهات الموتى ، فتهرع ملائكة السماء الى الهضبة المجاورة محتضنة اعجوبة النقش على صلد الصخور ، محيية انامل الابداع التي كونت عالما زاخرا بالحركة والثبات هل ادركت الايدي العظيمة التي صاغت تلك التماثيل بانها حبست شطرا وفيرا من ارواح الموتى المثقلة بالضحك والبكاء والصمت والنطق ثم اطلقتها في تجاويف الصخر فنا وتعبيرا تتناقلهما الاجيال وتتأثر بهما النفوس الفنية ..؟ ان الزم مميزات الاجساد الحجرية المنتشرة بين القباب هي تلك الحركة النابضة التي تكاد تومىء الى ان الحياة المعاشة اضربت عن العمل هي الاخرى متماسكة متجمدة في ظل ما اشاعه الفن والموت من وقار .

ماكان اعظمهاتلك الايدي العجيبة التي عكفت على حاجة الروح من الابداع ، فاختبرت كل لحظة وعاشتها وهي تعلم اثر الجد والاجتهاد في عمر قصير سريع العطب ، وكأن كل ثنية من ثنايا الحجارة المنقوشة عظة تقول بان الانسان ضعيف ومدحور ما لم يتوج حياته بالعمل المبدع ، وبان الحياة مجدبة قحطاء ما لم تلونها اشعة الفن ، وبان هناك موتا معنويا يسبق الموت ويفوقه اذى وايلاما . يا لمعجزة اولئك الذين استطاعوا ان يجعلوا الصخر آدميا ثم يمهرونه من الروح ما يقرب من التنفس وينفثون في الروع تأثرا يبلغ حد التصوف .

يا لليد الماهرة التي انعشت الحجر ونقلت اليه روعة الروح وخفتها ، حتى كفت تلك التماثيل عن ان تظل حجرا، وبعثت اشعاعات ورؤى مليئة بالايحاءات والصور ، وبثت في القلب ما يذهله ويشعله .

كل تمثال فوق القبر الصامت ناطق بليغ يتكلم ووجهه مؤلف من ملامح لم تفسد، فتجويف العينين مكون على استقامة التعبير والمقلة تختلس نظرة من هنا ولمحة من هناك .. وقد يلتفت الراس كله او تومض بسمة نفاذة تهزأ بمعنى الموت والحياة جميعا .

كل تمثال صورة معادة عن اقصى ما يمكن للحركة ان تبلغه من حرية ، يجتاحها معا ذلك الهدوء المثالي الذي يبديها وكانها اشخاص اسطورة يؤدون رقصة دينية في كنف المعابد .

وراء كل تمثال نغمة من نغمات حياتنا العميقة نسمعها مغتبطين لانها تروي فرحتنا وشكوانا وتشف عن احزاننا واحلامنا على اشد الاشكال عفوية واصالة .

هنالك في المقبرة الخالدة .. احتجت انسانيتنا على فقدان الروح الفنية في بلادنا ... هنالك حيث الموت في ظلال التماثيل نوع من الحياة ، حيث الرقدة الجليلة تداني النوم ارتياحا .. فكيف نجعل الفن لدينا غريزة ليكون لنا الموت بعد ذلك نصرا مؤزرا ؟ ؟

دمشق **هبة الوادي**

قصة سورية

بقلم علي بدور

العسل المصفى

ooo

حياة الناس في هذه الدنيا ، مثل الغيوم، مرة تكون رفيقة بيضاء ومرة تكون سوداء عابسة ولا بد من ان ينعكس ظلها على الارض، فتحيلها بين بياضها هذا ، وسوادها ذاك، دنيا قلقة لا تستقر على حال . ولعل العنف والصخب يصيبان اكثر ما يصيبان من البشر ، عواطفهم واحساساتهم وتأثراتهم الوجدانية الرقيقة ، حتى اذا لعبت بها لعب الريح بالقيثارة ، تركتها في حال يائسة ، ومست شغاف القلوب اصداء مؤلمة من حاضر تعس تناهبته الايام ، ومستقبل مخبأ بين طيات الغيوب .

كانت سميرة تحدثني بذلك كله ، اثر لقائنا الثالث في الجامعة ، منذ عامين ، حتى خيل الي ان وراء هذه العيون التي تظل ساهمة في الافق الذي تحجبه ذرى قاسيون المطلة على دمشق ، كل ما في اعماق المراة من اسرار تحرص على ان تواريها التراب لتموت ، اذا كانت في شك من قدرتها على الاحتفاظ بها لذاتها. وكان نحولها ينم عن مدى الظلم الذي تحيقه افكار هذه الفتاة الرقيقة واحساساتها بجسدها ، حتى ان الخوف من الحياة الحرة التي كانت تتطلبها البيئة الجامعية كان يأكل منها ، ما يكفي لان يبقى حيا . وكانت تدفع من شبابها فداء ذلك كله .

هي دائما مستغرقة سابحة في خيالاتها ، قد تطوف الارض كلها ، وهي تحدق فيك بعينين واسعتين جميلتين ، وصافيتين ايضا . كانت لا تتأخر عن موعد الدرس في الغالب واذا تأخرت ، فتحت الباب ، وللباب صرير قاس وكان زملاؤها/الطلاب وزميلاتها لا يسمعون لاقدامها وقعا ، فهي تتسلل ببط وبخفة كأنها انتعلت خفا من شرانق الحرير اللينة . وكان كل ما فيها يبعث على التفكير والبحث ولكنها كانت الى جانب اثارتها هذه الافكار وتلك التساؤلات لدى الزملاء ، ليست محل عنايتهم ، فالمشكلة التي تشق على الانسان ، فلا يجد لها حلا، تبدو امامه مشكلة ، ولكنها مشكلة مهملة . وكان هذا الاهمال يثير في نفسها الشجن، حتى كان يخيل الي ، عندما تحدثني عن انطباعاتها الجديدة في الجامعة ، انها تريد اشياء لاتستطيع تحديدها . وكانت هذه الافكار القلقة في راسها اشبه بنار تذيب اعضاءها وجوارحها ، حتى اقلها حساسية .

كنا نتفرغ في بعض الايام لان نمضي معا في حديث متشعب يبدأ بالطقس وينتهي عنه . وكان قدح الشاي الذي نتناوله في النادي يبعث في اوصالها الدفء ، وكان يخيل الي انه كان يبعث في قلبها الصقيع ، فهي كانت تتأمل وجوه زميلاتها ، وهن جالسات الى زملائهن ، يعبثن العبث البريء ، واحيانا يتعاطين احاديث فيها من الغزل نسبة ضئيلة ولكنها كافية لان تورد منهن الوجنات وتبعث في العيون اشراقات خفيفة ، تعبر عن امنيات بيض وحمر ومن كل الالوان.

كنت امزح معها كثيرا واحيانا ما كنت اخلط بين اسمها واسم اميرة شقيقتي التوأم . كانت اميرة تشبه سميرة الى حد كبير . كانت تشبهها في الشعر الاشقر الذي كانت تحيله الى ضفائر ذهبية مسترسلة على ظهرها في تيه ، وكانت تشبهها في وجهها المستدير ، وعينيها الزرقاوين وانفها الدقيق.. وفي كل مايستدعي الاعتقاد بانهما شقيقتان ولدتا معا من جوف واحد .. ولكن سميرة تلك الصديقة الطيبة، لم تكن تعتقد بصحة هذا المزاح الدقيق الذي كان يدعوها لان تمضي في الاعتقاد ولو ببطء ، بوجود فتاة اخرى على شاكلتها .

عندما اتت شقيقتي اميرة بصحبة والدتي لزيارتي في الجامعة كانت تتعرض لمضايقات عدة ، ولكنني كنت ادعوها للصبر . كان الزملاء يحيونها مرددين :

ـ صباح الخير يا سميرة .. كيف الصحة يا سميرة ..

حتى الزميلات .. كن كذلك ، وكانت شقيقتي تضحك .. وتضحك بشدة عندما التقت بسميرة . كانت سميرة في دهش انها وجدت في شقيقتي صورتها التي تعادلها نقاء وكذلك الصديقة الوفية بحيث كانت هذه الصداقة سهلة الوقوع لان كلا منهما لم تكن تتكلف في هذه الصداقة ان الانسان في مثل هذه الحالة لا يتطلب منه الا ان يتعرف الى نفسه . الى جسده المماثل .. الى نفسه التي انشطرت شطرين متساويين في لحظة لم تعها ساعة الزمن ، وقد اسرت كل منهما للاخرى بما في صدرها من احلام وآمال .. بحيث استطاعت شقيقتي ان توجز لي في تعريفها لسميرة كما عرفتها :

ـ انها يا اخي فتاة طيبة . واملي كبير في ان تكون حيالها الصديق الوفي .

خلفت شقيقتي في سفرها ما تخلفه السحابة الممطرة من خير في الارض العطشى ، اذ ان هذا الاسبوع كان كافيا لترويض هذه الانسانة القلقة ، واشاعة البهجة في نفسها، حتى انها اخذت تحبوني بثقتها واخلاصها ، وتحل الانس بيني وبينها في كل جلسة عارضة في حديقة الجامعة. وقد حاولت كثيرا ان يتلقاها قلبي الى ان افلحت . فكان دخولها فيه وقورا يدل على تعقل ورصانة لا حد لهما ، فلم يكن دخولا نزقا فرضته شهوة عارمة ، او مناسبة خاطفة استعر فيها الدم .. ثم لم يلبث ان هدأ .. لقد كان بطيئا وعميقا ايضا. وكان هذا العمق وحده يخيفني . ان الاشجار الكبيرة وحدها الثابتة امام الاعاصير . ففي الارض

تغور جذور متينة قد تشعبت ، والاشجار الصغيرة هي التي تستهين بها الرياح فتقلعها . وكنت اخاف من هذا الود العميق الرصين ، ذلك الذي يتوشج بالاعصاب والحنايا ، توشجا صارما ، ويكون من العبث بعد ان يفكر الانسان بامكان التخلي عنه

كانت سميرة تفهم الحب انه عاطفة كريمة وشعور انساني يتطلب توترا عاليا من الفهم العميق لقلب الانسان. وكانت ترى ان الحب دواء للمرضى والاصحاء على السواء . وانه اكسير الحياة الذي لا بد منه لمن اراد الحياة. وكانت عندها الجلسة الهادئة البعيدة عن الصخب والحديث الذي يدور عن الدروس والاستعداد لها ، وعن الرفقاء والاصحاب وعن الاساتذة والعمداء ، ان ذلك كله كان عندها الحب في صميمه . هي لم تكن تفهم ان الغزل المباشر من عناصر الحب . هي كانت تسر وتجذل وتتورد منها الوجنتان ويفيض من عينيها شعاع دافيء يغري بالاصطلاء في ايام الشتاء عندما كنا نجلس على العشب ، ونظل صامتين قدر ساعة من زمان عجول. كان يحيرني فيها هذا الاتجاه في فهم معنى الحب . وان كنت غير مستعد لان اقودها في الطريق الذي يسلكه كل الاحياء ، ليعودوا ، منه بعد كل جولة بوفر من المسرة والهناء .

احاديثها المتناهية في الصراحة عن الحياة السعيدة التي يمكن لنا ان نقضيها بقرب اميرة في بيتنا بعد تخرجنا المشترك ، كانت لا تنقطع بل كانت تعود جديدة فيها من الحاضر رؤاه ومن المستقبل عبيره ، وكان النماع اسنانها الصغيرة اثر كل ابتسامة حالمة ، كافيا لان يشق حجب الاعوام القادمة ، منيرا ظلماتها، ومنيرا معها ، قلبي المظلم الذي اوشك ان تشرق فيه شمس الضحى بهية، فتية

وكانت اميرة ما تفتأ على اتصال ، معنا انا وسميرة برسائلها التي تفيض شوقا لاخيها ولصديقة اخيها. وكانت هذه الرسائل نصف الاسبوعية المتلاحقة بمثابة جسور نعبرها انا وسميرة ، علنا نصل الطريق المفضي الى جنتنا .. جنة الحياة الزوجية. ولعل شقيقتي كانت توصي سميرة بي في رسائلها الخاصة اليها .. اذ كنت الحظ ان سميرة تحاول ان تفيض عن نفسها لمرضاتي ، وكانت مرضاتي سهلة ولم يكن زادها يتعدى الابتسامة الرقيقة والرضا الوافر بالوقوف للتحدث معا ، احاديث الاصدقاء .. واحاديث المستقبل .. عن العائلة والاولاد ، واصول التربية التي يجب اعتمادها في ذلك كله ، وكان الامر لا يخلو من سذاجة وطرافة مع اغراق في البراءة والطهر .

ولكن ذلك كله لم يكن ليكفي لان اكون كامل السعادة . فقد كنت اتعذب في عواطفي كثيرا . اذ كانت سميرة لا تسمح لنفسها بان تتهاون في ضبط عواطفها ضبطا دقيقا. فهي كانت تؤجل البحث في الحب وممارسته كما يعرفه الناس وكما يمارسونه الى ما بعد التخرج من الجامعة . كان المزاح الذي يبدا باللمس ، شيئا مكروها لديها. وكانت القبلة ، فاكهة محرمة على امثالنا . وكانت النظرة التي تصعد دم الجسد كله الى الوجه ، اثارة ليست جديرة بفتاة جامعية تود المحافظة على سمعتها العطرة بين زميلاتها وزملائها ، وكذلك لدى من عرفت من الاساتذة . وكان علي ان اتجنب الخلط بين شخصيتين انيرتين لدي : اميرة شقيقتي وسميرة صديقتي . فقد كان لا يبرح مخيلتي عندما ارى سميرة في كل صباح ، وجه اختي اميرة التي تبعد عني كثيرا ففي كل ابتسامة ، وفي كل تقطيبة حاجب ، وفي كل خطوة رشيقة ، كان ظل اميرة يتجسد في حركات صديقتي ، جميعا هذه الفتاة الطيبة التي كانت تريد مني ان اصبر .. فصبرت ، وتريد مني ان اؤجل كل شيء لما بعد التخرج ، فاجلت ولكنني رغم حرصي على تحقيق رغباتها ، ورغم ضبطي عواطفي وتصوراتي ، لم استطع ان اتحاشى هذا التناغم المنسجم بين سميرة واميرة.. وكذلك لم اكن قادرا على ان افسح المجال لتصوراتي ، لتتأمل في صمت مطبق هذا الجسد الذي اخذ يتفتح شيئا فشيئا، وتلك العيون الصافية المشجعة على الوحي ، وهذه الجلسات الهادئة التي كانت تشبه في هدوئها ، قطعا من ليل مقمر قد طفت على سطح بحر لا سلطان للمد او الجزر عليه . كنت اخاف ان تفسر سميرة رغباتي الجديدة ، تفسيرا بعيدا عن الحقيقة

كنت اخشى ان تكتفي بالظواهر فتظلمني في حكمها القاسي . وكنت كذلك بشرا .. وانسانا ذا قلب يغلي فيه الدم الحار ، ويفيض صدره عن عواطف نبيلة تريد مستقرا لها ولو الى حين . وكان جفاف الدروس والمطالعة القاسية يذيب مني حساسيتي بالجمال ، وشعوري بالمحبة ، ولم يكن بد من ان اتجه نحو سميرة ، مؤملا منها ان تمسح بكفها الناعمة ، قحط الحياة ، فتخصب نفسي ، وتورق مني الاحلام والامال . وفي غمرة هذا الصراع الهائل بين افكاري التي تحترق في رأسي ، وعواطفي التي كانت تنمو في صدري على رمادها ، كنت استسلم احيانا وانتظر الريح المواتية علها تحرك شراعا ظل مطويا مدة ليست قصيرة . وكان يعذبني كثيرا ، منظر هذه الفتاة التي كنت اراها اكثر النهار . وكذلك كانت تعرض لي صورتها بعضا من الليل ، حين تكون بعيدة عني ، نائمة في مخدعها، تشكو جملة اشياء بعضها الوحدة والبرد ، والامل . وكذلك خيال تلك الفتاة البعيدة شقيقتي ، وهي تعرض لعيني بعواطفها المكثفة ، تلك العواطف التي لم اعرف بعد أين وجهتها . وابدا بان احصر فكري الذي كان كثيرا ما يعجز ، مرة فمرة، بين فتاتين عزيزتين على قلبي ونفسي .. وكنت كثيرا ما التهب عاطفة وشوقا لساعة الخلاص، التي سوف تضمني وسميرة في بيت واحد ، لنحيا حياة سعادة كلها ومسرة كلها .

كنت اعلم ضمنا ان روح الاثم سوف لا تلبث ان تسمق في نفسي ، فتحيلني الى دودة حقيرة تسعى في الظلمة نحو غايتها ، والا فكيف تفرض علي الظروف الصعبة التي اجتازها ان اتعذب في حب خيالي يملي علي شروطه القاسية ، وان تبلغ بي حد الضياع الكلي بالنظر الى جسدين يتشابهان، وروحين يتماثلان، وقلبين يصب احدهما ، دمه ، في مسارب اخيه ؟!

كانت هذه التساؤلات تزداد يوما بعد يوم ، مضيفة اليها الافكار القلقة، كل التصورات السود عن المستقبل الذي بدات اشك في ان يكون حلوا فتيا كما تخيلته سميرة وكما وجدته ، لائقا بحبنا الطويل الذي زادته جفافا

تلك البيئة الجامعية الضيقة ، وهذا الحرص الذي تبديه كل فتاة تجاه اعز الشباب لديها ، وتلك الصورة المتبعة في المحافظة على السمعة بين الناس الذين استطالت منهم الالسنة وصغرت الضمائر ، حتى كان الافق كثيرا ما يتلبد : الاخبار البعيدة من اهلي تشرف على الانقطاع، التطمينات الدائمة نصف الاسبوعية كانت تتعثر، فتمتد الى اكثر من اسبوع واحيانا تصل الى الاسبوعين ، فأخشى ان تكون اختي قد وقعت في شرك ليس من حرير . بينما سميرة يعتريها الذبول ، مثل وردة منعت عنها الماءفي ابان تفتحها . وعيناها الجميلتان تقرحهما الدموع .. فأسألها ولكنها تعتصم بالعمق ، فألح عليها ، فتلج في صمتها حتى لاحسب انها تعيش في قبر قد اغلق عليها الى الابد .

بالقرب من بيتنا في المدينة، غروف كبير قائم الى جانب بستان واسع يمده بالماء . مر اخي الكبير عليه ، صغيرا وشابا يافعا ، ومررت انا عليه مثل ما مر اخي . كنا نلعب حوله وبمياهه واحيانا ما كنا ننزل اليه لنبترد بالماء الزلال ، وكنا نشتم كل الروائح ، رائحة الماء وكأن المسك قد فت فيها ، ورائحة الصدا الذي يعلو القواديس ، ورائحة الجدران المبتلة التي غطاها العشب ، ورائحة الظل السميك الذي ينقلب الى رطوبة باردة مشحونةبقوة ذات توتر عال ،الارائحة الخطر .. فقد كانت فتحات انفينا ضيقة ، فلم تكن كافية لان تلتقط كل هاتيك الروائح ، مضافا اليها رائحة الموت في قعر هذه البئر الكبيرة التي تضيع فيها مئة جثة قد لا تعادل في حجمها مئة قادوس ، تحتويها ساقية من سواقي البستان الكبير

لم تكن اختي الحذرة ذات الاقدام الثابتة ، البصيرة ، بمنجاة من هذا المنزلق ، وهي الفتاة الشابة التي تخطو بتعقل وتمشي بتعقل . وقفت على حافة البئر .. تتأمل القادوس يليه القادوس ، وكيف تفرغ ماؤه بسرعة وتسمع الى طرقات الالة الدوراة على نفسها ، وكيف تعطي الاشارة عن كل قادوس يفرغ بضربة على حافة الصفيحة المستقرة تحت اللولب الدائر .. ولما ارادت الالتفات بكليتها لتعود ، زلت قدمها ، فاحتواها الفراغ الواسع بين ذراعيه ، هابطا بها الى اسفل .. ملوحا بها بعنف على حوافي القواديس ، شاجا منها جمجمتها ، راضا اعضاءها ، ميسرا لكمية من الماء كبيرة لان تدخل الجوف ، فتستقر فيه اكثر من ساعة كأنها الابد وقد وضحت نهايته !!

حاولت كثيرا ان امنع سميرة من حضور المأتم فلم استطع . ابرقت الى اهلها تستأذن . فجاء السماح في برقية عزاء لي . وشدت رحالها في صحبة من الزميلات والزملاء ، ابوا الا ان يشاركوني في وفاء الحق الواجب تجاه الاميرة التي فقدوها ..اميرتهم جميعا .

كانت سميرة خلف النعش اشبه بلوح زجاجي يشف عما خلفه ، وفي تلك الساعة ادركت ان سميرة روح كلها ، وما هذا الجسد الذي اراه بعيني الا من عوارضه . انه امتداد لظله الرقيق . انها لم تبك دمعة واحدة ، ولم يبد عليها اي اثر من آثار اللوعة المحرقة . بل كانت مثل نرجسة فتية تعبق بالزكي من العطر وبالحي من الشباب، قد انتظمت في موكب الربيع . وكانت جميلة ، بل هي اجمل من اي يوم مضى . وحين وارينا اميرة التراب ، ودعتها سميرة ببسمة معتدلة ، ولكنها كافية لان تضيء لاختي ظلمة القبر، وكذلك كافية لان تؤنسها في وحشتها القاتلة هذه، فما البسمات ، بعد ، الا ارواح لا اجساد لها . وخيل الي ان سميرة لا يمكن ان تنسى موت اميرة قط . الدموع وحدها بلسم النسيان. الالام وحدها هي التي تمسح جراحنا ومآسينا . اما البسمات على القبر ، اما القامة المشدودة ، اما العيون المضيئة ، فهذه صور يخلد الموت فيها ، كما تخلد روح المودة ، في الكلمة الطيبة .

كان العام الدراسي يشرف على نهايته .. ها هو العام الثاني يوشك ان يمر . وكنا نعد العدة لاجتياز حلقة

صدرت اليوم :



باشراف الدكتور مصطفى خالدي

تتضمن موضوعات مفيدة مشوقة في فنّي الطبّ والتمريض بالإضافة إلى قصص وطرائف وأحدث المعلومات الطبيّة

ثمن العدد
ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تطلب من الباعة وجميع المكتبات الشهيرة

ملتزم التوزيع
مؤسسة المطبوعات الحديثة

كانت تضيق بين سنة واخرى ، فقد كنت اخشى ان اختنق في السنة الاخيرة ، وكانت عاطفة الحب نحو سميرة تخضع لمؤثرات جديدة تذهل بل وتسكر ، حتى تكاد تكون كافية لان تفقد المرء اكثر ما عنده من دواعي الصبر .. والتجلد والثبات . كنت كلما امعنت النظر في سميرة وجدتها تذوب شيئا فشيئا وتذوي بسرعة لا حد لها . بريق عينيها يخفت كمصباح شح زيته حتى اخر قطرة ، وحمرة وجنتيها تنحسر مثل حمرة مصطنعة تلوثت بها الشمس ساعة كسوفها ، فلما انحسرت عن الشمس، كف القمر ، عادت صفراء كبريق الدنانير . وجدها على الدراسة ما زال يتأخر ويفتر الى ان اشفقت عليها من الرسوب في الدورة الاولى ، وكانت المسكينة تفكر بجملة من الافكار الخطرة لم استطع ان استصفي منها ولا قطرة واحدة . اذ كنت على استعداد لان اتذوقها بحواسي كلها فقد اعثر على تركيبها الدقيق .. فافهمه واستريح .

صورة اميرة الحلوة ما تزال محفورة في عيني .. وقلبي . انها فتاة تطلعت الى الحياة ثم ماتت توا ، لم تذق طعم السعادة ، ولم تفهم الحياة على حقيقتها ، من مشاركة في المصير مع انسان ، الى المشاركة في عملية الخلق لعائلة يظللها الامن ، ويرفرف عليها جناح السعادة . انها نعمت بالصداقة .. ولكنها كانت صداقة قصيرة ، صداقتها لسميرة ، ولم يكن لها من الحظ ما يهيء لها النعيم بالحب والانسان يخلق مرتين مرة حين يولد ، ومرة ــ وهي المعول عليها ــ حين يحب .

كانت هذم الصورة الحية ، صورة اميرة اختي ، تنطبع على كل الاشياء التي اراها .. وعلى كل الوجوه التي القاها .. ولكنها كانت تقف طويلا على وجه سميرة الحزين .. وكان انتقالها يبدو اصعب مما كنت مقدرا له أن يبقى . كانت سميرة اذا حدثتني خالطني صوت بعيد لعله خارج من القبر .. وكانت اذا تبسمت ، وقلما كانت تبتسم ، فان بسمة حية وموحية معا ، كانت تنبعث من بين شفتين قرمزيتين ، لعلهما اليوم صامتتان على كلمة السر الرائعة .. وكانت اذا مشت اوحت الي مشيتها ، اسلوب اميرة اختي في التنقل .. بحركاتها وكل ما في هذه الحركات من معان ودلائل .. الم تكن سميرة تشبه اميرة في كل شيء : صورة ومضمونا . وهل من السهل علي اذن .. اذا ماتت اميرة ، ان تظل سميرة وحدها . انها لا بد من ان تتضاعف في شخصيتها ، فتنضم اليها تلك الشخصية الانيسة، ليتعذر علي البتة ، ان اراها دون ان ارى فيها روح اميرة تهوم كأنها بلبل يطير في مدى قصير .. مدى القفص الذهبي : جسد سميرة الذي بدا يذوي .. حتى لكأن هذا القفص قد اخذت قضبانه ، بالانحناء من وطأة الزمن وضربات القدر الماحقة .

الحرارة التي في قلبي لم تعد قوية، مثل عهدي بها . الحب كلمة فارغة ، قطعة من قلب ميت لا توحي الي بشيء ، سميرة هذه لم تعد محبوبة أحلم بان تكون شريكة الحياة كلها ومبعث السعادة كلها انها تحل محل اميرة التي طواها الموت ، يوما بعد يوم . ان اميرة حية لم تمت . انني مهما حاولت ان ابعث الرغبة في جسدي نحو هذه الانسانة ، فاني أجدني عاجزا كل العجز . فلم يعد باستطاعتي اذن ان اشتهي تقبيلها ولو من بعيد ، ولم اعد مستطيعا ان اتأمل بشرتها البيضاء المثيرة للخواطر الحلوة ولم يعد يخطر على بالي سوى ان اميرة حية ترزق ، وان سميرة كذلك وان هذه الانسانة التي تزاملني في الجامعة تقوم بدورين . دور اختي المتوفاة ، ودورها هي ، حتى اختلطت شخصية الممثل بشخصية البطل .. ويا له من جنون كبير .. اكبر من العقل بمرات عديدة !!

كانت سميرة شيئا فشيئا تدرك ما في ضميري ، وتعلم انها مضطرة لان تضحي بحياتها في سبيل هذا التشابه بينها وبين شقيقتي . وبسبب سلوكها في المحافظة على جسدها مني .. بحيث لم يعد امامي سوى ان اظهر لها حقيقتي ، فتعلم عن يقين انني اخذت اشعر بميل اليها ، كأخت اما كخطيبة .. وزوجة مقبلة ، فان دون ذلك اكثر من مستحيل .

قلقها اخذ ينحسر مخلفا وراءه فكرا متعبا واعصابا واهنة ، والظما الروحي اخذت سميرة ترويه من هذا الاستسلام التام لمشيئة الله بكأس طافحة لا تفرغ قط . واخذ الصفاء العميق يعود الى عينيها المحمرتين من بكاء طويل على صديقة وفية فقدتها ، وصديق مخلص توشك ان تفقد محبته في ايام قادمة ، فهي سوف تنشيء نفسها تنشئة جديدة، لتستطيع ان تجابه التطورات المحتملة التي قد تطرأ على حياتها المعذبة .

هي دائما تتحاشاني ، وتتحاشى بخاصة ، ان تدخل معي في موضوع الحب .. وموضوع الزواج بعد هذه الاشهر الاخيرة التي تعتبر بحق فترة انسجام طويلة ، قضيناها معا في الصمت . كان هناك ماض حلو ينهار جدارا فجدارا ، وكان الى قربه ، حاضر يشاد من انقاض هذا الماضي الذي لن يعود ، وكان البناؤون ، يخلعون من صدورهم قلوبا، ويدفنونها في اساس هذا الحاضر المخيف .

كانت الطمأنينة تتسرب شيئا فشيئا الى صدري فتعمره بأنس لا حد له . ان الحب جميل ولا شك، ولكن الاخوة اكثر منه جمالا لا يقاس. والمتعة التي يضفي بها الحب ، تجذل وتطيل العمر ، ولكن متعة العيش جنبا الى جنب مع اخت جميلة كأنها العسل المصفى ، هي من المباهج التي تضيء مسارب النفس ، لانها أرقى درجات الشعور الانساني صفاء

اخذت سميرة تبتسم من جديد . يا لله ما اجمل بسماتها ، التي تشبه شموع الاعراس . واخذت تعود شيئا فشيئا الى سيرتها الاولى ، بعد ان انطلقت من سجنها ــ جسدها ــ فلم تعد تخاف عليه مني . هي تعاملني معاملة اخت . هي تريد ان تملأ هذا الفراغ الذي خلقته اختي في رحيلها الابدي . هي تملأ فراغ قلبي ، ولكنها تخلف فراغا اكثر هولا من وحشتي واكتآبي . انها تخلف فراغ قلبها .. قلبها هي .. فيالله كم هي انسانة ، وكم هي ، بعد ، قديسة ؟!

جاءتني سميرة وعلى فمها ابتسامة حية ، حاملة علاماتها وهي توشك ان تصرخ في جذل :

ــ انظر يا اخي علاماتي.. لقد نجحت!

فأجبتها والدموع في عيني .. دموع الفرح. ولساني ينطق في دعة:

ــ شكرا لله يا اختي.. شكرا لله.

حلب **علي بدور**

من مذكرات والد

بقلم عيسى الناعوري

○

اليوم اغضبت ابني « فارس » . لقد قسوت كثيرا في تعنيفه حتى أخرجته عن اطواره ، فقسا في الرد علي خلافا لما الفته منه، وقال في حدة غضبه :« انت والدي حقا ، وانا لذلك احبك واحترمك ، ولكنك حين تهينني بهذا الشكل لا اعود استطيع ان احبك واحترمك ! »

وابني فارس هذا فتى في الثامنة عشرة من عمره ، جميل وخجول ، ولم اعتد منه جوابا ، مهما اشتططت في تعنيفه . ان اخوته الاخرين يخشونني كثيرا ــ وبعضهم اكبر منه سنا ــ ولذلك يتجنبون الرد علي ، اما فارس فانه الوحيد بينهم الذي لا يخشاني ، ولكن في الوقت نفسه يحرص على عدم ايذاء شعوري بأي جواب فيه خشونة او قسوة ، الا في هذه المرة وحدها .

انني اعترف بيني وبين نفسي بانني مفرط في قسوتي عليه وعلى اخوته ، على الرغم انني ذو ثقافة عالية ، وقد تخرج على يدي اجيال من الناس . وقد اكون ورثت هذه القسوة عن والدي الذي لا اعرف انه ضحك في وجهي مرة قط ، ثم مضى عني وانا بعد دون العشرين من عمري ، وخلفني لما هو اشد منه قسوة وصرامة وتجهما ؛ اذ خلفني اصارع الحياة وحدي .

ولكن هل للوراثة وحدها كل هذا الاثر من القسوة التي اعامل بها اولادي منذ طفولتهم الباكرة ، حتى شبابهم العارم اليوم ؟ انني اعلم بحكم ثقافتي العالية وتجاربي العديدة في الحياة ان العلم والتجربة اشد اثرا من الوراثة، وانهما يستطيعان ان يتغلبا على كل ما تتركه الوراثة والبيئة في الانسان من العادات غير الحميدة ، ومن الطباع السيئة ؛ فالوراثة شيء يعلق بالغريزة التي لم يهذبها العلم ولا الاختبار ، اما الانسان العاقل المثقف المجرب فان الذي يضبط تصرفاته وطباعه هو العقل النير المجرب .

اذن ليست الوراثة هي التي تجعلني اتصرف مع ابنائي بكثير من الصرامة والقسوة ؛ فلا بد ان يكون ثمت سبب اخر . ولعل هذا السبب الاخر هو حرصي الشديد على ان يخلو سلوك ابنائي من كل ما يستوجب التثريب واللوم . اريدهم جميعا نماذج للاخلاق العالية ، والبعد عن الرذائل ومفاسد الاخلاق ، وعن كل ما تنهى عنه الاديان السماوية والاخلاق الفاضلة .

حقا انا حريص على ذلك كل الحرص ، ولكنني حين اعود الى نفسي واناقش الامور على ضوء ثقافتي العالية ، وتجاربي الكثيرة ، ودراساتي في كتب التربية وعلم النفس ارى ان القسوة كثيرا ما تقلب النتائج الى عكسها ؛ فبدلا من ان اسير ابنائي في نهج الاخلاق الفاضلة والتقاليد السامية ، ادفعهم بقسوتي دفعا الى التمرد والثورة ، والى الانطلاق من كل ما ارسمه لهم من مناهج اخلاقية ومثل عليا

اذن ليست رغبة الاصلاح والتوجيه هي الدافع الحقيقي الى قسوتي وصرامتي في معاملتي لابنائي ؛ فقد دلتني التجربة على ان بعض الناس ممن يتخذون النصح والارشاد دأبهم في الحياة ، انما يفعلون ذلك تغطية لما في نفرسهم من رغبات مكبوتة ، لا يستطيعون اطلاقها على حقيقتها . فقد يكون فيهم الداعر الذي يود لو ابيحت له جميع نساء الارض ، ولكنه لا يملك ان يحقق رغباته الجنسية كما يشاء ، فيعمد الى تنفير الناس من الشهوات المحرمة . وقد يكون فيهم من يود لو يستطيع ان يسلب كل ذي ثروة جميع امواله ، فيكدس المال الحرام في خزائنه ، ويحرم الاخرين من كل ما يملكون ، ولكن رغبته هذه لا تجد سبيلا الى التحقيق ، فيمضي يعلم الناس القناعة ، وتوخي طاعة الله ومرضاته على كل عرض زائل وعلى كل جاه وسلطان ومتاع دنيوي .

وهكذا كثيرا ما تكون دعوة الفضيلة والاخلاق الحميدة ستارا يخفي وراءه الاخلاقيون رغباتهم المكبوتة الفاشلة . وقد عرفت انسانا كان يكثر من الكتابة في الصحف منددا بتعليم الفتيات الرياضة البدنية ، والاعمال الكشفية ، والرقص ، وبارتدائهن ملابس الرياضة البدنية القصيرة في ساحات مدارسهن ؛ وكان يرى في كل ذلك هدما للاخلاق وللاسرة وللمجتمع . وانا اعرف الرجل معرفة وثيقة ، واعرف انه يتمنى من صميم قلبه لو كانت الدنيا بطولها وعرضها بيتا واحدا للدعارة ، بشرط ان لا يدخله انسان سواه ، فاذا دخله انسان اخر فهناك الطامة الكبرى ، وهناك الجناية التي لا جناية بعدها على الاخلاق والاسرة والمجتمع الانساني كله .

فما الذي دفعني اليوم ــ كما يدفعني دائما ــ الى الظهور بمظهر العبوس والصرامة والقسوة مع اولادي ؟ مع انني في الواقع لا احب لاحد منهم سوءا ، ولو اصيب احد منهم بمكروه لما توانيت لحظة عن ان اجعل حياتي ثمنا لسلامته ونجاته ! اتراني ــ لا شعوريا ــ من اولئك الذين يسترون مشاعرهم الحقيقية بقناع الغيرة على الاخلاق ؟

يخيل الي ان هناك شيئا بعيدا جدا عن الوراثة ــ وراثة الصرامة عن والدي ــ وعن مجرد الرغبة في الاصلاح والتوجيه . او لعل رغبة التوجيه كانت خالصة مجردة ابان طفولتهم ، اما الان وهم في عنفوان الشباب ، وليس فيهم من هو دون السادسة عشرة من العمر ، فالامر جد مختلف كما ارى . ولهذا لا بد من ان اناقش نفسي ، وان اصارحها بما تأباه وتهرب من معرفته. علي ان أكون صارما معها مرة ، بعد ان كنت صارما مع اولادي كل المرات .

انا الان كهل في السادسة والخمسين من عمري . لقد خلفت سن الشباب المتفتح ورائي ، والشعر الابيض ينتشر في الاماكن التي لم يغمرها الصلع بعد في رأسي ، بشكل لا يدع مجالا لتفتح الاماني وضحك الشباب وصبواته ، هذا الشباب الذي اراه في كل جارحة من جوارح ابنائي اراه في وجوههم النضرة كبراعم الربيع ، وفي شعر رؤوسهم البراق الذي يعتنون في تلميعه وتصفيفه ، وفي ملابسهم التي يتأنقون في اختيار الوانها وانواع اقمشتها وطرائق تفصيلها ؛ وفي ضحكاتهم التي يطلقونها من اعماق قلوبهم ؛ وفي مشيتهم المرحة القوية ؛ وفي قاماتهم المستقيمة المنتصبة ، وفي كل حركة من حركاتهم . ولكنني اراه اكثر ما اراه ، واشعر به اكثر ما اشعر ، حين اسير مع واحد منهم في شارع ، او يضمني مع واحد منهم فيه

نساء ، فارى عيون الحسان تطوقهم بالنظرات الحلوة التي يتفتح معها الربيع في الصدور ، ولا ارى منهن نظرة واحدة تقع علي موقع العاطفة المؤملة المنعشة .

انني اكاد اهرب من نفسي الان خجلا وانا اصل الى هذا الحد . ولعل خجلي هذا اعتراف صحيح بالتهمة . اتراني حقا اغار من ابنائي بدافع لا شعوري ، فاستر غيرتي هذه ــ لا شعوريا ايضا ــ بالصرامة والقسوة ومظاهر الغيرة على الاخلاق والفضيلة ؟

انني لم افطن قط الى هذا ، لانني لم احاول ان اناقش نفسي من قبل في هذا الموضع الخطير . والذي يجعلني اتهم نفسي الان بهذه التهمة الخطيرة هو ما قرأته صباح اليوم في كراس صغير كان في جيب ابني فارس ، الذي عاد اخيرا من لندن ، حيث يتابع دراسته الجامعية ، لقضاء جزء من عطلة الصيف بيننا . لقد ابحت لنفسي ان اسطو على جيبه اقلبه وارى ما فيه ، بدافع الفضول ، او بدافع الغيرة المكبوتة ، او بدافع الرغبة في صيانة الاخلاق والفضيلة ... لا ادري ... ولكنني اخذت الكراس ورحت اقلب صفحاته ، فقرأت في احداها ما يلي :

دعتني اخيرا زميلتي الفنية « جانيت » الى رحلة معها الى دبلن في ارلندة ، حيث تقيم اسرتها . انها فتاة ارلندية رائعة الجمال ، وافرة الغنى . لقد رغبت الي في مرافقتها ، لرؤية بلادها ، والتعرف الى ذويها . وما احب الدعوة من فتاة جميلة مثلها ! انها دعوة لا يقاوم اغراؤها . ولذلك رافقتها بعد انتهاء العام الدراسي ، وقضيت معها اسبوعين من اطيب ما عرفت من ايام العمر . لقد استقبلني ابواها بحفاوة بالغة اكراما لها ، واذنا لي بمرافقتها في نزهاتها في دبلن وفي انحاء اخرى من ارلندة . وكانت نزهاتها ممتعة جدا على براءتها التي لم نتجاوز فيها مدى العناق الحلو واللهو البريء . ولما مر الاسبوعان شعرت ، وانا اودعها للعودة الى بلادي ، بانني لا اضع يدي في يدها ، وانما اضع فيها قلبي وجوارحي كلها . ولم تخجل من ان تعانقني وتقبلني قبلة الوداع امام والديها ، فقد فعلت ذلك ببراءة اخوية تامة .

لو فعلت مثل هذا فتاة في بلادي ، لسلقتها الالسنة بالافتراءات الداعرة المجرمة ، ولشوهت سمعتها مدى الحياة .

وفي صفحة اخرى من الكراس قرات ما يلي :

تنزهت صباح اليوم في قارب على نهر التيمس مع زميلتي فيفيان . كانت السماء صافية ــ وما اقل صفاء السماء في لندن ــ وكان النهر ساكنا هادئا ؛ وكان في وجه فيفيان اجمل ما في السماء وصفحة النهر من جمال وروعة ولم اكن املك نفسي عن تطويقها وتقبيلها كلما رأيتها تفتح ثغرها بضحكة . وكانت ضحكاتها اروع من رنين الاجراس في الاعياد . وكانت تستسلم الى ذراعي في كل مرة بمرح شهي وحيوية .

لو رآني ابي اذ ذاك للقيت من خشونته وقسوة تأنيبه ما لا يصبر عليه حتى الصبر نفسه ... انه لا يريد ان يدرك اننا ههنا شبان نمارس الحياة بلا رياء ، وبغير كبت قاتل ، كما نفعل في بلادنا ، وكما تفرض علينا تقاليد بيئتنا الظالمة .

وصفحات اخرى من هذا النوع قرأتها في الكراسة ، فشعرت بالدم يغلي في عروقي . لقد خيل الي ان الفضيلة قد انتحرت في نفس فارس ، وان الاخلاق كلها قد دنست بالوحل ، فلم املك نفسي عن تمزيق الكراس قطعا صغيرة . ثم دعوت فارس وشفتاي ترتعصبان غضبا . وقلت له بعبوس وصرامة :

اذن انا ارسل اليك النقود للدراسة ، وانت تنفقها على جانيت في دبلن ، وعلى فيفيان ، وعلى غيرهما من صواحبك ؟ الهذا ارسلتك الى الجامعة ؟ اهذه هي الاخلاق التي حرصت على ان القنك اياها طول عمرك ؟ اهذه نتيجة تعبي وسهري الليالي ؟ انا اتعب ههنا في تدبير المال لدراستك ، وانت تنفقه بكرم واريحية على المومسات في الغرب ؟

فقاطعني فارس قائلا :

ليست جانيت وفيفيان من المومسات يا ابي ؛ انهما من زميلاتي في الجامعة ؛ وعلاقتي بهما وبغيرهما ممن اسخطتك رؤية اسمائهن في هذه الكراسة الممزقة هي علاقة زمالة ، وصداقة بريئة ...

فصحت به غاضبا :

اخرس !! علاقة بريئة ؟ ! وهذا الهزال البادي على جسمك ، اليس من اثر الافراط في الامور الجنسية مع المومسات ؟ اهذه هي نتيجة تربيتي لك ؟

ومضيت في ثورتي الصاخبة ، اسمعه من الكلام اعنفه واشده ايلاما ، حتى نفد صبره ، فقال لي ما قاله ، ثم خرج من امامي غاضبا .

أتراني حقا ثرت عليه هذه الثورة ، واسمعته ما اسمعته من الاهانات والكلام الجارح لانه انفق المال الذي كنت ارسله اليه على معاشرة المومسات ؟ ام تراني كنت على حق حين رميت اولئك الفتيات بهذه الصفة القذرة ؟ !

اكل فتاة تمشي مع فتى وتعانقه او تأذن له بتقبيلها هي مومسة حقا ؟ !

يخيل الي انني لم اقل الصحيح حين ثرت على ابني واتهمته ، واتهمت معه فتيات بريئات من زميلاته . ولو عدت في العمر الى مثل سنه اليوم لما فعلت الا ما يفعله هو الان . ولكنني لن اعود الى مثل سنه ، ولن يغطي الشعر البراق المصفف هذه الطريق الصحراوية التي فتحتها السنون في راسي ، والشيب الذي انتشر في بقايا الشعر في راسي يزداد كل يوم وفرة وامتدادا . ان الايام تمضي بي قدما الى حيث لا يعيش من النساء غير العجاف القاحلات ؛ اما هو فان الاعوام الثمانية عشر تجمع حواليه باقات العطر والزهر ، وتفرش دروبه بالثغور الضواحك ، والاذرع البضة ، والخدود النضرة . ان الحياة المقبلة عليه الان ليس من حقي ان انغصها لانها مدبرة عني ، ولانني في شبابي ــ حين كنت في مثل سنه ــ لم استطع ان اجد الجو الذي استطيع ان اطلق فيه نفسي على سجيتها مثله ، واعبر مثله عن نوازعي وميولي بشكل صريح ، لان المجتمع الذي كنت اعيش فيه كان قاسيا ، يفرض من التقاليد والقيود الاخلاقية ما لا يطيقه حتى الملائكة ، فكنت لذلك اعيش على الكبت والحرمان .

اكاد اسمع كل جارحة في تتهمني بملء القسوة بان

السعادة في العطاء

○ ○ ○

كثيرا ما اعود الى منزلي مضطرب الخاطر مغموما ، فلا يكاد ولدي الصغير يستقبلني بوجهه البريء وابتسامته السعيدة ، ولا يكاد يخاطبني بلفته المحببة والفاظه البسيطة لا يكاد يفعل هذا حتى تتبدد همومي وانسى متاعبي واستمد من عيني طفلي الوديعتين : عونا يشدد قواي واملا يرفع نفسي ، واستبشارا بما يحمل الغد القريب .

لقد اعطاني ولدي بابتسامته قوة جديدة ، اعطاني شيئا ثمينا قد لا يستطاع شراؤه بالمال . انه اعطاني السعادة واعطاني الامل .

وما اجدرنا جميعا ان نتامل دائما العطايا الكثيرة التي اعطيناها : كم نحن مدينون لله تعالى الذي منحنا حياتنا وخلق اجسامنا بكل ما فيها من جمال الصنع ودقة التركيب . كم نحن مدينون لهذه العقول التي نسيطر بها على حركات اجسامنا والتي تعيننا على مواجهة عالمناالفسيح المضطرب . واذا قلنا ان الله قد خلقنا كما خلق سوانا من ملايين الناس ، فما اجدر كل واحد منا ان يذكر العطايا الكثيرة التي منحه اياها ابوه ، ومنحته اياها امه .

ان في حياة كل واحد منا ، كنوز لا حصر لها ، ولا يمكن ان تقدر بمال وهذه الكنوز الثمينة ملك ايدينا وتحت تصرفنا لو استطعنا ان نعود انفسنا على رؤيتها وادراكها والاستمتاع بها .

كل واحد منا يستطيع ان يعطي كما اخذ . والسعادة المثلى ليست في الاخذ بل في العطاء ولو جرب كل واحد منا هذه الوصفة السحرية ، وصفة البذل والعطاء لذاق طعم السعادة الخالصة ، ولتعرف على عوالم جديدة من الطهر والسمو والنقاء .

وفي مقدور كل واحد منا ان يجعل الحياة اكثر جمالا وتالقا مما هي عليه ، كل واحد منا يستطيعالمساهمة في زيادة هذا البناء البديع ولو بلبنة واحدة . وان استمتاعنا بحياتنا لا يقتصر على الاغتراف من المناهل التي تتيسر لنا فحسب بل يكمن ايضا في العطاء السخي والبذل الصادق . والبذل والعطاء هما من اجمل المتع الانسانية لا بالنسبة لمن نبذلهم بل بالنسبة لذواتنا نحن . وانشعورنا بالبهجة التي تغمر قلب ذلك الانسان الذي اعطيناه شيئا من حبنا او مالنا ليبعث في نفوسنا نحن سعادة اكبر من سعادة المبذول له .

وانا اعرف اشخاصا كثيرين يبذلون الاموال الطائلة على سبيل التباهي او الاستزادة من الجاه . وتراهم اشد ما يكونون بخلا وتقتيرا اذا اتصل الامر بقريب فقير او بجار معدم او بعابر سبيل معوز . وهؤلاء وامثالهم لا يستمتعون بسعادة العطاء المثلى لان السعادة الخالصة لا تنتج الا عن العطاء الخالص .

وليس العطاء مقصورا بالضرورة على المال ، فنحن نملك ما هو اثمن من المال نملك العون الذي نستطيع ان نمده لشخص ما كل يوم من ايام حياتنا ، ونملك المودة التي يمكن ان نفيض منها على كل من يتصل بنا ، والمودة والعون هما أثمن من المال في اكثر الحالات .

ونحن نعتز بتاريخنا وباولئك الذين صنعوا تاريخنا ، ونحن نفخر بما ترك لنا اجدادنا من تراث ومن ذكريات ولكن تاريخناوتراثنا لم يجيئا عفوا بل هما نتيجةاعطيات جديدة بذلها اسلافنا ، اعطيات مجبولة بالدماء والعرق والدموع ، اعطيات حافلة بالجد والنصب والمخاطر . لقد كان ابو العلاء المعري ضريرا ولكن همته العالية لم تقعد به عن ابتغاء السعادة في العطاء ، ولقد اغنى ابو العلاء تراثنا الفكري والادبي ولكنه لم يكن في تاليف اثاره ، اقل منا سعادة بمطالعة تلك الاثار . ولقد قضى جوتة اربعين عاما وهو يؤلف روايته المشهورة « فاوست » ولكنه لم يكن في كتابتها اقل سعادة من ملايين الناس الذين استمتعوا بقرائتها .

ولا ينتظر منا بالضرورة ان نرتفع الى مستوى العباقرة ولكن كل واحد منا يستطيع ان يعطي شيئا مما في مقدوره ، ان الكلمة الرقيقة والابتسامة المشجعة قد تبعثان في نفوس الكثيرين ممن نصادفهم كل يوم ـ مزيدا من القوة على مجابهة المتاعب ، وبذلك نكون قد اعطينا وساهمنا في اسعاد الاخرين واسعاد نفوسنا ايضا .

وانا اعلم بالتجربة ان سعادتي بتقديم الحلوى لولدي تكون دائما اكبر من سعادة ولدي عندما ياكلها ، فالعطاء تجارة مربحة تتضاعف خيراتها في النفوس الكريمة السخية .

فدعنا نحاول ان نساهم في تجميل الحياة ، دعنا نحاول الاستمتاع بلذة العطاء ، دعنا نحاول التخفيف عن بؤس الاخرين بالوسائل التي هي في مقدورنا ، دعنا نزيد من قيمة الحياة ، دعنا نساهم في ان نجعلها اكثر شرفا وسموا وجمالا ، وصدقني اننا لن نكون من الخاسرين .

عمان **سليمان موسى**

كبتي وحرماني ايام الشباب ، وادبار الحياة عني اليوم ، واقبالها بكل مفاتنها ومباهجها على اولادي ، هي السبب في عنفي وقسوتي على هؤلاء الابناء الشبان ، فكانني ـ لا شعوريا ـ اود ان لا يلاقوا من حياتهم غير ما لقيت انا من الكبت والحرمان الدائمين .

لقد كشف لي ابني فارس اليوم عن نفسي ، واراني اياها على حقيقتها بمذكراته ؛ فما كانت ثورتي عليه ، وتمزيقي لمذكراته ، غيرة على الاخلاق والاداب ، ولا حرصا على المال الذي ارسله اليه ؛ ولا كانت قسوتي شيئا مما ورثته عن والدي ومما طبعته البيئة في نفسي .

ان الاعتراف بالحقيقة صعب جدا حينما تكون جارحة قاسية بهذا الشكل الذي اتمثله الان . ولكن الحقيقة لن تكون الا الحقيقة نفسها ، مهما حاولنا ان نموه على انفسنا وعلى الناس بالباسها غير ثيابها .

عمان **عيسى الناعوري**

كاتب من يوغسلافيا ميروسلاف كارليجا

بقلم اديب مروة

في العالم العربي نجهل الشيء الكثير عن الادب اليوغسلافي في قديمه وحديثه . لسبب رئيسي بسيط ، وهو انه لا توجد لغة يوغسلافية بكل معنى الكلمة ، فالجمهورية الاشتراكية الاتحادية الحاضرة التي هي يوغسلافيا تتألف ، كما كانت امبراطورية النمسا ـ المجر قديما ، من عدة شعوب غريبة غير متقاربة ومن عدةمناطق شديدة الاختلاف في ما بينها ، كسلوفانيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ، وسربيا ومونتينيغرو (الجبل الاسود) ومقدونيا . حيث لا تربطها اية صلة ان كان في المناظر ، او في طرق المعيشة ، والعادات والتقاليد وحتى اللغة .

ولذلك فان الكتاب والشعراء اليوغسلاف ، رغم تأثرهم بالثقافات الالمانية او السلافية او الفرنسية ، يجدون مشقة كبرى في التحرر من اللون الشعبي الذي يسيطر عليهم ، او في الانفلات من الروح الاقليمية الضيقة التي تحيط بهم وتطبعهم بطابعها .

وعلى الرغم من ذلك فقد برز كتاب وشعراء سربيون او سلوفانيون لا يقلون شأوا عن كبار مفكري العالم ، وما اعتقد على كل حال انه يحق لنا اليوم ان نجهل على الاقل اثنين من كبار كتاب اللغة السربية الكرواتية الا وهما : ايفو اندريتش مؤلف « جسر فوق درنه » وميروسلاف كارليجا الذي اثار كتابه الاخير « مأتم في تيرزنبورغ » ضجة كبرى في الاوساط الادبية الاجنبية ، واعتبر المؤلف نفسه بمثابة اكتشاف جديد في دنيا الادب والفكر العالمي .

يبلغ كارليجا الان الرابعة والستين من عمره وهو اديب مناضل قديم وضع وكتب اكثر من مئة مؤلف بينها عشرون فقط ذات طابع ادبي بحت ، وقد مارس الكتابة في مختلف الوان الادب والفن ، فانشأ المسرحيات والروايات المختلفة ، والقصص القصيرة ، ووضع الابحاث المطولة ، ومارس النقد ، ونظم الشعر الغنائي ، والقصائد الساخرة، كما اصدر وحرر وحده سلسلة من المجلات التقدمية كانت معظمها تتعرض للمراقبة والمصادرة ، وكل هذه الاثار تشهد له بعراقة قدمه في دنيا الادب والفكر ، وسعة اطلاعه ، وتوقد ذهنه ، وحدة نشاطه ،وتوزع ثقافته وتضارب افكاره .

وبالفعل فان المجتمع الكرواتي الذي عاش كارليجا بين احضانه هو خير مثال على العبث السياسي ، والمأساة الانسانية اللذين كانا وما زالا يعصفان باوروبا .

وقد كان كارليجا على التوالي جنديا في سيبيريا ، اسيرا في المجر جنديا نمسويا في الجبهة الروسية ، مرشح الشيوعية الدولية الثالثة الى المجلس التأسيسي في بلغراد، صديقا حميما للماريشال تيتو ، وهو حاليا نائب رئيس اكاديمية العلوم والفنون في مدينة زغرب .

وهكذا طبخ كارليجا نفسه في مرجل ضخم صاخب من الاجناس والقوى وتبدل المحالفات ، والتفسخ التاريخي وارتفاع موجة المبادىء المثالية ، واندثار الامبراطورية النمسوية المجرية ، وانقسامها بين سرب وكروات وسلافيين وبالنتيجة تراه ينفث بسخرية عجيبة جميع هذا الخليط الغريب من الاموات والاحياء على قلمه المرير ، ويلوث قلبه بالدم المراق في كتب التاريخ ، والذي تخوض غماره الاجيال الجديدة الصاعدة .

وامامنا الان كتابه الذي نشر اخيرا باللغة الفرنسية مأتم تيرزنبورغ » وقد ترجمه من الكرواتية انطون بولانسكاك ، وصدر في منشورات « مينوي » بباريس ، وعدد صفحاته ٢٨٨ . وهو مجموعة قصصية تضم ستا من القصص العميقة الزاخرة بالاحداث الجسام التي تعبر عن انسانية بعيدة المدى بقدر ما تمثل مجتمعا معينا من الناس عاشه ولا شك المؤلف بكل جوارحه وغرق فيه حتى الاذنين . وتظهر لنا القصة الاولى من الكتاب بطريقة فذة كيف ولماذا يجد كارليجا نفسه بحاجة حيوية الى التهكم اللاذع والسخرية المقذعة . فالتهكم بالنسبة اليه وسيلة للانتقام من الماضي والحاضر . وهو بنظره التعبير الطبيعي عما يختزن في نفسه من حقد قديم لا يتوانى عن البحث عن مخرج دائم . فهو الحقيقة المجردة ذات الابعاد الانسانية في عالم مشحون بالنماذج العاتية ، والاشباح الوطنية ، والمومياءات السياسية الجغرافية . وهكذا يحطم كارليجا واجهة متحف اعتاد الناس ان يكنوا له الاحترام والتقدير !

ويروي المؤلف في قصته « مأتم في تيرنزنبورغ » ـ وهي من اطول قصص المجموعة وقد اتخذ عنوانها اسما للكتاب ـ حكاية ضابط شاب في « الفيلق الامبراطوري الملكي السابع عشر الملقب برجال التنين ، وقد اسسه

رئيس اركان الحرب الشهير فالانشتاين روبرت سابن‌كانتان الاسباني » (وتلاحظ هنا طريقة كارليجا في التشديد على الالقاب الضخمة الرنانة التي تخفي وراءها السخرية اللاذعة من الذين يحملونها وتكشف عن الفراغ الواسع التي تعيش فيه امثال هذه المؤسسات) ويقع هذا الشاب وهو الليوتنان غويزا رامونغ ، في غرام زوجة رئيسه الكولونيل. ولهذا الليوتنان اطوار غريبة ، فهو من نواحي اخرى يفضل الرياضيات على مهنة الجندية ، وينال درجة دكتور في العلوم ، مما لا يعجب رؤساءه مطلقا ، ويجعلون ينظرون اليه نظرة سيئة ، ويعتبرونه مشبوها ، ذلك بان الفيلق الامبراطوري السابع عشر الخ... ليس بحاجة الى استاذ في الرياضيات . ويصبح صاحبنا كئيبا ، وتتراكم اخطاؤه ومن بينها ذلك الوزر الثقيل الذي دفعه لان يرفع انظاره نحو زوجة رئيسه ، تلك المرأة اللعوب اولغا التي تستسلم له بدافع الملل والفضول ، ثم تتخلص منه فجأة قبل ان تنفجر الفضيحة .

ويقع رامونغ على الاثر فريسة نوع من الجنون ما يلبث ان يتجلى اثناء زيارة رسمية قام بها الى المعسكر جنرال واميرال يابانيان كانا قد انتصرا على الروس (ولهذين الضابطين الكبيرين قصة ساخرة اخرى يتبين منها انهما مجرد محتالين) فيحور الليوتنان في المحاضرة التي كلفه الكولونيل بالقائها امام الضيفين الكبيرين ، ويعلن ان معركة ايسلنغ الشهيرة التي انتصر فيها الفيلق السابع عشر ... ونال بسببه مجده العسكري ، لم تكن في الحقيقة الا هزيمة ساحقة : اذ قتل فيها ١٧ جنرالا وخسر الفيلق فيها ثلاثة الاف رجل ، ولم يستطع الفيلق ان يوقف من تقدم نابليون نحو الشرق الا قليلا . وهنا يوقفه رئيسه الكولونيل عند حده ، ويعاقبه بالسجن القاسي بسبب « سلوكه المشين الذي تصرف به خلال الحفلة » وبدافع حقده الشخصي عليه من جراء خيانته اياه مع زوجته . ويؤدي ذلك الى انتحار الليوتنان رامونغ اخيرا . وهنا لا بد من جمع الضباط جميعهم امام الجثمان ، وهم مرتدون بزاتهم العسكرية البراقة التي يرتدونها في المناسبات الاحتفالية ، وقد وقفوا جميعا وقفة الاستعداد للاستماع الى اغرب تأبين فاضح يلقيه الكولونيل نحو الضابط المنتحر ... اذ يشتم الجثة التي امامه ويصب عليها جام غضبه وحقده . ويجعل من صاحبها خائنا للفيلق والشرف والوطن لان الليوتنان المسكين كان يهتم بديكارت اكثر من اهتمامه بالجندية . وتنتهي هذه القصة المحزنة المضحكة في آن واحد ، بتهم مثيرة وقد اراد كارليجا الا يجعلنا نعطف على الضابط الشاب المثقف بقدر ما يجعلنا نسخر من الادعاءات الفارغة ، والتبجح الاحمق ، والاساطير الوهمية التي تقوم عليها امجاد رفاقه العسكريين . وقد كان بين هؤلاء الدمى المفعمين بالخيلاء والخيال ، رجل واحد طبيعي لا بد من ان يضحى به !.

والقصة يمكن ان تروى كما راينا في حوالي ثلاثين سطرا ، ولكن كان لا بد لكارليجا من اربعين صفحة لكي يسردها علينا باسلوب يفوق الوصف حتى يوصلها الى نهايتها الممتعة .

وهو في هذا المدى الذي يبدو على طوله قصيرا ، يهدم ببطء وبرودة الاصنام الجبارة وجميع الدمى التي تقع تحت يده ، ولا ينسى اية ملاحظة دون ان يسوقها ، فهو من هذه الناحية دقيق كل الدقة في سرد التفاصيل بحيث يذكرنا نوعا ما ببلزاك ، ويقودنا نحو سخرية جليدية تنتهك حرمة جيش تيرزنبورغ الاسطوري المهيب . والمؤلف اذ يفعل ذلك نراه لا يرفع صوته بالمرة ، بل يكاد القارىء الا يشعر به الا لماما حين يبتسم خفية ابتسامة خفيفة حين يكشف النقاب مثلا عن ان الزيارة الرسمية للجنرال الياباني ليست سوى خدعة مدبرة .

وهنالك دمية اخرى نجدها في قلب القصة الثانية « هو دور لاهومور البديع » وهي دمية لها قيمتها : انها بارنس . فقد كان الصغير بيرو اورليتش من زغرب يحلم منذ نعومة اظفاره بباريس ويجعل منها اعجوبة الاعاجيب ويتوق لزيارتها ، وحين يبلغ العشرين نراه يهبط في مرتع احلامه ، ولكن باريس التي يكتشفها ليست سوى وحل ، وقذارة ، وجوع ، وكذب ، وبؤس ، وظلم ! عندئذ يصيح اورليتش « ليس هناك الا فراغ مقرف ، ليست هناك باريس ، ان باريس في نفوسنا ، وهنا يطلق ست رصاصات على ... المدينة ! »

وفي قصة « الكوخ رقم خمسة مكرر » نرى الكونت ماكسيميليان اكسلروت حامل وسام مالطة الشهير ، ومدير احد المستشفيات العسكرية ، يفرض كبرياءه وعنجهيته ، ولهجته التسلطية ، وطباعه الصارمة على الالف وخمسماية مريض الذين يقاسون الامرين من الامهم ويعانون سكرات الموت ، بينما يعب ممرضوهم كؤوس الخمرة احتفالا بانقلاب عسكري . ويقول احد الجرحى باصقا دما قبل ان يحتضر « لماذا جئت الى الدنيا ؟ لماذا ولدت في هذه المدينة الحمقاء ذات الملاهي الموسيقية حيث لا يوجد حزن ، حيث كل شيء ملهاة غنائية » !

وهنا نجد كارليجا يحلق في التلاعب بالمشاعر الانسانية ، ونحن كلما تقدمنا في القصة نراه يرتفع في فلسفته الواقعية ، وفي تصويره المرير البارع ، وفي تشاؤمه ، وتبدو لنا لفظة « واه » التي يحشرج بها الطالب فيدوفيتش في « كوخ رقم خمسة مكرر » كأنها صيحة نقمة مدوية يطلقها كارليجا نفسه في كل صفحة ، ويبدو ان هذه النقمة ليست موجهة نحو طبقة معينة من الناس بقدر ما هي منصبة على الحياة بكاملها !

وتعبر قصته « الى اقصى حد » عن يأس سياسي ، بينما تعبر قصته « رياح فوق مدينة ريفية » عن يأس امام الحياة اليومية (واخذ كوكيتز يفكر بان الحياة مجرمة) اما « صيحة تحت شلال » فهي تعبر عن اليأس امام الموت.

ولا يعود كارليجا يبتسم ، بل تبين تلميحاته التي يكثر منها بتدفق نحو النجوم نحو زرقة السماء ونحو العالم المقفل ، المندفع وراء جنونه ، بأنه منطوي على نفسه ، تلاحقه فكرة بؤس العيش اكثر من صعوبة بناء عالم افضل ولكنه من هنا يستقي خير موارده الريفية ككاتب : جبار ومؤلم ، ذو ملكة غنائية زاهدة وعنيفة في آن واحد ... وهو اولا واخيرا سيد الحقيقة وكل ما ينبثق عنها من واقعية ومرارة انسانية واخلاص !

أديب مروة

فتاة من بغداد

•

لمير بصري

•

في سنة ١٦١٦ قدم بغداد رحالة ايطالي شاب اسمه بيترو ديلا فاليه Pietro della Valle ينتمي الى اسرة نبيلة ، بعد ان ساح في القسطنطينية ومصر وبيت المقدس والشام . وفي بغداد وقع في حب فتاة جميلة في ريعان الصبا اسمها معاني فتزوجها واصطحبها للعودة الى بلاده عن طريق ايران . لكنها مرضت في الطريق وقضت نحبها ، فحزن عليها حزنا شديدا وحنط جثمانها وحملها في تابوت حتى بلغ روما بعد خمس سنوات من الاسفار والاهوال . وهناك دفنها في مدفن عائلته وبقي وفيا لذكراها ثلاثين سنة حتى مات ودفن الى جانبها .

ان هذه القصة التاريخية لحب ووفاء نادري المثيل قد سجلها رحالتنا الايطالي في ثنايا رحلته الضخمة التي ترجمت الى لغات متعددة ونشرت منذ ثلثمائة عام . وقد استوحاها الشاعر لنظم ملحمته « فتاة من بغداد » التي نقتبس منها فيما يلي بعض الاناشيد :

القافلة

بيترو في طريقه الى بغداد

تموج القوافل تحت النجوم
كمثل السنابل سمر الجسوم
تهزّ المناكب عند المسير
تجوز صعاب الطريق العسير
وتجلو المشاعل ليل الظلام
كضوء الحباحب وسط القتام
تمور الصحاري كموج البحار
ويغري الضجيج سكون القفار
وحادي الجمال يشقّ الفضاء
بصوت شجيّ يجيد الغناء
تميد الرحال وتسعى الرجال
وتجري الخيول وتمشي البغال
لاجراس تلك المطايا رنين
يمازج في الليل عذب الحنين
وكم يخدع العين لمع السراب
وكم يخلع اللبّ صوت الذئاب
نهار يمرّ وليل يفرّ
وشمس تغور وبدر يغرّ
وريح سموم وقرّ وحرّ
وليس لركب الفلا مستقرّ
تلمّ المنازل شعث الطريق
وتمضي الرواحل ، هل من رفيق؟
ويؤخذ طوراً ويلتقي الزمام
ويُضرب حيناً ويُطوى الخيام

بغداد

بغداد تلوح في الافق

في الضحى نادى المنادي : ايها الجمع السعيد
تلك بغداد أطلّت بلد المجد التليد
وليالي الظعن ولّت بالسُرى المضني الشديد
هللوا اليوم حبوراً ، قد دنا الافق البعيد
من رأى بغداد حقاً قد رأى بيت القصيد
تلك بغداد تراءت خلف صحراء الرمال
كعروس اسبلت برقعها دون الجمال
ضرب النخل حواليها نطاقاً من ظلال
وقباب الذهب الابريز لاحت في جلال
ترفع الهام اختيالا آية السحر الحلال
تلك بغداد توارت خلف ابواب وسور
خلع الدهر عليها في الورى هالة نور
وجرت دجلة نشوى تحت اقدام العصور
تغسل الجنّات والارباض بالماء الطهور
وخدورا عمرتها في الدجى أسراب حور

اللقاء

الفتيات يذهبن لمشاهدة القافلة القادمة

جاء سرب الفتيات
مرحات ، خفرات
يتنزّهن صباحا
يتضاحكن سرورا
فتراهنّ طيورا
نشرت ثم الجناحا
رحنَ ينظرن المطايا
حملت خير العطايا
فاخر الوسق الوفير

من عطور وبخور
وعقود للنحـور
ودمقس وحرير
ايه فالمحن الرجالا
يتبارون مقـالا
من كهول وشبـاب
ايه فالمحن الغريبا
يرتدي زيّاً عجيبا
باسما غضّ الاهاب
هوذايمشي الهوينا
انه يرنـو اليـنا
ويحه ! ماذا يريد !
وانثنت أخت الغزال
تتهـادى فـي دلال
والتوى عِطف وجيد
خفق القلب وحيّا
مذرأىذاك المحيّا
مشرقا تحت النقاب
أي سحر في الجفون
أي لحـظ للعيون
راش سهما فأصاب !
نظرة أوْرَت لهيبا
سكبتحبّاً صبيبا
في فتانا والفتاة
وجرى سرب الحسان
كاوَزّ فـي الطِعان
خائفا يبغي النجاة

انتصـار الحب

الحب ينتصر فيتزوج الفتى الايطالي بالفتاة البغدادية

أيها الحبُّ انتصر
واستهن واهزأ بكل العقبات
واستعر
منطقاً يهتاج اكباد العتاة
واذا اشتطّ الأب القاسي العنود
واذا لاذ بأذيال الجمود
فاستجر
بحنان الام أو مكر الفتاة
حقّقِ اليوم الاماني للفتى الصبّ العميد
واقرن المشرق بالغرب البعيد
واجمع القلبين ذَينِ الخافقين
برباط الابد
واحتفِل يومَ التداني بطبول وزمور :
انه عرس الدهور
وارفع الكأس ابتهاجا ، حيّ نَخْب العاشقين
ذاك يوم الحبّ طرّاً وحديث البلد

الفـــراق

الفتى يستعد للسفر مصطحبا زوجته البغدادية

ــ يا أبي ، يا أمُّ ، قد حمّ الفراق
قد دعاني السفر المشجـي البهيـج
رنّ في المسمـع للركب ضجيـج
وسرى من مغـرب الافـق اريـج
وتنادى للسُّرى جـمع الرفـاق
ان زوجي شدّ للبيْنِ الرحال
هيّأ الهَوْدج مسدولَ الستائر
والمطايا همهمت ، قد سئمت أسر العقال
واماني رحن يضفره الغدائر
وأنا ساهمة واللب حائر :
قوةٌ تدفعني نحو الغيوب الخافيه
والديار القاصيه
ثمّ أخرى : قوة قد سمرتني في مكاني
أمسكت فَضْلَ عنـاني
ونداء الهاتف المجهول يزري بالمشاعر
صدَّه عينُ المُحَال
ليت شعري هل أرى هذي الربوع
هل أراها ثانيه ؟
هل ارى هذي السماء الصافيه
ورفيقات الصِّبا
وأزاهير الرُّبـى
والرياحين تضوع
في الخميله
ودروباً شهدت خَطْوَ الطفوله

وبنات الحيّ يحملن الشموع
في زفاف الجارة الخَجْلى الجميله
لفتى قد كان عنوان الرجوله...
انّ قلبي واجف طار شعاعا
انني أشهد في نفسي صراعا
ثم امضي في سبيلي لا أحيد
واضطرابي كسكوني لا يفيد
فوداعاً ووداعا

آمال وآلام

بيترو وزوجته يسافران في القافلة

يا نجوم الليل رفقا بالقوافل
تقطع الآكام والغور السحيق
أكَر قد دحرجتهن المنازل
سخرت منهن أعطاف الطريق
ذاك صوت القفر أم تلك الجلاجل
رددت في الجو لحناً كالانين
هدهد النفس بألوان الحنين
أطلق الافكار من أسر السلاسل؟
وفتانا بث آمالا رحيبه
هدرت في الصدر كالسيل الدفاق
صبها في مسمع الزوج الحبيبه
خلسة ، والليل ممدود الرواق :
يا فتاة الروح ، يا حب الفؤاد
سوف نمضي، سوف نجتاز المراحل
نرتوي ــ والنفس ظمأى للمجاهل ــ
من رؤى الاقطار طرّا والبلاد
ليس كالاسفار تجلو السّمَهَجا
تفتح الآفاق للعين الحسيره
فترى للشمس صبحاً وَهجا
وترى في الليل أقماراً كثيره
لا تهابي طُرُق التيه العسيره
فوراء الافق تنبثّ المشاهد
مدن تمتد خيلاء السواعد
أنهر تجري بأمواه غزيره
طاق كسرى بين أطلال المدائن
حيث ترعى الاسد في جنب الغزال
وأبو الهول وأهرام الفراعن
والمسلات أحيطت بالرمال
دار قسطنطين تزهو بالمنائر
وعلى البحر سفوح وتلال
وصروح العز وسنىَ في الظلال
ودوالي الكرم تزكو في الجزائر
واذا ضاق بنا البر الفسيح
نركب البحر على متن السفائن
ترقص الامواج كالطير الذبيح
ويثير النّوء أرياحاً سواكن
نقطة سوداء في الجو الوسيع
والسواري قد تحلت بالشراع
نافخ الاوداج ، مبسوط الذراع
رافع الهامة كالبرج المنيع
ووراء المرفأ الزاهي القديم
لاح في ظل التلال الحانيه
بلد سامي الذرى صافي الاديم :
تلك روما ، تلك داري الغاليه
ثم أهلي وديارى والكنائس
ثم نلقي ، بنت بغداد ، الرحال
يحتفي بِشراً بنا جمع الرجال
وعلينا تنثر الزهر العرائس ...
بنت بغداد أصاخت في سكون
هل تنال السعد حقاً والهناء ؟
هي في الاسفار قَرْحاء الجفون
أجهد السهد حشاها والعياء
علة قد أنشبت فيها الاظافر
وهي في الاوطان لم تشكُ السقام
ليتها قد واصلت فيها المقام
لم تزايل خدرها نحو المخاطر
أم لعل الأمر لا يعدو الهواجس
بعثتها الان وعثاء السفر
وحشة القفر دعتها والحنادس
بَدَداً تمضي متى بان السَّحَر
وَحنَا الزوج على الجسم المريض
حَدَبَ الام على الطفل الرضيع
يا لاحلام الهوى ! هل من شفيع
لجناح في الدجى الساجي مهيض ؟

بغداد — مير بصري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة سورية

بقلم محمد حاج حسين

بقايا انسان

●

استطعت ان اتصيده في حانة شعبية ، ووجدته منقلب السحنة ، زائغ النظرات ، ليس فيه من الانسان سوى بقايا تتلاشى . هل هذا معقول ؟ عبدالله الطيب القلب ، يتنكر لكل مزاياه الجميلة ، ليصبح قعيد الحانات .

وحدثته ، فلم يعرفني لاول وهلة، فقد كان فاقد الوعي . وانقاد لي عندما تابطت ذراعه ، وانطلقنا الى الهواء الطلق يتعتعه السكر. وصحبته الى بيتي ، وادخلته الى غرفة النوم ، وغط في نومة عميقة ، وافاق بعد ساعتين ، وهو يعجب كيف انتقل الى هذا المكان حتى اذا رآني بدات الحقيقة تتجلى امامه .

وقال لي: لماذا انتزعتني من الحانة؟

ـ لانني احبك يا عبد الله .

ـ اني لا اريد ان اصحوا ابدا .

ـ والنهاية ؟

ـ الموت .

ـ لا تزال في شرخ الشباب .

ـ الموت خير لي .

ـ اسمع يا عبد الله . دعك من هذه الفلسفة ، واعلم انك مهدد بالطرد من وظيفتك .

ـ ليطردوني

ـ ليس لك مورد سوى هذه الوظيفة .

ـ ان الذي يتمنى الموت ، لا يهمه الطرد من الوظيفة .

ـ ما سبب هذا اليأس ؟

ـ الا تعلم ؟

ـ ابدا .

ـ السبب عزيزة .

ـ ومن عزيزة هذه ؟

وسهم وجهه ، ثم انطلقت منه ضحكة جوفاء ، وصرخ : عزيزة تزوجت . ونهض يذرع الحجرة ذهابا وايابا . واقترب مني، وطلب سيجارة وراح ينفث دخانها بعصبية ، ثم قال بلهجة دميعه . ستعذرني اذا عرفت الحقيقة .

وسكت هنيهة ، ثم استطرد قائلا: احببتها ذلك الحب الجنوني الذي لا يعرف هوادة . وكانت زميلتي في الشركة التي اعمل فيها ، وتجلس معي في غرفة واحدة ، واخذت بجمالها ، ورقتها ، حتى اصبحت الخفقة التي تتردد في قلبي .

وطفقت ادرس اخلاقها ، فازددت لها حبا عندما تكشفت لي عن مجموعة من الاقانيم قدستها في حياتي ، فقد امتازت بالوداعة ، والطيبة في القلب والرقة في الوجدان ، والمتانة في الاخلاق ، لا تعرف سوى عملها ، وتركزت في ذهني عقيدة بانها خلقت لي ، ولم البث طويلا حتى فاتحتها بحبي ، وقلت لها : اني لا اعرف يا عزيزة كيف انمق العبارات .. واحب ان اسالك... هل ترضين بي زوجا ؟

واطرقت تفكر ، ولونت الحمرة وجهها الناعم ، فزادتها فتنة ، ولم تجبني . وانصرفت الى عملي مبلبل الخاطر ، وسلخت ذلك اليوم قلقا اقلب الامر على وجوهه المختلفة ، فلا استقر على شيء .

وفي اليوم التالي قلت لها : اريد ان اعرف هل توافقين ام لا ؟

ومضت لحظات من الصمت تمزقت فيها روحي، وتوسلت اليها ان تجيبني واخيرا رجفت قليلا ، واحمر وجهها وهي تتمتم بصوت خفيض : موافقة .

ولا يمكنك ان تتصور مبلغ فرحتي ، وتناولت يدها الصغيرة وقلت : اعاهدك ياعزيزة ان اكون لك خير زوج

وغبرت علي ايام، كنت انعم فيها بحبي الطاهر .. ولا استطيع ان انسى تلك الساعات الجميلة التي كنا نجتمع فيها معا ، نتحدث عن مستقبلنا وبيتنا ، ونامل في حياة تتالق بكل المباهج التي خلقها خيالنا ، ووشاها بالوان زاهية ، فيها نضرة الامل ، ورقة الزهر .

وذهبت ذات يوم الى شقيقتي الوحيدة ازف اليها النبأ السار ... وفجأة اكفهر وجهها ، وتمتمت : مبروك .

وانسحبت الى غرفتها

كانت هي الشقيقة الوحيدة لي نعيش معا في بيت واحد بعد موت والدينا . وهي تكبرني باربع سنوات لم ترزق بالزوج لانها دميمة . وكنت اظن انها ستفرح عند سماعها النبأ ، غير انني لاحظت من تجهم سحنتها ان هذه الخطوبة لم تلق عندها قبولا .. فتالمت ، لانني لا اكتمك انني لا استطيع ان اكسر خاطرها ، وهي وحيدة ليس لها معيل غيري ، فانطويت على نفسي ، يفتك بي الالم . وعندما ضمنا العشاء وجدتها على غير عادتها عابسة ، مطرقة الراس ، تتناول طعامها بفتور .

وقلت : هل ساءك يا زهية خبر خطوبتي ؟

ـ ابدا .

ـ صارحيني بالحقيقة .

ـ تزوج .

ـ ستكون زوجي رفيقة لك تؤنس وحدتك .

وانفجرت باكية ، وهي تقول من خلال جهشاتها : طبعا ، ساكون خادما عندها .

ـ بالعكس يا زهية . ستكونين سيدة البيت .

ـ ستطردني من هذا البيت ، ولا ادري الى اين اذهب .

واوضحت لها حبي ، واطريت مناقب عزيزة ، وافهمتها انها موظفة معي في الشركة وستكون اختي هي سيدة البيت تتصرف به كما يحلو لها

وصرخت : طبعا . ساكون خادما لها اطبخ طعامها ، وانظف بيتها .

ووجدت ان كل محاولة ابذلها لاقناع شقيقتي العانس لا جدوى لها واصبحت فريسة لعاملين .. حبي لعزيزة ، وعطفي على شقيقتي ، هذه البائسة التي يعذبها الحرمان ، ويقتلها الخوف من المستقبل المجهول . ولم اجد شعاعة من النور اسري عليها في هذه الظلمات المتراكمة .

وسالتني عزيزة : متى تنوي اعلان خطوبتنا ؟

فتكلفت الابتسام ، وقلت : قريبا ان شاء الله .

ومضت اشهر لم استطع خلالها ان ابر بوعدي لعزيزة . فكلما فاتحت اختي في هذه المسالة انطلقت في بكاء وجيع ، حتى حرمت على نفسي الحديث معها في هذا الموضوع . وكنت في كل صباح اواجه عزيزة ؛

ومن عينيها يطل نفس السؤال : متى تعلن خطوبتنا ؟ ولا يمكنك ان تتصور حالتي البائسة التي كنت اعانيها ، فقد كنت اشقى انسان في الوجود ، لا ادري كيف اتخلص من هذه الورطة .

وحاولت ان انسى عزيزة، وصممت على حلها من وعدها ، وفي كل مرة كنت اعتزم ان احدثهابرغبتي، اتراجع امام رنوة من عينيها الساجيتين . فقد كان النعيم بقربي ، ولا اجرؤ على الدنو منه .

ومضى عام ، لم استطع في خلاله ان اعلن نبأ خطوبتي ... الى ان قالت لي ذات يوم : انت تعلم يا عبد الله انني احبك .. ولكل حب خاتمة ، فعندما فاتحتني برغبتك في الزواج بي ، استجبت لك ، لانني لا ابغي من الحب سوى نهايته الطبيعية ... الزواج ، والاستقرار في حياة فاضلة مشتركة .. هكذا افهم الحب . وها قد مرت علينا سنة ، وانت تتعلل بشتى المعاذير .. واني مستعدة ان انتظرك الى اخر مرحلة في حياتي ، لانني واثقة من اخلاقك .. غير انني الان في مازق .

وكدني العرق ، وتمتمت : اي مازق يا عزيزة .

ـ تقدم ابن عمي لخطوبتي .

وشحب وجهي ، وتمثلت لي شقيقتي، واصرارهاعلى عدم زواجي ووازنت بين الامرين ، وشعرت ان الحب تضحية ، فيجب ان اضحي حبي لاجل شقيقتي ، التي ليس لها ملجأ غيري..

واستطعت ان اقول : ما رايك في ابن عمك ؟

ـ انه شاب لطيف ، ومهندس

ـ لماذا لا تتزوجينه اذن ؟

ـ اهذا هو جوابك ؟

ـ ان ظروفي لا تساعدني على الزواج .

ـ اخبرني بصراحة عن هذه الظروف ؟

ـ ماذا يعنيك منها ؟

ـ اريد ان اعرف الحقيقة لان اهلي يلحون علي بوجوب الزواج من ابن عمي ، وانا لا استطيع ان اصمد امامهم طويلا .

ـ انصحك ان تتزوجيه .

ـ انك تخفي وراء هذه النصيحة قصة تحاول ان تكتمها عني .

ـ ابدا .

ـ ارجوك يا عبد الله ان تحدثني بكل شيء .. انني مستعدة ان اقاوم رغبة اهلي لفترة اخرى لاتيح لك ان تتدبر امرك .

ـ ارجوك ان تتزوجي ابن عمك لانه خير مني .

ـ هذا كلام فارغ لا معنى له .

ـ فيه كل المعنى .

وشعرت انني قلت هذه العبارة بلهجة جافة ، فعراني الالم ، وقلت بسرعة استدرك هذا الخطأ : انني لا اود الا مصلحتك ..

ورفعت الي عينين تنديهماالدموع وتمتمت : اريد ان اعرف السبب . انك تحبني ، انا واثقة من هذا .. وانت تعلم اني احبك ، فلم هذه المداورة ؟

واختجلت ، وبرقت في ذهني خاطرة استنمت لخدرها قليلا .. لماذا لا اتزوجها ، ولتذهب اختي الى الجحيم ، غير ان هذه الخاطرة لم تعش طويلا في ذهني ، لانني لا اكتمك انني ارحم اختي العانية .. واجد فيها مأساة في هذا الوجود ، ولن ازيد آلامها .. ومن يدري ماذا يحدث لها ؟ فهي منذ ان علمت برغبتي في الزواج ، اضحت عصبية تثور لاتفه شيء ، يذويها الحزن الشديد ، ولا تعرف الضحكة اليها سبيلا .. ومزقتني الحيرة ، وقلت بعصبية : دعيني يا عزيزة الان ..

والقت علي نظرة حزينة ، وانسحبت من الغرفة ، واستاذنت في الذهاب الى البيت بذريعة ان صداعا شديدا يفتك بها .

وفي ذلك اليوم عرفت الخمرة . ورجعت الى البيت معتزما امرا .

وقلت لاختي : سأتزوج يا زهية شئت ام ابيت .

وفر لونها ، ومادت بها رجفة ، وقالت بلهجة كسيرة : ليوفقك الله.

ومستني لهجتها البائسة في الصميم ، وقلت : احب ان افهم لماذا تعارضين في زواجي ؟

ـ انا لا اعارض .

ـ ولكنك غير متحمسة له .

ولماذا اتحمس له ؟.. الانني سأصبح خادما لزوجك ؟

ـ لا تعودي الى هذه النغمة .. ان عزيزة ستكون اختا لك ..

وصرخت : تزوجها .. وساترك لكما البيت .

ـ والى اين تذهبين ؟

ـ ماذا يعنيك من امري ؟

ـ ان الوهم يجسم لك مخاوف لا معنى لها .

ورمقتني بنظرة آسية ، اضطرب لها كياني ، وانخرطت في بكاءمذيب وهرعت الى غرفتها ، محزونة بائسة .. واسرعت وراءها ، اخفف من اساها ، غير انها ركبت راسهاوصاحت بمرارة : اين انت يا ابي ؟ .. لمن تركتني ؟ لن اجد لي ماوى ..

وادماني عويلها ، واستدرت على عقبي من حجرتها ، وقضيت الليل ساهدا ، تتناوشني الام لا قبل لي بها .. حتى اذا لاح الصباح ، اسرعت في مغادرة البيت دون ان القي نظرة على اختي ، وطفقت اضرب في الشوارع على غير هدى ، تفترسني اشجان عنيفة ، وقد تمثلت لي الهوة التي سانحدر اليها .

وعندما دخلت الى المكتب وجدت عزيزة ناصلة اللون ، ورفعت الي عينينمتالمتين، وتمتمت: صباح الخير

وعادت الى الاوراق المكدسة فوق مكتبها .. واعتزمت ان اضع حدا لهذه الوساوس التي تليعني ، وقلت بحزم : لقد غيرت رايي يا عزيزة ..

ولم استطع ان اوضح فكرتي .. ونظرت الي طويلا ، ثم تمتمت : ماذا تعني ؟

وقلت بمرارة : لن اتزوجك .

وغمرتني موجة باردة ، ورايت الكفن الذي فصلته بيدي لحبي العظيم ... ادرجه بي ، واشيعه بزفراتي .

واعلنت خطوبة عزيزة على ابن عمها ، وتركت الشركة لتستقر في بيت الزوجية ، واصبحت حياتي خالية من كل معنى ، وقتلني ذلك الظمأ الذي لا ينطفىء اواره ...

ولم اجد الا الخمرة تخفف عني هذا اليأس الذي يطحنني .. حتى اعود الى البيت فاقد الاحساس ... لاواجه اختي بوجهها العابس ، ونقمتها على الحياة ..

واستطعت ان اقول : الزمن كفيل بمسح جراحك .

وهز راسه واجابني : الموت وحده يستطيع ان ينقذني .

القاهرة **محمد حاج حسين**

لماذا افترقنا

•• وكان الذي كان
وصدقت الف وشايه
وفبركت الف حكاية
حكايات كذب
ولم اختلق •
وشاء الزمان •
بأن نفترق ، ••
ولما افترقنا ••
رحلتِ •• وغبت انا في زحام المدينة
وعدت الى الحان•• حاني القديم••
اعب الكؤوس اللعينة ••
وعشت هناك اعمّر دنيا ،
واهدم دنيا ،
واسكن حينا وراء القمر ،
اداعب نجمه ••
واغزل غيمه ••
واحمل روحي
وقلبي الجريح ،
الى عالم غارق في الضباب ••
وعدت الى الحان•• حاني القديم •

اغني الاغاني الحزينة ••
اغانٍ كمهجة درب مريض سقيم••
ككوخ أسى ••
كخيمة بؤس مقيم ••

* * *

لماذا افترقنا ••
لماذا تركنا نيوب الشقاء
تمزق اضلاعنا
وتشاح قدامنا
دروب النوى والعذاب ••
ترانا مللنا الوفاء ؟ ••
ترانا شبعنا هناء ؟
لماذا افترقنا •• ولما افترقنا احترقنا
وصرنا رماد
وطعم رماد
وصرنا كأغمار ثلج الشتاء
ولحن كمان مريض الوتر

دمشق — الياس الفاضل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاحداث الجانحون

بقلم فائز الرفاعي المحامي

ان قضية الاحداث الجانحين ، هي من القضايا التي تشغل كل امة ، لان هؤلاء الاحداث الذين جنحوا عن الحياة الطبيعية السليمة في المجتمعات، هم ركيزة البناء فيمستقبل الامم. واذا كانت هذه القضية لم تحظ بالتفات احد واهتمامه في الماضي ، فان تعقد الحياة العصرية ، اصبحت ضغثا على ابالة ، اذ غمرت اطفال هذا الجيل وفتيانه في حمأتها ، فاصبحوا تائهين ضائعين ، في خضم هذه الحياة التياثارت في سلوك الافراد الصغار ، الروح الاستقلالية وفسادالتربية وروح التفكك الاسروي ، فقذف هؤلاء في وهدة للجريمة قذفا ...

على اننا لا نريد ان ندخل في جزئيات هذا الموضوع ، فنتسرب الى ما كتبه كل عالم ومفكر حوله ، لان في ذلك صعوبة ما بعدها صعوبة ، فلكل عالم ومفكر راي يحاول ان يعالج على ضوئه هذه القضية الحيوية ... ومهما يكن من أمر هؤلاء العلماء ، فانهم ما زالوا حائرين في تعليل سلوك الاحداث الجانحين . فعلماء الاجتماع ينادون بالفكرة القائلة: « ان الحدث يلد سليما ، وان المجتمع هو الذي يلقنه هذا السلوك الشاذ ، فيقدم على ارتكاب الجرائم شأنه في ذلك ، شأن المجرمين الكبار » .

وهنالك رهط اخر من العلماء وهم الذين يسمون بانصار الوراثة ، يعللون الامر بقولهم : « ان الحدث يلد وفيه ميل شديد للاجرام ، وانه تلقى هذا الميل عن اسلافه »

ولعل هذه الفكرة ، التي جاء بها انصار الوراثة اولئك ، ليست بحديثة العهد ، لان العالم « لمبروزو » وهو صاحب نظرية المجرم بالفطرة ، هو المعلم الاول لنظرية الوراثة هذه وان كان قد أراد بها المجرمين الكبار ــ الذين يتميزون عن غيرهم من الناس ، بمظاهر بادية على تكوين خلقتهم ، كشكل انوفهم ورؤوسهم وعيونهم على حد قوله ...

الا ان هذه الاراء ، ليست هي الاراء الوحيدة السائدة، في تعليل الاحداث الجانحين ، لان هنالك اراء اخرى ، جاهر بها عدد كبير من علماء النفس والاجتماع والقانون ...وهي اراء لا تلتقي عند نقطة ثابتة . ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع ، ان اول شيء فكر به العلماء ، هو ايجاد العلاج للاحداث الجانحين في المجتمع ؟؟ ولكن هل نستطيع ايجاد العلاج قبل ان نصل للاسباب الحقيقية التي يعاني الاحداث المرض بسببها ؟؟

ان الواقع المؤلم ، الذي تردى فيه الاحداث ، هو الذي يحفزنا لاول وهلة ، كي نتحرى عن اسباب جنوحهم عن طريق الحياة الطبيعية ، وهي اشياء اساسية ينبغي ان لا نغفل عن ذكرها ، لان منها تتخلق العلة والمصيبة ...

واسباب جرائم الاحداث ، اسباب متشعبة ، لم تتبلور بعد عند نقاط محدودة تماما ، لان تطور الحياة ووسائلها ، أصبح يخلق مع الزمن اسبابا جديدة ، لا نقوى معها على الجمود عند نقاط ثابتة محدودة . بيد ان من الثابت ، ان الاسباب الرئيسية اصبحت معروفة ، بفضل جهود الباحثين المشرفين على الاحداث وقد حصرها هؤلاء على وجه التقريب في الاسباب الرئيسية التالية :

فساد سلوك الاسرة

لقد علق العلماء على الاخلاق الطيبة لاسرة الحدث ، املا كبيرا في انقاذ الاحداث من تربية فاسدة ، قد تدفعهم ــ وهم في سن الحداثة ــ الى وهدة الجريمة ، لتجعل منهم معاول للهدم في المجتمع . لذلك فقد جعلوا اخلاق الحدث مرهونة باخلاق امه وابيه ، لان بهما ينبت الغرس الصالح ، فيفيد ويستفيد ، او يحترق هذا الغرس ، فيعمي بدخانه العيون ويصبح وبالا على المجتمع ؟؟

الفقر والغنى

للفقر أثر مرير في التأثير على سلوك الاحداث ، لانه يجعلهم مطية لكل بلاء ، ويسلط عليهم الالام من كل جانب، فهؤلاء الى جانب فقدانهم المسكن الصحي ، والغذاء الكافي والدواء الشافي ، يتعذبون في حياتهم ويتعثرون في مشيتهم ، لعدم حصولهم على علم كاف ، يهذب عقولهم ويثقف نفوسهم ، وهكذا نراهم يهيمون في كل واد ، ويستحلون اموال الناس ، ويرتكبون اشنع الجرائم باسم الفقر

ولكن لا يغربن عن البال ، ان للغنى محاذيره ايضا ، وذلك اذا لم يحظ الاحداث بتربية صحيحة بسبب عدم رعاية ابائهم وامهاتهم لهم . فاذا كان الاب لاهيا في غمرة الحياة الصاخبة ، وكانت الام كذلك ، كان ولدهم الحدث ، معرضا لعواصف الحياة العاتية ، التي قد تعصف به ، فتتركه صريعا مهيئا لاجرام عريق ، في حداثة سنة وفي ربيع شبابه ...

سكر الاباء والامهات

ان معاقرة الخمرة ، مزرعة فاسدة ، تنمو فيها جميع البذور الجرمية ، وهكذا يكون اولاد واحفاد السكيرين من المرضى الذين يشكون استعدادا عجيبا للاجرام .

وللطبيب الفرنسي « لوكران » كلمة بليغة في هذا الصدد

اذ هي تصور حالة اولاد السكيرين ، وذلك حين يقول :
« ان اولاد السكيرين ، يشكلون متحفا للامراض ... الى ان يستطرد قائلا ، ومن ضعف الملكات العقلية وانحلالها تماما ، الى ميول اخلاقية فاسدة واستعداد عجيب للاجرام ... »

عمل الاحداث

ربما تضطر الظروف الاحداث للعمل ، ولكنهم بحكم سوء هذه الظروف ، قد تكون شروط العمل سيئة للغاية ، لان ارباب اعمالهم فاسدون ، يكون توجيههم واشرافهم مصدرا للفساد تنصب فيها شخصياتهم فتعصف الاقدار بالصغار الى الاجرام .

انحلال روابط الاسرة

قد يعصف القدر بالاسرة ، فيهجر الاب الام ، او قد يمرض الاب او يموت... وقد تؤدي هذه البواعث والاسباب الى انحلال الروابط العائلية ، فيحرم الاولاد من تربية سليمة ، نتيجة لسوء هذه الظروف . وبذلك تنشأ المضاعفات في حياة الحدث التي ربما انتهت بمأساة اجرامية اليمة .

هذه الاسباب التي اوردناها ـ تضاف اليها اسباب اخرى لا نرى ضرورة لذكرها ـ تشكل اساسا لفساد الاحداث وانحدارهم الى وهدة الجريمة ...

الا ان المهتمين بقضايا الاحداث من علماء النفس والاجتماع ، بعد ان اكتشفوا سبب جنوح الاحداث ، لجؤوا لمعالجة هذا الامر ، يعاونهم في ذلك لفيف من رجال القانون بغية وضع التشريعات المناسبة لهم لاصلاحهم وصرفهم عن طريق الجريمة ...

ولقد كانت الولايات المتحدة اسرع الجميع في هذا الميدان ، اذ احدثت اول تشريع للاحداث ، بانشائها محكمة للاحداث في ولاية شيكاغو عام ١٨٩٩ .

وقد عد هذا الامر اذ ذاك ، انبثاقا تشريعيا جديدا في فجر العدالة ، لانها التجربة الاولى التي نجحت في هذا السبيل ، مما حدا بدول اخرى فيما بعد ، الى ايجاد هذا الصنف من المحاكم ، بتشريعات نظمت لهذه الغاية ، فادخلتها انكلترا اليها في عام ١٩٠٨ وبلجيكا بقانون ١٥ مايس ١٩١٢ وفرنسا بقانون ٢٢ تموز ١٩١٢ ، وتلتهم بعد ذلك في هذا المضمار ، دول عديدة كانت منها الدول العربية التي اصدرت تشريعات تتناسب مع اوضاعها الاجتماعية والتشريعية الراهنة

اما سوريا ، فقد كانت احدى الدول العربية ، التي نالت استقلالها عقب الحرب العالمية الثانية ، وكانت ما زالت تعاني نقصا واضطرابا في التشريع ، تناول سائر نواحي النشاط فيها ، الامر الذي شحذ همم عمدة التشريع فمضوا يعملون ويجاهدون ، حتى وصلوا الى الغاية المقصودة التي تكللت معها مساعيهم بالنجاح ، وهكذا سدت ثلمات وهنات ، سار معها البنيان التشريعي نحو الكمال المنشود . ومع صدور هذه الاصلاحات التشريعية، صدرت قوانين متعاقبة رتبت وضع الاحداث الجانحين ، واصول محاكمتهم ومعاقبتهم .

فقانون العقوبات السوري الصادر في عام ١٩٤٩ ، احتوى بعضا من النصوص الناظمة لوضع الاحداث المنحرفين ، ولكنه لم يكن وافيا بالغرض ، مما دعا نخبة من رجالات البلاد المخلصين الى التفكير ، بتأسيس جمعيات تقصر عملها على رعاية الاحداث الجانحين ووقايتهم من التشرد والاجرام . ومع نشوء هذه الفكرة ، ولدت اول جمعية في دمشق عام ١٩٥٠ ، وقد سميت اذ ذاك (جمعية حماية الاحداث) ، تبعها اثر ذلك ، تأسيس جمعية مماثلة في حلب .

وقد سعت هاتان الجمعيتان ، منذ النشأة الاولى ، على جعل الهم الاوحد لهما ، حماية الاحداث من التشرد والاجرام ، والعناية بشذوذهم الاخلاقي والنفسي ، والاستعانة باختصاصيين يملكون القدرة على ذلك . وقد ألحقت بهاتين الجمعيتين بعدئذ ، مراكز لملاحظة الاحداث ومكاتب للخدمة الاجتماعية ، فيها باحثات اجتماعيات للقيام بابحاث دقيقة عن احوال الاحداث الاجتماعية ، مع ابداء الاراء لمحاكم الاحداث ، عن اوضاعهم اضافة الى حضور جلسات محاكماتهم .

الا ان الامر لم يقف عند هذا الحد ، بل سعى المخلصون لهذه القضية ، حتى استطاعوا استصدار قانون خاص ، يضمن انشاء معاهد للاصلاح ، او ما يسمى باصلاحيات الاحداث وهكذا صدر القانون رقم /٦٠/ المؤرخ في ٣٠ كانون الاول ١٩٥٠ مقرا انشاء معهدين للاصلاح احدهما مركزه في محافظة دمشق والاخر في محافظة حلب .

وقد سمحت ظروف البلاد حتى الان ، بانشاء معهد واحد للاصلاح مركزه في منطقة قريبة من دمشق وتدعى (قدسيا) وقد قمت بزيارة المعهد ، فوجدت فيه كافة الشروط الضرورية ، التي ينبغي توفرها في معهد يتولى اصلاح الاحداث الجانحين ، ورعايتهم صحيا ونفسيا وتربويا . اما غاية المعهد الاصلاحي الاساسية ، فهي ابعاد الاحداث الجانحين عن السجون العامة واصلاحهم بتزويدهم بما يحتاجون اليه في الحياة ، من دراسة ابتدائية ومهن عملية ، وتربية قواهم الفكرية والاخلاقية والبدنية ، وتنمية عواطفهم القومية ، ليصبحوا مواطنين صالحين .

ولكن الا يجدر بنا بعد هذا ، ان نتساءل عن المدة التي يقضيها الحدث في الاصلاحية التي تكلمنا عنها ؟ ؟ ؟ ان الحد الادنى لمدة التدبير الاصلاحي ، الذي حدده القانون هو تسعة اشهر ، والحد الاعلى لهذه المدة ينتهي باتمام الحدث السنة الثامنة عشرة من عمره ،وهو نفس النظام المطبق في بقية بلاد العالم تقريبا .

على ان كل هذه الاصلاحات في مؤسسات الاحداث لم تكن كافية بنظر المشرع السوري ،بل اراد ان ينظمها بشكل اوفى بالغرض ، فكان ان اصدر قانون الاحداث الجانحين ، بالمرسوم التشريعي رقم /٥٨/ المؤرخ في ١٩٥٣/٩/١٧ ، فتنسق بذلك صرح قومي جليل ، سد فراغا كبيرا كانت تعانيه سوريا الى عهد قريب .

هذه لمحة وجيزة عن الاحداث الجانحين ، وعن بعض التشريعات التي صدرت في سوريا لاصلاحهم وحمايتهم ، وهي ـ اي اللمحة الوجيزة ـ وان كانت مقتضبة نأمل ان تكون كافية ، لاعطاء فكرة لكل من يهمه امر هذه الفئة من دولة المواطنين الصغار .

حلب — **فائز الرفاعي المحامي**

قصة فلسطينية

سأحيا

بقلم فوزي فريج

ليس هذا الذي يملأ افكاره ويتدفق في شرايينه وينساب مع دمه ويلفه بالصمت المطبق ناتجا عن الضنك والخور الذي يكتنف كيانه كله ... ان هذا حدث خارجي يحسه ويعيشه لكنه لا ينفعل به ولا يأبه لوطأته الساحقة المضنية . ان ذلك الجسد الذي يتحسس لسع الرمل الذي يشق فيه طريقه ، والشمس المريعة التي تفري لحمه وتحرق عينيه وتجفف حلقه ، هو بمعزل عن طبيعة ثانية مختلفة تسود مشاعر صاحبه ... وان هاتين القدمين المرهقتين اللتين تنوآن بما تحملان ، وذينك الرئتين وقد خدشهما ذلك الهواء الجاف الحار وهذا الضيق الناتج عن فقدان الملح والماء المتبخرين عرقا ، هم ليسوا الا اطارات لهذه المحنة المؤسفة الفظيعة.

ويعود ذلك السؤال النهم ينهش عروقه ويجلد اعصابه : ماذا اقول لهم عند الحدود .. كيف سأجيب على اسئلتهم ؟

وغداة فجر باهت الالوان مثل ظلال تركها الليل وراءه ، نهض ذلك الشاب من رقاده على الارض ليستعيد قواه ويتابع السير الحثيث . كان جسمه جامدا كالقالب لا يهتز ، وقدماه تصارعان الغبار الذي اخذ يستقر خلفهما بعيد اثارته . وطفق يرفع عينيه مع كل خطوة يخطوها ، ناظرا نحو الافق ليرى بوادر اشعة الشمس الحمراء .

وسرعان ما اخذت الشمس ترتفع في الافق حمراء عجلى .. تشد بها غيوم سنجابية كطبقات من دخان الخشب تسبح عبر وجهها . وطفقت اذ ذاك تنكمش على نفسها فتؤول الى كتلة نارية تلفح العيون فيستحيل عليها ان تطيل النظر اليها ... بينما بدأت اشعتها الحمراء تلون وجه ذلك الشاب الشاحب بلون الدم .

وبدت عيناه تعبتين لا حياة فيهما. نظر كما لو كان يوازن نفسه على قدميه بجهد جهيد ، او كان اللحظة التالية ستفقده توازنه فيخر بعدها على الارض .

ولكن حافزا خفيا كان يشد به دائما الى الامام فيمضي بحركة آلية تامة على خط مستقيم دون ان يفكر بالانحراف او التوقف قليلا .

وتعترض سبيله تلة عالية ، فينحني ظهره ، وتتشبث يداه بركبتيه تطلبان العون ويهم بان يقف ويستريح لكي يحشد القوى اللازمة لبلوغ القمة ... غير ان نداء خفيا يهيب به الى المضي ، فتنزلق يداه الى الارض تتسلقان الاكمة وينغرس حذاؤه عميقا في التراب الرطب ، وينبعث الالم من كل اركانه تحت وطأة الارهاق ويخيل اليه ان يديه تتحطمان وان ساقيه اصبحتا وتدين في التراب.. غير ان الساقين كانتا تمضيان في السير ، والقدمين تغوصان والجسم ينحني الى امام ، فينتهي اخر الامر الى بلوغ القمة .

ويعود بذاكرته فجأة الى الوراء . لقد مضى عليه في هذا السير اثنتان وستون ساعة منذ غادر المخيم في غزة ... متجها نحو القطاع الاردني؛ ولم يبق عليه الا بضع ساعات قلائل حتى يصل الى الحدود الفاصلة .

ويعود السؤال الرهيب يوقظه من ذكرياته ويهزه هزا عنيفا : ماذاسأقول لهم عند الحدود ؟ بماذا ابرر هربي هذا ؟؟ ولعل المشكلة تنطلق من هذه النقطة : لماذا هربت ؟

ويحاول ان يجيب على هذاالسؤال فلا يستطيع . هل هرب خوفا من الموت وحرصا على حياته ؟ ولم لم يحرص على هذه الحياة عندما كان يخترق ورفاقه الفدائيون الحدود اليهودية ، متوغلين في المستعمرات ، ناسفين البيوت والمنشآت والطرق ؟ ... ولقد جرح في هذه الغارات الليلية ثلاث مرات ، ولكن آلام تلك الجراح كانت ممزوجة باللذةوالنشوة والاعتزاز . كان مع جراحاته وكدومه تلك كالعاشق الذي يشكو لوعة الصبابة وهو يود ان تطول وتبقى . وكان ينتشي اذ يجلس بين زملائه في ساحة المخيم يروي الحادثةمشيرا بيديه ورأسه وعينيه كأنه يبغي نقلها مجسمة امام اعينهم . اما الان فلماذا هرب ؟ ولماذا تجشم هذه المشاق الفادحة لكي يبتعد عن الانظار ؟

لقد خلف وراءه امه العجوزبثوبها الترابي الاربد وملاءتها الفاحمةالسوداء وتنهداتها المخندقة في شرايينه تعصرها فتتصلب نافرة في اعلى جبينه وعنقه التي فرتها مخالب الشمس ، واخاه الصغير بوجهه البرونزي الهادىء الصامت كعلامة استفهام ، وشفتيه الزرقاوين بسبب الصقيع ، وملابسه التي خرجت بعد معركتها مع الزمن اشلاء مهترئةتجهد في ان تبلغ الرمق الاخير .

كان يحلو له ان يثرثر مع اخيه الطفل بعد المساء ، ويصر عليه ان ينشد النشيد الجديد الذي املته على صفه المعلمة ، فينطلق الطفل يلثغ الحروف المصقولة يمطهاويشدها الى قالب الوزن ، ولا يلبث ان يتوقف بعد قوله : « يا وطني ... فداك دم » باحثا عن النهاية ... ويلوك الحروف من جديد كي يتذكر ولكن النهاية لم تأت بعد .

ولم يكن يصطحب الشاب اخاه في اي تجوال حين يذهب ليتسلم اعطيات الوكالة ، وذلك ليحمل عنه ما خف من الحاجيات . انه لا يزال يذكر تلك اللحظة جيدا ؛ اذ عندما كانا عائدين بحمليهما الى الخيمة مرة، وخزت اذني الشاب نبرة اخيه الكليلة تسأل : لماذا يأتينا كل هذا من ارض غريبة ، يا اخي ... اليست ارضنا مثلها ؟ ... ورفع الشاب عينيه ليسمرهما على وجه اخيه مذهولا لا يفيض بنأمة ... كانت هنالك بضع حبات من الرمل تتهالك على جبين الطفل وتتشبث بلحمه الغض الطري، فتتراءى لعيني الاخ الكبير حزمة من سنابل ذهبية الضفائر ومزقة من سوسن وليلاك، وعناقيد شقرالخدود

ويعود بذكرياته الى الامس القريب ... انه يعي كيف اخذت طائرات العدو النفاثة تحتل سماء غزة ، وبدت طلائع الاسطول من البحر فاغرة اشداقها للضرب والتدمير ، وتقدمت رتل من المصفحات الضخمة تجوب شوارع المدينةالمقفرة. واصيب المواطنون بالوجوم والشدة حيال الامر الواقع فانزووا في بيوتهم وخيمهم

يقبعون فيها كالجرذان الخائفة .

وما لبث ان انتحر السكون وانطلق الرصاص يلعلع من كل ارجاء المدينة تتبعه صيحات خافتة واهية وعويل متقطع ممزق . واحس الشاب بشيء كالنار قد بدأ يحرقه ... يلتهمه ؛ بل يسحقه ذرات متطايرة . كان يريد ان يفعل شيئا ... ان يقوم بشيء يشير الى وجوده ، ولكنه ادرك ان لا وجود له بعد تلك اللحظة . كان يبصر بعينيه ابناء وطنه ورفاقه يتساقطون الى الارض ، يلحس التراب جبهاتهم بعد ما يمتص دماءهم المهروقة ... ليرفل بحلة قانية دكناء . وايقن عند ذاك انه لا بد من الرحيل .

كان يشعر بفضاضة جارحة وهو يودع اسرته وجيرانه ... وعندما ذهب الى بيت جاره ابي صالح يوصيه خيرا بوالدته العجوز ، كان هذا قابعا في الزاوية وعيناه مسمرتان في الارض ، وقد اخذت المسبحة التي بين يديه تبعث طلقات رتيبة واجفة . ولم يرفع اليه بصره قط ، بل خفض هامته وتمتم : « خايف على حياتك يا ابني ؛ تفو على هيك حياة . »

وبقيت هذه العبارة ترن في اذن الشاب بقوة وصخب حتى انه اخذ يرددها في سيره وهو يلهث تعبا . غير انه ما لبث ان اطبق فمه واخذ يفكر . هل يؤمن هو بصحة هذه العبارة ؟ ابدا ... والا لما كان قطع كل هذه المسافة ! لقد كان قبل هذا يرى للموت نكهة تختلف عما هي عليه الان . طالما تحدث عنه هو ورفاقه الفدائيون ... كانوا يرونه ذروة لاعمالهم البطولية وبداية لخلودهم بين الاجيال المقبلة . انه يذكر جيدا قول احدهم وهم قرب احدى المستعمرات : يا رفاقي ، ان موتي يفيدنا اكثر مما تتصورون . يمكنكم عند ذلك ان تلفوني بالعلم القومي وتضعوني في وسط ساحة المدينة ثم تجمعوا كل الاطفال والشباب هناك ... وليهتف احدكم امامهم : « كلنا انت ايها الشهيد » ؛ وهكذا لن يذهب هذا الجسد سدى .

وعادت تلك العبارة التي اطلقها جاره تدوي في سمعه ثانية ... هل يجب ان ترذل الحياة هكذا مقابل لا شيء ؟ لشد ما كان يمقت الطحلب والاعشاب الطفيلية الاخرى ... ان مرآها يثير القرف في نفسه وينبت تساؤلات جمة يمضغها في خلواته ، ويجتر واحدا منها بوفرة بالغة : هل تحيا حقا هذه النباتات ؟

واستيقظ من هذه الذكريات لدن ابصر شجرة وارفة الظل تقتعد جانب الطريق ، فاسرع يفترش ظلها ، ويحل منديله عن رقبته ، وينزع نعليه وجوربيه ... وكانت قدماه المتورمتان وتقطران دما وكان الدم ممتزجا بالتراب ، والوسخ بين اصابعه ؛ فأراح منديله ليتقي الرمل واضطجع .

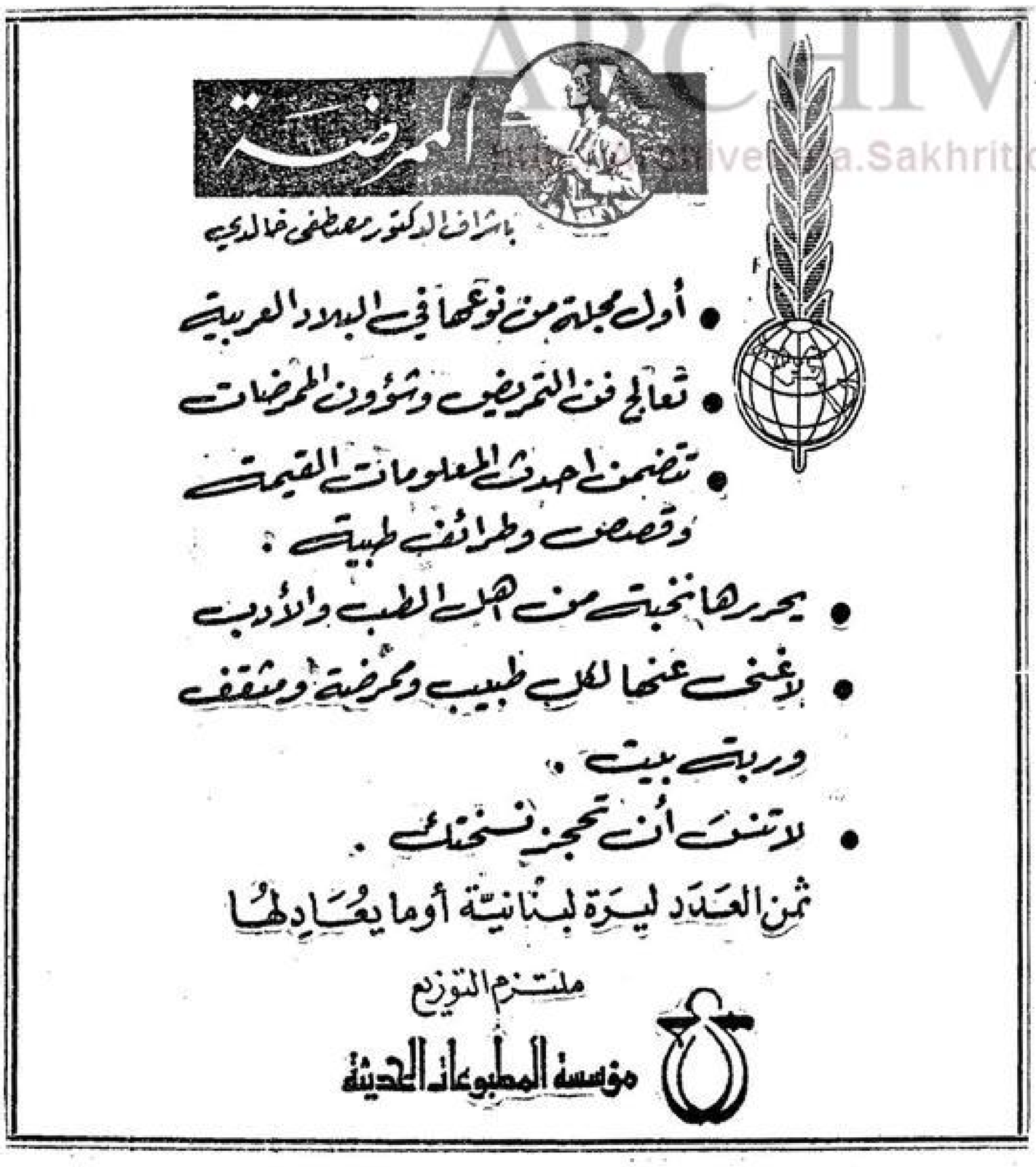
وفي هذه الاغفاءة المتعبة رأى جميع رفاقه يهزجون ويتنادون ، وهرع بعضهم يحثونه ويدعونه للذهاب معهم ؛ وعندما سألهم : الى اين ؟... قالوا : الى قمة طود كبير حيث نشاهد من ثمة الشمس . وتبع ذلك جلبة صاخبة ايقظته مذعورا ، فهب واقفا وحدق في هذه المسافات المخيفة التي اجتازها ثم حول نظره الى الامام .

كانت الشمس قد اخذت تنطفىء في المغرب ، وظلها يمتد امامها فيحول مخضرا ثم ارجوانيا . واستطاع ان يلاحظ بعد عناء وجود اضواء كهربائية بعيدة ... بعيدة حيث يلتقي الافق باطراف الارض . وافترت شفتاه لاول مرة ، عن ابتسامة خافتة ... واستشعر احساس عزاء .

ولم يدر كيف وجد قدميه تجرانه بقوة ، واخذ يركض بشدة باتجاه الانوار الكهربائية ، غير آبه لقلبه الذي يخفق بمشقة ، ولانفاسه التي تختنق رويدا رويدا . واحس انه ارتطم في جريانه السريع هذا بكتلة ضخمة حادة ، فتعثر جسمه بها وانقلب الى الوراء على ظهره المتقوس المشدود . وحاول ان يرفع جسمه فتخبط تخبطا ضعيفا ولكن الوعي ما لبث ان غادره ، وراحت نفسه في غيبوبة طويلة .

وعند فجر بنفسجي باسم امتدت يد رفيقة تهز كتف الرجل الغارق في غيبوبته المتعبة الثقيلة ... وانبعث صوت عسكري حازم يستوضح : هل انت بخير ؟ فانتفض المغمى عليه كأن سلكا كهربائيا مسه ... وانفرجت شفتاه عن شبه تمتمة خافتة : اجل ، اجل ، جئت لاحيا ... ساحيا .

طرابلس **فوزي فريج**



الماضي الذي ينام

كل يوم يبرعم لي الهاتف صوتها الدافىء ، حديقة حب ، نبع منها نهر عاشق مجروح ، واقول : « من ؟ » ، فتجيب : « مجهولة » ، ونروح نعطر الحروف . [خالـد]

من أنتِ ؟ ،
أيقظ صوتكِ المجروح حسي
مجهولة" ؟
لا تكتمي ، ..
بوحي لنفسي
همساً ،
أنا ــ يا أخت
قد ضيعتْ أفراحي ، وأنسي
وحملتْ آلامي ، جراحاً ،
أشتكي همي وبؤسي
وأحدثُ الماضي ، عتابا ،
آه ما اقساه ، أمسي
صبَّ العذابَ المُرَّ ، لي ،
حباً ، بكأسي
يا ليتني ، حطمتها ، ودفنتُ يأسي
وهربْتُ ، طفلا ،
لا يفكّر كيف يمسي
فأعيش أضحكهْ ،
ليس لي حزني ، وتعسي
متنقلاً ، أشدو بجرسِ
لحن الربيع السمحِ ،
والازهار ترقص نشوةً ،
والليل مغسِ
يا ليتني ،
يا ليتني ، حطمتْ كأسي
ومزقتُ حبي ،
نبع أحزاني ، ونحسي
تتفاً ، يبددْ جمعها
ــ يا أخت ــ فأسي

★

مجهولة"
قولي لنفسي
من أنتِ ؟
لا ،
قد مات حدسي
لا تكتمي ،
فأنا احاول دفن ماضيَّ ، وأمسي
لأعيش ، أشرب خمرة السلوان
في الكأس المُنسّي
فتحدثي ..
من أنتِ ؟ ..
من ؟ ،
قولي بهمس
على الغد المأمول يسعدنا فنمسي
حلماً جميلا ، رفَّ في تيار رأسي
لا تخجلي ،
فلربما مزقتِ ــ يا اختاه يأسي

* * *

مجهولة" ،
من انتِ ؟
من ؟ ..
قولي بهمس ..

اللاذقية — خالد الشريقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حاضر الادب الامريكي والموت

بقلم هنري ملر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

طبعت سفرتي الى اوربا ذكريات في نفسي ، ومن اسعدها رؤيتي للكتب الصالحة الممتازة في كل مكان زرته ، اذ ان عناوينها ، واسماء مؤلفيها وناشريها تتعاون مجتمعة من اجل اغراء القراء واجتذابهم . وهذا امر يختلف اشد الاختلاف عما اجده في كتبنا الامريكية المبتذلة المظهر ، السقيمة النتاج ، التي تحاول ـ بخشونتها وخشخشتها ـ ان تلفت انظارنا ، وانا اذ اكتب الان ـ اراني اواجه ما ينوف على الف كتاب من هذه الكتب التي لا تتمتع باي ذوق ، على حين ان الطبعات الاجنبية تمتاز ـ حتى في المظهر ـ بالذوق الرفيع ، والبساطة ، والواقعية ؛ وهذه هي الصفاة التي تميز الاوربي عن اخيه الامريكي . وذلك بان كل امة تبدي خاصياتها ، في صناعة الكتب ، كما هو شانها في عالم السياسة ...

ومن هنا ، فاني كلما تسلمت نسخة من القائمة الشهرية التي تصدرها دار Guilde الفرنسية شعرت بسرور يغمرني فيقفز قلبي من الفرح الطافح . وقد يكون وقتي من القصر بحيث يحول بيني وبين قراءة بعض التعقيبات والملاحظات ، الا ان هذا الامر لن يكون من القساوة-بحيث يعميني عن مشاهدة نتاجنا الامريكي في سقمه وقماءته وسخفه . ولا شك في اني قادر على تقديم العديد من الاسباب ، التي تدعم انطباعاتي ، الا اني اعتقد ان اوجهها جميعا هو قدرة الكتاب الاوربيين ، التي لا تعرف النضوب ، على معالجة شؤون الكتب ومؤلفيها ، وهذه القدرة تثير فيّ ما تثير من مشاعر الاعجاب والتقدير . لان موضوع الادب ، بالنسبة الينا ، يبدو كانه موضوع رث بال ، من احقاب عريقة في القدم . ومرجع ذلك في اكبر الظن جفاف عنايتنا بالكتب ومؤلفيها ، لان مثل هذه العناية لم تكن يوما ما عميقة اصيلة حية في نفوسنا .

ولكني مع ذلك مدرك لشيء من الفعالية التعويضية ؛ التي تحاول ان تحل محل هذا النقص الفاضح ، وهي في ذلك تشبه حمى حفاري القبور السكارى . اما الاشخاص القلائل الذين يلهبون الشعلة ، والذين يبحثون جادين عن حقائق جديدة فهم ليسوا موضع اهتمامي ، على الرغم من الدواعي العاطفية التي تجتذبهم ، وتأسرهم . وعلة ذلك ان هؤلاء ليسوا من محبي الكتاب ، لانهم لا يكتبون من فيض تجاربهم ، او اتصالهم بالكتب ، فهم لا يطفحون بالذكريات الفنية الثرة ، او المقابلات الزاهية الرائعة ، او الاكتشافات المباشرة المثيرة ، لانهم لا يرتبطون بأزمان غير ازمانهم ، ولا بكتب اخرى ، ولا بمؤلفين غير انفسهم . ومن هنا قلما يشعر احدنا بان مثل هؤلاء كانوا على صلة وثيقة باحد المؤلفين العظام ، او حتى المعروفين من الكتاب .

غير ان هذه الحال لا تمنع احدا من هؤلاء من الكتابة في الموضوع الذي يرغب فيه ، وكأنه كله عيون فاحصة ، مستشفة متطلعة . وهذا الضرب من الكتابة ، في رايي المغرض ، ينضح احيانا بالطيب ، واحيانا اخرى برائحة النتن التي تشتد عنفا وكراهة ، متى ما انبعثت من بعض (العلماء) المشاهير ، من هؤلاء الذين يقدسون طريقتهم في الحياة ، بالاستناد الى الكتب ، الى ان ينتفي كل شيء من الادب ، ما عدا بعض النتف والحسك والنثار من بقايا رجال كانوا احياء يوما ما .

وحيثما توجهت في القارة ، حتى في القصبات الصغيرة فثمة مكتبات ، كانت تستجلب نظري ، فاقف ممعنا البصر في عناوين كتبها القديمة والحديثة على حد سواء . اما الحالة في امريكا ، فيكفيك ان تعرف عنها ، انني ما ان القي نظرة عابرة على احدى واجهات المكتبات ، حتى يرتد طرفي حسيرا كئيبا ، لاني لن اجد ما يثير حماستي ، وينقع غلتي ، كأن جميع الكتب ، والمجلات وكل شيء مطبوع (بما في ذلك المعاجم والموسوعات) موضوع من قبل ذهن رتيب واحد ، وذوق موحد ، وخيال سقيم اجوف ، الامر الذي يشير الى وجود عملاق (المال) لا يصدقه العقل ، يعمل جاهدا باسماء مختلفة ، كجون دو او اليوسيوس سمث .

ومهما تكن الموضوعات المكتوبة ، سواء اكانت علما ام رواية ، ام سيرة شخصية ام فلسفة ، فهي جميعا تنغمس في كلمات غروية مبهمة ، خالية المعاني ، ينفرط عقدها الملضوم بنظرة واحدة ...

ولا ريب انني غاليت فيما ذهبت اليه . فانا اعرف كما يعرف المثقفون الاوربيون كثيرا من الكتب الجيدة صدرت في امريكا في الخمسين او المائة سنة الاخيرة. ومع

ذلك فانا اصر على وجود وجاهة صادقة في جوهر ادانتي الشاملة لادبنا . ومصداق ذلك يمكن التاكد منه متى ما حصرنا نظرنا في العشر سنوات ، او الخمس الاخيرة ، وهنا اذا ما قابلنا بين نتاجنا ونتاج القارة ادركنا جلية الامر ، وادرك القراء انني لا اتكلم رجما بالغيب ، ولا انطق عن الهوى . اما الحقيقة العارية الداكنة فهي تشير الى اننا جعلنا افراد شعبنا متعلمين، وبعملنا هذا اصبح متعذراعلى كتابنا المبدعين ان يجدوا قراء لكتبهم .

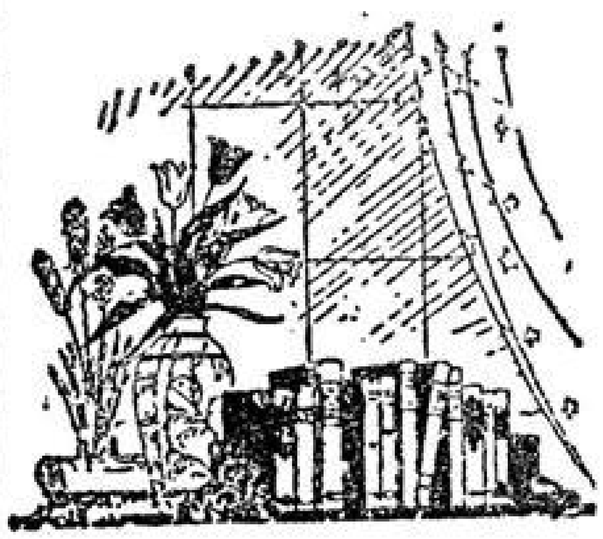
اما الناس المشغولون بصناعة الكتب ، والعاملون على ايصالها الى الجمهور ، فهم ــ في يومنا ــ يكنون اشد السخرية للادب . يحاول هؤلاء التظاهر براي مؤداه ان الناس الذين قراوا كتبا قليلة من قبل ــ يمكنهم ان استعانوا بكتب الجيب الصغيرة وما تحتوي عليه من تفاهات ــ ان يحصلوا على ذوق يؤهلهم لارتشاف مناهل الادب الرفيع، وهذه الطبقة من البشر تمثل نسبة من سكان بلادنا ؛ ولكن هذا القول لا يعدو كونه اكذوبة مفضوحة مزعجة مثيرة . وكيف لا يكون الامر كذلك ، ومطالعة الصحف الهزلية ، وكتب الالغاز السخيفة ، لا تجدي فتيلا ، بل هي تضر ضررا اكيدا ؟

كان اطفالنا ، في عهد الرواد ، مطلعين على لغة الكتاب المقدس على الاقل ؛ واذا ما كابدوا شيئا من المشقة من جراء تحديد غذائهم الروحي ، فاذهانهم كانت بعيدة عن الفساد الذي نضح من لغة بعض المجلدات القليلة التي كانت بحوزتهم اما اليوم فاحدنا يقشعر حين يرى الطعام الذي يقدم الى صغاره ، وينتابه الرعب والجزع حين يلحظ ما يلتهمه الجنود في اوقات فراغهم ، ولكن الابطال قادرون على العيش على اي غذاء يقدم لهم ..

واليوم حيث تكثر النفايات ، كالصفائح الفارغة ، والقناني المكسرة ، والكارتونات المشوهة ، على اطراف سبلنا وطرقنا، نجد نفايات اخرى تضاف الى الاولى ، فاينما تلفت فثمة مجلات ممزقة الاوصال ، وكتب صغيرة مبعثرة هنا وهنا ، هذا فضلا عن الكتب الهزلية ، ومن المعلوم ان هذه الاكوام من الاوساخ ، كانت يوما ما الغذاء الذي يعتمد عليه جمهور قرائنا السادرين في جهالتهم . ومثل هذه القراءة تهضم بسرعة وتقاء ببطء ، او هي كفساد يقذف ومن هنا ، فان الافيون الادبي ، يتخذ له شكلا واسلوبا ، فيهما من الضحالة والسقم ، ما يمكن ان يتحولا الى موانع ادبية عظيمة ، تضع حدا بين اذهان الناس في راحتهم ، وفيما يستقبلون من حياة عاصفة شديدة .

ومن هنا ، فان الضجة التي نستمتع بها ، ونتفنن في ايفاء حقها ، والتلذذ بمسراتها ، لا تنبعث الا من ذلك الادمان السقيم ، ادمان الخدر والسكر وذلك امر يعترف به كل انسان في هذا العالم .

وهذه حقيقة ناصعة تجمعت لدي من احد ناشري كتب الجيب ، وهي تتفق مع ما اشرت اليه من مدة وجيزة ، ومن هنا ، فلم انت مهتم بما يجد في عالم الكتب ؟ ولم تعنى بالنسخ التي لم يصادفها النجاح ؟ ومع ذلك ، فانه من المعلوم الذي لا يشاركه الخطأ في اي من مناحيه ، اننا نحن



الاديب

*

لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 Tél.

المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذين نعمل في هذه الصناعة لا نرى بأسا في ان نقول بان الكتب التي لا تباع تحرق وينتهي امرها . وهذه السياسة توافق كل الموافقة سياسة وزارة الحربية ، وهذه هي الوسيلة الامريكية التي تميز بين النجاح والخيبة .

اما الاوربيون فيدعونها عبثا وسخفا ، واضاعة للوقت وهي في الواقع ، لا يمكن ان تعد الا نوعا من المسخ ، وهدر القيم ، والاعتداء على قدسية الفكر ، او انها في التحليل الاخير ، تتمثل في الجزاء غير اللائق على الجهد الانساني . . . وفي التحطيم والابادة ، والقضاء المبرم الاكيد على الفكر . واذا ما تمكنت هذه السياسة النذلة من التوفيق والفوز فان الادب سينمحق ، ويتبعثر ، ويقضى عليه قضاء تاما ، وسيتدمر الادباء مع ادبهم تدميرا كاملا .

وكما هي الحالة ، فان دور النشر ، التي تدعى تجملا بهذا الاسم ، لا تعمل شيئا من اجل الادب ، بل على الضد من هذا الامر فهي تسعى جاهدة الى خنق هذه الحرفة بالتضييق على الارواح المبدعة الخلاقة وازهاقها . ومع ذلك ، فليس من علامة على الثورة والانتفاض ، من اجل اعادة المياه الى مجاريها ، والاستعاذة بالاحوال الخيالية الادبية ، في القرون الوسطى ، لكي نؤسس من جديد نقابات الكتاب والطباعين وبائعي الكتب ، ومن اجل ان نخلق ادبا جديدا للقلة ، وهذا الامر ينبغي له ان ينجز في سبيل الحب ، من غير امل ولا رجاء ، او في سبيل المسرة ، لاننا لا نريد دراسة ولا فهما ولا ادراكا .

والقضية بالنسبة الي ، قضية حساسة تكاد تشير الى نهاية الحبل ، واذا لم تحدث معجزة ، لايقاف هذا التيار عند حده فاننا ـ في خلاف ذلك مضطرون الى انتظار ما فيه بالغ الشؤم والخيبة والهلاك . ومع هذا ، فانا احد الشهود الذين يعتقدون بوجود المعجزات ، لانني وجدتها كثيرة في حياتي ولمستها لمس اليد . ومن هنا فلي ملء الحق ان اتنبأ بها في كل وقت وحين .

والشيء الذي لا شك فيه في مسالة المعجزات انها تحدث من غير ان يتوقعها احد . فهل من المدهش او الغريب ان نسمع باننا على شفا هذا التطرف ؟ وهل من العسير علينا ان نعتقد بان امريكا ، وهي في اوج قوتها ، موشكة على النهاية ؟ واذا كنت في شك مما اقوله ففكر في المع كتابنا ، واوسعهم سمعة ، وانظر الى ما يترجم من نتاجهم ، وما يعلقه النقاد الاجانب على مثل هذا النتاج ، انهم يعدونهم ممثلي امريكا ، ولكن هؤلاء الكتاب انفسهم يلحظون بأسى مأساة عامة الناس في امريكا . فمن هم هؤلاء وما الطابع الذي يدمغهم بطغرائه ؟

ان هؤلاء البشر ، ظاهريا على الاقل ، كانت تسنح لهم فرصة ذهبية ، من اجل التطور والرقي ، ليصبحوا يوما ما ممثلين ـ في ذلك ـ الانسان (الديمقراطي) الذي اطراه « وتمان » والبسه حلل المجد والسؤدد . ولكن التفت اليه اليوم قليلا وانظر اليه بعيون قادة الراي وخيرة الكتاب عندنا ، فماذا ترى ؟ تراه انسانا ذليلا خانعا منبوذا لا احساس عنده ولا شعور ، حتى ليصعب عليك ان تكتب عنه شيئا « تراجيديا » لان الدراما نفسها ليست من الاشياء التي تتدخل في حياته . ذلك بانه اصبح موضوعا لا ذات له

اما النتاج « الادبي » الهائل الغث ، الجديد فهو لا يحسب لمثل هذا الانسان حسابا ، ولا يعيره بأيسر التفات ، لانه لا يعتبره الا رقما تافها وبيدقة من بيادق الشطرنج وضحية لمجتمع عديم الروح ، تتلاعب بمصيره اذهان كليلة مريضة هي اذهان اصحاب دور النشر الكبرى . صحيح ان سادته يحدثونه عن انقاذ العالم ، ويشغلونه بهذا الامر (المقدس) مرارا وتكرارا . الا ان هذا الانسان لا يعدو كونه اداة حقيرة بأيدي ماكنة (الذهن) وهذا ما يجعله يسلم ذاته بهدوء وسكون . فهو لم يغد بضاعة تباع وتشرى حسب ، بل هو اضاع كل قيمة ايضا . وشأنه في ذلك هو شأن كتاب القصة العلمية ، حين يعتقدون ، في خيالاتهم وتصوراتهم ، بانهم غادروا الكرة الارضية وشرعوا في التجول بين الكواكب السيارة .

ومن هنا فهو يتسكع من مكان الى اخر ، كالذين يمشون في منامهم ، من غير ان يكون له اختيار او حرية او ارادة او دافع نفسي . ذلك بانه نبذ كل تمييز ، واصبح سلبيا بمعنى الكلمة ، حتى غدا مستعدا لقبول اي احوال من الحياة تفرض عليه . اما المجال الحيوي الوحيد الذي ترك له فهو عالم الجريمة حيث يقف الخيال الكاذب وقفته الاخيرة . واذا كان احدنا من الشجاعة بحيث يعتقد بالعلامات والنذر فغدنا ينبىء بالهلاك والدمار . وفي هذه الفترة التي يمكن ان نعدها خلودا ، تنتصب اذناي لالتقاط النغمات العذاب ، التي تبدو كانها الحان قديمة مبتذلة ، متفجرة من اوتار قلوب الاوربيين .

قد يكون اهتمامي بالثقافة الاوربية ، بسبب علة نفسية ، او ربما كنت انسانا بعيدا عن عصري الذي اعيش فيه ولعلي لا ارتاح الا مع الدنكيشوتيين الاوربيين الذين يصرون على حقيقة وجودهم الفردي ، ويتحدثون عن المصير والغاية ، والانجاز وملء كلماتهم معان جليلة ، ذلك بانهم يرون الحياة مأساة ، فيها روعة وجلال .

وقد اكون من بشر العصر الحجري ، من هؤلاء الذين ينتظرون من الكتب اشياء غير مرئية تتمثل في قوى حرة طليقة ، ويزنون الزمن بلحظات الرجات والاكتشافات ، ويشكون من اجل الحصول على اليقين . واخيرا ربما كنت من طائفة المنجمين والسحرة ، الذين يعتقدون بان الارواح المبدعة ، وبضمنهم الكتاب انفسهم ، تحركهم قوى مجهولة لديهم ، متفوقة عليهم . وهم من اجل هذا الامر يدينون بالولاء لها ، ويطيعونها ، وهذا ما يجعلهم مفعمين بالحب ، والاحترام والتقدير .

انا لا اعرف ما الذي يربطني بالاوربيين ، الا اذا استثنيت الشعور بالانسانية ، ولعل هذه الرابطة عروة وثقى لا انفصام لها ، تشد بين الانسان والانسان ، وبين الله والانسان . وحين يصبح الادب لعبة بيادق جامدة ، لا تفكير لها ، ينتفي وجود الذات او الموضوع ، المؤلف او الابداع . واذا ما صار الامر كذلك ، تحتم علينا الرجوع الى البودقة ، وغدا لزاما على الحياة نفسها ان تخلق من جديد .

العراق ـ بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

قصة لسومرست موم

بائع اليانصيب

ترجمة حسن السعران

o O o

كانت الندبة الحمراء الكبيرة التي تكاد تملأ وجهه بشكل هلال يمتد من صدغه الى ذقنه اول ما حملني على الالتفات ليه . ولا بد انها قد تخلفت عن جرح كبير سببه حسب ظني ضربة سيف او شظية قنبلة . وهو ما لا يتوقع المرء رؤياه بهذا الوجه المستدير الشحيم المرح . وكانت ملامحه الصغيرة غير المميزة والخالية من اي مسحة معبرة مما لا ينسجم مع ضخامة جسمه البدين القوي وقامته المديدة بعض الشيء . وما رايته قط مرتديا سوى سترة رمادية كالحة ، وقميص خاكي اللون وقبعة عريضة بالية . انه ابعد ما يكون عن النظافة . وقد اعتاد ان يتردد يوميا ـ في موعد الكوكتيل ـ على فندق « بالاس هوتيل » في جواتيمالا . فيطوف بالموائد القريبة من منصة البار ويعرض على اصحابها اوراق اليانصيب . واذا كانت هذه الاوراق هي وسيلته الوحيدة التي يرتزق منها فلا بد انه يحيا حياة حقيرة اذ انني لم أر احدا يبتاع منه شيئا . وانما كنت اجد بين الحين والحين من يمنحه بعض الشراب فيقبله دانما ولا يرفضه . وكان يتسكع بين الموائد ويمشي مشية المعتاد على قطع المسافات الطويلة على الاقدام . وكثيرا ما يتوقف عند كل مائدة يعلن عن اوراقه التي يبيعها وعلى فمه ابتسامة رقيقة . واذا لم يجد من يكترث له يمضي في حال سبيله والابتسامة نفسها لا تفارقه . ورايتني اعتقد انه على الارجح مجرد شخصية تافهة لا تستحق الشراب .

وفي ذات عشية ، كنت اقف مع رفيق لي عند بار الفندق وقد اسندت قدمي على حافة البار السفلى ـ وفي بالاس هوتيل يقدمون نوعا ممتازا من المارتيني ـ اقبل الرجل ذوالندبة، فرفضت عرضه بهزة من راسي ولعلها المرة العشرين التي اومىء له بالرفض كلما هم بعرض اوراقه علي . الا ان رفيقي هز راسه بمودة ولطف وحدثه بعبارة اسبانية قائلا :

ـ كيف حالك وحال الدنيا معك يا جنرال ؟

ـ ليست سيئة ، العمل كاسد وربما يسوء اكثر .

ـ ماذا تشرب يا جنرال ؟

ـ براندي

وامسك بالكاس نخب رفيقي وافرغها في جوفه ثم اعادها الى البار قائلا :

ـ شكرا اراك بخير .

ثم استدار ومضى في سبيله ، يعرض اوراقه ، على بعض الندماء من الواقفين الى جوارنا .

وسالت رفيقي : من يكون صاحبك هذا ؟ ندبة وجهه فظيعة للغاية .

ـ انها لا تزيد من جماله طبعا ! انه منفي من نيكارجوا . وهو مشرد عاطل كما ترى . وانا انفحه بضعة قروش بين حين واخر . لقد كان فيما مضى جنرالا من الثوار ، ولو ان ذخيرته لم تنفد لاستطاع قلب الحكومة ولصار الان وزيرا للحربية بدلا من بيعه اليانصيب في جواتيمالا . ولكنه اعتقل هو ورفاقه الثوار وقدم لمحكمة عسكرية . وامثال تلك المحاكمات كما تعرف سريعة في تلك البلاد . ومن ثم حكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص، على ان يتم التنفيذ غداة المحاكمة . واظنه ، بعد الاعتقال كان على علم بمصيره . فامضى ليلته مع رفاقه الاربعة الاخرين في لعب البوكر ، واستخدموا عيدان الثقاب بدلا من الفيش . وقد اخبرني بانه لم يظفر بورقة رابحة . وانه لم يلق في حياته قط مثل هذا الحظ التعس في الورق ولم يتحسن حاله طوال اللعب كله .

ولما طلع الفجر واقبل الجند الى غرفة السجن لبدء تنفيذ الحكم ، كان قد خسر من عيدان الثقاب اكثر مما يستخدمه عادة رجل واحد طوال حياته .

وقادهم الجند الى فناء السجن وشدوا وثاقهم امام حائط ، الخمسة جميعا جنبا الى جنب . ومن امامهم فريق الرماة . واعقب ذلك مهلة وانتظار ، فسأل صديقي الضابط المكلف بالامر : فيم ذلك الانتظار ؟

فأجاب الضابط ان الجنرال قائد قوات الحكومة يرغب في حضور تنفيذ الحكم وهم في انتظار وصوله .

فقال صديقي : اذن فهناك فسحة من الوقت لتدخين سيجارة اخرى . فالقائد عادة يتأخر دائما .

ولكنه لم يكد يشعل سيجارته حتى اقبل الجنرال ولعلك سمعت عنه فهو يدعى سان انجاشيو ، يحيط به جمع من الحراس . وما ان بلغ فناء السجن حتى شرع في اتخاذ الاجراءات المعتادة في مثل هذه الظروف . فسأل المحكوم عليهم بالاعدام اذا كان هناك ثمة شيء يرغبونه قبل تنفيذ الحكم .

وهز الثوار جميعا رؤوسهم بالنفي ما عدا صديقي الذي صاح وحده قائلا :

ـ نعم اريد توديع زوجتي !

فقال القائد : حسنا ، ليس ثمة اعتراض على ذلك ، اين هي ؟

ـ انها تنتظر عند باب السجن .

ـ اذن لن يؤخر هذا تنفيذ الحكم عليك غير خمس دقائق . فأجاب صديقنا : على اكثر يا سيدي القائد .

ـ ابعدوه عن رفاقه .

وتقدم جنديان ، وسار الثائر بينهما الى المكان الذي اشار اليه . واصدر الضابط المكلف بتنفيذ الاعدام عقب اشارة من القائد ـ الامر باطلاق الرصاص . وما هي غير لحظة خاطفة حتى خر الرجال الاربعة وسقطوا سقطة غريبة ، اذ انهم لم يسقطوا

جميعا دفعة واحدة ، ولكن واحدا بعد الاخر كانهم دمى تمثل على خشبة المسرح . وتقدم منهم الضابط ثم افرغ رصاصته على جثة كانت لا تزال فيها بقية من حياة. اما صديقنا فقد انتهى من تدخين سيجارته فالقى بالعقب بعيدا .

وكان هناك حشد من الجماهير عند باب السجن وتقدمت امراة الى صدر الفناء بخطوات سريعة ، وقد وضعت يدها على قلبها . ثم توقفت فجاة وصرخت صرخة شقت عنان الفضاء ، وفتحت ذراعيها مندفعة راكضة ..

فقال السجين : زوجتي .

كانت في ثياب سود ، وعلى شعرها وشاح ، ووجهها في بياض الموت . وما كانت تبدو باكبر من فتاة فهي رقيقة الجسم حلوة الملامح واسعة العينين . ولكنهما يتقدان بالالم والحسرة . كانت باهرة الجمال الى حد انها عندما تقدمت نحو زوجها بدا جمالها حتى في ومضة اللوعة الممضة التي افتر عنها ثغرها ومسحة الاسى التي ارتسمت على محياها ، وقد تطلع الجنديان اليها في دهشة بالغة. والقت بنفسها بين ذراعي الثائر الذي تقدم خطوة او خطوتين للقائها . وصرخ هو الاخر صرخة عاطفية حارة « يا روح قلبي ! » ثم راح يقبلها في لهفة . وفي نفس اللحظة استل في سرعة البرق سكينا من بين طيات قميصه الممزق ـ ولست ادري كيف احتفظ به ـ وطعنها في عنقها فتدفقت على الاثر دماها غزيرة وصبغت قميصه . ثم احتواها بذراعيه مرة اخرى وقبلها بكل قواه.

حدث ذلك كله في سرعة خاطفة حتى ان الكثيرين لم يعرفوا ماذا جرى . وصاح فريق من الناس صيحة فزع ، واندفعوا يمسكون بخناقه ويفكوا ذراعيه من حولها . وكادت المسكينة تقع على الارض لولا ان امسك الحرس بها وطرحوها على الارض فاقدة الوعي . ووقفوا يتطلعون اليها والسخط واضح على وجوههم ، لقد عرف الثائر اين يطعن طعنته فكان من المستحيل ان يتوقف الدم . وما هي الا لحظة حتى نهض الحارس الذي جثى بقربها وقال هامسا : ماتت .

ورسم الثائر علامة الصليب .

ولما سأله القائد : لم طعنتها ؟

اجاب : لانني احبها .

وتأوهت الجماهير المحيطة وحملقت الى القاتل في غرابة ، وتطلع القائد اليه برهة في صمت ثم قال اخيرا :

« هذه فعلة نبيلة ، انا لا استطيع اعدام ذلك الرجل ، خذوا عربتي وانقلوه الى الحدود . انني يا سيد رجل شجاع بقدر شجاعتك . »

وعلت همسة راضية ممن استمعوا العبارة الاخيرة ، وربت الحارس على كتف الثائر. ومشى الرجل في حراسة الجنديين الى العربة التي في الانتظار، دون ان يفوه بكلمة .

وتوقف محدثي ، وسكت لحظة ثم مضى يقول: لا بد ان اذكر لك انه من اهل جواتيمالا وانه كان يحدثني بالاسبانية وقد ترجمت اليك ما رواه باحسن ما استطيع ولكني ، لم احاول ان اقلل من نغمة روايته او لغته العاطفية .

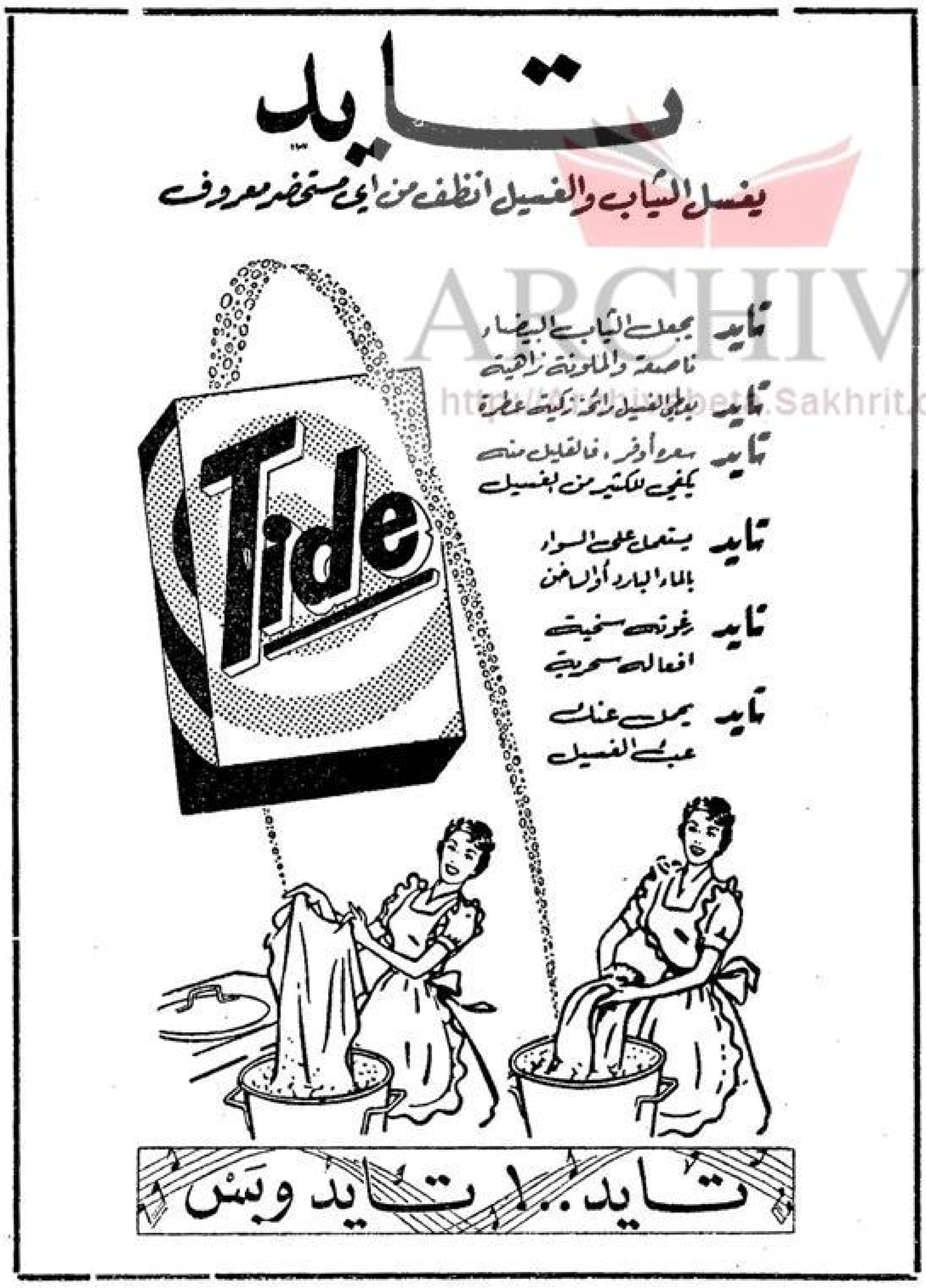
والحق انها نغمة تتناسب وجلال الرواية .

فسألته اخيرا : ولكنك لم تخبرني كيف اصيب بهذه الندبة ؟

ـ اوه ، انها بسبب زجاجة جنزبيل انفجرت بينما كنت احاول فتحها .

فقلت : لست اطيق هذا الشراب .

حسن السعران



عند شط المساء

لكامل سعفان

القاهرة

كلنا نعرفه ..
شد ما نألفه ..
غير أنا ـ معا ـ قل ما ننصفه !!
انه عامل في طريق طويل
أثقلت ظله خطوات الاصيل
ومضى ـ لا يني ـ وبدون دليل
فالتقت في يديه شعاب القدر
بضباب كئيب
وارتمى ظله عن طريق البشر
في سكون رهيب
وكأن الحياة .. لم تكن منذ حين
غنوة ساحرة
فأزاح الرفاق التراب المهين
وبنوا مقبرة !!

★

كان في حيّنا ..
كلّ حيّ هنا ..
كالنشيد البعيد يهيب بنا
واستوينا نردد انغامه
وخطونا نقلد أقدامه
وصبونا نساقط ايامه
فتمطى الضباب الكثيف بنا
في طريق وضيء
وتهادى الضياء باعتابنا
في هدوء بريء
واستراحت متاعبنا .. والتقت
نظرات الرفاق
في ابتسام يحدد ما كابدت
من عناء السباق!!

★

وترامى البصر
في طريق القدر
كان شيء يراعش بين الحفر
ويشد اليه خيوطا تروع
ويكاد يدق علينا الضلوع
كان حس بعيد المدى .. كان جوع
وحبتنا السماء بشمس سخية
ألهبت ظلنا

فرفعنا اليها ظهورا تمرية
فشوت عرينا
وظللنا وراء أخي نرفع
في البناء الكبير
وأخي لا يكاد بنا يطمع
في طعام حقير !!

★

واستراح الافق
في لهيب الشفق
واخذنا نلف بقايا الرمق
في خطانا .. ونصطنع المستحيل
واخي ينشد .. وخطانا تميل
في شرود تخطى ظلال النخيل

وكأن الحياة بنا تصنع
قصة تافهة
لم تكن بيننا أعين تدمع
أعين والهة
والبناء الكبير يطول بنا
وتدق «السقالة»
وكأنا نشيّع في ركبنا
ميتا .. لا محالة ! !

★

وتراخى الغناء
شائها كالعواء
وتمطت خطانا تزيح القضاء
وتلوت ظلال الرفاق ثقيلة
وتبدى المساء خطوطا طويلة
وكأنا معا فكرة مستحيلة
لم نكد نلتقي في التماع الشفق
لم نكد .. لم نكد !!
كان من بيننا قدر منطلق
بغد .. أي غد !!
وافتقدنا أخي بعد يوم طويل
لم يكن بيننا
لم يكن ذلك القادر المستطيل
واضحا .. بيّنا !!

★

أين ولى وراح ؟!
شغلته الجراح !!
ومضى في طريق عميق متاح
للاولى ارخصوا جهدهم للحياه
لاخي .. ولمثل اخي .. للحفاه
العراة الجياع .. عيال الاله
وأنا والرفاق سنمضي معا
وسنمضي بعيدا
ليس من يملك بيننا أدمعا
واخي لن يعودا
وغدا نعمل ليتم البناء
البناء الكبير
وسيبقى اخي عند شط المساء
راضيا بالمصير !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكاية الفكر في حلب

بقلم علي الزيبق

° ° °

كم ترجعت في صدري حكاية الفكر في حلب ، وانا اهدهدها آنا وآنا كلما همت بالانفلات من محبسها ! حتى اذا لم تعد الى الصبر سبيلا ، صغتها حروفا حملتها ملء الحقيقة الصاخبة في حناياي !

فاذا تلقاني حاقد (ظن) انني انتقصته حقا ، واذا تلقاني باش (خيل) اليه انني صافيته ودادة ، فانني في الحالين قد اصبخت السمع الى هتاف الوجدان ، مرددا ما قاله ارسطو لافلاطون : « الحق وافلاطون صديقان حميمان ، ولكن صداقتنا للحق اكثر من صداقتنا لافلاطون ! »

بيد ان الدكتور محمد يحيى الهاشمي سبقني الى سرد بعض فصول هذه الحكاية منذ حوالي خمسة عشر عاما ، فقد نشرت له الاديب الزاهرة (١) موضوع « الحياة الادبية في حلب » مما اثار ضجة فيها (٢) ، كما اثار النقاش عن في حلب » مما اثار ضجة فيها (٢) ، كما اثار النقاش في الحديث عن الادب والادباء في صحافة حلب (٣)

ولعل ذلك يعود الى انه كان مسهبا حينا ، موجزا حينا ، وثمة اشخاص لم يخطروا بباله : للمصادر الضئيلة التي كانت لديه ، او لانهم كانوا اضناء بنشر آثارهم ، وحتى هذا الذي نشروه تلقفته اشداق النسيان !

اما الان ، وقد تقضت تلك السنون ، فما حال الفكر في حلب ؟ وما حال رواده ؟ وهل من جديد ؟!

لا ريب في ان الفكر في حلب (بعل) (٤) : لان الارض ، والمتحد الاجتماعي اللذين خلقاه هما (بعل) !

فأما الارض ، فلم يعد يبل اوامها نهر (قويق) كما كان قبيل الحرب العالمية الاولى ... فيبست جنائنها الفن ، ولم تعد تنبت شاعرا للطبيعة، يضمخ حنينه بحنينها، كما انبتت من قديم شاعرها (ابو بكر الصنوبري) (٥) الذي طالما بز (ابا اسحق ابراهيم ابن خفاجه) في كثير من قصائده ولهذا ، فلا عجب ان لم نجد للطبيعة الجذلى ظلالا غنية في جل سفحه الحلبيون على الطرس !

واما المتحد الاجتماعي، فلا يهتم بالعلوم ، والاداب ، والاجتماع ، والفنون ، اهتمامه في عهد سيف الدولة الحمداني : فقد طفقت روحه تجف قطرة قطرة ... لتحل مجلها المادة بكل معناها العميق ... وهكذا لا تشاهد في الشهباء نديا يرتاح اليه الفكر ، مع ان هناك ست عشرة جمعية ثقافية قائمة ! وكدت استثني النادي (الكاثوليكي) ونادي (النهضة) لولا انهما عبا من نبعة الصمت ما أسكرهما ... وكذلك جمعية (العاديات) ، فقد ظلت منكمشة على نفسها ، ولم يتردد عنها صدى اي اكتشاف علمي ... وتجدر الاشارة في هذا المقام ، الى مؤسستين رسميتين هما : دار الكتب الوطنية ، ومذاعة حلب (٦) . فقد كان المعول عليهما ان تكونا للفكر منطلقا . الا ان الظن خاب فيهما ... لان دار الكتب الوطنية لم يكن لها من اثر في بعث الحياة الفكرية في حلب ، على رغم ما تقدمه من محاضرات لا تخضع لنقاش (!) وما ذلك الا لان اكثر محاضريها ـ ان لم اقل جميعهم ـ ليسوا من حلب . وعندما سألت مديرها السابق الاستاذ سامي الكيالي عن السبب صرح لي بانه يود ان يعود الجمهور الحضور الى قاعة محاضراتها بوساطة دعوة رجال الفكر من خارج حلب ، حتى اذا وافى بغيته دعا عندئذ رجال الفكر من حلب ! وكذلك صرح لي خلفه الاستاذ جلال زهدي الملاح ، فانه ما ارى شيئا على مدعاه !! واما مذاعة حلب ، فلعلها اشفق لولا ضيق وقتها ، والشكوى الملحة من فقدان الخبراء الاصيلين فيها : مما لا يدعها تؤدي رسالتها تامة . كما ان باب التشجيع موصد في وجوه النابهين حتى دب اليأس في الاعراق من كل اصلاح فراجت سوق السياسة ، وكسدت سوق الادب ، وان كان ثمة من عزاء في ناشئتنا ، فحتى هؤلاء امتدت اليهم اصابع التهريج الحزبي ، فضاعوا في مفترق السبل ، وتفشت بينهم تلك المجلات الرخيصة ، والكتب الخليعة ، كأن نتاج الفكر الراقي عندهم لا يقرأ في كتاب او في مجلة ان لم يكن ذلك الكتاب وتلك المجلة مزدانتين بصور بنات الهوى !

ولعل هذه الحال المزرية التي آلت اليها الشهباء من قبل الحرب الكونية الاولى وحتى الان... قد سببت في هجرة عدد غفير من رجال العلم، والادب، والفن، والصحافة وهكذا رحل ساطع الحصري (٧) وعادل الغضبان الى مصر ، وقدري القلعجي ومروان الجابري الى بيروت وسامي الدهان ومحمد اسعد طلس ، وظافر الصابوني وبهاء الدين شوقي الرفاعي واحمد طلس الى دمشق ، وشفيقة سعيد

(١) ايلول ١٩٤٣ . (٢) تشرين الثاني ١٩٤٣ ، كانون الاول ١٩٤٣ . (٣) راجع ما كتبناه في مجلة (اللواء الاسبوعي) الحلبية المحتجبة في عدد ٥٢٨ـ عام ١٩٤٤ ، عدد ٥٣٤ـ عام ١٩٤٥ تعليقا على رأي منسوب الى سامي الدهان ، ورد على ما كتبناه في العدد ٥٢٩ ، ٥٣٥ ـ قام ١٩٤٥ لمحمد الترابلي . (٤) يطلق الحلبيون كلمة (عدي) على كلمة (بعل).

(٥) لم يطبع غير جزء يسير من قصائده باشراف الشيخ راغب الطباخ ، وسيطبع ديوانه كاملا بتحقيق الدكتور سامي الدهان . (٦) راجع ما كتبناه في جريدة (نداء الجماهير) الحلبية المحتجبة عدد ٤٦ عام ١٩٥٥ بعنوان : « اين الادب في محطة اذاعة حلب » وما كتبناه في جريدة (التربية) الحلبية عدد ١٢٥٢ عام ١٩٥٧ بعنوان : « راي ورد على مدير

الى استراليا ، وابراهيم مجاهد الجزائري الى نيويورك . كما سكنت اقلام في مستهل نموها ، فلم نعد نقرأ لاسعد المحفل ، وانيس نصر ، واديب نحوي ، وجورج شاشاتي ، وماجد ابو قوس، وخالد حمدي، وتوفيق راشد، وبارسيخ شاتوشاتويان .

واذا كان للمجتمع مثالب ، فان لرجال الفكر ايضا مثالب ، لان عليهم تقع مسئولية تجديد الحياة ! فهم «منار الجماعات لا مرآتها » . ولعل اهم مثالبهم هي : اولا : الكسل فما اوفر الكسولين ... اولئك الذين اذا واتاهم الوقت انسلوا منه ! فآنسوا في جلبة النرد ، وقرقرة النرجيل ، لذة لا تعدلها لذة القراءة والكتابة ... حتى اذا طلب منهم قصيد ، او مقالة ، او محاضرة ، راحوا يجترون ماضيهم ويعيدونه قزما مفوفا باثواب مضحكة ...

ثانيا : الغرور ـ فعسير اقناع الكثير بانه ليس اديبا كبيرا ، او قاصا معروفا ، او شاعر العرب الاكبر . وعسير اقناعه بانه لم يأت بالجديد ، ولم تكن له مدرسة ! وربما يأنف بعضهم من ذكر اسمه في مجموعة الاسماء التي سأعرضها ! وليته عند هذا الحد ... ولكن لم يعد يرضيه نتاج غيره ايضا !!

ثالثا : الحسد وتنطبق الحكمة القائلة : « لله درالحسد ما اعدله ! بدأ بصاحبه فقتله ... » على الاكثرية . فان ركونهم الى الكسل غير كاف حتى تجدهم يحسدون من يذوب عيونه على القرطاس ، ويكونون جلمودا وعوسجا في دروبه ! ولهذا اثره البعيد في عدم وجود رابطة فكرية فعالة بحلب . وكم سعيت مع الدكتور محمد يحيي الهاشمي والاديب فاضل السباعي الى تشكيل هذه الرابطة ، فضاعت جهودنا سدى ! فقد كنا اذا عقدنا اول اجتماع حضر العدد الجم ، حتى حان ميعاد الاجتماع الثالث لم يجتمع غير ثلاثتنا

رابعا : الانطواء ـ اولئك الذين ينطوون على ذواتهم في قوقعة: فيرصفون الحروف لانفسهم ، او لست ادري.. فقد يرصفونها لعالم غير مرئي لا تلامسه عيوننا نحن البشر ! وان كان لهم عذر في ان العالم الداخلي الذي يحيونه غير العالم الخارجي الذي يباغتهم بصوره ، فقد جهلوا بان « الانسان ـ المجتمع » !!

خامسا : النفعية ـ فقد بلغ ببعض من يعاني صناعة القلم انه لن يكتب ، او يحاضر ، الا ابتغاء المادة ، والمادة وحسب ...! وهذا ما حدا به ان يخرج ادبا (تجاريا) للتصدير والاستيراد ... واذا كان شفيعه قول « الخبز اولا والتفلسف ثانيا » فما شفيعه وقد أثرى ؟ وهل يكون احترم ملء المثال الاعلى في حناياه ؟!

لذلك، فالاثر الفكري في حلب قد لا يخلو من السطحية عند بعض ، كما لا يخلو من العمق عند بعض .

اما الوان هذا الاثر فانها متعددة . لكنها لا تتركز في مدارس كالتي طلعت بها القرون الوسطى . ومن الخطل الاعتقاد بوجود ثلاث مدارس : قديمة ، حديثة ، ومدرسة تحاول التوفيق بينهما : فهذا لا يصح في النثر ، كما ان الشعر فيه القديم ، او الحديث ، وليس فيه بين بين .

فالنثر يعني بالمقالة ، والنقد ، والمسرحية ، والقصة ، والاقصوصة. الا انه في اكثره ناء عن ساحة الشعب،وروح العصر ، والانسانية ! وقد قل المجددون في اساليبه ، بل ندر ان تجد نثرا لا يذكرك بمصطفى المنفلوطي ، وجبران خليل جبران ، والجاحظ ، وطه حسين ... وما اوفر التعابير (الكليشهات) التي تعاد مكرورة كأن لم تمزقهاايدي البلى ! وما اقل الذين يحيون اللفظة ، ويهتمون بالكلمة ! غير ان التجديد قد حالف الطريقة ، والعرض ، عند القليل . الا ان ذلك لا يزال في بدء الطريق ، ولم يتسم بسمات بينة ! اما « النثر الشعري » فلا يزال يرنق بجناحيه ولم يتح له مبدع كالياس خليل زخريا في ثمالاته !

وللشعر مدرستان : قديمة ، وحديثة . وتقوم المدرسة القديمة على تقليد الشعراء القدامى في اساليبهم ، والفاظهم ، ومعانيهم ، وخيالاتهم ، وموسيقاهم ، تقليدا يهيب بنا ان نرثي لهم لما نكبوا به ! الا ان حائط هذه المدرسة طفق ينهار ! وتقوم المدرسة الحديثة على نظم شعر موزون يختلف عن شعر المدرسة القديمة بخياله المعقد والبسيط ، وموسيقاه التي ترسم في اهتزاز امواجها ما يمور في الضلوع من حنين، ومعانيهالتي لا تخلو من الجدة ، والفاظه الرقيقة المأنوسة ، واوزانه القصيرة ، التيتتسعوتتسع للزفرات والمشاعر . واما «الشعر الطلق» فلا نجد شاعرا اصيلا اجاداجادة البير اديب وثريا ملحس.

وفيما يلي عرض موجز لمن اسهم في الحياة الفكرية :

فاضل السباعي

اديب خصيب ، منضور الخيال ، روي الاسلوب ، رنان العاطفة ! عاش « التجربة » في اقاصيصه الشعبية(٨) التي يحوكها على منسج الابداع منذ عام ١٩٥٥ . ولولا خشيتي من ان يطوي جناحيه الزفافين على القمة الشماء لقلت : انه خير من يكتب الاقصوصة السورية ! وكيف لا يكون كذلك وله « الجزاء » (٩) ، و « العيد بعد ايام » (١٠)، و « الناس » (١١) ، و « الشوق واللقاء » (١٢) ؟

اما الاقاصيص التي فطرها قبل عام ١٩٥٥ فان دلت دلت على قصو المدى الذي جازه ... ولعل ذلك مرده الى وفرة المطالعة التي يصقل بها الموهبة ، فهذا باد على نتاجه الاخير ان في اقاصيصه الجزيلة ، او في دراساته الطفحى مثل : « مأساة نفيسة كامل علي في بداية ونهاية لنجيب

دار الكتب والدكتور الهاشمي حول مشروع انشاء جامعة سورية بحلب ».

(٧) قدرته بلدية حلب باشتراء مكتبته التي تضم ٩٩٢٥ بين كتاب ومجلة وتقارير باربعين الف ليرة سورية عام ١٩٤٨ ، كما اطلقت اسمه على مدرسة نموذجية حديثة انشأتها من ماليتها الخاصة .

(٨) راجع ما كتبناه في الاديب يناير ١٩٥٧ بعنوان « فاضل السباعي والقصص الشعبي » .

(٩) الاديب نوفمبر ١٩٥٦ . (١٠) الادب اكتوبر ١٩٥٦ . (١١) الاديب ديسمبر ١٩٥٦ . (١٢) الثقافة الوطنية حزيران ١٩٥٧ . (١٣) الاديب اب ١٩٥٦ . (١٤) الاديب مايو ١٩٥٧. (١٥) حزيران ١٩٥٦. (١٦) يستعد الان لطباعة مجموعة اقاصيصه الاولى وعنوانها « الشوق واللقاء » وبقية نتاجه منثور في مجلات سورية ولبنانية ومصرية . (١٧) من محاضرة القاها في مؤتمر تاريخ العلوم الدولي بفلورنسا عام ١٩٥٦ . (١٨) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ايلول ١٩٣٢ . (١٩) من محاضرة القاها في مؤتمر تاريخ العلوم في كيسل عام ١٩٥٥، وقدسجل هذا الاكتشاف في مصنفات سدهف لتاريخ العلوم في جامعة بون. (٢٠) من محاضرةسيلقيها في مؤتمر الاتحاد العلمي العربي الذي سيعقد في بيت مري في خريف

محفوظ » (١٣) ، « وداد سكاكيني والابداع الفني » (١٤)، « انا الشعب لمحمد فريد ابو حديد » (١٥) .

ولا ادري اكنت له منصفا ، ام ظالما ، اذا احببت ان يتفرغ الاديب السباعي للقصة تفرغا ، ولا سيما الطويلة منها : فاننا وان لم نجده قد عالجها ، الا ان في بعض اقاصيصه ما يبشر بها ... فلعله اذا هجر المقالة ، والنقد، والبحث ، يتحف المكتبة العربية بادب اكثر خلودا (١٦) .

الدكتور محمد يحيى الهاشمي

ما اغنى الثقافة التي يجرع منها ! فقلمه ابدا يجوس مدى العلم ، والتاريخ ، والادب ، والفن ... الا انه الان قد استجاب الى ميله الطبيعي ، فلم يعد يغوص الا في خضم العلوم ...

انه العالم الحلبي الفرد الذي طالما سجل اكتشافات علمية قيمة : فوضع طريقة جديدة لتحليل المعادن بواسطة اصباغ الزجاج ، وكشف عن عنصر « الكوبلت » دونما الاستعانة بالكحول « الاميلي » وبين الخاصية الكهربائية لجوهر « البجادي » . كما عزا اسبقية اكتشاف انابيب الرعد ــ التي تتكون في الصحراء عقب الصواعق ــ الى « ابن سينا » لا الى البعثة الفرنسية الجيولوجية التي كشفتها عام ١٩٣١ (١٧). كما اوضح بأن «اخوان الصفاء» تقدموا على « يوهنا فالتر » في نظرية تكون الصحراء (١٨)، وان التحريات الحديثة عن مناجم « الزمرد » في مصر لم تزد شيئا عما عرفه « احمد بن يوسف التغاشي » الذي عاش في القرن الثالث عشر ، وان علماء العرب هم اول من اوجدوا نظرية « النسبية » (١٩) ، وان بدء علم الجيولوجيا لا يبدأ بـ « ليوناردو دافينتشي » وانما هناك مصادر عربية قديمة تشير الى ذلك (٢٠) .

ومن اجل هذه الشهرة العلمية التي يكلل بها جبينه فقد استدعته الجامعة الهندسية بشتوتغارت لالقاء محاضرات عن العلوم الطبيعية عام ١٩٥٥ (٢١) ، كما اصبح من محرري مجلة « الجامعات » التي تصدر في شتوتغارت.

فلا عجب ــ اذن ــ اذا وجدنا الدكتور الهاشمي يلتفت الى الغرب الان ، بعد ان لاقى من الشرق الجحود ا ! (٢٢).

خليل هنداوي

قرات له شعرا ونثرا ؛ قرات ما فاض من اعماقه ، وما ترجم لغيره ، او لخصه ، فأعجبت عجابا بكل ما كتب قبل عشر سنين !

اما الان ، فلا ادري لم يهزني هزا ، وعهدي به ذلك الجواد الذي لم يكب في ملعب ، ولم يلجمه لجام !

وقد يقول لي قائل : اكل هذا تجنيت على « ابي روحي » ؟ فأجيب : انني لن اتلاقى معه وهو يضلل ناشئتنا بقوله : ان « خليل المادي » قتل « خليل المثالي » ، وان « الخط المستقيم بين الخطوط الموج اعوج ... » . فاذا كانت هذه شهادته في حق نفسه فهل اكون قد جرت عليه ؟

ان هذا الاديب النابه المخصاب قد حلق وحلق ... حتى اذا شارف القمة هبط السفح وقد نسلت من ريشه دواعب الارياح !

انه الان يخضب بعض المجلات باذب « تجاري » في كثيره ، كما يطالعنا ، كل حين ، بزاوية « ادبية » في مذاعة حلب لا يكون فيها مبدعا ... فكأنه لم يعد يكتب مثل « كلمات الآن » (٢٣) ، و « رسالة الاديب » (٢٤) ، و « في لجة المصير » (٢٥) ، و « شجرتي الضالة » (٢٦)، و « سارق النار » . وكأنه لم يعد يترجم بتلك اللغة العذبة المشرقة كما ترجم « اغاني بيليتيس » .

واني لارى انه لو تخلى عن « المادة » تخليا لوافانا بنتاج اخصب . لاسيما وان له ذلك الاسلوب السلس ، والخيال القصي ، والطريقة المستحدثة ، واللغة الرفافة الفصحى (٢٧).

عمر ابو ريشه

هذا شاعر من عبقر . تقرؤه في ملامحه فتقول : هذا شاعر الملاحم . وتقرؤه في وطنياته فتقول : هذا شاعر الوطن . ولكنك ما تكاد تقرؤه في غزله حتى تقول : هذا ليس شاعر الغزل : فان طبيعته العنيفة الجافة لا ترنحها آهة العاشقين ، ولا تدلهها رقة العاشقين !

سئل الشاعر بشاره الخوري عنه فأجاب : « يلوكني هذا الفتى كأنه لم يقرأ سواي وكأنني اصبحت قسما منه » (٢٨). ولا ريب في ان من شعر ابي ريشه ما يذكرنا بشعر الخوري كقوله : (٢٩)

ما على الورد ان ذوى بعدما طيبه انتشر

وقول الخوري (٣٠) :

غاية الورد ان يضمخ هذا الجو بالمستحب من نفحاته
ما عليه ان اجاز غايته القصوى وعد الزمان من ساعاته

وقول ابي ريشه (٢٩) :

ما اظن الاقفاص مهما ادلهمت تسلب الطير لذة الانشاد

وقول الخوري (٣٠) :

اقذنب الهزار ان هامت الاقفاص بالساحرات من آياته

وغير ذلك ...

الا ان الخوري بالغ ، في رايه ، وقد ظلمه ...

ومنه ما يذكرنا بصلاح الاسير كقوله : (٣١)

انا يا رمال وددت لو كنت السراب على الرمال
بي من دجى المجهول حلمك انت بالماء الزلال

هذا العام . (٢١) بينما نجد حكومة حسني الزعيم قد سرحته من كلية الهندسة التابعة للجامعة السورية ، ويشغل الان وظيفة استاذ في احدى ثانويات حلب (أ) على الرغم من القائه محاضرة قيمة عن الفوسفات على مدرج الجامعة السورية في شباط عام ١٩٥٦ . (٢٢) اصدر باللغة العربية: الامام جعفر الصادق ملهم الكيمياء ، المثل الاعلى في الحضارة العربية ، لغز ابي العلاء ، القضية الفلسطينية وطرق حلها ، رحلتي الى منطقة القطب الشمالي . ويعد للطباعة « النسبية في الفلسفة والعلوم » وقد امضى في تأليفه زهاء سبعة عشر عاما . كما له مؤلفات باللغة الالمانية من بينها شعر لم يعنونه بعد . (٢٣) ، (٢٤) الاديب تشرين الاول ١٩٤٣ . (٢٥) الاديب ايلول ١٩٤٦ . (٢٦) الرسالة ــ عدد ١٢١ عام ١٩٣٥ . (٢٧) اصدر : سارق النار ، ارم ذات العماد ، الحب الاول ، صفحة من حياة باريس . (٢٨) ابعاد لانطوان كرم . (٢٩) من ديوانه شعر . (٣٠) كتاب

وقول ابي ريشه : (٣٢) :

ان تهتكي سر السراب وجدته حلم الرمال الهاجعات على الظما

ومنه ما يذكرنا بعمر الخيام كقوله : (٣٣)

ان تلاقيتم اخلاي يومـــا فاطيلوا ذكراي عند اللقـــاء
واذا ما اتى لدى الشرب دوري فاريقوا كاسي على الغبراء

وقول ابي ريشة : (٣٤)

تجمع الخمر شملهم فيخلون فراغ اتكائـــه واستناده
كلما مر ذكره قلبوا الكاس على الارض حسرة لافتقاده

ومنه ما يذكرنا بالمتنبي كقوله :

ما زلت اضحك ابلي كلما نظرت الى من اختضبت اخفافها بـدم
اسيرهـا بـين اصنام اشاهدها ولا اشاهـد فيهـا عفـة الصنم

وقول ابي ريشه: (٣٥)

امتي كم صنم مجدتـه لم يكن يحمل طهر الصنم

وهناك اشعار ــ غير ما ذكرت ــ لغيرهم من الشعراء ، قد اخذ معناها ابو ريشه وصاغها بقالبه الجديد ... غير ان ذلك ، ان كان مثلبا في شعره ، الا انه لا ينتقص من شاعريته : ولعل ذلك كان توارد خواطر او ما يسمى بـ « وقع الحافر على الحافر » . لم يكن هو الشاعر الوحيد الذي وقع فيه ، فان « المتنبي » قد اخذ كثيرا من المعاني لغيره من الشعراء وصاغها باسلوبه القوي !

غير ان عمر لم يعد يحلق منذ صدور ديوانه الاخير « من عمر ابو ريشه ــ شعر » فقد شرع ينقد فيه نفسه بنفسه ناشرا « تسع عشرة قصيدة من القصائد التي كان يحفل بها ديوانه السابق بتغيير في العناوين في عدد منها ، وتحوير في ابيات بعضها الاخر متوجا بتوطئة نثرية» (٣٦) مع انه ابدى تبرمه الشديد بديوانه (شعر) في اكثر من مرة . ولهذا فان عمر الذي كنا نحبه فينشدنا بالقائه الرائع من شعره الجيد المبتكر قد بدات تجف الخمارة التي في حناياه فلم يعد ينشدنا مثل :

ربوامعتصماه انطلقت ملء افواه الايامى اليتم
لامست اسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

الدكتور سامي الدهان

« ان ابرز ما يتحلى به الى جانب ثقافته القريبة هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية . ولذلك رايناه يتحول عن التاليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة » . (٣٨) .

في ابحاثه دقة العالم الذي عبق بالحقيقة ! وفي اسلوبه تتلألأ اللغة العربية تلالؤا . فهو من الذين يعنون باساليب بيانها المشرقة ، ويؤمنون ايمانا بامكانياتها الفنية ، واعتباراتها الواسعة . لذلك لا تجد فيه موشى الكلام ، وانما تجد الكلام المنتقى المأنوس

نقد وعرف عشرات الكتب النثرية مثل : معجم اللسان العربي الفصيح لتيودور نولدكه (٣٩)، الشعر العربي في المهجر لمحمد عبد الغني حسن ، ابن الخريري ومقاماته للدكتور محمد احمد الصديقي ، شاعران معاصران للدكتور عمر فروخ ، (٤٠) صحيفة الدراسات الشرقية (٤١)، والورقة لمحققه الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد فراج (٤٢).

كما نقد وعرف كثيرا من دواوين الاقدمين كابي الاسود الدؤلي لمحققه عبد الكريم الدجيلي (٤٣). ولم يهمل دواوين الشعراء المعاصرين فقد قال عنها في مستهل حديثه عن ديوان نجوى لعدنان مردم بك : « كتبنا كثيرا في دواوين الشعراء المعاصرين » (٤٤).

كما حدثنا عن شخصيات ادبية كالشيخ بدر الدين النعساني ، ومحمد كرد علي . (٤٥)

فاذا كان مثل هذا بعض نتاجه الخصب ، فقد عرفنا اية ثقافة شاملة كونت منه ذلك الاديب ! ولعلني لا اكون مبالغا اذا عزوت هذه القفزات في عالم الاستشراق التي دمشق التي قدرته تقديرا منذ ان استوطن فيها !! (٤٦) .

سامي الكيالي

جل ما انتجه « تصنيف » اكثر منه « تاليف » يدل ، جليا ، على مدى الثقافة التي يتمتع بها !

اسلوبه سهل ، ويظل كذلك حتى يدعك تسائل نفسك : اهذا ادب ؟ ! لكنه يبسط آراءه بسطا طريفا ، ويجعلك تعجب كيف الف موضوعا في افكار قد لا تجدها غريبة عنك !

ومن الغرابة في مكان انك ترى تناقضا في كتابته . . فهو يحيا في القرن الحاضر ، كما يحيا في القرون الغوابر . الا انه يختط الحدود للمستقبل !

ولا انسى ان الاديب الكيالي يعيش عالمه المضمخ بالصدق والامانة ، وانه في مقدمة من جردوا قلما في حرية الفكر في هذا البلد منذ ربع قرن . اما الان . . . ؟ (٤٧)

محمود اللبابيدي

هذا نقاذة بخال بنشر افكاره زهدا في النشر، لا كسلا تقرا له في الكتاب (٤٨) ، وتقرا له في الاديب (٤٩)، ما يجعلك تؤمن بانك امام مفكر من اولئك المفكرين الصفوة في العالم العربي.

يغوص على الجوهر في بحر الفكرة العميقة ،مستخدما اسلوبا خلوا من التعقيد ، وان كان يتحدث في قضايا فلسفية . وهو يقنعك بمقالاته الفلسفية ، والاجتماعية ،

ذكرى فوزي المعلوف ص ٢١٥ . (٣١) ديوان الواحة . (٣٢) ديوان من عمر ابو ريشة ــ شعر . (٣٣) رباعيات عمر الخيام تعريب احمد الصافي النجفي . (٣٤) من ديوان شعر . (٣٥) من قصيدة القيت في حلب بعد صدور ديوانه الاخير . (٣٦) « الشاعر ابو ريشة ينقد نفسه » لابراهيم العريض ــ الاديب نوار ١٩٤٩ . (٣٧) اصدر : شعر من عمر ابو ريشه ، شعر ، ذي قار ، فصل من محكمة الشعراء . وهو الشاعر المعاصر الوحيد الذي شجعته بلدية حلب تشجيعا مرموقا فقد منحته مبلغ سبعة الاف ليرة سورية لطبع ديوانه الاخير الذي صدر عن دار الاديب

عام ١٩٤٧ . (٣٨) راي الامير جعفر الحسني فيه ــ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الثاني ــ المجلد التاسع والعشرون . (٣٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الثالث ــ المجلد الثلاثون . (٤٠) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الثاني ــ المجلد الحادي والثلاثون . (٤١) الاديب ــ نيسان ١٩٤٥ . (٤٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الاول ــ المجلد الحادي والثلاثون . (٤٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الرابع ــ المجلد الثلاثون . (٤٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ــ الجزء الثاني ــ

وحتى الحقوقية منها ـ مع انه لا يحمل اجازة في الحقوق ـ بأنه وقف طويلا على دراسات فلسفية عربية واغريقية .

ومن العجاب انه لم ينشر الى الان كتابا. مع انه جزيل الكتابة ، دءوب على المطالعة ! غير انه محق .. فقد قال لي ما اصمتني !

الدكتور علي الناصر

كان في شبابه الريق اقوى منه في ربيع شيخوخته رنما ، واصالة تفكير .. فقد رق احساسه ، ودق تعبيره ، وعمق تفكيره ، حتى اصبح شاعر « الكلمة المجردة » يحبكها بالشعور الفوار ، من دونما زخرف ، فتخرج بالوان خاصة مبتكرة في التعبير ... وانك كما تكلمه فتجده هادئا ، كذلك تجد شعره هادئا !

اما الان ، ففي اي واد يهيم ؟ وعلى اية عكازة تتوكأ في تسياره ، حاملا جثمان شبابه ؟ انه مبتل بمصيبة لم يبتل بها شاعر ... لقد خمر في الحانة (السريالية) حتى لم يعد يحس ، ولم يعد يعي .. ثم افاق من سكرته ، هزيعا ، فوجد (الخمار) قد اغلق عليه (الباب) وانصرف ..

وهكذا ابكي هذا الشاعر المجدد ! (٥٠)

الدكتور محمد اسعد طلس

فكر ناضر كدرب الربيع ، وقلم دافق كشلال الحياة ! وهضم لمطالعات جمة يردها قشيبة مسرودة بخيوطه !

كان وزيرا مفوضا ، فلم يتعثر على درج الوزارة ، ولم تطفىء الاضواء والالوان ، والاصوات ، من جفون اعماقه ..

كان مغامرا ركب « البحر » على حطام سفينة « السندباد » فلم يغرق ! وعاد من « المنفى » وفي جعبته كتب !

في ابحاثه دقة الفنان الصناع ، وكيف لا يكون كذلك وقد حدثنا عن « ابي الفتح بن جني واثره في اللغة العربية » حديثا مسهبا حلوا ، عميقا ؟ (٥١)

وفي ادبه عمق باد لا سيما في بحثه عن « القرامطة واثرهم في ادب المعري » (٥٢) ، و « الرمزية في الادب الصوفي ». (٥٣)

وفي تنقيبه في اطلال التاريخ عن النفيس ، تجد روحا تذب عن ماضي العروبة وحاضرها ومستقبلها بكل ايمان (٥٤)

ولكن .. قاتل الله السياسة ! فقد جنت عليه ! ولولاها لكان اكثر نتاجا . (٥٥)

الدكتور شكيب الجابري

لا اعرف شخصا حطمته وظيفته بمقدار ما حطمته !

فقد كانت على ساعديه تترعرع القصة السورية عندما كانت في المهد . الا انه تخلى عنها ، ولم يعد يعيرها حتى ولا لفتة وجدان !

في اسلوبه تحرر لما فيه من سهولة ... فلا تعقيد في الجمل ، ولا بعض تعقيد : وهذا ما يده على ان فكرته ناضجة ، فينسجها نسجا قويا .. الا ان العمق في افكاره قليل ، والابتكار اقل ... فهو من الذين لا يغذون الموهبة بالمطالعة !

وفي قصصه تصدى لتصوير واقعنا الاجتماعي تصويرا فيه الدقة ، كما تصدى لتصوير واقع الغرب بريشة فنان (شرقي) .

ولا ادري لماذا سكت اخيرا ، مع ان اول نتاجه القصصي ما يبشر بذاك القاص الكبير ، فهل ارتد الى طبيعته فهو استاذ يبحث في الجيولوجيا قبل ان ينسج القصص ؟.. (٥٦)

مظفر سلطان

كان قاصا حبيبا الى نفسي في اقاصيصه مثل: « تينة الجبل اقوى من الموت » (٥٧) ، و « لعنة العمر » (٥٨) ، و « سقيته من شرابي ». (٥٩)

اما الان ؟..

لقد كنت اعتقد بان الوظيفة قد تسلب الاديب اشياءه الثمينة الا ادبه ! ولكنني عدت الى الصواب عندما وجدت الوظيفة تأكل الاستاذ مظفر « اكلا لما » .. فلم تعد تشرب الاذن من اخباره الادبية ولا قطرة ... اطوى جناحيه على حفنة الرمل ؟!

لله يا مظفر ! لانت ذو موهبة مسماح كنفسك ، فاين ضمت ؟ ! قل لي اين ضمت ؟..

اورخان ميسر

اذا وجدت له فكرة مبتكرة مياسة قد تظن انها غريبة عن مدانا .. فما ذلك الا لانه قد براها بازميل الفن !

ابدا تصفق اجنحة اعماقه في سماء الفكر الغربي .. لذلك يندر ان يطالع في اللغة العربية ما خطه مفكرونا المعاصرون .

وهو من الزاهدين في النشر . ولماذا ؟ .. والى متى تقبع اثاره في داره الشرقية ـ الغربية ؟ !

يا له من سكير .. لقد اثملته خمارة الوجود حتى بات يجمجم في كلام اوضح منه الرمز ... وهكذا يبشرنا بسريالية ما اخالها تدرج على مغانينا (٦٠) .

المجلد الثاني والثلاثون . (٤٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الثاني ـ المجلد الثلاثون . (٤٦) اصدر : اصول التدريس الحديثة ، ديوان ابي فراس الحمداني ، الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب البغدادي بالاشتراك مع (لاووست) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، في السياسة لابي القاسم الحسين ابن علي المغربي ، ديوان الواواء الدمشقي ، الوصف ، الغزل . (٤٧) اصدر : ابو العلاء المعري ـ دفاع المؤرخ ابن العديم عنه ، انواء واضواء ، سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، الفكر العربي بين ماضيه وحاضره ، شهر في اوربا ، من الادب المعاصر ، الراحلون ، من اضواء الماضي ، نظرات في النقد والتاريخ والادب ، المراة هذا اللغز الابدي ، مع طه حسين ، بنت يزيد ، الحكيم شهاب الدين السهروردي . (٤٨) مايو ١٩٤٦ ، يوليو ١٩٥٠ ، مايو١٩٥٢ . (٤٩) نوار ١٩٤٣ . (٥٠) اصدر : ظمأ ، قصة قلب ، دن الدموع ، سريال بالاشتراك مع اورخان ميسر . (٥١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المجلد الرابع والعشرون ، والثلاثون ، والحادي والثلاثون والثاني والثلاثون . (٥٢) الاديب ـ حزيران ١٩٤٤ . (٥٣) الاديب ـ تشرين الثاني ١٩٤٣ . (٥٤) نقد وتعريف بلدان الخلافة الشرقية لسترانج ـ مجلة المجمع

الاسدي م. خير الدين

هذا الذي تيمته (الكلمة) فعاش حياته من اجلها ! ضاربا في فيافيه الربد الغفل ، والسراب يروه له من قصي ... وكم وددت ان يرحم شيخوخته في وجدها فلعله يقاسمنا الامنا الصم.. ولكنه اصبح (مدمن) الكلمة !

ما اقل اللغويين الذين اذا خطوا حرفا تدفقت افاويح الفن فيه ! والاسدي من هؤلاء ! ابدا يهتم باللفظة الشريفة ، وابدا يهتم بالرنم والخيال ! مما يجعلني احبه حبي للافكار الطلقة التي يضوىء بها ليلي كلما اختلفت اليه ... ومما دعاني ان اسأله عن كتابة (جمهورية) سوى التي كتبها افلاطون !

اما تصوفه ؟ ... فلا يعجبني ! (٦١)

سليمان العيسى !

لو ان الشعر (شجو وطرب) ! لكان للاستاذ العيسى تلك المكانة المرموقة . ولكن الشعر اكثر من ذلك ! ! وهكذا استطيع ان اعلل تلك المعاني التي يرددها في جل قصائده ، وحتى يندر ان تجد له قصيدة واحدة لا يترجع فيها اكثر من معنى واحد !

يحمه في جانحيه عاطفة وثابة ، قد تسد عليه آفاق تفكيره ... ولهذا تعذب الموسيقا في قصيده . ولكن قلما تجد الفكرة العميقة ، والخيال البكر .. ذلك لان الشاعر ذو عقيدة يود ان يهبط بها مستوى الجماهير ، فلا عجب اذا خلص شعره من الابهام والغموض والتعقيد !

واجمل ما في شعره الوطني والغزلي . اما شعر الملاحم ، فلا يبدع فيه ابداع بولس سلامة وعمر ابو ريشه . (٦٢)

عبد الرحمن ابو قوس

له شعر ونثر . واكثر شعره (نظم) : فلا تقع على ابداع ، ولا تقع على نسج ، ولا على اسلوب ... وكم تتنافر القافية ! فهل هذا دليل على انه ليس شاعرا مطبوعا ؟ !

واما نثره ، فرحب مداه ، وعميقة فكرته ، لاسيما الساخر منه ! واذا كانت الصحافة قد جنت عليه جناية جعلت منه اديبا صحفيا ، فانها اهابت به ان يكتب في ادب الرحلة . فانه عندما يكتب فيه ، لا يكتب بقلم العالم المؤرخ ، وانما يكتب بقلم الصحفي الاديب .

ولعله لو ترك ميدان الصحافة لكان له شأن بعيد في عالم الادب الساخر! (٦٣)

حسيب الحلوي

لقد ظل يعنى بدراسة الادب الفرنسي القديم ، حتى استطاع ان يعطينا صورة صادقة عن بيئة الفرنسيين في القرن السابع عشر !

خير نتاجه ترجمه ، والترجمة وحسب ! لانه يحسن تقمص روح المترجم له ، وينصب في استحضار الكلمة السائغة مكثرا من التشقيق ...

الا انه يعيش في صومعة ... فهو مقل ! (٦٤) .

عبد الوهاب الصابوني

هذا الذي سفح فكره على الورق وظن انه يحسن كتابة القصة الطويلة ، قبل ان يعيش « تجربة » القصة القصيرة فاخطأ الظن ! ذلك ، لانني لا افهم القصة سردا لحوادث واقتضابا لمحاضرات ، والغازا منسوجة على نول مدارس « الكوفة » و « البصرة » ... فالقصة العصرية اكثر من ذلك . ولهذا قلت : اخطأ الظن .

على انني لا اشك في ثقافة الاستاذ الصابوني .. ففي عقله تتلاقى ثقافات عميقة الجذور ! ولكنني اشك في انه (قاص) !

ولربما يوافيه النجاح كثيرا لو عالج مشاكلنا ، ولكنه لتبرمه بالناس ، وفرط حساسيته ، ويأسه من الاصلاح ، انطوى على نبعة في قرارته لا ينصت الا اليها .

وهكذا عاش بعيدا عن الشعب ... (٦٥)

عمر ابو قوس

يتزعم المدرسة الشعرية القديمة في حلب . ولا يخلو شعره من « النظم » مثل : (٦٦)

ترى هذه مصر واين لنا مصر ومن دونها بر ومن دونها بحر

وخير قصائده الوطنية ، والاجتماعية ، والانسانية . اما الغزلية ، فلا تعجبني لما فيها من محاكاة لشعر القدامى.

الا انه لم يعد يتغنى بالشعر الا لماما : فافكاره التي كان يزرعها في الورق قد ظل يزرعها في الارض ... انه الان زراع يكتفي بما تدر عليه الزراعة . وليته يعكف على المطالعة : فقد يتمكن من تجديد شعره . ولكنه ... لن يفعل ! (٦٧)

عبد الله يوركي حلاق

شاعر نهبت الصحافة ملء اوقاته . وهكذا ضاع في صفحات « الضاد » ، و « الكلمة » ، « والشهباء » (٦٨) .

واذكر انني حين انتدبت لتنظيم مهرجان (عبد الرحمن الكواكبي) في ربيع عام ١٩٥٤ ، رجوت الاستاذ حلاق ان يلقي قصيدة فاعتذر ، كل الاعتذار ، ووعدني بالقاء مقالة بديلا منها ، مع ان المهلة السانحة لديه كانت تربو على شهر ونصف ... فاذا كان لا يقدر الاستاذ عبد الله ان يكتب قصيدة عن الكواكبي في كل هذه المدة ،

العلمي العربي بدمشق ـ الجزء الرابع ـ المجلد الثلاثون ، وكتابه تاريخ الامة العربية . (٥٥) اصدر : مصر والشام في الغابر والحاضر ، ديوان ابن ابي حصينه ، تاريخ الامة العربية . (٥٦) اصدر : نهم ، قدريلهو ، قوس قزح . (٥٧) الاديب ـ نوفمبر ١٩٥٠ . (٥٨) الاديب كانون الاول ١٩٤٥ . (٥٩) الاديب ـ ايلول ١٩٤٦ . (٦٠) اصدر : سريال بالاشتراك مع الدكتور علي الناصر ، وبعد للطبع : باسكال . (٦١) اصدر : اغاني القبة ، حلب ، يا ليل ، ليس ، السماء ، عروج ابي العلاء بالاشتراك مع بارسيخ شاتو شاتويان ويعد للطباعة (الالف) الذي استغرق في تأليفه زهاء عشرين سنة . (٦٢) اصدر : مع الفجر ، شاعر في النظارة ، اعاصير في السلاسل ، ابو ذر الغفاري ، الرمال العطشى . (٦٣) اصدر : ثورة العبيد ، مركب الفكر ، الرائد الادبي ، باقة . لايس . طلسم الحياة . باخوس . كنت في الصين . كنت في المانيا . رحلة الى يوغوسلافيا .

فكم من الشعر ينظم في السنة ؟ !

هو في شعره قديم النهج ، منه السهل الممتنع ، ومنه « النظم » مثل :

واختارها الادب الرفيع	فزادها شرفا وجاها
هي مؤئل العرب الاباة	يرف في العليا لواها
ابناؤها ملاوا البلاد	كانجم ملات سماها

وجيده اكثر من رديئه . واجمل قصائده تلك التي انشدها في مناسبات وطنية . اما قصائده الغزلية الرقيقة فتقليد بين لشعراء عصر الانحطاط .

غير ان حظه من التجديد والابتكار ضئيل : فيندر ان تشاهد له بيتا شذ فيه عن المألوف . واعتقد ان خير ما عنده من شعر هي قصيدته (حلب) ،ولاسيما قوله :

والفستق الغيران يحكي	في جوانبها الشفاها
يختال فوق غصونه	كعرائس لبست حلاها
ورنت الى بدر الدجى	فاعارها البدر انتباها
لما اطل البدر شقت	كل فستقة رداها
وهناك شاءت ان تعانقه	ففارت قشرتاها(٦٩)

علي بدور

ما احبه الى نفسي قاصا ، وما ابعده عنها صحفيا يتحدث عن السياسة والسياسة ! !

ينسج افكاره باسلوب فياض ، وخيال زفاف الجناح ، وهي دواما واضحة : لذلك تخلص جمله من الغموض والتعقيد . و « الشمعة » (٧٠) ، و « المنديل » (٧١) ، و « السرير الحديدي » (٧٢) انضر اقاصيصه : ففيها من عمل الفطنة الشيء الكثير ... وفيها ما يبشر له بمستقبل في دنيا الاقصوصة والقصة .

جورج طرابيشي

ان وجوديته وانسانيته سببان يحولان دون فهمي له احيانا ...

له قلم ريان ينمو وينمو ... وغالبا تبرز في اقاصيصه عناصر جمة من شخصيته ، فيا ليته لم يفعل ! فلربما نرى ابطاله عارين .

وقد قرأت له نقدا فظللت اعجب به حتى اذا (ظن) انه نال من شموخ اقلام قوية قل اعجابي به ! (٧٣) .

احبه عندما لا يعادي سواه من رادة القصة والاقصوصة فان « الانسانية » هكذا تقضي ... واحبه عندما يحترم سواه ، فهذا ما يذكرني به .

وغده سماء مطرزة بالنجوم ...

ع. ال شلبي

لا افهمه ، ولاافهمه... وهذا الذي يخطه قدلااسميه ادبا ، انما اسميه الغازا ... فعلام كل هذا الوجل من الوضوح ؟ ! أأقول بان فكرته « فجة » ؟

ولمن يكتب ؟ النفسه ؟ فان كان لها ، فحبذا لو تعمق فيها ، فلعلنا نشاطره افراحه ...

واما الشعب فلم يمر بخلده ! (٧٤)

مصطفى بدوي

بيني وبينه خلاف .. فانه يود ان اعجب بكثير من قريضه ، وانا لا اسمي هذا الكثير قريضا ! انه يفهم الشعر معنى ، وانا افهم الشعر معنى ومبنى وروحا ! ومن هنا كان الخلاف ، ولهذا لا تجده ملحا كثيرا على الاسلوب ، ولا على اللغة ، وقد لا تتعانق القوافي فهذا مفهوم (الالتزام) عنده . اما انا ، فأفهمه (اعتباطا) كقوله : (٧٥)

ان روحينا تلاقى في سماوات الخلود
ثغره ظمان للقبلات في شوق شديد

ولكن هناك بيني وبينه مودة ، فشاعرنا حداد ... يذوب الحديد ، ويستخدم النار ، والكور ، والمطرقة ... وهو يثقف نفسه بنفسه ، وينظم الشعر من دون ما اعتماد على مدرسة او استاذ ! ولذلك احب فيه عصاميته ، كما احب فيه ثورته على واقعه ! (٧٦)

وهناك ادباء سعيت جهدي الى الحصول على آثارهم فلم اجد غير القليل مما كون لي فكرة وجيزة عنهم لا تعد وافية :

وفي طليعه هؤلاء : بدر الدين الحاضري : وقد كتب دراسات قيمة عن اللغة العربية ، غير انه مقل . ونهاد خياطه : وقد ترجم بعض الاقاصيص بلغة مشرقة زاخرة . وفاتح المدرس : وقصته عود النعنع جميلة ، وافكاره خصبة ، الا ان اسلوبه غير قوي . وعبد الوهاب سايس : والاديب اول من فسحت له المجال ، واكتشفته ، وشجعته . وانه ليعدنا بغد انضر واشرق . وصبحي العجيلي : وله مقالات اجتماعية منها العميق المبتكر . ومنير داديخي : في مؤلفه (عند اسوار الليل) مقالات لا تخلو من الجدة ؛ كما ان له تمثيليات مثلت على مسارح حلب .

وفي حلب ادباء لا يزالون في مستهل الطريق ، وان لم يتركزوا ، بيد ان ما انتجوه يدل على وجود قابلية ادبية قد يكون لها شانها في المستقبل ، اذا ظلوا متابعين جهادهم الادبي ، وفي مقدمة هؤلاء : جورج سالم ، حسين راجي جركس ، لوريس جان سالم ، محمد سامي عجمي ، دلال حديدي .

واذا كنت ساهيا عن ذكر احد ممن يعنون بصناعة الفكر ، فالمجال متسع لغيري ... فقد يدرك الحقيقة اكثر من ادراكي لها ، وينير الى السبيل ...

تلك هي حكاية الفكر في حلب ، فما اطولها ... فلعلها توقظ القافين !

حلب — علي الزيبق

وبعد للطباعة « كنت في هنغاريا » . (٦٤) اصدر : الادب الفرنسي في عصره الذهبي . (٦٥) اصدر : عصام . (٦٦) من ديوان حروف من نار . (٦٧) اصدر : حروف من نار ، وحي الليل . (٦٨) مجلات حلبية . (٦٩) اصدر : خيوط الغمام . (٧٠) الاديب ـ يوليو ١٩٥٧ . (٧١) الاديب ـ مايو ١٩٥٧ . (٧٢) ايار ١٩٥٧ . (٧٣) نقده (اكابر) لميخائيل نعيمه ـ اذار ١٩٥٧ ، و (قناديل اشبيلية) للدكتور عبد السلام العجيلي شباط ١٩٥٧ . (٧٤) اصدر : من المجهولة الى مايا ونشيد كولومبا . (٧٥) من ديوان اوراق مهملة ص ١٣ . (٧٦) اصدر : اوراق مهملة .

قصة سورية

الحذاء.. ينقل رسالة

بقلم فاضل ضياء

° ○ °

لم يبق في المصنع من احد سواه ، لان الليل قد انتصف او كاد ، وعليه ان ينجز هذا الحذاء مهما كلفه الامر ، لا سيما وعرس صاحبته سيكون بعد غد . هذا ما نبهه اليه معلمه (ابو شاكر) عندما انصرف الى بيته وتركه وحده . فلينشط اذن، وليشحذ الهمة ليكون عند حسن الظن!

صحيح .. هو يعرف انه فقير الحال ، زري الهيئة ، بشع المنظر ، ولكن ماذا يهمه ذلك ؟.. او ليس هو كسائر الناس من بني البشر ، عندما يحس كما يحسون ، ويفكر كما يفكرون ؟.. أو ليست له احلامه وامانيه ، مثلما لهم احلامهم وامانيهم ؟.. ومن يدري؟.. فقد يكون ارق شعورا من البشر العاديين ، وادق احساسا من كثير من هؤلاء الناس !.. الم يرفعه حبه الى مراتب الشعور المتألق ، والحس النبيل ؟.. الم تبلغ به خيبته في حبه حد اللوعة والاشراق ؟.. لقد احب (زينب) حبا كابد الامرين من اجله زمنا .. لانه كان قد توهم كثيرا ، واشتط به خياله اكثر ، حين جسم في ذهنه تلك الاحلام المجنحة ، وصور هاتيك الاماني البكر ، وخط طريق حياته المقبلة مع (زينب) يوم كان الجيب منه يصفر باللاشيء تصفيرا !

كان (صبري) قد اعد في خاطره ـ من جملة ما اعد لمشاريع العرس ـ مشروع حذاء عبقري عالمي ، يقدمه الى حسنائه الفاتنة لتتيه به ليلة الزفاف ، ويكون قبلة الانظار ، وحديث المدعوين والزوار ، ولكن .. يا لقسوة الظروف حين تعاكس المرء وتعانده !.. فماذا يعمل ؟..

لا شيء غير الكلام .. وما دام الامر كذلك ، فليفرغ اذن حمولة صدره في اذن هذا الحذاء ، فهو اكتم للسر ، واصدق سمعا من آذان المتشفين والمجاملين !..

هه ... قل لي الان ايها الحذاء الذهبي ، قل ماذا اعمل ؟.. ها انت ذا قد شارفت على الانتهاء ، وانا... وانا ما قلت شيئا بعد . اسمع ! انا صبري ، صبري البائس ، صبري المعذب ، المسكين .. اوه ... لله ما اسخفني !

عفوك ايها الحذاء الجميل ، لقد ازعجتك ، فهلا قلت لي انت ، انت بالذات ، ماذا تريد ان اقول ؟ .. قل ، تكلم .. ولكن لا ، لا .

لن اكلفك من امرك رهقا . حسبي انني ساشبع منك نظري قبل مبارحتك هذا المصنع . اجل ، لن اطلب منك شيئا اكثر من ان تصغي الي ، فلسوف ابثك عواطفي ، واكشف لك عن جوارحي .. ويكفي ان يكون لي في ذلك برد وسلام !

سأتصورك لحبيبتي أيها الحذاء .. لانني انا الذي وضع تصميمك وزخرف هندستك . اجل .. سأتخيلك كذلك ، وليس من يثنيني عن ذلك ، لانني انا الذي خلقك فابدعك ، ثم الى الناس دفعك ، أتسمعني ، أتسمعني أيها الحذاء الانيق ؟.. لا شك في انك ستتركني الان ، اذ لا بد لك ان تكون بعد ساعات معدودات في دنيا المعلوم ، بعد ان كنت في عالم المجهول

بلى .. بلى .. انه ليخيل الي انك ستصير الى اناس يستظرفونك ويتعرفون اليك ، اما انا .. فحسبي البقاء هنا حيث ترى ، منذ ان شرعت في تصويرك وتكوينك ، ليس من يعرفني او يتعرف الي . فانا صبري ، صبري المحمود، صانع الاحذية لا اكثر ولا اقل ! وقد لا تتعدى هوية هذا الاسم اكثر من حانوتين عن يمين مصنعنا، واخرين عن يساره . وان اردت الدقة ، فقل مثل ذلك في حوانيت الرصيف المقابل ليس الا .. اف ... افرايت كم انا ثقيل ايها الحذاء الاغيد الرشيق !.. والا فكيف كان لي ان ازعج انفك الدقيق بمثل هذه الترهات ، واثقل زغبك المخملي بامثال هذه السفسطات ؟.

انني أكاد امقت نفسي عندما اعود الى الثرثرة من جديد .. ولكنني ارجع فأقول : ماذا اعمل ، وانت رسالة امنيتي الوحيدة في مثل هذا الظرف العصيب ؟.. ماذا اعمل ، وانت عصارة احلامي المذابة في كاس الحقيقة والواقع ؟ ماذا اعمل ، وليس امامي طريق الا انت ، وانت فحسب؟.. لهذا ، ولهذا بالتأكيد، فانا ارجوك ، ارجوك ايها الحذاء المنمنم ، بل اتوسل اليك ـ يا سمير هذه الليلة الامين ـ اذا ما صرت الى صاحبتك الحلوة ، بين يديها الناعمتين تقلبك اعجابا ، وتستنطق خصرك النحيل مهارة الفن ، وشمم انتصابك براعة الصنع .. اتوسل اليك ، ان لا تنكر حرارة حذقي او تتجاهل صدق خبرتي ، كما يصنع بي معلمي (ابو شاكر) لئلا يزيد في اجرتي !..

ارجوك ان لا تقدم على مثل ذلك الجمود والنكران ، لانني ما توانيت ابدا في بهرجتك وتزويقك ، عندما عرفتك وعرفت مناسبتك التي تشبه مناسبة زواجي ، تلك التي حلمت بها في يوم من الايام !... ايه ... رحمة الله على تلك الاحلام !..

كانت زفرة طويلة ، محرقة ، تلك التي ارسلها اثر هذه الحسرة ، ولكنه ما لبث بعدها ان مد يده الى ابريق الماء ، فبل حلقه بجرعة او جرعتين .. ثم تنحنح قليلا ، فتناول علبة التبغ واشعل دخينة ، وجعل يمج الدخان على عصابة البرغش ـ التي كانت في مهرجان عجيب ـ حول المصباح الكهربائي المدلى فوق راسه .. حتى اذا مسا شعر بعودة النشاط اليه ، استأنف الكلام من جديد دون ان يرفع بصره عن الحذاء الذي كان يقلبه في يديه .

والان ... قل لي ـ يا حذائي النبيل ـ من انت ؟.. ألست قريب الشبه من الحذاء الذي طالما فكرت في صنعه لحبيبتي (زينب) ؟.. بل الست انت بالذات، ذوقي مبلورا في هذا الشكل ، وحلمي واملي مكموشا على هذا القالب ؟ فماذا علي اذن ، لو حملتك شيئا من آهي واشجاني ؟.. لا شيء على ما اظن ، اليس كذلك ؟.. ولكنني ـ مع ذلك ـ لن اطيل عليك ، فتباشير الصباح اوشكت ان تؤذن بمولد يوم جديد .

اي حذائي الرائع !.. اي حذائي الفاتن !..

ان في القلب شيئا يريد ان يقال ، فاسمح لي ، وانا اودعك الوداع الاخير ، ان الح في الرجاء كيما تكون لينا مع صاحبتك ، رفيقا بتينك القدمين النزقتين . واذكر دائما انني نفخت فيك من روحي المضنى ، حين عز على مثلي ان يقدم مثلك لحبيبته (زينب) لفداحة المهر ، واشتطاط

لن تعود

لا لن تعود فقد غابت لياليـنـا ... واوحشت بعد اياس مغانينـــا
لا لن تعود لنا تلك الرياض فقد ... ذوت ولم تحو غير الشوك ايدينا
بغداد أين لياليـك التي عبرت ... هلا تعود فلـيل الهم يطوينـا
وأين ذاك الشذا الموعود يغمرنا ... حتـى لتحسبنا النعمى رياحينـا
من ذا يعيد لبانات بدجـلة قد ... نالت بها كل ما تهوى امانينـــا
بزورق حلم الامواج خطرته ... فكم تحدث شوقا عن تناجينا
وعن بقيـة ذكرى في جوانبه ... قد اورقت فأذاعت سر ماضينا
يا ليل دجلة هـل عود لبارقـة ... محا سناها الدجى هلا تحيينا
فننهب الانس اقداحا مشعشعة ... والحسن جل جلال الحسن ساقينا
ومن على شاطىء الفيحاء يجمعنا ... ومـن يعيد لنا فيـه تلاقينـا
حيث الفرات السخي الحلو منسجم ... مع النسيم يهز النجـم تلحينا
وللنخيل انعكاس فوق صفحته ... يبدي من السحر للرائي افانينا
الله يعلم انا لم نـذق ابـدا ... طيب الهجوع ودنيا الامس تغزونا
أأكتم الحب لا والحب كيف وما ... زالت على كل قيثـار اغانينـا

جامعـة برشاونـة — **باقـر سمـاكـه**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاهل !.. واذكر ايضا ، انك اثرت بمناسبة صنعـك ، وموضوع قصتك ، كوامن ماض لا يزال يتقطر على الايـام حسرة وألما . فلتكن انت اذن كل املي وعزائي لدى انسانتك السعيدة ، وبلغها ما كنت قد عولت على تحميلك اياه ، فيما لو كنت مني الى (زينب) .. اقول ، بلغها في اقرب فرصة تحين لك عبر مواكب التهاني والتبريك ، هذا الشعور النبيل:

شقر الزوالـف ، وسود العـين سالبني
وخديد مثل الورد ـ يا روح ـ سالبني
حـول ليمّي ، وشوف هواك سالبنـي
وايش نا يبك من هل دنا ، وتاليهـا ؟
واصبحت مطروح عل فرش وتاليهـا
يا سعد من عانقك ليـلة وتاليهـا ...
لاتم اهواك ليـوم الله سـالبنـي

انها عاطفة عزيزة ـ يا حذائي العزيز ـ ولقد كنـت هيأتها للمناسبة التي ماتت قبل ان تولد !.. وثق انك ان فعلت ذلك ، كنت لك من الشاكرين بفمزة لطيفة ، سريعة ، أسوقها اليك عندما المحك في رجليها وهي تعبر بك شارع مدينتنا الرئيسي .

واخيرا ... يا حذائي البديع !..
يا خلاصة سهري ، وذوب اتعابي !..

لا تنس ان تسلم علي بزقزقة حلوة ، او تكتكة احلى.. كلما صادفتك وانت في رجل صاحبتك المحظوظة ، وكـن على يقين ان سلامك الصادق الحار ، سيعزيني عن تحيات المداهنة ، والاخلاص المموه ، في عالم غير عالم الاحذية في هذه الايام ..

وألقى بالبقية الباقية من دخينته الى الارض ، ثم عكف على بقايا لحاف قديم ، يسويها في احدى زوايا المصنع . حتى اذا ما انتهى من ذلك ، اطفأ النور ، وتمـدد عليها ، وطفق يحلم بالحذاء الذهبي ، في رجل تلك العروس المغناج ، تعبر به الشارع الرئيسي في المدينة .. وهو يحييه مزقزقا له ، ويتطلع اليه بعين ملؤها الحب والود والاخلاص ، فيهز له رأسه هزة الشكر والامتنان ... ثم تأخذه سنة الكرى ، فيغط في سبات عميق .

وفي صبيحة اليوم الثاني ، عندما فتح المعلم (ابو شاكر) مصنعه ليسأل (صبري) عما اذا كان قد انتهى من صنـع الحذاء ام لا ... كانت أم (زينب) ، وعريس ابنتها الجديد ، برفقته .. فاستلمت الحذاء ، وقذفت لصبري ببعـض الدريهمات ، ثم ... ثم ولت !..

حـلـب — **فاضـل ضيـاء**

ليل ورفاق وشاعر

•

لاحمد امين

○

بغداد ـ الاعظمية

•

يا لدفق !! من أغاريد الفتون
هز في قيثاري الغافي اللحون
رف كالنعمى فيا قلبي الحنون
راقص الحب وزغرد في جنون
دفقة الشوق وهل يرضى الحبيب
أن يراني غير خفق من لهيب
وشباب يغرق العمر القشيب
في شفاه الكأس او ثغر شنيب

* * *

راقصي الكون فما أحلى الصبى
نغما حلوا ولحنا مطربا
راقصي الكون وشقي الحجبا
واقحمي الفلك وهزي الشهبا
أيكون الفن الا ومضات
من أغانينا الظماء الصاديات
هل شدا عودي الا الملهمات
منك في أوتاره ملتهبات

* * *

موكب الاشواق من لي بالمساء
ودراريه تقل الرفقاء
الازاهير رفاقي ... والضياء
فلأذب في الزهر والضوء غناء
يا أخا الجام ولي من لوعتي
ما يذيب الروح في أغنيتي
حلما عذبا ولي من نشوتي
ما يلف الكون في هينمتي

* * *

للهوى روحي وللشوق الرقيق
للشذا العابق في عرس الشروق
للعيون السود سكرى بالرحيق
تعبر العمر على جنح طليق
آه لو غمازة العينين تدري
بالذي يعصف في أعماق سري
والذي ينساب في جدول عمري
حسنها الراعش في آفاق صدري

* * *

جمعتنا ليلة في ظلها
يتجلى البدر من آفاقها
وتبث الروضة السكرى لها
نفحات الطيب من أزهارها
سوف أهواها كما يهوى الرفاق
ليلة نشوى بأنفاس العراق
ستتاغيني بأيام الفراق
ذكريات في دمائي وانطلاق

* * *

كم تمنيت وما أحلى المنى
لو رأيت الجام يسعى بيننا
ونسينا العمر فيه والعنا
وشبابا متعبا يشكو الضنى
لم لا تترع من كأس الرغاب
بين ألحان العذارى والرباب
قبل ان يغدو أملود الشباب
وأمانينا يبابا في يباب

* * *

عاطنيها أنا قد عشت الضياع
في حياة كل ما فيها التياع
عاطنيها أنا مزقت القناع
وتعريت جديدا كالشعاع
نحن لم نخلق لتحطيم الشباب
في ضحاه ولتهشيم الرغاب
الصبى الطماح يزري بالعذاب
ويلاقيه بكأس وصحاب

* * *

يا صديقي ذاك عودي لم يزل
يسكر الليل بألحان الغزل
ود لو تحترق الاوتار بل
يسكب الروح على الثغر قبل
هزه شوق ، وحلم حائر
عبر دنياه ، وثأر هادر
ونداء في الليالي ثائر
عاقه ليل ، وبؤس فاجر

* * *

أيها الخافق .. يا قلبي الصدي
أنت خفق ضارب في الابد
كم تغني في دجاك السرمدي
لسوى الفن واشراق الغد
أنا لحن عربي لا يزال
يفرش الارض عبيرا وظلال
ومع الفجر يغني للجمال
ولسحر البدر في عرس الرمال

* * *

يا رفاقي بين أنفاس الطيوب
كم تمنيت لو الدهر يجيب
أتلقاكم بلحني وأذوب
نغما يخفق في أفق الغيوب
وأقمنا في الدراري مجلسا
ننهب الحور به والاكؤسا
ونغني ونريح الانفسا
من مآسينا الدوامي والاسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة الاديب

من وحي بورسعيد

لليوزباشي حسن فتح الباب ـ مجموعة شعرية ـ مع مقدمة لمحمود امين العالم ـ وتعريف لمحمد مفيد الشوباشي ـ ١٢٠ صفحة ـ الرسوم بريشة عبد الحليم وايزاك ـ منشورات دار المنتدى الثقافي بالقاهرة ـ مطبعة مخيمر بالقاهرة

●

تكسب مدرسة الواقعية في الادب كل يوم نفوذا وقوة وذيوعا ، وهي تحاول التجديد بكل ما وسعها الجهد ، وترى في الشعر القديم مثلا صورا نابضة بالروح والعاطفة والفنائية ، ولكن حظ الذاتية فيها اكثر من حظ الموضوعية ، والجانب الشخصي اوضح من الجانب الاجتماعي او الانساني . ومن ثم فلا يمكن ان يعد شعر ابي نواس مثلا معبرا عن واقعية صادقة ، او رسالة هادفة ، او غاية من غايات البيئة التي يعيش فيها الشاعر . لا يمكن ان يكون ابو نواس مثلا في قصيدته :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

متاثرا بظروف البيئة والجماعة التي يعيش فيها ، اوشاعربشعورها.

ونحن لا ننكر على الشاعر ان يعبر عن نفسه ، ويترجم عن احساسه ، ولكننا ننكر عليه ان يكون شعره وقفا على نفسه وذاته ، من وحي نفسه وذاته، لا من حيث انه فرد في مجتمع ، وانسان يعيش في بيئة ، ومواطن يحيا في وطنه ، يتاثر بظروفه ، ويشعر بشعوره ويتالم حين يمسه الالم ، وينعم حين يصيبه النعيم ، ويطمح الى ما يطمح الشعب اليه ، والى ما تسعى الامة نحوه جاهدة لنيله والظفر به .

ان الشاعر يجب ان يكون له رسالة في زمنه الذي يحيا فيه ، يجب ان يكون عاملا من عوامل التطور ، وقوة من قوى التقدم ، يجب ان يحارب في محيطه الضعف والجمود والتردد والعجز والجبن ، يجب ان يلهب شعور الناس ، ومشاعر امته ، لتسير بخطى واسعة الى غاياتها في قوة وايمان بالحق وبالحياة .

الشاعر يجب ان يكون صدى للعواطف الاجتماعية والوطنيةوالقومية والانسانية العالية في بيئته . فيكون مع الفقير نشيدا جميلا يدعوه الى الامل ، ويدعو سواه الى الرحمة به ، ومع كل من العامل والصانع والزارع قوة محركة تدعوه الى الانتاج ، وتدعو الامة الى مكافاته على انتاجه ، ومع اليتيم انسانية رحيمة تعطف عليه ، وترأف به ، وتتيح له الفرص التي كان حظه سيتيحها له لو بقي له ابواه ، ومع الفتاة ملاكا كريما وحظا باسما يأخذ بيدها الى الحياة السعيدة ، والزوجية المثمرة ، ومع كل انسان في المجتمع صديقا وفيا ، واخا حنونا ، وابا عطوفا .

وبذلك يصبح الشعر عاملا من عوامل التقدم ، وسببا من اسباب النهوض والارتقاء .

واو قد قدر للشعر ان يستمر في سكوته الذي يعيش فيه ، وصمته عن مشكلات المجتمع الذي يلوذ به ، وعزلته الفكرية والروحية عن صميم الحياة التي يحياها الشاعر ، فسوف يندثر ، ويتخلف عن ركب الحياة ، ويصبح مجرد ذكرى من الذكريات ، بعد ان كان الدفاع الى الحرية في كل وقت ، وخاصة في مهود الثورات السياسية والفكرية والعقلية وفي محيطنا الادبي الحاضر تأخذ بعض الدواوين حظها من الشهرة والذيوع، لا لطباعتها الانيقة ، وورقها الابيض ، ولكن لرسالتها الهادفة ، ودعوتها القوية الى التحرر والانطلاق والبعث والحرية . من حيث لاتشعر بصدى لدواوين كثيرة ، تصدر في مختلف المناسبات ، وتترجم عن شتى العواطف الذاتية.

وايماننا بالادب الهادف لا يمكن ان يكون وسيلة لتبرير تخاذل اسلوب بعض الشعراء المعاصرين ، الذين يؤمنون بفكرة الواقعية في الادب . ولا يمكن ان يقر الناقد الادبي عامية كثير الاساليب الشعرية الحديثة ، ولا ضعفها ، ولا التواء المنطق ، وضآلة التجربة الشعورية فيها . ومن ثم فاننا ندعو الشعراء الى ان يرتفعوا بثقافاتهم الادبية عن المستوى العادي المحدود ، الذي نشاهد آثاره اليوم وندعوهم الى ان يؤمنوا بانفسهم ، وبمواهبهم ، وبالفن الذي يكرسون جهودهم في سبيله ، وندعوهم الى ان يقدروا في الغد وقت القارىء وجهده وماله اكثر مما يقدرون ذلك اليوم

وبعدفاني أقول ما اقول بمناسبة صدور ديوان «من وحي بورسعيد» للشاعر حسن فتح الباب ، الذي صدر في طباعة انيقة ، في مائة وعشرين صفحة ، واحتوى على صور رائعة للمعركة الخالدة ، معركة بورسعيد المناضلة الحرة الابية ، التي دافعت عن الوطن العزيز بكل ما تستطيع مدينة ان تفعله .

لقد وقفت هذه المدينة المصرية الباسلة في وجه دول العدوان الثلاثي الغادر وقفة البطولة والمجد والاباء والحرية ، وقفة الاحرار المؤمنين بمستقبل الانسان في الارض ، وقفة المجاهد المعتز بنفسه ، وكفاح امته ، وتراث وطنه .

قالت المدينة الخالدة ان الله يؤيد المدافعين عن حريتهم ، وان قوى الاستعمار الخبيث لا يمكن ان تغلب شعبا آمن بنفسه وبالحياة ، ان الانسانية كلها تعيش في أسعد لحظاتها مع المكافحين المؤمنين بحريات بلادهم ، وان اي انسان يحارب الاستعمار في اي مكان من على ظهر الارض انما ينتصر لكرامة الانسان ، ويدافع عن شرف الانسانية .

ان الشاعر حسن فتح الباب عميق الايمان بوطنه ، وبحرية بلاده انه ينبذ الاستسلام والعجز والقاء المعاذير على الغيب المقدر ، فيقول :

ما الغيب الا كسب ايدينا وفي اعماقنا المصير
ان الحياة حلقة تنداح من كفاحنا الرير

ويقول في كفاح مصر ومدينتها الباسلة بورسعيد في سبيل استرداد القناة :

وسرى التاريخ في ركب الشعوب
يسحق القلة اعداء الحياة
وغدت ملكا لاهليها القناة

وهل هناك ما يعبر عن ايمان صاغر بوطنه اجمل مما تعبر عنه ابيات حسن فتح الباب هذه :

لينفسح الافق عن نورنا
وارض الابوة تروى بنا
نضالا يخلد ميراثنا
وتضحية تغتذي جيلنا
وتحفظ للعالمين السلام

وهل هناك كذلك ما يعبر بوضوح عن تصميم شعب مصر على الدفاع عن ارضه وعن حريته ، مثل ما تعبر عنه هذه الشعلة التي يرمي بها الشاعر اعداء بلاده فيقول :

وثار شعب النيل كالاعصار
في غضبة الجبار

يزلزل الاقـــدار
هتافه في ساحة الـكفاح
حرية المصـير
والقهر للاعـداء

وقصيدته « بلادنا مقابر الغزاة » مثل حي لشاعرية الشاعر القوية ، التي تحيل الكلمات الى نار ونور ، نار تلفح وجوه الاعداء باللهب ، ونور يضيء شعاب الحياة لوطننا الحر المسالم ، واقرأوا ايمان الشاعر بوطنه وبمجد بلاده في هذه الابيات :

المجد للشعب العريق يفتدي بروحه الحيـــاة
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخـــوان والطغاة
للفارسـين بالـدمـاء درجـة السـلام والحيـاة
للعائدين يشهدون مجـدهـم ، فلنرفـع الجبـاه

والشاعر حسن فتح الباب متفائل ، مؤمن بمستقبل الانسانية ، مؤمن بنتيجة هذا الصراع ، وكما يقول :

وعاد الشروق
يضيء كأوسمة من جراح
صدور الملايين في كل ارض
صدور الملايين في ارض
ترامى على جانبيها الصراع
وعاش الكفاح
وعاد الربيع
جنيا بأيديكم الطاهرة
رخيا بظل الربى والوهاد
زكي الحصاد
يضوع بتذكار من لم يعد
من الخالدين بناة الحياة
ويربي النماء
لشعب البطولات شعب القناة

ان مصر قد تحررت ، قد عاد لها عهد احمس المحرر النبيل :

اليوم عاد احمس المحرر النبيل
يطهر الوديان والصحراء والمياه
ويقهر الغزاة
فانصبوا الجباه يا رفاق شامخات
في عزة الاجداد
ونهضة الاحفاد

ان المضامين الشعرية من ديوان شاعرنا حسن فتح الباب قويـــة عنيفة ثائرة ، وان كان الاسلوب والموسيقى المتحررين لا يماثلان قوة هـذا المضمون الثوري العنيف .

وفتح الباب شاعر انشودته الحرية ، وقد صور كـفاح مصـر ، وكفاح مدينتها الحرة الباسلة « بور سعيد » ، أروع تصوير ، وهو مـن اجل ذلك خليق منا بكل تحية وتقدير .

القاهـرة **محمد عبد المنعم خفاجي**

عـزيـزي أحمـــد

للدكتورة اديت سمرسكل ـ باللغة الانجليزية ـ صدر في لندن

●

كتاب الدكتورة اديث سمرسكل « عزيزي احمد » هو اغنـى الـكتب التي الفها اجنبي عن الشرق العربي ، لانه لا يعالج مشكلات البلاد العربية من وجهة نظر الغرب ومصالحه ولكنه يعالجها من حيث هـي مشكلات قائمة بذاتها ، تحمل في نفسها اهمية انسانية كبرى في نظـر المؤلفة ، التي سافرت الى الشرق العربي عدة مرات فاحبته بكل قلبها ولكنها استطاعت ان ترى كثيرا من نقط الضعف التي تؤخر تقدمه فقامت تتحدث الى ابنائه عنها بحماس وصدق واخلاص ، وبشيء كثير من الدقة والتحليل .. والجدل .

الدكتورة اديت سمرسكل عضوة في البرلمان الانكليزي منذ ثمانية عشر عاما وهي طبيبة ايضا وهي فوق كل شيء نصيرة كبرى للمراة حيث كانت. كتابها رسالة روحية طويلة لشرقنا العربي، خصصت الجزء الاكبر منها للحديث عن المراة العربية وضرورة مساواتها مع الرجل واعطائهـا نفس الحرية التي يتمتع بها الرجل في بلادنا . وليس معنى ذلك ان يطلق للمراة العربية الحرية ان تسلك نفس المسلك ، العجيب احيانا ، الذي قد لا يتورع ان يسلكه الرجل ، ولكن ان تكون هناك محاولة للحد ايضا من حرية الرجل الذي يبيح لنفسه ، في كثير من الاحيان ما يجب ان لا يباح اطلاقا ، فتتعادل الكفتان ..

الدكتورة سمرسكل في كتابها ، أرفق مني في تعليقي . ولعل ذلك يعود الى انني اتكلم عن ذاك الذي يمس حياتي وكياني انا ، كامراة عربية وكفرد في المجتمع بينما تتكلم هي عن غيرها ، وقد اطمأنت نفسها الـى تملكها للحرية التي هي من حقها كانسان . ومع ان المرء اذا نظر الـى شرقنا العربي جنح احيانا الى التشاؤم ، فاني استطيع ان أرى الخـير الكثير هنا وهناك . وان في جيلنا امكانيات كثيرة . وهل هناك مجـــال للشك في ان المراة المتعلمة فيه قد اثبتت وما زالت تثبت موجوديـــة رائعة . ولينظر كل منا الى المتعلمات من نساء هذا الجيل ، أفلسن أنقـى واحكم واكثر جدا من الكثيرين من ابناء جيلهن ؟

ذلك لان المراة العربية ، بنت جناح الحريم بالامس ، لـم تعتـد التفلت والمواربة وذلك الاستهتار نحو الواجب الذي اعتاده الكثير مـن رجالنا في صراعهم المحتوم مع بلاوى حكومات غاشمة كثيرة حكمت الشرق الاوسط في عهوده الاخيرة المختلفة . انه يندر للانسان ان يرى امرأة عربية متعلمة ترضى مثلا بان ترتشي او تخون وطنها او تتعامل مع عناصر الشر ضد خير امتها وبلادها : الشابة العربية اليوم عنصر غني رائع فـي مجتمعنا ، فلتوجه اليه الانوار ، ففيه كل الخير وكل الاستعداد للمساهمة في بناء مجتمعنا المتمزق ، وما احوجنا الى البناء . ولا بد هنا من القول اننا مصممات على ان نبني ، اراد الرجعيون ام ابوا .

ولعل الدكتورة سمرسكل لم تنتبه الى كل هذا في كتابها ولم‌تدرك كم نحن مصممات ان نجد كياننا وان نعيش وجودنا على اكمل ما يمكنا ان نعيشه ، ضمن اوضاعنا الشاذة في فترة الانتقال التي تعانيها بلادنا . ولكني تحدثت معها في الامر وقد اخبرتني انها لمست في نسائنا جـــدا ونقاءا واستعدادا كبيرا لحياة ارقى ، على المسرح وليس بين الكواليس .

واذا صح ظني ، فان كتاب الدكتورة سمرسكل « عزيزي احمد » سوف يحدث تأثيرا قويا في نساء جيلنا ، اذ انني لا اعتقد انه يعقل ان تقراه امراة ، ولو كانت متوسطة التعليم ، دون ان تشعر بانه يتحدث اليها عن جميع مشكلاتها ، تلك التي تعرفها تمام المعرفة ، وتلك التـــي تجهلها ، وتلك التي تشعر بوجودها شعورا مبهما ولا تعرف ان تضـع اصبعها عليها . اما اولئك النساء اللواتي يؤمن اصلا بحقوقهن ايمانـا عميقا قويا ، اولئك الثائرات على اغتصاب المجتمع لحقوقهن الطبيعيـة العادلة ، فان رسالة الدكتورة سمرسكل لخليقة بان تثبت فيهن الشجاعة والجلد على متابعة كفاحهن الحق في سبيل كيان محترم ووجود راق متحرر .

لنـــدن **سلمى الخضراء الجيوسي**

الحصان الاخضر وقصص عراقية اخرى ..

تاليف ناجي جابر وعبدالله جواد وعبدالله حسن ومنير امير
ـ ٧٤ صفحة ـ الرسوم بريشة منير امير ـ مطبعة الامة ببغداد

●

للتجربة اثر كبير في ابراز شخصية القاص خلال اسلوبه . ولا يعني هذا ضرورة كون القاص « البطل » في القصة وانما ما تتركه هذه التجربة من اثار في القاص من حيث المشاعر والاحاسيس من جهة ومن حيث السلوك من جهة اخرى .. اذ يمكن القول بجواز بناء الاحكام وتقرير الحال ووضع الحلول المناسبة للمشكلة ـ في القصة ـ على تلك المشاعر وذلك السلوك ...

ان التجربة التي يمر بها القاص نفسه او يمر بها بصورة غيرمباشرة. أي خلال الناس الذين يعرفهم او يصادفهم او يعاشرهم هي ذات اهمية فنية كبيرة . لا سيما للتعرف على الشخصيات من حيث العواطف والسلوك .. اذ نتساءل انذاك ونبحث عن الايجابية والسلبية فيها . وما اذا كانت طبيعية ام لا ؟ وهل ان القاص تمكن من تحديدها ـ نظرا لصلته بها ـ بحيث تأتي منسجمة مع حقيقتها الاجتماعية والنفسية او الصورة التي ارادها لها او مع الاحداث التي كانت بمثابة دوافع حركتها وتفكيرها ...

ان اسباغ هذه الاهمية على التجربة والشخصية من الامور الفنية ذات الصلة القوية بفن القصة . اذ ان شخصية القاص تبرز في القصة حيث ان هناك اسقاطا ـ كليا او جزئيا ـ لشخصية القاص الحقيقية . ومؤدى هذا الامر هو الى عدم ضياع خصائص الشخصية الحقيقيةكالحركة المطلوبة منها ـ التي يجب ان تتناسب معها ـ او فكرتها . او مميزات تكوينها العام . واسلوبها لتلقي الاحداث وموقفها منها . ثم الحلول التي تراها صالحة للمشكلة .. كل هذه الامور تمس القاص ـ من حيث الشخصية ـ من بعيد او قريب وتمس القصة من حيث كونها عملا ادبيا له اسس ثابتة . وانها تعمل على ابراز او طمس اسلوب القاص او تفكيره لانه هو نفسه واضع الخطوط الرئيسية للمشكلة والاحداث والنفسية والسلوك والحل ..

وفي ضوء ما تقدم نقول ان مجموعة « الحصان الاخضر » تفتقر كليا الى الاسس المارة الذكر . حيث انها ترتكز على خطأ فني كبير لا يغتفر ابدا .. وذلكم الخطأ هو « المشاركة في التجربة » . اذ نجد اكثر من اثنين من المؤلفين يشاركون في معالجة قصة واحدة .. ونرى ان شخصية واحدة تتناولها اقلام ثلاثة او توزعت على ثلاثة كتاب يختلفون في النفسية والسلوك والتفكير والسن والتجارب واخيرا في نظراتهم الى المشاكل والاحداث والمواقف والارتباطات الاجتماعية والاقتصادية وحلول القضايا التي تنطوي عليها قصصهم .. اذن . ما مصير قصة بين هؤلاء ؟ انه مصير اسود ولا شك . كما وانه اضاعة للاسلوب حتما . فهل نثق بعد هذا بتجاربهم وابطالهم ؟ بل بقصصهم ؟ نترك هذا الامر الى القراء والنقاد ...

وهناك ملاحظات على هذه المجموعة نوجزها فيما يلي :

اولا ـ ان اكثر موضوعات المجموعة اجتماعية الا انها تفتقر الى الصراع . والسبب فيما نرى هو جنوح المؤلفين الى التصوير في اكثر قصص المجموعة كما في « الحصان الاخضر » و « مطلوب في كل مكان » و « لص صغير ومطر » و « الى حيث وليمة العشاء » و « الكلاب الصغيرة » . والتصوير جاء مجردا لذا ضاع الصراع ..

ثانيا ـ يغلب على كل القصص التسجيل لكونها صورا فوتوغرافية .. والسبب هو اختلاط التجارب وذوبان شخصيات المؤلفين خلاله .

ثالثا ـ حاول المؤلفون خلق الاستجابة بالوان من التعاطف بين ابطال القصص والشخصيات الثانوية لكنهم فشلوا لاعتمادهم على عنصر « المفارقات » وجعلها وسائل الاستقطاب بين شخصيات القصص .

رابعا ـ اعتمدوا التقرير وسيلة للكشف عن المتناقضات في حياة الابطال .. وهذا سبب جديد يضاف الى اسباب فساد المجموعة . كما نرى ذلك في « متشرد في علوة مهجورة » حيث نجد ان السارق يوجه كلامه الى الجمهور قائلا « لِمَ لا تكفونعن مطاردتي أيهاالمجانين الحمقى.. انني لا احمل شيئا معي الان .. الم تكتفوا بكل هذا . لم تحاولون امساكي اذن ؟ هيا اتركوني واذهبوا الى منزلكم .. انها الحاجة .. حاجتي وعائلتي .. صدقوني دفعتني الى هذا الاتجاه » . لاشك ان هذا « الايضاح » لاسباب السرقة ـ مثلا ـ يعتبر وجهة نظر المؤلف لا المتشرد الامي..

خامسا ـ كان من الضروري من الوجهة الفنية جعل الحوار في بعض القصص باللهجة العامية لتوفير عنصرالتطابق بينالابطالومستوياتهم الذهنية واسلوبهم في التعبير ..

والان نحاول القاء نظرة اخيرة على القصص على التوالي ..

« الحصان الاخضر » ليست غير مجرد تصوير جامد الا ان المؤلفين حاولوا خلق موقف درامي خلال احاسيس طفلة صغيرة لكنها محاولة فاشلة ..

« متشرد في علوة » و « لص صغير ومطر » فكرتهما اجتماعية يغلب عليهما التصوير الفوتوغرافي المجرد والتقريرية .. وموضوعهما جبرية السرقة كحل لمشكلة الحاجة . واضح ان هذا الحل غير صحيح وغير انساني لاعدامه الثقة بالانسان في الوقت الذي ينبغي ان نؤمن بالانسان ... بطيبته وسلامة طواياه والتفاؤل بالحياة ... بالاضافة الى ان بطلي القصتين يشرحان دوافع السرقة كاي مصلح إجتماعي او مشرع ولا شك ان هذه الطريقة المباشرة للمعالجة او التعبير في القصة خطأ فني . اذ ليس البطل ـ في القصة ـ ملزما بشرح وتبرير دوافع سلوكه مهما تطلب الموقف ذلك ..

« مطلوب في كل مكان » قصة فنان اضاع الاحساس برابطتهبالحياة .. ولا ريب ان المضمون ينطوي على اتهام الفنان بالانطوائية والهروبية والتشاؤم بالاضافة الى كون التصوير جاء تافها . وكان يجب ان يكون عميقا ومؤثرا بحيث نرى انفسنا رفاق ومنقذي الفنان لكي لا يضيع . وبدا الفنان في هذه القصة فردا تافها ..

« عود ثقاب واحد » قصة تافهة جدا لانعدام الموضوع فيها ..

« الى حيث وليمة العشاء » مجرد تصوير محدود لرجل يرغب في تناول طعام دسم لحرمانه منه . اذ نراه يذهب الى منزل احد الناس ـ دون سابق معرفة ـ وهناك يلتقي بصبي وتجري بينهما محاورة ـ لا دلالة لها على شيء ـ ثم يعلم بان الوليمة قد انتهت . ماذا نجد في هذه القصة ؟ لا شيء على الاطلاق سوى ان الصبي اقحم فيها لابراز فكرة التعاطف ..

« البغي الخرساء » قصة جيدة من حيث الفكرة والتصوير الفني والاحساس بالصراع ـ في مدى محدود ـ وكذلك من حيث الشخصية المتميزة .. لكن « القاص » لم يجعل من حركات البغي الخرساءواشاراتها دلالة على عمق مأساتها خلال محاولتها التعبير عما يختلج في اعماقها وما كان يقابلها من سخرية واستهزاء الاخرين ..

« مأساة في سوق الغزل » قصة مأساة واقعية كتبت باسلوب السرد البسيط . وكانت جيدة التصوير ومحبوكة الا ان اجتماعية

المضمون طغت على الاسلوب مما ادت الى الاخلال بالتوازن بين الشكل والمضمون ..

« شخص تافه » بطلها اضحوكة بليد الاحساس .. ولم تكن خطواته الاخيرة منسجمة مع تكوينه النفسي والعقلي . تلك التي جاءت بمثابة احتجاج على قسوة المجتمع الذي اهمله خلال اهمال الناس له والاستهزاء به بالاضافة الى ضعف الدافع اليها .. وواضح ان مضمونا مثل هذا يتطلب التعمق في نفسية البطل والمضي في القصة ـ من حيث احداثها ـ خلال المتراكمات النفسية التي اضطر البطل الى قمعها لتنفجر في شكل يدعونا الى التجاوب معه لا الضحك عليه .. بان نعيد اليه خلال احساسه بمأساته ثقته بنفسه وادميته الضائعة ..

« لحظات مع الوحدة والضجر » قصة القلق والمثل والصراع بشكليه الاجتماعي والنفسي .. فالبطل لا يكاد يجد حلا لمشكلته لكن « القاص » يدفعه الى سلك سبيل صبياني « واخذت اركض واقفز هنا وهناك بدون مبالاة لاي شيء » الذي جاء كتنفيس عن شعور البطل المزدوج بمشكلته من جهة والصراع من جهة اخرى ..

« حيوان صغير » كانت مجرد صورة بدائية لحادثة تافهة اراد « القاص » ان يخلق منها جوا دراماتيكيا خلال النهاية ..

« رحيم وحماره » لا تختلف هذه القصة عن غيرها في اكثر نواحيها . فهي قبل كل شيء تفتقر ـ كصورة ـ الى الايحاء سوى ان البطل وحماره مرتبطان معا في عالم « العدم » ..

« لحظات صفراء » قصة ذات مسحة وجودية .. فالدافع بالنسبة الى البطل غامض او معدوم . لكنه يتصرف كما لو كان هناك تصميم سابق كل ذلك لان البطل يحس بوجوب التصرف الحر. كما يريده. ذلك لانه « حر » . ولانه هو بالذات يصنع لحظاته دون ان يشاركه الغير في هذا الخلق . سواء أكان هذا الغير انسانا او ظروفا . والا لكانت علاقاته بالاخرين ترتكز على القواعد الاجتماعية المألوفة والمتعارف عليها . لكننا نراه ينبذ تلك العلاقات لانها لا شيء في نظره بل لانها تخلق له وضعا يتسم بالحرية والانطلاق .. وكان مرضه او تمارضه بتعبير ادق ـ كوسيلة للتهرب ـ ينسجم مع لحظاته التي احس فيها بنفسه .. وبحريته .. وكان دلالة موضوعية على سلوك وجودي .. واثر هذا نراه يترك مقر عمله في الشركة بكل هدوء كما لو كان يتصرف تصرفا طبيعيا . وهو بهذا يقدم الدليل تلو الدليل على « كونه حرا وصانعا لنفسه ومسؤولا عن نفسه ». فيخرج ليجد نفسه مرة اخرى ويخلق كيانا جديدا في « الشارع حيث الضجيج الذي يصم الاذان » ... الواقع ان شخصية البطل جديدة على القصص المحلي . واضفى عليها الجمال والعمق حسن المعالجة . اذ اتت قوية . ايجابية موحية . والقصة بصورة عامة جيدة من حيث التصوير العميق والمضمون والحوار . ففيها العمق في التعبير والاحساس بالتجربة والصدق ..

« الكلاب الصغيرة » صورة جميلة لاطفال صغار .. يرغبون في امتلاك كلاب صغيرة .. واجمل منها تصوير محاولاتهم وفشلهم في آن واحد . وكان الحوار فيها مطابقا لمستوى الابطال الذهني وموحيا بالرغم من كونه جاء بالفصحى .. ولا ننسى كون شخصيات الابطال ايجابية مؤثرة منسجمة مع الاحداث والسلوك والتعبير ..

« ليلة فيها قمر ساطع » اراد « القاص » ان يخلق شيئا لكنه حاول ان يعالج الفكرة معالجة نفسية وعن طريق اسلوب « التداعي » غير انه قدم لنا صورة وصورة باهتة لبطله .. وكنا نحس ببرودة عواطف البطل بل بضبابيتها بالاضافة الى انعدام كل دلالة فيها . وانتهت القصة الى حيث « قمر ساطع وضوئه الساقط على القضبان » .

الخلاصة ان المجموعة فاشلة كما يتبين مما مر . وبقي ان نقول عن الاسلوب . انه كان ضعيفا لا يمكن الاعتماد عليه لانشاء القصص . والذي نرجوه من المؤلفين هو الكتابة مستقلين ليتبين للقراء اسلوبهم الحقيقي . اما كتابة القصص بهذه الطريقة ـ المشاركة في كتابة قصة واحدة ـ فليست سوى العبث ...

العراق ـ اربيل **عبد الصمد خانقاه**

بخـــارى

لصدر الدين عيني ـ قصة ـ ترجمة احمد ابو سعد ـ ٢٤٠ صفحة ـ سلسلة قصص انسانية ـ منشورات دار بيروت ـ مطبعة كرم بيروت

●

خير

تعريف بهذه القصة كلمة الاستاذ احمد ابو سعد التي قدم بها الكتاب الى القراء ننقلها فيما يلي :

بخارى هذه قصة من نوع ادب المذكرات ، يدون فيها الكاتب البخاري « صدر الدين عيني » ذكرياته ايام طلبه العلم في مدرسة « مير عرب » بمدينة بخارى الاسلامية الشهيرة في التاريخ .

والقصة بعد ليست تصويرا لحياة كاتبها بمقدار ما هي ايضا صورة لحياة سكان تلك المنطقة في برهة من الزمن يرجع تاريخها الى ما قبل سبعين عاما او ثمانين .

هذا وبرغم اللون المحلي الصارخ الذي تصل فيه الواقعية الى حد يجعل من القصة مرجعا امينا نادرا لاولئك الذين يتمنون ان يحصلوا على وثائق بتاريخ تلك المنطقة الاسلامية العريقة بثقافتها ، اقول برغم هذا اللون المحلي فان القصة تتجاوز حدود ادب تلك البلاد لتؤلف ـ وخصوصا بالنسبة الينا نحن العرب ـ لوحة حية ترسم لنا الوان تلك الحياة في ربوعنا ومظاهرها المختلفة في ما غبر من عصور الانحطاط .

ومن هنا اعتقد انه سيكون لهذه القصة فعل السحر في نفوس القراء العرب ! فلعمري اي قارىء عربي سيقرأ من « بخارى » هذه السطور يصور بها « عيني » مدرسة « مير عرب » والعيش في خلواتها ، ومنهج دروسها الاثري ، ومدرسيها ، وطريقة تدريسهم ، وكتب التدريس ثم لا يتمثل الحياة في مدارسنا القديمة قبل نصف قرن او اكثر ؟

بلى سيذكر ذلك كله . واحسب انه سوف تستبد به الذكرى ايضا عندما يقرأ « ابو الشوارب » و « الخسوف » و « العيد في فايزاباد » ثم يمشي مع المؤلف في دروب الريف ويخوض في ازقة المدينة مارا باحياء النحاسين والحياكين والصاغة وباعة الثمار ، سيذكر اناسا يعرفهم ، واحياء سكن فيها ، ونماذج من البشر لا يزالون يدبون بين ظهرانيه يصفهم « عيني » له وصفا حسيا واقعيا ، ويحركهم تحريكا طبيعيا حتى ليكاد القارىء يمد اليهم يده ليقبض عليهم ، ولا يصدق نفسه انه يقرأ عن اناس غرباء عنه او يتجول في مدينة ليست مدينته ، فلا يلبث ان يصرخ من الدهشة : ويحهم ! هذا فلان وذاك فلان وذلك فلان وتلك فلانة وهذه اخرى .

خلد « عيني » ! هذا هو الادب . فان القدرة والواقعية اللتين عرف هذا الرجل كيف يرسم بهما مجتمعه السابق جعلتا من عمله حدثا يتجاوز اطاره المحلي ليغدو قمة من قمم الادب العالمي .

* * *

هذا وان كان لنا من شيء نزيده فهو اعجابنا بترجمة الاستاذ ابوسعد الذي نفذ الى روح المؤلف واستطاع ان ينقل الينا ادق المشاعر واخفى اللفتات بلغة عربية صافية حافظ فيها على الاصل وراعى طريقة اللغة التي نقل هذا الاثر اليها .



ظهر حديثاً

● ديوان اليعقوبي ـ الجزء الاول لمحمد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة الادبية في النجف ـ مع مقدمة للشيخ محمد رضا الشبيبي ـ ٣٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة النعمان بالنجف العراق .

● الهلال ـ لشاعر الهند رابندرانات طاغور ـ ترجمة الدكتور بديع حقي ـ ٦٠ صفحة ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● كتاب البيان لمباحث الاخوان ـ تأليف ابو منصور اليماني الملقب « با لشادلي » ـ تقديم وتحقيق مصطفى غالب عضو مجمع الدراسات الاسماعيلية ـ ١١٢ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● نبض الوجدان ـ ديوان شعر ـ لحافظ جميل ـ مع مقدمة لمنير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي وتعريف لخالد الدرة ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ لوحة الغلاف بريشة فريدون مرتضى ـ الاطارات الداخلية ليحي جواد ـ الخط لكريم رفعت ـ مطبعة الرابطة ببغداد .

● تاريخ شيلي ـ تأليف اسماعيل فالدس فرغارا ـ ترجمة ماري عطاالله ـ مع مقدمة لجرجي نقولا باز ـ ومقدمة بالاسبانية لموسى موسى ـ ٤٥٨ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● ابتسامة ربيع ـ مجموعة شعرية ـ لكريم سيف الدين ـ جمعه وقدمه للنشر محمد عباس عبد الرحمن ـ ١١٣ صفحة ـ الغلاف بريشة عبد القادر ارناؤوط [لم يذكر اسم المطبعة] .

● حضارة في طريق الزوال : القرية اللبنانية ـ للدكتور انيس فريحة الجامعة الامريكية في بيروت ـ ٣٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات كلية العلوم والاداب بالجامعة الامريكية بيروت : الحلقة ٢٨ من سلسلة العلوم الشرقية ـ مطابع « الكريم » جونيه لبنان .

● نعمة الحياة : اجتماع ، ادب ـ لحسيب عبد الساتر استاذ الادب العربي في مدرسة الحكمة ـ ١٧٤ صفحة ـ الكتاب التاسع من سلسلة مطبوعات الشبيبة ـ منشورات الحكمة بيروت ـ مطبعة صادر بيروت .

● غيوب ـ مجموعة شعرية ـ لجورج رجي ـ ٩٦ صفحة ـ الغلاف والرسوم والعناوين بريشة بيار صادق ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● الغواني في شعر ابراهيم طوقان ـ للبدوي الملثم ـ مع مقدمة لشكري شعشاعه ـ ١٢٧ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت.

● التعليم والتربية في الولايات المتحدة ـ لميشال نعمة من حلقة الثريا ـ ١٣٣ صفحة ـ الكتاب الثامن من سلسلة مطبوعات الشبيبة ـ منشورات الحكمة بيروت ـ مطبعة صادر بيروت .

● اثنان + صفر = ثلاثة ـ قصة ـ لنهاد رضا ـ ١٦٤ صفحة ـ مطبعة الشرق بحلب سورية .

● الامس الضائع ـ مجموعة شعرية ـ لحسن عبد الله القرشي ـ مع مقدمة لطه حسين ـ ١٥٩ صفحة ـ مزين باللوحات الفنية ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● لوركا قيثارة غرناطة ـ مسرحية لشاعر اسبانيا الشهيد لوركا مع مختارات من شعره وتحليل لاهم اثاره للكاتب س.م. بورا والرسام الاسباني كريكوريو مع نماذج من رسومه ـ ترجمة كاظم جواد وسلافة حجاوي ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● ايديولوجية عربية جديدة ـ لمصطفى عبد اللطيف السحرتي ـ ١٨٦ صفحة ـ منشورات البعث الجديد ـ دار الطباعة الحديثة [؟]

● اغاني المدينة الميتة وقصائد اخرى ـ مجموعة شعرية ـ لبلند الحيدري ـ ٨٨ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة جواد سليم ـ مطبعة شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد .

● الجزر الخضراء « هندونيسيا » ـ لحبيب جاماتي ـ ١٦٠ صفحة ـ الكتاب ١٧٣ من سلسلة اقرأ ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● فارس بني عبس ـ لحسن عبدالله القرشي ـ مع مقدمة للدكتور عبد الوهاب عزام ـ ١٣١ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار المعارف بمصر

● رباعيات قدس نخعي او خيام القرن العشرين ـ ترجمها عن الفارسية شعرا مهدى جاسم ـ ٣٠٠ صفحة تقريبا ـ مزين بعدة لوحات فنية ـ يضم الكتاب النص الفارسي ـ نشر وطبع Mouton et Co. — The Hague — Holland

● قاطع الطريق ـ قصيدة طويلة من الشعر الحر ـ لعبد الرزاق حسين ـ ١٤ صفحة ـ مطبعة الاديب بالبصرة العراق .

● المجزرة الاولى ـ مسرحية تمثيلية ـ للاب يوسف سعيد ـ ٣٨ صفحة ـ مطبعة الشمال بكركوك العراق .

● النجدة ... الشعب الجزائري يباد ـ لمالك بن نبي ـ ٣٢ صفحة منشورات المكتبة الاهلية بطرابلس الغرب بليبيا ـ المطبعة العالميةبالقاهرة.

● الشعر العربي في المهجر : امريكا الشمالية ـ للدكتور احسان عباس جامعة الخرطوم والدكتور محمد يوسف نجم الجامعة الامريكية بيروت ـ ٢٩٢ صفحة حجم كبير ـ منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت .

● ان !... والاخريات ـ مجموعة شعرية ـ لفازي الكيلاني ـ مع مقدمة للسيدة سعاد محمد عضو مدرسة الادب الفرنسي بكلية الاداب والعلوم ببغداد ـ لوحة الغلاف بريشة يحي الخطاط ـ ١٢٢ صفحة ـ مطابع الشركة الشرقية ببغداد .

● كنت في اجازة ـ مسرحية ضاحكة ـ لعبد الرؤوف عابدينالخانجي ـ ٧٢ صفحة ـ مطبعة مصر بالخرطوم السودان .

● اراء توماس جيفرسون الحية ـ لجون ديوي ـ ترجمة محمود يوسف زايد ـ مراجعة الدكتور جبرائيل جبور ـ قدم له الدكتور نبيه فارس ـ ٢٦٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات دار الثقافة بيروت ـ مطابع دار الكشاف ببيروت.

● نادية ـ قصة ـ تأليف ليلى عبد القادر ـ ١٢٦ صفحة ـ مطبعة المتنبي [؟]

● مسقط وعمان السلطنة المجهولة ـ لعبد الرزاق الخالدي ـ ٧٢ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة كابي عشي ـ مطبعة العرفانبصيدا لبنان.

● الاطمئنان النفسي ـ للدكتور ابو مدين الشافعي ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ دار الفتوح للطباعة بالقاهرة .

● نفسية الطفل ـ للدكتور ابو مدين الشافعي ـ ١٤٤ صفحة ـ دار الفتوح للطباعة بالقاهرة .

● دستور الام : طفلك في عامه الاول ـ للدكتور بنجامين سبوك ـ ترجمة محمد المعلم ـ تقديم ومراجعة الدكتور احسان عوض ـ ٣٧٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد تابع العمل بدون كلل في أطروحة الليسانس التي سعى ان يلقي فيها الضوء على قسم من الرياضيات لا يزال مجهولا ـ قسم افضل تقارب في حقل المركبات . وبامكان المرء ان يشعر في كل مكان بشخصية مرغيليان الخلاقة وبنبوغه وجلده : فقد انجز اطروحته في ١٠ اشهر في حين ان المدة النظامية هي ٣سنوات. وفي ذلك العصر كان قد اصبح معروفابوصفه واضع ٩ اعمال علمية .

ان يوم ١٧ فبراير ١٩٤٩ سيبقى الى الابد في ذاكرة سيرج مرغيليان ... فقد عقدت حينذاك جلسة المجلس العلمي لمعهدستيكلوف برئاسة ا. بتروفسكي . وكان مرغيليان يقدم اطروحته ، ويتحدث باطمئنان ووضوح .

وعندما سكت مرغيليان وغادر المنصة خيم على القاعة صمت عميق . وكان الاكاديمي م. لافرنتييف اول المتكلمين فقال :

ـ ان الاطروحة تعمم الموضوع بصورة نهائية . وهذه الاطروحة ذات اهمية قصوى ، وهي قد اتت بكثير من العناصر الجديدة في علم الرياضيات المعاصر . وبالنظر الى مغزى الاطروحة الرائع اقترح اعطاء سيرج نيكيتوفيتش مرغيليان لقب دكتور في العلوم الفيزيائية ـ الرياضية راسا لا درجة مجاز (ليسانسييه) ..

وغمر التصفيق العبارات الاخيرة التي لفظها الاكادمي . وايد المعارضون العلميون الذين تحدثوا فيما بعد اقتراح م. لافرنتييف باجماع اصواتهم الاربعة عشر .

وهكذا عاد حائز لقب الدكتوراه الذي لم يتجاوز العشرين من عمره الى موطنه يريفان واصبح بروفسورا في الجامعة التي كان فيها منذ أمد قريب مجرد طالب .

ومنذ ذلك الحين كرس الفتى جميع مواهبه ومعارفه لقضية هامة جدا من قضايا الرياضيات الخاصة ، ولكنها قضية لم تدرس كفاية ـ وهي تتعلق بمسائل نظرية الوظائف البناءة . وفي الوقت نفسه عمل في ميدان الرياضيات المرتبط بمسائل الطيران وحركة الغازات .وهو يحلم باستخدام معارفه في حل مسائل الاقتصاد الوطني التي من شانها ان تساهم في صناعة الات تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ليس سيرج مرغيليان عالما جافا منغمسا في العلم كليا . فهو من كبار هواة الرياضة ومن كبار العارفين بالادب والموسيقى والمسرح واللغات الاجنبية.وقد زار العديد من البلدان الاجنبية بوصفه عضوا في وفود من الشباب السوفياتي . وقد اتيح له ان يتكلم امام العلماء في براغ وفيينا ، وامام طلبة بوخارست

وفي عام ١٩٥٣ وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره انتخب بروفسور جامعة

في كلمات ...

● صرح الدكتور جون هيلر كبير الخبراء في مرض السرطان في الولايات المتحدة بان رجلا مدمنا على التدخين وفي الخامسة والاربعين من العمر يواجه احتمال موته بسرطان الرئة كاحتمال موته بحادث سيارة .

وقال الدكتور هيلر الذي يشغل منصب مدير مؤسسة السرطان في دائرة الصحة العامة في الولايات المتحدة ، ان ٢٥٠،٠٠٠ اميركي يلاقون حتفهم بسبب سرطان الرئة في كل سنة ، وهي نسبة تزيد قليلا عن نسبة واحد بالمئة من اسباب الوفاة الاخرى .

● صرح البروفسور هاري غرين رئيس قسم الاسنان في كلية الطب في جامعة يال بانه ليس للتدخين علاقة مباشرة بالسرطان الرئوي وان ما قيل عن ذلك لا يقوم على اساس علمي .

● اعلن الدكتور لوبيز كردوزو الاخصائي في داء السرطان في جامعة ليدن بهولنده ، في بروكسل ان في وسع الشخص العادي ان يدخن ٢٥ غليونا في الهواء الطلق في الارياف دون ان يتعرض لاي خطر غير ان التدخين في غرفة محصورة او جو فاسد الهواء « يشكل خطرا على بعض الاشخاص ». وقال لا شك في ان ثمة علاقة بين سرطان الرئة والاكثار من التدخين .

● اعلن احد العلماء الاميركيين البارزين الذين يجرون ابحاثا في مرض السرطان انه سيستمر في التدخين لانه ، كما يقول ليس هناك اي دليل حاسم على ان التدخين يسبب سرطان الرئة .

وقال هذا العالم انه سيستمر في التدخين حتى تتوقف شركات التبغ عن الانتاج .

● نشر الدكتور ارنست ماينذر بحثا علميا عن امكانية صنع سجائر سليمة لا تسبب السرطان جاء فيه :

من المؤكد ان صنع سجائر سليمة لا تسبب السرطان امر ممكن وذلك باستعمال مصفاة فعالة وتبغ صالح وصنع مثل هذه السيجارة يجعل المدخن مطمئنا الى تدخين سيجارة لا ضرر فيها . ويقول الدكتور واينذر ان بعض شركات التبغ الاميركية قد انتجت سجائر ذات مصفاة تحتوي من المادة اللزجة التي يؤكد انها تسبب السرطان اكثر مما تحتويه السجائر التي لا مصافي (فلتر) لها. وان المصفاة الفعالة التي اقترحها تزيل من السجائر ٤٠ بالمئة على الاقل من المادة اللزجة والنيكوتين .

ويورد الدكتور واينذر نقطتين هامتين في بحثه :

النقطة الاولى : ضرورة تخفيض درجة الحرارة التي تحترق بها السيجارة اذ ان المواد التي تسبب السرطان تزول عندما يحترق التبغ بحرارة ٦٢٠ درجة فهرنهايت او اقل ، فالحرارة التي تحترق فيها السجائر الان هي ٨٨٠ درجة .

النقطة الثانية : تنظيف اوراق التبغ لازالة طبقة الشمع التي هي مصدر رئيسي لاغلبية المواد في السجائر التي تسبب السرطان .

● تنبأ اثنان من علماء الابحاث الاميركيين عن اكتشاف عقاقير كيماوية تشفي من السرطان في مدى « حياة الجيل الحالي » . فقد نشر العالمان الطبيبان مقالا في المجلة الاسبوعية التي تصدرها الجمعية الكيماوية الاميركية قالا فيه ان التجارب المخبرية الحالية التي تجمع بين العلاج بالعقاقير الكيماوية ومبضع الجراح قد نجحت في شفاء من ٧٠ الى ١٠٠ في المئة من الحيوانات المصابة باورام سرطانية كبيرة وصغيرة .

● اكتشف الدكتور دانيال مورتون وسيلة جديدة لاكتشاف سرطان الرحم وتبين بعد اختبارها نجاحها في ٩٠ بالمئة من الحالات .

والطريقة الجديدة عبارة عن حقن محلول من الملح في تجويف الرحم ، ثم سحبه ثانية واختباره بالميكروسكوب الذي يمكن بواسطته التاكد من وجود خلايا السرطان في الرحم

يريفان الشاب عضوا مراسلا في اكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي . وفي ذلك الوقت كان قد اصبح مؤلف سلسلة من المؤلفات الجدية الاصيلة في ميدان الرياضيات العالية والطيران وقد حازت محاضراته العرضية في جامعة « لومونوسوف » في موسكو التابعة للدولة ، وكذلك تقاريره في الجمعية الوطنية للرياضيات وفي معهد « ستيكلوف » للرياضيات التابع لاكادمية علوم الاتحاد السوفياتي .

وفي عام ١٩٥٥ دعي مرغيليان للتدريس في جامعة موسكو في كرسي الرياضيات العليا . فقبل هذه الدعوة بطيبة خاطر ، ولكنه اراد ان يظل استاذا في جامعة يريفان في الوقت نفسه

و س . مرغيليان هو الان مدير المعهد الفيزيائي ـ الرياضي في اكادمية علوم ارمينيا واستاذ في جامعة « لومونوسوف » بموسكو .

ان طراز حياة هذا العالم البارز وجلده يمكن ان يصبحا مثالا رائعا لقوة الشكيمة وللامانة للعلم .

من عدمه . وهذه الطريقة كانت السبب في اكتشاف كثير من الحالات التي عجز الطب عن تشخيصها ، والتي تبين ان سببها هو سرطان الرحم . ومن مزايا هذه الطريقة الجديدة ، معرفة سرطان الرحم في وقت مبكر وبالتالي يصبح في الامكان علاجه قبل فوات الاوان .

● توصل العلماء الروس في معهد خاركوف للعقاقير الطبية الى انتاج نوع من الاقراص لعلاج ضغط الدم .

وقد بدأت مصانع الادوية في انتاج كميات ضخمة من هذه الاقراص وينتظر ان تنتج المصانع ١٠٠ الف زجاجة قبل نهاية هذا العام .

● صرح اربعة من اطباء الابحاث في مستشفى هوبارت الملكي انهم يعتقدون انهم سبقوا الاطباء الاميركيين في محاولة انتاج مصل يستطيع ان يذيب التجمدات الدموية ويساعد المصابين بالنوبات القلبية . وقالوا ان تجربة هذا المصل المستخرج في جوهره من الدم البشري قد جرت في بريطانيا على بعض الاشخاص والحيوانات . وعلم ايضا ان الاطباء يأملون ان ينجح هذا المصل في شفاء بعض حالات العمى المفاجيء .

● تجري دائرة الصحة في الكونغو البلجيكي بالاشتراك مع الدكتور هيلاني كوبروفسكي بمعهد ريستار بمدينة فيلادلفيا تجارب على لقاح ضد مرض البوليو (شلل الاطفال) ، يتكون من فصائل حية من الفيروس ، على حيوانات الشيمبانزي . والغرض من هذه التجارب تقرير الحد الادنى للكمية التي يجب ان يحقن بها الشخص من الفيروس الحي لوقايته من المرض . والمعلوم ان لقاح سولك لا يحتوي الا على فيروسات ميتة .

● نجح ثلاثة من الاطباء الاخصائيين الامريكيين في علاج ٥٥ مريضا بالاينيميا الحادة وذلك بوضع مقادير من فيتامين ـ ب ١٢ ـ في انف المريض بدلا من استعمالها حقنا . وينتظر ان تعمم الطريقة الجديدة لقلة نفقاتها ولان استعمالها لا يسبب للمريض ما يسببه العلاج بالحقن من الضيق .

● أعلن مدير مصلحة الصحة العامة في الولايات المتحدة نبأ اكتشاف لقاح فعال ضد داء الانفلونزا وان كميات كبيرة منه ستنزل الى الاسواق قريبا .

وقال الدكتور بورني احد كبار الاطباء بان مصلحة الصحة العامة تعمل بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية في هذا الحقل وقال ايضا ان المصانع الاميركية بدأت بصنع اللقاح وسوف يكون لديها منه ما لا يقل عن ٦٠ مليون جرعة في اخر فبراير المقبل .

● تقول المصادر الطبية ان عدد المصابين بالسل في المانيا الغربية يبلغ ٢٥٠،٠٠٠ شخص من مجموع ٥٠ مليون نسمة هم سكان البلاد ، وان عدد الاشخاص الذين تحكم فيهم الداء بلغ ١٠٠،٠٠٠ نسمة . وتقول هذه المصادر ان معدل الوفيات نتيجة للداء اخذ في الانخفاض اذ انه اقل من اثنين في كل عشرة الاف وان السل فقد دوره كوباء يبعث الفزع .

● استطاع الطبيب البريطاني الدكتور اندريه دجورنو ان يجري عملية تعتبر من اجرأ واخطر واعجب عمليات الطب الحديث فقد استطاع ان يعيد السمع الى انسان اطرش تمزقت طبلة اذنه بان ادخل في رأسه وتحت غطاء الجمجمة آلة راديو تدعى بالفحمة الحساسة واوصلها بعصبة وعضلة ضمن رأس الرجل والصق على صدغه فحمة ثانية متصلة بمولد كهربائي منخفض التيار ولكنه يستطيع أن يحول الامواج الصوتية الى نبضات كهربائية تتصل بالفحمة الداخلية التي تقوم مقام الاذن عند الاطرش .

● في انباء لندن ان ٢٠٠ اختصاصي من بريطانيا واميركا والمانيا وبعض بلدان اوروبا يعقدون حاليا مؤتمرا للبحث في اسباب الصلع وفي امكانية انبات الشعر مجددا والاسئلة المطلوب من الاختصاصيين الاجابة عليها هي :

اولا ـ لماذا يسقط الشعر في البلدان التي يعيش سكانها في الهواء الطلق ؟

ثانيا ـ لماذا ينبت الشعر فوق اذان الاشخاص في الوقت الذي يسقط فيه شعر رؤوسهم ؟

ثالثا ـ هل الصلع وراثي ؟

وبالرغم من ان الاطباء يؤكدون ان مؤتمرهم ان ينتهي الى نتائج سريعة فانهم يؤكدون ان مكافحة الصلع باتت امرا ممكنا .

ومما يدخل الفرح الى نفوس الصلع تأكيد الطبيب الاميركي هاملتون بان هناك علاقة بين الصلع وحيوية الرجل ويؤكد الطبيب هاملتون ، ان الرجل القوي هو الرجل المعرض للصلع اكثر من غيره .

● توصلت مؤسسة مختبرات التجارب لحفظ الاطعمة في شيكاغو الى اعداد برشامات من الاطعمة لها نفس الفعل الغذي للطعام الذي صنعت منه . ولكنها تخدم مدة اطول من الاطعمة الاصلية . ويحفظ اللحم مثلا في انبوب صغير من البلاستيك ويكون جاهزا للاكل ولكن دون ان يمضغ وتحضر الجبنة على شكل برشامة والحبوب على شكل قطعة صغيرة.

وقد اتقن الخبراء صنع هذه الخلاصة من الاطعمة المجمدة لكي يستعملها الطيارون في طبقات الجو العليا . وينتظر ان تتمكن الصناعات المدنية من تحضير برشامات شهية ومغذية من الاطعمة بأثمان رخيصة .

● اعلن معهد الابحاث بجامعة مينز بالمانيا الغربية انه قد اكتشف ان بذرة الكاكاو التي تصنع منها الشوكولا وكل منتجات الكاكاو الاخرى تحتوي على مواد كيماوية تمنع تآكل الاسنان وتمنع عدم نموها وتقويها وتجملها . وقد اعلن المعهد انه توصل الى هذه النتيجة بعد اجراء كثير من التجارب على مختلف الحيوانات .

● يقوم علماء جامعة كاليفورنيا في بركلي بدراسة حشرات ما تزال محفوظة داخل قطع صغيرة من العنبر منذ ثلاثين مليون سنة . ويعتقد العلماء ان هذه الحشرات علقت في بعض الصمغ الذي تحول على مر السنين الى عنبر . وقد استطاع العلماء حتى الان تحديد حوالى ٧٥ نوعا من هذه الحشرات التي يعود زمانها الى ما قبل التاريخ وهذه الدراسة هامة جدا للابحاث الخاصة بدراسة الاحوال الجوية وانواع النباة والحياة التي كانت موجودة على سطح الارض منذ ثلاثين مليون سنة .

● زعمت امراة يابانية تبلغ من العمر ٤٠ سنة ، كانت ضحية القنبلة الذرية التي القيت على مدينة هيروشيما اليابانية عام ١٩٤٥ ان مياه احد الينابيع الحارة في شيماني الواقعة في غرب اليابان قد شفتها من الامراض التي

صدر حديثا :

ازمة الشرق الاوسط

لفاي ونت وبيتر غالفوكوريسي

الكتاب الذي احدث ظهوره ضجة عالمية . انه كتاب الساعة الذي يعالج قضايانا موضوعيا

منشورات عويدات

ص.ب ٦٢٨ بيروت



طائرات

Super DC6

التابعة

للخطوط الجوية اللبنانية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصل أوربا وإفريقيا

بجميع بلدان الشرق الأدنى

الخطوط الجوية اللبنانية

درجة أولى
درجة سياحية

AIR LIBAN

الت بها من جراء الاشعاعات الناجمة عن القنبلة وقالت انها بعد ان استحمت في مياه نبع يونوزو المعدنية مدة ثلاثة اسابيع متواصلة اكتشفت هبوطا في ضغط الدم ، ووجدت ان اثار البقع التي كانت منتشرة في جميع انحاء جسمها قد زالت .

● اعلنت مصلحة الصحة العامة الامريكية في بيان اصدرته انها اخترعت الة خاصة تستطيع وتسهل اكتشاف سرطان الاوتيروس (الرحم) ، وتستطيع هذه الالة اكتشاف الخلايا الغير عادية .

● « تجاوز العلم الدور الذي كان فيه يتساءل الانسان عما اذا كان بالامكان التوصل الى الشفاء من السرطان بالمركبات الكيماوية ، اذ اصبح في مقدور الاطباء اليوم ، ان يستخدموا عددا من هذه الادوية والمركبات الكيماوية لمعالجة بعض انواع السرطانات بنجاح تام وذلك خلال فترة من الزمان تمتد من بضعة اسابيع الى عدة اشهر » . هذا ما اعلنه الدكتور سدني فاربر رئيس قسم الابحاث العلمية في معهد الابحاث عن سرطان الاطفال . وقد اطلع الدكتور فاربر زملاءه الاطباء ان هنالك اليوم نحو ٢٥ الف مركب كيماوي قيد التجربة والاختبار للكشف عما يخفيه كل واحد منها من قوة وفعالية وتاثير على السرطان . على ان هذا البرنامج ما زال في بدء مراحله

● تمكن العلماء في اميركا من استنباط الة جديدة تستطيع فحص ٦٠ عينة من الدم في ساعة واحدة وهي عملية يقتضي لها نهارا بكامله يقوم بها خبير متمكن . والالة الجديدة تسمى « المحلل الذاتي » (اوتو انا لايزر) اخترعته شركة تشونسي التكنية في نيويورك. والقسم الاساسي في هذا الجهاز الجديد هو عبارة عن مطياف تصوير كهربائي لالوان الدم في العينة المعروضة . فتسجل حجرة التصوير الفارق بين عينة دم واخرى وترسمه على لوحة بخط احمر .

● ستستخدم قريبا سلطات الطاقة الذرية في هارول البريطانية دماغا اليا جديدا يستطيع ان يحل العمليات المختلفة بمعدل يعتبر خمسين مرة اسرع من أية الة حاسبة اخرى صنعت حتى الان في اوروبا الغربية . وسيستخدم في ميدان الابحاث الخاصة برقابة الصواريخ ولحل عمليات التنبؤ بالاحوال الجوية والاعمال الهندسية المتعلقة بالابحاث الذرية ووضع تصاميم الطائرات وقد جاء نتيجة لجهود علمية تواصلت خلال ثلاثة اعوام .

● اكتشف المهندس المصري سميح عافيه وجود مواد ذرية في جنوبي السودان ، ورفع تقريرا الى الجهات المسؤولة في الحكومة السودانية . وكان المهندس المصري معارا من مصلحة المناجم المصرية للحكومة السودانية ، وهو من خبراء المواد الذرية والكشف عنها .

● بدات اعمال التنقيب عن الاورانيوم في الاردن . وقال السيد انور ملحس ، الذي اعطى امتياز هذا التنقيب ، ان البحث بدا في منطقة وادي عربه وان الدلائل تشير الى وجود كميات كبيرة من الاورانيوم .

● اعلن رئيس الوزارة البريطانية المستر هارولد مكميلان انه سيكون لدى بريطانيا جهاز جديد لتطور الابحاث الذرية وللاسراع في عملية تفكك المواد الذرية وتبلغ نفقات هذا الجهاز الجديد ٧ ملايين استرلينية . ولقد تم الاتفاق على صنع هذا الجهاز كما ان سلطات الطاقة الذرية في هارويل وافقت ان يكون مقره على مقربة من مركزها في هارويل .

● تحدث السر كلود جيب في لندن فقال : ان ما يزيد على الف شركة بريطانية قررت التعاون في قضية بناء مصنع ذري عظيم في برادويل من اعمال اسكس لتوليد الطاقة الذرية . وسيتم انجاز هذا المشروع حول عام ١٩٦٠ وتبلغ نفقات انشائه ما يزيد على ٤٤٠ مليون استرلينية . وسيكون بامكانه انتاج ٣٠٠ ميغاواط اي ثلاثة ملايين واط من الطاقة الكهربائية وهذا ما يعادل ثلاث مرات انتاج محطة كالدرهول الحالية . وستتضافر جهود الشركات الصناعية الكبرى في هذا الميدان للافادة من خبرتها المشتركة فيما يتعلق بصناعة العلوم الذرية .

● وضع مهندسان يعملان في شركة بل لصنع الطائرات جهازا الكترونيا جديدا سمياه « اسمع نورا » يستطيع العميان بواسطة موجاته الصوتية ان يروا امامهم . والبطارية الالكترونية التي يستعملها الجهاز تشبه قلم الحبر يتصل بسلك ناعم بسماعة مركزة في فتحة الاذن . ويحمل القلم حجيرة ضوئية رهيفة الاحساس وذبذابا كهربائيا ينقلان الى الاذن صوتا سويا تشتد حدته ويزداد توتره باشتداد النور الذي يتاثر به .

وهذا التغيير في شدة الصوت يمكن حامل الجهاز من التعرف الى الانوار وفقا لقوتها بحيث يستطيع ان يميز بين الاشياء . ففي تجربت اجريت على احد العميان بالجهاز المذكور استطاع ان يميز بين الملح والبهاروذلك عن طريق الموجة الصوتية التي يبعثها النور في الوعاء الزجاجي .

وفي نية مخترعي الجهاز الجديد ، وهما الدكتور برونغ والدكتور بيلنجر ، ان يعرضاه للبيع في الاسواق بغير ربح بنية المساعدة على رواجه وتشجيع اكبر عدد ممكن من المكفوفين على الاستفادة منه . ومن المظنون ان لا يزيد ثمن الجهاز الواحد على ٢٠ دولارا .

● تنبأ ثلاثة من المهندسين الكيماويين الذريين بامكان تركيب الافران الذرية في طبقات المنازل السفلى واستخدامها لتامين التدفئة اللازمة لها في فصل الشتاء . وهم يرون كذلك امكان استخدام هذه الافران الذرية لتكييف الهواء وتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة لانارة المنزل وادارة الاجهزة الكهربائية فيه. ويؤكد الدكتور لوبس مدين ، رئيس القسم التكنولوجي الكيماوي الذري التابع لشركة الكو ان العمل جار لتحسين تكنولوجية هذه الافران بغية تخفيض نفقاتها الضخمة .

● صرح عالم نووي بانه تم التقاط ذرة تحتوي على طاقة تبلغ عشرة اضعاف ماتحتويه الذرة في قنبلة ذرية متفجرة . وقد تم الاكتشاف في تجربة بريطانية ـ اميركية مشتركة تعاونت فيها جامعة مينيزوتا مع جامعة بريستول البريطانية . وقال العالم وهو البروفسور ادوارد ني من جامعة مينيزوتا ان الذرة سجلت على كومة من الصفائح الفوتوغرافية بلغ ثمنها ١٨ الف دولار .

وقدر الدكتور ما في طاقة الذرة المذكورة بنحو الف مليون مليون فولت الكتروني . وكانت اكبر نسبة للطاقة شحنت بها اجهزة السرعة التي صنعها الانسان حتى الان قد بلغت ستة الاف مليون فولت الكتروني .

● منذ ثلاث سنوات ، اي في ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، بدا المركز الذري السوفياتي ، الاول من نوعه في العالم الذي دشن عهدا جديدا في تاريخ التكنيك ، بانتاج التيار . وان تجهيزات المركز الذري ،التي اوجدها العلماء والمهندسون والعمال السوفياتيون ، قد برهنت بسطوع على جدارتها ، خلال ثلاث سنوات من الاستثمار الصناعي . ان اي عنصر من الاورانيوم الذي يولد الحرارة لم يتوقف عن العمل ، كما لم توجد حالة واحدة هددت فيها السلامة البيولوجية . وان العاملين في المركز ، الذين ما يزالون في بداية الطريق ، لم يكتفوا بهضم التجهيزات المعقدة على خير ما يرام ، بل توصلوا ايضا الى تمديد مدة استعمال اصابع الاورانيوم والى استخدامها استخداما اكمل.

ان التجربة التي اكتسبت لدى وضع تصميم اول مركز ذري في العالم ، ولدى بنائه واستثماره تطبق على مدى واسع في المراكز الجديدة التي يجري بناؤها في الاتحاد

السوفياتي .

● أعلنت البحرية الاميركية انها ستستخدم « عقلا الكترونيا » مصنوعا بشكل خاص لنقل المعلومات الى الارض من الصواريخ التي يجري اختبارها الان لتكون اداة لحمل الكواكب الاصطناعية في السنة الطبيعية الجغرافية الدولية . ويستطيع « العقل الالكتروني » الذي يعمل على اساس مبادىء العداد السريع ، تزويد العلماء بتفاصيل نهائية عن صواريخ التجارب خلال ٧٢ ساعة من اطلاقها .

● وقع جميع العلماء المشتركين في المؤتمر الدولي الثالث في طوكيو لمحاربة استعمال القنابل الذرية والهيدروجينية بيانا كان قد اعده العلماء في بوغواش بكندا في مطلع شهر يوليو وجاء فيه ان الحرب بالاسلحة الذرية ستؤدي الى الدمار التام

● يقترح الدكتور ستيوارت تشرشل احد اساتذة جامعة ميشيغان استخدام الاشعاعات الذرية لتعجيل عملية احتراق الوقود في محركات الطائرات ، بعد ان لاحظ ان اشعة « بيتا » التي يبثها الذهب المشع احد النظائر الذرية المشعة ، تزيد سرعة احتراق الوقود المستعمل في الطائرات بنسبة ٥٠ في المائة . وهذا الاكتشاف من شأنه ان يساعد على صنع محركات ادق حجما واصغر من المحركات المستعملة في الطيران اليوم لها بفضل الاشعاعات الذرية فعالية اكبر من فعالية المحركات الضخمة وبالتالي يزيد من طاقتها على الارتفاع . ويقول تشرشل ان الاشعاعات المنطلقة من نظائر الذهب تحدث في الوقود تأثيرا كيماويا يجعلها اسهل على الاحتراق بسرعة .

● يصنعون في الولايات المتحدة اليوم اسلاكا زجاجية تستطيع ان تتحمل درجة حرارة تبلغ ٥٠٠٠ فهرنهايت او ٢٧٦٠ درجة مئوية واكثر من ذلك ، بحيث يمكن استعمالها في الطائرات النافورية . وليس من يجهل الحاجة الشديدة الى مثل هذه المواد لمقاومة الحاجز الحراري الذي يعترض انطلاق الطائرات الصاروخية السريعة في الفضاء . وهذه الاسلاك تتكون من اخلاط معينة من الاوكسيدات والمعادن الاخرى المعروفة بطاقتها الكبيرة لتحمل الحرارة العالية .

● أعلنت لجنة شركة النفط في ليبيا عن ظهور النفط والغاز الطبيعي في ليبيا بعد ان حفرت شركة اسو ستاندرد هنالك بئرا وصل عمقها الى ١١١٧ قدما وظهر فيها النفط والغاز الطبيعي . وستواصل الشركة عمليات التنقيب بصورة اكثر عمقا املا بايجاد كميات اكبر واغزر من هذه المادة .

● استطاعت شركة سترمبورغ كارلسن احد فروع شركة جنرال ديناميكس من استنباط جهاز ارسال جديد تستطيع معه الطائرات تزويد محطات الرصد القائمة على الارض باصدق المعلومات وادقها حول الظروف التي تحيط بالطائرة من طقس وحرارة ومكان وزمان . ولا يطلب من ربان الطائرة سوى برم زر ليجري نقل هذه المعلومات بصورة اوتوماتيكية ، فيدلي باسم الطائرة ورقمها والمكان المسافرة منه والمكان المتجهة اليه والوقت اللازم لبلوغه ومكانها في الجو وارتفاعها فيه وسرعتها وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

● أعلنت شركة « بندكس » للطيران انها ستقوم قريبا بصنع جهاز للاملاحة البعيدة المدى يهدف الى تزويد الطائرات التي تعبر المحيطات بمسالك جوية الكترونية . وهذا الجهاز يرسم تلقائيا وبدقة الطريق الذي يجب ان تسلكه الطائرة او السفينة ، ويدل الطيار او القبطان عن مكان طائرته او سفينته بالضبط وعن المكان الذي كانت فيه ، وما اذا كانت سائرة في الاتجاه المطلوب .

● سيقام مصنع جديد لتكرير المياه المالحة والاسنة في طبرق لتموين المكان بمياه الشرب العذبة . وقد تقرر انشاؤه بسبب قلة نفقاته لان جميع الوسائل التي استخدمت حتى الان هنالك كانت باهظة الاكلاف وبينها التبخير والتقطير . وسيجري شحن جميع اجزاء المعمل المذكور من بريطانيا الى ليبيا قريبا .

● أعلنت الحكومة السوفياتية ان علماء الارض قد اكتشفوا تخزينات هائلة وجديدة من الحديد الخام في جمهورية كازاخستان .

● ذكر باحثو وزارة الزراعة الاميركية انهم وجدوا طريقة جديدة لصنع الصوف الذي لا ينكمش . وقد تمت تجربة الصوف الجديد في صنع الجوارب والبلوفرات ، فلم تزد نسبة التقلص فيها عن ٥ في المئة ، واقل من ذلك في المنتجات الصوفية الرخوة . وقد توصل الباحثون الى هذه النتيجة بتغشية الغزل بالاراتنج (صمغ الصنوبر) ، بحيث لا يضاف الى ثمن المواد المصنوعة منه سوى قدر زهيد .

● صرح الدكتور روبرت باسيس احد اساتذة كلية الطب في جامعة نيويورك بان احد املاح معدن اليورانيوم قد يؤدي الى قتل السرطان وذلك بجعل ذرات هذا الملح تنفجر داخل خلايا السرطان بواسطة توجيه تيار خفيف من الذرات عليها . وتسمى هذه المادة اورانيل بروتوبورفيرين وهي مصنوعة من اليورانيوم ومادة كيماوية حيوية هي البروتوبورفيرين وهي اساس الهيموغلوبين وهو المادة التي تحمل الاكسوجين في الدم .

● اكتشف الدكتور ليونارد ريفل رئيس الابحاث الطبيعية في مؤسسة ارمر للتجارب الة تصوير باشعة اكس اصغر من عود الكبريت . وقد اختبرت هذه الالة التي ما زالت في المرحلة التجريبية ، في التطبيقات الصناعية . وهي تعتمد على النظائر المشعة لتوليد قوتها الكهربائية . ويمكن حمل الجهاز الصغير المولد للاشعاعات الكهربائية في حقيبة الطبيب لاخذ صور للاجزاء المعطوبة ، عن كثب .

● تشرع مجموعات من رجال السلاح الجوي الاميركي في الشهر الحالي بالطيران مددا تصل الى ١٢٠ ساعة متواصلة في ظروف تشبه ظروف السفر الى القمر والاجرام السماوية الاخرى ، وذلك في طائرات نموذجية تشبه الطائرات التي ستستعمل في غزو الفضاء . وسيراقب الطيارين جماعة من المهندسين والاطباء وسواهم من الاخصائيين لدراسة رد الفعل الذي يحدثه الطيران بعيد المدى في الاماكن المضغوطة .

● أعلنت وزارة الطيران الاميركي انها ستقوم خلال التسعين يوما القادمة بتجربة جريئة غايتها اطلاق صاروخ يصعد الى علو عدة الاف من الاميال في الفضاء ، ولكن بدلا من ان يندفع الصاروخ بقوته ، يحمله بالون منفوخ بالغاز الى علو ٣٣ الف متر ، ومن هنا يبدأ الصاروخ بالانطلاق بقوته في اربع دفعات نحو الاعالي . وغاية التجربة دراسة احوال الجو العليا .

● دشن العالم السر ادوارد ابلتون بدء العمل لراديو تليسكوب جديد لدراسة الافلاك وسيكون عمله مكملا للراديو تليسكوب الجبار الموضوع في مرصد جامعة مانشستر وقد تعاونت في الاضطلاع بنفقات بنائه وصنعه شركة مولارد البريطانية التي قدمت منحة مالية لهذا الغرض قدرها مئة الف استرلينية واضطلعت بالقسم الباقي من النفقات جامعة كمبردج والدائرة العلمية والصناعية التي تختص بالتصاميم الهندسية والفنية . وذكر العالم ابلتون في الحفلة التدشينية التي اقامتها الجامعة لهذه المناسبة فقال : اننا لفخورون بان نعالج المشاكل التي تمت الى النواحي العلمية الدقيقة في معرفة الافلاك واحوالها وفي جملتها تكوين المجرة وتاريخ الكون . وسيقوم بدراسة الاشارات التي تصل الى الارض من الابعاد الجوية العظيمة والمسجلة على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الراديو تليسكوب الجديد واجهزته فريق مؤلف من ١٥ عالما بشؤون الابحاث الفلكية .

● يسعى علماء وزارة الزراعة الاميركية ممن يجرون التجارب على مادة تزيد من نمو النبات ، الى الانتفاع بتطبيق بحوثهم هذه تطبيقا عمليا في نطاق زراعي عالمي . وهذه المادة التي حققت زيادة ملحوظة في نمو النبات هي حامض « الجبرليك » . وقد حقق الحامض هذه النتيجة في عدة انواع من النباتات التي جرى استخدامه فيها في نطاق التجارب الكثيرة التي اجراها العلماء في مختبر البحوث الزراعية (التابع لوازرة الزراعة الاميركية) في مدينة بلتسفيل بولاية ماري لاند . ويتابع العلماء بذل جهودهم من اجل الانتفاع عمليا بقوة حامض « الجبرليك » الجبارة في كثير من الشؤون الزراعية الاخرى .

ويستدل من الدراسات الاولى التي افضت اليها تجارب مختبر بلتسفيل على ان حامض الجبرليك ذو مزايا عظيمة لزيادة درجات النمو كما يحتمل كذلك ان يزيد من انتاج عدة محاصيل منوعة والغريب ، ان التجارب التي جرت اول الامر بدافع تنشيط زيادة نمو النبات بواسطة الحامض انما كانت في الاصل نتيجة للبحوث الخاصة بتخفيف حدة اثاره على محصول الارز في اليابان .

وقد استخدم العلماء احدى تركيبات هذه المادة الكيماوية لمضاعفة او زيادة نمو النباتات الى ثلاثة امثالها . واجريت التجارب في غرف الاستنبات الخاصة باستخدام عجينة من الحامض (مخلوطة باللانولين) ودهن سيقان النباتات بها من الخارج . وقد لوحظ في فترة تتراوح بين ثلاثة واربعة اسابيع ان النباتات مثل : زهور الجرانيوم وعباد الشمس ، والداليا والورد ، والبوتانيا (من الفصيلة التبغية) والاسترا (العشب المزهر كالنجوم) وغيرها من النباتات التي دهنت بعجينة الحامض ، قد زاد طول سيقانها الى ثلاثة امثال مثيلاتها من النباتات المجاورة لها في نفس غرف الاستنبات والتي لم تعالج او تدهن بعجينة الحامض . وبالمثل تضاعف نمو نباتات اخرى كفول الصويا ، والفلفل ، والذرة ، والشعير بمعالجتها بنفس الطريقة التي اتبعت في الزهور السالف ذكرها .

● انجز حديثا بناء خمس مطارات خاصة بالهيليكوبتر في كاراكاس عاصمة فنزولا ضمن نطاق برنامج حلول معضلة السير بشكل توجد هذه المطارات فيه الاماكن المكتظة بالسكان . وسيكون هذا المشروع اشبه بمشاريع التاكسي الطائر المعروف في بعض مدن اميركا الشمالية

● اخترعت شركة بريطانية برادا صغيرا من البلاستيك حجمه ٢٥ سنتيمترا مكعبا يستعمل لحفظ الاطعمة في اثناء النزهة او الرحلات القصيرة . والبراد عبارة عن كيس من البلاستيك ذي جدارين بينهما مادة عازلة وفي داخله حقيبتان صغيرتان يوضع فيهما الثلج الذي يحفظ محتويات الكيس مدة عدة ساعات تحت درجة منخفضة .

● ذكرت لجنة الرئيس ايزنهاور الاستشارية حول التحكم بالاحوال الجوية ان تجارب توليد الغيوم الاصطناعية في غربي الولايات المتحدة اوجدت زيادة ملموسة في كميات المطر التي هطلت في المنطقة . وقد تناولت التجارب توليد الغيوم فوق المناطق الجبلية الممتدة بمحاذاة ساحل المحيط الباسيفيكي . على ان تقرير اللجنة ذكر بان عملية توليد الغيوم الاصطناعية في مناطق الشرق الاوسط المنبسطة نسبيا وفي الولايات الشرقية لم تؤد الى زيادة المطر في هذه المناطق .

● عمت العالم موجة لاهبة من الحر لم تعرف لها الارض نظيرا . ولم تقتصر هذه الموجة على المناطق الحارة بطبيعتها وانما تعدتها الى القطب الشمالي .

فقد جاء من هيلسينكي ان الثلوج في القطب الشمالي تذوب بسرعة غريبة رغم انها المرة الاولى التي يذوب فيها الثلج في القطب الشمالي . وكان العلماء قد حذروا منذ مدة بان التجارب الهيدروجينية قد تؤدي الى ذوبان القطب الشمالي فيؤدي ذلك الى رفع مستوى البحار في العالم عشرة امتار .

● اعلن متحف العلوم الطبيعية في شيكاغو نبأ يفيد بان ولاية انديانا الواقعة في اواسط الولايات المتحدة كانت مغمورة بمياه المحيط منذ ٢٥٠ مليون سنة وقد جاء هذا التحليل بعد اكتشاف جثة كلب منحجرة في تلك الولاية يعود تاريخها الى ذلك الوقت اي عصر الفحم . ويبلغ طول بقايا الحيوان المذكور حوالي ثلاثة امتار اما الحيوان الكامل فقد يكون طوله الحقيقي خمسة امتار .

● تبين ان السبب المباشر للزلزال العنيف الذي هز مكسيكو وكل منطقة المكسيك الجنوبية في اواخر يوليو الماضي هو ظهور بركان جديد اخذ الان في الخروج من الارض في ولاية غيريرو حيث فتحت هوة عميقة طولها ٥٠ مترا وعرضها ٥ امتار ولا تزال تتصاعد منها سحب كثيفة من الدخان مرفقة بهدير اصم .

● صرح اندريه دانجون مدير مرصد باريس بان اهالي بريطانيا وفرنسا سيشاهدون عما قريب بالعين المجردة مذنبا جديدا له ذيل ابيض طويل واسمه « ماكوس » نسبة الى الفلكي التشيكي الذي اكتشفه في اوائل شهر اغسطس .

وقد شوهد المذنب بالتلسكوب من الدانمرك كما شاهده ملاحو طائرة فرنسية كانت تحلق في سماء النمسا . وقال دانجون انه تلقى تفاصيل عن هذا المذنب من كوبنهاغن تفيد بانه قريب من الشمس . وقال انه لم ير هذا المذنب بنفسه بسبب رداءة الطقس في باريس

وقد شاهد الفلكيون المذنب المذكور في مرصد هامبورغ وقال هؤلاء الفلكيون انه بدا اكثر لمعانا من الكواكب المعروفة وان له ذيلا يبدو للعين المجردة اطول حوالي ثلاث مرات من قطر البدر .

● ادت التحريات التي قامت بها البعثة العراقية الاثرية في الكوفه جنوبي بغداد الى اكتشاف دار الامارة التي قام القائد الاسلامي سعد ابي وقاص بانشائها ، بعد فتح العراق سنة ١٧ هجرية وصرح الدكتور ناجي الاصيل مدير الاثار القديمة بانه ثبت الان ان قصر الامارة يمثل اقدم بناء تم انشاؤه في العهد الاسلامي واتخذ دارا للحكومة .

● اعلنت مديرية الاثار العراقية العامة ان عمالا كانوا يعبدون طريقا في شمالي العراق كتشفوا معبدا عمره ٢٧٠٠ سنة كان لالله اشوري . وقالت المديرية : ان المعبد هو واحد من اجمل ما اكتشف في العراق . وانه عثر على ١٤ تمثالا في البناء القريب من مدينة الموصل . وقد بناه الملك الاشوري سيرغوان تكريما لالله سيبتي .

قريبا جدا

في القومية والانسانية

للدكتور كمال يوسف الحاج

في القومية العربية

لعبد اللطيف شرارة

منشورات عويدات

ص.ب ٦٢٨ بيروت

طريقة المنولوج الداخلي في الاقصوصة تعتمد على بناء نفسي صرف تبرز منه الشخصية بخطوطها وملامحها واضحة كل الوضوح . فالتخطيط المادي (الخارجي) المعبر عن النموذج البشري للمشكلة يتآزر بعضوية فريدة مع التخطيط النفسي الذي يصور من « داخل » المعاناة الحقيقية للمشكلة . التخطيط الاخير يعرض ضمن لحظات تتحول اللمسات فيه الى مجموعة من المفاتيح لغرف نفسية .

التخطيط المادي (الخارجي) في « الموقف » منفصل عن التخطيط النفسي (الداخلي) لذا تتفكك القصة وتتحول الى هباء . تبدأ القصة والبطل يمشي مع صديقه ، الى منطقة بعيدة . ويقف الصديق منتظرا سيارة ، اما البطل فيقف هو الاخر ليعرض علينا افكاره :

« صديقي هنا .. واقفا قربي بعيدا بنفسه عني . انه اناني وغريب عني . في هذه اللحظات ليس هناك اي ماض يربط بيننا ولا اي شعور متبادل متقارب » .

« بقيت وحيدا . وهكذا دائما . اني نادم هذه المرة . اشعر انني اعطيته من نفسي كثيرا . ان المرارة تملأ نفسي وتسمم طيبتي . »

هذه اللمسات ترسم بعدا نفسيا خاصا للبطل اما كيف تتوالى اللمسات الاخرى ـ لتتخذ من عملية التطوير الموقفية في النهاية الجاهزة التصميم فهذا بيانها : بعد ان يستعرض البطل صورا من المشاهد الخارجية (الحديقة . القصر . الطفلة . سيارة المصلحة . والتي لا تلقي على الشخصية الا اضواء قليلة) يفترق عن صديقه ويشعر بالوحدة القاتلة :

« واستيقظ شعوري بالوحدة » .

« ولا ادري لماذا وصلت بي ذكرياتي الى تلك الايام التي كانت تسيطر فيها علي قوة مؤلمة ساحقة فظيعة تدفعني الى الانتحار . العالم صعب وغير انساني واحيانا غير طيب . وانا ماذا افعل في هذه الدنيا وحيدا . رغم ان لي اصدقاء كثيرين . حتى هنا في هذا الموقف انا وحيد . »

اذن لقد وضحت شخصية البطل . فهو وحيد متمزق يرى العالم قاسيا وغير انساني . فكيف يبرر لنا الكاتب نهايته : « وزالت وحشتي»

هكذا ، وبمنتهى البساطة . لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

الانه رأى شابا مع خطيبته ؟ !

هذا الذي كنا نتفصد الما من اجله يخرج من ازمته العاصفة لانه رأى شابا مع خطيبته فيصعد الى سيارة المصلحة ، ويغوص في المقعد بارتياح :

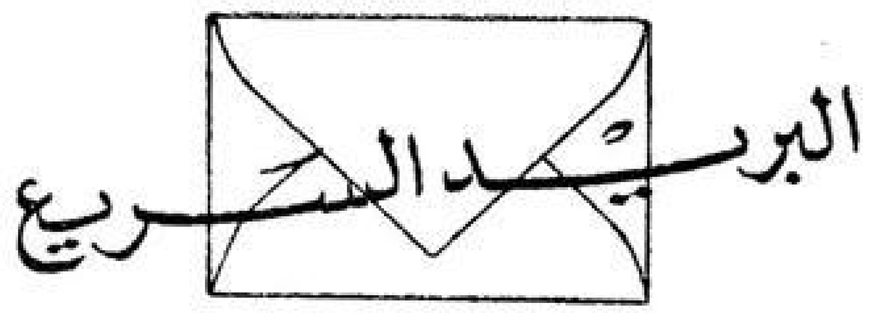
« لقد غمرني سرور عظيم . لقد انتابني احساس جديد بالحياة . عنيف ومؤثر . ان في هذا العالم طيبة انسانية وانتظام وانا لست وحيدا كما اعتقد . لا لست وحيدا . »

هكذا انتهت ازمة البطل النفسية . وانا كقارىء ، لم انجاوب اطلاقا مع شخصية البطل . فالقارىء لا يعرف كيف عصفت بالبطل ازمته النفسية الحادة ، ولا كيف خرج منها بقفزة واحدة . مشكلة البطل ليس لها ما يبررها ، كما ان خروجه منها ليس له ايضا ما يبرره .

هل اقول ان قصة « الموقف » ليس فيها غير الافتعال . لا لن اقوله على الرغم من ايماني به . كل ما اود قوله ان الكاتب لم يلتزم الصدق الفني قط لكن ، في القصة ايضا سرد لا باس به ، والتماعات وصور جميلة حقا تبدو من بين اعتام .

لي كلمة اخيرة ، انني لا اقصد ابدا الاساءة الى كاتب القصة منير امير ـ وانا ناشىء مثله ـ لكنني افهم النقد على انه عملية تحليلية معقدة وليست تطبيلا يصم الاذان . او تملقا رخيصا او تهديما او تحطيما .. حتى النهاية . وليتقبل الاستاذ منير امير تحيتي مقرونة بالاخلاص .

سمير تشير



● **الى « الناشىء الصغير » كفر جوايا ، سوريا**

لا تتسرع بالكتابة انصرف الان الى التحصيل والدرس . الكتابة تحتاج الى المعرفة ، والمعرفة لا تكون بالسليقة . كذلك الشعر لم يعد رصف كلام كما كان ، انه يحتاج الى المعرفة ، الى العلم ...

● **من السيد اديب الخطيب ـ الجامعة السورية دمشق**

انني طالب في السنة النهائية من قسم اللغة الانكليزية بكلية الاداب بالجامعة السورية وقد اخترت موضوعا لرسالتي : ترجمة قصص قصيرة لمحمود تيمور ، وانني بحاجة لمراسلته لمعرفة تاريخ حياته بشكل عام وحياته الادبية بشكل خاص فارجو افادتي عن عنوانه .

ـ عنوان الاستاذ محمود تيمور : مصر ـ القاهرة ـ الزمالك ـ ١٩ شارع الجبلاية ـ عمارة ليبون .

● **من السيد خيري الضامن ـ البصرة ، العراق**

هل ترجمت قصة « القضية » لفرانز كفكا الى العربية وعن اية لغة ترجمت ومتى كان ذلك ؟ اما انا فقد رايت ان اترجمها عن الانكليزية .

ـ نحيل هذا السؤال الى الباحث المحقق الاستاذ يوسف اسعد داغر للاجابة عليه .

● **من السيد عبد الكريم محمود السعيدي ـ البصرة**

كتب يرد على ما جاء في مقال السيد باسم عبد الحميد حمودي « اضواء على الادب الشعبي في العراق » عدد اغسطس من الاديب نكتفي بالاشارة اليه لان السيد عبد الكريم تناول الكاتب اكثر مما تناول الموضوع ...

● **الى السيد عيسى موسى ـ طرطوس ، سورية**

نستغرب ما جاء في رسالتكم . لم نجد اسمكم الكريم بين اسماء المشتركين . فهل لكم ان تذكروا لنا عنوانكم القديم ورقم الايصال بقيمة الاشتراك مع تاريخه . وهل دفعتم اشتراكم الى ادارة الاديب وكيف

● **من السيد محمد عصفور ـ بغداد**

كتب بعض الملاحظات حول قصة « طفل بلا ام » لفاضل السباعي ، عدد يونيو من الاديب . نكتفي بالاشارة الى وصول رسالته . كما نعتذر عن نشر قصيدته لضعفها .

● **الى الاستاذ غازي عبد الحميد الكنين ـ بغداد**

نرحب بنشر كل ما يصلح للنشر في الاديب . نفضل المقالة المستقلة على « السلسلة » . كل شيء يمكن اختصاره ... اما مجموعة « لمن ؟ » لالبير اديب منشىء الاديب فقد طبعتها دار المعارف بمصر لحسابها . وهي تطلب منها او من مؤسسة المطبوعات الحديثة في بيروت صندوق بريد ٢٦٧٦ ومن وكلائها : في العراق : مكتبة المثنى شارع المتنبي ببغداد ـ وفي سوريا : مكتبة اطلس ـ جادة الصالحية بدمشق ـ وفي القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة شارع مسبيرو رقم ٣ .

ذكرنا هذه العناوين في مختلف المناطق لكثرة ما يردنا من طلبات او اسئلة عن هذه المجموعة واين تباع . ونغتنم هذه المناسبة لنرجو مؤسسة المطبوعات الحديثة بتوزيع المجموعة على وكلائها في الاقطار العربية فجميع الرسائل التي وردتنا تؤكد اختفاء « لمن ؟ » من المكتبات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة الأديب في شهر

لمحات من الشعر العربي الحديث

●

تطور الشعر الحديث من مظاهر الحياة المتجددة الصاعدة في الامم الحية .. ولقد هزت الامة العربية في السنوات العشرين الاخيرة انتفاضات مباركة املتها ظروف داخلية وخارجية عالية .. وعرفت العقلية العربية مفاهيم جديدة للحياة فجعلت تطهر رواسب القديم المتعفنة وتنثر في مواضعها بذور المستقبل الخصيب . ومن هذه الظروف المثيرة عبات المخيلة العربية شحنات جديدة للتوثب والانطلاق .. ان كل عربي اليوم يتأثر بهذه الظروف ويعيشها ويتمرس بها .. انها في ذرات الهواء .. في الخبز والماء . في نبضات القلب والفكر .. في هذا النسيج الانساني الكبير الذي يسمى قيما او فلسفة مثل ابدية . واحد مظاهر هذا التطور المرموق هو هذا الشعر العربي الحديث الذي ينحدر مع نهر بردا .. ويتألق على جبال لبنان .. ويزرع على ضفاف دجلة .. وينتصب على قمة الاهرام .. وهو لا يقل تدفقا وتألقا منه في الاردن والسودان والكويت والحجاز وبقية الاقطار التي تنفسح دروبها تحت فيض من شمس طالعة اسمها العربية الجديدة . اذا فعندنا شعر جديد ينمو ويتفرع ويقوى ويخضر .. ويثير واعية الطلائع من هذا الجيل

هذا الشعر العربي الجديد ما مميزات الجدة فيه بالنسبة الى الشعر العربي المأثور؟

اولا

انه في صياغته ليس كلاسيا .. ليس فيه شنشنة الجرس واواصر القافية الواحدة .. ولكنه شعر مولد الاوزان .. طليق القوافي متنوعها .. محتدم الايقاع في استرسال دفوق .. وهذه الميزة في الصياغة يشف منها بنصوع تحرر المعاني من اسلوبها المتوارث المعاد .. وانسكابها في اشكال جديدة من الصياغة لا في قنوات ضيقة مقفلة . وكان لامتداد المعاني في صياغتها المتحررة انها نبذت كثيرا من الزخارف الشكلية التي تشيد بها كتب البلاغة والبديع مما يسمى جناسا وتورية ومطابقة الخ .. وابتكر الشعراء اشعارات جديدة ورموزا موحية في الاداء .

ثانيا :

اضمحلت التقريرية في الشعر ، التقريرية التي كانت ملزمة بوحدة البيت ـ القناة الضيقة المقفلة . والتقريرية بطبيعتها في الشعر المدرسي او الشعر المأثور تقطر التجربة وتركزها وتعبر عنها تعبيرا مقتضبا مستقلا يسمى احيانا حكمة او مثلا او فكرة او تقريرا عاديا. وبقضاء الشعر الحديث على اواصر القافية الواحدة تفككت وحدة البيت وامحت التقريرية فيه .. واصبحت القصيدة وحدة متماسكة مستقلة .. مندمجة عناصرها الفنية بصورها وايحاءاتها وجرسها ومضمونها وصياغتها من مؤتلف له طابعه المستقل المتميز .

ثالثا :

بزوال التقريرية وتفكك وحدة البيت تلاشى استخدام الالفاظ بالاسلوب الخطابي ولم يعد للالفاظ قوالبها المألوفة .. وخرجت القصيدة عن اطارها التقليدي المأثور .. فالشاعر الحديث لم يعد يلتفت الى مناهج الاقدمين ويقتفي اثارهم واساليبهم .. ويطبع من انتاجهم نسخا مشابهة .. نسخا لمجنون ليلى او المتنبي او شوقي .. لم يعد هناك انتاج وتصدير لقصائد تعوزها التجارب التي فيها استجابة حقيقية وسيطرة ذهنية .

رابعا :

وينهج الشعر الحديث البساطة في التعبير واستخدام اللفظ العادي وبذلك يتخلص من العبارات المركبة الجاهزة وينساب في حرية فنية متجددة .. وان كانت هذه الحرية احيانا تهبط بالشعر الى مستوى النثرية فتتجمد معانيه .. او تبهت الوانه .. او تهتز طبعة الصور فيه .

خامسا :

من الصفات البارزة لشعر اليوم انه يناى عن الغنائية .. او (الرومانتيكية) التي كانت تضم تحت جناحيها فردية انعزالية كئيبة .. تعيش بالاحلام والخيالات فيها وراء الافق .. وتبني عوالم خيالية من العطور .. والدموع والضباب .. وليس في شعر اليوم تلك العواطف المتفجرة بالحزن والبكاء والاستسلام وكابة العبيد السوداء التي تجتر عتماتها من طبقات الظلام الهائل الذي اسمه تشاؤم وكفر وبأس وقناعة بالاكراه . وحمل الشعر الحديث طلائع الامل المتفتح .. وبشائر الحرية والعدالة وعواطف الحب الانساني الكبير . لذلك فهو ثائر على الاوضاع الفاسدة والمذاهب الهدامة والقيم المزيفة .. والخيالية الهاربة .. ثائر على كل ما يجمد تقدم الانسانية او يصفد انطلاقها وحريتها ورسالتها السامية .. وهو في ثورته هذه يلتحم بالواقع ويغرز اظافره في الطين الذي نبت فيه. ولكن بعض المتطفلين على الشعر يسيؤون الى هذه الحقيقة او يستغلونها استغلالا خطيرا . بعضهم يحسبون ان كل كلام مشحون بالفاظ الحرية .. والاستقلال .. والكرامة .. والعزة الوطنية هو شعر ينتزع التصفيق من اكف الدهماء .. وهؤلاء المساكين لم يتمرسوا الشعر القديم ويتعمقوا في هذا التراث الادبي الشامخ قبل ان يرسوا كلمات مجراة مهلهلة من امثال : « المتعبون .. اللاهثون .. الكادحون .. السائرون .. في الطريق .. يا رفاقي » صدق او لا تصدق ان ما تقدم شعر ..

وبعضهم يبثون دعايات سياسية او مذهبية تحت ستار منمق من الالفاظ امثال القوة .. والعبودية المنكرة .. والاستغلال الخبيث .. والطبقات الكادحة الخ.. وهم يخدمون بذلك غرضا خاصا قد يكون من ورائه منفعة شخصية

سادسا :

قلت ان الشعر الحديث يركز صفته على المضامين ... المضامين التي تحمل روح القوة والامل الاكيد .. وهي مضامين يتنسمها هذا الجيل في امتداده العريض بظروفه وواقعيته واماله .. ولكن المضمون في الشعر ليس كل الشعر .. ان الشعر كفن يحتاج الى جمالية الشكل التي هي من ابداع الشاعر ، من عاطفته... وذاته. وهي التي تعبر بها التجربة (اي المضمون) تعبيرا فنيا متفتحا . انا لا اعني بالجمالية الشكلية الزخرف السطحي او التنميق الكمالي .. ولكنني اعني بها ان تكون شحنة الحياة النابضة من مضمون القصيدة ولا يمكن ان يفصل شكل القصيدة عن مضمونها .

سابعا :

ان المضامين الجديدة في الشعر الحديث ليست تجارب انعزالية يتمرسها الشاعر في صومعة .. ليست رومانسية هاربة او انحلالية عاطفية .. ولكنها تجارب ذات امتداد انساني واجتماعي . انساني يتناول العواطف البشرية ويؤثر فيها ، وواقعي يتناول المعركة التي تخوضها الانسانية لاجل ان تنتصر لنفسها بتدعيم قيم كبرى وحرية مشرقة وعدالة اجتماعية

هذا الشعر الحديث يتناوله اليوم شعراء مجيدون استطاعوا ان يصلوا به الى قمم فنية تكاد تكون عالية .. ولا يزال هذا الشعر الحديث يندفع في تياره الجارف وهو يحمل معه حرية الفن وواقع العصر الذي يعيش فيه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن كما يقول الاستاذ محمود العالم : « كثيرا من ادبائنا الجدد ما يزالون في بداية الطريق لاستكمال القيم الشكلية واكاد ان اجزم ان عدم استكمالهم للقيم الفنية سيقلل من قيمة اتجاهم نفسها .. ولكنهم في الحقيقة في مرحلة انضاج صياغة جديدة خلال تمرسهم بمضامينهم الجديدة والصياغة الجديدة عملية شائكة في حاجة الى خبرة طويلة » .

[فتاة الجزيرة بعدن] **لطفي جعفر أمان**

وفاة ملبارته الاديب الايطالي

●

اديب ايطاليا العظيم كورنسيو ملبارته مات عن ٥٩ عاما . اسمه الاصلي كورنسيو سوكرت ولكنه اطلق على نفسه مالبارته ، تلاعبا باسم نابليون « بونابرته » ـ هكذا ينطق بالايطالية كان فاشيا بل اول من دعم الفاشية . ولكنه لم يكن يؤمن باستعبادها للناس ، فخرج عليها ونفي في جزيرة ليباري خمس سنوات من المع الادباء الذين تزعموا حركة « فوق الوطن » قبل ان يموت طلب الى البابا ان يغفر له الخطايا التي ارتكبها في كتابه « الجلد » . وتحول من البروتستانتية الى الكاثوليكية على فراش الموت . وله كتاب كبير اسمه « كابوت ـ او المتهدم » توفي بسرطان الرئة ، ولم يكن زوجا ولا ابا لاحد .

* * *

وهو على فراش الموت طلب من البابا ان يسامحه ، على ما قدم قلمه من اتهام للكنيسة ، وسخرية بالبابا ، وفهم غريب للمسيح ورسالته . وسامحه البابا . فرحل امنا مطمئنا الى العالم الاخر ، ولكن النبش بدأ بعد رحلته بساعات . وظهرت اوراق هامة وقصص لم تتم ومقالات لم يجف مدادها .. وتلقفتها المجلات ونشرت بعضها ، وكلها تدل على ان الاديب رغم التمزق الفظيع الذي اصاب حياته ورئتيه ، كان ما يزال ملتهب الخاطر ، حي العبارة ولديه امل في ان يبلغ الثمانين من عمره ـ هكذا يقول :

ومن رأيه في «الهيئات الادبية او السياسية» ان السياسة تجري الان في دماء الناس جميعا وان ارسطو عندما اعلن منذ الفي عام ان الانسان حيوان سياسي ، انما قال بعض الحقيقة . والحقيقة كلها ان الانسان سياسي بلا انسانية ولا حيوانية . والا فما معنى الحروب والمعارك السياسية والانتخابية والدماء وفضائح الذمم والاخلاق ؟ وانا اذكر مقالا كتبه «ارثركيستلد» .. اعجبني المقال ، وفيه يقول ان هناك «شهوة سياسية » تماما كالشهوة الجنسية . وان الناس يتهافتون على اشباعها ويعانون من الكبت والحرمان . وان هناك علاقات شاذة بين ابناء الجنس الواحد وهناك احلام لها مدلولات سياسية .. ومثل هذا ، او هذا نفسه تجده في الادب .

ويمضي الى ان يقول رأيه في النقد فيقول هناك مثل صيني ، قديم او حديث ، يقول : ان التاجر المتجول لص هارب ، واللص تاجر متجول هارب . فالتاجر لص على اي حال. وكذلك يقال ان الناقد اديب فاشل ، والاديب ناقد فاشل . فالاديب او الناقد فاشل على اي حال . فمن هو الناجح ومن الذي اشار واضاء وانتج . ولا يرضى الناقد الا ان يكون سياسيا له حزب يحميه ويصفق له . وليس بين النقاد اليوم من يفعل كما فعل الخطيب اليوناني الذي صفق له الناس فتوقف عن الكلام وسالهم ان كان قد ارتكب خطأ .. والحقيقة انه لم يتهم نفسه وانما اتهم جمهور المصفقين وقدرتهم على فهم ما يقول .. فالكبرياء راقصة اسبانية غجرية . ينعشها التصفيق .

ولم يهاجم كاتب ايطالي جزيرة كابري كما فعل ملبارته .. فمن المعروف ان كلمة «كابري» باللاتينية معناها الماعز . فالجزيرة اذن هي جزيرة الماعز . لانها جافة بلا عشب ولا ماء ، فلا يعيش فيها الا الماعز . او لان طرقاتها الصخرية ضيقة ولا تتسع الا لحوافر الماعز . ومن هنا كانت التسمية . ومن رأيه هو : ان الجزيرة لم تعد تتسع حتى لحوافر الماعز . وانما اصبحت قطعة من السكر الماسخ تضج بنمل مجنون . والجزيرة ليس فيها جمال ولا شيء غير عادي . وانما هي نيشان ضخم يعلقه العالم كله على صدر السياحة الايطالية التي ضحكت على عقول الناس في كل مكان. انني لم اطق البقاء بها يوما واحدا .

وكان احد النقاد قد وصف قصة «الجلد» بانها لا تساوي فردة حذاء . وقد استفاد ملبارته من هذا النقد وبدأ يراجع افكاره وامانه . وقبل ان يموت اوصى بحذاء مليء بالاوراق المالية لهذا الناقد . وقال : ابعث اليك بالحذاء والمال ، فانت تستحقه .. ولم يشأ ان يذكر ايهما يستحق الناقد : الحذاء او الذهب .

وفي يناير تصدر مجموعة مقالاته التي لم تنشر وفي مجلد واحد من ٣٠٠ صفحةوبعنوان « حساب ختامي » .. فحتى ذلك اليوم ! !

[الاخبار] **انيس منصور**

الاديبة التركية خالدة اديب

●

من مفاخر المراة التركية اليوم ومن ابرز الناهضات بالحركة النسائية في تركيا الكاتبة الشهيرة خالدة أديب استاذة اللغة الانكليزية في جامعة استانبول منذ عام ١٩٣٩ وقد اتيح لها بوصفها عضوا في المجلس الوطني التركي بين ١٩٥٠ـ١٩٥٤ ان تلعب دورا بارزا في الحياة السياسية في تركيا خلال هذه الحقبة .

ولدت خالدة اديب في استانبول عام ١٨٨٤ وفيها تلقت تعليمها الابتدائي فتلقنت العربية والتركية والرياضيات على ايدي اساتذة خصوصيين، ثم دخلت الكلية الامريكية في استانبول وتخرجت منها عام ١٩٠١ .

يرجع نشاطها الادبي هذا النشاط العارم الذي يرافقها حتى اليوم ، الى اوائل عام ١٩٠٨ اذ كانت تكتب اذ ذاك في الجرائد والمجلات التركية . وفي الحرب العالمية الاولى قدمت سوريا وانشأت في حلب مدرسة للاناث تولت فيها التدريس .

وعهد اليها في عام ١٩١٨ـ١٩١٩ بدروس الاداب الغربية في جامعة استانبول . ولم تلبث ان انضمت مع زوجها الى الحركةالوطنية التي بعثها منقذ تركيا مصطفى كمال باشا الذي عرف فيما بعد اتاتورك . وقد ساهمت سواء بخطبها وكتاباتها المثيرةفيتحقيقالوحدةالوطنية في البلاد ، بعد ان تعرضت مرة مع مصطفى كمال باشا وستة من رفاقه للحكمعليها بالاعدام

غادرت تركيا عام ١٩٢٦ وجاءت لندن حيث اقامت ثلاث عشرة سنة باتصال ، ودعيت خلال عامي ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ الى الولايات المتحدة الاميركية تحاضر في كلياتها وجامعاتها عن الادب التركي وتاريخ تركيا ـ كما عينت عام ١٩٣١ استاذة زائرة للادب التركي في جامعة كولمبيا في نيويورك .

وقامت عام ١٩٣٥ برحلة الى الهند تلبية لدعوة تلقتها من الجامعة الاسلامية في دلهي حيث عينت استاذة زائرة . كما دعيت في الوقت ذاته لالقاء سلسلة من المحاضرات في جامعات كلكتا ، ومنارس واليفار ولاهور ، الى ان عادت الى تركيا عام ١٩٣٩ .

وخالدة اديب هي المؤسسة لنادي القلم التركي في استانبول وهي مؤلفة لها شهرتها الواسعة في عالم الادب كتبت في التاريخ والادب والقصة ولها ابحاث شتى ومجموعة من الاقاصيص . من الكتب التي نشرتها تاريخ الادب الانكليزي في ثلاثة مجلدات ظهرت بين ١٩٤٠ـ١٩٤٨ ، نقل الى بعض اللغات الاجنبية وضعت باللغة الانكليزية عددا من الكتب ،

منها « تركيا في وجه الغرب » ـ مذكرات خالدة اديب ـ النظام التركي الجديد ـ المنافسة بين الشرق والغرب ـ الاسلام ـ من صميم الهند ـ المهرج وابنته (قصة) .

يوسف اسعد داغر

اجتهاد طالب جامعي أعمى

●

« مطلوب طلبة يقرأون لي الكتب بصوت عال ، لمدة ساعة او ساعتين في اليوم . الرجاء مراجعة وين ديرهام ، ٨١٨ لفنجستون هول » .

ظهر هذا الاعلان على لوحة الاعلانات بجامعة كولومبيا ، بمدينة نيويورك ، وضاحية الطالب الكفيف وين ديرهام البالغ من العمر ٢١ عاما الذي فقد بصره وهو في سن الرابعة عشرة .

وعثر وين على ضالته ، وتابع دروسه في جامعة كولومبيا واصبح الان في السنة الثالثة وبز اقرانه في اجتهاده وتفوقه وفاز بمرتبة الشرف وهذا دليل واضح على ان عاهته لم تحل بينه وبين طموحه وها هو العميد المساعد تشارلز كول يبعث بخطاب يهنئه فيه على علاماته العالية التي اهلته لوضع اسمه على « سجل العميد» ، وهي القائمة التي تضم اسماء الطلبة المتفوقين في دروسهم .

ومما جاء في خطاب مساعد العميد : « ان النجاح الذي احرزته في دراساتك الجامعية لا بد وان يكون قد اشعرك بارتياح كبير في نفسك»

واليك كيف حقق « وين » هذا النجاح :

لقد استجاب اربعة طلبة للاعلان الذي علقه « وين » على لوحة الاعلانات بالجامعة، وراحوا يقرأون له الكتب المدرسية مدة ٢٢ ساعة في الاسبوع . وكان « وين » يسجل الجانب الاكبر مما يقرأون على اسطوانات بواسطة آلة تسجيل صغيرة ليتمكن من استعادة كلماتها فيما بعد .

وفي حجرات الدراسة ، كان « وين » يسجل ملاحظاته بواسطة جهاز خاص يدعى « لوح بريل » مزود « بحروف هجائية » يقرؤها العميان باللمس باصابعهم . وهذه المذكرات ، بالاضافة الى الاسطوانات والكتب المعدة خصيصا للعميان ، مكنت « وين » من متابعة دروسه مع زملاء صفه .

اما « زميل » وين في الغرفة فهو كلبته « وعينه المبصرة » دوتي . وقد دربت «دوتي» على قيادة سيدها وارشاده الى المكان الذي يقصده . ويدرب الوف من هذه الكلاب في الولايات المتحدة على مساعدة العميان ، فيلبسونها اقنعة واسرجة خاصة ، ويعدونها لحماية اسيادها ومساعدتهم .

وقد كانت دوتي « طالبة » مع وين في مدرسة تدريب الكلاب في موريستاون بنيو جرزي عام ١٩٥٤ ، وهي اليوم «زميلته» في جامعة كولومبيا . ويقول وين في ذلك :

« انها طالبة هادئة جدا ، ولعلها هي الوحيدة التي تنام خلال المحاضرات وتنجو من العقاب ! »

قالوا في « الاديب »

●

نواصل فيما يلي نشر بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرين عطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديب دائما عند حسن ظنهم بها :

* * *

قالت جريدة النهار الغراء التي تصدر في بيروت :

يتساءل الناس بدهشة ممزوجة بالرضى : متى تكف « الاديب » عن الصدور؟

ذلك ان هذه المجلة تخطت عامها الخامس عشر بروح العزيمة ، على الرغم مما اعترض طريقها محاولا الفت في عضدها ، وتاريخها شاهد على عراكها الطويل مع قوى الهدم ، ومن هذه القوى ما شب على يدي صاحب «الاديب» واكل من بيته ...

وها هي « الاديب » في عامها السادس عشر، في نهاية عامها السادس عشر ، تستمر في مشيتها الرزينة ونهجها المعروف مدللة على ان اقوى قوة شر في الوجود تتحطم عند العزيمة ، وحين تكون هذه العزيمة من روح الكلمة ، تمحي ظلال الشرور امام ضياء الكلمة .

●

وقالت جريدة برازيل لبنان الغراء التي تصدر في سان باولو بالبرازيل :

طوت مجلة الاديب الراقية التي تصدر في العاصمة اللبنانية عامها الخامس عشر ودخلت في السادس عشر وهي كما يعهدها جمهور قرائها مثابرة على تأدية رسالتها الادبية الثقافية القومية بامانة واخلاص وترفع مما اكسبها مكانة عالية في عالم الصحافة فاصبحت تعد من ارقى المجلات في العالم العربي كله بمقالاتها الادبية الطريفة وابحاثها العلمية ومواضيعها الاجتماعية الاخلاقية العالية وروائعها الشعرية وابتكاراتها القصصية التي يدبجها نخبة من كبار الكتاب والمنشئين المجددين

ونحن اذ نسأل للزميلة العزيزة اطراد التقدم والازدهار نقدم احر تهانئنا الى صاحبها ورئيس تحريرها الاديب العلمي الاستاذ البير اديب المعدود حالا من اكبر العاملين في حقل الادب والصحافة .

●

وقالت مجلة الحج الغراء التي تصدر في مكة المكرمة :

دخلت مجلة الاديب البيروتية الغراء في سنتها السادسة عشرة ابتداء من شهر يناير ١٩٥٧ وقد اصدرت لهذه المناسبة عددها الاول لشهر يناير في اكثر من ١٠٠ صفحة مشتملا على اطرف الموضوعات في الادب والنقد والقصة والشعر .. لمشاهير كتاب العالم العربي وشعرائه .. فجاء عددا ممتازا على عهد قراء الاديب في سائر انحاء البلاد العربية بمجلتهم الادبية الراقية فنهنىء الزميل المجاهد الاستاذ البير اديب صاحب الاديب الاغر بما حازته الاديب من مكانة مرموقة ونرجو لها المزيد من التوفيق .

●

وقالت جريدة السنابل الغراء التي تصدر في باريس :

بلغت مجلة « الاديب » عامها الخامس عشر وها هي تستقبل في مطلع هذا الشهر عامها السادس عشر. ومجلة الاديب لبنانية تصدر عن لبنان . واننا نقطع جازمين بان احدا في لبنان من المسئولين لم يحفل حتى الان بهذه المجلة ، بل نكاد نقول قاطعين ايضا : بان المسئولين ، كبارا ومتوسطين ، ما حفلوا يوما بهذه المجلة الكبيرة الا في ايام سلبيتهم او بتعبير اصح الا في الفترة التي كانوا عاطلين عن كرسي الحكم .. وما اكثر ما كانوا يترددون على دار الاديب في ايام « محنهم » ...

بيد ان لبنان اذا كان لم يحفل بمجلة الاديب العربية فدنيا العروبة وعالم المهجر يقدر في هذه المجلة روح راعيها ويسجل له هذا الجلد وذاك الصبر على المكاره والتاعب للصمود بمجلته الحبيبة الى قلب كل قارىء .

ولم يكن لبنان عاقا في شيء كعقوقه بحق الاديب وبحق صاحبها البير اديب الذي صمد في وجه الاعاصير وارتفع عن سفاسف المؤامرات التي حيكت فوقه وتحته للنيل من عزيمته وحتى من كرامته ... فالاديب ستبقى مجلة الاديب في دمشق والقاهرة وبغداد ومكة وباريس وتطوان ونيويورك ودكار وموسكو المجلة الادبية الفكرية التي تحمل مشعل الثقافة العربية الحقة الا في ... بيروت مسقط راسها : فهنيئا للبنان ..!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنباء العالم في شهر

٢١ يوليو ١٩٧٥ ـ انعقد مجلس الامة المصري وخطب الرئيس جمال عبد الناصر فاستعرض اعمال الثورة منذ قيامها ودعا الى الاتحاد وعدم الانحياز واعلن استعداد مصر لحماية الدول العربية وقال ان القومية العربية هي امضى اسلحتنا في الدفاع عن وطننا .

٢٢ ـ اعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية ان سلطان مسقط طلب تدخل القوات البريطانية ضد الثوار وان الحكومة قررت تلبية طلبه .

ـ اذاعت الصحف البريطانية ان القبائل الثائرة في عمان قد احتلت نزوى والفرق والابرى وان الحامية التي يقودها البريطانيون في الابرى قد ابيدت وان الثوار مجهزون باسلحة امريكية .

ـ الغت الحكومة السورية الاحكام العرفية باستثناء قضائي القنيطرة والزوية لقربهما من الحدود الإسرائيلية .

ـ ابلغت مصر هيئة الامم المتحدة تعهدها بقبول الالتزام باي قرار تتخذه محكمة العدل الدولية في اي نزاع على الملاحة في قناة السويس .

٢٣ ـ القت الطائرات البريطانية المناشير باسم سلطان مسقط وعمان على المنطقة التي يسيطر عليها رجال الامام غالب طالبة من السكان اخلاء المنطقة خلال ٤٨ ساعة .

٢٤ ـ وصل الى موسكو وفد سوري برئاسة خالد العظم وزير الدفاع ومن اعضائه اللواء توفيق نظام الدين رئيس الاركان .

ـ اخذت الطائرات النفاثة البريطانية التي تطلق الصواريخ تضرب معاقل الثوار في سلطنة مسقط وعمان .

٢٥ ـ قررت الجمعية التاسيسية الوطنية في تونس الغاء حكم الباي واقامة نظام حكم جمهوري رئاسي وانتخب الحبيب ابو رقيبة رئيسا للجمهورية التونسية وحل محل الباي محمد الامين الاول .

ـ طلب الامام غالب بن علي الى الجامعة العربية مساعدته في قتاله لتحرير عمان .

ـ صدر بلاغ سعودي اثيوبي مشترك على اثر انتهاء زيارة الملك سعود لاثيوبيا ذكر ان العاهلين وافقا على اقامة تعاون اوثق بين بلديهما في الميدانين الاقتصادي والتجاري كما تبادلا وجهات النظر بالشؤون الدولية وقضايا الشرق الاوسط . .

٢٦ ـ قبل الملك سعود الاعتذار الذي بعثت به الحكومة السورية اخيرا وعاد السفير السعودي الى دمشق .

٢٧ ـ اطلق روميرو فاسكيز سانشيز احد حراس القصر الجمهوري الرصاص على رئيس جمهورية غواتيمالا كارلوس كاستللو ارمارس فقتله .

ـ جرت في الاسكندرية مناورات للاسطول المصري رفع خلالها الرئيس عبد الناصر العلم المصري على الغواصات الثلاث التي اشترتها مصر من روسيا .

٢٨ ـ بدات في عمان محاكمة ٢١ ضابطا ومدني واحد بتهمة محاولة الاعتداء على الملك حسين وتغيير دستور البلاد بالعنف .

٢٩ ـ وصل جون فوستر دالس ناظر الخارجية الامريكية الى لندن واعلن سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية انه سيبحث معه الثورة في سلطنة عمان .

ـ صدر في بون بيان مشترك جاء فيه ان بريطانيا وفرنسا وامريكا والمانيا الغربيةمستعدة للبحث في توحيد المانيا وعقد اتفاق للامن الاوروبي مع الاتحاد السوفياتي في اي وقت يتوفر فيه فرص حقيقية لاحراز التقدم .

٣٠ ـ قامت الطائرات البريطانية بعدة غارات على منطقة نزوة .

٣١ ـ قطعت المفاوضات التي تجري على مستوى عال بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الغربية في موسكو بسبب مشكلة ترحيل ٨٠ الف الماني تصر حكومة بون على انهم ما زالوا محتجزين ضد رغبتهم في الاتحاد السوفياتي

ـ اصدر البيت الابيض بيانا عن عزمه على اعادة الممتلكات الالمانية المحتجزة خلال الحرب العالمية الاخيرة الى اصحابها.

ـ تسلم لويس ارتور غوانزاليس لوبيز رئاسة جمهورية غواتيمالا وصرح بانه سيمشي على سياسة سلفه في محاربة الشيوعية .

اول اغسطس ١٩٥٧ ـ وصل الى عمان حسين سهروردي رئيس وزراء الباكستان في زيارة رسمية للاردن يجري خلالها محادثات

٢ ـ قدمت الدول الغربية مشروعها لمراقبة التسلح من اجل الحؤول دون وقوع هجوم مفاجيء من أي من المعسكرين العالميين .

ـ استولى الرئيس باتيستا على جميع السلطات العسكرية والمدنية في جمهورية كوبا على اثر استفحال الثورة في البلاد .

٣ ـ تجري محادثات في رومانيا بين خروشوف الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي والماريشال تيتو رئيس الدولة اليوغوسلافية وصرح الزعيمان ان العلاقات بين البلدين هي على اساس المساواة

٥ ـ وجهت الجامعة العربية الدعوة لعقد اجتماع لبحث الحالة في سلطنة مسقط وعمان

٦ ـ وقع الاتحاد السوفياتي وسوريا بيانا مشتركا على اثر انتهاء المحادثات التي جرت في موسكو والتي عقدت فيها اتفاقات بين البدين ستقدم روسيا بموجبها اسلحة لسوريا وستمدها بمساعدات اقتصادية .

ـ تجري معركة ضارية في جبال بوسعدى بالجزائر بين الوطنيين والقوات الفرنسية .

٧ ـ عاد الى دمشق السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية قادما من سويسرا

٨ ـ وصل نيكيتا خروشوف على راس وفد سوفياتي الى المانيا الشرقية وفي خطاب له في البرلمان قال ان حربا حديثة تؤدي الى فناء مناطق كثيفة بالسكان . ان هذه القوة الهدامة يجب ان تظل في اذهان رجال الدولة في بريطانيا وفرنسا وغيرهما من المناطق المعرضة للاسلحة الهيدروجينية وعلى رجال الدولة في امريكا ان يفكروا بذلك حيث التطورات الصاروخية سريعة جدا

٩ ـ صرح مسؤول بوزارة الخارجية البريطانية ، ان ست شحنات او سبعا من الاسلحة السوفياتية قد ارسلت الى اليمن وهي تشتمل على بعض الطائرات وان في اليمن ٥٠ مدربا وفنيا من السوفيات .

١٠ ـ لاقت قوات سلطان عمان والقوات البريطانية مقاومة شديدة في منطقة القتال القريبة من نزوى واضطرتها قوات الامام غالب الى الانسحاب .

١٢ ـ قام جنود سلطان عمان بمعونة البريطانيين بهجوم عنيف واستولوا على نزوى مقر قيادة قوات الامام غالب .

ـ اذاع راديو دمشق خبر اكتشاف مؤامرة امريكية انقلابية في سورية وقد اتهم الزعيم اديب الشيشكلي والعقيد ابراهيم الحسيني بالمساهمة فيها .

١٣ ـ طلبت الحكومة السورية من السفارة الامريكية في دمشق اخراج ثلاثة من كبار موظفي السفارة في مهلة ٢٤ ساعة لاتهامهم بالاشتراك في المؤامرة .

ـ قدم الاستاذ سامي الصلح رئيس الحكومة اللبنانية استقالته .

مطبعة الشراع
بيروت ـ الحازمية